معجز أحمد

أبو العلاء المعري

الجزء الأول

العراقيات الأولى

قال أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفي الجعفي رحمه الله وهو أول شعر قاله في صباه

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني وفرق الهجر بين الجفن والوسن

يقال بلى الثوب يبلى بلى وبلاء. وأبلاه غيره إبلاء. والأسف: شدة الحزن. يقال: أسف يأسف أسفاً فهو آسف وأسيف، ومعنى إبلاء الهوى البدن: إذهاب لحمة وقوته، بما يورد عليه من شدائد. وخص يوم النوى، لأن برح الهوى إنما يشتد عند الفراق، والهوى عذب مع الوصال سم مع الفراق كما قال السرى الرفاء:

وأرى الصبابة أريةً ما لم يشب يوماً حلاوتها الفراق بصابه

وانتصب أسفاً على المصدر، ودل على فعله ما تقدمه من قوله: أبلى الهوى لأن إبلاء الهوى بدنه يدل على أسفه، فكأنه قال: أسفت أسفاً، ومثله كثير في التنزيل؛ كقوله تعالى: "صنع الله الذي أتقن كل شيء"، ويوم النوى: ظرف للإبلاء، ومعموله. ويجوز أن يكون معموله المصدر الذي هو أسفاً.

والمعنى يقول: أدى الهوى بدني إلى الأسف، والهزال، يوم الفراق، وبعد الهجر من الحبيب؛ بين جفني والنوم. أي: لم أجد بعده نوماً ولا راحة.

روحٌ تردد في مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

يقول: روح تردد: أي تجيء وتذهب، في بدنٍ مثل الخلال في النحول والدقة والهزال، بحيث إذا طيرت الريح عنه الثوب لم يظهر ذلك البدن لدقته. أي: إنما يرى لما عليه من الثوب، فإذا ذهب الثوب فهو لا يرى. ومثل الخلال صفة للموصوف المحذوف، تقديره: في بدنٍ مثل الخلال.

وأقرأني أبو الفضل العروضي: في مثل الخيال؛ وقال: أقرأني أبو بكر الشعراني خادم المتنبي: في مثل الخيال وقال: ولم أسمع الخلال، وما دونه من البيت يدل على صحة هذا، وإن الوأواء الدمشقي سمع هذا البيت فأخذه وقال:

وما أبقى الهوى والشوق مني سوى روح تردد في خيال

خفيت على النوائب أن تراني — كأن الروح مني في محال

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ — لولا مخاطبتي إياك لم ترني

يقول: كفاني نحولاً كوني رجلاً، لو لم أتكلم لم يقع علي البصر، أي إنما يستدل علي بصوتي، كما قال أبو بكر الصنوبري:

ذبت حتى ما يستدل على أني حي — ي إلا ببعض الكلام

وأصل هذا المعنى قول الأول:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت — فدل عليها صوتها حية البحر

والباء في بجسمي زائدة، تزاد مع الكفاية عنها؛ في الفاعل كثيراً كقوله تعالى: "وكفى بالله شهيداً" "وكفى بك على هؤلاء شهيداً" "وكفى بربك هادياً ونصيراً" وتزاد مع المفعول أيضاً كقول بعض الأنصار

وكفى بنا فضلاً على من غيرنا — حب النبي محمدٍ إيانا

معناه كفانا فضلاً، فزاد الباء وقد قال أبو الطيب

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا

فزاد في المفعول في قوله: بجسمي لما ذكرنا وانتصب نحولاً، على التمييز، لأن المعنى كفى جسمي من النحول.

وقال يمدح محمد بن عبيد الله العلوي:

أهلاً بدارٍ سباك أغيدها — أبعد ما بان عنك خردها

الأغيد: الناعم البدن، وجمعه غيدٌ وأراد هاهنا، جارية، وذكر اللفظ، لأنه عنى الشخص، والخرد جمع الخريدة وهي: البكر التي لم تمس. ويقال أيضاً: خرد بالتخفيف، وفي قوله: أبعد أوجهٌ وروايات، والذي عليه أكثر الناس الاستفهام، وفيه ضربان من الفساد: أحدهما في اللفظ والثاني في المعنى، والذي في اللفظ من الفساد هو: أن تمام الكلام يتعلق بالبيت الذي بعده، وذلك عيب عند الرواة يسمونه المضمن والمبتور، ومثله:

لا صلح بيني فاعلموه ولا — بينكم ما حملت عاتقي

سيفي وما كنا بنجد وما — قرقر قمر الواد بالشاهق

والضرب الثاني من الفساد؛ في المعنى، وهو أنه إذا قال: أبعد فراقهم قمتم وتحزن؟ كان محالاً من الكلام، والرواية الصحيحة: أبعد ما بان بضم الدال.

يقول: أبعد شيء فارقك جواري هذه الدار. وروى قوم، أبعد ما بان بفتح الدال، على أنه حال من الأغيد والعامل في الحال سباك أي: سباك أغيدها أبعد ما بان عنك، وخردها بدل من الأغيد وهذا من العجب، أي أن السابي يسبي وهو بعيد.

ومعناه أنه أسرك بحبه، وهو على البعد منك، وانتصب أهلاً بفعل مضمر تقديره: جعل الله تعالى أهلاً بتلك الدار؛ لتكون مأهولة؛ أي ذات أهلٍ؛ وإنما تكون مأهولة إذا سقيت الغيث فأنبتت الكلأ، فيعود إليها أهلها، وهو في الحقيقة دعاء لها بالسقيا.

ظلت بها تنطوي على كبدٍ نضيجةٍ فوق خلبها يدها

يريد ظللت، فحذف أحد اللامين تخفيفاً كقوله تعالى: "فظلتم تفكهون".

يقول: ظللت، بتلك الدار تنثني على كبدك واضعاً يدك فوق خلبها، والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد في قلبه من حرارة الوجد يخاف على كبده أن ينشق، وهذا كما قال غيره:

عشية أثنى البرد ثم ألوثه على كبدي من خشيةٍ أن تصدعا

وقال آخر:

لما رأوهم لم يحسوا مدركاً وضعوا أناملهم على الأكباد

والانطواء كالانثناء، والنضج لليد، ولكن جرى نعتاً للكبد في الإعراب لإضافة اليد إليها كقوله تعالى: "من هذه القرية الظلم أهلها" فإن الظلم للأهل، وجرى صفة للقرية.

والمعنى: التي ظلم أهلها، وهذا كما تقول مررت بامرأة كريمةٍ جاريتها، تصفها بكرم الجارية، وجعل اليد نضيجة لأنه أدام وضعها على الكبد فأنضجتها بما فيها من الحرارة، ولهذا جاز إضافتها إلى الكبد، والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا طالت صحبته إياه كقولهم لفناء الدار: العذرة، وللمطمئن من الأرض: الغائط. وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون ولطول وضع يده على الكبد أضافها إليه، كأنها للكبد لما لم تر إلا عليها، والخلب: غشاء للكبد رقيق لاصق بها، وارتفع يدها بنضيجة، وهو اسم فاعل يعمل عمل الفعل كما تقول: مررت بامرأةٍ كريمةٍ جاريتها، ويجوز أن تكون النضيجة من صفة الكبد، فيتم الكلام ثم ذكر وضع اليد على الكبد، والأول أولى.

يا حاديي عيرها وأحسبني أوجد ميتاً قبيل أفقدها

روى: عيرها وعيسها وهي أحسنها لأن العير: هي التي تحمل النساء، والعيس: هي الإبل البيض التي تعلو بياضها شقرة: والهاء في عيرها للمحبوبة وأحسبني: أي أظنني، والفقد: العدم، وقوله: أفقدها، الأصل فيه النصب؛ لأنه أراد: قبيل أن أفقدها، إلا أنه حذف أن ورد الكلام إلى أصله وهو الرفع؛ لأن العامل فيه غير مظهر.

يخاطب حاديي العير التي كانت محبوبته في جملة ركبهما، ويسألهما أن يقفا عليه بالإبل ليستمتع بالنظر إليها، لما ذكره في قوله: قفا، ثم قال: وأحسبني. أي وإن التمست من الحاديين وقوفهما بهذه المرأة علي لأتزود منها بالنظر، فإني أظن أني أوجد ميتاً قبل أن تغيب هذه المرأة، فلا يكون في النظر إليها طائل، وإنما صغر فقال: قبيل لينبه على أن موته إنما يحصل حال الفراق وقبله بوقت يسير، وهو الوقت الذي يتحقق الفراق فيه، وإن ما قبلهما هي حالة الوصال ولا يليق به الموت، وقوله يا حاديي أراد به السائق والقائد، والحادي: اسم السائق، لكنه سماهما باسم واحد للجمع بينهما تغليباً لأحدهما على الآخر، وفي ذلك إخبار عن عظم حال هذه المرأة الجليلة وأن لها قائداً يأخذ بزمام المطية، وسائقاً يسوقها، ويحتمل أن يكون حاديين على الحقيقة.

قفا قليلاً بها علي فلا أقل من نظرةٍ أزودها

قليلاً: منصوب؛ لأنه صفة لظرف محذوف. أراد: زماناً قليلاً، أو لأنه صفة لمصدر الفعل الذي هو قفا أراد: وقوفاً قليلاً. وقوله: فلا أقل ويروى بالنصب وهو الوجه؛ لأن لا يبنى الاسم بعده على الفتح إذا كان نكرة، وأقل نكرة، وقد روى بالرفع على معنى ليس وقوله: قفا يتعلق بقوله: يا حاديي عيرها والهاء في بها يحتمل أن تكون للإبل وأن تكون للمرأة.

يخاطب الحاديين فيقول: قفا بهذه المرأة علي لأتزود منها بالنظر إليها، وإن كان ذلك الوقوف قليلاً، ثم قال إن لم آخذ منها الاستمتاع وطول الملازمة واستدامة الملاقاة فلا أقل من نظرة أزودها: أي إني أجعلها زادي. ويروى: أزودها أي بجعل تلك النظرة زادي بعد مفارقتي إياها ومثله للآخر:

ألما على الدار التي لو وجدتها بها أهلها ما كان وحشاً مقيلها
وإن لم يكن إلا معرج ساعةٍ قليلٌ، فإني نافع لي قليلها

وقال الآخر:

قليلٌ منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له: قليل

ففي فؤاد المحب نار هوىً أحر نار الجحيم أبردها

المحب أراد به نفسه، والكناية في أبردها لنار الهوى، وكأن هذا البيت علة في سؤاله الحاديين الوقوف بالمحبوبة.

يقول: إن في فؤادي ناراً من هواي إياها، والجحيم في جنبها أبردها، يعني أن أبرد نار الهوى مثل أحر نار الجحيم؛ وقصد بذلك تعظيم الهوى، وقد ورد الخبر بأن نار جهنم تزيد على نار الدنيا بسبعين درجة، فإذا كان أبرد هذه النار تزيد على أحر تلك، فلا مبالغة فوقه.

شاب من الهجر فرق لمته فصار مثل الدمقس أسودها

الفرق: موضع الفرق هاهنا، وفرق الرأس: وسطه، واللمة: ما ألم بالمنكب من الشعر، التي هي أفعل من كذا، وهو الأشد سواداً، وإنما أراد به الاسم أي مسودها، يعني اللمة.

يقول: شاب شعر رأسي من ألم الفراق! لا من الكبر في السن، حتى إن الشعر الأسود صار كالحرير الأبيض. وإنما خص موضع الفرق؛ لأن ذلك في قمدم الرأس، والعرب تزعم أن ابتداء الشيب إذا كان منه كان فيه دلالة الكرم، وإذا كان من جهة القفا كان فيه دلالة اللؤم، وهذا البيت مثل قول الآخر:

وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكن شيبتني الوقائع

والأصل فيه قوله تعالى: "يوماً يجعل الولدان شيباً".

بانوا بخرعوبةٍ لها كفلٌ يكاد عند القيام يقعدها

الضمير في قوله: بانوا لأصحاب العير، أو الحداة، والخزعوبة: الجارية الناعمة الجسم، اللينة العصب، الطويلة.

يقول: بانوا بجارية خرعوبة عظيمة العجز، حتى إنها من كبر كفلها يقرب كفلها عند القيام من أن يقعدها ويلقيها. ومثله لأبي العتاهية قوله:

بدت بين حورٍ قصار الخطا تجاهد بالمشي أكفالها

ربحلةٌ أسمرٍ مقبلها سبحلةٌ أبيضٌ مجردها

الربحلة: الضخمة الحسنة الخلق، والسبحلة: الطويلة العظيمة. وقيل: السمينة اللحيمة. ومقبلها: أراد به شفتها، لأنها موضع القبلة في الغالب، ويستحسن فيها السمرة، وقيل: أراد وجهها وسوالفها، لأن

ذلك مما يقصد بالقبلة كالشفة، ويكون وصف ذلك بالسمرة تنبيهاً على أنها عربية؛ لأنها الغالبة على العرب، وهي أحب ألوان النساء عندهم، والمجرد: قيل أراد به سائر بدنها، والمستحسن فيه البياض. وقيل: أراد به ما جرت العادة بتجريد في الغالب: كالوجه، والعنق واليد والرجل. فيكون قد وصف جملة البشرة بالبياض، والغرض وصف المرأة بأنواع الحسن، ليعذر في حبه لها وشغفه بها.

ويجوز في سبحلة وربحلة الجر عطفاً على خرعوبة والرفع على أنه خبر ابتداء محذوف فكأنه قال: هي ربحلةٌ وهي سبحلةٌ.

يا عاذل العاشقين دع فئةً أضلها الله كيف ترشدها؟ !

الفئة: الجماعة، وأراد بها العشاق. وقوله: أضلها الله: أغراها بالضلال، ووجدها ضالة، والظاهر أنه متعدى ضل والمعنى: أنها همت بالضلال فأضلها الله، والإرشاد: ضده.

يقول: دعهم عن العذل على العشق، فإن التمادي فيه ليس منهم، حتى ينفع عذلك فيهم، إنما هو من الله تعالى، أضلهم بالعشق عن سبيل السلوة، فكيف ترشدهم إليها؟! أو أوجدهم ضالين عن سبيل الرشاد والسلو.

ليس يحيك الملام في همم أقربها منك عنك أبعدها

يحيك بضم الياء أفصح، وجاء: حاك يحيك، والهمم: العقول والعزائم.

يقول: ليس يؤثر الملام في همم، وهي همم العشاق. أقربها في ظنك أيها العاذل من العمل، أبعدها عنك في الحقيقة، وعلى هذا الهمم: هي العزائم ويجوز أن يراد بها العقول.

فيقول: إن العشاق لا عقول لهم، والعذل إنما ينفع لمن له عقل، فلا وجه إلى ملامهم، وروى: ليس يحيك الكلام.

وسئل المتنبي عن قوله: أقربها منك عنك أبعدها فقال: أقربها منك سمعاً وأبعدها عنك طاعةً.

بئس الليالي سهدت من طربي شوقاً إلى من يبيت يرقدها

سهدت بالدال، لأنه لا يستعمل إلا في العشق. والسهر عام. والطرب: الخفة في فرح أو حزن، وأرادها هنا ما يكون من الحزن، ويرقدها: أي يرقد فيها، والهاء ترجع إلى الليالي.

يذم الليالي التي سهر فيها حزناً على المحبوبة؛ لأنها ليالي المحنة، لمفارقتها من وجهين: أحدهما من حيث الشخص، والثاني أنها لم تقابله في المحبة فتسهر كسهره في تلك الليالي، ولا ساعدته على سبيل المجاملة،

وقوله شوقاً: نصب لأنه مفعول له، ويحتمل أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال.

أحييتها والدموع تنجدني شئونها والظلام ينجدها

إحياء الليل: هو السهر، والشئون: مجاري الدموع، والإنجاد: الإمداد والإعانة، والهاء في أحييتها لليالي، وفي شئونها للدموع، وأضافها إليها لأنها مجاريها، والهاء في ينجدها قيل: ترجع إلى الليالي.

ومعناه: أحييت الليالي على حال تنجدني شئون الدموع فيها على ما كنت فيه من طول الليل الذي حصل بالغم والسهر؛ لأن من شأن الدموع أن تخفف على المحزون، وكأن الظلام يعين الليالي ويمدها ظلمةً أكثر من ظلمتها، ويزيدها طولاً إلى طولها، لانفراده به وعدم مشاهدته ما يتشاغل به عما هو فيه من الغم كما قال الشاعر:

بلى إن للعينين في الصبح راحةً لطرحهما طرفيهما على كل مطرح

وقيل: إن الهاء في ينجدها للدموع.

ومعناه: أن الدموع كانت تعينني لما فيها من الراحة، والظلام كان يعين الدموع، وكلما ازداد الليل ظلمةً ازداد الغم.

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها

أجهدها: من جهدت الناقة إذا أشققت عليها في الحمل والركوب والرهان: المراهنة في مسابقة الخيل.

وأراد بالناقة: النعل وأشار إلى أنه أحيا هذه الليالي وهو سائرٌ راجل، وجعله نعله ناقته من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "المنتعل راكبٌ" ثم بين مخالفته حالها بحال الناقة من وجهين: أحدهما أنها لا تقبل الرديف ولا تسع غير رجله، الثاني أنها لا تجهد بالسوط يوم المراهنة؛ لأنه ليس لها فعل في السباق، ولا سرعة ولا إبطاء، ثم زاد في الدلالة على المخالفة فقال:

شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها

الكور: الرحل، والمشفر: الشفة، والمقود: الحبل يقاد به الناقة، والزمام: السير المفتول.

شبه نعله بالناقة، وشراكها بالكور؛ لأنه يعلو ظهر الناقة، كالشراك يعلو النعل، وهو السير المعترض على القدم المشدود إلى جانبي النعلن والزمام: هو السير المشدود جانب منه إلى الشراك، وجانب إلى الشسع، والشسع: السير الذي يكون بين الأصبعين، فشبه كل آلة من النعل بشيءٍ من آلات الناقة.

أشد عصف الرياح يسبقه تحتي من خطوها تأيدها

عصف الرياح: شدة هبوبها. والهاء، في يسبقه: يرجع إلى العصف المضاف إلى الرياح، والتأيد: قوة الخطو، من الأيد وهو القوة.

يقول: قوة خطوها تحتي تسبق أشد عصف الرياح لأنها تبقى بعدها، وتفتر الرياح، وعنى بذلك قوة نفسه وسرعة مشيه.

وقيل: أراد بالتأيد: التثاقل والتثبت، كأنه جعل أهون سيره على النعل فوق أشد الهبوب للرياح مبالغة وكأنه قال: تثبت خطوها يسبق أشد الرياح فيصف قوته.

في مثل ظهر المجن متصلٍ بمثل بطن المجن قرددها

القردد: الأرض الصلبة. وقيل: ما انخفض من الأرض الناتئة.

يصف طريقه إلى الممدوح، وشبه ما ارتفع منه بظهر المجن، وما انخفض منه ببطن الترس، وبين أن بعض طريقه كان صعوداً وبعضه كان هبوطاً وذلك دلالة على فضل المشقة.

فيقول: تأيد خطوها، يسبق أشد هبوب الرياح، في طريقٍ مثل ظهر المجن ارتفاعاً، متصل بطريق مثل بطن المجن انخفاضاً، والأصل في هذا التشبيه قول الأعشى:

وبلدةٍ مثل ظهر الترس موحشةٍ للجن بالليل في حافاتها زجل

وقيل: إنه شبه ابتداء سفره إليه بظهر المجن، إشارة إلى أنه كان موحشاً، وانتهاءه ببطنه، لما أدى إلى لقاء الممدوح، إشارة إلى أنه كان مؤنساً؛ لأن ظهر المجن يلي العدو وبطنه يلي نفس من حمله، والأول أقوى. ويجوز في متصلٍ: الرفع على الابتداء أو خبره، والجر على أنه صفة لمثل، أو بدل له.

مرتمياتٌ بنا إلى ابن عبي د الله غيطانـها وفدفدها

روى: في مرتميات: الرفع على أن يكون خبراً لغيطانها وفدفدها، وتكون هي مبتدأ، وروى بالكسر فتكون في موضع النصب، على أن تكون حالاً سادةً مسد خبر المبتدأ. والغيطان: جمع الغائط وهو المطمئن من الأرض، والفدفد: ما نشز منها.

يقول: رمت بنا هذه الغيطان والفدفد إلى ابن عبيد الله: الذي هو الممدوح، يذكر مشقته ليكون أقرب إلى الإكرام.

إلى فتىً يصدر الرماح وقد أنـهلها في القلوب موردها

إلى: يتصل بقوله: مرتمياتٍ والإيراد: أراد به إورادها وهو الإتيان بالمواشي إلى الماء، والإصدار:

صرفها عنه بعد الري. وقوله: أنهلها: من النهل، وهو في اللغة: الشربة الأولى، وروى موردها وهو مصدر ورد، ويجوز أن يكون مكان الورود وهو جسم المطعون، وهو رفع على أنه فاعل أنهلها.

يقول: رمت بنا هذه المفاوز إلى فتىً يسقى رماحه من دم قلب عدوه، ويصدرها عنه وقد رويت من الدم. والهاء في أنهلها للرماح، وخص القلوب لأنها أولى المقاتل.

له أيادٍ إلي سابقةٌ ... أعد منها ولا أعددها

وروى: سابقةٌ وسابغةٌ أي تامة. والأيادي: النعم.

يقول: إن له علينا نعماً سابقة، لا أقدر أن أحصيها من كثرتها، غير أني أعد من تلك النعم، وأوجد منها، يشير إلى أنه خلصه من يد عدو له، أو أنه جنى عليه بما يستحق القتل، فوهب له نفسه، ومثله:

لا تنتفنى بعدما رشتني ... فإنني بعض أياديكا

وروى أعد منها يعني: أعد بعض هذه النعم، وأما جميعها فلا أقدر أن أحصيها لكثرتها، لأن من للتبعيض.

يعطى فلا مطله يكدرها ... بها ولا منه ينكدها

الهاء في بها وفي يكدرها وفي ينكدها: للأيادي. وتقدير البيت: يعطى فلا مطله به لأن المطل يتعدى بالباء، وينكدها.

يقول: يعطى من دون مطلٍ بما يعطيه، ولا مدافعة ينكد بها، ولا يمن به إذا أعطى، فكأنه قال: له أياد لا يكدرها مطلٌ ولا ينكدها منٌّ فكأنه أخذه من قوله تعالى: "يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى" ومثله للحكمي:

فما في جوده منٌّ ... ولا في بذله خسرُ

خير قريشٍ أباً وأمجدها ... أكثرها نائلاً وأجودها

المجد: الشرف، والهاءات: للقبيلة، التي هي قريش؛ وأباً ونائلاً: منصوب للتمييز، وكان هذا الممدوح علوياً، وليس في قريش خير من بني هاشم خيرٌ من العلوية؛ فلهذا قال: خير قريش أباً، ففضله في نفسه، ثم في مجده، ثم في سخائه.

وقريش: اسم لمن ولده النضر بن كنانة، وقيل لمن ولده فهر بن مالك؛ والأصح هو الأول.

أطعنها بالقناة أضربها ... بالسيف، جحجاحها مسودها

الجحجاح: السيد الممتلىء كرماً، والمسود: هو الذي اتفق الناس على سيادته. فقيل: هو المخاطب بالسؤدد، وذلك عن أجداده، وهذا أبلغ في الجلالة، وإنما قيد الطعن بالقناة، والضرب بالسيف؛ إما تأكيداً كقولك: رأيت بعيني، وإما لأن الطعن قد يكون بغير القناة من اللسان وغيره، كذلك قد يكون بغير السيف، كالخشب ونحوه، وليس في ذلك مدح. فرفع الإشكال بالتقييد، والجحجاح والمسود يعني: السيد المسود.

أفرسها فارساً وأطولها باعاً ومغوارها وسيدها

فارساً: نصب على الحال.

يقول: إن هذا الممدوح أفرس قريش، في حال كونه راكباً للفرس، فدل به علىأنه إنما يركب الفرس في بعض الأحوال، إذ ركوبه في جميع الأحوال من عادات الرائضين، وقيل: إنه نصب على التمييز. والمعنى أنه أفرس من سائر فرسان قريش، كقولك: هو أجود قريش جواداً، وقيل: إنه أراد به: أفرسها فروسيةً. أي فراسة، ويكون أيضاً نصب على التمييز، وقوله: أطولها باعاً. كناية عن مد يديه بالعطاء، أو يكون كناية عن نيله كل ما يريد بفضل قوته وقدرته، والمغوار: كثير الغارة

تاج لؤي بن غالبٍ وبه سما لها فرعها ومحتدها

لؤي بن غالب: اسم جد النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو قريش، وأراد به: القبيلة، والمحتد: الأصل الكريم، وأراد بالمحتد هاهنا: السلف، وبالفرع: الخلف منهم.

يقول: إنه تاجهم وغرهم، وإن علوهم به، خلفاً وسلفاً، لانتسابهم إليه.

شمس ضحاها هلال ليلتها در تقاصيرها زبرجدها

الضحا: ارتفاع النهار، والتقاصير: جمع التقصار وهي القلادة القصيرة.

بين أن قريشاً يستضيئون بنوره، وجعلوه لأنفسهم كالشمس والهلال، في نهارهم وليلهم، وأضاف الشمس إلى الضحا؛ لأنه اسمٌ لأوائل النهار، وأضاف الهلال إلى الليلة لأنه يسمى هلالاً في أوائل الشهر؛ ليدل على حداثة سن الممدوح، وأن فيه رجاء الزيادة والنماء، وأنه منظور إليه، يرمقه الناس ويصدرون عن أمره ونهيه، ويحكم فيهم بحكمه، وذلك مختص بالهلال، إذ لا ينظر إلى البدر كما ينظر إلى الهلال، ولا يتعلق بالبدر ما يتعلق بالهلال من الأحكام، ثم بين أن قريشاً بمنزلة القلادة زينة، أراد

أن الناس يتزينون بهم، إذ هم رؤساؤهم، وأن الممدوح أجل أولئك السادة قدراً، وأعظمهم خطراً لأن أجل ما في القلادة الدر والزبرجد، فكأن الناس يتزينون بهم، وهم يتزينون به.

يا ليت بي ضربةً أتيح لها كما أتيحت له، محمدها

أتيح: أي قدر.

وتقدير البيت: يا ليت بي ضربةٌ أتيح لها محمدها كما أتيحت له؛ كان الممدوح أصابته ضربةٌ في وجهه في غزو الكفار، فتمنى هو أن تلك الضربة كانت به دون الممدوح، تفديةً له بنفسه أو تسلية حيث يسعد بها الممدوح، لأنه كثر بسببها عليه الثناء، وكتب له من أجلها الثواب؛ ولفظ الإتاحة؛ تنبيهاً على أنها كانت اتفاقاً وفجاءةً، لا عن فضل قوة الضارب على الممدوح، فدل بذلك على شجاعة الممدوح؛ أو يكون إتاحة الضرب له من حيث أنه نوه بذكرها وبذكر من سبب إليها، والحديدة التي وقعت بها، فكأنه كسب له الفخر، وكسبت هي له السعادة والثناء وجزيل الثواب.

وقد كان يستقيم المعنى من دون أن يذكر محمدها ويكون تقدير البيت: في ضربة أتيح لها، كما أتيحت له. لأنه صرح بذكره للحاجة إليه، وإن لم يكن في ذلك إحالة المعنى.

أثر فيها وفي الحديد وما أثر في وجهه مهندها

المهند: السيف المنسوب إلى الهند، والهاء في فيها، وفي مهندها لضربة، وتأثيره في الضربة على معنيين: أحدهما أن يكون سلاحه قد عطل وأبطل تأثيره بشجاعته فلم تؤثر ضربته فيه تأثير مثلها، فلما كان كذلك صار كأنه لم يكن للضرب، ولا للحديد تأثيرٌ فيه، فيكون غرضه أن الضربة لم تعمل في الممدوح، أو عملت عملاً قليلاً يخالف قصد الضارب، إذ أراد أن تعمل عملاً عظيماً.

والثاني أن يكون قد جعل الممدوح مؤثراً في الضربة والحديد، من حيث أن الضربة وقعت على الوجه فزانته، وما شانته، لأنها دلالة الشجاعة؛ فلما كان كذلك فكأن الضربة والحديد لم يؤثرا فيه؛ لأن تأثيرهما في الشين والإيلام، وإذا كان على ما ذكرنا؛ فكأنه لا ألم فيه ولا شين، والأظهر أن يكون تأثيره في الضربة والحديد من أنه نوه بذكر تلك الضربة وشرفها وشرف الحديد وقلله، فكأنه قال: أثر في الضربة بالتشريف وفي السيف بالتفليل، وأثر السيف فيه تأثير مثله من الوجه الذي بيناه وعلى هذا يدل البيت الذي يليه وهو قوله:

فاغتبطت إذ رأت تزينها بمثله والجراح تحسدها

الجراح: جمع جراحة، والهاء في تزينها، وتحسدها للضربة، ورأت من رؤية العين وهي استعارة ها هنا. يقول: إن الضربة فرحت بحصولها في جسمه وحلولها ببعض أجزائه، وسائر الجراح تحسد هذه الضربة لأجل ذلك، وفي هذا تنبيه على أنه كان هناك جراحة، فكأنه يقول: إذ رأت تزين نفسها لأن الهاء فيها للضربة، وقوله: بمثله. فيه زيادة مبالغة؛ لأن تزين الضربة إذا حصل بوقوعه بمثل الممدوح، فلأن يحصل إذا وقع به أولى، وروى بوجهه أي بوجه الممدوح وهو أظهر الروايتين.

وأيقن الناس أن زارعها بالمكر في قلبه سيحصدها

الهاء في قلبه للزارع. يقول: إن زارع هذه الضربة في وجهه بالمكر، سيحصدها: أي أن عاقبة أمره تئول إلى أن ينتقم منه ويقتله، وذكر المكر يدل على أن هذا الضرب حصل اغتيالاً ومكراً لا مبارزة ومقاومة! وقوله: في قلبه: يحتمل أن يكون ظرفاً للمكر، يعني أنها حصلت بالمكر الذي كان في قلبه، دون أن يظهر ذلك له، إذ لو ظهر لعجز عنه، ويحتمل أنه سيحصد هذه الضربة في قلبه، يريد أنه سيقتله؛ لأن القلب مقتل، ويجوز أن تكون الهاء في قلبه للممدوح، كأنه قال: أيقن الناس أن زارع هذه الضربة في قلب الممدوح سيحصدها، فشبهها بالبذر وشبه الجزاء بالحصاد.

أصبح حساده وأنفسهم يحدرها خوفه ويصعدها

يحدر بالفتح أفصح. يقال: حدرت السفينة أحدرها حدراً فانحدرت. وأحدرت لغةٌ ضعيفة.

يقول: فزع الحساد منه فزعاً عظيماً بحيث لا قرار لهم من الخوف، حتى كأن ما بهم من الخوف يحدر أنفسهم مرةً ويصعدها أخرى، وهذا الفزع يجوز أن يكون من حيث أنهم خافوا أن يعظم محله بانتقامه منهم، أو خافوا نفس الانتقام.

تبكي على الأنصل الغمود إذا أنذرها أنه يجردها

لعلمها أنها تصير دماً وأنه في الرقاب يغمدها

الهاء في أنذرها، وفي يجردها، للأنصل. وفي علمها للغمود، وفي أنها للأنصل، وكذلك في يغمدها والضمير في أنه للممدوح وقوله: تصير دماً أي تختضب بالدماء.

يقول: تبكي الغمود على الأنصل إذا أعلمها الممدوح، وخوفها أنه يجردها ويخرجها من غمودها، وإنما تبكي الغمود لأنها تعلم أنها تصير دماً، وأنه يغمدها في رقاب أعدائه، فيجعل رقابهم أغماداً لها بعد إغماده إياها في أغمادها، ومثله لحسان قوله:

إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجماجم أغمادها

أطلقها فالعدو من جزعٍ يذمها والصديق يحمدها

الهاء في أطلقها وفيما بعده للأنصل، وإطلاقه لها لقتلهم بها. إطلاق يده بالضرب بها في الأعداء.

يقول: يذم العدو هذه السيوف التي أطلقها الممدوح، لعلمهم أنه يقتلهم بها، والصديق يثني عليها لأنها تكسبه العز لما تجلبه من الظفر للمدوح، وبين أن العدو يذمها جزعاً؛ ليدل على أنها غير مذمومة في الحقيقة، وحقق ذلك بقوله: والصديق يحمدها.

تنقدح النار من مضاربها وصب ماء الرقاب يخمدها

قدحت النار فانقدحت، والمضارب: جمع مضرب، وهو حد السيف الذي يضرب به.

يقول: تقطع هذه السيوف ما تحتها مما تصيبه حتى تصل إلى الأرض وتهوي فيها، ولا يردها إلا حجرٌ يقدحها، ويتبعها الدم من الموضع الذي أصابته فيخمدها.

وقيل: إن انقداح النار: حين قدت اللحم وقطعت العظام فتقدح منها النار من شدة الوقع، ثم انصب عليها الدم فأخمدها.

إذا أضل الهمام مهجته يوماً فأطرافهن تنشدها

أي أنها تطلب الهمام: وهو الملك العظيم الهمة، والذي إذا هم بالأمر أمضاه، وقد روى: أطرفهن بفتح الفاء وينشدها بالياء وفتحها، وكذلك بالتاء وفتحها، من نشدت الضالة: أي طلبتها، وروى فأطرافهن بضم الفاء وتنشدها بالتاء وضمها، من أنشدت الضالة: إذا عرفتها.

والمعنى على الأول: أن الهمام إذا اشتد عليه القتال حت أضل مهجته فيه، وهو أن يصادفها مجروحة أو مقتولة، فإنه يطلبها عند أطراف سيوف هذا الممدوح؛ لأن من شأنها إصابة مهج الملوك. ويكون نصب أطرافهن على الظرف، تقديره: أطرافهن تنشدها، أو يكون المراد بإضلالها: أن يذهل عنها فزعاً، فيكون كأنه أضلها، فعند ذلك يطلبها من أطراف سيوفه لاعتيادها لأرواح الملوك، فهي التي تدل كل ملك على مهجته إذا قتلت، أو جرحت فلم يهتد لها، ولم يقدر على ارتجاعها فإن أطراف سيوفه هي التي تدل عليها. وتقول: هي عندنا. إذ هي موكلة بمهج الملوك وسالبةٌ لها، ويحتمل أن يكون المراد به أن أطراف سيوفه تنشد للهمام مهجته عند إضلاله إياها وإشرافه لها على الهلاك، وتنقذها من الضلال فتكون هي الناشدة لها، وقد روى بدل: الهمام الشجاع.

قد أجمعت هذه الخليقة لي أنك يا ابن النبي أوحدها

وأنك بالأمس كنت محتلماً		شيخ معدٍّ وأنت أمردها

الإجماع: اتفاق الكلمة على الشيء، والخليقة: البرية. والأوحد: الذي لا ثاني له، والهاء فيه للخليقة، وأراد بأنك: أنك وأجراها مع المضمر كالمظهر من قوله:

كأن ثدييه حقان

ومحتلماً: نصب على الحال، وشيخ معدٍّ: نصب بخبر كان، وروى: وأنت بالأمس مكان وأنك.

يقول: قد اتفقت البرية كلهم يا ابن رسول الله على أنك أوحد هذه البرية؛ وإنما قال ذلك؛ لأنه علوي، ولا خلاف في شرفهم، واتفقتْ أيضاً أنك كنت بالأمس في حال احتلامك شيخ هذه القبيلة المنتسبة إلى معد بن عدنان ورئيسهم، وأنت حينئذ أمرد، فكيف بك اليوم وقد علا سنك، وقد جربت الأمور، فإذا كنت قد سدتهم في أول أوان البلوغ فالآن أنت بالسيادة أولى.

فكم وكم نعمةٍ مجللةٍ		ربيتها كان منك مولدها

يجوز في نعمةٍ الفتح على الاستفهام، والجر على الخبر، وهو أجود؛ لأنها أدل على الكثرة، ومجللةٍ: بفتح اللام على معنى مبهمة ومعظمة، أو محكوم لها بالجلال، وبكسرها على معنى أنها تنسب إلى الجلال والتعظيم فهي مجللة.

يقول: وكم من نعمة عظيمة ابتدأت بها، ثم أتبعت مثلها، وجعل ابتداءها: ولادةً. وإدامتها: تربيةً. وقد روى: ربيتها بضم التاء، والمعنى على هذا: أني شكرتها فاستوجب لها المزيد، فكنت كالمربي لها.

وكم وكم حاجةٍ سمحت بها		أقرب مني إلي موعدها

الموعد: وقت الوعد، لإنجاز الحاجة.

يقول: كم حاجةٍ وبغيةٍ جاد الممدوح بها وقضاها لي، وكان موعدها في الإنجاز أقرب من نفسي إلى نفسي، يريد بذلك أنه يبتدىء بالعطاء من غير تقديم وعدٍ؛ لأن قربه على هذا الحد كناية عن فقد الوعد.

أو يريد طريقة الصوفية؛ كأنه فضل نفسه، أي أن وقت حضور موعده أقرب إلي من نفسي إلى نفسي، والأول أولى. وروى: أقرب شيء إلي موعدها وهو أظهر في المعنى والأول أبلغ وأفصح.

ومكرماتٍ مشت على قدم البر		ر إلى منزلي ترددها

المكرمات: جمع مكرمة، وأراد بها الخلع، والهدايا، والمشي استعارة هاهنا. قد جعل للبر قدماً يمشي بها. يقول: كم من مرة رددها إلى منزلي ماشيةً على قدم برك وإحسانك. وقيل: دل بقوله: على قدم البر على أن الخاطئين كانوا له من جملة الهدايا، وفي خير العطايا، كأنهم كانوا غلماناً وجواري أهداهم إليه. وروى: ترددها، وترددها فالأول خبر، والثاني مصدر، والمعنى واحد.

أقر جلدي بها علي فلا　　　أقدر حتى الممات أجحدها

يقول: أقر جلدي بها علي لكثرتها وظهور أثرها على بشرتي ونضارة وجهي بها، وحسن حالي بسببها، فلست أقدر ما عشت أن أجحدها؛ لأني إذا جحدتها شهدت علي؛ وهو مأخوذ من قوله تعالى: "تعرف في وجوههم نضرة النعيم" ومثله قول الشاعر:

إذا ما جحدنا جوده ظل شاهداً　　　جوارحنا مهما أقمنا على الجحد

ويحتمل أنها كانت من جملة الملبوس؛ فلهذا خص الجلد بذكره ونزل أجحدها منزلة المصدر، وتقديره فلا أقدر على جحودها، ويجوز أن يكون الأصل أن أجحدها غير أنه حذف أن فوقع الفعل بعده كقوله فيما تقدم: قبيل أفقدها.

فعد بها لا عدمتها أبداً　　　خير صلات الكريم أعودها

عد بها: أي أعدها لا عدمتها: دعاء، لإبقاء مكرماته، وهو حسنٌ مليح، وأعودها: أدومها عادة. يقول: قد عودتني مكرماتك، فأعدها لا عدمتها مدى الدهر، فإن خير الجوائز ما تدام عادتها، وتعاد، وقوله: لا عدمتها أبداً: وإن كان دعاء للنعم بالبقاء، فهو يتضمن الدعاء للمدوح بدوام القدرة على الإحسان، وقوله: خير صلات الكريم أعودها. مثلٌ له.
وقيل له وهو في المكتب: ما أحسن هذه الوفرة؟! فقال ارتجالاً:

لا تحسن الشعرة حتى ترى　　　منشورة الضفرين يوم القتال

أراد بالشعرة هاهنا: جملة الشعر الذي كان على رأسه، ولم يرد الشعرة الواحدة. وروى مكانها الوفرة، والضفرين: الضفيرتان. وهما من ضفرت السير أي فتلته.
يقول: لا تحسن هذه الوفرة حتى تنشر يوم القتال؛ لأن من عادة العرب أنهم يكشفون عند الحرب رءوسهم وينشرون شعورهم، وهو يظهر من نفسه حب الحرب؛ تنبيهاً على شجاعته.

على فتى معتقل صعدةً　　　يعلها من كل وافي السبال

الاعتقال: أن يضع الفارس رمحه بين ركابه وساقه، ويمسكه بفخذه. والصعدة: القناة المستوية، وقيل: هي ما صغر من الرمح، ويعلها: يسقيها من العلل وهي الشربة الثانية، والهاء في يعلها للصعدة.

يقول: لا تحسن شعرتي هذه حتى تراها منشورة يوم القتال، على فتىً، وهو يعني به نفسه. وقد اعتقل رمحه، يسقيه من دم وافي السبال.

فكأنه يقول: إنما تحسن الوفرة على من لا سبال له، وهو أمرد؛ يقاوم الملتحي عند المقاتلة، لأن السبال لا يكون وافياً إلا إذا كان تام اللحية. ينبه بذلك على فضل قوته وشجاعته.

وقيل: إن وافي السبال كناية عن الشجاع. لأن أهل الحرب كانوا لا يحفون شواربهم حتى يكون أهيب لهم عند القتال.

وقيل: إنه تعريض بالمتعجب من الشعرة. وكان من أصحاب اللحية الضخمة.

يقول: لا تحسن الشعرة حتى تكون علي وقد اعتقلت رمحي أسقيه من دم كل علج طويل اللحية، وافي السبال مثلك أيها المتعجب من وفرتي.

هذه، وروى أنه قال: ربما أنشدت على فتىً في يد صعدة ويقال عل يعل ويعل بالكسر لغة قيس، والضم لغة تميم.

وقال أيضاً في صباه:

محبي قيامي ما لذلكم النصل ... بريئاً من الجرحى سليماً من القتل

تقديره: يا محبي قيامي. وهو نداء مضاف، خطاب للجماعة. ودل عليه قوله: ذلكم. والقيام بمعنى الإقامة والمقام، وقد روى أيضاً محبي مقامي. كأنه يخاطب أهله وعياله.

ويقول: يا من يحب إقامتي وتركي الأسفار والمطالب. كيف أفعل ما تحبون: من إقامتي معكم، ولم أجرح بنصلي أعدائي؟! وأورد ذلك مورد الإنكار على أهله حين أشاروا عليه بالقيام عندهم.

وقيل: إنهم استنصروه وسألوه الوقوف معهم فقال: يا من يحب مقاتلتي العدو معهم: ما لنصولكم متنحية عن هرج أعدائكم، غير منكسرة من كثرة القتل! فإن م حق المستنجد أن يتسم أولاً للحرب، ويبلى جهده، ثم يستنصر غيره: فأما أن ينتحي ويغري غيره على الحرب فليس من حقه! ويحتمل أن يكون القيام من قولهم: قام بالأمر إذا تولاه وسعى فيه.

والمعنى: يا من يحب قيامي بأموره وترك فراقه، ما لذلكم النصل لم أجرح به ولم أقتل؟ فكأنه يقول: لا

أختار القيام بأمورك على حال أن ذلك النصل لم يؤثر في الأعداء جرحاً وقتلاً، يعني أن أعمال النصب أحب إلي من القيام عليك. ونصب برياً وسليماً على الحال من النصل.

أرى من فرندى قطعةً في فرنده وجودةُ ضرب الهمام في جودة الصقل

فرند السيف: جوهره. بالغ في وصف نفسه بالمضاء والشجاعة وفضل نفسه على السيف حيث جعل فرند السيف قطعة من فرنده وبعضاً منه! ثم قال: وجودة ضرب الهمام في جودة الصقل، وظاهر معناه: أن السيف إذا كان صقيلاً جيد الصقال كان ذلك سبباً لجودة ضرب الهمام؛ وهذا مما لا يستمر، لأن جودة الصقل قد توجد، ولا يكون متضمناً لجودة الضرب، وذلك إذا لم يكن للسيف جوهر كريم، غير أنه أثبت أولاً للسيف جوهراً كريماً ثم أخبر عن صقاله.

فكأنه يقول: كيف أترك النهوض وأقعد عن محاربة أعدائي؟! ولي جوهر في المضاء والشجاعة، وللحرب آلة موفورة، وهو السيف الذي فيه الجوهر الكريم والصقل الجيد.

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي أرتك احمرار الموت في مدرج النمل

أراد بالخضرة الأولى: الرفاهية: في العيش، فجعل للعيش ثوباً أخضر، كناية عن طيب العيش لأن الخضرة أشهى إلى النفوس، لميلها إليها دون سائر الألوان، وقال في بيت آخر:

والعيش أخضر والأطلال مشرقة

وأراد بالخضرة الثانية: لون السيف، وكأنه وضعها في موضع الزرقة للتجنيس. واحمرار الموت: كناية عن احمرار الدم على السيف عند الضرب، وقد كثر حتى وصف به الشدة، يقال: موت أحمر، ومدرج النمل: ممره، وأراد به ما يرى في متن السيف من جوهر كأنه ممر النمل.

يقول: أرى خصب العيش وطيبة النفس في السيف الكريم الجوهر، الجيد الصقل، وهو المعبر عنه بالخضرة التي أرتك شدة الموت في مدرج النمل، وقصد به المبالغة في تصويب رأيه فيما اختار من النهوض وقصد محاربة الأعداء وقتلهم وجرحهم.

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه فما أحدٌ فوقي ولا أحدٌ مثلي

أمط: أي أبعد.

وقد أكثر الناس في هذا البيت: من حيث أن ما ليست من أدوات التشبيه.

فقال ابن جنى: إن المتنبي كان يجيب إذا سئل عن هذا البيت بأن يقول: تفسيره أنه كان كثيراً ما يشبه فيقال: كأنه الأسد، وكأنه البحر، ونحو ذلك. فقال هو معرضاً عن هذا القول: أمط عنك تشبيهي بما

وكأن، فجاء بحرف التشبيه وهو كأن وبلفظ ما التي كانت سؤالاً فأجيب عنها بكأن التي للتشبيه وأدخل ما للتشبيه لأن جوابها يتضمن التشبيه، فذكر السبب والمسبب جميعاً.

قال: وقد نقل أهل اللغة مثل هذا فقالوا: الهمزة والألف في حمراء هما علامتا التأنيث، وإنما العلامة في الحقيقة الهمزة.

وقال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني: إن المتنبي سئل فذكر: أن ما تأتي لتحقيق التشبيه كقول عبد الله الأسد: ما عبد الله إلا الأسد، وإلا كالأسد تنفي أن يشبه بغيره، فكأن قائلاً قال: ما هو إلا كذا، وآخر قال: كأنه كذا، فقال أمط عنك تشبيهي بما وكأنه. وما في التحقيق للنفي في هذا الموضع، ولكنها تضمنت نفي الأشباه سوى المستثنى منها فمن هذا الوجه نسب التشبيه إلى ما وكأن، إذا كان له هذا الأثر.

وذرني وإياه وطرفي وذابلي نكن واحداً نلق الورى وانظرن فعلي

الهاء في إياه: للنصل. والطرف: الفرس الكريم.

يخاطب من يشبهه بشيء فيقول: دعني مع فرسي وسيفي المذكور، ورمحي، حتى نصير مثل الشيء الواحد في التعاون، نلقي الخلق طراً، ثم انظر فعلي عند ذلك حتى تعلم ما يمكنك أن تشبهني أم لا؟

وأشهر الروايتين يلقى حملاً على الواحد وروى: نلقى اتباعاً لقوله: نكن حملاً على المعنى.

وقال وهو في المكتب يمدح إنساناً وأراد أن يستكشفه عن مذهبه:

كفي أراني، ويك، لومك ألوما همٌّ أقام على فؤادٍ أنجما

الخطاب للعاذلة، وويك: قريبة من ويحك، وأنجم: أقلع.

وقال ابن جني: تقدير البيت: كفي ويك، أراني هم أقام على فؤادٍ أنجما، لومك ألوم.

ويكون أراني على هذا منقولاً من رأيت بمعنى: علمت، فيتعدى إلى المفعولين، وإذا عديته بالهمزة تعدى إلى ثلاثة مفاعيل، والفاعل ها هنا هم والمفعول الأول الياء في أراني والثاني لومك والثالث ألوما.

ويكون المعنى: إن الهم الموصوف أعلمني أن لومك إياي أولى بأن يلام، فعلى هذا يكون المصراع الأول متعلقاً بالثاني.

وقال غيره: إن أراني مضارع رأيت بمعنى علمت، فيكون المراد: أرى نفسي، لأن أفعال اشك واليقين

يجوز فيها مثل ذلك، ويكون لومك مفعول كفى وألوم المفعول الثاني، من أراني، والمفعول الأول هو الياء.

والمعنى: كفي ويك لومك فإني أراني ألوم منك، أي أكثر لوماً منك، وأحق بأن يلومك على لومك إياي؛ وعلى هذا، المصراع يكون مستقلاً بنفسه، ثم ابتدأ في المصراع الثاني يشكو داءه، وقوله: على فؤادٍ أنجما. أي خارج خلف الأحباب منقلع من أصله كإقلاع السحاب فيكون همٌّ مرفوعاً، لأنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره: حالي همٌّ هذه صفته، أو يكون مبتدأ وخبره محذوف تقديره: همٌّ هذه صفته شكواي وألوم على المعنى الأول في معنى الملوم، أي أحق بأن يكون ملوماً فيكون في أفعل مبالغة في المفعول مثل أشغل من ذوات الحنين مبالغة في المشغول، وعلى الثاني بمعنى اللائم أي أقدر على أن يكون لائماً فيكون أفعل المبالغة في الفاعل، وروى: أثجما بالثاء أي أقام وهذا أولى، لأنه يفيد أن الفوائد لم يقلع بالملام عن الهوى.

وخيال جسمٍ لم يخل له الهوى لحماً فينحله السقام ولا دما

خيال عطف على هم شبه جسمه بالخيال الذي لا حقيقة له لدقته، وأخبر أن الهوى لم يترك له لحماً ولا دماً يكون للسقام فيه تأثير، وينحله: أي يعطيه من النحلة، وقيل: هذا أولى؛ لأن النحول لا يكون في الدم.

وحقوق قلبٍ لو رأيت لهيبه يا جنتي لظننت فيه جهنما

وحقوق عطف على خيال وهو الضعف والاضطراب، ورأيت خطاب للمحبوبة دون العاذلة؛ بدلالة قوله: يا جنتي وهو حشوٌ حسنٌ؛ والغرض: المطابقة بين الجنة وجنهم.

يقول: لي اضطراب قلبٍ لو رأيت لهيبه يا جنتي لظننت فيه ألهاب جهنم؛ شبهها بالجنة لحسنها ومافيها من الراحة عند وصلها.

وإذا سحابة صد حبٍ أبرقت تركت حلاوة كل حبٍّ علقما

الحب: المحبوب والعلقم: شجر ذو ثمر مرٍّ.

يقول: إذا ظهرت دلائل هج الحبيب، تركت حلاوة كل حب مرارةً، فجعل علامة الصدود سحابة، لأنها علامة الهجر، كما أن السحابة علامة المطر.

يا وجه داهية الذي لولاك ما أكل الضنا جسدي ورض الأعظما

الضنا: طول المرض، وقيل: داهية، ولهذا لم ينونها كما لا ينون الأسماء الأعلام عند التأنيث كفاطمة، وقيل: إنها كناية عنها وليس باسم لها، وإنما لم ينونها لأنه أقامها مقام اسمها من ترك التنوين كما تقول: رأيت فلانة فلا تنون.

يقول: يا وجه الحبيبة التي هي كالداهية: وهي الأمر العظيم، لولاك ما أكل المرض جسمي وما كسر عظمي، يدل به على أن هواها قد أمرضه مرضاً أثر في جسمه وعظامه!

إن كان أغناها السلو فإنني　　　أمسيت من كبدي ومنها معدما

روى منها رداً إلى المحبوبة، ومنه رداً إلى السلو، وروى: معدما ومصرما.

يقول: إن كان أغنى هذه المرأة عني خلو قلبها عن محبتي، فإني أمسيت فقيراً منها ومن كبدي؛ لأنها قد صحبتها وفارقتني إليها فعدمتها، وعدمت الصبر الذي كان في قلبي وكبدي، ولأن الكبد تلفت في محبتها.

غصنٌ على نقوى فلاةٍ نابتٌ　　　شمس النهار تقل ليلاً مظلماً

يجوز في غصنٌ أن يكون مبتدأ، وخبره محذوف، وتقديره: حبيبتي، غصن هذه صفته، وهكذا التقدير في شمس النهار، وأراد بالغصن: قدها، والنقوى: تثنية النقا: وهو الكثيب من الرمل، وعني بهما ردفيها، وبشمس النهار: وجهها، وتقل: تحمل، والليل المظلم: شعرها.

لم تجمع الأضداد في متشابهٍ　　　إلا لتجعلني لغرمي مغنما

أراد بالأضداد ما تقدم في البيت المتقدم من دقة وسطها، وثقل ردفيها، وبياض وجهها، وسواد شعرها، في متشابه أي بدن متشابه، أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن، وليس بعضها أحسن من بعض، والغرم: ضد الغنم وأصله اللزوم.

يقول: إنها لم تجمع هذه الأضداد في بدن متشابه في الحسن، إلا لتجعلني لغرمي: أي لعشقي إياها غنيمة، فتجمع علي هذين الضدين أيضاً، وهما: المغرم والمغنم، وروى: لم تجمع الأضداد لأنها لم تجعل ذلك، فبنى على ما لم يسم فاعله.

كصفات أوحدنا أبي الفضل التي　　　بهرت فأنطق واصفيه وأفحما

أي صفات هذه المرأة في اشتمالها على هذه الأضداد، كصفات هذا الممدوح المشتملة على أمرين ضدين: أحدهما: أنها أنطقت الواصفين بذكرها.

والثاني: أنها أفحمت الواصفين دون إدراك غاياتها، وروى المتنبي: أنطقهم بجزيل العطاء، وأفحمهم بالقصور عن المدح والثناء. فعلى هذا نصب واصفيه، بأنطق، وقيل: تقديره كصفات أبي الفضل التي بهرت واصفيه. فأنطق: هو وأفحم.

يعطيك مبتدئاً فإن أعجلته | أعطاك معتذراً كمن قد أجرما

يقول: يعطيك مبتدئاً بالعطاء قبل السؤال، فإن استعجلته العطاء، أعطاك معتذراً، كمن قد أذنب.

ويرى التعظم أن يرى متواضعاً | ويرى التواضع أن يرى متعظما

المعنى: أنه يرى بلوغ عظمته في التواضع للناس، ويرى التذلل في حال رؤية الناس إياها متعظماً.

نصر الفعال على المطال كأنما | خال السؤال على النوال محرما

الفعال بفتح الفاء: الفعل الجميل.

يقول: ينصر الفعل الجميل على المطال ويجعل له الغلبة، حتى كأنه ظن السؤال محرماً، وروى: على المقال وهو: إما السؤال، وإما وعد الممدوح بالعطاء، فكأنه يقول: يقدم العطاء على السؤال وعلى الوعد.

يا أيها الملك المصفى جوهراً | من ذات ذي الملكوت أسمى من سما

يقول: يا أيها الملك المصفى، يا أسمى، وأراد ذات الله تعالى: الذي هو ذو الملكوت، وهذا ظاهره يوهم الكفر ويقال: إن هذا الممدوح كان نصرانياً فأظهر الإسلام وهو متهم بالتنصر، فأراد أن يستكشفه عن مذهبه فأورد عبارات النصارى على وجه الانتحال، وغرضه استكشاف حاله ووصف منهجه، فعلى هذا لا يلزم الكفر، ويجوز أن يحمل على أن المراد بالذات: الصنع، فكأنه قال: يأيها الملك المصفى جوهراً من صنع ذي الملكوت، وأراد بذلك تعظيمه وتفضيله. وقوله: أسمى من سما يجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف، فكأنه يقول أنت أعلى من علا، ويجوز أن يكون في الجر صفة لذات ذي الملكوت، أو الذات أو الملكوت، أي أنه أعلى من كل علاً في الأرض.

وروى عنه أنه قال: نعوذ بالله تعالى من الكفر، إنما قلت جوهراً وبينهما تضمين يزيل الظن.

نورٌ تظاهر فيك لاهوتيةً | فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

تظاهر: أي تولى. ولاهوتيةً: نصب على المصدر كما يقال: إلهية وروى لاهوتيه ويكون رفعاً لأنه فاعل تظاهر، وهذا، إذا حمل على ظاهره فلا يسلم من الكفر، فيحمل حينئذٍ على أنه أراد به أن النور الذي

تفرد به هذا الممدوح نور إلهي. كما يقال: أمر سماوي وإلهي فيكاد يعلم ما لم يعلم من أجل هذا النور، فكأنه يقول: إنك مؤيد بنور، لأجله تقرب من أن تعلم ما لا يعلمه أحدٌ من الأمور.

ويهم فيك إذا نطقت فصاحةً من كل عضو منك أن يتكلما

يقول: يهم كل عضو منك إذا تكلمت لفرط فصاحتك.

أنا مبصرٌ وأظن أني نائمٌ من كان يحلم بالإله فأحلما

يقول: أنا مبصرٌ بعيني وأظنني نائماً، من استعظام ما رأيت من هذا الرجل من العظائم والأمور العجائب!! ثم قال: من كان يحلم بالإله فأحلم أنا أيضاً! أي أنه لا يمكن أن يرى في المنام لأنه لا يشبهه شيء فشبه هذا الممدوح بما لا يجوز التشبيه به فقال: لا أدرك كنه وصفك، كما لا يدرك حقيقة ذات الباري تعالى. وهذا إفراط منكر قريب من الكفر.

وقيل: إن في الكلام حذفاً، كأنه قال: من كان يحلم بصنع الله تعالى فأحلم أنا، فكأنه يقول: من كان يحلم بصنع الله تعالى وينسب نفسه إلى النوم دون اليقظة عند عظمته حتىأقول: أنا إنما أرى ذلك في المنام.

كبر العيان علي حتى إنه صار اليقين من العيان توهما

يقول: تأكيداً للبيت الأول قبله: كبرت المعاينة علي بخروجه عن العادة حتى صار اليقين المعاين متوهماً.

يا من لجود يديه في أمواله نقمٌ تعود على اليتامى أنعما

يقول: يا من يصب على أمواله نقماً بتفريقها والاستهانة بها، وتعود تلك النقم على اليتامى نعماً وافرة.

حتى يقول الناس: ماذا عاقلاً! ويقول بيت المال: ماذا مسلماً

يقول: يا من هو في السخاء يصفه بقول الناس: إنه ليس بعاقل؛ حيث يفقر نفسه، ويقول بيت المال: إنه ليس بمسلم؛ لأنه لا يرد إليه شيئاً من المال ويبقيه، وحكم الإسلام يقتضي حفظ بيت المال.
وروى عنه: ماذا غافلاً يعني عن كسب المكارم في الدنيا والثواب في الآخرة، ونصب غافلاً ومسلماً لأنهما خبر ما.

إذكار مثلك ترك إذكاري له إذ لا تريد لما أريد مترجماً

يقول: إذكار مثلك ترك الإذكار، لأنك عارف بما في قلبي، غير محتاج إلى التنبيه لعلمك به، وهذا مثل قول أبي تمام:

وإذا الجود كان عوني على المر ... ء تقاضيته بترك التقاضي

وقال في أيام الصبا في الحماسة:

إلى أي حينٍ أنت في زي محرم؟ ... وحتى متى في شقوة وإلى كم؟ !

يخاطب نفسه ويلومها فيقول: إلى أي وقتٍ أنت في زي الإحرام؟، فكأنه يقول: إلى أي وقت تكون عارياً؟ قاعداً عن القتال؟ ومنازلة الرجال؟ وحتى متى تعيش في الشقاء؟ ولا تطلب العز والثناء؟ وروى في غفلة وروى في زي مجرم بالجيم. يعني: إلى متى تعيش ذليلاً كالمتهم المذنب. والمعنى جيد.

وإلا تمت تحت السيوف مكرماً ... تمت وتقاسي الذل غير مكرم

يقول: إن لم تمت تحت السيوف في الحرب مكرماً، تمت مقاسياً للمذلة ساقط الرتبة حتف أنفك، والأصل فيه قولهم: موتٌ في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذل ويجوز تقاس بحذف الياء للجزم عطفاً على جواب الشرط، وهو قوله تمت ويجوز بالياء فيكون في موضع نصب على الحال: إن تمت مقاسياً للذل.

فثب واثقاً بالله وثبة ماجدٍ ... يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

الهيجا: بالمد والقصر: الحرب. وجنى النحل: العسل المجتنى من النحل، والماجد: الشريف.
يقول ثب إلى طلب المعالي واثقاً بالله تعالى، وثبة رجل ماجدٍ؛ يرى للموت في الحرب حلاوة كالعسل في الفم كما قال الآخر:

الموت أحلى عندنا من العسل

الشاميات

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي:

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا ... والبين جار على ضعفي وما عدلا

في أحيا تقديران: أحدهما، أنه أفعل تفضيل من الحياة، وتقديره إني أكثر حياة مع أن أيسر ما قاسيت، ما قتل غيري ومع أن البين أيضاً جار على ضعفي وما عدل. والثاني، أنه فعل مضارع من الحياة ثم فيه تقديران: أحدهما، الخبر، والآخر الاستفهام. فأما الخبر فتقديره كأن يقول على وجه التعجب: إني

أحيا، وأيسر ما لقيته في محبة هذه المرأة ما قتل غيري! وقد أضيف إليه فراق الحبيب الذي جار علي مع ضعفي، ومع ذلك فإني مقيم باقٍ! وهذا موضع التعجب! ولعله كان به ضعف، وأما الاستفهام فتقديره أأحيا؟! وأيسر شيء قاسيته في حبها هو الذي يقتل!

والوجد يقوى كما تقوى النوى أبداً   والصبر ينحل في جسمي كما نحلا

يقول على وجه التعجب أيضاً: إني باقٍ! مع اجتماع هذه الأمور القاتلة، وهي: ازدياد الحزن بازدياد البعد، ونقصان الصبر، ونحوله، كما أن الجسم يضعف وينحل.

يصف ازداد البعد ونحول الجسم والصبر بعد البعد.

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت   لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

الهاء في لها: للمنايا، أو للمفارقة.

كأنه يقول: لولا مفارقة الأحباب ما وجدت المنايا لأنفسها وللمفارقة طرقاً تصل إلى أرواحنا. وهو كقول أبي تمام الطائي:

لو حار مرتاد المنية لم يجد   إلا الفراق على النفوس دليلا

بما بجفنيك من سحرٍ صل دنفاً   يهوى الحياة، فأما إن صددت فلا

بما بجفنيك: قسم.

يقول: بحق ما بجفنيك من سحرٍ، صلى من تناهى في المرض؛ حزناً على البعد منك؛ فإنه إنما يهوى الحياة إن واصلت، وإن لم تصلى فلا يهوى الحياة. فلا هنا جواب إن كقوله تعالى: "وأما إن كان من أصحاب اليمين، فسلامٌ لك" وروى: بما بجفنيك من سقمٍ وقوله: يهوى الحياة في موضع نصب صفة لدنف.

إلا يشب فلقد شابت له كبدٌ   شيباً إذا خضبته سلوةٌ نصلا

قوله إلا يشب: فاعل يشب ضمير الدنف الذي ذكره في البيت قبله.

يقول: إلا يشب الشعر فقد شابت الكبد، شيباً أعظم من شيب الرأس؛ من حيث أن شيب الشعر يقبل الخضاب، وشيب الكبد لا يقبله فكلما خضبته السلوة نصل الخضاب في الحال، وشيب الكبد لا يقبله، كناية عن ضعفها. ومثله لأبي تمام قوله:

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأ   س إلا من فضل شيب الفؤاد

وزاد المتنبي عليه بذكر الخضاب، والنصول، قيل إنها تصفر وقيل إنها تبيض عندما تصيبها الآفة كما قال الحكمي:

يا دعد قد أصبحت مبيضةً كبدي فاصبغي بياضاً بعصفر العنب

إلا أن لفظة المشيب لا تطلق على كل البياض.

يحن شوقاً فلولا أن رائحةً تزوره في رياح الشرق ما عقلا

يقول: إن هذا المحب يحن شوقاً إلى محبوبته، فلولا أن رائحةً من رياح الشرق تأتيه لما عقل؛ كأن المحبوبة كانت في جانب الشرق. وروى: زياد الشوق والأول أكثر. وروى: يجن أي يظهر الجنون؛ وهذا أولى بالمطابقة.

ها فانظري أو فظني بي ترى حرقاً من لم يذق طرفاً منها فقد وألا

ها: تنبيه المخاطب لما بعده.

يقول: لمحبوبته: انظري إلي لتدري ما بي من الحزن، فإن لم تريني أهلاً للنظر فظني بي ترى حرقاً من لم يذق بعضاً منها فقد وأل: أي نجا من البلاء، من وأل يئل إذا نجا.

عل الأمير يرى ذلي فيشفع لي إلى التي تركتني في الهوى مثلا

عل: بمعنى لعل، يقول: لعل الأمير الذي هو الممدوح إذا رأى ذلي يتشفع لي، إلى المرأة التي تركتني في الهوى مثلاً مضروباً كسائر العشاق من العرب؛ ووجه تشفعه إليها أن يصل جناحه بما يصل به إلى المراد بها، ويحظى عندها لمكانه منها. وهذا مأخوذ من قول أبي نواس.

سأشكو إلى الفضل بن يحى بن خالد هناها لعل الفضل يجمع بيننا

أيقنت أن سعيداً طالبٌ بدمي لما بصرت به بالرمح معتقلا

يقول: لما رأيت الممدوح وهو سعيد معتقلا برمحه على هيئة المحاربين، تحققت أنه يطلب بدمي من هذه المرأة القاتلة لي، على سبيل القتل والقصاص منها، لأن قتل النساء نقص، ولكن من حيث أن عادته اغتنام الأموال في الحرب، لأن ذلك كسب الشجعان، وإن المال الذي يغتنمه يجعل له حظاً منه ليصل إلى مراده منها، وانتقل الرجاء الذي في البيت الأول إلى اليقين، من حيث أنه قد رآه تأهب للحرب، لأنه إذا حارب يظفر بالأعداء وينهب الأموال، وإذا نهبها فرقها، لأن خلاف ذلك من البخل.

وقد قيل: إن هذا البيت منقطع عما قبله كأنه يقول: لما رأيته كذلك أيقنت أنه ينتقم من أعدائي.

وأنني غير محص فضل والده ونائلٌ دون نيلي وصفه زحلا

قوله نائل: اسم فاعل، من نال الشيء يناله. ومفعوله: زحل ونيلي: مصدر مضاف إلى فاعله، وهو ضمير المتكلم، ومفعوله: وصفه.

يقول: إني لا أحصي فضل والده، فجمع بين مدحه ومدح والده. يقول: وإني نائل زحلاً قبل أن أنال وصف والده. وروى فضل نائله فيكون مدحاً له.

قيلٌ بمنبج مثواه ونائله في الأفق يسأل عمن غيره سألا

القيل: الملك من ملوك حمير. ومنبج: بلد بالشام.

يقول: إن الممدوح ملكٌ، مقامه بمنبج. وعطاؤه في أفق الدنيا؛ يستخبر عمن يطلب من غيره العطاء، حتى يدل عليه بالسؤال الأول، وهو الاستخبار، والثاني: الذي هو سأل السؤال الذي هو طلب العطاء وهو كقول أبي تمام:

فأضحت عطاياه نوازع شردا تسائل في الآفاق عن كل سائل

يلوح بدر الدجى في صحن غرته ويحمل الموت في الهيجاء إن حملا

روى: الهيجاء بالمد فتكون حينئذ في الهيجاء إن حملا. وروى: مقصوراً، فعلى هذا يكون في الهيجا إذا حملا.

يقول: إن الممدوح موصوف بخصلتين: إحداهما: الحسن وهو قوله:

يلوح بدر الدجى في صحن غربته

والثانية: الشجاعة وذلك قوله: ويحمل الموت في الهيجاء إن حملا يعني أن الموت ناصره ومعه.

ترابه في كلابٍ كحل أعينها وسيفه في جنابٍ يسبق العذلا

كلابٌ، وجناب: قبيلتان. وقيل: إن بينه وبينهما معاداة.

والمعنى على هذا: إن الممدوح يهجم بخيله على بني كلاب ويوقع بهم، فغبار خيله في عيونهم بمنزلة الكحل، وكذلك سيفه في جناب، يسبق عذل العاذل. يعني: إذا ظفر بعدوه قتله، ولا يبالي بلوم اللائم. وقد نظمه من مثل سائر وهو سبق السيف العذل وأول من قاله ضبة بن أد إذ ظفر بقاتل ابنه في الشهر الحرام فقتله! فلما ليم عليه قال هذا القول.

وقيل: إن بني كلاب كانوا أولياءه. فيكون المعنى: إنهم لحبهم له يتخذون تراب قدمه كحلاً لأعينهم، ويتبركون به.

لنوره في سماء المجد مخترقٌ لو صاعد الفكر فيه الدهر ما نزلا

مخترق: يجوز أن يكون مصدراً، ويجوز أن يكون اسماً لموضع الاختراق.

يقول: إن للمدوح فخر إلى السماء وذلك مثلٌ لعلو فخره، وإن له نوراً، منفذه في سماء فخره، بحيث لو صاعده الفكر وغالبه في الصعود في ذلك المنفذ، لم يكن له نزول أبداً، من حيث أنه ليس له نهاية، حتى يبلغها، ثم يترل عنها، وقد روى: محترق بالحاء المهملة، والأولى الأول.

هو الهمام الذي بادت تميم به قدماً وساق إليها حينها الأجلا

وروى: هو الأمير، ولم يصرف تميم للتعريف، والتأنيث للقبيلة.

يقول: هو الأمير الذي هلكت به تميم منذ قديم الزمان، وساق به إليها هلاكها الأجل، أي لما عادوه أوقع بهم وأهلكهم.

لما رأته وخيل النصر مقبلةٌ والحرب غير عوانٍ أسلموا الحللا

الحرب العوان: التي تكررت بخلاف البكر. والحللا: جمع الحلة، وهم القوم الذين يترلون في مكان واحد.

يقول: إن تميماً لما رأت هذا الممدوح، وخيل النصر مقبلةٌ، أسلموا جماعتهم وبلدهم، ثم بين أن ذلك في أول الحرب، قبل أن تتكرر، ليدل ذلك على فضل خوفهم منه وأنهم انهزموا في أول الأمر.

وضاقت الأرض حتى كأن هاربهم إذا رأى غير شيءٍ ظنه رجلا

يقول: ضاقت الأرض عليهم لما هربوا منه، حتى أن هاربهم من شدة خوفه كان إذا رأى غير شيء لا يبالي به من صغره، ظنه رجلاً من أصحابه! وهذا المعنى، اشتقه من قول الله تعالى: "يحسبون كل صيحةٍ عليهم هم العدو" وهذا كقول جرير:

ما زلت تحسب كل شيءٍ بعدهم خيلاً تكر عليهم ورجالا

فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

يقول: فبعد ذلك اليوم الذي قاتلتهم وهزمتهم، إلى هذا اليوم؛ لو ركضت تميم بخيولهم في لهوات الطفل وحنكه لما أثرت فيه تأثيراً يسعل الطفل منه؛ مع أنه يتأذى بأقل شيء، وذلك إشارة إلى قلتهم، وأنه لم يبق منهم بعد ذلك الحرب عناء، ولا قوم يمكنهم أن يضروا أدنى ضرر.

قال القارىء عليه قلت له: لم لا يسعل؟! قال: لحسن طاعته!

فقد تركت الألى لاقيتهم جزراً وقد قتلت الألى لم تلقهم وجلا

الألى: بمعنى الذين. وجزراً: أي مقطعين بالسيوف. وقوله: وجلا: مصدر واقع موقع الاسم. يعني: وجلين.

يقول: قد تركت الذين لقيتهم في الحرب قطعاً بالسيوف، وتركت الذين لم تلقهم وجلين خائفين منك.

كم مهمةٍ قذفٍ قلب الدليل به قلب المحب قضاني بعد ما مطلا

المهمة: الفلاة القذف: الواسع البعيد النواحي. والقضاء والمطل: نقيضان.

يقول: كم فلاةٍ بعيدة الأطراف، قلب الدليل فيها خافقٌ خوف الضلال، كخفقان قلب المحب؛ خوف الهجران؛ أدتني تلك الفلاة إلى أقصاها، بعد ما مطلتني مدة مديدة، وقضاؤها إياه: بلوغها به إلى أقصاها، ومطلها، مدة لبثه فيها.

عقدت بالنجم طرفي في مفاوزه وحر وجهي بحر الشمس إذ أفلا

الهاء في مفاوزه: للمهمه. وحر الوجه: الخد. والنجم، قيل: هو اسم للثريا خاصة؛ وقيل: اسم الجنس. وافل: فعل النجم.

يصف مواصلة سيره بالسرى ويقول: عقدت طرفي بالنجم ليلاً، وعقدت حر وجهي بحر الشمس، إذا غاب النجم؛ يمن بذلك عليه ليكون أعرف بحقه.

وروى عنه قال: عقدت بالنجم طرفي، خوف الضلال بالشمس لأني كنت مشرقاً.

أنكحت صم حصاها خف يعملة تغشمرت بي إليك السهل والجبلا

اليعملة: الناقة العمولة في سرعة المشي أي أسرعت وتغشمرت: تعسفت وأخذت قصداً وغير قصدٍ، والإنكاح هو: الجمع.

يقول: جمعت بين خف ناقتي وبين الحصا الصم التي كانت في الفلاة المذكورة، وعسفت بي السهل والجبل؛ حتى أوصلتني إليك.

لو كنت حشو قميصي فوق نمرقها سمعت للجن في غيطانها زجلا

النمرق: الوسادة التي يعتمد عليها الراكب. والزجل: الصوت. وحشو قميصي: أي وسطه.

يقول: لو كنت أيها الممدوح مكاني فوق رحل هذه الناقة، لسمعت صوت الجن في غيطان هذه المفاوز!

حتى وصلت بنفسٍ مات أكثرها   وليتني عشت منها بالذي فضلا

يقول: كنت على الحال الموصوفة، حتى وصلت إليك بنفس مات أكثرها تعباً وخوفاً، ولم يبق منها إلا فضلٌ أخشى عليه، لأني وقيت ما مر بي ولا آمن أن يكون عاقبته الهلاك. وغرضه بهذه الأبيات الامتنان عليه بما ناله من ذلك.

أرجو نداك ولا أخشى المطال به   يا من إذا وهب الدنيا فقد بخلا

قوله: أرجو: أي راجياً، في موضع نصب لأنه في موضع الحال.

يقول: جبت هذه المفاوز إليك ثقة بك، إنك لا تمطل بوعدك، وإنك تجزل العطاء؛ لأنك إذا وهبت الدنيا تستقلها فكأنك قد بخلت.

وقال أيضاً في صباه في الحماسة والفخر:

كم قتيلٍ كما قتلت شهيدٍ   ببياض الطلى وورد الخدود

الطلى: الأعناق، واحدها طلية. وتقدير البيت: كم قتيلٍ شهيدٍ ببياض الطلى وورد الخدود؛ كما قتلت أنا؛ يعتذر في قتل الهوى إياه. ويقول: لست بأول قتيل الهوى فكم من قتيلٍ شهيد! قتل ببياض الأعناق وحمرة الخدود! وجعل القتل بسبب الهوى شهادة أخذه من الحديث من عشق وعف مات وهو شهيد.

وعيون المها ولا كعيونٍ   فتكت بالمتيم المعمود

المها: بقر الوحش، واحدها مهاة. والفتك: القتل غيلة. والمتيم: الذي استعبده الحب. والمعمود الذي أصيب عمود قلبه وهو وسطه بالحب. وجر عيوناً: عطفاً على ورد الخدود.

يقول: كم قتيلٍ ببياض الطلى، وورد الخدود. وعيون المها: وهي بقر الوحش من حسنها، وملاحتها ولا كعيون النساء التي أصابتني وقتلتني غيلة، بل هذه أحسن منها، فضل هذه العيون على عيون المها.

وقيل: أراد بالمها: الحسان العيون من النساء. ثم فضل العيون التي قتلته على تلك العيون.

در در الصبا أيام تجري   ر ذيولي بدار أثلة عودي

الدر في أصل اللغة: اللبن. ثم استعمل في كل خير.

كأنه يقول على وجه الدعاء: كثر خير الصبا. ثم نادى فقال: أأيام تجريري والهمزة الأولى حرف النداء، والرواية تجريري بدار أثلة موصلة الألف بالراء كقوله تعالى: عاداً الأولى، وروى بدار الأثلة عودي قيل: الأثلة. مكان بالكوفة، وقيل: بالشام. وقيل: إن أثلة بغير ألف ولام، وروى قتلة وهي

اسم امرأة. وعودي: أمر من العود، وهو: خطاب للأيام.

يقول مخاطباً لأيامه التي مضت مستعيداً لها: يا أيام بطالتي حين كنت أسحب ذيلي بهذا المكان، عودي إلي وارجعي فإني مشتاق إليك.

عمرك الله هل رأيت بدوراً قبلها في براقعٍ وعقود

أصله: تعميرك الله، وهو مصدر من عمرك الله تعميراً، إلا أنه حذف ما كان زائداً، ورده إلى تركيب الكلمة. فقال: عمرك الله فكأنه قال: سألت الله تعميرك. أيها الصاحب، هل رأيت بدوراً مثل هؤلاء النساء اللواتي هن بدوراً في الحسن والبهاء في براقع وعقود؟! لأن البراقع والعقود من آلة النساء، ولم تعد في البدور.

رامياتٍ بأسهم ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود

رامياتٍ: في موضع نصب صفة لبدور.

يقول لصاحبه: هل رأيت بدوراً ترمى بسهام؟! قدودها الهدب، وهي تشق القلوب قبل الجلود! بخلاف سائر السهام التي تصيب الجلود قبل القلوب. وعني بالسهام: العيون. وهو مأخوذ من قول كثير:

رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب ظواهر جلدي وهو في القلب جارح

يترشفن من فمي رشفاتٍ هن فيه أحلى من التوحيد

يقول: إن هذه النسوة يمصصن من فمي مصات لميلهن إلي. هن: يعني الرشفات. في فمي أحلى من حلاوة التوحيد في قلب الموحد، وهو المقر بوحدانية الله تعالى! وهذا أحد ما نسب المتنبي لأجله إلى الكفر؛ حيث جعل الترشف أحلى من التوحيد! وروى: هن فيه حلاوة التوحيد يعني: للترشف في الفم حلاوة التوحيد. وهذا أخف من الأول. وقيل: إنه المعشوق بعاشقه، أي قوله: أنت واحدى؛ عند إقباله على وصاله، من دون أن يعرف غيره، فلهذا أحلى ما يكون للعاشق إذا كان معشوقه لا يعرف سواه، ولا يقول إلا به، وإذا فعل ذلك فقد وحده، فكأنه يقول: هن في الفم أحلى من هذا التوحيد.

كل خمصانةٍ أرق من الخم ر بقلبٍ أقسى من الجلمود

الخمصانة: الدقيقة الخاصرة. والجلمود: الصخر الصلب. روى: أرق في موضع الجر صفة لخمصانة، وبالرفع صفة لكل.

يقول: كل واحدة من هذه المترشفات وهي: كل ضامرة البطن أرق بشرةً من الخمر، بقلبٍ أشد قساوة وصلابة من الصخر. شبه رقة بشرتها بالخمر، وقساوة قلبها بالحجر، وجعله أقسى منه: أي أقسى من الحجر الصلب.

ذات فرع كأنما ضرب العن ... بر فيه بماء وردٍ وعود

أي: كل خمصانة ذات فرع، كأنما خلط فيه العنبر بماء الورد والعود، طيباً ورائحة؛ وإنما كان ذلك خلقة، فلهذا قال: كأنما.

حالكٍ كالغداف جثل دجوجي ... ى أثيثٍ جعدٍ بلا تجعيد

الحالك: الشديد السواد. والغداف: الغراب الأسود. والجثل: الشعر الكثير. والدجوجى: الشديد السواد أيضاً. والأثيث: الكثيف الملتف.

والتجعيد: يجعل جعداً بتكلف.

يقول: هي ذات فرع أسود بهذه الصفة.

تحمل المسك عن غدائرها الري ... ح وتفتر عن شتيتٍ برود

الهاء في غدائرها للمرأة، وروى: من غدائره. أي: من غدائر الفرع والغدائر: هي الضفائر، واحدها غديرة، والريح: فاعلة تحمل والشتيت: صفة الأسنان، وهو المفلج، والبرود أيضاً.

يقول: إنها مع استغنائها عن الطيب، تستعمل الطيب الكثير، بحيث تحمل الريح عن غدائرها المسك.

وتفتر: أي تضحك عن ثغر مفلج فيه ماء بارد، أو يبرد حرارة الكبد! وهو الريق المتحلب من بين الأسنان، وقيل: هو من البرد النازل من السماء، فوصف أسنانها بأنها مفلجة، وبأن ريقها بارد؛ لبياضه ونقائه وبرده إذا مص.

جمعت بين جسم أحمد والسقم ... وبين الجفون والتسهيد

أراد بأحمد: نفسه.

يقول: إن هذه المرأة جمعت بين جسمي، وبين السقم! وبين جفوني والتسهيد فبعدت عني الصحة والنوم.

هذه مهجتي لديك لحيني ... فانقصي من عذابها أو فزيدي

المهجة: النفس. والحين: الهلاك.

يقول: هذه نفسي عندك مسلمةً إليك للهلاك! فانقضى من عذابها، أو فزيدي في عذابها فحكمك نافذٌ

فيها، وأخذه من قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: "إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم".

أهل ما بي من الضنى بطلٌ صي — د بتصفيف طرةٍ وبجيد

الضنى: طول المرض والضعف وتصفيف الطرة: تسويتها من الصف وأهل: مرفوع لأنه خبر الابتداء، والابتداء: بطل. متأخر عن الخبر كأنه يقول: بطل صيد بتصفيف طرة أهل مابي.

ومعناه: إنني بطلٌ صيد؛ ومع ذلك أهلٌ لما بي، مستحق لطول المرض، وهذه الإشارات إلى شجاعة نفسه، وإنه مع ذلك قد صيد، بتصفيف طرة وبجيد. ويجوز أن يكون أهل مبتدأ، وبطلٌ خبره. ويجوز أن يكون أهل خبر مبتدأ محذوف كأنه قال: أنا أهل ما بي من الضنى؛ ثم بين العلة فقال: لأني بطل صيد بتصفيف طرةٍ وبجيد.

كل شيءٍ من الدماء حرامٌ — شربه ما خلا دم العنقود

يقول: جميع الدماء حرام شربها، ما خلا دم العنقود: الذي هو الخمر. ثم أخذ في ذكر الخمر استسقاءً لها فقال:

فاسقنيها فدىً لعينيك نفسي — من غزالٍ وطارفي وتليدي

يقول: اسقني هذه الخمرة فدىً لعينيك نفسي، وما اكتسبته من مالٍ، وما ورثته من آبائي وجعل المخاطب غزالاً بقوله: من غزال. فكأنه قال: من بين الغزلان ومن: هنا للتخصيص.

شيب رأسي وذلتي ونحولي — ودموعي على هواك شهودي

يقول: أربعة أشياء شاهدات لي على هواك. وهي: الشيب؛ لحلوله قبل أوانه، ونزوله في غير زمانه. وذلي في هواك، ونحول جسمي، وانسكاب دموعي، والله تعالى أمر في القضاء بالشاهدين ولي أربعة شهود وهذا مثل قول القائل:

من ذا يكذب في شهودٍ أربعاً؟! — وشهود كل قضيةٍ اثنان:

خفقان قلبي واضطراب مفاصلي — ونحول جسمي واعتقال لساني

أي يومٍ سررتني بوصالٍ — لم ترعني ثلاثةً بصدود

يقول: اذكر أيها الغزال أي يوم واصلتني فيه، فسررتني بوصلك ولم ترعني بصدود ثلاثة أيام!

ما مقامي بأرض نحلة إلا — كمقام المسيح بين اليهود

روى: نخلة. بالمعجمة، قيل: هي محله بالكوفة، وروى: بالحاء المهملة وهو الأصح. وهو: مكانٌ بالشام. وقيل: إنه على ثلاثة أميال من بعلبك.

يقول: ليس مقامي بين أهل هذا المكان وإيذائهم إياي واستخفافهم بي، إلا كمقام السيد المسيح بأرض اليهود؛ لكثرة عداوتهم له.

وروى: أنه لقب المتنبي بهذا البيت.

وقيل: بل بالبيت الذي يقول فيه:

أنا في أمةٍ، تداركها الله ... غريبٌ كصالح في ثمود

مفرشي صهوة الحصان ولكن ... قميصي مسرودةٌ من حديد

لأمةٌ فاضةٌ أضاةٌ دلاصٌ ... أحكمت نسجها يدا داود

الصهوة: مقعد الفارس من الفرس. والحصان: الفرس الكريم الذكر. يصف بهذا شدة حذره من القوم، وهم أهل نخلة.

يقول: مفرشي مقعد الفارس؛ لكوني عليه ليلاً ونهاراً، وقميصي ودرعي التي هي مسرودة من حديد؛ لمواظبتي على الحرب وشدة تحرزي من أعدائي.

ثم وصف درعه الحديد فقال: لأمةٌ: أي ملتئمة الصنعة، مجتمعة فاضةٌ: سابغة. أضاةٌ: أي صافية. وهي صفة الغدير شبهها به لصفائها وزرقتها كالماء الذي في الغدير. دلاصٌ: أي براقة. أحكمت نسجها: يدا داود: أي هي من عمل داوود عليه السلام، وهي أوثق ما تكون من الدروع؛ لأنها مسرودة غير مسمورة، وهذا غاية ما يمدح به الدرع.

أين فضلي إذا قنعت من الده ... ر بعيشٍ معجل التنكيد؟!

التنكيد: التقليل. يشكو سوء حاله مع فضله، وبعد محله.

فيقول: أين فضلي إذا رضيت من الدهر بعيش قليل الخير؟

ضاق صدري وطال في طلب الرز ... ق قيامي وقل عنه قعودي

ويروى: ضاق صدري.

يقول تأكيداً لما تقدم من البيت: ضاق صدري لما بي من ضيق الرزق، وطال قيامي في طلب رزقي، وقل قعودي عنه.

أبداً أقطع البلاد ونجمي ... في نحوسٍ وهمتي في سعود

يقول: أنا أجوب البلاد أبداً، ولا أفتر عن السعي، لكن نجمي في نحوس فلا يساعفني وهمتي في سعود.

ولعلي مؤملٌ بعض ما أب لغ باللطف من عزيزٍ حميد

ويروى: ولعلي مبلغ بعض ما آمل؛ وهذا ظاهر؛ لأن التسلي لم يدخل في الأمل، وإنما يدخل في الوصول إلى المأمول، وعلى الرواية الظاهرة لابد أن يكون مقلوباً، فيكون راجعاً إلى ما ذكرناه في الرواية الأولى، ويجوز أن يحمل على ظاهره ويريد أنا راجٍ بعض ما أبلغ من العيش الهني، والمكان السني، بلطف الله العزيز الحميد.

لسريٍّ لباسه خشن القط ن ومروي مرو لبس القرود

السري: السيد ذو المروءة وقيل: أراد به الممدوح، وإن كان ممن يلبس الخشن للزهد والتواضع.

فيقول: إنه سري، لباسه خشن القطن، وليس فيه ما يوجب الضعة؛ وإن المروي: لبس القرود والسفلة من الناس، ولم يدل على رفعتهم.

وقيل: أراد بالسري: نفسه وأن لباسه خشن القطن، لما به من الفاقة، ثم بين أنه لا يقنع بالمروي، لأنه لباس السفلة من الناس، وإن همته ترتفع عن الاقتصار على ذلك، بل يريد ما هو فوقه من الثياب الثمينة النفيسة.

عش عزيزاً أو مت وأنت كريمٌ بين طعن القنا وخفق البنود

خفق البنود: اضطراب الرايات، وهي جمع: بند، وهو العلم. يحض نفسه أو صاحبه على طلب العز والعلا، وينهاه على النزول على الفاقة في الشقاء.

يقول: عش عزيزاً إن أمكنك، وإلا فمت كريماً، بين المطاعنة وخفق الرايات؛ فإن من مات بين هذه الأشياء مات عزيزاً، لبقاء الذكر الحسن بعد موته، وكل هذا للمنع من الذل، والحث على طلب العلو.

فرءوس الرماح أذهب للغي ظ وأشفى لغل صدر الحقود

بنى من أذهب: أفعل التفضيل وهو لا يأتي إلا من الأفعال الثلاثية المجردة عن الزيادة، فإن كان بناءه من ذهب فهو لازم فلابد من الباء للتعدية، وهو أن يقول: أذهب بالغيظ، ذلك رواية. فأما أذهب للغيظ فهو محمول على أنه حذف من أذهبت، ثم بنى بعد رده إلى ثلاثة أحرف أفعل، كقوله تعالى: "أي الحزبين أحصى" لأنه من أحصيت.

يقول: إن لم يكن يمكنك أن تعيش عزيزاً، فمت بين طعن القنا، فإنه من الأشياء التي تشفي الصدور من الحقد، أو تقتل؛ فتستريح مما كنت فيه من الغيظ والحقد.

وروى أنه قال: أنا لم أبن أذهب من فعل متعدٍّ وإنما قلت: أذهب بالغيظ.

لا كما قد حييت غير حميدٍ　　　وإذا مت مت غير فقيد

يقول: عش عزيزاً، أو مت كريماً. لا كما كنت تحيا غير محمود، وإذا مت في هذه الحالة مت غير فقيد: أي غير مفقود، لا يعتد بك، ويكون موتك وحياتك واحدة ولا يعرفك أحد فيفقدك، كأنه كان قد استعمل الكسل قبل هذه الحالة.

فاطلب العز في لظى وذر الذل　　　ل ولو كان في جنان الخلود

لظى: إذا جعلتها نكرة صرفتها لأنها ليس فيها إلا التأنيث، وإن جعلتها اسماً لجهنم، وهو المراد ها هنا لم تصرفها: للتعريف والتأنيث.

يقول: اطلب العز ولو كان في جهنم، واترك الذل ولا تقبله ولو كان في جنان الخلد. من قولهم: النار ولا العار.

يقتل العاجز الجبان وقد يع　　　جز عن قطعٍ بخنق المولود

ويوقى الفتى المخش وقد　　　خوض في ماء لبة الصنديد

الخنق: خرقة يوقى بها رأس الطفل إذا دهن. والمخش: هو الدخال في الأمور. وروى: المحش بالحاء وهو: الذي يوقد الحرب كأنه آلة ذلك. وخوض: يجوز أن يكون بمعنى خاض؛ مبالغة فيه كطوف، ويجوز أن يكون متعدياً، ومفعوله محذوف، وتقديره قد خوض الرمح، وماء اللبة: الدم. والصنديد: السيد الكريم.

يقول: يقتل العاجز الجبان مع عجزه عن قطع البخنق، ولا ينفعه الحذر والإحجام عن القتال، ويصان الرجل الشجاع الدخال في الحرب، في حالٍ قد خاض ودخل أو أدخل سنان رمحه في دم الشجاع ومثله للأهتم:

وما كل من يغشى القتال بميت　　　وما كل من يرجو الإياب بسالم

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي　　　وبنفسي فخرت لا بجدودي

وبهم فخر كل من نطق الضا　　　د وعوذ الجاني وغوث الطريد

يقول: إن شرفي بنفسي لا بقومي، بل هم شرفوا بي، فإذا فخرت فبنفسي لا بجدودي؛ لا لعدم فضلهم، ولكن لزيادة فضلي على فضلهم؛ وهذا كما قيل نفس عصامٍ سودت عصاما ومثله لعلي بن جبلة.

وما سودت عجلاً مآثر قومهم ولكن بهم سادت على غيرهم عجل

ثم بين أن لقومه فضلاً على سائر العرب؛ ومع ذلك فهو أفضل منهم، فقال: وبهم فخر كل من نطق الضاد: يعني أنه فخر كل العرب. لأن الضاد مختصة بلغة العرب، وقيل: المراد أن بهم فخر كل ذي فضل، والضاد هي التي في الفضل، وبين أن قومه وجوهٌ بهم عوذ الجاني: إنه يستعيذ بهم. وبهم غوث الطريد: أي بهم يستغيث المطرود.

إن أكن معجباً فعجب عجيبٍ لم يجد فوق نفسه من مزيد

المعجب: المتكبر. والعجب: الاسم منه، والعجيب: الذي لا نظير له.
يقول: إن تكبرت بما لي من الشرف، فليس إلا لأني عجيبٌ، لا نظير لي في زماني، ولا لأحد مزيداً علي. وقيل: المعجب الذي لم يجد فوقه أحد.

أنا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدا وغيظ الحسود

يذكر فضائله، ومفاخره، فيقول: أنا قرين الندى والسخاء وقادر على الشعر، والقوافي، وسمٌّ قاتل لأعدائي وغيظ للحساد، لما لي من الرتبة العالية، والدرجة السامية، من الفضل والكمال.

أنا في أمةٍ تداركها الله غريبٌ كصالحٍ في ثمود

قوله: تداركها الله. كقولك: أصلحك الله. وقيل: تداركها الله بالعذاب، فالأولى دعاء لهم، والثانية دعاء عليهم.
يقول: أنا في أمة يصيبني منهم أذى، وطبعي مخالف لطبعهم، وهم لا يعلمون محلي، بل يعاودني فحالي بينهم، كحال صالح بين ثمود، وقد قيل: إنه لقب المتنبي بهذا البيت، حيث شبه نفسه بصالح.
وقال وقد مر في صباه برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يعجبان الناس من كبره فقال لهما:

لقد أصبح الجرذ المستغير أسير المنايا سريع العطب

الجرذ: فأر البيت الكبير. المستغير: طالب الغارة، أو طالب الغيرة وهي الميرة، وصريع وأسير: نصبا بخبر أصبح.
يقول: قد أصبح الجرذ الذي كان يغير في البيوت. أي ينقل الميرة حليف الهلاك، صريع الموت.

رماه الكناني والعامري وتلاه للوجه فعل العرب

تلاه: أي ألقياه على وجهه.

يقول: رماه الرجلان وتلاه على وجهه، كما تفعل العرب.

كلا الرجلين اتلى قتله فأيكما غل حر السلب

كلا الرجلين: أي كل واحد منهما. واتلى: افتعل من الولاية، أي ولى كل واحد منهما قتله، وحر السلب: خالصه. وغل: أي خان في الغنيمة.

يسخر منها، ويقول: قتلتما هذا الشجاع فأيكما خان في سلبه، ففاز به دون صاحبه، فإني لا أرى سلبه ظاهراً.

وأيكما كان من خلفه فإن به عضةً في الذنب

يقول: أيكما كان من خلفه؟ فإن به عضة في ذنبه، فمن كان خلفه فهو الذي عضه! يسخر منهما بذلك.

وقال أيضاً في صباه ارتجالاً وقد أهدى إليه عبيد الله بن خراسان هدية فيها سمك من سكر، ولوز في عسل:

قد شغل الناس كثرة الأمل وأنت بالمكرمات في شغل

يقول: إن الناس شغلهم كثرة الأمل. وشغل الممدوح أبداً المكرمات وإسداء الإحسان.

تمثلوا حاتماً ولو عقلوا لكنت في الجود غاية المثل

يقول: جعل الناس المثل في الجود لحاتم الطائي، ولو كانوا عقلاء لجعلوك غاية المثل في الجود؛ نك أسخى منه ومن سائر الناس.

أهلاً وسهلاً بما بعثت به إيهاً أبا قاسمٍ وبالرسل

تقديره: أهلاً وسهلاً بما بعثت به، وبالرسل إيها أبا قاسم وإيهاً بمعنى كف.

يقول: كف عن ذلك فقد عجزتني عن القيام بشكرك وأثقلت ظهري بمبارك، واستغنيت بما سلف من عطاياك، فلا حاجة إلى المبالغة.

هديةٌ ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد في رجل

يقول: هديةٌ ما رأيت مهديها، إلا رأيت فضائل الناس فيه مجموعة. فكأنه جميع الناس في المعنى، وهو مأخوذ من قول الحكمي:

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واح

روى: العباد والأنام جميعاً.

أقل ما في أقلها سمكٌ يلعب في بركةٍ من العسل

أقل: مبتدأ وسمك: خبر. وما: بمعنى الذي، وروى: يلعب ويسبح.

يقول: أقل ما في أقل هذه الهدايا: سمك من اللوز والسكر، في حوضٍ من العسل؛ يشير إلى أن ذلك إذا كان أقل الأقل فكيف يكون ما هو أجل الأجل والأفضل؟!.

كيف أكافي على أجل يدٍ من لا يرى أنها يدٌ قبلي؟ !

أكافي: أصله الهمز فخففه. وروي: أجازي. ولا همز فيه.

يقول: كيف أجازي على أجل نعمة له عندي، وهو يستصغر العظيم من أياديه، ولا يعتد بها، ولا يراها نعمة عندي، فلا يمكنني القيام بشكره.

وكتب إلى عبيد الله بن خراسان في الطيفورية وقد رد الجامة وكتب على جوانبها بالزعفران:

أقصر فلست بزائدي ودا بلغ المدى وتجاوز الحدا

أقصر: أي أمسك عن الإهداء، وفاعل بلغ المدى وتجاوز الحد: ضمير الود.

يقول: أقصر عن الإهداء فلست تزيدني وداً بزيادة الهدية، فإن ودك عندي قد بلغ المدى وتجاوز الحد، فلا مزيد عليه؛ والأصل فيه الحديث: "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها".

أرسلتها مملوءةً كرماً فرددتها مملوءةً حمداً

الهاء في أرسلتها ورددتها للجامة، التي فيها الحلواء، ونصب كرماً وحمداً على التمييز.

يقول: بعثت بالجامة مملوءة كرماً فرددتها مملوءة حمداً؛ وذلك أنه كان كتب بهذه الأبيات في جوانب الجامة وفيها حمد الممدوح.

جاءتك تطفح وهي فارغةٌ مثنى به وتظنها فردا

الطفح: الارتفاع، والامتلاء.

يقول: جاءتك هذه الجامة فارغة من الحلاوة، وهي مع ذلك ممتلئة من حمدك، فأنت تظن الجامة فرداً وهي قد انضم إليها هذه الأبيات فهي مثنى بها: أي الأبيات، وروى: مثنى به: أي بالحمد.

تأبى خلائقك التي شرفت ألا تحن وتذكر العهدا

يقول: إن أخلاقك الشريفة تمتنع وتكره أن لا تشتاق إلى مثل صنيعك في إنفاذ الهدية وألا تذكر العهد بإنفاذ الهدية، فكأنه يستعيد مثل هذه الهدية التي بعث بها إليه.

وقيل: ألا تحن إلى أصدقائك.

لو كنت عصراً منبتاً زهراً كنت الربيع وكانت الوردا

التاء في كانت: ضمير الهدية. وقيل: ضمير الخلائق.

يقول: لو كنت زمناً من الأزمان لكنت أطيبها وهو الربيع، وكانت هديتك التي بعثت بها، وخلائقك الشريفة كالورد، في فضله على سائر الأزهار، كفضل الربيع على سائر الأعصار.

وقال أيضاً يمدح عبيد الله بن خراسان وابنيه

أظبية الوحش لولا ظبية الأنس لما غدوت بجدٍّ في الهوى تعس

الأنس والإنس: واحد، وهو جمع أنسي وإنسي والألف: حرف النداء، والتعس: العثور:

يقول مخاطباً للظبية الوحشية: لولا الظبية الأنسية لما غدوت إلى المنزل الذي كنت فيه، وارتحلت عنها، بجدٍّ عثورٍ في هواك.

وخاطب الوحشية لشبهها بالأنسية، أو لأن الموضع صار مألفاً للوحش، أو ليدل على أن الوحش يألفه بملازمة الفلوات.

ولا سقيت الثرى والمزن مخلفه دمعاً ينشفه من لوعةٍ نفسي

اللوعة: شدة الحزن. والمزن: السحاب الأبيض. والثرى: التراب. ومخلفة: من أخلف البرق، إذا لم يمطر.

يقول: لولا الظبية الأنسية لكنت لا أسقي ثرى ربعها دمعي، في حال تخلف السحاب فلا يسقيه، ثم بين حرارة نفسه بأنه لحرارته كان ينشف ما يبل الأرض من دموعه، وهو من قول الآخر:

لولا الدموع وفيضهن لأحرقت لأرض الوداع حرارة الأكباد

ولا وقفت بجسمٍ مسى ثالثةٍ ذي أرسمٍ درسٍ في الأرسم الدرس

تقديره: ولا وقفت مسى ثالثةٍ بجسم ذي أرسم درس.

يقول: لولا الظبية الأنسية، لكنت لا أقف في رسوم دار هذه المحبوبة الدارسة ثلاثة أيام ولياليها، حتى يصير آخر وقوفي وقت العشية من الليلة الثالثة، من أول وقوفي، بجسمٍ ذي أرسم دارسة: نحيلٌ شبيه

بالأرسم الدارسة من منزل المحبوبة، ويكون المراد بمسى ثالثة تقديره أيام وقوفه عليها.

قال ابن جنى: ولا يجوز أن يريد به أنه وقف بعد ثلاثة أيام من غيبوبتها عن الدار، لأنها لا تصير دراسة بثلاثة أيام.

وقيل: إن ذلك أيضاً جائز، لأن ديار الأعراب لا تكاد تسلم من الدروس لأول ريح تهب فتسفي عليها التراب من جهة، وتطم آثارها، وإن وافقها مطرٌ كان دروسها أدعى.

صريع مقلتها سئال دمنتها قتيل تكسير ذاك الجفن واللعس

صريع وسئال وقتيل: منصوبة على الحال، من وقفت، والدمنة: ما اسود من آثار الدار كالأثافي ونحوها، واللعس: حمرةٌ في الشفة تضرب إلى سواد، فوق اللمى.

يقول: ظبية الإنس لما وقفت صريع مقلتها سائلاً آثار دارها متعللاً بذلك، قتيل تفتير أجفانها وقتيل اللعس الذي في شفتيها.

خريدةٌ لو رأتها الشمس ما طلعت ولو رآها قضيب البان لم يمس

الخريدة: الجارية الناعمة. وقيل: الحيية. ولم يمس: أي لم يتبختر.

يقول: هي جارية ناعمة حيية حسنة معتدلة القامة، لو رأتها الشمس ما طلعت؛ خجلاً من وجهها، وإنها وإن طلعت فكأنها لم تطلع؛ من حيث لا يبين نورها لنور هذه الظبية الأنسية، ولو رآها غصن البان لما تبختر؛ خجلاً من اعتدال قامتها.

ما ضاق قبلك خلخالٌ على رشإٍ ولا سمعت بديباجٍ على كنس

الرشأ: الغزال، والكنس: بيت الظبي، وروى على كنس، وهو صفة الظبي، أي ذي كنس.

يقول: مارئى خلخال على غزال، ولو رئى لكان لا يضيق عليه؛ لأن رجله دقيقة، ولا سمعت بديباج فوق كناس، وهذه الظبية الأنسية ضاق عليها الخلخال، وغشي بيتها الذي هو الهودج بالديباج وهذا من قول الشاعر:

فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق

إن ترمني نكبات الدهر عن كثبٍ ترم امرأً غير رعديدٍ ولا نكس

النكبات: جمع نكبة وهي المحنة، وعن كثب: أي عن قرب. والرعديد: الجبان. والنكس: الساقط الخامل.

يقول: إن ترمني محن الزمان من قرب. فقد رمت امرأً غير جبان، ولا ضعيف ساقط، يوهنه رميها.

يفدي بنيك عبيد الله حاسدهم		بجبهة العير يفدي حافر الفرس

يقول: يا عبيد الله، حاسد بنيك صار فداءً لهم، على وجه الدعاء. ثم قال: بجبهة العير يفدي حافر الفرس: أراد به أهم كرام وحسادهم لئام، فهم فداء لهم، كما يفدي حافر الفرس، وهو أحسن خلقةً بجبهة العير. وهي: أي الجبهة أعلى الأعضاء.

وقيل: جعل أبناء الممدوح منه، بمترلة الحافر من الفرس، وجعل الممدوح بمترلة أعلى الفرس، وجعل حساد أبنائه بمترلة جبهة الحمار، من سائر الحساد الذين هم كالحمر، فجعل أعلى الأشياء من الحساد فداء لأدنى الأشياء من الممدوح، لأن الابن بإضافة الأب إليه بهذه المترلة، وهما كما يقال للشيء الخسيس: فداء للشيء النفيس وكبار هؤلاء القوم، فداء لصغار قومك، وأشباه ذلك.

أبا الغطارفة الحامين جارهم		وتاركي الليث كلباً غير مفترس

أبا الغطارفة: منصوب لأنه منادى مضاف، أو لأنه بدل من عبيد الله أو يكون نصباً على المدح، والغطارفة: جمع غطريف، وهو السيد، والمفترس، والصائل.

يقول: يا أبا السادة الذين يحملون جارهم ويتركون الليث غير مفترس، مثل الكلب. والافتراس نعت الليث، ويجوز أن يريد: وتاركي الليث ككلب عاجز عن الصيد.

من كل أبيض وضاحٍ عمامته		كأنما اشتملت نوراً على قبس

القبس: الشعلة من النار.

يقول: كل واحد من بنيه أبيض وضاح أي واضح الجبهة وتم الكلام هاهنا، ثم استأنف فقال: عمامته: أي عمامة كل واحد منهم، كأها مشتملة على شعلة من النار، ونصب نوراً على التمييز.

دانٍ بعيدٍ محبٍ مبغض بهجٍ		أغر حلوٍ ممرٍّ لينٍ شرس

دانٍ: أي قريب. أي هو دانٍ ممن يقصده لا يحتجب عنه، أو من أوليائه، أو من فعل الخير، أو أنه متواضع. بعيدٍ: ممن ينازعه الكرم، أو عن النقص، أو من حيث المحل، أو عن إتيان ما لا يحل. محب: أي يحب البذل، للأولياء وأهل الفضل، مبغض: أي للبخل، أو لأهل النقص واللؤم. بهجٍ: أي فرحٍ عند سؤال السائل إياه وأفضاله عليه أغر: أي لين الجانب لأوليائه، ومن يستعين به. شرس: أي سيىء الخلق مع من لا يطيعه.

ندٍ، أبيٍ، غرٍ، وافٍ، أخٍ، ثقةٍ،		جعدٍ، سريٍ، نهٍ، ندبٍ، رضىً، ندس

ندٍ: أي سخى. أبيٍّ: أي ممتنع، من فعل الأمور الدنيئة، أو أبى الضيم. غرٍ: أي مولع باقتناء المكارم. يقال: غرى بكذا فهو غر. وافٍ: أي بالعهد. أخٍ: لمصافاته مع الأصدقاء يطلق عليه اسم الأخ ثقة: أي موثوق به وبإخائه ويروى أخي ثقةٍ فيكون على هذا مصدراً، أي صاحب ثقة جعد: أي ماضٍ في الأمور، خفيف النفس. ويقال: الجعد، إذا أطلق أريد به السخي، وإذا قيد فقيل: جعد اليدين، فهو البخيل. سرى: أي سيد رفيع المترلة، من السرو وهو الارتفاع نهٍ: أي عاقل، من النهي. ندب: أي خفيف في الأمور، وقيل: سريع الاهتمام. رضىً: أي مرضى. ندس: أي بحاث عن الأمور عارفٌ بها.

لو كان فيض يديه ماء غاديةٍ عز القطا في الفيافي موضع اليبس

الغادية: السحابة التي تأتي في الغداة. وموضع اليبس: فاعل عز. والقطا: مفعوله. فيكون عز من قولهم: عزه يعزه إذا غلب.

يقول: لو كان ما يفيض من يديه ماء سحابة لعم الدنيا كلها؛ حتى لا يجد القطا موضعاً يابساً يلتقط منه الحب، أو ينام فيه وعز اليبس وغلبه، بامتناعه عليه، فهو يطلبه ولا يجده، وتحقيق المعنى: غلب القطا وجود موضع اليبس وهو من باب إضافة المنعوت إلى النعت.

أكارمٌ حسد الأرض السماء بهم وقصرت كل مصرٍ عن طرابلس

أنث قصرت وإن كان فعل كل لأنه أراد جماعة الأمصار.

يقول: هؤلاء السادة الذين تقدم ذكرهم وهو قوله: أبا الغطارفة. وقوله: أكارم. جمع أكرم. حسدت السماء الأرض لكونهم عليها وصارت كل بلدة قاصرة عن طرابلس لكونهم فيها دون غيرها. وروى: وقصرت كل مصر بفتح اللام فيكون في تقديره وجهان: أحدهما: أن السماء قصرت البلدان عن هذه البلد، لمكانهم فيه.

والثاني: أنها راجعة إلى قوله: أكارم وهو جمع، وكأنهم قصروا كل مصر عن بلدتهم.

أي الملوك وهم قصدي، أحاذره وأي قرنٍ وهم سيفي وهم ترسي؟

قصدي: أي مقصودي.

يقول أي ملك أحاذره وهم مقصودي، وأي منازع لي أخشاه وهم سيفي، أمضيه فيه، وترسي الذي أحرس نفسي بهم، وهو من قول البحتري

وإني امرء أخشى الأعادي ودونه جناب ابن عمرو والرماح الذوائد

وقال أيضاً في صباه لصديق يودعه: وهو عبد الرزاق بن أبي الفرج:

أحببت برك إذ أردت رحيلا فوجدت أكثر ما وجدت قليلاً

يقول: أحببت أن أبرك بمبرة عند ارتحالي عنك، فوجدت كل جليلٍ قدرت عليه قليلاً عن قدرك، قاصراً عن محلك، وظاهره أنه مدح على ما ذكرنا. وقيل: إنه هجاء، وأراد: أحببت برك بي وإحسانك إلي فوجدت كثيره قليلاً. والأولى أنه مدح.

وعلمت أنك في المكارم راغبٌ صبٌّ إليها بكرةً وأصيلا

يقول: قد علمت أنك راغب في اقتناء المكارم، مشتاق إليها. بكرة وأصيلاً: أي ليلاً ونهاراً، فلم أر الامتناع عن الإهداء صواباً.

فجعلت ما تهدي إلي هديةً مني إليك وظرفها التأميلا

يقول: فكرت فيما أهديه إليك، فلم أر شيئاً يقع عند قدرك، فجعلت هديتي إليك المدح الذي تعلمته منك، ومن صفاتك، فجعلته هديةً مني إليك، بعد ما كان هدية من ك إلي. ويمكن أن يكون المراد: بعثت إليك بعض ما أهديته إلي من الأموال فأهديته إليك. وقد أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومي:

أي شيء أهد خى إليك وفي وج هك من كل ما تهوي القلوب ومعنى

منك يا جنة النعيم الهدايا أو أهدى إليك ما منك يجنى؟!

إلا أنه أخبر أنه أهدى، وابن الرومي قال: أو أهدى؟! ويحتمل أن يكون مراده: جعلت ما تريد إهداءه إلي عند ارتحالي عنك مني إليك، أي أسألك أن تمسك عنه، فتجعل إمساكك عنه بمنزلة إهدائي إليك.

وقوله: وظرفها التأميلا: أي جعلت تأميلي إياك قبول هذه الهدية ظرفاً لهذه الهدية ظرفاً لهذه الهدية ومشتملاً عليه، فجعل الأمل كالظرف له. هذا ما ذكره ابن جنى.

وقال غيره: إنه لما أرد ارتحاله عنه واستقل كل هدية يبعثها إلى الممدوح جعل قبول الهدية، هدية منه إليه؛ لعلمه أن الممدوح ممن يسر بقبول المتنبي هديته، سرور من أهدي إليه الهدية، وقوله: وظرفها التأميلا: أراد به أن الأمل مشتمل على هذه الهدية ومحيط بها كإحاطة الظرف بالهدية.

برٌّ يخف على يديك قبوله ويكون محمله علي ثقيلا

معناه على تأويل الأول: أنه لا كلفة علي فيما أهديته إليك لأني لم أتكلف منه شيئاً، وإنما هو منك عاد إليك، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلاً علي: وعلى المعنى الآخر الذي ذكره ابن جنى: أنك إذا أمسكت عن إهداء ما عزمت عليه فلا نقص عليك؛ لأني على كل حالٍ لم أعطك شيئاً من عندي

وإنما هو مالك تركته لك.

وقيل: إنما مدحي إليك برٌّ خفيف، على يديك قبوله لجلالتك، وقصوره عن محمله: علي ثقيلاً: لعظم شأن قبولك لمدحي وصغر شأنه بالنسبة إليك.

وقال أيضاً وقد حلف عليه صديقٌ ليشربن كأساً بيده فأخذه وقال:

وأخٌ لنا بعث الطلاق أليةً لأعللن بهذه الخرطوم

فجعلت ردى عرسه كفارةً عن شربها وشربت غير أثيم

الخرطوم: اسم الخمر.

يقول: لما حلف بالطلاق أن أشرب هذا الخمر شربت غير أثيم؛ وجعلت كفارة شربي لها، ردى عليه امرأته؛ كراهة أن يحنث في يمينه! وقال أيضاً في صباه ارتجالاً وقد أصابهم المطر والريح يهجو رجلاً يقال له سوار:

بقية قومٍ آذنوا ببوار وأنضاء أسفارٍ كشرب عقار

آذنوا: أي أعلموا. والأنضاء: جمع نضو. وهو البعير المهزول. وأضافها إلى الأسفار، ليعلم إنما أنحلها كثرة الأسفار. والشرب: جمع شارب. والعقار: الخمر.

يقول: نحن بقية قوم قد هلك أكثرهم وآذنوا بالهلاك، وبقينا نحن على شرف الهلاك ونحن أنضاء أسفار، كأنهم من تساقطهم جماعةٌ شربوا الخمر، فصاروا سكارى. ويجوز أن يكون الأنضاء صفة لدوابهم وإبلهم فيقول: ونحن على دوابٍّ قد أهزلها كثرة الأسفار، حتى صارت كذلك.

نزلنا على حكم الرياح بمسجدٍ علينا لها ثوبا حصىً وغبار

ثوبا: تثنية ثوب؛ لإضافته إلى الحصا والغبار.

ويروى: بمشهد: مكان بمسجد.

خليلي ما هذا مناخاً لمثلنا فشدا عليها وارحلا بنهار

الهاء في عليها: ترجع إلى أنضاء الأسفار؛ إذا جعلناها دواب.

فيقول مخاطباً لصاحبه: ليس هذا المسجد مناخاً لمثلنا، فشد على الدواب رحالها، وسروجها، وارحلا بنهار، قبل اجتنان الليل فيصعب الارتحال، ويحتمل أن يكون الكناية في عليها للرياح كأنه قال: شدا على الرياح أو على دواب كالرياح سرعة.

ولا تنكرا عصف الرياح فإنها قرى كل ضيفٍ بات عند سوار

يقول: لا تنكرا شدة هبوب الرياح في هذا المكان؛ لأنها طعام كل ضيفٍ بات عند هذا الرجل الذي اسمه سوار، فإن ذلك عادته لضيوفه فليس هذا بمستنكر منه. وقيل: سوار. أي سواري المسجد، أو سواري الأمطار. والأول أولى وأظهر.

وقال أيضاً في صباه يمدح أبا المنتصر: شجاع بن محمد بن الرضا الأزدي:

أرقٌ على أرقٍ ومثلي يأرق ... وجوىً يزيد وعبرةٌ تترقرق

أرقٌ: مبتدأ، وخبره محذوف. وكذلك جوىً وعبرةٌ تقديره: بي أرق وعلى هنا بمعنى مع، وأراد به دوام الأرق: وهو السهاد.

يقول: بي أرق على أرقٍ. ومثلي جدير بالأرق، وبي جوىً: وهو الحزن. يزيد ولا ينقص. ولي دمعة تسيل أبدا.

جهد الصبابة أن تكون كما أرى ... عينٌ مسهدةٌ وقلبٌ يخفق

وروى: كما يرى.

يقول جهد الصبابة هو الذي أراه من عينٍ مسهدةٍ، وقلبٍ خافق خوف الهجر.

ما لاح برقٌ أو ترنم طائرٌ ... إلا انثنيت ولي فؤادٌ شيق

وروى: ما لاح نجمٌ. والترنم: شبيه الغناء، وانثنيت: أي انعطفت.

يقول: لم يلمع برق أو نجم ولم يترنم طائر، يدعو إلفه إلا انعطفت ورجعت إلى نفسي، وأنا مشتاق، مهيج القلب لذكر المحبوبة. وتشويقه لمعان البرق على معنيين: أحدهما أنه يذكره ثغرها المضيء، والثاني أنه يلمع من جانب المحبوبة وناحيتها، فشوقه لهذا الوجه.

جربت من نار الهوى ما تنطفي ... نار الغضا وتكل عما تحرق

أي تحرق هذه النار. وتنطفي: لغة ضعيفة. لقولهم: طفيت النار وأطفيتها، وما بمعنى الذي. والغضا: شجر يوصف بقوة التوقد.

يقول: جربت من نار الهوى ناراً تطفأ عندها نار الغضا مع شدتها وتكل أيضاً نار الغضا عما تحرقه نار الهوى. وقيل: إن ما للنفي وقدر فيه تقديران: أحدهما: أن يكون تقديره: جربت من نار الهوى كنار الغضا ما تنطفي وما تكل، ومعناه: ما تنطفيء نار الهوى وما تكل عن الإحراق، بمرة فتريحني.

وقوله: نار الغضا تشبيه يعني كنار الغضا في شدة توقدها.

والثاني: أن يكون تكل فعل الغضا والواو زائدة أو منقولة إلى نار الغضا، ومعناه: جربت من نار الهوى ناراً ما تنطفيء، ونار الغضا تكل عما تحرقه هذه النار.

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق؟ !

يقول: كنت أعذل أهل العشق، لجهلي به، حتى دفعت إلى العشق، فلما ذقته عجبت كيف يموت من لا يدخل العشق قلبه؟! فكأنه يقول: إن أقوى أسباب الموت العشق، وإن من بعد عنه فهو بمعزل عن الموت.

وعذرتهم وعرفت ذنبي أنني عيرتهم فلقيت فيه ما لقوا

الهاء في فيه للعشق. والضمير في لقوا لأهل العشق. وكذلك في عذرهم وعيرهم.

يقول: لما ذقته عذرت عنده العشاق وعرفت أني مذنب في عيبهم، فلما جربت عليهم في اللوم، لقيت من شدة العشق مثل ما لقوا. ومنه قول الآخر:

عذرت من عيرني في الهوى لأنه لم يدر ما شانه

لو ذاقه يوماً درى أنه أصعب حزن المرء أحزانه

أبنى أبينا نحن أهل منازلٍ أبداً غراب البين فينا ينعق

يحتمل أن يريد به: يا إخواننا وأهل نسبنا، ويحتمل أن يريد به: يا بني آدم. وغراب البين. قيل المراد به الموت. وينعق: أي يصيح. وهما مرويان.

يقول: يا بني أبينا. نحن أهل منازل يقضي علينا فيها بالموت والفراق، فإن كان اليوم وقع الفراق بيننا، فكذلك يقع في الدنيا بين أهلها؛ أورد ذلك مورد التسلية والوعظ للمخاطبين:

تبكي على الدنيا وما من معشرٍ جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

يقول: نبكي على هذه الدنيا وحياتها؛ لعلمنا بفنائها، وما من جمع إلا بددته الدنيا وفرقته؛ فالبكاء على هذا محال.

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا؟

الأكاسرة: جمع كسرى، وهو ملك العجم. وهو تعريب خسرو، الذي بالفارسية. والجبابرة: جمع الجبار. وهو المتسلط على الناس العاتي.

يقول: أين ملوك العجم وعظماء الدنيا؟ الذين كنزوا الكنوز، فما بقيت كنوزهم ولا بقوا هم.

من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحدٌ ضيق

يقول: من كل ملك ضاق المكان الواسع بجيشه، حتى مات فتوارى، مقيماً في القبر، وضمه في قبره لحدٌ ضيق.

خرسٌ إذا نودوا كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلالٌ مطلق

يقول: هؤلاء الملوك ماتوا، وصاروا، كالخرس لا يجيبون إذا نودوا، فكأنهم لم يعلموا: أن الكلام لهم حلال مطلق. لو قدروا عليه.

فالموت آتٍ والنفوس نفائسٌ والمستغر بما لديه الأحمق

النفائس: جمع النفيسة، وهي التي يبخل بها لجلالتها والمستغر المحمول على الغرة المخدوع. أو هو طالب الغرور وروى: المستعز بالعين والزاي وهو المتعزز أو طالب العز.

يقول: الموت لا محالة آت والنفوس جليلة خليقة بأن يبخل بها، إلا أن المخدوع والمتعزز بما لديه، مما لا بقاء له هو الأحمق.

والمرء يأمل والحياة شهيةٌ والشيب أوقر والشبيبة أنزق

شهية: بمعنى المفعولة، والنزق: الخفة والطيش.

يقول: إن المرء يؤمل الأمل الطويل، والحياة شهيةٌ، والشيب وقورٌ، والشباب نزقٌ، فيكون. أفعل بمعنى الفاعل، لا بمعنى المبالغة. وأراد صاحب الشيب وصاحب الشيبة؛ وقيل: أراد به أفعل للمبالغة. فيقول: إن الشيب أوقر من الشبيبة، والشبيبة أنزق من الشيب؛ وذلك لأن الشيخ قد يستعمل الوقار في بعض الأحوال، غير أن الغالب منه النزق، فلهذا المعنى استعمل فيه لفظ أفعل.

ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودةٌ ولماء وجهي رونق

يقول: بكيت على فراق الشباب قبل نزول المشيب بي، وعند ما كان شعر رأسي أسود، ولماء وجهي رونق، وذلك لعلمي بزواله، وحذري من فراقه.

حذاراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق

حذاراً عليه: أي على فراق الشباب. وروى: بدمع عيني أغرق. ونصب حذراً لأنه مفعول له.

يقول: بكيت على الشباب قبل زواله حذراً من فراقه، حتى كدت أشرق بماء جفني، أي أغص به. وأراد به الهلاك؛ ولهذا جعل بدله أغرق.

أما بنو أوس بن معن بن الرضا فأعز من تحدى إليه الأينق

يقول: هؤلاء الممدوحون هم أعز من تحدى إليهم الإبل، ويقصد إليهم؛ لطلب المال، والجاه، لسخائهم.

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

يقول: إن ديارهم ليست في نواحي المشرق، ولكنها في نواحي المغرب، فلما رأيت صورهم الحسان بمترلة الشموس مع أن المعهود من الشمس أها تطلع من جهة المشرق كبرت لتعجبي من ذلك؛ فإني رأيت الشمس في غير جهة المشرق!

وعجبت من أرض سحاب أكفهم من فوقها وصخورها لا تورق

يقول: عجبت من صخور هذه الأرض، التي هي مقرهم، كيف لا تورق؟ وفوقها تمطر سحائب أكفهم؛ يصفهم بالسخاء.

وتفوح من طيب الثناء روائحٌ لهم بكل مكانةٍ تستنشق

المكان: والمكانة واحد. والاستنشاق: طلب الرائحة بالشم.

يقول: إن هؤلاء القوم تفوح لهم من طيب ما يثني عليهم روائح طيبة! تصل إلى كل مكان، ويشمها كل إنسان، فيقصد الناس إليهم من كل جانب لطلب معروفهم وكرمهم.

مسكية النفحات إلا أنها وحشيةٌ بسواهم لا تعبق

النفحات: جمع نفحة. وهي أول هبوب الريح.

يقول: روائح ثنائهم مسكية النفحات، يفوح منها ما يفوح من المسك، إلا أها نافرة من غيرهم ولا تعبق بسواهم؛ يصفهم باختصاص الثناء هم وأنه لا يستحقه سواهم.

أمريد مثل محمدٍ في عصرنا لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق

لا تبلنا: أي لا تجربنا. وروى: لا تبلنا: لا توقعنا في البلوى، لطلاب ما لا يلحق.

يقول: يا من يريد أن يكون مثل محمدٍ الممدوح لا تجربنا بطلب ما لا يلحق، ولا يوجد. يعني أنه لا نظير له، فطلب مثله أمر محال.

لم يخلق الرحمن مثل محمدٍ أحداً وظني أنه لا يخلق

يقول: لم يخلق الله تعالى مثله أحداً فيما مضى، ويقيني أنه لا يخلق في المستقبل؛ إذ الأمور الآتية معتبرة بالماضية. وهذا كذب ظاهر.

يا ذا الذي يهب الكثير وعنده أني عليه بأخذه أتصدق

وروى: يهب الجزيل. وأتصدق: أعطي الصدقة.

يقول: يا من هو يعطي العطاء الجزيل ويرى أني متصدق عليه بأخذي منه، وذلك لسروره بما يعطيه لي. ونظيره:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أمطر علي سحاب جودك ثرةً وانظر إلي برحمةٍ لا أغرق

يقول: أمطر على سحاب عطائك وسخائك غزيرة، ثم انظر إلي برحمتك، ولا تجاوز الحد على ما عهدت من حالك، لكي لا أغرق بنيلك.

وقيل: أراد بقوله: كي لا أغرق أي كي لا أعجز عن القيام بشكرك.

كذب ابن فاعلةٍ يقول بجهله: مات الكرام وأنت حيٌّ ترزق !

يقول: كذب ابن زانيةٍ، يقول بجهله: إن الكرام ماتوا، وأنت حي ترزق فيما بين الأحياء مع كونك سيد الكرام! وروى: ترزق أي أنت حي تجري على يديك أرزاق الناس، فكيف يصح قوله: إن الذين تجري على أيديهم أرزاق الناس قد ماتوا، وأنت حي ترزقهم! فنسب هذا القائل إلى الكذب، ونسب أمه إلى الزنا.

وقال أيضاً في صباه يمدح علي بن أحمد الخراساني

حشاشة نفسٍ ودعت يوم ودعوا فلم أدر أي الظاعنين أشيع؟

يقول: إن الهوى ما أبقى من نفسه إلا بقية، وتلك البقية كانت قريبةً من الزوال، خوف الفراق، فلما فارقتني الأحبة، ودعتني تلك البقية وارتحلت بارتحالهم، فلم أدر أي الظاعنين أشيع: أحبتي أم بقية روحي؟ لأن أحدهما كصاحبه في الكرامة علي. وروى أي الظاعنين، بلفظ الجمع، فيكون قد جعل حشاشة النفس معدودة في جملة الأحبة؛ لأنها محبوبة كالأحبة.

أشاروا بتسليمٍ فجدنا بأنفسٍ تسيل من الآماق والسم أدمع

الآماق: واحدها، مأق، ومؤق. وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع في الغالب. والسم: الاسم أدمع. وأشاروا إلى الأحبة عند الوداع بتسليم. ونبه بقوله: أشاروا إلي أنهم لا يمكنهم إظهار السلام بالكلام؛ خشية الرقباء فجدنا نحن بأرواح، تسيل من أعيننا جواباً لهم، وأسفاً على فراقهم،

وكانت التي تسيل أرواحاً في الحقيقة، وإن كان اسمها الدمع؛ لأنها كانت دماً، وخروج الدم فيه خروج الروح، وقد أوضح هذا المعنى في موضع آخر فقال:

ولم لم يكن ما انهل في الخد من دمي لما كان محمراً يسيل فأسقم

ويجوز أن يكون جعل الدمع، بمترلة الروح؛ لأن نزول الدمع لا يكون إلا عند شدة الكرب، فلما اشتد عليه فراقهم كان الدمع الخارج عنده، مثل خروج الروح شدة!

حشاي على جمر ذكيٍّ من الهوى وعيناي في روضٍ من الحسن ترتع

الجمر الذكي: الشديد التوقد.

يقول: إن قلبي يحترق بنارٍ شديدة من الهوى، وعيني من مشاهدة حسنها كأنها راتعة في روض الحسن، يعني: أن من نظر إلى مثل ما أنظر إليه من محاسن هذا الحبيب كان خليقاً أن يكون خليقاً.

ويجوز أن يكون أراد أن عند الوداع كان قلبي في احتراق؛ لما كاد يقع بيننا من الفراق، وعيني ترتع في روض من الحسن، في وجه الحبيب عند الوداع، وإنما لم يقل: ترتعان لأن فعل العينين واحد في الأغلب عند الرؤية. وروى: وعيني فعلي هذا لا يتوجه عليه السؤال.

ولو حملت صم الجبال الذب بنا غداة افترقنا أوشكت تتصدع

أوشكت بمعنى: قربت.

يقول: لو حملت الجبال الشديدة الفرقة التي بنا، غداة افترقنا، لقربت أن تشقق.

بما بين جنبي التي خاض طيفها إلى الدياجي والخليون هجع

الدياجي: جمع ديجوج، وهو الظلمة، وأصله دياجيج، فأبدلت الجيم ياء ثم أدغمت الياء في الياء، ثم خففت. وما: بمعنى الذي. وبين الجنبين: أراد به القلب، والنفس.

وتقديره: أفدى بما بين جنبي. أي بنفسي، وقلبي، المرأة التي خاض طيفها الظلام إلي، في حال كانت عيون الخليين عن العشق نائمة، فالواو في قوله والخليون واو الحال.

أتت زائراً ما خامر الطيب ثوبها وكالمسك من أرادنها يتضوع

أتت: أي المرأة: وزائراً أي طيفها فقدر المرأة في أتت. وفي الزائر الطيف.

ويجوز أن يكون أجرى زائراً مجرى حائض، وحامل. على جهة النسب.

ويجوز أن يريد بذلك أنها أتتني وأنا سائرٌ إليها لزيارتها، فعلى هذا يكون زائراً مفعول به. فكأنه قال: أتت هي زائراً لها.

وفي الأول، نصب على الحال. يقول: أتت هذه المرأة يعني طيفها زائراً لي، أو كنت زائراً لها. ما خالط الطيب ثوبها ومع ذلك فإن رائحة المسك تفوح من كمها وأطرافها وثيابها.

فشرد إعظامي لها ما أتى بها	من النوم والتاع الفؤاد المفجع

إعظامي: في موضع الرفع لأنه فاعل شرد. وما مفعول به، يعني الذي. وتعجبي من مجيئها، الشيء الذي أتى بها وهو النوم، واحتراق الفؤاد المفجوع.

فيا ليلةً ما كان أطول بتها	وسم الأفاعي عذب ما أتجرع !

قوله: يا ليلةً. تعجب وإعظام، وليس بنداءٍ في الحقيقة، وقوله: ما كان أطول! أي ما كان أطول! أي ما كان أطول حزنها! فحذف.

يقول: لما شرد إعظامي لها النوم، واحتراق الفؤاد، طال علي الليل وتكدر. فيصف ذلك ويقول: يا ليلةً ما أطولها، وما أطول حزنها! وسم الأفاعي الذي هو من الأشياء أقتلها، كان عذباً بالإضافة إلى ما قاسيت فيها.

تذلل لها واخضع على القرب والنوى	فما عاشقٌ من لا يذل ويخضع

يقول: تذلل لها في حالة القرب والبعد؛ أما في القرب فلئلا تعرض عنك، وأما في البعد فلننظار القرب بعد البعد، فليس بعاشق من لا يذل للمعشوق، ولا يخضع، لأن التكبر والتعظم لا يليق بالعاشق مع المعشوق.

ولا ثوب مجدٍ غير ثوب ابن أحمدٍ	على أحدٍ إلا بلؤمٍ مرقع

روى: غير. نصباً على الاستثناء المقدم، وروى: مرفوعاً خبر لقوله لا ثوب مجد.

يقول: كما أن الذي لا يخضع للحب خارج عن حكم العشق كذلك ثوب المجد إذا لم يكن على هذا الممدوح لا يكن إلا مرقعاً.

وإن الذي حابى جديلة طيىءٍ	به الله يعطي من يشاء ويمنع

جديلة طيىء: بطن من طيىء وحابى: بمعنى جبى.

يقول: وإن الذي أعطى هذه القبيلة، به الله يعطي من يشاء ويمنع، ذلك مبالغة في وصفه بسعة القدرة، ونفاذ الأمر، فيعطي من يشاء ويحرم من يشاء، وقيل: إن حابى هذه القبيلة بالعطاء وغالبهم به وهو الممدوح، به الله يعطي من يشاء ويمنع، إشارة إلى أنه كثير العطاء من حيث أن الله تعالى جعل له هذه

السعة والقوة ما لا يحتمل الغيرة منهم، وقيل تقديره: إن الذي أعطى الله هذه القبيلة من شرف نسب هذا الممدوح منهم، يعطيه الله تعالى من يشاء من عباده فكذلك صنع الله تعالى به إذ وضعه حيث شاء فليس لأحد أن يطلع.

بذي كرمٍ ما مر يومٌ وشمسه   على رأس أوفى منه تطلع

يقول على التقدير الأول: الله تعالى يعطي من يشاء ويمنع بذي كرم صفته ما في البيت. وعلى الثاني: حبى الله هذه القبيلة بذي كرم ما مر يومٌ وشمس ذلك اليوم طلعت على رأس أحد أوفى ذمةً منه وهي نصب على التمييز.

فأرحام شعر يتصلن لدنه   وأرحام مالٍ ماتني تتقطع

وروى: يتصلن بجوده. وروى: لدنه الهاء في نه: للمدوح، وفي به: للكرم المذكور في البيت الذي قبله ماتني: أي ما تفتر.

يقول: إنه يجمع الشعر في مدحه بتفريق ماله، فعلائق الشعر به متصله وهي المعبر عنها بالأرحام، وعلائق المال منه منقطعة، ولا تزال على الانقطاع لتفريقه إياها في اكتساب الثناء والذكر.

فتىً ألف جزءٍ رأيه في زمانه   أقل جزىءٍ بعضه الرأي أجمع

تقدير البيت: فتىً رأيه في زمانه ألف جزء، بعضه أقل جزء من رأيه، هو رأي الناس أجمع! وقسم رأي هذا الممدوح ألف جزء وجعل بعض أقل الجزء من ألف، مقابلاً لآراء جميع الناس! وكأنه أخذه من قول أبي بكر بن النطاح.

له هممٌ لا منتهى لكبارها   وهمته الصغرى أجل من الدهر

إلا أنه قلب الهمم إلى الرأي.

غمامٌ علينا ممطرٌ ليس يقشع   ولا البرق فيه خلباً حين يلمع

يقشع ويقلع: مرويان، وهما بمعنىً واحد، أي ليس يزول. وخلباً: نصب لأنه خبر ليس، وهو: البرق الذي لا مطر معه.

يقول: هو غمام يمطر علينا مواهب، وأيادي، ولا يفتر عنها. ثم فضله على الغمام من وجهين: أحدهما. أن عطاءه لا ينقطع بحال، كما تنقطع أمطار الغمام في أحوال. والثاني. أن وعده بالعطاء غير كاذب كالبرق الخلب. أي: كالغمام الذي يكون برقه خلباً لا يأتي بمطر. يصفه بإدامة الجود والوفاء بالوعود.

إذا عرضت حاجٌ إليه فنفسه إلى نفسه فيها شفيعٌ مشفع

الشفيع المشفع؛ هو المقبول الشفاعة.

يقول: إذا عرضت الحاجات وظهرت الناس إليه، فلا يحتاجون إلى الوسائل إليه في قضائها، بل يكون شفيعاً إلى نفسه مقبول الشفاعة؛ لأن فيه من الكرم ما يغني عن الوسائل.

خبت نار حربٍ لم تهجها بنانه وأسمر عريانٌ من القشر أصلع

أسمر عريان: أراد به القلم؛ لما في لونه من السمرة.

يقول: طفئت نار حرب، لم يهجها بنان هذا الممدوح، وقلمه الأسمر العريان من القشر، وأصلع: أي أملس كالرجل الذي لا شعر على رأسه وأراد به: أن الحرب التي لم تصدر عنه لم تدم.

نحيف الشوى يعدو على أم رأسه ويحفى فيقوى عدوه حين يقطع

الشوى: أراد به رأس القلم، وأصله جلدة الرأس. ويحفى: أي يكل.

يقول: إنه نحيف دقيق الرأس يعدو على أم رأسه بخلاف سائر العادين، ويكل ويتعب من كثرة العدو، فإذ قطع رأسه يقوى على العدو.

يمج ظلاماً في نهارٍ لسانه ويفهم عمن قال ما ليس يسمع

يمج: أي يلفظ من فيه. وأراد بالظلام: المداد. وبالنهار: القرطاس وأراد بلسانه: جلفته. وهو فاعل يمج، وقوله: ويفهم عمن قال ما ليس يسمع يعني. أن القلم يفهم الناس بقراءة ما كتب ما ليس يسمعه هو.

ذباب حسامٍ منه أنجى ضريبةً وأعصى لمولاه وذا منه أطوع

ذباب السيف: حده. والهاء في منه الأول للقلم وفي الثاني للحسام، والضريبة: المكان الذي تصيبه الضربة. فضل قلمه على السيف.

يقول: حد السيف أنجى في ضريبته من حد قلمه، وحد السيف أعصى لصاحبه، وهذا أطوع.

وذلك أن الضارب إذا ضرب بسيفه ثم نبا سيفه عن التأثير، وإن شاء أمسكه قبل الضرب.

والقلم لا يخون صاحبه في حالٍ، فإذا كتب به: اقتل فلاناً لم يمكنه بعده ألا يقتله، وقد حمل إليه الكتاب ونفذ أمره فيه.

بكف جوادٍ لو حكتها سحابةٌ لما فاتها في الشرق والغرب موضع

يقول: هذا القلم الموصوف، بكف جوادٍ. أي الممدوح. لو حاكتها السحابة لشملت العالم مطراً شرقاً وغرباً.

فصيحٍ متى ينطق تجد كل لفظةٍ أصول البراعات التي تتفرع

فصيحٍ: جر لأنه بدل من جوادٍ.

يقول: هو الفصيح؛ فكل لفظة من قوله أصول البراعات. فجعل كل لفظة أصولاً.

وليس كبحر الماء يشتق قعره إلى حيث يفنى الماء حوتٌ وضفدع

يشتق: بمعنى يشق.

يقول: ليس هذا الممدوح في سخائه كبحرٍ يقدر الحوت والضفدع على شقه إلى حيث يفنى الماء، بل هو أعمق وأنفع.

أبحرٌ يضر المعتفين وطعمه زعاقٌ كبحر لا يضر وينفع

الزعاق: المر الملح.

يقول مفضلاً له على البحر: إن البحر هو الذي يضر قاصديه، والطالبين المعروف منه، وماؤه ملحٌ مر، وهذا الممدوح ينفع معتفيه ولا يضرهم، وعطاؤه هنيٌّ وخلقه حلو شهيٌّ.

وقوله: لا يضر وينفع ليس المراد به أنه لا يضر أحداً لأنه حينئذٍ لا يضر أعداءه وإنما المراد به أنه ينفع المعتفين والأولياء ولا يضرهم.

يتيه الدقيق الفكر في بعد غوره ويغرق في تياره وهو مصقع

تياره: أي موجه. ومسقع ومصقع: رويا جميعاً، وهو البليغ الفصيح.

يقول مؤكداً لتفضيله على البحر: إن الرجل الدقيق الفكر يتحير في غوره ولا يدرك كنه وصفه، ويغرق في فضله الفصيح البليغ. شبهه بالموج.

ألا أيها القيل المقيم بمنبجٍ وهمته فوق السماكين توضع

توضع: أي تسرع في السير.

يقول: أيها الملك المقيم بمنبج، وهمته فوق السماكين تسرع في السير، وتجاوزهما لسرعتها.

أليس عجيباً أن وصفك معجزٌ وأن ظنوني في معاليك تظلع؟!

وروى: معجزي. ومعاليك تظلع: أي تقصر وتعجز.

يقول: أليس بعجب أن وصفك يعجزني عن بلوغه؟! مع قدرته على الشعر. وأن ظنوني في معاليك تكل وتعجز؟! مع إصابتها في الأمور.

وأنك في ثوبٍ وصدرك فيكما ... على أنه من ساحة الأرض أوسع

يقول: العجب من كونك في ثوب، وكون صدرك فيكما: أي فيك وفي ثوبك. مع أن صدرك أوسع من ساحة الأرض جميعاً.

وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنا ... وبالجن فيه ما درت كيف ترجع

التاء في دخلت: ضمير الدنيا. وبنا: كناية عن نفسه، وجميع الناس.

يقول: قلبك في الدنيا، وهو في سعته بحيث لو دخلت الدنيا بالإنس والجن فيه لتحيروا ولم يدروا كيف يرجعون؛ لسعة صدرك وصغر الإنس والجن عن قدره.

ألا كل سمحٍ غيرك اليوم باطلٌ ... وكل مديحٍ في سواك مضيع

غيرك: نصب لأنه استثناء مقدم. وروى: بالجر صفة لسمح.

يقول: كل جواد ما خلاك، بالإضافة إليك باطل. وكل مديح يقال في غيرك فهو مضيع؛ لأنه لا يعرف حقه ولا يوجد فيه من المعاني ما وجد فيك.

وقال أيضاً يفتخر في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك:

قضاعة تعلم أني الفتى ال ... ذي ادخرت لصروف الزمان

قضاعة: بطن من تنوخ، وهم من بني قحطان.

يقول: تعلم هذه القبيلة، أني فتاها الذي أعدته لصروف الزمان، وأنهم يلتجئون إلي عند الشدائد، فأكشفها، وهذا ادخارهم له.

ومجدي يدل بني خندفٍ ... على أن كل كريمٍ يماني

خندف: أم العرب.

يقول: يدل شرفي العرب كلهم، على أن كل كريمٍ من أهل اليمن، لا من ربيعة ومضر، وسائر العرب. ويمانٍ: منسوب إلى اليمن، يعني: يمني. يقال: رجل يمانٍ وامرأة يمانية بالتخفيف.

أنا ابن اللقاء، أنا ابن السخاء، ... أنا ابن الضراب، أنا ابن الطعان

أنا ابن الفيافي، أنا ابن القوافي، ... أنا ابن السروج، أنا ابن الرعان

العرب يقولون: فلان ابن كذا وأبو كذا إذا كان من أهله، وملازماً له. واللقاء: المحاربة. والرعان: جمع الرعن، وهو مقدمة الجيش. أخذ من رعن الخيل وهو أنفه.

يقول: أنا صاحب هذه الأشياء، فأنا ابن اللقاء في الحروب، وابن الضراب، والطعان، وابن السخاء، والجود، وابن الفيافي، أقطعها، والقوافي، أبدعها وأنسبها، وابن السروج، أركبها، وابن الرعان، أقودها إلى العدو أحاربهم بها.

طويل النجاد طويل العماد طويل القناة طويل السنان

النجاد: حمالة السيف. يريد به. أنه طويل القامة، والعرب تمتدح بطول القامة، والعماد: عماد البيت. وكذلك كناية عن السؤدد. والقناة: الرمح. وأراد بطولها حذقه بالطعن بها. وكذلك طول السنان كناية. كما قال غيره:

إذا قصرت أسيا فنا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين نضارب

فأما طول القناة، فلا مدح فيه.

حديد الحفاظ حديد اللحاظ حديد الحسام حديد الجنان

اللحاظ: جمع اللحظ والحفاظ: المحافظة على الحزم. أو سرعة الغضب فيما يجب حفظه. والجنان: القلب. أي ذكي القلب. والحسام: السيف القاطع.

يصف نفسه بحدة هذه الأشياء منه بحيث لا يلحقه فيها خلل.

يسابق سيفي منايا العباد إليهم كأنهما في رهان

سيفي: فاعل يسابق. ومنايا العباد: أي موهم.

يقول: إن سيفي يسابق منايا العباد، ويغالبها في سبوقها إليهم، كأنهما في رهان لمسابقتهما، فسيفي يطلب موهم قبل وقت الموت، والموت يميتهم في وقته، فيتسابقان في ذلك.

يرى حده غامضات القلوب إذا كنت في هبوةٍ لا أراني

الهبوة: الغبرة.

يقول: إن سيفي يقطع كل موضع يقع عليه، حتى يخلص إلى القلب، فكأنه يرى غوامض القلوب، مع كونها محتجبة عن العيون، في وقت لا أرى نفسي من كثرة الغبار، ولم أغفل عن نفسي من شدة الحرب، وكثرة الغبرة، وقيل معناه: إذا كنت في هبوة الحرب، لا أدري نفسي، أي لا أبالي بها ولا

أنظر إلى ما يحل بها. وقيل: معنى البيت، أن سيفي يعلم ما في القلوب من الغش والحسد، فلا يقع إلا على حاسد، أو عدوٍّ جاحد، في الحالة التي أغفل عن نفسي فأكون كمن لا معرفة له بها.

سأجعله حكماً في النفوس ولو ناب عنه لساني كفاني

يقول: سأجعل سيفي حكماً في نفوس الأعداء؛ ليسلبها ويأخذها، ولو ناب لساني عنه، كفاني، لأن حدته كحدة اليف.

وقال أيضاً في صباه في الحماسة والفخر:

قفا تريا ودقي فهاتا المخايل ولا تخشيا خلفاً لما أنا قائل

المخايل: جمع مخيلة: وهي البرق، ونحوه مما يستدل به على المطر، وهاتا: إشارة إلى المخايل.

وقفا: أمر من الوقوف، ويحتمل أن يراد به: إصراراً وعيشاً يقول لصاحبيه: قفا وعيشا، تريا من أمري وفعلي شأناً عظيماً، فهذه مخايله قد ظهرت، ولا تخشيا خلفاً لما أقوله، لأني صادق في جميع ما أقوله، ولست كالبرق الذي يصدق تارة ويكذب أخرى. ومثله للبحتري:

هذا أوائل برقٍ خلفه مطرٌ وأول الغيث قطرٌ ثم ينسكب

رماني خساس الناس من صائب استه وآخر قطنٌ من يديه الجنادل

وروى: خشاس اناس. يعني ضعيفهم، يقع على الواحد والجمع، وصائب: من صاب السهم الهدف، وأصابه، بمعنىً فهو صائب ومصيب.

يقول: رماني خساس الناس ورذالهم، دون كرامهم. ثم جعلهم ثلاثة أقسام، وذكر قسمين في هذا البيت والقسم الثالث في البيت الذي يليه. القسم الأول هو من يرميني من صائب استه: يعني أنه لا ضعيف لا يجاوز رميه إياي استه، أو يريد به: أن ما يريد أن يعيرني به لا يلحقني، لأن الإجماع واقع على فضلي، فما يقوله يدل به على نفسه دوني، وذكر استه: استهانةً واستخفافاً به. وقيل: أراد من داءٍ به، أن يصيب السلاح استه. أي يلي دبره عند الانهزام لفراره وجبنه. والقسم الثاني: أن الجندل من يده إذا رماني به كالقطن؛ في ضعف تأثيره في وقلة مبالاتي به، ومعناه: أن منهم من لا يجاوز رميه، ومنهم من يكون الجندل من يده كالقطن وإن جاوز.

ومن جاهلٍ بي وهو يجهل جهله ويجهل علمي أنه بي جاهل

والقسم الثالث من خساس الناس: من يرميني من الناس. من هو جاهل قد اجتمع فيه ثلاثة أضرب

من الجهل: جهله بقدري، وجهله بأنه جاهل بقدري، وجهله بأني عالم بجهله وبقدري، فمن اجتمع فيه هذه الضروب من الجهل كيف يعرف قدري؟!.

ويجهل أني مالك الأرض معسرٌ وأني على ظهر السماكين راجل

مالك: نصب على الحال، وكذلك على ظهر السماكين: في موضع نصب، لأنه حال، وخبر أن الأولى معسر، وخبر الثانية راجل.

يقول: إن الجاهل الذي ذكرته يجهل أني في حال ملكي الأرض معسر، لأن همتي أعلى من ذلك، وهذا قليل في جنب ما أستحقه، وأني في حال كوني على ظهر السماكين، راجلٌ عند نفسي وعظم محلي. يصف أن همته عالية، لا يسعها ملك الأرض.

تحقر عند همتي كل مطلبٍ ويقصر في عيني المدى المتطاول

يقول: إن لي همة تحقر عندي كل مطلب، وتقصر الغاية القصوى في عيني مع تطاولها. يعني لا أرضى لنفسي كل مرتبة أبلغها، بل أطلب فوقها.

وما زلت طوداً لا تزول مناكبي إلى أن بدت للضيم في زلازل

الطود: الجبل العظيم، ومناكبه: جوانبه.

يقول: كنت كالجبل لا يزول؛ لعظم حالي، فالآن قد اضطررت إلى قبول الضيم فحركني الذل والضيم، كما تحرك الزلازل الجبل، ومعناه: لم يؤثر في الضيم إلا قدر ما تؤثر الزلزلة في الجبل.

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيسٍ كلهن قلاقل

القلاقل: جمع القلقل، وهي الناقة الخفيفة. والعيس: الإبل التي يعلو بياضها شقرة.

يقول: لما بدت في زلازل الضيم، حركت الذي حرك قلبي، الخفاف السراع من الإبل والعيس، كلهن سراع خفاف. وأراد به السفر.

إذا الليل وارانا أرتنا خفافها بقدح الحصى ما لا ترينا المشاعل

يصف شدة سير العيس فيقول: إذا الليل سترنا عند السرى، أرتنا أقدام هذه العيس، عند وقعها على الحصى، لشدة ضربها بالحصى، أو ضرب بعضها ببعض، ما لا ترينا المشاعل من الضوء! يعني أن ما ينقدح من النار عند سيرها، كانت تزيد على نار المشاعل وضوئها.

كأني من الوجناء في متن موجةٍ رمت بي بحاراً ما لهن سواحل

الوجناء: الناقة الغليظة العظيمة الوجنتين. وقيل: هي الغليظة البدن الصلبة. ورمت: فعل الموجة، شبه المفازة التي سار فيها، بالبحار، لسعتها، ولما فيها من السراب الجاري مجرى الماء.

يقول: كأني من هذه الناقة الوجناء في هذه الفلاة على متن موجة، رمت بي الموجة بحاراً ما لها سواحل؛ لبعد هذه المفازة وسعتها.

يخيل لي أن البلاد مسامعي وأني فيها ما تقول العواذل

يقول: يصور لي أن البلدان التي أجول فيها مسامعي وأذناي، وأنا في هذه مثل عذل العواذل في أذني، فكما لا يستقر اللوم في أذني، كذلك لا أستقر أنا في بلد من البلاد، وشبه نفسه بالعذل، والبلاد شبهها بالمسامع.

ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلى تساوى المحايى عنده والمقاتل

المحايي والمحايا: واحدها المحيا وهو الحياة.

يقول: من طلب ما أطلب من الشرف والارتفاع، تساوت عنده مواضع الحياة والموت، ولا يبالي بالقتل؛ لأن من طلب التعظيم خاطر بالعظيم.

ألا ليست الحاجات إلا نفوسكم وليس لنا إلا السيوف وسائل

يقول مخاطباً لأعدائه من الملوك وغيرهم: إن ما أتحمله من الشدائد وما أقتحمه من المشاق، ليس إلا طلباً لهلاككم، فليست الحاجات إلا نفوسكم وأرواحكم، وليست لنا إلى سلب أرواحكم وسائل وأسباب، إلا السيوف.

فما وردت روح امرىءٍ روحه له ولا صدرت عن باخلٍ وهو باخل

يقول: إن هذه السيوف لا ترد روح امرىء إلا سلبتها، فلا تكون روحه له، ولا انصرفت عن رجل بخيل يبقى بخيلاً، يعني أنه إذا وردته أهلكته، فهو يجود بنفسه التي هي أعز الأشياء، والواو في قوله وهو باخل واو الحال.

غثاثة عيشي أن تغث كرامتي وليس بغثٍّ أن تغث المآكل

الغثاثة الهزال، من غث يغث ويغث.

يقول: إن نقصي في نقصان الكرامة لا في نقصان المأكولات، فلست أبالي بسوء المأكولات إذا كنت مبجلاً ذا كرامة، فكأنه يقول: إذا سمعت كرامتي فلا بأس بغثاثة المأكول.

وقال أيضاً في صباه في الحماسة والفخر:

ضيفٌ ألم برأسي غير محتشم   والسيف أحسن فعلاً منه باللمم

غير: يجوز بالرفع على أن يكون صفة لضيف، وبالنصب على الحال من ضمير الضيف، ومحتشم: أي منقبض مستحي. واللمم: جمع اللمة من الشعر.

يصف الشيب ويقول: إنه ضيفٌ نزل برأسي، وإن لم يكن نزوله نزول الضيف في الاحتشام والاستحياء، لأنه لم يستأذنني كاستئذان الضيف، ثم يقول: إن السيف أحسن فعلاً بالرأس، من الشيب باللمم. وهو من قول البحتري.

وددت بياض السيف يوم لقينني   مكان بياض الشيب حل بمفرقي

ابعد بعدت بياضاً لا بياض له   لأنت أسود في عيني من الظلم

ابعد: أمر من بعد يبعد إذا هلك وذل. وبعدت: دعاء على الشيب. وبياضاً: نصب على التمييز. وقوله: لا بياض له: أي لا نور له، ولا بياض في الحقيقة، وإن كان من حيث الصورة بياضاً، ويجوز أن يكون أيضاً دعاء على الشيب، وكأنه أراد لا رزق خيراً، والأولى نوراً، وإنما قال: لا بياض له لأنه يورث ظلمة البصر، وتغير اللون، ويفرق بين الإنسان وبين الملاذ، وينذر بالزوال ويؤذن بالضعف والهزال، وقوله: لأنت أسود إن أراد أنه أنت أشد سواداً ففيه شذوذ، لأن الألوان لا يبنى منها أفعل التفضيل. بل يقال: أشد سواداً، فعلى هذا معناه أنت في عيني أشد سواداً من الظلمات، وإن لم يرد معنى المبالغة، فيكون تقديره لا أنت في عيني مع بياضك أسود من جملة الظلم السود. فكأنه يقول أنت في عيني كائن من الظلم، ومثله قول أبي تمام الطائي:

له منظر في العين أبيض ناصعٌ   ولكنه في القلب أسود أسفع

بحب قاتلتي والشيب تغذيبي   هواي طفلاً وشيبي بالغ الحلم

تغذيبي: مبتدأ وبحب قاتلتي خبر مقدم عليه وهواي مبتدأ وكذلك شيبي وطفلاً وبالغ نصب على الحال، وهي في موضع الخبر للابتداء، وقائم مقامه.

يقول: تعذيبي بشيبي حب قاتلتي والشيب. ثم بين وقت كل واحد منهما. فقال: هواي طفلاً وشيبي بالغ الحلم يعني: هويت وأنا طفلٌ، وشبت وأنا بالغ الحلم.

لما بين أنه عشق طفلاً، وشاب وقت الحلم جعل الحب والشيب عذاباً، وغرضه بذلك حصولهما قبل وقتهما .

ما أمر برسمٍ لا أسائله   ولا بذات خمارٍ لا تريق دمي

يقول: مررت بصيغة لا أمر. برسم: من رسوم ديار المحبوبة، إلا وأنا أسائله عنها، أو لا أمر برسم دارٍ إلا يذكرني رسم دارها فأسائله، ولا أمر بذات خمار من النساء إلا تذكرني محبوبتي، فيريق دمي بعيني. يعني إنها تبكيني فيجري من عيني الدم، فضلاً عن الدمع! أو يريد: إنها تقتلني وتريق دمي. على مجاز الشعراء. وقيل: إنه أراد بذلك أن قلبه يتقلب، ويتعلق بكل امرأة حتى لا يملك كفه ودفعه.

تنفست عن وفاءٍ غير منصدعٍ — يوم الرحيل وشعبٍ غير ملتئم

وروى: تبسمت، والشعب: القلب.

يقول: إن هذه المرأة تنفست الصعداء أسفاً على فراقي، وكان تنفسها عن وفاءٍ غير مفترق وعن شعبٍ متفرق، غير ملتئم، يعني أنها كانت على الوفاء مع تفرق الشمل.

قبلتها ودموعي مزج أدمعها — وقبلتني على خوفٍ فماً لفم

مزج: بمعنى المزاج. وفماً: نصب على الحال.

يقول قبلتها عند الوداع في حال عناقي لها، وكانت الدموع ممتزجة، وقبلتني هي أيضاً، خوفاً من الرقباء أو خوف الفراق، في حال تقبيله إياها في الفم، أي في حال التصاق الفم بالفم.

فذقت ماء حياةٍ من مقبلها — لو صاب ترباً لأحيا سالف الأمم

أراد بماء الحياة: ريقها.

يقول: ذقت من مقبل هذه المرأة ماء الحياة، فحييت، وكنت قد مت قبل ذلك، ولا تعجب من حياتي به فإنه لو صاب سالف الأمم لأحياها فضلاً عن إحيائه إياي! ويجوز أن يكون صاب: من قولك صاب المطر إذا نزل، ويكون تقديره: لو صاب على ترب إلا أنه حذف على وأوصل الفعل إليه ومثله للمجنون.

لو أن رضاب ليلى صاب ميتاً — لأحياه وعاش إلى القيامة

ترنو إلي بعين الظبي مجهشةً — وتمسح الطل فوق الورد بالعنم

ترنو: أي تنظر نظراً شديداً، والمجهشة: المتهيئة للبكاء. والعنم: قيل: إنه دودة حمراء تكون في الرمل، تشبه بها البنان، وقيل: نبت. وقيل: نوع من الثمار مخروط أشبه الأشياء بالبنان اللينة المخضبة، وقيل: شجر لين الأغصان. وقيل: شيء يخرج من الشجر كالثمار. وشبه أربعة أشياء: عينها: بعين الظبي، ودمعها: بالطل، وخدها: بالورد، وأصابعها: بالعنم، ونظيره قول الشاعر:

قالت وقد راعها بيني أمرتحلٌ — عنا؟ فقلت: غداً أولا فبعد غد

فأرست لؤلؤاً من نرجس وسقت ... ورداً وعضت على العناب بالبرد

رويد حكمك فينا غير منصفةٍ ... بالناس كلهم أفديك من حكم

رويد: اسم بمعنى فعل الأمر. ونصب حكمك برويد، وغير منصوب على الحال، أو على النداء.

يقول: ارفقي وكفي عنا حكمك يا غير منصفة، يعني: يا ظالمة. أفديك من جميع الناس من حكم بين الحكام.

أبديت مثل الذي أبديت من جزعٍ ... ولم تجنى الذي أجننت من ألم

يقول: أظهرت من الجزع مثل ما أظهرت، ولكنك لم تضمري من حبي مثل ما أضمرت. ينسبها إلى النفاق في حبها له.

إذاً لبزك ثوب الحسن أصغره ... وصرت مثلي في ثوبين من سقم

بزك: أي سلبك. والهاء في أصغره: ترجع إلى الجزع، وإلى الذي في قوله: ولم تجنى الذي أجننت. وإلى قوله: من ألم.

يقول: لو كان بك ألمٌ مثل ما بي، يسلبك أصغره ثوب الحسن وصرت في ثوبين من السقم. فجعل للحسن والسقم ثوباً.

ووجه التثنية، وهي أنه قد يعبر عن الواحد بالتثنية وإن لم يرد به حقيقة التثنية، ويحتمل أن يريد بذلك أنه يورث بها ضعف ما به من السقم، فعبر عنه بالثوبين. ويجوز: أن يكون أراد بالتثنية أن أصغر ما به يورث لها سقمين: ظاهراً وباطناً، وقيل: إن غرضه بذلك أنك صرت مثلي في إزارٍ ورداءٍ من السقم؛ لأن لباس العرب إزار ورداء. بمعنى: أن الإزار والرداء تمام لباس البدن. فكذلك ما يحصل له من السقم بأصغر ما نال من الوجد تمام ألم البدن.

ليس التعلل بالآمال من أربي ... ولا القناعة بالإقلال من شيمي

وروى: ولا القنوع بضنك العيش من شيمي. والقناعة أولى؛ لأن القنوع في السؤال الأكثر.

يقول: ليس التعلل بالأماني دون الوصول إلى البغية من حاجتي، وكذلك: ليس القناعة بالفقر وضنك العيش من عادتي، ولكني أطلب المعالي والمفاخر.

وما أظن بنات الدهر تتركني ... حتى تسد عليها طرقها هممي

بنات الدهر: حوادثه. وهممي فاعل تسد، وطرقها مفعوله.

يقول: لست أحسب أن حوادث الزمان تتركني حتى أبلغ ما أريد بلوغه، حتى تسد على تلك الحوادث طرقها هممي وتمنعها من الوصول إلي والوقوف بي.

لم الليالي التي أخنت على جدتي برقة الحال واعذرني ولا تلم

أخنت: أي أهلكت. على جدتي: أي على غناي. ورقة الحال: ضعف الحال.

يقول: يا من يلومني على ضعف حالي ورثاثة الهيئة، لم حوادث الليالي التي أهلكت غناي، واعذرني فلا لوم علي إذ لا ذنب لي.

وقيل: إن سائلاً تعرض لعطائه. فقال له: لم الليالي التي فعلت بي ذلك وأفقرتني، واقبل عذري في ردك ولا تلمني؛ لأن فقري واختلالي ليس من قبلي.

أرى أناساً ومحصولي على غنمٍ وذكر جودٍ ومحصولي على الكلم

محصولي: أي حصولي.

يقول: أرى أشباحاً في صور الناس، وهم في الحقيقة كالغنم؛ لبعدهم من المروءة، وأرى ذكر جودٍ فيما بين الناس الذين هم كالغنم، وحصولي من ذلك على كلمٍ. يعني: أن الذي حصل من جودهم الحكاية، دون حقيقة الجود.

ورب مالٍ فقيراً من مروءته لم يثر منها كما أثرى من العدم

يقول: وأرى صاحب مال، فقيراً من المروءة والإنسانية، لم يثر منه أي حظ من نفسه، ولم يستوف حظها من الإنسانية والمروءة، كما أثرى من العدم: أي الفقر. والهاء في منه: لرب المال، ورب فقير من المال، يستوفي حظ نفسه ويجود بقدر طاقته. وروى: ورب مال فقيرٍ من مروته. أي: ورب إنسان كثير المال. يقال: رجلٌ مالٌ، ومائل: إذا كان كثير المال، وفقير صفة له، والرواية الأولى أشهر من الثانية.

سيصحب النصل مني مثل مضربه وينجلي خبري عن صمة الصمم

يقول على سبيل الإيعاد: إن السيف يستصحب من نفسه مثلي حده مضاء، وينكشف خبري عن شجاع الشجعان، أو أسد الأسود.

لقد تصبرت حتى لات مصطبرٍ فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لات: بمعنى لا، ويجوز في مصطبرٌ: الجر. لأن من العرب من يجر بلات. ويجوز: أن يرفع. كما يرفع بلا.

يقول: قد صبرت حتى لم يبق موضع صبر، أو لم يبق اصطبار، فلم ينفعني ذلك، فالآن أدخل نفسي في العظائم، حتى لا يبقى موضع اقتحام، أو حتى لا يبقى لي اقتحام.

لأتركن وجوه الخيل ساهمةً والحرب أقوم من ساقٍ على قدم

ساهمة: أي متغيرة من غبار الحرب، لشدة التعب، وألم الجراحة والخوف، وغيرها.

يقول: لأتركن وجوه الخيل متغبرة في حالٍ يكون الحرب فيها أقوم من ساق على قدم، فعلى هذا يكون الحرب وأقوم مرفوعين. ويجوز: نصبهما عطفاً على وجوه الخيل ساهمة. أي ولأتركن الحرب أقوم من ساق على قدم.

والطعن يخرقها والزجر يقلقها حتى كأن بها ضرباً من اللمم

الهاء في يخرقها ويقلقها وبها: للخيل. واللمم: الجنون.

يقول: ولأتركن وجوه الخيل ساهمةً في الحال التي لم يخرق الطعن الخيل، ويزعجها الزجر، حتى كأن بها ضرباً من الجنون. ويروى: يخرقها بضم الياء أي: يورثها خرقاً وطيشاً. وروى: يحرقها بالحاء أي: يهلكها من الحرق والأول أولى.

قد كلمتها العوالي فهي كالحةٌ كأنما الصاب معصورٌ على اللجم

الصاب: شجر مر وهذا تأكيداً لما مضى.

يقول: أترك هذه الخيل وقد جرحتها الرماح حتى عبست وجوهها، من شدة وقوع الأسنة بها، فيكون من شدة عبوسها؛ كأنها قد عصر الصاب الذي هو شجر مر على لجمها.

بكل منصلتٍ ما زال منتظري حتى أدلت له من دولة الخدم

يقول: ولأتركن وجوه الخيل ساهمة، بكل سيف مجرد، ما زلت أنتظره وينتظرني، حتى انتقمت له من الخدم الذين استولوا على الملك وسلبتهم الملك، وأعطيت دولة الخدم من يستحقه.

وقيل: أراد بهذا المنصلت: الرجل الماضي في الأمور، أي أفعل ذلك بكل رجل ماضٍ في الأمور ما زال ينتظرني، لمحاربة الأملاك، حتى أعطيته دولة الخدم الذين هم ملوكٌ اليوم، والأصح: أنه صفة للسيف.

شيخٍ يرى الصلوات الخمس نافلةً ويستحل دم الحجاج في الحرم

شيخ: بدل من كل.

يقول: بكل سيف يرى الصلوات الخمس نافلة، ويستحل دم الحجاج في مكة، لأنه لا يخشى ولا يعقل ولا يعرف الشرع، وإنما وصفه بكونه شيخاً، إما لبياضه وإما لكونه قديمًان وذلك مدحٌ للسيف.

وقيل: أراد بالشيخ: الرجل الماضي الذي يطلب الملك. يعني أنه لا يبالي بالحرام والحلال، ولا يرد التحرز الذي يوجبه الدين، وذلك أصلح للحرب والقتال.

وكلما نطحت تحت العجاج به أسد الكتائب رامته ولم يرم

أسد الكتائب: اسم ما لم يسم فاعله. وهو نطحت. ورامته: أي زالت عنه. ولم يرم: أي لم يزل هو، وأصله رامت عنه فحذف حرف الجر، وأوصل الفعل إليه، والهاء في به وفي رامته: للشيخ.

يقول: وكلما ضربت تحت الغبار في الحرب بذلك الشيخ، صرعت أسد الجيوش، وشجعان الحروب، زالت عن هذا الشيخ الأسد وانهزمت، ولم يزل هو عنها، بل ثبتت. وروى: وكلما بطحت بالباء أي صرعت. وروى: نقحت من المناقحة بالسيف. يقال: نقحته بالسيف: إذا ضربته فيه في فجأة.

تنسي البلاد بروق الجو بارقتي وتكتفي بالدم الجاري عن الديم

فاعل تنسي: بارقتي، والبلاد، مفعوله الأول، وبروق الجو. المفعول الثاني. والبارقة: السحابة ذات البرق. وأراد ها هنا السيف. والديم: جمع الديمة وهي المطر، يدوم أياماً.

يقول: إن سيفي ينسي أهل البلاد بروق السماء، وتكتفي البلاد أي أهلها بالدم الجاري من سيفي عن الأمطار، يعني أن ما أسقيها من الدماء ينوب عن ماء السماء.

ردي حياض الردى يا نفس واتركي حياض خوف الردى للشاء والنعم

وقد روى: حياض الردى حوباء: أي يا حوباء وهي النفس.

يقول: يا نفس ردي حياض الهلاك واغشي غمرات الحروب واتركي حياض غير الهلاك للشاء والنعم. وأراد ها هنا الجبناء الضعفاء، لأنهم بمنزلة البهائم! وروى: حياض خوف الردى: أي اتركي الخوف من الردى. وروى: الحياض الذين هم بمنزلة الشاء والنعم.

إن لم أذرك على الأرماح سائلةً فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

يقول: إن لم أتركك يا نفس سائلة على الأرماح، مقتولة أو مجروحة، فلا نسبت إلى المجد والكرم. بالغ في وصف نفسه بالمجد والكرم.

أيملك الملك والأسياف ظامئةٌ والطير جائعةٌ لحمٌ على وضم

الوضم: الخشبة التي يقطع عليها اللحم. ولحمٌ: رفع لأنه فاعل يملك.

يقول: أيملك الملك هؤلاء الملوك، الذين هم لحم على وضم! مع أن الأسياف ظامئة إلى دمائهم والطير جائعة محتاجة إلى مثل هذه اللحوم.

من لو رآني ماءً مات من ظمإٍ ... ولو مثلت له في النوم لم ينم

مثلت: أي قمت وظهرت.

يقول: أيملك الملك من هو في ضعفه لو رآني ماءً وهو ظمآن لم يمكنه أن يردني ومات عطشاً! ولو رآني في النوم لزال نومه، ولا يجسر أن ينام؛ خوفاً مني، ولا يستقر لعظم هيبتي في قلبه.

ميعاد كل رقق الشفرتين غداً ... ومن عصى من ملوك العرب والعجم

ومن عصى: في موضع جر، عطفاً على كل.

يقول: ميعاد كل سيفٍ رقيق الشفرتين غداًن وميعاد كل من عصاني من ملوك العرب والعجم؛ أقتلهم به. وقيل: فيه إضمار تقديره هذا المذكور الذي هو لحم على وضم، ميعاد كل سيوفي ملوك العرب والعجم.

فإن أجابوا فما قصدي بها لهم ... وإن تولوا فما أرضي لها بهم

يقول: أقصدهم بسيوفي، فإن انقادوا إلي فما قصدي بهذه السيوف إليهم، وإن تولوا عني، فما أرضى لهذه السيوف بهم بل أقتل سواهم.

وقال أيضاً في صباه وقد عذله أبو سعيد المخيمري في تركه لقاء الملوك

أبا سعيدٍ ... جنب العتابا

فرب راءٍ ... خطأً صوابا

راء: فاعل، وهو العامل في خطأ، وفي صواب، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل منه.

يقول: يا أبا سعيد بعد عني عتابك فأنت مخطيء فيه، فرب إنسانٍ يرى الخطأ صواباً، وروى فرب رائي خطإٍ صواباً على الإضافة وحذف التنوين، طلباً للخفة، والغرض إثباته لأن الإضافة غير حقيقية، ثم بين وجه الخطأ في عذل أبي سعيد فقال:

فإنهم قد ... أكثروا الحجابا

واستوقفوا ... لردنا البوابا

استوقفوا: أي طلبوا من البواب الوقوف.

يقول: إنما أترك قصدهم لأنهم أكثروا الحجاب ليمنعونا عنهم، وأقعدوا لردنا عنهم البواب على أبواب دورهم.

وإن حد | الصارم القرضابا
والذابلات | السمر والعرابا
ترفع فيما | بيننا الحجابا

القرضاب: هو القاطع، وهو صفة لحد السيف. والذابلات السمر: هي الرماح. والعراب: الخيل العربية.

يقول: لا أقصدهم إلا محارباً بالصارم القاطع، والرماح الذبل، والخيل العراب؛ فإن هذه الأشياء التي ذكرها ترفع الحجاب فيما بيننا وبينهم.

وقال في صباه ارتجالاً يصف ألم الشوق والفراق على لسان إنسان سأله ذلك:

شوقي إليك نفى لذيذ هجوعي | فارقتني وأقام بين ضلوعي

يقول مخاطباً لحبيبه: شوقي إليك نفى نومي، ففارقتني أنت، وأقام ذلك الشوق بعدك بين ضلوعي.

أوما وجدتم في الصراة ملوحةً | مما أرقرق في الفرات دموعي؟ !

الصراة: نهر ببغداد، مشتق من الفرات.

يقول لحبيبة، وهو واحد؛ يخاطب الجماعة تعظيماً له: أوما وجدتم في هذا النهر ملوحةً؟ من كثرة ما صببت من دمعي في الفرات، الذي مادة هذا النهر منه؛ لأن الدمع مالح المذاق.

ما زلت أحذر من وداعك جاهداً | حتى اغتدى أسفي على التوديع

يقول: مازلت أحذر من توديعك خوف الفراق، حتى وقع الفراق من دون الوداع، فصرت أأسف على ترك التوديع؛ إذ كان فيه بعض السلوة. أو يكون الفراق وقع مع الوداع. فيقول: أنا آسف على ما حصل لي من المسرة في لقائك عند الوداع، فأشتاقه وأتمنى عوده.

رحل العزاء برحلتي فكأنما | أتبعته الأنفاس للتشييع

العزاء: الصبر.

يقول: رحل العزاء عند ارتحالي عنك، فكأنني أتبعته أنفاسي لتشيعه، أو للتشييع لك، ويحتمل أن يريد:

أن الصبر فارقني لفراقي لك، وضعفت عن النفس، وانقطعت الأنفاس، فكأنما تبعتك مشيعةً ومثله لأبي تمام.

إن لم أودعهم فقد أتبعتهم ... بمشيعين: تنفسي ودموعي

وقال أيضاً في صباه ارتجالاً يفتخر:

أي محلٍّ أرتقي ... أي عظيمٍ أتقي؟

وكل ما خلق الله ... وما لم يخلق

محتقرٌ في همتي ... كشعرةٍ في مفرقي

يقول: أي محل أرتقي إليه؟ فلا مزيد فوق ما أنا عليه فأصبر إليه. وأي عظيم أخشى منه وأحذره؟ وكل شيء خلقه الله تعالى وما لم يخلق بعد، هو محتقر عند همتي، كشعرة في مفرق رأسي. وروى: كشعرتي في مفرق على الإضافة، ومفرق على النكرة أي مفرق من المفارق.

وقال أيضاً في صباه، مجيباً لإنسان قال له: سلمت عليك فلم ترد علي السلام:

أنا عاتبٌ لتعتبك ... متعجبٌ لتعجبك

إذ كنت حين لقيتني ... متوجعاً لتغيبك

فشغلت عن رد السلام ... فكان شغلي عنك بك

يقول لصاحبه وقد عاتبه على تركه رد السلام: أنا متغضب لأجل غضبك، ومتعجب بسبب ما تعجبت! من تركي للجواب لك؛ لأني كنت حين رأيتني متوجعاً لغيبتك، التي كانت قبل رؤيتي إياك، فلما رأيتني كنت مدهوشاً، فشغلتني دهشتي وفكري فيك، عن رد السلام عليك، فكان شغلي عن رد السلام بك.

وقال أيضاً في صباه في الحماسة:

إذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعداً ... فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمرا

يقول لنفسه، أو لرفيقه: إذا لم تجد الشيء الذي يقطع الفقر وأنت قاعد! وهو: إما القناعة، وإما المال. فقم واطلب الشيء الذي يقطع العمر، وهو السيف الذي يوصلك إلى مبتغاك فتنال ما تريد أو تقتل.

وقال أيضاً في صباه يستبطىء عطاء ممدوحه:

انصر بجودك ألفاظاً تركت بها ... في الشرق والغرب من عاداك مكبوتاً

فقد نظرتك حتى حان مرتحلٌ   وذا الوداع فكن أهلاً لما شيتا

روى: أبياتاً بدل ألفاظاً. ومكبوتاً: أي مردوداً بغيظه. ونظرتك: أي انتظرتك. ومرتحل: أي ارتحالي، أو وقت ارتحالي. وانصر: من قولك نصر المطر الأرض إذ جاد عليها.

يقول: اسق بجودك ما قلت لك من الأشعار، التي قد مدحتك بها، فإني قد تركت بسببها من عاداك، مردوداً بغيظه في الشرق والغرب؛ لأن ما قلته يروى أبداً فيغيظ أعداءك، أو لأن أعداءك طلبوا مني مدحهم، فاخترتك عليهم ومدحتك دونهم فغظتهم بذلك، فأجزني على ذلك، فقد طال انتظاري لعطائك حتى حان الارتحال، وهذا الوداع قد حضر فكن أهلاً لما شئت إن أعطيتني شكرتك وإن أحرمتني شكوتك وهجوتك.

وقال أيضاً في صباح يمدح بعض أمراء حمص ولم ينشدها أحداً:

حاشى الرقيب فخانته ضمائره   وغيض الدمع فانهلت بوادره

حاشى: أي أظهر سره. وروى خاشا: أي توقا وتجنب وفاعله مضمر تقديره خاشا المحب الرقيب، وكذلك غيض المحب الدمع، والضمير: في ضمائره، وخانته يعود إلى الفاعل المضمر، وهو: المحب. وفي بوادره: إلى الدمع.

يقول: إن المحب باعد الرقيب وتوقاه كأنما سره فخانته ضمائره؛ حيث لم يمكنه ستره لغلبة الجزع. وغيض هذا المحب أيضاً دمعه وحبسه، فلم يمكنه ذلك، فانسكبت بوادره وسوابقه من شدة الجزع وفرط الهوى، فظهر للرقيب ما كان يكاتمه وانهتك له ستره.

وكاتم الحب يوم البين منهتكٌ   وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

وروى: وكاتم الوجد. وصاحب الوجد. أيضاً.

هذا البيت تفسير للبيت الأول. يقول: كاتم الحب، يوم الفراق مفتضح، وصاحب الوجد، تظهر سرائره بدموعه.

لولا ظباء عديٍّ ما شقيت بهم   ولا بربربهم لولا جآذره

الربرب: القطيع من بقر الوحش. والجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية. والمراد بالربرب والظباء: النساء. وبالجآذر: الصبايا والفتيات.

يقول: لولا نساء هذه القبيلة وجواريهم، ما شقيت بهم، ولا ابتليت بهواهم، فكأنه يقول: إني أحب رجال عديٍّ لحبي نساءهم وجواريهم، أو رأى من حيث الأدب أن ينسب شقاءه إلى قوم محبوبته، وإن

كان مقصوده المحبوبة. وقال ابن فورجة: يقال شقي فلان بقوم: إذا أبغضوه؛ فكأنه يقول: لولا نساء عديٍّ وجواريهم، ما شقيت برجال هذه القبيلة؛ يعني أنهم إنما أبغضوني لذلك فلولاهن ما أبغضوني.

من كل أحور في أنيابه شنبٌ   خمرٌ يخامرها مسكٌ تخامره

الأحور: الصافي بياض العين وسوادها، مع سعة العين. والشنب: برد ماء الأسنان، وعذوبته. وقيل: صفاء الأسنان. وقيل: حدتها. والمخامر: المخالط. وخمر: بدل من شنب، فكأنه يقول في أنيابه خمر. ويجوز أن يكون خمر وما بعدها، صفة لشنب. لأن النكرة توصف بالجملة، والهاء في مخامرها: للخمرة لأنها تأنث في الأغلب، وفي تخامره: للمسك. والتاء: للخمر.

يقول: كل واحد من الظباء، حسن العينين، في أسنانه بياض وصفاء، وماء بارد، خالطته خمر، وخالط تلك الخمرة مسك، يصف بذلك عذوبة فم الحبيب وشبهه بالخمر لما فيها من اللذة، ووصف طيب رائحته فشبهه بالمسك.

نعجٌ محاجره دعجٌ نواظره   حمرٌ غفائره سودٌ غدائره

النعج: البيض. والمحاجر: جمع محجر وهو ما حول العين. وقيل: ما يبدو من النقاب. والدعج: جمع أدعج ودعجاء: وهو الشديد السواد. والنواظر: الحدق. والغفائر: جمع غفارة، وهو ما يغفر الرأس من مقنعة، أو وقاية: يوقي بها الرأس من الدهن. والهاء في كل ذلك، ترجع إلى لفظ الأحور أو لفظ كل.

يقول: من كل أحور بيض محاجره، سود نواظره، حمر مقانعه سود ضفائره.

أعارني سقم جفنيه وحملني   من الهوى ثقل ما تحوي مآزره

أعارني: ك واحد من الظباء. سقم عينيه: وهو الفتور الذي في العين. وجعله عاريةً في بدني، أي أسقمني بعينه السقيمة، وحملني ثقل ما اشتملت عليه مآزره وهو جمع المئزر ويعني به: الأرداف والكفل.

يا من تحكم في نفسي فعذبني   ومن فؤادي على قتلي يضافره

المضافرة: المعاونة. ويروى: بالضاد، والظاء.

يقول: يا من تحكم في نفسي فعذبني في هواه، ويا من يعاونه قلبي على قتلي، فإن قلبي يميل إليك، ويحتمل كل ما وصل إليه منك. والهاء في يضافره: تعود إلى من وهو مذكر في اللفظ.

بعودة الدولة الغراء ثانيةً ... سلوت عنك ونام الليل ساهره

الهاء: تعود إلى الليل. وكان هذا الممدوح قد عزل عن ولايته بلده، ثم أعيد إليها، وقيل: كان قد أسر وفدي فعاد إلى بلده.

يقول لمحبوبته: قد سلوت عنك أيها المنادي، بعودة دولة هذا الأمير ثانية، وقد نمت في ليلى بعد ما كنت ساهراً، لحزني لغيبته.

من بعد ما كان ليلي لا صباح له ... كأن أول يوم الحشر آخره

يقول: نمت في ليلي، من بعد ما كان ليلي علي طويلاً، بحيث لا صباح له، فكأن آخره أول يوم القيامة من الطول. يعني أنه بلا آخر، فكأنه متصل بيوم القيامة ومثله قول خالد الكاتب:

رقدت ولم ترث للساهر ... وليل المحب بلا آخر

غاب الأمير فغاب الخير عن بلدٍ ... كادت لفقد اسمه تبكي منابره

يقول: لما عزل هذا الأمير أو أسر فغاب الخير عن بلد، كادت منابره تبكي لافتقادها اسمه عليها أيام الجمعة. والهاء: في اسمه للأمير، وفي منابره: للبلد.

قد اشتكت وحشة الأحياء اربعه ... وخبرت عن أسى الموتى مقابره

الأربع: جمع القلة للربع وهو المترل. والكثير الرباع، والربوع. والهاء: في أربعه ومقابره: للبلد.

يقول: شكت منازل البلد وحشة الأحياء بغيبة الأمير عن هذا البلد، وأخبرت المقابر عن حزن موتاها، لأنها كانت معمورة بالخيرات عند كونه فيها، أو لكونها كانت عليها من طلاوة هذا الممدوح، مثل ما يكون على من في قلبه مسره.

حتى إذا عقدت فيه القباب له ... أهل لله باديه وحاضره

يقول: ما زالت الأربع والمقابر كذلك، حتى ضربت له الخيام وعقدت له عند دخوله البلد القباب، فكبر لذلك أهل البدو وأهل الحضر؛ استبشاراً به، لأن من عادة المستبشر أن يكبر ويهلل، والهاء: في باديه وحاضره: للبلد. ويجوز أن يريد به: نفس البدو والحضر، ويكون ذلك مبالغة في الاستبشار، لأنهما إذا استبشرا مع كونهما جمادين، فما ظنك بأهلها مع صحة الاستبشار منهم.

وجددت فرحاً لا الغم يطرده ... ولا الصبابة في قلبٍ تجاوره

وجددت: يجوز أن يكون فعل العودة أو الدولة أو القباب المعقودة، أو فعل الأربع والجماعة المذكورة، والهاء في يطرده: للفرح، وفي تجاوره: للقلب. ويجوز أن يكون راجعاً إلى الفرح.

يقول: جددت هذه الأمور فرحاً لا يطرده غم؛ من قوته وتمكنه من القلب، ولا يجاوره شوق وصبابة، أي لا يصير جاراً له، وذلك لأن العشق لا يكاد يخلو توابعه من الغم، والفرح إذا كان غالباً لم يكن هناك عشق.

إذا خلت منك حمصٌ لا خلت أبداً   فلا سقاها من الوسمي باكره

الهاء في سقاها: لحمص. وفي باكره: للوسمي. وقوله: لا خلت أبداً: دعاء للبلد أو لأهلها، وهو في الحقيقة دعاء للممدوح بالدوام والثبات فيها، وهو حشو مليح.

يقول: إذا خلت منك هذه البلدة لا خلاها الله منك فلا سقاها باكر الوسمي: وهو أوله أو ما يأتيه بكرة، وذلك دعاء على البلد عند خلوها منه.

دخلتها وشعاع الشمس متقدٌ   ونور وجهك بين الخيل باهره

الهاء في باهره: ترجع إلى شعاع الشمس، أي غالبه.

يقول: دخلت حمصاً والشمس طالعة وشعاعها متقد وكأن نور وجهك بين العساكر غالباً لشعاع الشمس، والغرض به تفضيله على الشمس في الحسن والبهاء.

في فيلقٍ من حديدٍ لو قذفت به   صرف الزمان لما دارت دوائره

الفيلق: العسكر؛ لأنه يفلق كل شيء أتى عليه يقول: دخلتها بجيشٍ من حديد؛ لكثرة ما عليهم من الحديد، لو رميت به صرف الدهر مع أنه لا يطيقه أحدٌ لما دارت دوائر صرف الزمان، ولا نفذت أحكامه.

تمضي المواكب والأبصار شاخصةٌ   منها إلى الملك الميمون طائره

المواكب: جمع المواكب، وهو الجماعة من الناس، والمراد ها هنا الجيش. والهاء في منها: للكواكب وفي طائره. للملك.

يقول: تسير الجماعات والأبصار شاخصة من بينها إلى الملك الميمون طائره دون غيره ممن معه من الجيش، وذلك لما له من الفضل والبهاء.

قد حرن في بشرٍ في تاجه قمرٌ   في درعه أسدٌ تدمى أظافره

حزن: فعل الأبصار، والبشر: اسم يقع على الواحد وما فوقه من الناس، وأراد هاهنا الممدوح، والأظافر: جمع، وأصلها الأظافير فحذف الياء، وهو جمع أظفور بمعنى الظفر، أو جمع أظفار، فهي إذاً

جمع الجمع لأن أظفاراً: جمع ظفر.

يقول: تحيرت الأبصار في بشرٍ في تاجه قمرٌ، وهو وجهه، وفي درعه أسد، أي أنه شجاع، كأنه أسد، تدمى أظافيره بدماء الصيد. شبه وجهه بالقمر، ونفسه بالأسد، ومثله قول مسلم.

كأن في سرجه بدراً وضرغاماً

حلوٍ خلائقه شوسٍ حقائقه		تحصي الحصى قبل أن تحصي مآثره

الشوس: جمع أشوس. وشوساً، وهو الذي تصغر عينيه للنظر، ويضم أجفانه، وذلك فعل المبغض والعدو، والحقائق: جمع الحقيقة وهي ما يحق على الإنسان حفظه والذب عنه. والمآثر: جمع المأثرة، وهي ما يؤثر من فضل الإنسان.

يقول: تحيرت الأبصار في بشرٍ خلائقه عذبة، وحقائقه محفوظة مرعية، ومآثره غير متناهية كثرة، بحيث يمكن إحصاء الحصا كلها، ولا يمكن إحصاء مآثره وعد محاسنه ومكارم أخلاقه وأفعاله.

تضيق عن جيشه الدنيا ولو رحبت		كصدره لم تبن فيها عساكره

يقول: إن الدنيا مع سعتها تضيق عن جيش الممدوح لكثرته، ولو اتسعت الدنيا اتساع صدره، فكانت عساكره مع كثرتها لا تظهر فيها لسعة صدره، وهو كقول أبي تمام:

ورحب صدرٍ لو ان الأرض واسعةٌ		كوسعه لم يضق عن أهله بلد

إذا تغلغل فكر المرء في طرفٍ		من مجده غرقت فيه خواطره

التغلغل: الدخول في المضيق. والهاء في مجده: للممدوح، وفي فيه: لطرف وفي خواطره: للمرء.

يقول: إذا دخل فكر المرء في طرف من مجده، غرقت جوامع خواطره فيه، لعظمه ووفور مجده وشرفه، فإذا كان طرف منه بهذه الصفة، فكيف يتصور إحاطة الفكر بجميع مجده وشرفه؟!

تحمى السيوف على أعدائه معه		كأنهن بنوه أو عشائره

تحمى: من الحمية والغضب.

يقول: إن السيوف إذا كانت في يده وأيدي أوليائه، لفضل مضائه، كأنه تحمى وتغضب على أعدائه معه، حتى كأن السيوف بنوه أو أقاربه؛ لأنها تغضب لغضبه، ومثله لأبي تمام:

كأنها وهي في الأوداج والغةٌ		وفي الكلى تجد الغيظ الذي تجد

إلا أن بيت المتنبي أبلغ؛ لذكره المناسبة والقرابة.

إذا انتضاها لحربٍ لم تدع جسداً		إلا وباطنه للعين ظاهره

الهاء في باطنه وظاهره: للجسد.

يقول: إن الممدوح إذا انتضى تلك السيوف من أغمادها عند الحرب، لم يترك من أعدائه جسداً إلا جعله إرباً إرباً، حتى تبدوا بواطن أجسادهم، أو يشق بطنه فتظهر منه الآلات الباطنة، أو يريق دمه الذي في باطن الجسد، فيظهر عند ما يسيل، فيصير في هذه الحالات باطن الجسد للعين ظاهراً.

فقد تيقن أن الحق في يده وقد وثقن بأن الله ناصره

يقول: إن السيوف تيقن أن الحق في يده، لما ازدادت قوة يده، وأيدي أوليائه، وقد وثقن بأن الله ينصره على أعدائه؛ فلهذا صرن مثل بنيه وعشائره في الحمية. ومثل قول النابغة:

جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب

تركن هام بني عوفٍ وثعلبةٍ على رءوسٍ بلا ناسٍ مغافره

الهاء في مغافره: للهام.

يقول: إن هذه السيوف تركن هام هؤلاء القوم لما قطعن رءوسهم، عليها المغافر على رءوس بلا أجساد، وكانت الرءوس ملقاة على الأرض وعلى هاماتها المغافر، وعبر عن الأشخاص بالناس.

فخاض بالسيف بحر الموت خلفهم وكان منه إلى الكعبين زاخره

زخر البحر: إذا ارتفع موجه.

يقول: خاض هذا الممدوح بسيفه خلف هؤلاء القوم، بحر الموت: يعني موضع القتال. واستحقر ذلك وإن كان عظيماً، حتى صار زاخر ذلك البحر ومتلاطمه من هذا الممدوح إلى الكعبين، يصف بذلك قلة مبالاته بالأمور العظام.

حتى انتهى الفرس الجاري وما وقعت في الأرض من جيف القتلى حوافره

روى: انتهى، وانثنى.

يقول: من قتل منهم صار بحيث أن الفرس الجاري لم يضع وقت جريه حوافره إلا على جيف القتلى، ولا تقع حوافره على الأرض من كثرة القتلى.

كم من دمٍ رويت منه أسنته ومهجةٍ ولغت فيها بواتره

أصل الولغ: شرب السباع الماء بألسنتها، ثم كثر فصار اسماً للشرب مطلقاً.

يقول: كم من دمٍ رويت منه أسنة الممدوح، وكم من نفس دخلت فيها سيوفه القواطع، وشربت منها حتى رويت، يعني أنه سفك دماء أعدائه فلم يبق له عدواً إلا قتله.

وحائنٍ لعبت سمر الرماح به ... فالعيش هاجره والنسر زائره

الحائن: الهالك. والهاءات: راجعة إليه.

يقول: كم من هالك لعبت به الرماح السمر فأهلكته، حتى هجره العيش، فزاره النسر لأكل لحمه.

من قال: لست بخير الناس كلهم ... فجهله بك عند الناس عاذره

عاذره: أي قابل عذره.

يقول: من لم يقل: خير الناس أنت، فهو جاهل، والجاهل إذا قال محالاً لجهله، فإن جهله يعذره عند الناس أجمعين.

أوشك أنك فردٌ في زمانهم ... بلا نظيرٍ ففي روحي أخاطره

أخاطره: أراهنه.

يقول: من شك أنك فردٌ: لا نظير لك، فإني أراهنه وأشارطه بروحي وروحه، فحذف للدلالة، وإنما راهنه بروحه لفرط يقينه، أنه لا نظير له، فعلم أنه يفوز بالظفر، ويظفر بالخطر؛ لأن الروح أعز الأشياء

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

اعوذ، وألوذ: متقاربان في المعنى.

يقول: يا من ألتجىء إليه في آمالي، ويا من أعتصم به مما أخشاه وأحذره من المكاره.

ومن توهمت أن البحر راحته ... جوداً وأن عطاياه جواهره

الهاء في جواهره: للبحر.

يقول: يا من خلت أن راحته هي البحر وأن عطاياه هي جواهر البحر التي تخرج منه؛ لأن الجواهر لا تكون إلا من البحر.

ارحم شباب فتىً أودت بجدته ... يد البلى وذوي في السجن ناضره

الهاءات: كلها للفتى.

يقول: ارحم شباب فتىً أهلكت البلى جدته، فأخلقته، وذبل في السجن ما كان ناضراً منه

لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره

لا يهيضون: أي لا يكسرون ما تجبره أنت، ولا تجبر الناس ما تكسره أنت، يعني: أنهم لا يقدرون على رد أمرك ومثله قول الآخر:

لا يجبر الناس عظم ما كسروا ولا يهيضون عظم ما جبروا

وقال أيضاً يمدح شجاع بن محمد بن عبد العزيز بن الرضا المضاء الطائي المنبجي:

عزيزٌ أسى من داؤه الحدق النجل عياءٌ به مات المحبون من قبل

الأسى: جمع أسوة، وهي الصبر. والأسا: مصدر أسوت الجرح أسواً وأسياً.

يقول: عزيز: أي قليل الوجود صبر من داؤه، أو مداواة من داؤه الحدق الواسعة، وهو داء عياء. ثم قال: به أي بهذا الداء. مات المحبون من قبل. ويجوز أن يكون المراد بالأسى الحزن، وعزيز: أي شديد صعب، يخشى عليه. وعزيزٌ: مرفوع بالابتداء وأسى خبره، وجاز البتدا بالنكرة لأنه في تقدير فعل، كأنه يقول: عزيز أسى، وداء عياء خبر ابتداء محذوف كأنه قال: وهو داء عياء.

فمن شاء فلينظر إلي فمنظري نذيرٌ إلى من ظن أن الهوى سهل

المنظر: موقع النظر عليه.

يقول: من أراد أن يجرب هذا الداء فلينظر إلي، ليبصر نحول جسمي فإن منظري، أو حالي نذير ومخوف لمن ظن أن العشق هين، وأن الحب يمكن الخروج منه، والمقصد تعظيم أمر الهوى وقلة المداوة منه.

وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رحل العقل

هي: ضمير قبل الذكر، والمراد به الخصلة، أو اللحظة المذكورة من بعد، وروى: وما هو، وأراد الهوى المذكور في البيت الذي قبله. والهاء في قلبه: ترجع إلى من في قوله من داؤه.

يقول: لا يتولد الهوى إلا من نظرةٍ إثر نظرة، فإذا حلت تلك اللحظات المتكررة في القب، رحل العقل وزال بعد نزولها، فلا ينتفع بعد ذلك بالعقل.

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فأصبح لي عن كل شغلٍ بها شغل

يقول: جرى حب هذه المرأة في جميع بدني، واستولى علي بجملتي وجرى مجرى الدم، أي أنه امتزج بجميع بدني كالدم الجاري فيه، فأصبح لي شغل بها، يشغلني عن كل شغلٍ هو سواه، وقيل معناه: أن

هواها ذللني حتى عنها من شدة تأثيره في روحي وعقلي وبدني.

هذا وروى: فأصبح عن غير شغلي بها شغل.

ومن جسدي لم يترك السقم شعرةً فما فوقها إلا وفيها له فعل

فما فوقها: يجوز أن يكون في العظم وفي الشعر، والهاء في فيها: للشعرة وروى: فيه وأراد به: الجسم. وفي له للسقم.

يقول: لم يترك السقم من جسدي شعرة وما فوقها، في الصغر أو العظم، إلا وفيها للسقم تأثير وفعل، وتأثيره في الشعرة؛ لأن تحت كل شعرة منفذ إلى البدن، فيريد أن الحب وصل إلى كل مكان من جسده، وفعل السقم في الشعر: الشيب. وقيل: أراد بالشعرة: أقل شيء من جسده.

إذا عذلوا فيها أجبت بأنةٍ حبيبتا قلبي فؤادي هيا جمل

روى: بأنةٍ، ورنة: وهما واحد. وحبيتا: الألف فيه بدل من الياء، وأصله: حبيبتي على إضافة إلى الياء، إلا أنه أبدلها ألفاً، تخفيفاً. كقوله تعالى: "يا حسرتي على ما فرطت" والحبيبة تصغير الحبيبة. وأراد به: التخصيص لا التحقير. وقوله: قلبي أي: يا قلبي. وهو بدل من حبيبتا، وفؤادي بدل: من قلبي. وذلك نداء بعد نداء، وجميعها منصوب بالنداء المضاف. وهيا: حرف النداء. وجمل: اسم المرأة. وهو مبني على الضم بالنداء المفرد.

يقول: إذ لاموني في حبها، كان مكان جوابي لهم بأنةٍ حكايتها: يا حبيبتي يا قلبي، يا فؤادي، يا جمل، وفيه تنبيه على أن الحبيب يترل مترلة القلب، فلهذا، بين جواب العذال: أنها والقلب واحد. وقيل: تقديره يا حبيبتا قلبي أدركيني، فإني أشتكي قلبي ولا أبالي بملامة من يلومني فيها، ولا ألتفت إليه.

كأن رقيباً منك سد مسامعي عن العذل حتى ليس يدخلها عذل

الهاء في يدخلها: للمسامع، وهو جمع مسمع وهي الأذن.

يقول: كأنك قد وكلت بي رقيباً منك يراقبني، من أن ألتفت إلى اللوام، فكأنه سد أذني عن دخول العذل فيها، فلا أسمع ما يقولون من هجرانك، والتسلي عنك، ومثله قول الآخر:

كأن رقيباً منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني

ويجوز أن يريد: كأن الرقيب الذي يحفظك عني سد أذني عن سمع العذل فيك، حسداً منه على جريان ذكرك في سمعي؛ ذلك أني كنت بعد اللذة في سماع ذكره، كما قال أبو الشيص:

أجد الملامة في هواك لذيذةً حباً لذكرك فليلمني اللوم

كأن سهاد العين يعشق مقلتي   فبينهما في كل هجرٍ لنا وصل

يقول: كان السهر بالليل يعشق عيني، فبين الأرق والعين وصلٌ عند كل هجر لنا، يعني: أن الأرق لا يجد الوصال إلا عند هجران الحبيب.

أحب التي في البدر منها مشابةٌ   وأشكو إلى من لا يصاب له شكل

فضل المحبوبة على البدر، فقال: أحب التي في البدر منها مشابةٌ: وهو جمع شبه، على غير القياس. فجعل منها شبهٌ في البدر، ولم يشبهها البدر بكليته ثم فضل الممدوح على المحبوبة. فقال: وأشكو إلى من لا يصاب له شكل: أي مثل فجعل في البدر منها شبهها، وجعل الممدوح بلا شبه.

إلى واحد الدنيا إلى ابن محمدٍ   شجاع الذي لله ثم له الفضل

حذف التنوين من شجاعٍ: طلباً للتخفيف بسكونه، وسكون اللام من الذي.

يقول: أشكو إلى من هو واحد أهل الدنيا الذي لله تعالى الفض ثم له.

إلى الثمر الحلو الذي طيىءٌ له   فروعٌ وقحطان بن هودٍ لها أصل

طيىء: قبيلة. وقحطان بن هود: أصل بعض العرب والهاء، في له: للثمر. وفي لها: لطيىء، والتأنيث لأجل القبيلة، ويجوز أن يكون التأنيث راجعاً إلى الفروع، وروى: له. والتذكير يرجع إلى اللفظ. لأن طيئاً لا تأنيث في لفظه، شبهه بالثمر الحلو، لأن في الثمار حامضاً ومراً، ثم جعل أباه غصناً من شجر طيب فروعه طيىء، وأصله قحطان بن هود.

إلى سيدٍ لو بشر الله أمةً   بغير نبيٍّ بشرتنا به الرسل

يقول: وأشكو إلى سيد لو بشر الله أمةً بمن هو غير نبي، لبشرتنا رسل الله تعالى بهذا الممدوح، قبل وجوده، كما بشر الرسل عن الله تعالى بنبينا صلى الله عليه وسلم. إلا أن العادة لم تجر بالبشارة، بغير الأنبياء عليهم السلام.

إلى القابض الأرواح والضيغم الذي   تحدث عن وقفاته الخيل والرجل

وروى القانص الأرواح: وهو الصائد، وروى: عن وقفاته ووقعاته.

يقول: إلى الذي يقبض الأرواح في الحروب، وإلى الأسد الذي يتحدث عن وقعاته في الحروب الخيل. أي: أصحابها، والرجل: جميع الراجل.

إلى رب مالٍ كلما شت شمله   تجمع في تشتيته للعلي شمل

شت: أي تفرق، وتجمع: أي اجتمع.

يقول: أشكو إلى صاحب مالٍ كلما تفرق شمل المال يبذله، تجمع عنده للمعالي شمل، فيكون تفريقه له سبباً لاجتماع المعالي عنده، ومثله لأبي تمام:

وليس بيانٌ للعلي خلق امرىء | وإن جل إلا وهو للمال هادم

همامٌ إذا ما فارق الغمد سيفه | وعاينته لم تدر أيهما النصل

يقول: هو كبير الهمة، يشبه السيف في مضائه وشدته، وبشاشة وجهه كصقالة السيف، فإذا فارق السيف غمده تشك فيهما حتى لا تعرف أيهما السيف وهو كقول أبي تمام:

يمددن بالبيض القواضب أيدياً | فهن سواء والسيوف القواطع

رأيت ابن أم الموت لو أن بأسه | فشابين أهل الأرض لانقطع النسل

أراد بابن أم الموت: أخاه، يعني: أخا الموت.

يقول: رأيت الممدوح أخا الموت، فلو أن بأسه وشدة قوته شاع بين أهل الأرض لانقطع النسل: أي نسل الخلق، لأنه يفنيهم ببأسه، ولأنهم يخافونه ولا يدنو ذكرٌ من أنثى فينقطع النسل.

على سابحٍ موج المنايا بنحره | غداةً كأن النبل في صدره وبل

على فرسٍ سابحٍ موج المنايا بنحره: أي نحر الفرس في الغداة التي ترى فيها النبل متواتراً إلى صدره كأنه وبل: أي مطر. يعني: أن السهام لا تؤثر في صدر هذا الفرس، كما لا يؤثر فيه قطر الماء، وقيل: إن الهاء في صدره للممدوحن يعني: أن فرسه يلتقي موج الموت بنحره، وأن الممدوح يوم الحرية يلتقي السهام بنحره، فلا يبالي كأنها عنده قطر المطر.

وكم عين قرنٍ حدقت لنزاله | فلم تغض إلا والسنان لها كحل

حدقت: أي أحدقت النظر إليه، والنزال: المنازلة، وهي المحاربة نازلاً.

يقول: وكم عين مقارنٍ له: محارب، أحدت النظر إليه للمنازلة، فلم تغض إلا وصار سنان الرمح كحلاً لها. يعني: أنه جعل السنان لها موضع الكحل.

إذا قيل: رفقاً! قال: للحلم موضعٌ | وحلم الفتى في غير موضعه جهل

رفقاً: نصب بفعل مضمر، أي ارفق رفقاً، أو استعمل رفقاً.

يقول: إذا قيل له في الحرب: ارفق! قال: للحلم موضع، وليس هذا موضعه. وحلم المرء في غير موضعه جهل. ومنه قول الآخر:

يناشدني حاميم والرمح شاجرٌ فهلا تلا حاميم قبل التقدم

ولولا تولى نفسه حمل حلمه عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل

حمل حلمه: مفتوح لأنه مصدر، والحمل في آخره بكسر الحاء لأنه اسم.

يقول: لولا الممدوح تولى حمل حلمه عن الأرض لانهدت الأرض من ثقل حلمه، وأثقلها الحمل، فجعل الحلم أعظم من الأرض؛ وهو مبالغة عظيمة.

تباعدت الآمال عن كل مقصدٍ وضاق بها، إلا إلى بابه السبل

الهاء في بها: للآمال، وفي بابه: للممدوح.

يقول: لم يبق في الدنيا جوادٌ يقصد بالأمل سوى هذا الممدوح، فبعدت الآمال عن كل مقصد، وضاق بالأمل السبل من جميع الجوانب، إلا بابه، فهو المقصود إليه في الحوائج والآمال.

ونادى الندى بالنائمين عن السرى فأسمعهم: هبوا فقد هلك البخل

الندى: رفع لأنه فاعل نادى، والسرى: سير الليل.

يقول: نادى العطاء بالذين ناموا عن السرى، لعدم الأسخياء الكرام، وغلبة البخلاء اللئام، ونبههم.

بقوله: هبوا فقد هلك البخل، لوجود هذا الرجل، الذي أصاب بالجود مقتل البخل. ويجوز أن يكون وصل عطاؤه إلى الناس، ومن دون أن يسافروا لأجله، فكأنه ناداهم ونبههم لوصوله إليهم في أوطانهم.

وحالت عطايا كفه دون وعده فليس له إنجاز وعدٍ ولا مطل

يقول: إن عطاياه اعترضت دون وعده وسبقته، فلا يحتاج إلى إنجاز وعد، ولا مطل ولا مدافعة؛ لأن هذه الأشياء لا تكون إلا بعد الوعد.

فأقرب من تحديدها رد فائتٍ وأيسر من إحصائها القطر والرمل

الهاء في تحديدها، وإحصائها: للعطايا، وكان الوجه أن يقول: وأيسر من إحصائها إحصاء القطر، إلا أنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

يقول: رد فائتٍ أقرب من تحديد عطاياه، وتحديد منحه. وعد قطر المطر، وحبوب الرمل: أهون من إحصاء نعمه؛ فكما لا تقدر الناس على هذين، كذلك تحديد عطاياه، وتعديد مننه غير مقدور عليه، بل ذلك دخل في المقدور.

وما تنقم الأيام ممن وجوهها لأخمصه في كل نائبةٍ نعل

تنقم: تعيب، وما: للسؤال. ومن في قوله: ممن هو الممدوح: والهاء في وجوهها: للأيام. وفي أخمصه: للممدوح والأخمص؛ باطن القدم.

يقول: وما تنكر الأيام، وتعيب من رجل، وجوه الأياه نعلٌ لأخمصه في كل نائبة ومحنة، يعني أن الأيام تابعة له ومطيعة، وهو يعلوها حتى يطأ وجوهها، فتكون بمنزلة النعل لأخمصه. أي باطن قدمه.

وما عزه فيها مرادٌ أراده وإن عز إلا أن يكون له مثل

عزه: أي غلبه.

يقول: لم يتعذر عليه مراد طلبه، وإن كان ذلك صعباً شديداً، إلا أن يريد أن يأتي بمثل له، فإنه يتعذر عليه وجوده لأنه لا مثل له.

كفى ثعلاً فخراً بأنك منهم ودهرٌ لأن أمسيت من أهله أهل

الرواية الصحيحة نصب دهراً عطفاً على ثعل وقوله: بأنك منهم رفع: لأنه فاعل كفى وأهل رفع: بخبر ابتداء محذوف. كأنه قال: هو أهلٌ لأن أمسيت من أهله، فارتفع أهلٌ وصفاً لدهر، وارتفع دهرٌ بفعل مضمر، تقديره: ليفخر دهرٌ أهلٌ، لأن أمسيت من أهله.

يقول: كونك منهم، كفاهم فخر كونك أهلاً له وهذا وما قبله إفراط في المدح.

وويلٌ لنفسٍ حاولت منك غرةً وطوبى لعينٍ ساعةً منك لا تخلو

طوبى له: أي خير له، وقيل: أصله من الياء. وهو من طيب.

يقول: ويلٌ لمن طلب منك غفلة؛ فإنه إذا طلب ذلك قتلته، وهو لا يظفر بك، وطوبى لعين منك لا تخلو ساعة، فإنها تكون في الراحة وترتع في روض محاسنك.

فما بفقيرٍ شام برقك فاقةً ولا في بلادٍ أنت صيبها محل

يقول: ليس لفقير أبصر برقك ونظر جودك فاقة، وليس في بلادٍ أنت قطرها قحطٌ ولا جدب.

وقال أيضاً يمدحه:

اليوم عهدكم فأين الموعد؟ هيهات! ليس ليوم عهدكم غد

وروى: اليوم وعدكم وكذلك في الثاني؛ لأنهما متقاربان في المعنى.

يقول: اليوم لقاؤكم، وهو آخر اليوم الذي اجتمعنا فيه، فعرفوني أين الموعد للقاء الثاني؟ ثم قال: هيهات: أي ما أبعد ما أطلب! ليس ليوم وعدكم غدٌ أبلغ إليه. وقيل معناه: اليوم ميعادكم الذي

وعدتموني فأنجزوا لي وعدي، وهو وعد الملاقاة والوصل ثم قال: هيهات! ليس ليوم وعدكم غدٌ. أي أموت وقت فراقكم، فلا أعيش إلى غد ذلك اليوم. ومثله قول الشاعر:

قالت أسير غداً فقلت لها هدد ببينك من يعيش غداه

والأصل في البيت قول أبي تمام.

قالوا الرحيل غداً لا شك قلت لهم الآن أيقنت أن اسم الحمام غد

الموت أقرب مخلباً من بينكم والعيش أبعد منكم لا تبعدوا

روى مخلباً: وهو للسبع كالظفر للإنسان، ويروى مخلباً؛ وهو مصدر خلب يخلب: إذا أخدع، خلابةً ومخلباً، أو يكون مصدراً من خلب: إذا اختطف. وروى لا تبعدوا: من البعد في المسافة. ولا تبعدوا: من الهلاك.

يقول: الموت أقرب إلي من فراقكم، لأني أموت قبل أن تبينوا عني، خوفاً من فراقكم، ومهما فارقتموني كان العيش أبعد منكم، لأنه يعدم البتة، فهو أبعد منكم، لأنه لا يرجى عوده، وإذا بعدتم كنتم موجودين. ثم قال: لا تبعدوا. يعني لأن ببعدكم تبعد الحياة مني، وقيل: إنه دعاء للأحباب بألا يهلكوا، بل يبقوا سالمين، وبأن يقربوا منه. وهو تفسير البيت الأول.

إن التي سفكت دمي بجفونها لم تدر أن دمي الذي تتقلد

تتقلد: من قولك تقلد فلانٌ دم فلان إذا باء بإثمه.

يقول: المرأة التي سفكت دمي بجفوهٍا الحسنة، لم تعلم أن الذي تتقلده وتبوء به هو دمي. يعني: أنها قتلتني بجفونها الملاح، وأنها لم تعلم أني قتيلها بتلك الجفون.

قالت وقد رأت اصفراري: من به؟ وتنهدت فأجبتها: المتنهد

من به: أي فعل به، أو من المطالب به. وتنهدت: أي تنفست. وقيل: تنهدت المرأة؛ إذا رفعت صدرها وثديها.

يقول: إن هذه المرأة لما رأت ما بي من الاصفرار قالت مستفهمة: من فعل به ذلك؟ من المطالب به؟ وتنفست عند ذلك ترحماً لي، لما شاهدت من حالي فأجبتها: المتنهد. أي قلت: الذي فعل بي ذلك هو المتنفس. وإنما لم يقل: المتنهدة؛ لأنه رده على معنى الإنسان أو الشخص، ومعناه أن الذي حصل بي منك دون غيرك، أي أنت فعلت ذلك.

فمضت وقد صبغ الحياء بياضها لوني كما صبغ اللجين العسجد

اللجين: الفضة، والعسجد: الذهب. هذا البيت يفسر على وجوه: أحدها: أنها مضت عني لما قلت لها في البيت الذي قبله، وقد صبغ الحياء والخجل بياضها، يعني أنها لما استحيت مما قلت لها احمر لونها ومضت، ثم عدل عن ذلك إلى وصف نفسه فقال: لوني كما صبغ الفضة الذهب. أي اصفر وجهي. وقال بعضهم: معناه أن الحياء صبغ لونها أحمر، ثم لحقها الخوف في الوقت من الرقباء أن يروها، فاصفر لونها لذلك الفزع بعد الخجل، فيكون تقديره: صبغ الحياء بياضها لوناً كلوني؛ لأن الحياء إذا كان مع الخوف يصفر الوجه. وقيل: أيضاً لأن الحياء يجلب اللونين معاً؛ لأن المستحي يحمر أولاً ثم إذا فكر فيما حصل منه الحياء، يصفر لونه، فيصير كصاحب الخوف، فكأنه ذكر الحالة الثانية فبين أنها خجلت واستمر بها الخجل والحياء حتى اصفر لونها، فصار كلوني الذي هو كلون الذهب الممتزج بالفضة.

فرأيت قرن الشمس في قمر الدجى متأوداً غصنٌ به يتأود

قرن الشمس: أول ما يبدو منها، وهو يضرب إلى الصفرة، وذلك يدل على استحالة لونهاأصفر، وأراد به الصبغ الذي حصل في وجه المرأة الذي هو كالقمر، وأراد: أن وجهها بمنزلة قرن الشمس، وقمر الدجى. وقصد تشبيهه بهما جميعاً، وقوله: متأوداً: أي متمايلاً يتأود به غصن: وهو قد المرأة والهاء في به: ترجع إلى قرن الشمس. فمعناه: رأيت متمأوداً يتأود به غصن.

عدويةٌ بدويةٌ من دونها سلب النفوس ونار حربٍ توقد

وهواجلٌ وصواهلٌ ومناصلٌ وذوابلٌ وتوعدٌ وتهدد

العدوية: منسوبة إلى بني عدي. والبدوية: منسوبةٌ إلى البدو. والسلب: الاختطاف.
والهواجل: جمع الهوجل، وهو الأرض المطمئنة، والصواهل: جمع الصاهل من صهيل الفرس، وهو صوته. والمناصل: جمع المنصل، وهو السيف، والذوابل، جمع الذابل وهو الرمح.
يقول: إن هذه المرأة من أبناء الكرام ومن دون الوصول إليها هذه الأشياء.

أبلت مودتها الليالي بعدنا ومشى عليها الدهر وهو مقيد

يقول: أخلقت الليالي وتطاولها مودتها بعدي وبعدها، ومشى على ذلك الدهر فأفسدها بمشيه عليها وهو مقيد، وذلك لأنه إذا كان مقيداً كان أثقل وطئاً لاعتماده على الرجلين، وقصر خطوه، فيحطم الشيء إذا مشى عليه. وهي مبالغة مليحة وصنعة في الشعر حسنة.

أبرحت يا مرض الجفون بممرضٍ مرض الطبيب له وعيد العود

أبرحت: أي جاوزت الحد. يخاطب مرض الجفون، أو يكون المرض بمعنى المريض، فكأنه يقول: يا مرض الجفون الذي في عينيها، أو يا مريض الجفون، تجاوزت الحد، بممرض يعني: به نفسه، حتى مرض الطبيب له، ومرض عواده، فعادهم الناس، وإنما مرضوا رحمةً له واغتماماً لشدة حاله ورقةً عليه لما رأوا مابه من الهزال.

يقول: أمرض الأطباء حزنهم لقصورهم عن شفائه لعظم دائه.

فله بنو عبد العزيز بن الرضا ولكل ركبٍ عيسهم والفدفد

الهاء في فله: للممرض، وعنى به نفسه.

يقول: بنو عبد العزيز بن الرضا: الذين هم الممدوحين يكفوني لأني ألجأ إليهم في أحوالي وأجعلهم سبباً لإدراك آمالي، وكذلك أيضاً ركب هؤلاء، فمنهم عيسهم؛ لأن عطايا الأرض التي هي من ملكهم، يريد أنهم ملوك الدنيا، وأنه لا مقصود من الناس غيرهم.

وقيل إن معناه: إن هؤلاء لي ولغيري، ممن لا يقصدهم، ليس إلا العيس التي يركبونها والمفاوز التي يقطعونها، إذ لا يحصلون بقصدهم غيره إلا على الطلب، وأنا قد ظفرت بالمطلوب بقصدي إياهم.

من في الأنام من الكرام ولا تقل من فيك شأمٌ سوى شجاعٍ يقصد؟

من: للاستفهام، والمراد: الإنكار، وقوله: شأم: أي يا شأم، ومعناه: من في الأنام من الكرام سوى شجاع، ولا تقل من فيك يا شأم. يعني: أنه المقصود في الدنيا للخلق، فهو واحد الناس في الناس، لا واحد الشأم وبعض من الدنيا.

أعطى فقلت: لجوده ما يقتنى وسطاً فقلت: لسيفه ما يولد

يقتنى: أي يدخر. وسطاً: من السطوة، وهي القهر، والغلبة، والحملة في الحرب وما بمعنى: الذي.

يقول: بالغ الممدوح في الإعطاء حتى قلت: إن ما يقتنيه الناس من الأموال لجوده ليفرقها، وبالغ في سطواته حتى قلت: إن لسيفه كل ما يولد.

وتحيرت فيه الصفات لأنها ألفت طرائقه عليها تبعد

يقول: صارت صفات الواصفين متحيرة فيه لأنها يعني الصفات وجدت طرائق هذا الممدوح بعيدة عليها، ثم وصف بعض طرائقه فقال:

في كل معتركٍ كلىً مفريةٌ		يذممن منه ما الأسنة تحمد

الكلى: جمع الكلية. والمفرية: المقطوعة. ويذممن: فعل الكلى وتحمد: فعل الأسنة.

يقول: إن من طرائق الممدوح أنه شجاع، وله في كل موضع حرب كلى مقطوعة للقتلى، تذم الكلى المفرية من فعله، ما تحمد أسنة الرماح. وذلك الشيء هو الكلى.

نقمٌ على نقم الزمان تصبها		نعمٌ على النعم التي لا تجحد

نقم الزمان: نوائبه.

يقول: هذا الممدوح نقمة مصبوبة على نقم الزمان، وهي في الحقيقة نعم على النعم التي أنعم بها على الناس. يعني: إن الممدوح يدفع نوائب الزمان، فهو نعمة عليها وتلك نعمة على الناس، لأنهم يأمنون بها نوائب الدهر وهي نعمة متتابعة، مترادفة ولا يمكن أحد أن يجحدها لكثرتها وشهرتها.

في شأنه ولسانه وبنانه		وجنانه عجبٌ لمن يتفقد

يقول: في كل واحد من هذه الأربعة من الممدوح عجب لمن تأمله! ففي شأنه: أعجب عظماً، وكبر همة، وفي لسانه: فصاحة، وفي بنانه: كتابة وسخاء، وضرباً وطعناً، وفي جنانه: قوة ونجدة وذكاء وشجاعة، وعلماً وفطنة وغير ذلك.

أسدٌ، دم الأسد الهزبر خضابه		موتٌ، فريص الموت منه يرعد

الهزبر: من صفات الأسد، ويريد به المبالغة في الشدة. والفريص: بالفاء جمع فريصة، وهي لحمة تحت الكتف.

يقول: هو أسد عادته قتل الأسود، فدم الأسد القوي خضابه الذي يتخضب به عند قتله إياه، وهو أيضاً موت، لإفنائه الأعداء، وترعد منه: أي الموت يفزع منه.

ما منبجٌ مذ غبت إلا مقلةٌ		سهدت ووجهك نومها والإثمد

الإثمد: ما يجعل في العين مما ينفع.

يقول: ما هذه البلدة بفراقك إلا كمقلة سهرت شوقاً إليك فغاب عنها نومها وكحلها، فلما عدت إليها نامت فرحاً بقدومك؛ فعاد إليها نومها وكحلها ووجدت روحاً وسكوناً.

فالليل حين قدمت فيها أبيضٌ		والصبح منذ رحلت عنها أسود

يقول: إن الليل بقدومك هذه البلدة صار ضياء، كما كان ضوء النهار ظلاماً عند غيبتك عنها، وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي تمام:

وكانت وليس الصبح فيها بأبيضٍ فأمست وليس الليل فيها بأسود

ما زلت تدنو وهي تعلو عزةً حتى توارى في ثراها الفرقد

كل تاء تأنيث في البيت، وفيما قبله، وفيما بعده: كناية عن منبج، لأجل البقعة، والبلدة.

يقول: ما زلت تقرب منها وهي ترتفع تشرفاً بك، واعتزازاً بمكانك، حتى علت السماء فتوارى الفرقد في تراها وبقعتها.

أرضٌ لها شرفٌ سواها مثلها لو كان مثلك في سواها يوجد

يريد أن علوها لمكان الممدوح فيها.

فقال: إن هذه الأرض بلدة شريفة. سواها من الأرضين مثلها، لو كان مثلك موجوداً فيها.

أبدى العداة بك السرور كأنهم فرحوا وعندهم المقيم المقعد

بك: أي بسببك.

يقول: إنهم أظهروا السرور بك، وبقدومك، وفي قلوبهم من كراهة ذلك من الخوف والغم ما أقامهم وأقعدهم، فأضمروا العداوة في الباطن، وإن كانوا على توددٍ في الظاهر وعندهم من الغم المقيم المقعد.

قطعتهم حسداً أراهم ما بهم فتقطعوا حسداً لمن لا يحسد

قطعتهم: مبالغة في القطع.

يقول: جعلت العداة قطعاً؛ غيظاً وحسداً عليك، حتى أراهم حسدهم ما بهم من التقطع والذلة والنقص والمرض وتغير اللون، فتقطعوا حسداً لما فيك من الفضل، وأنت لا تحسد أحداً لأنك قد جمعت الفضائل الكلية، والحسد من دأب الناقصين، فأنت تحسد ولا تحسد أحداً.

حتى انثنوا ولو ان حر قلوبهم في قلب هاجرةٍ لذاب الجلمد

انثنوا: أي رجعوا. والجلمد: الحجر الصلب.

يقول: تقطعوا حسداً حتى رجعوا، وفي قلوبهم من الحر حسداً وكمداً؛ ما لو كان ذلك الحر في قلب هاجرة النهار، لذاب بحرارتها الحجر الصلب، وجعل للهاجرة قلباً لما ذكر قلوبهم لازدواج الكلام.

نظر العلوج فلم يروا من حولهم لما رأوك وقيل: هذا السيد

العلج: أصله حمار الوحش، وجمعه علوج. والمراد به: الكفار من أهل الروم.

يقول: لما رأوك الحساد دهشوا، وأظلمت الدنيا عليهم فزعاً منك، واستصغروا من حولهم من العساكر، استعظاماً لك من هيبتك، حتى أنهم لم يروا من حولهم من الخيل والحشم لاشتغالهم برؤيتك، ولأنك فقتهم حسناً وقيل لهم: هذا السيد.

بقيت جموعهم كأنك كلها وبقيت بينهم كأنك مفرد

يقول: لقيت جموع أولئك كأنك بوحدتك جملتهم، لموازنتك إياهم، وبقيت أنت بينهم مفرداً، لا نظير لك. وهذا تأكيد للمصراع الأول.

لهفان يستوبي بك الغضب الورى لو لم ينهنهك الحجا والسؤدد

لهفان: نصب على الحال من الغضب، وقيل بقيت لهفان، ويستوبي: من الوباء، وأصله الهمز فأبدله ضرورة، ومعناه: يفنى ويهلك، والغضب: فاعل يستوبي، والورى مفعوله ويجوز: أن يكون يستوبي: أي يوبي الغضب الذي بك. والباء في بك زائدة والورى: فاعله، والغضب مفعوله.

يقول: غضبك يكاد يهلك الناس، لو لم يكفك العقل والسؤدد، فبقيت لهفان بين الغضب المهلك، وبين العقل والسؤدد.

كن حيث شئت تسر إليك ركابنا فالأرض واحدةٌ وأنت الأوحد

أي كن في أي مكان شئت، فليس لنا، ولا لركابنا مسرى إلا إليك؛ لأن الأرض واحدة، وأنت مالكها. وإنك أنت أوحد، لا نظير لك ولا شبيه.

وصن الحسام ولا تذله فإنه يشكو يمينك والجماجم تشهد

لا تذله: أي لا تذله، فخفف.

يقول: صن سيفك واغمده ولا تذله فتفنيه من كثرة استعماله فإنه يفنى الحسام وتشكو يمينك، من كثرة ضرب الجماجم: وهي عظام الرءوس تشهد له بذلك، ومن حق السيف عليك أن تصونه ولا تهينه وهذا نظير قوله:

شم ما االتضيت فقد تركت ذبابة قطعاً وقد ترك العباد جذاذا

يبس النجيع عليه فهو مجردٌ من غمده فكأنما هو مغمد

النجيع: دم الجوف. وقيل: الدم الطري.

يقول: قد جف الدم على حسامك وهو مجرد عن غمده، لكنه من الدم اليابس عليه كأنه مغمد.

ريان لو قذف الذي أسقيته لجرى من المهجات بحرٌ مزبد

ريان: ضد عطشاً، وهو نصب على الحال. والمهجة: دم القلب.

يقول: هذا السيف ريان من الدماء؛ لكثرة ما أسقيته من دماء القتلى، فلو رمى ما أسقيته من الدماء لجرى منها بحرٌ، يعلوه الزبد لغزارته.

ما شاركته منيةٌ في مهجةٍ إلا وشفرته على يدها يد

التذكير الذي في البيت: للحسام، والتأنيث: للمنية. وشفرة السيف: حده.

يقول: ما شاركت المنية هذا السيف في نفس من الأنفس، إلا وحده على يد المنية يدٌ فتكون يده فوق يدها.ومثله لأبي تمام قوله:

مطلٌ على الآجال حتى كأنه لصرف المنايا في النفوس مشارك

غير أن المتنبي فضل السيف على المنية، وأبو تمام سوى بينهما.

وقيل: إنما شاركته المنية فزعاً منه؛ لأن السيف يدٌ على يدها، يمنعها ويعوقها.

إن الرزايا والعطايا والقنا حلفاء طيٍّ غوروا أو أنجدوا

حلفاء: جمع حليف، وهو الجار المحالف على الولاية، وطيٍّ: أراد طيئاً فخفف.

يقول: إن المصيبات، والعطيات، والرماح حلفاء طيىء، غير مفارقة عنهم، أينما حلوا نجداً أو غوراً، سهلاً أو جبلاً.

صح: يال جلهمة. تذرك، وإنما أشفار عينك ذابلٌ ومهند

جلهمة: قبيلة المدوح. والأشفار: يريد بها الأهداب هاهنا.

يقول: ناد أيها الممدوح وقل: يال جلهمة، تدرك، وقد أحاطوا بك برماحهم وسيوفهم، حتى كأن أشفار عينك سيف ورمح، لكثرة سيوفهم ورماحهم.

وفيه معنى آخر: وهو أنك إذا صحت بهم جاءوك واجتمعوا عندك، وهابوك، حتى كأن أشفار عينك إذا نظرت إليهم، ذابلٌ ومهند؛ لهيبتك في قلوبهم ولطاعتهم لك.

من كل أكبر من جبال تهامةٍ قلباً ومن جود الغوادي أجود

الجود: المطر الشديد، والغوادي: جمع غادية، وهي السحابة التي تنشأ غداة.

يقول: إن كل رجل منهم أكبر من جبال تهامة وأسخى من السحاب التي تأتي غدوة. وهذا يمكن أن

يكون متعلقاً بقوله: أشفار عينك ذابلٌ ومهند من كل رجلٍ أكبر من جبال تهامة. ويمكن أن يكون للقسمة والتبعيض، كما يقال: رأيت من الناس ذاهبٌ. أي من هو ذاهب.

يلقاك مرتدياً بأحمر من دمٍ ذهبت بخضرته الطلى والأكبد

أحمر: صفة لمحذوف، يعني: بسيف أحمر من دم.

يقول: الذي هو أكبر من جبال تهامة قلباً، يراك متقلداً بسيف أحمر، مما عليه من دماء الأعداء، صبغت خضرته وصقاله دماء الأعناق والأكباد، وسترها فيأتيك به.

حتى يشار إليك ذا مولاهم وهم الموالي والخليقة أعبد

يقول: حتى يطاعون لك منقادون لأمرك، ويشار إليك فيقال: ذا مولاهم أي سيدهم وهم مع ذلك سادات الناس كلهم، فأنت سيدهم، والخلق عبيدهم، فأنت سيد السادات.

أنى يكون أبا البرية آدمٌ وأبوك والثقلان أنت محمد

تقديره: كيف يكون آدم أبو البرية، وأبوك محمد، وأنت الثقلان.

يريد: إذا كنت أنت الثقلين، وأبوك محمد، فأبو البرية إذاً أبوك! لا آدم! والثقلان: الجن والإنس.

ومثله قول الآخر:

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

يفنى الكلام ولا يحيط بفضلكم أيحيط ما يفنى بما لا ينفد؟

أيحيط، استفهام: والمراد به الجحد. ويفنى وينفد بمعنى، فلذلك وضع أحدهما موضع الآخر.

يقول: يفنى كلام الشعراء في مدحكم فلا يحيط بفضلكم؛ لأن للكلام نهاية وليس لفضلكم نهاية، فكيف يحيط المتناهي بما لا يتناهى؟!.

وقال في أبي دلف وكان قد حبسه الوالي لشيء بلغه عنه، وأبو دلفٍ هذا سجانٌ حبس المتنبي عنده مدة سنتين وقد أهدى إليه هدية وهو في السجن:

أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد يا أبا دلف

أهون: أي ما أهون طول الثواء، وهذا إن بناه من الإهانة فهو من الشاذ. كقولهم: ما أعطاه للمال. لأن ما زاد على الثلاثة لا يبنى منه فعل التعجب، إلا بلفظ ثلاثي، فكأنه يقول: ما أشد الإهانة بطول الثواء والتلف.

وإن كان من هان يهون فهو صحيح يدل عليه ما بعده من الأبيات، وكان قد حبس في السجن،

وكان يتعهده رجلٌ يعرف بابن كنداج كنية أبي دلف، يأتيه بالطعام وغيره، فشغل عنه يوماً، فكتب إليه بهذه الأبيات يقول مخاطباً لأبي دلف: ماأيسر طول الثواء والهلاك علي، والسجن والقيد كل ذلك هين علي وهذا يدل على أنه كان محبوساً.

غير اختيارٍ قبلت برك بي   والجوع يرضي الأسود بالجيف

يقول: قبلت برك بي عن غير اختيار بل بالاضطرار الواقع، كما أن الأسد إذا جاع، ولم يظفر بفريسةٍ، يأكل الجيف اضطراراً! كذلك حالي، في قبول برك.

كن أيها السجن كيف شئت فقد   وظنت للموت نفس معترف

التوطين: جعل النفس وطناً.

يقول للسجن: كن كيف شئت علي، فإني قد وطنت نفسي للموت، توطين المعترف بالشيء، الراضي به، المقر بالموت، الذي سكن إليه. وقيل: المعترف الصابر. يعني: وطنت للموت نفسي نفس رجل صابرٍ على الشدائد.

لو كان سكناي فيك منقصةٌ   لم تكن الدر ساكن الصدف

يقول: لو كان كوني في السجن توجب منقصة وذلاً لكان كون الدر مع جودته وعلو قدره في الصدف الذي هو أخس حيوان البحر يوجب له النقص. فكما لا تؤثر خسة الصدف في قدر الدر، كذلك حالي في السجن. وهذا تسلية لنفسه.

وكان قوم ي صباه قد وشوا به إلى السلطان وكذبوا عليه وقالوا: قد انقاد له خلقٌ من العرب، وقد عزم على أخذ بلدك، حتى أوحشوه منه فاعتقله وضيق عليه، فكتب إليه يمدحه:

أيا خدد الله ورد الخدود   وقد قدود الحسان القدود

أيا: يحتمل أن يكون حرف نداء، والمنادى محذوف، وتقديره: أيا قوم. ويحتمل أن يكون افتتاح الكلام. مثل أما وألا وخدد: أي شقق. وقد: أي قطع، وأصله القطع طولاً. والقدود: جمع القد، وهو القامة.

قال يدعو على ورد الخدود والقدود الحسنة، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون على عادة العرب، في أنهم إذا استحسنوا شيئاً وتعجبوا منه دعوا عليه! نحو قولهم: قاتل الله فلاناً ما أفصحه!.

والثاني: أن يحمل على حقيقة الدعاء عليها. فيقول: شقق الله ورد الخدود وقطع قدود الحسان قدوداً،

فإني قد لقيت منها بلاءً وجهداً، وقاسيت منها مشقة، ويدل عليه قوله فهن أسلن دما مقلتي ومثله لجميل:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من أنيابها بالقوادح

فهن أسلن دماً مقلتي وعذبن قلبي بطول الصدود

يقول: هن أسلن من مقلتي دماً؛ من بكائي عليهن، وعذبن قلبي بطول إعراضهن عني. وروى مهجتي أي قتلنني وسفكن دمي.

وكم للهوى من فتىً مدنفٍ وكم للنوى من قتيلٍ شهيد

المدنف: الذي طال مرضه. يعتذر من قوله فهن أسلن دماً.

فيقول: ما أنا بأول عاشقٍ قتل شهيداً، فكم للهوى من فتىً قد دنف وصار إلى شرف الموت، وكم للنوى من قتيلٍ شهيدٍ مثلي، قد قتله الحب، كما قتلني شهيداًز

فواحسرتا ما أمر الفراق وأعلق نيرانه بالكبود

يقول: واحسرتا على نفسي من مفارقة الأحباب، فما أمر الفراق وأشد مرارته! وما أشد علق نيران الفراق بالكبود! وجمع الكبود ذهاباً إلى العموم، فكأنه قال: ما أعلق نيرانه بكبود العشاق. وروى: وأحرق نيرانه بالكبود.

وأغرى الصبابة بالعاشقين وأقتلها للمحب العميد!

قوله وأغرى: تعجب من غرى بالشيء إذا ولع به. والصبابة: رقة الهوى. والعميد: المصاب عمود قلبه.

يقول: ما أولع الصبابة والشوق بالعشاق، وما أقتلها للمحب المصاب قلبه! يتعجب من ولع الهوى وقتله للعشاق.

وألهج نفسي لغير الخنا بحب ذوات اللمى والنهود

ألهج: أي أعرض، وأولع. واللمى: حمرة الشفة تضرب إلى السواد. والنهود: نتوء الثدي.

يقول: ما أولع نفسي بحب النساء، لمى الشفاة، نواهد الثدي، الموصوفات بالحسن والجمال، لا الخنا: الذي هو داعية الزنا، لكن لأجل النظر فقط.

فكانت وكن فداء الأمير ولا زال من نعمةٍ في مزيد

أي كانت نفسي المذكورة، وذات اللمى والنهود فداء الأمير الممدوح. على وجه الدعاء، ثم ذكر دعاءً آخر فقال: ولا زال الأمير من الله تعالى في زيادة تامة من النعمة.

لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود

الوعود: جمع الوعد، وهو مصدر وعد. فيكون بمعنى: الوعد.

يقول: حال الأمير بسيفه دون الوعيد، فيقتل قبل أن يوعد، وحالت عطاياه دون الوعد؛ فيعطي قبل أن تعد. فالأول: يدل على فضل قوته، والثاني: على فضل سخائه وجوده.

فأنجم أمواله في النحوس وأنجم سؤاله في السعود

أنجم أمواله منحوسةٌ لتفريقه إياها، وأنجم سؤاله مسعودة لاستغنائهم بما يبذله لهم من الأموال ويفرقه بينهم.

ولو لم أخف غير أعدائه عليه لبشرته باللود

يقول: لو كان الخوف على الممدوح من أعدائه وحدهم، لكنت في أمنٍ دونهم، فبشرته بدوام الحياة غير إنما أخاف عليه من غير أعدائه، وهو الله تعالى، ذو القضاء المبرم في جميع الناس. والغرض هو الاستخفاف بأعدائه. وروى: عين أعدائه يعني: أن يصيبوه بعيونهم السيئة.

رمى حلباً بنواصي الخيول وسمر يرقن دماً في الصعيد

الصعيد: التراب الخالص. وقيل: هو ظاهر الأرض.

يقول: رمى حلباً بوجوه خيله، لما حاربها برماح له، تريق دماء أعدائه في الصعيد: أي التراب.

وبيضٍ مسافرةٍ ما يقم ن لا في الرقاب ولا في الغمود

يقول: رماها بسيوفٍ مسافرةٍ، غير مستقرة في رقاب الأعداء ولا في غمودها؛ لأنها تتقدم من رقاب إلى رقاب، ومن قتيل إلى قتيل، فليس لها قرار؛ لكثرة ما تستعمل في الضرب فكأنها مسافرة غير مقيمة في غمد أو عنق.

يقدن الفناء غداة اللقاء إلى كل جيشٍ كثير العديد

يقدن: فعل السيوف التي لا تقيم في غمد، أو عنق. يقول: يقدن أي يسقن الفناء غداة اللقاء للحرب، إلى كل جيش كثير العدد؛ فهذا فعلهن وسفرهن.

فولى بأشياعه الخرشني كشاءٍ أحس بزأر الأسود

الخرشني: هو والي حلب، وخرشنة. هو الحصن في بلاد الروم.

يقول: ولي الخرشني الذي حاربه الأمير بأصحابه وأشياعه، كانهزام الشاة عند ما تحس بصوت الأسد.

يرون من الذعر صوت الرياح صهيل الجياد وخفق البنود

يقول: انهزموا عنه، وخافوه، حتى ظنوا صوت الرياح أنه صهيل خيوله وخفق أعلامه، وأنهم إذا رأوا شيئاً ظنوه رجلاً ومثله قول جرير:

ما زلت تحسب كل شيءٍ بعدهم خيلاً تكر عليهم ورجالا

والأصل في ذلك قوله تعالى: "يحسبون كل صيحةٍ عليهم هم العدو".

فمن كالأمير ابن بنت الأمي ر أم من كآبائه والجدود؟

من: استفهام. ومعناه النفي.

يقول: ليس أحد مثل الأمير وليس أحد كأبيه وأجداده، وهو أيضاً كريم من جهة الأمهات.

سعوا للمعالي وهم صبيةٌ وسادوا وجادوا وهم في المهود

يقول: إن الممدوح وأباءه وأجداده قد سعوا في طلب المعالي في حال صباهم، وسادوا غيرهم، وجادوا بأموالهم، وهم أطفال في المهود، والغرض المبالغة في سؤددهم وكرمهم. وروى: وشادوا أي بنوا المجد ورفعوه.

أمالك رقىً ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد

الواو في قوله: ومن شأنه، واو الحال. ويجوز: أن يكون واو العطف، ومن في موضع النصب، وتقديره إذاً يكون: يا مالك رقىً ويا من شأنه هبات الفضة وإعتاق العبيد.

دعوتك عند انقطاع الرجا ء والموت مني كحبل الوريد

حبل الوريد: عرق في العنق، يتصل بالقلب.

يقول: دعوتك لما انقطع الرجاء من الحياة، وقرب الموت مني، كقرب حبل الوريد.

دعوتك لما براني البلى وأوهن رجلي ثقل الحديد

براني: أي أنحلني، وقطعني، والبلى: مصدر بلى الشيء. وروى: لثقل الحديد.

يقول: دعوتك عند الشدة، وعظم أثر القيد برجلي!

وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود

يقول: قد كان مشى رجلي قبل ذلك في النعال، وصار الآن مشيهما في القيود! فلا عهد لي بالقيود قبل هذه الحالة!

وكنت من الناس في محفلٍ فها أنا في محفلٍ من قرود

لصوصٌ أطاعوا أبا مرةٍ بترك الركوع وترك السجود

كأني قرنت بهم في الجح يم أرى كل يومٍ وجوه اليهود

يقول: كنت إلى الآن في محفل من كرام الناس، وأنا الآن في محفل من القرود! وأراد بهم الأوباش وأصحاب الأهواء ثم بين فقال: هم لصوص وأطاعوا إبليس بترك الصلاة. وأبو مرة: كنية إبليس.

تعجل في وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود !

وروى تعجل: فيكون متعدياً، أصله تتعجل أيها الأمير، فعلى هذا وجوب يكون منصوباً، والأولى تعجل بفتح اللام على الفعل الماضي اللازم ويجوز رفع وجوب الصلاة علي وحدي. قال ابن جنى: إنه لم يكن صغيراً لكن صغر نفسه عند الأمير ألا ترى أن من كان صبياً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف والظاهر بخلاف ذلك، وما بعده يدل على أنه كان صغيراً، ومثله لابن الرومي:

أم لذنبٍ ينوب عني فلم يأن اكتساب الذنوب للأطفال

وقيل عدوت على العالمين بين ولادي وبين القعود

عدوت: أي ظلمت يقول: قيل عدوت على العالمين بما نويت، وأنا بين أولادي وقعودي ومن كان طفلاً مثلي. فكيف يصح منه ما نسب إليه؟!

فما لك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود؟ !

يقول: مالك تقبل على الكذب وهذه الشهادة كشاهديها في الحقارة، فكما لا قدر للشهود لحقارتهم فكذلك شهادتهم.

فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بمحك اليهود

بمحك اليهود: أي العداوة وشدة الحاجة. وروى: بمحل اليهود: وهو السعاية.

يقول: لا تسمع من الكاذبين كذبهم علي، ولا تبال بعداوة اليهود وسعايتهم بي، فإن شهادة اليهود على المسلمين غير مقبولة؛ لما بينهم من العداوة، والظاهر أنهم كانوا يهوداً. وقال ابن جنى: إنهم لم يكونوا يهوداً ولكن كني عنهم باليهود لذلتهم وحقارتهم وقلتهم، وظاهر البيت يدل على خلاف ذلك.

وكن فارقاً بين دعوى: أردت ودعوى :فعلت بشأوٍ بعيد

يقول: إن القوم إنما شهدوا علي، بأني أردت أن أهجوك وأخرج عليك، ولم يشهدوا أني فعلت ذلك، ولا نستحق الحبس والحد على العزم والنية ما لم يفعل، فكن فارقاً بين الواقع والمستقبل بمفرق بعيد، فإن بين الأمرين بوناً بعيداً.

وفي جود كفيك ما جدت لي بنفسي ولو كنت أشقى ثمود

يقول: لو كان ما زعموا! فإن في جود كفيك لي رجاءٌ أن تعفو عني، وتجود بنفسي وتترك قتلها، على عظم ذنبي، ولو كنت في ذنبٍ عظيم. أشقى ثمود: الذي عقر ناقة صالح عليه السلام. واسمه قدار بن سالف.

وقال إجابة لمعاذ الصيدواني وهو يعذله على تهوره:

أيا عبد الإله معاذ إني خفيٌّ عنك في الهيجا مقامي

هو: أبو عبد الله معاذ الصيدواني، وضم معاذ على نكرة الندا كأنه يقول: أيا عبد الله. يا معاذ. وكان معاذ هذا يلومه على تعرضه للحروب في الأسفار. فقال له: إنه خفي عنك مقامي في الحروب واستقلالي بها، وارتقائي إلى معالي الأمور.

ذكرت جسيم ما طلبي وأنا نخاطر فيه بالمهج الجسام

يقول: ذكرت عظيم ما أطلبه من الأمور، وأنا نخاطر في جسيم ما تطلبه، بالمهج والأرواح العظام، ولم تعرف أنا لا نبال باللوم والملام.

أمثلي تأخذ النكبات منه ويجزع من ملاقاة الحمام؟

يقول: أمثلي تتناول النكبات منه، وتؤثر فيه! وهل أجزع من ملاقاة الموت؟ حتى تعذلني على بذل نفسي.

ولو برز الزمان إلي شخصاً لخضب شعر مفرقه حسامي

يقول: لا أبالي بنكبات الزمان، فإنه لو برز إلي وكان شخصاً لضربته بسيفي، وخضبت شعر وسط رأسه بدمه. والمفرق: وسط الرأس.

وما بلغت مشيتها الليالي ولا سارت وفي يدها زمامي

اليد والزمام: استعارة.
يقول: ما بلغت أني أطيعها، ولا يمكنها أن تؤثر في.

إذا امتلأت عيون الخيل مني | فويلٌ في التيقظ والمنام

يقول: إذا رأتني الخيل. يعني: أهلها. وأراد هاهنا محبها أي الفرسان ملء أعينها، فويلٌ لهم في حالتي التيقظ والمنام؛ لأنهم إذا رأوا خيالي في المنام، يذهب نومهم خوفاً مني، وإذا تعرضت لهم في اليقظة أقتلهم وأصله من قول الشاعر:

على عدوك يابن عم محمدٍ | رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته وإذا هدى | سلت عليه سيوفك الأحلام

وقال لرجل بلغه عن قوم كلاماً فيه:

أنا عين المسود الجحجاح | هيجتني كلابكم بالنباح

يقال: هذا عين الشيء. أي نفسه، وخالصه. والمسود: هو المتفق على سيادته. والجحجاح: السيد.
وروى: هيجتني: أي حركتني، وأغضبتني. وهجنتني: نسبتني إلى الهجنة والعار.
يقول: أنا عين المدعو سيداً، غير أن كلابكم: أي خساسكم من الشعراء وغيرهم نسبتني إلى الهجنة أو حركتني وأغضبتني بالنباح، أي بأشعارهم أو بكذبهم علي وتعيرهم لي فكأنه جعلهم كلاباً.

أيكون الهجان غير هجانٍ | أم يكون الصراح غير صراح

الهجان: الكريم، الخالص. والهجين: ضده. والصراح: الخالص.
يقول: أنا هجانٌ كريم، والهجان هجانٌ أبداً، وإن دعي هجيناً، والخالص خالصٌ، وإن نسب إلى ضده، ويحتمل أن يكون غير الكريم في معنى الهجين، فيكون صفةً للطاعنين فيه. ومعناه: أن من يكون غير كريم فلا يكون كريماً وإن دعي كريماً. يعني: أعداءه، ومن يكون خالصاً فلا يكون غير خالص. وأراد به نفسه.

جهلوني وإن عمرت قليلاً | نسبتني لهم رءوس الرماح

يقول: جهلوا قدري ونسبي، ولو عشت قليلاً عرفت إليهم نفسي حتى تنسبني إليهم رءوس الرماح فيعرفونني بطعني لهم بها.
وقال أيضاً ارتجالاً وقد سئل الشرب ففضل معاطاة الحراب على معاطاة الشراب:

ألذ من المدام الخندريس | وأحلى من معاطاة الكئوس

المدام: الخمر. سمي به لأنها أديم في الدن. والخندريس: هي الخمر العتيقة من أعوام.

معاطاة الصفائح والعوالي   وإقحامي خميساً في خميس

الصفائح: جمع الصفيحة، وهي السيف العريض. والعوالي: رءوس الرماح. والخميس: العسكر.
يقول: ألذ من شرب الخمر العتيقة ومناولة الكئوس، مناولة السيوف والرماح، وسقى الدماء من الجراح، وإدخال جيش في جيش، كل ذلك ألذ وأحلى عندي من شرب الخمر العتيقة.

فموتي في الوغى عيشي لأني   رأيت العيش في أرب النفوس

لما فضل الحرب على الشرب بين علة التفضيل.
فقال: موتي في الحرب عيش في الحقيقة لبقاء الذكر الجميل؛ لأني رأيت العيش وكماله في حاجات النفوس، وحاجتي حصول عيش الأبد، وذلك في الموت لبقاء الذكر الجميل بعدي.

ويجوز أن يريد أن الحرب في سبيل الله حياة لي لكوني من الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله فكنت حياً بما أنا فيه من الثواب.
قال ابن جنى: قلت له كيف ذلك؟ فقال الآية: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون".

ولو سقيتها بيدي نديمٍ   أسر به لكان أبا ضبيس

نصب أبا ضبيس؛ لأنه خبر كان، واسمه: ضمير النديم وهو صديقه الذي دعاه إلى الشرب. وقيل: إنه كان صاحب المجلس والدعوة.
يقول: لو سقيت الخمر بيدي نديم لي فيه سرور وأنس لكان ذلك النديم أبا ضبيس يعني لكنت لا أشرب إلا من يده.
وقال له بعض الكلابيين: أشرب هذا الكأس سروراً بك فأجابه ارتجالاً:

إذا ما شربت الخمر صرفاً مهنئاً   شربنا الذي من مثله شرب الكرم

يقول: إذا شربت الخمر صرفاً أي غير ممزوج مهنأً بشربه. شربت أنا الماء الذي شرب الكرم من مثله.
وقيل: إن الكرم إذا غرس صب في مغرسه الدم فيقوى بذلك.
يقول: إذا شربت أنت الخمر شربت أنا الدم الذي شرب الكرم منه، ويدل عليه ما بعده وهو:

ألا حبذا قومٌ نداما هم القنا   يسقونها رياً وساقيهم العزم

يقول حبذا قوم، نداماهم الرماح، يسقون رماحهم دماء أعدائهم ريا: أي قدر ما تروى به ويكون ساقيهم العزم.

طربه لصليل السيوف لا لقرع الكئوس.

وقال أيضاً ارتجالاً:

لأحبتي أن يملئوا بالصافيات الأكوبا

وعليهم أن يبذلوا وعلي ألا أشربا

حتى تكون الباترا ت المسمعات فأطربا

الأكواب: جمع الكوب، وهو الإبريق بلا عروة.

يقول: لأحبائي أن يملئوا كئوسهم خمراً، ويعرضوها علي، ولكن علي ألا أشربها حتى تصير السيوف القاطعات المغنيات في العظام، فإذا سمعت هذا الغناء فأشرب وأطرب عند ذلك! ويجوز في الباترات: الرفع، على أن تجعل يكون فعلاً حقيقياً، وإن جعلته ناقصاً يجب رفع الباترات، ونصب المسمعات خبراً لها.

وقال أيضاً يصف مجلساً لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه ليلاً إلى جانب المصباح:

أما ترى ما أراه أيها الملك كأننا في سماءٍ مالها حبك

أي ما أراه أيها الملك كائناً في مجلسك، في سماءٍ ليس لها طرائق، ولما شبه مجلسه بالسماء بين بعد ذلك وجه التشبيه فقال:

الفرقد ابنك والمصباح صاحبه وأنت بدر الدجى والمجلس الفلك

الهاء: في صاحبه للفرقد. وهما فرقدان.

يقول: ابنك أحد الفرقدين، والمصباح الفرقد الثاني، وأنت بدر الدجى؛ لما لك من الفضل، والمجلس هو الفلك الذي يجوز هذه الأشياء. شبه ابنه بأحد الفرقدين والمصباح بالثاني، والأب بالبدر، والمجلس بالفلك فجمع فيه أربع تشبيهات. ومثله للمخزومي:

كأن سعيداً وأبناءه نجومٌ وبدرٌ إذا ما اتسق

يفتخر بشعر على أبي بكر الطائي وكان قد نام ساعة إنشاده قال: ونام أبو بكر الطائي وأبو الطيب ينشده فأنبهه:

إن القوافي لم تنمك وإنما محقتك حتى صرت ما لا يوجد

أي أنها لم تنمك بل أهلكتك حتى صرت غير موجود! والغرض أنه لو كان من المميزين لم ينم من شعره.

فكأن أذنك فوك حين سمعتها وكأنها مما سكرت المرقد

المرقد: الدواء المنوم، وقوله مما سكرت في معنى المصدر، كأنه قال: من سكرك.
يقول: كأن أذنك حين سمعت القوافي، فوك. وكأن ما أنشدته لك من الشعر، هو الدواء المرقد، فشربته وسكرت، لأن نومك من القوافي، لا من الخمرة وروى لما سكرت.
وقال يتغزل أيضاً:

كتمت حبك حتى منك تكرمةً ثم استوى فيك إسراري وإعلاني

يقول: كتمت حبك حتى كتمته منك تكرمة لك، إذ في إظهاره فضيحة المحبوب، أو تكرمة لنفسه من الاستكانة للنساء، ثم أطلق كتمانه، فظهر بما دل عليه من الأمارات، كالبكاء والنحول وغير ذلك، فاستوى فيه إسراري وإعلاني؛ لأن السر في الظهور كالعلانية. ويجوز أن يكون المراد به أنهما استويا في الكتمان، والمقصد أنه لم يظهر قط، بل بقي كما كان من الإسرار.

كأنه زاد حتى فاض عن جسدي فصار سقمي به في جسم كتماني

الهاء في كأنه: ضمير الكتمان، ودل عليه قوله: كتمت. ويجوز أن يكون راجعاً إلى الحب، أي زاد حبي حتى أسقم كتماني؛ فضعف عن حمل الكتمان. والكناية في به: ترجع إلى الحب.

يقول على المعنى الأول: كأن الكتمان زاد في جسدي، حتى فاض عنه وظهر، فصار سقمي بسبب الحب الذي كان في جسمي كتمان. يعني: أن جسمي كان سقيماً، فلما ظهر الحب زال عني السقم إلى جسم الكتمان، فصار الكتمان سقيماً؛ لأن إفشاء السر سقم الكتمان.
وعلى الثاني: أن الكتمان زاد حتى فضل عن جسدي، فصار سقمي بسبب الحب، منكتماً في جسم كتمان.
كأنه يقول: كان الكتمان في جسمي، فصار الآن جسمي في الكتمان، فلكون جسمي في جسم الكتمان صار سقمي فيه، وكان الكتمان ظرفاً لي، بعد ما كنت ظرفاً له.
وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي:

هذي برزت لنا فهجت رسيساً ثم انصرفت وما شفيت نسيساً !

يجوز أن يريد يا هذي فحذف حرف النداء للضرورة، ويجوز أن يكون إشارة إلى المرة الواحدة من برزت، فتكون هذه موضوعة موضع المصدر، كأنه يقول: هذه البرزة برزت لنا. والرسيس حنين الحمى وهيجانها، والنسيس: العطش. وقيل: هو الاختلاج. وقيل: هو بقية المرض. وقيل: بقية النفس. يقول للمحبوبة: يا هذه: برزت لنا هذه البرزة الحسنة فهيجت لنا الهوى وحرارة القلوب ثم انصرفت عنا ولم تشف بقية نفوسنا التي أبقيت لنا، وبقية مرضنا الذي هيجت لنا ببروزك وما شفيت اختلاج عيوننا ولا سكنت لنا عطشاً.

وجعلت حظي منك حظي في الكرى ... وتركتني للفرقدين جليسا

هذا تفسيره على وجوه: أحدها: جعلت حظي من رؤيتك وصلك في النوم، فكما لا حظ لي منك، لا حظ لي من النوم.

والثاني: جعلت حظي منك في النوم. يعني: لا أراك إلا في النوم.

والثالث: جعلت حظي منك بلا حقيقة ولا حاصل لي، كحظي من الأحلام التي أراها في النوم! ثم قال: وتركتني جليس الفرقدين، ولا أنام من طول الفكر.

قطعت ذياك الخمار بسكرةٍ ... وأدرت من خمر الفراق كئوسا

ذياك: تصغير ذاك. يقول: كنا في خمار مع قربك، بما كنا نقاسي من بخلك بالوصل، فالآن أزلت ذلك الخمار بسكرة الفراق، فكنا نستعظم ذلك الخمار، فصار ما كنا نستعظمه صغيراً في جنب سكرة الفراق! وصغر الخمار بقوله: ذياك لأنه صغير في مقابلة السكر، ولهذا قال: وأدرت من خمر الفراق كئوساً. فحدث عنها هذه السكرة. أو صغره ليبين أن مدة قربها قصرت بالإضافة إلى مدة الفراق، أو يكون أراد به التعظيم كقول لبيد:

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهة تصفر منها الأنامل

إن كنت ظاعنةً فإن مدامعي ... تكفي مزادكم وتروي العيسا

المزاد: الوعاء الذي يجعل فيه الزاد، وأراد به ها هنا سقاء الماء، لأنه من الزاد.

يقول: إن كنت مرتحلة فلا تأخذي الماء فإن دموعي تكفي مزادكم وتروي إبلكم من كثرة ما أصب من دموعي. وقيل: إنه من كفأت الإناء: إذا قلبته. أي أن مدامعي تقلب مزادكم وتريق الماء، لأن دموعي تقوم مقام المزاد فلا تحتاجون إليه.

حاشى لمثلك أن تكون بخيلةً ... ولمثل وجهك أن يكون عبوسا

ولمثل وصلك أن يكون ممنعاً ولمثل نيلك أن يكون خسيسا

كان الوجه أن يقول: حاشى لمثلك أن يكون بخيلاً؛ لأن لفظ مثل مذكر، إلا أنه حمل على المعنى.

يقول: معاذ الله أن تكوني بخيلة بالتقبيل عند الوداع، ولمثل وجهك أن يكون عابساً في تلك الحال، كأنه أراد بهذه العبارات اللطيفة، أن يقول: ودعيني وقبليني ولا تبعسي وجهك، وحاشاك أن تكوني مانعةً من الوصل، وأن يكون نيلك خسيساً حقيراً. وكني عن إكثار النيل وبذل الوصل من غير منع بأحسن عبارة.

خودٌ جنت بيني وبين عواذلي حرباً وغادرت الفؤاد وطيسا

الخود: الناعمة. والوطيس: معركة الحرب. وقيل: هو تنور من حديد.

يقول: هي ناعمة وقد أوقعت حرباً بيني وبين عواذلي في حبها؛ لأنهن يلمنني وأعصيهن، فحدثت مقاتلة فؤادي معركة الحرب بيني وبين عواذلي. وقيل: أراد أنها لما أوقعت بيننا القتال وتركت فؤادي موقداً بالنار بما فيه من حرارة التوقد والوجد والعشق فصار كالتنور.

بيضاء يمنعها تكلم دلها تيهاً ويمنعها الحياء تميساً

روى يمنعها التكلم فيكون التكلم منصوباً بيمنع. وروى تكلم فيكون فعل مضارع، والأصل: تتكلم. فحذف إحدى التاءين تخفيفاً. ومعناه: أن تتكلم، غير أنه حذف أن في اللفظ، وهو منوى في العنى. فنصب، وكذلك في تميس فلهذا نصب.

يقول: إنها بيضاء ناعمة يمنعها دلها أن تتكلم من تيهها وتكبرها.

لما وجدت دواء دائي عندها هانت علي صفات جالينوسا

يقول: لما وجدت لدائي الذي هو الهوى الدواء عند المحبوبة وهو الوصل هانت عندي صفات جالينوس في طبه. ومثله للأخوص:

وكنت إذا سقمت بأرض سعدى شفائي من سقامي أن أراها

أبقى زريقٌ للثغور محمداً أبقى نفيسٌ للنفيس نفيساً

يقول: أبقى أبو زريق ابنه محمداً للثغور، أبقى نفيسٌ: وهو الثغر. نفيساً: وهو محمد.

إن حل فارقت الخزائن ماله أو سار فارقت الجسوم الروسا

روى الروسا: بالألف واللام غير مهموزة، وروى رءوساً من غير ألف ولام، فيكون مهموزاً، وهو الأصل، والأولى التخفيف.

يقول: إن حل هذا الممدوح بموضعٍ أو بمقر غرةً فارقت خزائنه: أي ماله. لتفريقه إياه على السؤال وغيرهم. وإذا سار فارقت جسوم أعدائه رءوسها؛ لقتله إياهم، فلا يسير إلا للمقاتلة. فوصفه بالسخاء والشجاعة.

ملكٌ إذا عاديت نفسك عاده ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا

يقول: هو ملك، إذا عاديت أيها الإنسان نفسك، تعاده! وكذلك إذا رضيت أن يكون أنيسك أوحش ما تكرهه، يعني: إن لم يقتلك ويقتصر على الحبس، كنت راضياً بذلك؛ والسجن أوحش ما كرهه الإنسان. وقيل: أراد به الموت؛ لأنه أوحش ما كرهه الإنسان.

الخائض الغمرات غير مدافعٍ والشمري المجعن الدعيسا

الخائض وما بعده: نصب على المدح. كأنه قال: أعني أو أذكر أو أمدح. والشمري: المشمر. وقيل: هو في هذا الموضع فارس شمر وهو فارس معروف. والدعيس: الطعان الذي يطعن في موضعٍ مرتين.

يقول: هو ملك يخوض الشدائد، ولا يدافع عنها، وهو الطعان الحاذق بالطعن والفارس المشمر الخفيف في الحرب.

كشفت جمهرة العباد فلم أجد إلا مسوداً جنبه مرءوسا

جمهرة العباد: جماعتهم. وقيل: أكثرهم. والمسود: الذي ساده غيره.

والمرءوس: الذي رأسه غيره. وقوله: جنبه. نصب على الظرف. يعني: في جنبه. وبالإضافة إليه.

يقول: فتشت جماعات العباد، فلم أجد بينهم بالإضافة إلى الممدوح إلا مسوداً أو مرءوساً، فكل رئيس في جنبه مرءوس، وكل سيد مسود؛ لأنه سيد السادات، ورئيس الرءوساء.

بشرٌ تصور غايةً في آيةٍ تنفي الظنون وتفسد التقييسا

يقول: إنه إنسان، بلغ الغاية من المكرمات، حتى صار فيها آيةً معجزة، بحيث تنفي تلك الآية والدلالة الظنون، فلا تحيط به الظنون وتفسد قياس من يقاس إليه من الناس، فلا يمكن قياس أحد إليه.

وقيل: إن الظنون من الظنة: وهي التهمة. والمعنى: أنه لما صار آية في المكرمات، تنكر الناس فيه، أنه بشر! لما رأوه بهذه الصفة، فنفى هذه التهمة عنهم، وهي أن يتهم بما لا يليق به، كما نسب إلى السيد المسيح، فهو ينفي ذلك عن نفسه ويفسده قياس الناس في ذلك.

وبه يضن على البرية لا بها		وعليه منها لا عليها يوسى

التذكير: للمدوح. والتأنيث: للبرية. ويوسي: من آسيت على الشيء. أي حزنت عليه. وتقديره: وبه يضن بالبرية عليه، وعليه يوسي من البرية، ولا يوسي عليها منه.

يقول يضن: أي يبخل به على الخلق، ولا يبخل بالخلق عليه، أي يجعل الناس فداء له، ولا يجعل فداء لهم. ويقال: إنه خير من البرية كلهم، وهم دونه، والشيء يبخل به ولا يبذل بما دونه، أو يوحش البرية في رضاه، ولا يوحش هو لرضى البرية.

أو يقال: يتهم البرية به فلا يوثق بالبرية، ولا يتهم هو من البرية. وقوله: وعليه منها أي عليه يوسى أي يحزن، ومنها أي من البرية إذا هلك أو أصابه مكروه، لا عليها يحزن إذا هلكت. والمعنى: أنه يبخل به على البرية، ولا يبخل بهم عليه؛ لأنهم لا يسدون مسده. ويجوز أن يريد يحزن عليه لكونه من البرية، ولأنه أشرف منها، فإذا عد منها فقد يخرجه، فيحزن عليه لذلك، ولا يحزن على البرية لكونه منها، وإنه يرفعها ويشرفها، فكونه منها يضعه ويرفعها فيحزن عليه ولا يحزن عليها بسببه.

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه		لما أتى الظلمات صرن شموسا

أو كان صادف رأس عازر سيفه		في يوم معركةٍ لأعيا عيسى

يقول: لو استعمل ذو القرنين رأى هذا الممدوح، وكان له مثل الظلمات، لكانت بنور رأيه شموساً. وأضاءت له؛ لأن رأيه أضوأ من الشمس. وعازر: هو الذي أحياه الله تعالى على يد المسيح أو أصاب رأسه سيفه ومات، لأعيا عيسى أن يحييه ويشق عليه إحياءه بعد موته.

أو كان لج البحر مثل يمينه		ما انشق حتى جاز فيه موسى

أي: لو كان لج البحر الذي انشق لموسى عليه السلام، مثل يمين هذا الممدوح، ما انشق حتى جاز فيه موسى بمن معه.

أو كان للنيران ضوء جبينه		عبدت فكان العالمون مجوسا

يقول: لو كان للنار نور جبين هذا الممدوح، لعبدها أهل الدنيا كلهم! وصاروا بأجمعهم مجوساً! والغرض وصفه بالحسن والبهاء.

لما سمعت به سمعت بواحدٍ		ورأيته فرأيت منه خميسا

يقول: لما سمعت بذكره، سمعت بواحدٍ من الناس، فلما رأيته رأيت عسكراً عظيماً، وإن كان في نفسه واحد، لقيامه مقام الجماعة.

ولحظت أنمله فسلن مواهباً ولمست منصله فسال نفوسا

يقول: لما رأيت أنامله وجدها تسيل منها المواهب، ولما لمست سيفه وجدته يسيل منه الدماء!

يا من نلوذ من الزمان بظله أبداً ونطرد باسمه إبليسا

المعنى: يا من نلجأ إلى ظله إذا جار علينا الزمان، وإذا تعرض لنا إبليس طردناه باسمه؛ لأن اسمه محمد، وبه يطرد إبليس. قيل: إنه أراد أنه في هيئة بمثابة أن يطرد به إبليس، مع كثرة ضرره بالناس، وقيل: أراد بإبليس، كل من تتأذى به الأنفس فهو إبليس.

صدق المخبر عنك دونك وصفه من بالعراق يراك في طرسوسا

يقول: صدق المخبر الذي أخبرني عنك. ثم وصفه بقوله: دونك، أي وصف ذلك المخبر دون ما أنت عليه وأنت فوق ما وصفه. ثم قال: من بالعراق يراك في طرسوسا التي أنت فيها فكأنهم في فضلك وشهرتك رأوك وشاهدوك، وأراد بذلك بعد صيته وذكره، لا يستقر بل تسير به الركبان، أو يكون كناية عن وصول عطاياه إلى البلدان. وقول الحكمي أبلغ وأحسن من هذا؛ وهو:

ملكٌ تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكان

لأنه عم جميع الأماكن، والمتنبي اقتصر على العراق وطرسوس.

بلدٌ أقمت به وذكرك سائرٌ يشنا المقيل ويكره التعريسا

أصله: يشنأ بالهمز، فخفف، وأبدل منه الألف. والمقيل: من القيلولة، أو مكانها. والتعريس: يكون في وجه الصبح.

يقول: إن طرسوس بلدٌ أقمت به وذكرك سائرٌ ليلاً ونهاراً، لا مقيل له بالنهار، ولا تعريس له بالليل.

فإذا طلبت فريسةً فارقته وإذا خدرت تخذته عريسا

خدر الأسد: إذا غاب في الأجمة. والعريس والعريسة: مأوى الأسد.

يقول: إذا غزوت فارقت هذا البلد، كما يفارق الليث عريسه، وإذا عدت إلى البلد اتخذته مأواك؛ لما شبهه بالأسد جعل مأواه عريسا.

إني نثرت عليك دراً فانتقد كثر المدلس فاحذر التدليسا

يقول: إني نثرت عليك من شعري دراً، فانتقده وميزه من شعر غيري، واحذر من المدلس: الخائن. أن يدلس عليك بشعرس يقيمه مقام شعري، أو يحط هذا الشعر عندك من مترلته، فقد كثر المدلسون المتشاعرون.

حجبتها عن أهل أنطاكيةٍ وجلوتها لك فاجتليت عروسا

التأنيث في حجتها: للقصيدة، وإن لم يصرح بها فقد صرح بمفهومها، أو يكون راجعاً إلى قوله: عروساً؛ لأنه شبه القصيدة بالعروس.

يقول: منعتها عن أهل أنطاكية، وحملتها إليك مجلوة، حتى اجتليتها عروساً. يعني: إني مدحتك دونهم، لأنك خيرهم، وكلامي خير الكلام، فلا يليق إلا بك.

خير الطيور على القصور وشرها يأوي الخراب ويسكن الناووسا

يقول: أنا خير الشعراء، فلا أمدح إلا خير الناس. وغيري من الشعراء يقصد غيرك، فأنا كالطائر الذي سكن القصور، وأولئك كالطيور التي تأوي الخراب، والنواويس. شبه الممدوح بالقصر، وملك أنطاكية بالخرابات والنواويس.

لو جادت الدنيا فدتك بأهلها أو جاهدت كتبت عليك حبيا

يقول: لو كانت الدنيا ممن يجود؛ لفدتك بأهلها. أو كانت ممن تجاهد، لكتبت أنها موقوفة عليك، حبيساً في سبيل الله تعالى؛ لتنصر الدين وتذل المشركين. وروى: كتبت عليك حبيسا، أي لو أمكنها أن تخلدك لخلدتك أبداً، ولكتبت ذلك عليك.

وقال يمدح محمد بن زريق أيضاً:

محمد بن زريق ما نرى أحداً إذا فقدناك يعطي قبل أن يعدا

يقول: يا محمد بن زريق. ما نرى أحداً سواك يعطى قبل الوعد، دون المطل المكدر للعطايا. يعني أنه ليس أحد سواه.

وقد قصدتك والترحال مقتربٌ والدار شاسعةٌ والزاد قد نفدا

قصد بقوله: والترحال مقترب، استعجال العطاء وبقوله والدار شاسعة: الاستكثار منه؛ لأن القليل لا يكفيه، لبعد داره، وبقوله: والزاد قد نفد، أي أنه لا مادة للزاد إلا من جهة أخرى، والغرض منه الاستكثار، أو يكون قصد أن يبين أن الضرورة قد دعته إلى هذا السؤال ولولاها لكان لا يسأل.

فخل كفك تهمي واثن وابلها إذا اكتفيت وإلا أغرق البلدا

همى: في موضع الحال، وليس بجواب. يقول: خل يدك تصب وهمي واصرف وابلها: أي مطرها الجود عني إذا اكتفيت وإن لم تصرفه أغرق الوابل البلد. وروى: إن اكتفيت يخاطب الممدوح يقول: هاهما واثن وابلها إن اكتفيت بها دون الوابل، ولما تعرض في البيت الأول للاستكثار، بين هاهنا أن القليل من عطاياه كثير وأن غرضه يحصل بالقليل من عطاياه.

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحتري:

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا   وجدت بي وبدمعي في مغانيكا

المغاني: جمع المغنى، وهو المترل، من قولهم: غني بالمكان.

يقول: قد بكيت يا مترل الأحباب حتى كدت أحملك على البكاء رقة لي، وجدت بي وبدمعي في منازلك، أي هلكت وجدت بروحي، كما أفنيت دمعي بعد مفارقة الراحلين عنك.

فعم صباحاً لقد هيجت لي شجناً   واردد تحيتنا إنا محيوكا

صباحاً: نصب على الظرف، أي في صباح، وعم من قولهم: وعم يعم بمعنى نعم ينعم أي أنعم صباحاً.

يقول: أيها الربع أنعم صباحاً، على وجه الدعاء، كرامة لمن نزل به، فقد هيجت أحزاني، واردد علينا سلامنا، فإنا مسلمون عليك بقولنا: أنعم صباحاً.

بأي حكم زمانٍ صرت متخذاً   رئم الفلا بدلاً من رئم أهليكا

يقول: بأي حكم زمانٍ استبدلت ظباء الفلا بدلاً من الجواري التي كن فيك، مثل ظباءٍ خالصة البياض وهذا على عادهم في نسب الحوادث إلى الزمان. ومثله للبرقعي:

تبدل الربع من أسماء غزلانا   وأقفرت من سليمى أرض حلوانا

أيام فيك شموسٌ ما انبعثن لنا   إلا ابتعثن دماً باللحظ مسفوكا

أيام: نصب على الظرف، أو على إضمار فعل. كأنه يقول: أذكر أياماً.

يقول: أذكر تلك الأيام التي كانت فيك شموس من الحبايب، لم يظهرن لنا إلا أخرجن بلحظهن ونظرهن، أو بعيوهن، دماءً من العشاق. وقوله: مسفوكاً أي مصبوباً.

والعيش أخضر والأطلال مشرقة   كأن نور عبيد الله يعلوكا

يقول: أذكر أياماً، هذا حالها، وهو أن العيش كان ناعماً لذيذاً، والأطلال مضيئة بالشموس، فكأن نور عبيد الله يعلوكا.

نجا امرؤٌ يا ابن يحيى كنت بغيته   وخاب ركب ركابٍ لم يؤموكا

روى: جاز مكان خاب أي هلك، والركب: جمع الراكب، والركاب: الإبل. وروى: الرحال وهي الإبل واحدها راحلة.

يقول: آمن الفقر من كنت طلبته ومأموله، وخسر راكبوا إبل وهلكوا إذا لم يقصدوك. يعني: لو قصدوك لأغنيتهم عن طول الأسفار وكفيتهم مؤن المشقات.

أحييت للشعراء الشعر فامتدحوا جميع من مدحوه بالذي فيكا

يقول: أحييت شعر الشعراء بما أظهرت من المكارم والخصال، وبما أعطيتهم من الأموال، حتى هديتهم إلى الشعر، فمدحوا ممدوحهم بما فيك من المحاسن والخصال البديعة، فلما رأوا فيك هذه المعالي تعلموا المدح وقول الشعر.

وعلموا الناس منك المجد واقتدروا على دقيق المعاني من معانيكا

يقول بياناً لما قبله: إنهم لما مدحوا الناس بأوصافك تنبه الممدوحون لمثل صنائعك، فكأن الشعراء هم الذين علموهم منك المجد واقتدر الشعراء على دقيق المعاني من معانيك التي تخصصت بها دون غيرك.

ومثله للآخر:

ما رأينا من فضل جود ابن يحيى صير الناس كلهم شعراء

علم المفحمينأن ينطقوا الأش عار فيه والباخلين السخاء

فكن كما أنت يا من لا شبيه له أو كيف شئت فما خلقٌ يدانيكا

يقول: كن كما أنت يا من لا نظير له، أو كن كيف شئت من النقصان عما أنت عليه، فما خلق يدانيك، بحال من الأحوال، ولا يشبهك بخصلة من الخصال، فكل فعالك حميدة.

شكر العفاة لما أوليت أوجدني إلى نداك طريق العرف مسلوكا

أوجدني: أي هداني، وأرشدني. والمفعول الأول: الياء، والثاني طريق العرف.

يقول: شكر السؤال لما أعطيتهم من النوال أوجدلى سبيلاً مسلوكاً إلى معروفك فقصدتك. وروى: إلى يديك يعني أوجدلى شكرهم شكرهم، شكرهم، طريق المعروف مسلوكاً إلى يديك فسلكته.

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني أني بقلة ما أثنيت أهجوكا

يقول: علو محلك في العالم أوهمني أني بهذا القدر من المدح والثناء أهجوك! يعني: أنك تستحق فوق ما مدحتك به وأثنيت عليك، فكأني هجوتك.

كفى بأنك من قحطان في شرفٍ   وإن فخرت فكلٌّ من مواليكا

يقول: كفى قحطان شرفاً أنك منهم. فتكون الرواية على هذا: كفى بأنك في قحطان من شرفٍ، ويحتمل كفاك شرفاً بكونك من قحطان، مع شرفٍ لك طارف أضفته إليه. والرواية على هذا: كفى بأنك من قحطان في شرف وإن فخرت، وجدت كل قحطان أوكل الناس من مواليك وخدمك؛ لأن إحسانك يعمهم ومنك يشملهم، فكلهم مواليك.

ولو نقصت كما قد زدت من كرمٍ   على الورى لرأوني مثل شانيكا

يقول: لو تناهيت في النقصان، تناهيك في الرجحان، لفنيت وعدمت. فرآني الناس مثل عدوك، لأنه لم يبق من أعدائك أحد، فكنت مثلهم في الفناء، وقد أحسن في إضافة النقص إلى نفسه والزيادة إلى الممدوح. وقيل: لو نقصت من المدح، كما زدت على الناس من الكرم، لرأوني في ذلك مثل عدوك، الذي يحسن ذكرك. يعني وإن لم أبلغ الغاية في محاسنك لم أقصر عما دق عليه، كيلا أكون مثل شانيك.

لبى نداك لقد نادى فأسمعني   يفديك من رجلٍ صحبي وأفديكا

لبى: من قولهم لبيك بمعنى: لزومٌ لك بعد لزوم، وإنما ثنوه على التوكيد، ونصبوه على المصدر، وأضافوه إلى كاف المواجهة، وأضافه هاهنا إلى النداء.

يقول: أجابةً لنداك بعد إجابة، فقد نادى إلى نداك، فأسمعني صوته، يفديك أصحابي ونفسي من رجل بين الرجال. يعني أن سخاءه دعاه إلى معروفه فأجابه وروى: لبى نداك والأول أولى.

ما زلت تتبع ما تولى يداً بيدٍ   حتى ظننت حياتي من أياديكا

يقول: مازلت تنعم يداً بيدٍ أي: نعمة يد بيد، حتى ظننت حياتي من جملة نعمك علي، لكثرة ما أنعمت فلم أميز ما هو: أعطاء دهر، أم غيره؟!

فإن تقل ها فعاداتٌ عرفت بها   أو لا فإنك لا يسخوا بلا فوكا

يقول: إن قلت خذ كان ذلك من عادتك التي عرفت بها، وإن أردت أن تقول لا فلم تجد فوك يسخو بها أبداً فلا يمكنك أن تقول ذلك.

وقال أيضاً يمدحه:

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر   بفي برودٌ وهو في كبدي جمر؟!

يقول: أهذا ريقك! أم ماء المطر؟ لعذوبته وصفائه، أم الخمرة؛ لمافيها من اللذة والتفريح، فقد جمع ريقك الحرارة والبرودة، فهو في فمي بارد وفي كبدي حار؛ من حيث ألتذ به عند لهوي، لكنه يهيج العشق في قلبي وكبدي فهو كالخمر، فمن حيث برودته شبهه بماء الغمام ومن حيث الحرارة شبهه بالجمر وأتى بلفظ الاستفهام مبالغة في التشبيه.

أذا الغصن أم ذا الدعص أم أنت فتنةٌ؟ وذيا الذي قبلته البرق أم ثغر؟!

يقول: أهذا قدك أم الغضن؟! وهذا كفلك أم الدعص؟ وهما حالان ثم بينةٌ من الرجل أم أنت فتنة كلفت بها كما جمعت هذه الأشياء المختلفة، وهذا الذي قبلته برقٌ لامع أم سنٌّ؟! وشبه الثغر بالبرق، من حيث: أن الشفة كالسحاب، فإذا ابتسمت يبدو البرق من السحاب. وروى: بل أنت فتنة، والتصغير في ذيا: إشارة إلى صغر أسنانها، وإما لأنه محبوب عندهم. كقولهم: يا بني. وهذا في التقسيم كقول الآخر:

أقطع الدجى أم شعرك الفاحم الجعد أبدر الدجى أم لاح من وجهك السعد؟ !

رأت وجه من أهوى بليل عواذلي فقلن نرى شمساً وما طلع الفجر

يقول: رأت العواذل وجهها بليل، فبهتن وقلن: نرى شمساً طالعة قبل طلوع الفجر! فأقررن بحسنها، وكففن عن عذلي وعذرنني في حبها، بعدما كن يعذلنني، ولأن الحسن للمحبوبة شغل العواذل، عن العذل، وكأنه مشتق من قوله تعالى: "فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن" يعني: أنهن إذا رأين يوسف عليه السلام بهتن حتى تركن عذل امرأة العزيز. والواو في قوله: وما طلع واو الحال.

رأين التي للسحر في لحظاتها سيوفٌ ظباها من دمي أبداً حمر

يقول: هؤلاء العواذل، رأين المرأة التي في لحظاتها للسحر سيوف، ظباها حمرٌ أبداً من دمي لأنها تقتلني بها.

تناهى سكون الحسن في حركاتها فليس لرائي وجهها لم يمت عذر

يقول: سكون الحسن تناهي في حركاتها يعني: أنها إذا تحركت سكن الحسن في حركاتها، فتكون حركاتها مسكناً للحسن، فلا يفارق الحسن حركاتها، فمن رآها في حسنها وجمالها ولم يمت، فليس له عذر في حكم العشق!

إليك ابن يحى ابن الوليد تجاوزت بي البيد عنسٌ لحمها والدم الشعر

العنس: الناقة الصلبة القوية.

يقول: تجاوزت بي إليك في المفاوز ناقةٌ قويةٌ، لحمها ودمها الشعر الذي مدحتك به فكنت أحييها بإنشادي لها مدحكم، صيانةً لها من الهزال، لما علمت أنها إذا وصلت إليك وصلت إلى مرادها.

نضحت بذكراكم حرارة قلبها فسارت وطول الأرض في عينها شبر

النضح: الرش.

يقول: رششت على الناقة فبردت بمدحكم والشعر فيكم حرارة قلبها، فنشطت وأسرعت في السير واستقصرت تلك المفاوز البعيدة، حتى كأن طول الأرض في عينها شبر؛ لاشتياقها إليك.

إلى ليث حربٍ يلحم الليث سيفه وبحر ندىً في موجه يغرق البحر

يقال: ألحمت فلاناً عرض فلان، إذا جعلته يتناوله. وأراد هاهنا: تمكين السيف من لحم الليث.

يقول: سارت هذه الناقة إلى ليث حربٍ، يلحم سيفه الأسد، أي يمكن سيفه من لحم الأسد، وإلى بحر سخاء، يغرق البحر في موجه، ففضله بذلك على البحر.

وإن كان يبقى جوده من تليده شبيهاً بما يبقي من العاشق الهجر

يقول: إنه بحرٌ إن كان يبقي جوده من ماله شيء، يبقي مقدار ما يبقي من العاشق الهجر، لأنه لا يبقى منه إلا القليل، فكذلك هذا الممدوح لا يبقى من ماله إلا ذلاك القدر.

فتىً كل يوم يحتوي نفس ماله رماح المعالي لا الردينية السمر

الردينية: الرماح المنسوبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت تعمل الرماح، وزوجها: السمهر، وكان هو كذلك يعمل الرماح وإليه تنسب السمهرية.

يقول: يسلب أمواله كل يوم رماح المعالي، لا الرماح الحقيقية: التي هي الردينية السمر. يعني: أنه فرقها على سؤاله وعفاته.

تباعد ما بين السحاب وبينه فنائلها قطرٌ ونائله غمر

التأنيث: للسحاب لأنه أراد به الجماعة.

يقول: بعيدٌ ما بين السحاب وبينه؛ لأن نائل السحاب قطرٌ، ونائله غمر كثير.

ولو تنزل الدنيا على حكم كفه لأصبحت الدنيا وأكثرها نزر

يقول: لو كان أمر الدنيا إليه، لوهبها، وصار أكثرها في جنب هباته قليلاً؛ لأن كفه لا نهاية لها، فكل كثير عندها قليل.

أراه صغيراً قدرها عظم قدره فما لعظيمٍ قدره عنده قدر

يعني: عظم قدره أراه صغيراً قدر الدنيا، فليس لشيءٍ عظيم القدر قدرٌ عنده لعظم قدره وعلو همته.

متى ما يشر نحو السماء بوجهه تخر له الشعرى وينكسف البدر

تخر: جزم لأنه جزاء الشرط، وهو: متى ما يشر وفتحه لاجتماع الساكنين، وينكسف نصب عطفاً عليه.

يقول: إن الممدوح متى نظر إلى السماء وأشار بوجهه إليها خرت له الشعرى وانكسف البدر: إما لهيبته، وإما خجلاً من نوره، وخص الشعرى لأن قوماً عبدوها، فبين أنها مع ذلك تسجد له، وخص البدر لكثرة ضوئه ولأنه كان معبوداً للقوم.

ترى القمر الأرضي والملك الذي له الملك بعد الله والمجد والذكر

ترى: يجوز أن يكون فعل الشعرى، وأراد: ترى أيها المخاطب القمر الأرضي، وهو الملك الذي له المجد والذكر بعد الله عز وجل.

كثير سهاد العين من غير علةٍ يؤرقه فيما يشرفه الفكر

يقول: هو كثير السهاد، ثم قال: من غير علة، لصنعته في الشعر. ولما بين في قوله: يؤرقه الفكر فيما يكسبه الشرف، فلهذا يسهد كثيراً.

له منن تفنى الثناء كأنما به أقسمت ألا يؤدى لها شكر

الكناية في به: للمدوح.

يقول: له نعم تفنى الثناء للعجز عن الإحاطة بها، كأنما أقسمت المنن بهذا للمدوح ألا يؤدي لها الشكر.

أبا أحمدٍ ما الفخر إلا لأهله وما لامرىءٍ لم يمس من بحتر فخر

يقول: يا أبا أحمد، أنت أهل الفخر، فما الفخر إلا لأهله، وما لرجلٍ من غير قبيلتك فخر، وأنت منهم، فكأن الفخر جميعه لك.

هم الناس إلا أنهم من مكارم يغنى بهم حضرٌ ويحدو بهم سفر

يقول: هم من الناس لأنهم مخلوقون مثلهم، ثم بين أنهم لبعد صيتهم يغنى بذكرهم الحاضرون، ويحدو به المسافرون.

بمن أضرب الأمثال أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر؟ !

يقول: لا نظير لك، فمن يضرب المثل في شأنك؟ أم من نقيسه إليك؟ وأهل الدهر والدهر دونك!

وقال يمدح أخاه أبا عبادة عبيد الله بن يحيى البحتري:

ما الشوق مقتنعاً مني بذا الكمد حتى أكون بلا قلبٍ ولا كبد

الكمد: الحزن.

يقول: إن الشوق لا يقنع مني بهذا الحزن الشديد، حتى يجعلني بلا قلبٍ ولا كبدٍ، فأموت.

ولا الديار التي كان الحبيب بها تشكو إلي ولا أشكو إلى أحد

هذا البيت يفسر على وجوه: أحدها: أن يكون عطفاً على قوله: ما الشوق ومعناه: أن الشوق كما لا يرضى مني بما أقاسي من الحزن، كذلك الدار التي كان الحبيب بها، لا ترضى مني بهذا الكمد. وتم الكلام عند قوله: كان الحبيب بها. ثم ابتدأ وقال: تشكو إلي: أي هذه الديار تشكو إلي وحشة الفراق لجهلها، وأنا لا أشكو إلى أحد لجلادتي ولكتماني الأسرار، ولأني عاقل.

والثاني: أن الديار ما شكت لأنها قد درست فضعفت عن الشكوى، لانمحاء آثارها، كما ضعفت أنا عن الشكوى، لسقوط القوة، وإن الديار ما شكت إلي لأنها ليست بناطقه فتعرب عن شكايتها.

والثالث: أن دمعي حال دون تأملي آثار البلى في الديار؛ فلهذا لم تشك إلى أحد، ولو تأملتها تشكو إلي وحشتها، وسوء إثارة الزمان عليها، ثم لا أشكو إلى أحد. أي كانت الديار خالية، ليس فيها من أشكو إليه.

ما زال كل هزيم الودق ينحلها والسقم ينحلني حتى حكت جسدي

الهزيم: مطر الجود الذي له صوت. من الهزيمة وهو الصوت. وقيل هو: من الهزيمة. كأنه المطر الذي يلي بعضه بعضاً. والودق: المطر الشديد.

يقول ما زال كل مطر جود شديد القطر يصيب الديار، فيعفوا رسومها، فذلك نحولها، وما زال السقم ينحلني بإذهاب لحمي حتى حكت الديار جسدي. وهذا البيت يؤكد المعنى الثاني، الذي ذكرناه في البيت.

وكلما فاض دمعي غاض مصطبري كأن ما سال من جفني من جلدي

يقول: كلما سال دمعي نقص اصطباري، وظهر جزعي، كأن الذي سال من الدمع من عيني سائل من جلدي. ومنه قول الآخر:

فليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنه نفسٌ تذوب فتقطر

فأين من زفراتي من كلفت به وأين منك ابن يحيى صولة الأسد

هذا له معنيان: أحدهما: أين من زفراتي وهي الأنفاس زفرات من كلفت به؟ أي أن زفراته لا تبلغ زفراتي! وقوله: أين منك؟ أي: من صولتك. يا ابن يحيى، صولة الأسد؟ أي: أن صولته دون صولتك. والثاني: أين من كلفت به من زفراتي؟ أي: أنه غافلٌ عنها، خالٍ منها. وأين منك صولة الأسد؟ أي: لا يبلغ صولتك، ولا يؤثر فيك شيئاً.

لما وزنت بك الدنيا فملت بها وبالورى قل عندي كثرة العدد

يقول: لما وزنت الدنيا وأهلها بك، فملت بهم، أي كنت أرجح منهم، فقل عندي كثرة العدد؛ لأن الاعتبار في الوزن بالفضل والمعنى لا بالعدد والذوات. ومثله للبحتري:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت إلى الفضل حتى عد ألفٌ بواحد

ما دار في خلد الأيام لي فرحٌ أبا عبادة! حتى درت في خلدي

خلد الأيام: استعارة لطيفة، ولما ذكر الخلد: وهو القلب. قال: ما دار في قلب الأيام لي سرور حتى درت في قلبي. يعني: ما سررت منذ سمعت ذكرك في زماني هذا، حتى قصدتك فسررت برؤيتك.

ملكٌ إذا امتلأت مالاً خزائنه أذاقها طعم ثكل الأم للولد

يقول: هو ملكٌ إذا امتلأت خزائنه من المال، أذاقها بتفريق مالها، طعم ثكل الأم لولدها.

ماضي الجنان يريه الحزم قبل غدٍ بقلبه ما ترى عيناه بعد غدٍ

الجنان: القلب. ومضاؤه: ذكاؤه، وحدته، وشجاعته. والحزم: رفع على أنه فاعل يريه، وينصب على أنه مفعوله الثاني، والفاعل الجنان.

يقول: إنه يرى بقلبه الأشياء قبل ما تراه العين بعد غدٍ.

ماذا البهاء ولا ذا النور من بشرٍ ولا السماح الذي فيه سماح يد

يقول: ليس هذا البهاء والنور اللذين فيه، من بشر، بل هو من ملك، ولا السخاء الذي فيه سخاء يد أحدٍ. بل هو سخاء أيدٍ كثيرة.

وقيل معناه: ولا السخاء الذي فيه سخاء يدٍ وإنما هو سحابٍ، أو سخاء بحر.

أي الأكف تبارى الغيث ما اتفقا حتى إذا افترقا عادت ولم يعد

يقول: أي كفٍّ من بين الأكف تعارض الغيث وتكاثره، ما داما متفقتين في الحال. الكف في الإعطاء والغيث في إحياء إدامة الإنداء، حتى إذا افترقا، عادت الكف إلى الإعطاء، ولم يعد الغيث إلى الإنداء، وليس هكذا كفٌّ إلا كف هذا الممدوح.

قد كنت أحسب أن المجد من مضر حتى تبحتر فهو اليوم من أدد

مضر: ابن نزار بن معد بن عدنان. وأدد: ابن طابخة بن إلياس بن يعرب ابن قحطان. وبحتر: الذي هو الممدوح من قحطان.

يقول: كنت أظن قبل هذا، أن الشرف كله من مضر، حتى رأيته ببحتر، فنسب نفسه إليها لكون الممدوح منها، فهو الآن من أدد الذي هو من قحطان. قيل: تبحتر أي: أقام ببحتر فلما أقام فيها علمت أنه من أدد.

قومٌ إذا مطرت موتاً سيوفهم حسبتها سحباً جادت على بلد

فاعل مطرت: سيوفهم، ومفعوله: موتاً والهاء في حسبتها: للسيوف، وفي جادت: للسحب.

يقول: هم قوم إذا قاتلوا، مطرت سيوفهم موتاً؛ لكثرة ما يقتلون بها، فيظن سيوفهم سحاباً مطرت مطراً جوداً على بلدٍ.

لم أجر غاية فكري منك في صفةٍ إلا وجدت مداها غاية الأبد

يقول: ما أجريت غاية فكري في صفةٍ منك، إلا وجدت غاية تلك الصفة غاية الأبد، وليس للأبد نهاية.

وقال يمدح محمد مساور بن محمد الرومي:

جللاً كما بي فليك التبريح أغذاء ذا الرشا الأغن الشيح

الجلل: الأمر العظيم هاهنا، وهو أيضاً الأمر الهين ونصب بخبر فليك. والتبريح: اسمه وهو الشدة. والرشأ: ولد الظبية، والأغن: الذي يخرج صوته من الخيشوم. والشيح: نبت معروف، وهو من نبات نجد، وهو ينعم المواشي إذا رعته وقوله: فليك أصله فليكن فحذف النون لسكونها وسكون التاء الأولى من التربيح، تشبهاً للنون بحروف اللين؛ لما فيه من الغنة.

يقول: ليكون التبريح والشدة عظيماً كما بي، فتم الكلام هاهنا، ثم استأنف في المصرع الثاني متعجباً من المشبه به فقال: أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح؟! أي فرط شبهه بالظبي شككت فيه: أنه ظبي في الحقيقة أم لا؟ وقد طعن في ذلك.

وقيل: إن أحد المصراعين ينافي الآخر ولا مطعن فيه لأن المصراعين بمترلة البيتين، فكما يجوز أن يكون أحد البيتين منقطعاً عن الآخر، فكذلك المصراعان، وقد ورد مثال ذلك في الأشعار.

وقد قيل في وجه اتصال المصراعين وجهان: أحدهما: أنه بين في المصراع الأول حالة في شدة التبريح وبالغ فيه، ثم بين في المصراع الثاني: أن من فعل به تبريح الهوى هو الرشأ الأغن المنعم الذي ربى بالشيح.

والثاني: أن معناه: إن كان في الدنيا تبريحاً، فليكن عظيماً مثل ما بي. ثم قال: أتظنون أن من فعل بي هو الرشأ الذي غذاؤه الشيح؟ ما هو إلا الرشأ الذي غذاؤه قلوب العاشقين وأبدانهم، فيا له من رشأ أغن! وقد كان ما قاله المتنبي على زعم بعضهم:

جللا كما بي فليك التبريح ... أولا فتبريح الهوى ترويح

لله من رشأ أغن مهفهفٍ ... أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح

ومعناه على هذا: ليكن التبريح عظيماً كما بي، وإلا فإنه ترويحٌ إذا لم يكن مثل تبريحي، ثم قال: لله من رشأ، ومعناه عجباً من الرشأ الذي في صوته غنة! مهفهفٍ: أي دقيق الخصر. غداؤه الشيح: الذي ينعم به أمثاله. فكأنه قال: كل ما حصل بي من التبريح، فمن الرشأ الذي صفته هذه.

لعبت بمشيته الشمول وجردت ... صنماً من الأصنام لولا الروح

يقول: لعبت الخمر بمشية هذا الرشأ، حتى صار مثل شارب الخمر. وجردت: أي عرته عن ثيابه. وصنماً: نصب لوقوع جردت عليه، فكأنه يقول: جردت الشمول صنماً من الأصنام، لولا أن فيه الروح، لكان صنماً. وقيل: جردته في الحسن صنماً، فنصب على الحال. وإنما لم يقل: وثناً لأنه غير مصور بخلاف الصنم.

ما باله لاحظته فتضرجت ... وجناته وفؤادي المجروح؟!

تضرجت: أي احمرت.

يقول: ما بال هذا الرشأ لاحظته فاحمرت وجناته؟! وقلبي هو المجروم النظر إليه! فكان ينبغي أن يحمر قلبي.

ورمى، وما رمتا يداه فصابني ... سهمٌ يعذب والسهام تريح

رمت يداه: على لغة من يقول: أكلوني البراغيث. وما للنفي وسهم: رفع بصابني.

يقول: رمى هذا الرشأ سهماً وهو النظر ولم ترم يداه فصابني، سهمٌ يعذب طول الأبد، بخلاف السهام المريحة القاتلة.

قرب المزار ولا مزار وإنما يغدو الجنان فنلتقي ويروح

المزار الأول: موضع الزيارة. والثاني: المصدر، ويحتمل أن يكونا مصدرين.

يقول: قرب المزار بيننا بالفكر والقلب، ولا زيارة في الحقيقة، وإنما يغدو القلب ويروح، إلى القلب فنلتقي نحن بالتقائهما، فالتقاؤنا بالأرواح لا بالأشباح.

وفشت سرائرنا إليك وشفنا تعريضنا فبدا لك التصريح

يقول: كنا قد عرضنا بحبك فشفنا أي أضعفنا تعريضنا به فضعفت أسرارنا لذلك التصريح، فأظهر هزالنا ونحولنا ما بنا، فصار التعريض تصريحاً.

وقيل: أراد لما شفنا التعريض وجهر بنا، فلم نطق كتمان الحب، أسررنا إلى التصريح فانهتك الستر.

لما تقطعت الحمول تقطعت نفسي أسىً وكأنهن طلوح

الحمول: بالفتح الإبل، وبالضم الأحمال. وأراد ها هنا الهوادج بما فيها.

يقول: لما تقطعت الحمول عن عيني تقطعت نفسي حزناً. ثم شبه الحمول بالطلوح وهي جمع الطلح شجر عظيم، لأنهم يشبهون الإبل، وأحمالها بالنخيل، وسائر الأشجار الرفيعة. ويجوز تشبهها بالطلح لنحولها ودقتها.

وجلا الوداع من الحبيب محاسناً حسن العزاء وقد جلبن قبيح

الضمير في جلبن: للمحاسن.

يقول: أظهر الوداع من الحبيب محاسن، وكان الحسن الصبر، وقد أظهرن قبيحاً؛ لظهور هذه المحاسن، أو لما تعقبه من الفراق. ومثله قول الشاعر:

والصبر يحسن في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يحمد

فيدٌ مسلمةٌ وطرفٌ شاخصٌ وحشاً يذوب ومدمعٌ مسفوح

وقد روى أيضاً فيدٌ مسالمةٌ أي مصالحة؛ من حيث أنه أشار بها للوداع. والشاخص: هو الذاهب المتحير. والمسفوح: المصبوب وأراد به المدمع الحال فيه، لأن محله غير مسفوح، ويجوز أن يكون أراد ومدمع مسفوح منه: يصف حال الوداع فيقول: كان لكل واحدٍ منا، يد مسلمة للتوديع خوف الرقباء، وطرف طافحٌ متحير، وحشاً ذائب؛ أسفاً على الفراق، ودمع مسفوح.

يجد الحمام ولو كوجدي لانبرى   شجر الأراك مع الحمام ينوح

انبرى: أي انبعث وأخذ.

يقول: لو حزن الحمام مثل حزني لناح شجر الأراك الذي عليه، مع الحمام عند نوحها.

وأمق لو خدت الشمال براكبٍ   في عرضه لأناخ وهي طليح

الأمق: الطويل. وأراد به هاهنا: المفازة الواسعة. والطليح: الناقة المعيبة. وخدت: أي حدت وجرت، وأناخ: فعل الراكب.

يقول: رب مهمةٍ طويل لو جرت في عرضه الريح الشمال براكب عليها، لأناخ الراكب، وهي: يعني الشمال معيبة فإذا كان المركوب ريحاً هذا حالها في العرض، فما ظنك بسائر المركوبات بالطول؟ لأن عرض كل شيء دون طوله. وروى: في عرضه. أي جانبه.

نازعته قلص الركاب وركبها   خوف الهلاك حداهم التسبيح

الهاء في نازعته: للأمق، ومعناه: جاذبته؛ لأنه أراد أن يهلك الركاب، وأردت أن أنجو بها، وحداهم: ممدود إلا أنه قصر للضرورة.

يقول: نازعت هذا الأمق أبكار الإبل، في حالة كان حداء الراكبين فيها من خوف الهلاك والضلال التسبيح لله تعالى، وخوف الهلاك: نصب لأنه مفعولٌ له.

لولا الأمير مساور بن محمدٍ   ما جشمت خطراً ورد نصيح

التاء في جشمت: لقلص الركاب.

يقول: لولا الممدوح ما جشمت قلص الركاب الأبكار، أمراً مهولاً، وما رد الناصح الذي ينهى عن ركوب، مثل هذه المهلكة.

ومتى ونت وأبو المظفر أمها   فأتاح لي ولها الحمام متيح

يقول: متى فترت هذه القلص، ومقصودها الممدوح، فأتاح لي: أي قدر لي ولها، الحمام: أي الموت متيح: وهو الله تعالى.

شمنا وما حجب السماء بروقه   وحرىً يجود وما مرته الريح

يقول: هو السحاب شمنا بروقه في حال ما لم يحجب السماء، بخلاف سائر السحب، إذ المعهود من البرق أن يحجب السماء بالغيم، وهو حقيق بأن يجود من غير أن تمر به الرياح، أي تحلبه كما تحلب السحاب وتقديره؛ شمنا بروقه وما حجب السماء.

مرجو منفعةٍ مخوف أذيةٍ　　　　مغبوق كأس محامدٍ مصبوح

يقول: هو مرجو محامدٍ يسيرها إلى أوليائه، ومخوف أذيه يحلها بأعدائه، وقد صبح كأس المحامد وغبق، فهو محمود أبداً.

حنقٌ على بدر اللجين وما أتت　　　　بإساءةٍ وعن المسيء صفوح

يقول: إنه حنقٌ على بدر الفضة؛ لكثرة تفريقه إياها من غير ذنب وإساءة منها، وهو مع ذلك يعفو عن المسيء المذنب.

لو فرق الكرم المفرق ماله　　　　في الناس لم يك في الزمان شحيح

فاعل فرق ضمير الممدوح، والكرم مفعوله، والمفرق: صفة الكرم. وماله: نصب بالمفرق، الذي هو الفاعل من فرق. وروى: لو فرق الكرم المفرق ماله على ما لم يسم فاعله فيرفع ما بعده إلا ماله فإنه منصوب.

يقول: لو أنه فرق كرمه، الذي يفرق ماله على الناس لم يكن في الزمان بخيل. يعني: أنه يعم الناس بره حتى لا يبخل أحدٌ بشيء من المال.

ألغت مسامعه الملام وغادرت　　　　سمةً على أنف اللئام تلوح

ألغت: أي ألقت وقد روى ذلك أيضاً. وقيل معناه: جعلت الملام لغواً أي باطلاً. فمعناه: أبطلت.

يقول: إن مسامعه أبطلت ملام اللائمين له، على إعطائه وغادرت الملام سمة لائحة على أنوف اللئام. وروى على أنف اللئام. يعني أنه لوى به أنوفهم.

هذا الذي خلت القرون وذكره　　　　وحديثه في كتبها مشروح

التأنيث في كتبها: للقرون.

يقول: هذا الممدوح هو الذي ذكره في كتب القرون الماضية، مشروح منزلٌ منزلة الأنبياء؛ من تقدم البشارة بهم، وكان الوجه أن يقول: وذكره وحديثه مشروحان، ولكن لما كان معناهما واحد، اقتصر على واحد.

ألبابنا بجماله مبهورةٌ　　　　وسحابنا بنواله مفضوح

مبهورة: أي مغلوبةٌ مدهوشة.

يقول: عقولنا بجماله مغلوبة مدهوشة، والحاب بعطائه مفضوح لقصور نيله من نيله.

يغشى الطعان فلا يرد قناته		مكسورةً ومن الكماة صحيح

الواو في قوله: ومن الكماة للحال.

يقول: إنه يرد للمطاعنة فلا يرد رمحه مكسوراً إلا بد ألا يبقى من الشجعان صحيح.

وعلى التراب من الدماء مجاسدٌ		وعلى السماء من العجاج مسوح

المجاسد: جمع مجسدة، وهو الثوب الذي يلي الجسد، وهو أيضاً الثوب المصبوغ بالجساد: وهو الزعفران. يقول يغشى الطعان وتراب الأرض قد غشي بثيابٍ من الدماء، وعلى الجو من الغبار مسوح سود.

فشبه التراب المختلط بالدم: بالثياب المصبوغة بالزعفران. وشبه الغبار الكثيف: بالمسوح السود.

يخطو القتيل إلى القتيل أمامه		رب الجواد وخلفه المبطوح

يقول رب الجواد: وهو الممدوح، يخطو من قتيل إلى قتيل آخر أمامه وخلفه مبطوح، حين طعنه فتخطاه.

فمقيل حب محبه فرحٌ به		ومقيل غيظ عدوه مقروح

يقول: قلب محبه وهو مقيل الحب، فرد به غيظ عدوه، أي قلب عدوه بالغيظ الذي فيه مجروح.

يخفي العداوة وهي غير خفيةٍ		نظر العدو بما أسر تبوح

يخفي: فعل العدو.

يقول: يخفي عدوه العداوة عنه؛ لخوفه منه، وهي لا تخفى عليه لذكائه، وفطنته. وقوله: نظر العدو بما أسر تبوح يحتمل أن يريد به: نظر الدو إليه نظراً شزراً، يظهر ما أسره في قلبه من العداوة. فيكون المصدر مضافاً إلى فاعله.

ويحتمل أن يريد: أنه إن نظر إلى العدو يبوح بسره؛ لأنه إذا نظر إليه يعرف ما في قلبه، ويكون المصدر مضافاً إلى المفعول.

يا ابن الذي ما ضم بردٌ كابنه		شرفاً ولا كالجد ضم ضريح

يقول: يا ابن الذي لم يضم البرد شرفاً وحياءً، والابن: هو الممدوح، ولا ضم القبر كجده ميتاً.

نفديك من سيل إذا سئل الندى		هولٍ إذا اختلطا دمٌ ومسيح

المسيح: العرق.

يقول نفديك: من رجلٍ يشبه السيل إذا سئل السخاء، وهو هول؛ إذا اختلطا دمٌ وعرقٌ في القتال.

وفي قوله: اختلطا دم ومسيح: أورد الاثنين قبل الذكر، أورده مورد قولهم: أكلوني البراغيث.

لو كنت بحراً لم يكن لك ساحلٌ　　　أو كنت غيثاً ضاق عنك اللوح

يقول: لو كنت بحراً كنت بلا شطٍّ ونهاية، أو كنت غيثاً ضاق عنك الهواء لكثرته. والأوجه أن يقول: لم يك له وضاق عنه ولكنه أسنده إلى كنت.

وخشيت منك على البلاد وأهلها　　　ما كان أنذر قوم نوح نوح

عجزٌ بحرٍّ فاقةٌ ووراءه　　　رزق الإله وبابك المفتوح

البيت الأول: معناه ظاهر.

يقول بعده: عجزٌ بالحر الذي به فقر مع أن قدامه رزق الله تعالى، وبابك المفتوح بالسخاء.

إن القريض شجٍ بعطفي عائذٌ　　　من أن يكون سواءك الممدوح

وذكي رائحة الرياض كلامها　　　تبغي الثناء على الحيا فتفوح

شجي يشجى فهو شجٍ: إذا اغتص به. وعطف الشيء: جانبه.

يقول: إن الشعر يلتجيء إلي عائذٌ بعطفي وجانبي؛ مخافة أن أمدح به غيرك من الناس، لرغبته في محاسنك وزهدة فيمن سواك، لأنهم لا يستحقونه.

الذكي: الرائحة الشديدة.

يقول: إن شعري كره أن أمدح به غيرك لأنه قد رأى الرياض تشكر المطر. ففوحها طيب كلامها وثنائها على المطر فتشكر على قدر إمكانها، فأرادني أن أمدحك به فأؤدي شكرك.

جهد المقل فكيف بابن كريمةٍ　　　توليه خيراً واللسان فصيح

يقول: إذا شكرت الرياض للمطر، بالريح الذكي، وذلك جهد المقل، فكيف ظنك بابن حرة توليه براً جزيلاً وإحساناً جميلاً، وله لسان فصيح، فاعذره إذا ترك الثناء عليك.

وقال أيضاً يمدحه:

أمساورٌ أم قرن شمسٍ هذا؟　　　أم ليث غابٍ يقدم الأستاذا؟

يقدم: أي يتقدم. والأستاذ: قيل هو الممدوح الذي هو مساور، أو قرن الشمس أيضاً اشتبه بقرن الشمس حتى إنه يحتاج إلى الاستفهام أنه هو، أم قرن الشمس؟ وقرن الشمس أول ما يبدو منها، ويكون ليث غاب على هذا: هيبته التي تسبق إلى قلوب الناس دون نفس مساور، لأن الشيء لا يتقدم نفسه فكأنه قال: إن هيبته التي تسبق ليث غاب، تقدم مساوراً وقيل: إن الأستاذ غير مساور، الذي هو الممدوح. وقيل: هو كافورٌ الإخشيدي وكان مساور في حجابه أو قواده. فيكون على هذا شبه الأستاذ بالشمس، وشبه مساوراً بقرنها، ثم جعله أيضاً ليث غاب يتقدم الأستاذ في سيره، أو في موكبه. وقيل: إن الأستاذ ليس هو رجلاً بعينه، وإنما المقصود: أن مساوراً في شجاعته يسبق أستاذه، ودون أستاذه يعجز عنه.

شم ما انتضيت فقد تركت ذبابه قطعاً وقد ترك العباد جذاذا

يقول: أغمد ما انتضيته يعني: السيف. فقد تركت حده قطعاً من كثرة ما ضربت به، وقد ترك السيف عباد الله قطعاً.

هبك بن يزدادٍ حطمت وصحبه أترى الورى أضحوا بني يزداذا

هب: أي اجعل.

يقول: هب أنك كسرت ابن يزداد وأصحابه، أترى أن الناس كلهم بنو يزداد، فتقتلهم وتحطمهم، كما قتلت خصمك! كأنه قد كان جاوز عن قتل أعدائه إلى قتل غيرهم.

غادرت أوجههم بحيث لقيتهم أقفاءهم وكبودهم أفلاذا

يقول: غادرت أي تركت وجوههم عندما لقيتهم أقفاءهم: أي طمست آثارها حتى لم تبين وجوهم من أقفائهم. وقيل: أراد أنك هزمتهم فقامت أقفاؤهم: أي طمست آثارها حتى لم تبين وجوههم من أقفاءهم: أي طمست آثارها حتى لم تبين وجوههم من أقفائهم. وقيل: أراد أنك هزمتهم فقامت أقفاؤهم في استقبالهم مقام وجوههم، وتركت أكبادهم متقطعة.

في موقفٍ وقف الحمام عليهم في ضنكه واستحوذ استحوذا

يقول: فعلت ذلك بهم، في موقفٍ وقف الموت عليهم في مضيق ذلك الموقف، أي في موقف صعب، وغلبت عليهم غلبة عظيمة.

جمدت نفوسهم فلما جئتها أجريتها وسقيتها الفولاذا

التأنيث: للنفوس. وجمدت نفوسهم: يجوز أن يريد جمدت دماؤهم فلما جئتها أجريتها وأذبتها، ثم أسقيتها الفولاذا لأنه كان ظامئاً إليها.

لما رأوك رأوا أباك محمداً في جوشن وأخا أبيك معاذا

يقول: لما رآك ابن يزداد وأصحابه، رأوا برؤيتك أباك وعمك، لأنك أشبهتهما فعلاً ونجدة، فكأنهما كانا في جوشن واحد، وقيل رأوهما في جوشنك، وذلك جامعٌ لمدحه ومدح أبيه وعمه، لأنه نسبهما إلى الشجاعة.

أعجلت ألسنهم بضرب رقابهم عن قولهم لا فارسٌ إلا ذا

يقول: لما رأوك أرادوا أن يقولوا: ليس في العالم فارسٌ إلا هذا، فأعجلتهم عن قول ذلك بضرب رقابهم قبلها.

غرٌّ طلعت عليه طلعة عارضٍ مطر المنايا وابلاً ورذاذا

مطر المنايا: يجوز أن يكون منصوباً بتقدير فعل، فكأنه يقول: وأمطرت عليهم مطر المنايا. والوجه عندي غير ذلك وهو: أن يكون مطر المنايا فعلاً ماضياً وفاعله ضمير عارض: تقديره طلعت عليهم طلعة عارض أمطر ذلك العارض عليهم المنايا.

يقول: إن ابن يزداد كأنه لم يجرب الأمور؛ فطلعت عليهم طلعة سحاب ماطر، غير أن مطره كان الموت. ووابلاً: أي عظيماً، ورذاذا: أي صغيراً، شبه الدم السائل من ضربة السيف بالوابل، ومن الطعن فيهم بالرذاذ.

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه بدمٍ وبل ببوله الأفخاذا

يقول: غدا ابن يزداد، أسيراً جريحاً، قد بللت ثيابه من دمه، وبل هو أفخاذه ببوله، خوفاً منك وفزعاً.

سدت عليه المشرفية طرقه فانصاع لا حلباً ولا بغداذا

المشرفية: السيوف المنسوبة إلى اليمن وتعمل فيها. وانصاع: أي انصرف وانثنى. يقال: صعته فانصاع.

يقول: سدت عليه السيوف طرقه؛ لأنك أسرته فبقي حائراً لم يصل إلى حلب ولا إلى بغداد.

طلب الإمارة في الثغور ونشؤه ما بين كرخايا إلى كلواذا

هاتان قريتان من رستاق بغداد.

يقول: إنه طلب إمارة الثغور، ونشؤه بين هذين الموضعين، والسواد لا تصلح للإمارة.

فكأنه حسب الأسنة حلوةً   أو ظنها البرني والأزاذا

البرني والأزاذ: نوعاً من التمر.

يقول: حسب من جهله أن الأسنة حلوة، أو ظنها هذين النوعين من التمر، ولم يعلم أن طعمها بالخلاف.

لم يلق قبلك من إذا اختلف القنا   جعل الطعان من الطعان ملاذا

يقول: إن ابن يزداد لم يلق قبلك رجلاً إذا ترددت الرماح واختلفت، جعل المطاعنة ملاذاً من المطاعنة، ومعناه: أنه يتحصن بالمطاعنة من أذى خصمه. فكأنه هرب من الطعان إلى الطعان، في حال ما يلتجىء غيره إلى العساكر والحصون.

من لا توافقه الحياة وطيبها   حتى يوافق عزمه الإنفاذا

يقول: لم يلق ابن يزداد قبلك أحداً لا توافقه الحياة وطيبها، أي لا تطيب له الحياة، حتى يمضي عزمه فيما يقصده.

متعوداً لبس الدروع يخالها   في البرد خزاً والهواجر لاذا

اللاذ: ثوبٌ رقيق كالكتان، أو أرق منه.

يقول: لم يلق ابن يزداد قبلك متعوداً لبس الدروع في الصيف والشتاء حتى يخالها التذاذاً بها واعتياداً للبسها أنها في البرد: خز. وفي الصيف: كتان، أو ثوب رقيق.

أعجب بأخذكه وأعجب منكما   ألا تكون لمثله أخاذا!

يقول: ما أعجب أخذك له، وأسرك إياه! وأعجب منك ومنه ألا تكون أخاذاً لمثله مع فضل قوتك!

وقال يرثي محمد بن إسحاق التنوخي

إني لأعلم واللبيب خبير   أن الحياة وإن حرصت غرور

ورأيت كلاً ما يعلل نفسه   بتعلة وإلى الفناء يصير

يقول: إني أعلم أن الحياة غرور، وإن حرصت عليها، وملت إليها، وإنما أعلم ذلك لأني عاقل، والعاقل يعلم ذلك لا محالة.

أمجاور الديماس رهن قرارةٍ   فيها الضياء بوجهه والنور

الديماس: حفرة القبر، وقيل: هو اسم لحبس الحجاج، كان لا يدخله أحدٌ ويخرج منه! وقوله: رهن قرارةٍ: منصوب على الحال، أو على البدل من مجاور الديماس، والقرارة: أراد بها أرض القبر، والهاء في فيها ترجع إلى القرارة.

يقول: يا ساكن القبر قد أنار الأرض نور وجهك.

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى — أن الكواكب في التراب تغور

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى — رضوى على أيدي الرجال يسير

يقول: ما كنت أظن أن النجوم تغور في الثرى، أي تغيب، حتى رأيت تواريك في القبر، وما كنت أرجو قبل رؤيتك على النعش، أن الجبل يسير على أيدي الرجال.

خرجوا به ولكل باكٍ خلفه — صعقات موسى يوم دك الطور

يقول: خرجوا به إلى القبر، والباكين كل له غشيانٌ كغشيان موسى عليه السلام، يوم دك الطور، أي أزيل وسوى به الأرض، وهو من قوله تعالى "وخر موسى صعقاً".

والشمس في كبد السماء مريضةٌ — والأرض واجفةٌ تكاد تمور

مرض الشمس: عبارة عن قلة ضوئها، وعن كسوفها، وكأن الشمس في تلك الحالة مرتجة في وسط السماء، والأرض مضطربة. تكاد الأرض تمور أي تزلزل وتدور، وإنما قال في وسط السماء؛ لأن الشمس في تلك الحالة تكون أضوأ ما تكون.

وحفيف أجنحة الملائك حوله — وعيون أهل اللاذقية صور

صور: جمع أصور، وصور: أي مائلة.

يقول: حضرت الملائكة جنازته، فكأن حوله أصوات أجنحتهم عند سيرهم مع الجنازة، وعيون أهل هذه البلدة مائلة نحو جنازته تحسراً عليه وعلى مفارقته.

حتى أتوا جدثاً كأن ضريحه — في قلب كل موحدٍ محفور

يقول: حتى أتو به قبراً، كأن ضريحه حفر في قلب كل موحد، يعني أن موته صعب على الموحدين؛ فكأنهم حفروا قبره في قلوبهم؛ لعظم تأثيره فيهم. وقيل: أراد أنه ليس يغيب ذكره عن قلوب الموحدين فكأنه دون فيها، ويجوز أن يريد بتشبيه قبره بقلوب الموحدين: إشارة إلى حصول النور فيه لما دفنه فيه كالنور الذي يكون في قلب المؤمن الموحد.

بمزودٍ كفن البلى من ملكه　　　　مغفٍ وإثمد عينه الكافور

مزود: صفة لمحذوف، أي برجل مزود.

يقول: أتوا القبر برجل مزود عن جميع ما يملكه، كفناً يبلى وهو مغف: أي مغض عينيه. وإثمد عينيه: أي كحلهما. الكافور: أي إنه لم يحمل من ماله لنفسه إلا الكحل والكفن والحنوط.

فيه السماحة والفصاحة والتقى　　　　والبأس أجمع والحجا والخير

أي في الجدث. أو في المرثى، والخير هنا: الكرم. والحجا: العقل فكأنه يقول: إن هذه المعاني دفنت بدفنه.

كفل الثناء له برد حياته　　　　لما انطوى فكأنه منشور

انطوى: كناية عن موته. والمنشور: عن حياته.

يقول: كفل له الثناء أو الذكر برد حياته، فكأنه حي بعد الدفن والموت، يعني: أن ذكره الجميل باق بعده، فكأنه لم يمت؛ لقيام ذكره له مقام الحياة ومثله لآخر:

ردت صنائعه إليه حياته　　　　فكأنه من نشرها منشور

فكأنما عيسى بن مريم ذكره　　　　وكأن عازر شخصه المقبور

يقول: إن ذكره الباقي بعده، أحياه فكأن ذكره، المسيح عليه السلام، وكأن شخصه المقبور، عازر. وهو: الذي أحياه الله تعالى على يد السيد المسيح.

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالاً:

غاضت أنامله وهن بحور　　　　وخبت مكايده وهن سعير

يقول: كانت أنامله في الجود كالبحور، فغار ماؤها، وكانت مكايده في الحرب سعيراً، فخبت وطفئت.

يبكى عليه وما استقر قراره　　　　في اللحد حتى صافحته الحور

قراره: يرفع وينصب؛ الرفع باستقر، والنصب على الظرفية.

يقول: يبكى عليه، ومن الواجب ألا يبكى عليه؛ لأنه لم يستقر قراره حتى أتاه من الكرامة والثواب، وصافحته الحور، ويجوز أن يكون على الاستفهام والتوبيخ، أي نبكي وهو لم يستقر قراره حتى صافحته الحور.

صبراً بني إسحاق عنه تكرماً　　　　إن العظيم على العظيم صبور

نصب صبراً: على المصدر أي اصبروا صبراً، وتكرماً: نصب لأنه مفعول له.

يقول: اصبروا وترفقوا عن الجزع عن هذا الميت؛ لأن قدركم عظيم، والمفجوع به عظيم، والمصيبة بمثله عظيمة، والعظيم يصبر على العظيم، فاصبروا على عظماء.

فلكل مفجوعٍ سواكم مشبهٌ ولكل مفقود سواه نظير

يقول: لكل مصاب نظير غيركم فإنه لا نظير لكم، ولكل مفقود غير هذا الميت نظير، فإنه لا نظير له. أي ليس في الأحياء مثلكم ولا في الأموات مثله! وقيل: إن هذا أمر عام فلكم أمثال وله نظير؛ لأن المفجوعين والمفقودين كثير.

أيام قائم سيفه في كفه ال يمنى وباع الموت عنه قصير

أيام: نصب بقوله لكل مفقود سواه نظير أيام.

يقول: لكل مفقود نظير أيام. وقيل: تقديره اذكر، أو اذكروا أيام.

يقول: كانقائم سيفه أيام حياته في يمناه إشارة إلى شجاعته، وكان باع الموت مع طوله واقتداره، قصير عنه!

ولطالما انهملت بماءٍ أحمرٍ في شفرتيه جماجمٌ ونحور

فاعل انهملت: جماجم ونحور.

يقول: لطالما انهملت جماجمٌ ونحورٌ، بماءٍ أحمر، وهو الدم. في شفرتيه: أي شفرتي سيفه.

فأعيذ إخوته برب محمدٍ أن يحزنوا ومحمدٌ مسرور

يقول: أعيذ إخوة الميت، برب محمد، وهو الميت، أن يحزنوا عليه، وهو مسرورٌ: أي بما أتاه الله من الثواب والكرامة، وأسباب المسرة. ويجوز أن يكون محمد الأول النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني الميت.

أو يرغبوا بقصورهم عن حفرةٍ حياه فيها منكرٌ ونكير

يقول: وأعيذهم أن يرغبوا في قصور الدنيا عن دار الآخرة، وأن ينسوا ما يلزمهم من الأعمال الصالحة، فكنى عن الآخرة بحفرة هذا الميت، الذي حياه فيها منكر ونكير، فكأنه يحثهم على الاستعداد للموت. وقيل: أراد أعيذهم أن يتركوا زيارة قبر هذا الميت، الذي حياه فيه منكر ونكير، ويلزموا قصورهم المنيفة.

نفرٌ إذا غابت غمود سيوفهم عنها فآجال العداة حضور

يقول: هم نفرٌ، إذا سلوا سيوفهم، ففارقت غمودها حضرت آجال العباد، وقتلوا من شاءوا.

وإذا لقوا جيشاً تيقن أنه   من بطن طيرٍ تنوفةٍ محشور

الضمير في لقوا: يعود إلى النفر، والتنوفة: الفاختة. وتيقن فعل الجيش. والهاء في أنه للجيش، ووحد محشور لهذا المعنى.

يقول: إنهم إذا لقوا جيشاً في الحرب تيقن ذلك الجيش أنهم مقتولون فتأكلهم طيور الفاختة، فيحشرهم الله تعالى يوم القيامة من بطونها.

لم تثن في طلبٍ أعنة خيلهم   إلا وعمر طريدها مبتور

يقول: إنهم لا يثنون أعنة خيلهم في طلب عدوهم، إلا أدركوه، وجعلوا عمره مبتوراً: أي مقطوعاً.

يممت شاسع دارهم عن نيةٍ   إن المحب على البعاد يزور

عن نيةٍ: أي بعدٍ.

يقول: إني قصدت دارهم البعيدة، على بعد المسافة؛ لحبي لهم، وقد تبين ذلك. ويجوز أن يريد بقوله عن نيةٍ: أي عن قصدٍ مني إليهم، ونيةٍ مني على زيارتهم؛ لحبي إياهم، ولم يكن ذلك اتفاقاً، أو على سبيل الاجتياز بهم. ثم قال: إن المحب على البعاد يزور وهذا كقول القائل وهو:

من عالج الشوق لم يستبعد الدار

وقريب منه قول الآخر:

وما كنت زوراً ولكن ذا الهوى   إذا لم يزر لابد أن سيزور

ومثله قولهم:

إن المحب إذا لم يستزر زارا

وقنعت باللقيا وأول نظرةٍ   إن القليل من الحبيب كثير

يقول: رضيت برؤيتهم، بل بأول نظرةٍ ولم أطل المقام للنظر؛ لأن القليل من المحب كثير فأنا محب لهم.

إن من قوله: غاضت أنامله إلى قوله: ولطالما انهملت بماء أحمر زيادة قالها ارتجالاً، بعد أن قال القصيدة فألحقت في هذا الموضع.

وسأله بنو عم الميت أن ينفي الشماتة عنهم فقال ارتجالاًك

ألآل إبراهيم بعد محمدٍ   إلا حنينٌ دائمٌ وزفير

الهمزة: للاستفهام، ومعناه الجحد.

يقول: ما لآل إبراهيم وهم بنو عم الميت بعد موت هذا الرجل إلا الحنين الدائم، وهو الشوق إليه، وكذلك الزفير الدائم والبكاء أسفاً عليه، وإنما قال ذلك: لأن بعضهم قالوا: إنهم شمتوا به، فنفى عنهم ذلك.

ما شك خابر أمرهم من بعده أن العزاء عليهم محظور

يقول: ما شك من اختبر أمرهم وتأمله، من بعد المتوفى أن الصبر عليهم ممنوع حرام؛ لما هم فيه من الغم والجزع والقلق والهلع.

تدمي خدودهم الدموع وتنقضي ساعات ليلهم وهن دهور

فاعل تدمي: الدموع، ومفعوله: خدودهم، والواو في قوله وهن واو الحال.

يقول: إنهم من كثرة ما جرت دموعهم على خدودهم قرحت خدودهم حتى صارت تدمى، وإنهم من كثرة سهرهم بالليل، صارت ساعات الليل عندهم بمنزلة الدهور. وقيل: أراد، إنهم يبكون الدم مكان الدمع.

أبناء عمٍّ كل ذنبٍ لامرىءٍ إلا السعاية بينهم مغفور

يقول: هم أبناء عمٍّ واحد، فكل ذنب لديهم مغفور، إلا السعاية بينهم، فإن من حقهم ألا يغفروها، وأن يعاقبوا من سعى بينهم بالعداوة.

طار الوشاة على صفاء ودادهم وكذا الذباب على الطعام يطير

يقول: إن الوشاة تعرضوا ليفسدوا ما بينهم من صفاء الود، كما أن الذباب يطير على الطعام لإفساده، ولم تؤثر وشايتهم في ودادهم، إلا قدر ما أثر الذباب في إفساد الطعام، إذا طار عليه. وهذا إشارة إلى قلة الوشاة وحقارتهم، وقيل أراد بقوله: طار الوشاة، أي ذهبوا وهلكوا.

ولقد منحت أبا الحسين مودةً جودي بها لعدوه تبذير

أبو الحسين: أخ الميت. وقيل: هو المرثي.

يقول: إني منحته مودة عظيمة، ولو وجدت بها لعدوه لكان تبذيراً وكنت مبذراً مسرفاً؛ وذلك لنقصان عدوه فلا يستحق مودتي، أو لكثرة حقوقه وعظم مننه لدي، لو أحببت غيره كحبه، لكنت واضعاً للمودة في غير موضعها.

ملك تكون كيف شاء كأنما يجري بفضل قضائه المقدور

يقول: إنه ملك تكون على مشيئته، اختيارٌ كيف شاء، حتى كأن المقادير تجري على مراده، فلم يجر عليه شيئاً يكرهه.

وقال أيضاً في نفي الشماتة عنهم:

لأي صروف الدهر فيه نعاتب؟ وأي رزاياه بوترٍ نطالب؟

اللام في لأي: يجوز أن تجعل زائدة؛ لتقديم المفعول كقوله تعالى: "للرؤيا تعبرون" وإن كان لا يقال: عبرت للرؤيا، ويجوز أن تجعل: لام الغرض. فكأنه قال: لأي أفعال الدهر في هذا نعاتب الدهر.

يقول: من كثرة نوائب الدهر لا ندري ما الذي نعاتب منها؛ لكثرة الرزايا فلا ندري أيها نطالب بالوتر فيه، ويجوز أن يريد في الدهر، ويجوز أن يريد فيه موتته أو في هذا الفعل.

مضى من فقدنا صبرنا عند فقده وقد كان يعطى الصبر والصبر عازب

يقول: مضى بالموت من فقدنا صبرنا بمصيبته، فقد كانت حياته لعظم صبره، يعطينا الصبر إذا بعد عنا الصبر. والمعنى أنه كان يشجعنا على الحرب ويعلمنا الثبات.

يزور الأعادي في سماء عجاجةٍ أسنته في جانبيها الكواكب

يقول: إنه كان يزور الأعداء في سماء العجاجة، وكانت أسنته في جانبي هذه السماء كواكب. شبه الغبار المتراكم بالسماء، وأسنة الممدوح التي تلمع من خلال ذلك الغبار، بالكواكب اللامعة من السماء ومثله للآخر:

نسجت حوافرها سماءً فوقها جعلت أسنتنا نجوم سمائها

فتسفر عنه والسيوف كأنما مضاربها مما انفللن ضرائب

فتسفر: فعل العجاجة، وعنه: أي عن المرثي. والواو في قوله: والسيوف للحال. والمضارب: جمع المضرب، وهو حد السيف. والضرائب: جمع الضريبة وهو الشيء المضروب بالسيف.

يقول: كانت تنجلي هذه العجاجة عن هذا المرثي، ومضارب السيوف كلها منكسرة؛ من كثرة ما قتل بها الأعداء، فكأنها لانفلالها مواضع الضرب.

طلعن شموساً والغمود مشارقٌ لهن وهامات الرجال مغارب

طلعن: فعل السيوف. وشموساً: نصب على التمييز. شبهها بالسيوف لما انتضيت من أغمادها.

يقول: مطالع هذه الشموس، الأغماد لظهورها منها، ومغاربها، هامات الرجال؛ لأنها تغيبت فيها فهن يطلعن من مطالعها، وهي الأغماد، ويغربن في مغاربها، وهي الهامات.

مصائب شتى جمعت في مصيبةٍ ولم يكفها حتى قضتها مصائب

يقول: ليست هذه مصيبةً واحدةً، بل هي مصائب متفرقة، جمعت في مصيبةٍ واحدة؛ لأنه كان يموت خلقاً كثيراً، فماتوا بموته، ولم يكفها ذلك حتى تبعتها مصائب أخر، وهي أقوال العداة: إنا شامتون بموته، فإن هذه مصيبة انضمت إليها.

رثى ابن أبينا غير ذي رحم له فباعدنا منه ونحن الأقارب

رثى: أي رحم، ورق. وغير: فاعله، ومفعوله: ابن أبينا.

يقول: رثى هذا الميت، الذي هو ابن أبينا، من هو غير ذي رحم لنا، بل هو بعيد عنه وعنا، وباعدنا هذا الراثي عن هذا المرثي، ونحن أقاربه وبنو عمه.

وعرض أنا شامتون بموته وإلا فزارت عارضيه القواضب

العارضان: جانبا اللحية: وهما العذاران.

يقول: عرض الراثي أنا شامتون بموته، إلا أنه كذب، وزارت السوف عارضيه.

أليس عجيباً أن بين بني أبٍ لنجلٍ يهوديٍّ تدب العقارب؟ !

تدب العقارب: كناية عن النميمة.

يقول: أليس من العجائب أن تدب عقارب ولدٍ يهودي، بين بني أبٍ! ووصفه بأنه ابن يهودي لذلته وحقارته. وقيل: أراد بأن اليهود اشتهر عنهم مكاتمة عداوة المسلمين، والمشي بينهم بالسعايات.

ألا إنما كانت وفاة محمدٍ دليلاً على أن ليس لله غالب

يقول: كانت وفاة محمد، المرثي في عزته ومنعته ومجده، دليلاً على أن الله تعالى لا يغلبه أحد. ومثله لأبي تمام:

كفي فقتل محمدٍ لي شاهدٌ أن العزيز مع القضاء ذليل

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي

هو البين حتى ما تأنى الحزائق ويا قلب حتى أنت ممن أفارق

هو: إضمار للبين، ولم يجر له ذكر، وذلك لتعظيم الأمر ومثله قوله تعالى "قل هو الله أحدٌ" وتأنى أي تثبت، وأصله: تتأنى. والحزانق: جمع الحزنقة وهي الجماعة.

يقول: هو البين المتناهي الذي كنا نحاذره، حتى أن الجماعات لا تقف وتثبت، وحتى أنت يا قلبي من وجد ممن أفارقه في أحبابي. يعني: أن البين بلغ حداً إذ ارتحل القلب فارتحل مع ما ارتحل.

وقفنا ومما زاد بتاً وقوفنا فريقي هوىً منا مشوقٌ وشائق

وقوفنا: فاعل زاد. وقوله: فريقي هوىً: نصب على الحال من النون والألف في قوله وقوفنا. يقال: شاقني الشيء، والمشوق: هو العاشق الذي شاقه غيره، والشائق: هو المعشوق؛ لأنه الحامل على الاشتياق فهو شائق، وأنا مشوق.

يقول: وقفت أنا والحبيب للتوديع ومن جملة ما عمنا أنا وقفنا في حالٍ ما كنا عليه، ونحن فرقتان: أحدهما محب مشوق والآخر محبوب يشوق صاحبه، بعد فراقه.

وقد صارت الأجفان قرحى من البكا وصار بهاراً في الخدود الشقائق

البهار: جمع بهارة، وهي شيء أصفر، من الرياحين. والشقائق: هي التي تدعى شقايق النعمان، وهي حمر. وروى: قرحاً منوناً على الاسم، وقرحى غير منونةٍ، صفة الأجفان، والمعنى واحد.

يقول: قد صارت الأجفان قريحة من البكاء غداة التوديع لخوف الفراق، وصار بهاراً أصفر في الخدود الشقائق، ومثله لابن المعتز قوله:

لم تشن شيئاً ولكنها بدلت التفاح بالياسمين

على ذا مضى الناس: اجتماعٌ وفرقةٌ وميتٌ ومولودٌ، وقالٍ ووامق

وروى: مضى الدهر أي على هذا. وذلك، إشارة إلى ما تقدم ثم فسره فقال: اجتماعٌ وفرقةٌ. يعني: أن الناس يجتمعون تارةً ويتفرقون أخرى، وواحدٌ يموت وآخر يولد وواحدٌ مبغض وآخر عاشق، وقيل: أن معناه أن بني آدم على اجتماع بعد فرقة، وميت بعد مولود، ومبغض بعد عاشق، ومثله للأعشى.

شبابٌ وشيبٌ، وافتقارٌ وثروةٌ فلله هذا الدهر كيف ترددا

تغير حالي والليالي بحالها وشبت وما شاب الزمان الغرانق

تغير: فعل ماض. وروى: تغير: وهو فعل مضارع، وأصله تتغير، لأن الحال مؤنث فحذف أحد التاءين. والأول أولى. والغرانق: هو الشاب الناعم، وجمعه: غرانيق.

يقول: إن الليالي قد أثرت في وغيرتني، وهي بحالها، وشبت أنا والزمان لا يتغير عن حاله وجدته.

سل البيد: أين الجن منا بجوزها؟ وعن ذي المهاري: أين منها النقانق؟

البيد: جمع البيداء، والهاء في بجوزها: أي بواسطها. والمهاري: جمع المهرية. وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، وهي قبيلة. والنقانق: جمع النقنق، وهو ذكر النعام.

يقول: سل المفاوز: هل الجن تقطع وسطها كما نقطعها نحن! وسلها: أيضاً عن حال إبلنا في سرعة سيرها، هل تقطها النعام كما تقطها إبلنا؟ لأن النعام موصوفة بسرعة السير.

وليلٍ دجوجي كأنا جلت لنا محياك فيه فاهتدينا السمالق

السمالق: جمع السملق، وهي الأرض البعيدة الأطراف، وفاعل جلت: السمالق، وجلت: أي أظهرت.

يقول: وكم ليلة مظلمة؟ كأنما أظهرت لنا المفاوز وجهك المضيء حتى اهتدينا بضوئه.

فما زال لولا نور وجهك جنحه ولا جابها الركبان لولا الأيانق

جنحه: جوانبه، وهو فاعل زال، والهاء في جابها: للسمالق أو للبيد. والأيانق: جمع الأينق: وهو جمع الناقة.

يقول: لولا نور وجهك ما زال ظلام الليل، ولولا النوق؛ لما قطع الركبان تلك السمالق؛ لبعدها وصعوبتها.

وهزٌّ أطار النوم حتى كأنني من السكر في الغرزين ثوبٌ شبارق

الهز: تحريك الإبل ركبانها في السير. وهو عطف على الأيانق، وقيل: عطف على قوله: وليل دجوجي فكأنه قال: ورب هزٍّ والأول أولى.

والمعنى لولا الأيانق ولولا هزها الذي طير النوم عني، لما قطعنا هذه المفاوز، حتى كأنني من السكر: أي من النعاس في الغرزين: وهما؛ ركابان للبعير من الخشب. وثوب شارق: أي مقطع مخرق. تعباً وضعفاً واسترخاءً.

شدوا بابن إسحاق الحسين فصافحت ذفاريها كيرانها والنمارق

شدوا: أي غنوا وأحدوا. والذفرى: العظم الناشز خلف الأذن. وقيل: الذفرى من القفا هو الموضع الذي يعرق من البعير. وتقديره شدوا بالممدوح، ابن إسحاق، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

يقول: حدى الحداة باسم الممدوح، بصوتٍ كالغناء فسمعت الإبل حدوهم فعرفت، ورفعت رءوسها، حتى أدركت ذفاريها الرحال والوسائل.

بمن تقشعر الأرض خوفاً إذا مشى عليها وترتج الجبال الشواهق

تقشعر: أي تضطرب، وكذا، ترتج الجبال: يعني حدوا بمن إذا مشى على الأرض اضطربت خوفاً، وإذا علا الجبال الشاهقة اضطربت هيبةً منه.

فتىً كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق

الجون: الأسود. الحيا: المطر.

يقول: إن هذا الرجل هو كالسحاب الأسود الذي فيه المطر، فهو ترجى منه الأمطار، ويخشى منه الصواعق. أي أنه مرجو مخوف.

ولكنها تمضي وهذا مخيمٌ وتكذب أحياناً وذا الدهر صادق

يقول: إن السحاب قد تغيب، وهذا مقيمٌ أبداً، وقد تكذب السحاب فلا تمطر وهذا صادق الدهر فلا يخيب راجيه.

تخلى عن الدنيا لينسى فما خلت مغاربها من ذكره والمشارق

يقول: اعتزل عن الدنيا استحقاراً لها، وتعفف فما ازداد إلا جلالة وعظماً فلم يخل من ذكره المشرق والمغرب.

غدا الهندوانيات بالهام والطلى فهن مداريها وهن المخانق

المدارى جمع: المدارى والمدارة وهي شيء يفرق به الشعر، وهو المشط وقد يكون من الذهب، والفضة والحديد والعاج والخشب.

يقول إذا السيوف الهندية بالهام والأعناق، فبعضها مدارى يعملها في الهام، وبعضها مخانق للزومها في الأعناق وقطعها إياها.

تشقق منهن الجيوب إذا غزا وتخضب منهن اللحى والمفارق

يقول: تشقق من هذه السيوف الجيوب، إذا غزا الممدوح أعداءه، وتخضب منها مفارق الرأس واللحى، إذا ضرب أعداءه بها.

يجنبها من حتفه عنه غافلٌ ويصلي بها من نفسه منه طالق

التأنيث: للسيوف، والتذكير: لمن.

يقول يجنب هذه السيوف من غفل هلاكه عنه، ويصلى بها من صارت نفسه طالقةً منه.

يحاجي به: ما ناطقٌ وهو ساكتٌ؟ يرى ساكتاً والسيف عن فيه ناطق

يحاجي: أي يغالط، والأحجية: المعماة.

معناه: يحاجي بهذا الرجل فيقال: ما ناطقٌ ساكتٌ؟ فجواب المجيب: هذا الرجل؛ لأنه يرى ساكتاً إذا أمسك عن الكلام. وفي الحرب، السيف ينطق عنه بقتل أعدائه، فيقوم فعل السيف مقام لفظه.

نكرتك حتى طال منك تعجبي ولا عجبٌ من حسن ما الله خالق

يقول: إنما نكرتك لما رأيت محاسناً خارجة عن المعتاد، حتى تعجبت منك، ثم عاودت نفسي فقلت: ولا عجب من صنع الله تعالى. ويجوز أن يريد: إني لما سمعت بوصفك نكرتك فلما عاينتك رأيت مصداق ما سمعت فزال التعجب عني.

كأنك في الإعطاء للمال مبغضٌ وفي كل حربٍ للمنية عاشق

يقول: كأنك مبغضٌ مالك؛ لكثرة تفريقه للناس، وكأنك عاشق للموت في كل حرب، لملازمتك دواعيها وأسبابها.

ألا قلما تبقى على ما بدا لها وحل بها منك القنا والسوابق

يبقى: فعل القنا، والسوابق. والهاء في بها ولها: ترجع إليها أيضاً. وتقديره ألا قل ما تبقى القنا والسوابق على ما بدا لها، وحل بها من جهتك، من مدافعة الطعن بالقنا، وإجراء الخيل السوابق. وقيل: إن قوله: تبقى ترجع إلى الحرب يقول: ما تبقي الحرب على ما بدا لها منك؛ لأنك إذا حضرتها هزمت الأعداء فلا تبقى حرب. وقوله: وحل بها... إلى آخره: حال. أي في تلك الحال.

خف الله واستر ذا الجمال ببرقعٍ فإن لحت ذابت في الخدور العواتق

العواتق: جمع العاتق، وهي المرأة الحسناء.

يقول: اتق الله واستر جمالك ببرقع، فإنك إن ظهرت لذوات الخدور من النساء، الجواري الأبكار، ذبن وجداً بك، وشوقاً إليك. وروى حاضت في موضع ذابت أي إذا رأينك حضن؛ لأنه يقال: إن

الشهوة إذا غلبت على النساء حضن. ويجوز أن يريد بذلك: أن الحسان من النساء بالإضافة إلى جمالك، بمترلة من حاضت، في باب سقوط درجتها عن صواحبها.

سيحيي بك السمار ما لاح كوكبٌ ويحدو بك السفار ما ذر شارقٌ

حذف مفعول سيحيي وهو الليل لدلالة الكلام عليه، وكذلك يحدو بك السفار: وهي الإبل.

يقول: إن المحدثين بالليل يحيون الليالي بذكرك وحديثك، والمسافرون يحدون إبلهم بك ما طلع نجم وما طلعت الشمس، والأولى أنهم يسمرون ويحدون بشعري الإبل فيك.

فما ترزق الأقدار من أنت حارمٌ ولا تحرم الأقدار من أنت رازق

ولا تفتق الأيام ما أنت راتقٌ ولا ترتق الأيام ما أنت فاتق

يقول: إن الأقدار موافقةٌ لك، فترزق من ترزق، وتحرم من تحرمه أنت، ولا تنقض الأيام ما تبرمه أنت، ولا تبرم ما نقضته أنت.

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقية لاحق

يقول: دام لك الخير، وهذا دعاء له، ثم عاد إلى ذكر نفسه وقال: غيري من الناس طلب الغنى من غيرك، والتحق بغير بلدتك، فأما أنا فلا أفضل سواك عليك.

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

يقول: إن اللاذقية هي الغرض الأبعد الذي لا غاية بعده، ومنيتي رؤيتك، والدنيا كلها مترلك، وإن كان مسكنك اللاذقية، وأنت جميع الخلق، بما فيك من فضائل الناس كلهم، وهذا كقوله أيضاً:

إلا رأيت العباد في رجل

وهجى الحسين بن إسحاق على لسان أبي الطيب، فكتب إليه يعاتبه فأجابه

أتنكر يا ابن إسحاق إخائي وتحسب ماء غيري من إنائي

يقول معاتباً له أتنكر؟!: أي تجحد مؤاخاتي لك، بعد ما عرفتها مني، وتحسب ماء غيري من إنائي، وهو مثل يعني: تحسب ما هجيت به من شعر غيري أنه من شعري فلا تميز بين شعري وشعر غيري؟!

أأنطق فيك هجراً بعد علمي بأنك خير من تحت السماء

الهجر: الكلام القبيح.

يقول: أقول فيك فحشاً، بعد ما علمت أنك خير من في الأرض وتحت السماء، وروى: أأنطق فيك هجواً.

وأكره من ذباب السيف طعماً ... وأمضي في الأمور من القضاء

وأكره: عطف على قوله: خير من تحت السماء.

يقول: أقول فيك فحشاً بعد علمي بأنك أكره من حد السيف طعماً وأمضى من القضاء في الأمور!!

وما أربت على العشرين سني ... فكيف مللت من طول البقاء؟ !

يقول: ما زاد سني على عشرين سنة، فكيف مللت من طول حياتي حتى أهجوك فتقتلني؛ لأني إذا هجوتك لا آمن على نفسي من الهلاك.

وما استغرقت وصفك في مديحي ... فأنقص منه شيئاً بالهجاء

يقول: لم استوف مدحي فيك بعد، وما أدركت الغاية فكيف أنقص منه شيئاً بالهجاء؟

وهبني قلت: هذا الصبح ليلٌ ... أيعمى العالمون عن الضياء !

معناه: هب أني قلت: إن هذا النهار ليلٌ! أيعمى العالمونعن ضياء هذا النهار؟! وهذا مثلٌ ضربه في أنه هجاه، وذكره مغايرة ليتقبله الناس بمشاهدهم فضله.

وقالوا: إنه كالنهار الذي لا يخفي ضوء الشمس فيه، ولقالوا: إني عابثٌ في ذلك.

تطيع الحاسدين وأنت مرءٌ ... جعلت فداءه وهم فدائي

أصله: أتطيع، فحذف ألف الاستفهام. وقوله: جعلت فداءه. أخرجه مخرج الدعاء. وهم: يحتمل أن يكون عطفاً على التاء من جعلت، الذي هو ضمير المرفوع، فيكون قد عطفه على ضمير المرفوع المتصل من غير توكيد بالمنفصل، وكان حقه أن يقول: جعلت أنا فداءه وهم فدائي. غير أن هاهنا حسن ذلك لوقوع فداءه بين المعطوف والمعطوف عليه، ويحتمل أن يكون: وهم فدائي جملة منفصلة عن الجملة الأولى، فيكون هم مبتدأ وفداء خبره فتكون الواو عطفت جملة على جملة، أو يكون للحال.

المعنى: أتطيع الحاسدين الذين كذبوا علي، وتسمع كلامهم في؟ وأنت الرجل! جعلت أنا فداءه والحساد فدائي. يعني: جعلت فداءه لأفضاله علي، فهم فدائي لفضلي عليهم.

ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: وأنت مرء يعني أنت رجل مستحق أن توصف بالرجولية فلا ينبغي أن تسمع كلام الحاسدين في، ثم ابتدأ بالدعاء له وعلى الحاسدين. ويجوز أن يكون بعضه متصلاً ببعض.

وهاجي نفسه من لم يميز ... كلامي من كلامهم الهراء

يعني: إنما الهاجي نفسه، من لم يميز كلامي من جزالته وحسن موقعه من كلام حسادي، الفاسد الساقط، الذي لا معنى له. لأن تركه الفرق بين كلامي، وكلامهم، ينبيء عن الجهل، والجهل ذم مذموم، فكأنه هجا نفسه.

وإن من العجائب أن تراني فتعدل بي أقل من الهباء

يقول: إن من العجائب أن تراني، وتعرف فضلي وعقلي، ثم تجعلني عديلاً إلى من هو أقل من الهباء. يعني: أنه لا وزن له ولا خطر.

وتنكر موتهم وأنا سهيلٌ طلعت بموت أولاد الزناء

يقول: أتنكر موت حسادي إذا رأوني؟! وأنا سهيل اليماني الذي بطلوعي تموت أولاد الزناء. وذلك أن العرب تزعم أن ما نتج من أمهار الخيل، إذا ضرب الفحل أمه من دون إذن صاحبه فإنه يموت إذا طلع سهيل، فكذلك تموت الحساد بسببي.

وقال يمدحه أي الحسين بن إسحاق التنوخي:

ملام النوى في ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل الذي بي من السقم

الهاء في ظلمها للنوى لأنها مؤنثة، ويجوز أن يكون للمرأة وإن لم يجر لها ذكر وفي بها: للنوى خاصة. يقول: لومي البعد بتبعيد هذه المرأة عني، واختصاصه بها غاية الظلم له، فلعل به من السقم والعشق مثل ما بي فتعشق هذه المرأة الذي ذهب بها، كما أعشقها أنا. وبين ذلك بقوله:

فلو لم تغر لم تزو عني لقاءكم ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمي

يقول: لو لم، تغر النوى علي لم تقتض علي رؤيتكم، ولو لم تكن مريدةً لكم؛ لم تكن النوى خصماً لي بسببكم.

أمنعمةٌ بالعودة الظبية التي بغير وليٍّ كان نائلها الوسمي؟

الوسمي: أول المطر، والولي: الذي يليه.

يقول: أتنعم علي هذه المحبوبة التي كالظبية بالعودة الثانية إلى الوصال، التي كان إعطاؤها مرة واحدة لا ثاني لها؟ فكان وصلها كالوسمي الذي لا يتبعها الولي. فجعل الوسمي مثلاً للأول، والولي مثلاً للعودة.

ترشفت فاها سحرةً فكأنني ترشفت حر الوجد من بارد الظلم

إنما خص السحرة، لأنه وقت تغير الأفواه ونكهاتها، والظلم: ماء الأسنان، وبريقها.

يقول: مصصت فاها وقت السحر، فكأنني مصصت حر الوجد من أسنان بوارد. يعني: لما استعذبت ازددت عشقاً، فازداد بذلك وجدي، وحصل حر الوجد في قلبي، والبرودة في فمي، كما قال في موضع آخر وهو:

بفي برودٌ وهو في كبدي جمر!

فتاةٌ تساوي عقدها وكلامها ومبسمها الدري في الحسن والنظم

يقول: تشابهت منها ثلاثة أشياء وهي: عقدها المنتظم من الدر، وكلامها الشبيه: الدر، وثغرها الذي تبسمت عنه كالدر فهي مشابهته في حسنها ونظامها وهو أبلغ من قول البحتري:

فمن لؤلؤٍ تبديه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

لأنه زاد عليه ذكر العقد.

ونكهتها والمندلي وقرقفٌ معتقةٌ صهباء في الريح والطعم

المندلي: أراد به العود. والقرقف: الخمر. والصهباء: البيضاء المشربة حمرة، وهي صفة الخمر.

يقول: هذه الثلاثة أيضاً متشابهة وهي الرائحة: فمنها العود الذي يبخر به، ومنها الخمرة الصافية فهي متشابهة في الريح والطعم فللعود نكهتها، وللخمر طعمها، ورائحة فمها.

جفتني كأني لست أنطق قومها وأطعنهم والشهب في صورة الدهم

الشهب: الخيل البيض. والدهم: السود.

يقول جفتني هذه المرأة كأني لست أنطق قومها نظماً ونثراً، وكأني لست أطعنهم إذاً إلا على خيل دهم وشهب، وعذار قد اسودت فكأنها دهم، فكأنه يقول: لست ذليلاً في قومها مذموماً جباناً حتى تجفوني.

يحاذرني حتفي كأني حتفه وتنكزني الأفعى، فيقتلها سمي

النكرة: الغرزة بشيء مثل الإبرة. يقال: نكزته الأفعى: إذا غرزته ولم تعضه يقول: يخاف من موتي كأني موتٌ للموت! وتنكزني الأفعى فتموت! فكأني قتلتها بسمي، حتى كأني دونها، وكل ذلك إشارة إلى قوته وشجاعته.

طوال الردينيات يقصفها دمي وبيض السريجيات يقطعها لحمي

الردينيات: الرماح والسريجيات: السيوف. ويقصفها: يكسرها.

يقول: إن الرماح والسيوف لا تؤثر في أبداً، ولحمي ودمي يؤثران فيها، ويكسراها ويقطعاها. وقيل: أراد: أني عزيزٌ في قومي. فمن أراد قتلي كثر الضرب والطعن عليه، في طلب ثأري، حتى تكسر الرماح والسيوف عليه.

برتني السرى برى الدى فرددنني أخف على المركوب من نفسي جرمي

السرى: مؤنثة، وقد جعلها جمعاً للسرية؛ فلذلك قال: رددنني، والأولى في أخف الرفع؛ لأنه وما بعده جملة من مبتدأ وخبر، فهو وإن وقع موقع الحال فلا يتغير الإعراب من حيث الصورة، ويجوز فيه النصب على بعض الوجوه.

يقول: أنحفتني السرى حتى قطعتني كقطع السكاكين فتركتني خفيفاً غاية الخفة، حتى كأني على المركوب أخف جرماً من نفسي؛ لأنه من أخف الأشياء.

وأبصر من زرقاء جوٍّ لأنني إذا نظرت عيناي شاءهما علمي

زرقاء جوٍّ: هي زرقاء اليمامة، وكانت موصوفة بحدة البصر وقد روى شأواهما علمي: وهي تثنية الشأو، وهو الغاية. أي غايتهما علمي والتثنية للعينين أي سابقهما وهو فاعل من شاء إذا سبق وروى سأواهما علمي يقول ردني السرى خفيفاً بصيراً أبصر من هذه المرأة؛ لأنها أبصرت بعينها، وأنا أبصر بالقلب والعلم. علمي يسبق نظر عيني فقبل إبصار العينين تبصر عيني كما هو عليه.

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها كأني بني الإسكندر السد من عزمي

يقول: كأنني من خبرتي، ومعرفتي بالأرض، دحوت الأرض لكثرة ترددادي بها، وكأن الإسكندر بنى سد يأجوج ومأجوج من عزمي؛ لقوته، ورفعته، ومضائه في الأمور.

لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمه فأبدع حتى جل من دقة الفهم

أي كأن الإسكندر بنى السد من عزمي الذي صممته على قصد ابن إسحق وكأني دحوت الأرض من خبرتي بها لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمه وعظم إبداعه حتى ارتفع أن يوصف بدقة الفهم. وهو المراد بقوله: حتى جل عن دقة الفهم. وقيل: برتني السرى بري المدى لألقى هذا الرجل.

نوأسمع من ألفاظه اللغة التي يلذ بها سمعي ولو ضمنت شتمي

يقول: لألقى ابن إسحاق، وأسمع من ألفاظه، وعباراته الشريفة، اللغة التي استلذها، وإن كانت متضمنة شتمي!.

يمين بني قحطان رأس قضاعةٍ وعرنينها بدر النجوم بنى فهم

العرنين: مقدم الأنف وأعلاه، وبنى فهم: بدل من النجوم.

يقول: إنه يمين بني قحطان كلهم، ورأس قضاعة: التي هي قبيلة من قحطان، وعرنين قضاعة أيضاً، وهو بدر بني فهم: الذين هم رهطه الأدنون فجعلهم نجوماً وجعله بدراً.

إذا بيت الأعداء كان استماعهم صرير العوالي قبل قعقعة اللجم

يقول: إذا جاء أعدؤه ليلاً سمعوا صرير الرماح في عظامهم قبل استماعهم إلى صلصلة اللجم، يعني: أنهم لا يشعرون حتى تصير الحال هذه. وقيل: إنه يبادر إلى أخذ الرمح، وإن لم يجد فسحة لإسراج فرسه وإلجامه ركب بغير سرج ولجام.

مذل الأعزاء المعز وإن يئن به يتمهم فالموتم الجابر اليتم

روى: وإن يئن وإن يحن ومعناه واحد. وتقديره: مذل الأعزاء معز الأولياء.

يقول: هو يذل أعاءه وإن كانوا أعزاء، ويعز أولياءه المستجيرين به وإن كانوا من أعدائه الذين أيتم أولادهم، فالذين يؤتمهم يجبر يتيمهم ويرضيهم، ويقوم لهم مقام الآباء في النفقة عليهم والإحسان إليهم.

وإن تمس داءً في القلوب قناته فممسكها منه الشفاء من العدم

وروى: فممسكها بكسر السين، وروى: بفتحها، فالأول يريد به الممدوح والثاني يده، لأنها الموضع الذي يمسكه به، ويجوز أن يريد به المصدر: أي إمساكها.

يقول: إن أمست قناته داءً في قلوبهم؛ لطعنه إياهم بها فالذي يمسك القناة عنهم هي يده، شفاؤهم من الفقر، إمساكه لها يشفي من الفقر.

مقلد طاغي الشفرتين محكمٌ على الهام إلا أنه جائر الحكم

يقول: إنه تقلد سيفاًن طغى جانباه، وقد جعل الحكم على رءوس الأعداء، غير أنه جائر الحكم من كثرة القتل.

تحرج عن حقن الدماء كأنه يرى قتل نفس ترك رأس على جسم

يقول: إن سيفه يتأثم عن حقن الدماء، فكأنه يرى القتل في الاحتساب والالتذاذ كترك الرءوس على الأماكن، وتحرجه عن حقن الدماء. إما لأن سيفه لا يقتل إلا الكفرة، الذين يكون الإثم في الكف عنهم، أو يريد بيان كونه جائر الحكم: لعدم التمييز منه، أو لأنه جماد لا يلزمه إثم في القتل، ثم نزه نفس الممدوح فقال:

وجدنا ابن إسحاق الحين كحده   على كثرة القتلى بريأ من الإثم

وروى: كجده بالجيم.

يقول: وجدنا هذا الرجل كحد السيف مضاء في براءته من الإثم كبراءة السيف من الإثم، مع كثرة القتلى منه، لأنه لا يقتل إلا المستحق.

مع الحزم حتى لو تعمد تركه   لألحقه تضييعه الحزم بالحزم

يقول: إنه مع الحزم في جميع الأمور، حتى لو تعمد ترك الحزم لألحقه ذلك بالحزم! يعني: إذا أحزمه في بعض الأمور، كان ذلك الحزم: وهو الجود وتبذير المال، في طلب المجد؛ فكأن تركه الحزم حزماً منه لما فيه من اقتناء الحمد والمجد.

وفي الحرب حتى لو أراد تأخراً   لأخره الطبع الكريم إلى القدم

يقول: إنه مع الحزم في اقتناء المعالي، لو أراد أن يتأخر عن الحرب لأخره طبعه إلى التقدم. يعني: إنه إذا نوى أن يتأخر عن المحاربة قدمه إليها طبعه الكريم.

له رحمةٌ تحيي العظام وغضبةٌ   بها فضلةٌ للجرم عن صاحب الجرم

يقول: له رحمة واسعة بحيث تحيي العظام البالية، وله مع هذه الرحمة غضب متجاوز عن الحد، بحيث أنه يفضل غضبه على جرم المجرم فيهلكه ويفنيه، وقيل أراد أنه واسع الرحمة له مع ثورة الغضب فضلة تمسكه لغضبه فهو مالكٌ أمره.

ورقة وجهٍ لو ختمت بنظرةٍ   على وجنتيه ما انمحى أثر الختم

يصفه بالحسن ويقول: له رقةٌ بوجهه حتى لو ختمت عليه بنظرة أو لو نظرت إليه لبقيت على وجهه حمرة؛ لفرط حيائه، ولأثر الختم فيه أثراً لا ينمحي أبداً.

أذاق الغواني حسنه ما أذقتني   وعف فجازاهن عني على الصرم

يقول: حسنه أذاق الغواني من ألم العشقف ما أذاقتني الغواني منه، وصار عفيفاً فجاز الغواني عني بتنزهه عنهن على ما فعلن بي من الهجران.

فدىً من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبي الماجد الجائد القرم

يقول: يفدي هذا الشريف الجواد السيد، كل من على الأرض، أولهم أنا البادىء بالفداء له قبلهم.
والغبراء: اسم الأرض.

لقد حال بين الجن والإنس سيفه فما الظن بعد الجن بالعرب والعجم

يقول: حجز سيفه بين الجن والإنس؛ فمنع الجن عن قصدهم الشر للإنس، فإذا كان تأثيره في الجن! فما الظن بالإنس؛ في دفع بعضهم عن بعض. وروى بين الجن والأمن سيفه. يعني أن سيفه أخاف الجن وأزال عنهم الأمن والسكون.

وأرهب حتى لو تأمل درعه جرت جزعاً من غير نارٍ ولا فحم

يقول: قد أخاف كل شيء حتى الجمادات! فلو أنه أحد النظر إلى درعه لذابت؛ خوفاً منه، من غير نار وفحم، وإن لم يكن لها تمييز وعقل.

وجاد فلولا جوده غير شاربٍ لقيل كريمٌ هيجته ابنة الكرم

يقول: لولا علمنا بأنه صاح مع كثرة جودٍ منه، لقلنا إنه لفرط جوده سكران، وإن الذي حمله على جوده هو سكره الذي حصل له من الخمر.

أطعناك طوع الدهر يا ابن ابن يوسفٍ بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم

الحاسدو لك: أراد بهم الحاسدون لك، غير أنه حذف النون. وروى: الحاسدون على الرغم: وهو عطف على الضمير في أطعناك الذي هو النون والألف، وحسن العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد المنفصل لطول الكلام.
يقول: أطعناك طاعة الدهر لك، وأطعناك أبد الدهر، بشهوةٍ ومحبة، والذين حسدوك أطاعوك على رغم منهم وذل.

وثقنا بأن تعطى فلو لم تجد لنا لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم

كان حقه أن ينصب الياء من تعطى بأن، غير أنه سكنه ضرورةً.
يقول: لقوة ظنوننا وثقنا بأنك تعطينا، حتى لو لم تعطنا لظننا أنك قد أعطيتنا من قوة الوهم ولما شاهدنا من دوام جودك وكثرة عطاياك.

دعيت بتقريظك في كل مجلسٍ وظن الذي يدعو ثنائي عليك اسمي

روى: دعيت، أي سميت بمدحي لك، يعني صار اسمي: مدحي لك فقيل: هذا الذي مدح الأمير، وعلى الأول: صار اسمك مدحي إياك. وقيل: هذا الذي قيل فيه كذا. وظن الذي يدعوني ويسميني أن اسمي: الثناء عليك، فيدعوني به، فيقول: يا من أثنى على الأمير ويا مادح الأمير.

وأطمعتني في نيل ما لا أناله بما نلت حتى صرت أطمع في النجم

روى: أعلق بالنجم.

يقول: أطمعتني في نيل ما لا أكاد أصل إليه، حتى صرت أطمع في نيل النجم الذي يعجز عن نيله كل حي.

إذا ما ضربت القرن ثم أجزتني فكل ذهباً لي مرةً منه بالكلم

يقول: أنت تضرب الطعنة الواسعة فإذا ضربت القرن ثم أردت أن تعطيني الجائزة فكل لي ملء الجراحة ذهباً، والهاء في منه راجعة إلى القرن.

أبت لك ذمي نخوةٌ يمنيةٌ ونفسٌ بها في مأزق أبداً ترمي

النخوة: الكبرياء.

يقول: ابت ذمي لك نخوتك اليمنية، وأراد به وجهين: أحدهما أن الممدوح كان يمنياً والمتنبي أيضاً ينسب إلى كندة، وهم من اليمن. فيقول: كونك من اليمن تأبى نفسي أن تذمك مع ما كان بيننا من الرحم، أو يريد: أن نخوتك في نفسك وهمتك العالية يمنعاني عن ذمي لك وعن هجوك، وكذلك يأبى ذمي لك، نفسك التي ترمي بها في كل معركة. وقيل: إنما ذكر ذلك لأنه كان متهماً بهجو ذلك الممدوح، فأراد إزالة هذه التهمة عن نفسه بهذا القول.

فكم قائلٍ: لو كان ذا الشخص نفسه لكان قراه مكمن العسكر الدهم

القرى: الظهر. والدهم: الكثير.

يقول: كم من قائل يقول: لو كان نفس هذا الممدوح جسم! لكان ظهره مستقراً للعسكر الكثير. يصف سعة نفسه وعظمها، وأن بعضها يسع الكثير من العسكر.

وقائلةٍ والأرض أعني تعجباً علي امرؤٌ يمشي بوقري من الحلم

يقول: ورب قائلةٍ، وأعني بها الأرض على وجه التعجب: علي رجلٌ يمشي، عليه مثلي من الحلم!

عظمت فلما لم تكلم مهابةٌ تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم

يقول: عظم قدرك، فمنعت هيبتك أن تكلم، فلما علمت أن الناس هابوك تواضعت فتعظمت بذلك التواضع عظماً عن العظم، وذلك التواضع هو عين العظم. يعني: التواضع رفع النفس عن التكبر.

ودخل على عليٍّ بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأساً بيده، فيها شراب أسود فقال ارتجالاً:

إذا ما الكأس أرعشت اليدين صحوت فلم تحل بيني وبيني

لم تحل: أي لم تمنع، وهو فعل الكأس.

يقول: إذا شرب غيري الكأس، وهي الخمر، فأرعشت يديه من السكر، صحوت أنا، فلم تحجز الخمر بيني وبين عقلي. فأجرى العقل مجرى النفس؛ لأن قيام النفس بالعقل. وقيل: أراد لم تحل بيني وبين جدي؛ لأن جدي لا يفارقني أبداً.

هجرت الخمر كالذهب المصفى فخمري ماء مزنٍ كاللجين

يقول: تركت الخمر التي تشبه الذهب المصفى في لونها، وعدلت إلى الماء الصافي، الذي يشبه لونه الفضة لصفائه.

أغار من الزجاجة وهي تجري على شفة الأمير أبي الحسين

روى: أغار من المدامة.

يقول: أحسد أقداح الخمر إذا جرت على شفته حيث تتشرف به فأتمنى ذلك الشرف لي دونها.

وقيل: إنما أغار عليها لكون الشراب كان أسواداً، فتره شفته عنها والقصة تدل على ذلك.

كأن بياضها والراح فيها بياضٌ محدقٌ بسواد عين

شبه بياض الزجاجة ببياض العين، والشراب الأسود بسواد العين، وحقق التشبيه بإحداق البياض بسواد العين، كإحداق الزجاجة بسواد الشراب.

أتيناه نطالبه برفدٍ فطالب نفسه منه بدين

يقول: أتينا الممدوح نطلب منه العطاء، فطالب نفسه بدين لازم. يعني: إنه أوجب على نفسه العطاء؛ لجوده وسخائه.

وشربها فقال:

مرتك ابن إبراهيم صافية الخمر وهنئتها من شاربٍ مسكر السكر

مرتك أصلها: مرأتك، فحذف الهمزة ضرورة. والثاني أنه كان ينبغي أن يقول: أمرأتك؛ لأن هذه اللفظة على الانفراد لا تستعمل إلا بالألف، فإذا أتبعت هناك جاز استعمالها من غير الألف. فهو شاذ من وجهين.

يقول: جعل الله لك هذه الخمرة هنيئة مريئة لك، يا من يسكر السكر. يعني: لا يغلبه السكر بشرب الخمر بل يغلب هو السكر.

رأيت الحميا في الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس في البدر في البحر

الحميا: اسم من أسماء الخمر.

يقول: رأيت الخمر في الزجاج على يده، فشبهت الخمر؛ لصفائها ورقتها وضيائها بالشمس، وشبهت بالزجاج بالبدر؛ لبياضه ونقائه، وشبهت كفه بالبحر؛ لكثرة سخائه وعطاياه.

إذ ما ذكرنا جوده كان حاضراً نأى أو دنى يسعى على قدم الخضر

اسم كان: ضمير الجود.

يقول: إن جوده في سرعته ووصوله إلى الناس كأنه يسعى على قدم الخضر، لأنه يقال: إنه لا يذكر في موضع إلا وكان حاضراً في ذلك الموضع.

يقول: سواء كان الممدوح نائياً أو دانياً فإن جوده يصل إلينا في أسرع ما نريد.

وقال أيضاً يمدحه:

أحادٌ أم سداسٌ في أحاج؟ لييلتنا المنوطة بالتناد

أراد الاستفهام كأنه قال: أأحاد، فحذف الهمزة لدالالة قوله: أم سداسٌ. وهذا البناء للتكرار، فإذا قال: جاءني القوم أحاد، أراد به واحداً واحداً، وكذلك ما زاد عليه، ولا يراد به حقيقة العدد، وإنما خص السداس دون ما فوقها من سباع وغيره؛ لأن العرب لا تستعمل هذا المثال فيما فوق سداس، هذا قول بعضهم، وليس بواضح. فقد ذكر أبو حاتم: في كتاب الإبل هذا المثال فيما زاد على سداس إلى عشار. فالأولى أن يقال: إنما خص هذه لأنها ليالي الأسبوع، ومدار أيام الدنيا على هذا العدد.

يقول: إن هذه الليالي جاءت واحدة واحدة أم ستة ستة جمعت في واحدة. وقيل: إنه أراد ها هنا واحدة هذه الليلة أم ستة ليال مجموعة في واحدة؟ فكأنه يقول هذه الليلة واحدة أو ليالي الأسبوع كلها، وهي في طولها كأنها متصلة بيوم القيامة. وقوله: لييلتنا تصغير ليلة؛ وإنما صغرها مع وصفه لها

بالطول؛ إشارة إلى أنها في نفسها قصيرة وإن كانت هي عنده طويلة؛ لطول سهره فيها. أو يقال: إنما صغرها على سبيل التعظيم كقول بعضهم:

دويهية تصفر منها الأنامل

وقيل: أراد بيوم التنادي: يوم الرحيل إلى الأعداء للمحاربة، وتنادى بعضهم بعضاً، ويدل على هذا قوله:

أفكر في معاقرة المنايا

فكأنه طالت عليه هذه الليلة لسهرة تفكراً في قتل الأعداء فإذا وصل إلى مراده قصرت عليه وزال عنه السهر.

كأن بنات نعشٍ في دجاها　　　خرائد سافراتٌ في حداد

سافرات: يجوز فيها الرفع صفة لخرائد، ويجوز نصبها على الحال، فتكون مكسورة. والحداد: هي الثياب السود.

يقول: كأن هذه الكواكب في ظلمات هذه الليلة الطويلة نساء بيض الوجوه قد كشفن وجوههن، ولبسن ثياباً سوداً. فشبه الكواكب بوجوه الجواري السافرات، وشبه الليل في سواده بالثياب السود التي تلبسها الجواري.

أفكر في معاقرة المنايا　　　وقود الخيل مشرفة الهوادي

معاقرة المنايا: أي ملازمتها. وقيل: معاقرتها: محاربتها، من العقر. والهوادي: جمع الهادية، وهي العنق. ومشرفة: نصب على الحال.

يقول: طال علي هذا الليل مما أفكر في ملازمة المنايا وممارستها في الحروب والإقدام على القتال، ولذلك أفكر في قودي الخيل إلى الحرب مشرفة الأعناق. وقيل: معناه لا أفكر في معاقرة المنايا.

زعيماً للقنا الخطي عزمي　　　بسفك دم الحواضر والبوادي

زعيماً: نصب على الحال من أفكر، وذو الحال: عزمي، والعزم: هو الكفيل. والقنا: المكفول له. وسفك دماء الحواضر والبوادي: المكفول به. والمكفول عنه: هو أبو الطيب.

يقول: أفكر في حال كوني زعيماً للرماح بأن تسفك دماء الناس كلهم، أهل الحضر وأهل البدو. وعلى إضمار لا في قوله: أفكر معناه لا أفكر في معاقرة المنايا مع تكفل عزمي بسفك دم الأعداء.

إلى كم ذا التخلف والتواني؟ وكم هذا التمادي في التمادي؟

التمادي: هو الإفراط في الأمور، وهو من المد، أو أراد ها هنا الإفراط في تأخيرها.

يقول لنفسه: إلى كم هذا التخلف والتقصير في طلب العز، واقتناء المكارم، وإلى كم تستعمل التمادي في التقصير وتتمادى تمادياً بعد تمادٍ.

وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

الشغل: بالفتح المصدر، وبالضم، الاسم. وها هنا بالفتح.

يقول: معاتباً لنفسه إلى كم تشغل نفسك عن طلب المعالي؛ بأن تبيع الشعر في سوق الكساد وتقتصر عليه دون ما هو أجل منه، فأنت تجيد الشعر ولا تصيب الصلة التي تستحقها بشعرك.

وما ماضي الشباب بمستردٍ ولا يومٌ يمر بمستعاد

يقول حاثاً لنفسه على لزوم الكائن قبل فوته: إن الشباب إذا مضى، وهو الزمان الذي لا يمكن تحمل المشاق في طلب المعالي لا يمكن رده، فكذلك اليوم الذي يمر لا يمكن إعادته! سواءٌ كان من أيام الشباب أو غيرها. وروى بمستفاد بالفاء أيضاً.

متى لحظت بياض الشيب عيني فقد وجدته منها ف يالسواد

عيني: رفع لأنه فاعل لحظت والهاء في وجدته: لبياض الشيب، وفي منها: للعين.

يقول: إذا رأت عيني بياض شعري، فكأنما وجدت ذلك البياض في كراهته عليها كأنه في سوادها؛ لأن البياض في سواد العين يكون عمي، وهو من أثقل الأشياء، فكذلك الشيب.

متى ازددت من بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازدياد

يقول: متى ازددت في السن، بعد تناهي الأشد وذلك أربعون سنة كانت تلك الزيادة نقصاناً، لأنه كلما ازداد السن بعد انتهاء الغاية، ازداد الجسم نقصاً، فتكون زيادتي حاصلة في نقصان سني.

أأرضى أن أعيش ولا أكافي على ما للأمير من الأيادي؟ !

يقول: هل أرضى بملازمتي هذا التقصير والتخلف، ولا أجازي هذا الأمير على ما أسدى إلي من النعم بمدحي إياه؟!

جزى الله المسير إليه خيراً وإن ترك المطايا كالمزاد

المزاد: جمع المزادة. يصف المشقة التي مرت عليه وعلى إبله في المسير إلى هذا الممدوح، ودل بالدعاء للمسير: على أنه لم يذكره على سبيل الشكاية، وإنما ذكره على سبيل الشكر، حيث أوصله إليه

فاكتسب بسببه فخراً ومالاً وذخراً، وشبه الإبل. وهزالها بالمزاد: وهي القرب البالية، وهذا التشبيه جيد. وقيل: إنه أراد أن المسير ترك المطايا خالية من القوت واللحم، لطول سفرنا كمزادنا الخالية من الزاد، فتكون الألف واللام في المزاد دالة على الإضافة.

فلم تلق ابن إبراهيم عنسى وفيها قوت يومٍ للقراد

عنسى: رفع لأنها فاعلة تلق.

يقول: إن ناقتي لم تلق ابن إبراهيم، إلا بعد أن صارت من الهزال بحال لم يبق فيها من اللحم قدر ما يقتاته القراد يوماً واحداً!

ألم يك بيننا بلدٌ بعيدٌ فصير طوله عرض النجاد؟ !

يقول: كان بيني وبين هذا الممدوح بلد بعيدٌ، فصير هذا المسير طوله الطويل، كعرض النجاد في القصر، وقربه غاية القرب. وفيه التطبيق للمبالغة في الجودة.

وأبعد بعدنا بعد التداني وقرب قربنا قرب البعاد

بعدنا، وقربنا: مفعول بهما. وبعد التداني، وقرب البعاد: منصوبان على المصدر.

يقول: إن المسير أبعد بعدنا، فجعله كبعد التداني الذي كان بيننا، وكذلك قرب المسير قربنا، مثل قرب البعد الذي كان بيننا من قبل. يعني أبعد البعد وقرب القرب.

فلما جئته أعلى محلى وأجلسني على السبع الشداد

يقول: لما قصدته بعد هذا التعب، رفع مترلتي وأحسن جائزتي حتى إنه رفعني إلى السموات السبع وأجلسني فوقها.

تهلل قبل تسليمي عليه وألقى ماله قبل الوساد

يقول: لقيني بطلاقة وجهه، وتبسمه، قبل أن أسلم عليه، وألقى إلي ماله قبل إلقاء الوسادة التي يجلسني فوقها.

نلومك يا علي لغير ذنبٍ لأنك قد زريت على العباد

يقول: يا علي، نلومك ولا ذنب لك، غير أنك قصرت وعبت على الناس بأفعالك وخصالك، فليس ذلك بذنب، وإنما هو فضلٌ منك وكرم.

وأنك لا تجود على جوادٍ هباتك أن يلقب بالجواد

هباتك: رفع لأنها فاعلة تجود. وتقديره: لا تجود هباتك على جواد أن يلقب كذلك بالجواد.

يقول: إن هباتك أبت أن يقلب أحدٌ بالجواد غيرك؛ لأنها فاقت هبات غيرك، حتى أخرجت جود الناس عن كونه جواداً، وهذا مثل قول بعض الشعراء:

رد معروفك الكثير قليلاً — وأرى جودك الجواد بخيلاً

كأن سخاءك الإسلام؛ تخشى — متى ما حلت عاقبة ارتداد

يقول: إنك من شدة مواظبتك على السخاء صار سخاؤك كالإسلام، لا تحول عنه، كما لا تحول عن الإسلام؛ خوفاً من عاقبة الارتداد؛ لأن عاقبته مذمومة، يجب على كل أحد التجنب منه؛ لأنه يلزمه في الدنيا: القتل، وفي الآخرة: العذاب الدائم. ومثله لأبي تمام.

مضوا وكأن المكرمات لديهم — لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

كأن الهام في الهيجا عيونٌ — وقد طبعت سيوفك من رقاد

يقول: كأن هام أعدائك عيونٌ، وسيوفك مضروبة من النوم، فلا يكون مسكنهاإلا في الهامات، كسكون النوم في العين.

وقد صغت الأسنة من هموم — فما يخطرن إلا في فؤاد

روى صغت وصغت. وروى: يخطرن بالكسر أي الرماح وبالضم الهموم، يقال: خطر الرمح. ويخطر، وخطر الشيء بالقلب يخطر، كأنك قد ضربت أسنة رماحك من الهموم؛ لأن محلها القلوب، كما أن محل الهموم القلوب.

والمعنى: أن قلوب الأعداء لا تخلو من أسنة رماحك، كما لا تخلو من الأحزان والهموم.

ويوم جلبتها شعث النواصي — معقدة السبائب للطراد

الكناية في جلبتها: للخيل ولم يجر لها ذكر، لدلالة الكلام عليه. ومعقدة السبائب: أي مضفورة الشعر للذنب.

يقول: في اليوم الذي حشرت الخيل وأتيت بها مشعثةً نواصيها معقدة أذنابها، لأنها كانت مهيأة للحرب.

وحام بها الهلاك على أناس — لهم باللاذقية بغي عاد

الهاء في بها: للخيل، أي بسبب الخيل.

يقول: وطاف الهلاك بهذه الخيل على قوم كان لهم بغي عاد باللاذقية.

فكان الغرب بحراً من مياهٍ وكان الشرق بحراً من جياد

يقول: كان الأعداء بين البحرين، غريبها بحر الشام، وشرقيها بحر من جياد: وهو جيش الممدوح شبهه بالبحر لكثرته، ولبياض الحديد وبريقه فيهم وقيل: أراد بالبحر من المياه، دماء القتلى. فبين أنها لكثرتها كبحرالماء، والجانب الشرقي من عتاق الخيل.

وقد خفقت لك الرايات فيه فظل يموج بالبيض الحداد

الضمير في فيه: يرجع إلى البحر من جياد.

يقول: تحركت أعلامك في البحر من الجياد فكان يموج بالسيوف البيض المحددة شبه بياض السيوف بماء البحر.

لقوك بأكبد الإبل الأبايا فسقتهم وحد السيف حاد

الأبايا: جمع الأبية، وهي التي لا تنقاد، وتمنع أنفسها من الخطام.

يقول: إن أعداءك رأوك بأكباد غلاظ كأكباد الإبل الأبية، التي لا تنقاد لصعوبتها. فسقتهم مع غلظ أكبادهم ونخوتهم وحد سيفك حادٍ بهم وسائقهم.

وقد مزقت ثوب الغي عنهم وقد ألبستهم ثوب الرشاد

يقول: قاتلتهم حتى انقادوا، وكشفت عنهم ثوب الضلالة، وألبستهم ثوب الرشاد والحق، فصاروا راشدين بعد أن كانوا غاوين.

فما تركوا الإمارة لاختيارٍ ولا انتحلوا ودادك من وداد

يقول: ما تركوا الإمارة اختياراً، بل غصبتهم عليها، وما ادعوا ودك من اعتقاد قلوبهم، بل نفاقاً في حبك.

ولا استفلوا لزهدٍ في التعالي ولا انقادوا سروراً بانقياد

يقول: ما انخفضوا لك لزهدهم في العلو، ولا انقادوا لك سروراً بالانقياد، لكنهم انقادوا خوفاً

ولكن هب خوفك في حشاهم هبوب الريح في رجل الجراد

يقول: هب خوفك في قلوبهم فطيرها، كما تهب الريح في قطعة من الجراد فتبددها.

وماتوا قبل موتهم فلما مننت أعدتهم قبل المعاد

يقول: وإنهم ماتوا خوفاً منك، ولما صاروا كالموتى، فكأنهم ماتوا قبل الموتة، حتى إذا مننت عليهم أعدتهم قبل يوم القيامة بعفوك عنهم.

غمدت صوارماً لو لم يتوبوا ... محوتهم بها محو المداد

يقول: كانوا قد ماتوا فأعدتهم قبل المعاد! بأن غمدت سيوفك عن قتلهم بها ولو لم يرجعوا عن معصيتك لمحوتهم كما ينمحي المداد من الألواح.

وما الغضب الطريف وإن تقوى ... بمنتصفٍ من الكرم التلاد

يقول: إن غضبك المستحدث وإن كان قوياً فلا يؤثر في كرمك الأصلي القديم، فلا يمكنه أن يغلب كرمك المتين.

فلا تغررك ألسنةٌ موالٍ ... تقلبهن أفئدةٌ أعادي

الموالي: هم الأصدقاء، وقد راعى فيه المطابقة، وجمع التأنيث في تقلبهن للألسنة.

يقول: لا تغتر بإظهارهم لك الموالاة بألسنتهم فإن ألسنتهم وأفئدتهم مضمرةٌ للعداوة، فتغلب ألسنتهم قلوبٌ مضمرة على العداوة، فلا تغتر بظاهر أحوالهم.

وكن كالموت لا يرثي لباكٍ ... بكى منه ويروي وهو صادي

فاعل بكى: ضمير باكٍ.

يقول: كن كالموت لا يرحم، ولا يرق لباكٍ، يبكي من يده وفعله، ويروي الموت وهو عطشان بعد الري، فيزداد عطشاً.

فإن الجرح ينفر بعد حينٍ ... إذا كان البناء على فساد

نفر الجرح: إذا تورم وظهر من أسفله فساد.

يقول حاثاً له على قتل الباقين منهم: أضمروا العداوة، ويتربصون بك الدوائر فلا تغتر بإظهارهم المودة، فإنك كالجرح إذا كان اندماله على فساد، وغور فيه، فإنه يظهر غوره بعد حين، فكذلك حالهم معك.

وإن الماء يجري من جمادٍ ... وإن النار تخرج من زناد

أراد بالجماد: الحجر.

يقول: لا تأمن إظهار أحوالهم، فقد يجري الماء من الحجر الصلد، وكذلك النار التي تحرق كل شيء تخرج من الزناد الحديد.

وكيف يبيت مضطجعاً جبانٌ فرشت لجنبه شوك القتاد؟

يقول: كيف ينام عدوك وهو جبان، مضطجعاً على فراش من قتاد: يعني أن خوفك قد أثر تأثيراً به، حتى كأنه نائم على شوك القتاد، هيبةً منك، وقد يحصل من الجبان بعض أحوالٍ لا تحصل من الشجاع ضرورة خوفاً، ويجوز أن يكون توحيد الجبان لأنه أراد: أميرهم.

يرى في النوم رمحك في كلاه ويخشى أن يراه في السهاد

يقول: يرى هذا الجبان رمحك أصابت كلاه في نومه، فخاف أن يرى في اليقظة ما يراه في النوم، فلا يلذ له نوم أبداً، لذلك.

أشرت أبا الحسين بمدح قومٍ نزلت بهم فسرت بغير زاد

يقول: أشرت إلي أن أمدح قوماً نزلت بهم فما أكرموني وخرجت من عندهم بغير زاد، فهل ترى أن أمدح من هذا فعله؟!

وظنوني مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادي

كأنه قد كان قصدهم قبل قصده الممدوح، ومدحهم فلم يثيبوه شيئاً.

يقول: إنهم ظنوا أني مدحتهم، وما علموا أنك كنت أنت المقصود بذلك المدح.

وقيل: إنه مدحهم بعدما أمره به هذا الممدوح، فلم يعطوه، فقال للمدوح: أنت أمرتني بمدحهم فيجب عليك أن تخرج ثواب مدحي لهم، وكنت ضامناً وقد أخذ هذا المعنى من قول الحكمي:

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحه لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

وإني عنك بعد غدٍ لغادٍ وقلبي عن فنائك غير غاد

يقول: إني غادٍ عنك بعد غدٍ، وقلبي غير مرتحل عن فنائك. ومثله لأبي تمام:

مقيم الظن عندك والأماني وإن قلقت ركابي في البلاد

محبك حيثما أتجهت ركابي وضيفك حيث كنت من البلاد

يقول: حيثما سرت ونزلت، فإني محبك، وحيثث كنت من البلاد فإني ضيفك، لأن عطاياك عظيمة وأياديك غير منقطعة ولا فانية. ومثله لأبي تمام قوله:

وما طوفت في الآفاق إلا ومن جدواك راحلتي وزادي

إلا أن بيت المتنبي أجود منه؛ لأنه دل على هذا المعنى في المصراع الأول بمعنىً آخر، وأنه لم يقتصر

على الراحلة والزاد، لأن لفظ الضيف يتضمن سائر وجوه النعم والتعظيم، لأن من حكم الضيف أن يكون معظماً مكرماًن فبين أنه كذلك حيثما سار من البلاد.

وقال أيضاً يمدحه. أي يمدح علياً بن إبراهيم التنوخي:

ملث القطر! أعطشها ربوعا وإلا فاسقها السم النقيعا

الملث: الدائم القطر، والكناية في أعطشها: للربوع، وقدمها للدلالة، ونصب ربوعا على التمييز، كأنه قال: من ربوع.. والنقيع: المنقوع.

يخاطب المطر فيقول: يا دائم القطر، أعطش هذه الربوع من ربوع، ولا تسقها ، وإن كنت لابد ساقيها، فاسقها السم النقيع! فإني شاكٍ منها؛ وقد بين العلة في ذلك في قوله.

أسائلها عن المتديريها فلا تدري ولا تذري دموعا

قوله: المتديريها: أي المقيمين بها والمتخيرين لها داراً، وكان الأصل المتدوريها، لأن الدار: أصلها دور، فهو من الواوي يقول أسائل هذه الربوع عن المقيمين فيها، فلا تدري سؤالي ولا تجيبني عنه ولا تبكي الدموع مساعدة عن بكاء الذين كانوا فيها، حزناً على خلوها منهم.

لحاها الله إلا ما ماضييها زمان اللهو والخود الشموعا

لحاها: أي لعنها، وأصله قشرها الله، والخود: الجارية الناعمة السهلة الخلق. والشموع: هي اللعوب المزاحة اللينة الكلام. وقيل: هي الصافية البياض.

يقول: لعن الله هذه الربوع إلا ماضيها، وهو استثناء منقطع، لكن شيئين منهما قد مضيا، فإني لا أدعو عليهما: أحدهما زمان اللهو، والثاني الخود الشموع وهي المحبوبة.

منعمةٌ، ممنعةٌ، رداحٌ يكلف لفظها الطير الوقوعا

الرداح: السمينة الكبيرة العجز. والوقوع: جلوس الطير.

يقول: إنها منعمة ممنوعة الوصول إليها، سمينة حسنة الصوت والمنطق، فلو سمع الطير لفظها في الهواء لسقط على الأرض، فكأن لفظها كلف الطير الوقوع على الأرض.

ترفع ثوبها الأرداف عنها فيبقى من وشاحيها شسوعاً

رفع الأرداف: لأنها فاعلةٌ لترفع ومفعوله الثوب. والوشاح: شيء تقلد به العروس كتقليد السيف، ويكون طرفاه مرسلين من جانبي البدن، والشسوع: مبالغة في الشاسع وشسوعا: نصب على الحال.

يقول: إن أردافها ترفع الثوب عن جسمها؛ لعظم أردافها، فيصير الثوب بعيداً عن وشاحيها

وجسمها. وقد دل بذلك على دقة الخصر، لأنه لو لم يدق لم يبعد الثوب عنه، وروى: شسوعاً بالضم: وهو مصدر واقع موقع شاسع. كقولهم: صوم وعدل، وصفة الشيئين أولى؛ لأنه صفة صريحة وحقيقة، وهذا محمول عليها.

إذا ماست رأيت لها ارتجاجاً له، لولا سواعدها نزوعا

ماست: أي تبخترت. والارتجاج: الاضطراب. والهاء في لها: للأرداف، وفي له: للثوب. والنزوع: بمعنى النازع، وهو فاعل، من نزعت الشيء إذا جذبته عنه.

يقول: إذا تبخترت هذه المرأة في مشيها رأيت لأردافها من ثقلها اضطراباً، لولا سواعد هذه المرأة، لكان ذلك الارتجاج نازعاً لثوبها عنها، فلكون سواعدها في الكم، وإمساكها لثوبها، لم ينفصل الثوب عن البدن!!

تألم درزه والدرز لينٌ كما تتألم العضب الصنيعا

تألم: أصله تتألم، فحذف إحدى التاءين، وهو فعل المرأة. ولينٌ: أصله لينٌ، فخفف. والعضب: السيف القاطع. والصنيع: الذي جرد. وقيل: الذي فيه جودة الصنع.

يقول: تتألم هذه المرأة لنعومتها من درز هذا الثوب مع كون درزه ليناً، كما أنت تتألم أيها المخاطب من ضرب السيف. يعني: أن هذا القدر من الخشونة يؤثر فيها ويقع موقع ضربها بالسيف.

ذراعاها عدوا دملجيها يظن ضجيعها الزند الضجيعا

يقول: ذراعاها، أي ذراعا هذه المرأة لامتلائهما، كأنهما عدوا دملجيها، لأنهما يكادان أن يكسراهما؛ لامتلائهما، أو أنه لا يمكنهما أن يدورا على ذراعيها، فيكون ذراعاها قد أمسكاهما. والدملجان: قد غاصا بذراعيها، فيعادي كلٌّ منهما صاحبه. من هذا الوجه. وقيل: أراد أن دملجيها لا ينحطان عن عضديها، إلى ذراعيها، لامتلاء ذراعيها بهما ومنعهما من أن يخرجا من ذراعيها، فهما والذراعان لا يلتقيان أبداً، كالعدوين.

يقول: يظن مضاجعها أن زندها شخص واحد، قد ضاجعه لعظمه وامتلائه.

وقيل: أراد أنها لدقة خصرها يظن المضاجع أنها زند: وهو الزند الذي يوري منه النار، والزند ينحف الخصر لكثرة القدح ووصول الحجر إليه من الجانبين، فكأنه شبهها في رقة خصرها بالزند.

كأن نقابها غيمٌ رقيقٌ يضيء بمنعه البدر الطلوعا

يقول: إن نقابها يشرق لإضاءة وجهها من تحته كما يشرق الغيم الرقيق من فوق القمر: الذي هو البدر. شبه نقابها بغيم رقيق، ووجها بالبدر ثم قال يضيء الغيم بسبب منعه البدر من الطلوع، ولو قال بدله الشمس لكان أبلغ.

أقول لها: اكشفي ضري. وقولي بأكثر من تدللها خضوعا

قوله: وقولي بأكثر، يعني بخضوع أكثر من تدللها، خضوعاً، فتكون الباء متعلقة بمحذوف، وتكون هذه الجملة خبراً لقولي، وخضوعاً نصب على الحال، تفسيرٌ للخضوع المقدر.

يقول: أقول لها في حال تضرعي وتواضعي لها: اكشفي ضري، وخضوعي في قولي هذا أكثر من تدللها علي على كثرته؛ وذلك أن الدلال يكون مع الخضوع، فكأنه يقول: إنها تتمنع وتتدلل وأنا أخضع لها وأتذلل حتى يزيد خضوعي على مالها من التدلل والتمنع، وإن كان تدللها غير متناهٍ كثيراً فخضوعي أكثر منه.

أخفت الله في إحياء نفس متى عصي الإله بأن أطيعا؟

يقول لها: أخفت لله تعالى في إحياء نفس على الوصال، فتكوني قد أحييته بعد الإماتة، أو يريد: إنك قد هممتِ بإماتتي فكأنك خفت الله تعالى في تبقيتي على هذه الحال. وليس ذلك مما يخاف الله تعالى، بل إحياء نفس مما يتقرب به إلى الله تعالى، فكيف يعصي الإله بطاعته تعالى.

غدا بك كل خلو مستهاماً وأصبح كل مستور خليعا

وروى: كل خلق. والمستهام: من بلغ النهاية في الهوى. والخليع: هو المتظاهر بالهوى.

يقول: أصبح كل خلي من الهم والهاً بك متحيراً في هواك، وأصبح كل عفيف في حبك، خالعاً عذاره، ومثله:

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه ميٌّ سافراً كان يبرق

أحبك أو يقولوا جر نملٌ ثبيراً وابن إبراهيم ريعا

أو ها هنا بمعنى: أن أو إلى أن أو إلا أن.

يقول لها: إني أحبك إلى أن يقولوا: جر نملٌ ثبيراً وهو الجبل. وهذا لا يكون أبدا، أو إلى أن يقال: إن ابن إبراهيم، خوف وأفزع. وهذا أيضاً غير جائز، فلا يزول حبك أبداً عني، لأن هذين أبداً لا يكونان.

بعيد الصيت منبث السرايا يشيب ذكره الطفل الرضيعا

يقول: إنه رفيع الشأن، متفرق العساكر في البلدان؛ لكون البلاد كلها من ممالكه، أو للإغارة على أعدائه، ويشيب ذكر شجاعته الطفل الرضيع؛ لخوفه منه، وخص الطفل؛ لبعده عن الشيب، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: "يوماً يجعل الولدان شيباً".

يغض الطرف عن مكرٍ ودهى كأن به وليس به خشوعا

الدهى: هو الدهاء. وخشوعاً: نصب لأنه اسم كأن. تقديره: كأن به خشوعاً، وليس أنه يغض طرفه عن مكرٍ ودهاءٍ، حتى كأنه لا يبصر شيئاً وهو مبصر، ولكن يتغافل بمكره، وهو يظن أنه خاشع البصر، وليس به خشوع لكنه يفعل مثل ذلك لدهائه.

إذا استعطيته مافي يديه فقدك، سألت عن سرٍّ مذيعا

فقدك: أي فحسبك، والمذيع: من عادته إفشاء السر، لأنه لا يكتمه. شبهه بمذيع السر، إذا سألوه المال. يعني: أن المذيع كما لا يكون له سر، كذلك هذا لا يثبت في يده غني.

قبولك منه منٌّ عليه وإلا يبتدىء يره فظيعا

منه: نصب لأنه مفعول قبولك، ومنٌّ عليه، خبر الابتداء وقبولك مبتدأ، وفظيع: أي أمر شديد منكر.
يقول: إذا قبلت بره وعطاءه فكأنك قد مننت عليه بقبولك ذلك، وإن لم يبتدىء بالنوال قبل السؤال، رأى ذلك قبيحاً منكراً. يعني: يسابقك إلى العطاء قبل الاستغناء.

لهون المال أفرشه أديماً وللتفريق يكره أن يضيعا

يقول: لهون المال عليه فرش تحته النطع من الأديم وصبه فوقه، لا لكرامته عليه، لأن النطع إنما يبسط لمن يضرب عنقه، ولو أراد إعزازه لجعله في الكيس، وإنما يكره أن يضيع المال، مخافة ألا يبلغ وقت تفريقه إياه، فيكره أن يضيع لأجل صرفه في مصارفه.

إذا ضرب الأمير رقاب قومٍ فما لكرامةٍ مد النطوعا

يقول: إن فرشه النطوع تحت المال، كما أنه إذا أراد أن يضرب رقاب قوم يلقى من تحتهم النطوع إهانةً لهم، لا إكراماً.

فليس بواهبٍ إلا كثيراً وليس بقاتلٍ إلا قريعا

القريع: السيد الشريف.
يقول: إن الممدوح لا يهب إلا كثيراً، وإذا قتل، لا يقتل إلا سيداً شجاعاً كريماً مقارعاً.

وليس مؤدباً إلا بنصلٍ كفى الصمصامة التعب القطيعا

كفى: يتعدى إلى مفعولين: أحدهما التعب، والثاني القطيع، وهو السوط. تقديره: كفى الصمصامة القطيع التعب.

يقول: إنه لا يؤدب إلا بسيف فيقيمه في التأديب مقام السوط، فيكفي السوط التعب والعناء.

عليٌّ ليس يمنع من مجيءٍ مبارزه ويمنعه الرجوعا

يقول: إنه لا يمنع مقاتله من المجيء إلى قتاله ونزاله، ولكنه إذا أراد أن ينصرف، منعه من الانصراف بقتله، فينتفي الرجوع.

عليٌّ قاتل البطل المفدى ومبدله من الزرد النجيعا

المفدى: الذي يفديه كل واحد من الناس، لشجاعته. والزرد: الدرع. والنجيع: الدم الطري. وقيل: دم الجوف.

يقول: إنه يقتل البطل الذي يفديه الناس لشجاعته، ويسلبه درعه ويلبسه بدل الدرع الدم الطري، الذي يخرج منه بالضرب والطعن.

إذا اعوج القنا في حامليه وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا

في حامليه: يجوز أن يريد به، المطعونين. ومعناه: إذا صارت الرماح معوجة في المطعونين، ونفذ ذلك الرمح من ضلع إلى ضلع آخر، أي يخرج من جانب إلى جانب آخر، من هذا المطعون إلى مطعون آخر، وجواب هذا الكلام، بعد البيت الذي يليه. ويجوز أن يريد بحامليه: أعداء الحاملين للرمح. وإنما خص الرمح؛ لأن طعن الرمح أدل على الفروسية والشجاعة، لأنه يقابل مثل سلاحك.

ونالت ثأرها الأكباد منه فأولته اندقاقاً أو صدوعا

الهاء: في منه ترجع إلى لفظ القنا وكذلك أولته. وفي ثأرها للأكباد.

يقول: إذا اعوج القنا، وانصدع واندق في الأكباد، فكأن الأكباد نالت ثأرها من الرماح بهذا الاندقاق فأعطت الأكباد القنا اندقاقاً أو صدوعاً.

فحد في ملتقى الخيلين عنه وإن كنت الغضنفرة الشجيعا

إن استجرأت ترمقه بعيداً فأنت اسطعت شيئاً ما استطيعا

وروى: الخبعثنة فحد: أمر حاد يحيد، إذا تأخر عن المحاربة: والهاء في عنه: للممدوح، والغضنفرة: من صفات الأسد.

يقول: إذا اشتدت الحروب، واعوج القنا، ونالت الأكباد ثأرها من الرماح، فحد عنه، يا من يريد مبارزته عند التقاء الجيشين، وإن كنت أسداً شديداً شجاعاً، فإنه يقتلك لا محالة فتهلك.

وإن ماريتني فاركب حصاناً ومثله تخر له صريعا

أي: إن خاصمتني، أو شككت في قولي روى: حصاناً وجواداً وصريعاً نصب على الحال.

يقول: إن خاصمتني أو شككت في إخباري من حال هذا الممدوح، فاركب فرساً جواداً ومثله في قلبك نصب عينيك، وإن كان غائباً عنك فإنك تسقط من هيبته هالكا.

غمامٌ ربما مطر انتقاماً فأقحط ودقه البلد المريعا

البلد المريع، والممرع: هو الخصيب والمخصب وزناً ومعنى.

يقول: إنه غمام يمطر خيراً ونعمة إلا أنه ربما يمطر انتقاماً فيقحط قطره البلد الخصيب.

رآني بعد ما قطع المطايا تيممه وقطعت القطوعا

رأى: فعل الممدوح، وتيممه: فاعل قطع. والمطايا: مفعوله. وقطعت: فعل المطايا. والقطوع: مفعوله. وهو جمع القطع، وهو الطنفسة على ظهر البعير.

يقول: رآني الممدوح، بعد ما قطع المطايا، وأتبعها سيري إلى الممدوح وقصدي إياه، وقطعت المطايا الطنافس التي عليها؛ لطول ملازمتي لها؛ وكل ذلك لطول الطريق وبعد المسافة ومقاساة الشدائد. يذكر ذلك توصلاً إلى فضل عطاياه.

فصير سيله بلدي غديراً وصير خيره سنتي ربيعا

يقول: لما رآني أعطاني إعطاءً واسعاً، حتى جعل سيله بلدي غديرا: وهو مقر الماء. وصير خيره سنتي كلها ربيعاً؛ لأنه أفضل فصول السنة.

وجاودني بأن يعطي وأحوى فأغرق نيله أخذي سريعا

جاود: فاعل من الجود.

يقول: جاد علي بالعطاء وجدت عليه بالاحتواء والأخذ فجعل أخذه منه جوداً، لأنه كان يعد أخذه نعمة من جملة النعم عليه، فأغرق نيله وإعطاؤه أخذي بسرعة: أي لم يبلغ أخذي عطاؤه، فكأنه غرق أخذي.

أمنسي السكون وحضرموتاً ووالدتي وكندة والسبيعا

يقول: يا من أنساني هذه الأماكن لجوده، وإن كانت منشأي ومألفي، ويا من أنساني والدتي فلا أشتاقها؛ لأن عطاءك شغلني عن جميع ذلك.

قد استقصيت في سلب الأعادي		فرد لهم من السلب الهجوعا

السلب: يجوز أن يكون الشيء المسلوب، ويجوز أن يريد به: المصدر، فيجوز فيه فتح اللام وإسكانها.
يقول: قد سلبت أعداءك كل شيء حتى النوم، فرد عليهم من جملة هذا السلب النوم. يعني: أنهم من خوفهم منك أن تسلبهم نفوسهم، لا ينامون، فأمنهم لينامو.

إذا ما لم تسر جيشاً إليهم		أسرت إلى قلوبهم الهلوعا

تسر: مضارع أسار يسير إسارة، وسار وهو يسير سيراً والهلوع: أسوأ الجزع.
يقول: إذ لم تسير جيشك إليهم، وتركت قتالهم فقد سيرت إلى قلوبهم الجزع والخوف، فكأنك قد سيرت إليهم الجيش؛ لأن خوفهم منك يقوم على حقهم مقام الجيش.

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً		وقد وخط النواصي والفروعا

وخط: إذا ظهر واختلط البياض بالسواد، وأراد بالنواصي: شعرها. والفروع: الذوائب.
يقول: إنهم رضوا بك كارهين كرضاهم بالشيب إذا خالط شعر النواصي وسائر الفروع، فكما أن الشيب غير محبوب إلى كل أحد، فكذلك حالهم في رضاهم بك.

فلا عزلٌ وأنت بلا سلاحٍ		لحاظك ما تكون به منيعا

العزل: هو فقد السلاح. من قولهم: رجل أعزل. وما؛ بمعنى الذي. كأنه قال: لحاظك الشيء الذي يكون به منيعاً. والهاء في به عائد إلى ما، والمنيع: الممنوع الجانب.
يقول: ليس فقدك السلاح بعزل؛ لأن لحاظك إذا نظرت إلى عدوك تغني عن السلاح، فصرت بالملاحظة منيعاً ذا سلاح.

لو استبدلت ذهنك من حسام		قددت به المغافر والدروعا

الهاء في به: للذهن.
يقول: لو جعلت ذهنك بدلاً من سيفك، لقطعت به المغافر والدروع. يصفه بحدة الذهن وجودة الخاطر.

لو استفرغت جهدك في قتالٍ		أتيت به على الدنيا جميعا

يقول: لو بذلت جهدك وقدرتك في القتال، لأتيت على جميع أهل الدنيا ولأفنيتهم، حتى لا تبقى الدنيا ولا أهلها.

سموت بهمةٍ تسمو فتسمو فما تلفي بمرتبةٍ قنوعا

التاء في تسمو الأول: للخطاب، والثاني: للهمة. أي تسمو أنت وتسمو همتك بسموك. ويجوز أن يكون: الأول للهمة، والثاني: للخطاب. أي تسمو همتك فتسمو أنت بسمو همتك. ويجوز أن يكونا للهمة أي تسمو همتك إلى درجة فما ترضى بها، فتسمو إلى ما فوقها. فما تلفى أنت أو همتك بمرتبة قنوعا، أي لا يرضى بمرتبة نالها بل يطلب فوقها.

وهبك سمحت حتى لا جوادٌ فكيف علوت حتى لا رفيعا؟ !

الألف في رفيعا: ألف الإطلاق؛ لأن النكرة المنفية بلا تنصب بلا تنوين.

يقول: أحسب أنك بجودك علوت أقرانك حتى لا نظير لك فيه، فكيف قدرت على السمو والارتفاع حتى لا يبقى رفيع غيرك؟! وقال البخاري: يجوز أن يكون بلا من التنوين، لأن لا إذا تكررت يجوز فيها هذا الوجه نحو قولك: لا حول ولا قوة.

وقال أيضاً يمدحه أي علياً بن إبراهيم التنوخي، ويصف بحيرة طبرية:

أحق عافٍ بدمعك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدم

العافي: الدارس. والهمم: مبتدأ. وأحق: خبره.

يقول: إن أحق دارس بالبكاء عليه، همم الناس الدارسة، فهي أولى بالبكاء لدروسها، من الأطلال الدارسة. وقوله: أحدث شيء عهداً بها القدم: أي أنها قد تقادمت، فأحدث شيء بها القدم: أي صار أقربها عهداً قديماً. وقيل: أراد بالعافي: الطالب. والمعنى: أن الهمم أحق طالب بأن يبكى عليه. فكأنه يقول: أعرض عن البكاء على الأطلال، وابك على الهمم. وهو مأخوذ من قول أبي نواس:

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنه الكرم

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عربٌ ملوكها عجم

يقول: إنما عز الناس، وهممهم بالملوك، فما تفلح العرب إذا كانت ملوكها عجم؛ لأنهم لا همم لهم، وهم إذا رضوا بذلك فقد دنوا، فلا يرجى لهم فلاح.

لا أدبٌ عندهم ولا حسبٌ ولا عهودٌ لهم ولا ذمم

بكل أرضٍ وطئتها أممٌ ترعى بعبدٍ كأنها غنم

الذمم: جمع الذمة، وهي الحرمة. يعني: أن العجم ليس لهم حرمة.

يقول: وجدت في كل بلدٍ دخلتها أمماً أي جماعات، يلي عليهم عبد! فهم لا يأنفون عن الانقياد له، كأنهم غنم! وأراد بالعبد: العجم؛ لأنهم موالي العرب، وعبيدهم، وهم يترلون من العرب مترلة العبيد، وفيه تعيير للعرب حيث رضوا بأن يلي عليهم العجم وانقادوا لهم.

يستخشن الخز حين يلمسه وكان يبري بظفره القلم

ويروى: حين يلبسه ويلمسه يصف بهذا العبد الذي صار والياً. ويقول: صار بحيث يستخشن الخز الذي هو في غاية اللين، حين يلمسه، بعد أن كان عبداً قد غلظت يداه من الكد، حتى لو أراد أن يبري بظفره القلم لبراه؛ لطول ظفره.

إني وإن لمت حاسدي فما أنكر أني عقوبةٌ لهم

يقول: إن كنت ألوم حسادي على حسدهم إياي، وعداوهم لي، فإني أعلم أهم معذورون على حسدهم لي، لأني عقوبة لهم، لما لي من الفضل والعلو، فأقتلهم غيظاً وحسداً. وقريب منه قول الآخر:

ولا خلوت الدهر من حاسدٍ وإنما الفاضل من يحسد

وكيف لا يحسد امرؤٌ علمٌ له على كل هامةٍ قدم؟!

العلم: الجبل.

يقول: كيف لا يحسد رجل مشهور بالفضل والكمال، عالي المحل، وله على كل هامة قدم، فهو أفضل من كل أحد.

يهابه أبسأ الرجال به وتتقي حد سيفه البهم

أبسأ الرجال: آنسهم. يقال: أبسأت به وأبهأت به إبساءً وإبهاء: إذا أنست به.

يقول: يخاف هذا الرجل آنس الرجال به، وأقربهم إليه. وتتقي: أي تحذر، من حد سيفه الشجعان.

تقديره: كيف لا يحسد امرؤ وهذه صفته؟!

كفاني الذم أنني رجلٌ أكرم مالٍ ملكته الكرم

فاعل كفاني: أنني، وما يتصل به. والمفعول الأول: الياء التي هي ضمير المتكلم. والمفعول الثاني: الذم.

يقول: منعني من أن أذم نفسي، فأكرم ما أملك وأدخره لنفسي، إنما هو الكرم فلا سبيل لأحد أن يذمني مع هذا الكرم.

يجني الغنى للئام لو عقلوا ... ما ليس يجني عليهم العدم

يقول: يجلب الغنى على اللئيم، ما لا يجلب عليه الفقر؛ لأن اللئيم إذا صار غنياً يبخل فيذم، وإذا كان فقيراً لم يذمه أحد.

هم لأموالهم وليس لهم ... والعار يبقى والجرح يلتئم

يقول: إن اللئام خدم أموالهم، وعبيدهم، حتى أوقعوا أنفسهم في الهلاك بسببها، وليست الأموال لهم، لأنهم لا ينتفعون بها، ولا يكتسبون بها حمداً ولا أجراً. ثم قال: والعار يبقى والجرح يلتئم: يعني أن غناءهم عارٌ عليهم، يبقى بعدهم. والجرح يلتئم: أي أن الجرح أهون من العار؛ لأن الجرح يندمل ويذهب أثره والعار يبقى على وجه الدهر.

من طلب المجد فليكن كعلي ... يٍ يهب الألف وهو يبتسم

ويطعن الخيل كل نافذةٍ ... ليس لها من وحائها ألم

أي: كل طعنةٍ نافذةٍ، فحذفها والكناية في لها، وحائها: للطعنة والوحاء: السرعة، يمد ويقصر.

يقول: من طلب الشرف فليكن مثل هذا الممدوح، الذي يهب الألف لسائله وهو ضاحك، ويطعن أعداءه كل طعنة نافذةٍ من إحدى الجانبين إلى الجانب الآخر، ليس بهذه الطعنة ألم؛ لسرعتها وخفة يده بها. وقيل: أراد أنه يموت في الحال، فلا يحس بالألم بعد الموت.

ويعرف الأمر قبل موقعه ... فما له بعد فعله ندم

الهاء في فعله: للمدوح، أو للأمر. وروى: بعد فعلةٍ. وهي المرة الواحدة من الفعل.

يقول: إنه يعلم عواقب الأمور قبل فعلها ووقوعها، فإذا فعل أمراً لم يندم على فعله؛ لأنه لم يفعله إلا وهو عالم بعاقبته.

يمدحه بجودة الرأي وحدة الفطنة وشدة الذكاء.

والأمر والنهي والسلاهب وال ... بيض له والعبيد والحشم

السلاهب: جمع السلهب وهي الفرس الطويل. وقيل: هو الرمح الطويل. والحشم: حاشية الرجل، الذين يغضبون له، ويغضب لهم.

يقول: إن الممدوح له هذه الأشياء: من الأمر والنهي والخيل والسيف والعبيد والحواشي. وروى بدل الحشم: الخدم.

والسطوات التي سمعت بها ... تكاد منها الجبال تنقصم

يقول: للمدوح الحملات المشهورة، التي سمعت بها أيها المخاطب، كما سمع بها كل أحد، وهي التي تقرب الجبال من أن تتصدع وتتقطع، من شدتها وسطواتها.

يرعيك سمعاً فيه استماعٌ إلى الدا | عي وفيه عن الخنا صمم

يرعيك سمعاً أي يصغي إليك. يقال: أرعني سمعك أي استمع مني واجعل سمعك راعياً، أو مراعياً لقولي. وقيل معناه: اجعل سمعك مرعىً لكلامي ومكاناً له والداعي: أراد به الداعي حقيقة.
يقول: إنه يصغي إلى المستغيث سمعاً وعادته الإصغاء إلى كل من يدعوه، ولكنه عن الفحش والقبيح أصم: أي يعرض عنه، ولا يصغى إليه، فكأنه أصم لا يسمع ذلك.

يريك من خلقه غرائبه | في مجده كيف يخلق النسم؟ !

يريك: تعدى إلى ثلاثة مفاعيل، أحدها. الكاف، والثاني غرائبه، والثالث كيف، وهو في موضع النصب، وهو في معنى يعلمك. والنسم: جمع نسمة، وهي النفس.
يقول: يريك هذا الممدوح إذا نظرت إليه وهو يخلق غرائب كرمه، ويبتدع محاسن شيمه، التي لم يسبق إليها، كيف يخلق الله الخلق على غير احتذاء ولا مثال. يعني: أنه يصطنع من أهلكه البؤس، حتى صار كالمعدوم فيحسن إليه وينعم عليه، حتى يحسن حاله؛ فكأنه أوجده بعد عدمه، فإذا رأيت ذلك، استدللت به على قدرة الله تعالى، على إيجاد الشيء بعد أن لم يكن.

ملت إلى من يكاد بينكما | إن كنتما السائلين ينقسم

يخاطب صاحبه ويقول: عدلت إلى زيارة من لو جئتما يا صاحبي تسألانه نفسه يقسمها بينكما، فيكون نصفه مع أحدكما، ونصفه مع الآخر؛ ليبلغ كل واحد إلى أمله. وأصله قول أبي تمام:

لو لم يكن في كفه غير روحه | لجاد بها فليتق الله سائله

من بعد ما صيغ من مواهبه | لمن أحب الشنوف والخدم

الشنف: ما يجعل في أعلى الأذن، والقرط: ما يجعل في أسفله. والخدم: جمع خدمة: وهي الخلخال.
يقول: لم أقصده إلا بعد أن سبقت إلي مواهبه، وأغناني بها، وصيغ لي منها لمن أحبه من امرأتي وجاريتي ومحبوبتي ومن يتصل إلى الشنوف والخلاخيل، وفي هذا إشارة إلى أنه قد أغناه بمواهبه قبل وصوله إليه؛ لأن الإنسان لا يصوغ أنواع الحلي إلا بعد الغنى والكفاف.

ما بذلت ما به يجود يدٌ | ولا تهدي لما يقول فم

تقديره: ما بذلت يد ما به بجود، ولا يهتدي فمٌ لما يقول.

ما الأولى نافية، والثانية، والثالثة، بمعنى: الذي.

يقول منبهاً على فضله وعطاياه، وفصاحته: لم يبذل إنسيٌّ الذي يجود به هذا الممدوح، ولم يهتد فم أحد للقول الذي يقول هو، لما يختص به من زيادة الجود والفصاحة.

بنو العفرني محطة الأس د ولكن رماحها الأجم

العفرني: اسم من أسماء الأسد، والأنثى: عفرناة. ومحطة: جد الممدوح. وبنو: رفع بالابتداء، والعفرني: جر بالإضافة. ومحطة: بدل من العفرني، وهو في موضع الجر. والأسد: جر لأنه نعت لمحطة، وجميع ذلك كاسم واحد مبتدأ، والأسد خبر الابتداء، كما تقول: بنو أبي عبد الله حمزة الظريف، منطلقون.

يقول: إن محطة جدهم، هو الأسد، وبنوه الأسود، إذ أولاد الأسود تكون أسوداً، ثم فصل بينهم وبين الأسد الحقيقي، الذي هو من البهائم، وبين أن رماحهم قائمة لهم مقام الأجم للأسود.

قوم بلوغ الغلام عندهم طعن نحور الكماة لا الحلم

يقول: هم قوم لا يعدون فيهم بالغاً، إلا إذا طعن من نحور الشجعان، فأما مجرد الاحتلام، في ملابسة الحروب فلا يعدونه بلوغاً. ومثله لبعض العرب:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكن فتى الفتيان كل فتى بدا

كأنما يولد الندى معهم لا صغرٌ عاذرٌ ولا هرم

يقول: إنهم عرفوا بالجود، فكأنهم ولدوا على تركة أحدهم منه، سواء كان طفلاً، أو شيخاً، فلا يعذرهم صغرهم ولا كبرهم.

إذا تولوا عداوةً كشفوا وإن تولوا صنيعةً كتموا

يقول: إنهم عادوا أظهروا العداوة لقوتهم وجرأتهم، وإن أعطو أحداً، أخفوا ذلك؛ ليكون أدل على الكرم وأبعد من الامتنان.

تظن من فقدك اعتدادهم أنهم أنعموا وما علموا

يقول: تظن أيها المخاطب من قلة اعتدادهم بالنعم وامتنانهم بها، أنهم أنعموا غافلين، وما علموا بما أنعموا، ومثله لابن الرومي:

أيها السيد الذي لا تنفك ك أياديه عندنا موصولة

فهي معروفة لدينا وإن كا نت لديه مجحودة مجهولة

إن برقوا فالحتوف حاضرةٌ أو نطقوا فالصواب والحكم

برقوا: أي أوعدوا، أو برق: إذا لمع.

يقول: إن أوعدوا أعداءهم فهلاكهم حاضر مقرون به، وإن نطقوا فجميع كلامهم صواب وحكم

وقيل: أراد بقوله: برقوا، أنهم إن لمعوا في الدروع والبيض عند الحرب، قتلوا أعداءهم فيكون كقوله:

ويحمل الموت في الهيجاء إن حلو

أو حلفوا بالغموس واجتهدوا فقولهم :خاب سائلي القسم

اليمين الغموس: التي تغمس صاحبها في الإثم. وفي الحديث اليمين الغموس تدع الديار بلاقع ومثله للطائي:

وبلاقعاً حتى كأن قطينها حلفوا يميناً بالهلاك غموسا

يعني: كأن سكان الأطلال حلفوا يميناً غموساً، فعوقبوا، بكون ديارهم بلاقع.

وقولهم مبتدأ، وخاب سائلي في موضع النصب لأنهم مفعول وقع عليهم قولهم والقسم خبر الابتداء.

يقول: إنهم إذ حلفوا واجتهدوا في اليمين، فأعظم يمينهم أن يقول: خاب سائلي إن فعلت كذا. ومثله قول الآخر:

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس

أو ركبوا الخيل غير مسرجةٍ فإن أفخاذهم لها حزم

يقول: إذا ركبوا الخيل غير مسرجةٍ شدوا أفخاذهم عليها فتجري أفخاذهم مجرى الحزم؛ لثباتهم في الفروسية واعتيادهم ركوب الخيل.

أو شهدوا الحرب لاقحاً أخذوا من مهج الدارعين ما احتكموا

اللاقح: الشديد.

يقول: إذا حضروا الحرب في حال شدتها، أخذوا من نفوس المعلمين ما احتكموا، أو أرادوا.

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيم

الأعراض: الأجسام وما يذكر به الرجل من مدح أو ذم.

يقول: أجسامهم ووجوههم مضيئة كشيم نفوسهم، فكأنها أخلاق أنفسهم في الإضاءة والخلوص من الشوائب. ومنه قول الآخر:

أضاءت لهم أجسامهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

لولاك لم أترك البحيرة وال   غور دفىءٌ وماؤها شبم

البحيرة: تصغير البحر في الأصل، وإنما أنث لأنه أراد به: بحيرة الشام وطبرية، والهاء فيه لازمة له؛ لأنه اسم هذا الموضع وصار علماً كحمزة وطلحة. والغور موضع بالشام. وقيل معناه: لولاك لم أترك البحيرة ولم أترك ماءها البارد، وكذلك لم أفارق الغور؛ مع أنه مكان طيب دفيء، وإنما فارقت هذه المواضع؛ مع أنها طيبة لأجلك. وقيل: الغور موطن الممدوح فيقول: لولا قصدك لم أترك البحيرة، وهي طيبة، وماؤها عذب، ولم أقصد الغور، مع أنه دفيء خالٍ من الطيب، لكن فضلك وكرمك وحبي لك، حملني على ذلك.

والموج مثل الفحول مزبدةٌ   تهدر فيها وما بها قطم

الموج: قد يكون واحداًن اسم للجنس، وقد يكون جمع موجة، ولهذا شبهه بالفحول، والمزبدة: التي حصل لها زبد، وهو الفقاعة التي تكون فيه، إذا ضربته الريح، وتهدر: أي تصوت، والهاء في ما بها: للموج. أنثها لتأنيث الجماعة، والقطم: شهوة الضراب. شبه موج البحيرة في اضطرابه، بالفحول إذا هاجت.

يقول: إن موجها مثل الفحول، مزبدة مصوتة، فكأنها فحول هائجة للضراب، غير أنها ليس لها شهوة الضراب.

والطير فوق الحباب تحسبها   فرسان بلق تخونها اللجم

حباب: الماء طرائقه. وفرسان بلق: أراد به الخيل البلق، شبه بياضها ببياض الماء، وسوادها بالسواد الي يحصل من ظلمة اضطراب الموج، وشبه تصرف الموجة على غير مراد الطائر، بالخيل عند انقطاع لجمها.

يقول: إن الطير فوق حباب هذا الموج، في أنه يمضي بها يميناً وشمالاً على غير فقد منها، كأنها فرسان خيل بلق، قد خانتها اللجم بالانقطاع. شبه الزبد بالخيل البلق؛ لأنه أبيض يابس يضرب إلى الخضرة.

كأنها والرياح تضربها   جيشا وغىً: هازمٌ ومنهزم

الهاء في كأنها: للبحيرة، أو للموج الذي هو جمع موجة، أو للطير. شبه أحد هذه الأشياء، إذا ضربتها الريح بجيشين: أحدهما هازم، والآخر منهزم.

كأنها في نهارها قمرٌ   حف به من جنانها ظلم

شبه البحيرة وصفاء سمائها، بالقمر. وشبه الجنان، بشدة خضرتها. والمناسبة للسواد بظلم الليل. وقوله: في نهارها قمر: تشبيه بديع، وهو أن يجتمع الليل والقمر في النهار، والغرض وصف مائها بالصفاء، وبساتينها بالخضرة.

ناعمة الجسم لا عظام لها ... لها بناتٌ وما لها رحم

يقول: هذه البحيرة ناعمة الجسم؛ لأنها ماء، ولا شيء ألين من الماء. وقوله: لها بنات. أراد به: السمك الذي فيها، وليس لها رحم، وقيل: أراد به السفن. والأول أليق.

يبقر عنهن بطنها أبداً ... وما تشكى ولا يسيل دم

يبقر: أي يشق، وعنهن: أي عن البنات. وتشكى: أصله تتشكى فحذف إحدى التاءين.

يقول: يشق بطن هذه البحيرة عن بناتها التي هي السمك، أي يصطاد منها السمك، ولا تشتكي من ذلك ولا تتألم ولا يسيل منها دم، وإن حملناها على السفن، فمعناه أي يشق بطنها عن هذه السفن، وعلى الأول قول ابن الرومي:

بنات دجلة في فنائكم ... مأسورة في كل معترك

تغنت الطير في جوانبها ... وجادت الروض حولها الديم

جادت: مطرت عليها مطر الجود.

يقول: الطير تتغنى في جوانب هذه البحيرة، والرياض التي حولها مهتزة، والديم فاعل جادت مفعولها الروض.

فهي كماويةٍ مطوقةٍ ... جرد عنها غشاؤها الأدم

الماوية: المرآة. وغشاؤها: رفع لأنه اسم ما لم يسم فاعله. والأدم: بدل من الغشاء. شبه هذه البحيرة بالمرآة، ورياضها حولها بالطوق الذي يكون حول المرآة، وقيل شبهها في استدارتها بالمرآة، ورياضها حولها بالطوق الذي يكون حول المرآة، وقيل شبهها في استدارتها بالمرآة المطوقة. وقوله: جرد عنها غشاؤها الأدم. قيل: حشو لإتمام البيت، لا فائدة فيه. وقيل: أراد توكيد صفائها، فكأنه قال: كأنها مرآة مطوقة ساعة ما تجرد من غشائها. كما يقال: هذا ثوب حل من الورقة. وقوله الأدم: قيل مع هذا، إنه لا فائدة له. والأولى: أنه بدل.

يشينها جريها على بلدٍ ... يشينه الأدعياء والقزم

الكناية في يشينها: للبحيرة. وفي يشينه: للبلد. والقزم: سقاط الناس، ورذلهم.

يقول: ليس لهذه البحيرة عيب، غير أنها تجري في بلدٍ أهله سقاط.

فقد اشتمل البيت على مدح البحيرة ومدح البلد الذي تجري عليه، وذم أهله.

أبا الحسين استمع فمدحكم في الفعل قبل الكلام منتظم

يقول: إن أفعالكم تمدحكم وتثني عليكم، فمدحكم منتظم في أفعالكم، قبل مدح المادحين إياكم بالكلام والشعر. أي شيمكم تمدحكم.

وقد توالى العهاد منه لكم وجادت المطرة التي تسم

العهاد: مطر. جمع عهدة، والوسمى: هي المطرة في أول السنة. والهاء في منه: قيل للممدوح. وقيل للممدوح الذي جرى في البيت الذي قبله.

يقول: على الأول مخاطباً لقبيلة الممدوح، قد توالى من هذا الممدوح لكم الإحسان، وكساكم الثناء، فأحسن إليكم، وحسن حالكم به كما تحسن الأرض حين يسمها المطر بالنبات. وعلى الثاني يقول: قد توالى مدحكم كتوالي العهاد بعضها في إثر بعض، وجادت بمدحكم المطرة التي تسم الأرض بالنبات. شبه. مدحه لهم بالأمطار المتواترة.

أعيذكم من صروف دهركم فإنه في الكرام متهم

يقول: أعيذكم بالله من صروف الدهر، فإنكم كرام، وهو متهم بالإساءة إلى الكرام، ولا يؤمن على قصده إياكم بالمكاره.

وقال يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي:

دمعٌ جرى فقضى في الربع ما وجبا لأهله وشفى أنى؟ ولا كربا

أنى: بمعنى كيف؟ أو من أين؟ وكرب: أي قارب.

يقول: دمعي جرى في ربع المحبوبة، فقضى لأهله ما وجب لهم من الحق، وشفاني من وجدي، ثم رجع عما أعطى فقال: أنى ولا كربا؟ أي كيف أنه قضى الواجب وشفى الوجد، وهو لم يفعل ذلك؟! لأنه قارب أن يفعل ما هو شفائي وقضاء بحقهم ومثله قول الآخر:

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

عجنا فأذهب ما أبقى الفراق لنا من العقول وما رد الذي ذهبا

يقول: عطفنا على هذا الربع، وقد كان الفراق قد أبقى بعض عقولنا، طمعاً في أن يرده علينا فأذهب الربع هذه البقية، وما رد الذي أذهبه الفراق!

سقيته عبراتٍ ظنها مطراً   سوائلاً من جفونٍ ظنها سحبا

فاعل ظنها في الموضعين: ضمير الربع. والهاء في الأولى: للعبرات. وفي الثانية: للجفون.

يقول: سقيت هذا الربع دموعاً سائلاتٍ من جفوني، حتى ظن الربع أن هذه العبرات مطراً، وأن جفوني سحبٌ ماطرة: وهي جمع سحاب.

دار الملم بها طيفٌ تهددني   ليلاً فما صدقت عيني ولا كذبا

الإلمام: زيارة الطيف. والألف واللام في الملم بمعنى: التي.

يقول: هذا الربع. دار المرأة التي ألم بها طيف خيالها، ألم بها ليلاً، ويهددني الطيف بالهجران، على ما جرت به عادة المرأة تعذب بالدلال، وتهدد بالهجران، فما صدقت عيني في الرؤيا؛ لأنها أرتني ما لا حقيقة له! ولا كذب الطيف بالتهدد؛ فإنه قال: لأهجرنك. فأصبحت والهجران واقع!

ناءيته فدنا، أدنيته فنأى   جمشته فنبا قبلته فأبى

روى: نأيته، وأنأيتة. أي أبعدته، وروى: ناءيته: أي نأيت عنه فحذف الجر عنه والتجميش: المغازلة، فنبا: أي ارتفع وجفا.

يقول: كلما أردت من الطيف أمراً قابلني بضدة، فلما بعدت عنه، قرب مني، ولما قربته بعد، ولما غازلته ومازحته، قابلني بالجفاء، ولما قبلته، قابلني بالإباء؛ لأن خلقها لما كان لا يستمر على حال واحدة، كذلك الخيال يجري على هذا المثال. وهو كقول الشاعر:

صدت وعلمت الصدود خيالها

والأصل فيه قول الآخر:

فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها   وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

هام الفؤاد بأعرابيةٍ سكنت   بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا

الطنب: الحبل الذي يشد به الخيمة. قوله: هام أي تحير وأصابه الجنون من العشق.

يقول: هام قلبي بأعرابية سكنت من القلب بيتاً ليس له أطناب وأوتاد، بخلاف بيوت أهل البادية.

وقيل: إن معناه أنها ملكت فؤادي بلا مشقة، فكانت كمن سكن بيتاً لم يتعب في شد أطنابه.

مظلومة القد في تشبيهه غصناً   مظلومة الريق في تشبيهه ضربا

الضرب: العسل الثخين، وقيل: هو الشهد.

يقول: من شبه قدها بالغصن، فقد ظلمها؛ لأن قدها أحسن وأقوم، ومن شبه ريقها بالعسل، فقد ظلمها؛ لأنه أطيب وأحلى منه. وإنما قال ذلك: لأنه وضع التشبيه في غير موضعه.

بيضاء تطمع فيما تحت حلتها   وعز ذلك مطلوباً إذا طلبا

ما تحت حلتها: يعني جسمها. وقوله: بيضاء إشارة إلى أنها مخدرة منعمة، لا تبرز للشمس، ولا تكد في العمل، وإشارة إلى نقائها من الدنس والريب، بل هي عفيفة ترد يد طالبها عنها.

يقول: هي تطمعك في نفسها بلين كلامها، فإذا طلبتها وجدتها أعز مطلوب. ومثله قول الآخر:

يحسبن من لين الحديث زوانيا   ويصدهن عن الخنا الإسلام

كأنها الشمس، يعيى كف قابضه   شعاعها ويراه الطرف مقتربا

يقول: كأنها من قربها وبعد منالها الشمس، فإنك ترى شعاعها قريباً منك، فإن أردت أن تقبض عليه، لم يمكنك! فكذلك هذه المرأة. ومثله قول أبو عيينة:

فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها   قريب ولكن في تناولها بعد

ومثله للآخر:

فأصبحت مما كان بيني وبينها   سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

مرت بنا بين تربيها فقلت لها: من أين جانس هذا الشادن العربا؟

الشادن: الغزال إذا كبر.

يقول: مرت بنا هذه الجارية بين جاريتين متساويتين في السن حياءً من أن تمر بنا وحدها، فاستخفت بهما، فعرفتها لفضل حسنها فقلت لها: أنت غزال فكيف شابه الغزال العرب؟! أو كيف اجتمع الغزال مع العرب؟؛ لأنها غزال والتربان من العرب

فاستضحكت ثم قالت: كالمغيث يرى   ليث الشرى وهو من عجلٍ إذا انتسبا

فاستضحكت: أي ضحكت. والشرى: موضع ينسب إليه الأسود.

يقول: لما قلت لها، من أين جانس هذا الشادن العرب؟! ضحكت من قولي. وقالت: هذا ليس ببعيد؛ كما أن المغيث يرى كأنه ليث الشرى وهو مع ذلك من بني عجلٍ، فكذلك أنا.

جاءت بأشجع من يسمى وأسمح من   أعطى وأبلغ من أملي ومن كتبا

التأنيث في جاءت: يرجع إلى عجل؛ لأنه قبيلة. والأولى أنه فعل الأعرابية.

يقول: جاءت هذه المرأة أو هذه القبيلة بأشجع من يدعى ويسمى من الناس وأسخاهم وأبلغهم في الإملاء والكتابة. يصفه بالشجاعة، والسخاء، والبلاغة، يداً ولساناً.

لو حل خاطره في مقعدٍ لمشى   أو جاهلٍ لصحا أو أخرس خطبا

يقول: إن خاطره لو حل في زمن أزال عنه زمانته حتى يمشي، ولو حل في جاهل لصحا من جهله، ولو حل في أخرس لصار خطيباً بليغاً.

إذا بدا حجبت عينيك هيبته   وليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا

يقول: إنه إذا ظهر للناس من الحجاب، حجبت عينيك هيبته فلا تقدر أن تنظر إليه لجلالته، فكأنه محتجب، وهو كما قال الفرزدق:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم   يخضع الرقاب نواكس الأبصار

وقوله: ليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إذا احتجب يطلع على ما غاب من أحوال الناس فلا يخفى عنه شيء فكأنه غير محتجب.

والثاني: أنه إذا احتجب لا يمكنه ذلك، لأن نور وجهه ينم عليه ويخرق الحجاب إليه. وهي كقوله:

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوةٍ   هيهات لست على الحجاب بقادر

والثالث: أراد أنه ليس بشديد الاحتجاب، فمن أراد الدخول عليه لا يصعب عليه رؤيته، وإن كان محتجباً؛ لتواضعه.

بياض وجهٍ يريك الشمس حالكةً   ودر لفظٍ يريك الدر مخشلبا

المخشلب الرديء من الدر، وقيل هو الخرز الأبيض الذي يشبه اللؤلؤ. ليس بعربي؛ لكنه. استعمله على ما جرت به عادة العامة في الاستعمال واسمه في اللغة الخضض.

يقول: لو قست الشمس إلى بياض وجهه، لرأيتها سوداء حالكة! ولو قست لفظه بالدر كان بالنسبة إليه كالرديء الذي لا قيمة له! ووصفه بغاية الحسن والفصاحة.

وسيف عزمٍ ترد السيف هبته   رطب الغرار من التامور مختضبا

هبة السيف: حركته. وغرار السيف: ما بين حده إلى وسطه. والتامور: دم القلب.

قيل في معناه وجهان: أحدهما يقول: إن له سيف عزم متى تحرك كان أمضى من السيف، الذي هو

رطب الغرار من دم القلب. والثاني: أراد أنه متى تحرك عزمه خضب سيفه من دم قلب عدوه، فكأن سيفه لا يقتل إلا عند إمضاء عزمه فيهم.

عمر العدو إذا لاقاه في رهجٍ أقل من عمر ما يحوي إذا وهبا

قوله: إذا وهب قال ابن جنى: يعني أنه إذا أراد أن يهب؛ لأنه إذا وهب الشيء فليس يملكه كقوله جل وعلا: "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله". أي أردت قراءته.

يقول: إن عمر عدوه إذا لاقاه في الحرب، أقل من عمر ما يحويه من الال، إذا أراد هبته، فيكون عمره أقصر بقاءً من المال في يده. وقيل أراد بقوله: إذا وهب إزالة الهبة؛ لأن عمر ما يحويه لا ينقطع إلا بالهبة دون الإرادة.

توقه؛ فإذا ما شئت تبلوه فكن معاديه أو كن له نشبا

نصب تبلوه بإضمار أن وتقديره: أن تبلوه. فحذف أن وأبقى عملها.

يقول لصاحبه: احذر هذا الرجل؛ فإن لم تثق بقولي وأردت اختباره فكن عدوه، أو ماله، لترى ما يفعل بك من الإبادة والإفناء؛ لأن عادته إهلاك أعدائه وتفريق ماله.

تحلو مذاقته حتى إذا غضبا حالت فلو قطرت في الماء ما شربا

المذاقة: الذوق، ويجوز أن يكون طعم الشيء المذوق. وحالت: التأنيث للمذاقة وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا، أي لو كانت مما يقطر فقطرت في الماء لم يشرب.

يقول: هو في حال الرضى، حلو الأخلاق، فإذا تغيرت لغضبٍ عادت حلاوته مرارة، بحيث لو كانت مما يقطر فقطرت في الماء لم يشربه أحد لمرارته.

وقد عيب هذا البيت من جهة التصريع لأنه لا يستعمل إلا في أول القصيدة لا في حشوها إلا عند الخروج من قصةٍ إلى قصة أخرى. وأجيب بأن هذا هو الأكثر وقد جاء مثل ذلك كما قال الآخر في أثناء التشبيب:

ألا نادٍ في آثارهن الغوانيا سقين سهاماً ما لهن وماليا؟

وتغبط الأرض منها حيث حل به وتحسد الخيل منها أيها ركبا

أيها: منصوب بتحسد لا بركب لأنه صلة، والصلة لا تعمل إلا في الموصول.

يقول: إذا حل في مكان من الأرض غبطها سائر المواضع لكونه فيها؛ لما نالها من الشرف والفخر،

فتتمنى سائر البقاع حصول هذا الشرف بحلوله فيها، وكذلك إذا ركب فرساً حسدته جميع الخيل لما يحصل لمركوبه من الشرف، فتتمنى أن يتحول هذا الفخر إليها بركوبه إياها. ومثله لأبي تمام:

مضى طاهر الأثواب لم تبق بقعةٌ غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

ولا يرد بفيه كف سائله عن نفسه ويرد الجحفل اللجبا

الجحفل: الجيش العظيم. واللجب: الشديد الصوت.

يقول: إذا جاءه السائل لا يرده بقوله ولا ينهره، وهو مع ذلك يرد الجيش العظيم بكلمة تهديد تخرج من فيه. وإنما قال: لا يرد بفية إشارة إلى أنه لا يرده خائباً بقوله: لا ولكن يرده بالعطاء. ومنه قول الآخر:

لنا جانبٌ منه دميثٌ إذا رامه الأعداء ممتنعٌ صعب

وكلما لقي الدينار صاحبه في ملكه افترقا من قبل يصطحبا

أراد: من قبل أن يصطحبا. فحذف أن وأعملها والهاء في صاحبه للدينار.

يقول: كلما لقي الدينار في ملكه ديناراً آخر مثلة وهو المراد بقوله صاحبه افترق الدينار من قبل إتمام صاحبه للصحبه بينهما: بأن يهب أحدهما لواحدٍ والآخر لآخر.

وقد عيب البيت من جهة المناقضة لأنه قال: لقيَ الدينار صاحبه فأثبت بينهما المصاحبة، ثم نفاها.

بقوله: قبل أن يصطحبها. والجواب: أنه أراد بالاصطحاب: أي يفترقان قبل استدامة الصحبة بينهما. فلا مناقضة فيه. ومثله قول الآخر:

لا يألف الدرهم المضروب خرقتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

مالٌ كأن غراب البين يرقبه فكلما قيل: هذا مجتدٍ، نعبا

نعب الغراب: إذا صاح ومد عنقه، فإن قدها قيل: نعق.

يقول: له مال كأن غراب البين ينتظره! فإذا رأى طالب المعروف نعب في ماله، فيفرق شمله، كما يفرق شمل الأحباب عند صياحه. وقيل: أراد أن الغراب لا يفتر من الصياح، فكذلك هو في العطاء.

بحرٌ عجائبه لم تبق في سمرٍ ولا عجائب بحرٍ بعدها عجبا

الهاء في بعدها: راجعة إلى العجائب الأولى.

يقول: هو بحر ذو عجائب، تزيد على عجائب البحر، وسائر العجائب التي تحكى في الأسمار، فلم تبق

عجائبه في حديث الأسمار ولا عجائب البحار بعدها عجباً.

يعني: العجائب التي تذكر في الأسمار وعجائب البحار بالإضافة إليه كلاشيء.

لا يقنع لبن عليٍّ نيل منزلةٍ ... يشكو محاولها التقصير والتعبا

لا يقنع: أي لا يرضى، وابن عليٍّ مفعوله، والفاعل: نيل منزلة، والهاء في محاولها: للمنزلة.

يقول: إنه إذا وصل إلى منزلة صعبة يقصر عنها من يطلبها، فإنه لا يرضى بها وطلب منزلة أعلى منها، وإن كانت بحيث يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فيها.

هز اللواء بنو عجلٍ به فغدا ... رأساً لهم وغدا كلٌّ له ذنبا

هز: أي حرك.

يقول: إن بني عجل حركوا لواءهم بسببه ومكانه، فجعلوه أميراً لهم، فرفعوا لواءهم فوقه، فأصبح هو سيدهم، وصاروا أذناباً له وأتباعاً. وقيل: إنه أراد أنه صار الناس أذناب بني عجل بقوته، فهم سادة الناس وهو سيدهم.

التاركين من الأشياء أهونها ... والراكبين من الأشياء ما صعبا

نصب التاركين، والراكبين: على المدح كأنه قال: أمدح التاركين.

المعنى: أنهم يتركون من الأمور ما هو سهل، ويفعلون ما هو أصعب على غيرهم؛ لفضل قوتهم وشجاعتهم. وهذا من قول الآخر:

ولا يرعون أكناف الهوينى ... إذا حلوا ولا روض الهدون

مبرقعي خيلهم بالبيض متخذي ... هام الكماة على أرماحهم عذبا

هذا أيضاً نصب على الحال، وحذف النون للإضافة. والعذبا: جمع عذبة، وهي الخرقة التي تشد على رأس الرمح.

يقول: إنهم قد برقعوا خيلهم بالسيوف؛ أي حفظوها بسيوفهم من الأعداء، فكأنهم غطوها بالسيوف، وجعلوها مكان البراقع. وقيل: أراد أنهم جعلوا برقعها سيوف الضرب بوجوهها فيقع موقع البراقع منها، وكذلك جعلوا رءوس أعدائهم الشجعان، على رماحهم، بدل الخرق التي تشد عليها. وقيل: أراد شعر الهام. ومثله قول مسلم:

تكسو السيوف نفوس الناكثين به ... وتجعل الهام تيجان القنا الذبل

إن المنية لو لاقتهم وقفت ... خرقاء تتهم الإقدام والهربا

خرقاء: أي متحيرة فزعة ولاقتهم: أي حاربتهم.

يقول: إن الموت لو لقيهم في الحرب لبقي متحيراً لا يدري القوم فلا يأمن في نفسه أحد الأمرين ومثله لأبي تمام:

شوسٌ إذا خفقت عقاب لوائهم ظلت قلوب الموت منهم تخفق

مراتبٌ صعدت والفكر يتبعها فجاز وهو على آثارها الشهبا

الشهب: الكواكب المضيئة. قوله: فجاز أي الممدوح. قيل أراد جاز هذا الممدوح على آثار هذه المراتب ولم يبلغها، وقيل الفكر على آثارها ولم يبلغها.

يقول: إن الممدوح له مراتب تصعد، والفكر من الناس يتبعها، ولم يلحقها بعد.

وقيل: أراد أن لهم مراتب تبعها الفكر ليبلغ إلى محلها، فجاز الفكر الشهب، وهو بعد في آثار تلك المراتب ولم يصل إليها!

محامدٌ نزفت شعري ليملأها فآل ما امتلأت منه ولا نضبا

نزفت: أي أنزفت. ونضب: أي فني من قولهم: نضب الماء. إذا جف. وقوله: ليملأها أي ليملأ شعري تلك المحامد.

المعنى: لهذا الممدوح، أو لقومه محامدٌ ومفاخر، قد استفرغت شعري في وصفها ليملأها شعري، فآل عن أجزاء ما امتلأت المحامد منه، ولا فني شعري أيضاً فأنا أبداً أمدحهم، فلا شعري ينفد، ولا هو يبلغ كنه وصفهم.

مكارمٌ لك فت العالمين بها من يستطيع لأمرٍ فائتٍ طلبا

فت: أي سبقت.

يقول: لك مكارم سبقت جميع الخلق بها فلم يدركوا فيها شأوك، ولا يقدر أحد على رده ولا طلبه.

لما أقمت بأنطاكية اختلفت إلي بالخبر الركبان في حلبا

أنطاكية على مسيرة يومين من حلب.

يقول: لما أقمت بأنطاكية تزودت الركبان بالخبر من عندك، وأنا بحلب، فذكروا وصولهم إلى النعم الجزيلة والأيادي الجميلة.

فسرت نحوك لا ألوي على أحدٍ أحث راحلتي: الفقر والأدبا

نصب الفقر والأدب؛ لأنهما بدل من راحلتي.

يقول: لما عرفت الحال سرت نحوك غير ملتف إلى أحد من الناس دونك، وحثثت نحوك راحلتين: وهما الفقر والأدب، لتزيل عني الفقر وتشرفني بالإكرام لأجل الأدب.

أذاقني زمني بلوى شرقت بها ... لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

الانتحاب، والنحيب: تردد البكاء في الصدر، والهاء في بها وذاقها: للبلوى. وبكى، وعاش، وانتحب: فعل الزمن.

يقول شاكياً من زمانه: إنه أذاقني من بلاه ومحنه ما نشب في حلقي فشرقني، ولو ذاق الزمان ما أذاقني، لبكى وانتحب ما عاش!

وإن عمرت جعلت الحرب والدةً ... والسهمري أخاً والمشرفي أبا

يقول: إن طال عمري جعلت الحرب والدتي؛ فأعتني بأمرها كما يعتني الرجل بأمر والدته، والرمح أخاً والسيف أبا: يعني لازمت الحرب، والرمح والسيف، كما يقال: فلان ابن بجدة هذا الأمر، وفلان أخو فلوات، وأراد: في إدراك ثأري من الزمان وأهله.

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما ... حتى كأن له في قتله أربا

الأرب: الحاجة. وبكل رجل أشعث: أي أغبر معاودٍ للحرب، يلقى الموت وهو ضاحك، حتى يظن أن له حاجةً في أن يقتل. والمراد بالموت: علاماته. ومثله لأبي تمام:

يستعذبون مناياهم كأنهم ... لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

قحٍّ يكاد صهيل الجرد يقذفه ... عن سرجه مرحاً بالعز أو طربا

القح: الخالص من كل شيء، والجرد: جمع أجرد، وجرداء: وهو القصير الشعر، وقيل: هو الذي يتجرد من الخيل ويسبقها.

يقول: بكل أشعث خالص في نسبه عربي يكاد يرميه صهيل الخيل عن سرجه مرحاً وشوقاً إلى الحرب، سروراً بالموت.

الموت أعذرلى، والصبر أجمل بي ... والبر أوسع، والدنيا لمن غلبا

يقول: إن الموت يعذرني إذا قتلت شوقاً إليه، والصبر أجمل بالحر من احتمال الضيم، والبر أوسع بمن يريد العز إن لم يكن في هذا الموضع يطلبه في موضع آخر، والدنيا لمن غلب. وجميع البيت مثل ضربه.

وقال أيضاً يمدحه ويذم الزمان:

فؤادٌ ما تسليه المدام وعمرٌ مثل ما يهب اللئام

فؤاد: خبر ابتداء محذوف، وتقديره: فؤادي فؤادٌ، وهذا فؤادٌ، وكذلك في قوله: وعمرٌ. وما الأولى للنفي، والثانية: بمعنى الذي. واللئام: جمع لئيم، وهو من يجمع ثلاثة أحوال: البخل، ومهانة النفس، والدناءة في الأصل.

يصف بعد همته وعلو قدره وعزة مطلبه فيقول: إن فؤادي لا يغلبه شرب الخمر، ولا يسليه السكر عما يطلبه من الشرف والعلو، ولي عمرٌ منكدٌ منغص مثل هبة اللئيم التي تكون منغصة حقيرة؛ فلقصر عمر أخاف ألا أدرك مطلوبي وقيل غرضه في ذلك شكاية حاله، وضيق صدره، وقصر عمره، وتنغيص حياته، وإنه صار إلى حدٍّ لا يسليه الشراب. هذا مثل قصار الهمم، وإن كانوا طوال العمر.

ودهرٌ ناسه ناسٌ صغارٌ وإن كانت لهم جثثٌ ضخام

الجثث: جمع الجثة، وهي شخص الإنسان ما دام حياً جالساً أو نائماً، فإذا كان قائماً فهو قامة.

يذم أهل الدهر فيقول: إن الدهر دهرٌ، أو هذا دهرٌ، أهله صغار، ليس لهم همة مع عظم أجسامهم، التي هي مثل: جسم البغال وأحلام العصافير وهذا مثل.

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

الرغام والرغام: التراب.

يقول: لست من هؤلاء الناس، وإن كنت أعيش فيما بينهم، بل جوهري يخالف جوهرهم وطباعي تنافي طباعهم، كما أن الذهب يتولد من التراب، ومع ذلك جوهره يخالف جوهر التراب. شبه نفسه بالذهب وسائر الناس بالتراب. ومثله قوله: فإن المسك بعض دم الغزال ومثله: فإن في الخمر معنىً ليس في العنب ومثله: فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

أرانب غير أنهم ملوكٌ مفتحةٌ عيونهم نيام

يقول: هؤلاء أرانب في الحقيقة، غير أنهم ملوك! فجعلهم أرانب، واستعار لهم اسم الملوك وهو عكس ما يقال: هم ملوكٌ في صورة الأرانب، وقد فتحوا عيونهم وهم مع ذلك كأنهم نيام لجهلهم. ومثل هذا قول الشاعر:

وخبرني البواب أنك نائم وأنك إذا استيقظت أيضاً فقائم

وإنما شبههم بالأرانب؛ لأنها إذا نامت لا تطبق أجفانها فشبههم بها لهذه العلة، وما لها من الضعف والخسة ودناءة الأصل والقدر، وقوله: غير أنهم ملوك أي رفع زمنهم قدرهم ودانت لهم الدنيا، والمراد به ذم الزمان وأهله.

بأجسامٍ يحر القتل فيها ... وما أقرانها إلا الطعام

يحر: من الحرارة، أي يسرع ويشتد؛ لخسة شجاعتهم.

يقول: إن هذا الدهر، أهله لشرههم بالطعام لا يموت أكثرهم إلا عن التخمة، فكأن الذين يقاتلونهم بالفراغ من الطعام لأنهم لا يموتون أكثرهم إلا بأكلها، فهي أقرانهم دون الرجال. وهذا مثل.

وخيلٍ ما يخر لها طعينٌ ... كأن قنا فوارسها ثمام

الثمام: نبتٌ ضعيف ورقه مثل خوص النخل.

يقول: إنهم لضعفهم إذا طعنوا فارساً، لا يسقط عن ظهر فرسه، فكأن رماحهم من شجر الثمام. شبهها به لضعفه وكون ورقة على شكل أسنة الرماح، فهو إشارة إلى ضعفهم وقلة شجاعتهم. وهذا مثل.

خليلك أنت لا من قلت خلى ... وإن كثر التجمل والكلام

الخليل والخل: هو الصديق. وسمي بذلك لمداخلة صديقه في جميع أموره وأحواله، ولأن حب كل واحد منهما يدخل في خلل صاحب قلبه، والتجمل: إظهار الجميل من القول وغيره.

يقول: ليس لك صديق في الحقيقة إلا نفسك، فأنت صديق نفسك، لا من تسميه خليلاً، وإن كثرت مجاملته، وأظهر لك الود بالكلام. ومثله للآخر.

كل النداء إذا ناديت يخذلني ... إلا ندائي إذا ناديت يا مالي

وهذا مثل.

ولو حيز الحفاظ بغير عقلٍ ... تجنب عنق صيقله الحسام

حيز: جمع. والحفاظ: مراعاة الحقوق والذمم. والحسام: رفع لأنه فاعل تجنب.

يقول: هؤلاء لا عقول لهم؛ فلذلك ليس لهم حفاظ بالعقل، فلو أمكن تحصيل الحفاظ من دون العقل، لتجنب السيف عنق الصيقل، الذي أرهف حده، وأظهر رونقه، وأبرز حسنه فكأنه إذا ضرب به لا يؤثر؛ لمحامات حرمته، ومراعات حقه.

وشبه الشيء منجذبٌ إليه ... وأشبهنا بدنيانا الطغام

الطغام والطغامة: الذي ليس له معرفة.

المعنى: أن الدنيا تميل إلى الأراذل؛ لخساسة قدرها كما يميل الشبه إلى شبهه، فكما أنها رذلة خسيسة، فهي أيضاً تنجذب إلى الخساس والأراذل؛ للتجانس بينهما. وهذا أيضاً مثل.

ولو لم يعل إلا ذو محلٍ تعالى الجيش وانحط القتام

القتام: الغبار.

يقول: لو لم يعل ولم يرتفع، إلا من له محل وقدر، لكان يجب ألا يعلو الغبار مع أنه من جنس التراب على الجيش؛ لفضلهم ومالهم من التمييز والعقل ومثله:

قالت: علا الناس إلا أنت! قلت لها: كذاك يسفل عند الوزن من رجحا

وهذا مثل.

ولو لم يرع إلا مستحقٌ لرتبته أسامهم المسام

الرعي هنا: السياسة. والأسامة: رعي المال، يقال أسام ماله فهو مسيم والمال مسام.

يقول: لو لم يقم برعاية الناس إلا من هو مستحق له، لوجب أن تكون الرعية هي الراعي، والأمير هو المرعي؛ لأن في الرعية من هو أشرف من هؤلاء الرعاة وهذا مثل.

ومن خبر الغواني فالغواني ضياءٌ في بواطنه ظلام

خبر واختبر: بمعنى جرب. والهاء في بواطنه للضياء.

يقول: من جرب النساء وعرفهن، وعرف ظاهرهن فإنه وإن كان ضياءً فباطنه ظلام وضلال.

إذا كان الشباب السكر، والشي ب هماً، فالحياة هي الحمام

يقول: إذا كان الإنسان شاباً فهو كالسكران، لكونه جاهلاً غافلاً. وفي حال المشيب في الحزن والهم والأسقام! فالحياة هي الموت في الحقيقة، إذ ليس له فيها راحة، فلا فرق بين حياته وموته، كأنه تنبيه وحث على ترك الغفلة، والنهوض لمعالي الأمور، في حال الشباب وهذا مثل أيضاً.

وما كلٌّ بمعذورٍ ببخلٍ وما كلٌّ على بخلٍ يلام

يعني: أن الكريم لا يعذر على بخله؛ لكرمه ولاتصال الآمال به. وإن بخل المعسر لا يلام، لأن فضله ومنزلته إنما هو بالمال. وهذا أيضاً مثل ضربه.

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام

المقام: الإقامة.

يقول: لم أر من هو مثلي في الفضل، يقيم بين قوم لا يشاكلونه، لأنهم سفلة أخساء فمقامي فيما بينهم عجيب.

بأرضٍ ما اشتهيت رأيت فيها فليس يفوتها إلا الكرام

يقول: مقامي بأرضٍ مخصبة، فيها كل ما اشتهيت من أنواع النعم، وليس يفوت إلا الكرام تلك الأرض فإني لا أراهم فيها وإن كنت أشتهي ذلك.

فهلا كان نقص الأهل فيها وكان لأهلها منها التمام!

يقول: هلا كان هذا النقص الذي في أهل هذه الأرض في نفس الأرض، وكان التمام الذي فيها لأهلها، فيكون منها كرماً وفضلا.

بها الجبلان من فخرٍ وصخرٍ أنافا :ذا المغيث، وذا اللكام

يقول: هذه الأرض، فيها جبلان عاليان: أحدهما من فخر، وهو المغيث.

والثاني من صخر، وهو اللكام جعل الممدوح كالجبل قدراً.

وليست من مواطنه ولكن يمر بها كما مر الغمام

يقول: هذه الأرض ليست من مواطن المغيث؛ لخستها ودناءتها، مع شرفه وكرمه، ولكنه يمر بها ليحميها وينعم على أهلها، كما يمر الغمام بالأرض الجدبة فيحييها بالنبات. وقد استدرك ها هنا ما قال في قوله: فليس يفوتها إلا الكرام.

ثم قال: وبها الجبلان. فقال: وإن كان هذا الكريم فيها فليس هو من أهلها لأن أهلها لئام، وإنما يجتاز فيها كاجتياز السحاب.

سقى الله ابن منجبةٍ سقاني بدرٍّ ما لراضعه فطام

أنجبت المرأة: إذا ولدت نجيباً، فهي منجبة وابن منجبة هو الممدوح. والنجيب: الكريم السليم من العيوب.

يقول: سقى الله ابن منجبةٍ وهو الذي سقاني بدرٍّ وخير كثير، ما لراضعه فطام: أي لأن نعمته دائمة لا تنقطع، بل تتصل وتدوم.

ومن إحدى فوائده العطايا ومن إحدى عطاياه الدوام

روى: من وهي للممدوح وهو بدل من قوله: ابن منجبة. فتكون في موضع نصب. وروى: من فتكون للتبعيض.

يقول: له فائدة من فوائد العلا والجاه، فإذا أعطي عطية جعلها دائمة، والدوام بعض عطاياه المشكورة.

فقد خفي الزمان به علينا كسلك الدر يخفيه النظام

روى: به فيكون للممدوح. وروى: بها فيكون راجعاً إلى العطايا. وله معنيان: أحدهما: أن الزمان والشدائد صارت مغمورة مستورة بهذا الرجل وبعطاياه، لاشتمال هذا الرجل وعطاياه على الزمان وشدائده، فلا يظهر للزمان تأثير بالإضافة إليه وإلى عطاياه، كما أن الدر إذا نظم في السلك فإنه يخفي السلك ويستره لاشتماله عليه ولنفاسته.

والمعنى الثاني: أن قبح الزمان وخسة أهله صارت خافية بحسن كرمه وعطاياه.

يعني: أن كرمه صار جابراً لمعايب الدهر ومعايره. وهذا مثل.

تلذ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام

المروءة: مصدر مرؤ، كالإنسانية. والغرام: قيل هو العذاب وأصله من المشقة.

يقول: إن المروءة لذيذة له مع أنها تؤذي صاحبها؛ لما فيها من تفريق المال وتحمل المشاق، فهو يلتذ بها لعشقه لها، كما أن العاشق يتلذذ بالغرام، وما يجد من ألم الشوق وحرق الهوى. وهذا أيضاً مثل.

تعلقها هوى قيسٍ لليلى وواصلها فليس به سقام

يقول: عشق هذا الممدوح المروءة، كما عشق قيس بن الملوح، الملقب بالمجنون لليلى العامرية، ولكنه واصل المروءة المعشوقة، فليس لها سقام العشق. مثل ما كان لقيس في عشق ليلى؛ لأن السقام إنما يكون من الهجر وعدم الوصال، فهو لما واصلها لم يجد السقام. وهذا أيضاً مثل.

يروع ركانةً ويذوب ظرفا فما يدري: أشيخٌ أم غلام !

ركانةً وظرفاً: نصب على التمييز. وقوله: أشيخ مبتدأ وخبره محذوف. وتقديره: أشيخ هو أم غلام؟ والجملة في موضع نصب بقوله: فما تدري، والركانة: الوقار والثبات.

يقول: إذا نظرت إليه راعك وقاراً وهيبة، وإذا راعيته راعك بظرفٍ وحسن خلق، فله ركانة الشيوخ وظرافة الأحداث.

وتملكه المسائل في نداه		فأما في الجدال فما يرام

المسألة تستعمل في سؤال العطاء، وسؤال العلم، فلما أراد هاهنا سؤال العطاء، بين ما يزيل الشبهة فقال: تملكه مسائل السائلين، وإذا سألوه المال فلا يمكنه ردهم، فأما إذا سألوه مسائل العلم والجدال، فلا يرومه أحد. يمدحه بالسخاء والعلم.

وقبض نواله شرفٌ وعزٌ		وقبض نوال بعض القوم ذام

ويروى: وفيض نواله. وهو الأولى. والذام: العيب. يقول: أخذ نواله شرف لنا وعز، لكرمه وفضله وأخذ عطايا بعض القوم وهم سقاط: عيبٌ. ومثله:

عطاؤك زينٌ لامرىءٍ إن حبوته		بخيرٍ وما كل العطاء يزين

أقامت في الرقاب له أيادٍ		هي الأطواق والناس الحمام

الحمام: في أصل اللغة، عبارة عن كل طائر ذي طوق.

يقول: نعمه لازمة للناس، مثل الأطواق للحمام. فنعمه كالأطواق، والناس كالحمام وأخذ هذا بعض المتأخرين فقال.

ترك الناس حماما هتفاً		بنداه تحت أطواق المنن

إذا عد الكرام فتلك عجلٌ		كما الأنواء حين تعد عام

الأنواء: جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق يقابله وذلك في كل ثلاثة عشر يوماً، وبانقضائها تنقضي السنة.

يقول: إذا عد الكرام فهم بنو عجلٍ دون غيرهم، فكأن الكرام اسم لهم خاص، كما أن الأنواء تكون عاماً، فلا عام إلا ذو أنواءٍ وما الأنواء إلا نفس العام، فكما أن الأنواء لا تنفصل عن العام، كذلك الكرم لا يزايلهم.

تقى جبهاتهم ما في ذراهم		إذا بشفارها حمى اللطام

تقى: أي تحفظ، وتمنع. وذراهم: ناحيتهم. والشفار: جمع الشفرة، وهي حد السيف والهاء في فيها: ضمير السيوف وإن لم يجر لها ذكر، وقيل: هو ضمير عجل. واللطام: كناية عن الضراب. وحمى: أي اشتد.

يقول: إن جباههم تصون وتدفع عن أموالهم وحريمهم، والحرم: المستجيرون في شدة المحاربة، وهو حين اشتداد حد السيوف للضراب.

ولو يممتهم في الحشر تجدو		لأعطوك الذي صلوا وصاموا

يقول: لو قصدهم يوم القفيامة مجتدياً معروفهم، لأعطوك صلاتهم وصيامهم: أي ثوابها مع شدة الحاجة إلى الطاعة في ذلك اليوم واختاروا لأنفسهم النار؛ كراهة رد المستميح، إذ ليس هناك أموال. وهذا مأخوذ من قول الآخر.

ولو بذلت أمواله جود كفه		لقاسم من يرجوه شطر حياته

ولو لم يجد في العمر قسماً لزائر		لجاد له بالشطر من حسناته

فإن حلموا فإن الخيل فيهم		خفافٌ والرماح بها عرام

العرام: الجهل والطيش.

يقول: إن كانوا حلموا حلم ذو رزانة وسكون، فخيلهم تخف ولا تحلم، وتسرع في العدو، وفي رماحه خفة ونزق، أي هم جهال في الحروب. ومثله للفرزدق:

أحلامنا تزن الجبال رزانةً		ويزيد جاهلنا على الجهال

وعندهم الجفان مكللاتٌ		وشذر الطعن والضرب التؤام

المكللات: التي أديرت عليها اللحم مثل الإكليل. وشزر الطعن: إذا كان عن يمين وشمال، وأراد بالتوام هنا: متابعة الضرب، مكان الواحد اثنان.

يقول: إنهم يقرون الضيف بالجفان المكللات باللحوم، ويطعنون أعداءهم شزراً في الحروب، ويضربونهم ضرباً متتابعاً، وهذا من قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى		وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما

نصرعهم بأعيننا حياءً		وتنبوا عن وجوههم السهام

يقول: إذا سألناهم استحيوا من نظرنا إليهم، فكأنا صرعناهم فنأخذ منهم ما نسأله، وهم في الحروب لا يؤثر السلاح في وجوههم. يصفهم بالحياء عند المسألة والوقاحة عند الحرب. وحياءٌ: نصب على التمييز. وقول ليلى الأخيلية أبلغ من هذا وهو:

فتىً كان أحيا من فتاةٍ حييةٍ		وأشجع من ليثٍ بخفان خادر

قبيلٌ يحملون من المعالي		كما حملت من الجسد العظام

يقول: هم جماعة يتعاونون على القيام بالمعالي، ويحملونها كما تعاونت العظام على حمل الجسد، فقوام المعالي ونظامها بهم، كما أن قوام الجسد وثباته بعظامه وهذا مثل.

قبيلٌ أنت أنت، وأنت منهم وجدك بشرٌ الملك الهمام

تقديره: قبيل أنت منهم، وأنت منهم، وأنت أنت.

يقول: إن بني عجل قبيلة أنت منهم، وأنت أنت: أي أنت المشهور، ولك المحل العظيم. وهذا تفخيم لشأنه، وجدك المسمى: بشرٌ، منهم، وهو الملك الهمام. أي كفاهم شرف كونك وجدك منهم.

لمن مالٌ تمزقه العطايا ويشرك في رغائبه الأنام؟

الرغيبة: وهي المال النفيس. والرغائب: جمع الذي يرغب فيه.

يقول: ليس مال تفرقة العطايا ويشرك جميع الخلق في رغائبه غير مالك، وهذا مفهوم من الكلام؛ لأن من يدل عليه: فعلى هذا يكون البيت مستقلاً بنفسه، ويجوز أن يكون معنى البيت الذي يليه متصلاً به، فيكون فيه معنى التضمين.

ولا ندعوك صاحبه فترضى لأن بصحبةٍ يجب الذمام

يقول: أنت لا ترضى بأن تدعى صاحب المال الذي وصفته، لأن الصحبة مما توجب مراعاة حقه، وذلك يمنع من تفريقه. والمعنى الثاني: لمن المال الذي تفرقه العطايا، ويشرك فيه الناس، لا يدعوك صاحبه فترضى أنت به؛ لأنك إذا أقررت بأنك صاحبه فيلزمك حفظه.

تحايده كأنك سامريٌّ تصافحه يدٌ فيها جذام

تحايده: أي تتجنبه وتميل عنه إلى جانب آخر. والهاء ضمير المال. وفي تصافحه: يجوز أن تكون للمال، ويجوز أن يكون للسامري. والسامري يجوز أن يكون اسم السامري المذكور في القرآن، ويجوز أن يكون منسوباً إليه. وكل اسم في آخره ياء مشددة، إذا نسب إليه حذفت الياء منه، وألحقت به ياء النسبة، كما لو نسبت إلى كرسي، قلت: رجل كرسي. والجذام: الأكلة التي تقع في اليد.

يقول: إنك تتجنب من مالك، فكأنك السامري، الذي اتخذ العجل والال بمترلة اليد الجذماء، والسامري لا تمسه يد فكيف الجذماء! لأن الله تعالى قال في حقه "لا مساس" والأولى أن المراد به المنتسبون إليه بالشام. وهم قوم من ولده يستقذرون الناس ولا يخالطوهم تعززاً منهم، ويغسلون ثيابهم

إذا أصابهم الناس فيقول: إنك تتجنب أن تمس مالك فكأنك منتسب إلى هؤلاء القوم لأن السامري إذا كان يتجنب أن تمسه اليد السليمة، كان من اليد الجذماء أشد اجتناباً. والغرض: أنه يفرق ماله.

إذا ما العالمون عروك قالوا   أفدنا أيها الحبر الإمام

عروك: أي قصدوك، وأتوك. والحبر: العالم.

يقول: العلماء إذا سألوك عن العلم واستفادوا منك قالوا: أفدنا أيها الإمام في العلم.

إذا ما المعلمون رأوك قالوا   بهذا يعلم الجيش اللهام

المعلم: من جعل لنفسه علامة ليعرف بها، وتلك علامة الشجعان. واللهام: هو الجيش العظيم.

يقول: إن الشجعان إذا رأوك قالوا: بهذا يعلم الجيش. أي أنه ليس فيهم أشهر منه فكأنه قال: هو علامة الجيش وزعيم الجيش وفارسه المشهور.

لقد حسنت بك الأوقات حتى   كأنك في فم الدنيا ابتسام

وروى: في فم الزمن. يعني أن أوقات الزمان حسنت لكونك فيها، كما يحسن وجه الإنسان بالابتسام في الفم.

وأعطيت الذي لم يعط خلقٌ   عليك صلاة ربك والسلام

يقول: إنك أعطيت ما لم يعط أحد من المخلوقين، فعليك صلاة الله تعالى، وهي الرحمة منه، وعليك سلامه، أي تحيته.

الجزء الثاني

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي:

لجنيةٍ أم غادةٍ رفع السجف!   لوحشيةٍ؟ لا، ما لوحشيةٍ شنف

الشنف: ما يعلق في أعلى الأذن. والقرط ما يعلق على شحمة الأذن. والسجف: الستر، وهو جانب البيت. وقوله: لجنيةٍ أراد ألجنية؟ إلا أنه حذف ألف الاستفهام، لدلالة أم عليها يجوز أن تكون أم منقطعة، وتكون بمعنى بل وفي الكلام حذف تقديره: لجنية رفع السجف أم لغادة رفع السجف؟ فحذف من الجملة الأولى لدلالة الثانية.

ومعنى البيت على الخبر كأنه يقول مخبراً: لجنية رفع السجف ثم أضرب وقال: بل لغادة رفع السجف.

بل قال: لا يرفع هذا الستر لجنية ولا لغادة بل رفع لوحشية، ثم رد على نفسه ذلك فقال: ما رفع لوحشية إذ ليس للوحشية شنف، فكأنه نفى أن يكون تشبيهه للمحبوبة بسائر ما شبه به النساء.
ومعناها على الاستفهام، أنه نظر إلى محبوبته وقد رفع عنها ستر قبتها، فحيره حسنها، فلم يدر أجنيةٌ هي؟! أم غادة ناعمة؟ فقال: هذا الستر المرفوع لجنية أو غادة أو وحشية ثم استدرك فقال لو كانت وحشية لم يكن لها شنف.

نفورٌ، عرتها نفرةٌ فتجاذبت سوالفها والحلى والخصر والردف

نفور: أي تنفر عن الريبة. عرتها: أي أصابتها، وغشيتها. والسالف: مقدمة صحفة العنق، وجمعها سوالف.
يقول: هذه الجارية نفور فلئن رمقن طرفاً إليها، نفرت منا، فتجاذبت هذه الأشياء، لأن سوالفها كانت ناعمة، وحليها كان ثقيلاً والخصر كان دقيقاً، والردف كان ثقيلاً وما أشبه ذلك.

وخيل منها مرطها، فكأنما تثنى لنا خوطٌ ولاحظنا خشف

خيل: من التخيل، وهو الاضطراب، والفساد فكأنه قال: وأفسد، وفاعله المرط: وهو كناية عن الذي تلبسه نساء العرب مكان الإزار.
يقول: لما نظرنا إليها نفرت منا فتعثرت في مرطها فاضطرب عليها ثوبها. ثم شبهها في تلك الحالة بالغصن الرطب، وبالخشف فقال: كأنما تمايل لنا مرط بانٍ؛ لاعتدالها وحسنها وكأنما لاحظنا خشفاً لحسن عينيها وروى: ولاح لنا خشف.

زيارة شيبٍ وهي نقص زيادتي وقوة عشق وهي من قوتي ضعف

تقديره: أمري زيادة شيب، وأمري قوة عشق. فيكون خبر ابتداء محذوف. ويجوز أن يكون تقديره: شكواي زيادة عشق. ويجوز نصبه على إضمار فعل محذوف. أي أشكو زيادة شيب، ويمكن أن يكون المضمر هي تقديره: هي زيادة شيب.
يقول: شيبني الهوى فكلما زاد شيبي زاد جسمي نقصاً، وكلما قوي عشقي، ضعفت قوتي، فالزيادة نقصان، والقوة ضعف.

هراقت دمي من بي من الوجد ما بها من الوجد بي والشوق لي ولها حلف

الحف، والحليف: الصاحب المحالف الملازم.

يقول: سفكت دمي الجارية التي تحبني، مثلما أحبها، وبها من الوجد ما بي، والشوق لي ولها ملازم ومصاحب. والباء الأولى متعلقة بها، والثانية بالوجد.

ومن كلما جردتها من ثيابها كساها ثياباً غيرها الشعر الوحف

الشعر الوحف: هو الكثير الملتف الشديد السواد.

يقول: هراقت دمي من كلما عريتها من ثيابها، ألبسها الشعر الكثير ثياباً غير الثياب التي عريتها منها. ومثل هذا قول بكر بن النطاح.

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل أسحم

وقابلني رمانتا غصن بانةٍ يميل به بدرٌ ويمسكه حقف

الحقف: الكثيب من الرمل المعرج. شبه ثدييها برمانتين وقدها بغصن البانة. وجعل الرمانتين على غصن بانة، ليكون أعجب وأحسن؛ لأن البان لا يحمل الرمان. وشبه وجهها: بالبدر. وردفها: بالكثيب، وهذا من تمام قوله: هراقت دمي.

أكيداً لنا يا بين؟ واصلت وصلنا فلا دارنا تدنو ولا عيشنا يصفو

أكيداً؟ نصب على المصدر أي أتكيد كيداً.

يقول: يا بين، واصلت، وفرقت بيننا، فارتفع الوصل فكأنك كدتنا فتركتنا لا تدنو دارنا، ولا يصفو عيشنا، والكيد: اتصال الضرر بالغير من حيث لا يعلم.

أردد ويلي لو قضى الويل حاجةً وأكثر لهفي لو شفى غلةً لهف

روى: ويلي ولهفي على الإضافة إلى ياء المتكلم. وروى: ويلا ولهفا بالألف. وهي: إما بدل من الياء، وإما على الندبة.

ويل: دعاء للشر. واللهف: شدة الحزن. يقول: أردد هاتين الكلمتين على لساني، ومعناهما في قلبي، فلو نفع ذلك لنفعني، وقضى حاجتي، وشفى غلتي، فيكون على هذا جواب لو محذوفاً، ويجوز أن يجعل أردد فأكثر، فجواب لو تقديره: لو قضى الويل حاجةً، لكنت أردد الويل، ولو شفى اللهف غلة كنت أكثر ذكره.

ضنىً في الهوى كالسم في الشهد كامنٌ لذذت به جهلاً وفي اللذة الحتف

الشهد: العسل في الشمع. والضنى: الهزال والألم. والحتف: الهلاك.
يقول: الألم كامن في الهوى، كالسم إذا كمن في العسل، فيلتذ العاشق بالهوى، كالعسل الممزوج بالسم، يجد الإنسان حلاوته وفيه هلاكه.

فأفنى، وما أفنته، نفسي كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كهف

يجوز في قوله: وما أفنته نفسي. تقديران.
أحدهما: أن ينصب نفسي بالفعل الأول. تقديره. فأفنى الضنى نفسي وما أفنته، فيكون الضنى فاعله، ونفسي مفعوله.
والثاني: أن ترفع نفسي بالفعل الثاني ما أفنته وتكون التاء مخبرة لتأنيث الفعل، ليست بضمير، وتحذف المفعول من الفعل الأول وهو المختار عند البصريين، لأن إعمال الثاني أولى لقربه من الاسم.
يقول: إن الضنى أفنى نفسي وأهلكها ولم تفنه نفسي، حتى كأن هذا الممدوح كهف الضنى دون النفس، فيمنع نفسي من أن تصل إليه. والمراد: أنه كهف له، وملجأ لنفسي وكيف يقدر الهوى على إفناء نفسي؟!

قليل الكرى لو كانت البيض والقنا كآرائه ما أغنت البيض والزغف

البيض: الأولى السيوف، والبيض الثانية: جمع بيضة، وهي الترك. والزغف: الدروع اللينة. وقيل: هي الطويلة.
يقول: إنه قليل النوم، صلب الرأي، فلو كانت البيض والرماح مثل رأيه في المضاء لم ينفع معها المغافر والدروع. والعرب تمتدح بقلة النوم.

يقوم مقام الجيش تقطيب وجهه ويستغرق الألفاظ من لفظه حرف

التقطيب: تعبيس الوجه.
يقول: إنه شجاع، فصيح، فعبوس وجهه في الحرب يقوم مقام العسكر في هزم الأعداء. وحرف من لفظه، يستفاد منه ما يستفاد من اللفظ الكثير من غيره. فكأن حرفه يستغرق جميع الألفاظ!

وإن فقد الإعطاء حنت يمينه إليه حنين الإلف فارقه الإلف

يقول: إنه لا يفتر عن العطاء، وإذا لم يعط في حال، حنت يمينه، واشتاقت إلى الإعطاء، كما يشتاق الصديق إلى صديقه بعد فراقه.

أديبٌ رست للعلم في أرض صدره جبالٌ جبال الأرض في جنبها قف

فاعل رست: جبالٌ. والقف المرتفع من الأرض.

يقول: هو أديب رست في صدره جبال العلم، التي هي إذا قيست جبال الأرض إليها صغرت في جنبها، كالقف إلى جنب الجبال. شبه العلوم التي في صدره بالجبال ثم فضلها على جبال الأرض.

جوادٌ سمت في الخير والشر كفه سمواً أود الدهر أن اسمه كف

متعدٍّ من ود: معنا. حمل الدهر على أن يود ويتمنى، وفاعله ضمير السمو، ومفعوله الدهر، والهاء في اسمه: للدهر، وفي كفه: للممدوح.

يقول: كفه قد علت في فعل الخير والشر، والنفع والضر، سمواً يتمنى الدهر أن يكون اسمه كفاً ليشاركه في الاسم، وإن فارقه في المعنى.

وأضحى وبين الناس في كل سيدٍ من الناس، إلا في سيادته خلف

أي بين الناس في سيادة كل سيد خلاف، إلا في سيادته، فإن الناس اتفقوا على أنه سيد.

يفدونه حتى كأن دماءهم لجاري هواه في عروقهم تقفو

يقول: يفديه الناس بأنفسهم، لتمكن حبه في قلوبهم، فكأن هواه جرى في عروقهم قبل جريان الدم فيها، وكأن دماءهم تتبع ما جرى في عروقهم من المحبة قبل جريان الدماء فيها. واللام في قوله: لجاري هواه يجوز أن تكون معناه: من أجل جاري هواه في عروقهم كأنه دماء تقفو، ومفعول تقفو محذوف على هذا، وهو في وهذا لجاري، ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله: لجاري وهواه فيكون المفعول مقدماً على الفعل. والفعل معداً إليه باللام لتقدمه على الفعل، كقوله تعالى: "إن كنتم للرؤيا تعبرون" فتقديره: تقفو الدماء جاري هواه في العروق.

وقوفين في وقفين: شكرٍ ونائلٍ فنائله وقفٌ، وشكرهم وقف

وقوفين قيل: نصب بإضمار فعل. أي أذكر وقوفين. وقيل: على الحال من يفدونه وقيل من قوله تقفوا وقيل من قوله: بين الناس إلا في سيادته خلف في هذا الحال. وتقديره: رأيتك راكبين، أي أنا راكب، وأنت راكب.

يقول: إن الممدوح والناس واقفين وقفاً فالممدوح واقفٌ نائله على الناس. والناس واقفون شكرهم عليه. فجعل الممدوح مقابل الناس. فنائله وقفٌ على الناس كلها، وشكرهم وقف عليه وحده.

ولما فقدنا مثله دام كشفنا عليه، فدام الفقد وانكشف الكشف

قال ابن جنى: عليه بمعنى: عنه والهاء فيه: تعود إلى مثله. ومعناه: إنا لما لم نجد مثله طلبناه لعلنا نجده فدام كشفنا مدةً عن مثله، ثم لما لم نجد مثله دام الفقد بعد ذلك، وانقطع الكشف، على ألا ننظر له. ويجوز أن يكون بمعنى: له. والهاء للمدوح. فكأنه يقول: دام كشفنا لمثله وباقي الكلام على وجهه.

وما حارت الأوهام في عظم شأنه بأكثر مما حار في حسنه الطرف

يصفه بعظم شأنه وحسن وجهه.

يقول: ما تحيرت العقول في عظم حاله أكثر مما تحير البصر في حسن وجهه، فهما متساويان.

ولا نال من حساده الغيظ والأذى بأعظم مما نال من وفره العرف

الوفر: المال الكثير. والعرف: المعروف.

يقول: لم ينقص الغيظ والأذى من أبدان حساده، أكثر مما نقص الجود من ماله.

تفكره علم، ومنطقه حكمٌ وباطنه دين، وظاهره ظرف

الحكم: الحكمة. ومعناه ظاهر.

اعلم أن العروض الطويل إذا لم يكن مصرعاً لا يجيء إلا من مفاعلن مقبوضة فأما مفاعيلن على ما جاء في هذا، فإنما يؤتى به في المصرع فقط. والتصريع: هو إعادة القافية.

عذره من وجهين: أحدهما: أن هذا وإن كان هو الأكثر، فقد جاء في مثل هذا عن العرب، ألا ترى أن الكامل لا يكون عروضه مفعولن إلا في المصرع، وقد جاء عن العرب مفعولن في الكامل من ذلك قول ربيع بن زياد.

ومجنبات ما يذقن عدوفا يقذفن بالمهرات والأمهار

والثاني: أن مفاعيلن، أصل العروض الطويل، فيكون قد رجع هاهنا إلى الأصل لضرورة الشعر، لأنه إذا جاز الخروج عن أصل الكلمة للضرورة، فالرجوع إلى الأصل أولى.

وروى: ومنطقة حجا، وروى: تقى.. وهذا لا اعتراض عليه.

أمات رياح اللوم وهي عواصفٌ ومغنى العلا يودي ورسم الندى يعفو

المغنى: المترل. ويودي: أي يهلك، ويدرس. والواوات للحال.

يقول: رياح اللؤم في حال عصوفها وشدها، كاد مترل العلا يهلك بتلك الريح، ورسم الجود يعفو ويدرس بها، والمراد بها، والمراد أنه: أعاد المعالي والجود بعد ذهاب دولتها.

فلم نر قبل ابن الحسين أصابعاً إذا ما هطلن استحيت الديم الوطف

الديم: جمع ديمة، وهي مطر يدوم أياماً من غير ريح، ولا رعد، وأقله نصف يوم وأكثره خمسة أيام. والوطف جمع الوطفاء: وهي السحابة المتدلية الأطراف، الدانية من الأرض. وقوله: قبل ابن الحسين أراد قبل أصابع ابن الحسين، فحذف المضاف ويجوز أن يكون أخبر بالجملة عن البعض.

المعنى: أصابع هذا الرجل إذا ما هطلن بالعطايا، زادت على هطل السحاب الوطف، حتى نستحي من أصابعه.

ولا ساعياً في قلة المجد مدركاً بأفعاله ما ليس يدركه الوصف

يقول: ما رأينا ساعياً غاية المجد، فأدرك بفعله ما لا يدركه الوصف، إلا هذا الممدوح: فإنه أدرك من المجد ما لا يوصف.

ولم نر شيئاً يحمل العبء حمله ويستصغر الدنيا ويحمله طرف

العبء: الحمل الثقيل. والطرف: الفرس الكريم.

يقول: ما رأينا شخصاً يحمل المغارم، ومؤن العفاة والحلم والوقار مثل ما يحمله الممدوح. وهو مع ذلك يستصغر الدنيا لعظم همته، ومع ذلك يحمله طرف.

ولا جلس البحر المحيط لقاصدٍ ومن تحته فرشٌ ومن فوقه سقف

فرش: روى بالفتح وبالضم، فالفتح: مصدرٌ في معنى المفروش. والضم: جمع فراش. والبحر المحيط: هو البحر الأعظم الذي يحيط بجميع الأرض.

يقول: هو بحر؛ لكثرة جوده وما رأينا بحراً قط جالساً لقاصد، وتحته فرش وفوقه سقف.

فواعجباً مني أحاول نعته وقد فنيت فيه القراطيس والصحف

القرطاس: شيء يستعملونه بدل الكاغد. كان من قشورٍ بيض. والصحف: جمع صحيفة وهي الكتب.

يقول: أتعجب من نفسي حيث أطلب استيفاء وصفة في الشعر، والقراطيس، مع أن وصفه يستغرق جميع القراطيس والصحف!

ومن كثرة الأخبار عن مكرماته يمر له صنفٌ، ويأتي له صنف

روى: الأخبار بفتح الهمزة وكسرها، الفتح هو الجمع، والكسر مصدر أخبر.

يقول: من كثرة ذكر الممدوح في الآفاق يأتيه صنف من الناس، ويصدر عنه صنف آخر.

وتفتر منه عن خصالٍ كأنها ثنايا حبيبٍ لا يمل لها الرشف

تفتر فاعله ضمير الأخبار أي تنكشف من هذا الممدوح، عن خصال حميدة حلوة لا يمل ذكرها، فكأن تلك الخصال ثنايا الحبيب التي لا يمل ترشفها ومصها. يعني: أن خصاله مستطابة كاستطابة رشف المحبوب.

قصدتك والراجون قصدي إليهم كثيرٌ، ولكن ليس كالذنب الأنف

قصدي: في موضع نصب، لأنه مفعول، والراجون: فاعله. أي الذين يرجون قصدي إليهم كثير، ولكن أنت كالأنف، وغيرك كالذنب، وليسوا سواء. والراجون قصدي نصب على الحال.

ولا الفضة البيضاء والتبر واحداً نفوعان للمكدى وبينهما صرف

واحداً نصب لأنه خبر ليس. ونفوعان: خبر ابتداء محذوف. أي هما نفوعان. والمكدى: المحروم. وهذا البيت من تمام البيت الذي قبله.

يقول: قصدتك ولو قصدت غيرك لوجدت عنده خيراً، ولكنك أكرم وأكثر عطاء من غيرك، فليس الذهب والفضة سواء وإن نفعا الطالب المحروم، ولكن أنت كالذهب وغيرك كالفضة.

ولست بدونٍ يرتجى الغيث دونه ولا منتهى الجود الذي خلفه خلف

بدون: أي قليل صغير المقدار. وهو اسم يثنى ويجمع. ودونه: نصب على الظرف، وخلف. اسم غير ظرفٍ.

يقول: لست بدون الناس فيبعد عنك العاني، ويرجو الغيث دونك أي سواك بل أنت أفضل من الغيث وأجود، ولأنت في الجود غاية ما خلفها غاية أخرى بل أنت النهاية التي ليست وراءها نهاية فكيف تقصد غيرك؟!

ولا واحداً في ذا الورى من جماعةٍ ولا البعض من كل ولكنك الضعف

يقول: ليس واحداً في هذا الخلق من جماعة، ولا بعضاً من جميع الناس، ولكنك مثليهم، لأن الضعف مثل الشيء مرتين.

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

ضعفه: رفع لأنه فاعل يتبع ومفعوله الضعف ويجوز على العكس من ذلك وقوله: ولا الضعف نصب لأنه معطوف على خبر ليس، ومثله: نصب لأنه صفة نكرة مقدمة عليها، فنصب على الحال، والنكرة ألف والهاء في مثله: ترجع إلى ضعف الضعف ومعناه أنه أكثر من الخلق ثناءً ألف مرة

أقاضينا !هذا الذي أنت أهله غلطت ولا الثلثان هذا ولا النصف

يقول: إن الذي قلته أنت أهله، ثم قال: قد غلطت في ذلك، بل ما قلته ليس بثلثي ما تستحقه ولا نصفه بل هو أقل من ذلك.

وذنبي تقصيري وما جئت مادحاً بذنبي ولكن جئت أسأل أن تعفو

يعتذر من تأخيره الخدمة والمدح.

فيقول: ذنبي وتقصيري وما جئت مادحاً، ولكن جئت أسأل أن تعفو عن ذنبي في التقصير، وتقديره وما جئت مادحاً، بل جئت بذنبي أسأل أن تعفو ما تقدم. وقيل معناه: إني لم أقصدك مادحاً بذنبي، إني مقصر وكيف أمدحك بما يعد من ذنبي؟! وهو التقصير في مدحك، وإنما جئتك أسأل العفو عن تقصيري.

وقال يمدح علي بن منصور الحاجب ويصف جيشه

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

الشموس: رفع بالابتداء. وخبره قوله: بأبي ويدل عليه الباء. تقديره: الشموس مفدية بأبي.

والجانحات: المائلات. وغواربا. نصب على الحال. والجلابب، أصلها جلابيب، فحذف الياء ضرورة.

وهي جمع جلباب: وهي الملحفة. وقيل: ثوب أوسع من الخمار.

يقول: أفدي بأبي نساءً كالشموس مائلات إلى الغروب يعني أنهن تهيأن للغروب والخروج للغيبة في الهوادج، والخروج إلى المقاصد، وأنهن كن يلبسن الثياب، والملاحف من الحرير. يصف تنعمهن وغناءهن. وقيل: أراد بقوله: غوارب أنهن كن يلبسن المصبغات بالحمرة، فكن كالشمس في حمرة الشفق.

المنهبات عيوننا وقلوبنا وجناتهن الناهبات الناهبا

نهبت المال: أخذته وأغرت عليه. وأنهبته: أي أمكنته من نهبه وجعلته نهباً له. فنهبت: يتعدى إلى مفعول واحد. وأنهبت: إلى مفعولين، فأحد المفعولين للمنهبات. عيوننا وقلوبنا: عطف عليه. والمفعول الآخر: وجناتهن. والناهبات: صفة لوجناتهن. والناهب: مفعول الناهبات. وهذا الناهب: ينهب

وجنات النساء.

يقول: إنهن جعلن وجناتهن ناهبات لعيوننا وقلوبنا! فهذه الوجنات هي الناهبات الناهب، وهو الذي ينظر إليهن فينهبها بالنظر، والوجنات تنهب قلبه وعينه.

وقيل: أراد أنهن جعلن وجناتهن ناهبة لقلوبنا وعيوننا، فهذه الوجنات تنهب الناهب: أي الرجل الشجاع الذي يغير على الأعداء.

الناعمات القاتلات المحييا ... ت المبديات من الدلال غرائبا

ناعمات: أي لينات المعاطف والقاتلات: أي بالهجر. والمحييات: أي بالوصل. المبديات: أي المظهرات من الدلال: وهو الغنج والتحكم. غرائبا: أي عجائب.

حاولن تفديتي وخفن مراقباً ... فوضعن أيديهن فوق ترائبا

الترائب: جمع التريب، وهو موضع القلادة من الصدر.

يقول: أردن أن يقلن: جعلنا الله فداك، فخفن من الرقيب فوضعن أيديهن على ترائبهن، فإن من أراد أن يفدي غيره وضع يده على صدره. وقيل معناه: إنهن لما منعن من التفدية، وضعن أيديهن فوق صدورهن من الحزن والوجع؛ تسكيناً لقلوبهن مما فيها من ألم الفراق.

وبسمن عن بردٍ خشيت أذيبه ... من حر أنفاسي فكنت الذائبا

يقول: ضحكن عن ثغر مثل البرد، صفاءً ورونقاً، فخشيت أن أذيب هذا البرد من حر أنفاسي لما فيها من شدة الحزن، فكأنها النار، فكنت حينئذ أنا الذائب دون البرد، وبقي البرد عل حالة وذبت أنا.

يا حبذا المتحملون وحبذا ... وادٍ لثمت به الغزالة كاعبا

حبذا: كلمة تدل على حصول المحبة في قلب المتكلم، وهو اسم موضوع لذلك، وهو في موضع الرفع بالابتداء والمتحملون: خبره. والمنادى هو: حبذا أدخل فيه النداء تأكيداً وكأنه يقول: يا حبذا المتحملون. وقيل: المنادى محذوف. أي يا قوم حبذا المتحملون. والغزالة: اسم من أسماء الشمس. والوادي: مجرى السيل في البادية.

يقول: ما أحب إلي هؤلاء المتحملون! وما أحب إلي الوادي الذي قبلت فيه حبيبتي! فكأنني قبلت شمساً ناهدة الثديين، فلما استطاب هذا الوقت اشتاق إلى القوم الذين كانت هي فيما بينهم، وإلى

الوادي الذي حصل فيه التقبيل، فكأنه يشير إلى أنه وإن منع من المحبة بخوف الرقيب اتفق له هذه الحالة المذكورة.

كيف الرجاء من الخطوب تخلصاً   من بعد ما أنشبن في مخالبا!

تخلصاً: نصب بالرجاء لأنه مصدر، يعمل عمل الفعل، فكأنه يقول: كيف أرجو التخلص من حوادث الدهر وبلاياه، بعد أن تمكنت مني، وأدخلت في مخالبها! والتأنيث في أنشبن: للخطوب.

أوحدنني ووجدن حزناً واحداً   متناهياً فجعلنه لي صاحبا

أوحدنني: يجوز أن يريد أن المحبوبات رحلن عني وتركنني وحيداً قريناً للحزن عليهن. ويجوز أن يكون ضمير الخطوب. أي خطوب الدهر فرقت بيني وبين أحبائي وافردتني منهم، ويجوز أن يريد: أوجدتني وحيداً، أو واحد أزماني.

يقول: إن خطوب الدهر أوجدتني على ما ذكرناه ووجدت حزناً وحيداً متناهياً في الشدة، فجعلنه لي صاحباً وقرنته بي! فأنا وحيد والحزن وحيد.

ونصبنني غرض الرماة يصيبني   محنٌ أحد من السيوف مضاربا

يقول: إن الخطوب جعلتني هدفاً للشدائد، ورمتني بمحن تصيبني! وهي أحد من مضارب السيوف؛ لأن من أصابته السيوف ربما يبرأ، ومن أصابته المحن لا يبرأ.

أظمتني الدنيا، فلما جئتها   مستسقياً مطرت علي مصائبا

أظمتني: أي أعطشتني. والأصل: أظمأتني بالهمزة. فقلبت الهمزة ألفاً، ثم حذفها لسكونا وسكون التاء بعدها.

يقول: أظمأتني الدنيا بما أصابتني من محنها، فلما سألتها أن تكشف عني بالراحة والرضا أزادتني بلاءً فأمطرت علي مصائباً.

وحبيت من خوص الركاب بأسودٍ   من دارش فغدوت أمشي راكبا

الخوص: جمع أخوص وخوصاء، وهو في البعير مثل الحول، إلا أنه أقل منه. وقيل: الخوصاء. الغائرة العين، وهو من أمارة الكرم. والدارش: ضرب من جلد الماعز، إذا كان مدبوغاً وتقديره: جئت بأسود من دارش ومن في قوله: من خوض الركاب. بمعنى: بدل. أي بدل ذلك.

يقول: أعطيت بدل الإبل، الخف والنعل الأسود، من جلد دارشٍ، فلبست ذلك، وغدوت أمشي راكباً: أي صرت راكباً عليه، وأنا ماشٍ في الحقيقة.

حالاً متى علم ابن منصورٍ بها جاء الزمان إلي منها تائباً

حالاً: نصب بفعل محذوف. أي أشكوا حالاً. أوأذكر حالاً. وقيل: نصب على الحال.

يقول: لي حالٌ لو علم ابن منصور بها لغيرها إلى ما هو أحسن منها. فيكون كأن الزمان ندم على إساءته إلي، وتاب منها. وقيل: أراد جاءني الزمان معتذراً مما جنى؛ لأنه يخاف أن ينتقم لي منه.

ملكٌ سنان قناته وبنانه يتباريان دماً وعرفاً ساكبا

يتباريان: يعارض كلٌّ منهما صاحبه. والساكب: الجاري.

يقول: إن دم أعدائه يجري من سنان قناته، مثلما يجري معروفه من بنانه، فكأن كل واحد منهما يباري صاحبه وينافسه، في أن أيهما أكثر انسكاباً. ونصب عرفاً ودماً: على التمييز.

يستصغر الخطر الكبير لوفده ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

يقول: إنه يستصغر ما يعطي القصاد من المال الكبير الخطر! حتى يظن أن دجلة مع كثرة فيضها، وغزارة مائها لا تكفي لشارب واحد.

كرماً فلو حدثته عن نفسه بعظيم ما صنعت لظنك كاذبا

نصب: كرماً على أنه مفعول لأجله أي يستصغره لأجل كرمه. وقيل: نصب على المصدر: أي كرم كرماً. عن ابن جنى.

يقول: إنه كريم يفعل أفعالاً عظيمة حتى لو حدثته عن أفعاله لظنك كاذباً، لعظم ما صنعت نفسه! ولا يعلم أنها صنعت ذلك؛ لاستعظامه إذا سمعه.

وهذا ليس بالمدح الجيد وهو إلى الجهل والغباوة أقرب.

سل عن شجاعته وزره مسالماً وحذار ثم حذار منه محاربا

حذار: أي احذر. وهو مبني على الكسر.

يقول: سل عن شجاعته لتعلم رجوليته والقه زائراً مسالماً؛ حتى تستفيد منه، واحذر أن تقصده وتجرب شجاعته مبارزاً، فإنه يهلكك ويقتلك للوقت، ولا تصل إلى مقصدك منه.

فالموت تعرف بالصفات طباعه لو لم تلق خلقاً ذاق موتاً آئباً

هذا تأكيد للبيت الذي قبله، ومعناه: أنه كما يموت من يحاوله، فتعرف أحوال شجاعته بالاستخبار، كما أن الموت تعرف صفاته وطباعه بالوصف لا بالتجربة، لأنك لا تلقى أحداً ذاقه ثم عاد، حتى

تعرف حقيقته، فكذلك حاله والطباع: هي الطبع وهي مؤنثة. وقيل: هي جمع الطبع. وروى كالموت تعرف بالطباع صفاته أي يعرف الموت طبعاً ومشاهدة لا تجربة

إن تلقه لا تلق إلا جحفلاً أو قسطلاً أو طاعناً أو ضاربا

أو هارباً أو طالباً أو راغباً أو راهباً أو هالكاً أو نادبا

الجحفل: العسكر، وسمي به لكثرة الخيل فيه. والقسطل: الغبار. والنادب: المتفجع على أمر وقع فيه. يقول: إذا لقيته لقيت عسكراً، أي يقوم مقام العسكر، أو يكون معه عسكر أو رأيت غباراً وطاعناً وضارباً؛ لأنه شجاع لا يكون إلا عند هذه الأمور. يجوز أن تكون هذه أحوال الممدوح أو هارباً: أي لا تلقاه إلا هارباً من قبيح، أو طالباً، لمكرمة أو راغباً إليه سفراً وحضراً، لا يفارقه السائل أو راهباً من بأسه، أو هالكاً بسيفه وسطوته، أو نادباً: أي متوجعاً ومتفجعاً؛ من إيقاعه به. وقيل نادباً: أي داعياً إلى القتال قائداً إليه من قولهم: ندبت فلاناً لهذا الأمر فانتدب.

وإذا نظرت إلى الجبال رأيتها فوق السهول عواسلاً وقواضبا

وإذا نظرت إلى السهول رأيتها تحت الجبال فوارساً وجنائبا

العواسل: الرماح المضطربة المهتزة. والجنائب: جمع جنيبة.

المعنى: أن عسكره ملأ السهل والجبل، فإذا نظرت إلى الجبال رأيتها فوق السهول كأنها رماح وسيوف، لكثرة ما عليها، وكأنها سترتها، فلا ترى سواها. وإذا نظرت إلى السهول قد امتلأت بفوارسه، وجنائبه، فكأنها صارت فوارس وجنائب.

وعجاجةً ترك الحديد سوادها زنجاً تبسم أو قذالاً شائبا

القذال: قذالان، وهما ما اكتنفنا القفا من يمين وشمال. يقول: رأيت عجاجةً. جعل سواد تلك العجاجة الحديد كأنها زنج أسود تبسم، أو قذالاً قد شاب. شبه لمعان السيوف في سواد الغبار، كتبم الزنجي حين يبدو بياض أسنانه من تحت سواده، أو بقذال قد شاب، فيلوح الشيب في وسط سواد الشعر وهو تشبيه عجيب.

فكأنما كسي النهار بها دجى ليلٍ وأطلعت الرماح كواكبا

روى: كسي أي ألبس. وروى: كسي أي لبس، فعلى هذا يقال: كسوته فكسي. والهاء في بها: للعجاجة.

يقول: كأن النهار بهذه العجاجة قد لبس ظلمة الليل، وكأن أسنة الرماح فيها بمنزلة الكواكب، فتكون الرماح قد أطلعت الكواكب، وهي أسنتها.

قد عسكرت معها الرزايا عسكراً وتكتبت فيها الرجال كتائبا

الهاء في معها وفيها: للعجاجة. وعكسرت: أي جمعت عسكراً وتكتبت: تجمعت.

يقول: قد جمعت المصائب جمع هذه العجاجة كعسكر لإهلاك أعدائه، وتجمعت في هذه العجاجة الرجال، فكانوا كتائب: أي قطعةً قطعة.

وإنما ذكر للرزايا عسكراً، وللرجال كتائب، لأن العساكر أكثر من الكتائب، فيدل على أن الرزايا أكثر على الأعداء من رجاله.

أسدٌ فرائسها الأسود يقودها أسدٌ يصير له الأسود ثعالبا

يقول: هؤلاء الرجال الذين في العجاجة أسود فرائسها الأسود. شبه أعداءه بالأسود أيضاً، ثم قال: يقود هذا الأسود أسدٌ، وهو الممدوح. تصير له جميع الأسود من جيشه وجيش عدوه بمنزلة الثعالب، فلا يقومون قدامه.

في رتبةٍ حجب الورى عن نيلها وعلا فسموه علي الحاجبا

حذف التنوين من علي وأصله: علياً الحاجب، وإنما حذفه ضرورة؛ لسكونها وسكون اللام من الحاجب وقد قرىء: "قل هو الله أحد" بحذف التنوين من أحد.

يقول: إنه من الشرف في رتبة منع الناس عن الوصول إليها، وحجبهم عن نيلها، ثم علا إلى ما هو أعلى منها؛ فسمي لذلك علياً الحاجب. فكأنه سمي علياً لعلوه، وحاجباً، لأنه حجب الناس عن رتبته.

ودعوه من فرط السخاء مبذراً ودعوه من غصب النفوس الغاصبا

المبذر: الذي يفسد ماله بالتفريق.

يقول: أفرط في السخاء؛ فدعي مبذراً، وأكثر من غصب نفوس الأعداء؛ فسمي غاصباً.

ومخيب العذال فيما أملوا منه وليس يرد كفاً خائبا

يقال خيبه: إذا قطع أمله. وذكر الكف في قوله خائباً ذهاباً بها إلى العضو. كما قال الأعشى:

يضم إلى كفيه كفاً مخضبا

والذي زاده حسناً: أن الخائب هو صاحب اليد، فالمعنى يرجع إليه.
يقول: إنه يخيب عذاله. إذا عذلوه في سخائه ولا يرد سائلاً خائباً من عطائه.

هذا الذي أفنى النضار مواهباً وعداه قتلاً والزمان تجاربا

النضار: بالضم الذهب، وبالكسر الجمع. وهو جمع نضر، وهو المذهب.
يقول: هذا الممدوح هو الذي أفنى جميع الذهب بالمواهب، حتى لا يوجد شيء منه إلا وهو من مواهبه، وأفنى أعداءه فلم يبق منهم أحد، ولذلك أفنى الزمان تجارباً حتى لا يوجد زمان إلا وله فيه تجربة.

هذا الذي أبصرت منه حاضراً مثل الذي أبصرت منه غائبا

روى: مثل رفعاً ونصباً؛ فالرفع تقديره: أن يكون هذا مبتدأ أول والذي مبتدأ ثان. ومثل خبر الذي والجملة خبر هذا. والضمير في منه: يعود إلى هذا. وتقدير النصب: أن يكون هذا مبتدأ والذي خبره ونصب مثل بأبصرت، ونصب حاضراً وغائباً على الحال من الكرم والشرف، مثل ما كنت أسمعه وأنا غائب لا كالذي يزيد.

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

يقول: هو كالبدر، فمتى التفت إليه رأيت نوراً مضيئاً منه. يعني أن عطاءه يصل إلى الحاضر والغائب، وكذلك بهاؤه واشتهاره لا يخفى على أحد.

كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

يقول: هو كالبحر من حيث ينتفع به القريب والبعيد، فالقريب ينتفع بجواهره، والبعيد ينتفع بالسحائب التي تنشأ من البخار، فتحمله الريح إلى البلاد القاصية. شبهه بالبحر؛ لعموم عطاياه، وشمولها القريب والبعيد.

كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

كبد السماء: وسطها. يقول إن عطاياه، وبهاءه، وذكره، بلغ القاصي، والداني. كالشمس فإنها تكون في وسط السماء وشعاعها يعم الأرض شرقاً وغرباً.

أمهجن الكرماء والمزرى بهم وتروك كل كريم قومٍ عاتبا

هجنت الرجل: نسبته إلى الهجنة، والعيب. وأزريت: إذا قصرت. والمقصر يهم بما يظهر من كرمه وتقدمه في خصاله الحميدة، ويا من يترك كل كريم قوم عاتباً عليه، لأنهم عجزوا عن شأوك. والعتب:

أول الغضب.

يقول: يا من هجن عليك، لكونك فوقهم، ويجوز أن يكونوا عاتبين على أنفسهم حيث لم يكونوا مثله.

شادوا مناقبهم وشدت مناقباً وجدت مناقبهم بهن مثالبا

شادوا: رفعوا. والمناقب: هي الأفعال الكريمة. والمثالب: الأفعال الذميمة.

يقول: إن مناقب الناس، إذا قيست إلى مناقبك، كانت تلك المناقب كالمخازي لهم.

لبيك غيظ الحاسدين الراتبا إنا لنخبر من يديك عجائبا

غيظ الحاسدين: نصب؛ لأنه منادى مضاف. ونصب الراتب؛ لأنه نعت له، والراتب: الثابت ونخبر أي نعلم، ونرى ونجرب فنعلم.

كأن الممدوح دعاه، لما انتهز بما شهر من إحسانه وفضله، أو دعاه حقيقة، فأجابه. فقال لبيك يا من تغيظ الحساد، فيبقى الغيظ في قلوبهم غير زائل عنها. إنا لنعلم ونرى عجائب من يديك ضرباً وطعناً وسجناً وكناية يعجز الناس عن بلوغه، وجعل البيت، مصرعاً؛ لأنه انتقل من المديح إلى الإجابة.

تدبير ذي حنكٍ يفكر في غدٍ وهجوم غرٍّ لا يخاف عواقبا

الحنك: التجارب، ويجوز في تدبير، وهجوم: الرفع على خبر الابتداء المحذوف، كأن قائلاً قال: ما تلك العجائب؟ فقال: هي تدبير ذي حنك وهجوم غرٍّ، أو على الابتداء وحذف الخبر المقدم عليه، أي له تدبير ذي حنك. والنصب: بدلاً من عجائب. والغر: الذي لم يجرب الأمور.

يقول: له في السياسة تدبير ذي الرأي والتجربة، وفي الحروب إقدام الغر، الذي لم يجرب الأمور فلا يخشى العاقبة.

وعطاء مالٍ لو عداه طالبٌ أنفقته في أن تلاقي طالبا

روى: عطاء رفعاً ونصباً، على ما ذكرناه عداه: جاوزه من غير أن يأخذه.

يقول: له عطاء مال لو جاوزه طالب، لبذل ذلك المال في تحصيل من يطلبه ليأخذه.

خذ من ثناي عليك ما أسطيعه لا تلزمني في الثناء الواجبا

قصر ثناي: وهي واجبه المد قصر للضرورة وما أسطيعه: أصله ما أستطيعه، فحذف استخفافاً.
يقول: خذ من ثنائي عليك ما أقدر عليه، ولا تلزمني في مدحك ما تستحقه ويجب لك فليس ذلك في وسعي ولا يجب أن يحيط به وهمي وخاطري.

فلقد دهشت لما فعلت ودونه … ما يدهش الملك الحفيظ الكاتبا

دهش الرجل: أي تحير، ودهشته وأدهشته: إذا حيرته.
يقول: خذ ما أقدر عليه وإلا تلزمني الواجب؛ لأني قد دهشت بما رأيت من صفاتك، وأقل ما أرى من فعلك يخير الملائكة الحفظة الكرام الكاتبين، مع قوتهم! فكيف أقدر أنا على الاستيفاء بالوصف! وكيف يحيط وصفي وعلمي بكنهك؟! وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي ويذكر حسن بلائه وهو يومئذ يتولى الفداء بين الروم والعرب

نرى عظماً بالصد والبين أعظم … ونتهم الواشين والدمع منهم

الصد: الإعراض، مع قرب المسافة. والبين: البعد من حيث المسافة.
يقول: إنا نستعظم أمر الإعراض والهجر مع القرب، ولا نستعظم البين: الذي هو بعد المسافة، وهو أعظم منه، ونتهم الواشين في إظهار سرنا، والدمع من جملة الواشين؛ لأنه يفضحنا ويهتك أستارنا.

ومن لبه مع غيره كيف حاله؟ … ومن سره في جفنه كيف يكتم؟ !

يقول: من كان عقله مع غيره أي: مع المحبوبة. كيف حاله؟! لأنه إذا عدم عقله ولبه، لم يدر ما يقول ويسمع، ومن يكون سره في عينه كيف يكتمه! لأن العاشق لا يمكنه إمساك الدمع فيظهر سره بذلك.

ولما التقينا والنوى ورقيبنا … غفولان عنا ظلت أبكي وتبسم

الواو: في قوله: والنوى ورقيبنا: واو الحال، والجملة في موضع نصب.
يقول: لما اجتمعت أنا والمحبوبة في حال ما كان النوى والرقيب غافلين عنا، ظلت أنا أبكي وأشكو إليها ما بي من الشوق والوجد، وهي تضحك من شكواي وبكائي تعجباً من حالي، ومسرةً بما ابتليت.

راً ضاحكاً قبل وجهها؛ لأن البدر لا يضحك، وهي بدر ضاحك، وكنت ميتاً، فلم أر قبل نفسي ميتاً يتكلم! لأني كنت أشكو إليها حالي وأتكلم

المتنان: لحمتان في الصلب، يكتنفان القفا. والخضر: معقد الإزار. والقوى: جمع القوة.

يقول: متنها قوي ممتلىء، وخصرها دقيق نحيف، فهي تظلم العشاق، كما يظلم متناها خصرها، لأنهما يكلفانها فوق طاقتها، وعاشقها ضعيف القوة كخصرها. وقوله: من فعلها يتظلم زيادة، ليس فيه كبير فائدة إلا إتمام البيت، ولو قال بدل المتن الردف لكان أولى؛ لأن المتن لا يوصف في الشعر بالعبارة والفخامة، وإنما يذكر بالاهتزاز والرشاقة، ويوصف الردف بالعظم. وهذا البيت مأخوذ من قول خالد الكاتب:

صباً كئيباً يتشكى الهوى		كما اشتكى نصفك من نصفكا

بفرعٍ يعيد الليل والصبح نيرٌ		ووجهٍ يعيد الصبح والليل مظلم

الباء في قوله: بفرع متعلقه بقوله ظلوم ويجوز أن يكون من الضمير الذي في ظلوم.

يقول: إنها ظلمتني حين فتنتني: بفرع أسود لو نشرته في النهار لصار ليلاً، وبوجه منير، لو أسفرت عنه ليلاً لصار نهاراً. والواو واو الحال في الموضعين.

فلو كان قلبي دارها كان خاليا		ولكن جيش الشوق فيه عرمرم

يقول: لو كان قلبه دارها، كان خالياً كخلوها، ولكن قلبي وإن كان جارياً مجرى دارها من حيث أنه محلها فإنه مملوء بالشوق بل جيش الشوق فيه كثير. وروى: ولو كان قلبي خالياً كان دارها، وقيل: هذا أولى. ومعناه: لو كان قلبي عامراً بالشوق لكان دارها؛ لأن جسمي ناحل مثل رسومها وفؤادي محترق كاحتراق أثافيها غير أن جيش الشوق فيه عرمرم.

أثافٍ بها ما بالفؤاد من الصلى		ورسمٌ كجسمي ناحلٌ متهدم

الأثافي: تثقل وتخفف، وهي الأحجار التي تنصب تحت القدر. والصلى: الاحتراق.

تقدير البيت ومعناه: أثافٍ بها من الاحتراق، ما بالفؤاد من النار والشوق. ورسم تلك الدار ناحل متهدم كجسمي في نحوله.

بللت بها ردني والغيم مسعدي		وعبرته صرفٌ وفي عبرتي دم

الردن: طرف الكم. والصرف: أي الخالص.

يقول: وقفت على آثار هذه الدار، فبكيت حتى بللت كمي من دموعي، وكان الغيم في تلك الحال يساعدني على البكاء، غير أن دمع الغيم كان صافياً لا يمازجه دم، وكان دمعي ممزوج بالدم.

ولو لم يكن ما انهل في الخد من دمي　　　لما كان محمراً يسيل فأسقم

يقول: إن الذي ينصب من عيني دم؛ لأنه لو لم يكن دماً لما كان أحمر، ولم أسقم كلما سال من جفني؛ لأن الدم هو الذي يسقم إذا أفرط سيلانه، ومثله:

وليس الذي يجري من العين ماءها　　　ولكنه نفسٌ تذوب فتقطر

بنفسي الخيال الزائري بعد هجعةٍ　　　وقولته لي: بعدنا الغمض تطعم

يجوز في الخيال: الرفع على الابتداء، أي الخيال مفدى بنفسي. والنصب على إضمار فعل النسبة: أي أفدي الخيال. وهكذا في قوله. والألف واللام في الزائري: بمعنى الذي. أي الذي زارني بعد ما نمت نومة، وأفدي قوله معاتباً لي: بعدنا تطعم النوم، أي أن الخيال عاتبني فقال لي: كيف تنام بعد مفارقتي؟! فنفسي فداؤه لهذا القول.

سلامٌ فلولا الخوف والبخل عنده　　　لقلت :أبو حفصٍ علينا المسلم

أي قال الخيال: سلام. فهو حكاية لقوله. ويجوز أن يكون أراد بالسلام: السلامة، فيكون التقدير بنفسي قوله: أتنام بعدنا؟ وأراد: أن الخيال لما رآه نائماً ولى عنه مغاضباً، فأخبر عن انصرافه بالسلام، لأن العادة أن يسلم الإنسان على صاحبه عند الانصراف، ثم استأنف وقال: فلولا الخوف والبخل عنده: أي لولا أن هذا الخيال فيه خوف وبخل، لكان يشبه الممدوح في حسنه وبهائه وطيب سلامه، فكنت أقول: إن هذا المسلم هو أبو حفص؛ وإنما قال ذلك، لأن الخوف والبخل محمودان في النساء، لأنها إذا خافت لم تقدم على ما لا يحل، وإذا بخلت حفظت ماء وجهها ومال زوجها.

محب الندى الصابي إلى بذل ماله　　　صبواً كما يصبو المحب المتيم

الصابي: المائل. والمتيم: الذي استعبده الحب. والتيم: العبد.

يقول: إنه عاشق لبذل ماله، عشقاً متناهياً، كما يعشق المحب المستعبد حبيبته.

وأقسم لولا أن في كل شعرةٍ　　　له ضيغماً قلنا له: أنت ضيغم

الضيغم: هو الأسد. من الضغم وهو العض يقول: لا يمكننا تشبيهه بالأسد؛ لأن كل شعرةٍ منه تقوم مقام الأسد، فلولا هذا، لقلت: إنه الأسد.

أتنقصه من حظه وهو زائدٌ!　　　ونبخسه والبخس شيءٌ محرم؟ !

هذا البيت تمام معنى البيت الذي قبله يقول: أتنقصه من حظة بأن تسميه أسداً، وهو زائد عليه فنكون قد بخسته حقه، والبخس أمر محرم.

يجل عن التشبيه، لا الكف لجةٌ		ولا هو ضرغامٌ ولا الرأي مخذم

الضرغام: الأسد. والمخذم: السيف القاطع.

يقول: هو يرتفع عن التشبيه، فكفه أكثر من لجة البحر، وقلبه أجرأ من الأسد، ورأيه أمضي من السيف القاطع، والإنسان يشبه في سخائه بالبحر، وفي شجاعته بالأسد، وفي مضائه بالسيف.

ولا جرحه يوسى، ولا غوره يرى		ولا حده ينبو، ولا يتثلم

يقول: لا يداوي جرحه، ولا يرى غوره: أي لا تعلم كنه صفاته وحقيقة أمره، ولا ينبو حده، فجعل له حداً لمضائه، وجعل ذلك الحد لا ينبو عن الضريبة، بخلاف حد السيف، فإنه قد ينبو ولا يعمل، وقد يتثلم وينكر، وهذا لا ينكر ولا يتثلم.

ولا يبرم الأمر الذي هو حالل		ولا يحلل الأمر الذي هو مبرم

أظهر التضعيف في حاللٌ ويحلل: للضرورة، والأصل في القياس الإدغام: يعني أنه إذا أحكم أمراً، لا يقدر أحد على حله، وإذا حل أمراً، لا يحكمه أحد.

ولا يرمح الأذيال من جبريةٍ		ولا يخدم الدنيا، وإياه تخدم

لا يرمح الأذيال: أي لا يضربها برجله. وروى: ولا يسحب الأذيال.

يقول: إنه متواضع لا يسحب ذيله من التجبر والخيلاء، وأنه زاهد في الدنيا، تارك لها ولا يخدمها وهي تخدمه، مقبلة عليه جارية تحت أمره، منقادة إليه.

ولا يشتهي يبقى وتفنى هباته		ولا يسلم الأعداء منه ويسلم

يقول: إنه لا يحب البقاء في الدنيا إلا للأفضال على الأولياء، وكذلك لا يحب أن يسلم أعداؤه ويسلم هو، بل يجب الانتقام منهم.

ألذ من الصهباء بالماء ذكره		وأحسن من يسرٍ تلقاه معدم

الصهباء: الخمر البيضاء، المعصورة من العنب الأبيض.

يقول: ذكره؛ لتضمنه المحاسن، ألذ من الخمر الممزوج بالماء. وإنما قال ذلك؛ لأنها إذا مزجت بالماء كانت ألذ طعماً وأضعف سورة، وأحسن من الغنى بعد الفقر!

وأغرب من عنقاء في الطير شكله		وأعوز من مسترفدٍ منه يحرم

العنقاء: اسم على غير مسمى، والعرب تزعم أنه طائر عظيم في عنقه بياض، وأنه بحيث لا يراه أحد، ولا يصل إليه. وقيل: إنه طائر ذهب فلم يبق في أيدي الناس غير اسمه. وإنما سمي عنقاء، لأن في عنقه بياض كالطوق. ويضرب المثل بالعنقاء في الشيء الذي لا يوصل إليه، فيقال: طارت به العنقاء وهو أعز وأغرب من العنقاء، ويقال له: عنقاء مغرب إضافة، وصفة، وإغرابها العادي: ذهابها في الطيران. والأعواز، والعوز: عدم الشيء.

يقول: مثل الممدوح في الناس أعز وجوداً، وأغرب من هذا الطائر الذي ليس له وجود، كذلك مثله أقل وجوداً من رجل يطلب عطاءه ورفده فيحرمه ويمنعه

وأكثر من بعد الأيادي أيادياً   من القطر بعد القطر والوبل مثجم

مثجم: من أثجمت السماء، إذا دام مطرها. وأياديا: نصب على التمييز.

يقول: هو أكثر أيادياً بعد الأيادي من تتابع القطر في الوبل الدائم.

سني العطايا لو رأى نوم عينه   من اللوم آلى أنه لا تهوم

التهويم: اختلاس أدنى النوم.

يقول: إنه كريم جواد، فلو ظن أن نومة يدنيه من البخل، حلف عليه ألا ينام، مع أنه شيء لا يقدر عليه.

ولو قال: هاتوا درهماً لم أجد به   على سائل أعيا على الناس درهم

يقول: إن جميع ما في أيدي الناس من هباته، فلو طلب درهماً واحداً ليس من عطاياه لأعيا على الناس ذلك، لأنه لم يوجد ما ليس من مواهبه.

ولو ضر مرءاً قلبه ما يسره   لأثر فيه بأسه والتكرم

الهاء في قلبه: للممدوح، وفي يسره للمرء.

يقول: إنه يسر بما فيه من البأس والشجاعة، فلو كان إنسان يضره ما يسره، لكان هذا الممدوح يضره بأسه وكرمه.

يروي بكالفرصاد في كل غارةٍ   يتامى من الأغماد بيضاً ويوتم

الفرصاد: التوت وقوله: بكالفرصاد: أراد بدمٍ كالفرصاد حمرةً. وأراد باليتامى: سيوفاً فارقت أغمادها فصارت كاليتامى، وقيل: إنما قال ذلك؛ لأن أجفانها كسرت وفللت كأنها اليتامى.

يقول: يروى سيوفه عند كل غارة بدم الأعداء، وإنه يؤتم أولاد من قتله بهذه اليتامى التي هي السيوف، وقد روى: من الأغماد تنضى: أي تجرد.

إلى اليوم ماحط الفداء سروجه مذ الغزو سارٍ مسرج الخيل ملجم

الغزو: رفع: بالابتداء وخبره محذوف أي هذا الغزو واقع وكائن، لم يحط الفداء، والسعي بين العرب والروم بالصلح سروجه، من وقت الغزو إلى اليوم، فهو يسعى في ذلك، مسرجٌ خيله وملجم لها. ونسب الفعل إلى الفداء لأنه كان بسببه.

يشق بلاد الروم والنقع أبلقٌ بأسيافه والجو بالنقع أدهم

النقع: الغبار، وصفه بأنه أبلق، لبرق الحديد في خلاله، فقد اجتمع فيه السواد والبياض.
المعنى: أنه يقطع بلاد الروم وقد اسود الجو من غبار خيله، وبياض السيوف يلمع من خلال الغبار، فالجو أدهم: أي اسود بالغبار، والغبار أبلق بالسيوف، فأعلى الجو أسود، وأسفله بالسيوف أبلق.

إلى الملك الطاغي فكم من كتيبةٍ تساير منه حتفها وهي تعلم

إلى: يتعلق بقوله: يشق بلاد الروم إلى الملك الطاغي وهو ملك الروم، جعله طاغياً لكفره. والهاء في منه للممدوح، وفي حتفها للكتيبة.
يقول: هو يشق بلاد الروم إلى الملك الكافر، فكم من كتيبة لملك الروم تساير حول هذا الممدوح ومنه هلاكها، وهي تعلم ذلك لأنه كان يغير عليهم.

ومن عاتقٍ نصرانه برزت له أسيلة خدٍّ عن قليلٍ ستلطم

العاتق: البكر. ونصرانة. أي نصرانية وروى عنه أنه قال: ربما أنشدت وعذراء نصرانية برزت له: أي لهذا الممدوح. للنظر إليه عند دخوله البلد، وقيل: بروزها هو خروجها مع الرجال إلى المعركة، وقيل: هو مفارقها.
يقول: كم من جاريةٍ عذراء نصرانية وضعت خوفاً من عسكره. وقوله: عن قليل ستلطم: يعني أنه يعاود الغزو فيقتل رجالها فتلطم وجهها، أو تسبى فتلطم عند السبي.

صفوفاً لليثٍ في ليوث حصونها متون المذاكي والوشيج المقوم

المذاكي: الخيل التي نمت أسنانها الواحد مذكى. والوشيج: الرماح، سمي به لتداخله. والمواشجة: المداخلة. وصفوفاً: نصب على الحال من عاتق وهي في معنى الجمع، لأن كم تدل على الكثرة. وقيل:

هو حال من الكتيبة. أي أتت الكتائب حوله صفوفاً.

يقول: إن الكتيبة تساير هذا الممدوح صفوفاً، والعواتق وقفن صفوفاً، ينظرن إلى قائدٍ كأنه أسد في خيل كأنهم أسود، حصونها متون الأفراس، وأطراف الرماح، لا كالروم الذين يتحصنون بحصون المدر والأحجار. ومنه قول الآخر وهو:

أن الحصون الخيل لا مدر القرى

تغيب المنايا عنهم وهو غائبٌ وتقدم في ساحاتهم حين يقدم

ساحة الدار: أصلها، وأصله من الاتساع، والانبساط.

يقول: إذا غاب عنهم الممدوح غاب موهم، فإذا عاد إلى ديارهم قدم عليهم موهم فأهلكهم.

أجدك ما تنفك عانٍ تفكه عم ابن سليمانٍ ومالاً تقسم

أجدك: نصب على المصدر. أي أتجد جداً ومعناه: أيجد هذا الفعل. وقوله: عم ابن سليمانٍ: أي يا عمر بن سليمان، فرخمه. وهذا جائز على مذهب الكوفيين؛ إذا كان الاسم على ثلاثة أحرف، متحرك الأوسط، ولا يجوز عند البصريين إلا إذا زيد على ثلاثة أحرف، فيرد عليه الترخيم.

يقول: إنك أبداً في فكاك الأسرى وتفريق الأموال.

مكافيك من أوليت دين رسوله يداً لا تؤدي شكرها اليد والفم

أوليت فلاناً خيراً: أي فعلت به خيراً.

يقول: جزاك الذي أنعمت على دين رسوله، نعمة لأتقوم بشكرها اليد واللسان فلا يمكن لأحد مكافأته، ولا يقدر عليها إلا الله عز وجل.

على مهلٍ إن كنت لست براحمٍ لنفسك من جودٍ فإنك ترحم

يقول: ارفق بنفسك ولا تتعبها في طلب المجد، وتحمل المؤن والكلف في الجود بالمال والنفس، فإنك تنفق مالك وتجود بنفسك، فإن كنت لا ترحم نفسك فإن الله يرحمك، وكذلك الناس لما أنت فيه من تكلف الجود بالنفس والمال.

محلك مقصودٌ وشانيك مفحمٌ ومثلك مفقودٌ ونيلك خضرم

الخضرم: الكثير.

يقول: محلك عامر بالقصاد، وعدوك مفحم لا يقدر على ذلك، ونظيرك مفقود، وعطاؤك كثير لا يكاد يحصى.

وزارك بي دون الملوك تحرجٌ إذا عن بحرٌ لم يجز لي التيمم

التحرج: ترك الحرج، وهو الإثم، وهو فاعل زارك.

يقول: حملني على زيارة تلك الملوك تحرز من الإثم، الذي يلزمني في تركي قصدك، وقصدي غيرك، لأن قصدك واجب لا يجوز العدول عنه إلى غيره، كما أنه إذا ظهر البحر، وأمكن الوصول إليه، لا يجوز العدول إلى التيمم. وهو مأخوذ من قوله تعالى: "فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً"

فعش لو فدى المملوك رباً بنفسه من الموت لم تفقد وفي الأرض مسلم

قوله: فعش دعاء.

يقول: لو فدى العبد مولاه بنفسه من الموت، لفداك المسلمون كلهم؛ لأنهم عبيدك، فكيف تفقد وفي الأرض مسلم؟! وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب:

أركائب الأحباب إن الأدمعا تطس الخدود كما تطسن اليرمعا

تطس: أي تكسر، وتهد وترض. واليرمع: الحجارة: يقول: يا إبل الأحباب، إن الدموع تؤثر في الخد إذا جرت، وترضه، كما تفعلن أنتن بالأحجار، فإنكن تكسرنها من شدة وطئكن عليها. واليرمع: الحجارة الرخوة كالمدر يفتت باليد.

فاعرفن من حملت عليكن النوى وامشين هوناً في الأزمة خضعا

من حملت: مفعول فاعرفن وفاعله النوى والهون بالفتح: الرفق، وبالضم: الهوان.

يقول للركائب: اعرفن الذي حملته عليكن النوى: وهو البعد. واعرفن حقه وامشين له مشياً ليناً، لئلا تتعبنه. وذلك يدل على عظم حال من عليهن.

قد كان يمنعني الحياء من البكا فاليوم يمنعه البكا أن يمنعا

البكا: يمد ويقصر.

يقول: قد كان في أول أمري يمنعني الحياء من البكاء لفقد الأحباء، فالآن تزايد الحب وغلب البكاء الحياء ومنعه من منعي عن البكاء، فصار الحياء ممنوعاً بعد أن كان مانعاً. ومثله قول بعض الأعراب:

قد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزل بي النفض والإبرام حتى علانيا

حتى كأن لكل عظم رنةً في جلده ولكل عرقٍ مدمعا

حول الكلام عن الإخبار عن النفس إلى الغيبة.

فقال: وقد بلغ البكاء إلى حدٍّ حتى صار يبكي جميع جسد العاشق، فصار كل عرق منه يجري الجمع، وكل عظم أو عضو يرن رنيناً من ألم الفراق! وشدة الاشتياق! ويجوز أن يكون الهاء راجعاً إلى كل عضو.

وكفى بمن فضح الجداية فاضحاً لمحبه وبمصرعي ذا مصرعا

الجداية: الغزالة. ومن: في موضع الرفع، لأنه فاعل كفى ويجوز أن يكون فاضحاً تمييزاً أو حالاً، وذا في موضع الجر؛ لأنه بدل من مصرعي ومصرعاً نصب على التمييز. والمصرع: يجوز أن يكون اسماً، ومصدراً. وكلاهما محتمل في البيت.

يقول: كفى بمن فضح الغزالة بحسن جيده وعينه أن يكون فاضحاً لمحبه، وكفى بمصرعي هذا مصرعاً.

المعنى: أنه إذا فضح الغزالة، فليس بعجب أن يفضحني في حبه، وكفاني مصرعي يوم فراق من هذه حاله.

سفرت وبرقعها الفراق بصفرةٍ سترت محاجرها ولم تك برقعا

روى: الحياء والفراق.

يقول: هذه المرأة سفرت وجهها ومحاجرها، وقامت لها مقام البرقع، ولم تكن هذه صفرة برقعها.

فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهبٌ بسمطي لؤلؤٍ قد رصعا

الهاء، في كأنها للصفرة وفي فوقها للمحاجر. ويجوز أن يكون في فوقها للصفرة أيضاً. والسمط: اسم لكل جانب من جوانب القلادة.

يقول: كأن صفرة وجهها والدمع فوقها، قلادة من ذهب رصع بلؤلؤ. وشبه الصفرة بالذهب والدمع باللؤلؤ لصفائه ورقته

كشفت ثلاث ذوائبٍ من شعرها في ليلةٍ فأرت ليالي أربعا

وروى: نشرت يقول: كشفت ثلاث ظلم، فصارت الليالي أربعاً. شبه كل ذؤابة منها بليلة لسوادها، ولم يجعلها قطعة من الليل؛ دلالة على كثرة الشعر ووفور السواد.

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقتٍ معا

يقول: استقبلت القمر بوجهها، وهو قمر أيضاً، فأرتني قمرين معاً، أحدهما قمر السماء، والثاني وجهها. ومعاً: نصب على الحال، أي مصطحبين. وقيل: أراد بالقمرين الشمس والقمر. فكأنه يقول: أرتني الشمس والقمر معاً في وجه واحد وجعل وجهها شمساً للمبالغة.

ردي الوصال سقى طلولك عارضٌ لو كان وصلك مثله ما أقشعا

روى: ما أقشع وما أقلع فاعله ضمير وصلك والهاء في مثله للعارض وهو السحاب.

يقول: ارجعي إلى الوصال الذي كان بيننا، ثم دعا لها أن يسقى طلولها سحابٌ دائم لا انقطاع له، ولو كان وصلك مثله أي مثل هذا السحاب في الإدامة ما أقشع ذلك الوصل.

زجلٌ يريك الجو ناراً، والملا كالبحر والتلعات روضاً ممرعاً

زجل: صفة السحاب أي ذي صوت وهو الرعد. والملا: المكان الواسع، وأراد الأرض. والتلعات: جمع تلعة وهي المكان المرتفع. والممرع: الخصيب.

يقول: سقى طلولك سحابٌ ذو رعدٍ، يريك الجو ناراً؛ من كثرة بروقه، ويريك الأرض الواسعة كالبحر؛ من كثرة مائه، ويريك التلعات معشبةً ممرعة كأنها روضة مريضة مخصبة.

كبنان عبد الواحد الغدق الذي أروى، وآمن من يشاء، وأفزعا

الغدق: الكثير، وهو صفة البنان. وروى وأفزعا وأجزعا شبه بنان الممدوح بسحابٍ هذه صفته، ثم أخذ في وصف البنان بأنه غدق يروى كل أحد ويؤمن من يشاء ويخيف. وصفه بغاية السخاء وغاية الفتوة والعلا، وهذا تحقيق. التشبيه بالسحاب لأنه يروي البلاد والعباد ويأتي بالغيث الذي هو رحمة، وبالصاعقة التي هي نقمة.

ألف المروءة مذ نشا فكأنه سقي اللبان بها صبياً مرضعا

اللبان: اللبن وقيل: هو جمع اللبن، ونصب صبياً على الحال.

يقول: إنه اعتاد المروءة من صغره؛ فكأنما سقى بها اللبن وهو يرضع، أي كأنه رضع المروءة من لبن أمه

نظمت مواهبه عليه تمائماً فاعتادها فإذا سقطن تفزعا

روى نظمت على ما لم يسم فاعله ومواهبه اسمه، والمفعول الأول القائم مقام الفاعل. وتمائما نصب على أنه المفعول الثاني. هذه رواية ابن جنى. قال: ومعناه أن اعتقاده أن مواهبه تقيه من الذم كاعتقاد

التمائم أنها تقيه من الآفات، فإذا خلا من مواهبه يفزع كما يفزع ذو التمائم إذا سقطت تمائمه. وروى نظمت على الفعل المسند إلى الفاعل. وفاعله المواهب، والتمائم المفعول. والمعنى: مواهبه حصلت له من الحمد والثناء وأدعيه السؤال، ما هو كالتمائم، فهو إذا خلا من ذلك أنكر ذلك، وفزع من سقط تميمته. وروى: عقدت مواهبه.

ترك الصنائع كالقواطع بارقا ... تٍ والمعالي كالعوالي شرعا

الصنائع: النعم. والعوالي: جمع عالية، وهي الرمح الأعلى. والشرع: الممدودة المقومة نحو الأعداء. وبارقات وشع: نصب على الحال. وقيل: لأنه مفعول ثانٍ لترك.

يقول: أظهر الصنائع حتى صارت كالسيوف اللامعات، ورفع المعالي حتى جعلها كالرماح الشرع إلى الأعداء.

متبسماً لعفاته عن واضحٍ ... تغشي لوامعه البروق اللمعا

روى تغشى بالغين: أي تستر وتعشى: أي تظلم وتورث العشي. ونصب مبتسماً على الحال من قوله: ترك الصنائع بارقات وهو مبتسم، ويجوز نصبه على المدح بفعل مضمر، أي أعني مبتسماً. وقوله: عن واضح أي عن ثغر واضح، والمفعول الثاني من تغشى محذوف، أي تغشى لوامعه البروق برقها.

يقول: إنه يلقى سائليه مبتسماً ضاحكاً عن ثغر واضح يغلب لمعانه لمعان البرق اللامع.

متكشفاً لعداته عن سطوةٍ ... لو حك منكبها السماء لزعزعا

متكشفاً: بدل من قوله: متبسماً ويجوز فيه وجه آخر، وهو أن يكون حالاً من الضمير في متبسماً فيكون العامل متبسماً. وفاعل زعزع ضمير منكبها أي حركها، ومنكبها: جانبها أو بعضٌ منها.

يقول: إنه يلقى عفاته مبتسماً في حال ظهوره لأعدائه أي مكاشفتهم بالعداوة، وله سطوة لوحك بعض منها السماء لحركها.

وإن شئت قطعت الثاني عن الأول فيجوز فيه الرفع على إضمار المبتدأ وكذلك في متبسماً.

الحازم اليقظ الأغر العالم ال ... فطن الألد الأريحي الأروعا

الكاتب اللبق الخطيب الواهب ال ... ندس اللبيب الهبرزي المصقعا

الحازم: الجامع للأطراف، الذي أحواله كلها مجموعة. واليقظ: الكثير التيقظ في الأمور. والأغر: الأبيض. والفطن: العالم بدقائق الأمور. والألد: شديد الخصومة العالم بها. والأريحي: الذي يهتز للعطاء. والأروع: الذي يروعك بجماله.

والندس: الفطن المتجاسر على الأمور. والهبرزي: الخالص الكرم والأصل. وقيل: هو الذي يبرز البدائع من مجده. والمصقع: الفصيح. وهذه الصفات كلها نصب على المدح.

نفسٌ لها خلق الزمان لأنه مفني النفوس مفرقٌ ما جمعا

نفسٌ: خبر ابتداء محذوف، أي هي نفسٌ، أو ابتداء وخبره محذوف، أي له نفس.

يقول: إنه يفرق ما جمعه من المال ويفني بالقتل أعداءه فخلقه كخلق الزمان.

بيدٍ لها كرم الغمام لأنه يسقي العمارة والمكان البلقعا

يقول: إنه يعم الخاص والعام بجوده، فيشبه الغمام الذي يسقي المكان العامر والخالي.

أبداً يصدع شعب وفرٍ وافرٍ ويلم شعب مكارمٍ متصدعا

الشعب الأول: هو الجمع. والثاني هو التفريق.

يقول: إنه يفرق ما اجتمع عنده من الأموال؛ ليجمع بتفريقه ماتفرق من المكارم، فهذا دأبه أبدا.

يهتز للجدوى اهتزاز مهندٍ يوم الرجاء هززته يوم الوعى

الوعى غير معجم بمعنى الوغى بالإعجام: وهو الحرب. وتقديره يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز مهند هززته يوم الوغى.

يقول: يهتز للعطاء كاهتزاز السيف للحرب.

يا مغنياً أمل الفقير لقاؤه ودعاؤه بعد الصلاة إذا دعا

يا مغنياً: نصب لأنه نداء نكرة، وأمل الفقير: مبتدأ. ولقاؤه: خبره.

والجملة في موضع نصب؛ لأنها صفة للنكرة المناداة.

يقول: يا من علا الناس بمواهبه، فكل فقير يرجو لقاءه ويدعو الله تعالى بعد صلاته، أن يجمع بينه وبينه؛ ليغنيه مثل غيره.

أقصره ولست بمقصرٍ، جزت المدى وبلغت حيث النجم تحتك فأربعا

أقصر الرجل عن الأمر: إذا تركه. وقوله: فأربعا أراد فأربعن فأبدل النون ألفاً. ومعناه: أقم.

يقول: أقصر وأقم فقد تجاوزت الغاية من المجد، وبلغت مكاناً فوق النجم، فاترك سعيك فليس وراءه غاية. وقوله: فلست بمقصر. أي أقصر فإنك إذا قصرت بعد تجاوز الغاية فلست بمقصر في الحقيقة، إذ ليس بعد الغاية غاية. وقيل: أراد أقصر، أنا أعلم أنك لا تقصر، ولا تقبل مني ذلك.

وحللت من شرف الفعال مواضعاً		لم يحلل الثقلان منها موضعا

وروى: من شرف المعالي.

يقول: قد نزلت من الشرف والكرم منازل كثيرة لا يقدر الثقلان أن يترلوا واحداً منها.

وحويت فضلهما وما طمع امرؤٌ		فيه، ولا طمع امرؤٌ أن يطمعا

يقول: قد جمعت فضائل الجن والإنس، وما طمع أحد في ذلك الفضل؛ لأنه لم يكن في أحد من الخصال مثل ما فيك، ولا خطر ببال أحد.

نفذ القضاء بما أردت كأنـه		لك، كلما أزمعت شيئاً أزمعا

وروى: بعد القضاء.

يقول: إن القضاء يتصرف بإرادتك، فكأنه لك أي كأنه قضاؤك، وأنت تملكه، فكلما عزمت على شيء يعزم هو أيضاً عليه، متابعة لك.

وأطاعك الدهر العصي كأنـه		عبدٌ إذا ناديت لبى مسرعا

وروى: أرادك الدهر.

يقول: إن الدهر الذي لا يطيع أحداً، أطاعك! حتى كأنه عبدك، إذ ناديت أجابك مسرعاً بالتلبية والإجابة.

أكلت مفاخرك المفاخر وانثنت		عن شأوهن مطي وصفي ظلعا

ظلع: أي عجز.

يقول: إن مفاخرك أبطلت مفاخر الخلق، فكأنها أكلتها ورجعت مطيات وصفي عن غايات تلك المفاخر، ظالعة معيبيةً بها.

وجرين جري الشمس في أفلاكها		فقطعن مغربها وجزن المطلعا

الهاء في أفلاكها ومغربها للشمس.

يقول: إن مفاخرك في الدنيا كجري الشمس، فقطعت المغرب وجازت المشرق وبلغت حيث تبلغ الشمس. وإنما قال: في أفلاكها أراد إجرائه.

لو نيطت الدنيا بأخرى مثلها		لعممنها وخشين ألا تقنعا

نيطت: أي وصلت. كناية في عممنها للمفاخر. والثاني في ألا تقنعا. ويجوز أن يكون للخطاب، ويجوز أن يكون فعل المفاخر. وقوله: وخشين. يجوز أن يكون للمفاخر، ويجوز أن يكون فعل الدنيا الموصولة

بدنيا أخرى وما فيها. فأورده على الجمع.

يقول: لو وصلت هذه الدنيا بأخرى مثلها لعمتها مفاخرك، وخشيت مفاخرك الدنيا وما فيها، ألا تقنع أنت ومفاخرك بها.

فمتى يكذب مدعٍ لك فوق ذا والله يشهد أن حقاً ما ادعى

روى: يكذب بالرفع على الاستفهام. والله بالواو وهو الأولى لأن ما بعده من البيت يدل عليه. وروى يكذب بالجزم على الجزاء. فالله بالفاء على الجواب. ومعناه على الاستفهام.

يقول: متى يمكن أن يكون من ادعى لك فوق الذي قلت مكذباً؟! لأن الله يشهد أن ما ادعاه لك حق.

وعلى الجزم، معناه: متى ادعى لك مدع فوق هذا وكذب هذا المدعي، فالله يشهد أن ما يدعيه حق وأنه صادق.

ومتى يودي شرح حالك ناطقٌ حفظ القليل النزر مما ضيعا

النزر، والقليل: بمعنىً واحد. وجمع بينهما لاختلاف لفظهما، أو للمبالغة.

يقول: متى يقدر ناطق على شرح حالك؟! فإن علمه لا يحيط بكنه صفاتك، ومتى ظن أنه استوفى حالك، كان قد حفظ اليسير مما ضيع، فإن ما ضيعه كثير وما حفظه يسير.

إن كان لا يدعى الفتى إلا كذا رجلاً فسم الناس طراً إصبعا

تقديره: إن كان لا يدعى الفتى رجلاً إلا كذا، فالفتى؛ اسم ما لم يسم فاعله، ورجلاً خبره، وطراً نصب على الحال. وقيل: على المصدر. أي: فسم الناس إذا طررتهم طراً: أي جمعتهم جمعاً.

يقول: إن كان لا يدعى الفتى رجلاً إلا إذا كان مثل هذا الممدوح، فيجب أن تسمى جميع الناس إصبعا؛ لأنهم بالإضافة إليه كالإصبع من الجسد، فإذا كان اسمه رجلاً، فاسمهم كلهم الأصبع.

أو كان لا يسعى لجودٍ ماجدٌ إلا كذا فالغيث أبخل من سعى

قوله: فالغيث أبخل من سعى ومن للعقلاء، والغيث ليس منهم؛ وإنما حسن ذلك لوجهين: أحدهما: لأن المعنى أبخل الساعين، وهذا يعم من يعقل ومن لا يعقل، فغلب من يعقل كقوله تعالى: "والله خلق كل دابةٍ من ماءٍ" إلى آخره.

والثاني: وهو أن السعي لما كان من صفات العقلاء وقد استعمل في الغيث، أطلق عليه لفظ العقلاء لقوله تعالى: "والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين".

يقول: إن كان السعي في طلب المجد والجود، لا يعد سعياً حتى يكون مثل سعيك، فالغيث المضروب به المثل في الجود، أبخل الساعين؛ لبعده عن بلوغ غايتك وكونك فقته.

قد خلف العباس غرتك ابنه   مرأى لنا وإلى القيامة مسمعا

يقول: يابن عباس. إن أباك قد خلف غرتك خلفاً منه وعوضاً عن رؤيته إلى يوم القيامة، فإذا رأيناك فكأنا رأيناه، وإذا سمعناك، فقد سمعناه.

واجتاز بمكان في بعض أسفاره بالليل، يعرف بالفراديس، فسمع زئير الأسد فقال يخاطبه:

أجارك يا أسد الفراديس مكرم؟   فتسكن نفسي، أم مهانٌ فمسلم؟

فتسكن نفسي: نصب لأنه جواب الاستفهام فنصبه بالفاء.

يقول: يا أسد الفراديس وهو رستاقٌ بدمشق أجارك مكرم حتى تسكن نفسي إليكن؟ أم مهانٌ فمسلمٌ إلى أعدائه.

وحكى عنه أنه قال: ما كانت نفسي نافرة فتسكن، وإنما قلت: فأعلم حقاً.

ورائي وقدامي عداةٌ كثيرةٌ   أحاذر من لصٍ ومنك ومنهم

يقول: قد أحاط بي من قدامي وورائي، أشياء محذورة، فأعداءٌ أحاذرهم، ولصٌّ أخاف قطعه طريقي، وأسودٌ أحاذرها وأسمع زئيرها.

فهل لك في حلفي على ما أريده   فإني بأسباب المعيشة أعلم؟

الحلف: من المحالفة، وهي المعاهدة.

يقول للأسود: هل تتحالفين معي على ما أريد من طلب الولاية، فإني مثلك في الافتراس والشجاعة، ولي فضل عليك من جهة أني أعلم بأسباب المعيشة ووجوه المكاسب، منك.

إذاً لأتاك الرزق من كل وجهةٍ   وأثريت مما تغنمين وأغنم

يقول: لو حالفتني لأتاك الرزق من كل ناحية، فكنت أنت تكسبين من جهةٍ، وأنا أكتسب من جهة، فيكثر ما لنا ويتسع رزقنا.

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي:

صلة الهجر لي وهجر الوصال   نكساني في السقم نكس الهلال

النكس بالفتح أولى، وهو مصدر نكسته والنكس بالضم. أكثر ما يستعمل في عود المرض بعد زواله، وروى ذلك أيضاً في البيت.

والمعنى: أن مواصلة الهجر لي، وهجران الوصال، رداني إلى السقم والنحول، مثل الهلال ينكس إلى النحول بعد الكمال على التدريج، فكأنه يقول كنت صحيح الجسم كامل الخلق فصرت كالهلال.

فغدا الجسم ناقصاً والذي ين — قص منه يزيد في بلبالي

البلبال: الهم والحزن. وقيل: الاضطراب والتحير.

يقول: قد نحل جسمي، ونقصت أجزاؤه! وما ينقص من الجسم يزيد في الحزن بقدر ما نقص منه!

قف على الدمنتين بالدو من ريا — كخالٍ في وجنةٍ جنب خال

الدمنة: البعر الملبد، والرماد المتراكم بعضه على بعض. والدو: الصحراء المستوية سميت بذلك لدوي الرياح فيها. وريا: اسم محبوبته. وإنما سمى الدمنتين؛ لأن من عادات العرب يترلون موضعاً فإذا نفذ ماؤه وتلونت أرضه، انتقلوا إلى موضع آخر.

يقول لنفسه، قف على ما بين الدمنتين في الدو، من دو ريا. فكأهما خالان في وجنة المحبوبة، أحدهما في جنب الآخر. شبه سواد البعر والرماد في عرصة الدار، بخالٍ في وجنة المحبوبة. وقال في جنب خال. وأراد منه حبيبته، إنها تحسن في عينه كالخيال على الخد.

بطلولٍ كأنهن نجومٌ — في عراصٍ كأنهن ليالي

الطلول: ما شخص من آثار الديار: كالوتد، والحوض. العرصة: ساحة الدار. والباء في بطلولٍ. في موضع الحال، من قوله: كخال في وجنة. والعامل فيه معنى التشبيه، ويجوز أن يكون بدلاً من الدمنتين، أي قف بطلول في موضع الحال. شبه الأطلال بالنجوم، لأنه اهتدى بها إلى دار حبيبته كما يهتدي بالنجوم، أو لأن الأمطار غسلتها فبيضتها فصارت كالنجوم، وشبه العراص بالليالي؛ لخلائها ووحشتها ولما فيها من الرماد المحترق، وأشار أنه لا خير فيها.

ونؤيٍّ كأنهن عليهن — خدامٌ خرسٌ بسوقٍ خدال

النوي: جمع النوى، وهو حاجز يحفر حول الخيمة لمنع المطر أن يدخل إليها. والخدام: جمع الخدمة، وهي الخلخال. والسوق: جمع ساق. والخدال: جمع الخدلة، وهي الممتلئة. والهاء في كأهن: للنؤي، وفي عليهن: للعراص. شبه النؤي بالخلخال؛ لاستدارته حول الخيمة، وشبه موضع البيت بالساق الخدله؛

لامتلائه من الطيف، يوم ارتحال أهله عنه، وجعل الخدام خرساً؛ لأنها لا صوت لها كما لا صوت للنؤي.

لا تلمني فإنني أعشق العشا ق فيها يا أعذل العذال

الهاء: ضمير العرصة، والطلول.

يقول: لا تلمني على الوقوف بهذه الأطلال؛ فإني أعشق العشاق؛ وإن كنت أعذل العذال. وفيها: متعلق بقوله: لا تلمني وإن شئت بقوله لا تلمني بالعذال. أو بقوله: فإني أعشق العشاق فيها.

ما تريد النوى من الحية الذوا ق حر الفلا وبرد الظلال؟

يقول: أي شيء تريد النوى مني؟ وأنا كالحية الذواق، قد تعودت قطع الفلا، وقاسيت حرها وبرد ظلالها. يعني: أني لا أبالي بالنوى؛ لتعودي الأسفار.

فهو أمضى في الروع من ملك المو ت وأسرى في ظلمةٍ من خيال

يقول: هذه الحية الذواق يعني: نفسه أمضى في الحرب وأكثر إتلافاً للنفوس من ملك الموت، وأسرى في ظلمة الليل من الخيال، فلا ترده الظلمات.

ولحتفٍ في العز يدنو محبٌّ ولعمر يطول في الذل قال

تقديره: هو محب لحتفٍ يدنو في العز. وهو قالٍ لعمرٍ يطول في الذل.

يعني: أنه يحب العز؛ وإن كان مع الحتف، ويبغض العمر؛ وإن كان مع الذل.

نحن ركبٌ ملجن في زي ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوص الجمال

قوله: ملجن أي من الجن. فحذف النون؛ لسكونها وسكون اللام من الجن.

يقول: نحن ركب نشبه الجن في أفعالها للزومنا المفاوز، وإن كنا في صورة الإنس، ورواحلنا تشبه الطير؛ لسرعة سيرها، وإن كانت في صورة الجمال.

من بنات الجديل تمشي بنا في البي د مشي الأيام في الآجال

الجديل: فحل كريم تنسب إليه كرائم الإبل. وهي تمشي بنا في الفلوات، وتفنيها شيئاً فشيئاً، كما تمشي الأيام في الآجال فتفنيها جزءًا فجزءًا.

كل هوجاء للداميم فيها أثر النار في سليط الذبال

الهوجاء: في الأصل المجنونة، وهي ها هنا: الناقة التي ترمي بنفسها في المسير، من النشاط كأنها هوجاء، ولا يوصف الذكر بها. فلا يقال: بعير أهوج. والدياميم: جمع ديمومة وهي الفلاة. والسليط: قيل: هو السراج. وقيل: هو دهن الزيت. والذبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة.

يقول: كل واحد من هذه الرواحل هوجاء، قد أثر المفاوز فيها وأهزلها وأخذ لحمها؛ كما تأخذ النار دهن الفتيلة وتفنيه.

عامداتٍ للبدر والبحر والضر غامة ابن المبارك المفضال

يجوز في عامداتٍ الجر: على البدل من هوجاء. والرفع: على إضمار المبتدأ. والنصب: على الحال. والعامل، ما في الجملة من قوله: للدياميم فيها. أي بمنزله الدياميم عامدات.

يقول: إن هذه الرواحل يقصدون ابن المبارك، الذي هو كالبدر جمالاًن وكالبحر سخاءً، وكالأسد شجاعة وإقداماً، وهو كثير الفضل غزير الإحسان.

من يزره يزر سليمان في المل لك جلالاً ويوسفاً في الجمال

وربيعاً يضاحك الغيث فيه زهر الشكر في رياض المعالي

جلالاً: نصب على التمييز. وربيعاً: عطف على قوله: يزر سليمان فكأنه قال: ويزر ربيعاً. وجعله ربيعاً؛ لانتفاع الناس فيه وبسببه وعطائه، ولما جعله ربيعاً، جعل رياضه المعالي، وزهرها الشكر والثناء، يعني أنه ربيع يسقي رياض المعالي، الغيث جوده، وزهر تلك الرياض الشكر. ويجوز أن يكون أراد شكر الناس. فشبه جوده بالغيث، وشكرهم بالزهر ومعاليه بالرياض.

نفحتنا منه الصبا بنسيم رد روحاً في ميت الآمال

نفحتنا: أي هبت علينا دفعة بعد دفعة. والنسيم: الريح اللينة في هبوبها.

يقول: كانت أمالنا منقطعة عن الناس لبخلهم، فهبت الصبا علينا، بنسيم هذا الربيع، ورد الروح في آمالنا الميتة وأحيتها بعد موتها. وأراد بالنسيم: إشاعة جوده واشتهار كرمه.

هم عبد الرحمن نفع الموالي وبوار الأعداء والأموال

يقول: همه مقصور على الإحسان إلى الأولياء، وإهلاك الأموال والأعداء في وجوه البر، واقتناء الحمد والمجد والذخر، ولا يشتغل بغير ذلك من اللهو وجمع الأموال.

أكبر العيب عنده البخل والطع ن عليه التشبيه بالرئبال

الرئبال: الأسد.

يقول: إن أكبر العيب عنده البخل، لفرط جوده، وهو شجاع، فإن شبهته بالأسد فقد طعنت فيه؛ لأنه أشجع من الأسد. ويجوز أن يريد: أن من أراد أن يطعن عليه، يمكنه ألا يشبهه بالأسد. وهذا ليس بطعن في الحقيقة.

والجراحات عنده نغماتٌ سبقت قبل سيبه بسؤال

يقول: إن عادته في تقديم النوال على السؤال، فإذا سمع نغمات السائل قبل العطاء، تألم منها كما يتألم من الجراحات، وتؤثر تلك النغمات فيه تأثير الجراحات؛ تأسفاً على سبق السؤال على الإعطاء.

وقيل: أراد أن يلتذ بالجراحات في الحروب التذاذه بنغمات السؤال. يمدحه بالسخاء والشجاعة.

ذا السراج المنير هذا النقي ال جيب هذا بقية الأبدال

الأبدال: زهاد الدنيا. ويقال: إن الأرض لا تخلو منهم. أربعون منهم في الشام، وثلاثون في سائر الأرض، وسمو أبدالاً؛ لأنهم إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخرا! وقوله النقي الجيب: أي سليم القلب، من الغش والخيانة. يصفه بالاشتهار كالسراج المنير، وبسلامة القلب؛ وبأنه من أولياء الله تعالى، الذين بهم بقاء الدنيا وقوامها.

فخذا ماء رجله وانضحا في ال مدن تأمن بوائق الزلزال

البوائق: جمع البائقة، وهي الداهية، وروى: تأمن، وتؤمن.

يقول: إنه ولي الله تعالى، فلو رش الماء الذي غسل به رجله في المدن والبلدان، لأمنت من الزلزال.

وقيل: أراد أن الأرض لا تستقل من طيه إياها، هيبةً منه، فلو أخذ الماء الذي غسل به رجله ورش عليها لسكنت من هيبته.

وامسحا ثوبه البقير على دا ئكما تشفيا من الإعلال

البقير: القميص الذي لا كم له. وقيل: هو الفرجي؛ لأنه يبقر مقدمه.

يقول: إن العليل إذا مسح ثوبه شفي من جميع الأدواء.

مالئاً من نواله الشرق والغر ب ومن خوفه قلوب الرجال

قابضاً كفه اليمين على الدن يا ولو شاء حازها بالشمال

مالئاً وقابضاً: نصبا على المدح. وقيل: على الحال من قوله: هذا بقية الأبدال أي يكون هذا على هذه الأحوال.

يقول: إنه قد ملأ الأرض كلها من عطاياه، واستولى عليها شرقاً وغرباً، وملأ من خوفه قلوب الناس. وقبض عن الدنيا كفه، زاهداً عنها، ولو شاء لنالها بأهون سعيٍ، فالرواية على هذا: عن الدنيا.

وقيل: أراد أنه استولى على الدنيا كلها بيمينه، ولو شاء لأخذها بأصغر الأخذ. وهو المراد بقوله بالشمال. والرواية على هذا: على الدنيا.

نفسه جيشه وتدبيره النص ... ر وألحاظه الظبا والعوالي

يقول: إنه وحده يقوم مقام الجيش، وتدبيره بنفسه يقوم مقام النصرة، ورأيه ولحظاته تقوم مقام السيوف والرماح.

وله في جماجم المال ضربٌ ... وقعه في جماجم الأبطال

الجمجمة: عظم الرأس.

يقول: إذا فرق ماله بالهبات، فإنه يقصد الأبطال ويضرب جماجمهم بالسيف، ويسلب أموالهم. فالضرب الواقع في جماجم الأموال، هو الواقع في رءوس الأبطال.

فهم لاتقائه الدهر في يو ... م نزالٍ وليس يوم نزال

فهم: راجع إلى الأبطال. يعني: أن الأبطال يخافون منه أبداً، فكأنهم طول الدهر في قتال؛ لخوفهم منه، وإن لم يكن قتال. والدهر نصب على الظرفية.

رجلق طينه من العنبر الور ... د وطين العباد من صلصال

العنبر الورد: الذي يضرب إلى الحمرة، ومنه العنبر الأشهب: الذي يضرب إلى البياض، وهما جيدان. والأسود رديء. والصلصال: طين يابس، وهو الذي له صوت.

يقول: إن طينه الذي خلق منه، عنبر الورد، وطين غيره من صلصال، فله فضل على الناس.

فبقيات طينه لاقت الما ... ء فصارت عذوبةً في الزلال

يقول: إنه لما خلق، بقيت من طينته بقية، فخالطت الماء، فصارت تلك البقية عذوبةً في الماء الزلال، ولولاها لكانت كماء البحر.

وبقايا وقاره عافت النا ... س فصارت ركانةً في الجبال

يقول: إن بقايا وقاره وسكونه وهيبته، كرهت الناس فلم ترض بهم؛ لعلمها أنهم لا يستحقونها، فتحولت إلى الجبال فصارت سكوناً فيها.

لست ممن يغره حبك السل　　　م وألا ترى شهود القتال

روى: بفتح التاء في ترى. وشهود بضم الشين. وروى: بالضم والفتح.

يقول: لست ممن يغتر بأنك تحب السلم، أي الصلح وألا تختار شهود القتال. وعلى الرواية الأخرى وألا ترى شاهد القتال. فشهود. فعول: بمعنى فاعل.

ذاك شيءٌ كفاكه عيش شان　　　يك ذليلاً وقلة الأشكال

يقول: ذاك الشيء، أي ترك القتال، كفاكه ذلة مبغضيك وقلة من يشابهك؛ لأن أعداءك ذلوا وقلوا وأمثاله فقدوا، فليس يوجد أحد يقاومك وكفيت أمر الحرب بهذا الوجه، فلا تحتاج إلى القتال.

واغتفارٌ لو غير السخط منه　　　جعلت هامهم نعال النعال

واغتفار: عطف على قوله: عيش شانيك.

يقول: كفاك الحرب اغتفارك ذنوب أعدائك، ولو غير السخط والغضب ذلك الاغتفار واستولى عليه، لجعل أعداءك نعالاً لنعال الأفراس، ولدستهم بخيلك.

لجيادٍ يدخلن في الحرب أعرا　　　ءً ويخرجن من دمٍ في جلال

وروى: لجيادٍ وبجياد وهو من تمام البيت الذي قبله، أي تجعلهم نعالاً لنعال جياد، أو تطأهم بجياد تدخل في الحرب أعراء: أي عارية، فتكتسي بالدم فترجع والدم قد غطاها، فكأنها في جلال: أي لابسة جلالاً.

واستعار الحديد لوناً وألقى　　　لونه في ذوائب الأطفال

هذا البيت معطوف على قوله: جعلت هامهم. يعني: أن السيوف كانت تختضب بالدم، فتستعير لوناً غير لونها، وألقى لونها البياض على ذوائب الأطفال؛ لأنها كانت تشيبهم من الخوف، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: "يوماً يجعل الولدان شيباً" قال البخاري؟: معناه: أنه يقتل الآباء، ويؤتم الأولاد؛ فيشيبون من الحزن والخوف!

أنت طوراً أمر من ناقع السم　　　وطوراً أحلى من السلسال

السم الناقع: هو القاتل لوقته. والسلسال: الماء العذب، السهل في الحلق.

يقول: أنت في حالٍ أمر من السم القاتل، وفي حالٍ أطيب من الماء العذب السائغ.

إنما الناس حيث أنت وما النا س بناسٍ في موضعٍ منك خال

يقول: أنت كل الناس، فإذا غبت عن موضع فقد غاب الناس كلهم. وقيل: إنما صار الناس ناساً، إذا كنت فيهم؛ لأنهم يأتمون بك، وكل موضع خلا منك، فأهله لا تعد من الناس.

وقال يمدح أبا علي هارون بن عبد العزي الأوراجي الكاتب:

أمن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث أنت من الظلام ضياء

أمن: فعل ماضٍ، من الأمن، والازديار: افتعال من الزيارة. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. وضياء: رفع بالابتداء وخبره مقدم عليه، وهو قوله: حيث كنت.

يقول: إن رقباءك أمنوا أن تزوري أحداً في الظلام؛ لأن كل موضع تكونين فيه، مضيءٌ بنور وجهك.

ومثله قول الآخر:

طارقٌ نم عليه نوره كيف يخفي الليل بدراً طلعا

قلق المليحة، وهي مسكٌ هتكها ومسيرها في الليل وهي ذكاء

القلق: الحركة، والاضطراب. وذكاء: اسم الشمس، وهي معرفة غير مصروفة. وقلق: مبتدأ. وهتكها: خبره. ومسيرها: عطف على قلق. وخبره: محذوف. تقديره: ومسيرها في الليل، وهي ذكاء هتك.

يقول: إنها كالمسك إذا حرك فاح فحركتها تهتكها وتنم عليها، وكذلك مسيرها بالليل وهي الشمس هتكٌ لها. فجعل نفسها مسكاً، ووجهها شمساً، فالمصراع الأول من قول امرىء القيس.

ألم تر أني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

ومثل المصراع الثاني:

أرادوا ليخفوا في الظلام مسيرهم فنم عليهم في الظلام التبسم

أسفي على أسفي الذي دلهتني عن علمه فبه علي خفاء

المدله: هو الذاهب العقل.

يقول: كان لي حزنٌ عليك، فحيرتني يوم الفراق عنه، حتى لم أحس به، وزال علمي به عني، فأسفي

الآن على الحزن المتقدم، الذي حيرتني عن علمه، حتى صار خافياً علي. فكأنه اشتاق إلى حزنه الأول: الذي كان قبل حزن الفراق.

وشكيتي فقد السقام لأنه قد كان لما كان لي أعضاء

الشكية، والشكاية، والشكوى: بمعنى واحد.

يقول: شكايتي الآن من عدم السقام، لا من السقام؛ لأن السقام إنما كان عندما كان لي أعضاء، فلما فقدت الأعضاء وصرت معدوماً لزوال السقام عني، فأنا أشتاق السقام؛ لأن بوجوده وجود الأعضاء أيضاً.

مثلت عينك في حشاي جراحةً فتشابها؛ كلتاهما نجلاء

عين نجلاء: أي واسعة، وكذلك طعنة نجلاء. وقوله: فتشابها ذكره وحقه: فتشابهتا؛ لأن أحديهما العين، والأخرى جراحة، وهما مؤنثان. غير أنه ذهب بهما إلى المعنى، فكأنه قال: فتشابه الشيئان المذكوران. وأراد بالعين: العضو. وبالجراحة: الجرح. كقول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح

وأما قوله كلتاهما فأنثه رداً إلى لفظ العين، والجراحة. وأفرد قوله: نجلاء؛ لأن لفظة كلتا مفردة، وإنما تدل على التثنية لصيغته.

يقول: جعلت بعينيك مثالاً في قلبي. أي جرحت قلبي جراحة واسعة مثل عينك الواسعة، فكل واحد من العين والجراحة واسع.

نفذت علي السابري وربما تندق فيه الصعدة السمراء

السابري: قيل أراد به الثوب الرقيق. وقيل: هو الدرع. والصعدة: القناة القصيرة. ونفذت: فعل العين.

يقول: نفذت عينك السابري على أحد المعنيين ورقته، ووصلت إلى قلبي فجرحته جرحاً واسعاً، ثم قال: ربما تندق الرمح ويلتوي الصلب القوي في هذا السابري؛ إن أراد به الدرع، فالمعنى ظاهر: أي أن عينك نفذت هذا الدرع إلى قلبي، وربما كانت تنكسر عليه الرماح ولا تعمل فيه. وإن أراد به الثوب الرقيق فمعناه أن قميصه ربما كان لا تعمل فيه الرماح بل تندق دون الوصول إلي؛ هيبة مني،

في قلب من يريد طعني، ومع ذلك فإن عينك نفذته! وقيل أراد: أن عينك وصلت إلى قلبي وجرحته ولم تخرق الدرع ولا القميص. كما قال:

راميات بأسهمٍ ريشها الهد ... ب تشق القلوب قبل الجلود

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحمت ... فإذا نطقت فإنني الجوزاء

الصخرة: إذا كانت بالوادي كانت أصلب وأثبت.

يقول: أنا كصخرة الوادي في الصلابة والثبات، فإذا زاحمني أحدٌ في الفضل والكمال، أو في حال القتال لا يقدر على إزالتي عما أنا عليه من الحال، وما أختص به من الجلال.

وقوله: فإذا نطقت فإنني الجوزاء له معنيان.

أحدهما: أنه شبه نفسه بالجوزاء؛ لعلو محله عن كل ناظر. أي إذا نطقت لم يدرك غايتي أحد في البلاغة، كما لا يدرك أحد الجوزاء، وخصه بالذكر لأنه يشبه صورة الإنسان. والثاني: أنه أراد به ما يقول المنجمون من أن الجوزاء وصاحبه عطارد، يدلان على البلاغة والنطق. فيقول: أنا كالجوزاء: يستفاد من علمي ويقتبس من فوائدي، ويستمد من فصاحتي، كما أن الجوزاء يعطى من ولد فيه النطق والبراعة والبلاغة.

وإذا خفيت على الغبي فعاذرٌ ... ألا تراني مقلةٌ عمياء

يقول: إن خفي على الجاهل فضلي، فأنا أعذره، كما أعذر الأعمى إذ لم ير شخصي؛ لأن الجاهل أعمى القلب.

شيم الليالي أن تشكك ناقتي ... صدري بها أفضي أم البيداء؟!

الشيم: جمع الشيمة، وهي العادة. وأفضي: أوسع، وهو اسم المبالغة، وأراد: أصدري أم البيداء أوسع؟! يقول: عادة الليالي لقصدها بمحنها وصروفها، أن تشكك ناقتي، فلا أدري أصدري أوسع بالأيام، وبأموالها، أم الفضاء أوسع.

فتبيت تسئد مسئداً في نيها ... إسادها في المهمة الإنضاء

الإسآد: قيل هو إسراع السير. وقيل: سير الليل كله. وقيل: هو إدامة السير ليلاً ونهاراً. والمهمة: الأرض الواسعة. والإنضاء: مصدر أنضاه. إذا هزله. وتبيت: فعل الناقة. وتقدير البيت: فتبيت تسئد مسئد الإنضاء في نيها إسآداً مثل إسآدها في المهمة.

وإعرابه: تبيت. من أخوات كان، واسمه ضمير الناقة، وتسئد: فعل. في موضع نصب، لأنه خبر تبيت.

ومسئداً: نصب على الحال من الضمير الذي فيه تبيت، وهو اسم الفاعل، وفاعله الإنضاء: وهو مرفوع به؛ لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل. وإسآدها: نصب؛ لأنه وصف مصدر محذوف، كأنه قد أسأد مثل إسآدها، والضمير في إسآدها: راجع إلى الناقة، والناصب قوله: مسئد. ونظير التقدير الذي ذكرناه قول القائل:

تبيت هندٌ تصلي، مصلياً عمرو   في دارها، صلاتها في المسجد

هذا كما تقول: مررت بهند واقفاً عندها عمرو فواقفاً: حال من مررت، وعمرو: مرفوع بواقف.

معناه: أن هذه الناقة تسرع في السير، والمهمة. والإنضاء يأخذ من الناقة وينقص منها، مقدار ما تنقص هي من المهمة.

ومثله لكشاجم في الشمعة قوله:

تكيد الظلام كما كادها   فتفنى وتفنيه في الموقف

والمتنبي حول هذا المعنى إلى المفازة والناقة كما ترى.

أنساعها ممغوطةٌ، وخفافها   منكوحةٌ، وطريقها عذراء

الأنساع: جمع نسع، وهو سير مضفور كهيئة العنان. والممغوطة: الممدودة. والخف: من البعير، بمنزلة القدم من الإنسان. ومنكوحة: أي دامية. فذكر بلفظ النكاح لذكره العذراء.

يقول: أنساع هذه الناقة ممتدة لهزالها فجالت عليها أنساع رحلها، وخفافها دامية من الحفا وطريقها مجهولٌ لم يسلكه أحد.

يتلون الخريت من خوف التوى   فيها كما يتلون الحرباء

الخريت: الدليل العالم بخفيات الطرق، كخفاء ثقب الإبرة. والتوى: الهلاك. والحرباء: دابة أكبر من العظاية، على خلقتها. ويقال: إنها ذكر أم حبين تستقبل الشمس دائماً كيف دارت. والهاء في فيها: للطريق، لأنها تؤنث. وقيل: ترجع إلى البيداء.

المعنى: أن هذه الطريق مجهولة فالدليل إذا سلكها يتقلب يميناً وشمالاً وخلفاً وقداماً، ومن ناحية إلى ناحية؛ وهذا هو التلون، كما تتقلب الحرباء في الشمس. ذكره ابن جنى.

وقيل: أراد أنه يصفر لونه مرة، ويسود تارة، ويحمر أخرى؛ خوف الهلاك ورجاء الاهتداء. فهذا هو التلون كحال الحرباء مع الشمس.

بيني وبين أبي عليٍّ مثله شم الجبال ومثلهن رجاء

الهاء في مثله: للممدوح. والشم: جمع أشم، رفع لأنه بدل من قوله: مثله ويجوز أن يكون الابتداء مضمر أي: هو شم الجبال. فيكون كالتفسير لمثله ومثلهن منصوب؛ لأنه وصف لنكرة وهو رجاء فلما تقدمت على الموصوف نصبت على الحال.

يقول: بيني وبين الممدوح جبالٌ، هي مثل الممدوح في العلو والثبات والرزانة والوقار. فشبه الجبال به، ولم يشبهه بالجبال.

وهذه عادته: أن يمكن التشبيه في الموصوف، ويجعل المعنى ثابتاً فيه. ثم قال: ومثلهن رجاء. أي لي رجاء عنده مثل هذه الجبال.

وعقاب لبنانٍ، وكيف بقطعها وهو الشتاء، وصيفهن شتاء؟

العقاب: جمع عقبة. ولبنان: جبل بالشام في ناحية دمشق. والباء في بقطعها زائدة. قوله: وهو الشتاء في موضع نصب على الحال.

يقول: بيني وبينه عقابٌ وهي شديدة البرد، وصيفها مثل شتاء غيرها، فكيف لي بقطعها في الشتاء وهي بهذه الصفة؟

لبس الثلوج بها علي مسالكي فكأنها ببياضها سوداء

لبس: أي عمى وغطى وأخفى، علي الطريق في هذه العقاب، فكأنها مع بياضها سوداء؛ حيث أن الطريق خفي فيها وهي بيضاء، كما يخفى في سواد الليل، إذ العادة أن الطريق لا يخفيه إلا سواد الليل وظلمة الغيم، فمتى خفي بالبياض صار بمنزلة السواد.

وكذا الكريم إذا أقام ببلدةٍ سال النضار بها وقام الماء

النضار: هو الذهب. وقام الماء: أي جمد. وأراد بالكريم: الممدوح. يعني إنما جمد لتحيره في عطائه، وخجله من كثرة سخائه، وسال الذهب في هباته كما سال الماء.

جمد القطار فلو رأته كما رأى بهتت فلم تتبجس الأنواء

الأنواء: الأمطار بالقمر؛ وقد بيناه. وتتبجس: أي تتفجر. ورأى: فعل القطار، رده إلى اللفظ، وليس فيه علامة التأنيث. وروى: كما أرى أي لو رأته القطار كما أرى وأشاهد، لميزت كما ميزت، ولو رأته الأنواء والقطار على اختلاف التقدير. يعني: لو رأته الأنواء كما رأته القطار. ويجوز رفع الأنواء من ثلاثة أوجه: أحدها: بقوله: رأته.

والثاني: بقوله: بهتت الأنواء.
والثالث: فلم تتبجس وهو المختار عند البصريين، وباقي الأفعال فيه ضمير الأنواء.
يقول: إن المطر لما رأى جوده جمد وتحير فصار ثلجاً، ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتحيرت ولم تتفجر بالماء؛ خجلاً منه، وهذا على مذهب من يعتقد أن الأمطار من النجوم.

في خطه من كل قلبٍ شهوةٌ حتى كأن مداده الأهواء

يقول: كل أحد يهوى خطه لحسنه، فشهوة كل قلب حاصلة في خطه، فكأن مداد خطه من أهواء الناس ومحبتهم.

ولكل عينٍ قرةٌ في قربه حتى كأن مغيبه الأقذاء

القرة: المسرة وأصله البرد. والمغيب: الغيبة. والأقذاء: جمع قذىً، وهو ما يسقط في العين. وروى الإقذاء مصدر من أقذيت عينه إذا طرحت فيها القذى.
يقول: كل أحد يسر من قربه ويحزن لفراقه، فكأن رؤيته قرة العين، وغيبته قذى يسقط فيها.

من يهتدي في الفعل ما لا يهتدي في القول حتى يفعل الشعراء

تقديره: من يهتدي في الفعل إلى ما لا يهتدي إليه الشعراء في القول حتى يفعله. فالشعراء: رفع بقوله: ما لا يهتدى وأما يهتدى. ففيه ضمير الممدوح، وكذلك في حتى يفعل وفي هذا البيت وجوه: أحدها: أن من يصلح أن يكون بمعنى الذي، موضعه رفع بخبر الابتداء المحذوف. أي هو الذي، وما بعده إلى آخر البيت صلة، والضمير العائد إليه مستتر في الفعل الذي يليه.
والثاني: يصلح أن يكون استفهاماً: أي من يفعل هذا غيره؟ وهو مرفوع بالابتدائ وما بعده خبر عنه.

والثالث: أنه حذف حرف الجر من يهتدى وعداه إلى المفعول. والأصل: من يهتدى في الفعل إلى ما لا يهتدى. فحذف إلى وأوصل الفعل إلى المفعول.
والرابع: أن ما في قوله ما يهتدى يصلح أن يكون بمعنى الذي، وأن يكون نكرة موصوفة. أي يهتدى في الفعل إلى شيء لا يهتدى إليه الشعراء.
والخامس: أنه حذف الضمير الراجع إلى ما وهو قوله: إليه وهذا لا يجوز إلا في ضرورة؛ لأنه من صلة ما وإنما يجوز حذفه إذا كان متصلاً بالفعل كقولك: ما شربته ماء، وما شربت ماء. فأما إذا انفصل الضمير فلا يجوز حذفه.

المعنى: أنه يهتدى في الفعل إلى ما لا يهتدى إليه الشعراء بالقول، حتى يفعله هو، فإذا فعله اهتدوا إليه.

في كل يومٍ للقوافي جولةٌ   في قلبه ولأذنه إصغاء

القوافي ها هنا: القصائد.

يقول: إن الممدوح في كل يوم يمدح بالقصائد وينشد، فللقوافي جولان في قلبه، ولها استماع في أذنه.

وإغارةٌ فيما احتواه كأنما   في كل بيتٍ فيلقٌ شهباء

الفيلق: القطعة من الجيش. والشهباء: بيضاء من الحديد، وإنما تكون دالة إلى الكتيبة، لا إلى الفيلق، والبيت من الشعر.

يقول: إنه كل يوم يقصد ويمدح، ويهب ماله للشعراء، فكل بيت يمدح به، جيشٌ يغير على ماله؛ وذلك لتمكين الشعراء من ماله.

من يظلم اللؤماء في تكليفهم   أن يصبحوا وهم له أكفاء

من: بمعنى الذي. أي: هو الذي يظلم اللؤماء. ويجوز أن يكون نكرة موصوفة. أي: هو رجلٌ يظلم اللؤماء. واللؤماء: جمع لئيم.

يقول: هو الذي يطلب من اللئام أن يفعلوا مثل فعله، وأن يكونوا نظراء له، فهو يظلمهم بذلك؛ لأنه يكلفهم ما ليس في طباعهم، فهم يظلمون بذلك.

ونذمهم وبهم عرفنا فضله   وبضدها تتبين الأشياء

نذمهم: أي نعيرهم.

يقول: نحن نعير اللئام ونذمهم ولا يجب أن نذمهم؛ إذ بهم عرفنا فضل الممدوح؛ لأنهم لو كانوا مثله لما عرفنا فضله، وإنما عرفنا فضله لقصورهم عنه؛ لأن الشيء إنما يتبين إذا قرن بضده. وروى: وبضدها تتبين الأشياء، على ما لم يسم فاعله.

من نفعه في أن يهاج وضره   في تركه، لو تفطن الأعداء

يقول: إن الممدوح نفعه في أن يهيج للحرب؛ لأنه حينئذٍ يغير على أعدائه، ويغنم أموالهم وينتفع بها. وضره في ترك هيجانه؛ لأنه إذا لم يحارب، صالح أعداءه. واستضراره بذلك: حيث يفرق ما جمعه في حال الحرب. ولو تفطن الأعداء بذلك قصدوا إلحاق الضرر به.

فالسلم يكسر من جناحي ماله   بنواله ما تجبر الهيجاء

السلم: يذكر ويؤنث. والهيجاء: الحرب. شبه المال بالطائر فاستعار له جناحين.

يقول: الصلح يكسر جناحي ماله، بنواله وتفرقته. أي أن الصلح يقل ماله، وما يكسره الصلح يجبره الحرب؛ لأنه يغنم أموال أعدائه فهو يتلف ويخلف.

يعطي فتعطى من لها يده اللها وترى برؤية رأيه الآراء

اللها: الدراهم والدنانير، واحدها لهوة. وأصلها القبضة التي تلقى في فم الرحاء. والآراء: جمع الرأي، وهو مقلوب مخفف من الأأراء.

يقول: إنه يعطي عطاء كثيراً، والمعطى إليه يعطي من عطاياه. يعني: أنه قد أغناه بعطائه، حتى أنه يجود على غيره، وإذا نظر غيره إلى آرائه، تعلم منه الرأي والتدبير، ويبصر به وجه الصواب، بسداد رأيه. وقيل: أراد أنه إذا نظر إلى رأيه فكأنه قد أبصر جميع آراء الناس.

متفرق الطعمين مجتمع القوى فكأنه السراء والضراء

يقول: إنه جمع اللين والشدة، والبأس والجود، والرأي لا يدخله خلل، فكأنه لاجتماع اللين والشدة والسراء والضراء. وقيل: أراد بقوله مجتمع القوى باجتماع هذين الخلقين فيه اجتمعت قواه وكملت صفاته.

وكأنه مالا تشاء عداته متمثلاً لوفوده ما شاءوا

متمثلاً: نصب على الحال. وما: بموضع رفع.

يقول: كأنه صور مما يكرهه أعداؤه، ومما يحبه أولياؤه في حال تمثله لوفوده وهم أولياؤه. وقيل: أراد أنه يسيء إلى أعدائه في حال إحسانه إلى أوليائه، فيجمع الأمرين في وقت واحد.

يا أيها المجدي عليه روحه إذ ليس يأتيه لها استجداء

يقول: يا أيها الرجل الموهوب له روحه، من حيث لم يأت أحد يستجديه. أي: يستوهبه. يعني: لو طلب طالبٌ روحك لوهبته منها، فمن لا يطلب ذلك فكأنه وهبه منها. ومثله:

ولو لم يكن في كفه غير روحه... البيت

ومثله قوله:

لا خلق أسمح منك إلا عارفٌ بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

احمد عفاتك لا فجعت بفقدهم فلترك ما لم يأخذوا إعطاء

يقول: احمد سائليك؛ حيث لم يستوهبوك نفسك؛ لأنهم لو استوهبوها منك لأعطيتهم إياها! فتركهم لروحك بمنزلة الإعطاء منهم لك. وقوله: ولا فجعت بفقدهم حشوٌ لطيف. وفيه وجهان: أحدهما: أنه دعاء لهم، لما ذكر من أنه ينتفع بهم. والثاني: أنه دعاء له بدوام النعمة وبقاء الدولة. فكأنه قال: لا زلت مقصوداً.

لا تكثر الأموات كثرة قلةٍ　　　إلا إذا شقيت بك الأحياء

لهذا البيت معنيان: أحدهما: أن الأموات لا تكثر إلا إذا غضبت على الأحياء فقتلتهم وأفنيتهم فشقوا. وقوله: كثرة قلة يعني أنها في الحقيقة قلة من حيث كانت فناءً وعدماً، أو لأن الأموات تبلى فتذروها الرياح وتأكلها الوحش والطير، فهي تقل وإن كثرت.

والثاني: أن الأموات لا تكثر إلا إذا مات هذا الممدوح، وشقي الأحياء بفقده، وأنهم يموتون كلهم بموته؛ فحينئذ تكثر الأموات كثرة في قلة؛ لأنه من حيث هو موت رجل واحد قليل، ومن حيث ينضم إليه موت الخلق كثير. ومثله قول الآخر:

لعمرك ما الرزية فقد مالٍ　　　ولا شاةٌ تموت ولا بعير
ولكن الرزية موت حيٍّ　　　يموت بموته خلقٌ كثير

وقال أبو عمرو السلمي: عدت أبا علي الأوراجي في علته التي مات فيها بمصر فاستنشدني:

لا تكثر الأموات كثرة قلةٍ

فجعل يستعيده ويبكي، فخرجت ولحقت بمنزلي فقيل: إنه مات! وكان أبو علي يتصوف.

والقلب لا ينشق عما تحته　　　حتى تحل به لك الشحناء

الشحناء: البغض، كأنها تشحن الصدر، أي تملؤه عداوة.

يقول: إن القلب لا ينشق عما دونه وما فيه، بالرماح والأسلحة، إلا إذا نزلت به عداوتك. وقيل: أراد أن القلب لا يحتمل عداوتك، فإذا حلت به عداوتك انشق القلب فمات فزعاً وخوفاً. فكأنه يقول: لا يهلك أحد إلا ببغضه.

لم تسم يا هارون إلا بعد ما اق　　　ترعت ونـازعت اسمك الأسماء

يقول: لما ولدت تنافست الأسماء في الشرف بك حتى تقارعت بالقرعة عليك فخرج سهم هارون فسميت به، فلم تسم بهارون إلا بعد هذه الحالة.

فغدوت واسمك فيك غير مشاركٍ　　　والناس فيما في يديك سواء

يقول: فصرت لا شريك لك في هذا الاسم، إذ لام يسم أحد بهذا الاسم مثلك في الفضل، فصرت منفرداً به والناس شركاء في أموالك، يتصرفون فيها كيف شاءوا.

لعممت حتى المدن منك ملاء ولفت حتى ذا الثناء لفاء

اللام في قوله: لعممت جواب القسم، أي والله لعممت، أي ملأت المدن. وملاء: جمع ملآن. واللفاء: الشيء القليل الذي لا قدر له.

يقول: قد عممت الأرض بجودك، حتى المدن ممتلئة به، وسبقت ثناءك، لما لك من القدر حتى صار هذا الثناء الذي أثني به عليك قليل، في جنب قدرك.

وقد صرع البيت في أثناء القصيدة من غير انتقال إلى قصةأخرى. وهذا جائز وإن قل.

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً للمنتهي ومن السرور بكاء

المنتهي: هو الانتهاء.

يقول: جدت حتى بلغت الغاية في الجود وكدت تستحيل بخيلاً، لأن الشيء إذا بلغ غايته انعكس إلى ضده. ثم قال: ومن السرور بكاء! أي أن الإنسان إذا تناهى في السرور دمعت عيناه، فيصير السرور بكاء.

أبدأت شيئاً منك يعرف بدوه وأعدت حتى أنكر الإبداء

يقول: ابتدأت فابتدعت بنوع المكارم ما لم يعهد قبلك، فمنك مبدؤه ثم كررته وزدت على ما كنت ابتدأت به، حتى تنسى الأول لأجل الثاني. ومثله:

فإذا أتيت بجود يومك مفخراً عمت به أرواح جودك في غد

فالفخر عن تقصيره بك ناكبٌ والمجد من أن تستزاد براء

ناكب: أي عادل. وبراء: أي بريء.

يقول: إن الفخر لا يقصر بك وهو ناكب عن أن يقصر بك؛ لأنك قد بلغت الغاية. والمجد: وهو الشرف، بريء من أن تستزيده؛ لأنه ليس فيه رؤية لم تبلغها أنت فتسأل الزيادة حتى تبلغها.

فإذا سئلت فلا لأنك محوجٌ وإذا كتمت وشت بك الآلاء

الآلاء: النعم واحدها ألٌّ وإلي أي متى طلب الناس منك شيئاً فليس لأنك أحوجتهم إلى السؤال،

ولكن سألوك تشرفاً بسؤالك وتلذذاً به، وإذا كتمك كاتم، أو كتم محلك وذكرك، دلت عليه نعمك الظاهرة المنتشرة، فلا يمكنه ذلك. ومثله قول مسلم:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه   فطيب تراب القبر دل على القبر

وإذا مدحت فلا لتكسب رفعةً   للشاكرين على الإله ثناء

يقال: كسب المال وكسب الرجل المال.

يقول: إن مدحنا إياك، لا يكسبك رفعة؛ لأنك في نفسك رفيع، وإنما نمدحك شكراً لإحسانك، وتشرفاً بمدحك، وترفعاً بالثناء عليك. ثم ضرب مثلاً بأن من يثني عليك كالشاكرين لله تعالى؛ لأنهم يشكرون الله تعالى، لنفع يعود إليهم، لاإلى الله عز وجل. وأخذه من قول الأول

فلو كان يستغني عن الشكر ماجدٌ   لعزة ملكٍ أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره   فقال :اشكروا لي أيها الثقلان

وإذا مطرت فلا لأنك مجدبٌ   يسقي الخصيب ويمطر الدأماء

أجدب القوم: إذا أجدبت أرضهم، أو وقعوا في مكان جدب. والدأماء: البحر.

يقول: إذا مطرت فلست تمطر لإجداب محلك وجدب بلدك، ولكن تمطر مع الاستغناء عنه، كما يمطر المكان الخصيب وكما يمطر البحر مع كثرة مائه.

لم تحك نائلك السحاب وإنما   حمت به فصبيبها الرخصاء

الصبيب بمعنى المصبوب، وهو المطر. والرخصاء: عرق الحمى. والهاء في به: للنائل. والتأنيث: للسحاب؛ لأنه بمعنى الجمع.

يقول: إن السحاب لم يعارضك في السخاء بمائه وإنما حسدك لزيادتك عليه فحم بسبب كثرة عطائك، فهذا الذي ينصب عنه، عرق الحمى التي أصابته.

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا   إلا بوجهٍ ليس فيه حياء

يقول: لم تلق الشمس وجهك، إلا بوجه ليس فيه حياء؛ إذ لو كان في وجهها حياء لم تقابله؛ لقصور نورها وبهائها عن نوره وبهائه.

فبأيما قدمٍ سعيت إلى العلا   أدم الهلال لأخمصيك حذاء

قوله: ما صلة وأي استفهام في معنى التعجب وأدم الهلال: جلده. والحذاء: النعل يقول: إنك بلغت من العلا محلاً لم يبلغه أحد فبأي قدمٍ سعيت إليها؟! ثم دعا له: بأن يكون أديم الهلال نعلاً لأخمصيه: أي لا زلت عالياً حتى يصير الهلال لك بمترله النعل.

ولك الزمان من الزمان وقايةٌ ولك الحمام من الحمام فداء

دعا له فقال: وقاك الله من حوات الزمان بالزمان، وفداك بالموت من الموت. وقيل: أراد ليهلك الزمان دون هلاكك، وليمت الموت دون موتك. وقيل: أراد به أهل الزمان، وقاية لك من حوادث الزمان، وموت أهل الزمان فداء لموتك فيموتون عنك.

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواء

الورى: الخلق من بني آدم. واللذ: بحذف الياء: لغة في الذي.

يقول: لو لم تكن من بني آدم، الذين هم في الحقيقة منك؛ لأنك جمالهم وشرفهم، ولو لم تكن فيهم لعدوا في العدم، ولكانت حواء بولادة نسلها عقيماً، كأنها لم تلد أحداً.

ودخل أبو الطيب يوماً على أبي علي الأوراجي فقال له أبو علي: وددنا أنك كنت معنا يا أبا الطيب اليوم. فقال أبو الطيب: ولم؟ فقال: ركبنا ومعنا كلبٌ لابن مالك، فطردنا به وحده ظبياً، ولم يكن لنا صقرٌ. فاصطاده! فقال أبو الطيب: أنا قليل الرغبة في ذلك والنظر إلى مثل هذا. فقال أبو علي: إنما اشتهيت أن تراه حتى تستحسنه فتقول فيه شيئاً. فقال أبو الطيب: أنا أفعل. قال له: فأحب منك ذاك. وتحدث أبو علي ثم قال: أنا أحب أن تفعل ما وعدتني، فقال له أبو الطيب: قد أحفيت السؤال! أتحب أن يكون ذلك الساعة؟ فقال أبو علي: أيمكن مثل هذا؟ قال: نعم، وقد حكمتك في الوزن، وحرف الروي. فقال أبو علي: بل الأمر فيهما لك. فأخذ أبو الطيب درجاً وأخذ أبو علي درجا يكتب فيه كتاباً إلى إنسان، فقطع عليه أبو الطيب الذي يكتبه وأنشده يصف كلب صيد أرسل على غزال وليس معه صقر.

ومنزلٍ ليس لنا بمنزل

ولا لغير الغاديات الهطل

الغاديات: السحاب يأتي غدوة، واحدها غادية. والهطل: جمع هاطلة، وهي الكثيرة المطر. يقال: هطلت السماء تهطل هطلاً وهطلاناًح إذا صبت صباً دائماً شديداً.

يقول: رب مترل ليس بمترل الإنس، وإنما هو مترل السحاب التي تصب الأمطار.

ندى الخزامى ذفر القرنفل

محللٍ ملوحش لم يحلل

الخزامى، والقرنفل: نبتان طيبان. وقيل: الخزامى خيري البر، والندى: الرطب. من بلد الندى. والذفر: الحاد الرائحة الطيبة والخبيثة، وبالدال النتن خاصة. والمحلل: المكان الذي يكثر الحلول فيه. وأراد: من الوحش فحذف النون، وقد مضى مثله.

يقول: هذا المترل فيه رائحة الخزامى والقرنفل، وإنه مترل الوحش وفيه تخلق دون الناس، فلا يحله أحدٌ من الناس. وقيل: أراد هذا المكان محلل الوحش، وإن أخذه سهل حلال؛ لكثرته وقرب تناوله، فكأن هذا المترل قد أحل فيه تناول الوحش ما لم يحل اصطياده في غير ذلك الموضع.

عن لنا فيه مراعي مغزلٍ

محين النفس بعيد الموئل

عن: أي ظهر وعرض. فيه: أي في المترل. والمراعي: اسم من راعى. والمغزل: الظبية التي معها ولدها. فالمراعي الظبي، والمغزل: الظبية. ومحين النفس: الذي دنا حين أجله. والموئل: الملجأ.

يقول: ظهر لنا في هذا المترل ظبي يراعي ظبية ذات ولد. أي يرعى معها. وهو محين النفس: أي أن الحين لاحق به، ودنا هلاكه، وهو بعيد الملجأ: أي لا ملجآً له؛ لأن الكلب صلاه فصار هالكاً.

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى

وعادة العري عن التفضل

الحلي: الحلي، فخفف. والعري والتفضل: أن يلبس ثوباً يبتذل له في مترل الخدمة. والهاء في أغناه: لمراعي مغزل.

يقول: إن حسن جيده أغناه عن التزين بالحلي، واعتياده أن يكون عرياناً كفاه، لفضله عن لبس الحلي.

كأنه مضمخٌ بصندل

معترضاً بمثل قرن الأيل

يقول: كأنه مطلي بالصندل، لا من كونه يضرب إلى الصفرة كلون الصندل، وقرنه في الطول مثل قرن الأيل: وهو التيس الجبلي. وقيل: الثور الجبلي. ومعترضاً: حال من الهاء في كأنه. وهو من سرعة عدوه يسق لحظة الكلب فلا يقدر أن يتأمله.

يحول بين الكلب والتأمل

فحل كلابي وثاق الأحبل

عن أشدقٍ مسوجرٍ مسلسل

أقب ساطٍ شرسٍ شمردل

الكلاب: صاحب الكلب. والوثاق: الرباط. والأشدق: واسع الشدقين وهما شق الفم عن يمين وشمال أي عن كلب أشدق. ومسوجر: أي في عنقه ساجور. وهو الخشب الذي يكون في عنق الكلب.
ومسلسل: أي في عنقه سلسلة. والأقب: الضامر البطن. والساطي: البعيد ما بين الرجلين، إذا مشى.
والشرس: السيىء الخلق. والشمردل: الطويل. وقيل: الخفيف الكثير الحركة.
يقول: حل الكلابٌ رباط الحبال عن كلب هذه صفته.

منها، إذا يثغ له لا يغزل

موجد الفقرة رخو المفصل

منها: يرجع إلى الأحبل، والكلاب، وإن لم يجر للكلاب ذكر؛ لدلالة الكلام عليها. وإذا يثغ صوت الثغاء: أي صوت الغنم. واستعاره للغزال وجزم يثغ بإذا ولا يجوز إلا في الشعر. وقوله: لا يغزل من قولهم: غزل الكلب يغزل، إذا دنا وأدرك الغزال، فتحير ولم يمسكه وقوله موجد الفقرة: أي وثيق الفقرة: وهو عظم الظهر وأراد برخو المفصل: أنه سريع التعطف.
يقول: إن هذا الكلب إذا أدرك أيلاً وثغاله لم يدهش من ثغائه، ولم يمسك عنه لاعتياده الاصطياد، وإنه وثيق عظم الظهر ورخو المفصل: أي سريع التعطف

له إذا أدبر لحظ المقبل

كأنما ينظر من سجنجل

يعدو إذا أحزن عدو المسهل

إذا تلا جاء المدى وقد تلي

أحزن: أي وقع في الحزن، وهو ما غلظ من الأرض. والمسهل: الواقع في السهل. والسجنجل: المرآة.
يقول: من تيقظه يرى ما وراءه كما يرى ما قدامه. وإنه يعدو في الحزن من الأرض مثل ما يعدو في السهل.
يقول: كأن عينه المرآة؛ من حيث إنه يرى بها خلفه وأمامه، كما يبصر الإنسان وجهه في المرآة؛ عن عكس المقابلة في الصورة.

يقعي جلوس البدوي المصطلي

بأربعٍ مجدولةٍ لم تجدل

الإقعاء: هو أن يجلس على إليتيه ويرفع ركبتيه. وأقعى الكلب: إذا وقع على ذنبه. وجلوس: نصب على المصدر. المجدولة: المحكمة.
يقول: إذا تبع الصيد وعدا خلفه، أدرك الغاية، وتقدم الصيد، فيتلوه الصيد: يعني أنه يصير متبوعاً بعد أن كان تابعاً. يعني يسبق الصيد ثم يعطف عليه فيصييده ثم قال: يجلس هذا الكلب مثل جلوس البدوي على النار: يعني أنه لعظم جثته يشبه البدوي، وجلوسه يشبه جلوسه عند الاصطلاء بالنار، وقوله: بأربع. أي يقعي بأربع قوائم مفتولة وهي في الحقيقة لم تفتل.

فتل الأيادي ربذات الأرجل

آثارها أمثالها في الجندل

الفتل: جمع أفتل. يعني أنه مفتول اليدين، وقيل: إنه جمع فتلاء، وهي التي تباعد ذراعها عن جنبها. وهي محمودة في الكلب. والأيادي: جمع الأيدي. والأيدي: جمع اليد. وربذات: أي مسرعات.
يقول: إن هذا الكلب يده على هذه الصفة. وإن رجله خفيفة سريعة الانتقال. وقوله آثارها: أي آثار هذه القوائم إذا مشى على الصخر. يعني أنها تؤثر في الحجر، وتترك فيه آثارها.

يكاد في الوثب، من التفتل

يجمع بين متنه والكلكل

وبين أعلاه وبين الأسفل

شبيه وسمي الحضار بالولي

التفتل: الالتواء. والكلكل: الصدر. والحضار: العدو.
يعني: يلتوي في وثبه حتى يكاد أن يجمع بين صدره وظهره، ورأسه وقوائمه. فآخر عدوه كأوله، لا يلحقه فتور ولا تعب. يسرع أولاً ولا يبطيء آخرا

كأنه مضبرٌ من جرول

موثقٌ على رماح ذبل

ذي ذنبٍ أجرد غير أعزل

يخط في الأرض حساب الجمل

مضبر: أي مجتمع الخلق. والجرول: الحجر. والذبل: جمع الذابل، وهو الذي أخذه الحفا، ولم يلبس. والأجرد: قصير الشعر. والأعزل: المائل في أحد شقي الجسد، وهو عيب في الخيل، والكلاب.
يقول: كأنه أحكم ونحت من الحجر، وهو موثق على قوائم طوال، مثل الرماح الذبل. ثم وصف ذنبه، بأنه قليل الشعر؛ ليكون أخف، وأنه غير أعزل؛ لأنه عيب. وقوله: يخط في الأرض قيل: إنه من فعل الذنب، أي ذنبه طويل يخط في الأرض دفعة بعد أخرى، فيمحوا في الثاني، ما يخط في الأول، كما يفعل بالحروف الحساب على التخت، وقيل: أراد أن الكلب يخط ذلك، ووجه التشبيه أن أكثر ما يخط من حروف الهند أحرف معدودة، مختلفة الصور، فشبه آثار يدي الكلب ورجيله، يمنة ويسرة، على ما فيها من الاختلاف بتلك الصور.
والجمل: أصله جمل فشدد للضرورة.

كأنه من جسمه بمعزل

لو كان يبلي السوط تحريكٌ بلي

نيل المنى، وحكم نفس المرسل

وعقلة الظبي، وحتف التتفل

تحريكٌ: مرفوع؛ لأنه فاعل يبلي والسوط مفعوله.
يقول: كان هذا الكلب؛ من سرعته بمعزل عن جسمه. أي يكاد يترك جسمه ويتميز منه لسرعته.
وقيل إن الهاء عائدة إلى الذنب، أي أن ذنبه طويل، بعيدٌ من جسمه، فكأنه في ناحية منه.
يقول: لو كان السوط يبلي من كثرة تحريكه، لكان هذا الكلب يبلى من سرعة عدوه، فكما لا يؤثر التحريك في السوط فكذلك كثرة العدو لا تؤثر فيه. فشبه جسمه لدقته وصلابته بالسوط.

وقيل: شبه ذنبه لدقته بالسوط. يعني: لو كان السوط يبلي من كثرة التحريك لكان ذنبه يبلي من كثرة تحريكه إياه.

والتتفل: ولد الثعلب. وقوله: نيل المنى: أي أن صاحبه إذا أرسله على الصيد نال مناه، وحكم لنفسه بما أراد. وهذا الكلب عقلة الظبي: أي هو للظبي بمترلة العقال، لأنه لا يمكنه من العدو، وأنه هلاك ولد الثعلب. أي لا يقدر أن يفلت منه. وهو من قول امرىء القيس:

..........قيد الأوابد هيكل

فانبريا فذين تحت القسطل

قد ضمن الآخر قتل الأول

في هبوة كلاهما لم يذهل

لا يأتلي في ترك ألا تأتلي

مقتحماً على المكان الأهوال

يخال طول البحر عرض الجدول

انبريا: أي اندفعا واعترضا. قوله فذين: أي فردين ونصبه على الحال، وأراد به الظبي والكلب. والقسطل: الغبار. والهبوة: الغبرة. أي أقبلا وظهرا للناظر يعدوان في الغبار منفردين لا ثالث معهما، وقد ضمن الآخر وهو الكلب قتل الأول وهو الغزال، لأن الكلب عدا خلف الظبي، وكل واحد منهما في وسط الغبار لم يغفل عن عدوه، بل كان مجداً فيه. الظبي للهرب. والكلب في الطلب. أي كل منهما لم يعرض له بغتة ولم يأخذه سهوة والله أعلم ولا في قوله: لا يأتلي زائدة أي لا يأتلي في ترك أن يأتلي. ونصب مقتحماً على الحال، والعامل فيه لا يأتلي. وإن شئت نصبته بما بعده. أي يخال طول البحر مقتحماً. وهذه الأبيات تصلح أن تكون للكلب ولكل من الكلب والظبي يقول: إنه لا يقصر في ترك التقصير وإنه يطرح نفسه لشدة عدوه على الأمر الأعظم الأخوف ولا يبالي، لقلة مبالاته يظن طول البحر عرض النهر الصغير فيطرح نفسه فيه.

حتى إذا قيل له نلت افعل

افتر عن مذروبةٍ كالأنصل

لا تعرف العهد بصقل الصيقل

مركباتٍ في العذاب المنزل

افتر: أي كشر. ومذروبةٍ: أي محدودة. والأنصل: جمع نصل.

يقول: حتى إذا وصل إلى الغزال وقيل له: أصبته افعل به ما شئت. كشر عن أنياب محددةٍ مصقوله كأنها النصول في الحدة، وهذه الأنياب كانت مصقولة خلقةً لا بصنعة صيقل، وإنها مركبةً في حنك شديد، كل من عضه حطمه، كأنه عذاب متزل على الغزال.

كأنـها من سرعةٍ في الشمأل

كأنـها من ثقلٍ في يذبل

كأنـها من سعةٍ في هوجل

التأنيث: للمذروبة. ويذبل: جبل. والهوجل: ما اتسع من الأرض.

شبه حنكه؛ لسرعته بالشمال وشبه شدقه بيذبل الجبل المتسع. أي كأن هذه الأنياب مركبة في الشمال، وشبه شدة عض الحنك بالجبل. أي كأن الأنياب من ثقلها مركبه في يذبل.

كأنـه من علمه بالمقتل

علم بقراط فصاد الأكحل

المقتل: يجوز أن يكون مصدراً أو اسماً للموضع الذي إذا أصيب قتل، فمعناه على المصدر: أي كأنه لعلمه بالمقتل وأراد به إراقة الدماء علم بقراط الحكيم فصد الأكحل. وعلى الاسم: أي كأنه من حذقه بالصيد واجتنابه عند العض مواضع القتل علم بقراط الحكيم فصد الأكحل. والأكحل: عرق باطن الزراع.

فحال ما للقفز للتجدل

وصار ما في جلده في المرجل

فلم يضرنا معه فقد الأجدل

التجدل: السقوط على الجدالة، وهي الأرض. والأجدل: الصقر.

يقول: فحال: أي استحال وانقلب ما للقفز: وهو الوثوب، وهي القوائم أي صارت قوائمه التي يقفز بها للسقوط، وصار ما في جلدها من اللحم في المرجل: أي ذبحناه وطبخناه بعد سلخ الجلد فلم يضرنا مع هذا الكلب فقد الصقر؛ لأنا صدنا بالكلب وحده، وذلك لأن الكلب لا يقدر على صيد الغزال إلا مع الصقر، إلا هذا الكلب.

إذا بقيت سالماً أبا علي

فالملك لله العزيز ثم لي

ختم بالدعاء له ومعناه ظاهر

قصائد بدر بن عمار

وقال يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي الطبرستاني وهو يومئذٍ على حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق:

أحلماً نرى أم زماناً جديدا   أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا؟ !

أحلماً: نصب بنرى. وأم زماناً: عطف عليه بأم. وجديدا: صفة لزمان. وقوله: أم الخلق: رفع لأن أم ها هنا منقطعة، والأولى متصلة.

يقول: إن ما أرى من صفات هذا الممدوح وأفعاله عجب أنراه في المنام لبعده عن العادة، أم هذا زمان جديد، غير ما كان من قبل؛ لأننا نرى فيه ما لم يعهد في زمانٍ قبله! أم الناس قد أعيدوا في شخصٍ واحد؟!

تجلى لنا فأضانا به   كأنا نجومٌ لقينا سعودا

تجلى: أي ظهر. فأضانا به: أي صرنا مضيئين به. وهو فعل لازم وأضاء يلزم ويتعدى.

يقول: ظهر لنا هذا الممدوح، فعلا نوره وشرفه حتى أنرنا به، ولما ظهر كنا كأنا النجوم لقينا سعوداً فحسن بنوره وبركته.

رأينا ببدرٍ وآبائه   لبدر ولوداً، وبدراً وليدا

أراد بالبدر الأول: الممدوح. والثاني: هو القمر. وبدراً ولوداً ووليداً: نصب برأينا. واللام في قوله لبدر: لام المفعول إذا قدم على الفعل كقوله تعالى: "إن كنتم للرؤيا تعبرون" أي إن كنتم تعبرون للرؤيا.

يقول: لما رأينا بدراً وهو الممدوح وأباه، لأن أباه قد ولد بدراً، ورأينا بدراً قد ولد، وهذا غير معهود في العالم أن يكون البدر والد البدر. جعله بدراً في الحقيقة ثم تعجب من كونه مولوداً!

طلبنا رضاه بترك الذي   رضينا، له فتركنا السجودا

يقول: رضينا أن نسجد له؛ إعظاماً، فكره هو ذلك وأنكر منا السجود له، ولم يرضه. وطلبنا رضاه بترك السجود؛ موافقة وإيثاراً لرضاه على رضانا.

أميرٌ أميرٌ عليه الندى　　　جوادٌ، بخيلٌ بألا يجودا

هذا كقول أبي تمام:

ألا إن الندى أضحى أميراً　　　على مال الأمير أبي الحسين

يقول: هو أمير على الناس، والسخاء أمير عليه؛ لأنه يطيع أمره، فهو أبداً جواد لا يعدل عنه. وهو بخيل بألا يجود: أي بخيل. بترك الجود وهذا غاية الجود.

يحدث عن فضله مكرهاً　　　كأن له منه قلباً حسوداً

يقول: هو يكره أن يحدث عنه بما فيه من الفضل؛ تنزهاً عن الكبر، فمتى حدث عنه فضله حدث مكرهاً عليه من غير اختيار منه، حتى كأن نفسه تحسده فلا تحب أن تسمع ثناءه، كما لا يحب الحاسد ذلك.

ويقدم إلا على أن يفر　　　ويقدر إلا على أن يزيدا

أقدم على الأمر: إذا دخل فيه غير خائف منه.

يعني: أنه شجاع يقدم على كل أمر صعب إلا على زيادةٍ من مجده وعلو محله، فلا نهاية فوقه ولا يقدر عليه.

كأن نوالك بعض القضاء　　　فما تعط منه نجده جدودا

يقول: إنك إذا أعطيت إنساناً صار له بنوالك جد في الناس، وحظ من السعادة، فكأن عطاءك بعض القضاء حيث أنه يسعد كما يسعد بالقضاء.

وربتما حملةٍ في الوغى　　　رددت بها الذبل السمر سودا

رب وربما وربت وربتما: لغات كثم وثمت وما زائدة.

يقول: رب حملة لك في الحرب، فرجعت ورماحك السمر صاروا سوداً من الدم الذي جف عليها.

وهولٍ كشفت ونصلٍ قصفت　　　ورمح تركت مباداً مبيدا

النصل: حديد السيف من غير قائم، وكذلك من الرمح والسهم والسكين.

يقول: ورب هول كشفته عن أوليائك في الحروب وغيرها، ورب سيف كسرته في أعدائك، ورب رمحٍ كسرته في طعنك العدو بعد أن قتلته فتركته مباداً مبيدا: أي مكسوراً وكاسراً لمن طعن به.

ومالٍ وهبت بلا موعدٍ وقرنٍ سبقت إليه الوعيدا

يقول: رب مال وهبت ابتداء من غير وعد يتقدمه، ورب قرن: أي عدو، سبقت الوعيد إليه: أي قتلته قبل أن أوعدته وهددته.

بهجر سيوفك أغمادها تمني الطلى أن تكون الغمودا

الطلى: جمع طلية، وهي صفحة العنق. والباء في هجر سيوفك أي بسبب هجر سيوفك.

يقول: إذا فارقت سيوفك الأغماد لا تعود إليها، وتنتقل من هامٍ إلى هام من رقاب أعدائك، فهي تتمنى أن تكون أغماداً لسيوفك حتى لا تسيئها ولا تضرها، وقيل: أراد أنها تتمنى أن تكون غموداً لسيوفك ومن جملة قتلاك؛ لعلمها أن أعداءك إذا ماتوا بسيوفك كان ذلك فخراً لهم.

إلى الهام تصدر عن مثله ترى صدراً عن ورود ورودا

الهاء في مثله للهام، فرده إلى اللفظ.

يقول: ترد هذه السيوف الهام بعد صدورها عن هام آخر، فيصير الصدور عن ورود الهام، فهي أبداً صادرة واردة. وقوله: ترى فعل السيوف ويجوز أن يكون للخطاب. والورود: الإتيان: والصدور: الرجوع.

قتلت نفوس العدى بالحدي د حتى قتلت بهن الحديدا

الكناية في بهن للنفوس. يقول: قتلت العدى بالسلاح حتى كسرت السلاح في الأعداء مثل قوله:

ورمح تركت مباداً مبيدا

وقوله:

القاتل السيف في جسم القتيل

ومثله لأبي تمام:

وما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها ثم انثنى فتقطعا

فأنفدت من عيشهن البقاء وأبقيت مما ملكت النفودا

طابق بين أنفدت وأبقيت.

يقول: أفنيت من نفوس العدا البقاء، حتى عدمت وفنيت، وأبقيت مما ملكت النفوذ. أي أفنيت أعداءك بالقتل ومالك بالبذل.

كأنك بالفقر تبغي الغنى وبالموت في الحرب تبغي الخلودا

يقول: كأنك تبغي البقاء والخلود. بالموت في الحرب، والغنى بالفقر! يعني: أنت تحرص على إتلاف مالك في الجود. ونفسك في الحرب، فكأنك ترى غناك في الفقر، وخلودك في الموت.

خلائق، تهدي إلى ربها وآية مجدٍ أراها العبيدا

خلائق: خبر ابتداء محذوف، أي هذه الأفعال خلائق. وربها: قيل هو الممدوح وقيل: هو الله تعالى، وأراها وفعل الله تعالى أو الممدوح يقول: هذه الأفعال خلائق غريبة تدل على صاحبها. الذي هو الممدوح. علامة مجد، أراها الممدوح الذي هو ربها، أي أعلمها العبيد، أي الذين أنفسهم أنفس العبيد، وأراد سائر الناس. وعلى الوجه الآخر: أنها تدل على الله تعالى أنه مجد، أظهرها الله تعالى لعباده لتدل على قدرته.

مهذبةٌ حلوةٌ مرةٌ حقرنا البحار بها والأسودا

يقول: هذه خلائق مهذبة. أي مخلصة من كل عيب، وهي حلوة لأحبابه، ومرةٌ لأعدائه. وقيل. حلوة: أي كل أحد يستحلها ويستحسنها. ومرةً: أي لا يمكن الوصول إليها لصعوبتها، ولما فيها من بذل المال والمخاطرة بالنفس، حتى إذا قيست البحار إليها حقرت، وكذلك الأسود حقيرة؛ لما له من السخاء والشجاعة.

بعيدٌ على قربها وصفها تغول الظنون وتنضي القصيدا

تغول: يعني تهلك، يقال: غالته غول: أي أهلكته. وتنضي: أي تهزل.

يقول: هذه الخلائق قريبة منا، نشاهدها ولكن وصفها بعيد؛ لأنا لا ندرك غورها، فظنوننا تهلك قبل الإحاطة بها، وأشعارنا تعجز عن استيفائها. وهو المراد بقوله: وتنضي القصيد أي تعجزها.

فأنت وحيد بني آدمٍ ولست لفقد نظيرٍ وحيدا

يقول: أنت أوحد بني آدم؛ لفضلك وقصور الناس عن محلك، لا لأنه كان لك نظير ففقدته لأنه مات وانقضى فبقيت وحيداً، بل أنت مع وجود الخلق كلهم بلا نظير، وضد ذلك قول الشاعر:

خلت الديار فسدت غير مدافع ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

وقال أيضاً فيه وقد فصده الطبيب من أجل علة فغرق المبضع فوق حقه فأضر به ذلك:

أبعد نأي المليحة البخل ... في البعد ما لا تكلف الإبل

وروى مكان المليحة البخيلة ومكان قوله: في البعد في البخل يقول: أبعد بعد المحبوبة البخل: أي أن بخلها على محبها أشد عليه من بعدها لأنه بعدٌ لا يحتاج معه إلى تكليف الإبل مشقة السير. ومثله قول أبو تمام:

لا أظلم البين قد كانت خلائقها ... من قبل وشك النوى عندي نوىً قذفا

غير أن أبا الطيب ذكر هذا المعنى في المصراع الأول، وزاد مثلاً آخر في المصراع الثاني.

ملولةٌ ما يدوم ليس لها ... من مللٍ دائم بها ملل

الهاء في ملولة للمبالغة؛ إلحاقاً لها بالأسماء، كالمحمولة والمركوبة والحلوبة، ولو جعله وصفاً لكان بغيرها؛ لأن فعولاً إذا كان صفةً لا يلحقها علامة التأنيث نحو: امرأة صبور وشكور. وما بمعنى الذي، موضعه نصب. أي تمل الذي يدوم. ويجوز أن تكون بمعنى شيء أي تمل كل شيء يدوم، ومللها دائم، فليس لها من مللها الدائم ملل. وكان القياس أن تمله كما تمل كل شيء يدوم.

وروى. بالتاء فما تكون للنفي ومعناه: أنها ملولة لا تدوم على حالة واحدة؛ فتكون تأكيداً لقوله ملولة ومثل هذا البيت قول بعض المتأخرين:

إن خلف الميعاد منك طبيعةٌ ... فعدينا إذا تفضلت هجرا

يعني: أن من عادتك إخلاف وعدك، فتفضلي وعدينا بالهجر؛ لتجري على طبيعتك فتخلفي وعدك فتصلينا خلافاً لوعدك.

كأنما قدها إذا انفتلت ... سكران من خمر طرفها ثمل

انفتلت: أي تثنت، والتوت. وقيل: إذا التفتت.

يقول: كأن هذه المرأة حين تثني قدها سكران من خمر طرفها. وهذا يتضمن وصفها بالتبختر، ووصف عينيها بالملاحة.

يجذبها تحت خصرها عجزٌ ... كأنه من فراقها وجل

الهاء في كأنه للعجز. والوجل: الخائف. وتحت خصرها: نصب على الظرف. ويجوز أن يكون حالاً من النكرة. أي يجذبها عجز كائن تحت خصرها، فلما تقدم نصب على الحال.

يقول: خصرها دقيق، وعجزها غليظ، فإذا أرادت النهوض جذبها عجزها وأمسكها، كأنه يخاف انفصالها عنه فهو متعلق بها كما يتعلق الرجل بذيل صاحبه إذا خاف نهوضه كما قال الآخر:

فقعودها مثنى إذا قعدت وقيامها فرداً إذا نـهضت

أي إنها إذا أرادت القيام جذبها ثقل ردفها مرة أخرى.

بي حر شوقٍ إلى ترشفها ينفصل الصبر حين يتصل

يتصل الفعل بحر الشوق.

يقول: بي حر شوق إلى مص ريق هذه المرأة، متى اتصل هذا الحر والشوق ينفصل عني الصبر. وقيل: إن يتصل فعل الترشف، كأنه يقول: متى اتصل الترشف ووجدت إليه سبيلاً انفصل صبري وزاد حر الشوق لاستطابة الريق والإشفاق من انقطاعه.

الثغر والنحر والمخلخل وال معصم دائي والفاحم الرجل

الثغر: السن ما دامت نابتة في الفم. والنحر: الصدر. والمخلخل: الساق وهو موضع الخلخال. والمعصم: الذراع. والفاحم: الشعر الأسود. والرجل: بين الجعد والسبط.

ومهمةٍ جبته على قدمي تعجز عنه العرامس الذلل

المهمة: المفازة. جبته: أي قطعته. وعرامس: جمع عرمس، وهي الناقة القوية الصلبة. والذلول: ضد الصعبة.

يقول: رب فلاةٍ قطعتها على قدمي، وكانت بحيث يعجز عن قطعها الإبل القوية المعودة السير والركوب. يفضل نفسه عليها.

بصارمي مرتدٍ، بمخبرتي مجتزىءٌ بالظلام مشتمل

مرتدٍ: أي متقلد. ومخبرتي: بخبرتي: مشتمل أي ملتحفٌ وروى متشحٌ أي متزين. وقوله: بالظلام مشتمل أي ملتحف. وقوله: بصارمي مرتد في موضع الحال ومجتزىء، أي قطعته وأنا كذلك، وكذلك ما بعده إلى آخر البيت، ولو نصبته على الحال لجاز، ولكنه أضمر المبتدأ وجعل قوله: مرتد خبره والجملة في موضوع النصب على الحال.

يقول واصفاً نفسه بجرأة القلب، والهداية لمعرفة المفاوز: ورب مهمة سرت فيها ليلاً وقطعتها وحدي

راجلاً لا يصحبني أحد غير سيفي، ولا دليل يدلني إلا معرفتي وخبرتي، وقد اشتملت الظلام وأقمته مقام اللحاف.

إذا صديقٌ نكرت جانبه   لم تعيني في فراقه الحيل

نكرت وأنكرت بمعنىً واحد. وقوله: لم تعيني أي لم يتعذر علي. والحيل رفع لأنه فاعل لم تعيني.
يقول: إذا رأيت من صديقي ما كرهت لم يصعب علي الاحتيال في فراقه. أي أني أفارقه وأسير عنه.
ومثله لجرير:

سريعٌ إذا لم أرض داري خياليا

في سعة الخافقين مضطربٌ   وفي بلادٍ من أختها بدل

الخافقان: جانبا الأرض بين المشرق والمغرب؛ سميا بذلك لوجود الخلق بينهما، ذهابهم ومجيئهم
والمضطرب: يجوز أن يكون بمعنى الاضطراب، وأن يكون اسماً لمكان الاضطراب.
يقول: إذا ضاق بي مكان رحلت عنه إلى غيره؛ لأن في سعة الأرض مكانٌ غيره، ويقوم بدل مكان البلد الأول والهاء في أختها للبلد وروى أمثاله من الأشعار كثيرة منها:

ولله أرضٌ ذات طوالٍ عريضةٌ   إذا ذل منها جانبٌ عز جانب

ومثله قول البحتري:

شرق وغرب تجد من معرضٍ   فالأرض من تربة والناس من رجل

ومثله:

وفي الناس إن رثت حبالك واصلٌ   وفي الأرض عن دار القلى متحول

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: "وأرض الله واسعة" وقوله: "ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها".

وفي اعتماد الأمير بدر بن عما   رٍ عن الشغل بالورى شغل

الاعتماد: يجوز أن يكون من قولك: اعتمدت فلاناً إذا استعنت به، كأنك جعلته عماداً لك. ويجوز: افتعالاً من عمدت الشيء، إذا قصدته.
يقول: إن اعتمادي بدراً أشغلني عن كل أحد، فلا أبالي بصديق إذا تغير عني وتقديره: في اعتماد الأمير بدر بن عمار شغلٌ لي شغلني عن الورى.

أصبح مالاً كماله لذوي ال   حاجة لا يبتدي ولا يسل

يقول: أصبح مالا معداً لذوي الحاجة يتناولونه فهو للمحتاجين، كماله له، فكما أنه إذا أراد ماله لم يحتج إلى ابتداء من معط، ولا إلى مسألة، فكذلك المحتاجون يأخذون ويتصرفون فيه متى شاءوا فهو لا يبتدىء بهم بالعطاء، لأنه لا يحزن المال دونهم ولا يسأل، لأنه لا يحتاج إلى ذلك.

وقيل: أراد أنه أصبح مالاً كماله. على معنى: كما أن ماله لا يستأذن الواردون في أخذه، فلا يكون منه ابتداء بالدفع ولا سؤال من الوارد، فكذلك نفسه مبذولة لهم.

هان على قلبه الزمان فما يبين فيه غمٌّ ولا جذل

يكاد من طاعة الحمام له يقتل من ما دنا له أجل

هان: أي سهل، من قولهم: هذا أمر هين.

يقول: إنه يحتقر الزمان، فلا يحزن لإدباره، ولا يفرح بإقباله. بل غرضه فعل الجميل، لاقتناء الثناء الجزيل.

وقوله: طاعة الحمام له. الهاء في: له الأولى للمدوح، وفي له الثانية: ترجع إلى من.

يقول: إن الموت يطيعه حتى أنه لفرط طاعته يقرب أن يقتل من لم يحن أجله.

يكاد من صحة العزيمة، ما يفعل قبل الفعال ينفعل

يقول: إنه صحيح العزم، فمن صحة عزمه إذا هم بأمر قارب أن يكون ذلك الفعل، قبل أن يفعله.

تعرف في عينه حقائقه كأنه بالذكاء مكتحل

يقول: إنك إذا نظرت إليه تعرف حقيقته المختصة به في عينه؛ لظهور أثرها عليه، فكأنه قد اكتحل بالذكاء والفطنة، وهذا من قوله تعالى: "سيماهم في وجوههم" وفي المثل: إن الجواد عينه فراره ويجوز أن تكون العين بمعنى النفس. ويجوز أن تكون العين بمعنى الرؤية.

أشفق عند اتقاد فكرته عليه منها أخاف يشتعل

الهاء في عليه: للممدوح وفي منها للفكرة.

يقول: أخاف من حدة فكرته، أن يشتعل من حرارتها، لأن الذكي والفطن يوصف بأنه متقد القلب.

أغر، أعداؤه إذا سلموا بالهرب استكرثوا الذي فعلوا

روى استكبروا واستكثروا.

أغر: أي أبيض الوجه، صيغته تتعدى إلى مفعولين. أو معروف مشهور كالغرة في الفرس. ثم ابتدأ فقال: أعداؤه إذا سلموا منه بالهرب، استعظموا ذلك من أنفسهم.

يقبلهم وجه كل سابحةٍ أربعها قبل طرفها تصل

يقبلهم: من قولهم: أقبلتهم وجه الخيل، فيتعدى إلى مفعولين، ومنه:

وأقبلت أفواه العرق المكاويا

وقيل: أراد يقبل عليهم بوجه، فحذف حرف الجر ضرورة. وأربعها: قوائمها الأربع، والتأنيث للسابحة.

يقول: إنه يستقبل أعداءه بوجه كل فرس سابحة، من سرعة عدوها تصل قوائمها إليهم قبل وصول طرفها إليهم، يعني أنها إذا نظرت إليهم وصلت قوائمها قبل طرفها.

جرداء ملء الحزام مجفرةٍ تكون مثلى عسيبها الخصل

جرداء: أي قصيرة شعر الحافر. وقيل: هي المتجردة من الخيل لتقدمها. ومجفرة: أي عظيمة البطن لملء حزامها. والعسيب: العظم الذي عليه شعر الذنب، ويستحب قصره. والخصل: جمع خصلة وهي القطعة من الشعر. يعني: إن عظم ذنبه قصير، وشعره طويل.

إن أدبرت قلت: لا تليل لها أو أقبلت قلت: ما لها كفل !

التليل: العنق.

يقول: إنها مشرفة العنق ممتلئة الكفل، فإذا أقبلت عليك حال عنقها بينها وبين كفلها حتى ظننت أنه لا كفل لها، وإذا أدبرت حال ردفها بينك وبين عنقها، حتى ظننت أنه لا عنق لها. وهذا محمود فيها.

والطعن شزرٌ والأرض واجفةٌ كأنما في فؤادها وهل

روى: واجفة، وراجفة، ومعناهما واحد: وهو الاضطراب. والوهل: الخوف. والواو في والطعن. للحال والهاء في فؤادها: للأرض.

يقول: إنه يقبل على أعدائه بخيل، والطعن شزرٌ والأرض مضطربة، حتى كأن في قلبها فزع لشدة الارتعاد.

قد صبغت خدها الدماء كما يصبغ خد الخريدة الخجل

الخريدة: الحبيبة. والخجل: فتور يصيب المرأة عند الاستحياء. والهاء في خدها: راجعة إلى السابحة، وقيل إلى الأرض. ومعناه على الأول: إن الدماء قد صبغت خد السابحة، ولا تفزع ولا تنفر، كما يصبغ خد الجارية الحبيبة. الخجل؛ لأنه يولد الحمرة في الوجه. وهذا من قول امرىء القيس:

كأن دماء الهاديات بنحرها ... عصارة حناءٍ بشيبٍ مرجل

وعلى الثاني: أراد أن الأرض قد احمرت بالدم، مثل احمرار خد الجارية بالخجل. وقوله: خد الأرض. استعارة.

والخيل تبكي جلودها عرقاً ... بأدمع ما تسحها مقل

ما تسحها: أي ما تصبها. والمقلة: شحمة العين التي تجمع البياض في السواد. أراد أن الخيل تسيل عرقها من شدة عدوها، وشبه العرق بالدمع، وشبه جلود الخيل بالعيون، وهذا التشبيه حسن؛ لأن الدمع والعرق لا يكونان إلا من الشدة.

سار ولا قفر من مواكبه ... كأنما كل سبسبٍ جبل

روى: سار. وتقديره: وهو سار. والقفر: المكان الخالي. والسبسب: الفضاء الواسع يقول: إنه إذا سار ملأ الدنيا خيلاً ورجالاً، فلا يكون موضعٌ خالٍ من مواكبه؛ لكثرة جيشه، فتصير المفاوز بمترلة الجبل لكثرة جيشه وكثرة سلاحهم.

يمنعها أن يصيبها مطرٌ ... شدة ما قد تضايق الأسل

الهاء في يمنعها ويصيبها: للمواكب. والأسل: الرماح. وفاعل يمنعها: شدة. وفاعل يصيبها: المطر. يقول: إن الرماح تضامت وتضايقت حتى حالت بين الخيل وبين المطر فمنعها تضايقها أن يصيبها المطر.

يا بدر يا بحر يا غمامة يا ... ليث الشرى يا حمام يا رجل

وروى: يا همام.

يقول: مع هذه الأوصاف المذكورة أنت رجل في الحقيقة. والشرى: موضع بعينه توصف أسوده بالجرأة.

إن البنان الذي تقلبه ... عندك في كل موضع مثل

قوله عندك لا فائدة فيه إلا تمام البيت.

يقول: إن البنان الذي تقلبه بالسخاء هو مثلٌ مضروب في كل موضع، أي: إن الناس يضربون المثل في الجود ببنانك.

إنك من معشرٍ إذا وهبوا ... ما دون أعمارهم فقد بخلوا

المعشر: مفعل من المعاشرة، وهو الاجتماع والمخالطة.

يقول: إنك من قوم كرام، لا يعدون الجود إلا بذل الأعمار، فإذا وهبوا ما دون الأعمار، فقد بخلوا عند أنفسهم.

قلوبهم في مضاءٍ ما امتشقوا ... قاماتهم في تمام ما اعتقلوا

الامتشاق: قيل هو استلال السيف. وقيل التقلد به.

يقول: إن قلوبهم في المضاء مثل سيوفهم المستلة، وقاماتهم في الطول مثل رماحهم المعتقلة.

أنت نقيض اسمه إذا اختلفت ... قواضب الهند والقنا الذبل

أنت لعمري البدر المنير ولكنك ... في حومة الوغى زحل

القواضب: القواطع. وقوله: نقيض اسمه أي أنك بدر تضيء الدنيا، ولكنك في الحرب تستحيل زحلاً على أعدائك وتصير ظلمة عليهم ونحساً لهم مثل زحل.

كتيبةٌ لست ربها نفلٌ ... وبلدةٌ لست حليها عطل

النف: الغنيمة. والعطل: التي لا حلي عليها.

يقول: كل كتيبة لست صاحبها فهي غنيمة لأعدائها، وكل بلدة لست واليها، فهي عطل: أي لا عدل فيها. يعني: أن الجيوش لا تمنع إلا بك، والبلاد لا تتزين إلا بعدلك.

قصدت من شرقها ومغربها ... حتى اشتكتك الركاب والسبل

أي قصدت من شرق الأرض ومغربها، فأضمر الأرض وإن لم يجر لها ذكر لتقدم العلم بها كقوله تعالى: "ما ترك على ظهرها من دابة".

يقول: كثر القصد إليك من نواحي الأرض شرقها وغربها، حتى اشتكتك الركاب والسبل؛ لكثرة سير القصاد عليها إليك، وركوبهم عليها. ومثله قول أبي العتاهية.

إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سباسباً ورمالا

لم تبق إلا قليل عافيةٍ قد وفدت تجتديكها العلل

تجتديكها: أي تطلبها منك، والهاء: للعافية.

يقول: إنك وهبت جميع مالك، فلم يبق لك إلا قليل عافية في بدنك؛ وعلمت العلل بسخائك فقصدتك تسأل العافية منك؛ وإنما قال: قليل العافية، لأنه أراد أنه كثير التعب في طلب المكارم وحمل المغارم، فلم يبق من العافية إلا السلامة من المرض فقط.

عذر الملومين فيك أنهما آسٍ جبانٌ ومبضعٌ بطل

كان الطبيب فصده فغرق المبضع في ذراعه، فذكر أبو الطيب عذرهما، وأراد بالملومين: الطبيب والمبضع. فقال: إن عذرهما. أنه كان جباناً ومبضعه جريئاً؛ فلما أراد فصده دهش فلم يمكنه ضبط مبضعه فغاص في العرق فوق الواجب، وليس من واحد منهما ذنبٌ.

مددت في راحة الطبيب يداً وما درى كيف يقطع الأمل

يعتذر عن الطبيب ويقول: إن صناعة الطبيب فصد العروق، لا قطع الآمال، ويدك معدن الآمال، وقد أمرته بقطع الآمال، ولا عهد له بذلك، فاعذره على غلطه. ومثله لابن المعتز:

يا فاصداً ليدٍ جلت أياديها ونال منها الذي يرجوه راجيها

يد الندى هي فارفق لا ترق دمها فإن أرزاق طلاب الندى فيها

إن يكن النفع ضر باطنها فربما ضر ظهرها القبل

النفع: أراد به الفصد؛ لأن العافية تعود إليه.

يقول: إن كان الفصد ضر باطن يدك فطالما ضر ظهرها تقبيل الناس. أراد أنها لدقتها ولطافتها يؤثر فيها التقبيل. ومثله لابن الرومي:

فامدد إلي يداً تعود بطنها بذل النوال وظهرها التقبيلا

ومثله قول أبي تمام:

تقبل الركن ركن البيت نافلةً وظهر كفك موقوفٌ على القبل

يشق في عرقها الفصاد ولا يشق في عرق جودها العذل

الفصاد: مصدر كالفصد.

يقول: إن كان الفصد يشق عرق يدك ويؤثر فيه، فإن عرق جودها لا يؤثر فيه اللوم.

خامره إذ مددتها جزعٌ كأنه من حذاقةٍ عجل

الهاء في خامره: للطبيب، وقيل للمبضع. ومعناه. خالطه. العجل: المستعجل.

يقول: لما مددت يدك إلى الطبيب، أخذته هيبة فدهش، وأخذه الجزع فأداه حذقه إلى الاستعجال، فتجاوز الحد وأفرط فيه، فكأنه من حذاقته مستعجل.

جاز حدود اجتهاده فأتى | غير اجتهادٍ لأمه الهبل

الهبل: الثكل: وهو موت الولد. أي جاوز الحد فغلط. ثم دعا عليه أنه يفقد.

أبلغ ما يطلب النجاح به الطب | ع وعند التعمق الزلل

النجاح: الظفر. والتعمق: التكلف وتناهي الحد.

يقول: إن الإنسان إنما يظفر بمراده إذا جرى على طبعه، فإذا تكلف أد إلى الغلط والزلل.

إرث لها إنها بما ملكت | وبالذي قد أسلت تنهمل

يقول: ارحم يدك فإنها تنهمل بما تملكه من الأموال، وبالدم الذي قد أسلته منها، فلا تجمع عليها سلب الأموال وإسالة الدم فيضر ذلك بها.

مثلك يا بدر لا يكون، ولا | تصلح إلا لمثلك الدول

يقول: مثلك غير موجود، ولا يوجد في المستقبل، ولا تصلح الدولة إلا لمثلك، فإن لم يكن أحد مثلك فالملك لا يستحقه أحد غيرك أبداً.

وقال أيضاً في بدر بن عمارٍ يمدحه:

بقائي شاء ليس هم، ارتحالا | وحسن الصبر زموالا الجمالا

ارتحالا: نصب بشآء، وفاعله: ضمير بقائي. وحسن الصبر: نصب بزموا. والجمال: عطف عليه، وليس: بمعنى: لا وأنه ليس له خبر.

وقيل. اسم ليس: مضمر. وهم: خبره. وقيل. اسمه: هم. غير أنه استعمل الضمير المنفصل في موضع المتصل. قوله. زموا: أي أمسكوا الجمال وحبسوها ليركبوها ويحملو عليها ومثله لأبي تمام:

قالوا الرحيل؛ فما شككت بأنه | نفسي عن الدنيا تريد رحيلا

تولوا بغتةً فكأن بيناً | تهيبني ففاجأني اغتيالا

البغتة، والفجاءة، والاغتيال متقاربة برحيلهم قبل وقوعه، فكأن البين كان يخاف مني أن يجاهرني بالإقدام علي، فهجم علي وأنا غافلٌ عنه. فقوله: تهيبني من ألفاظ الفخر استعمله في الغزل.

فكان مسير عيسهم ذميلاً | وسير الدمع إثرهم انهمالا

الذميل: ضرب من السير السريع. وروى: عيرهم.
قال ابن جنى: معناه أن مسير إبلهم كان ذميلاً. وهو السير المتوسط. وسير دمعي انهمالا يعني: أن دمعي سبق عيسهم، فكان سيره أسرع من سير عيسهم. وقيل: إن معناه أن دمعي كان يباري إبلهم فالإبل تسرع السير، والدمع يسرع. وهو الصحيح، لأن الذميل هو السير السريع. كذا ذكره ابن السكيت.

كأن العيس كانت فوق جفني ... مناخاةٍ فلما ثرن سالا

وروى: فلما سرن. مناخاة: أي باركات. يقال: أنخته فبرك، ولا يقال: ناخ. وثار البعير يثور: إذا نهض من مبركه. وسالا: من سال سيلاً فاعله: ضمير الدمع.
يقول: كأن العيس سائرات، كانت فوق جفني مناخة، قد سدت مجاري الدمع وحبسته من السيلان، فلما نهضت عن جفنه عند سيرهن، سال الدمع المحبوس. وهذا من بدائع ما ذكره أبو الطيب.

وحجبت النوى الظبيات عني ... فساعدت البراقع والحجالا

الظبيات، بتحريك الباء، جمع ظبية، نحو جفنة وجفنات. ويجوز الإسكان. والتأنيث: للنوى؛ لأنها مؤنثة. والحجال: جمع حجلة.
يقول: لما ارتحلوا حجبت النوى هذه النساء اللواتي هن كالظبيات عني ورافقت هذه النوى البراقع والحجال، فكما كانت البراقع والهوادج تسترهن، فكذلك النوى، سترهن عني، فاتفقا من هذا الوجه.
وقيل: إن مساعدتهما هو أن البراقع والهوادج إنما يحصل لهن عند إرادتهن الارتحال، وهو وقت النوى، فكأن النوى ساعدت البراقع والحجال حيث إنهما يكونان معاً.

لبسن الوشي لا متجملاتٍ ... ولكن كي يصن به الجمالا

نصب متجملات على الحال. والمتجمل: من يتكلف التجمل. المعنى: أنهن لبسن ثياب الوشي والديباج، لا لاجتلاب الحسن واكتساب الجمال؛ ولكن لبسنه ليسترن حسنهن ويصن جمالهن. وقيل: أراد أنهن يلبسن ذلك صيانةً لجمالهن من العيون.

وضفرن الغدائر لا لحسنٍ ... ولكن خفن في الشعر الضلالا

الضفر: الفتل. والغدائر: جمع غديرة، وهي الذؤابة، وسميت غديرة؛ لأنها غودرت حتى طالت. والضلال: الضياع.

المعنى: أَنهن لا يضفرن شعورهن ويضعن فيها؛ لطولها وكثافتها ووفورها.
وقيل: أراد أنهن خفن ضلال الناس في شعورهن.
وفيه وجهان: أحدهما: أن الدنيا تصير مظلمة من سواد شعورهن، فيضل الناس عن الطريق حضراً وسفراً، فإذا ضفرنها تظهر لهم وجوههن، فيغلب ضياء الوجوه سواد الشعور، فلا يضلون.
والثاني: أن الناس يضلون عن الدين؛ افتتاناً بهن وبحسن شعورهن، فإذا ضفرنها صار الأمر أهون؛ لأنه لا يكاد يتبين فيه الجعودة. التي هي غاية حسن الشعر.

بجسمي من برته فلو أصارت ... وشاحي ثقب لؤلؤةٍ لجالا

جال: فعل الجسم، والثقب. أنث قوله: من برته رداً إلى المعنى، لأن من يقع على المذكر والمؤنث. ولو قال: براه لجاز. والهاء فيه عائدة إلى الجسم. والوشاح ها هنا النطاق.
يقول: جسمي فداء المرأة التي برت جسمي وأنحلته، حتى لو جعلت ثقب لؤلؤة وشاحي: أي لو توشحت بلؤلؤة، لجال جسمي في ثقبها؛ لدقته ونحوله. وجال: فعل الجسم، وفعل الثقب.

ولولا أنني في غير نومٍ ... لبت أظنني مني خيالا

يقول: ذبت حتى صرت كالخيال، الذي لا حقيقة له، لا أنام بالليل؛ لما بي من الوجد، ولو كنت ممن أنام، ثم رأيت جسمي في النوم، لقدرته خيالاً لا حقيقة له، وقيل: معناه لولا أنني متيقظ لظننت نفسي الخيال، الذي يرى في النوم.

بدت قمراً، ومالت خوط بانٍ، ... وفاحت عنبراً، ورنت غزالا

رنت: نظرت. ونصب قمراً وما بعده: على الحال، لأنه أقام اسم الجنس مقام الصفة، فإذا جاز أن يكون صفة، جاز أن يكون حالاً.
ومعناه: بدت منيرةً كالقمر. أي وجهها. ومالت لينة الأعطاف كالغصن: وأراد به القامة. وفاحت زكية كالعنبر، ورنت كحلاء الجفون كالغزال. ومثل هذا قول بعض المتأخرين وهو قوله:

سفرن بدوراً، وانتقبن أهلةً ... وفحن عبيراً والتفتن جآذرا
كأن الحزن مشغوفٌ بقلبي ... فساعة هجرها تجد الوصالا

مشغوف: أي ممتليء، من شغفه الحب إذا ملأه. والهاء في هجرها للمحبوبة.
يقول: إنها كلما هجرتني واصلني الحزن، فكأنه عاشقٌ لقلبي، كما أعشقها، فلا يجد الحزن سبيلاً إلى قلبي إلا عند هجرانها، فمتى هجرتني واصلني الحزن والكمد.

كذا الدنيا على من كان قبلي — صروفٌ لم يدمن عليه حالا

روى: يدمن فيكون حالاً منصوباً به. وروى: يدمن. وحالاً: نصب على التمييز. أي لم تزل الدنيا على هذه الحال مذ كانت، لا تثبت صروفها على حالٍ واحد.
يقول: كما أنها لا تدوم لي على حالة واحدة، فكذلك كان حالها مع غيري من الناس الذين قبلي.

أشد الغم عندي في سرور — تيقن عنه صاحبه انتقالا

وروى: أشد الغم في الدنيا سرور. والهاء في عنه: للسرور. وكذلك في صاحبه.
يقول: لا أغتر لسرور الدنيا؛ لعلمي بزوالها، فكل سرور يتيقن صاحبه زواله عنه، فهو أشد الغم عندي؛ لأن العاقل لا يفرح بما تئول عاقبته إلى الحزن والزوال.

ألفت ترحلي وجعلت أرضي — قتودي والغريري الجلالا

القتود: خشب الرحل. والغريري: فحلٌ منسوب إلى غرير والجلال: مبالغة في الجليل، وهو عظيم الجسم.
يقول: ألفت الرحيل، وجعلت أرضي ظهر البعير، وخشب الرحل، لا أنقلب عنه لكثرة أسفاري وشدة ملازمتي له.

فما حاولت في أرضٍ مقاماً — ولا أزمعت عن أرضٍ زوالا

أزمعت: أي عزمت.
يقول: ما أقمت في مكانٍ، لأني متنقل من أرض إلى أرض. ولا زلت عن أرض: أي عن ظهر البعير. الذي جعله كالأرض، يمسي ويصبح عليه، فإذا كان كذلك، فلم يقم عن الأرض الحقيقية، ولا زال عن الأرض المستعارة. وهي ظهر البعير.
وقيل: ليست هذه كناية عن إدامة السفر؛ لأنه إذا لم يقم في موضع، فلا يحتاج إلى الإزماع لزواله عنها ورحيله منها.

على قلقٍ كأن الريح تحتي — أوجهها جنوباً أو شمالا

روى: على قلق: أي أنا على الاضطراب، والتحرك. وروى: على قلقٍ. أي على بعير قلقٍ سريع السير. وروى: يميناً أو شمالاً.

يقول: لم أزل أقلق في السير حتى كأني راكبٌ متن الريح، أصرفها كيف أشاء. مرة جنوباً ومرة شمالاً، والشمال تأتي من شمالك إذا استقبلت القبلة والجنوب تقابلها.

إلى بدر بن عمار الذي لم   يكن في غرة الشهر الهلالا

وروى: إلى البدر. ومثله من الأسماء، حسنٌ. والحسن والعباس. وحذف التنوين من عمار؛ لسكونها وسكون اللام الأولى من الذي. ويجوز أن يكون جعله اسماً لقبيلةٍ فلم يصرفه.

يقول: لم أزل أتقلب في الأسفار حتى وصلت إلى بدر بن عمار، الذي لم يزل بدراً كاملاً، ولم يكن هلالاً قط، وليس كالبدر الذي يكون ناقصاً في غرة الشهر، ثم يزيد إلى أن يكمل.

ولو يعظم لنقصٍ كان فيه   ولم يزل الأمير ولن يزالا

يقول مؤكداً للمعنى الذي ذكره في البيت الأول: أي لم يزل عظيماً مذ كان، لا أنه كان ناقصاً ثم صار عظيماً، ولم يزل أميراً فيما مضى، ولا يزال أميراً في المستقبل، ويجوز أن يكون دعاء.

بلا مثلٍ وإن أبصرت فيه   لكل مغيبٍ حسنٍ مثالا

بلا مثل متعلق بقوله ولن يزالا: أي لم يزل أميراً بلا مثل، ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي هو بلا مثل. يعني: أنه جمع كل فضيلة، فكل شيء حسن غائب، يوجد فيه نظيره ومثله وإن كان لا مثل ولا نظير له يجمع ما جمعه من الفضائل، فهو شبه كل شيء حسن.

حسامٌ لابن رائقٍ المرجى   حسام المتقي أيام صالا

لابن رائق المرجى: في موضع الجر. ويجوز أن يكون صفة مستأنفة للممدوح في موضع الرفع، والأول أولى. وحسام المتقي: جر لأنه صفة لابن رائق وهو اسم جنس بمعنى صفة. وابن رائق: قائد كبير، كان للخليفة المتقي بالله، وكان ابن عمار من قبل ابن رائق.

والمعنى: أن ابن رائق سيف الخليفة، لما صال الخليفة على أعدائه وحارب بني اليزيد في البصرة، وكان بدر حساماً لابن رائق: أي كان يعتمد عليه في حروبه، وكان يقتل به أعداءه.

سنانٌ في قناة بني معدٍ   بني أسدٍ إذا دعوا النزالا

بني أسد: يجوز أن يكون منصوباً بالنداء المضاف، ويجوز أن يكون بدلاً من قناة بني معد: أي في بني أسد الذين هم قناة بني معد. ويجوز أن يكون بدلاً من معد والتقدير: سنان في قناة بني أسد.

يقول: هو يقوم في الدفع عنهم مقام السنان في القناة يوم الحرب والمنازلة.

أعز مغالبٍ كفاً وسيفاً ومقدرةً ومحميةً وآلا

المغالب: الذي يغالبك وتغالبه. والمحمية والمقدرة: القبيلة والأتباع. وكفاً: نصب على التمييز، وعطف سيفاً عليه، وإن كان لا يقال: هو أعزهم سيفاً لأنه أضمر فيه قوله: وأمضاهم سيفاً. يعني: أنه أعز من كل من يغالبه فنفسه أعز، وسيفه أقطع، وحميته وقدرته أكثر وصفه بخمسة أوصاف.

وأشرف فاخرٍ نفساً وقوماً وأكرم منتمٍ عماً وخالا

الفاخر: صاحب الفخر، ويجوز أن يكون اسم الفاعل: من فخر يفخر. وروى: منتمٍ ومعتز ومعناهما واحد.

يقول: هو أشرف من فخر بنفسه وقومه، وأعمامه وأخواله أشرف من كل شريف. نفساً وما عده نصب على التمييز.

يكون أحق إثناءٍ عليه على الدنيا وأهليها محالا

يقول: إن أحق ما يستحقه من الثناء، محال أن يثنى به على الدنيا، وجميع من فيها؛ لأنه أفضل من جميع أهل الأرض، فثناؤه لا يستحقه أهل الدنيا.

ويبقى ضعف ما قد قيل فيه إذا لم يترك أحدٌ مقالا

يترك ويترك: بمعنى واحد، وهو افتعل من الترك. وضعف الشيء: مثله مرتين.

يقول: إذا أثنى عليه الناس، ولم يتركوا مقالاً؛ بقي من أوصافه، ضعف ما وصفوا به.

فيابن الطاعنين بكل لدنٍ مواضع يشتكي البطل السعالا

اللدن: الرمح اللين. ومواضع: قيل إنه نصب بالطاعنين، فهو مفعول به. وقيل: نصب على الظرف. وتقديره: مواضع يشتكي فيها البطل السعال.

المعنى على الأول يقول: يابن الطاعنين صدور الشجعان. وهي المواضع التي يخرج منها السعال، فهي مواضع شكاية السعال.

وعلى الثاني: أنهم يطعنون في المواضع التي لا يقد الشجاع أن يسعل فيها؛ من ضيقها وشدتها.

ويابن الضاربين بكل عضبٍ من العرب الأسافل والقلالا

يقول: يابن الذين يضربون بكل سيف قاطع، أسافل العرب وقلالها. أراد بالأسافل: الأرجل. وبالقلال: الرءوس: وقيل: أراد بالقلال. رؤساء العرب وبالأسافل. الأتباع. وقيل: القلال: العرب الذين يسكنون الجبال. والأسافل: سكان السهول.

أرى المتشاعرين غروا بذمي ... ومن ذا يحمد الداء العضالا؟ !

المتشاعر: الذي يتكلف قول الشعر، وغرو: أي أولعوا. والداء العضال: الذي لا دواء له.
يعني: أرى المتشبهين بالشعراء وليسوا منهم قد أولعوا بذمي، وطعنوا في، وحسدوا مترلتي عندك، وأنا أعذرهم لأني الداء الذي لا دواء له، لأني أبداً أغيظهم، فلابد لهم من أن يذموني.

ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ ... يجد مراً به الماء الزلالا

يقول: من يعيبني؛ إنما يعيبني للنقص الذي فيه، كما أن المريض يجد الماء العذب مراً؛ لأنه في فيه لاقى الماء، فكذلك ليس في شعري ولا في فضائلي مطعن، فمن طعن فلنقص فيه.

وقالوا :هل يبلغك الثريا؟ ... فقلت: نعم، إذا شئت استفالا

الثريا: من الأسماء التي لا تجيء إلا مصغرة، مثل الحميا والحديا والكميت. والاستفال: الانحطاط.
وقالوا: الضمير يرجع إلى المتشاعرين، ويجوز أن يرجع إلى الناس، ويكون البيت مستأنفاً.
يقول: إنهم يقولون: أتطمع أن يبلغك الثريا؟ فقلت لهم: قد بلغني فوق الثريا، فإذا شئت أن يحطني عن المحل الذي أنا عليه، يبلغني الثريا في الانحطاط، لا في الارتفاع.

هو المفني المذاكي والأعادي ... وبيض الهند والسمر الطوالا

المذاكى: جمع المذكى، وهو الفرس الذي أتي عليه بعد أن يقرح سنه. وسكن الياء من الأعادي وأصلها الفتح.
يقول: إنه يفنى الخيل بالركض في حروب الأعداء بالقتل، والسيوف والرماح بضرب وطعن. يصفه بغاية الشجاعة.

وقائدها مسومةً خفافاً ... على حيٍّ تصبحه ثقالا

قائدها: أي قائد المذاكى. والمسومة. المعلمة: من السمة. ومسومة وخفافاً وثقالاً: نصب على الحال. والتاء في تصبحه: للمذاكى.

يقول: هو يغير على أعدائه بخيل توافيهم صباحاً، وهي وإن كانت خفافاً في أنفسها سريعة السير فإنها ثقالاً على أعدائه؛ لأنها تهلكهم وتغير عليهم.

جوائل بالقنى مثقفاتٍ كأن على عواملهما الذبالا

الجوائل: جمع جائلة، ونصبها على الحال من المذاكى. والقنى: جمع القناة ومثقفات: نصب على الحال من القنى.

وعامل الرمح: قدر ذراعين من أعلاه. والذبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة، شبه أسنة الرماح بقناديل وسرج مشعلة لصفائها وبريقها.

إذا وطئت بأيديها صخوراً بقين لوطء أرجلها، رمالا

يصف شدة وطء الخيل، وأنها إذا وطئت بأيديها الصخور الصلبة سحقتها، حتى تصير رملاً، فلا تصل أرجلها إلى موضع الأيدي، إلا وقد صارت رمالا.

جواب مسائلي: أله نظيرٌ؟ ولا لك في سؤالك لا، ألا، لا

يقول: من سألني قائلاً: هل لهذا الرجل نظير؟ فجوابي له: لا، ولا لك نظير في سؤالك هذا؛ لأن كل أحد يعلم أنه لا نظير له. ثم افتتح الكلام بقوله: ألا وكرر لا تأكيداً للرد. فكأنه قال: لا لا، كقولك وقد سألك إنسان هل زيد قائم؟ فتقول: لا لا. وفيه تقديم المعطوف على المعطوف عليه وذلك لا يجوز إلا عند الضرورة كقول القائل:

ألا يا نخلة من ذات عرقٍ عليك ورحمة الله السلام

لقد أمنت بك الإعدام نفسٌ تعد رجاءها إياك مالا

وقد وجلت قلوبٌ منك حتى غدت أوجالها فيها وجالا

يقول: كل نفسٍ جعلت مالها رجاءها إياك، فقد أمنت من الفقر؛ لأنك تحقق رجاءها، فكأنه مال له حاصل والأوجال: جمع وجل، وهو الخوف. والوجال: جمع الوجل، وهو الخائف. والهاء في أوجالها وفيها للقلوب.

يقول: قد خافت قلوب الأعداء منك، حتى صار الخوف الذي في قلوبهم خائفاً منك، فتعدى الخوف من قلوبهم إلى نفس الخوف! وقيل: الوجال: جمع الوجل الذي هو الخوف، وهو للتكثير. والأوجال للتقليل. يعني صار قليل وجلهم كثيراً.

سرورك أن تسر الناس طراً تعلمهم عليك به الدلالا

الدلال والدل: الشكل والغنج.

يقول: إنك لا تسر إلا بأن توصل السرور إلى الناس كلهم، لتعلمهم كيف يتدللون عليك؛ لأنهم إذا علموا أنك تسر بالإحسان إليهم تدللوا عليك بقبول هباتك وسألوك ما لا يستحقونه منك.

إذا سألوا شكرتهم عليه — وإن سكتوا سألتهم السؤالا

يقول: إذا سألوك شكرتهم على سؤالهم إياك؛ لحبك العطاء. وإن سكتوا عن سؤال سألتهم أن يسألوك؛ لأنك تلتذ بنغمات سؤالهم، وتحب أن تشكرهم على سؤالهم، فتشتهي أن تكون أبداً شاكراً للسؤال.

وأسعد من رأينا مستميحٌ — ينيل المستماح بأن ينالا

المستميح: طالب العطاء. والمستماح: المطلوب منه العطاء. والإنالة: الإعطاء. والنيل. الأخذ.

يقول: أسعد من رأينا من الناس، هو الطالب يعطي المطلوب منه؛ بأن يأخذ منه العطاء، وليس كذلك إلا سؤالك؛ لأنهم يأخذون من مالك ما يريدون، ويمنون عليك بما يأخذونه منك.

يفارق سهمك الرجل الملاقي — فراق القوس ما لاقى الرجالا

يقول: إن سهمك إذا لقي رجلاً نفذ منه وفارقه، كما يخرج من القوس من شدة قوته، ولا يزال يمضي كذلك ما دام يلقى الرجال، واحداً بعد واحد. فقوله: مالاقى الرجالا في موضع النصب على الظرف: أي مدة ملاقاة الرجال وقيل: إن ما للنفي ومعناه. أن سهمه يفارق ما لاقاه فراقه القوس، كما لم يلق شيئاً، ولم يصب أحداً، فيكون أبلغ في القوة.

فما تقف السهام على قرارٍ — كأن الريش يطلب النصالا

يقول: إن السهام تتجاوز المرمى إلى غيره، فلا تقف على قرار، فكأن الريش يطلب النصل ويطردها وهي تفر منه وهو يطلبها

سبقت السابقين فما تجاري — وجاوزت العلو فما تعالي

المجاراة: المغالبة في الجري. والمعالاة: من العلو.

يقول: سبقت بالفضل كل سابق، فما يجاريك أحد؛ لعلمه بالقصور عنك. وجاوزت في العلو والقدر غاية لا يمكن لأحد أن يباريك في العلو والارتفاع، ويغلبك فيه.

وأقسم لو صلحت يمين شيءٍ — لما صلح العباد له شمالا

وروى: الأنام بدل العباد.

يقول: إنك تقوم مقام الخلق كلهم وتزيد عليهم، وهم لا يقدرون على الاستقلال بما تقدر عليه وحدك؛ فضرب اليمين مثلاً للقوة والأمر العظيم الذي يحتاج فيه إلى فضل القوة، وضرب الشمال مثلاً للضعف وما لا يحتاج فيه إلى فضل القوة.

أقلب منك طرفي في سماءٍ وإن طلعت كواكبها خصالا

خصالا: نصب على الحال. شبهه بالسماء، وخصاله بالكواكب.

يقول: أنا أنظر منك إلى سماء من المجد، ونجوم: الخصال الجميلة.

وأعجب منك كيف قدرت تنشا وقد أعطيت في المهد الكمالا !

يقول: أعجب منك! كيف قدرت على أن تزيد وتنشأ شيئاً بعد شيء، وأنت قد حويت الكمال في المهد! وهو من قوله تعالى: "وآتيناه الحكم صبياً" "قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا".

وقال فيه ارتجالاً يمدحه. وهو على الشراب وقد صفت الفاكهة والنرجس.

إنما بدر ابن عمارٍ سحابٌ هطلٌ فيه ثوابٌ وعقاب

هطل: أي كثير المطر.

يقول: إن الممدوح كالسحاب الهطل، فيه شرٌّ لأعدائه وخير لأوليائه، كالسحاب الذي يرجي مطره وتخشى صواعقه.

إنما بدرٌ رزايا وعطايا ومنايا وطعانٌ وضراب

معناه: أنه ذو رزايا إلى آخره. وصفه بهذه الأشياء مبالغة، من حيث أن هذه الأوصاف لما كثرت منه كأنه خلق منها، كما تقول لمن كثر منه الأكل والشرب: أنت أكلٌ وشربٌ فلما كثر منه ما ذكر صار كأنه خلق منها.

ما يجيل الطرف إلا حمدته جهدها الأيدي وذمته الرقاب

نصب جهدها، لأنه مصدر أقيم مقام الحال: أي حمدته جاهدة جهدها. ويروى: الطرف بكسر الطاء: وهو الفرس الكريم. يعني: ما يجيل فرسه في الحرب إلا حمدته الأيدي أي أيدي جيشه ورجاله؛ لأنه يكفيها ألم الطعن والضرب والرمي، وتولى هو بنفسه ضراب أعدائه.

وقيل: أراد حمدته الأيدي في تلك الحال على بذله الأموال ونشره النوال. وتذمه الرقاب: أي تذمه

رقاب أعدائه، لأنه يقطها. ومعناه أنه لا يتغير. وأراد بذلك: أن الحرب لا يشغله عن الجود. ومثله قوله:

فواهبٌ والرماح تشجره   وطاعنٌ والهبات متصله

وقد يروى: ما يجيل الطرف بفتح الطاء: أي أنه في كل لحة يجيل طرفه فينعم على قوم ويضرب رقاب قوم، فالأيدي تحمده على العطاء والرقاب تذمه على قطعها.

ما به قتل أعاديه ولكن   يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

يقول: إنه ليس يقتل أعداءه خوفاً منهم، وما به حاجة إلى قتلهم؛ لأنهم عجزوا عنه، ولكنه عود إنالة جوده وعطائه كل شيء، حتى الذئاب، فإن عز إطعام لحوم القتلى، فيكره إخلاف ما عوده؛ لألأ يخيب رجاء الذئاب ومثله قوله:

سفك الدماء بجوده لا بأسه   كرماً لأن الطير بعض عياله

فله هيبة من لا يترجى   وله جود مرجىً لا يهاب

لا يترجى: أي لا يرجى.

يقول: إنه عظيم الهيبة واسع الجود، فمن يهابه لا يرجو عفوه، لشدة سطوته وعظم هيبته، ومن يرجوه لا يخاف سطوته لسبق جوده وعظم كرمه؛ لأنه يضع كلاً موضعه، فالمسيء لا يرجو رضاه والمحسن لا يخاف سخطه.

طاعن الفرسان في الأحداق شزراً   وعجاج الحرب للشمس نقاب

شزراً: أي يميناً وشمالاً، وقيل: هو الذي أريد به أعلى الصدر.

يقول: هو يطعن الفرسان في أحداقهم حين تشتد الحرب ويرتفع الغبار، وتصير الشمس من كثرة الغبار مستترة، فكأن الغبار نقاب للشمس.

وتخصيص الأحداق بالطعن؛ بيان لحذقه بالطعن، وثبات قلبه، وأنه يهتدي في مثل هذا الخوف والظلمة إلى الأحداق، أو إشارة إلى أن سائر الأبدان مغطاة بالسلاح، سوى الأحداق.

باعث النفس على الهول الذي   ما لنفسٍ وقعت فيه إياب

الهاء في فيه: للهول.

يقول: إنه يطرح نفسه ويحملها على أمر مهول، بحيث أن من وقع فيه لم يسلم منه، ولا ترجع نفس وقعت في ل الأمر المهول. يصفه بالشجاعة والإقدام ومثله قوله:

وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالد

بأبي ريحك لا نرجساً ذا وأحاديثك لا هذا الشراب

يقول: أفدي بأبي ريحك، لا هذا النرجس، لأن ريحك أطيب من ريحه، وأفدي بأبي أحاديثك لا هذا الشراب؛ لأن حديثك ألذ من الشراب فهما أحب إلينا من هذا النرجس وهذا الشراب أيضاً.

ليس بالمنكر أن برزت سبقاً غير مدفوعٍ عن السبق العراب

أن برزت: في موضع الرفع؛ لأنه اسم ليس، ومعناه: أن سبقت. وقوله: سبقاً نصب على التمييز، ويجوز أن يكون نصباً على المصدر، ومعناه: أن سبقت سبقاً.

يقول: ليس من العجب أن تسبق الكرام وتبرز عليهم في مجدك، كما أنه ليس بمنكر أن تسبق الخيل العراب غيرها، وإنما لم يقل: غير مدفوعة مع تأنيث الخيل؛ لأنه في معنى يدفع، والفعل إذا قدم على جماعة المؤنث يجوز فيه التذكير والتأنيث، فهذا وإن كان اسماً فهو حمله على الفعل وشبهه به، وقيل: أراد بالعراب: الجنس كأنه قال: جنس غير مدفوع.

وهذه الأبيات من بحر الرمل وأصله فاعلاتن ست مرات، وهو قد جاء بها على الأصل، ولم يسمع من العرب إلا محذوف العروض: وهو أن يحذف من الجزء الثالث سبب وهو تن فيبقى فاعلاً ويحول إلى مثل وزنه فيصير فاعلن.

وعذره أنه صرع الأبيات من غير إعادة القافية، وأيضاً فإنه اعتبر الأصل، لأنه أصل دائرة الرمل، فأتى بها على الأصل؛ ليعلم أن أصلها ذلك. وأما البيت الأول فلا إشكال فيه لأنه مصرع مقفى.

يصف الأسد وقتال بدر إياه وخرج بدر بن عمارٍ إلى أسدٍ، فهرب الأسد منه! وكان خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرةٍ افترسها، بعد أن شبع وثقل، فوثب على كفل فرسه، فأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه، ودار الجيش به فقتل. فقال أبو الطيب:

في الخد أن عزم الخليط رحيلا مطرٌ تزيد به الخدود محولا

أن في قوله: أن عزم الخليط مفتوحة الألف، ويكون الفعل بعدها مصدراً. ومعناه: لأن عزم. أو لأجل أن عزم ومثله: "أن كان ذا مالٍ" ويجوز كسرها، فتكون شرطاً وجوابه محذوف. أو إن عزم الخليط رحيلا: أي عزم على الرحيل، فحذف الجار كقول عنترة.

ولقد أبيت على الطوى وأظله

أي أظل عليه. ومحولا: يجوز أن يكون مصدراً، ويجوز أن يكون جمع محل مثل كعب وكعوب.
والخليط: المخالط، ويقع على الواحد والجمع.
والمعنى: إن في خدي من أجل فراق أحبائي، دمعاً متقاطراً كالمطر في التقاطر والسيلان، ولكنه يخالف المطر في الفعل؛ لأن المطر يخصب المحول وينبت البقول، ودمعي يجري على خدي الناضر، فيبطل نضرته ويغير حسنه ويزيد ذبوله. وهو المراد بالمحول.

يا نظرةً نفت الرقاد وغادرت في حد قلبي ما حييت فلولا

نصب نظرةً؛ لأنها منادى نكرة. ومعناه: التعجب كقوله تعالى: "يا حسرةً على العباد" وفلول: جمع فل، وهو الأثر في الحد، من السكين وغيره.
يقول: يا نظرة عند الوداع ما أعظمها! فإنها نفت الرقاد عني، وغادرت في قلبي أثراً لا يندمل ما دمت حيا.

كانت من الكحلاء سؤلي إنما أجلي تمثل في فؤادي سولا

كانت: راجعة إلى النظرة. والكحلاء: يجوز أن يكون من التكحل، ويجوز أن يكون من الكحل: الذي هو خلقة.
يقول: كانت تلك النظرة من هذه الجارية الكحلاء سؤلي وأمنيتي، فلما نظرت إليها كانت تلك النظرة أجلاً لي في الحقيقة لا سؤلا! وترك الهمزة من سولاً، لأن الواو ردف فلا يجوز غير ذلك.

أجد الجفاء على سواك مروءةً والصبر إلا في نواك جميلا

المصراع الأول له معنيان: أحدهما: أن من المروءة ترك جفائك، إلا على غيرك. فقد أمنت جفاءك لأنني لا أراه مروءة وليس ترك المروءة من عادتي، فلا أجفوك أبداً.
والثاني: أن جفاء الناس إياي، على سواك لا أحتمله لأن احتماله ليس من المروءة، فإذا كان احتماله من المروءة لأجلك، فاحتمال الصبر في كل حادثة جميل، إلا في بعدك وهجرك، فإنه قبيح.
فأول البيت مأخوذ من قول أبي عبادة البحتري:

ألام على هواك، وليس عدلاً إذا أحببت مثلك أن ألاما

وآخره من قول الآخر:

والصبر يحسن في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم

وأرى تدللك الكثر محبباً وأرى قليل تدلل مملولا

التدلل: الدلال والغنج.

يقول: إن الدلال الكثير منك محبب، وأنا أمل القليل من غيرك ومثله:

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا

تشكو روادفك المطية فوقها شكوى التي وجدت هواك دخيلا

الروادف: جمع ردف، وأقامه مقام الواحد، كأنه جعل ناحية من عجزها ردفاً؛ لأنه أراد المبالغة في الثقل، أو أراد: الردف والأفخاذ.

يقول: تشكو المطية التي ركبتها ثقل ردفها وعجزها عن حملها، كما تشكو النفس التي يدخلها عشقك. والتأنيث: للنفس المضمرة، ويجوز أن يكون أتبع التأنيث المطية.

ويغيرني جذب الذمام لقلبها فمها إليك كطالبٍ تقبيلا

يغيرني: أي يحملن على الغيرة. والهاء في قلبها وفمها: للمطية وروى: لعطفها. والقلب: مصدر قلبت. وفمها: نصب بالمصدر. قيل: بالجذب. وقيل: بالقلب.

يقول: متى جذبت هذه المطية زمامها وقلبت رأسها مع الزمام: حملني ذلك على الغيرة؛ لأنها تتصور بصورة من يطلب تقبيلك.

حدق الحسان من الغواني هجن لي يوم الفراق صبابةً وغليلا

يقول: لما نظرت يوم الفراق إلى الجواري الحسان، وتأملت حسن عيونهن هيجت لي أحداقهن رقة الشوق وحرارة القلب.

حدقٌ يذم من القواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيلا

يذم: أي يحفظ. كأنه يدخله في ذمته وجواره، وفاعله: بدر.

يقول: إن بدراً يمنع كل من استجار به من كل من يريد قتله، سوى من هذه الحدق، فإنه لا يقدر على منعها ومثله قوله:

وقي الأمير هوى العيون؛ فإنه ما لا يزول ببأسه وسخائه

الفارج الكرب العظام بمثلها والتارك الملك العزيز ذليلا

يقول: هو يكشف الأمور العظام، ويدفعها بمثلها من الأمور العظام؛ لأنه لا يزيل الكربة عن الصديق إلا بإلحاق كربةٍ مثلها بعدوه، وكذلك يترك الملك العزيز ذليلاً، لا يمكنه دفع ذلك عن نفسه ومثله قوله:

وكم ذدت عنهم ردىً بالردى وكشفت من كربٍ بالكرب

محكٌ إذا مطل الغريم بدينه جعل الحسام بما أراد كفيلا

محكٌ: أي لجوج في الخصومة. وأراد بالغريم: قرنه وبالدين: روحه.

يقول: إنه لجوج، فإذا أنال قرناً، أو طالب بدم، أو طلب ما يريد طلبه، جعل سيفه ضامناً لها حتى يؤديه إليه. أي أنه لا يحتاج لأخذه إلى الكفيل، بل يأخذه بسيفه؛ لقدرته وتمكنه.

نطقٌ إذا حط الكلام لثامه أعطى بمنطقه القلوب عقولا

نطقٌ: أي جيد النطق. واللثام: ما يديره الرجل من طرف عمامته على الفم، فإذا رفعه إلى الأنف لثام.

وقوله: إذا حط الكلام لثامه. أي حطه ليتكلم؛ فأسند الفعل إلى سببه.

يقول: هو فصيح بليغ، فإذا حدر لثامه ليتلكم، أفاد الناس عقولاً بما ينطق من الحكم والمواعظ والأمثال.

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلا

العدوى: تعدي الداء إلى ما يقاربه. والمعنى أن سخاءه أعدى إلى الزمان السخاء، فسخا به الزمان علي، وجمع بينه وبيني، وقد كان الزمان يبخل به علي فيما مضى، فلولا سخاؤه لكان لا يسخو الزمان به علي.

وقال ابن جنى: معناه أن الزمان تعلم من سخائه، فسخا بهذا الممدوح وأخرجه من القدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه لبخل هذا الزمان به على الناس، فاستخلصه لنفسه، فهو إن كان في حال العدم لم يكن سخياً، حتى يعدى الناس سخاؤه على الزمان. ويجوز أن يوصف بذلك على معنى: أن الزمان لما علم ما يكون فيه من السخاء إذا وجد، استفاد منه ما تصور كونه بعد وجوده، ولولا علمه به لبقي بخيلاً. والشيء إذا تحقق كونه أجري عليه من أوصاف الموجود كقوله تعالى: "ونادى أصحاب الجنة".

وكأن برقاً في متون غمامةٍ هنديه في كفه مسلولا

هندية: رفع لأنه خبر كأن. ومسلولاً: نصب على الحال. والهاء في هنديه: للممدوح. شبه سيفه بالبرق للمعه، وكفه بالغمامة لجودها وكرمها.

ومحل قائمه يسيل مواهباً		لو كن سيلاً ما وجدن مسيلا

الهاء في قائمه: للهندي. ومحله: كفه. ومواهباً: نصب على التمييز. وكن: يرجع إلى المواهب.

يقول: إن المحل قائم سيفه. وهو كفه. تسيل مواهباً، ولو كانت تلك المواهب سيلاً لعمت الأرض فلم تجد مكاناً تسيل فيه، وجعل الكف تسيل بالمواهب لكونها آلة العطاء في الغالب.

رقت مضاربه فهن كأنما		يبدين من عشق الرقاب نحولا

يقول: إن مضارب سيفه رقت، فكأنها عشقت الرقاب فنحل جسمها، ولهذا كان العشق يورث النحول. والمضارب: جمع المضرب، وهو حد السيف.

أمعفر الليث الهزبر بسوطه		لمن ادخرت الصارم المصقولا

المعفر: من عفرته، إذا ألقيته على العفر: وهو التراب. والهزبر. من أسماء الأسد. فكأنه وصفه بشدة الصوت.

يقول: يا من يعفر الأسد بشديد صوته! لمن ادخرت سيفك المصقول! أي لا تدخره؛ فإنك لا تحتاج إليه، لأن السوط إذا كفاك معركة الأسد مع أنه لا يقاومه أحد واستغنيت عن السيف، فإنك لا تحتاج إليه، ولا إلى أحد، لأن كل شجاع دون الأسد.

وقعت على الأردن منه بليةٌ		نضدت بها هام الرفاق تلولا

يروى: وقعت، ووقفت: والأردن: نهر بأرض الشام، وتنسب إليه تلك البلد. ونضدت: أي جعلت بعضها فوق بعض. والرفاق: جمع رفقة، وهم قوم يجتمعون للسفر. والكناية في نضدت: للبلية. والهاء في منه: لليث. وفي بها: للأردن، وأراد بها البقعة.

يقول: حصلت من هذا الأسد بلية من البلايا، نضدت في هذه البلدة هامات أهل الرفقة تلولا، من كثرة ما افترسم ن الناس.

وردٌ إذا ورد البحيرة شارباً		ورد الفرات زئيره والنيلا

وردٌ: اسم للأسد، إذا كان يضرب لونه إلى الحمرة. والبحيرة: بحيرة طبرية، وهي من الأردن، وبينها وبين الفرات أكث من عشرة أيام، وكذلك بينها وبين النيل. وشارباً: نصب على الحال. والزئير: صوت الأسد. والفرات: نهر يجري من بلاد الروم، ويمر في حدود الشام من قبل المشرق.

يقول: إنه إذا ورد البحيرة ليشرب منها سمع زئيره من الفرات إلى النيل مع بعد المسافة.

متخضبٌ بدم الفوارس لابسٌ   في غيله من لبدتيه غيلا

الغيل: الأجمة. ولبدة الأسد: ما تلبد على كتفه ومنكبيه من وبره.

يقول: إنه مختضب من دماء الفوارس، لكثرة ما افترسهم. وخصهم بالذكر؛ لأنهم أمنع من غيرهم، وأنه من كثرة وبره، كأنه كان لابس أجمةٍ، فهو من وبره في أجمة.

ما قوبلت عيناه إلا ظنتا   تحت الدجى نار الفريق حلولا

الفريق: الجماعة من الناس. وحلولا: أي حالين، وهو نصب على الحال من الفريق، وإن شئت على القطع.

يقول: إذا قابل إنسانٌ عينه في الظلمة، ظن أنها نار قوم نازلين في مفازة، وهذه النار يكون ضوءها أضوأ وأظهر من السراج. شبه بريق عينه بهذه النار.

في وحدة الرهبان إلا أنه   لا يعرف التحريم والتحليلا

يقول: إن هذا الأسد منفرد في أجمة عن الناس، كالرهبان الذين ينفردون عن الناس، غير أنه لا يعرف التحريم والتحليل وهم يعرفون ذلك.

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه   فكأنه آسٍ يجس عليلا

الثرى، والبرى: مرويان، وهما التراب. والتيه: الكبر.

يقول: إنه يمشي على التراب، بالرفق لا بالكبر، فكأنه طبيب يجس عليلاً؛ لأنه إذا جس العليل ترفق.

ويرد عفرته إلى يافوخه   حتى تصير لرأسه إكليلا

عفرة الأسد: الشعر المستدير على رقبته. واليافوخ: قحف الرأس. يعني: أنه ينفش وبره حتى يصير شعر رقبته على رأسه، مثل الإكليل؛ لكثرته واستدارته.

وتظنه مما يزمجر نفسه   عنها بشدة غيظة مشغولا

الزمجرة: ترديد الصوت في الصدر. والهاء في عنها: للنفس. وتقديره مشغولاً عنها. وتظنه: يتعدى إلى مفعولين: أحدهما: الهاء في تظنه، ونفسه بدل عنها. والثاني: مشغولا.

يقول: تظن هذا الأسد مشغولاً عن نفسه بشدة غيظه، من كثرة ما يزمجر. أي تدل كثرة زمجرته على اشتغاله عن نفسه بغيظه. وروى: تزمجر بالتاء. ونفسه: بالرفع، على أن تكون نفسه فاعلة تزمجر.

قصرت مخافته الخطى فكأنما   ركب الكمي جواده مشكولا

قصرت: أي جعلت الخطى قصيرة. والفاعل: المخافة، والمفعول: الخطي. والكمي: الشجاع المتكمي بالسلاح. والمشكول: المشدود بالشكال.

يقول: لما خاف الكمي منه، ركب فرسه، فهو يهيجه للإقدام جرأة، والفرس يحجم عنه خوفاً منه، فكأنه ركب فرسه مشكولاً. فشبه تقارب خطوه بالقيد. وقيل: أراد من خوف هذا السبع، لا يجسر الفرس أن يجري، فكأن خوفه صار قيداً.

ألقى فريسته وبربر دونها وقربت قرباً خاله تطفيلا

البربرة: ترجيع الصوت. والتطفيل: الدخول على القوم وهم يأكلون من غير دعوة.

يقول: ظن الأسد حين علم أنك أسد مثله، أنك أردت التطفيل عليه في فريسته، فألقاها وبربر دونها، ذباً عنها، فوثب عليك.

فتشابه الخلقان في إقدامه وتخالفا في بذلك المأكولا

يقول: تشابه الخلقان؛ منك ومن الأسد في الإقدام، واختلفا في بذل المطاعم، فإنك تبذل مأكولك، وهو يضن به ويذب عنه.

أسدٌ يرى عضويه فيك كليهما متناً أزل وساعداً مفتولا

المتن: الصلب. والأزل: الأرسخ الممسوح العجز. والمفتول: القوي المكلم.

يقول: رأى الأسد فيك متنه الأزل، وساعده المفتول، وذلك من علم الشجاع البطل.

في سرج ظامئة الفصوص طمرةٍ يأبى تفردها لها التمثيلا

الظامئة: قليلة اللحم. والفصوص: المفاصل، واحدها فص. والطمرة: الوثابة، وقيل: المرتفعة الشاخصة.

يقول: نظر إليك الأسد وأنت على فرس لطيفة الأوصال، يأبى تفرد هذا الفرس بالكمال، أن يكون له مثل، وقيل: أراد لا يحتاج صاحبه معه إلى فرس آخر.

نيالة الطلبات لولا أنها تعطي مكان لجامها ما نيلا

يقول: إنها تدرك كل ما تطلبه وهي طويلة العنق، فلولا أنها تمكن ملجمها من رأسها ما وصل إليها، وقيل: إنه وصف صعوبتها. أي لولا أنها تحط رأسها للجام، لما كان ينال رأسها أحد، لكنها مكنت من نفسها ملجمها فأمكن إلجامها لذلك.

تندى سوالفها إذا استحضرتها وتظن عقد عنانها محلولا

السوالف: صفحات العنق. وتندى: أي تبتل من العرق، وذلك من أمارات العنق. والاستحضار: طلب الحضر.

يقول: من ازدياد جريها؛ عرقت سوالفها. وقوله: وتظن عقد عنانها محلولا: أي أنها تدخل في العنان وتدني صدرها، فيتسع العنان في يد فارسها، فكأنه محلول.

ما زال يجمع نفسه في زوره حتى حسبت العرض منه الطولا

الزور: أعلى الصدر، عاد إلى وصف الأسد.

يقول: ما زال يجمع نفسه في صدره للوثبة، حتى حسبت عرضه، طولاً. وقيل: أراد أن الفرس إذا أراد الوثوب ضم نفسه إلى صدره.

ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغي إلى ما في الحضيض سبيلا

الحجار: كالحجارة، وأراد بالحضيض: هاهنا أسفل الأرض.

يقول: إن المذكور قبله ما زال يدق الحجارة بصدره عند وثوبه، حتى كأنه يريد أن يشقها ويغوص فيها.

وكأنه غرته عينٌ فادني لا يبصر الخطب الجليل جليلا

ادنى: افتعل من الدنو: أي دنا.

يقول: كأن الأسد غرته عينه حين رآك إنساناً كسائر الناس فدنا إليك، ولم يعلم أنك أسد، ولو علم بأسك لم يجرء عليك، فلما لم يعلم ذلك، رأى الإقدام عليك خطباً حقيراً.

أنف الكريم من الدنية تاركٌ في عينه العدد الكثير قليلا

الأنف والأنفة: بمعنىً. والدنية: النقيصة. وهذا مثل. وأراد: أن الأسد أنف من الفرار فأقدم عليك، كما أن الكريم يطرح نفسه على العدد الكثير ويرى ذلك الكثير قليلاً لعلو همته. فكذلك الأسد أقدم عليك مخافة الأنفة.

والعار مضاضٌ، وليس بخائفٍ من حتفه من خاف مما قيلا

مضاض: أي مؤلم، وهذا أيضاً مثل.

يقول: من أنف من العار لم يخف حتفه؛ لأنه يرى حتفه أسهل عليه من مقال الناس فيه.

سبق التقاءكه بوثبة هاجم لو لم تصادمه لجازك ميلا

عدى الالتقاء إلى الكاف وهو لا يتعدى إلا بالواو أو مع.

يقول: لما رآك تقرب منه سبقك بوثبة هاجم، فلولا أنك صادمته لجازك ميلاً؛ لشدة وثبه. فضله على الأسد.

خذلته قوته وقد كافحته   فاستنصر التسليم والتجديلا

المكافحة: المواجهة. والتجديل. السقوط على الجدالة: وهي الأرض.

يقول: لولا قوته لما قتلته؛ لأنه لقوته أقدم عليك، فلما واجهته بقوتك خذلته وخذلت قوته، حتى استنصر التسليم، فانقاد لك واختار السقوط على الأرض.

قبضت منيته يديه وعنقه   فكأنما صادفته مغلولا

يقول: إن أجله قبض يديه وعنقه لك، فكأنه كان مغلولاً قبل أن تلحقه، فصادفته مغلولاً لما لم يمكنه المدافعة.

سمع ابن عمته به وبحاله   فنجا يهرول منك أمس مهولا

نجا: أسرع المشي. والهرولة: اضطراب العدو. والمهول: الذي قد هاله أمر.

يقول: إن ابن عمة هذا الأسد وهو أسدٌ مثله سمع بحال الأول، وقتلك إياه، فلما ركبت إليه فر منك مسرعاً، خوفاً أن تقتله كما قتلت الأول.

وأمر مما فر منه فراره   وكقتله ألا يموت قتيلا

أمر: أي أشد مرارة.

يقول: فراره أشد مرارة من القتل الذي فر منه. وسلامته من القتل بالهرب. يقوم له مقام القتل؛ لأنه يعيش ذليلاً مهيناً والموت في العز خيرٌ من العيش في الذل وقيل: أراد أن قتله للأسد أكرم له، فكأن الموت أولى له لأنه كان معززاً.

تلف الذي اتخذ الجراءة خلةً   وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

الجرأة، والجراءة، والجسارة: الإقدام على الشيء. والخلة: الصداقة، وهو ها هنا يحتمل المصدر.

يقول: إن هلاك الأسد الذي اختار الجرأة والإقدام عليك، وعظ الأسد الآخر الذي فر منك، فخاف إن ثبت لك أن تقتله كما قتلت الأول. وقد روى: وعظ على المصدر، وهو خبر الابتداء.

لو كان علمك بالإله مقسماً   في الناس ما بعث الإله رسولا

يقول: لو كانت معرفتك بالإله وصفاته وعدله مقسومة بين الناس، لكانوا كلهم عارفين بالله، وما احتاجوا إلى رسول يدعوهم إلى أمور دينهم.

لو كان لفظك فيهم ما أنزل ال فرقان والتوراة والإنجيلا

يقول: إن كلامك كله حكمٌ ومواعظ، ومختص بغاية الفصاحة، فلو كان موجوداً من قبل ما أنزل الله الكتب المذكورة لقام كلامك مقامها.

لو كان ما تعطيهم من قبل أن تعطيهم لم يعرفوا التأميلا

أي لو كانت الأموال التي تعطيهم الآن، كانت لهم قبل عطائك لكانوا أغنياء لم يعرفوا التأميل ولم يوملوا أحداً. وقيل: أراد لولا عطاؤك لما عرف الناس التأميل، ولكن لما أعطيتهم أطمعتهم بعطاياك فعرفوا التأميل. والأول أولى.

فلقد عرفت وما عرفت حقيقةً ولقد جهلت، وما جهلت خمولا

يقول: كل أحد عرفك لشهرتك وشهرة ذكرك وبعد صيتك، ولكن لا يعرف حقيقة أمرك، فأنت معروف من حيث يعرفك كل أحد لشهرة ذكرك، وأنت مجهول لبعد غايتك، ولطف مكانك، لا لأنك خامل الذكر بين الناس.

نطقت بسوددك الحمام تغنياً وبما تجشمها الجياد صهيلا

تغنياً وصهيلا: مصدران، في موضع الحال. والحمام: رفع بنظفت، وكذلك الجياد لأن نطقت مكررة.
يقول: كل شيء يثني عليك حتى أن الحمام إذا غنت وصفت سؤددك، والخيل إذا صهلت وصفت ما تكلفها من المشقة والسير والحرب.
وقيل: أراد بالحمام. العجم من حيث كساهم من نعمه مثل أطواق الحمام قال ابن جنى: أشهد بالله أنه لو خرس بعد هذين البيتين لكان أشعر الناسز

وما كل من طلب المعالي نافذاً فيها، ولا كل الرجال فحولا

يقول: ليس كل من طلب المعالي يدرك منها ما أدركت، وينفذ فيها كما نفذت، ولا كل من هو على خلقة الرجال فحلا جامعاً لغايات الرجولية.
وورد كتابٌ من ابن رائق على بدرٍ بإضافة الساحل إلى عمله فقال يهنيء بدراً بذلك:

تهنى بصورٍ أم نهنئها بكا وقل الذي صورٌ وأنت له لكا

روى تهنى وتهنى: من التهنئة، والدعاء لصاحب النعمة بدوامها، وتسويغها، فأصلها هنأ الطعام.
وصور: مدينة من ساحل الشام.
يقول: نهنئك بهذه المدينة، أم نهني هذه المدينة بك؛ حيث وليتها فإن هذه الولاية، ومن ولاك عليها، لو كانا لك لما استكثرنا لك ذلك؛ وهو معنى قوله: وقل الذي صور وأنت له لكا أي وقل لك الرجل الذي هذه المدينة وأنت له. أي أنك من جملة أصحابه في الظاهر، فكنت له كصور.

وما صغر الأردن والساحل الذي حبيت به إلا إلى جنب قدركا

الأردن: ديار فلسطين وما والاها. والساحل: ساحل الشام.
يقول: إن الأردن والساحل الذي أعطيته عظيم وملك جليل، وإنما صغر بالقياس إلى قدرك وعلو محلك، فهو ليس بصغير إلا إلى جنب مقدارك، فإنك تستحق أكثر من هذا.

تحاسدت البلدان حتى لوانها نفوسٌ لسار الشرق والغرب نحوكا

يقول: حسدت البلدان البلاد التي تليها، حتى أنها لو كانت من الأحياء لسار المشرق منها والمغرب إليك، ليكونا في ولايتك. ومثله قول أبي تمام:

تغاير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل

ومثله للبحتري:

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

وأصبح مصرٌ لا تكون أميره ولو أنه ذو مقلةٍ وفم بكى

يقول: كل بلد لا تكون والياً عليه، لو كان له عينٌ وفمٌ لبكى من الحزن عليك، لكونك في غيره، واشتياقاً إلى توليتك عليه.

ونظر أبو الطيب ثياباً مطويةً إلى جانبه فسأل عنها. فقيل له: هي خلع الولاية. وكان أبو الطيب ذلك اليوم عليلاً فقال ارتجالاً:

أرى حللاً مطواةً حساناً عداني أن أراك بها اعتلالي

الحلة: ثوبان، إزار ورداء، ومطواة: أي مطوية وعداني. أي صرفني، وفاعله: اعتلالي.
يقول: أرى حللاً على جنبك حسنة مطوية، وإنما منعني أن أراك وهي عليك مرضى.

وهبك طويتها وخرجت عنها أتطوي ما عليك من الجمال؟

يقول: إنك وإن نزعتها وطويتها، فإنك في حلل من جمالك وحسنك، لا تقدر أن تخرج منه ولا أن تطويه.

لقد ظلت أواخرها الأعالي مع الأولى بجسمك في قتال

الأواخر: جمع آخر. والأعالي: جمع أعلى.

جعل الأعالي منها أواخر، لأنها تلبس بعد الشعار، فهي متأخرة عنها في البشرة. والأولى ما ولي الجسم وقرب منه، وقيل: الأعالي. ما يكون أعلى محلاً؛ وأشرف الثياب. يلبس آخراً.

يقول: إن الحلل التي لبستها تقاتل أعاليها التي هي أواخرها، مع التي تلي جسدك، وحسدتها وطلبت كل واحدة منهما أن تكون هي التي تلي جسدك وتقرب مك.

تلاحظك العيون وأنت فيها كأن عليك أفئدة الرجال

يقول: إن الناس كانوا ينظرون إليك، وهي عليك نظر محبة واستحسان، حتى كأن التي عليك ولبستها قلوب الناس، لتعلق القلوب بها واستحسانهم إياها عليك، ومثله قوله:

كأن عليه من حدق نطاقا

ومثله الآخر

لمقلتيها عظم الملك في المقل

متى أحصيت فضلك في كلام فقد أحصيت حبات الرمال

روى في مديح وفي كلام يقول: لك فضائل عدد الرمل، فإن قدرت على عدها فقد أحصيت مديحك وهذا غير ممكن، فكذلك عد فضائلك.

وسار بعد ذلك إلى الساحل ولم يسر معه أبو الطيب فبلغه أن الأعور بن كروس كتب إلى بدر يقول له: إنما تخلف عنك أبو الطيب رغبةً عنك، ورفعاً لنفسه على المسير معك. ثم عاد بدرٌ إلى طبرية فضربت له قبابٌ عليها أمثلةٌ من تصاوير. فقال أبو الطيب في ذلك يمدحه ويعتذر عن تخلفه عنه.

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

ما يجوز أن تكون بمعنى الذي، ويجوز أن تكون للنفي. ومنع: يتعدى إلى مفعولين: أحدهما الكلام، والثاني الألسن، وهي جمع اللسان. وروى: الألسنا: وهو الأفصح وما في قوله: ما أعلنا بمعنى الذي، وأصله ما أعلنه، فحذف الهاء.

يقول على الأول: الحب هو الذي يمنع الكلام من أن يعلن بالنطق ما في قلبه، وإذا لم يكن كذلك فليس بالحب الحقيقي. وتم الكلام ها هنا، وهذا مثل قول الآخر:

وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبهت حتى لا أكاد أجيب

ثم قال: وألذ شكوى عاشق ما أعلنا أي ألذ الشكوى للعاشق ما باح بها لكل أحد كقول أبي نواس:

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونهاستر

وقيل: إن أحد المصراعين متعلق بالآخر. ومعناه: الحب الحقيقي ما منع الألسن أن تبوح، في حالٍ يلتذ العاشق فيها بالشكوى، فيدرك الإبقاء على حبيبه والخوف من إغراء العذال به، فيدع ما يشتهيه، مراعاةً للحبيب كما قال الشاعر:

ولست بواصفٍ أبداً حبيباً أعرضه لأهواء الرجال

وقوله: وألذ شكوى، على هذا. في موضع الحال. ويجوز: أن يكون ما في قوله: ما أعلنا. بمعنى المصدر، فلا يحتاج إلى الهاء العائدة إليه، أي ألذ شكوى عاشق إعلانه.

وعلى الثاني: الحب لم يمنع الألسن من الكلام، كأنه يحسن عند نفسه الشكوى؛ لأن في ذلك راحته وقوله: وألذ شكوى. تأكيد للمعنى الأول، وتعليل له.

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى من غير جرم واصلي صلة الضنى

نصب هجر الكرى وصلة الضنى على المصدر. أي الذي هجرني مثل هجر الكرى.

يقول: ليت الحبيب الذي هجرني من غير ذنب مني، هجر النوم عينين بهجره، وواصلني مثل مواصلتي السقم، حتى واصلني النوم وهجرني السقم.

بنا: أي تباعدنا. وقوله: فلو حليتنا. أي وصفت واكتسيت حليتنا. امتقع لونه وابتقع وانتقع: إذا تغير .

يقول لصاحبه: إنا لما تفرقنا تغيرت ألواننا من خوف الفراق وحزن التباعد وطول الضنى، فلو أردت وصفنا لم تقدر عليه، ولم تدر بأي شيء تصفنا؛ لكثرة ما ننتقل من لون إلى لون. وقوله: تلونا، نصب على التمييز.

وتوقدت أنفاسنا حتى لقد أشفقت تحترق العواذل بيننا

الإشفاق: الخوف مع الرحمة.

يقول: ألهبت أنفاسنا حرارة الشوق، حتى خفت أن تحترق العواذل اللائي كن بيننا. ووجه إشفاقه

عليهن، مع أن العواذل يكن مبغضات للعشاق، لأن العاذل لا يكون في الأغلب إلا من يكون قريباً، أو ناصحاً شفيقاً. وقيل: إنه خاف أن تنم أنفاسه على حالهما، من حرارة الشوق. ويجوز أن يكون خوفه من احتراق نفسه واحتراق حبيبه، ثم يتعدى الاحتراق إلى العواذل، لأهن لا يحترقن بحرارة أنفاسهما إلا بعد احتراقهما. ومثله قول بعض المتأخرين:

والبين يقدح من أنفاسنا شررا　　　أشفقت تحرقنا يوم الوداع معا

أفدي المودعة التي أتبعتها　　　نظراً فرادى بين زفراتٍ ثنا

سكن الفاء من زفرات ضرورة وأصلها الفتح. وثنا: أصله المد فقصره ضرورة أيضاً وفرادى: صفة لنظر؛ لأنه مصدر يقع على الواحد والجمع.

يقول: أفدى التي ودعتني وودعتها، فبقيت أنظر في أثرها لا أطرق ولا ألتفت إلى سواها، وكانت زفراتي تتصاعد اثنين اثنين؛ لشدة الجزع. يعني كلما نظر في أثرها مرةً زفر مرتين.

أنكرت طارقة الحوادث مرةً　　　ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

اعترفت بها: أي عرفتها وتعودها. وقيل: معناه. صبرت لها حتى صارت لي عادة.

يقول: كنت في أمن من حوادث الدهر، فلما حدثت مرة أنكرها وجزعت منها، ثم تكررت علي حتى صارت عادة لي، فلا أنكرها الآن. وهو من قول أبي العتاهية:

تعودت مس الضر حتى ألفته　　　وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

ومثله لآخر:

روعت حتى ما أراع من النوى　　　وإن بان جيران علي كرام

ومثله لآخر:

روعت بالبين حتى ما أراع به　　　وبالمصائب في أهلي وجيراني

وقطعت في الدنيا الفلا وركائبي　　　فيها ووقتي: الضحى والموهنا

الفلا: نصب بقطعت. وركائبي، ووقتي: معطوفان عليها. والضحى، والموهنا بدا في وقتي. والوهن والموهن: قطعة من الليل، وقيل: صدر الليل قدر ساعتين منه؛ والضحى: صدر النهار.

يقول: استفدت لكثرة أسفاري في الفلوات، وأنضيت الركاب، وأفنيت ساعات نهاري وليلي. فعبر بالضحى، عن جملة النهار، وبالموهن: عن جميع الليل.

فوقفت منها حيث أوقفني الندى　　　وبلغت من بدر بن عمار المنى

وقفته وأوقفته: أي حبسته، وبغير الألف أفصح. والهاء في قوله: منها راجعة إلى الدنيا.

يقول: لم أزل أطوف في الدنيا حتى وصلت إلى بدر، فحبسني جوده ونداه عنده، وبلغت عنده كل ما أتمناه: من نيل الغنى وإدراك العلا ومثله قوله من أخرى:

وقيدت نفسي في ذراك محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

لأبي الحسين جداً يضيق وعاؤه عنه ولو كان الوعاء الأزمنا

جداً: أي عطاء.

يقول: إن عطاءه قد بلغ إلى حدٍّ يضيق الوعاء عنه، حتى لو كان الزمان وعاءه، لضاق عنه.

وشجاعةٌ أغناه عنها ذكرها ونهى الجبان حديثها أن يجبنا

وشجاعةٌ: معطوفة على قوله جداً، وموضعه رفع بالابتداء.

يقول: إن شجاعته قد اشتهر ذكرها وشاع في الناس حديثها. فانقاد أعداؤه لحكمه، فاستغنى عن استعمال شجاعته لدخولهم في طاعته. وهو المراد بقوله: أغناه عنها ذكرها أي عن إظهارها واستعمالها، وقوي قلب الجبان من كثرة ذكرها، حتى اضطر إلى ترك جبنه.

نيطت حمائله بعاتق محربٍ ما كر قط وهل يكر وما انثنى؟!

نيطت حمائله: أي علقت، ونياط: عرق القلب معلق. والعاتق: رأس الكتف، وهو الكاهل أيضاً. وحمالة السيف: قلادته. والمحرب: كثير الجراءة والهاء في حمائله: للممدوح ومحرب: أراد به الممدوح أيضاً.

يقول: إن حمائل سيفه منوطة بعاتقه، وهو كثير الحرب، وإنه إذا حمل على عدوه لم ينثن عنه، فيحتاج إلى الرجوع إليها، لأن الكر يكون بعد الفر.

فكأنه والطعن من قدامه متخوفٌ من خلفه أن يطعنا

يقول: إنه يتقدم في المعركة، ويلقي الطعن قدامه ولا يتأخر، حتى كأنه يخاف أن يطعن من خلفه، فهو يتحرز بالتقدم كأنه يطعن من خلفه

نفت التوهم عنه حدة ذهنه فقضى على غيب الأمور تيقنا

فاعل نفت: هو حدة.

يقول: إنه من حدة فطنته وشدة ذكائه، صار توهمه علماً، فيقضي على الأمور الغائبة باليقين، لا بالتوهم والظن. وقيل: أراد أن إقدامه في الحرب، لعلمه بعواقب أمره في أنه يتلقى السلامة.

يتفزع الجبار من بغتاته فيظل في خلواته متكفنا

يقول: إن كل جبار يفزع من أن يهجم عليه بغتةً فيقتله، ويظل لابساً أكفانه إذا خلا بنفسه.

أمضى إرادته فسوف له قدٌ واستقرب الأقصى فثم له هنا

سوف: للاستقبال، وقدٌ: للمضي وتقريب العهد، فلما جعله اسماً أعربه، وثم: للمكان البعيد. وهنا: إشارة إلى المكان القريب.

يقول: إن مراده طوع أمره فما يريد فعله في المستقبل، بمنزلة ماضي المفعول، والبعيد عنك بمنزلة القريب

يجد الحديد على بضاضة جلده ثوباً أخف من الحرير وألينا

روى جلده بدل جسمه. والبضاضة: الطراوة والنعومة.

يقول: إنه مع نعومة جسمه ولين جلده، يجد الحديد والسلاح على بدنه أخف من الحرير وألين، وإن كان الحرير هو النهاية في الخفة واللين؛ وذلك لتعوده لبس السلاح وألفه له.

وأمر من فقد الأحبة عنده فقد السيوف الفاقدات الأجفنا

يقول: فقد السيوف المجردة من الأغماد، أشد عليه وأمر عنده من فقد الأحبة وبعدهم عنه.

لا يستكنٌ الرعب بين ضلوعه يوماً ولا الإحسان ألا يحسنا

الإحسان: قيل إنه بمعنى العلم، ومعناه أن الخوف لا يستكن بين ضلوعه: أي لا يدخل ولا يستقر في قلبه وكذلك لا يستقر في قلبه العلم بألا يحسن إلى الناس. أي أنه جواد لا يعلم ترك الإحسان.

وقيل الإحسان: هو ترك الإساءة، وهو الإنعام ومعناه: لا يثبت الإحسان حتى يحسن هو إلى الناس، إذ ليس في الدنيا من يحسن إلى الناس غيره.

مستنبطٌ من علمه ما في غدٍ فكأن ما سيكون فيه دونا

مستنبط في يومه ما في غده دون جمع والهاء في فيه يجوز أن تكون للممدوح، ويجوز أن تكون راجعة إلى علمه يقول: إنه عالم بعواقب الأمور يعرف في يومه ما يحدث في غدٍ، فكأن ما سيكون مكتوب عنده، مجموع الصورة لديه.

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنا

تنقاصر: خبر الأفهام. مثل: نصب؛ لأنه صفة لمصدر محذوف. أي تتقاصر مثل تقاصرها عن الإدراك. الذي هو علم الله تعالى. الذيي الأفلاك فيه. والدنا: جمع الدنيا. فعلى هذا جعل كل أفق منها دنيا، فجاء الجمع لهذا.

يقول: إن الأفهام تعجز عن إدراك حقيقته، ويقصر الإدراك عن علم معانيه، كما تعجز عن إدراك حقيقة ما وراء العالم. وهو المراد بقوله: الأفلاك فيه والدنا؛ لأن الناس اختلفوا فيما هو خارج العالم.

فقال: كلما لم يعرفوا حقيقته ما ظرف له كذلك لا يعرفون حقيقة صفاتك.

وعن ابن جنى: إن المراد بقوله: الأفلاك فيه والدنا، هو الله تبارك وتعالى.

من ليس من قتلاه من طلقائه ... من ليس ممن دان ممن حينا

الطلقاء: جمع الطلائق. ودان: أطاع. وحين: دنا حينه، أي هلاكه. ومن ليس مبتدأ، ومن طلقائه خبره. أي من ليس من قتلاه، فهو من طلقائه. وكذلك الثاني.

يقول: إنه أفنى العباد ببأسه وسطوته، وملكهم بعفوه، فمن لم يقتله فهو طليق عفوه، ومن لم يطعه فهو ممن دنا حتفه وهلاكه.

لما قفلت من السواحل نحونا ... قفلت إليه وحشةٌ من عندنا

يقول: إنك لما رحلت عنا استوحشنا لبعدك، فلما رجعت إلينا زالت عنا الوحشة، ورجعت إلى السواحل التي غبت عنها.

وكان بدر الممدوح قد خرج إلى الساحل الذي رد إليه عمله، فلما عاد مدحه بهذه القصيدة.

أرج الطريق فما مررت بموضع ... إلا أقام به الشذا مستوطنا

أرج: أي فاحت منه رائحة الطيب. والشذا: المسك، وقيل: هو حدة ريحه.

يقول: إن الطريق الذي سلكته عبق من طيب ريحك، فكل موضع مررت به أقام به الريح طيباً لا يفارقه، حتى كأنه وطنه. أخذه من قول النميري:

تضوع مسكاً بطن نعمان إن مشت ... به زينبٌ في نسوةٍ عطرات

إلا أن المتنبي زاد ذكر الاستيطان

لو تعقل الشجر التي قابلتها ... مدت محييةً إليك الأغصنا

يقول: لو كانت الشجر التي مررت عليها عاقلة عارفة بمحلك، لكانت تمد أغصانها نحوك محييةً ومشيرة بالسلام عليك.

سلكت تماثيل القباب الجن من		شوق بها، فأدرن فيك الأعينا

وروى: من شغف بها. والجن، فاعل سلكت.

يقول: تداخلت الجن في التماثيل التي على القباب المضروبة لتنظر إليك؛ شوقاً لرؤيتك، فأدرن فيك أعينها.

طربت مراكبنا فخلنا أنها		لولا حياءٌ عاقها رقصت بنا

يقول: مراكبنا التي ركبناها إلى الممدوح استخفها السرور بقدومك، والمسير إليك، فلولا أن الحياء منعها من الرقص، لكادت ترقص بنا رقصا.

أقبلت تبسم والجياد عوابسٌ		يخببن بالحلق المضاعف والقنا

روى: يخببن من الخبب: وهو السير السريع، وروى يجنبن من الجنيبة وتبسم: في موضع نصب على الحال، وكذلك الجياد عوابس ويخببن: حال من الجياد، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً فيكون في موضع رفع.

يقول: أقبلت إلينا ضاحكاً مبتسماً وخيلك عابسة؛ لما لحقها من التعب فيسر عن المسير بالدروع المضاعف نسجها وبالرماح.

عقدت سنابكها عليها عثيراً		لو تبتغي عنقاً عليه أمكنا

العثير: الغبار. والعنق: ضرب من السير؛ ترفع فيه الدابة عنقها.

يقول: إن الغبار الساطع من حافرها قد يعقد، لكثافته حتى كأنه أرض صلبه، فلو أرادت الجياد أن تسير على هذا الغبار لأمكنها السير.

والأمر أمرك والقلوب خوافقٌ		في موقفٍ بين المنية والمنى

قيل: الأمر هنا بمعنى الحال، أي أقبلت وحالك في طلاقة وجهك، مثل حالك إذا كنت في الحرب، حين تخفق القلوب من الرعب، فتكون القلوب واقفة بين الموت والبقاء.

يعني: أنه في الحرب ضاحك السن، مثل حاله القديمة. وقيل: أراد به أن أمرك نافذ في الأولياء والأعداء. وقلوب أعدائك خائفة واقفة بين الخوف من الموت وبين الرجاء.

فعجبت حتى ما عجبت من الظبى		ورأيت حتى ما رأيت، من السنى

الظبى: جمع الظبية، وهي حد السيف. والسنى مقصور: هو الضوء. تقديره: فعجبت من الظبى حتى ما عجبت، ورأيت من السنى حتى ما رأيت.

يقول: رأيت السيوف حولك متجردة فعجبت من كثرتها، وزاد الأمر حتى زال تعجبي مما رأيت من لمعان السيوف وبريقها، فبقيت متحيراً كمن لا حس له، وغلب لمعانها على بصري حتى ما رأيت؛ لأن لمعانها غشى عيني.

وقيل: أراد فعجبت من انهزامهم، حتى زال تعجبي، من أجل السيوف التي لمعت بأيديهم، فقلت حق لهذه السيوف أن تعمل هذا، فأزال تعجبي؛ لأني لم أستكره أن يكون ذلك الانهزام فعل ما رأيت.

وقيل: أراد أني عجبت من السيوف لكثرتها ولمعانها حتى التهيت بالعجب! فزال تعجبي كما قال أبو تمام:

على أنها الأيام قد صرن كلها ... عجائب حتى ليس فيها عجائب

وكذلك بريق السيوف؛ لشدة بريقه ولمعانه كف ضوءها بصري.

إني أراك من المكارم عسكراً ... في عسكر، ومن المعالي معدنا

قيل: معناه إنك في نفسك عسكر، وحولك من مكارمك عسكر؛ فلهذا أراك عسكراً في عسكر من المكارم.

وقيل: معناه إني أراك عسكراً من المكارم، في عسكر من الخيل والرجال، وأنك معدن: أي أصل لكل خير وشرف. ومثل المصراع الأول لأبي تمام:

لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا ... من نفسه وحدها في جحفل لجب

فطن الفؤاد لما أتيت على النوى ... ولما تركت مخافةً أن تفطنا

يقول: أنت عالم بما فعلت بعدك من شكرك والثناء عليك وغير ذلك، وعالم بما لم أفعله مخافة أن تفطنه. يعني: إني لو لم أتركه إلا مخافة أن تقف عليه تركته.

وقيل: أراد أنك تدرك غرضي فيما فعلته، لما بعدت عنك. وهو الاستزادة، ثم تركت البعد خوفاً من أن تقف على قصدي ومرادي. وقيل: أراد فعلت ذلك لأتجدد بالنوى عندك.

أضحى فراقك لي عليه عقوبةً ... ليس الذي قاسيت منه هينا

الهاء في عليه: راجعة إلى ما في قوله: لما أتيت أي صار فراقك عقوبة لي على ما أتيته من التأخر عنك وقد قاسيت منه وحشة عظيمة وأسفاً شديداً.

فاغفر، فدىً لك، واحبني من بعدها لتخصني بعطيةٍ منها أنا

يقول: اغفر ذنبي بعفوك عن التخلف عنك، وعلى التقصير الذي كان مني في حال البعد عنك، ثم صلني بعد المغفرة بصلة، لأكون مخصوصاً بها، واحبني في جملة من تحبه.

وانه المشير عليك في بضلةٍ فالحر ممتحنٌ بأولاد الزنا

يقول: ازجر من يشير عليك في بما لا يليق بكرمك، فإنه ضلة، وإن أطعته في ذلك تكون غير سالك طريق الرشد، فإنه ولد زنا والحر مبتلٍ بأمثاله: أي بأولاد الزنا.

وإذا الفتى طرح الكلام معرضاً في مجلسٍ أخذ الكلام اللذ عنا

اللذ: بسكون الذال، لغةٌ في الذي.

يقول: إذا عرض الفتى بكلامه رجلاً، فإن المعنى يأخذ ما عرض به من الكلام.

ومكايد السفهاء واقعةٌ بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى

المقتنى: مصدر من اقتنيت الشيء، إذا اكتسبته، ويجوز أن يكون اسم المفعول.

يقول: إن السفيه لضعف رأيه إذا كان عدواً، رجع ضرر كيده عليه، ومن عادى شاعراً فقد اكتسب شراً طويلاً وهجواً كثيراً، وذلك بئس المدخر.

لعنت مقارنة اللئيم فإنها ضيفٌ يجر من الندامة ضيفنا

الضيفن: الذي يجيء مع الضيف من غير دعوة. روى: من الندامة ومن العداوة.

يقول: لعن الله صحبة اللئام؛ فإنها تعقب الندامة.

غضب الحسود إذا لقيتك راضيا زرءٌ أخف علي من أن يوزنا

الرزء: المصيبة.

يقول: إذا رضيت علي يخفف علي عضب من يحسدني. ومثله لأبي فراس:

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ وليتك ترضى والأنام غضاب

ومثله لآخر:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً علي لئامها

أمسى الذي أمسى بربك كافراً من غيرنا، معنا بفضلك مؤمنا

يقول: أمسى من يكفر بالله، مقراً بفضلك؛ لأنه يدرك بالأبصار، ومعرفة الله تعالى تستنبط بالنظر والاعتبار والمشاهدة.

خلت البلاد من الغزالة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا

الغزالة: الشمس في وقت الضحى. وقدم ضمير الغائب في قوله: فأعاضهاك. وأخر ضمير المخاطب، وذلك ليس بالاختيار إلا في ضرورة الشعر، والهاء: للبلاد. والكاف: للخطاب. وليلها: نصب على الظرف. وتحزن للبلاد.

يقول: لما غابت الشمس عن الأرض ليلاً، فخلت من الشمس جعلك الله لها عوضاً من الشمس؛ لئلا تحزن البلاد لفراقها. يعني: أنه يقوم للبلاد مقام الشمس.

ودخل عليه فوجده خالياً للشراب، وقد أمر الغلمان بحجاب الناس عنه. فارتجل:

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوةٍ هيهات لست على الحجاب بقادر

تأمر: خبر أصبح.

يقول: أمرت بالحجاب لخلوةٍ بنفسك، وما أبعد ما أردت! لأنك لا تقدر على الاحتجاب؛ للعلة التي ذكرها وهي قوله:

من كان ضوء جبينه ونواله لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

يقول: من كان نور وجهه ظاهراً، ونواله مبذولا، غير محجوبين، لم يحتجب هو عن عين، وإن أرخيت دونه الحجب.

فإذا احتجبت فأنت غير محجبٍ وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

يقول: إذا احتجبت فأنت غير محتجب في الحقيقة، وإذا استترت فأنت نفس الظاهر، وأنت الظاهر في الحقيقة.

وسقاه يوماً ولم يكن له رغبةٌ فقال يذكر وده لبدر:

لم نر من نادمت إلاكا لا لسوي ودك لي ذاكا

قال ابن جنى: من في قوله: من نادمت نكرة موصوفة بمنزلة رجل. وقوله: نادمت صفة له. لا صلة؛ كأنه قال: لم نر إنساناً نادمته غيرك. فحذف الهاء؛ وذلك لأنه استثنى منه الكاف، ومن إذا كانت نكرة تقع موقع الجماعة، فيصح الاستثناء منه.

وقد يجوز أن يكون بمعنى المعرفة، واقع موقع الجماعة. وقوله: إلاك قبيح لا يجوز إلا في ضرورة

الشعر، لأنه وصل الضمير في موضع الفصل.

يقول: لم نر أحداً نادمته سواك، وليس ذلك مني لسوى محبتك وودك لي. يعني: إني لا أحب الشراب وإنما نادمتك وشربته محبة مني إليك.

ولا لحبيها ولكنني ... أمسيت أرجوك وأخشاكا

الهاء في قوله: لحبيها للخمر. ويجوز أن تكون للمنادمة.

يقول: ما شربت الخمر حباً لها؛ ولكن شربتها لأني رجوتك أن تقضي حاجتي، وخشيت إن لم أشربها ألا تقضي حاجتي.

وقال أيضاً يفخر بمنادمته الأمير ويمدحه:

عذلت منادمة الأمير عواذلي ... في شربها وكفت جواب السائل

يقول: إن منادمته شرفٌ لي ومجد، فمن عذلني عليها كان بالعذل أولى، ومن سألني عنها لم احتج إلى إجابته؛ لأن المنادمة جواب له بما فيها من الشرف. ومثله للطائي:

عذلت سواكب دمعه عذاله ... بمدامع فندن كل مفند

مطرت سحاب يديك ري جوانحي ... وحملت شكرك واصطناعك حاملي

يقول: أمطرتني حتى رويت وشكرتك على ذلك، ونعمك بلغتني المترلة الرفيعة.

فمتى أقوم بشكر ما أوليتني ... والقول فيك علو قدر القائل؟ !

يقول: متى يمكنني أن أقوم بشكر ما أوليتني من النعم؟ فأنا إذا شكرتك ومدحتك، فإن مدحي فيك يرفع قدري ويشرفني، فيكون ذلك نعمة منك علي، يجب القيام بشكرها، وذلك الشكر نعمةٌ، فإذا كان الحال هذا، كيف يمكن القيام بشكرك؟ أخذه من قول محمود الوراق:

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً ... علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف أداء الشكر إلا بعونه؟ ... وإن دنت الأيام واتصل العمر

وكان بدرٌ قد تاب من الشراب مرةً بعد أخرى، فرآه أبو الطيب يوماً يشرب فقال له:

يا أيها الملك الذي ندماؤه ... شركاؤه في ملكه لا ملكه

يقول: إن ندماءه شركاؤه في ملكه أي ماله مبذول لندمائه، وأما ملكه ورئاسته فمختصة به، لا يشركه فيها غيره؛ لأن بذله غير جائز ومثله:

ولو جاز أن يحووا علاك وهبتها ولكن من الأشياء ما ليس يوهب

في كل يوم بيننا دم كرمةٍ لك توبةٌ من توبةٍ من سفكه

يقول: كل يوم بيننا خمر، وكل يوم توبةٌ من توبةٍ من سفكه. أي سفك هذا الدم أي أنك تتوب من التوبة التي هي توبة من سفكه.

والصدق من شيم الكرام فنبنا أمن الشراب تتوب أم من تركه؟

أصله: فنبئنا. فأبدل الهمزة ياء، ثم حذفها. وروى أيضاً: فنبئاً، وأصله: فنبئن وهي نون تأكيد ساكنة، فأبدلها ألفاً فقال: نبئاً.

يقول: أخبرنا أنك تائب من الشراب، أم من ترك الشراب؟ فقال بدر: بل من تركه يا أبا الطيب.

وقال فيه أيضاً يمدحه:

بدرٌ فتىً لو كان من سؤاله يوماً توفر حظه من ماله

يقول: إنك كثير العطاء. يعني من يأتيه فلو كان مثلاً يوماً واحداً من جملة سائليه، لكان له نصيب وافر من ماله.

تتحير الأفعال في أفعاله ويقل ما يأتيه في إقباله

روى: الأفعال في أفعاله. وروى: الأقوال في أقواله.

يقول: إنه يأتي بأفعال بديعة عظيمة، بحيث تتحير أفعال الناس فيها، وإن ما يأتيه من الأفعال العجيبة في جنب إقباله قليلة، وإقباله أعظم من أفعاله.

قمراً نرى وسحابتين بموضع من وجهه ويمينه وشماله

يقول: إن يديك كالسحابتين، تهطلان بالعطاء، وفي الحرب بالدماء، ووجهك كالقمر، ومن شأن السحاب أن يستر القمر وسحابتاه لا تستران ضياء نوره.

وقال ابن جنى: معناه أن يمينه تسح بالعطاء، وشماله تسح الدماء.

وهذا غير جيد، لأن أكثر الأعمال إنما تكون باليمين، وكذلك المحاربة. إلا إذا كان الرجل أعسر أيسر، أو يكون دون أعسر. والباء في قوله: بموضع بمعنى في: أي في موضع وإن شئت علقتها بالفعل، فيكون إذ ذاك فارغة لا ضمير لها، وإن شئت جعلتها صفةً لنكرة محذوفة: أي نرى قمراً وسحابتين كائنتين بموضع. وكذلك من إن شئت علقتها بالفعل، وإن شئت بمحذوف.

سفك الدماء بجوده لا بأسه كرماً لأن الطير بعض عياله

اللام في لأن بدل من اللام المقدرة في كرماً.

يقول: إنه تكفل بأرزاق الطير، وجعلها من جملة عياله، فهو يقتل أعداءه ليطعم الطير لحوم القتلى؛ لكرمه واعتياده إطعام الطير دائماً.

إن يفن ما يحوي فقد أبقى به ذكراً يزول الدهر قبل زواله

يقول: إن كان قد أفنى ماله بسخائه، فقد اكتسب ذكراً يبقى إلى آخر الزمان. وقوله: يزول الدهر إلى آخره. أي لا يزول ذكره أبداً، ما دام الدهر؛ لأنه أراد أنه يبقى بعد الدهر، وإنما قصد به تأكيد بقاء الذكر. وهو من قول الآخر:

تمر به الأيام تسحب ذيله وتبلى به الأيام وهو جديد

وسأله حاجةً فقضاها، فنهض وهو يقول شكراً له على قضاء حاجته:

قد أبت بالحاجة مقضيةً وعفت في الجلسة تطويلها

عفت الشيء: إذا كرهته.

وروى: في الجلسة بفتح الجيم وكسرها.

يقول: رجعت بقضاء حاجتي، وكرهت تطويل الجلوس بعد قضاء الحاجة.

أنت الذي طول بقاءٍ له خيرٌ لنفسي من بقائي لها

وروى: طول بقاء به.

يقول: بقاءك خيرٌ لي، من حياتي لنفسي؛ لأني منك في راحة، وأنا من نفسي في عناء فزاد الله في حياتك من حياتي: دعاء له.

فسأله بدرٌ الجلوس فقال يذكر علو منزلة الأمير بدرٍ لما سأله أن يجلس:

يا بدر إنك، والحديث شجون من لم يكن لمثاله تكوين

شجون: أي ضروب. وهو مأخوذ من شجون الوادي: وهي شعبه. وهو مثلٌ قديم، وأصله: الحديث ذو شجون فحذف المضاف. والتكوين: الإيجاد. ومن بمعنى: الذي. وهو خبر إن، واسمها: الكاف. من إنك وقوله: والحديث شجون. اعتراض بين اسم إن وخبرها؛ وإنما جاز ذلك لأن فيه ضرباً من التوكيد. ويجوز أن يكون من نكرة موصوفة. أي إنك رجل ليس له نظير.

وتقدير البيت: يا بدر إنك من لم يكن لمثاله تكوين. أي لم يخلق له نظير.

لعظمت حتى لو تكون أمانةً ما كان مؤتمناً بها جبرين

اللام في لعظمت: جواب لقسم محذوف: أي والله لقد عظمت. ولا يجوز أن تكون لام الابتداء؛ لأنه مختص بالاسم. وجبرين لغة: أي جبريل. وقيل: إن النون بدل من اللام.

يقول: إنك عظيم القدر فلو كنت من جملة الأمانات لكان جبريل غير مؤتمن بها على الوحي، وهذا إفراط.

بعض البرية فوق بعض خاليا   فإذا حضرت فكل فوق دون

خالياً: نصب على الحال.

يقول: إذا خلا الناس منك تفاضلوا في الشرف، فإذا حضرت استووا في التقصير، وصاروا كلهم دونك. أخذه من قول بشار:

وكانت نساء الحي ما دمت فيهم   قباحاً، فلما غبت صرن ملاحا

غير أن المتنبي قلبه.

وقال يمدح بدر بن عمار:

فدتك الخيل وهي مسوماتٌ   وبيض الهند وهي مجردات

مسومات: يجوز أن يكون أراد به معلمات. ويجوز أن يريد به مرسلات. والواو في قوله: وهي في الموضعين: واو الحال. المعنى يدعو له ويقول: الخيل المسومة والسيوف المجردة من الأغماد فداءٌ لك؛ وإنما فداه بها لأنها لو فقدته لم يعملها أحد إعماله.

وصفتك في قوافٍ سائراتٍ   وقد بقيت وإن كثرت صفات

التاء في كثرت: ضمير القوافي: وصفات: رفع بقوله: بقيت.

يقول: قد وصفتك بقصائد يرويها كل واحد، وتسير بها الركبان، وقد بقيت صفات كثيرة، وإن كثرت القوافي.

أفاعيل الورى من قبل دهمٌ   وفعلك في فعالهم شيات

أفاعيل: جمع أفعال. والدهم: السود. والشيات: جمع الشية في الفرس. وهو لون يخالف لون الجملة.

يقول: إن أفعالك مشهورة بين أفعال الخلق، فإن أفعالهم تشبه بعضها بعضاً، وأفعالك مباينة لها، مشهورة فيما بينها.

وقال أيضاً يذكر نعم بدرٍ عليه حين انصرافه من عنده ليلاً وقد سمر معه الليل كله:

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي   ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

الرؤيا: هي ما يرى في النوم. واستعمل ها هنا بمعنى رؤية البصر.
يقول: إن الليل قد مضى، وفضلك باق، وخصالك المحمودة غير منقطعة ولا مبتذلة باختلاف الليل والنهار، ورؤيتك أحلى في العيون من النوم.

على أنني طوقت منك بنعمةٍ شهيدٌ بها بعضي لغيري على بعضي

بعضي: في موضع رفع؛ لأنه فاعل شهيد، وعلى: متعلق بفعل محذوف، أي أمدحك على ما طوقتنيه، أو أثني عليك أو نحوه من الأفعال.
يعني: أنك أنعمت علي نعماً نبت بها لحمي وحسن بها حالي، فظهر أثرها علي، فلو جحدها لساني أقر بها جلدي وحسن حالي.

سلام الذي فوق السماوات عرشه تخص به يا خير ماشٍ على الأرض

يستأذنه في الانصراف عن مجلسه إلى مترله.
يقول: سلام الله عليك، وصار مختصاً بك، يا خير من مشى على الأرض.
وأقبل يلعب بالشطرنج فقال له يمدحه قبل انصرافه من عنده والمطر يهطل:

ألم تر أيها الملك المرجى عجائب ما رأيت من السحاب؟

روى: مارأيت، وما رأيت. وهو أجود.
يقول: أيها الملك الذي يرجى خيره، هل ترى ما رأيت من عجائب هذا السحاب؟ وهي كثرة الأمطار المتواترة.

تشكي الأرض غيبته إليه وترشف ماءه رشف الرضاب

أراد: تتشكى، والهاء في غيبته وما بعده: للسحاب. وترشف: أصله تترشف. أي تمص. والرضاب: قطع الريق.
يقول: تظلمت الأرض إلى السحاب من غيبته عنها، فجاء المطر لتظلمها، فتمص الأرض شهوةً كما يمص العاشق ريق حبيبته. وقيل الهاء في إليه: للممدوح. أي تشكي الأرض إليه غيبته إلى السحاب.

وأوهم أن في الشطرنج همي وفيك تأملي ولك انتصابي

همي: أي قصدي. والانتصاب: التصدي للأمر، والقيام به.

يقول: أنا أظهر لك أني أنظر إلى الشطرنج وليس كذلك، فإني أنا أتأمل فيك، وأتمتع برؤيتك، وأنظر في أفعالك، وقيامي بين يديك خدمةً لك؛ لتأمرني بشيء فأمتثل أمرك.

سأمضي والسلام عليك مني مغيبي ليلتي، وغداً إيابي

روى: وعدي إيابي. يستأذنه في الانصراف.

يقول أغيب ليلتي هذه لا غير، وغداً أعود إليك.

قال ابن جنى: أنا اهم هذه القطعة، ولم أقرأها عليه وكلامه عندي أجود من هذا.

وأخذ الشراب من أبي الطيب، وأراد الانصراف، فلم يقدر على الكلام. فقال هذين البيتين وهو لا يدري أنه قالهما، فلما أصبح أنشده إياهما ابن الخراساني وهما قوله:

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمور

وذا انصرافي إلى محلي آآذنٌ لي أيها الأمير؟

تقديره: نال مني الذي نلت منه.

يقول: شربت الخمر من عقلي ما شربت أنا منها. وقوله: لله ما تصنع الخمور عجباً من صنيع الخمور بالنا.

ثم قال: إأذن لي أيها الأمير في الانصراف إلى منزلي، فإني رأيت الخمر تغلب الإنسان.

وعرض عليه من غده الصحبة فقال ارتجالاً يعتذر عن الصبوح من غدٍ:

وجدت المدامة غلابةً تهيج للمرء أشواقه

تسيء من المرء تأديبه ولكن تحسن أخلاقه

قوله: تهيج للمرء أشواقه. أي تهيج ما سكن من أشواقه. وقوله: تسيء إلى آخره المراد به: من حيث تحمله على الجهل، وطرح الحشمة وإظهار الوقاحة، ولكن تحسن أخلاقه من حيث تورث الفرح وتحمل الإنسان على السخاء. ومع ذلك لا يفي خيرها بشرها.

وأنفس ما للفتى لبه وذو اللب يكره إنفاقه

روى: مال الفتى وما للفتى.

يقول: أعز شيء في الإنسان عقله، والخمر تفسده والعاقل يكره تضييع عقله وإنفاقه.

وقد مت أمس بها موتةً وما يشتهي الموت من ذاقه

يقول: لما شربتها أمس فقدت حسي وصرت إلى حال الموت! ومن ذاق الموت لا يشتهيه مرة أخرى.
ذكر هذه الأبيات استعفاءً من شرب الشراب.

وقال يصف لعبةً وكان لبدرٍ جليسٌ أعورٌ يعرف بابن كروس، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره؛ لأنه لم يكن يجري في المجلس شيءٌ إلا ارتجل فيه شعراً، فقال لبدر: أظنه يعمل هذا قبل حضوره ويعده معه، ومثل هذا لا يجوز أن يكون، وأنا أمتحنه بشيءٍ أحضره للوقت، فلما كمل المجلس ودارت الكئوس استخرج لعبةً قد استعدها، لها شعرٌ في طولها، تدور على لولب، إحدى رجليها مرفوعةٌ، وفي يدها طاقةٌ ريحانٍ، تدار فإذا وقفت حذاء إنسانٍ شرب ووضعها من يده، ونقرها فدارت فقال المتنبي:

وجاريةٍ شعرها شطرها ... محكمةٍ نافدٍ أمرها

قوله: محكمة أي جعل الحكم لها. وشطر الشيء: نصفه.
يقول: إن شعرها على مقدار نصفها، وهي مقبولة الحكم، وأمرها نافذ؛ لأنها كانت إذا وقفت عند إنسان شرب قدحاً، فكأنها حكمت عليه بأن يشرب.

تدور وفي يدها طاقةٌ ... تضمنها مكرهاً شبرها

أراد بالشبر: اليد. يعني أن في يدها ريحان، وأن يدها تضمنته مكرهة؛ لأنها لا اختيار لها.

فإن أسكرتنا ففي جهلها ... بما فعلته بنا عذرها

تقديره: ففي جهلها عذرها بما فعلته بنا.
يقول: إن كانت حكمت علينا بالشرب حتى سكرنا، فإن جهلها بما فعلته بنا، عذرها لنا.
وأديرت فوقفت حذاء أبي الطيب فارتجل يصف اللعبة نفسها:

جاريةٌ ما لجسمها روح ... بالقلب من حبها تباريح

التباريح: جمع التبريح، وهو شدة الشوق. وجارية: رفع؛ لأنها خبر ابتداء محذوف. أي هذه جارية.
يقول: إنها وإن كانت غير ذات روح، فإن حبها قد برح بقلبي.

في يدها طاقةٌ تشير بها ... لكل طيبٍ من طيبها ريح

سأشرب الكأس من إشارتها ... ودمع عيني في الخد مسفوح

الواو في قوله: ودمع عيني واو الحال.
يقول: إن رائحة كل طيب مكتسبٌ من هذه الطاقة التي في يدها، ثم قال: أشرب الخمر بإشارتها،

ودمع عيني في تلك الحال مصبوب؛ لأن كل من شرب الخمر تذكر حبيبه فيهيج له من ذلك الذكر الحزن، فيؤدي إلى البكاء.

وأدارها فوقفت حذاء بدرٍ فقال:

يا ذا المعالي ومعدن الأدب — سيدنا وابن سيد العرب

أنت عليمٌ بكل معجزةٍ — ولو سألنا سواك لم يجب

أهذه قابلتك راقصةً — أم رفعت رجلها من التعب؟ !

قوله: سيدنا أراد يا سيدنا، فحذف حرف النداء. وراقصة: نصب على الحال.

يقول: أنت تعلم بكل شيء خفي يعجز الناس عن إدراكه، ولو سألنا غيرك لم يجب، فأخبرنا عن هذه الجارية، هل قابلتك وهي ترقص، أو تعبت فرفعت رجلها من التعب؟ لأنها كانت قائمة على رجل واحدة.

وأديرت فسقطت فقال في الحال:

ما نقلت في مشيئةٍ قدما — ولا اشتكت من دوارها ألما

روى: مشيئة ومشيةٍ بالتصغير.

على الأول: ما نقلت قدماً بإرادة منها ولا اشتكت من دوارها، حين سقطت من الألم؛ لأنها ليست مما يحس.

وعلى الأخرى: ما نقلت قدماً في مشيةٍ، لأنها وإن كانت ماشية، فلم تنقل قدماً.

لم أر شخصاً من قبل رؤيتها — يفعل أفعالها وما عزما

يقول: لم أر شخصاً سواها يفعل مثل أفعالها، من غير عزم وقصد.

فلا تلمها على تواقعها — أطربها أن رأتك مبتسما

تواقعها: أي رقصها.

يقول: لا تلمها على رقصها، لأنها تداخلها الطرب، فرقصت سروراً لما رأتك مبتسماً.

وقيل: تواقعها: سقوطها. يعني. لا تلمها على سقوطها؛ لأنها لما رأتك ضاحكاً طربت فسقطت.

وقال أيضاً فيها أي اللعبة نفسها:

إن الأمير أدام الله دولته — لفاخرٌ كسيت فخراً به مضر

مضر: اسم قبيلة، فلهذا أنثه، وتقديره: كسيت مضر به فخراً، يعني ذو فخرٍ متناه، حتى أن مضراً اكتست من فخره. وقيل تقديره: لفاخرٌ مضر به كسيت فخراً، يعني: أن مضر تفتخر به بما كساها من الفخر والشرف الزائد.

في الشرب جاريةٌ من تحتها خشبٌ ما كان والدها جنٌّ ولا بشر

الشرب: جمع شارب، يعني: فيما بين الشرب، جارية هذه صفتها.

قامت على فرد رجلٍ من مهابته وليس تعقل ما تأتي وما تذ

يقول: إنها قامت على فرد رجل؛ هيبةً من الأمير وخدمةً، مع أنها لا تعقل ما تفعل وما تترك.

ووصفها بشعر كثير وهجاها بمثله لكنه لم يحفظ فخجل ابن كروس وأمر بدرٌ برفعها فرفعت فقال:

وذات غدائرٍ لا عيب فيها سوى أن ليس تصلح للعناق

إذا هجرت فعن غير اجتنابٍ وإن زارت فعن غير اشتياق

العناق: المعانقة والاجتناب: المباعدة.

يقول: إنه لا عيب فيها، إلا أنها من خشب لا تصلح للمعانقة، وقربها وبعدها عن غير قصد منها.

أمرت بأن تشال ففارقتنا وما ألمت لحادثة الفراق

يقول: إنك لما أمرت برفعها، فارقتنا ولم تتألم لفراقنا، كما يتألم المحب لفراق حبيبه.

ثم قال لبدر ما حملك على ما فعلت؟ فقال له بدرٌ: أردت نفي الظنة عن أدبك، فقال المتنبي معتزاً بأدبه:

زعمت أنك تنفي الظن عن أدبي وأنت أعظم أهل العصر مقدارا

إني أنا الذهب المعروف مخبره يزيد في السبك للدينار دينارا

السبك: الصوغ.

يقول: إن كنت أردت إزالة القهر عني فقد زدت أنا على التجربة، مثل الذهب الذي إذا سبك زاد للدينار ديناراً، وليس كل ذهب كذلك.

قال له بدرٌ: والله للدينار قنطاراً! فقال المتنبي يمدح بدراً وقد أطرى أدبه:

برجاء جودك يطرد الفقر وبأن تعادي ينفد العمر

فخر الزجاج بأن شربت به وزرت على من عافها الخمر

يقول: من يرجوك يغنى، ومن يعاديك يفنى وإن الزجاج فخر على سائر الجواهر من الذهب والفضة، لما شربت به، وعابت الخمر من عافها ولم يشربها، حين تشربها أنت.

وسلمت منها وهي تسكرنا حتى كأنك هابك السكر

أي شربنا الخمر معك فأسكرتنا ولم تسكرك! فكأنها خافتك ولم تقدر عليك.

ما يرتجى أحدٌ لمكرمةٍ إلا الإله وأنت يا بدر

يقول: ليس أحد يرتجى خيره، إلا الله عز وجل، ثم أنت.

وخرج أبو الطيب إلى جبل جرش: وهي مدينةٌ عظيمةٌ نسب إليها الجبل. فنزل بعلي بن أحمد المري الخراساني وكانت بينهما مودة بطبرية فقال يمدحه:

لا افتخارٌ إلا لمن لا يضام مدركٍ أو محاربٍ لا ينام

روى: مدركٍ أو محاربٍ، جراً. فيكونان صفتين لمن. ومن تكون نكرة.

وروى. مدركٌ أو محاربٌ بالرفع، فيكونان خبرين لمبتدأ محذوف. أي هو مدرك. ومن تكون معرفة بمعنى الذي. ويجوز: أن يكون الجر فيهما على البدل من من ويكون بمعنى الذي.

يقول: لا ينبغي أن يفتخر إلا من لم يلحقه ضيم وذل من قبل أحد، ولن يكون أحد بهذه الصفة إلا أنت، ومن يكون مدركاً لما رامه، لا ينام عن أعدائه ومحاربتهم.

ليس عزماً ما مرض المرء فيه ليس هماً ما عاق عنه الظلام

نصب عزماً وهماً، لأنهما خبرا ليس، واسمه ما وصلته مرض: أي فرط. والهم: الهمة ها هنا.

يقول: كل عزم يمرض فيه المرء ويفتر دون إمضائه، فليس بعزم على الحقيقة، وكل هم يمنع دون إمضائه ظلام الليل، فليس ذلك بهم على الحقيقة.

واحتمال الأذى ورؤية جاني ه غذاءٌ تضوي به الأجسام

وروى: تتوي به الأجسام. أي تهلك. وتضوي: أي تهزل.

يقول: إن تحمل الأذى ورؤية من يؤذيك ويجني عليك غذاء تبلى به الأجسام وتهزل.

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

وروى: ألذ منه الحمام.
يقول: من يغبط الذليل على عيشه فهو ذليل: ورب عيش يكون الموت خيراً منه، إذا لم تنل المنية، ومثله قول بشار بن برد:

وللموت خيرٌ من حياة على أذى   يضيمك فيها صاحبٌ وتراقبه

كل حلمٍ أتى بغير اقتدار   حجةٌ لاجىءٌ إليها اللئام

يقول: إنما يحسن الحلم مع القدرة. فمن لا يقدر على الانتصار إذا اعتصم بالحلم، فهو حجة يلتجىء إليها اللئام. ومثله قول الآخر:

إن من الحلم ذلاً أنت عارفه   والحلم عن قدرةٍ فضلٌ من الكرم

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميتٍ إيلام

يقول: من كان مهيناً في نفسه سهل عليه إهانة غيره ولا يؤلمه ما يطوى عليه من الذل، فهو كالميت الذي لا يتألم من الجراحة وغيرها.

ضاق ذرعاً بأن أضيق به ذر   عاً زماني واستكرمتني الكرام

الذرع: القلب، وأصله من الذراع، وكان الفصيل إذا مشى مع الإبل وكل عن سيرها، قالوا: ضاق ذرعه أي قصر خطوه، ثم قيل لكل من عجز عن شيء: ضاق قلبه به ذرعاً، وهو نصب على التمييز. وضاق: فاعله زماني. واستكرمتني: أي وجدتني كريماً.
يقول: إن الزمان ضاق قلبه بسبب ضيق قلبي، وذلك إشارة إلى عظم حال نفسه. وقيل: أراد أن الزمان قصدني بأحداثه، فلما لم يمكنه أن يؤثر في، وأن يضيق قلبي بسببه، ضاق قلبه عند ذلك؛ لعجزه عن التأثير في، ووجدني الكرام كريماً في جميع أحوالي.

واقفاً تحت أخمصي قدر نفسي   واقفاً تحت أخمصي الأنام

الأخمص: تحت باطن القدم. ويجوز في واقف الأول: الرفع على إضمار المبتدأ أي أنا واقف والنصب على الحال من الضمير في استكرمتني: أي وجدتني الكرام كريماً في تلك الحال. وأما الثاني: فبالنصب على الحال لا غير. أي أنا دون قدري في حال علوي عن الخلق.
يقول: أنا واقف دون قدر نفسي وما بلغت المترلة التي أستحقها بفضلي، وإن كان الخلق كلهم تحت قدمي. وهذا مثل.

أقراراً ألذ فوق شرارٍ!   ومراماً أبغى وظلمي يرام !

يقال: لذ الطعام يلذه. إذا استلذه. والشرار: جمع شرارة.

يقول: كيف أستلذ القرار في موضع أكون فيه معذباً؟! كالواقف فوق شرار النار! وكيف أطلب حاجة أصل إليها! مع أن الأعداء يرومون ظلمي، فلا أستقر حتى أدفع هذا الظلم عني بحبس ضيقته.

دون أن يشرق الحجاز ونجدٌ والعراقان بالقنا والشام

دون قيل إنها بمعنى: قبل، وقيل بمعنى: سوى. وتشرق: أي تغص وتمتلىء.

يقول: لا أستقر دون أن تمتلىء هذه النوحي بالرماح فأنتصف منهم.

شرق الجو بالغبار إذا سا ر علي بن أحمد القمقام

روى: شرق الجو وهو فعل ماض. ومشرق الجو وهو اسم الفاعل. وشرق الجو وهو مصدر. فيكون تقديره دون أن يشرق العراقان شرقاً مثل شرق الجو بالغبار؛ إذا سار الممدوح لمحاربة أعدائه.

والقمقام: السيد. شبه امتلاء المواضع المذكورة بالجيش، بامتلاء الجو بالغبار، عند مسير هذا الممدوح.

الأديب المهذب الأصيد الضر ب الذكي الجعد السري الهمام

الأصيد: قيل هو المتكبر، وهو من صفة الملوك. والضرب: الخفيف الجسم. والعرب تتمدح به. والجعد مطلقاً: السخي. وقيل: هو الذي لا يضام لعزه. والذكي: التام العقل. والمهذب: المصفى من العيوب. والسري: الرفيع القدرز والهمام: العظيم الهمة.

والذي ريب دهره من أسارا ه ومن حاسدي يديه الغمام

ريب الدهر: صروفه، وحوادثه.

يقول: إن صروف الدهر لا يمتنع أحد من ضيمه، والدهر قد صار من أساراه يصرفه كيف شاء، ويمنع ضرره عن الناس، ومن جملة حاسدي يديه: الغمام المضروب به المثل في السخاء، فيحسد يديه على جوده.

يتداوى من كثرةِ المال بالإق لال جوداً كأن مالاً سقام

نصب جودا. لأنه مفعول له.وقيل: نصب على المصدر؛ لأن ما ظهر من الكلام يدل عليه: أي يجود جوداً.

يقول: كأن الغنى عنده مرض يريد إزالته، فيتداوى منه بالإقلال والإنفاق، وكأن الإقلال عافية، فهو يريد بجوده إزالة السقم عنه وطلب العافية.

حسنٌ في عيون أعدائه أق   بح من ضيفه رأته السوام

السوام: المال الراعي. وحسنٌ: خبر ابتداء محذوف. وتم الكلام عند قوله. حسن.

يقول: إنه حسنٌ على الحقيقة، غير أنه عند أعدائه وفي عيونهم لعلمهم أنه يهلكهم ويقتلهم أقبح منظراً من ضيف في عيون سوائمه؛ لأنها إذا رأت الضيف علمت أنها منحورة مذبوحة، لما جرت به عادته بنحر الإبل للضيف.

قال ابن جنى: على هذا استقر الكلام بيني وبين المتنبي. ومثله لبعض الأعراب:

حبيبٌ إلى كلب الكريم مناخه   بغيضٌ إلى الكوماء والكلب أبصر

وقيل: معناه حسن في عيون أعدائه؛ من حيث أن حسنه قد بهر؛ فيستحسنه عدوه وصديقه، وهو مع ذلك أقبح في السوام من ضيفه، واستغنى بذكره في صدر البيت عن أعدائه في آخره، وإنما استعجبوا لهيبتهم منه وخوفهم من سطوته فيحذرون إيقاعه بهم، كما تخاف الماشية النحر عند رؤية الأضياف.

لو حمى سيداً من الموت حامٍ   لحماك الإجلال والإعظام

الإجلال والإعظام: هو التبجيل والتعظيم.

يقول: لو منع سيداً من الموت مانعٌ، لكان إجلال الناس وإعظامهم إياك يمنعاك الموت، ولكان الموت يهابك ويخشاك.

وعوار لوامعٌ دينها الح   ل ولكن زيها الإحرام

قوله عوار: أي سيوف مجردة من الأغماد.

يقول: وحماه أيضاً السيوف العواري من أغمادها، التي تلمع وتبرق. ودينها الحل؛ لأنها لا تتحرج من الدماء. وزيها الإحرام: لأنها مجردة عن أغمادها، كالمحرم العاري عن ثيابه المتجرد منها.

كتبت في صحائف المجد: بسمٌ   ثم قيسٌ وبعد قيس السلام

يجوز في قوله: بعد قيس الفتح على ترك الصرف، حملاً على القبيلة، ويجوز الجر بلا تنوين، فيكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين. وقوله بسمٌ: أراد "بسم الله الرحمن الرحيم" فجعل الباء من نفس الكلمة ورفع، الرواية الصحيحة: كتبت أي السيوف العواري كتبت: "بسم الله الرحمن الرحيم" في صحائف المجد أي لما أرادت إثبات أسماء المجد كتبت بعده: قيسٌ. أي أن المجد لهم، ثم لما لم ير أحداً يستحق المجد، كتبت في آخر الصحيفة، ما يختم به الكلام: وهو السلام. أي أن المجد مقصور على

قيس.

ورفع بسم وقيس على سبيل الحكاية كقولك: قرأت الحمد لله، وكقول ذي الرمة:

سمعت: الناس ينتجعون غيثاً

وروى: كتبت: على ما لم يسم فاعله. فيكون بسم و قيس مرفوعين، ويكون نائب الفاعل محمولاً على أنه أراد الكلمة بقوله: بسم.

إنما مرة بن عوف بن سعدٍ جمراتٌ لا تشتهيها النعام

أراد بالجمرات جمرات العرب وهم: قيس وضب ونمير. وسميت جمرات؛ لقوتها وكثرة حروبها، فشبهها بالجمرة في الإحراق. يعني: أنهم جمرات في الحرب والغارة، وليسوا كالجمرة التي تشتهيها النعام، لأن النعامة تبتلع الجمرة فتسيغها.

وقال ابن جنى: أراد أنهم جمرات النار؛ لشدقم على أعدائهم، وإحراقهم إياهم، كالجمرات، وليسوا كالجمرات التي تأكلها النعام، بل هم أشد منها.

ليلها صبحها من النار والإص باح ليلٌ من الدخان تمام

تمام: صفة الليل، وهو أطول ليلة في السنة. والهاء في ليلها: القيس، أو لمرة بن عوف.

يقول: ليلهم كالصباح من كثرة اشتعال النيران؛ ليهتدي بها إليهم الأضياف والضلال، أو لإحراقهم دور أعدائهم. وصباحهم كالليل المظلم؛ من كثرة الدخان، لإحراقهم بيوت أعدائهم.

هممٌ بلغتكم رتباتٍ قصرت عن بلوغها الأوهام

يقول: لهم همم قد بلغتهم منازل من المجد، بحيث تقصر الأوهام عن بلوغ تلك المنازل. ولا تبلغها أوهام الناس.

ونفوسٌ إذا انبرت لقتالٍ نفدت قبل ينفد الإقدام

روى نفدت قبل ينفد: أي فنيت. وروى فقدت قبل ينفذ الإقدام. ونفوس: رفع عطفاً على هممٌ، وانبرت: أي اندفعت وعرضت. أما بالذال: فمعناه إذا انبرت نفوسهم للقتال سبقت إلى الأعداء قبل سبق إقدام أعدائهم، وبالدال: معناه أن نفوسهم إذا انبرت لقتال فنيت بالقتال قبل أن يفنى الإقدام: أي يقتلون في الحال، وليس لهم إحجام.

وكفتك الصفائح الناس حتى قد كفتك الصفائح الأقلام

يقول: استغنيت بسيوفك عن نصرة الناس، ثم استغنيت بأقلامك عن سيوفك، بما حصل في قلوب الناس من هيبتك.

وقلوبٌ موطناتٌ على الرو ع كأن اقتحامها استسلام

الاقتحام: طرح النفس على الأمر من غير تأمل.
يقول: لهم قلوب قد وطنوها على الحرب، فكأن اقتحامهم استسلام. أي أنهم يسلمون أنفسهم للموت.

قائدو كل شطبةٍ وحصانٍ قد براها الإسراج والإلجام

الشطبة: الفرس الطويلة، وهي الأنثى. والحصان: الفرس الكريم. الذكر فقط، وقد أفرد الضمير في قوله: قد براها وحقه أن يقول: براهما اكتفاء بأحد الوصفين. وتقديره: قائدو كل شطبة قد براها، وكل حصان قد براه. الإسراج والإلجام. يعني أن هذه الأفراس قد أنحفها الإسراج والإلجام.

يتعثرن بالرءوس كما مر بتاآت نطقه التمتام

يتعثرن: أي الخيل، وموضعه النصب على الحال. والتمتام: الذي يتردد لسانه في التاء والفأفاء: الذي يتردد لسانه في الفاء والألثغ: الذي يبدل الحروف، وهو الأرت أيضاً. والألكن: الذي يصب كلامه في قوالب الفارسية. وقبل التمتام: هو الذي يعجل في الكلام ولا يكاد يفهمك.
يقول: إنهم يقطعون رءوس الأعداء في الحرب، فتعثر خيلهم بالرءوس كما يعثر لسان التمتام عند نطقه بالتاء.

طال غشيانك الكرائه حتى قال فيك الذي أقول الحسام

الغشيان: الملابسة. والكرائه: جمع كريهةٍ، وهي الحرب.
يقول: طال ملازمتك الحروب وملابساتها، حتى أن السيف يقول مثل ما أقوله: أي لو كان له نطق لقال كذلك.

وكفتك التجارب الفكر حتى قد كفاك التجارب الإلهام

الإلهام: حصول العلم في القلب من غير استدلال.
يقول: إن التجارب أغنتك عن الفكر، ثم استمررت على فعل الصواب، حتى أغناك الإلهام عن التجارب.

فارسٌ يشتري برازك للفخ ر بقتل معتل معجل لا يلام

أي من يبارزك، يختار القتل للفخر، فلا يلام عليه ولا يعزل؛ لما يحصل له من نشر الذكر.

نائلٌ منك نظرةٌ ساقه الفق ... ر عليه لفقره إنعام

يقول: من ساقه الفقر إليك حتى ينال منك نظرة واحدة، فإن لفقره إنعام عليه! لأنك تجبر فقره لامحالة؛ فيكون فقره سبباً إلى حسن حاله وانتظام أحواله.

خير أعضائنا الرءوس ولكن ... فضلتها بقصدك الأقدام

يقول: إن الرءوس أفضل الأعضاء فينا؛ لما فيها من أنواع الحواس، غير أن الأقدام صارت أفضل منها؛ لقصدها إياك، وتقريب المسافة بيننا.

قد لعمري أقصرت عنك وللوف ... د ازدحامٌ وللعطايا ازدحام

خفت إن صرت ف يمينك أن تأ ... خذني في هباتك الأقوام

روى: ولعمري. يقول: أمسكت عن قصدك، والوفود مزدحمة؛ لأني خفت أن تهبني لبعضهم في جملة هباتك التي تهبها.

ومن الرشد لم أزرك على القر ... ب على البعد يعرف الإلمام

تم الكلام عند قوله: على القرب.

يقول: كان من الرشد ترك زيارتك على القرب؛ لأن الزيارة إذا كانت من بعدٍ كانت أوقع.

وعن ابن جنى قال: سألت المتنبي عن هذا؟ فقال. كنت بالقرب من الممدوح فلم أزره، فلما بعدت عنه زرته.

ومن الخير بطء سيبك عني ... أسرع السحب في المسير الجهام

الجهام: السحاب الذي أراق ماءه.

يقول: إن تأخر عطاياك عني كان خيراً لي وأنفع؛ لأنه إذا تأخر كان أكثر، ولو كان سريعاً لكان قليلاً؛ لأن السحاب الجهام يكون أسرع سيراً، ومع ذلك لا خير فيه، وإنما يكون المطر فيما يتثاقل في السير.

قل فكم من جواهر بنظام ... ودها أنها بفيك كلام

الود والوداد: المحبة والإرادة.

يقول: تكلم وأسمعنا حسن كلامك، فكم جواهر منظومة منيتها أن تكون في فمك كلاماً.

هابك الليل والنهار، فلو تن ... هاهما لم تجز بك الأيام

يقول: إن الأيام والليالي تخافك وتطيعك، فلو نهيتها عن المرور عليك والاجتياز بك، لما اجتازت بك، أي لو أمرت الدهر أن يقف لوقف!!

حسبك الله؛ ما تضل عن الحـ ق وما يهتدي إليك أثام

الأثام: هو الإثم. وقد يكون بمعنى العقوبة.

يقول: دعاء له. الله كافيك، فإنك لا تزول عن الحق، ولا يهتدي إليك الإثم.

لم لا تحذر العواقب في غيـ ر الدنايا؟ أو ما عليك حرام !

الدنايا: جمع دنية، وهي كل فعل مذموم. قوله: أو ما قيل: بمعنى الذي: يعني أنك لا تحذر عاقبة شيء إلا عاقبة الأفعال الدنية، وعاقبة الذي عليك حرام. فلم لا تحذر عواقب غير هذين من الجود والإقدام، كا تحذر عاقبة الدنية والحرام. وقيل: إن ما نفى ومعناه: ليس عليك شيء حرام في الدنيا ممنوع عنك، فإنك تقدر على كل شيء، إلا على الدنايا.

كم حبيبٍ لا عذر للوم فيه لك فيه من التقى لوام

يقول: كم حبيب لك، لو واصلته لما لامك أحد فيه، فلم يمنعك عن مواصلته إلا التقى. وقيل: معناه كم فعل محبوب، لو فعلته فلا سبيل للوم عليك فيه، لكونه مباحاً، غير أنك تجتنبه للتقى، فكأن لك من التقى لائم.

رفعت قدرك النزاهة عنه وثنت قلبك المساعي الجسام

يقول: رفعت النزاهة والعفة قدرك عن هذا الحبيب، وصرفت قلبك مساعيك العظام واشتغالك بها.

إن بعضاً من القريض هذاءٌ ليس شيئاً، وبعضه أحكام

روى هراء وهذاء.

يقول: إن الشعر بعضه هذيان، وكلام لا معنى له، وبعضه حكمة وصواب. وهذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر لحكما" أي يحكم على الإنسان، ويسمه سمة الخير والشر منه.

منه ما يجلب البراعة، والفضل ومنه ما يجلب البرسام

البراعة: الفصاحة. والبرسام: بالسريانية، ورم الصدر؛ لأن البر: الصدر، والسام: الورم. وهو داء يكثر فيه الهذيان. وهذا تأكيد للمعنى الذي ذكر في البيت الأول. أي بعض الشعر يكون من الفصاحة

وبعضه من البرسام.

فحمله على فرسٍ وسأله المقام عنده فقال يعتذر عن تعجله في الرحيل:

لا تنكرن رحيلي عنك في عجلٍ فإنني لرحيلي غير مختار

وربما فارق الإنسان مهجته يوم الوغى غير قالٍ خشية العار

يقول: لا تنكرن رحيلي عنك، فإنني غير مختار لذلك، ومفارقتي إياك بمترلة مفارقة الإنسان نفسه يوم الحرب؛ فإنه لا يكون مبغضاً لنفسه، وإنما يفعل ذلك لخوف العار، كذلك مفارقتي إياك، ليس لبغضي لك، وإنما هو بمعنىً آخر.

وقد منيت بحسادٍ أحاربهم فاجعل نداك عليهم بعض أنصاري

منيت: أي بليت. وقد روى ذلك، وروى: أحارهم وأحاذرهم أيضاً.

يقول: إني بليت بقوم حساد، أحارهم وأنازعهم وأطلب قهرهم، فاجعل عطاءك بعض أنصاري عليهم. هذا عذر لمفارقته. وقيل: أراد أن لي حساد يحسدونني عليك، ويحاولون إفساد حالي عندك، فانصرني عليهم بجودك وإحسانك. ونظيره قوله:

أزل حسد الحاد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

وقال يصف سيره في البوادي وما لقي في أسفاره، ويذم الأعور بن كروس بعد أن رجع من جبل جرش:

عذيري من عذاري من أمور سكن جوانحي بدل الخدور

العذير: الذي يقبل العذر، وهو أيضاً كل ما يعذر الرجل على فعله، ومعناه: من يعذرني. والعذارى: جمع عذراء، وهي البكر من النساء وأراد هنا بالعذارى الأمور العظام وجعل الأمور أبكاراً، لأنها لم تهجم على أحد قبله، ولم يحدث في مستقبل الأيام مثلها، ولم يطلبها أحد لصعوبتها. ولما جعلها أبكاراً جعل جوانح صدره لها خدوراً.

يقول: من يعذرني من أمور أبكارٍ هجمت علي وحلت قلبي بدل حلولها في الخدور، ولم تهجم على أحد قبلي؟!

ومبتسمات هيجاوات عصر عن الأسياف ليس عن الثغور

هيجاوات: جمع هيجاء، وهي الحرب. وأضاف مبتسمات إليها وهي إضافة الشيىء إلى نفسه.
يقول: من عذيري من حروب تبتسم عن أسياف مجردة مصقوله لا كالنساء اللاتي يتبسمن عن الثغور. شبه صفاء السيوف بصفاء الثغور.

ركبت مشمراً قدمي إليها   وكل عذافر قلق الضفور

العذافر: الجمل الشديد. والضفور: جمع الضفر، وهو حزام الرحل. ونصب مشمرا على الحال من التآء من ركبت والهاء في إليها للأمور، والهيجاوات. وأراد بالقلق الضفور: أي أن الحزام كان قد قلق للجهد، وطول السير. وقيل: يقال للجمل الصعب إنه قلق الضفور.
المعنى: طلبت هذه الصعبة الشديدة، مرة راجلاً، ومرة راكباً، لبعير قد جهده السفر حتى قلق ضفوره.

أواناً في بيوت البدو رحلي   وآونةً على قتد البعير

آونة: جمع أوان.
يقول: أكون مره في بيوت البدو، ورحلي محطوط هناك. وأزمنة على قتد البعير. وجعل سيره أكثر من استقراره.
وقيل: معناه أن رحله يكون في بيوت البدو مرة أي يترك رحله فيها ويسير راجلاً، ومرة. يحمل على البعير. وهو مثل البيت الذي قبله وأراد بالرحل: آلة السفر. والقتد والقتب رويا. وهو خشب الرحل.

أعرض للرماح الصم نحري   وأنصب حر وجهي للهجير

أعرض: أي ألقى الرماح بنحري. وحر كل شيء: خالصه. والهجير: الوقت الذي يشتد فيه الحر.
معناه: أحارب مرة فألقى الرماح بنحري، ومرة أسير مقابلاً شدة الحر بوجهي وقت الهاجرة؛ رجاء أن أدرك معالي الأمور.
وأول البيت من قول الآخر:

تعرض للطعان إذا التقينا   وجوهاً لا تعرض في السباب

وأسرى في ظلام الليل وحدي   كأني منه في قمرٍ منير

الهاء في منه للظلام. وقيل: للوجه في قوله: حر وجهي.

يقول: أنا أمضي في ظلمة الليل وحدي، لا أخاف أحداً فكأن سيري في ضوء القمر، وكأني من نور وجهي في ليلة قمراء.

فقل في حاجةٍ لم أقض منها على تعبي بها شروى نقير

روى تعبي وشغفي والشروى بمعنى: الشدائد التي قاسيتها لم أقض منها، حاجتي قدر نقير. وإذا كانت الحاجة في الشدة على ما وصفتها، فقل فيها ما شئت فإنك لا تبلغ وصف شدها.

ونفسٍ لا تجيب إلى خسيسٍ وعينٍ لا تدار على نظير

وقل في نفسٍ لا تجيب إلى خسيس أي إذا دعيت إليه لم تجب، ولا تمدح من كان خسيساً. قوله: وعين لا تدار على نظير. أي إني وحيد في فضلي لا أرى في الناس مثلي! يعني: أن عيني لا ترى نظيراً لي وروى: لا تدور، ولا تدار جميعاً

وكفٍّ لا تنازع من أتاني ينازعني سوى شرفي وخيري

المنازعة: المجادلة.

يقول: إني لا أنازع من ينازعني في شيء من خيري، إلا من أتى ينازعني شرفي وكرمي، فأنا أنازعه

وقلة ناصرٍ جوزيت عني بشرٍّ منك ياشر الدهور!

أي وقل في قلة ناصر ما شئت أن تقول فيها، إذ ليس أحد ينصرني. ثم صرف الخطاب إلى الدهر. فقال: جزاك عني على فعلك بي يا دهر شرٌّ منك. ويعاملك مثل ما عملت معي، فإنك شر الدهور، وكل ما ألاقي منك.

عدوي كل شيءٍ فيك حتى لخلت الأكم موغرة الصدور

الأكمة: الجبل الصغير، والجمع: آكام وأكم، والموغرة: هي المحماة من الغيظ.

يقول: إن كل شيء فيك يا دهر يعاديني!! حتى خيل لي أن الأرض تعاديني! وأن أكماها تغلي صدورها بعداوتي! وإن كانت هي شخص بلا عقل. كما يقول الخائف: أخاف الجدار أن يذيع سري. وذكر ابن جنى فيه وجهين: أحدهما: أن الأكم تنبو به ولا يستقر فيها، فكأن ذلك لعداوةٍ بينهما. والثاني: أنه أراد بذلك شدة ما تقاسي منها من الحر، فكأنها موغرة الصدور من قوة حرارتها ويؤكد ذلك قوله أولاً: وأنصب حر وجهي للهجير.

فلو أني حسدت على نفيسٍ لجدت به لذي الجد العثور

روى: على نفيس وعلى خطير. ومعناه على شيء نفيس، وروى لذي الجد ولذا الجد، وعلى الجد وعلى الدهر.

يقول: لو حسدوني على شيء نفيس ومال خطير، لوهبته لمن له جد. أي بخت. عثور: أي منحوس. غير أني حسدت على حياتي.

ولكني حدست على حياتي وما خير الحياة بلا سرور؟

وما استفهام. يقول: ولكنهم حسدوني على حياتي وهي مشوبة بالحزن! وأي خير في حياة بلا سرور؟! فأنا لا أرضاها لنفسي، فكيف لغيري. وقيل: أراد أنهم يرومون قتلي. فهم يحسدوني على بقاء حياتي.

فيابن كروسٍ يا نصف أعمى وإن تفخر فيا نصف البصير

تعادينا لأنا غير لكنٍ وتبغضنا لأنا غير عور؟!

الكروس في اللغة: الكبير الرأس.

يقول: إن هجيت كنت نصف أعمى، وإن مدحت كنت نصف بصير، فأنت ناقص في الحالين. وأنت تعاديني؛ لأني فصيح، ولست بألكن مثلك، وتبغضني؛ لأني بصير غير أعور. وروى وتمقتنا.

فلو كنت امرءًا يهجى هجونا ولكن ضاق فترٌ عن مسير

الهجاء لا مجال لك فيه، كما أن الإنسان لا يمكنه أن يسير في فتر من الأرض وقال يمدح أبا عبد الله محمد بن عبد الله الخصيبي، وهو حينئذٍ يتقلد القضاء بأنطاكية:

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

أفاضل الناس: جمع أفضل. والأغراض: جمع الغرض، وهوا ما ينصب للرمي، كالهدف. والفطن: جمع فطنةٌ يقول: إن الفضلاء في هذا الزمان مقصودون بالشر والحوادث، كالأهداف، فمن هو أخلى من العقل والفطنة، فهو أخلاهم من الهم. ومثله لابن المعتز:

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وإنما نحن في جيلٍ سواسيةٍ شرٍّ على الحر من سقمٍ على بدن

الجيل: الأمة من الناس. وسواسية: جمع سواء على غير قياس. ولا يستعمل إلا في الشر.

يقول: نحن فيما بين أمة سواءٌ في الشر، ليس فيهم شريف ولا كريم، منهم أشرار، أضر على الحر من السقم على البدن.

حولي بكل مكانٍ منهم خلقٌ تخطي إذا جئت في استفهامها بمن

روى: خلقٌ، وهي جمع خلقة، وهي الصورة، وروى: حلقٌ: وهي جمع حلقةٌ من الناس، وروى حزق: وهي جمع حزقة، وهي الجماعة.

يقول: حولي خلق منهم في صورة الناس، وهم من جهلهم أنعام، فمن استفهم عنهم بمن فقد أخطأ؛ لأنه للناس، وينبغي أن يقول ما

لا أقتري بلداً إلا على غرر ولا أمر بخلق غير مضطغن

اقتريت البلاد: إذا سريت فيها وتتبعتها بلداً بلداً. والغرر: الخطر، وهو ما لا يوثق منه بالسلامة. ومضطغن: أي ذو ضغينة.

يقول: لا أمر على بلد إلا وأنا مخاطرٌ بنفسي، ولا أمر بأحد إلا وهو محتقد علي وكل أحد عدوي؛ لفضلي.

ولا أعاشر من أملاكهم أحداً إلا أحق بضرب الرأس من وثن

الوثن: الصنم، وهو ما عبد من الحجارة. وليس بمصور. ونصب أحق بدلاً من أحد.

يقول: ما عاشرت ملكاً من ملوك الناس إلا وجدته لا خير عنده ولا شر، فكأنه وثن، بل هو أحق وأولى بضرب الرأس من الوثن.

إني لأعذرهم مما أعنفهم حتى أعنف نفسي فيهم وأني

العنف: أشد اللوم. وأني: أي أفتر.

يقول: إني لا أزال ألومهم على ما فيهم من اللوم، فلما وجدتهم جهلة لا يفهمون قبلت عذرهم وصرت أعنف نفسي في لومهم.

وأراد: الملوك الذين تقدم ذكرهم سابقاً.

فقر الجهول بلا قلبٍ إلى أدب فقر الحمار بلا رأسٍ إلى رسن

يقول: إنهم جهال، مفتقرون إلى الأدب، وليس لهم عقول، فافتقارهم إلى الأدب بلا قلب وعقل، كافتقار الحمار من غير رأس إلى رسن يقاد به

ومدقعين بسبروتٍ صحبتهم عارين من حللٍ كاسين من درن

المدقع: الفقر اللاصق بالدقعاء، وهي التراب. والسبروت: الأرض التي لا نبات فيها. والدرن: الوسخ.

يقول: رب قوم صعاليك من أهالي البادية مدقعين، بفلاة قد صحبتهم، فكانوا عارين من الثياب قد علاهم الوسخ.

خراب باديةٍ غرثى بطونهم مكن الضباب لهم زادٌ بلا ثمن

الخراب: جمع خارب، وهو سارق الإبل خاصة، ومكن الضباب، بيضها قال الشاعر:

ومكن الضباب طعام العريب ولا تشتهيه نفوس العجم

وهذه صفات أهل البادية، وقوله: لهم زادٌ بلا ثمن إشارة إلى كونهم لصوصاً. وقيل إشارة إلى أنهم ليس لهم زاد إلا بيض الضب؛ لأنه لا يحتاج إلى ثمن.

يستخبرون فلا أعطيهم خبري وما يطيش لهم سهمٌ من الظنن

طاش السهم: إذا لم يصب الغرض. والظنن: جمع الظنة، وهي التهمة.

يقول: كنت أستر عنهم أمري، وما كانوا يظنون بي، يطلعهم على حقيقة حالي كقول الآخر:

وخبرا عن صاحبٍ لويت وقلت لا أدري وقد دريت

وخلةٍ في جليسٍ أتقيه بها كيما يرى أننا مثلان في الوهن

الخلة: الخصلة. والوهن: الضعف. أي ورب جليس أظهرت له مثل ما هو عليه من نفسي، لئلا يعلم هو من حالي، وليظن أني مثله في الضعف والجهل. ومثله لآخر:

وأنزلني ذل النوى دار غربة إذا شئت لاقيت امرأً لا أشاكله

أحامقه حتى يقال سجيةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنت أعاقله

وكلمةٍ في طريقٍ خفت أعربها فيهتدي لي فلم أقدر على اللحن

اللحن بالسكون: العدول بالكلام عن ظاهره. كقوله تعالى: "ولتعرفنهم في لحن القول" أي بتعريضهم في القول. واللحن بالتحريك: الخطأ في الإعراب.

يقول: رب كلمة خفت في إظهارها، فلم أقدر على أن ألحن فيها؛ لأني مطبوع على الصواب في الإعراب.

قد هون الصبر عندي كل نازلةٍ ولين العزم حد المركب الخشن

يقول: قد جعل الصبر كل بلية تنزل بي خفيفة هنية، وأمضيت عزمي فيما أردت، فلين لي كل صعب خشن.

كم مخلص وعلاً في خوض مهلكةٍ وقتلةٍ قرنت بالذم في الجبن

القتلة بالفتح: المرة الواحدة. وبالكسر: اسم للحالة. والفتح الوجه الوجيه ها هنا.

يقول: كم شجاع خاض الهلاك فتخلص منه، واكتسب علاً وذكراً حسناً، وكم جبان في الحرب لم ينفعه حذره، فقتل واكتسب به مع قتله ذماً.

لا يعجبن مضيماً حسن بزته فهل يروق دفيناً جودة الكفن

المضيم: الذي أصابه الضيم. والبزة: اللباس.

يقول: إن الذليل لا يعجبه حسن لباسه، مع كونه ذليلاً، فإنه بمترلة الميت المكفن في ثياب جيدة، كما أنه لا ينفع الميت جودة الكفن وحسنه، فكذلك لا ينفعه حسن بزته.

لله !حالٌ أرجيها وتخلفني وأقتضي كونها دهري ويمطلني

رجوت الأمر ورجيته بمعنىً. ولله!: تعجب. ودهري: مفعول أقتضى.

يقول: ما أعجب حالاً لا أزال أرجوها، فلا أصل إليها، وهي تخلفني وأنا أقتضي أبداً بكونها، وأطالب بحصولها، والدهر يدافعني بها ويمنعني عنها.

مدحت قوماً وإن عشنا نظمت لهم قصائداً من إناث الخيل والحصن

الحصن: جمع حصان، وهو الكريم من الفرس الذكر. وروى: من حجور الخيل: وهي الفرس الأنثى الكريمة.

يقول: مدحت قوماً رجاءً في العطاء، فلو عشت نظمت لهم قصائد من الخيل. وأراد به جمع الجيوش، ولما جعلها قصائد قال: نظمت.

تحت العجاج قوافيها مضمرةٌ إذا تنوشدن لم يدخلن في أذن

المضمرة: الخيل الخفيفة اللحم. وأراد بالقوافي: الخيل؛ فلذلك قال: مضمرة وبين أنها تخالف سائر القوافي، لأنها لا تدخل في الأذن.

فلا أحارب مدفوعاً إلى جدر ولا أصالح مغروراً على دخن

الدخن: الدخان، وأراد به الغش. ومدفوعاً ومغروراً: نصب على الحال من أحارب، وأصالح.

يقول: لا أحارب منهم، وأنا مدفوع إلى حصن، وملتجىء بدار، بل أحاربه في الفضاء، وإن صالحت أحداً منهم لا أصالحه إلا بعد الثقة، فلا أصالحه وأنا مغرور بظاهره حتى أعلم حقيقة أمره، وأن باطنه كظاهره.

والأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم "هدنةٌ على دخن" وقيل: أراد لا أترك شيئاً في صدري ولا أقعد عن ثأري، ولا أبقى غاية من التشفي إلا بلغتها.

مخيم الجمع بالبيداء يصهره   حر الهواجر في صمٍّ من الفتن

خيم بالمكان: إذا ضرب خيامه فيه. وصهرته الشمس وصهدته وصفرته: إذا أذابت دماغه. وقيل: إذا أحرقته. والهاجرة: عند انتصاف النهار في الصيف ومخيم: نصب على الحال. أي أفعل ذلك في هذه الحالة. والصم: جمع أصم، وهو الصلب، وأراد بالفتن: الحروب.

يقول: إني أحارب من أحارب في فضاء، وأضرب خيمي بها، وأقاسي حر الشمس، وأثير الفتن الشدائد. والضمير في يصهره: للجمع.

ألقى الكرام الأولى بادوا مكارمهم   على الخصيبي عند الفرض والسنن

الأولى: بمعنى الذين.

يقول: إن الكرام الذين ماتوا تركوا مكارمهم على الممدوح، فمكارمهم موجودة فيه وهو يتصرف فيها كما يشاء.

فهن في الحجر منه كلما عرضت   له اليتامى بدا بالمجد والمنن

يقول: إن المكارم صارت في حجره، لما مات عنها الكرام فتكفل هو بحفظها، فكلما عرضت له اليتامى، وهي التي في حجره لينظر فيها، بدأ بالمجد: وهو الكرم والمنن، فقدم النظر في مصالح اليتامى التي مات عنها الكرام، وألقوها عليه.

قاضٍ إذا التبس الأمران عن له   رأيٌ يخلص بين الماء واللبن

قاضٍ: في موضع رفع، أي هو قاض. وعن: أي ظهر.

يقول: إذا التبس الأمر واختلط، ظهر له رأي نافذ، بحيث يمكن أن يفصل بين الماء واللبن.

غض الشباب بعيدٌ فجر ليلته   مجانب العين للفحشاء والوسن

يقول: هو شاب. وقوله: بعيدٌ فجر ليلته. قيل: إنه يسهر في ليله للصلاة والتفكر فيها؛ ليكسب الفخر والشرف، فيطول عليه ليله لذلك.

وقيل: معناه أن الشيب بعيد عنه، فضرب الفجر: مثلاً للشيب، والليل: مثلاً للشباب. وأنه لا ينظر إلى فاحشة، ولا ينام الليل.

شرابه النشح لا للري يطلبه وطعمه لقوام الجسم لا السمن

النشح بالحاء والجيم: القليل من الشراب دون الري.

يعني أنه لا ينال من دنياه إلا كدر نفسه.

القائل الصدق فيه ما يضر به والواحد الحالتين: السر والعلن

نصب الصدق بالقائل وما رفع بالابتداء وفيه خبره.

يقول: إنه يقول الحق وإن كان عليه، وسره مثل علانيته ولا يضمر رياءً ولا خيانة أبداً.

الفاصل الحكم عي الأولون به ومظهر الحق للساهي على الذهن

الذهن: الذكي الفطن. والذهن والذهن: الفهم يقول: إنه يفصل الأحكام التي عي بها المتقدمون من الحكام ويظهر الحق للأبله الغافل، على المخاصم الجيد الذهن، الكثير الفطنة.

وعلى الثاني: يظهر الحق الذي ذهب عن أذهان الناس وخفي عنهم.

أفعاله نسبٌ لو لم يقل معها جدي الخصيب، عرفنا العرق بالغصن

يقول: إن أفعاله تشبه أفعال جده، فلو لم ينتسب لعرفنا أنه من ولده، كما تعرف عرق الشجرة بغصنها، ويستدل به عليها.

العارض الهتن ابن العارض الهتن اب ن العارض الهتن ابن العارض الهتن

العارض: السحاب. والهتن: الغزير الكثير الصب، وهو وصف للسحاب.

يقول: إن الممدوح وأجداده أسخياء كالعارض الهتن.

قد صيرت أول الدنيا أواخرها آباؤه من مغار العلم في قرن

يقال: حبل مغار: أي جيد الفتل، واستعاره ها هنا في إحكام العلم.

يقول: إن آباءه عالمون بالسير والأخبار وضابطون للأيام، فقد جمعوا بين ما مضى من أحوال الدنيا، وما يأتي من بعد في علمهم، كما يجمع البعران في مغار واحد: وهو الحبل الذي يشد به البعير إلى الآخر.

كأنهم ولدوا من قبل أن ولدوا أو كان فهمهم أيام لم يكن

روى: لم يكن بالياء رداً إلى الفهم، وبالتاء رداً إلى الدنيا.

يقول: كأنهم ولدوا في الزمن الأول وشاهدوا أحواله وأحوال أهله.

الخاطرين على أعدائهم أبداً من المحامد في أوقى من الجنن

الجنة ما يتقى به كالترس ونحوه.

يقول: إن محامدهم تقي أعراضهم فإذا خطروا على أعدائهم لم يقدروا على ذمهم، لكثرة من يمدحهم.

وقيل: إنه يصف شجاعتهم فيقول: إنهم إذا خطروا برماحهم على أعدائهم لا يظفرون بهم لقصورهم عنهم، وإن محامدهم وهي الخصال التي فيهم من الشجاعة وغيرها تقي أعراضهم، فكأنهم منها في سلاح أوقى من سائر الأسلحة.

للناظرين إلى إقباله فرحٌ يزيل ما بجباه القوم من غضن

الغضن: تكسر الجلد وتثنيه. القوم: الناظرين.

يقول: من نظر إليه فرح بلقائه. وبإقباله إليهم تنبسط وجوههم ويزول التكسر عن جباههم

كأن مال ابن عبد الله مغترفٌ من راحتيه بأرض الروم واليمن

يقول: إن معروفه يسافر فيصل إلى من نأى عنه، فكأنه يوصله إليهم من راحتيه. وإنما خص أرض الروم واليمن لأنها معروفة بسعة المال، فيشير إلى نهاية الجود، لأن أمواله إذا كانت مغترفةً إليها، دل على كثرة عطائه.

لم نفتقد بك من مزنٍ سوى لثقٍ ولا من البحر غير الريح والسفن

اللثق: الندى، والوحل.

يقول: أنت كالسحاب المغيث، إلا أن الوحل غير موجود فيك، لأنه أذى. وكذلك أنت البحر في السخاء: فلا يفقد فيك من البحر إلا ريحه وسفنه، التي لا تعلق لها بالجود، فأنت أفضل منهما بكثير.

ولا من الليث إلا قبح منظره ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

يقول: أنت أسد، لا يفقد فيك إلا قبح منظره، ولا يفقد فيك من سوى الأسد إلا ما هو قبيح غير مستحسن، فهو غير موجود فيك.

منذ احتبيت بأنطاكية اعتدلت حتى كأن ذوي الأوتار في هدن

الاحتباء: جلسة مخصوصة ويكنى بها عن السيادة.

يعني: منذ وليت وسدت بأنطاكية سكن أهلها وزالت أحقادهم فكأنهم مصالحون.

ومذ مررت على أطوادها قرعت من السجود فلا نبتٌ على القنن

الطود: الجبل. والقرع: ذهاب الشعر عن الرأس. والقنن: جمع قنة وهي أعلى الجبل.

يقول: لما مررت على جبال أنطاكية سجدت لك، وأطالت السجود تعظيماً لك، فانحسر النبات عن رأسها، فصارت قرع.

وقيل: إنه من قولهم قرع الإناء عما كان فيه: أي خلا عنه. يعني: أنك لما مررت عليها وجاوزتها ولم تقم بها، خلت عن السجود بعد ما لم تكن خالية منه، لأنك وأصحابك شغلتها بالسجود حين نزلت فيها. وروى: قرعت: أي قرعت إلى السجود. إعظاماً لك، فانحسر عنها النبات.

أخلت مواهبك الأسواق من صنع أغنى نداك عن الأعمال والمهن

الصنع: الحاذق بالصناعة. والمهن: جمع المهنة، وهي الخدمة والتبذل.

يقول: إنك أغنيت جميع الناس حتى خلت الأسواق من الصناع، وأغنيت الناس عن الصنائع والخدمة، لأن إحسانك قد كفل حاجاتهم وسد خلاتهم.

ذا جود من ليس من دهرٍ على ثقةٍ وزهد من ليس من دنياه في وطن

يقول: جودك بالأموال، جود من يعلم أنها زائلة عنه، وزهدك في الدنيا. زهد من يعلم أنه راحل عنها، فليس يرى دنياه من جملة وطنه، فلا يغتر بها ولا يثق بكونه فيها!

وهذه هيبةٌ لم يؤتها بشرٌ وذا اقتدار لسانٍ ليس في المنن

يقول: لم يؤت أحدٌ من البشر مثل هيبتك، وقدرة اللسان التي لك ليست في قوة أحد، والمنة: القوة.

وقيل: أراد بالثاني نفسه.

يعني: أن مدحي إياك وإنشادك القصيدة، ليس في مقدور أحد مثل ذلك، ولا لأحد من القوة مثل قوتي في المدح.

فمر وأوم تطع قدست من جبلٍ تبارك الله مجري الروح في حضن

حضن: اسم جبل بنجد. وفي الأمثال: أنجد من رأى حضناً.

يقول: مر الناس إن شئت، وأوم: أي أشر من الإشارة إن شئت، فإنهم يطيعونك. قدست: أي طهرت من جبل. شبهة بالجبل لعظم هيبته وهمته وثبات عزه فتبارك الله الذي أجرى الروح في جبل.

وورد على أبي الطيب كتابٌ من جدته لأمه من الكوفة تستجفيه فيه! وتشكو شوقها إليه، وطول غيبته عنها، فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حاله تلك، فانحدر إلى بغدد، وقد كانت جدته يئست منه، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه، فقبلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به! وغلب الفرح على قلبها فقتلها! فقال يرثيها ويتحسر على وفاتها في غيبته ويفتخر بنفسه:

ألا لا أرى الأحداث حمداً ولا ذماً فما بطشها جهلاً ولا كفها حلما

يقول: إني لا أظهر للحوادث ولا أريها حمداً ولا ذماً، لأنها لا تستحق ذلك، لأنها تأتي من غير قصد، وذلك فعل الله تعالى، فلا أحمدها إذا أمسكت ولا أذمها إذا أصابتني؛ لأن بطشها ليس بفعل منها فأعده جهلاً منها، ولا كفها حلماً، فلا معنى للمدح ولا للذم لها.

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدى ويكرى كما أرمى

أبدى: أصله بدأ. ويكرى: ينقص. وأرمى: زاد.

يقول: إن الإنسان إذا بلغ الغاية من عمره، أخذ في النقصان إلى أن يعود إلى ما كان عليه، ابتداء من العدم وإلى في قوله: إلى مثل متعلق بقوله: مرجع الفتى.

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوقٍ غير ملحقها وصما

المفجوعة: المتألمة للمصيبة. وقوله: لك الله دعاء لها. أي كان الله لك حافظاً. وقيل: إنه تعظيم لحالها في شدة فجيعتها، والوصم: العيب، أي أنها ماتت شوقاً إليه!! وهذا الشوق الذي قتلها لا يلحق بها عاراً؛ لأنه شوق لولدها.

أحن إلى الكأس التي شربت بها وأهوي لمثواها التراب وما ضما

الكأس: هو الموت. ومثواها: إقامتها.

يقول: أشتاق إلى الموت بعدها؛ لألحق بها، وأحب التراب، وما ضمها من القبر لأجل إقامتها فيه.

بكيت عليها خيفةً في حياتها وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما

الثكل: موت الولد الحميم. وقدما: نصب على الظرف. أي في زمان وروى: خيفة وحقبة أي مدة من الدهر.

يقول: بكيت عليها قبل موتها خوفاً من ألا ألقاها، وذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قديماً؛ بما كان بيننا من طول الفرقة وبعد المشقة.

ولو قتل الهجر المحبين كلهم مضى بلدٌ باق أجدت له صرما

أجدت: أي جددت. وفاعله: المرثية.

يقول: إن أهل بلدها كانوا يحبونها؛ لسترها ودينها، فلو كان الهجر يقتل جميع المحبين لما كان أهل بلدها والذين يحبونها باقين بعدها، بل كانوا يمضون بمضيها ولا يبقوا بعدها. وقد جددت هذه المرأة

لهم قطيعة.

منافعها ما ضر في نفع غيرها تغذى وتروي أن تجوع وأن تظما

تقدير البيت: منافعها ما ضرها في نفعها، غير محذوف العائد إلى ما وأضاف المصدر إلى المفعول. وحذف الفاعل كقوله تعالى: "لا يسأم الإنسان من دعاء الخير". أي من دعائه الخير، وقوله: "بسؤال نعجتك". أي سؤاله نعجتك.

يقول: إن منافع هذه المرأة فيما يضرها عند نفع غيرها. يعني: أنها كانت تضر بنفسها لتنفع غيرها، وإن ذكل كان نفعاً لها، لأنها كانت تؤثر غيرها على نفسها فتجوع وتظمأ، فكأن جوعها إذا أشبعت غيرها يقوم لها مقام غذائها، وكذلك عطشها إذا أروت غيرها يقوم مقام ارتوائها. والمصراع الثاني تفسير الأول.

وقال ابن جنى: إن الهاء في منافعها للأحداث أي منافع الأحداث فيما يضر غيرها وبأن تجوع وتظمأ، وهذا ضارٌ لغيرها. يعني: أنها تريد أن تهلك الناس فتخلوا منهم الدنيا. كما قال:

كالموت ليس له ريٌّ ولا شبع

وقيل: إن في بمعنى اللام، أو بمعنى مع.

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

ما بمعنى المصدر: أي قبل صنعها بنا. وقيل: بمعنى الذي.

يقول: كنت عرفت الليالي وسوء صنيعها قبل وقوع ما أوقعت، فلما أوقعت ما أوقعت، وابتلتنا بموت الجدة، لم تصبني الليالي بشيء لم أعرفه من أحوالها، ولم تزدنا علماً بسوء تصرفها.

أتاها كتابي بعد يأسٍ وترحةٍ فماتت سروراً بي، فمت بها غما

نصب سروراً وغماً على المفعول له.

يقول: إن كتابي أتاها بعد ما يئست مني، وحزنت على فراقي، فماتت سروراً بي ومت من الغم الذي حصل لي بموتها.

حرامٌ على قلبي السرور فإنني أعد الذي ماتت به بعدها سما

يقول: إن السرور حرام على قلبي؛ لأن موتها كان بالسرور! وذلك عندي كالسم. لما كان سبب موتها هو السرور، ولا ينبغي لأحد أن يقرب السم من قلبه.

تعجب من خطي ولفظي كأنها ترى بحروف السطر أغربةً عصما

العصم: جمع أعصم، وهو الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء. وقيل: هو الذي إحدى رجليه بيضاء، وذلك لا يكاد يوجد.

يقول: إنها تعجبت من كتابي! وكانت تنظر إليه وتكرر النظر اشتياقاً إلي واستعجاباً؛ لأن عندها أني قد مت، فكأنها ترى غراباً أعصم؛ لفرط التعجب.

وتلثمه حتى أصار مداده محاجر عينيها وأنيابها سحما

السحم: السود. والمحاجر: ما حول العينين.

يعني: أنها لم تزل تقبله وتمسح به على وجهها وعينيها وهي تبكي، حتى اسودت أنيابها ومحاجرها.

رقا دمعها الجاري وجفت جفونها وفارق حبي قلبها بعد ما أدمى

رقا: أي انقطع.

يعني: أنها كانت تبكي علي وتحزن بسببي، فأراحها الموت من البكاء علي والوجد بي، فجفت دموعها وفارق حبي قلبها بموتها بعد ما كان جرحه وأسال دمه.

ولم يسلها إلا المنايا، وإنما أشد من السقم الذي أذهب السقما

يقول: لم يصبرها عني إلا الموت، الذي هو أشد من السقم الذي كان بها؛ لأن السقم يزيل الصحة، والموت يزيل الحياة ويبطلها.

طلبت لها حظاً، ففاتت وفاتني وقد رضيت بي لو رضيت لها قسما

يقول: طلبت لها حظاً بالعود إلى العراق، واستدعائها إلي حيث كنت.

وقيل: طلبت لها بالمفارقة والغربة حظاً من الدنيا، فقد ماتت هي وفاتني ذلك الحظ المطلوب! الذي هو لقاؤها أو غيره. وقد كانت راضية من الدنيا كلها بمقامي عندها، لو كنت أرضى لها بذلك القسم، لكن لم أرض لها بما رضيت لنفسها.

وقد روى: لو رضيت بضم الراء: ومعناه أنها كانت راضية بي لو رضي الله تعالى بي لها، وأن أكون عندها، ولكنه لم يرض بذلك.

فأصبحت أستسقيي الغمام لقبرها وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما

يقول: كنت قبل موتها أطلب لها الحظ بالقنا والحرب، وأدفع بالقتال والقوة والشجاعة، وكنت أدعو القنا لصب الدماء، فلما ماتت! عدت أدعو لقبرها وأستسقي الغمام له. على ما جرت به عادة العرب.

وكنت قبيل الموت أستعظم النوى فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

يقول: كنت أستعظم النوى. أي فراقها، وهي سالمة، فالآن صار النوى الذي كنت أستعظمه صغرى، من حيث الموت.

هبيني أخذت الثأر فيك من العدى فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى؟

يقول: لو كان موتك على يد عدو، لكنت آخذ الثأر منه، ولكنني لا أقدر على أخذ الثأر من الحمى التي قتلتك.

وما انسدت الدنيا علي لضيقها ولكن طرفاً لا أراك به أعمى

يقول: ما انسدت الدنيا علي لضيقها، ولكن بسبب فقدك، والعين التي لا أراك بها عمياء، فلذلك انسدت علي الدنيا وضاقت

فوا أسفاً ألا أكب مقبلاً لرأسك والصدر اللذي ملئا حزما

أراد باللذي: اللذين، فحذف النون لطول الاسم. وهو مثل قول الأخطل:

أبني كليبٍ إن عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وأكب: إذا أقبل على الشيء.

يتأسف على فوته الانكباب على رأسها وصدرها مقبلاً ووصفها بأنها كانت ذات حزم ورأى، والحزم: جودة الرأي.

وألا ألاقي روحك الطيب الذي كأن ذكي المسك كان له جسما

أصله: أن لا ألاقي، فسكن ضرورة. والروح: يذكر في الأغلب وقد يؤنث. والذكي: الذي رائحته حادة.

يتأسف على فوته الملاقاة بها ليلقى روحها، ثم وصف الحب الذي هو قالب الروح بأنه كان من ذكي المسك.

وقيل: تأسف أنه لم يمت فيلقى روحها في الأرواح.

ولو لم تكوني بنت أكرم والدٍ لكان أباك الضخم كونك لي أما

الضخم: هو الشريف العظيم القدر.

يقول: لو لم يكن لك أبٌ شريفٌ، لكان كونك لي أماً يشرفك، ويغنيك عن شرف الآباء.

لئن لذ يوم الشامتين بموتها فقد ولدت مني لآنفهم رغما

يقول: لئن سرت الأعداء بموتها. أي يوم موتها فإن لقائي سيفهم، لأنها ولدت رجلاً يرغم أنفهم ويذلهم.

تغرب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالقه حكما

يذكر نفسه ويقول: إنه تغرب، لا يستعظم أحداً إلا نفسه!! ولا يرى أحداً فوقه! ولا يرضى بحكم أحد إلا بحكم الله تعالى.

ولا سالكاً إلا فؤاد عجاجةٍ ولا واجداً إلا لمكرمةٍ طعما

يقول: لم يزل في تغربه سالكاً، وسط غبار الحرب، ولا يلتذ بطعم شيء إلا طعم المكرمة، وليس تغربه لجمع المال مع الذي والهوان!!

يقولون لي: ما أنت؟ في كل بلدةٍ وما تبتغي؟ ما أبتغي جل أن يسمى

ما الأولى: استفهام. أي: على أي صفة أنت؟ وكذلك الثانية. والثالثة: بمعنى الذي.

يقول: كل بلدة دخلتها فأهلها يستعظمون حالي، ويسألون عن مرامي، وأنا لا أخبرهم بحالي، فإنها أعظم من أن تسمى.

وقيل: أراد أنهم إذا سألوني: ما الذي تبتغي؟ فجوابي: ما أبتغيه جل أن يسمى! كأنه أراد: الملك، أو النبوة، أو الإمامة.

كأن بنيهم عالمون بأنني جلوبٌ إليهم من معادنه اليتما

الكناية في بنيهم: للشامتين. والهاء في معادنه: لليتم، غير أنه قدمه في اللفظ، وهو مؤخر في المعنى.

يقول: إن أبناء أعدائي يفرون مني! فكأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتم من معادنه، بأن أقتل أباءهم فأؤتمهم! وكثرة سؤالهم تدل على ذلك.

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

يقول: إن الجمع بين الماء والنار في موضع واحد، ليس بأصعب من الجمع بين البخت والعلم!! فهما متزلان في الاستحالة مترلة واحدة.

ولكنني مستنصرٌ بذبابه ... ومرتكبٌ في كل حالٍ به الغشما

أراد بالذباب: السيف، فأضمره، وذبابه: حده. والغشم: الظلم. يقول: إني وإن لم تساعدني الأيام، أطلب النصر بالسيف، وأرتكب الظلم، حتى أنال به ما أريد أخذه. من قول عمرو بن معد يكرب.

وخيلٍ قد دلفت لها بخيلٍ ... تحية بينهم ضربٌ وجيع

وجاعله يوم اللقاء تحيتي ... وإلا فلست السيد البطل القرما

القرم: السيد الرئيس.

يقول: أعدائي يوم الحرب، ضربت وجوههم بالسيف، وأقمته مقام التحية وإن لم أفعل فلست بسيد شجاع، ولا كريم مطاع.

إذا فل عزمي عن مدىً خوف بعده ... فأبعد شيءٍ ممكنٌ لم يجد عزما

قوله: خوف: فاعل فل. وعزمي: فاعله.

يقول: إذا كسر عزمي؛ مخافة بعد المدى. يعني: كلما رمت أمراً بعيداً فأكسر عزمي خزفاً من بعده، فلم أظفر بمطلوب أبداً، فإنه إنما يدرك بصحة العزم، وأقرب الأشياء تناولاً إذا لم يكن عزم على تناوله فهو أبعد الأشياء.

وقيل: أراد أني إذا تركت أمراً بعيداً خوفاً من بعده؛ لانفلال عزمي دونه، فإني أركب ما هو أبعد منه، حيث لم يتقدمه عزم، من تعريض نفسي للقتل وطلب الموت.

قلت: يجوز أن يكون مراده بذلك الدعاء على نفسه. يقول: إذا تركت الأمر لبعد تناوله وعسر مرامه، فأبعد الأشياء إمكاناً لم يجد عزمي. فكأنه يقول: ما وصلت أبداً إلى مرام أصعب، على جهة الدعاء.

وإني لمن قومٍ كأن نفوسنا ... بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظما

كان القياس أن يقول: كأن نفوسهم، غير أنه يختار رد الكناية إلى الإخبار عن النفس؛ لما فيها من مبالغة المدح.

يقول: إنا نختار الموت ونلتذه؛ فكأن نفوسنا تأنف أن تسكن العظم واللحم، فتحب مفارقتهما وتحرص على التخلص منهما.

كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبي ... ويا نفس زيدي في كرائهها قدما

يقول: كذا أنا. أي: هكذا مذهبي. وقيل: أراد أنا مثل قومي، لا أرغب في الدنيا، فمتى شئت أيها الدنيا فاذهبي، ويا نفسي ازدادي في كراهة الدنيا وشدائدها، فإني لا أبالي بالدنيا وحياتها، وخيالاتها.

فلا عبرت بي ساعةٌ لا تغرني ولا صحبتني مهجةٌ تقبل الظلما

روى: غبرت وعبرت. أي مضت. يعني إنما أريد الحياة للعز، فكل ساعة لا أكسب فيها عزاً أماتني الله قبلها، ولا صاحبت نفسي محتملةً للظلم، وفرق الله بيني وبينها.

وجعل قومٌ يستعظمون ما قال في آخر هذه القصيدة فقال

يستكثرون أبياتاً نأمت بها لا تحسدن على أن ينئم الأسدا

نأم ينأم: أي صوت. والنئيم: الصوت والأبيات: تصغير الأبيات. وأراد بتصغيرها أنها صغيرة إلى جنب فعله. ونصب الأسد بتحسدن أي لا تحسدون الأسد. وأن مع الفعل: بمعنى المصدر. أي على نئيمه.

يقول: إنهم استعظموا هذه الأبيات، وفعالي أعظم منها، فأنا الأسد، والأسد لا يحسد على زئيره؛ لأن فعله أعظم من صوته، فلا ينبغي أن تحسدوني على ذلك.

لو أن ثم قلوباً يعقلون بها أنساهم الذعر مما تحتها الحسدا

الهاء في تحتها: للأبيات، وفي بها: للقلوب.

يعني: لو كان لهم قلوب فيها عقول لأنساهم ما تضمنته أبياتي من الذعر والحسد الذي هم عليه.

وقال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

أواهل: جمع آهلة، أي عامرة.

يقول: يا منازل أحبائي، لك منازل في قلبي، أنت نازلة فيها. أي: إني أذكرك وأذكر أهلك، وقد أقفرت أنت عن أهلك النازلين بك. وقوله هن أي المنازل التي في قلبي عامرة بذكرك وذكر أهلك.

يعلمن ذاك وما علمت، وإنما أولاكما يبكي عليه العاقل

يعلمن: أي المنازل التي في القلب. والهاء في عليه للأولى.

يقول: منازلك في قلبي عالمةٌ بأنك قد أقفرت، وأنت لا تعلمين ذلك، فلما علمت أنك قد أقفرت، وتألمت، وحزنت، وهي عاقلة. فكانت هي أولى بأن يبكى عليه منك؛ لأنك غير عاقلة.

وقيل: أراد أنها تعلم ما يصيبها من ألم الشوق وأنواع الهم، وأنت الجاهلة بذلك فهي أولى بالبكاء.

وقيل: معناه أنها عالمة بنزولك فيها، وأنت جماد لا تعلمين من نزل فيك، فالعاقل منكما وهو قلبي أولى بأن يبكى عليه؛ لنزولك فيه.

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل؟ !

يقول: طرفي جلب إلي هلاكي! فمن أطالب بدمي؟ والمقتول هو القاتل! لأن بعضي قتل بعضي. ومثله قول الآخر:

أذت ناراً بيدي أشعلتها في كبدي

وأحسن من ذلك قول ابن المعتز:

كنت صباحي قرير عيني فصرت أمسي صريع بيني

تخلو الديار من الظباء وعنده من كل تابعةٍ خيالٌ خاذل

التابعة: الغزالة التي تتبع أمها. والخاذل: المتأخرة عن القطيع في المرعى، والمختشية على خشفها. والهاء في قوله: وعنده راجع إلى الذي في قوله: وأنا الذي اجتلب وأراد نفسه.

يقول: تخلو الديار من أهلها الذين هم كالظباء وعند نفسي من كل كالغزالة التابعة للظبية، خيال متأخر عنهن، كالظبية الخاذل.

وقال ابن جنى: أراد بقوله: من كل تابع أي من كل جارية تابعة لأقارها؛ لصغر سنها كما تتبع الغزال أمها.

اللائي أفتكها الجبان، بمهجتي وأحبها قرباً إلي الباخل

اللائي جمع: التي. وأفتكها: أي أكثرها فتكاً، ورجل فاتك: أي شجاع. والباء: متعلق بفعل مضمر تقديره: اللائي أفتكها الجبان، فتكت بمهجتي. فلما دل عليه أفتكها حذفه.

والمعنى: أن تلك الظباء من كان منها أجبن. كان أقدر على قتلي وفتك مهجتي. وذلك إشارة إلى نفارها، ومن كان منهن أبخل، فهو أحب إلي قرباً؛ لأن الوصل من الممتنع ألذ. ومنه قول جرير

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

الراميات لنا وهن نوافرٌ والخاتلات لنا وهن غوافل

يقول: إنهن يرميننا بسهام عيونهن، وينفرن منا والعادة أن ينفر المرمي من الرامي. ويخدعننا بمواعيدهن وهن غريرات لا يعرفن مكراً ولا خديعة، والعادة أن الخادع يكون ذا مكر وخديعة.

وقيل: أراد أهن يصطدننا بعيوهن من غير قصد منهن، ويفسدن قلوبنا من غير إرادهن؛ لأننا ننظر إليهن وهن غوافل والمصراع الثاني تأكيد كذلك.

كافأننا عن شبههن من المها فلهن في غير التراب حبائل

المها: بقر الوحش. شبه النساء بهن لسواد أحداقهن والحبائل: جمع حباله، وهي شرك الصائد.

يقول: إن هذه النساء جازيننا عن بقر الوحش التي أشبهتها هذه النساء، فاصطدننا كما صدناهن بالحبائل، غير أن حبائلهن بخلاف الحبائل التي يصطاد بها الوحش؛ لأنها نبت في التراب، وهذه الحبائل هي: العيون، والقدود، والوجوه، وما أشبهها.

من طاعني ثغر الرجال جآذرٌ ومن الرماح دمالجٌ وخلاخل

الثغر: جمع ثغرة، وهي النقرة بين بين. والجآذر: أولاد بقر الوحش.

يقول: إن هذه الجآذر يطعن في صدور الرجال كما يطعن الفرسان، ورماحهن الدمالج والخلاخيل فهن لهن بمترلة الرماح للرجال، لأهن يعملن بالقلوب مثل عمل الرماح.

ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

يقول: إنما سميت أغطية العيون. جفوناً؛ لأن ما فيها من الأحداق تعمل عمل السيوف، ولولا أنها سيف لما سميت أغطيتها جفوناً.

كم وقفةٍ سحرتك شوقاً بعد ما غرى الرقيب بنا ولج العاذل

روى: سحرتك بالحاء أي أدهشتك. وبالجيم: أي: أوقدت فيك ناراً. وروى: شجرتك: أي طلبتك.

وقوله غرى: أي ولع يقول: كم وقفة للوداع، ملأت هذه العيون قلبك شوقاً أو ملأته ناراً، وألهبت في قلبك نار من الشوق، وقد لج العاذل في العذل، ولازمك الرقيب في الحفظ.

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصبٍ أدقهما وضم الشاكل

نصب ناحلين: على الحال، والعامل فيه: وقفة. ودون: نصب على الظرف، والعامل ما تقدم.

يقول: كم وقفة وقفنا للوداع، وكنا ناحلين، وبقينا دون المعانقة من خوف الرقيب، وكنا قريبين، كتقارب شكلتي نصبٍ دقيقتين قريبتين بعضها من بعض، أدقهما الشاكل، وضم إحديهما إلى الأخرى. أي قارب بينهما. وقد احترز في ذلك عن البناء لأن الشكلتين إذا اجتمعا في النصب كانتا تنويناً، والتنوين يختص بالنصب؛ لأن الفتح لا يكون تنويناً.

إنعم ولذ فللأمور أواخرٌ أبداً إذا كانت لهن أوائل

لذ: أمر من لذ يلذ.

يقول: اغتنم الشباب وتنعم وتلذذ فإن للشباب آخر، كماله أوله فإن الأوائل لها أواخر.

ما دمت من أرب الحسان فإنما روق الشباب عليك ظلٌّ زائل

روق الشباب: أوله. والأرب: الحاجة.

يقول: تنعم ما دمت على حالة متعلق حاجات الحسان البكر. وهي حالة الشباب؛ فإن الشباب لا يبقى عليك، كالظل الذي لا يبقى بل يزول. وهو من قول امرىء القيس:

تمتع من اللذات إنك فاني

ومثله ليزيد بن معاوية:

خذوا بنصيبٍ من نعيمٍ ولذةٍ فكلٌّ وإن طال المدى يتصرم

للهو آونةٌ تمر كأنها قبلٌ يزودها حبيبٌ راحل

آونة: جمع أوان. واللهو: السرور. وروى: يزودها ويزورها. فإن أردت بالحبيب. المحبوب، فالأجود كسر الواو وإن أردت به المحب فالفتح أولى.

يعني أن أوقات السرور سريعة المرور، كأنها قبل أحباءٍ في وقت الارتحال، في اللذة وسرعة الزوال.

جمح الزمان فما لذيذٌ خالصٌ مما يشوب ولا سرورٌ كامل

جمح: أي عصى.

يقول: إن الزمان جموح يكدر اللذات، فكل لذيذ مشوب بالتنغيص، وكل سرور فيه، ناقص غير كامل.

حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ يته المنى وهي المقام الهائل

يقول: كل لذة منغصة، حتى رؤية أبي الفضل، فإنها منية كل نفس، ولكنها مشوبة بالهول والهيبة؛ فهي منغصة من هذا الوجه. وصفة بالهيبة.

قال ابن جنى: هذا مخلص إلى المدح غريب ظريف، لا أعرفه لغيره.

ممطورةٌ طرقي إليها دونها من جوده في كل فجٍّ وابل

الهاء في إليها ودونها: للرؤية. والفج: الطريق الواسع.

يقول: إن الطرق التي سلكها إلى رؤيته، كانت غير خالية من عطاياه، التي هي كالمطر الوابل، فكأن الطريق أصابه المطر.

محجوبةٌ بسرادقٍ من هيبةٍ تثنى الأزمة، والمطي ذوامل

السرادق: خيمة تضرب على أبواب الملوك لقعود الناس فيها إلى وقت الإذن.

وقيل: هو ما يحاط حول الخيمة مثل السور. وتثنى: أي تصرف. وفاعله: ضمير الهيبة. وذوامل: جمع ذاملة، وهي السريعة السير. ومحجوبة: قيل أراد بها الطرق، أي أن الطريق التي مررت بها إليه، كانت عليها سرادق من هيبته، تمنع الناس من العدول عنه إلى غيره، ومطايا الناس إليه سريعة.

وقيل: إن رؤيته محجوبة مهيبة، تصرف الأزمة، حتى لو أن المطايا ذوامل في سيرها، واعترضتها هذه الهيبة لصرفتها، وعدلت المطية عنها. خوفاً من الإقدام واستعظاماً لهيبته.

للشمس فيه وللرياح وللسحا ب وللبحار وللأسود شمائل

الشمائل: الأخلاق.

يقول: للشمس فيه إضاءتها ومنفعتها وشهرتها وارتفاع محلها، وشبه الريح بدوام عطائه وقوته وكثرة تقلبه في الحروب وشبه السحاب بجوده، والبحار بهوله وسعة صدره وغزارته في العلم، والأسد في إقدامه وشجاعته.

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملممات مناهل

أراد. من العقيان: الذهب. والمناهل: المشارب.

يقول: عند موارده هذه أرى أشياء. فالذهب لسائله، والأدب لطالبه، والحياة لأوليائه؛ بالعفو عن الجاني، والممات لأعدائه.

لو لم يهب لجب الوفود حواله لسرى إليه قطا الفلاة الناهل

لو لم يهب: أي لم يخف. واللجب: اختلاط الأصوات وحواله: أي حوله: والناهل: العطشان. وهو نعت للقطا وهو مرفوع.

فإن شئت رفعته بالفعل الأول: وهو لم يهب. وأسندت الفعل الثاني: وهو لسرى إلى ضمير القطا. أي لو لم يهب قطاة الفلاة الناهل لجب الوفود لسرى إليه. وهذا اختيار أهل الكوفة.

فإن شئت رفعته بالفعل الثاني، وأضمرت للفعل الأول الفاعل، وهو اختيار أهل البصرة.

يقول: لولا أن القطا تخاف أصوات الوفود على بابه وحوله، لكانت تسري إليه لتشرب من مناهله وتفد مع جملة الوفود إليه.

يدري بما بك قبل تظهره له   من ذهنه ويجيب قبل تسائل

الهاء في تظهره لما وفي له، وذهنه وغيره من الضمائر: للممدوح.

يقول لنفسه أو لصاحبه: إنه إذا رآك علم ما في نفسك قبل إظهارك له وأجابك عن سؤالك.

وتراه معترضاً لها ومولياً   أحداقنا وتحار حين تقابل

أحداقنا: رفع لأنه فاعل تراه والهاء في لها للأحداق. ونصب موليا ومعترضا على الحال. والاعتراض: هو المفاجأة. وقيل: هو أن يلي جنبه.

يقول: إن أحداقنا إنما يمكن أن تراه إذا ولي عنا ظهره، أو يظهر مفاجأة أو مولياً جنبه، فإذا قابلته لوجهه تحيرت من هيبته ونور غرته، فلا يمكنك أن تنظر إليه.

كلماته قضبٌ، وهن فواصلٌ   كل الضرائب تحتهن مفاصل

القضب: السيوف. وفواصل: أي قواطع، أي تفصل الأمور. والضرائب: جمع الضريبة، وهي محل الضرب.

يقول: إن كلماته قواضب كالسيوف تفصل بين الحق والباطل وكل الضرائب: أي المشكلات عند هذه الكلمات كالمفاصل.

هزمت مكارمه المكارم كلها   حتى كأن المكرمات قبائل

وروى قنابل: وهي جماعات الخيل.

يقول: إن مكارمه هزمت جميع المكارم وأبطلتها، فكأنها العساكر تقابل بعضها بعضاً.

وقتلن دفراً والدهيم فما ترى   أم الدهيم وأم دفرٍ هابل

دفر: اسم الدنيا. ودهيم: اسم الداهية. والهابل: الثاكل. وأفرد الضمير في ترى، وكان حقه أن يقول: تريان فاكتفى بالواحدة، كذلك في هابل. وعلى هذا أم زائدة.

وقيل: أم الدفر: اسم الدنيا. وأم الدهيم: اسم الداهية على وجه الكنية.

ومعناه: أن مكارمه قتلت بنت الدنيا وبنت الداهية، فالدنيا والداهية قد ثكلتا ابنيهما، يعني: أن مكارمه كفت الناس حوادث الدهر.

علامة العلماء واللج الذي		لا ينتهي، ولكل لجٍّ ساحل

علامة: كثير العلم، والهاء: للمبالغة. وجعله علامة العلماء زيادة للمبالغة: يصفه بكثرة العلم. وشبهه بالبحر في علمه وجوده، وفضله على البحر.

لو طاب مولد كل حيٍّ مثله		ولد النساء وما لهن قوابل

يقول: لو طاب مولد كل حيٍّ، مثل طيب مولده، لما احتاج النساء إلى القوابل، حتى لا يشاهدن المستور من أحوالهن. كأنه نزه أمه عن وقوع بصر القوابل على عورتها عند الولادة.

وهذا ليس فيه فائدة؛ لأن طيب المولد: أي علاقة له بسهولة الولادة. وأي مدح في ذلك وفي الاستغناء عن القوابل؟! وإن أراد به سعة الرحم بانحلال الرباط، لكان السكوت عنه أولى.

لو بان بالكرم الجنين بيانه		لدرت به ذكرٌ أم أنثى الحامل

يقول: لو تبين الجنين بالكرم الذي له، لكان بان هو في بطن أمه، وكانت الحوامل تعلم أنه ذكر أم أنثى. وهذا لا طائل فيه ولا فائدة.

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعاً		هيهات تكتم في الظلام مشاعل

يقول: ليزدد هؤلاء الأشراف تواضعاً؛ لأنهم في الشرف مشهورون، فتواضعهم لا يضع قدرهم؛ لأن شرفهم لا ينكتم بالتواضع، كما لا ينكتم ضوء المشاعل في الظلام، بل الظلام يزيدها ضوءاً، كذلك تواضعهم.

ستروا الندى ستر الغراب سفاده		فبدا، وهل يخفى الرباب الهاطل؟ !

السفاد للطير: كجماع الإنسان. والرباب: السحاب الأبيض، وقيل: هو الذي فوقه سحاب آخر. والهاطل: المتتابع القطر.

يقول: إنهم اجتهدوا في إخفاء عطائهم فظهر ولم ينكتم، بل انتشر كالمطر الهاطل من السحاب.

جخفت وهم لا يجخفون بها بهم		شيمٌ على الحسب الأغر دلائل

جخف وجمخ: إذ افخر والشيم الأخلاق. وقيل: هي الدلائل. وفاعل جخفت: شيم تقديره. جخفت بهم شيم وهم لا يجخفون بها.

يقول: إن شيمهم تفتخر بهم؛ لحلولها فيهم، وهم لا يفتخرون بها؛ لأن أخطارهم أعظم. مع أن تلك الشيم هي أشرف الشيم، من حيث أنها دلائل على حسبهم الأغر الكريم.

متشابهي ورع النفوس: كبيرهم		وصغيرهم عف الإزار حلاحل

متشابهي: نصب على الحال. عفٌّ وعفيف: واحد. والحلاحل: السيد.

يقول: كلهم متشابهون في الورع: صغيرهم وكبيرهم، وكلهم سادة كرام، عفف الإزار، لا يقربون الفاحشة ولا يسعون إلى زنا، ولا ريبة.

يا افخر فإن الناس فيك ثلاثةٌ: مستعظمٌ، أو حاسد، أو جاهل

أي: يا هذا افخر فحق لك الفخر، ويجوز أن يكون بمعنى: التنبيه.

يقول: إن الناس فيك ثلاثة أقسام: إما مستعظم لقدرك، وإما حاسد لفضلك، وإما جاهل بك لا يعرف حقيقة حالك. ومثله قول ذي الرمة:

وما زلت تعطي النفس حتى تجاوزت مناها فأعط الآن إن شئت أو دع

ولقد علوت فما تبالي بعدما عرفوا :أيحمد أم يذم القائل

يقول: أنت علوت حتى استقر عند كل أحدٍ علو قدرك، فما تبالي بعد ذلك بحمد حامد ولا بذم ذام، وصارا عندك سواء.

أثني عليك ولو تشاء لقلت لي قصرت فالإمساك عني نائل

يقول: أثني عليك وأنا مقصر في وصفك، فلو شئت لقلت لي: إنك قصرت، فإذا أمسكت عني وقبلت مدحي مع تقصيري، فكأنك قد أعطيتني سوى ما أعطيت.

وقيل: أراد إن لم تعطني على مدحي فقد أحسنت لما في مدحي من التقصير.

لا تجسر الفصحاء تنشد ها هنا بيتاً ولكني الهزبر الباسل

وروى: لا تحسن. الهزبر: الأسد. والباسل: الشجاع.

يقول: لا يقدر أحدٌ من الفصحاء أن ينشد في مجلسك بيتاً واحداً؛ هيبةً منك. لكني خالفت سائر الفصحاء جسارةً وقوة قلب، فأنا كالأسد الشجاع، فلهذا تجاسرت عليك.

ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري، ولا سمعت بسحري بابل

أرض العراق كلها: بابل وهي على ما يقال: قرية من العراق، وخصصت بالسحر؛ من أجل هاروت وماروت يقول: إن أهل الجاهلية ما نالو مثل شعري، وكذلك أهل بابل ما سمعوا بمثل سحري؛ لرقة ما أستنبط من المعاني. وأراد: أن شعري أجود الأشعار وأرق من السحر؛ لأن البليغ يمكنه أن يذم الممدوح، ويمدح المذموم! ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا".

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني فاضل

يقول: إذا رأيت الجاهل والناقص يذمني، فذلك دليل على فضلي؛ لأنه إنما يذمني لأنه ضدي كما قيل:

والجاهلون لأهل العلم أعداء

ومثله قول الشاعر:

وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مولع

ومثله قول الطرماح

وإني شقيٌّ باللئام ولن ترى ... شقياً بهم إلا كريم الشمائل

من لي بفهم أهيل عصرٍ يدعي ... أن يحسب الهندي فيهم باقل

أهيل: تصغير أهل. وباقل: هو المضروب به المثل في العي، وهو من بني مازن، وقيل: من بني قيس بن ثعلبة.

يقول: كيف أفهم أهل زمانٍ يدعى عندهم باقل، أن يحسب حساب الهند، وقد كان من عيه ما ضرب به المثل.

قال ابن جنى: هذا غير جيد، لأن باقلاً، لم يؤت من الحساب، وإنما أتي من النطق. فلو قال: أن ينظم الأشعار فيهم باقل. أو قال: أن يفحم الخطباء فيهم باقل. لكان أشبه بالقصة.

والجواب: أنه أراد إيراد لفظ الحساب للعجز عنه.

وأما وحقك فهو غاية مقسمٍ ... للحق أنت وما سواك الباطل

المقسم: الحالف. وبالفتح: هو القسم، وهو الأولى.

يقول: أحلف بحقك، وهو نهاية القسم، أنك ذو الحق، وما سواك ذو الباطل. وقيل: أراد أنك السيد حقاً، وكل سيد سواك فهو الباطل، ولا حقيقة له. كقوله:

كأنك مستقيمٌ في محال

الطيب أنت إذا أصابك طيبه ... والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل

وروى: إذا اغتسلت الغاسل، تقديره: إذا أصابك الطيب، فأنت طيبة، والماء الغاسل أنت: إذا اغتسلت.

يجوز نصبه بفعل مضمر يدل عليه الغاسل: أي تغسل الماء إذا اغتسلت. ثم صار الغاسل بك لامنه

ودالاً عليه.

ويجوز رفعه فيكون مبتدأ، والغاسل، صفته، وأنت خبره.

يقول: إن الطيب إذا أصابك يطيب بك! والماء إذا اغتسلت به، اكتسب منك الطهارة.

ما دار في الحنك اللسان وقلبت قلماً بأحسن من ثناك أنامل

الثنا: مقصور يستعمل في المدح والذم. والثناء: ممدود، في الحسن خاصة. والنثا: بتقديم النون، روى أيضاً.

يقول: ما دار في الفم اللسان، ولا قلبت الأنامل قلما بأحسن من ثناك: أي ما قيل، ولا كتب، أحسن من أخبارك، ومدحك.

وقيل: ما أنشد أحدٌ ولا كتب أحسن من شعري في مدحك وثنائي عليك.

وقال يمدح أخاه أبا سهل سعيد بن عبد الله الأنطاكي:

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى، وألف في ذا القلب أحزانا

تقديره: قد علم البين أجفاناً منا البين، وتدمى الأجفان، وهي حال لها.

يقول: قد علم البين بيننا أجفاننا البين فلا تلتقي بكاءً وسهراً، وتدمى يدل عليها، لأن البكاء وطول السهر يؤديان إلى الإدمان، وكذلك جمع البين في قلبي هذا أحزاناً، فليس فيه سروراً، كما لا نوم في العين.

أملت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحي دون السير حيرانا

المعصم: موضع السوار من اليد.

يقول: رجوت وقت سير قومها أن تكشف هي معصمها ليقف قومها متحيرين عند رؤيته؛ لنوره وحسنه ويتعجبوا من ضوئه، فأتمتع أنا بالنظر إليها، والوقوف معها ساعة.

ولو بدت لأتاهتهم فحجبها صونٌ عقولهم من لحظها صانا

أتاهتهم: أي حيرتهم. وصون: رفع؛ لأنه فاعل حجبها. وعقولهم: نصب؛ لأنه مفعول صان، وفاعله: ضمير صون.

يقول: لو بدت هذه المرأة بأجمعها؛ لحيرتهم وأذهبت عقولهم؛ فحجبوها صيانة لعقولهم من لحظها.

وتقديره: فحجبها صونٌ صان من لحظها.

بالواخدات وحاديها وبي قمرٌ يظل من وخدها في الخدر حشيانا

الواخدات: الإبل السراع. والحشيان: الذي علاه البهر من التعب، وروى: بالخاء من الخشية.

يقول: أفدي بالإبل وحاديها وبنفسي قمراً، صفتها أنها يأخذها. البهر عند إسراع الإبل في السير، لنعومتها.

وبالخاء: أنها تخشى عند شدة سيرها من شدة إقلاقها إياه. أراد: أن هذا القمر الكافل بالإبل وحاديها وبنفسي، وأمرنا إليه وسرورنا بوصاله، وحزننا لفراقه، فهو المتصرف فينا كما يشاء.

أما الثياب فتعرى من محاسنه إذا نضاها ويكسى الحسن عريانا

التذكير: للقمر. والتأنيث: للثياب. وعرياناً: نصب على الحال، المعنى: أن الثياب تحسن به، لا أنه يحسن بها، فإذا أخلاها عريت من محاسنه التي اكتسبتها منه. وإذا عري هو من الثياب اكتسى حسناً أكثر وأزيد من لبسه الثياب.

يضمه المسك ضم المستهام به حتى يصير على الأعكان أعكانا

الأعكان: جمع العكن، وهو ما يتكسر في أسفل البطن من الشحم والسمن.

يقول: إن المسك يعبق بجسمها، ويضمه كأنه عاشق له، ويلصق به. كما ينضم العاشق إلى المعشوق، حتى يصير المسك أعكاناً فوق أعكانها.

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فاليوم كل عزيزٍ بعدكم هانا

يقول: كنت قبل الفراق أمسك عن البكاء؛ خوفاً على بصري أن يصبه دمعي، فاليوم لما نأيتم طال بكائي وهان علي كل عزيز!

تهدي البوارق أخلاف المياه لكم وللمحب من التذكار نيرانا

البوارق: السحائب ذات البرق. وعنى بالمحب نفسه.

يقول: إن السحائب ذوت البروق، تهدي إليكم فروع المياه، وأهدت إلي نار الشوق، عند تذكري إياكم.

يعني: أني إذا رأيتها تذكرت عهدي معكم، فألهبت في أحشائي نار الشوق إليكم، فجعلت السحائب المطر لكم والبرق لي. والأخلاف: جمع خلف، وهو للناقة بمترلة الثدي للمرأة.

إذا قدمت على الأهوال شيعني قلبٌ إذا شئت أن يسلاكم خانا

السلو، والسلوة، والسلوان: طيب النفس عن المفقود.

يقول: إذا أردت الإقدام على الأمور الهائلة، فإن قلبي يشيعني على كل هول، إلا الصبر عنكم، فإن قلبي لا يشيعني على ذلك، بل يخونني ويخالفني؛ لأن ذلك أعظم من كل هول.

أبدو فسيجد من بالسوء يذكرني ... ولا أعاتبه صفحاً وإهوانا

إهواناً: جاء به على الأصل في الصحيح للضرورة. والاستعمال في القياس: إهانة. ونصبه: صفحاً على المفعول له، وقيل: على المصدر، بفعل مضمر. أي: أصفح عنه صفحاً، وأهينه إهواناً، ولا أعاتبه. دليل على المحذوف.

يقول: إذا ظهرت فإن من يذكرني بسوءٍ في حال الغيبة يسجد لي هيبةً مني، ولا أعاتبه على ما يذكرني به من السوء صفحاً. وإهانة. ومثله لجميل:

إذا أبصروني طالعاً من ثنية ... يقولون :من هذا؟ وقد عرفوني

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني ... إن النفيس غريبٌ حيثما كانا

يقول: هكذا كنت بين أهلي ووطني، لم أخل من حاسد يحسدني على فضلي، ويذكرني بسوءٍ من ورائين، فإذا ما ظهرت له يسجد لي والشريف حيثما كان غريب، لا يخلو من حاسدٍ ولا عاتب، فكنت أبداً غريباً بهذا الوجه؛ لأني لم أجد من يشاكلني ويوافقني.

محسد الفضل، مكذوبٌ على أثري ... ألقى الكمي ويلقاني إذا حانا

يقول: لم أزل محسوداً ومكذوباً على أثري؛ لأنه لم يمكن لأحد أن يواجهني بالسوء، ولم أزل شجاعاً ويلقاني الشجاع، إذا دنا هلاكه.

لا أشرئب إلى ما لم يفت طمعاً ... ولا أبيت على ما فات حسرانا

طمعاً: نصب على المفعول له، أو على المصدر، كما في قوله: صفحاً يقول: لا أمد عنقي فيما لا يصل إلي طمعاً فيه، وإن فاتني شيء لم أتحسر عليه، وكأنه أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: "لكيلا تأسوا على ما فاتكم".

ولا أسر بما غيري الحميد به ... ولو حملت إلي الدهر ملآنا

أي لا أسر بما آخذه من عطاء الناس؛ لأن المعطي هو المحمود به، ولو حملت أيها الإنسان إلى الدهر ملآناً من العطاء، فإني لا أفرح به، بل إنما أسر بما أعطى غيري بما فيه من الثناء والحمد. يعني: أن رغبتي في الحمد منه في الصلة.

لا يجذبن ركابي نحوه أحدٌ ما دمت حياً وما قلقلن كيرانا

قلقلن: أي حركن. والكيران: الرحل. واحده كور، وهو الرحل بأداته. والهاء في نحوه لأحد. أي لا يجذبن أحد ركابي. وما في قوله: ما دمت وما قلقلن نصب على الظرف.

يقول: لا يجذب إبلي أحد من الملوك نحوه ما دمت حياً، ودامت الإبل تحرك رحالها. أي ما دامت تسير الإبل، أي لا أقصد أحداً أبداً. وروى: بعده أحد. أي لا أقصد بعد هذا الممدوح أحداً.

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

يقول: لو قدرت ركبت الناس كلهم، كما يركب البعير.

وقصدت عليهم هذا الممدوح، وأراد بذلك أكثر الناس؛ لأنه يقال: إن أمة من الناس يقتضي ركوبها، وقد بين أنه أراد البعض فيما يليه. والبعران: جمع بعير، ونصبه يجوز من أوجه: أحدها: المصدر الواقع موقع الحال، أي ركبتهم مثل البعران، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

والثاني: بإضمار فعل دل عليه ركبت، أي صيرتهم بعراناً.

والثالث: على التمييز؛ لأن قوله: ركبت الناس احتمل الركوب والاستيلاء والقهر، ففسره بالمعنى المقصود، ونصبه على التمييز كقولهم: امتلأ الإناء ماءً.

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عما يراه من الإحسان عميانا

تقديره: فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عمياناً، عما يراه الممدوح من الإحسان، وما يأتيه من الكرم والشرف، وذلك مأخوذ من قوله تعالى: "إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً".

ذاك الجواد وإن قل الجواد له ذاك الشجاع وإن لم يرض أقرانا

يقول: نحن نصفه بالجود، وذلك أقل أوصافه، ونصفه بالشجاعة، وهو لا يرضى قريناً ينازله؛ لأن الشجعان دونه ولا يستطيعونه.

ذاك المعد الذي تقنو يداه لنا فلو أصيب بشيءٍ منه عزانا

المعد: المدخر. أعد واستعد: بمعنى. وروى: المعد، وهو الذي أعد لريب الزمان. وقنوت الشيء أقنوه: إذا اكتسبته.

يقول: إنه يجمع الأموال ليفرقها علينا، فنحن أحق بها منه، فإذا أصيب بشيء من ماله عزانا عليه؛ لأنه لنا دونه، وإن كان في يده.

خف الزمان على أطراف أنمله حتى توهمن للأزمان أزمانا

يقول: هان الزمان على أنامله، فيصرفه كيف شاء، كما يصرف الزمان أهله، فكانت أنامله أزمنة للأزمنة. ومثله قول الآخر:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حال

يلقى الوغى والقنا والنازلات به والسيف والضيف رحب الباع جذلانا

النازلات: مصائب الدهر. ورحب الباع: واسع القلب. الجذلان: المسرور.

يعني: أنه لا يضيق صدره بحوادث الدهر النازلة.

تخاله من ذكاء القلب محتمياً ومن تكرمه والبشر نشوانا

قوله: محتمياً، من الاحتماء، وهو قلة الأكل ومعناه: من فرط ذكائه. كأنه محتم من الطعام؛ لأن قلة الأكل تحد الفهم، وتقوى الحواس، كما أن كثرة الأكل تعمي القلب. وقيل: ملتهباً أي من الحمى، والحرارة، ومعناه: أنه من حدة ذكائه كأنه متوقد، ومن كثرة كرمه وبشره وسهولة خلقه كأنه سكران.

وتسحب الحبر القينات رافلةً في جوده وتجر الخيل أرسانا

الحبر: جمع حبرة وهي ضرب من ثياب بدوية وقينات: جمع قينة وهي الجارية مقنية. ورافلة! متبخرة.

يقول: إنه يحب القينات يجليهن حللهن فهن يسحبن ذيولهن وآلاهن والخيل يسحبن أرسالهن.

يعطي المبشر بالقصاد قبلهم كمن يبشره بالماء عطشانا

يقول: إنه يعطي من يبشره بالقاصدين، قبل إعطائه القاصدين، وقبل وصولهم إليه، وأنه يفرح بهذه البشارة كما يفرح العطشان إذا بشر بالماء. وتقديره: كمن يبشره المبشر بالماء وهو عطشان. وذلك حال.

جزت بني الحسن الحسنى فإنهم في قومهم مثلهم في العز عدنانا

فاعل جزت: الحسنى. وعدنان: في موضع جر بدل من العز. وقيل: العز صفة متقدمة بعدنان. وأراد: بني عدنان، وهو أبو العرب، من ولد إسماعيل. والضمير في إنهم لقومهم.

يقول: جزت الحسنى بني الحسن، فإنهم في قومهم في الشرف، مثل قومهم في عدنان. أي: هم أشراف قومهم، كما أن قومهم أشراف عدنان. وروى: في الغر عدنانا.

ما شيد الله من مجدٍ لسالفهم إلا ونحن نراه فيهم الآنا

يقول: ما رفع الله لآبائهم السابقة، من المجد والعز، إلا ونحن نرى مثله في هؤلاء الآن.

إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا   في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

يقال: فلان فارس هذا الأمر. أي حاذق فيه.

يقول: إنهم متقدمون في هذه الأمور كلها، ولقوا: أي في مشهد حدثهم فرسانا.

كأنهم يردون الموت من ظمأ   أو ينشقون من الخطى ريحانا

الخطى: الرماح المنسوبة إلى الخط، وهي قرية بساحل البحر يعمل فيها الرماح.

يقول: كأن الموت ماء وهم إليه ظماء فهم يردون الموت كما يرد الظمآن الماء، وكأن الرماح ريحانهم، فهم يتلذذون بهم، كما يلتذ باستنشاق رائحة الريحان.

ء أسنتهم في الطعن، بمضاء ألسنتهم في النطق. والناس يشبهون الألنة بالأسنة، وهو قد عكس ذلك وجعله مضاءً ثابتاً في اللسان، ثم ش

الكائنين: نصب على الصفة لبني الحسن مجاز.

يقول: إنهم أعداء أعدائي، وأولياء أوليائي.

خلائقٌ لو حواها الزنج لانقلبوا   ظمى الشفاه، جعاد الشعر غرانا

الظمى: جمع أظمى وظمياء، وهو اسم الشفة. وقيل: دقيق الشفة. ويروى: لمن الشفاه والغران: جمع أغر، وهو الأبيض.

يقول: لهم خلائق حسنة، لو كانت في الزنج لتحولوا عن سوادهم وصاروا بيض الوجوه، سمر الشفاه، جعاد الشعور.

وإنما قال ذلك لأن شفاهم بيض، وشعورهم قطط.

والجعد: هو الذي دون القطط. وفوق الرجل. والرجل: فوق السبط.

وأنفسٌ يلمعياتٌ تحبهم   لها اضطراراً ولو أقصوك شنآنا

يقال: رجل يلمعي وألمعي: إذا كان ذكياً فطناً.

يقول: أنفس كريمة فطنة، تحبهم لأجلها اضطراراً، وإن أبغضوك وأبعدوك. وشنآنا: نصب على التمييز.

الواضحين أبواتٍ وأجبنةٍ ووالداتٍ وألباباً وأذهانا

الواضحين: نصب على التمييز. أو هو نعت لبني الحسن. وأجبنة: جمع الجبين. وروى: أخبية: وهي جمع خباء، ووضوحه؛ لغشيان القصاد. والأبوة: مصدر الأب.

يقول: إن غرقم واضحة، أي صريحة، وكذلك جباههم واضحة، أي حسان المنظر، وهم أشراف من قبل الأمهات، وعقولهم وخواطرهم واضحة. يعني: يعرف ذلك كل أحد.

يا صائد الجحفل المرهوب جانبه إن الليوث تصيد الناس أحدانا

أحدان: جمع واحد والأصل وحدان، فأبدل. والمرهوب: إن جررته فهو صفة للجحفل. والهاء في جانبه تعود إليه. وجانبه: فهو صفة للصائد والهاء عائد إليه.

يقول: لك فضلٌ على الأسد؛ لأنك تصيد الجيش كله، والأسد يصيد الناس واحداً واحداً.

وواهياً كل وقتٍ وقت نائله وإنما يهب الوهاب أحيانا

واهباً: نصب؛ لأنه منادى نكرة، ونكره للتعظيم. وكل وقت: مبتدأ، ووقت نائله: خبره.

يقول: أنت قمب دائماً، والأجواد يهبون في وقت دون وقت.

أنت الذي سبك الأموال مكرمةً ثم اتخذت لها السؤال خزانا

سبك الذهب: إذا أذابه وجعله قطعة واحدة.

يقول: فكأنك سبكتها وجعلتها مكرمة، ثم جعلت السائلين خزاناً لها. قوله: سبك الأموال مكرمة. بمعنى صاغها كما يقول سبكت الذهب خلخالاً.

عليك منك إذا أخليت مرتقبٌ لم تأت في السر ما لم تأت إعلانا

أخليت: صادفت مكاناً خالياً.

يقول: إنك إذا خلوت، كان عليك رقيب من نفسك، فأنت لا تفعل سراً ما لا تفعله جهراً.

لا أستزيدك في ما فيك من كرمٍ أنا الذي نام إن نبهت يقظانا

واليقظان لا ينبه.

يقول: إنك قد بلغت الغاية في الكرم، فإن أردت منك زيادة، كنت كمن يجيء إلى اليقظان فينبهه، يحسب أنه نائم وتقديره: أنا النائم إن نبهت يقظانا.

فإن مثلك باهيت الكرام به ... ورد سخطاً على الأيام رضوانا

باهيت: أي فاخرت. والهاء في به للمثل، ويجوز أن يكون للكرم.

يقول: باهيت الكرام بمكانك، وعلمت أنك قد بلغت، فلا مزيد على ما أنت عليه من الكرم، وكنت ساخطاً على الزمان؛ لفقد الكرام فيه، فجعلت سخطي عليه رضاً؛ لأن كرمك أزال عن الزمان سخطي؛ حيث إني رضيت بك عنه.

وأنت أبعدهم ذكراً، وأكبرهم ... قدراً، وأرفعهم في المجد بنيانا

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها ... وشرف الناس إذ سواك إنسانا

المنصوبات في البيت الأول: على التمييز. أي أنت أكرم الكرام، فذكرك أشهر وقدرك أشرف ومجدك أعلى وأرفع، وسواك: أي خلقك على استواءٍ. وفي القرآن: "خلقك فسواك" أي: أنت شرف الأرض، وزينة الناس. ومثله:

أرضٌ لها شرفٌ سواها مثلها ... لو كان مثلك في سواها يوجد

وإنسانا: نصب؛ لأنه مفعول ثان من سواك.

وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران ويذكر مرضاً ألم بأبي أيوب:

سربٌ محاسنه حرمت ذواتها ... داني الصفات بعيد موصوفاتها

السرب: جماعة النساء، ورفع؛ لأنه خبر ابتداء محذوف. أي: هذا سرب، أو: مرادي سرب. ومحاسنه: مبتدأ ثان، وقوله: حرمت ذواتها خبره. وقيل سرب رفع بالابتداء، ومحاسنه مبتدأ ثان، صفة له. وداني الصفات إن شئت جعلته: بدلاً من قوله: محاسنه وإن شئت جعلته: صفة له أخرى. وإن شئت جعلته خبر السرب.

وجاز أن يكون سرب مبتدأ، وإن كان نكرة؛ لأنه لما وصفه قربه من المعرفة، والهاء في ذواتها لمحاسنه وفي محاسنه لسرب وذوات محاسن السرب هي: السرب بعينه. والهاء في موصوفاتها للصفات.

يقول: هذا سرب حرمت ذوات محاسنه. الحسان منه. وهذا السرب صفاته دانية قريبة هي مني؛ لأنها

ألفاظ أنا قادر عليها، فمتى شئت وصفتها. فأما الموصوف بالحسن، فبعيد عني، وهن: النساء المعبر عنهن بالسرب.

وإضافة ذوات إلى المضمر في قوله: ذواهّا غير جائزة عند البصريين. وأبو العباس المبرد: يجيز ذلك.

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي بشراً رأيت أرق من عبراتها

أوفى: أي أشرف، يعني السرب. والبشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد. والهاء في عبراهّا للمقلة.

يقول: إن هذا السرب لما أشرف علي وهي كناية عن علوهن في هوادجهن للمسير، رميت ببصري بشرات هذا السرب، فرأيت بشراته أرق وأصفى من عبرات عيني عند الارتحال. وإنما قال ذلك، لأن الدمع يضرب به المثل في الصفاء والرقة.

يستاق عيسهم أنيني خلفها تتوهم الزفرات زجر حداتها

يقول: كان أنيني على إثر الإبل التي كانت عليها الهوادج سابقاً، فكانت الإبل تظن زفراتي وراءها أنها زجر حداهّا، فكانت تجد في السير. وروى: تشتاق عيسهم أنيني خلفها فلشدة شوقها إذا سمعت أنيني جدت في السير لزيادة أنيني.

وكأنها شجرٌ بدت لكنها شجرٌ جنيت الموت من تمراتها

روى: الموت والمر.

يقول: كأن هذه العيس، وعليها الهوادج شجرٌ، لعلوها وارتفاعها. إلا أني جنيت من هذه الشجر، الثمر الذي ليس بمعتاد! وهو الموت، أو المر، من الثمر.

لا سرت من إبل لواني فوقها لمحت حرارة مدمعي سماتها

السمة: العلامة التي تكون على الإبل بالنار، والمدمع: مجرى الدمع، وأراد به الدمع هاهنا، ووصفه بالحرارة؛ لأن ماء العين إذا كان من الحزن يكون حاراً، وإذا كان من السرور فهو بارد.

يدعو على الإبل فيقول لها: لا سرت أبداً، ولا قدرت على السير! ولو كنت فوق هذه الإبل راكباً. كانت دموعي تسيل عليها وتمحوا بحرارهّا أثر سماهّا، وتذهب شعرها كما تمحوه النار.

وحملت ما حملت من هذي المها وحملت ما حملت من حسراتها

المها: بقر الوحش.

يقول دعاء لنفسه، وعلى الإبل: ليتني حملت ما عليك من النساء، وحملت أنت ما حملت من حسرات فراقهن.

وقيل أراد: لو كنت فوقك لحملت ما عليك من هذه النساء وحملت أنت حسراتي التي أتحملها؛ لأني إذا حملتهن فرقت بينك وبينهن حسراتي لتبعدهن عنك.

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

الشغف: شدة الحب.

يقول: إني على شدة كلفي بما في خمر هذه النساء، وهي الوجوه. أكف نفسي عن مواقعتهن. ومثله: قول العباس بن الأحنف:

عف الضمير ولكن فاسق النظر

وترى المروة والفتوة والأبو ة في كل مليحةٍ ضراتها

كل مليحة: فاعل ترى والمروة وما يتبعها: مفعوله. وضراتها: المفعول الثاني. والهاء: للمليحة.

يقول: ترى التقاء الملاح. مروتي وفتوتي وأبوتي. مانعة لي عنهن، فكأن هذه الثلاثة ضرات للملاح؛ لما فيهن من المنع عنها.

هن الثلاث المانعاتي لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

يقول: هذه الثلاثة منعتني عن لذتي بالنساء في حال الخلوة؛ لأني لا أخاف تبعات ذلك: أي الخوف من الوشاة، أو عشائرهن أو غير ذلك؛ لأني كنت لا أخاف أحداً. وقيل: أراد خوف الألم والعقاب، لكن الأول أولى.

ومطالبٍ فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كأنني لم آتها

المطالب: جمع المطلب.

يقول: كم من مطالبٍ عظيمة الخطر، فيها الهلاك إذا أتيتها، فآتيتها وأوقعت نفسي فيها وقضيت منها حاجتي، وأنا ثابت القلب حتى كنت لثبات قلبي كأنني غير ملابس لها.

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها أقوات وحش كن من أقواتها

المقانب: جمع المقنب، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل. وكن. للوحش.

يقول: رب جيش تركته بجيش آخر أقواتاً للوحوش، أي قتلته فأكلته الوحوش، بعد ما كانت الوحوش قوتاً له. يعني: أهم صعاليك لا قوت لهم إلا ما يصيدون من الوحوش والسباع.

أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها

أقبلتها: أي صرفت وجوه الخيل إليها. ثم شبه غرر الجياد وما في جبهاتها من البياض، ببياض أيدي بني عمران: أي نعمهم. وهذا مما جرت عادته به في تمكين التشبيه؛ لأنه جعل حقيقة البياض أولاً للنعم، ثم شبه غرر الجياد بذلك البياض. والأيدي: استعمل ها هنا بمعنى النعم.

الثابتين فروسةً كجلودها في ظهرها والطعن في لباتها

الثابتين: في موضع جر، صفة لبني عمران.

يقول: هم أثبت في ظهور الخيل، من جلودها على ظهورها في أصعب الحالات. وهي تواتر الطعن في صدور الخيل. والواو في قوله: والطعن واو الحال.

العارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أماتها

الأمات: جمع الأم. يقال: إن الهاء في الأمهات زائدة. وقيل: أمهات في الآدميين خاصة، والأمات مشتركة.

يقول: يعرفون الخيل وهي تعرفهم؛ لأنها نتجت عندهم، وتناسلت في بيوتهم، وأجدادهم كانوا يركبون أمهات هذه الخيل.

وقيل: أراد أنهم عارفون بالخيل لكثرة فراستهم لها، وكذلك آباؤهم وأجدادهم كانوا من الفرسان العارفين بالخيل والفروسية.

فكأنها نتجت قياماً تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها

صهوة الفرس: مقعد الفارس منه.

يقول: كأن الخيل ولدت وهي تحتهم، وكأنهم ولدوا على ظهور الخيل؛ لاعتيادهم ركوب الخيل مذ كانوا أطفالاًن وكانت خيلهم مهاراً.

وقيل: أراد كأنها خلقت لهم، وكأنهم خلقوا لها. وقيل: كأنه أعضاء لهم، وكأنهم أعضاء لها. وقيل: كأنهم خلقوا معاً.

إن الكرام بلا كرامٍ منهم مثل القلوب بلا سويداواتها

سويداء القلب وسوداؤه: الدم الذي في وسطه. وقيل: هو حبة فيه، مثل العنبة السوداء.

يقول: هم في الكرام كالسويداء في القلب، التي بها قوام القلب، فمتى ذهبت، بطل القلب، فكذلك الكرام، إذا خلوا منهم، بطل كرمهم واستووا مع غيرهم.

تلك النفوس الغالبات على العلا فالمجد يغلبها على شهواتها

المعنى: أهم يغلبون الناس على المعالي، فيجوزونها دونهم، والمجد يغلبهم على شهواتهم، فيحول بينهم وبينها فلا يأتون ما يلحقهم فيه عار وشين؛ ويصرفون شهواتهم إلى اكتساب المجد والرفعة والعلا

سقيت منابتها التي سقت الورى بيدي أبى أيوب خير نباتها

يدعو لأبي الممدوح وأجداده بالسقيا. والياء في قوله: بيدي أبي أيوب، متعلقة بقوله: سقت.

فيقول: سقى الله منابت هذه النفوس. وهي آباؤها، بيد أبي أيوب: الذي هو الممدوح، وهو خير نبات تلك المنابت؛ لأن جوده أكثر من وبل السحاب. وخير نباتها: صفة لأبي أيوب. وجعله خير ما نبت على تلك الأصول. يعني: أنه خير قومه. قيل: الباء متعلقة بقوله: سقت الورى، وهو غير داخل في الدعاء، فكأنه يقول: إن منابتها سقت الورى بيديه.

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها

الهاء في سلامتها وأوقاتها: للمواهب.

المعنى: ليس التعجب من كثرة هباته، وإنما العجب من سلامة ماله إلى وقت الهبة؛ إذ ليس من عادته حبس المال.

عجباً له حفظ العنان بأنملٍ ما حفظها الأشياء من عاداتها

عجباً: نصب على المصدر. وما حفظها الأشياء: في موضع الجر، لأنه صفة لأنمل. والأشياء: نصب بحفظها.

يقول: عجبت من كيفية حفظه للعنان! إذ ليس من عادته أن يحفظ شيئاً ويمسكه. ومثله لأبي تمام:

تعود بسط الكف حتى لوانه دعاها لقبضٍ لم تجبه أنامله

لو مر يركض في سطور كتابه أحصى بحافر مهره ميماتها

روى: كتابه وكتابةٍ على الاسم، والمصدر.

يقول: لو ركض مهره في سطور كتاب له، لأمكنه أن يضع حافره على كل ميم في سطوره، ويعدها به، لفروسيته وحذقه. وخص الميمات؛ لأنها مدورة تشبه الحافر. وقيل: لأنها أصغر أشكال المعجم. وخص المهر؛ لأنه إذا قدر على أن يحصي ذلك بحافر المهر مع صعوبتها كان ذلك أمكن، وقد بالغ في قوله: لو مر يركض؛ لأنه إذا فعل ذلك وهو يركض كان في حال الترفق وعدم الركض أمكن عليه.

يضع السنان بحيث شاء مجاولاً حتى من الآذان في أخراتها

مجاولاً: أي في حال الجولان مع الأقران. والأخرات: جمع الخرت، وأراد هاهنا ثقب الأذن.

يقول: وضع السنان في حال مجاولته الأقران حيث أراد، حتى لو أراد أن يضعه في خرت الأذن لأمكنه! وبالغ في وصفه بقوله: مجاولاً؛ لأنه إذا فعل ذلك بالفرسان في حال المجاولة في الحرب، ففي غير ذلك الحال أقدر، لأن الرجل قد يكون حاذقاً بالطعن في أوقات اللعب، فإذا حضر في الحرب تحير، ولهذا قال: في موضع الطعن في الهيجاء، لا الطعن في الميدان.

تكبو وراءك يا بن أحمد قرحٌ ليست قوائمهن من آلاتها

كبا الفرس يكبوا: إذا عثر، وفي المثل: لكل جوادٍ كبوة، ولكل صارمٍ نبوة، ولكل عالم هفوة والقرح: جمع قارح، وهو الفرس إذا دخل في السادسة، وطلعت قوارحه، وهي أنيابه.

وقال ابن جنى: الهاء في آلاتها تعود إلى وراءك؛ لأنها مؤنثة. أي ليست قوائم تجاريك. من آلات جرى خلفك شبه الممدوح بفرس سابق، وجعل من يباريه في المجد خيلاً قرحاً تجري وراءه.

يقول: من جاراك كبا خلفك، وخانته قوائمه؛ لأنها ليست من آلات الجري خلفك. أي من باراك في مجدك عجز عن سعيك؛ لأنه ليس له آلة كآلتك.

وقيل: إن الهاء في آلاتها ترجع إلى القرح. يعني: أن القرح إذا اتبعتك وطلبت لحاقك كبت، فكأن قوائمها ليست من آلاتها؛ لأنها تنصرف عن إرادتها، ولكنها آلة لتلك، من حيث دلت على سبقك، وأظهرت قصورها عن لحاقك، فكأنك استعنت بها على إظهار عجز من يسابقك.

رعد الفوارس منك في أبدانها أجرى من العسلان في قنواتها

الرعد: جمع رعدة. والعسلان: الاضطراب. والقنوات: جمع قناة.

يقول: إن الفرسان إذا رأوك أو سمعوا بذكرك اضطربوا وارتعدوا؛ خوفاً منك. فكأن ذلك أجرى في بدنهم من اضطراب رماحهم واهتزازها، ومعنى اللفظ: أجرى من التحرك في قنواتها.

لا خلق أسمح منك إلا عارفٌ بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

راء: مقلوب رأى.

يقول: ليس أحد أسمح منك إلا رجل يعلم حال جودك. فرأى نفسك ولم يستوهبها منك، فجوده في ترك ذلك يزيد على جودك.

غلت الذي حسب العشور بآيةٍ ترتيلك السورات من آياتها

غلت: في الحساب. وغلط: في الكلام. والعشور: جمع عشر وهي عشور القرآن. وحسن ترتيلك: آية من آيات القرآن. فمن عد العشور في القرآن آيات السور، ولم يعد تلاوتك منها فقد غلط.

يعني: أن تلاوتك معجزة لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها! كما لا يقدر أن يأتي بمثل آية من القرآن. والهاء في آياتها للسور أو للعشور.

كرمٌ تبين في كلامك ماثلاً ويبين عتق الخيل في أصواتها

ماثلاً: أي قائماً ظاهراً. والعتق: الكرم.

يقول: إن حسن صوتك وكلامك يدل على كرمك، كما أن صهيل الفرس يدل على كرمه.

أعيا زوالك عن محلٍّ نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

الهالة: الدائرة التي حول القمر.

يقول: لا يقدر أحد أن يزيلك عن محلك وشرفك، كما لا يخرج القمر عن هالته.

لا تعذل المرض الذي بك، شائقٌ أنت الرجال وشائقٌ علاتها

وروى: لاتعذل. وشائق: اسم الفاعل، من شقته أشوقه شوقاً. إذا حملته على الاشتياق. وشائق: خبر مبتدأ. وأنت: مبتدأ. والرجال: نصب بشائق الأول. وعلاتها: بالتاء والهاء: للرجال.

يقول: لا تعذل المرض الذي بك، أو لا تلوم المرض الذي بك؛ لأنه قصدك زائراً، كما تزورك القصاد، وأنت تشوق الأمراض إلى زيارتك، كما تشوق الرجال.

فإذا نوت سفراً إليك سبقنها فأضفت قبل مضافها حالاتها

ومن روى: بالتاء، أي سبقتها قد صحف. ونوت: فعل الرجال. وسبقن: للعلات. والهاء: للرجال، وكذلك في مضافها وحالاتها والمضاف: مصدر، من قولك أضفت الرجل إضافةً ومضافاً: إذا قمت بضيافته.

يقول: إن الرجال إذا نوت سفراً إلى لقائك، سبقتها العلات إليك، فأنزلتها في جسمك وأضفتها قبل أن تضيف الرجال. وتقديره: فأضفت حالاتها. أي علات الرجال.

ومنازل الحمى الجسوم فقل لنا ما عذرها في تركها خيراتها؟

الهاء في عذرها للحمى وفي خيراتها للجسوم.

يقول: إن منازل الحمى الجسوم، فإذا وجدت خير الجسوم فما عذرها في تركها لها، وعدولها إلى ما

هو دونها؟! فأنت لما كان جسمك خير الجسوم قصدته رغبة فيه من غيره، كما أن من له منازل كثيرة فإنه يترل فيما كان منها خير وأحسن.

أعجبتها شرفاً فطال وقوفها لتأمل الأعضاء لا لأذاتها

الأذاة، والأذى: بمعنىً. والهاء فيها: للأعضاء.

يقول: إنك أعجبتها لشرفك وفضلك؛ فطال وقوفها؛ لتأمل الأعضاء لا لتؤذيها.

وبذلت ما عشقته نفسك كله حتى بذلت لهذه صحاتها

الهاء في عشقته وكله: لما. والهاء في صحاتها: للنفس.

يقول: قد بذلت كل ما عشقته نفسك، حتى بذلك لحماك صحة نفسك!!

حق الكواكب أن تعودك من علو وتعودك الآساد من غاباتها

علو: لغة في علا وروى: تعودك وتزورك.

يقول: على الكواكب أن تعودك من السماء، ويجب على الأسود أن تعودك من أماكنها؛ لأنك تشبه الكواكب بضيائها. والأسود بشجاعتها. والجنس يميل إلى الجنس.

والجن من ستراتها، والوحش من فلواتها والطير من وكناتها

الوكنات: جمع وكنة، وهي مواقع الطير، حيثما وقعت. وروى: وكراتها.

المعنى: أنه يجب على كل ما في العالم أن يعودك.

ذكر الأنام لنا فكان قصيدةً كنت البديع الفرد من أبياتها

يقول: الناس بمترلة القصيدة. والممدوح بمترلة البيت البديع الفرد من أبيات تلك القصيدة.

قال أبو الفتح بن جنى: هذا البيت هو البديع الفرد من هذه القصيدة.

في الناس أمثلةٌ تكون حياتها كمماتها ومماتها كحياتها

روى: تدور حياتها. وأمثلة: أي أشباه.

يعني: أن أشباه الناس. وقيل: أراد أن الناس أمور لا خير عندها ولا شر، فموتها وحياتها سواء.

هبت النكاح حذار نسلٍ مثلها حتى وفرت على النساء بناتها

يقول: إن التزوج ربما ينتج ولداً لا خير فيه! مثل هذه الأمثلة، فتركت بنات النساء عليهن، لم أتزوج منهن واحدة.

فاليوم صرت إلى الذي لو أنه ... ملك البرية لاستقل هباتها

يقول: فاليوم رأيت أفضل الناس وأكرمهم، فلو ملك الخلق كلهم ثم وهبهم لسائل لاستقلهم.

مسترخصٌ نظرٌ إليه بما به ... نظرت وعثرة رجله بدياتها

نظرت: فعل البرية.

يقول: لو اشترت البرية نظرةً إليه، بعيونها التي تنظر بها، لكانت رخيصة! ولوفدت البرية عثرة رجله بداياتها: أي ديات البرية، لكانت رخيصة.

ونظرٌ وعثرةٌ مرفوعان بمسترخص والهاء في دياتها قيل: للبرية. وقيل: للرجل. والأول أولى.

وقال يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي وفيها يفتخر ويصف ما لاقاه في طريقه:

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر ... وحيداً، وما قولي كذا ومعي الصبر !

يقول: أطاعن خيلاً، والدهر واحداً من فرساها! وأنا وحيد ليس لي من يعينني، ثم رجع وقال: ليس قولي كذلك، بل معي صبري يعاونني على دفع هذه الخيل، التي هي الدهر، وحوادثه منها، وأراد أني أقاسي خطوب الدهر.

وأشجع مني كل يومٍ سلامتي ... وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر

يقول: إن سلامتي أشجع مني؛ لأنها ثبتت على حالها في كل أمرٍ عظيم وهولٍ جسيم، وما ثبتت سلامتي في هذه الأخطار العظيمة، إلا وفي نفس السلامة أمر. يعني: أن بقاء سلامتي يدل على أمر عظيم يظهر مني.

تمرست بالآفات حتى تركتها ... تقول: أمات الموت أم ذعر الذعر؟ !

تمرست: أي تعودت إلقاء نفسي في الآفات والشدائد، حتى تركت الآفاق متعجبة مني ومن سلامتي!

يقول: لعل الموت قد مات، والخوف خاف أن يخالط قلبي!

وأقدمت إقدام الأتي كأن لي ... سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

الأتي: السيل الذي يأتي من بلد إلى بلد فلم يصبك مطره.

يقول: إن إقدامي على الشدائد كإقدام السيل الذي لا يرد في شيء، فكأن لي نفساً غير نفسي هذه، حيث لا أبالي بهلاكها، وكأن لي عند نفسي ذحلاً، أريد أن أتلف نفسي لأجلها!.

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها ... فمفترقٌ جاران دارهما العمر

أراد بالنفس: الروح.

يقول: دع نفسك تأخذ من الدنيا ما قدرت عليه من العلو والشرف، قبل أن تفارق الجسد، فإنهما جاران فلابد من افتراقهما، والعمر دارهما، ولابد من نفاذ العمر فإذا نفذ افترقا.

ولا تحسبن المجد زقاً وقينةً فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

يقول: لا تشغل نفسك باللهو والشراب، فإنه ليس بمجدٍ، وإنما المجد يحصل بالسيف والإقدام على الحرب.

وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

الهبوة: الغبار الكثير.

يقول: ليس المجد إلا السيف، وليس البكر إلا الفتك بالأعداء، وقتل الملوك، وزعامة الجيش، فيرى لك الغبار: السواد. والهبوة: غبار العسكر العظيم، فتكون زعيماً لهم تقودهم حيث شئت. وفسر بهذين البيتين ما أراد بقوله: تأخذ وسعها.

وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

أنمله العشر: فاعل تداول. والهاء: للمرء. وتداولها للسمع: أنها تذهب عليه وتجيء.

شبه الصوت الذي يكون في الحرب بصوت البحار الذي يسمعه الإنسان، إذا سد بأنامله أذنيه أراد أن المجد ما تقدم ذكره، وأن تترك في الدنيا أصوات العساكر على هذا الوصف.

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقصٍ على هبةٍ فالفضل فيمن له الشكر

يقول: إذا كان فضلك لا يرفعك عن قبول صلة ناقصٍ، حتى تحتاج إلى أن تشكره على هبته! فالفضل له لا لك؛ لأن اليد العليا خير من اليد السفلى.

قال أبو الفتح: أراد بذلك أنه إذا اضطرتك شدة الزمان إلى شكر الناقص من الناس لأجل ما تتبلغ به إلى مكان الفرصة، فالفضل فيك ولك لا للممدوح المشكور.

وأراد الأول وهو الظاهر.

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقر

يقول: من يفن عمره في جمع المال؛ خوفاً من الفقر، فما يفعله هو الفقر!! لأنه أبداً في غم الفقر، ويشقى بما يجمع ولا ينتفع به.

علي لأهل الجور كل طمرةٍ عليها غلامٌ ملء حيزومه غمر

الطمرة: قيل إنها الفرس العالية المشرفة. والحيزوم: الصدر. والغمر: الحقد.

يقول: واجب علي أن أقصد كل ملك جائر بكل فرس طمرة، عليها كل غلام قد امتلأ صدره بالحقد ومحبة الحرب.

يدير بأطراف الرماح عليهم كئوس المنايا حيث لا يشتهى الخمر

يقول: كل غلام يدير على أهل الجور، بأطراف الرماح كئوس المنايا في مضايق الحرب، التي لا يشتهى فيها شرب الخمر.

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنني ال جبال وبحرٍ شاهدٍ أنني البحر

يقول: كم من جبال قطعتها، فلو نطقت لشهدت أنني مثلها؛ لثباتي على الحالات، ولوقاري، وكم من بحر قطعته، لو نطق لشهد أنني بحر مثله؛ لسخائي وبعد غوري.

وقيل: أراد أن الجبال تشهد أني مثلها؛ من حيث أنها تندق تحت حوافر خيلي، فتصير أرضاً لها! والبحر يصير مغموراً بخيلي، فتكون به الخيل بحراً، والبحر قطراً.

وخرقٍ مكان العيس منه مكاننا من العيس فيه: واسط الكور والظهر

وخرق: عطف على جبال ومكان: ابتداء. ومكاننا: خبره. أي: مثل مكاننا، ثم حذف المضاف. وفيه: مع ما يتعلق به حال من العيس. أي من العيس الكائنة فيه. والضمير: لخرق. وواسط: بدل من مكاننا. ويجوز أن يكون تفسيراً له. والظهر: معطوف على واسط.

يقول: كم من أرض واسعة جئتها، وكانت الإبل تسير فيها أبداً، فكأنها واقفة في وسطها لا تبرح عن ظهورها.

والكور: الرحل. وواسط: وسط، الذي يركب فيه الراكب.

يخدن بنا في جوزه وكأننا على كرةٍ أو أرضه معنا سفر

الوخد: السير السريع. وجوزه: وسطه. والهاء في جوزه: للخرق. والسفر: المسافرون. وهذا البيت يتعلق بما قبله.

ومعناه: أن الإبل تسير بنا وسط هذا الخرق، ولا تبرح منه، حتى كأننا على كرةٍ؛ لأن من شأن الكرة أن تقطع الأرض سيراً، وليس لها حالة الاستقرار، حتى كأن الأرض مسافرة معنا. هذا بيان لقوله: كأننا على كرة.

قلت: ويحتمل أنه أراد كأننا على الفلك الذي يدوم سيره ولا ينقطع، وكأن الأرض مسافرة معنا، ولقد أخذ هذا المعنى السري الكندي فقال:

وخرقٍ طال فيه السير حتى ... حسبناه يسير مع الركاب

ويومٍ وصلناه بليلٍ كأنما ... على أفقه من برقه حللٌ حمر

الهاء في أفقه وبرقه: لليوم.

يقول: وكم من يوم وصلنا سيره بسير الليل، فكأن برق ذلك اليوم المطير، على أفق هذا اليوم حلل حمر.

وليلٍ وصلناه بيومٍ كأنما ... على متنه من دجنه حللٌ خضر

الدجن: السحاب الدائم المنن، وأراد بالخضر: السود.

يقول: رب ليل وصلنا سراه بسير النهار، فكأنما على متن هذا الليل من العتمة، حلل خضر: أي سود. وروى: من صحوه، فيكون أراد بالخضرة: لون السماء.

وغيثٍ ظننا تحته أن عامراً ... علا لم يمت، أو في السحاب له قبر

عامر: جد الممدوح.

يصف في هذه الأبيات أنه كان يواصل سيره بسراه، في المطر والغيم والبرق، حتى وصل إلى الممدوح، ثم شبه كثرة الغيث، بجود عامر.

فيقول: من كثرة الغيث ظننت أنه رفع إلى السماء، أو قبره في السحاب، فهو يجود به فينهمل هذا المطر من جوده. وهو من قول أبي تمام:

كأن السحاب الغر غيبن تحته ... حبيباً فلا يرقا لهن مدامع

أو ابن ابنه الباقي علي بن أحمدٍ ... يجود به لو لم أجز ويدي صفر

الأولى في ابن ابنه: النصب؛ عطفاً على عامر. ويجوز رفعه على الابتداء.

يقول: لولا أني مررت بهذا الغيث، ويدي خالية منه، لظننت أنه من جهة الممدوح.

وإن سحاباً جوده مثل جوده ... سحابٌ على كل السحاب له فخر

يقول: كل سحابٍ يكون مطره في الغزارة مثل جود الممدوح، فله على كل السحائب فخر. كما للممدوح على جميع الأسخياء من الناس، الفخر التام.

فتىً لا يضم القلب همات قلبه   ولو ضمها قلبٌ لما ضمها صدر

الهاء في قلبه: للممدوح. وفي ضمها: للقلب. وفي ضمها الثانية: للهمات.

يقول: إن همته عظيمة لا يسعها قلب أحد، ولو ضمه همة قلب أحد، لكان شيء من الصدور لا يضم ذلك القلب؛ لأن ذلك القلب لعظمه لا يسعه صدر، بل ينشق.

وقيل: أراد أن همته لا يسعها قلبه؛ للطافته. وإن كان منه منشؤها.

ولا ينفع الإمكان لولا سخاؤه   وهل نافعٌ لولا الأكف القنا السمر

الإمكان: الغنى.

يقول: لا ينفعك ماله، الذي يمكنه أن يصلك به، لولا سماحته التي توصله إليك.

وقيل: أراد لولا سخاء نفسه وجوده، لكان لا ينفعك كثرة ماله، كما أن القناة لا تنفع للطعن، لولا الأكف.

قرانٌ تلاقي الصلت فيه وعامرٌ   كما يتلاقى الهندواني والنصر

الصلت: جد الممدوح لأمه وعامر: جده لأبيه. وفيه حذف: أي أتى به قران.

يقول: لما اقترن في نسبه هذا، الشريفان. اللذان كل منهما سيداً شريفاً. فكان في ذلك كالمشتري وزحل. إذا اقترنا؛ فإنه يدل على ملكٍ عظيم. ثم شبه اقترانهما باجتماع السيف والنصر.

فجاءا به صلت الجبين معظماً   ترى الناس قلاً حوله وهم كثر

صلت الجبين: أي واضحة.

يقول: إن جديه أتيا به وولداه، وهو صلت الجبين، شريف كبير، ويرى الناس حوله قليلين في المعنى، وإن كانوا كثيرين في العدد.

مفدى بآباء الرجال سميدعاً   هو الكرم المد الذي ماله جزر

السميدع: السيد. والمد: الزيادة. والجزر: النقصان.

يقول: إن الناس يفدونه بآبائهم؛ لجلالته وكثرة نفعه لهم، وهذا هو الكرم الذي يزيد ولا ينقص، فهو مدٌّ بلا جز. بخلاف الأنهار، فإنه لا مد لها ولا جزر، وأما كرمه فمد بلا جزر.

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه   يسايرني في كل ركبٍ له ذكر

يقول: ما زلت يسايرني ذكره، حتى قادني الشوق نحوه. أي ما زلت أسمع بخبره وكرمه، حتى اشتقت إلى لقائه فقصدته.

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

الخبر: الإخبار بالشيء. والخبر: الاختبار.

يقول: كنت أستعظم ما أسمعه من ذكره، فلما رأيته، زاد الاختبار على الخبر.

إليك طعناً في مدى كل صفصفٍ بكل وآةٍ كل ما لقيت نحر

المدى: الغاية في البعد. والصفصف: الأرض الملساء الواسعة. والوآة: الناقة الصلبة. وأراد بقوله: طعنا: أي قطعنا. وكل ما لقيت: مبتدأ، وأراد: كل ما لقيته. ونحر: خبره.

يقول: قطعنا إليك بعد كل أرض ملساء، بكل ناقة صلبة، فكل موضع لقيته هذه الناقة، هو نحرٌ يلاقيه الطعن، وقيل: أراد به مصدر نحرت: أي الناقة لمشقة السير، كأنها لقيت نحرها.

إذا ورمت من لسعةٍ مرحت لها كأن نوالاً صر في جلدها النبر

النبر: دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعته.

يقول: إذا لسعها النبر ورم جلدها، فرقصت واضطربت لشدة لسعته، فكأن النبر صر في جلدها نوالا: أي عطية، فهي ترقص فرحاً؛ لأجله. فشبه ورم اللسعة بصرة.

فجئناك دون الشمس والبدر في النوى ودونك في أحوالك الشمس والبدر

يقول: أنت دون الشم والبدر في البعد، وهما دونك في أفعالك؛ لشرفك وعلوك، وأنت أنفع في المخاوف منهما.

كأنك برد الماء لا عيش دونه ولو كنت برد الماء لم يكن العشر

العشر: أبعد أظماء الإبل.

يقول: إن كل أحد يحتاج إليك، ولا عيش له مع فقدك، كما لا عيش له مع فقد الماء، بل الحاجة إليك أشد؛ لأن الماء قد يصبر عنه عشرة أيام، إلا أنت فلا يمكن الصبر عنك ساعة.

وقيل: أراد لو كان برد الماء مثلك، لكانت الإبل تتجاوز العشر؛ لاستقائها بعذوبتك وبرد قطرك.

وقيل: أراد أن جودك كثير، فلو كنت برد الماء لكنت موجوداً في كل موضع. فكان لا يحتاج الإبل إلى طول الظمأ وإلى الصبر على العطش عشرة أيام.

دعاني إليك العلم والحلم والحجا وهذا الكلام النظم والنائل النثر

يقول: دعاني إليك ما فيك من العلم والحلم والعقل. وقد روى: والنهى والمعنى واحد. ونائلك الذي نثره بين يدي سؤالك، وتفرقه على الناس. وهذا الكلام، والنظم للشعر الذي تقوله. لأنه روى: أن الممدوح كان شاعراً حسن الشعر. وقيل: أراد به كلامه الذي نظمه في مدحه، وذكر أوصافه.

وما قلت من شعرٍ تكاد بيوته إذا كتبت يبيض من نورها الحبر

روى: قلت على الخطاب. وقلت على الإخبار عن النفس. وهو أولى.

يقول: دعاني إليك شعري الذي يكاد نوره يبيض الحبر المكتوب به.

كأن المعاني في فصاحة لفظها نجوم الثريا أو خلائقك الزهر

وروى: خلائفك يقول: كأن معاني هذا الشعر، في فصاحة لفظها وجودة نظمها، نجوم الثريا، وكأنها في حسنها، أخلاقك الحسنة الطاهرة.

وخص الثريا؛ لأنها ظاهرة يعرفها كل أحد، ولأنها منظومة مجتمعة، والشعر كذلك.

وجنبني قرب السلاطين مقتها وما يقتضي من جماجمها النسر

يقول: أبعدني من قرب السلاطين، بغضي لهم وحقدي عليهم، وكذلك أبعدني عنهم مقاضاة النسر بجماجمهم.

وإني رأيت الضر أحسن منظراً وأهون من مرأى صغيرٍ به كبر

يقول: إنما باعدتهم؛ لأني رأيت احتمال الضر أحسن وأسهل من رؤية رجل صغير الهمة متكبر، وروى: من مرءٍ صغيرٍ على أن يكون صغير صفة للمرء. وروى: من مرأى صغير على الإضافة. وهو مصدر رأيت. وروى: من لقيا صغير.

لساني وعيني والفؤاد وهمتي أود اللواتي ذا اسمها منك والشطر

أود: جمع ود. ويقال: رجل ود، وودود، ووديد. وأراد بالفؤاد: فؤادي.

يقول: هذه الأعضاء التي سميتها مني تود الأعضاء منك مثلها، فلساني: وديد لسانك، وعيني: تود عينك، وفؤادي: وديد فؤادك، وهمتي: تود همتك، والشطر: عطف على هذه الأعضاء. أي وهي الشطر منك.

يعني: أن الجسم جسمٌ واحد، فنصفه أنت ونصفه أنا. وغرضه بذلك شدة محبته له.

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

يقول: ما تفردت أنا بقول الشعر، ولكنه شعري أعانني على قوله.

يعني: لما أردت نظمه فيك كان يعين على مدحك فينظم نفسه افتخاراً بك، وقيل: أراد أن حسن شعري يقوم مقام شعرٍ آخر، فكأن ذلك الحسن شعرٌ في شعري فيك.

وماذا الذي فيه من الحسن رونقاً ولكن بدا في وجهه نحوك البشر

يقول: الذي فيه من الحسن، ليس برونق له، ولكنه لما رآك وصار منتظماً فيك، ظهر له سرور وبشر في وجهه.

وإني ولو نلت السماء لعالمٌ بأنك ما نلت الذي يوجب القدر

يقول: إني أعلم أنك وإن نلت السماء، فذلك دون ما يوجبه قدرك؛ لأن قدرك أعلى محلاً، أجل من السماء!

أزالت بك الأيام عتبي كأنما بنوها لها ذنبٌ، وأنت لها عذر

يقول: كنت أعاتب الأيام، فلما جئت رضيت عنها، فكأنها أذنبت بلوم أبنائها، فاعتذرت أنت إلي بكرمك، فكنت عذراً لذنبها، وأبناؤها ذنبٌ لها.

وقال يمدح علي بن محمدٍ بن سيار بن مكرم التميمي وكان يحب الرمي ويتعاطاه، وله وكيلٌ يتعرض للشعر، فمدح أبا الطيب فأنفذه إليه فصار إليه أبو الطيب فتلقاه وأجلسه في مرتبته وجلس بين يديه، فأنشده أبو الطيب:

ضروب الناس عشاقٌ ضروبا فأعذرهم أشفهم حبيبا

الضروب: هي الأنواع. وأشفهم: أي أفضلهم. وضروبا: نصب بعشاق. وحبيباً نصب: على التمييز.

يقول: أنواع الناس على اختلافهم يعشقون أنواعاً من المعشوقات، ولكن أحقهم بالعذر من بينهم، من يكون حبيبه أفضل وأعدل وأنبل.

وما سكنى سوى قتل الأعادي فهل من زورةٍ تشفي القلوبا

السكن: من تسكن إليه، من أهل أو حبيب.

يقول: إن الذي أعشقه ويسكن قلبي إليه. قتل الأعادي، فهل لي سبيل إلى يارة حبيبي: الذي هو قتلهم؟ لأنه يشفي قلبي وقلب أحبائي.

وأراد به: هل أمكن من قتل الأعادي فأشفى به؟

تظل الطير منها في حديثٍ ترد به الصراصر والنعيبا

الصرصرة: صوت النسر والبازي. والنعيب: صوت الغراب. وتظل: في موضع الجر، صفة لترد.

يقول: هل من سبيل إلى وقعة بأعدائي يكثر فيها القتلى؛ فيجتمع عليها الطير، فينعب الغراب وتصرصر النسور والبازي، كأنهما في حديث.

وإنما ذكر البازي بصرصرة؛ لأنه لا يأكل الجيف.

لأنه لم يقل: إن هذه الطيور تأكل الجيف.

فكأنه قال: تجتمع على هذه القتلى ما تأكل الجيف. فمنها ما تأكل ومنها ما لا تأكل، فتساعد أكالة الجيف بالأصوات فتنشط بنشاطها، وإن كانت لا تأكل؛ لأن الطير جنس واحد، والجنس يفرح بفرح الجنس ويغم بغمه.

وقد لبست دماؤهم عليهم حداداً لم تشق لها جيوبا

يروى: دماؤهم بالرفع؛ فتكون لبست فعلها. ومعناه: أن دماءهم لما يبست اسودت، فكأنها لبست الحداد؛ حزناً على القتلى، ولكنها لم تشق جيوبها، كما يفعله المصاب. وروى: دماءهم فلبست على هذا. فعل الطير. أي قد لبست الطيور دماء هؤلاء القتلى حداداً؛ لأنها اختصت بها، فجفت عليها واسودت، غير أنها لم تشق بها جيوباً، أي للقتلى، وقيل للحداد.

أدمنا طعنهم والقتل حتى خلطنا في عظامهم الكعوبا

أدمنا: من الإدامة. وقيل: من الجمع والخلط من قولهم للمتزوجين في الدعاء: أدام الله بينهما.

والكعوب: جمع كعب، وهو عقب الرمح.

يقول: ما زلنا نطعنهم حتى كسرنا الرماح فيهم، وخلطنا كعوبها في عظامهم؛ لكثرة طعنهم بها. وخص الكعوب؛ لأنها إذا انكسرت أشبهت العظام المتكسرة.

وقيل: أراد بالكعوب: كعب الإنسان. أي قطعنا الأرجل والأذرع والأسوق حتى صارت الكعوب مختلطة بكسير العظام المكسرة.

كأن خيولنا كانت قديماً تسقى في قحوفهم الحليبا

القحوف: جمع قحف، وهو عظم الرأس الذي على الدماغ. والحليب: اللبن المحلوب من ساعته.

وقديماً: نصب على الظرف.

يقول: إن خيلنا تمر بنا على القتلى فتطأ رءوسهم وصدورهم، غير نافرة منهم، حتى كأنها كانت قد شربت اللبن فيما مضى من الأيام في عظام رءوسهم.

فمرت غير نافرةٍ، عليهم تدوس بنا الجماجم والتريبا

الجماجم: العظم الذي فيها الدماغ. والتريب: جمع التريبة وهي مجال القلادة.

يقول: هذه الخيل مرت بنا على جماجم الأعداء وترائبهم، ولم تكن نافرة عنهم؛ وذلك لإلفها هذه الأشياء وأمثالها.

يقدمها وقد خضبت شواها فتىً ترمي الحروب به الحروبا

يقدمها: أي يتقدم عليها، وهو في موضع النصب على الحال من قوله: فمرت والشوى: الأطراف والقوائم يقول: مرت الخيل بنا وقد خضبت قوائمها بالدم، يتقدمها فتىً متعود الحرب متى يخرج من الحرب يدخل في حرب أخرى. وهو المراد بقوله: فتى ترمي الحروب به الحروبا. وأراد بالفتى نفسه.

شديد الخنزوانة لا يبالي أصاب إذا تنمر أم أصيبا

وروى: إذا تيمم أي قصد الحرب. والخنزوانة: الكبرياء وأصاب: يجوز أن يكون الألف للاستفهام؛ لأن أم يدل على الاستفهام فتكون أصاب: بمعنى صاب. ويجوز أن يكون ألف الاستفهام محذوفاً لدلالة أم عليها؛ لأن صاب وأصاب بمعنىً. وتنمر: أي غضب. وشديد الخنزاونة: صفة للفتى.

يقول: هو شديد الكبرياء؛ لفضله وشجاعته، فإذا غضب في الحرب لا يبالي أيقتل أعداءه أم يقتلونه.

أعزمي، طال هذا الليل فانظر أمنك الصبح يفرق أن يئوبا؟

الهمزة في أعزمي للنداء.

يقول: يا عزمي، طال هذا الليل حتى كأن الصبح قد علم ما عزمت عليه من القتل والحرب، فهو يخاف منك يا عزمي أن يعود.

كأن الفجر حبٌّ مستزارٌ يراعى في دجنته رقيبا

الحب: الحبيب. والدجنة: الظلمة.

يقول: كأن الفجر طلب أن يزوره فجاءه لزيارته، ولكنه يراعي الرقيب حتى يغفل عنه، ويزوره حينئذ. فشبه الفجر بالحبيب. والظلام بالرقيب. حتى إذا زال الظلام، طلع الفجر، وإذا غاب الرقيب، وصل الحبيب.

كأن نجومه حليٌ عليه وقد حذيت قوائمه الجبوبا

الجبوب. وجه الأرض. وحذيت: أي جعلت له حذاء، وهو النعل. والكناية في نجومه وقوائمه وعليه لليل فكأنه أراد أن يشبه الليل بفرس أدهم مثل ما بين السماء والأرض، فجعل النجوم عليه مركبة، والأرض نعلاً لرجله.

فيقول: كأن نجوم هذا الليل حلى عليه، وكأن الليل قد جعل أنعال قوائمه الأرض؛ لطول امتلائه بين السماء والأرض. وقد سرق قوله: كأن نجومه حليٌ عليه من قوله تعالى: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح" والبيت من قول امرىء القيس حيث يقول:

كأن الثريا علقت في مصامها   بأمراس كتانٍ إلى صم جندل

كأن الجو قاسى ما أقاسي   فصار سواده فيه شحوبا

الهاء في سواده لليل. وفي فيه للجو.

يقول: كأن الهوى لقي من العناء ما لقيته أنا في الحرب والأسفار، فتغير لونه كما تغير لوني، فهذا السواد تغيرٌ في لونه.

كأن دجاه يجذبها سهادي   فليس تغيب إلا أن يغيبا

الهاء في دجاه لليل، أو للجو، وفي يجذبها: للدجى، وهي الظلم.

يقول: كأن ظلم هذا الليل يجذبها سهري، فهي متعلقة بسهري، فليست تغيب هذه الظلمة إلا إذا غاب السهر، وكما أن سهادي لا يغيب، كذلك دجى الليل، لا يزول ولا يغيب.

أقلب فيه أجفاني كأني   أعد بها على الدهر الذنوبا

الهاء في فيه: للجو، أو لليل. وفي بها: للأجفان.

يقول: إني أقلب أجفاني في هذا الليل والجو، يميناً وشمالاً، وأكثر من تقليبها، فكأني أعد بأجفاني عيوب الدهر، يعني: كما أن ذنوب الدهر كثيرة، لا تعداد لها، كذلك أجفاني لا انقطاع لتقليبها، ولا نوم لي هناك.

وما ليلٌ بأطول من نهارٍ   يظل بلحظ حسادي مشوبا

أراد: بلحظي حسادي. فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول.

يقول: هذا الليل مع تناهيه في الطول، وسهري فيه، ليس بأطول من نهارٍ ألاحظ فيه أعدائي، فيكون النهار مشوباً برؤيتي حسادي. فيشكو الليل والنهار جميعاً.

وما موتٌ بأبغض من حياةٍ أرى لهم معي فيها نصيبا

أبغض: الوجه فيه أن يقول: اشد إبغاضاً، لكنه جاء به على حذف الزوائد.

يقول: كما أكره الموت أكره الحياة التي شاركني فيها الحساد، فليست الحياة أحب من الموت، ولا الموت أكره من الحياة، إذا كان لحسادي نصيب في تلك الحياة.

يعني: أني أحب الحياة إذا أفنيت حسادي.

عرفت نوائب الحدثان حتى لو انتسبت لكنت لها نقيبا

النوائب: حوادث الدهر. والنقيب: العارف بالأشياء.

يقول: إني عرفت حوادث الدهر، حتى لو كانت الحوادث من الأحياء المنتسبين إلى الآباء لكنت العارف بها وبأنسابها، ومن أين تولد، وإلى من تنسب، كما يعرف النقيب الأنساب.

ولماقلت الإبل امتطينا إلى ابن أبي سليمان الخطوبا

امتطينا: ركبنا مطاها وظهورها. والخطوب: شدائد الأمور.

يقول: لما لم نجد الإبل وقل ما نركبه، ركبنا إليه ما أصابنا من الشدائد، فجعلناها مطايانا، لا سبب قصدنا إياه وهو الشدائد.

وقيل: لما حقرت الإبل في جنب قدره مشينا إليه بأقدامنا إعظاماً له وإجلالا.

مطايا لا تذل لمن عليها ولا يبغي لها أحدٌ ركوبا

يقول: إن الخطوب مطايا لا تطاوع راكبها؛ لشدها وصعوبتها، ولا تنقاد لأحد، ولا يطلب أحد ركوبها؛ لصعوبتها لأنها غير ذلول.

وترتع دون نبت الأرض فينا فما فارقتها إلا جديبا

الجديب: المجدب. لما جعل الخطوب مطايا، جعلها ترعى في نفسه، فيقول: إنها تأكل من أبداننا، بدلاً من رعي الأرض، فما فارقت هذه المطايا جديباً، من السقم والهزال كالأرض الجدبة.

إلى ذي شيمةٍ شغفت فؤادي فلولاه لقلت بها النسيبا

الشيمة: الخلق. وشغفت: أي ملأت فؤادي حباً. والنسيب ذكر محاسن المرأة في الشعر.

يقول: امتطيت الخطوب، حتى وصلت إلى ذي شيمة كريمة، فلولا مراقبته وجلالة قدره، لنسبت بهذه الشيمة، كما ينسب الشاعر بالمرأة المحاسن.

تنازعني هواها كل نفسٍ وإن لم تشبه الرشأ الربيبا

الرشأ: الذكر من أولاد الظباء. والربيب: المربى في البيوت. والهاء في هواها: للشيمة.
يقول: ليس أحد يعشق هذه الشيمة كعشقي لها، وإن لم تشبه هذه الشيمة الغزال المربى في البيوت.
أي الجواري الحسان، وإنما هي خلق وطبع، لا شخص وجسم.

عجيبٌ في الزمان وما عجيبٌ أتى من آل سيارٍ عجيبا

عجيباً: نصيب، لأنه خبر ما.
يقول: هو عجيب في زمانه، لعدم نظيره، ولكن كونه عجيباً ليس بعجب إذا كان من آل سيار؛ لأنهم معادن المجد والكرم.

وشيخٌ في الشباب وليس شيخاً يسمى كل من بلغ المشيبا

شيخاً: نصب؛ لأنه خبر. مفعول يسمى، وكل اسمه.
يقول: هو شيخ في شبابه؛ لحلمه وحكمته، وليس يسمى الشيخ كل من شاب، إذ من الشيب من لا يستحق اسم الشيخ.

قسا فالأسد تفزع من يديه ورق فنحن نفزع أن يذوبا

رق: أي لان. وقد روى: ولان.
يقول: إنه قاسي القلب في الحروب على أعدائه، بحيث تخشى الأسود منه ومن صولته، ورق طبعه لأوليائه، بحيث نخاف نحن لرقته ولطافته أن يذوب، وروى: فالأسد تفزع من قواه وهي جمع القوة.

أشد من الرياح الهوج بطشاً وأسرع في الندى منها هبوبا

الهوج: أي الشديدة، التي لا تستقيم على سنن واحد. والبطش: الأخذ بالقوة.
يقول: هو أشد من الرياح الهوج بطشاً، فكل من يبطش به أهلكه وهو أسرع من هذه الرياح في العطاء: أي لا يرد سائلاً. وبطشاً وهبوباً: نصبا على التمييز.

وقالو :ذاك أرمى من رأينا فقلت: رأيتم الغرض القريبا

يقول: عجب الناس من إصابة رميه، قلت: إنما رأيتموه يرمي الهدف القريب ولم تروه يرمي الهدف البعيد، فأخفى عليكم من رميه أكثر.
وقيل معناه: أنكم رأيتم منه الغرض القريب، وأنا رأيت منه الغرض البعيد، فإنه يظن الظنون ويرى الآراء، فيكون كما رآه وظنه.

وهل يخطي بأسهمه الرمايا　　　وما يخطي بما ظن الغيوبا

الأصل: يخطىء، بالهمزة فأبدلها ياء.

يقول: كيف تعجبون من إصابته الغرض يرميه؟! وهو يرمي الغيب بظنه فيصيبه! فإذا كان يصيب بظنه الغيب الذي لا يصيبه أحد، فكيف لا يصيب المرمى المشاهد!

إذا نكبت كنانته استبنا　　　بأنصلها لأنصلها ندوبا

نكبت: أي قلبت على رءوسها. ويروى نكتت بالتاءين. وهو في معنى الأول. والكنانة: الجعبة.

واستبنا: أي تبينا وعلمنا. والندوب: جمع ندب، وهو أثر الجرح والهاء في بأنصلها: للأسهم.

يقول: إذا قلبت كنانته يوم الرمي رأينا في أنصلها الآثار الحاصلة من أنصلها؛ لأن أنصلها تقاتلت في الكنانة، لما أبطأت الرمي إلى الأعداء، لتعودها القتال والرمي، فجرح بعضها بعضا.

وقيل: معناه أن سهامه تنفذ في سمة واحدة فيصيب النصل النصل ويؤثر فيه.

يصيب ببعضها أفواق بعضٍ　　　فلولا الكسر لاتصلت قضيبا

الأفواق: جمع فوق، وهو الحز الذي يجرى في وتر القوس.

يقول: إذا رمى سهماً، ثم رمى سهماً آخر، أصاب به فوق الأول، فلولا انكسار الأول لاتصل الأول بالثاني، وبالثاني الثالث فصار من ذلك قضيباً.

بكل مقومٍ لم يعص أمراً　　　له حتى ظنناه لبيباً

يقول: يصيب بكل سهم مقوم حتى استقام له، فلا يعصي له أمراً، حتى كأنه عاقل يمتثل أمره.

يريك النزع بين القوس منه　　　وبين رميه الهدف اللهيبا

روى: رمية الهدف على الإضافة. وروى رمية الهدف فيكون الهدف بدلاً من رميه.

يقول: يريك جذبه السهم بين القوس وبين المرمى، وهو الهدف اللهيب. وقيل: أراد وصفه بالسرعة، فشبهه بلهيب النار.

وقيل: أراد به حقيقة اللهيب للنار ويكون المراد به النار التي تتولد منه عند القدح.

ألست ابن الألى سعدوا وسادوا　　　ولم يلدوا امرأً إلا نجيبا!

ألست: تقديره ليس للنفي. والألى: بمعنى الذين. فكأنه قال: أنت ابن الآباء الكرام، ذوي السعادة والمجد والسيادة، وهم لا يلدون إلا من هو نجيب مثلك

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هوناً　　　وصاد الوحش نملهم دبيبا

هونا: في موضع الحال. ودبيبا: حال من نملهم.

يقول: إن آباءك نالوا ما تمنوا من المجد والعلا بأهون سعي؛ بفرط حزمهم ونملهم يصيد الوحش.

ومعناه: أنهم ينالون الأمور الصعبة بأهون سعي منهم.

وما ريح الرياض لها ولكن كساها دفنهم في الترب طيبا

الريح: الرائحة. والهاء في لها وكساها: عبث؟ يقول: إن الرائحة التي تشم من الرياض ليست للرياض! ولكن كسا هذه الرياض دفن آبائه في التراب طيباً وعطراً، فما يفوح إنما هو ريحهم وأراد به الثناء وحسن الذكر الجميل.

أيا من عاد روح المجد فيه وعاد زمانه البالي قشيبا

القشيب: الجديد والهاء في فيه تعود إلى من وفي زمانه إلى المجد وقيل: إلى من.

يعني: أن المجد مات منذ قديم وذهب زمانه، ثم انتقلت رفعته فيك، فعاد حياً وصار زمانه جديداً بعد البلى.

وقيل: أراد أن روح المجد بعد آبائه وأجداده انتقلت أيضاً إليه فصار هو المجد. على طريقة المبالغة، وعاد زمانه الذي هو فيه كثير الخير والخصب بعد ما كان قد بلي وأجدب بموته آبائه.

تيممني وكيلك مادحاً لي وأنشدني من الشعر الغريبا

فآجرك الإله على عليلٍ بعثت إلى المسيح به طبيبا

تيممني: يعني قصدني. والباقي ظاهر. وطبيباً: حال من ضمير عليل، أو من المسيح. ومثله:

فإنك واستبضاعك الشعر نحونا كمستبضعٍ تمراً إلى أهل خيبرا

يعني أن مثلك في إرساله إلي بمدحي؛ مثل من أرسل عليلاً ليداوي السيد المسيح. الذي كان يحيي الموتى ويصنع المعجزات

ولست بمنكرٍ منك الهدايا ولكن زدتني فيها أديبا

يقول: لا أنكر منك الهدايا، ولكنك زدتني في جملتها أديباً يمدحني وحكى أن الوكيل افتخر بذلك وقال: قد شهد لي بالأدب.

فلا زالت ديارك مشرقاتٍ ولا دانيت يا شمس الغروبا

يقول: لا زالت ديارك تشبه الشمس، وجعله شمساً لعلو محله وشهرة ذكره، وكنى بالغروب عن الموت، وذلك دعاء له بالبقاء.

لأصبح آمناً فيك الرزايا   كما أنا آمنٌ فيك العيوبا

اللام في لأصبح متعلق بقوله: ولا دانيت أي إنما دعوت لك بالسلامة والبقاء لتأمن نفسي أن تنالك مصيبة كما آمنت أن يلحقك عيب.

وقال أيضاً يمدحه ويذكر مهارته في الرماية وفيها يفتخر ويذم الزمان:

أقل فعالي بله أكثره مجد   وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد

بله: أي دع، وقيل: كف، هو وضع لذلك. مثل: صه اسم فعل كقولك اسكت. وصهٍ: بمعنى كف.

وفي أكثره: يجوز النصب، والجر، والرفع، أما النصب: فلأن بله اسم للفعل فينصب به كما ينصب بالفعل: ومعناه: دع أكثره.

والجر: فلأنه مصدر أضيف إلى مابعده.

وأما الرفع: فإن قطرباً أجازه على معنى: كيف أكثره؟ أو على معنى: بل أكثره. والجد: الاجتهاد والجد: الحظ. وأقل فعالي: مبتدأ. ومجد: خبره.

وتقدير البيت: أقل فعالي مجد وذا الجد فيه جد. أم لم أنل، والهاء في فيه: للمجد.

يقول: إن قليل فعالي مجد. أي لكنني مجداً وشرفاً حتى أكلي وشربي واضطجاعي وجلوسي، كل ذلك منسوب إلى المجد، لأن غرضي في جميع أفعالي اكتساب المجد.

فدع عنك أكثر أفعالي من المساعي الجسام، والأخطار بالنفس والمال. وقوله: ذا الجد أي هذا جدي في الأمور، واجتهادي فيها حظ وبخت سواء نلت أو لم أنل لأن الجد معدود في السعادة، كما أن التواني معدود في الشقاء؛ لأنه إذا ينل حظه كان قد أبلى عذره.

سأطلب حقي بالقنا ومشايخٍ   كأنهم من طول ما التثموا مرد

يقول: سأطلب ملكي الذي هو حقي برماح وبمشايخ كأنهم مرد لكثرة التثامهم.

يعني: أنهم عرب معودون التلثم حتى سقطت شعور عوارضهم فصاروا كالمرد.

وخص المشايخ لتجربتهم وثبات بصائرهم كما قيل في المثل: زاحم بعودٍ أو دع. العود: الجمل المسن.

وهذا من قول البحتري:

حص التريك رءوسهم فأصابها   في مثل لألاء التريك المذهب

والأصل فيه قول ابن الأسلت:

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم يوماً غير هجاع

ومعناه: أنها من طول ما استعملت تساقط ريشه الذي به قوة التهام. والأول أولى.

ثقالٍ إذا لاقوا خفافٍ إذا دعوا كثيرٍ إذا شدوا قليلٍ إذا عدوا

يقول: هؤلاء المشايخ إذا لقوا أعداءهم ثبتوا ولم يتزعزعوا، وإذا دعاهم صارخ أسرعوا إليه، ولم يتباطئوا، وإذا حملوا في الحرب قاموا مقام الجيش الكثير وإذا عدوا كانوا قليل العدد. يعني فيهم قلة من العدد وكثرة من حيث الجلد.

وطعنٍ كأن الطعن لا طعن عنده وضربٍ كأن النار من حره برد

هذا عطف على ما تقدم. أي سأطلب حقي بالقنا وبمشايخ صفتهم ما تقدم.

يقول: وطعن كأن طعن الناس إذا قيس إليه ليس بطعن، أو بضرب بالسيف، كأن النار إذا قيست إليه فحرها برد، والهاء في عنده للطعن الأول والطعن: اسم كأن، والجملة بعده خبر، والعائد عليه محذوف.

إذا شئت حفت بي على كل سابحٍ رجالٌ كأن الموت في فمها شهد

حفت: أي أحدقت بي، وفاعله: رجال. والهاء في فمها للرجال والشهد: العسل مع ما فيه من الشمع.

يقول: متى شئت أحدقت بي رجال راكبون على فرس سابحٍ، وكانوا أبطالاً يجدون الموت في الحرب حلواً كالعسل. وروى حفت بي أي: أسرعت.

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدمٌ وأحزمهم وغد

صغر أهل الزمان على جهة التحقير. والفدم: هو الغبي. والوغد: العبد، وقيل من لا خير عنده.

يقول: أذم إلى أهل الزمان أهله؛ فأعلم هذا الزمان جاهل غبي، وأكثرهم حزماً ضعيف وحقير، لا خير عنده ولا غناء له.

وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عمٍ وأسهدهم فهدٌ وأشجعهم قرد

العمى: الذي عمي قلبه. ويضرب المثل في الكلب بالخسة، وفي كثرة النوم بالفهد وفي الجبن بالقرد لأنه لا ينام بالليل خوفاً على نفسه.

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

يقول: من محن الدنيا على الحر، أن يرى عدواً له، ويظهر من صداقته، بحيث لا يكون من إظهارها بد.

والأصل ما من إظهار صداقته بد، غير أنه حذف المضاف؛ لأن العدو لا يكون صديقاً.

وروى أن يرى بضم الياء، على ما لم يسم فاعله. أي يرى الدنيا. ومعناه: من لوم الدنيا أن الحر مجبول على حبها، وهي عدوٌ ولا يقدر أن يعرض عنها. وهذا من قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت ... له عن عدوٍّ في ثياب صديق

بقلبي وإن لم أرو منها ملالةٌ ... وبي عن غوانيها، وإن وصلت صد

الهاء في منها وغوانيها: للدنيا.

يقول: إني وإن لم أرو من الدنيا، ولم أقض منها وطري، فإني قد مللت منها، لما عرفت من تقلب أحوالها، ولذلك أعرضت عن غواني هذه الدنيا؛ لما عرفت من غدرهن وقلة وفائهن، وإن واصلتني فلا أبالي لوصالي.

خليلاي دون الناس: حزنٌ وعبرةٌ ... على فقد من أحببت ما لهما فقد

ما لهما: أي للحزن، والعبرة.

يقول: لما فقدت حبيبي أعرضت عن الناس وانفردت بالبكاء والحزن، فهما خليلاي، وليس لهما فقد.

تلج دموعي بالجفون كأنما ... جفوني لعيني كل باكيةٍ خد

يقول: لا تخلو جفوني من الدموع، فكأن جفوني خد لعيني كل باكية في الدنيا، وكأن كل دمع يجري من كل عين يجري على جفوني.

وإني لتغنيني من الماء نغبةٌ ... وأصبر عنه مثل ما يصبر الربد

النغبة: الجرعة، الربد: النعام، وهو جمع أربد، ورابد. والأربد: الذي يعلو سواده غبرة.

يقول: يكفيني من الماء جرعة، فإذا نلتها أصبر عن الماء، كما صبر النعام. والنعامة لا ترد الماء وتكتفي بالهواء، وكذلك الضب والحية.

وروى: وإني لتغنيني عن الماء نعته: أي وصفه، وهو أبلغ: يعني إذا وصف الماء أو نعت ارتويت بوصفه.

وأمضي كما يمضي السنان لطيتي ... وأطوي كما تطوي المجلحة العقد

الطية: النية. وروى: أطوي. أي أجوع. والمجلحة: الحادة في طلبها، المصممة على أطوادها. وأراد بها الذئاب، وهي أدوم السباع كلها، وأحرصها على الصيد. والعقد: جمع أعقد، وهو الذي في ذنبه عقد، وهي أخبث الذئاب.

يقول: إذا عزمت على شيء مضيت فيه مضاء السنان، وإذا عدمت الزاد صبرت عنه، كما تصبر الذئاب. وهي توصف بالطوى، ويقال: أجوع من ذئب.

وأكبر نفسي عن جزاءٍ بغيبةٍ وكل اغتيابٍ جهد من ماله جهد

الجهد والجهد: الطاقة.

يقول: أجهد نفسي ألا أجازي أحداً بغيبة إذا اغتابني؛ وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على المكافأة بالفعل.

وأرحم أقواماً من العي والغبا وأعذر في بغضي لأنهم ضد

العي: العجز عن الكلام. والغباء: الجهل.

يقول: أرحم من فيه الجهل والعي، وأعذرهم إذا بغضوني؛ لأنهم ضدي؛ إذ ليس في مثل ما فيهم من العي والجهل.

ويمنعني ممن سوى ابن محمدٍ أيادٍ له عندي يضيق بها عند

جعل عند اسماً، وإن كان لا يستعمل إلا ظرفا؛ لأنه حمله على المعنى. كأنه قال: يضيق بها المكان، ولأن أصل الأسماء يجريها بوجوده الإعراب، فإذا اضطر الشاعر ردها إلى الأصل.

يقول: إن نعم ابن محمد كثيرة عندي، بحيث يضيق بها المكان من كثرتها، فلما أردت أن أمدح غيره منعتني تلك النعم أن أمدح أحداً سواه؛ حياءً منه.

توالى بلا وعدٍ ولكن قبلها شمائله، من غير وعدٍ بها وعد

أصله: تتوالى، فحذف إحدى التاءين. والشمائل: الأخلاق.

يقول: أياديه تتابعت علي من غير وعد تقدمها، غير أن شمائله الكريمة وطلاقة وجهه تقوم مقام الوعد، وإن لم يكن هناك وعد على الحقيقة.

سرى السيف مما تطبع الهند صاحبي! إلى السيف مما يطبع الله لا الهند

صاحبي: بدل من السيف.

يقول: سريت بسيفي الذي طبعته الهند إلى السيف الذي طبعه الله تعالى. وهو الممدوح، شبهه بالسيف لمضائه.

فلما رآني مقبلاً هز نفسه إلي حسامٌ كل صفحٍ له حد

حسام: رفع؛ لأنه فاعل رأى. ويجوز أن يكون مرفوعاً بهز.

يقول: إنه لما رآني مقبلاً نحوه اهتز إلي وقام إلي، واستعمل فيه هز لأنه جعله سيفاً، ثم قال: كل صفح له حد أي كل جانب له، وكل جزء منه حد، بخلاف السيف فإنه كله صفحة، وهو وجهه. لا يكون له غيره.

فلم أر قبلي من مشى البحر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد

يقول: لم أر رجلاً قبلي مشى إليه البحر، وعانقته الأسد، شبهه بالبحر، لسخائه، وبالأسد؛ لشجاعته. وأراد بالرجل: نفسه.

كأن القسي العاصيات تطيعه هوىً أو بها في غير أنمله زهد

أراد بالعاصيات: الصعبة الشديدة.

يقول: إن القسي الصعبة تطيعه عند توتيرها ونزعها. إما حباً له أو قلة رغبة في غير أصابعه، فلا تجذب لأحد دونه.

يكاد يصيب الشيء من قبل رميه وتمكنه في سهمه المرسل الرد

يقول: إذا رمى شيئاً أصابه قبل أن يرميه، وإذا أرسل سهماً أمكنه رده قبل وصوله إلى الغرض، وقصد المبالغة.

وينفذه في العقد وهو مضيقٌ من الشعرة السوداء والليل مسود

يقول: لو عقد عاقدٌ عقداً ضيقاً، على شعرة سوداء، وتركه في ليلة مظلمة، لأمكنه أن ينفذ سهمه فيه، في ظلمة الليل.

بنفسي الذي لا يزدهي بخديعةٍ وإن كثرت فيها الذرائع والقصد

لا يزدهي: أي لا يستخف به مخادعة، والهاء في فيها للخديعة.

يقول: أفدي بنفسي الفصيح الفطن، الذي لا يستخفه أحد بالخديعة والمكر، وإن كثرت الوسائل في الخديعة، والقصد إليها، لأنه يقف عليها ويفطن لها سريعاً، فلا يمكن أحد خديعته.

ومن بعده فقرٌ، ومن قربه غنىً ومن عرضه حرٌّ، ومن ماله عبد

يقول: إن الغنى في يديه فمن بعد عنه حرمه، ومن قرب منه أغناه، وإن عرضه: أي نفسه وحسبه، حرٌّ: أي مصون صيانة الحر، وماله: مهان إهانة العبد. وطابق في هذا البيت. البعد: بالقرب. والفقر: بالغنى. والحر: بالعبد. والعرض: بالمال.

ويصطنع المعروف مبتدئاً به ويمنعه من كل من ذمه حمد

يقول: إنه يصطنع معروفه في مستحقه، فإذا رأى دنيا كفوراً للنعمة حرمه؛ لأن ذمه حمد، فلا يبالي بذمه، من حيث إنه يتضمن حمده؛ لأن الجاهل إذا ذم العالم، واللئيم إذا ذم الكريم فقد مدحه، ودل بذمه على أنه ضد له، فصار ذمه حمداً له من هذه الجملة.

وقيل: أراد أن حمده مثل ذمه، لأنه لخسته لا يكون لحمده أثر، فلا يبالي بحمده وذمه.

ويحتقر الحساد عن ذكره لهم كأنهم في الخلق ما خلقوا بعد

يقول: إنه يحتقر حساده، فلا يذكرهم حتى لا يشتهروا بذكره إياهم، فكأنهم لعدم ذكره لهم واحتقارهم. في العدم، ولم يخلقوا بعد، وليس لهم وجود.

ويأمنه الأعداء من غير ذلةٍ ولكن على قدر الذي يذنب الحقد

يقول: إن أعداءه آمنوا بالله تعالى من غير ذلة له. ولكن الحقد يكون على قدر المذنب. وأعداؤه صغار القدر، فهو لا يبالي بهم؛ لأنهم أقل من أن يحقد عليهم، فأمنوا لذلك.

وقيل: أراد أنه لا يجازي أحداً إلا بما يستحقه؛ لاتصافه بذلك، فلا يخافه أحد إلا على قدر ذنبه.

فإن يك سيار بن مكرمٍ انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

يقول: إن كان جدك قد انقضى ومات، فإنك تنوب عنه، كما أن ماء الورد ينوب عن الورد ويقوم مقامه إذا فقد الورد.

وفيه إشارة إلى تفضيله على جده، لأن ماء الورد أطيب من الورد وألطف وأكثر بقاء ونفعاً.

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألفٌ إذا ما جمعت واحدٌ فرد

ذكر بنوه في مضى من غير توكيده بالمنفصل، وكان الوجه أن يقول: مضى هو وبنوه وذلك أيضاً جائز.

يقول: مضى سيار بن مكرم ومضى بنوه، وهم أبوه وأعمامه، وانفردت أنت بفضلهم، أي جمعت

فضائلهم، فكأنك جميعهم، كما أن الألف واحد؛ من حيث اللفظ وإن كان ألفاً في المعنى، وأعداد كثيرة ومنتهى الأعداد، فهي تجمع الأعداد مع أنه واحد.

لهم أوجهٌ غرٌّ، وأيدٍ كريمةٍ ومعرفةٌ عدٌّ، وألسنةٌ لد

لهم: أي لأجداده، أوجه بيض وأيد كريمة: أي سخية. وقيل: نعم خالصة من المن، ومعرفة عد: كثيرة، وألسنة لد: فصيحة شديدة الخصومة ماهرة بالجدال.

وأرديةٌ خضرٌ، وملكٌ مطاعةٌ ومركوزةٌ سمرٌ، ومقربةٌ جرد

وأردية خضر قيل: أراد نعمٌ سابغة وعطاي هنيةٌ. كما قال:

غمز الرداء إذا تبسم ضاحكاً... البيت .

وقيل: أراد به الرداء، وخص الخضر؛ لأنها من ثياب الملوك في ديار العرب. وقيل: أراد بالخضر السود، أي اسودت موضع حمائلهم لكثرة تقلدهم بالسيوف. قوله: وملك مطاعة أنث الملك على معنى السلطان، وهو مؤنث ذهاباً بها إلى القدرة. وقيل: أراد بالتأنيث المملكة ومركوزة سمر: أي الرماح ركزت. أي غرزت في بيوتهم. وذلك عادة. ومقربة جرد: أراد به الخيل المقربة من البيوت، فهي لا ترسل لكرمها وخوفهم عليها وحبهم لها فتربط قريباً من البيوت. والجرد: جمع أجرد، وهي القصار الشعور.

وما عشت ما ماتوا ولا أبواهم تميم بن مرٍّ وابن طابخةٍ أد

ما الأولى للوقت، والثانية للنفي.

يقول: ما دمت تعيش، فما مات أحد من آبائك، ولا مات تميم بن مر، وابن طابخة، الذين أنت وآباؤك من نسلها؛ لأن فضائلهم موجودة فيك. وأد: اسم ابن طابخة.

وقوله: تميم بن مر. بدل من قوله: ولا أبواهم. وابن طابخة معطوف عليه، وإن شئت جعلته عطف على سيار، وأبدل من ابن طابخة، أو عطف بيان، ويجوز أن يكون تميم بن مر: خبر ابتداء محذوف أي هما تميم بن مر وابن طابخةٍ أد، كأن قائلاً قال: من هما؟ قال: تميم بن مرو وابن طابخة، فيكون تفسيراً لقوله: ولا أبواهم.

فبعض الذي يبدو الذي أنا ذاكرٌ وبعض الذي يخفى علي الذي يبدو

يقول: ما أذكر من أوصافك ومناقبك، بعض ما يظهر لي منها، والذي ظهر لي منها بعض ما خفي علي، فالذي خفي أكثر مما ظهر، وما ظهر لي أكثر مما ذكرت، لأن لفظي يقصر عنها.
وتقديره: وبعض الذي يبدو، مثل بعض الذي يخفى. فحذف المضاف.

ألوم به من لامني في وداده وحق لخير الخلق من خيره الود

الهاء في به للذكر، أو الوصف لفضله.
يقول من لامني في حبي إياه، ألومه بما وصفته من مفاخره، وأرد عليه بذكر محاسنه؛ لأن الممدوح خير الخلق، وأنا أيضاً كذلك، فحق لي أن أوده لأن الجنس يصبو إلى جنسه.

كذا فتنحوا عن عليٍّ وطرقه بني اللوم حتى يعبر الملك الجعد

الجعد: السخي. وقيل: معناه أنه أبي الظلم منقبض عن الضيم، هذا إذا أطلق، فإذا قرن باليدين كان ما يعنون أنه بخيل وبني اللؤم نداء مضاف، وقيل نصب على الذم.
يقول: تنحوا أيها اللائمون طرق المكارم، حتى يعبرها الملك السخي الأبي الضيم من غير مشقة. ومثله لبشار:

سمعت بمكرمه ابن العلا ء فأنشأت تطلبها لست تم

فما في سجاياكم منازعة العلا ولا في طباع التربة المسك والند

يقول: ليس في طباعكم منافسة الكرام على المكارم، كما أن التراب ليس في طبعه أن يولد المسك والد وأراد أن يسافر فودعه صديقٌ له فارتجل وقال:

أما الفراق فإنه ما أعهد هو توأمي لو أن بيناً يولد

التوأم: الذي ولد معه آخر. وما بمعنى: الذي. أي الذي أعهد.
يقول: إني تعاهدت الفراق، وهو الذي أعهده منذ ولدت، ولو كان البين يولد لكنت أنا وهو توأمين.
ومثله قول الآخر:

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى حليف الندى ما للندى عنك مذهب

ولقد علمنا أننا سنطيعه لما علمنا أننا لا ينلخد

يقول: لما علمنا أن الموت كتب علينا، وأننا لابد لنا من الفراق! علمنا أننا في طاعته والانقياد له.

وإذا الجياد أبا البهي نقلننا عنكم فأردأ ما يكون الأجود

وروى: فأردأ ما ركبت الأجود.
يقول: يا أبا البهي، إذا كانت الخيل سبباً لفراقنا، فأجودها وأسبقها أردؤها؛ لأن أجودها أسرع في إبعادنا، فلذكل صار ذماً لها.

من خص بالذم الفراق فإنني   من لا يرى في الدهر شيئاً يحمد

يقول: إن كان الناس يذمون الفراق خاصة، فأنا أذم جميع الدهر، ولا أرى في الدهر شيئاً يستحق الحمد والمدح.
وقال يمدح أبا بكر علي بن صالحٍ الروذباري الكاتب بدمشق:

كفرندي فرند سيفي الجراز   لذة العين عدةٌ للبراز

الفرند، والإفرند: جوهر السيف، وهو خضرته التي تردد فيه والجراز: القاطع. والبراز: المبازة.
يقول: إن جوهر سيفي مثل مضاء حده، ومثل مضاء عزمي، وهو لذة العين حين تنظر إليه، وعدتي ليوم القتال، والحرب.

تحسب الماء خط في لهب النا   ر أدق الخطوط في الأحراز

أدق: نصب على المصدر. وأراد: تحسب الماء في سيفي، فحذف للعلم به. والأحراز: جمع حرز، وهو التعويذة. شبه السيف بالنار، وفرنده بالماء.
يقول: إذا نظرت إليه حسبت أن الماء خط في لهيب النار! فهذا عجيب لأنهما لا يجتمعان، وإن ذلك الخط في الدقة أدق من خطوط الأحراز.

كلما رمت لونه منع النا   ظر موجٌ كأنه منك هازي

أصله هازىء بالهمزة فقلبها ياء فصار مثل هازي.
يقول: إن ما يموج في صفحته، مرة تراه أصفر، وأخرى أخضر، وأخرى أزرق، ويجيء مرة ويذهب أخرى، فإذا نظرته لا يعطيك حقيقة لونه، فكأنه يهزأ منك.

ودقيقٌ قدى الهباء أنيقٌ   متوالٍ في مستوٍ هزهاز

قوله: ودقيق أراد به: الغبرة التي تعلو متن السيف. وقيل أراد: جوهره الدقيق. والهباء: ما تراه في الشمس إذا دخلت البيت، من كوة. وقدى الهباء: بالفتاح والكسر أي مقداره. والأنيق: المعجب. والهزهاز: كثير الاهتزاز. وقيل هو الذي يجيء ماؤه ويذهب. قوله: في مستوٍ: أي متن مستوٍ. ومتوالٍ:

أي غبار متوال.

يقول. عطفاً على ما تقدم: إن الناظر يمنعه غبار دقيق، أو جوهر دقيق كأنه الهباء وهو أنيق متتابع غير منقطع، في متنٍ مستوٍ يجيء ماؤه ويذهب لكثرة اهتزازه وجود صقاله.

ورد الماء فالجوانب قدراً — شربت والتي تليها جوازي

جوازي: أصله بالهمزة.

يقول: ورد الجوازىء، أي الإبل التي تجتزىء بالرطب عن ماء هذا السيف، فشربت شفرتاه منه قدر الحاجة، واجترىء متنه وصفحته بما فيها من الرونق والصفاء، ولم يشرب الماء كله؛ ليكون أثبت له فلا ينكسر.

حملته حمائل الدهر حتى — هي محتاجةٌ إلى خراز

حمائل السيف، وحمالته، ونجاده، ومحله: بمعنى.

يقول: كانت حمائله الدهور، فأخلقها وأبلاها فهي محتاجة إلى خراز: يرمم مارث. يعني: أنه قديم عتيق قد أبلى الأعوام، ومرت عليه الدهور؛ والسيف إذا كان أعتق، كان أجود وأقطع.

وهو لا تلحق الدماء غراري — ه ولا عرض منتضيه المخازي

غراري السيف: حداه. والمخازي: جمع مخزاة، وهي المذلة. والمنتضى: المخرج له من الغمد.

يقول: لا تلحق الدماء غراريه؛ لسرعة مضائه، فيسبق الدم ويخرج الدم بعده! وقيل: أراد أنه جيد الصقل، ولا يقبل الدم لصقالته، وكما لا يلحق غراريه الدم، كذلك لا يلحق حامله الذي ينتضيه في الحرب؛ لفضله وشجاعته.

يا مزيل الظلام عني، وروضي — يوم شربي ومعقلي في البراز

المعقل: الحصن. والبراز: الصحراء.

يقول مخاطباً لسيفه: أنت تزيل عني ظلم الخطوب والشدائد، وأنت روضي يوم أشرب: أي نظري إليك، وإلى جوهرك، يقوم لي مقام الروض. وأنت معقلي: ألجأ إليك إذا التجأ غيري إلى الحصون. وقيل: أراد به أن رونقه وصقاله يضيء له الظلام. وكذلك أراد أنه في خضرته يشبه الروض.

واليماني الذي لو اسطعت كانت — مقلتي غمده م الإعزاز

اليماني: صفة للسيف، أي أنه منسوب إلى اليمن.

يقول: لو استطعت أن أجعل مقلتي غمدك لفعلت؛ صيانة لك وإعزازاً.

إن برقي إذا برقت فعالي وصليلي إذا صللت ارتجازي

الصليل: صوت وقع الحديد بعضه على بعض. والارتجاز: من الرجز.

يقول: إذا لمعت في الحرب بروقك برقت أنا بفعلي وظهرت به كما ظهرت بلمعك، وإذا صللت عند الضراب ارتجزت أنا بشعري، فرجزي يقوم مقام صليك.

ولم أحملك معلماً هكذا إلا لضرب الرقاب والأجواز

المعلم: الذي يجعل من نفسه إشارة إلى الحال، وهو نصب على الحال.

يقول: لم أحملك يا سيف في حال ما أنا معلم، وهي حال الحروب، إلا لضرب رقاب الناس، وأوساطهم.

ولقطعي بك الحديد عليها فكلانا لجنسه اليو غاز

الهاء في عليها للرقاب والأجواز. الذي على الرقاب والأجواز، فتقطع أنت الحديد، وأقطع أنا الأبدان، فكل واحد منا يغزو جنسه. وموضع عليها نصب على الحال: أي لقطعي بك الحديد كائناً عليها، والهاء في جنسه عائد إلى الضمير في كلانا.

سله الركض بعد وهنٍ بنجدٍ فتصدى للغيث أهل الحجاز

الركض: ضرب الراكب الدابة حثاً لها على السير. قيل: أراد به أهل الركض. وقيل: بل الركض نفسه. والوهن: قطعة من الليل.

يقول: سل هذا السيف أهل الركض بعد مضي صدرٍ من الليل.

وعلى الثاني: إن شدة الركض سلة: أي اندلق من الغمد لشدة الركض، فظهر عند السل لمعانه، فرآه أهل الحجاز فظنوا أنه برق، وتوقعوا الغيث. والتصدي: التطاول إليه عند لقائه.

حكى المتنبي قال: إنما خصصتهم؛ لأن فيهم طمعاً ليس لغيرهم! قال أبو الفتح: ولم أسمع هذا منه فإن لم يكن الأمر كذلك، فالذي أداه إلى ذلك هو القافية.

وقيل: إنما خصصهم لأن الغيث يقل فيهم، والقحط يكثر في أرضهم، فتصديهم له أكثر.

وتمنيت مثله فكأني طالبٌ لابن صالحٍ من يوازي

يقول: لا مثل لهذا السيف في السيوف، كما أن ابن صالح لا مثل له في الأنام!

ليس كل السراة بالروذبا ري ولا كل ما يطير بباز

السراة: جمع سرى أي شريف.

يقول: ليس كل رئيس له سؤدد، كما أن ليس كل طائر بازٍ، وإن شاركه في الطيران.

فارسيٌّ له من المجد تاجٌ كان من جوهرٍ على أبرواز

يقول: إنه من أهل بيت ملك قديم وشرف عظيم في الفرس.

وقيل: معناه إن التاج لأبرواز كان من جوهر، وتاجه من المجد والسؤدد، فهو أفضل منه.

نفسه فوق كل أصل شريفٍ ولواني له إلى الشمس عاز

يقول: هو أفضل من أصله الذي انتسب إليه، وإن كان ذلك الأصل شريفاً، ولو نسبته إلى الشمس لكان أعلا محلاً منها.

شغلت قلبه حسان المعالي عن حسان الوجوه والأعجاز

يقول: إن المعالي الحسان شغلت قلبه باكتسابها عن طلب النساء الحسان الوجوه والأعجاز.

وكأن الفريد والدر واليا قوت من لفظه، وسام الركاز

نصب سام لأنه معطوف على ما تقدم. والسام: عروق الذهب. والركاز: معادن سائر الكنوز.

والفريد: الدر الكبير الذي لا يكون معه في الصدفة غيره.

يقول: كأن هذه الأشياء حصلت من لفظ الممدوح؛ لحسنه ورونقه وعذوبته.

تقضم الجمر والحديد الأعادي دونه قضم سكر الأهواز

يقول: إن أعداءه يقضمون على الجمر والحديد حنقاً وغيظاً دون بلوغ مرتبته! فكأنهم يقضمون سكر الأهواز؛ لأن الإنسان يحب الإكثار من ذلك.

بلغته البلاغة الجهد بالعف و ونال الإسهاب بالإيجاز

يقول: إن البلاغة قد بلغته بالسهولة اجتهاد غيره، أي أن عفوه يزيد على اجتهاد غيره، وأدرك بالإيجاز إسهاب غيره: وهو الإطالة.

حامل الحرب والديات عن القو م وثقل الديون والأعواز

أي: وثقل الأعواز. وروى الإعواز، وهو المصدر، من أعوزني الشيء: إذا لم تجده. وروى: الأعواز: وهو جمع العوز، وهو الاسم.

يقول: إذا خاف الناس حرباً دفعها عنهم، وإن أثقلتهم ديات وديون أداها من ماله، وإن قل مالهم أغناهم.

كيف لا يشتكي وكيف تشكوا؟ به لا بمن شكاها المرازي!

المرازي: المصائب، وأصله الهمز.

يقول: إن الناس يشكون إليه ما لزمهم من الأثقال والمؤن فيحملها عنهم، وهم يشكون المصائب والأثقال! مع أنه يحملها عنهم بالمرازي، فهي واقعة به في الحقيقة لا بهم، فكيف لا يشكوها؟ وهم يشكون! وهو أولى بأن يشكو.

أيها الواسع الفناء وما في ه مبيتٌ لمالك المجتاز

الكاف في مالك للخطاب. وأضاف المال إلى الناس.

يقول: إن فناءك واسع ومع ذلك لا مبيت فيه لمالك؛ لأنك تفرقه في الوقت، فكأنه ليس له مبيت عندك.

بك أضحى شبا الأسنة عندي كشبا أسوق الجراد النوازي

شبا كل شيء: حده. والأسوق: جمع ساق، والنوازي: جمع النازية، من نزا ينزو، إذا وثب.

يقول: بك تعلمت الشجاعة، حتى حد الأسنة ونوائب الدهر لا تؤثر في! فكأنها أسوق الجراد النازية؛ في أنها لا تأثير لها في.

وانثنى عني الرديني حتى دار دور الحروف في هواز

يقول: إن الرمح إذا طعنت به انعطف عني مثل حروف هوز! وخص هذه الحروف؛ لأنها كلها: الهاء والواو والزاي. مستديرة منقطعة، والألف ليست فيها ولكنها زائدة. كما قالوا: أبو جاد وهواز وكلمون. وهي أبجد وهوز وكلمن.

وقيل أراد بذكر هواز جميع حروف المعجم، ومعناه أن الرماح لا تؤثر في ولا تخدشني كما لا تخدش هذه الحروف الأقلام ولا تؤثر فيها.

وبآبائك الكرام التأسي والتسلي عمن مضى والتعازي

يقول: إن آباءك الماضين الكرام، صاروا لنا أسوة عن كل هالكةٍ، فنحن نتسلى بهم عن مصائبنا؛ إذ لو بقي أحد لبقي آباؤك.

تركوا الأرض بعد ما ذللوها ومشت تحتهم بلا مهماز

المهماز: الحديدة يجعلها الفارس في نعله، يهمز بها الدابة.
يقول: إنهم مضوا بعد ما ملكوا الأرض، وذللوها وانقادت لهم أي أهلها، وأطاعوهم طوعاً، لحبهم إياهم من غير كراهة ولا إكراه.

وأطاعتهم الجيوش وهيبوا فكلام الورى لهم كالنحاز

النحاز: سعال يأخذ الإبل والغنم.
يقول: انقادت لهم العساكر وهابتهم! فكل من أراد أن يتكلم بين أيديهم تنحنح وسعل؛ كما يفعله الحصير إذا عيي بالكلام.
وقيل: أراد كأن لم يسمع من الناس إلا همساً شبيهاً بالنحاز؛ لهيبتهم.
وقيل: أراد أنهم لم يبالوا بكلام أحد لهيبتهم ولانقياد الناس إليهم، ولم يفكروا، كما لا يفكر الإنسان في سعالٍ يأخذ الغنم والإبل.

وهجانٍ على هجانٍ تأتي ك عديد الحبوب في الأقواز

الهجان الأول: الكرام من الناس. والثاني: الكرام من الإبل. تأتيك: أي تقصدك. وروى تأتتك: أي قصدتك. والأقواز: جمع القوز، وهي القطعة المستديرة من الرمل. وعديد: نصب على الحال من الضمير في تأتيك، والإضافة في تقدير الانفصال.
يقول: رب قوم كرام قصدوك على إبل كرام في عدد حبات الرمل؛ لأنك كريم والكريم إذا مسه الضر، ماله إلا الكريم.

صفها السير في العراء فكانت فوق مثل الملاء مثل الطراز

العراء: الأرض الخالية. والهاء في صفها للإبل. شبه استواء الإبل في العراء بطراز على ملاءة! وذلك أن الإبل الكرام لا تتقدم إحداها على الأخرى بل تصف على استواءٍ واحد في المكان الواسع.

وحكى في اللحوم فعلك في الوف ر فأودى بالعنتريس الكناز

حكى: أي السير حكى في اللحوم فعلك. في الوفر: وهو المال الكثير. والعنتريس: الناقة القوية. والكناز: المكتنزة اللحم.
يقول: إن السير أذهب لحوم الإبل وأفناها، فأشبه فعله بها فعلك في مالك الذي تفرقه. وأودى: فاعله السير أي أهلكه.

كلما جادت الظنون بوعدٍ عنك جادت يداك بالإنجاز

يقول: كلما ظننا في أنفسنا عنك بوعد، وقدرنا أنك تعطينا بوعد، وعدنا ظنوننا كأن ذلك على قدرنا، فتنجز ما قدرنا وتحقق ما أملنا.

ملكٌ منشد القريض لديه يضع الثوب في يدي بزاز

يقول: إنه عالم بالشعر جيد الفكر فيه، فمنشد الشعر كأنه وضع ثوباً في يدي بزاز؛ لأن البزار يكون عارفاً بالثوب.

ولنا القول وهو أدرى بفحوا ه وأهدى فيه إلى الإعجاز

فحوى الكلام: معانيه، ومعاريضه.

يقول: إنه يقول الشعر، وهو أعلم بدقائق معانيه، ويقدر أن يقول ما يعجز عنه كل شاعرٍ فصيح.

ومن الناس من تجوز عليه شعراءٌ كأنها الخازباز

الخازباز: صوت الذباب، ونفس الذباب.

يقول: إنه عالم بجيد الشعر ورديئه وغيره يجوز عليه شعر شعراء كان شعرهم مثل طنين الذباب الذي لا معنى له.

ويرى أنه البصير بهذا وهو في العمى ضائع العكاز

يقول: إن من يجوز عليه مثل ذلك، هو يظن أنه عالم بالشعر، وهو كالأعمى بين العميان، إذا ضاع عكازه وعصاته التي يتوكأ عليها! قيل: إنه أراد بهذا رجلاً بعينه ضدٌّ للممدوح.

كل شعرٍ نظير قابله منك وعقل المجيز مثل المجاز

الكاف في منك للشاعر. والمجيز: المعطي، ويجوز أن يكون بمعنى المجوز القائل.

يقول: أيها الشاعر إن كل شعر يشبه من يقبله منك، فالرديء يجوز على الجاهل به، والجيد يعرفه العالم به، وعقل الممدوح الذي يعطي الجائزة على المدح ويقبل المديح ويجيزه، مثل عقل المادح المعطي، والذي قبله منه. فالأحمق يجيز الأحمق ويقبل منه. والعاقل يجيز العالم، وهو يقبل منه لأنه يرضى بشعره.

وقد قيل: نظير قائله ومعناه. موقع كل شعر منك أيها الممدوح كموقع قائله، فإن كان فاضلاً مقدماً فشعره مثله، وإن كان رذلاً فشعره كذلك، وكذلك عقل من يجيز عليه أو يقبله مثل عقل الشاعر الذي يقبل الجائزة عليه.

وقال أيضاً: يهجو علوياً عباسياً:

أماتكم من قبل موتكم الجهل ... وجركم من خفةٍ بكم النمل

يقول: إنكم من غلبة الجهل عليكم أموات وإن كنتم أحياء! ومن خفة أقداركم ومهانتكم يقدر أن يجركم النمل إلى حيث شاء.

وليد أبي الطيب الكلب مالكم ... فطنتم إلى الدعوى وما لكم عقل

وليد: تصغير ولد، ونصب على أنه منادى مضاف.

يقول: ليس لكم عقل، فكيف علمتم لؤم أصلكم، فرغبتم عنه وادعيتم إلى غير أبيكم!

ولو ضربتكم منجنيقي وأصلكم ... قوي لهدتكم فكيف ولا أصل؟ !

المنجنيق: يذكر ويؤنث وقد أنث. والهد: الكسر.

يقول: لو كان لكم أصل قوي وتعرضت له لأفسدته وهديته، فكيف تثبتون لي وليس لكم أصل؟!

ولو كنتم ممن يدبر أمره ... لما كنتم نسل الذي ماله نسل

يقول: لو كان الأمر فيكم إلى أبيكم لم يرض أن تكونوا نسله؛ لأن من يكون نسله مثلكم فلا نسل له! غير أن الإنسان لا اختيار له في ولده.

وقيل: معناه لو كنتم ممن يحسن التدبير لما انتسبتم إلى من لا عقب له، بل كنتم تنتسبون إلى من كان له عقب.

وقال يمدح الحسين بن علي الهمذاني:

لقد حازني وجدٌ بمن حازه بعد ... فياليتني بعدٌ ويا ليته وجد

حازني: أي جمعني.

يقول: قد ملكني الوجد والحزن، بمن استولى عليه البعد، فيا ليتني البعد؛ لأكون معه، ويا ليته الوجد ليكون معي أبداً.

أسر بتجديد الهوى ذكر ما مضى ... وإن كان لا يبقى له الحجر الصلد

ذكر نصب بتجديد الهوى وهو مصدر جدد، والصلد: الصلب اليابس.

يقول: أنا أسر إذا جدد لي الشوق ذكر الشدائد التي سرت على في الهوى، وإن كان مما لا يطيق الحجر الصلد احتماله.

نسب ذكر ما مضى إلى تجديد الهوى؛ إذ لولا الهوى. ما تجدد.

سهادٌ أتانا منك في العين عندنا ... رقادٌ، وقلامٌ رعى سربكم ورد

القلام: نبت خبيث الرائحة. والسرب: الإبل.

يقول: إني أستلذ الألم فيما ينالني من أجلك! وأستحسن القبيح في حبك، فالسهر في عيني ألذ من النوم، والقلام إذا رعت إبلكم أطيب عندي من الورد! ومثله:

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

ممثلةٌ حتى كأن لم تفارقي وحتى كأن اليأس من وصلك الوعد

يقول: أنت مصورة في قلبي، حتى كأنك لم تفارقيني، وإن بعدت عني حتى كأن يأسي منك وعدٌ بلقائك.

وحتى تكادي تمسحين مدامعي ويعبق في ثوبي من ريحك الند

يقول: من قوة تمثلك في قلبي، أظن أنك عندي تمسحين مدامعي وتعانقيني فأجد في ثوبي رائحة الند من ريح ثوبك.

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ومن عهدها ألا يدوم لها عهد

يقول: إن الحسناء تفي بعهدها، وعهده ألا يكون لها عهد! أي لا يكون لها لقاء، فغدرها إذاً يكون وفاء بعهدها! وقيل: معناه إن الحسناء إذا غدرت، وفت هي بعهدها؛ لأنها مخالفة لسائر النساء.

وقيل: أراد أن المرأة إنما عهدت على الغدر وبه جرت عادتها، فقد فعلت هي إذا غدرت بما جرت به عادتها، فإذا أوفت بعهدها، غدرت ووفت بعهدها؛ لأن عهدها ألا يدوم لها عهد ولا ود.

ومثله لأبي تمام:

فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانيةٍ هند

وإن عشقت كانت أشد صبابةً وإن فركت فاذهب فما فركها قصد

القصد: الاقتصاد.

يقول: إن المرأة إذا عشقت، أو أبغضت أفرطت في الحالين فعشقها بمن يعشقها أشد، وبغضها إذا أبغضت أشد، لا اقتصاد لها في ذلك. وقوله: فاذهب إشارة إلى أنه ليس يجب أن يعتمد عليهن في حال من الأحوال.

وإن حقدت لم يبق في قلبها رضاً وإن رضيت لم يبق في قلبها حقد

وهذا تأكيد لما مضى من نفي الاقتصاد أيضاً.

كذلك أخلاق النساء وربما يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد

الهاء في بها وبها للنساء.

يقول: إن أخلاق النساء على ما وصفته لك، ولكن العاقل ربما ضل عقله بحبهن، وخفي عليه رشده، فيغلب هواهن رأيه.

ولكن حباً خامر القلب في الصبا   يزيد على مر الزمان ويشتد

يقول: إن الحب إذا خالط القلب في الصبا، لا يزال يزيد على مرور الأيام ويشتد. ومثله قول الآخر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبي فارغاً فتمكنا

سقى ابن عليٍّ كل مزنٍ سقتكم   مكافأةً يغدو إليها كما تغدو

التأنيث لكل مزن؛ لأنه أراد جماعة المزن، ويغدو: فعل الممدوح.

يقول: دعاء للسحاب التي سقت ديار أحبائه، بأن يسقي الممدوح التي سقتكم أيها الأحباب؛ حتى يكون مجازاة السحاب على سقياها فيغدو هو إلى السحاب، كما يغدو السحاب إلى ديارهم.

لتروى كما تروى بلاداً سكنتها   وينبت فيها فوقك الفخر والمجد

سكنتها، وفوقك: خطاب للمحبوبة.

المعنى: لتروي السحاب من صوب كرمه، كما أروت بلاداً سكنتها أيتها المحبوبة، وينبت السحاب فوقك الفخر والمجد، كما ينبت في ديار المحبوبة النور والعشب.

يعني أن سقياه للسحاب ليس مما ينبت العشب، وإنما سقيا كرم ينبت الفخر والمجد.

بمن تشخص الأبصار يوم ركوبه   ويخرق من زحمٍ، على الرجل البرد

الباء: متعلقة بقوله: لتروى أي لتروى بمن تشخص الأبصار. وقيل: بالفخر. أي يثبت الفخر بمن تشخص الأبصار.

يقول: إذا ركب تتحير وتشخص إليه أبصار الناس، ويزدحم عليه الناس ينظرون إليه لحسنه، حتى يخرق بعضهم ثياب بعض من كثرة الازدحام!

وتلقى، وما تدري البنان سلاحها   لكثرة إيماءٍ إليه إذا يبدو

البنان: فاعل تلقى وتدرى، والمفعول السلاح.

يقول: إذا بدا للناس بهرهم حسنه فيشير بعضهم إلى بعض بأصابعهم وقد سقط سلاحه من يده، وهو لا يعلم لحيرته. ومثله للمعري في النعاس:

حيث اليسار عن العنان ضعيفةٌ فالسوط تسقط من يمين الفارس

ضروبٌ لهام الضاربي الهام في الوغى خفيفٌ إذا ما أثقل الفرس اللبد

يقول: إنه يضرب في الحرب الشجعان الذين يضربون الرءوس، وإنه فارس خفيف على ظهر فرسه، إذا أثقله لبده. الذي تحت السرج.

بصيرٌ بأخذ الحمد من كل موضعٍ ولو خبأته بين أنيابها الأسد

يقول: إنه عالم بطريق المجد، وكيفية أخذه، فهو يتحمل فيه الموت حتى لو كان في أفواه الأسد لاستخرجه!

بتأميله يغنى الفتى قبل نيله وبالذعر من قبل المهند ينقد

التأميل: الأمل، وينقد: ينقطع.

يقول: كل من أمله حصل له الغنى بمجرد أمله، قبل أن يصل إليه نائله! ومن قصده محارباً مات من خوفه قبل أن يقتله بسيفه!

وسيفي لأنت السيف لا ما تسله لضربٍ ومما السيف منه لك الغمد

وسيفي: قسم. ولأنت السيف: جوابه.

يقول: وحق سيفي، إنك السيف على الحقيقة. لا ما تسله: أي الذي تسله للضرب؛ لأنك أمضى منه، ولأنه لا يعمل إلا إذا ضربت به؛ فالقطع في الحقيقة لك لا له! وقوله: ومما السيف أي أن غمدك من الحديد الذي يطبع منه السيف. وهو الدروع والجواشن. وإذا لبستها كانت كالغمد لك. أي أت أفضل من السيف جوهراً، وغمدك أفضل من غمده؛ لأن غمدك من الحديد الذي يعمل منه السيف. وقيل معناه: إن من جنس الحديد غمدك؛ لأنك تدفع ضرباً بالسيف عن نفسك؛ فقد صار الحديد غمداً يقيك كما يقي السيف غمده.

ورمحي، لأنت الرمح لا ما تبله نجيعاً، ولولا القدح لم يثقب الزند

يقول: وحق رمحي إنك أنت الرمح على الحقيقة، لا رمحك الذي تبله بالدم؛ لأن الرمح إنما يعمل إذا طعنت به، كما أن الزند لو لم يقدح لم تخرج منه النار.

من القاسمين الشكر بيني وبينهم لأنهم يسدى إليهم بأن يسدوا

يقول: هو من قوم قسموا الشكر بيني وبينهم، فأنا أشكرهم على إنعامهم، وهم يشكرونني على قبولي منهم برهم. وهذا معنى قوله: لأنهم يسدى إليهم بأن يسدوا أي أنهم يعدون نعمهم على غيرهم نعمة على أنفسهم، فيشكرون من قبل نعمهم ويثنون عليهم وهذا من قول التهامي:

ودعا لسائله وأعلن شكره   حتى حسبنا السائل المسئولا

فشكري لهم شكران: شكرٌ على الندى   وشكرٌ على الشكر الذي وهبوا بعد

يقول: إني أشكرهم من وجهين. أحدهما على نعمهم علي، والثاني على شكرهم لي في قبول نعمهم، وهذه نعمة مجددة.

وهذا البيت من بدائعه التي لم يسبق إليه.

صيامٌ بأبواب القباب جيادهم   وأشخاصها في قلب خائفهم تعدوا

وروى: قيام.

يقول: إن خيلهم قيام على أبواب بيوتهم، وأعداءهم يخافون طلوعها عليهم فكأنها تعدوا في قلوبهم من خوفهم.

وأنفسهم مبذولةٌ لوفودهم   وأموالهم في دار من لم يفد وفد

يقول: من قصدهم بذلوا له أنفسهم، ومن لم يقصدهم أنفذوا إليه صلاتهم وأنعموا عليه بأموالهم، فكأن أموالهم وفد.

ومثله لأبي تمام قوله:

فإن لم يفد يوماً إليهن طالبٌ   وفدن إلى كل امرىءٍ غير وافد

كأن عطيات الحسين عساكرٌ   ففيها العبدي والمطهمة الجرد

المطهمة: الخيل التامة الخلق، الكاملة الحسن.

يقول: إنه يهب العبيد والخيل والسلاح، فكأن ما يهبه عسكراً لكثرته.

أرى القمر ابن الشمس قد لبس العلا   رويدك حتى يلبس الشعر الخد

شبهه بالقمر، وآباءه بالشمس؛ لشرفهما وعلوهما، إشارة إلى أنه اكتسب شرفه من أبيه كما يكتسب القمر نوره من الشمس، ثم قال: رويدك أي أمهل حتى تبلغ مبلغ الرجال. وهذا قلب ما ذكره الحكمي في قوله:

وترى السادات مائلةً لسليل الشمس من قمره

وغال فضول الدرع من جنباتها على بدنٍ قد القناة له قد

غال الشيء: إذا أهلكه. والهاء في جنباتها للدروع.

يقول: إن الممدوح أذهب بالدروع وفضولها أي استوفاها بقده، فكأن طوله قد القناة؛ لاعتداله.

وباشر أبكار المكارم أمرداً وكان كذا آباؤه وهم مرد

أبكار المكارم: هي المبتدئات منها التي سبق الممدوح إليها.

يعني: أنه سئل وهو أمرد، وكذلك كان آباؤه، فهو يجري على عادتهم أيضاً وسننهم.

مدحت أباه قبله فشفى يدي من العدم من تشفي به الأعين الرمد

يقول: مدحت أباه قبل مدحه، فشفاني من الفقر وأغناني، من إذا نظرت إليه الأعين الرمد، شفاها!

ومثله لابن الرومي:

يا أرمد العين قم قبالته فداو باللحظ نحوه رمدك

حباني بأثمان السوابق دونها مخافة سيري، إنها للنوى جند

مخافة: نصب لأنه مفعول له.

يقول: أعطاني أبوك الدراهم والدنانير دون الخيل؛ خوفاً من أن أخرج عليها من حضرته؛ لأن الخيل معينةٌ على البعد، وجند له..

وشهوة عودٍ، إن جود يمينه ثناءٌ ثناءٌ، والجواد بها فرد

شهوة: نصب عطفاً على مخافة، والهاء في بها للأثمان. والألف واللام في الجواد بمعنى الذي. أي الذي يجود.

يقول: أعطاني أثمانها دونها مخافة سيري بها، وشهوةً منه أن يعود إلى العطاء؛ لأن جوده لا يقتصر على مرة واحدة، بل هو مثنى مثنى، أي إن عادته أن يجود مرتين مرتين. والذي يجود به فرد: أي الممدوح فرد لا ثاني له في شرفه، كما لا نظير له في زمانه وأقرانه.

فلا زلت ألقى الحاسدين بمثلها وفي يدهم غيظٌ وفي يدي الرفد

بمثلها: أي بمثل العطايا. وهي الأثمان.

يقول: دام لي عطاؤه ورفده حتى أغيظ بهما حسادي، فيكون معهم غيظ ومعي عطاء! وهذا دعاء لنفسه وعلى الحاسدين له.

وعندي قباطي الهمام وماله　　　وعندهم مما ظفرت به الجحد

القباطي: جمع القبيطة، وهي ثياب مصر. والقبيطة منسوب إلى القباط وهم نصارى. كالذين يسكنون ريف مصر ورساتيقها، بمنزلة سواد العرب.

يقول عطفاً على دعائه الأول: لا زلت أبداً آخذ خلعه وأمواله وحسادي يجحدون ما ظفرت به لغيظهم فيقولون: لم يعطه شيئاً! ليطيبوا بذلك أنفسهم. وقيل: أراد أهم يجحدون نعمه ويقولون: لم يعطه شيئاً، حتى يكون جحودهم سبباً لانقطاع صلاته عنهم.

يرومون شأوى في الكلام وإنما　　　يحاكي الفتى فيما خلا المنطق، القرد

يقول: إن الحساد يحاولون بلوغ غايتي في الفصاحة والبيان، وهم قرود! والقرد يحاكي الإنسان في أفعاله، إلا في النطق فكيف يقدرون على ذلك؟!

فهم في جموعٍ لا يراها ابن دأيةٍ　　　وهم في ضجيجٍ لا يحس به الخلد

ابن دأية: الغراب. ويوصف بحدة البصر والخلد: الفأرة العمياء، وتوصف بحدة السمع، وصدق الحس.

يقول: إهم من قلتهم وخستهم لا يراهم الغراب مع حدة بصره، وإن كانوا كثيرين في العدد ولهم أصوات وضجيج، ومع ذلك فالخلد لا يحس بها مع صحة السمع.

ومني استفاد الناس كل غريبةٍ　　　فجازوا بترك الذم إن لم يكن حمد

كل غريبة: أي كل لفظ غريب، أو معانٍ غريبة، أو خصلة.

وفي جازوا قولان:

أحدهما: ما قاله ابن جنى. أنه من قولهم: هذه الدراهم جائزة. أي تجوز على خبث.

كأنه يقول: إن الناس استفادوا مني الأخلاق الغريبة والمعاني البديعة. فتكلموا ما ليس في طباعهم فجازوا ونفقوا بترك الناس ذمهم، وإن لم يحمدوهم.

والثاني: أن جازوا أمر من المجازاة. وعدل عن معاتبه إلى الخطاب فيقول: أيها الناس إذا استفدتم مني هذه المعاني فجازوني بترك الذم إن لم تحمدوني.

وجدت علياً وابنه خير قومه　　　وهم خير قومٍ واستوى الحر والعبد

يقول: وجدت علياً وابنه أفضل قومه، وقومه خير الناس. من بعدهم متساوي في الفضل، لا فضل في ذلك بين الحر والعبد.

وأصبح شعري منهما في مكانه وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

روى: في عنق الحسناء. أي عنق المرأة الحسناء وروي: وفي العنق الحسناء؛ على أن يكون الحسناء صفة للعنق. والكناية في منهما للممدوح وأبيه، وفي مكانه للشعر.

يقول: أصبح شعري فيهما حين مدحتهما به في مكانه. أي في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه، فزاد حسنه، كما أن العقد إذا كان في عنق الحسناء، أو في العنق الموصوف بالحسن كان أزيد حسناً؛ لما كان ذلك مكانه.

قصائد ابن طغج

وكثرت على أبي الطيب مراسلة الأمير أبي محمدٍ الحسن بن عبيد الله ابن طغج من الرملة فسار إليه فلما حل به حمل إليه وأكرمه.

وحدث أبو عمر عبد العزيز بن الحسن السلمي بحضرة أبي الطيب قال: حدثني محمد بن القاسم المعروف بالصوفي قال: أرسلني الأمير أبو محمدٍ إلى أبي الطيب ومعي مركوبٌ يركبه فصعدت إليه، إلى دارٍ كان نزلها فسلمت عليه وعرفته رسالة الأمير، وأنه منتظرٌ له، فامتنع علي وقال: أعلم أنه يطلب شعراً، وما قلت شيئاً. فقلت له: ما تفترق! فقال لي: فاقعد إذاً، ثم دخل إلى بيت في الحجرة ورد الباب عليه فلبث فيه مقدار كتب القصيدة ثم خرج إلي وهي في يده مكتوبةٌ لم تجف بعد. فقلت له: أنشدنيها فامتنع وقال: الساعة تسمعها. ثم ركب وسرنا فدخل على الأمير أبي محمد وعيني الأمير إلى الباب ممدودة منتظراً إلى وروده فسأل عن خبر الإبطاء فأخبرته الخبر فسلم عليه ورفعه أرفع مجلسٍ. وأنشد أبو الطيب:

أنا لائمي إن كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم

وقت نصب على الظرف. واللوائم جمع اللائمة. والمعالم جمع، وهي أثر العلامة. وقوله: أنا لائمي كالقسم، أو كالدعاء على نفسه بأن يكون من جملة لوامه، لأنه أبغض الناس عنده.

فيقول: لمت نفسي إن كنت وقت لامتني اللوائم، ما لحقتني عند وقوفي على آثار المحبوبة يعني: جعلني الله من لوامه إن كنت علمت ذلك.

وقيل: معناه الخبر، أي لو كنت علمت ما أصابني عند ذلك، لكنت أنا ألوم نفسي على ما ظهر من الجزع ولكني تحيرت حتى ذهب عقلي.

ولكنني مما ذهلت متيمٌ كسالٍ وقلبي بائحٌ مثل كاتم

ذهلت: أي غفلت والمتيم: الذي عبده الحب.

يقول: ولكنني تحيرت فبقيت ذاهل اللب عن الشكوى فأنا متيم ولكني كأني سالٍ صابر؛ لما لحقني من التحير وذهاب العقل، وكأن قلبي يحب ويخفق فيبوح بما كنت أكتمه من الشوق! فهو بائح بما يجده وكأنه كاتم؛ لأني لا أظهر الشكوى بلسان.

وقيل: إن قلبي بائح من حيث أنه يتوجع فتبكي العين، فيظهر ما في قلبي بالدمع واللسان، فسكت عن إظهاره بالشكوى.

وقفنا كأنا كل وجد قلوبنا تمكن من أذوادنا في القوائم

الأذواد الإبل، ما بين الثلاثة إلى العشرة.

يقول: لما وقفنا بتلك المعالم أطلنا الوقوف، ولم تبرح إبلنا، فكأن ما في قلوبنا من الوجد في قوائم الإبل فهي لا تبرح!

ودسنا بأخفاف المطي ترابها فلا زلت أستشفي بلثم المناسم

المنسم: طرف خف البعير. والهاء في ترابها للمعالم.

يقول: وطئنا تراب المعالم بأخفاف إبلنا، فما زلت أشفي غليلي بتقبيل مناسم الإبل.

ديار اللواتي دارهن عزيزةٌ بطول القنا يحفظن لا بالتمائم

روى: ديار بالنصب بدلاً من قوله: ترابها. وروى: بالرفع على أنه خبر ابتداء محذوف: أي هي ديار.

يقول: هذه الديار ديار نساء عزيزات منيعات، لا يقدر أحد على الوصول إليهن، وإنما يحفظن بالرماح لا بالتمائم؛ إشارة إلى حسنهن وإلى صغرهن؛ لأن التمائم تعلق على من كان كذلك.

حسان التثني ينقش الوشي مثله إذا مسن في أجسامهن النواعم

الهاء في مثله للوشي.

يقول: إنهن إذا تثنين فيؤثر ما عليهن من الوشي في أبدانهن، لنعومتها! فينقش عليها آثاراً مثل آثار الوشي، كما ترى نقش الخاتم في الشمع إذا وضع عليه.

ويبسمن عن درٍّ تقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمباسم

المباسم: جمع مبسم وهو الثغر، ووشحت: أي قلدت. والهاء في مثله للدر.

يقول: إنهن إذا ضحكن أبدين ثغوراً مثل الدر الذي في قلائدهن فكأن الذي توشحن بها هي أسنانهن التي كالدر.

فما لي وللدنيا: طلابي نجومها ومسعاي منها في شدوق الأراقم

روى: نجومها أي يكون منصوباً بالمصدر الذي هو طلابي. وروى: بالرفع على أن يكون خبر طلابي.

وأراد بالنجوم: معالي الأمور، والأراقم: الحيات.

يقول: ما لي أطلب من الدنيا معالي الأمور! فأتحمل المشاق والأخطار وأقتحم المهالك. وهو من قول العتابي:

فإن جسيمات الأمور منوطةٌ بمستودعاتٍ في بطون الأساود

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

يقول: من الحلم، استعمال الجهل في بعض الأوقات وذلك إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم، أي إذا كان حلمك داعياً إلى ظلمك وإقدام السفيه عليك، فالجهل ها هنا هو الحلم. وهذا من قول أبي الأسود:

فإنك لم تعطف عن الحق جاهلاً بمثل خصيم عالمٍ يتجاهل

وأن ترد الماء الذي شطره دمٌ فتسقي إذا لم يسق من لم يزاحم

يقول: من الحلم أن ترد الماء الذي قتل عليه الوارد، حتى امتزج بدم القتلى وتسقي إبلك إذا لم يمكن الضعيف أن يسقيها، وأن تزاحم الناس.

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم

يقول: من عرف أحوال الأنام، وطباع الأيام، كما عرفت وجربت من لؤمهم لم يترك واحداً من أحيائهم. وروى رمحه من دمائهم!

فليس بمرحومٍ إذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

قوله: فليس بمرحوم، إشارة إلى من في البيت المتقدم، وكذلك الهاء في به.

يقول: إنما قلت ذلك لأنهم إذا ظفروا به لا يرحمونه، فكذلك هو إذا قتلهم لا يأثم به.

إذا صلت لم أترك مصالاً لفاتكٍ وإن قلت لم أترك مقالاً لعالم

يقول: إذا صلت في الحرب لم أترك فيه غاية لشجاع، وإذا قلت شعراً لم يقدر أحد أن يأتي بمثله.

وإلا فخانتني القوافي وعاقني عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

يقول: إن لم أكن كما قلت ووصفت من الشجاعة والعلم، خانتني الأشعار وهذا دعاء منه على نفسه وكذلك صرفني عن هذا الممدوح ضعف العزائم إن لم أكن كذلك.

عن المقتنى بذل التلاد تلاده ومجتنب البخل اجتناب المحارم

يقول: إن أكن كما وصفت وعاقني ضعف عزائمي عن الذي يكتسب المال مكان المال، فيقتني بذلك الثناء الحسن والذكر الجميل ويجتنب البخل كما يجتنب المحارم.

تمنى أعاديه محل عفاته وتحسد كفيه ثقال الغمائم

تمنى: أي تتمنى، فحذف التاء لدلالتها.

يقول: إن أعداءه يتمنون أن يكون لهم من هذا الممدوح محل قصاده؛ لأن قصاده، ينفذ حكمهم في ماله، ويملكون ويغيرون عليه! ومع ذلك لهم محل رفيع عند الممدوح! وغاية ما يتمنى العدو من عدوه، أن يحصل في عدوه مثل ذلك. وتحسده أيضاً الغمائم المطيرة، لأنه زاد عليها في الجود والعطاء.

ولا يتلقى الحرب إلا بمهجةٍ معظمةٍ مذخورةٍ للعظائم

معظمة: أي رفيعة مصونة عن الدنايا، وهي معدة لدفع الأمور العظائم.

يقول: إنه لا يباشر الحرب والشدائد الجسام إلا بنفسه.

وذي لجبٍ، لا ذو الجناح أمامه بناجٍ ولا الوحش المثار بسالم

اللجب: الصوت في الحرب. وتقديره: وجيش ذي لجب.

يقول: إنه لا يتلقى الحرب إلا بمهجة نفيسة، وجيش له أصوات كثيرة، فإذا عبر عليهم طير صادوه، وإن ثار وحش قصدوه. فلا يسلم منه وحش ولا طير.

تمر عليه الشمس وهي ضعيفةٌ تطالعه من بين ريش القشاعم

القشاعم: جمع قشعم، وهو النسر، وقيل: هو طائر يشبهه، والهاء في عليه وتطالعه تعود إلى ذي لجب.

يقول: إن النسور كانت تطير فوقه والغبار ساطع حوله، حتى حال بينه وبين الشمس، وهي تمر عليه ضعيفة، فيظهر الضوء من بين ريش النسور.

إذا ضوءها لاقى من الطير فرجةً تدور فوق البيض مثل الدراهم

يقول: إن الشمس إذا صادف ضوءها فرجة من أجنحة الطير، وقع على البيض مدوراً مثل الدراهم.

ويخفى عليك البرق والرعد فوقه		من اللمع في حافاته والهماهم

الهماهم: جمع همهمة، وهي صوتٌ لا يفهم.

يقول: يخفى عليك البرق من لمعان السلاح، والرعد بصوت الجيش.

أرى دون ما بين الفرات وبرقةٍ		ضراباً يمشي الخيل فوق الجماجم

برقة: مدينة قريبة من الاسكندرية إلى المغرب.

يقول: أرى بين هذين الموضعين ضروباً يكثر فيها القتلى حتى تمشي الخيل عليها.

وطعن غطاريفٍ كأن أكفهم		عرفن الردينيات قبل المعاصم

الغطاريف: السادة. والمعاصم: موضع الأسورة من اليد.

يقول: وأرى في هذه المواضع طعن قوم سادة، تعودوا حمل الرماح من صغرهم، حتى كأن أيديهم وصلت بالرماح قبل أن توصل بمعاصمهم.

حمته على الأعداء من كل جانبٍ		سيوف بني طغجٍ بن جف القماقم

القمقام: السيد، والقماقم: صفة لبني طغج.

يقول: إن قومه يحمون جيوشه بسيوفهم. والهاء في حمته للجيش وهذا من قوله:

بالجيش تمتنع السادات كلهم		والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع

هم المحسنون الكر في حومة الوغى		وأحسن منه كرهم في المكارم

يقول: هم يحسنون، أي يعرفون، أو يأتون ما يستحسن من الكر في وسط الحرب، وكذلك يفعلون في المكارم، وذلك أحسن من كرهم في الحرب والطعن والضرب.

وهم يحسنون العفو عن كل مذنبٍ		ويحتملون الغرم عن كل غارم

يعني بقوله: يحسنون أحد المعنيين، وأراد أنهم يعفون عن كل مجرم، ويحملون على أموالهم كل مغرم.

حييون إلا أنهم في نزالهم		أقل حياءً من شفار الصوارم

يقول: من عادتهم الحياء في مواضع الحياء لكنهم في الحرب وقاح ولا يرتدون بشيء كحد السيف الذي لا يرتد من أحد.

ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم		ولكنها معدودةٌ في البهائم

يقول: لولا أنهم يحتقرون، لشبهت الأسود بهم، ولكنها من جملة البهائم التي لا تمييز لها. فلهذا لا أشبهها بهم.

سرى النوم عني في سراي إلى الذي صنائعه تسري إلى كل نائم

يقول: ذهب النوم عني في سراي إلى هذا الممدوح، الذي تسري مواهبه ليلاً لكل نائم على فراشه! لم يتعبه في طلبها.

إلى مطلق الأسرى، ومخترم العدى ومشكى ذوي الشكوى ورغم المراغم

المخترم: المهلك، والمراغم: الذي يحاول أن يذلك وتحول أن تذله. المشكي: المزيل. الشكوى.

يقول: إنه يمن على الأسارى بهلك الأعداء، ويزيل الشكاية، ويرغم أعاديه.

كريمٌ نفضت الناس لما بلغته كأنهم ما جف من زاد قادم

جف وخف رويا، وروى حف بالحاء.

يقول: لما ملت إليه طرحت الناس كلهم، كما يطرح القادم ما جف من زاده.

وكاد سروري لا يفي بندامتي على تركه في عمري المتقادم

يقول: سررت بلقائه، وندمت على تركي قصده في متقدم عمري، حتى كأن ندامتي على تركه أكثر من سروري بلقائه وحضرته.

وفارقت شر الأرض أهلاً وتربةً بها علويٌّ جده غير هاشم

أهلاً وتربة: نصباً على التمييز.

قيل: أراد بهذا العلوي الذي قال فيه:

أتاني وعيد الأدعياء... البيت

وسئل عنه فقال: أردت بهذا طبرية لأن فيها أعداء الممدوح.

بلا الله حساد الأمير بحلمه وأجلسه منهم مكان العمائم

يقول: ابتلاهم الله بحلمه، ليروا من سعادته ما يديم حزنهم، وجعله في العز والشرف، وأذلهم له، حتى يكون منهم مكان العمائم: وهي الرءوس.

فإن لهم في سرعة الموت راحةً وإن لهم في العيش حز الغلاصم

الغلاصم: جمع الغلصمة، وهي قصبة الحلق. وهذا علة دعائه لهم بالحلم. يعني أن بقاءهم أشد لهم وعليهم من الفناء والهلاك.

كأنك ما جاودت من بان جوده عليك لا قاتلت من لم تقاوم

يقول: كل من جاودته زدت عليه وكل من قاتلته غلبته، وكأنك اخترت منهما من تعلم أنك تغلبه لا محالة، ولم تفعل ذلك قصداً، ولكن لما كان الظاهر من حالك الغلبة عليهم في الجود والشجاعة كنت كأنك فعلت ذلك.

وسأله الشرب معه فامتنع. فقال له: بحقي عليك إلا شربت. فقال:

سقاني الخمر قولك لي بحقي ... وودٌّ لم تشبه لي بمذق

يقول: حملني على شرب الخمر قولك لي: بحقي. فيلزمني رعايته. والثاني مودتك الخالصة لي التي لا يشوبها خلاف ولا مذق. والمذق: ضد الخالص.

يميناً لو حلفت وأنت ناءٍ ... على قتلي بها لضربت عنقي

يميناً: نصب على المصدر.

يقول: لو حلفت بمثل هذه اليمين، وألزمتني بقتل نفسي وأنت بعيد عني لفعلت! فكيف لا أشرب؟ وهو دون ذلك، وأنت قريب مني! ثم أخذ الكأس وقال:

حييت من قسمٍ وأفدي المقسما ... أمسى الأنام له مجلاً معظما

الأنام: اسم الجمع للناس، وليس بجمع؛ ولهذا وحد فقال: مجلاً معظما، ولو جمعه رداً على المعنى لكان جيداً.

يخاطب القسم ويقول: حياك الله من قسمٍ وأنا أفدي المقسم! وهو الممدوح؛ لأن الخلق أصبحوا كلهم مجلين له، ومعظمين قدره كما أعظمه وأجله أنا!

وإذا طلبت رضى الأمير بشربها ... وأخذتها فلقد تركت الأحرما

يقول: إن شرب الخمر، وإن كان حراماً، فعصيانه أحرم، فإذا شربتها لرضاه، فقد تركت ما هو أشد حرمة! والهاء في شربها و وأخذتها للخمرة.

وغنى المغني فقال له:

ماذا يقول الذي يغني؟ ... يا خير من تحت ذي السماء

شغلت قلبي بلحظ عيني ... إليك عن حسن ذا الغناء

يقول: يا خير من تحت ذي السماء، إني شغلت بالنظر إلى حسن وجهك، وتأمل شمائلك من استماع الغناء، فأخبرني: ماذا يقول هذا المغنى؟ وعرض عليه سيفاً فأشار به إلى بعض من حضر، وقال:

أرى مرهفاً مدهش الصيقلين ... وبابة كل غلامٍ عتا

أتأذن لي ولك السابقات أجربه لك في ذا الفتى؟

المرهف الذي رققت شفرتاه والبابة: الغاية.

يقول: أرى سيفاً محدوداً يدهش الصيقلين بحسن جوهره ورونقه، وقوله: عتا أي عدا عن الحق. فهل تأذن لي أن أجربه في هذا الفتى؟ قوله: ولك السابقات حشو مليح أي لك النعم السابقة علي.

وهذان البيتان يجوز أن يكون رويهما التاء فتكون الألف وصلاً، وأن يكون رويهما الألف. لأن الألف فيهما من نفس الكلمة.

وأراد الانصراف فقال يذكر تعلقه بالأمير.

يقاتلني عليك الليل جداً ومنصرفي له أمضى السلاح

يقول: إن الليل يغار من نظري إليك، فهو يدافعني ويقاتلني عليك غيرةً، فإذا انصرفت عنك يقوم مقام السلاح ويقتلني.

لأني كلما فارقت طرفي بعيدٌ بين جفني والصباح

بين: فاعل بعيد، وهو اسم غير ظرف، ومفعول فارقت: مضمر. أي كلما فارقت الممدوح. وطرفي مبتدأ، والجملة خبره.

وقيل: إنه أقام الممدوح مقام طرفه، على هذا مفعول فارقت. أي فارقت طرفي. بفراقي إياه، ويكون بعيد مبتدأ وبين جفني خبره، والجملة خبر أن.

يقول: إني إذا لم أرك، طال علي الليل شوقاً إلى لقائك، وبعد عني الصباح، وأسقم جسمي السهر، فكأن فراقك سيف لليل يقتلني.

وسايره وهو لا يدري أين يريد به؟ فلما دخلا كفر زنس قال يصفها:

وزيارةٍ عن غير موعد كالغمض في الجفن المسهد

يقول: رب زيارة من غير تقدم وعد بها، وهي في قلبي أحلى وألذ من النوم في الجفن الذي طال سهاده، وبعد عنه رقاده.

معجت بنا فيا الجيا د مع الأمير أبي محمد

المعج: ضرب من السير سهل لين من سير الإبل، واستعمله في الخيل ها هنا للزيارة.

يقول: سارت بنا الخيل في هذه الزيارة مع الأمير أبي محمد. وهو الممدوح.

حتى دخلنا جنةً لو أن ساكنها مخلد !

أي لو كان ساكنها مخلداً كانت الجنة بعينها!

خضراء حمراء الترا ب كأنها في خد أغيد

الأغيد: الطويل العنق. وقيل الناعم البدن، شبه خضرتها بخضرة الشعر، وهو العذار على الخد الأحمر. وإنما وصف تربتها بالحمرة، لأن الطين الذي فيها يضرب لونه إلى الحمرة.

أحببت تشبيهاً لها فوجدتها ما ليس يوجد

الهاء في وجدتها مفعوله الأول وما المفعول الثاني لأنه بمعنى علمت.

يقول: طلبت لها نظيراً أشبهها به فلم أجد؛ لأنه لا نظير لها في الحسن.

وإذا رجعت إلى الحقا ئق فهي واحدةٌ لأوحد

أي إذا حققت وصفها فهي واحدة لا نظير لها في الحسن، لأوحدٍ: لا نظير له في المجد.

وقال أيضاً يمدحه وقد شرب معه:

ووقتٍ وفى بالدهر لي عند واحدٍ وفى لي بأهليه وزاد كثيرا

يقول: رب وقت اجتمع لي فيه من اللذات والسرور مثل ما في جميع الدهر عند فردٍ في عصره، وهذا الواحد اجتمع له من الفضائل مثل ما في جميع الخلق بل أزيد كثيراً.

شربت على استحسان ضوء جبينه وزهرٍ ترى للماء فيه خريرا

يقول: شربت مستحسناً ضوء جبينه، في بستانٍ ذي زهر. وماءٍ ترى له خريراً. والهاء في فيه للزهر.

غد الناس مثليهم به، لا عدمته وأصبح دهري في ذراه دهورا

مثليهم: نصب على الحال، ويجوز أن يكون خبر غدا من أخوات كان.

يقول: فيه من الفضائل مثل ما في جميع الناس، فهو قائم مقامهم فصار الناس مثليهم، واجتنيت أنا عنده من اللذات ما يجتنيه أهل الدهور، فقام دهري مقام دهور كثيرة.

يصف مجلسين للأمير وذكر أبو محمد انزواء أحد المجلسين عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه فقال له:

المجلسان على التمييز بينهما مقابلان ولكن أحسنا الأدبا

كان المجلسان كل واحد منهما في الجهة التي تقابل الآخر، منحرفاً عنه. فهو يقول: إنهما متقابلان في الحقيقة، ومن حيث الحسن والبهاء، وإن كانا قد ميز بينهما. وإنما انحراف أحدهما عن الآخر؛ لحسن

الأدب! لأن عادة الغلام أن يقف ناحيةً، حيث لا يراه السيد إلا عند الحاجة إليه.

وقيل: إن ما يجري في أحدهما لا يعرفه أهل المجلس الآخر.

إذا صعدت إلى ذا، مال ذا رهباً وإن صعدت إلى ذا، مال ذا رغبا

وروى في المصراعين رهبا.

يقول: إذا صعدت إلى أحد المجلسين انحرف الآخر عن مقابلة الآخر من مقابلة وجهك، هيبةً لك وخوفاً من سلطانك! وروى في الثاني: رعباً، ورغباً بالغين المعجمة، فالمعنى على هذا: إن أحدهما كان للسطوة والنكال، والآخر للرغبة والنوال، فإذا صعد إلى أحدهما خشي أن يميل إليه بسطواته، فإذا صعد إلى الآخر مال إليه رغبة فيما عوده به من نواله وهباته.

فلم يهابك ما لا حس يردعه؟ إني لأبصر من فعليهما عجبا

يردعه: أي يزجره.

يقول: كيف يخاف منك من ما لا حس له يزجره؟! وذلك عجب منهما، فإذا كان ذلك حالهما. فالعقلاء أولى أن يخافوا منك.

وأقبل الليل وهما في بستان فقال يمدحه:

زال النهار ونورٌ منك يوهمنا أن لم يزل ولجنح الليل إجنان

جنح الليل: قطعة من أوله، وقيل: نصفه الأخير. كأنه جنح إلى الذهاب وإجنان الليل: تغطية الأرض بالظلمة.

يقول: إن النهار قد زال، ونور وجهك في إشراقه يوهمنا أن النهار باقٍ بعد والليل قد أظلم بقطعه.

فإن يكن طلب البستان يمسكنا فرح فكل مكانٍ منك بستان

يقول: إن كانت إقامتك بالبستان هذا رغبة منه فارجع إلى مترلك فإن كل مكان تحله فهو بستان؛ لما فيك من المحاسن والألطاف.

فلما استقل في القبة نظر إلى السحاب فقال يمدحه:

تعرض لي السحاب وقد قفلنا فقلت: إليك إن معي السحابا

يقول: لما انصرفنا من البستان إلى المترل تعرض لنا السحاب، وهم بالمطر علينا. فقلت: أمسك عن مطرك، فإن معي السحاب، وهو الممدوح.

وقوله: إليك. أي أمسك عني.

فشم في القبة الملك الرجى   فأمسك بعد ما عزم انسكابا

شم: أي انظر، من قولك شمت البرق أشيمه شيماً: إذا نظرت إليه.

يقول: قلت للسحاب انظر إلى الملك المرجى في القبة، إن شككت في قولي، فإنه أكرم منك! فلما نظر إليه السحاب علم صدق قولي فأمسك بعد أن عزم على أن يسكب خجلاً واستحياءً.

وكره الشرب فلما كثر البخور وارتفعت رائحة الند قال يصف مجلس الشراب عند الأمير:

أنشر الكباء ووجه الأمير   وحسن الغناء وصافي الخمور !

الكباء: العود الذي يتبخر به. ونشره: رائحته المنتشرة منه.

يقول لنفسه: هذه الأشياء مجتمعة في هذا المجلس ولا أشرب؟!

فداو خماري بشربي لها   فإني سكرت بشرب السرور

يقول: شربت خمر السرور فسكرت، فهات الخمر لأداوي بها خماري! وهو من قول الأعشى:

وكأسٍ شربت على لذةٍ   وأخرى تداويت منها بها

وأشار إليه بعض الطالبين بمسك فقال، وكان أبو محمدٍ حاضراً:

الطيب مما غنيت عنه   كفى بقرب الأمير طيبا

يبني به ربنا المعالي   كما بكم يغفر الذنوبا

يقول: قد استغنيت عن الطيب؛ لأن قرب الأمير طيب لي! وإن يبني الله بهذا الأمير المعالي، كما بكم أيها الأشراف يغفر الذنوب. أي لحب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وجعل الأمير يضرب بكمه البخور ويقول: سوقاً إلى الطيب فقال يمدحه:

يا أكرم الناس في الفعال   وأفصح الناس في المقال

إن قلت في ذا البخور: سوقاً   فهكذا قلت في النوال

يقول: يا أكرم الناس خصالاً وأفعالاً، وأنصحهم كلاماً ومقالاً، إن سقت إلي البخور فقد سقت قبله النوال. وسوقاً نصب لأنه حكاية قوله. وقيل: نصب على المصدر.

وتحدث أبو محمد عن مسيرهم في الليل لكبس باديةٍ وأن المطر أصابهم فقال أبو الطيب في شجاعة الأمير:

غير مستنكرٍ لك الإقدام   فلمن ذا الحديث والإعلام؟

قد علمنا من قبل أنك من لا   يمنع الليل همه والغمام

يقول: غير مستعجب إقدامك على الأمور العظام! فلمن تحدث بهذا الحديث؟ وقد علمنا أن الليل والمطر لا يمنعانك عما هممت به، فلمن هذا الحديث والإعلام؟ ثم قال أيضاً لابن طغج وهو عند طاهر العلوي:

قد بلغت الذي أردت من البر   ومن حق ذا الشريف عليكا

وإذا لم تسر إلى الدار في وق   تك ذا خفت أن تسير إليكا

يقول: قد قضيت ما عليك من حق هذا الشريف وبره، فارجع إلى دارك، فإني أخاف أنها تسير شوقاً وتشرفاً بحلولك فيها، فقد أوحشتها بغيبتك.

وهم بالنهوض فأقعده أبو محمد فقال له:

يا من رأيت الحليم وغداً   به، وحر الملوك عبدا

مال علي الشراب جداً   وأنت للمكرمات أهدى

يقول: يا من رأيت الحليم بالإضافة إليه وغداً، ورأيت الحر من الملوك عند هيبته عبدا.

وجداً: نصب على المصدر، أي أجد جداً.

ويقول: إن السكر قد غلب علي وأنت للمكرمات أهدى من كل أحد فأذن لي فإنه من مكرماتك.

فإن تفضلت بانصرافي   عددته من لدنك رفدا

الانصراف، صلة من عندك والرفد: العطاء.

يقول: إن أذنت لي في الانصراف حسبته صلة من عندك.

وذكر أبو محمد بن طغج أن أباه استخفى مرة، فعرفه يهوديٌّ فقال مجيباً له:

لا تلومن اليهودي على   أن يرى الشمس فلا ينكرها

يقول: لا تلومن اليهودي في أن يعرفه، لأنه في اشتهاره كالشمس، فتنكره لا يصير كافياً. وأراد بقوله: لا ينكرها أن يعرفها.

إنما اللوم على حاسبها   ظلمةً من بعد ما يبصرها

يقول: لا لوم على اليهودي في معرفة أبيك، وإنما اللوم على من يحسب الشمس ظلمة وهو يبصرها! وليس ذلك إلا من يعرف أباك.

وسئل عما ارتجل من الشعر بديها فأعاده، فتعجب قومٌ من حفظه إياه! فقال:

ظ المديح بعيني؛ لما أرى في الأمير من خصال حميدة؛ إذا نظرت إليها نظمت إلي تلك الخصال غرائب المعاني المنثورة. فكأن أقرءها من

وجرى الحديث في وقعة ابن أبي الساج مع أبي طاهر القرمطي، فاستعظم بعض الجلساء ذلك وجزع له، فقال أبو الطيب لأبي محمد منشداً.

أباعث كل مكرمةٍ طموح ... وفارس كل سلهبةٍ سبوح

المكرمة الطموح: بعيدة الصيت. والسلهبة: الفرس الطويل. والسبوح: الذي يجري جري السابح في الماء. وهي صفة يمدح بها الخيل.

يقول: يا من يفعل كل مكرمة بعيدة الصيت لا ينالها غيره، ويا فارس كل فرس كريمة عتيقة.

وطاعن كل نجلاءٍ غموس ... وعاصي كل عذالٍ نصيح

النجلاء: الواسعة. والغموس: العميقة القعر.

يقول: يا من يطعن كل طعنة واسعة عميقة، ويا من يعصي في القتال، والسخاء كل عذالٍ نصيحٍ في عذله! وروى: كل عذال فصيح.

سقاني الله قبل الموت يوماً ... دم الأعداء من جوف الجروح

يقول: سقاني الله دم الأعداء من جروحهم، وشفى قلبي من الغيظ. بقتلهم. وهذا دعاء بلفظ الخبر.

وأطلق أبو محمد الباشق على سمانات: فأخذها فقال:

أمن كل شيءٍ بلغت المرادا ... وفي كل شأوٍ العبادا؟

فماذا تركت لمن لم يسد ... وماذا تركت لمن كان سادا؟

الألف: للتقرير والإثبات.

يقول: قد نلت مرادك من كل ما طلبت، وسبقت الخلايق في كل غاية أردت، فلم يبق شيء من الفضائل إلا حزته، ولم تترك لمن طلب السيادة فعلاً يسود به، ولم تبق لمن يسد فعلاً يتوصل به إلى السيادة!

كأن السماني إذا ما رأتك ... تصيدها، تشتهي أن تصادا

أي قد صدها في أسرع وقت، فكأنها كانت تشتهي أن تصيدها، فمكنت الباشق من نفسها محبة لك.

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثار بعض الغلمان خشفاً فالتقفته الكلاب فقال يصف صيد كلاب ابن طغج: !وشامخٍ من الجبال أقود

فردٍ كيافوخ البعير الأصيد

شامخ: أي مرتفع. والأقود: قيل الطويل، وجمع بينهما في الوصف بالعلو. وقيل الأقود: الممتد على وجه الأرض، شبهه بيافوخ البعير الأصيد، لا عوجاجه وعلوه، ليكون متضمناً مع الارتفاع الاعوجاج.

يسار من مضيقه والجلمد

في مثل متن المسد المعقد

شبه ضيقه وخشونته؛ لما فيه من الحجارة بحبل من ليف، عليه عقد كثيرة؛ وذلك لما فيه من الالتواء والخشونة

زرناه للأمر الذي لم يعهد

للصيد والنزهة والتمرد

النزهة: الخروج إلى الخضرة والبساتين للراحة. والتمرد: اللعب والطرب ها هنا. روى: لم يعهد أي هذا الشامخ لم يعهد.

يقول: زرنا هذا الجبل الذي لم يعهد جبل مثله، لأنه لم يصد فيه أحد؛ لعلوه، إلا هذا الأمير، وذلك الأمر هو الصيد والنزهة واللهو، وليس هذا موضعاً لهذه الأمور، فلهذا قال: لم يعهد.

وروى أبو الفتح: أي أن الأمير لم يعهد على ذلك، لأن عادته الاشتغال بالجد والتشمر دون اللهو واللعب والطرب.

بكل مسقي الدماء أسود

معاودٍ مقودٍ مقلد

يقول: زرنا هذا الجبل بكل كلب أسود، قد سقى الدماء من الصيد، وهو معود للصيد ضار، وفي عنقه مقود: أي عليه قلادة.

بكل نابٍ ذربٍ محدد

على حفافي حنكٍ كالمبرد

الذرب: المحدود. والحفافان: الجانبان يقول: له ناب حاد، وهذا الناب على جانبي حنك صلب خشن كأنه مبرد.

كطالب الثأر وإن لم يحقد

يقتل ما يقتله ولا يدري

يقول: إنه لحرصه على الصيد كأن له عنده ثأراً، وإن لم يكن له حقد، وإنه إذا قتل صيداً لم يخف أن يطالب بديته فلا تجب عليه ولا يبالي لذلك.

ينشد من ذا الخشف ما لم يفقد

فثار من أخضر ممطورٍ ندي

يقول: الكلب يطلب هذا الخشف كأنه قد فقده، وليس الأمر كذلك. فثار: أي ظهر الخشف لما رأى الكلب يطلبه من بين روضٍ أخضر قد أصابه المطر فهو ندي من المطر والروائح الطيبة.

كأنه بدء عذار الأمرد

فلم يكد إلا لحتفٍ يهتدي

يقول: كأن هذا الروض الأخضر ابتداء عذار الأمرد حين خروجه. ثم يقول: إن الخشف لم يكد يهتدي إلا لما فيه هلاكه؛ لأن ثورانه كان سبباً لهلاكه.

ولم يقع إلا على بطن يد

ولم يدع للشاعر المجود

وصفاً له عند الأمير الأمجد

الملك القرم أبي محمد

يقول: لم يقع هذا الخشف إلا على بطن يد. وقيل: أراد أنه لم يقع على الأرض إلا اختطفوه في الحال، فلم يقع إلا على أيديهم.

ولم يدع هذا الغزال للشاعر الجيد الشعر وصفاً له! إنه صار عاجزاً من بين الغزلان. وقيل: إن الكلب بالغ في صيده حتى فاق الوصف، وأعجز كل شاعر عن وصفه عند الأمير.

والهاء في له للغزال وللكلب. وقيل: للشاعر.

القانص الأبطال بالمهند

ذي النعم الغر البوادي العود

يقول: هو الملك السيد الذي يصيد الشجعان بالسيف المهند، وهو ذو النعم الظاهرة المشهورة، يبتدىء بها ويعيد، فهي متتابعة.

إذا أردت عدها لم أعدد

وإن ذكرت فضله لم ينفد

يقول: إذا أردت إحصاء نعمه لم أجد لها عدداً لكثرتها، وإن أردت وصف فضله لم ينفذ ولم ينقطع.

وقال وقد استحسن عين بازٍ في مجلسه فقال يصفها:

أياما أحيسنها مقلةً ولولا الملاحة لم أعجب

الأصل: ما أحسنها مقلةً! فصغر فعل التعجب لنا للتعظيم أو للتلطف.

وإنما جاز تصغيره مع أنه فعل، لأنه أشبه الأسماء فلا ينصرف فأعطى بعض الأحكام.

يقول: ما أحسن هذه المقلة! ولولا ملاحتها ما عجبت منها. ولكن ملاحتها حملتني على التعجب.

خلوقيةٌ في خلوقيها سويداء من عنب الثعلب

خلوقية: خبر ابتداء محذوف، أي هي خلوقية. وهو ضرب من الطيب أحمر يميل إلى الصفرة.

يقول: إن عينها الموصوفة بالحسن خلوقية أي تشبه لون الخلوق. لونها: حبة سوداء كأنها من عنب الثعلب. وأراد بها الحدقة.

إذا نظر الباز في عطفه كسته شعاعاً على المنكب

يقول: هذا البازي إذا نظر إلى جانبه كسته مقلته الخلوقية شعاعاً على منكبه يعني: أن عينه من صفائها وصقالها، يقع شعاعها على منكب البازي، كما يقع شعاع المرآة على الحائط.

ولما نزل أبوالطيب الرملة سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مئة يريد مصر، دعاه أبو محمد فأكل معه وشرب، وخلع عليه وحمله على فرس جوادٍ بسرج ولجام، محليين حلية ثقيلة وقلده سيفاً محلي، وعاتبه على تركه مدحه فقال:

ترك مدحيك كالهجاء لنفسي وقليلٌ لك المديح الكثير

يقول: تركي مدحك هجاء لنفسي! لأني كنت قد كفرت نعمك وكفران النعم من أعظم الهجاء، والمديح الكثير قليل لك بالنسبة إلى قدرك.

غير أني تركت مقتضب الشع ر لأمرس مثلي به معذور

اقتضاب الشعر: ارتجاله بديهة.

يقول: إني تركت ارتجال الشعر لا روي فيه؛ لأني على ظهر السفر، وهذا عذر بين، ويجوز أن يكون

ذلك لأنه لا يمكنه استيعاب مدائحه على حد الارتجال، وقيل: كان عذره واضحاً عنده، فاكتفى بما عنده من ذلك.

وسجاياك مادحاتك لا لفظي ... وجودٌ على كلامي يغير

روى: لا شعري، ولا لفظي.

يقول: ما فيك من خلائقك الكريمة يقوم مقام شعري، لأن جودك يغير على كلامي، فليس يمكنني أن أحيط بجودك، فكلما قلت شيئاً غلب عليه جودك فأغار عليه.

فسقى الله من أحب بكفي ... ك وأسقاك أيهذا الأمير

يقول: سقى الله من أحبه على يديك، فنوالهما أنفع من مطر السحاب! وسقاك الله أيها الأمير.

فلما أراد أن يرحل قال يودع الأمير ابن طغج:

ماذا الوداع وداع الوامق الكمد ... هذا الوداع وداع الروح للجسد

الكمد: المغموم. والكمد: الغم.

يقول: وداعي لهذا الأمير ليس يشبه وداع عاشق لحبيبه ولكنه وداع الروح للجسد. أي هو موته.

إذا السحاب زفته الريح مرتفعاً ... فلا عدا الرملة البيضاء من بلد

زفته: ساقته. والرملة: مدينة بالشام بقرب بيت المقدس.

يقول: إذا ساقت الريح السحاب، فلا تجاوز هذه البلدة. دعاء لها بالسقيا؛ لأن الممدوح كان فيها.

ويا فراق الأمير الرحب منزله ... إن أنت فارقتنا يوماً فلا تعد

أي: إن جمع الله بيننا بعد هذا الفراق، فلا فراق بعده.

قال يمدح طاهر بن الحسين العلوي وحدث أبو عمر عبد العزيز بن الحسن السلمي قال: سألت محمد بن القاسم المعروف بالصوفي: كيف كان سبب امتداح أبي الطيب لأبي القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي؟ فحدثني أن الأمير أبا محمد لم يزل يسأل أبا الطيب في كل ليلة من شهر رمضان، إذا اجتمعنا عنده للإفطار، أن يخص أبا القاسم طاهر من شعره بقصيدة يمدحه فيها. ويذكر أنه اشتهى ذلك. ولم يزل أبو الطيب يمتنع ويقول: ما قصدت غير الأمير ولا أمتدح سواه، فقال له الأمير: قد كنت عزمت على أن أسألك في قصيدة أخرى تعملها، فاجعلها في أبي القاسم. وضمن عنه مئات دنانير، فأجابه إلى ذلك.

قال محمد بن القاسم: فمضيت أنا والمطلبي برسالة طاهر لوعد أبي الطيب، حتى دخلنا إلى بيته، فركب

معنا ودخلنا على طاهر وعنده جماعة من أهل بيته، وأشراف، وكتاب فلما أقبل أبو الطيب نزل أبو القاسم طاهر عن سريره وتلقاه بعيداً من مكانه مسلماً عليه، ثم أخذ بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها قاعداً، وجلس بين يديه، فتحدث معه طويلاً ثم أنشده، فخلع عليه للوقت خلعة نفيسة.

قال عبد العزيز: وحدثني أبو علي بن القاسم الكاتب. قال: كنت حاضراً لهذا المجلس، وهو كما حدثك به أبو بكر الصوفي.

ثم قال لي: اعلم أني ما رأيت ولا سمعت في خبر أن شاعراً أجلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب، فإني رأيت طاهراً تلقاه، وفعل كما ذكرنا فأنشده المتنبي:

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب   وردوا رقادي فهو لحظ الحبائب

يقول: للذين ساروا بالجواري: أعيدوا علي الصبح، فقد ارتحل عني برحيلكم، أي أظلمت الدنيا علي لبعدكم! فردوا إلي النوم، فقد أخذتموه معكم. ومعناه: أعيدوا الكواعب ليرجع إلي صباحي، لأن الدنيا أظلمت على بعدهن! فهن صباحي الذي تزول به هذه الظلمة، وردوا أحبائي ليرجع إلي نومي؛ لأنه ارتحل برحيلهن.

وقيل: أراد طال ليلي فلو أعدتم إلي الكواعب والحبائب لقصر وعاد صبحي.

وقوله: لحظ الحبائب معناه: رقادي رؤية أحبائي ومشاهدهن.

فإن نهاري ليلةٌ مدلهمةٌ   على مقلةٍ من فقدكم في غياهب

مدلهمة: أي مظلمة. والغيهب: الظلمة.

يقول: إن نهاري أظلم من غيهب، منذ فقدتكم، فكأن مقلتي في ظلمات الليل.

وقيل: أراد أني قد بكيت لشدة الحزن حتى عميت عيني! فلا أبصر شيئاً، فصار نهاري، ليلاً وضيائي ظلاماً، لفقدكم وفراقكم.

بعيدة ما بين الجفون كأنما   عقدتم أعالي كل هدبس بحاجب

بعيدة: جر لأنه صفة لمقلة وقيل: بدل عنها.

يقول: تباعد ما بين أجفان عيني فلا يلتقي الجفنان، فكأن أعالي أهداب الجفون معقود بشعور الحاجب فلا ينطبق. ومثله لبشار قوله:

جفت عيني عن التغميض حتى   كأن جفونها عنها قصار

ومثله للتهامي:

قصرت جفوني، أم تباعد بينها؟ — أم صورت عيني بلا أشفار؟

وأحسب أني لو هويت فراقكم — لفارقته والدهر أخبث صاحب

أي: من عادة الدهر مخالفة هواي! فلو كنت أهوى أني أفارقكم لفارقت الفراق وواصلتموني. ثم ذم الدهر وقال: الدهر أخبث صاحبٍ للإنسان؛ لأن كل صاحب خالفك فهو خبيث. والهاء في فارقته للفراق.

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي — من البعد ما بيني وبين المصائب

يقول: ليت ما بيننا من البعد الحاصل، كان بيني وبين المصائب.

يعني: ليت الأحبة قريبة مني والمصائب قد بعدت.

أراك ظننت السلك جسمي فعقته — عليك بدرٍّ عن لقاء الترائب

السلك: الخيط وعقته: منعته.

يقول: أظن أنك حسبت جسمي خيط العقد الذي عليك؛ لأنه يشبهه في الدقة، فحجبته بالدر الذي نظمته فيه عن ملاقاة نحرك كما حجبتني عنك، أبعدتني عن قربك.

ولو قلمٌ ألقيت في شق رأسه — من السقم ما غيرت من خط كاتب

يقول: صرت من الدقة بحيث لو وقعت في شق قلم كاتبٍ لم يغير شيئاً من خطه!! وهذا من مبالغات أبي الطيب المتنبي.

تخوفني دون الذي أمرت به — ولم تدر أن العار شر العواقب

يقول: أمرتني المحبوبة بترك المخاطرة بالنفس والمال، وخوفتني عواقب المخاطرة، ولم تعلم أن العار الذي يحصل بتحمل الضيم شرٌّ في عاقبته من الخوض في المهالك.

وقيل: معناه أنها أمرتني ألا أزورها شفقة علي وخوفاً من أن أقتل، ولم تدر أن تركي زيارتها هو العار، لأنه يؤدي إلى الجبن والجبن عار العار، وشر العواقب.

ولا بد من يومٍ أغر محجلٍ — يطول استماعي بعده للنوادب

يقال: أغر محجل إذا كان مشهوراً كشهرة الفرس الأغر المحجل.

يقول: لابد من أن أوقع بيني وبين أعدائي يوماً مشهوراً أقتل فيه الملوك والسادة فأسمع بعد مدة طويلة صياح النساء النوادب يندبن عليهم.

يهون على مثلي إذا رام حاجةً وقوع العوالي دونها والقواضب

الهاء في دونها للحاجة.

يقول: إذا طلب مثلي حاجة يسهل عليه الحروب، ولا يبالي بحلول الرماح به، ووقوع السوف عليه حتى يصل إلى مراده؛ لأن الوصول إلى الأمر العظيم يكون بالمخاطرة بالنفس العظيمة.

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقي عيشه مثل ذاهب

يقول: غاية الإنسان الموت، طالت حياته أم قصرت، وعيشه الباقي إلى نفادٍ، مثل عيشه الماضي، فلم أخاف الموت وأحمل الضيم والذل؟

إليك فإني لست ممن إذا اتقى عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

يقول للعاذلة: إليك عني، أي كفي لومك، فلست ممن إذا اتقى عظيمةً صبر على مذلة وهوان. فشبه عظيمة بالأفاعي وشبه الذل بالعقارب.

يعني: إن نام فوق العقارب يؤده لسعها إلى الموت، كما لو نهشت الأفاعي، فكذلك العار يؤدي الإنسان إلى الهلاك، بل هو أشد منه؛ فإن ذلك يتكرر، والهلاك دفعة واحدة فهو أسهل، كما أن الهلاك بنهش الأفعى أطيب من تكرار لدغ العقرب.

وقيل: معناه إني لا أهرب من مكروه القتل والموت إلى مكروه العار وقبول الضيم، وإن كان أيسر من الموت، كما أن ضرب العقارب أسهل من ضرب الأفاعي، ومع ذلك فإن أحداً لا يختار ذلك إلا أنا وحدي.

أتاني وعيد الأدعياء وأنهم أعدوا لي السودان في كفر عاقب

كفر عاقب: قرية بالشام أو مدينة. وكل قرية يقال لها: كفر. والسودان: قيل أراد به جمع أسود سالخ، وهو الحية السوداء.

يقول: إنهم أوعدوني وإنهم أعدوا لي في هذه القرية السودان: أي الدواهي. وقيل: أراد قوماً من الزنج أرصدهم هؤلاء لقتله.

ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم فهل في وحدي قولهم غير كاذب؟ !

يقول: لو كانوا صادقين في انتسابهم إلى جدهم، لكنت أحذرهم لمكان وعيدهم، وأعلم أنهم كذبوا في وعيدهم، وأعلم أنهم يقدرون على ما توعدوا لي به، من إلحاق المكروه بي؛ لأن تلك عادة الأشراف،

ولكنهم أدعياء، فأعلم أنهم كذبوا في وعيدهم إياي، كما كذبوا في نسبهم.
وقيل: أراد أنهم يكذبون علي في سعايتهم كما يكذبون في انتسابهم إلى غير أبيهم، فلا أخاف مهم، لأن كل أحد يعلم أن سعايتهم في زور وبهتان كنسبهم.

إلي لعمري قصد كل عجيبةٍ كأني عجيبٌ في عيون العجائب

يقول: كل عجيبة من حوادث الدهر تقصدني، وكأني عجيب في عيونها، فتقصدني لترى في عجباً!

بأي بلادٍ لم أجر ذوائبي وأي مكانٍ لم تطأه ركائبي

يقول: أي مكان لم أسحب فيه ذوائبي عرصاته؟! ولم أجر فيه ذيول الصبا والعز، وأي موضع لم تطأه إبلي؟ إما غزواً للأعداء، أو مدحاً للملوك. ومثله للنميري:

وفي كل أرضٍ للنميري منزلٌ وفي كل أرضٍ للنميري صاحب

كأن رحيلي كان من كف طاهرٍ فأثبت كوري في ظهور المواهب

يقول: لم يبق في الدنيا موضع إلا قصدته، حتى كأن خروجي من ظهر كف طاهر، وكأن رحلي مشدودة في ظهور مواهبه! فهي تسيرني شرقاً وغرباً.
يعني: أن مواهبه تصل إلى كل أحد، كما بلغت أنا كل موضع، فكأني راكب على ظهر مواهبه، ملتمساً من كفه.

فلم يبق خلقٌ لم يردن فناءه وهن له شربٌ ورود المشارب

الشرب: النصيب من الماء. والمشارب: موارد الماء. والكناية في يردن: للمواهب. وفي له: للخلق.
وتقديره: فلم يبق خلق لم يردن فناءه ورود المشارب، وهن له شرب.
يقول: لم يبق أحد من الناس إلا والمواهب وردت فناءه، كما يرد الناس المشارب، وهذه المواهب شرب للخلق، ومع ذلك ترد أفنيته الناس، والعادة أن الناس يردون المشارب فيسقون، ولكن مواهبه شربٌ لكل أحد يرد عليه، لا يحوجه إلى أن يقصده المستسقي، وقيل: الهاء في له: للممدوح. يعني: أن المواهب شرب له ينتفع به، كما ينتفع بالماء وارده. وانتفاعه به وهو الدعاء له والثناء عليه.

فتى علمته نفسه وجدوده قراع الأعادي وابتذال الرغائب

الرغائب: جمع رغيبة وهو المال المرغوب فيه.
يقول: إن نفسه علمته مضاربة الأعداء والأبطال، وابتذال الأموال، وعلمه هاتين الخصلتين أيضاً

آباؤه الكرام، وأجداده العظام وإن مجده وشرفه وسخاءه وشجاعته، ليست بطارئة عليه بل موروثة له.

فقد غيب الشهاد عن كل موطنٍ ورداً إلى أوطانه كل غائب

يقول: إن سخاءه انتشر في الناس، فدعا المقيم في وطنه إلى تركه وقصده، وأغنا كل وارد إليه، فرده إلى وطنه برفده. وقابل الشهاد، وهو جمع الشاهد، وأراد به الحاضرين. بقوله: كل غائب وهو واحد، لأنه في معنى الجمع وأراد به الغائبين.

كذا الفاطميون الندى في بناتهم أعز امحاءً من خطوط الرواجب

الرواجب: بطون مفاصل الأصابع. الواحد رجبة. وقيل: هي عصبة الأصابع. وروى: أشد امحاءً وأعز امحاءً أي أشد امتناعاً.

يقول: كل من كان من ولد فاطمة مجبول على الجود فلا ينمحي عز أصابعهم، كما تنمحي الرواجب عن الأصابع، بل هي أشد وأمنع.

أناسٌ إذا لاقوا عدىً فكأنما سلاح الذي لاقوا غبار السلاهب

يقول: هم أناس إذا لاقوا أعداءهم في الحرب، كان سلاح أعدائهم ودرعهم غبار خيلهم التي ركبوها، فسلاحهم ودروعهم لا ترد عنهم ولا تمنعهم، كما لا يمنعهم الغبار.
وقيل: معناه إنهم إذا لقوا أعداءهم كان أمضى سلاحهم، إثارة الغبار في الهزيمة والهرب يعني أنهم إذا هربوا منعوا أنفسهم من الهلاك كما يمنعوها بالسلاح.

رموا بنواصيها القسي فجئنها دوامي الهوادي سالمات الجوانب

الهوادي: الأعناق. والهاء في نواصيها: للسلاهب. وفي جئنها: للقسي.
يقول: رموا بنواصي خيلهم القسي فوصلن إلى القسي داميات الأعناق بالسهام التي وقعت عليها قبل وصلوهن إلى القسي، وأصحابها لم يستدبرن، ولم يعرضن بل مضين قدماً إليهم، وسلمت جوانبهن وأعطافهن. وروى: سائلات الجوانب أي بالعرق.

أولئك أحلى من حياةٍ معادةٍ وأكثر ذكراً من دهور الشبائب

يقول: إنهم في قلوب الناس أحلى من الحياة التي عادت بعد ذهابها، وإن ذكرهم عند الناس، أكثر من ذكرهم لأيام الشباب.

نصرت علياً يا ابنه ببواترٍ من الفعل لا فلٌّ لها في مضارب

يقول: قد فعلت من المكارم ما دل على كرم أبيك، فكأن ذلك كالنصرة له، وهذه السيوف البواتر من الفعل ليس في مضاربها فل. وقيل: أراد بذلك أنك ملت إليه بشبهك له. يقال: نصرت له بني فلان أي أتيتها وقصدتها.

وأبهر آيات التهامي أنه أبوك وإحدى مالكم من مناقب

يقول: أعظم آيات التهامي كونه أباك، ولكم مناقب كثيرة، وكون النبي صلى الله عليه وسلم جدك وأباك إحدى تلك المناقب.

وهذا في الظاهر يوجب تفضيله على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

وذكر ابن جنى أن أبا الطيب: كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار بما لست أراه مقنعاً، وأعرضت عن ذكره.

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فماذا الذي يغني كرام المناصب؟

النسيب: ذو النسب الكريم. والمناصب جمع منصب والمنصب: الأصل.

يقول: إذا لم يكن الرجل كريماً في نفسه وفعله، لم ينفعه كرم أصله.

وما قربت أشباه قومٍ أباعدٍ ولا بعدت أشباه قومٍ أقارب

يقول: لا يغني تشابه الخلق إذا تباعدت الأفعال، ولا يضر فقد التشابه في الخلق، إذا وجد التشابه في الأفعال الشريفة الكاملة.

إذا علويٌّ لم يكن مثل طاهرٍ فما هو إلا حجةٌ للنواصب

النواصب: معادون لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

يقول: كل علويٍّ لا يشبهه من أولاده، فهو حجة للنواصب؛ لأنهم يتمسكون به.

يقولون: تأثير الكواكب في الورى فما باله تأثيره في الكواكب

يقول: إن الناس يزعمون أن الكواكب تؤثر في الخلق، فتسعد قوماً وتنحس آخرين! وهذا الممدوح يؤثر في الكواكب ويصرفها على مراده، ولا تقدر الكواكب على منعه منه، ولأنه علاها فجعلها معلوة بعد أن كانت عالية على كل شيء.

وقيل: إن تأثيره في الكواكب هو إثارة الغبار بخيله في غزواته حتى لا تظهر النجوم ويزول ضوء الشمس فتطلع الكواكب بالنهار.

علا كتد الدنيا إلى كل غايةٍ　　　تسير به سير الذلول براكب

الكتد والكتد: أعلى الكتف. وقيل: العنق.

يقول: علا كتد الدنيا فهي تسير به إلى كل غاية، كما يسير الجمل الذلول، والفرس.

وحق له أن يسبق الناس جالساً　　　ويدرك ما لم يدركوا غير طالب

جالساً: حال من الضمير في يسبق. غير: حال من الضمير في يدرك.

يقول: حق للممدوح أن يسبق الناس جالساً، بما قد اجتمع فيه من الفضائل والمناقب، وأن يدرك من غير سعي ما لا يدركه أحد.

ويحذى عرانين الملوك وإنها لمن قدميه في أجل المراتب عرانين نصب لأنه مفعول ثان ليحذى. والمفعول الأول ضمير الممدوح .

يقول: حق له أن يجعل أنوف الملوك نعلاً لقدميه! وكأن ذلك أجل مرتبة لها، وأعز مكاناً؛ لأنها تتشرف بشرفه.

يدٌ للزمان: الجمع بيني وبينه　　　لتفريقه بيني وبين النوائب

الجمع: مبتدأ، ويدٌ خبره. وهي النعمة.

يقول: جمع الزمان بيني وبينه أي الممدوح، فهذه نعمة للزمان علي، لأنه فرق بيني وبين نوائب الدهر.

هو ابن رسول الله وابن وصيه　　　وشبههما شبهت بعد التجارب

يقول: هو يشبه رسول الله، وعلياً، فعلاً وفضلاً، ولم أقل ذلك من جهل، ولكن عن تجربة وعلم.

يرى أن ما ما بان منك لضاربٍ　　　بأقتل مما بان منك لعائب

ما: الأولى نافية. والثانية: بمعنى الذي، واسم أن: محذوف. والتقدير: أنه ليس الذي بان منك لضارب، بأقتل مما بان منك لعائب.

يقول: هو يرى أنه ليس ما ظهر منه لحد السيف، بأقرب إلى القتل مما ظهر منه للعائب أن يعيبه. أي أن القتل أسهل عنده من العيب! والعيب أشد من القتل ومثله:

فتىً يتقي أن يخدش الذم عرضه　　　ولا يتقي حد السيوف البواتر

ألا أيها المال الذي قد أباده　　　تعز فهذا فعله في الكتائب

روى: أباره وأباده: أي أهلكه.

يقول لماله الذي قد فرقه في العطاء: تعز على إهلاكه إياك؛ فهكذا يفعل في الكتائب ويبرزها.

لعلك في وقتٍ شغلت فؤاده　　　عن الجود أو كثرت جيش محارب

يقول: إنما أبادك يا مال؛ لأنك ربما حسنت عنده الإمساك، وشغلته بالعدو عن الجود، وأكثرت جيش عدوه بالاستعانة بك.

حملت إليه من لساني حديقةً سقاها الحجي سقى الرياض السحائب

شبه قصيدته بالحديقة، لأنها تجمع بديع المعاني، وغرائب الألفاظ، كما تجمع الحديقة من الأثمار والأنوار.

وتقدير البيت: سقى السحائب الرياض حر السحائب، بإضافة السقي إليها، وفصل بين المضاف والمضاف إليه.

يقول: حملت إليه حديقةً من المدح، سقاها العقل، كما يسقي السحاب الروض؛ وذلك لأنه بالعقل يرتب مثل هذا الترتيب وبه يستخرج مثل هذه المعاني.

فحييت خير ابنٍ لخير أبٍ بها لأشرف بيتٍ من لؤي بن غالب

خير: نصب على المنادى المضاف، أو على الحال، وروى: فحييت أي حييت أنا خير ابن. فنصبه على المفعول به. والضمير في بها: قيل: للحديقة التي هي القصيدة، أي حييت بهذه القصيدة خير ابن، وقيل: الضمير للأرض، وإن لم يجر لها ذكر: أي خير ابن لخير أب بهذه الأرض.

يقول: حييت بهذه القصيدة خير ابنٍ، أبوه خير أبٍ، وبيته لي لؤي بن غالبٍ، أشرف بيت؛ لأنه من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد أفضل منه، فكأنه قال: هو أشرف الناس.

وكانت لأبي الطيب حجرة تسمى الحمامة، ولها مهر يسمى الطخرور. فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية، وتعذر الرعي على المهر فقال يصف تأخر الكلأ عنه:

ما للمروج الخضر والحدائق

يشكو خلاها كثرة العوائق

المروج: جمع مرج، وهو كل موضع لا ينقطع عنه العشب والماء. والحدائق: جمع حديقة، وهي البستان ذو الحائط. والخلا: النبات الرطب، وهو فاعل يشكو ومفعوله كثرة. والعوائق: جمع عائق وهي الموانع.

يقول: أي شيء للمراعي والبساتين؟! فإن نباتها يشكو الموانع.

أقام فيها الثلج كالمرافق

يعقد فوق السن ريق الباصق

يقول: قد لازم هذه المروج والحدائق الثلج ملازمة المرافق لرفيقه، فاشتد البرد وعقد الثلج ببرودته ريق الباصق فوق سنه يجمده. يعني: لو أراد الإنسان أن يبصق ما أمكنه! بل وجد بصاقه معقوداً فوق سنه.

ثم مضى لا عاد من مفارق

بقائدس من ذوبه وسائق

يقول: أقام الثلج فيها مدة ثم مضى، فلا رده الله من مفارق، وجعل لذوبانه قائداً وسائقاً. على سبيل الاستعارة.

يعني: من سرعة ذهابه بعد إقامته مدة كأن قائداً يقوده وسائقاً يسوقه؛ لأن السائق والقائد إذا اجتمعا كان أبلغ في ذهابه، وجعل ابتداء الذوب قائداً وانتهاءه سائقاً وقيل القائد المطر، والسائق الريح.

كأنما الطخرور باغي آبق

يأكل من نبتٍ قصيرٍ لاصق

الطخرور: اسم مهر لأبي الطيب، كان ينتقل من مكان إلى مكان في طلب العشب، فهو يأكل من نبت قصير لاصق بالأرض.

كقشرك الحبر من المهارق

أروده منه بكالسوذانق

المهارق: جمع المهرق، وهو الصحيفة المصقولة، وهو فارسي معرب. أصله: مهرة كردة. والسوذانق: الشاهين. وقيل: الصقر. وقوله أروده: أي أطلبه. وقيل: أراد أرود فيه: أي أذهب وأجيء في طلبه، والهاء: للنبت وفي منه للمهر. والكاف: اسم. أي بمثل السوذانق يقول: كأن المهر حين يرعى يقشر حبراً من قرطاس، وأنا أطلب هذا النبت من هذا المهر بمهر يشبه السوذانق في حدته وذكائه وفطنته ومضائه.

بمطلق اليمنى طويل الفائق

عبل الشوى مقارب المرافق

مطلق اليمنى: أي ليس في يده اليمنى بياض. وقيل: يمناه بيضاء. والفائق: موصل الرأس والعنق، وإذا طال ذلك الموضع طالت عنقه. والعبل: الضخم. والشوى: القوائم. وقوله: مقارب المرافق: أي مرافقة متقاربة. وقيل: إحدى المرفقين تداني الأخرى. وقيل تشبه إحداهما الأخرى.

رخو اللبان نائه الطرائق

ذي منخرٍ رحبٍ وإطلٍ لاحق

اللبان: الصدر.

يقول: إن جلد صدره قد استرخى على صدره، وهو محمود في الخيل. ونائه: روى بالهمزة وهو العالي، من ناه نوها، ونوهته أنا: أي رفعته. وروى بالباء: وهو الشريف من قولهم: نبيه. والطرائق: الأخلاق. ويستحب في المنخر السعة؛ لئلا يحتبس النفس. والإطل: الخاصرة. ولاحق: أي ضامر.

محجلٍ نهدٍ كميتٍ زاهقٍ

شادخةٍ غرته كالشارق

محجل: أي في قوائمه بياض. ونهد: أي عالٍ مرتفع الشخص. كميت: أي أحمر اللون أسود القوائم والفرق. زاهق: أي سمين، وقيل هو المتوسط بين السمين والهزيل. والغرة الشادخة: التي تغشى الوجه من الناصية إلى الأنف. والشارق: الشمس. شبه بياض وجهه بالشمس حسناً وضياء.

كأنها من لون في بارق

باقٍ على البوغاء والشقائق

وروى: كأنه إلى المهر، وكأنها إلى الغرة. والبارق: السحاب ذو البرق.

شبه غرته بالشمس، ثم شبه لون المهر بالسحاب الذي فيه ضوء البرق وهو يكون مائلاً إلى الكميت. والبوغاء: التراب الدقيق. والشقائق: جمع شقيقة وهي أرض تنشق بين الرمال، تنبت الشجر والعشب. وقيل: أرض فيها حصاً ورمل. يعني أن لونه باقٍ سواء سرت في السهل أو في الجبل، وفي الحر أو في البرد. وقيل: معناه أنه صبور على الشدائد؛ لأنه معود مدرب.

والأبردين والهجير الماحق

للفارس الراكض منه الواثق

الأبردين: الغداة والعشي. والهجير: الحر الشديد، عند انتصاف النهار. والماحق: الذي يمحق كل شيء؛ لشدة الحر. أي يذيبه ويهلكه.

يعني: أنه صبور على الكد، لا يتعبه السير في الجبل والسهل، ولا يضره معاقبة الحر والبرد. ثم بين أن الفارس الواثق بنفسه في الفروسية، إذا ركضه خاف منه.

خوف الجبان في فؤاد العاشق

كأنه في ريد طودٍ شاهق

ثم إن الفارس الواثق بفروسيته، إذا ركبه وركض به، يحصل له خوف العاشق؛ وذلك لأن العاشق قلبه مضطرب، فإذا حله خوف الجبان مع اضطرابه يكون خوفاً على خوف.

وقيل: معناه أنه يخاف منه وهو يعشقه ويشتهي ركوبه. ريد الجبل: حرفه الثاني منه. والطود: الجبل. الشاهق: العالي.

يشأى إلى المسمع صوت الناطق

لو سابق الشمس من المشارق

يشأى: أي يسبق، والمسمع: الأذن وفي في قوله: في ريد طود بمعنى: على.

يقول: كأن الفارس على حرف جبل عالٍ؛ لخوفه منه.

شبه المهر بالجبل، ثم قال: إنه لو سابق صوت ناطق لوصل إلى أذن السامع قبل وصول صوت الناطق إليه. وقيل: أراد: أن الناطق إذا دعا هذا المهر أسرع كالصدى، حتى كأنه يسبق نطق الناطق في جبل عالٍ.

وقيل: معناه أنه يسبق إلى أذن الصيد صوت الفارس الذي ينطق على ظهره أي يلحقه قبل بلوغه هذا الصوت، ثم قال: لو سابق هذا المهر الشمس من شرقها لسبقها إلى الغرب.

جاء إلى الغرب مجيء السابق

يترك في حجارة الأبارق

آثار قلع الحلى في المناطق

مشياً وإن يعد فكالخنادق

الأبارق: جمع أبرق، وهو أرض يخالطها حجارة، وقيل: أكمة فيها طين وحجارة، وقيل: جبل فيه حجارة سود وبيض.

شبه آثار حوافره في الأرض الصلبة إذا مشى بآثار قلع الحلى من المنطقة؛ لأنه يكون مدوراً، شبه حافر المهر به لتدويره، وبين أنه إنما يؤثر في الأرض مثل هذه الآثار إذا كان ماشياً، فأما إذا عدا عدواً فإنه يشقها شقاً كالخنادق! وقوله مشياً مصدر واقع موقع الحال أي ماشياً.

لو أوردت غب سحابٍ صادق

لأحسبت خوامس الأيانق

قوله: غب سحاب. أي بعد سحاب صادق بالمطر. وقوله: أحسبت أي كفت. وخوامس الأيانق: هي الإبل العطاش التي لم ترد الماء خمسة أيام.

يقول: لو أوردت هذه الخنادق التي حصلت من حوافره، بعد سحاب صادق بالمطر لكفت هذه الخنادق الإبل التي لم تشرب الماء خمسة أيام. أي أن الماء الذي يحصل في هذه الخنادق يرويها على عطشها!.

إذا اللجام جاءه لطارق

شحا له شحو الغراب الناعق

قوله لطارق: أي لأمر طارق، أي جاء ليلاً.

يقول: إذا جئته باللجام ليلاً لأمر حادث من إغرة أو إغاثة، فتح فمه كما يفتح الغراب فمه حين ينعق.

كأنما الجلد لعرى الناهق

منحدرٌ على سيتي جلاهق

لكل ذي حافر ناهقان: وهما عظمان أو عرقان يكتنفان قصبة الأنف ويستحب ألا يكون عليه لحم. والجلاهق: قوس البنادق. والناهق: قيل هو العظم الشاخص في حنك الفرس عند مجرى الشدق. شبه جلده على ناهقه، وقد عري من اللحم بمتن قوس البندق لصلابته وزوال رخاوته.

بذ المذاكي وهو في العقائق

وزاد في الساق على النقانق

بذ: أي غلب، وسبق الخيل القرح، التي تمت أسنانها. والعميقة: الشعر للمولود، الذي ولد وهو عليه. والنقانق: جمع نقنق وهو الظليم

يقول: إنه سبق الخيل القرح! وهو بعد في شعره الذي ولد فيه، وهو في العقيقة: في بطن أمه لم ينفصل بعد وهذا كقول الشاعر:

قد سبق الأبلق وهو رابض

فكيف لا يسبق وهو راكض؟ !

ثم قال: إنه زاد في طول الساق على الظليم. وهو محمود في الخيل وتوصف به.

وزاد في الوقع على الصواعق

وزاد في الحذر على العقاعق

يقول: إن الصوت من وقع حوافره يزيد على وقع الصاعقة النازلة عند صوت الرعد! وقيل: أراد أن صوت وقع حوافره أشد من صوت الرعد، وإن زاد في الحذر على العقعق الذي ليس في الطير أحذر منه!

وزاد في الأذن على الخرانق

يميز الهزل من الحقائق

الخرانق: جمع خرنق، وهو الأنثى من ولد الأرنب. ولا شيء أسمع منها، وقيل إن أذنه زائد الطول.

ثم بين أنه يميز الهزل من الجد بحدة سمعه وذكاء فؤاده إذا ركبه.

وينذر الركب بكل سارق

يريك خرقاً وهو عين الحاذق

يريد: أنه لا ينام الليل، فمتى جاء السارق أصحابه صهل حتى ينبههم! كأنه حارس، ويريك من نشاطه وعدوه ما يوهم أنه أخرق وهو حاذق.

يحك أنى شاء حك الباشق

قوبل من آفقةٍ وآفق

الباشق: يكسر ويفتح، وها هنا لا يجوز إلا بالكسر.

يقول: إنه للين مفاصله وطول عنقه، يحك من جسده أي موضع شاء، كالباشق. والآفق: الفاصل الشريف من كل شيء. والآفقة: مؤنثة.

يعني أنه كريم من قبل أبيه وأمه وهو كريم الطرفين، قد قابلت أباؤه أمهاته في الكرم.

بين عتاق الخيل والعتائق

فعنقه يربي على البواسق

العتاق: جمع عتيق. والعتائق: جمع العتيقة. يعني: أنه كريم الآباء والأمهات.

ثم يقول: إن عنقه يزيد على النخل الطوال.

وحلقه يمكن فتر الخانق

أعده للطعن في الفيالق

يقول: إن حلقه لرقته يمكن فتر الخانق منه، فيمكنه أن يقبض عليه بفتره، ثم قال: هو عده لي، للطعن في الفيلق: وهو العسكر العظيم.

والضرب في الأوجه والمفارق

والسير في ظل اللواء الخافق

يقول: هو عدة لي أقاتل عليه أعدائي، وأسير عليه تحت اللواء الخافق: وهو المتحرك المضطرب.

يحملني والنصل ذو السفاسق

يقطر في كمي إلى البنائق

السفاسق: الطرائق في متن السيف كالسراب، وبنائق القميص: الخرق التي تلف البدن من جانبيه، وهي الدخرصة.

يقول: يحملني هذا المهر والسيف يقطر من دماء أعدائي فيختضب كمي وبنائقي.

وقيل: أراد أنه يحملني وأنا متقلد بسيفي، فهو يتحرك بين كمي وبنائقي

لا ألحظ الدنيا بعيني وامق

ولا أبالي قلة المرافق

يقول: يحملني وأنا على هذه الحالة، إذا ركبته في الحرب لم أرغب في الحياة، فأطرح نفسي على الموت ولا أبالي بقلة الأرفاق.

وقيل: هذا منقطع. أي لا أبالي بالدنيا! لعلمي أنها غدارة، ولا أبالي بقلة الأصحاب لعلمي بنفاقهم.

أي كبت كل حاسدٍ منافقٍ

أنت لنا وكلنا للخالق

يقول: يا مهري الذي يكبت كل حاسد كمداً، أنا أملكك والله يملك جميع الخلق.
وقيل: أراد الممدوح أي أنت ملجأنا وكلنا نفتقر إلى الله تعالى.
وكبست أنطاكية، فقتل المهر والحجرة فقال يندب مهره وفرسه:

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تقنع بما دون النجوم

غامرت: أي طرحت نفسك في غمرة الحرب.
يقول: إذا غررت بنفسك في شرف طالباً له، فلا تطلب إلا أعظمه، وحدث نفسك بأنك تنال النجوم بعزمك.

فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيم

يقول: إن طعم الموت في الحالين لا يختلف، فاختر لنفسك أشرف الأمور وأحسنها.

ستبكي شجوها فرسي ومهري صفائح دمعها ماء الجسوم

شجوها: نصب على المصدر، ويكون من الشجو، وقيل: نصب على المفعول له. كأنه جعل الشجو علة للبكاء، وفاعل تبكي: الصفائح ومفعوله فرسي.
يقول: سأشفي نفسي بقتل من قتلهما، فتجري دماء سيوفي كأنها دمع باكٍ على فرسي ومهري.

قرين النار ثم نشأن فيها كما نشأ العذارى في النعيم

يقول: إن هذه السيوف قد جعلت النار غذاء لها، وأراد أنها نشأت في النار واكتسبت منها جوهراً وصفاءً، كالعذارى إذا ربين في النعيم.

وفارقن الصياقل مخلصاتٍ وأيديها كثيرات الكلوم

يقول: إن الصياقل قد أخلصوها صقالاً، وإنها بحدة شفارها قطعت أيدي صياقلها عند صقلها، وتجربة حدها، فكيف يكون حالها مع غيرهم؟!

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيم

يقول: إن الجبان يخدعه لؤم طبعه، ويصور له أن الاحتراز من الحرب رأي وعقل، وليس كما ظن، وإنما خدعه لؤم طبعه عما في الشجاعة من العز بالفخر بها.

وكل شجاعةٍ في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم

يقول: الشجاعة محمودة، وتغني صاحبها وتنفعه، خاصة إذا كان صاحبها حكيماً عاقلاً مدبراً؛ لأنه يستعملها في وقتها ومحلها.

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

يقول: إن الشجاعة من الأخلاق الكريمة، وإنما يعيبها الجبان؛ لضعف قلبه، كما أن كثيراً من الناس يعيب الأشياء التي لا يلحقها عيب، لجهله بها. وقيل: إنه منقطع، أي كم إنسانٍ يعيب قولاً صحيحاً لا آفة فيه، وإنما يكون من فهم سقيم، حيث لا يتصور جودة الكلام وصحته.

ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

يقول: إن الآذان تدرك الكلام فيعلمه الإنسان، ويأخذ منه بقدر خاطره وعلمه، ويتصوره على حسب قريحته.

وقال يهجو ابن كيغلغ وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية سنة ستٍّ وثلاثين وثلاث مئة، فنزل بطرابلس، وبها إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ، وكان رجلاً جاهلاً، وكان يجالسه ثلاثة من بني حيدرة، وكان بين أبي الطيب وبين أبيهم عداوة قديمة. فقالوا له: ما يجب أن يتجاوزك ولم يمتدحك، وإنما يترك مدحك استصغاراً لك، وجعلوا يغرونه به، فراسله إسحاق وسأله أن يمدحه، فاحتج أبو الطيب بيمينٍ عليه: أنه لا يمتدح أحداً إلى مدة حدها، فعاقه عن سفره. ينتظر انقضاء تلك المدة، وأخذ عليه الطرق وصبطها، ومات الثلاثة الذين كانوا يغرونه به في مدة أربعين يوماًن فقال أبو الطيب يهجوه وهو بطرابلس.

قال: ولو فارقته قبل قولها لم أقلها أنفة من اللفظ بما فيها قال: وأملاها على من يثق به، فلما ذاب الثلج وخف عن لبنان، خرج كأنه يسير فرسه، وسار إلى دمشق فأتبعه ابن كيغلغ خيلاً ورجلاً، فأعجزهم وظهرت القصيدة واشتهرت وهي:

لهوى القلوب سريرةٌ لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

قوله: عرضاً أي من غير قصد. يقول: للهوى سر لا يعرف لطفه ودقته، فلا يوقف عليه إلا بعد ابتلاء به. ونظرت من غير قصد وما ظننت أن الظن يوقعني في حبائل الهوى، بل قدرت أني أسلم ولا أهلك فخاب الظن الذي ظننته.

يا أخت معتنق الفوارس في الوغى لأخوك ثم أرق منك وأرحم

هذا فيه وجهان: أحدهما: أنه شبب بامرأة، ومدح أخاها بالشجاعة. إشارة إلى أنها ممتنعة لا يقدر على الوصول إليها. يقول: يا أخت الأخ الذي يخالط الأقران في الحرب بشجاعته، إن أخاك في الحرب إذا لقي عدواً أرحم منك وأرق على قربه منك علي، فأنت قد فعلت بالمحب بقلة رحمتك له، ما لا يفعله أخوك في الحرب حرب الأقران.

والوجه الثاني: أنه يهجو أخا المرأة المشبب بها وفيه قولان: أحدهما: أنه يتهمه بإتيان أخته! ومعناه: أن أخاك أرق منك، ثم إن عند خلوته بك، أرحم منك على العاشق.

والقول الثاني: أنه يرمي أخاها بالجبن وضعف القلب؛ لأنه مع وصفه بأنه معتنق الفوارس في الوغى، فإنه أرق قلباً من هذه المرأة مع رقة قلوب النساء، فمن زادت رقته على رقة قلوبهن فهو في نهاية الضعف وقوله: ثم إشارة إلى موضع الحرب، أي أنه أرق قلباً من النساء في الضعف.

يرنو إليك مع العفاف وعنده   أن المجوس تصيب فيما تحكم

يقول: إن أاك ينظر إليك مع العفاف لأنه يرى رأي المجوس! وهذا قول ابن جنى.

وقوله: مع العفاف يمنع من ذلك، فإنه ذكر ما لا يصح، ويمكن أن يقال: إنه صحيح ومعناه: أنه على رأي المجوس، لأن المجوسي يرى إتيان أخته من العفاف، لأنه يستبيحه! فهو صحيح من هذا الوجه هذا على الوجه الثاني.

وأما على الوجه الأول: فمعناه أنك قد فتنت أخاك بحسنك فهو ينظر إليك ويتمنى أن يكون دينه دين المجوس، وأنك محللة له، فكأنه يرى رأى المجوس في نكاح الأخوات ومثله لأبي تمام:

بأبي من إذا رآها أبوها   شغفاً قال: ليت أنا مجوس

راعتك رائعة البياض بعارضي   ولو أنها الأولى لراع الأسحم

راعتك: أي أفزعتك وروى: راعية الشيب، وجمعها رواعٍ. وروى: رائعة، وهي الفاعل من راعت.

وقيل: هي منتشرة كانتشار الغنم في المرعى. والأسحم: الأسود.

يقول: راعتك الشعرات البيض التي انتشرت في عارضي، ولوكان الشعر يبدو أبيض ثم يسود، لخفت من السواد خوفك من البياض، والذي راعك إنما هو علو سني، لا البياض.

لو كان يمكنني سفرت عن الصبا   فالشيب من قبل الأوان تلثم

يقول: لو قدرت لكشفت البياض عن شعري، حتى أريك صباي، وتعلمين أنت أني شبت قبل الأوان، والشيب قبل أوانه بمترلة أن يتلثم الإنسان بعمامة بيضاء؛ لأنه لا يورث ضعفاً ولا يوهن قوة، فإنه يكره الشيب لهذا المعنى.

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى يققاً يميت ولا سواداً يعصم

يقول: جربت حوادث الدهر، فرأيت سواد الشعر لا يمنع من الموت، وبياضه لا يقرب منه، وقد يموت الشاب ويعيش الشيخ.

والهم يخترم الجسيم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرم

يقول: إن الهم يذيب الجسم، وينقصه حتى يموت الجسم نحافة، وتبيض ناصية الصبي، ويهرم قواه ومعناه: أن الشيب حصل لي من الهم.

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

يقول: العاقل وإن كان في النعيم، فإنه لا يتهنأ به؛ لعلمه بزواله، والجاهل وإن كان في الشقاوة، فهو يتلذذ؛ لجهله بعواقبه.

والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلقٌ ينسى الذي يولي وعافٍ يندم

يولي: أي يعطي.

يقول: إن الناس تنكر مراعاة الحقوق والذمم، فالمنعم عليه بإطلاقٍ من الأسر، ينسى يد المنعم عليه فلا يشكر نعمه، والعافي من الإساءة والمنعم على الغير، يندم على ما فعله من النعم.

لا تخدعنك من عدوٍّ دمعةٌ وارحم شبابك من عدوٍّ ترحم

أراد: ترحمه، فحذف الهاء.

يقول: إذا قدرت على عدوك فاقتله ولا يخدعنك بكاؤه: وارحم شبابك بذل عدوٍّ ترحمه!

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

يقول: لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى تحميه بالسيف.

قال ابن جنى أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا البيت لوجب تقدمه:

يؤذي القليل من اللئام بطبعه من لا يقل كما يقل ويلؤم

من في موضع النصب؛ لأنه مفعول يؤذي.

يقول: إن القليل الحقير اللئيم يؤذي بطبعه، من لا يقل كقلته ولا يلؤم كلؤمه.

والظم في خلق النفوس فإن تجد ... ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلم

روى: في خلق، وهي جمع خلقة، ويريد الطبيعة. وروى في خلق، وهو واحد الأخلاق.

يقول: إن الإنسان طبع على الظلم ومن لا يظلم فلعلةٍ تمنعه من ذلك: إما عجز أو خوف، فلو خلي وطبعه لاستعلى على من هو دونه.

يحمى ابن كيغلغ الطريق وعرسه ... ما بين رجليها الطريق الأعظم

أقم المسالح فوق شفر سكينةٍ ... إن المنى بحلقتيها خضرم

الخضرم معناه ظاهر. والمسالح: أصحابه الذين يحفظون الطريق.

يقول: أقم المراصدين فوق امرأتك التي سار الناس للفجور بها، حتى اجتمع هناك من المنى بحر غزير.

وارفق بنفسك إن خلقك ناقصٌ ... واستر أباك فإن أصلك مظلم

يقول: لا تتعرض لمناوأتي فإنك ناقص الخلق، ولا تظهر أباك، فإنك مدخول النسب لا يوقف عليه.

واحذر مناوأة الرجال فإنما ... تقوى على كمر العبيد وتقدم

يقول: احذر معاداة الرجال، فإنما تقوى على استدخال كمر العبيد والإقدام عليها، وهذا رمى له بالأبنة.

وغناك مسألةٌ، وطيشك نفخةٌ ... ورضاك فيشلةٌ، وربك درهم

يقول: إن مالك مكتسب بالسؤال، وإن طيشك: أي خفتك. نفخة: أي لو نفخ عليه لطار، لضعف قلبه.

وقيل: أراد أن خفتك في المورد فلا تأثير له، وأنه إذا غضب ينكح فيرضى وأنه بخيل يعبد الدرهم ويعظمه كأنه ربه.

ومن البلية عذل من لا يرعوي ... عن جهله وخطاب من لا يفهم

يقول: من البلية عذل من لا ينصرف عن الجهل، ومخاطبة الجاهل الذي لا يفهم ما يفهم.

في ذكر أمك للزناة دلالةٌ ... فأحب من ذكر ابنها من يشتم

يقول: إن ذكرت أمك استدل الزناة بذكرها عليها، وأحب الناس إليها من يشتم ابنها ويقول: يابن الزانية؛ ليدل الزناة عليها.

يمشي بأربعةٍ على أعقابه ... تحت العلوج ومن وراءٍ يلجم

العلج: القوي البنية المعالج للتعب. وقوله: بأربعة أراد العضو. وينبغي أن يقول: إنه يمشي تحت العلوج إلى خلفه؛ حرصاً على استيفاء ما يدخل فيه! ولكن لجامه في خلفه: أي في إسته.

وجفونه ما تستقر كأنها مطروفةٌ أو فت فيها حصرم

مطروفة من قولهم: طرفته، أي ضربت طرفه.

يقول: إن جفونه لا تستقر، فكأنه أصيب بشيء من رمد ونحوه، أو عصر فيها حصرمٌ أشار بهذا إلى أن في عينه آفة.

وقيل: أراد أنه يحرك أجفانه لاستدعاء العلوج للمعنى الذي رماه به أولاً.

وإذا أشار محدثاً فكأنه قردٌ يقهقه أو عجوزٌ تلطم

يقول: إذا نطق ازداد حقارة، فكأنه قرد حين يضحك، أو عجوز لطمت في مناحة وبكت. ولا يضحك شيء من الحيوانات إلا الإنسان والقرد.

يقلي مفارقة الأكف قذاله حتى يكاد على يدٍ يتعمم

قوله: يقلى. أي يبغض، وفاعله: قذاله. ومفارقة الأكف: مفعوله.

يقول: إنه تعود أن يصفع، فقذاله: يكره مفارقة الأكف، حتى كأن الأيدي عمائم، لإحاطتها به.

وقيل: معناه لا يميل إلى مفارقتها. والقذال: مؤخر الرأس.

وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ويكون أكذب ما يكون ويقسم

يقول: هو حقير المنطق، فإذا تكلم زاد حقارة لعيه، ولكنه أكثر ما يكون كذلك في قوله: إذا وكد كلامه بقسم وأيمان.

والذل يظهر في الذليل مودةً وأود منه لمن يود الأرقم

الأرقم: ضرب من الحيات.

يقول: إن الذليل يظهر المودة لمن أذله؛ ليتقي شره، ولكن الأرقم أشد حباً منه لمن يحبه، إذا قدر عليه.

ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

يقول: إن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه لطبعك فينفعك ومودته تدل على المناسبة فيضرك!

وقيل: أراد أن عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل، فتلك العداوة ربما تتضمن منفعة وهذه الصداقة ربما تتضمن مضرة وشراً.

أرسلت تسألني المديح سفاهةً صفراء أضيق منك، ماذا أزعم؟ !

صفراء: اسم أم المهجو، أو اسم امرأته. يعني: إنك تسألني المديح وما عسى أن أقول لك؟ وأنت أوسع منها!

أترى القيادة في سواك تكسبا يابن الأعير وهي فيك تكرم؟ !

الأعير: تصغير الأعور.

يقول: إن غيرك يتكسب بالقيادة، وأنت تقود على أهلك وتعده تكرما! ومثله قول الآخر:

تراه من جوده ومن كرمه يحمل أضيافه إلى حرمه

فلشد ما جاوزت قدرك صاعداً ولشد ما قربت عليك الأنجم

شدما كقولك: نعما، وبئسما.

يقول: ما اشد ما جاوزت قدرك حتى سألتني أن أمدحك، وهو أبعد من النجوم، صاعداً نصب على الحال.

وأرغت ما لأبي العشائر خالصاً إن الثناء لمن يزار فينعم

قوله: أرغت. أي طلبت، وقيل: أملت إلى نفسك، وخالصاً نصب على الحال.

يقول: طلبت المديح الذي هو لأبي العشائر خالصاً، لأنه لا يستحقه إلا من ينعم على زائره، وهو أبو العشائر.

ولمن أقمت على الهوان ببابه تدنو فيوجأ أخدعاك وتنهم

الأخدعان: عرقان في العنق معروفان. وتنهم: أي تزجر.

يقول: إن الثناء لمن تقيم على بابه مهينا، كلما دنوت منه تزجر وتصفع، فكيف أمدحك وهذه حالك؟!

ولمن يهين المال وهو مكرمٌ ولمن يجر الجيش وهو عرمرم

العرمرم: الجيش الكثير. يمدح أبا العشائر. يعني: أنه يكرم نفسه بإهانة المال وهو يقود الجيش الكثير، يصفه بالكرم والشجاعة.

ولمن إذا التقت الكماة بمأزقٍ فنصيبه منها الكمي المعلم

المأزق: مضيق الحرب.

يقول: إن المدح يكون لمن يكون في مضيق الحرب، ويقتل كل شجاع معلم: أي له علامة.

ولربما أطر القناة بفارسٍ   وثنى فقومها بآخر منهم

يقول: ربما طعن فارساً، فانعطفت قناته، فطعن بها آخر فقومها فيه كما تقوم الثقاف.

والوجه أزهر، والفؤاد مشيعٌ   والرمح أسمر والحسام مصمم

يقول: يفعل ذلك بوجه أزهر وله رمح أسمر، وسيف مصمم قاطع يمضي في العظام.

أفعال من تلد الكرام كريمةٌ   وفعال من تلد الأعاجم أعجم

يقول: فعل كل أحدٍ على قدر أصله، وهو من قوله تعالى: "قل كلٌّ يعمل على شاكلته".

ولقي أبا الطيب بعض الغزاة بدمشق، فعرفه أن ابن كيغلغ لم يزل يذكره في بلد الروم، فقال أبو الطيب يهجو ابن كيغلغ:

أتاني كلام الجاهل ابن كيغلغٍ   يجوب حزوناً بيننا وسهولا

يقول: أتاني كلام هذا الجاهل، وتهدده لي من مكان بعيد، يقطع الجبال والمفاوز الذي بينه وبيني.

وقيل معناه: إن كلامه قد أتاني، وهو حينما تكلم كان يجوب حزون أرض الروم وسهولها. ويجوب: أي يقطع.

ولو لم يكن بين ابن صفراء حائلٌ   وبيني سوى رمحي لكان طويلاً

صفراء: اسم أمه، ومعناه: يهددني ابن صفراء بوعيده! وأنا منه على بعد، فلو لقيته ولم يحل بيني وبينه إلا رمحي وحده، الذي أعتمد عليه وأدفعه به، لطال عليه الوصول إلي. فكيف وقد انضم إليه سائر أسباب القوة.

وقيل: معناه لو كان بيني وبينه من البعد مقدار رمحي لكان طويلاً عليه، فلا يمكنه أن ينالني. وقيل: إن صفراء كناية عن الأست والعرب تقول: ولد من أسته. فعلى هذا يكون رمياً له بالأبنة.

وإسحاق مأمونٌ على من أهانه   ولكن تسلي بالبكاء قليلا

يقول: إن من أهانه وأساء إليه لم يخف غائلته؛ لأنه لا يقدر على شيء من النكير عند بلوغه إساءة من أساء إليه سوى التسلي بالبكاء.

وقد ذكره بالقبيح وكنى عنه بالبكاء وهذا غاية الحسن ومثله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً   أبشر بطول سلامةٍ يا مربع

ولولا الذي في وجهه من سماجةٍ   لنمت عليه بكرةً وأصيلا

وليس جميلاً عرضه فيصونه   وليس جميلاً أن يكون جميلا

ويكذب، ما أذللته بهجائه		لقد كان من قبل الهجاء ذليلا

يقول: نفسه لا جمال لها فيصونه عن الهجاء، ولا يستحق أن يكون جميلا، ثم يقول: زعم هذا الجاهل أني أذللته بهجائي فقد كذب في دعواه؛ لأني لم أنقص شيئاً من قدره بالهجاء، فإنه ذليل خامل لا قدر له.

وورد الخبر إلى مصر بأن غلمان ابن كيغلغ قتلوه بجبلة من ساحل الشام، فقال أبو الطيب يشمت به ويهجوه:

قالوا لنا: مات إسحاق. فقلت لهم:		هذا الدواء الذي يشفي من الحمق

يقول: بلغني موته، فقلت: قد أصاب دواء حمقه؛ فإن الأحمق ليس له دواء إلا الموت.

إن مات مات بلا فقدٍ ولا أسف		أو عاش عاش بلا خلقٍ ولا خلق

يقول: إن حياته وموته سواء، فإن مات لا يحزن عليه أحد، ولم يشعر بموته لخموله، وإن عاش فلا نفع فيه، لأنه دميم الخلق سيىء الخلق، فليس له رواءٌ يملأ العيون، ولا خلقٌ يعطف عليه القلوب.

منه تعلم عبدٌ شق هامته		خون الصديق ودس الغدر في الملق

قوله: دس الغدر في الملق أي يستر غدره في كلامه باللطف؛ ليتوصل به إلى الإيقاع بالغير.

يقول: إن عبده الذي قتله، منه تعلم الخيانة والغدر بالصديق، فحين رآه يخون أصدقاءه ويغدر بهم، اقتدى، به فقتله غدراً.

وحلف ألف يمينٍ غير صادقةٍ		مطرودةٍ ككعوب الرمح في نسق

حلف: نصب عطفاً على قوله: دس الغدر وهو منصوب بتعلم ومطردة: أي متتابعة.

يقول: تعلم منه ألف يمين متتابعة، مثل كعوب الرمح على طريقة واحدة، فكان ذلك باعثاً له على قتله، فقتله ودفع عن نفسه قتله بالأيمان الكاذبة كما كان هو يفعل.

ما زلت أعرفه قرداً بلا ذنبٍ		صفراً من البأس مملوءًا من النزق

النزق: الخفة والطيش.

يقول: في كونه قرداً ناقصاً؛ ليكون أعجب، وإنه مملوء من الخفة، وصفراً من الحلم والعقل والأدب.

كريشةٍ بمهب اليح ساقطةٍ		ما تستقر على حالٍ من القلق

شبهه في خفته وقلقه بريشة ساقطة هب عليها الريح.

تستغرق الكف فوديه ومنكبه		وتكتسى منه ريح الجورب العرق

الفودان: جانبا الرأس.

يقول: إنه يكثر الصفع على جوانب رأسه ومنكبه، ويد من يصفعه تكتسب منه ريحاً منتناً مثل ريحة الجورب العرق! وفيه أنواع من الهجاء منها: قبح الخلقة، وصغر الجثة، وخبث الريح، ونتن الجسد، ومهانة النفس؛ حتى يصفعه كل أحد.

فسائلوا قاتليه: كيف مات لهم موتاً من الضرب أم موتاً من الفرق؟

وأين موقع حد السيف من شبحٍ بغير رأسٍ ولا جسمٍ ولا عنق؟!

موتاً نصب على المصدر.

يقول: سائلوا قاتليه. هل مات من ضربهم، أو خوفاً من الضرب؟! والشبح: الشخص. يقول: سائلوا الناس أي موضع أصاب السيف منه؟ فإنه ليس له جسم، لقصره وصغره، ولا رأس له، ولا عنق، حتى لا يجد السيف شخصه، ولكن الخوف قتله قبل أن يضرب منه السيف موضعاً!

لولا اللئام وشيءٌ من مشابهةٍ لكان ألأم طفلٍ لف في خرق

يقول: لولا أن في الناس المشابهة في اللؤم والخسة، لكان ألأم طفل لف في قماطٍ؛ لعجزه وصغر قامته. والمشابهة: جمع الشبه على غير قياس.

كلام أكثر من تلقى ومنظره مما يشق على الآذان والحدق

يقول: إن أكثر الناس كلامه تمجه الآذان لثقله. وكذلك رؤيته مما تنكرها العين ويشق عليها. فله نظائر في الناس.

واجتاز ببعلبك فترل على علي بن عسكر، وهو يومئذ صاحب حربها، فخلع عليه وحمل إليه وأمسكه عنده، اغتناماً لمشاهدته. وأراد أبو الطيب الخروج إلى أنطاكية فقال يعتذر من مفارقته:

روينا يا ابن عسكرٍ الهماما ولم يترك نداك بنا هياما

يقول: روينا أيها الممدوح بسحائب جودك، ولم يترك بنا هياماً: أي عطشاً.

وصار أحب ما تهدى إلينا لغير قلىً وداعك والسلاما

يقول: قد أفضت علي من برك ما كفاني، فليس شيء أحب إلي إلا الارتحال وتوديعك والسلام، وليس ذلك عن بغض ولا كراهة فيك، ولكن عن عذر اقتضى ذلك.

ولم نملل تفقدك الموالي ولم نذمم أياديك الجساما

التفقد: التعهد. والموالي: المتتابع.
يقول: ولا أني أمللت إكرامك وتعهدك لأحوالي، ولا ذممت أياديك العظام، ولكن لعذر آخر أوجب طلب الإجازة.

ولكن الغيوث إذا توالت		بأرض مسافرٍ كره الغماما

يقول: إني في سؤال الإذن منك، كالمسافر الذي يكره المطر، وإن كانت فيه حياة البلاد والعباد، فلهذا كرهت المقام عندك.

قصائد أبي العشائر الحمداني

وقال يمدح أبا العشائر: الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي التغلبي وهي أول شعر في بني حمدان:

أتراها لكثرة العشاق		تحسب الدمع خلقةً في المآقي

المآقي: طرف العين مما يلي الأنف.
يقول لصاحبه: أحسبت هذه المرأة أنها لكثرة ما ترى من الدموع في عيون عشاقها أنه خلقة في عيونهم؟ فلهذا لا ترحمهم!

كيف ترثي التي ترى كل جفنٍ		راءها غير جفنها غير راق

راءها: مقلوب رآها. وغير: الأولى نصب على الاستثناء، والثانية: على تفسير البيت الأول.
يقول: كيف ترحم هذه المرأة للباكين بسببها، لأنها ترى كل عين باكية غير راقية الدمع عنها، فهي تحسب أن ذلك خلقة، لأنها لم تر إلا باكياً سائل الدمع، واستثنى جفنها، فبين أن كل عين كذلك إلا عينها؛ لأنها لم تعشق أحداً فلا تجزع للفراق! وقال ابن جنى: إنها لا تبكي، لأنها لم تهجر نفسها.
وهذا البيت من بدائع أبي الطيب المتنبي.

أنت منا فتنت نفسك لكن		ك عوفيت من ضنىً واشتياق

يقول: أنت منا أي من جملة العشاق، لكنك قد فتنت نفسك كما فتنا بحسنك! أي أنت عاشقة لنفسك كما نعشقك؛ لأن كل أحد يحب نفسك، غير أنك سلمت من ألم الوجد وطول المرض والاشتياق؛ لأن الإنسان لا يشتاق إلى نفسه فلا يتألم من حبها

حلت دون المزار، فاليوم لو زر		ت لحال النحول دون العناق

حلت: أي منعت. والمزار: الزيارة.

يقول: منعتنا من الزيارة فنحلنا لذلك! وذابت أجسامنا، فلو أردت الآن وصلنا منع النحول من معانقتك.

إن لحظاً أدمته وأدمنا كان عمداً لنا وحتف اتفاق

يقول: نظر كل واحد منا إلى صاحبه عن تعمد منا، فاتفق في ذلك حتفي من غير قصد! وهذا من قولهم: رب حتفٍ في لحظة طرفٍ.

لو عدا عنك غير هجرك بعدٌ لأرار الرسيم مخ المناقي

عدا عنك: أي صرف. وبعدٌ: فاعله. وقوله أرار أي أذاب. والرسيم: هو سير شديد من سير الإبل. والمناق: جمع منقية: وهي السمينة التي في عظامها مخ.

يقول: إنما صرفنا عنك هجرك، ولو حال بيننا بعدٌ سوى الهجر لواصلنا السير إليك وهزلنا النوق بالسير، حتى يذوب بالسير مخ عظامها.

وقوله: لأرار الرسيم: أي لأذاب السير الشديد مخ المناق.

ولسرنا ولو وصلنا عليها مثل أنفاسنا على الأرماق

الأرماق: جمع الرمق، وهو بقية الحياة.

يقول: لو كان بيننا بعدٌ غير الهجر، لسرنا إليك ولواصلنا السير حتى تذوب أبداننا وتهزل رواحلنا فتكون في الخفة كأنفاسنا وتصير إبلنا مهزولةً وهذا من قول أبي الشيص.

أكل الوجيف لحومهم ولحومنا فأتوك أنقاضاً على أنقاض

ومثله قول الآخر

أنضاء شوق على أنضاء أسفارٍ

ما بنا من هوى العيون اللواتي لون أشفارهن لون الحداق؟

ما بمعنى التعظيم، أي: أي شيء؟ بنا من هذه العيون التي لون أشفارها في السواد، مثل لون أحداقها. وهذا نهاية في الحسن كما ترى.

قصرت مدة الليالي المواضي فأطالت بها الليالي البواقي

قصرت: فعل المحبوبة. وقيل: فعل العين.

يقول: قصرت هذه المرأة على مدة الليالي المواضي بالوصال الذي كان منها، وأطالت الآن لما هجرتني، الليالي البواقي.

وقوله: أطالت بها: أي قابلت قصر الليالي المواضي بطول الليالي البواقي فحصل طول هذه مكافأةً على قصر تلك.

وقيل: أراد طالت الليالي البواقي بسبب قصرها في المواضي، أي أن قصرها صار سبباً لطولها.

كاثرت نائل الأمير من الما ... ل بما نولت من الإيراق

الإيراق: هو الإسهار. يقال: أرقه يؤرقه إيراقاً. مثل: أرقه يؤرقه توريقاً.

يقول: هذه المرأة تكاثر نائل الأمير؛ في إعطائها لنا السهر فتناهت في ذلك، كما أنه تناهي في إعطاء المال.

وقيل الإيراق: مصدر أورق الصائد إذا خاب. ومعناه: أنها تكاثرت في المنع، فمنعها مثل جوده.

ليس إلا أبا العشائر خلقٌ ... ساد هذا الأنام باستحقاق

طاعن الطعنة التي تطعن الفي ... لق بالذعر والدم المهراق

يقول: إنه يطعن الطعنة فتملأ هذه الطعنة قلوب الجيش، خوفاً ورعباً فكأنه طعن الفيلق وأرقا دمآءهم.

وقوله: ليس في البيت الأول مبتدأ وأبا العشائر خبره.

ذات فرغٍ كأنها في حشا المخ ... بر عنها من شدة الإطراق

ذات فرغ: جر لأنه بدل من الطعنة. وقد روي بالنصب: على الحال. والمخبر: بفتح الباء الذي أخبرته بخبر. وفرغ الدلو: مصب الماء منه. شبه الطعنة بالدلو لسعتها، أي أن الدم يسيل منها كما يسيل الماء من فرغ الدلو، ثم قال: لو أخبر مخبر إنساناً بصفتها لملأ قلبه ذعراً، حتى أطرق رأسه استعظاماً لها، حتى كأن الطعنة في حشا السامع بها.

ضارب الهام في الغبار وما ير ... هب أن يشرب الذي هو ساق

ما للنفي. يقول: إذا هاجت الحرب وارتفع الغبار يضرب رءوس الشجعان، ولا يخاف أن يشرب كأس الموت الذي يسقيه الشجعان.

فوق شقاء للأشق مجالٌ ... بين أرساغها وبين الصفاق

الشقاء: الفرس الطويلة القوائم، والذكر: أشق والأرساغ: جمع الرسغ، وهو موصل الكف في الذراع، والقدم في الساق. والصفاق: الجلد الرقيق تحت الجلد الظاهر من البطن في الإنسان والدابة. واختلفوا في الأشق هاهنا.

ومعناه: أن يضرب الهام راكباً فرساً شقاء يجول تحت بطنها كما يجول المهر تحت بطن أمه. وقيل. أراد بالأشق: والد هذه الشقاء. ومعناه: أنه فوق فرس شقاء، لوالدها مشابة بها، وهو معنى المجال في أرساغها وصفاقها، أي قوية الأرساغ وسائر الأعضاء، كما كان والدها كذلك.

وقيل: أراد بالأشق الرمح، أي أنه فوق هذه الفرس، وللرمح مجال ومضطربٌ بين جلد بطنها وأرساغها. وقيل. الأشق من المشقة: والمراد به المصروع من الشجعان الذي يكون على أشق الحال، ومعناه أنه على هذه الفرس يطأ الشجعان بقوائمها، فيكون لهم مجال بين أرساغها وصفاقها.

وقيل: أراد أشق الممدوح. إما لأنه طويل القامة، أو أنه أشق الناس على أعدائه من المشقة، فيكون له مجال فوقها بالامتداد والانثناء لحذقه بالطعن.

همه في ذوي الأسنةلافي ها وأطرافها له كالنطاق

يقول: لا يبالي بالأسنة التي تحيط به من جوانبه كالنطاق، ولا يكون له بها همة ولا يحذر منها، بل يكون همه مصروفاً إلى أرباب الأسنة ليطعنهم ويأسرهم ومثله لأبي تمام:

إن الليوث ليوث الغاب شأنهم يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ما رآها مكذب الرسل إلا صدق القول في صفات البراق

هذا البيت زائد.

يقول: ما رأى هذه الفرس الشقاء، من يكذب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا صدق ما يذكر في أمر البراق، من السرعة في السير.

ثاقب العقل ثابت الحلم لا يق در أمرٌ له على إقلاق

ثاقب: قيل معناه: عقله صادق من الجهل منير، يرى به الأمور على حقائقها.

وقيل: بين العقل. وقيل: نافذ العقل ثابت الحلم أي أنه متمكن من حلمه لا يطيش ولا يزعجه شيء ولا يقلقه أمر، لثبات عقله وزيادة حلمه.

يا بني الحارث بن لقمان لا تع دمكم في الوغى متون العتاق

يقول لقومهم: لا عدمتكم ظهور الخيل في الحرب. وخص ذلك في حال الحرب؛ دلالة على شجاعتهم. لأن ملازمة ركوب الدواب عادة الرائضين.

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي فكأن القتال قبل التلاقي

يقول: ملئوا قلوب أعاديهم من الخوف، فانهزموا منهم قبل ملاقاتهم وقتالهم، فكان القتال والحرب قبل الالتقاء.

وتكاد الظبي لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق

الظبي: جمع ظبية وهي حد السيف. والتأنيث عائد إليها.

يقول: إنهم عودوا سيوفهم إخراجها من الأغماد، وضرب أعناق الأعداء بها، فهي تكاد تخرج نفسها من أغمادها، وتتوصل إلى الأعناق قبل أن يسلوها منها ويضربوا بها.

وإذا أشفق الفوارس من وق ع القنا أشفقوا من الإشفاق

يقول: إذا اشتدت الحرب وخاف الفرسان من الطعن، خاف هؤلاء من الخوف، فلا يقدمون في الحرب.

كل ذمرٍ يزيد في الموت حسناً كبدور تمامها في المحاق

الذمر: الشجعان يقتحمون المعركة. وقوله: تمامها في المحاق إن أراد بذلك استكمال ضوئها، ففي الظاهر تناقض.

وتأويله: أن كل واحد منهم إذا مات زاد حسنه، لأنه لا يموت إلا قتلاً. فكأنه يقول: هم في الحسن بدور، وإذا قتلوا زاد حسنهم بما يظهر من صبرهم وإقدامهم فكأنهم بدور، تمامها في المحاق على سبيل التقدير: أي لو وجدت بدور إتمامها في محاقها لكانوا مشبهين بها.

وذلك من تعليق الجائز بالمحال.

وقيل: أراد بالتمام غاية ما يفضى إليه أمر البدور وهو المحاق. ومعناه: أن هؤلاء تمام أمرهم في قتلهم. كبدور يفضي أمرها بالمحاق فكذلك يفضي أمر هؤلاء إلى القتل، ولا يموت أحد منهم إلا حتف أنفه.

جاعلٍ درعه منيته إن لم يكن دونها من العار واق

الهاء في دونها للمنية.

يقول: كل واحد منهم إذا لم يمكن دفع العار عن نفسه إلا بتدرع الموت، يجعل المنية درعه حتى يقي بها عن نفسه.

كرمٌ خشن الجوانب منهم		فهو كالماء في الشفار الرقاق

يقول: فيه كرم يحمله على خشونة جوانبه على الأعداء، ففيه لين من حيث الكرم، وخشونة من حيث البأس والامتناع من الأنفة، فهو كالسيف إذا سقي صلبت شفرته وألبسها خشونة مع ما فيه من الرقة والصفاء.

وهذا من بدائع المتنبي.

ومعالٍ إذا ادعاها سواهم		لزمته جناية السراق

يقول: لهم معالٍ مشهورة لا يمكن لأحد أن يدعيها لنفسه، فإن ادعى مدع ذلك لزمه ما يلزم السارق من قطع اليد.

يابن من كلما بدوت بدا لي		غائب الشخص حاضر الأخلاق

نصب غائب وحاضر على الحال. وبدا فعل من وأراد به الأب.

يقول: إذا رأيناك كأنا رأينا أباك، لأن أخلاقه موجودة فيك فلم تفتقد منه إلا شخصه.

لو تنكرت في المكر لقومٍ		حلفوا أنك ابنه بالطلاق

يقول: إنك تشبه أباك في إقدامه وشجاعته، فلو تنكرت: أي أخفيت نفسك. في المكر: أي في الحرب. لحلفوا بالطلاق أنك ابنه. وخص المكر: إشارة إلى أنه في الإقدام والشجاعة لا يشبه إلا أباه، إذ مثل ذلك لا يوجد إلا منه، أو من أبيه، أو لأن هذا الموقف أشرف المواقف وأفخرها والشبه هنا أقوى الأشياء وأنفسها.

كيف يقوى بكفك الزند والآ		فاق فيها كالكف في الآفاق

الهاء في فيها للكف.

يقول: كيف يطيق زندك حمل كفك؟ مع أن كفك قد أحاطت بنواحي الأرض! حتى صارت الآفاق في كفك بمنزلة كف الإنسان في الآفاق قلة وحضارة. وأراد بذلك سعة عطائه، وأنه يريد منافع العالم.

وقيل: معناه كيف يوري الزند النار ولا ينكسر من قوتك؟! وكفك يحيط بالآفاق إحاطة الآفاق بكف غيرك.

قل نفع الحديد فيك فما يل		قاك إلا من سيفه من نفاق

يقول: الحديد لا يعمل فيك، فعجز أعداؤك عن المجاهرة بعداوتك وأعادوا السيوف والرماح واختاروا مواراتك والنفاق في حبك، فأظهروا الحب والانقياد. ولطوا على العماوة والشقاق.

وقيل على الثاني: استعمال الحديد معك لا ينفع ولا حاجة إلى الزند، مع أنك توري، ولذلك لا يلقاك أحد إلا من جعل سيفه من نفاق، وتصنع الاستماح منك دون المجاهرة بعداوتك.

إلف هذا الهواء أوقع في الأن فس أن الحمام مر المذاق

يقول: هؤلاء الذين يداجونك بالعداوة، ألفوا هذه الدنيا وتنسم هذا الهواء، ومن ألف الدنيا واستطاب حياتها، فهو يختار ما يؤدي إلى القيام بأمرها، فإلفهم لها أوقع في أنفسهم: أن الموت مر المذاق.

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ والأسى لا يكون بعد الفراق

يؤكد المعنى الذي ذكره. يقول: الجزع من الموت قبل حلوله عجز وجبن، فلا معنى له والروح بعد لم تفارق، فإذا فارقت الروح بطل الجسم وزالت حياته وبطل حسه، فإذا ليس للجزع من الموت وجه.

كم ثراءٍ فرجت بالرمح عنه كان من بخل أهله في وثاق

الثراء والثروة: المال. والوثاق: بالفتح ما يوثق به. يقول: كم مالٍ كان في بيت بخيل قتلته واحتويت عليه وفرقته إلى أهله، وكان عندهم في وثاق البخل، ففرجت عنه وفككته من وثاقه.

والغنى في يد اللئيم قبيحٌ قدر قبح الكريم في الإملاق

الإملاق: الفقر.

يقول: الغنى لا يحسن في يد البخيل إذ لا يفرح أحد به ولا يظهر عليه، فهو في القبح في اللئيم، كالفقر بالكريم.

ليس قولي في شمس فعلك كالشم س ولكن في الشمس كالإشراق

يقول: ليس ثنائي عليك. وضع لشمس فعلك كالشمس، لكنه دليل على فعلك، وإذاعة له وتسيير له في البلاد، كالإشراق للشمس إذ لولاه ما كانت الشمس تشمل العالم بضوئها، فكذلك لولا ثنائي لكاد لا ينشر ذكره.

وقيل: معناه إن قولي ليس نظيراً لفعلك، ولكنه صادر عنه، كانتشار الضوء عن الشمس، ففعلك شمس وثنائي إشراقها.

شاعر المجد خدنه شاعر اللف ظ كلانا رب المعاني الدقاق

الخدن: الصديق، واراد به نفسه. وجعله خدناً تخصصاً به وتحققاً بمودته. وفيه ضرب من الكبر وتطاول العنق! يقول: هو شاعر المجد يبدي فيه البدائع والغرائب، وأنا شاعر اللفظ، فكل واحد منا بديع في فنه، ويغرب في شعره، ويأتي بدقائق المعاني التي يعجز عنها غيره، فالملوك عجزوا عن مجده، والشعراء عجزوا عن شعري وهذا من قول البحتري:

غربت خلائقه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مغربٌ في مغرب

لم تزل تسمع المديح ولكن صهال الجياد غير النهاق

يقول: كنت أبداً تسمع المديح، ولكن لم يمدحك أحد مثلي، فشعري كصهيل الفرس الجواد، وشعر غيري كنهيق الحمار!

ليت لي مثل جد ذا الدهر في الأد هر أو رزقه من الأرزاق

أي: ليت حظي من السعادة مثل حظ هذا الدهر الذي أنت فيه في الأدهر، وليتني رزقت مثل ما رزق هذا الدهر.

أنت فيه وكان كل زمانٍ يشتهي بعض ذا على الخلاق

معناه: أنت في هذا الزمان، فكل زمان مضى قبله يشتهي أن يكون حصل له بعض ما حصل لهذا الزمان، لكونك فيه ومثله لمسلم:

الدهر يغبط أولاه أواخره إذا لم يكن كان في أعصاره الأول

ودخل عليه يوماً وهو على الشراب وبيده بطيخة من ند في غشاء من خيزران، على رأسها قلادة لؤلؤ، فحياه بها وقال: أي شيء تشبه هذه فقال:

وبنيةٍ من خيزرانٍ ضمنت بطيخةً نبتت بنارٍ في يد

كل ما يبني: فهو بنية وبناء.

يقول: هذه بنية من خيزران، جعلت فيها بطيخة نبتت من نار في يد صانعها فنباتها من النار يخالف سائر البطيخ.

نظم الأمير لها قلادة لؤلؤٍ كفعاله وكلامه في المشهد

يقول: نظم الأمير في هذه البطيخة قلادة من لؤلؤ، وتشبه هذه القلادة فعله وكلامه في المجلس.

كالكأس باشرها المزاج فأبرزت زبداً يدور على شرابٍ أسود

شبه هذه البطيخة بكأس فيه شراب أسود، والقلادة التي عليها بالزبد. الذي يعلو الشراب إذا مزج.
وقال فيها أيضاً ارتجالاً يصف البطيخة:

وسوداء منظومٌ عليها لآلئٌ لها صورة البطيخ وهي من الند

كأن بقايا عنبرٍ فوق رأسها طلوع رواعي الشيب في الشعر الجعد

الواو بمعنى رب. يقول: إنها في صورة البطيخ، لكنها من الند! وقوله: رواعي: جمع راعية، وهي أول شعرة تبيض وقيل: ما انتشر منه في الرأس. وقيل: مقلوبة من رائعة، لأنها تروع.

شبه العنبر الذي كان فوق رأسها ببياض الشعر، في الشعر الجعد، لأن البطيخة كانت سوداء والعنبر ما ضرب إلى الشيبة، وخص الجعد؛ لأنه مع السواد في الأغلب. وقيل أتى به لأجل القافية.
وقال أيضاً يصف هذه البطيخة

ما أنا والخمر وبطيخةٌ سوداء في قشرٍ من الخيزران؟ !

رفع الخمر وبطيخة عطفاً على ما. أي: ما أنا والخمر، وما بطيخة. ويجوز نصبه على معنى الفعل، وتكون الواو بمعنى مع.
يقول: أي شيء أنا، أي ما لي وملابسة الخمر وهذه البطيخة السوداء التي قشرها من الخيزران، عن الشغل بالحرب في طلب الذكر والصيت.

يشغلني عنها وعن غيرها توطئتي النفس ليوم الطعان

روى: توطئتي من وطأت الشيء: أي لينته. وروى: توطيني بها النفس من وطنت النفس على الشيء. والمعنى واحد.
يقول: يشغلني عن هذه البطيخة وغيرها من الطيب، استماع قصر نفسي على الحروب والمطاعنة فيها.

وكل نجلاء لها صائكٌ يخضب ما بين يدي والسنان

وكل عطف على توطئتي النفس. وهو رفع، ويجوز جره عطفاً على قوله: ليوم الطعان. وقوله: صائك أي دم يابس يلصق بالرمح.
يقول: يشغلني عما ذكرت، كل طعنة واسعة يخرج منها دم كثير حتى يخضب به الرمح واليد.
فقال أبو العشائر لجلسائه: لو أراد أن يقول فيها ألف بيت لفعل.

وكبس أنطاكية جيش السلطان وقصد دار أبي العشائر، وهو يومئذ يلي حربها، وكان قد بكر إلى الميدان، فلما رجع وقد تفرق الناس عنه، لقي أوائل الخيل فهزمها من السوق إلى باب فارس، فأصابه سهم في خده فأضربه. وضرب رجلاً منهم على رأسه فقتله، وكثر الناس عليه، فرجع حتى خرج من باب مسلمه وما تبعه أحد، ومضى إلى حلب، وعاد بعد ذلك إلى أنطاكية، واتصل خبر عودته بأبي الطيب وهو بالرملة، فسار إلى طرابلس فعاقه ابن كيغلغ على ما تقدم ذكره ثم سار إلى أنطاكية فقال يمدح أبا العشائر:

مبيتي من دمشق على فراش حشاه لي بحر حشاي حاش

حشاه: فعل ماض. وفاعله: حاش، وحشاي اسم. والجمع: أحشاء.

يقول: كأنني من شدة الحزن وبعد النوم عني، على فراش قد حشي بما أجده من حرارة الشوق، فكأن حرارة حشاي نقلت إلى فراشي، وحشي بحرارتها.

شبه حرارة الفراش بحرارة أحشائه.

لقى ليلٍ كعين الظبي لوناً وهم كالحميا في المشاش

اللقى: الملقى. والحميا: الخمرة. وقيل: سورة الخمر. والمشاش: جمع مشاشة، وهي عظم رخو يمكن أكلها، ولوناً: نصب على التمييز.

يقول: أنا مطروح أو كالمطروح على فراشي، في ليل كأن سواده عين ظبي وأنا مطروح وهو يدب في عظامي كما يدب الخمر.

وشوقٍ كالتوقد في فؤادٍ كجمرٍ، في جوانح كالمحاش

المحاش والمحاش: لغتان، وهو ما أحرقته النار وقيل: هي خشبة يحرك بها التنور من خشب النار لتقد، فأصله الإدغام، غير أنه خفف.

يقول: إنا لفي شوق، كأنه في التوقد، في فؤاد هو كالجمر، وذلك الفؤاد في جوانح وهي الأضلاع كأنها المحاش: وهو ما أحرقته النار.0 شبه الشوق بالتوقد، والفؤاد بالجمر، والجوانح بشيء أحرقته النار.

سقى الدم كل نصلٍ غير نابٍ وروى كل رمحس غير راش

النابي: الكليل. يقال نبا السيف ينبو نبواً: إذا ضربت به فلم يقطع، ورمح راشٍ: أي غير ضعيف.
يدعو للرمح والسيف وبالسقيا فيقول: سقى الدم الذي هو كالماء كل سيف حاد غير نابي الضربة، وروى الدم أيضاً كل رمح غير ضعيف. فكأنه قال لا زالت السيوف والرماح تقتل الأعداء.

فإن الفارس المنعوت خفت لمنصله الفوارس كالرياش

المنعوت: أي الموصوف بالشجاعة المعروفة.
روى المبغوت وهي رواية ابن جنى أي الذي يؤتى على بغتة ولم يعلم هو والرياش: جمع ريش. والريش جمع ريشة.
يقول: إنما دعوت للسيف، لأن الممدوح لما فاجأته الخيل فرقها بسيفه، فصارت الفوارس لسيفه في الخفة بمنزلة الرايش.

فقد أضحى أبا الغمرات يكنى كأن أبا العشائر غير فاش

الغمرات: الشدائد. واسم أضحى ضمير الفارس المنعوت، ويكنى موضع الخبر، وأبا الغمرات: المفعول الثاني من يكنى، والأول ضمير الفارس، وهو في موضع الرفع. يقال: كنيت الرجل: أبا عبد الله. فإذا أسند إلى المفعول قيل: كنى الرجل أبا عبد الله، ويعدى بحرف الجر أيضاً فيقال: كنيت الرجل بأبي عبد الله. وكنو الرجل لغة.

يقول: إن أبا العشائر لكثرة ملابسته الحروب والشدائد صارت كنيته أبا الغمرات حتى كأن كنيته المعروفة التي هي أبو العشائر غير ظاهرة ولا معلومة.

وقد نسي الحسين بما يسمى ردى الأبطال أو غيث العطاش

يقول: إنه كثر منه البأس والجود. فكل أحد يسميه. إما: ردى الأبطال. وإما: غيث العطاش. ونسي اسمه الذي سماه به أبواه المعروف المشهور.

لقوه حاسراً في درع ضربٍ دقيق النسج ملتهب الحواشي
كأن على الجماجم منه ناراً وأيدي القوم أجنحة الفراش

الفراش: جمع فراشة وهي دويبة تدور حول السراج فتسقط فيه، والهاء في منه للممدوح أو القرب، وقيل: للسيف. فأضمره وإن لم يجر له ذكر.
يقول: من شدة ضربة الجماجم صار كأن عليها ناراً، وكأن أيدي القوم المتطايرة بالسيف عند ضربه

إياها كالفراشات التي تطير حول النار، فإن كانت الهاء للسيف فمعناه: كأن السيف على رءوسهم مثل النار وأيدي القوم حول هذه، كأجنحة الفراش حول النار، فكأن هذه الأيدي تجيء لتأخذ السيف فيقطعها، ومثله لحارث ابن أبي شمر:

والبيض تختلس النفوس كأنما يوقدن في حلقٍ المفاوز نارا

كأن جواري المهجات ماءٌ يعاودها المهند من عطاش

أراد بالمهجات ها هنا: الدماء. والعطاش: داء يأخذ الإبل فلا تروى من الماء. وقيل هو لفظ العطش. والهاء في يعاودها للمهجات ويروى: يعاوده فيكون للماء.

يقول: كأن الدماء الجارية في قلوب الأعداء وجسومهم ماء، وكأن السيف به عطاش فهو يعاوده ولا يروى منه.

فولوا بين ذي روحٍ مفاتٍ وذي رمقٍ، وذي عقلٍ مطاش

مفات: جر لأنه نعت لروح، ومطاش: جر لأنه نعت لعقل. يقال: طاش السهم أو طاشه غيره.

يقول: أدبروا من بين يديه، وهم ثلاثة أقسام.

منهم قتيل قد فارق روحه، ومنهم من لم يبق له إلا بقية رمقه، ومنهم من طاش عقله وزال من شدة الخوف. واستوفى الأقسام في بيت واحد.

ومنعفرٍ، لنصف السيف فيه تواري الضب، خاف من احتراش

المنعفر: الساقط على العفر، وهو التراب. والاحتراش: الاصطياد، يقال احترشت الضب وحرشته، وذلك أن يأتي الرجل باب جحر الضب فيمر بيده عليه فيظن الضب أنه حية، فيخرج ذنبه ليضربها به، فيأخذه الرجل. وروى لنصل السيف. ومنعفر قيل: عطف على الأقسام المتقدمة أي وذي منعفر. وقيل: معناه ورب عدوٍّ منعفر قد غاب نصف السيف فيه أو نصله مثل ما يغيب الضب في الجحر إذا خاف الاحتراش به، أي الاصطياد.

يدمي بعض أيدي الخيل بعضاً وما بعجايةٍ أثر ارتهاش

العجاية: عصب فوق الحافر. والارتهاش: أن يصطك عرقوباه فتقرح رواهشه وهو باطن الذراع.

المعنى: أن الخيل انهزمت من بين يديه وازدحمت في الهزيمة، وقصت حوافر بعضها بعضاً، حتى دميت أيديها، ولم يكن ارتهاش.

ورائعها وحيدٌ لم يرعه تباعد جيشه والمستجاش

رائعها: أي مفزعها. والمستجاش: من يطلب منه الجيش، وأراد به سيف الدولة، وقيل أراد العسكر: أي المستجاش فيه.

يقول: إن مخوف هذه الخيل كان وحيداً ليس معه أحد من جيشه، ولم يفزعه بعد جيشه بعد من يستمد منه الجيش.

كأن تلوي النشاب فيه ... تلوي الخوص في سعف العشاش

الخوص: ورق النخل. والسعف: الجريد الذي عليه الخوص، والعشاش: جمع عشة، وهي النخلة التي عطشت، فيقصر سعفها ويضعف.

يصف النشابة التي أصابته في خده، فشبهه بنخلة، وشبه النشابة بخوص سعفها قد تلوى على السعفة، وذلك لضعف الخوص ويبسه؛ لأنه إذا كان رطباً قوياً لا يتلوى على السعف، فكأنه لقلة مبالاته بها شبهها بتلوي الخوص على سعفه.

ونهب نفوس أهل النهب أولى ... بأهل المجد من نهب القماش

القماش: الأثاث المجموع من كل صنف.

يقول: إن أهل المجد والهمة العالية همتهم استيلاب النفوس وقتل الأبطال، دون الاشتغال بسلب القماش والغنائم ومثله لأبي تمام:

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

تشارك في الندام إذا نزلنا ... بطانٌ لاتشارك في الجحاش

الندام: المنادمة. والبطان: جمع بطين والجحاش: المجاحشة، وهي المقاتلة والمدافعة.

يعرض بقوم خذلوه ذلك الوقت فيقول: إذا كان يوم شرب ومنادمة شاركوه في الأكل والشرب ولا يشاركونه في القتال والدفاع! ومثله قول الآخر:

يفر عن الكتيبة حين يلقى ... ويثبت عند قائمة الخوان

ومن قبل النطاح وقبل يأتي ... تبين لك النعاج من الكباش

روى: يأنى أي يحين من قولهم: أنى يأنى، وروى يأتى أي يجيء. والنطاح. أصله ضرب الكباش بالقرون، ثم استعمل في كل محاربة.

المعنى: أن الشجاع يعرف من الجبان قبل المحاربة وقبل وقتها فجعل الكباش مثلاً للشجعان والنعاج مثلاً للأراذل والجبناء.

فيا بحر البحور ولا أوري ويا ملك الملوك ولا أحاشي

لا أوري: أي لا استر قولي لك يا بحر البحور، هذا ولا أحاشى أي لا أستنثي أحد من قولي لك يا ملك الملوك.

قال ابن جنى: وربما كان ينشد المتنبي ويا بدر البدور مكان قوله يا ملك الملوك.

كأنك ناظرٌ في كل قلبٍ فما يخفى عليك محل غاش

الغاشي: القاصد، يقال: غشيه يغشاه إذا قصده.

يقول: أنت عارف بمن يقصدك، ولا يخفى عليك محله، فتترل كلاً مترلته الذي يستحقها، فكأنك مطلع على أسرار القلوب.

وقيل: أراد بالغاشي من الغش فخفف. والأول أولى أي من نزل بك فلا يخفى عليك محله.

أأصبر عنك لم تبخل بشيءٍ ولم تقبل علي كلام واش؟

كان قد وشى بالمتنبي بعض من يعاديه إلى أبي العشائر، فلم يسمع منه وأنفذ عقيب هذه الوشاية إليه مالاً فهذا هو المراد بالبيت.

وكيف وأنت في الرؤساء عندي عتيق الطير ما بين الخشاش

عتاق الطير: كرامها. والخشاش: صغارها.

يقول: كيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء في الفضل، كالبازي بين صغار الطير.

فما خاشيك للتكذيب راجٍ ولا راجيك للتخييب خاش

يقول: إن من يخافك حل به بأسك ووقع به سخطك، فلا يرجو تكذيباً لما يخافه، ومن يرجوك لا يخاف أن يكذب رجاؤه، فأنت تصدق ظن من يخافك ويرجوك.

وقيل معناه: ليس يرجو من يخشاك أن يلقى من يكذبه ويخطئه في خوفه، لأن الناس كلهم يخافون منك

تطاعن كل خيلٍ سرت فيها ولو كانوا النبيط على الجحاش

النبيط: أهل السواد بالعراق. وقيل أراد به: العجم.

يقول: كل خيل سرت فيها وبينها كانت الغلبة لهم، ولو كانوا نبطاً على حميرهم؛ لأنهم يشجعون بك ويصيرون أفرس الناس وأطعنهم. والجحاش: جمع جحش وهو ولد الحمار.

أرى الناس الظلام وأنت نورٌ		وإني فيهم لإليك عاش

العاشي: القاصد ليلاً.

يقول: الناس كالظلام في الليل، وأنت فيما بينهم كالنور، وأنا ناظر بين الناس إليك، وقاصد نحوك مستضيء بنورك. والأصل فيه قول الخنساء:

وإن صخراً لتأتم الهداة به		كأنه علمٌ في رأسه نار

بليت بهم بلاء الورد يلقى		أنوفاً هن أولى بالخشاش

الخشاش: الخشبة التي تكون في أنف البعير، فإن كانت من شعر قيل له: خزام، وإن كانت من ضفرٍ فهو: برة. والضمير في بهم للناس.

يقول: تأذيت بهؤلاء الناس الذين لا يشاكلونني، كما يتأذى الورد من شمه، بأنوف الذين هم بمترلة البهائم! وقيل معناه: إني أتأذى بهم كما يتأذى الورد بأنوف الإبل، وروى بالحشاش وهي الكنف.

عليك إذا هزلت مع الليالي		وحولك حين تسمن في هراش

الهراش والتهاريش: هو مخاصمة الكلاب.

يقول: هؤلاء الناس عليك مع الليالي، أي صاروا لأعدائك مع الزمان وحوادثه، إذا هزلت: أي أصابتك نوائب الدهر. ويصيرون حولك ومعك حين تسمن. أي إذا ساعدك الزمان كانوا معك يهارش بعضهم بعضاً في طلب النفع منك. ومثله لإبراهيم بن العباس:

وكنت أخي بإخاء الزمان		فلما انثنى صرت حرباً عوانا

وكنت أعدك للنائبات		فها أنا أطلب منك الأمانا

والمقصود وصفهم بدناءة الأصل.

أتى خبر الأمير فقيل كروا		فقلت نعم ولو لحقوا بشاش

وروى: أجل والشاش: بلدة بالترك. وروى: كروا بفتح الكاف وهي رواية ابن جنى.

والمعنى: بلغنا خبر الأمير وهزيمة الخيل منه. وقيل لنا: كروا عليهم. أي عطف الأمير وأصحابه على الخيل فقلت: نعم ولو أنهم لحقوا في الهزيمة بشاش، لوثقت بعودته وكره عليهم.

وروى كروا على الأمير. والمعنى: أتى خبر الأمير بظفره بالعدو فقيل لنا يا معاشر أصحابه اللائذين به

كروا فقلت نعم ولو كانوا بشاش. أي لو كان البعد بيننا وبين الأمير مثل ذلك للحقنا به، وقوله بعد ذلك وأسرجت الكميت يدل عليه.

يقودهم إلى الهيجا لجوجٌ يسن قتاله والكر ناش

اللجوج: المتمادي في الشيء، الذي لا ينثني عنه، ويبالغ فيه. ويسن: أي يبالغ فيه، حتى يعظم ويكبر من المسن والمسنة. وناش: أي ناشيء، أي في أوله: يقول: يقود العسكر إلى الحرب. لجوج: أي مبالغ في الحرب، ليسن قتاله: أي يصير إلى آخر القتال، ومع ذلك فإن كره لا يصير إلى آخره، بل ينشأ شيئاً فشيئاً يعني أن قتاله قد بلغ الغاية، وكر في أول حاله كالغلام الناشيء.

وأسرجت الكميت فناقلت بي على إعقاقها وعلى غشاش

الكميت: يستعمل في الذكر والأنثى، وناقلت بي: أي أسرعت. وقيل: أدامت السير. وقيل المناقلة: أي تضع رجلها مكان يدها، وإنما تفعل ذلك في الأرض الكثيرة الأحجار. والإعقاق: مصدر أعقت الدابة. إذا عظم بطنها من الحمل. وقيل: إذا نبت شعر الجنين الذي في بطنها. والغشاش: العجلة. يقول: لما أتاني خبره، أسرجت فرسي وركبتها على سرعة، وهي عقوق ولم أشفق عليها.

من المتمردات أذب عنها برمحي كل طائرة الرشاش

يعني: أن الكميت من الخيل المتمردات التي لا تبالي بشيء، ولا يقدر على الوصول إليها لسرعتها وخبثها وذلك من قوله تعالى: "شيطانٍ مارد".

يقول: إنها من الخيل المتمردات، وإني أدفع عنها برمحي، كل دم رشاش. أي أني أذب عنه بنفسي ورماحي كل من يريد عقرها، وأدفع عنها كل طائرة الرشاش: أي كل دم ينط عند الطعن ويرش وينتضح.

ولو عقرت لبلغني إليه حديثٌ عنه يحمل كل ماش

يقول: لو عقرت هذه الفرس تحتي، لبلغني إليه حسن الحديث الذي أسمعه عنه، وهذا الحديث يحملني إليه لأنه يحمل كل ماش وإن لم يكن له فرس.

إذا ذكرت مواقفه لحافٍ وشيك فما ينكس لانتقاش

شيك: أي إذا دخل في رجله شوك والتنكس: هو تنكيس الرأس. لإخراج الشوك من الرجل، والانتقاش: إخراج الشوك. ومنه: المنقاش ومعناه: إذا ذكرت مواقفه في الحروب للحافي: الذي لا حذاء له، وشيك في رجله، فإنه لا ينكس رأسه لإخراج الشوكة من رجله، لما داخله من الخوف

والتحير، إذا سمع ذلك تاق ورغب في صحبته فأسرع إليه ولم يلو على شيء، كما فعلت.
وقيل: إذا ذكرت مواقفه في السخاء للإنسان وكان حاف، ودخل الشوك في رجله فإنه لا ينكس رأسه إلى أسفل لاستخراج الشوكة من رجله بل يسرع إليه، لما تقو الدواعي في الاحتياج إليه. هذا تفسير أبي الفتح.
وقيل: إن أحاديثه الحسنة تؤدي سامعها أنه إذا أصابت رجلهشوكة لم يشعر بها فلا يقطع الحديث لحسنه، ولا ينكس رأسه لإخراجها.

يزيل مخافة المصبور عنه ... ويلهي ذا الفياش عن الفياش

الفياش: المفاخرة، وأكثره في الباطل. روى ابن جنى قال: تلهى بمعنى تزيل على الخطاب للمدوح.
وقيل: إن التاء راجع إلى المواقف، أي إن المواقف تزيل وتلهى.
يقول على الخطاب: إنك تزيل مخافة المحبوس بأن تخلصه من الأسر والحبس، وتنسي صاحب الفخر فخره؛ لأنه إذا نظر في أوصافك علم بقصوره عنك فيمتنع عن الفخار.
وعلى الخبر عن المواقف يقول: إذا سمع مواقفه: من جنس القتل وغيره، أنساه ذكرها وحسنها ما هو فيه من الخوف، فإذا سمع مفاخرة أنساه ذكر مفاخرته.

وما وجد اشتياقٌ كاشتياقي ... ولا عرف انكماشٌ كانكماشي

يقول: كل أحد يشتاق إلى لقائك، وينكمش نحوك. ولكن ليس لأحد شوق مثل شوقي إلى لقائك ولا اجتهاد لأحد، مثل اجتهادي في المسير إليك.

فسرت إليك في طلب المعالي ... وسار سواي في طلب المعاش

يقول: إنما قصدتك لأبلغ المنازل الرفيعة والمراتب السنية، وقصدك غيري لطلب المعاش، واقتناء الرياش، فلهذا صار شوقي أكثر وانكماشي أقدر.
وخرج أبو العشائر يوماً يتصيد، وخرج أبو الطيب معه، فأرسل بازياً على حجلة فأخذها فقال أبو الطيب يصف ذلك:

وطائرةٍ تتبعها المنايا ... على آثارها زجل الجناح

تتبعها: أي تتبعها، فحذف إحدى التاءين. والزجل: الصوت.
يقول: رب قبجةٍ رائشها يطير، وخلفها بازٍ يريد صيدها، فكأن المنايا تطلبها.

كأن الريش منه في سهامٍ على جسدٍ تجسم من رياح

الهاء في منه لزجل الجناح. وهو البازي، شبه ريشه بريش السهام؛ للسرعة، فيكون ريشه في نفس السهام، والسهام ظرف له.

ومعناه: كأن ريشه سهام على جسم يكون من ريح، لأن الريش سبب لقتل الطائر، كما أن السهام سبب للقتل.

وقيل في بمعنى على أي كأن ريشه على سهام كانت بهذه الصفة.

كأن رءوس أقلامٍ غلاظاً مسخن بريش جوجئه الصحاح

غلاظاً: نصب لأنه صفة لرءوس والصحاح: بمعنى الصحيح. وروى بالكسر: وهو جمع الريش. وقد يكون واحداً وجمعاً. والصحاح: نعت للريش. شبه السواد الذي في صدر الباز بآثار مسح رءوس الأقلام الغلاظ، وهو تشبيه مصيب. ويجوز أن يكون الصحاح بالفتح: صفة الجؤجؤ.

فأقعصها بحجنٍ تحت صفرٍ لها فعل الأسنة والرماح

يقال: طعنه فأقعصه. إذا قتله مكانه، بحجنٍ: أي بمخالب معقفة، وهو جمع أحجن. وتحت صفر: وهي أصابعه ورجله.

يقول: قتلها البازي بمخالبه أي أظفاره التي تحت أصابعه، وهذه المخالب لها فعل الأسنة والرماح. وهو القتل؛ لحدتها.

فقلت :لكل حيٍّ يوم سوءٍ وإن حرص النفوس على الفلاح

الفلاح: البقاء. وقيل الفلاح: الظفر بالخير.

يقول: كل حيٍّ لابد له من يوم سوء، يوافيه أجله فيه وإن حرص الناس على البقاء، فلا سبيل لهم إليه.

فقال له أبو العشائر أفي هذه الساعة قلت هذا؟! فقال مجيباً له على تعجب أبي العشائر لسرعة بديهته:

أتنكر ما نطقت به بديهاً وليس بمنكرٍ سبق الجواد؟ !

بديهاً: مصدر في موضع الحال. يقول: لا تنكر بديهتي ولا تستبعد ارتجالي الأشعار، وأنا في ذلك بمترلة الجواد، فإنه لا يستنكر منه سبق سائر الخيل.

أراكض معوصات القول قسراً فأقتلها وغيري في الطراد

أراكض: أي أسابق، وأجاري. والمعوص والعواص: الصعب.
يقول: إذا حاولت معنىً عويصاً من الشعر فرغت منه، وغيري بعد في التفكير.
ودخل عليه وعنده إنسان ينشده شعراً وصف به بركةً في داره فقال يمدح أبا العشائر:

لئن كان أحسن في وصفها   لقد ترك الحسن في الوصف لك

يقول: إن كان قد أحسن في وصف هذه البركة، فقد ترك الحسن في وصفك وهو أولى من وصف البركة وأجمل.

لأنك بحرٌ وإن البحار   لتأنف من حال هذي البرك

يقول: أنت بحر، والبحار تأنف من ماء هذه البركة. وهذا الوصف الذي وصفه، وهذه الأوصاف، دون الأوصاف التي أنت عليها.

كأنك سيفك لا ما ملك   ت يبقى لديك ولا ما ملك

يقول: أنت مثل سيفك، إذا ملكت مالاً فرقته وأفنيته، والسيف إذا ملك مهجة أسالها وأفناها، فتبذل أنت ما ملكت، وتقتل بسيفك من وصل إليه.

فأكثر من جريها ما وهبت   وأكثر من مائها ما سفك

الهاء في جريها ومائها للبرك. يقول: هباتك أكثر من مائها الجاري والدماء التي يسفكها سيفك أكثر مما فيها من الماء.

أسأت وأحسنت عن قدرةٍ   ودرت على الناس دور الفلك

يقول: أسأت إلى أعدائك، وأحسنت إلى أوليائك، باختيار منك وقدرة، وأنت الدائر على الناس بالخير والشر، والإساءة والإحسان، والسعد والنحس، دور الفلك الدوار، إلا أنه لا اختيار له ولا قدرة، وأنت تفعل ما تفعله عن قدرة واختيار، فأنت الفلك الدائر في الحقيقة، وأنت أفضل منه للوجه المذكور.
وقال يمدحه ويذم قوماً من المتكسبة بالشعر:

لا تحسبوا ربعكم ولا طلله   أول حيٍّ فراقكم قتله

الربع: المترل، وجعل العمارة حياة له فسماه حياً، لأن أضاف أول إليه، وجعل التفصيل مضافاً إليه ما هو بعض منه. وجعله قتلاً له على المجاز.
يقول لأحبابه لما فارقهم: ليس هذا الربع بأول هالك بسبب فراقكم، بل قد تلف مترلكم وعفا رسمه،

ودرس أثره، فكأن فراقكم قتله، وهذا الربع ليس بأول حي قتله فراقكم. وقد بين ذلك فيما بعده بقوله:

قد تلفت قبله النفوس بكم وأكثرت في هواكم العذله

الهاء في قبله للربع. يقول: ليس هذا الربع بأول كثير العذل بسبب فراقكم، وقد أكثر العذل في حبكم، فلم يكف أحد من العشاق عن هواكم، لأجل عذل العذال. والعذلة: جمع عاذل.

خلا وفيه أهلٌ وأوحشنا وفيه صرمٌ مروحٌ إبله

الصرم: جماعة من البيوت بمن فيها أهله والمروح: الذي يرد إبله عن المرعى في الرواح، والهاء في فيه في الموضعين للربع وفي إبله للصرم.

يقول: لما ارتحل عنه من كنت أحبه، رأيته وإن كان عامراً بأهله موحشاً، وإن كان فيه بيوت وجماعة من الناس، ويروحون إبلهم إليه.

لو سار ذاك الحبيب عن فلكٍ ما رضي الشمس برجه بدله

برجه: فاعل رضي. ومفعوله: الشمس وهو أولى.

يقول: لو كان هذا الحبيب في فلك فسار عنه وحلت الشمس موضعه، لما رضي بها برجه الذي كان يحله، بدلاً منه.

أحبه والهوى وأدوره وكل حبٍ صبابةٌ ووله

الصبابة: شدة الشوق. والوله: ذهاب العقل.

يقول: أحب هذا الحبيب، وأحب أن أحبه! وأحب منازله لأجله، وكل حب فيه صبابة وشدة شوق وجنون وتحير.

وقيل: الواو في قوله: والهوى واو القسم. أي وحق الهوى، فيكون مجروراً.

ينصرها الغيث وهي ظامئةٌ إلى سواه وسحبها هطله

الهاء في ينصرها للأدؤر. أي: يكسوها العشب. يقال: أرض منصورة. إذا سقيت.

يقول: الغيث يسقيها وهي عطشى. إلى سوى الغيث، وهو الحبيب الذي ارتحل عنها، وسحب هذه الديار هاطلة بالمطر ولا تحتاج إليه.

وقيل معناه: إن هذه الأدؤر يصيبها المطر فيكسوها العشب فتستدعي معاودة من رحل عنها، وهو

الحبيب. يقال: دار بني فلان منصورة. أي عادها من كان رحل عنها، ولهذا دعت العرب لديار أحبابها بالسقيا، ليعودوا إليها.

واحرباً منك يا جدايتها مقيمةً فاعلمي ومرتحله !

روى واحرباً، واحزناً لجداية أي وا أسفاً، واهلاكاً.

كأنه يقول: يا ظبية هذه الدار، ويلي منك! سواء كنت مقيمة أو مرتحلة؛ لأنك إن اقمت فممنوعة، وإن ارتحلت، حال البعد بيننا.

لو خلط المسك والعبير بها ولست فيها لخلتها تفله

العبير: الزعفران، عن أبي عبيدة. وقيل: أخلاط من الطيب فيه الزعفران، عن الأصمعي. والتفلة: المتغيرة الريح.

يقول: لو خلط المسلك والزعفران بتراب هذه الأدؤر، ولم تكوني فيها لظننت أنها متغيرة الريح لأن طيبها بك أنت!

أنا ابن من بعضه يفوق أبا ال باحث والنجل بعض من نجله

النجل: الولد والهاء في بعضه لمن الأولى وفي نجله لمن الثانية. ويريد بالباحث: إنساناً كان يبحث عن أصله، ويطعن في نسبه.

يقول: أنا ابن الرجل: الذي بعض ذلك الرجل: أي نفسه. يفوق والد الباحث، الذي يبحث عن فضل أبي، فإذا كنت أفضل من أبيه فالرجل الذي أنا بعضه لاشك في انه أفضل منه بكثير؛ لأن الولد بعض من ولده.

وإنما يذكر الجدود لهم من نفروه وأنفدوا حيله

نفروه: أي غلبوه بالنفر. يقال: نافرته. أي فاخرته بكثرة النفر فغلبته. يقول: أنا غني بفضلي عن الافتخار بجدودي، وإنما يفخر بالجدود من ليس يفضل في نفسه. فغلبه المفاخرون وأنفدوا حيله، فحينئذ يفتخر بآبائه وفضلهم.

فخراً لعضبٍ أروح مشتمله وسمهريٍّ أروح معتقله

مشتملة: أي مقلدة. يقول: لأفخر بالسيف فخر، حيث أتقلد به. والرمح حيث أمسكه بيدي؛ لأني إذا استعملتها كفاني فخراً وشرفاً.

وليفخر الفخر إذا غدوت به مرتدياً خيره ومنتعله

الهاء في خيره وفي به للفخر وفي منتعله لخير.

يقول: كل شيء يفتخر بي، حتى الفخر يفتخر بأن ألبسه، فأرتدي به وأنتعله؛ لأني أعلى من الفخر.

أنا الذي بين الإله به الأق ... دار والمرء حيثما جعله

يقول: أنا الذي جعلني الله تعالى من الفضل والكمال، فقدر كل إنسان يتبين إذا قدر بفضلي، وفيس محله إلى محلي.

وقيل معناه: إن أقدار الناس تتبين بمدحي أو هجوي، فمن مدحته رفعت قدره، ومن هجوته وضعت قدره وأخملت ذكره، والهاء في جعله قيل: ترجع إلى اسم الله تعالى، وقيل: إلى المرء. أي حيثما جعل نفسه. قلت: ويجوز أن يكون راجعاً إلى الضمير الذي في أنا الذي بين الإله به أي المرء حيثما جعله هذا الرجل الذي بين الله به الأقدار.

جوهرةٌ تفرح الشراف بها ... وغصةٌ لا تسيغها السفله

يقول: أنا جوهرة تفرح الكرام بها. يعني: إذا مدحت شريفاً يفرح بي؛ لأني أناسبه، وكل لئيم يحسدني ويراني غصة له في صدره، لقصوره عني ولازدرائي به، فنظير الأول قول الشاعر:

وكل امرىءٍ يصبوا إلى من يجانس

ونظير المصراع الثاني قول الشاعر:

والجاهلون لأهل العلم أعداء

إن الكذاب الذي أكاد به ... أهون عندي من الذي نقله

الكذاب: مصدر كذب، أو كاذبني. وروى أكايده من الكيد.

يقول: إن الكذب الذي يكيدني به حسادي، لا أبالي به، وهذا الكذب أهون وأقل وزناً من الكاذب الذي نقل هذا الكذب، ولا قدر له.

فلا مبالٍ، ولا مداجٍ، ولا ... وانٍ، ولا عاجزٌ ولا تكله

المدجي: الساتر للعداوة، أي لا أدري هذا الحاسد، ولا أساتره ولا أواني. أي لست بضعيف عاجز مقصر في أمري. وروى ولا فان من قولهم: شيخ فان: أي ضعيف، ميتاً في الضعف. والتكلة: الضعيف الذي يكل أمره إلى غيره.

يقول: لا أبالي بهم لقلتهم ولا أؤاخيهم لخستهم، ولا أعجز عن مكافأتهم، ولا أستعين بأحد على نكايتهم.

ودارعٍ سفته فخر لقىً — في الملتقى والعجاج والعجله

العجلة: السرعة. وقيل: أراد به الطين. وفي القرآن: "خلق الإنسان من عجل". وسفته: ضربته بسيفي.

يقول: كم دارع. أي ورب دارع ضربته بالسيف عند الملتقى في الحرب فصرعته لوجهه على الغبار في الطين بسرعة.

وسامعٍ رعته بقافيةٍ — يحار فيها المنقح القوله

المنقح: المهذب. وقوله: القولة أي الكثير القول. وقيل الجيد القول.

يقول: رب سامع خوفته بقصيدة حسنةٍ يتحير فيها الشاعر الفصيح المهذب لقوله وبجيد شعره. يصف نفسه بالفصاحة وجودة الشعر.

وربما أشهد الطعام معي — من لا يساوي الخبز الذي أكله

أشهد: فعل ما لم يسم فاعله، والطعام: مفعوله الثاني. واسمه من. كأنه يعرض بأبي العشائر بأنه لم يميزه عمن دونه.

ومعناه: أني مع فضلي ربما أواكل من لا يساوي ما يأكله من الطعام، وروى: يشهد وهو مضارع أشهد واسمه الضمير المستكن والطعام مفعوله الثاني.

ومعناه على هذا: وربما يشهد الطعام معي من لا يساوي الخبز الذي يأكله ومثله لابن بابك:

لا غرو إن جمعتنا دار مفضيةٍ — فالصيد يجمع بين الكلب والبازي

ويظهر الجهل بي وأعرفه — والدر درٌّ برغم من جهله

فيه وجوه: أحدها: أن الذي أواكله يظهر أنه جاهل بي! وأنا أعرفه على خموله ومعناه كيف يجوز ألا يعرفني وأنا في الظهور كالشمس وهو خامل مغمور؟! والثاني: أني عارف بفعله إنه يظهر الجهل بي مع أنه يعرفني.

والثالث: أنا أعرف جهله بي. ثم قال: والدر در برغم من جهله وهذا مثلٌ. أي لا يضرني جهل من لا يعرف فضلي، كما أن الدر لا يحط قيمته جهل من لا يعرف قدره وقيمته.

مستحيياً من أبي العشائر أن — أسحب في غير أرضه حلله

يقول: إني إنما أحتمل معاشرة الأردياء، وأكون مع من لا يرى فضلي مستحياً منه أن أرتحل من بابه وأسحب حلله في غير أرضه ومحله.

أسحبها عنده لدى ملكٍ ثيابه من جليسه وجله

قول: لدى ملك بدل من عنده. يقول: أسحب هذه الحلل عند ملك ثيابه خائفة من جليسه؛ لأنه أبداً يخلع ثيابه على من يجالسه فهي تخاف أن يترعها ويلبسها لجليسه، لأنها لا تتشهي مفارقته تشرفاً بكونها عليه.

وبيض غلمانه كنائله أول محمود سيبه الحمله

البيض: جمع أبيض، أي غلمانه البيض من جملة نائله: أي عطائه.

يعني: أنه يهب البدور والخلع والغلمان الذين يحملونها، فالحملة لنائله أول محمول إلى المعطى له.

مالي لا أمدح الحين ولا أبذل مثل الود الذي بذله

معناه: كيف لا أمدحه ولا أوده مثل ما يودني وأحبه مثل ما يحبني!؟ وجعل الممدوح ممن يحبه تعظيماً لنفسه ورفعاً لقدره.

أأخفت العين عنده خبراً؟ أم بلغ الكيذبان ما أمله !

الكيذبان: الكثير الكذب.

يقول: مالي لا أمدحه؟! ثم يقول: هل الكذاب الساعي بالنميمة بلغه أحوالي، كأنها خافية عنه. وهو معنى قوله: أأخفت العين أي أخفت عينه عنده خبري في المحبة له، أم بلغ ما كان يتمناه من فساد الحال بيني وبينه.

وقيل معناه: أخفت عيني عن قلبي خبر هذا الرجل في الإحسان إلي. وقيل أراد بالعين: الرقيب، وأنثه تشبيهاً بالعين التي هي الجارحة. أي أخفى الرقيب عنده خبري في الموالاة، فأخبره بخلاف ما أنا عليه، حتى يفسد ما بيني وبينه من الموالاة والمحبة.

أم ليس ضراب كل جمجمةٍ منخوةٍ ساعة الوغى زعله

المنخوة: المملوءة. من النخوة، وهي الكبر. وزعلة: أي مرحة بطرة.

يقول: لم أمدحه كأنه غير شجاع يضرب في الحرب رءوس الأبطال المتكبرين الذين في رءوسهم النخوة وفي قلوبهم المرح والبطر. وقوله: ساعة الوغى ظرف لنخوه: أي منخوة حالة الحرب، ولو جعله ظرفاً لضراب لجاز أن يضرب ساعة الوغى زعلة.

وصاحب الجود ما يفارقه لو كان للجود منطقٌ عذله

صاحب: نصب عطفاً على قوله: ضراب كل جمجمةٍ؛ لأنه خبر ليس. يعني أنه قد بلغ في السخاء حداً لو كان له لسان لعذله.

وراكب الهول ما يفتره لو كان للهول محزمٌ هزله

المحزم: موضع الحزام. والهاء في ما يفتره للهول الأول، وفي هزله للهول الثاني، وقيل للمحزم.

يقول: هو يركب الهول ولا يفتره أي لا يترل عنه ساعة، فلو كان الهول مركوباً يشد عليه الحزم لهزله وأذاب لحمه، من كثرة ركوبه إياه.

وفارس الأحمر المكلل في طيىءٍ المشرع القنا قبله

الأحمر: فرسه الذي ركبه يوم وقعته بأنطاكية، والمكلل: بكسر اللام الأولى هو الحاد الماضي، فإن جررته فهو صفة للفرس وإن نصبته فهو صفة للممدوح وإن فتحت اللام الأولى وجررته فهو صفة للفارس. أي الملك المتوج، وإن نصبته فهو صفة للفرس وهو الذي على رأسه شبه الإكليل. والقنا، وإن كان جمعاً قد ذكر حيث قال: المشرع القنا لأنه أراد به الجنس. وروى المشرع فعلى هذا يكون صفة لطيىءٍ إنه كان فارس هذا الفرس في وقت إشراع الرماح قبله.

لما رأت وجهه خيولهم أقسم بالله لا رأت كفله

الهاء في كفله للممدوح. وقيل: إنه راجع للأحمر المكلل وهو الفرس..

يقول: لما رأت خيول الأعداء وجهه أقسم هو بالله ألا يولي ولا ينهزم، فلا يروا له قفاً.

فأكبروا فعله وأصغره أكبر من فعله الذي فعله

روى: أصغر بفتح الراء على الفعل الماضي، وفاعله أبو العشائر. وأكبر على هذا خبر ابتداء محذوف. أي: هو أكبر. وقيل: إنه مبتدأ والذي خبره. والمعنى: أنهم استعظموا فعله واستصغره هو، ثم قال: هو أكبر من فعله. أي هو أعظم من فعله وإن كان عظيماً وكل فعل عظيم ففاعله أعظم منه كما قال أبو تمام:

أعاذلتي ما أحسن الليل مركباً وأحسن منه في الملمات راكبه

أي أصغره على المبالغة فيكون أصغر مبتدأ وما بعده خبر له. ومعناه أنهم استكبروا فعله، وأصغره ما يفعله هو أكبر من فعله الذي فعله عندهم فاستكبروه.

القاتل الواصل الكميل فلا بعض جميلٍ عن بعضه شغله

الكميل: المبالغة في الكامل.

يقول: هو يقتل أعداءه، ويصل أولياءه، وإنه كامل الفضل فيهما، فبعض فعله في الجميل لا يشغله عن بعض، بل يحسن في حال القتال وغيره.

فواهبٌ والرماح تشجره وطاعنٌ والهبات متصله

تشجره: أي تدخله. يعني أنه هو يهب أمواله، ويطاعن أعداءه في وقت واحد، فلا الحرب تشغله عن الجود ولا الجود يشغله عن الحرب.

وهذا تفسير للبيت الذي قبله.

وكلما آمن البلاد سرى وكلما خيف منزلٌ نزله

آمن: أي وجدها آمنة. وقيل معناه: كلما وافى بلداً أمن من الحرب، وسار من هناك إلى بلد آخر يفتحه، وكلما خيف مترل: إما من الدعار، أو من الأعداء نزله فأزال الخوف عنه.

وكلما جاهر العدو ضحىً أمكن حتى كأنه ختله

الختل: الخديعة. أي إذا قصد عدوه مجاهرة أمكن منه، حتى كأنه أتاه غفلة منه، فمجاهرته تقوم مقام ختل غيره.

يحتقر البيض واللدان إذا شن عليه الدلاص أو نثله

اللدان: الرماح اللينة. الواحد لدن. وشن الدرع: إذا صبها على بدنه. والدلاص: الدرع الصافية البراقة. ونثل الدرع، وشنها، وأفرغها، وصبها: إذا لبسها. وذكر الضمير في قوله: نثله وإن عاد للدرع؛ لأن الذرع يذكر ويؤنث يقول: إذا لبس درعه لا يبالي السيوف والرماح وغيرها.

قد هذبت فهمه الفقاهة لي وهذبت شعري الفصاحة له

الفقاهة: الفطنة والعلم بغوامض الأمور.

يقول: فقاهتي في الشعر وعلمي بغوامض المعاني هذبت فهم الممدوح، وبصرته جودة الشعر من رداءته، حتى لا يستحسن شعراً هو دون شعري، وكذلك فصاحته هذبت شعري، وحملتني على التحفظ فيه، وتنقيحة حتى جاء مهذباً من كل عيب ومثله لأبي تمام:

ولذاك شعري فيك قد سمعوا به سحرٌ وأشعاري لهم أشعار

فصرت كالسيف حامداً يده ما يحمد السيف كل من حمله

يقول: لما علمت بفصاحته، تأنقت في شعري، وهذبت ألفاظه، فصارت فصاحته سبباً إلى تجويد شعري، كما كان جودة ضربه وقوة ساعده سبباً لإظهار حد سيفه، فصار سيفه حامداً له حيث أظهر جودته، ثم قال: ما يحمد السيف كل من حمله يعني: أن السيف إذا كان في يد من لا يحسن الضرب نبا إن كان ماضياً، وإنما يعمل في يد الحاذق بتصريفه فلا يحمد السيف دون من لا يحسن الضرب به.

وجلس معه ليلة على الشراب فنهض لينصرف وقت انصرافه، فسأله الجلوس فجلس، فخلع عليه ثياباً نفيسة، ثم نهض لينصرف فسأله الجلوس فجلس، فأمر له بثمن جارية فحمل إليه، ونهض لينصرف، فسأله الجلوس بقود مهرة إليه، فقال له ابن الطوسي الكاتب: لا تبرحن الليلة يا أبا الطيب فأجابه:

أعن إذني تهب الريح رهواً	ويسري كلما شئت الغمام؟ !
ولكن الغمام له طباعٌ	تبجسه بها وكذا الكرام

يقول جواباً لذلك: لا أنصرف استزادةً مني لهباته، ليس عن أمري ولا كان طلبي من الرجل، إن ما ترى من جود الأمير ورجوليته، كرم طبعه يدعو إليه. كما أن الغمام ليسح ماؤه لطبعه، دون أن يبعثه عليه باعث، ولا يقدر أحد أن يحبس مطره، فكذلك هذا الرجل لا يمكنه أن يمتنع عن العطاء، لأن الله تعالى فطره على ذلك وروى: تبجسه بها ولها والهاء: للطباع وفي تبجسه للغمام.

وأراد أبو العشائر سفراً فقال أبو الطيب يودعه:

الناس ما لم يروك أشباه	والدهر لفظٌ وأنت معناه

المصراع الأول له معنيان أحدهما: أن الناس إذا لم تكن فيهم متساوون ليس لواحد منهم فضل على صاحبه، فإذا حضرهم فضلتهم فتفاوتوا بك،فصاروا المفضولين وأنت الأفضل. والثاني: أن الناس ما لم يروك فهم سواء، فإذا رأوك تفاضلوا في أقدارهم، فكل من رآك أكثر فهو أشرف، وكل من قربت مترلته منك فهو أفضل.

يريد: أن الناس إذا رأوه تعلموا أسباب الرياسة منه، واهتدوا بأفعاله إلى المكارم، فمن صحبه أكثر كان إلى السيادة أقرب.

وأما المصراع الثاني فمعناه: أن الأفعال التي تنسب إلى الدهر من إعزاز وإذلال، وإحسان وإساءة، إنما هي عبارة عنه وإنها تنسب إليه بالقول، وإلا في الحقيقة فأنت فاعلها والمعني بها، لأنك تفعل ذلك دون الدهر.

والجود عينٌ وأنت ناظرها   والبأس باعٌ وفيك يمناه

يقول: قوام الجود بك، كما أن العين بناظرها. والبأس: وهي الشجاعة، قوامها بك، ووجودها بسببك، كما أن الباع بطشه وفضله في اليد اليمنى.

أفدي الذي كل مأزقٍ حرجٍ   أغبر فرسانه تحاماه

أعلى قناة الحسين أوسطها   فيه وأعلى الكمي رجلاه

الحرج: الضيق. المأزق: المضيق في الحرب. والأغبر: المظلم الذي عليه غبرة. وتحاماه: تجنبه. والهاء في فيه ترجع إلى المأزق. وقيل: إلى الذي وقوله: كل مأزق مبتدأ، وأغبر في موضع جر، صفة لمأزق، وإن شئت رفعته فيكون صفة لكل، وفرسان مبتدأ آخر، وتحاماه خبره، وهذه الجملة صفة لمأزق، ولكل. والهاء في فرسانه تعود إلى المأزق وكذلك في فيه.

يقول: أفدي الفارس الذي إذا حصل في مضيقٍ أغبره. يحذر منه الفرسان ويتركونه، ويكون أعلى رمحه في ذلك المأزق أوسطه؛ لأنه يكثره بكثرة الطعن حتى يصير وسطه أعلاه، أو يثنيه إذا طعن فارساً فيصير أعلاه أسفله وكذلك ينكس الفارس الشجاع عن فرسه، فيكون رجلاه فوقه وأعلاه، أو ينتفخ بعد قتله إياه وترتفع رجلاه فوقه. وما بعد قوله: الذي إلى آخره، داخل في صفة الذي وموضعه نصب بأفدي، أي أفدي الذي هذه صفته.

تنشد أثوابنا مدائحه   بألسنٍ ما لهن أفواه

يقول: إن أثوابنا تنشد مدائحه، من حي إن الناس إذا رأوها علينا علموا أنها من خلعه، حتى لو لم نشكر له لأعلنت هذه الثياب بمدحه.

والثاني: هو أن لأثوابنا التي خلعها علينا صوتاً لجدتها، فهذا الصوت كإنشادها مدائحه. ذكره ابن جني.

إذا مررنا على الأصم بها   أغنته عن مسمعيه عيناه

هذا يؤكد المعنى الذي بدأنا بذكره. يعني أن هذه الثياب إذا مررنا بها على الأصم، فمتى رآها علم أنها من خلعه، فأغنته عيناه عن أذنيه.

سبحان من خار للكواكب بال   بعد ولو نلن كن جدواه

نلن: أي أدركن وهو فعل ما لم يسم فاعله.

وحكى ابن جنى عن المتنبي: أنه كان يشير إلى الضمة رفعاً للالتباس بين فعلن وفعلن وقوله خار: أي جعل لها الخيرة.

يقول: لو نيلت هذه النجوم، لكانت يده تصل إليها وتجعلها من جملة عطاياه، ولكن الله تعالى بعدها منه خيرةً لها.

لو كان ضوء الشموس في يده ... لضاعه جوده وأفناه

ضاعه: أي فرقه.

يقول: لو كان ضوء الشمس في يده لفرقته هباته. وروى: أضاعه جوده أي ضيعه من الضياع.

يا راحلاً كل من يودعه ... مودعٌ دينه ودنياه

يقول: إن الدين والدنيا معك، فإذا فارقناك فارقنا ديننا ودنيانا بفراقك.

إن كان فيما نراه من كرمٍ ... فيك مزيدٌ فزادك الله

روى: من كرم ومن حسن.

يقول: لا مزيد على ما نلت من كرم في عقولنا، فإن كان في الكرم مزيد خفي علينا، فبلغك الله إليه، وأنا لك مرادك منه.

فقال قوم لأبي العشائر إنه ما كناك وإنما تعرف بكنيتك فقال:

قالوا ألم تكنه؟! فقلت لهم ... ذلك عيٌّ إذا وصفناه

أي قالوا: لم لا تذكر كنيته؟ فقلت لهم: إذا وصفته فذكر الكنية عي؛ لأن أوصافه تغني عن ذكرها، إذ لا يوجد في غيره ما فيه من الأوصاف. وهذا مثل قوله في مرثية أخت سيف الدولة:

ومن يصفك فقد سماك للعرب

لا يتوقى أبو العشائر من ... ليس معاني الورى بمعناه

وروى: من لبس فيكون نكرة. يعني: لا يتوقى رجلاً لبس معناه بمعاني الخلق، فيشاركه في هذا الوصف فيحتاج إلى تكنية، ليفصل بينهما. وروى: من ليس ومعنى البيت: أن الرجل إنما يذكر باسمه وكنيته لتميزه عن غيره، ومعاني أبي العشائر مخالفة لمعاني الناس فإذا وصف تميز عن غيره ولم يخف أن يلبس به غيره، لأنه لا يشاركه أحد في أوصافه فيحتاج إلى تمييز عنه بالكنية.

أفرس من تسبح الجياد به ... وليس إلا الحديد أمواه

يجوز نصب الحديد للضرورة؛ لأنها معرفه واسمه: أمواه، وهي نكرة. ويجوز أن تجعل خبر ليس محذوفاً، فتنصب الحديد على الاستثناء. المقدم. كأنه قال: وليس في الأرض أمواه إلا الحديد، فلما قدمه نصبه.

يقول: هو أفرس رجل تسبح به الجياد، ولما جعلها تسبح، جعل الماء الذي تسبح فيه الحديد، وهو الدروع والسلاح.

وأخرج إليه جوشناً حسناً أراه إياه بميا فارقين فقال يمدحه:

به وبمثله شق الصفوف وزلت عن مباشرها الحتوف

زلت: أي زلقت. والهاء في مباشرها للصفوف، ويجوز أن يكون للحتوف أي زلت الحتوف عن مباشرها.

يقول: بهذا الجوشن وبأمثاله تشق الصفوف في الحرب، ويندفع الموت عنه عند مصادقة الأقران والشجعان.

فدعه لقىً فإنك من كرامٍ جواشنها الأسنة والسيوف

يقول: دع هذا الجوشن مطروحاً، فإنك من قوم كرام ليس لهم جواشن إلا السيوف والرماح.

وضرب لأبي العشائر مضرب بميافارقين على الطريق، فكثر غاشيه وسائله، فقال له إنسان: جعلت مضربك على الطريق؟ فقال أبو العشائر أحب يا أبا الطيب أن تذكر هذا، فأنشد أبو الطيب قائلاً:

لام أناسٌ أبا العشائر في جود يديه بالعين والورق

أي: قد لام بعض الناس أبا العشائر في بذله الدراهم والدنانير على الناس.

وإنما قيل: لم خلقت كذا؟! وخالق الخلق خالق الخلق

يقول: من لامه على جوده بمترلة من قال: لم خلقت كذا؟! لأنه طبع عليه ولا يمكنه الانفكاك منه، والله تعالى كما خلق الإنسان خلق له خلقاً، وما كان من فعل الله تعالى فلا سؤال فيه على العبد، ولا لوم عليه إذ لا فعل له فيه.

قالوا :ألم تكفه سماحته حتى بنى بيته على الطرق؟ !

أي لاموه على جوده وقالوا: ألم يكفه ما فيه من الجود والسماحة حتى ضرب بيته على الطريق ليقصده كل وارد؟! فأجاب عن ذلك بقوله:

فقلت :إن الفتى شجاعته تريه في الشح صورة الفرق

أي فقلت لهم: إن الفتى الشجاع يرى الشح كالفرق: وهو الجبن، فيجتنبه كما يجتنب الجبن؛ لأن البخيل إنما يبخل بماله خوف الفقر، فهو يقوم عليه كما يقوم على أمر مخوف، فكأنه يقول: إن السخي لتيقنه بالعوض، يسمح بما عنده فيرى البخل من الجبن.

بضرب هام الكماة تم له كسب الذي يكسبون بالملق

يقول: إن ما يكسبه أعداؤه بالملق والخديعة، يأخذه هو بسيفه؛ لأنه يضرب رءوسهم ويغير على أموالهم.

معناه: أن ما يأخذونه بالسؤال والملق حصل له بتقبيل الأيادي؛ لأن شجاعته معه، وفي أعدائه كثرة، فإن ذهب ما في يده رجع إلى أعدائه وغار عليهم واكتسب أموالهم.

وقيل: هو ملك يضرب هام الشجعان، وماله قليل، مثل مال من يكسب في الملق، لتسلط الجود عليه وتركه لادخار الأموال.

كن لجةً أيها السماح فقد آمنه سيفه من الغرق

يخاطب السماح ويقول له: كن أعظم ماشئت، فإن الممدوح لا يخشى أن يفرق ماله، لأن سيفه قد أمنه من ذلك، لأنه كلما نفذ ماله أخلف عليه سيفه مثله وأكثر منه، من مال أعدائه. والهاء في منه وسيفه للممدوح.

وانتسب له أي لأبي العشائر بعض من رماه أي المتنبي على باب سيف الدولة في الليلة التي نشرحها بعد قوله:

وأحر قلباه ممن قلبه شيم

وانتسب إلى أبي العشائر وذكر أنه هو الذي أمرهم بذلك فقال أبو الطيب:

ومنتسبٍ عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حفيف

حفيف النبل: صوته.

يقول: رب رام قصدني سهامه، وانتسب إلى من أحبه وقت رميه، وأنا أسمع حولي حفيف نبله.

فهيج من شوقي وما من مذلةٍ حننت ولكن الكريم ألوف

يقول: لما ذكر لي أبا العشائر هيج شوقي إليه، ولم يكن حنيني إليه من ذل أو حزن، ولكني ألوفٌ، والكريم يألف إلى من أحسن إليه.

وكل ودادٍ لا يدوم على الأذى　　　دوام ودادي للحسين ضعيف

يقول: كل وداد لا يكون دائماً على الأذى ممن يؤذيه، كما دام ودادي لأبي العشائر، فهو ود ضعيف.

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً　　　فأفعاله اللائي سررن ألوف

يقول: إن ساءني فعله مرة، فالذي سرني من أفعاله المواضي وأياديه السوالف، ألوف.

ونفسي له نفسي الفداء لنفسه　　　ولكن بعض المالكين عنيف

العنيف: ضد الرفيق. يقول: نفسي له. أي أنا عبده فليصنع بي ما أحب! ثم قال: نفسي فداء له. ثم عرض به فقال: ولكن بعض المالكين عنيف أي أنه لما ملك عنف عليها، وأراد إتلافها وكان حقه أن يرفق بها.

تمت الشاميات

الجزء الثالث

السيفيات

وقال أبو الطيب يمدح سيف الدولة: أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ابن حمدون بن الحارث العدوي. عند نزوله أنطاكية ومنصرفه من الظفر بحصن برزويه، في جمادى الآخر سنة **337** وكان جالساً تحت شراع ديباج:

وفاؤكما كالرّبع أشجاه طاسمه　　　بأن تسعدا والدّمع أشفاه ساجمه

خاطب صاحبيه، وقد لاماه على البكاء على الربع فقال: وفاؤكما بإسعادي كالربع أشجاه دارسه. والطاسم والطامس بمعنى الدارس. وأشجاه: أشده شجوا، والشجو: الحزن. أي: لا أبكي الربع وصرت أبكي وفاءكما معه ! وقال الشيخ أبو الفتح ابن جني: وهذا لفظه أملاه إملاء. وطسم يطسم طسما فهو طاسم إذا درس والخمحت آثاره وكذلك طمس يطمس فهو طامس طامس، وسجم الدمع فهو ساجم: إذا سال. وقوله: وفاؤكما خطاب للاثنين، وإنما كثر ذلك في كلام العرب لأن أقل رفقه عندهم ثلاثة، فلهذا قالوا الواحد شيطان والاثنان شيطانان، والثلاثة رفقه. وربما يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة: تفخيماً له. أو إذا أراد تكرير الخطاب وتفصيل ما حكاه ابن جني عن المتنبي

في معناه: أن صاحبيه واعداه بالمساعدة في البكاء على ربع حبيبه، والوقوف معه على أطلاله، ثم لم يفيا بما واعداه، فقال: وفاؤكما بالمساعدة دارس كهذا الربع الدارس. وقوله: أشجاه طاسمه أي كل ما كان منه طامساً كان أشجى بقلبي، كذلك وفاؤكما كلما رأيته دارساً زاد في شجوي وحزني.

وذكر صاحب الجليل ؟ في تلخيص هذا المعنى. ما هو في العموم مثل كلام أبي الطيب فقال معناه: يا خليلي وفاؤكما بأن تسعداني، كهذا الربع كلما أبصرته أشجاني، وفي قوله: والدمع أشفاه ساجمه إشارة إلى أن صاحبيه غدرا معه في البكاء. فقال: إنما يشفي الدمع من الصبابة إذا كان ساجما، وكلما كان أجرى كان الشوق أشفى، والباء في قوله: بأن تسعدا متعلقة بمحذوف ولا يجوز تعلقها بقوله: وفاؤكما لأنك حينئذ فرقت بين الموصول والصلة، لأنك إذا قدرت البيت على قوله: وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه كانت الباء وما بعدها صلة وفاؤكما، وقد فرق بينهما بقوله: كالربع فيجب أن يضمر بعد المصدر. وهو قوله: وفاؤكما ما يتعلق به ويجعل بأن تسعدا تفسيراً له. وتقديره: وفاؤكما بأن تسعدا، ثم يحذف هذا، ويجعل الثاني تفسيراً له ومثل هذا كثير في صناعة الإعراب.

وما أنا إلاّ عاشقٌ كلّ عاشقٍ أعقّ خليليه الصّفيّين لائمه

الصفيين: الذي يصفى لك المودة من الغش، فيكون بمعنى المصفى. فقيل بمعنى مفعل.
يقول: أنا عاشق. فقال: كل عاشق أعق خليليه الصفيين: من يلومه، فمن لا منى منكما كأنه قد عقني، وروى: وما أنا إلا عاشق كل بنصب اللام. ومعناه: أنا عاشق كل عاشق، بعد لوم خليليه له عقوقا منهما إليه وهذا أبلغ من الأول، ومثل هذا: وإني لأعشق من عشقكم=نحولي وكلّ امرئٍ ناحل وقد سئل أبو الطيب عن هذا فقال: إن الخليل الصفي لا يكون عاقا، وأفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضه. وقيل: معناه: إذا لام لم يكن خليلا مصافياً عند العاشق؛ لأنه قصد إساءته فكأنه قال وكل عاشق إذا لامه خليله، كان أعق له من عدوه.

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

يتزيا: يتكلف يتفعل من الزي، وهو الهيئة، أي يجعل الهوى زيا له.
يقول: ربما يظهر الإنسان من نفسه أنه عاشق، وليس هو بعاشق حقيقة، كما أن الإنسان قد يصحب من لا يوافقه.
يعني: أنا عاشق على الحقيقة ولست في دعواي متكلفاً.

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيحٍ ضاع في التّرب خاتمه

يدعو على نفسه بالهلاك إن لم يطل الوقوف على أطلال دار المحبوبة.

وقد عيب عليه هذا البيت. وقيل: هذا يدل على تحمله مع دناءة همته، وعظم خطر الخاتم في عينه. وإلى كم يكون وقوف الشحيح على خاتمه ولو كان ألأم الناس، حتى يجعل ذلك غاية الوقوف على أطلال دار الحبيب ؟.

وأحسن ما يمكن أن يقال إنما أراد: أنا أقف بها وقوفاً زائداً على عادة من وقف قبلي على أطلال حبيبة، كما أن وقوف الشحيح إذا ضاع خاتمه يكون زائداً على وقوف غيره، وطلبه له أشد.

قيل: إنما خص الخاتم لأنه ربما كان فضة كثيرة القيمة حليل الخطر وهذه صفته. فالوقوف على طلبه يدوم، والبحث عنه يطول من كل واحد، وهو من الشحيح أكثر، ومنه أطول.

كئيباً توقّاني العواذل في الهوى كما يتوقّى ريّض الخيل حازمه

نصب كئيباً على الحال. والكئيب: هو الحزين. والريض: الصعب الذي لم يرض. والحازم: الذي يشد الحزام. والهاء فيه تعود إلى الريض.

يقول: إن لم أقف وأنا كئيب والعواذل يريدون عذلي ويحذرون مني كما يحذر الرجل من الفرس الصعب، إذا أراد شد الحزام عليه، فهو يداريه حذراً أن يرمحه، فكذلك العواذل يحذرون صولته.

قفي تغرم الأولى من اللّحظ مهجتي بثانيةٍ والمتلف الشّيء غارمه

الأولى في موضع الرفع لأنها فاعلة تغرم.

يقول: إنك لحظتني لحظة فأتلفت بها نفسي، فاغرميها بلحظة ثانية؛ تحييني بها، كما أتلفت مهجتي بلحظتك الأولى؛ فإن من أتلف شيئاً غرمه.

سقاك وحيّانا بك اللّه إنّما على العيس نورٌ والخدور كمائمه

الهاء: للنور، والنور: الأبيض من الزهر. والكمائم: جمع كمامة وهو وعاء الزهر قبل أن يتفتح. شبه النساء بالنور، والهوادج بالكمائم، ولما جعلها نوراً دعا لها بالسقيا، وجعله تحية لها، كما يحيي الصديق صديقه بالورد والريحان.

ومعناه: رزقنا الله وصلك والتلذذ بطيبك. ومثل آخر هذا البيت قول الآخر وهو:

ولم أر كالأظعان يوم رحيلهم وأحداجهم تحكي الكمائم في الورد

وقريب من بيت أبي الطيب قول السري بن أحمد الرفاء.

حيّا به اللّه عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا

وما حاجة الأظعان حولك في الدّجى إلى قمر ؟ ما واجدٌ لك عادمه

الأظعان: الراحلون، والهاء في عادمه للقمر.

يقول: الراحلون معك في ظلمة الليل، لا يحتاجون إلى ضوء القمر؛ لأن من وجدك فقد وجد القمر.

إذا ظفرت منك العيون بنظرةٍ أثاب بها معيي المطيّ ورازمه

ثاب وأثاب: بمعنى. أي أرجع. والمعيي: الرازم، وجمعهما لاختلاف اللفظتين. وقيل الرازم: الذي قد قام من الإعياء.

يقول: إن الإبل المعيية إذا نظرت إليك عادت إليها نفسها، فكيف نحن مع شدة شوقنا إليك ! فهو أولى بنا.

حبيبٌ كأنّ الحسن كان يحبّه فآثره أوجار في الحسن قاسمه

روى في الحكم وفي الحسن والهاء في يحبه للحبيب، وكذلك في آثره وفي قاسمه للحسن.

يقول: كان الحسن يحب هذا الحبيب، فآثره على غيره وخصه بزيادة الحسن وبدائعه، أو جار من قسم الحسن في قسمته، فأعطى هذا الحبيب أكثر مما أعطى غيره.

تحول رماح الخطّ دون سبائه وتسبى له من كلّ حيّ كرائمه

الهاء في كرائمه تعود إلى حي وهو جمع كريمة.

يقول: إن الرماح تحول بين هذا الحبيب وبين من أراد سباءه؛ لعزة قومه وتسبى الرماح له من كل حي كرائمه.

ويضحى غبار الخيل أدنى ستوره وآخرها نشر الكباء الملازمة

الكباء: العود والبخور، والنشر: الرائحة الطيبة، والهاء في ستوره للحبيب وفي آخرها للستور وفي ملازمه لآخرها.

يقول: عليه ستور كثيره، فأدناها إلينا غبار الخيل التي تركض حوله، وآخرها داخلها يلازمه ريح العود ودخانه.

وما استغربت عيني فراقاً رأيته ولا علّمتني غير ما القلب عالمه

يعني: ليس هذا بأول فراق رأيته فأستغربه، بل رأيت مثله كثيراً، والهاء في عالمه راجعة إلى ما.

فلا يتّهمني الكاشحون فإنّني رعيت الرّدى حتّى حلت لي علاقمه

العلقم: شجر مر، وأراد به ها هنا الشدائد.

يقول: لا يتهمني الأعداء على الردي، أني أضعف عن احتماله، فإني قد تعودته وقاسيت أمثاله، حتى حلا في فمي كل مر، وهان علي كل صعب.

مشبّ الّذي يبكي الشّباب مشيبه فكيف توقّيه وبانيه هادمه ؟!

المشب: الذي يشب ويأتي بالشباب. والمشيب: الذي يأتي بالمشيب، والضمائر كلها تعود إلى الذي ويجوز أن يكون في مشيبه يعود إليه فقط، وفي توقيه وبانيه وهادمه يعود إلى الشباب.

يقول: إن الذي يبكي الشباب لا ينفعه، فإن الشيب الذي صيره شاباً، هو الذي أفضى به إلى المشيب، وهو الحياة، فإنه تنقله من حال إلى حال، فكيف نقدر على الاحتراز منه ؟! وهو الشيء الذي به بقاؤه وبه فناؤه. وقيل: هو الله تعالى الذي يأتي بالشباب والشيب. وقيل أراد به: الدهر على ما جرت عادته في نسبة الحوادث إليه.

وتكملة العيش الصّبا وعقيبه وغائب لون العارضين وقادمه

له معنيان: أحدهما: أن كمال العيش إنما هو في الصبا وفيما يعقب الصبا، فأما أيام الشيب فلا تعد من العيش، لأنها مشوبة بالأحزان والأسقام.

وقوله: وغائب لون العارضين وقادمه يعني أن هذا تكملة العيش، وأراد به حال نقاء العارض من الشعر، ثم غاب ذلك وقدم عليه بياض الشيب والشعر. وهذا أحسن.

والثاني: أن المراد به أن جميع العمر ما ذكر من هذا البيت وهو: أيام الصبي، ثم عقيبة الشباب، وبعده بياض الشعر بعد سواده، وهو أيام الشيب. والهاء في قادمه تعود إلى اللون.

قال ابن جني: سألته وقت القراءة عليه: أيقال تكملة العيش لجميعه ؟ قال: هو جائز لأنه بالجميع يكمل.

وما خضّب النّاس البياض لأنّه قبيحٌ، ولكن أحسن الشّعر فاحمه

الفاحم: الشديد السواد. يقول: إن الناس لا يخضبون البياض لأنه قبيح، بل هو حسن، ولكن الشعر الأسود أحسن في مرأى العين؛ لدلالته على فتى السن، والبياض يدل على الهرم.

وأحسن من ماء الشّبيبة كلّه حيا بارقٍ في فازةٍ أنا شائمه

الحيا: المطر، والبارق: السحاب الذي فيه برق. والفازة: الخيمة. وشمت البرق: إذا نظرت مخايله. والهاء في شائمه تعود إلى الحيا.

يقول: مطر سحابة في خيمة، وأنا أنظر إليه، أحسن من ماء الشباب، لأني أنال به من السرور واللذات، ما لا أناله بالشباب.

عليها رياضٌ لم تحكها سحابةٌ وأغصان دوحٍ لم تغنّ حمائمه

عليها: أي على الفازة. شبه النقوش التي عليها بالرياض المنورة، وقوله: لم تحكها أي ليست هذه الرياض من صنعة الغيث والسحاب، ولكنها من صنعة البشر، وعليها صور أغصان أشجار عليها حمائم، لكنها صامتة لا تتغنى ولا تتغرد. والهاء في حمائمه للدوح.

وفوق حواشي كلّ ثوبٍ موجّهٍ من الدّرّ سمطٌ لم يثقّبه ناظمه

الهاء في ناظمه للسمط.

يقول: على حواشي كل ثوب ذي وجهين عقد منظوم من الدر، غير أن ناظمه لم يثقبه؛ لأنه ليس بدر على الحقيقة، بل نقش على صورة خلقة الدر.

ترى حيوان البرّ مصطلحاً بها يحارب ضدّ ضدّه ويسالمه

يعني: عليها تصاوير الحيوان من كل جنس. كالسباع والوحوش والفرسان، فمرة يصالح الضد ضده، ومرة يحاربه، لأنه ربما يتصل تارة وينفصل أخرى عند ضرب الريح إياها.

وقيل: أراد أن عليها صور سباع تفترس وحوشا، فهي في صور المحارب ولكنها مسالمة، لا يقدر بعضها على بعض، فهي محاربة ومسالمة في وقت واحد.

إذا ضربته الرّيح ماج كأنّه تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه

تدأى: أي تختل، وقيل: تسرع. والهاء في ضربته وفيما بعده: تعود إلى قوله: كل ثوب موجه وقيل: تعود إلى الحيوان.

يقول: إن الريح إذا ضربت هذا الثوب ماج: أي اضطرب، فحسبته خيلا تجول، وسباعاً تصول، وهو المراد بقوله: تدأى ضراغمه أي الأسود المصورة عليه.

وفي صورة الرّوميّ ذي التّاج ذلّةٍ لأبلج لاتيجان إلاّ عمائمه

أراد بالرومي: ملك الروم، وكان على الفازة صورته.

يقول: في صورة ملك الروم صاحب التاج ذلة: أي خضوع للملك الأبلج، وهو سيف الدولة.

والأبلج: المنقطع ما بين الحاجبين. ثم قال: لا تيجان للعرب إلا العمائم والتاج لملوك العجم.

تقبّل أفواه الملوك بساطه ويكبر عنها كمّه وبراجمه

البراجم: المفاصل التي تحت الأنامل، والواحد برجمة، وهي عبارة عن اليد.

يعني: أن الملوك إذا رأته قبلت بساطه؛ لأنها لم تكن أهلا لتقبيل يده ولا كمه.

قياماً لمن يشفى من الدّاء كليّه ومن بين أذنى كلّ قرمٍ مواسمه

قياماً: نصب بإضمار فعل. أي: تراهم قياما. وقيل: نصب على الحال. وقوله: يشفى من الداء كيه مثل. ومن؛ بمعنى الذي. المتقدم. والهاء في كيه تعود إلى من الأولى، وفي مواسمه إلى من الثانية. والقرم: الرئيس.

يقول: إنه يشفى من الداء كيه ويروض كل صعب. وكل قرم لقيه ولى عنه فآثار سيفه في قفاه وبين أذنيه. تلوح كالسمة.

وقيل: معناه: إنه يقهر كل قرم ويسمه سمة ذل وعجز. والمواسم: جمع ميسم وموسم.

قبائعها تحت المرافق هيبةً وأنفذ ممّا في الجفون عزائمه

قبيعة السيف: الفضة التي على قائمة مثل الكرة. والهاء في قبائعها للملوك وفي عزائمه للمدوح.

يقول: إنهم قيام بين يديه، وسيوفهم نحن مرافقهم وهم متكئون عليها، ثم قال: عزائم سيف الدولة في الأمور أنفذ من السيوف التي في الجفون.

له عسكرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكرا لم تبق إلاّ جماجمه

الوجه أن يقال: إذا رمى بها، ردا للضمير إلى أحد العسكرين.

معناه: له عسكر من الخيل، فإذا قصد إلى عسكر عدوه، قتلته الخيل وأكلته الطير، فلم يبق إلا عظام الرءوس. والهاء في جماجمه تعود إلى قوله عسكرا.

أجلّتها من كلّ طاغٍ ثيابه وموطئها من كلّ باغٍ ملاغمه

الملاغم: ما حول الفم. واحدها ملغم.

يقول: جلال خيله: ثياب كل طاغ قتله، وموطئها: ملاغم كل باغ. والتأنيث: للخيل: والتذكير: للطاغي والباغي.

فقد ملّ ضوء الصّبح ممّ تغيره ومل سواد اللّيل ممّا تزاحمه

التاء في تغيره وتزاحمه للخيل. وأراد: مما تغير فيه، فحذف حرف الجر، وأوصل الفعل إليه.

يقول: إن الصبح قد مل من كثرة إغارة الممدوح فيه، وسواد الليل قد مل من كثرة سيره فيه، ومزاحمته إياه.

وملّ القنا ممّا تدقّ صدوره ومل حديد الهند مما تلاطمه

تدق صدوره: أي تكسره. وتلاطمه: أي تضاربه.

يقول: إن الرماح والسيوف قد ملت؛ من كثرة ما تطعن بالرماح وتكسرها، وتضرب بالسيوف.

سحابٌ من العقبان يزحف تحتها سحابٌ إذا استسقت سقتها صوارمه

السحاب: يذكر على اللفظ، ويؤنث على معنى الجمع، فأنث السحاب الأول على المعنى، وذكر الثاني على اللفظ وإقامة القافية.

شبه الجيش، والعقبان فوقه، بسحاب يسير تحت سحاب آخر، ثم جعل الأسفل يسقي الأعلى، فجعل الغمام مستقياً، مع أنه يكون ساقياً.

سلكت صروف الدّهر حتّى لقيته على ظهر عزمٍ مؤيداتٍ قوائمه

مؤيدات: محكمات، لما جعل عزمه مركوباً، جعل له ظهراً وقوائما.

يقول: ركبت عزمي وسلكت إليه المؤيدات، مفاوز شديدة، كأنها صروف الدهر. يعني: أني قويت عزمي على قصده، فتكلفت الأسفار حتى لقيته.

مهالك لم تصحب بها الذّئب نفسه ولا حملت فيها الغراب قوادمه

مهالك: بدل من صروف الدهر. والقوادم: ريش الجناح المقدمة، وفاعل تصحب: نفسه، ومفعوله: ذئب. وفاعل حملت: قوادمه، والغراب: مفعوله. والضمير: الغراب.

يعني: أن هذه المفاوز مهالك وحشة لا يقدر الذئب على قطعها، ولا الغراب على سلوكها؛ لشدتها. ومثله قول الآخر:

مهامة لا يسرى بها النّجم وحده ولا الطّيف إلاّ خائفاً يترقّب

فأبصرت بدراً لا يرى البدر مثله وخاطبت بحراً لا يرى العبر عائمه

عبر الوادي: شطه.

يقول: لما وصلت إليه رأيت بدراً لا يرى البدر الحقيقي مثله، وخاطبت بحراً ليس له عبر ولا نهاية

غضبت له لمّا رأيت صفاته بلا واصفٍ والشّعر تهذى طماطمه

الطماطم: جمع طمطمة، وهي ما لا يفهم من الكلام.

يقول: لما رأيت صفاته بلا واصف يصفها بحقائقها، غضبت لهذا الممدوح، فبصرت ببدائع شعري، وصار شعر غيري كالهذيان الذي لا معنى له.

فكنت إذا يمّمت أرضاً بعيدةً سريت فكنت السرّ واللّيل كاتمه

الهاء في كاتمه للسر.

يقول: كنت أسير ليلاً مخفياً سيري، فكنت كأني سر في ضمي الليل، وهو يكتمني عن كل أحد. وهذا البيت من بدائع هذه القصيدة وسيدها، وواسطة قلادتها.

لقد سلّ سيف الدّولة المجد معلماً فلا المجد مخفيه ولا الضّرب ثالمه

يقول: هو سيف سله المجد، ليضرب به رقاب البخل، فالمجد لا يخفيه والضرب لا يثلم حده.

على عاتق الملك الأغرّ نجاده وفي يد جبّار السّماوات قائمه

أي على عاتق الخليفة، لأنه من جملة أوليائه وأنصار دعوته. وقوله: وفي يد جبار السماوات قائمه أي أنه سيف الله يضرب به رءوس من كفر به وعبد إله غيره.

تحاربه الأعداء وهي عباده وتدّخر الأموال وهي غنائمه !

يقول: إن أعداءه يحاربونه، وهم عباده، يعلمون أنه يأسرهم ويستعبدهم ويجمعون الأموال وهم يعلمون أنه يغنمها !

ويستكبرون الدّهر والدّهر دونه ويستعظمون الموت والموت خادمه

يقول: إن الناس يستكبرون أمر الدهر في تصرفه، وهو أكبر منه قوة ! ويستعظمون الموت وهو خادمه ! يهلك من يأمره بقتله.

وإنّ الّذي سمّى عليّا لمنصفٌ وإنّ الّذي سمّاه سيفاً لظالمه

يقول: من سماه عليا فقد أنصفه؛ لأنه على المترلة، رفيع المحل، ومن سماه سيفا فقد ظلمه؛ لأنه أمضى من السيف وأعظم تأثيراً منه.

وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حدّه وتقطع لزبات الزّمان مكارمه

لزبات: أصله تحريك الزاي، ولكنه خففه وسكنه ضرورة: وهي الشدائد. يقول: من سماه سيفاً إنما ظلمه؛ لأن السيف عمله القطع فقط، وربما ينبو فلا يقطع رقاب الأعداء، والممدوح يكشف شدائد الزمان بمكارمه وبجوده فتسميته بالسيف ظلم؛ لأنه أعم منه نفعاً.

وقال أيضاً يمدحه وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية:

أين أزمعت أيّهذا الهمام ؟ نحن نبت الرّبا وأنت الغمام

الربا: جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض.

يقول: أي موضع عزمت أن ترحل إليه أيها السيد العظيم الهمة ؟ فنحن محتاجون إلى مقامك احتياج نبت الربا إلى مطر الغمام، وخص نبت الربا؛ لأنه أحوج إلى سقيا الغمام، ولأن الروضة إذا كانت على ربوة كانت أحسن وأنضر وأخضر.

نحن من ضايق الزّمان له في ك وخانته قربك الأيّام

حكى ابن جني عنه قال: أردت أن أقول: ضايقة الزمان، فزدت اللام فقلت: ضايق الزمان له. قال ابن جني: ومثله قوله تعالى: عسى أن يكون ردف لكم أي ردفكم؛ وخان: تعدى إلى مفعولين: أحدهما الهاء في خانته والثاني قربك وفاعله: الأيام. والهاء في له وخانته راجعة إلى من.

يقول: إن الزمان ضايقنا فيك، وحسدنا على قربك، فخانتنا الأيام في قربك، وفرقت بيننا وبينك.

في سبيل العلا قتالك والسّل م وهذا المقام والإجذام

الإجذام: سرعة السير، وأصفه قطع الأرض بالأسفار.

يقول: كل ما تفعله من قتال وسلم، وإقامة وترحال، يشيد مجدك ويرفع قدرك، فتنال معال مع معاليك.

ليت أنّا إذا ارتحلت لك الخيل وأنّا إذا نزلت الخيام

الخيمة في الأصل: بيت يتخذ في الصيف من الخشب، وأغصان الشجر، ثم استعمل في المضارب وبيوت الشعر مجازاً.

يقول: ليتنا كنا خيلك عند ارتحالك، وخيامك عند نزولك، حتى لا نفارقك. وقيل: أراد ليتنا نقيك الأذى من فوق: من الحر والبرد، ومن أسفل: من الخشونة والتعب.

كلّ يومٍ لك احتمالٌ جديدٌ ومسيرٌ للمجد فيه مقام

الاحتمال: الرحيل.

يقول: كل يوم تسافر، فالمسير لك مقام المجد والعز. يعني: أنك دائم السعي فيما فيه مجدك.

وإذا كانت النّفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

أراد بالنفوس: الأرواح والهمم.

يقول: إذا كان الإنسان كبير النفس عالي الهمة طلبت همته الأمور العالية، فأتعبت أجسامها في مرادها.

وكذا تطلع البدور علينا وكذا تفلق البحور العظام

يقول: كل رفيع القدر عالي الهمة، لا تدعه همته أن يستقر، كما أن البدر يطلع ولا يفتر عن المسير، وكذلك البحار العظام، لا يسكن موجها وعباؤها.

ولنا عادة الجميل من الصّبـ ـر لوانّا سوى نواك نسام

نسام: أن نكلف.

يقول: من عادتنا الصبر الجميل على جور الزمان، ولكنا لا نقدر أن نصبر على فراقك والبعد عنك

كلّ عيشٍ ما لم تطبه حمامٌ كلّ شمسٍ ما لم تكنها ظلام

يقول: إذا لم يطب العيش بقربك، فهو من جملة الموت، وكل شمس سواك فهي ظلام، فطيب عيشنا بقربك، ونور أبصارنا برؤيتك.

أزل الوحشة الّتي عندنا يا من به يأنس الخميس اللّهام

الوحشة: انزعاج النفس من الوحدة. والخميس: العسكر الكثير. واللهام: العظيم الذي يلهم كل شيء فيبتلعه ويهلكه.

يقول: أزل عنا الوحشة التي نجدها لفراقك، بالمقام علينا. يا من يأنس به الخميس العظيم ويجتمع عيه، وإذا غاب وجد على نفسه.

والّذي يشهد الوغى ساكن القلـ ـب كأنّ القتال فيها ذمام

الوغى: الحرب. والهاء في فيها ضمير لقوله: الوغى لأنه في معنى الحرب وهي مؤنثة.

يقول: أزل عنا الوحشة يا أيها الرجل الذي يحضر الحرب، وهو ساكن القلب، حتى كأن القتال - الذي يكون في الحرب - عهد وأمان.

والّذي يضرب الكتائب حتّى تتلاقى الفهاق والأقدام

الفهاق: جمع فهقة، وهي موصل الرأس في العنق، وقيل: هي عظم عند حالق الرأس، مشرف على اللهاة.

يقول: إنك تقطع رقاب الفرسان حتى تقع رءوسهم على أقدامهم. وقيل: إنه يقطع الأعضاء حتى يصير الأسفل أعلى والأعلى أسفل. حتى يلتقي طرفا الجسم على ما بعد بينهما.

وإذا حلّ ساعةً بمكانٍ فأذاه على الزّمان حرام

الهاء في أذاه تعود إلى المكان.

يقول: إذا نزلت بمكان فلا يؤذى الزمان ذلك المكان، فكأن أذاه على الزمان حرام.

والّذي تنبت البلاد سرورٌ والّذي يمطر السّحاب، مدام

يقول: إن الممدوح إذا حل بمكان، فالذي تنبته أرضها إنما هو السرور، والذي يمطر سحابها إنما هو الخمر. يعني: أنه إذا نزل بمكان أحسن إلى أهله، وبسط العدل فيهم، فاتصل سرورهم، وأمنت نفوسهم.

ولما جعل نبات أرضهم سروراً، جعل مطر سحابهم مداماً؛ لأن المدام تولد السرور، كما أن الغيث يولد العشب، والذي مبتدأ وسرور خبره وتنبت صلته، وفاعله: البلاد. وكذلك الكلام في المصراع الثاني.

كلّما قيل قد تناهى أرانا كرماً ما اهتدت إليه الكرام

يقول: كرمه لا نهاية له، فكلما قيل إنه قد بلغ الغاية في الكرم ابتدع كرماً ثانياً، لا يهتدى الكرام إليه، ولا يبلغ خاطرهم إلى بعضه

وكفاحاً تكعّ عنه الأعادي وارتياحاً يحار فيه الأنام

الكفاح: مباشرة الحرب. يقال لقيته كفاحاً: أي مواجهة. تكع: أي تجبن وتتأخر. وكفاحاً: نصب عطفاً على قوله: أرانا أي أرانا كرما وكفاحاً وارتياحاً.

يقول: أرانا شجاعة تعجز عنها أعداؤه، وجوداً يتحير الخلق فيه.

إنّما هيبة المؤمّل سيف الدّو لة الملك في القلوب، حسام

يقول: يهابونه وليس هو سيفا ! بل هيبته في القلوب سيف قاطع، حتى لا أحد يعدل عن طاعته.

فكثيرٌ من الشّجاع التوقّي وكثيرٌ من البليغ السّلام

يقول: إن هيبته قد همت الناس، والشجاع الفاتك إذا تحرز منه، فذاك غاية الشجاعة. والخطيب المصقع يستكثر أن يسلم عليه، فضلاً عن أن يبسط في الكلام معه. ومثله للفرزدق:

يغضى حياءً ويغضى من مهابته فما يكلّم إلاّ حين يبتسم

وقال أيضاً عند مسيره عنها وقد نزل المطر في ذلك اليوم.

رويدك أيّها الملك الجليل تأىّ وعدّه ممّا تنيل

رويدك: أي أمهل، وهو اسم للفعل، ولا موضع للكاف.

الإعراب: تأىّ أي توقف وهو بدل من رويدك وإن شئت جعلته توكيداً، كأنه قال: رويدك رويدك فكرر المعنى، وخالف بين اللفظين، وروى: تأن أي توقف وتثبت. والهاء في عده ضمير للمصدر، وجل عليه قوله: تأي.

يقول: أمهل أيها الملك الجليل، وتوقف وعد وقوفك علينا من بعض صلاتك ونعمك.

وجودك بالمقام ولو قليلا فما فيما تجود به قليل

وجودك: نصب على تقدير: جد جودك، فهو مصدر في موضع الأمر كقوله تعالى: فضرب الرقاب وكذلك قليلا أي ولو فعلته وجدته، فهو صفة لموصوف محذوف. ويجوز نصبه على الحال. ويجوز أن يكون صفة لظرف محذوف. أي ولو زماناً قليلا.

يقول: جد علينا بالمقام ولو زماناً قليلا، ثم احترز وقال: كل ما تجود به ليس بقليل؛ لأن لنا فيه نفعاً كثيراً.

لأكبت حاسداً وأرى عدوّا كأنّهما وداعك والرّحيل

الكبت: القهر، والإذلال. وأرى: من الورى، وهو داء الجوف. وقيل: معناه أضرب رئته من قولهم: وريته أريه. كما تقول: رأيته.

يقول: جد علينا بالمقام؛ لأكبت بذلك حاسدي، وأمرض عدوي؛ لأنهما بغيضان عندي، مثل وداعك وارتحالك.

ويهدأ ذا السّحاب فقد شككنا أتغلب أم حياه لكم قبيل ؟

ويهدأ عطف على ما تقدم: أي يسكن. وتغلب رفع بالابتداء، وقبيل خبره. وقيل تغلب خبر ابتداء محذوف.

يقول: أقم علينا حتى يسكن مطر هذا السحاب، فإنا قد تشككنا في أمر هذا المطر، فلا ندري أنه

مطر، أم قبيلك ؟ التي هي بنو تغلب. يعني: أن جود هذا المطر يشبه جود بني تغلب، أي كثرة هذا المطر يشبه كثرهم. والحيا: مقصور، المطر العام.

وكنت أعيب عذلاً في سماح فها أنا في السّماح له عذول

له قيل: تعود الهاء إلى المطر. ومعناه: أني كنت أعيب كل من يعذل على السماح، فلما كثر هذا المطر صرت أعذله على كثرة سماحه. وقيل: إن الهاء تعود إلى سيف الدولة يعني: أني أعذل سيف الدولة على كثرة سخائه بعد ما كنت أعيب من يعذل السخي على سخائه.

وما أخشى نبوّك عن طريقٍ وسيف الدّولة الماضي الصّقيل

سيف الدولة مبتدأ. والماضي خبره. وهذه الجملة في موضع نصب على الحال. والكاف في قوله نبوك قيل: خطاب لسيف الدولة.

ومعناه: لم أقل لك أقم، حتى يهدأ هذا السحاب، لأنه يعوقك عن طريقك، لأني لا أخشى نبوك: أي كلالك وتقاعدك عن طريق تريد أن تسير فيه، وأنت سيف الدولة، وسيف الدولة لا يكون إلا ماضياً صقيلاً، لا ينبو عن شيء.

وقيل: إنه خطاب للسحاب. ومعناه: لا أخشى انقطاعك عنا أيها السحاب وفقدنا إياك في طريق نسلكه، إذا كان سيف الدولة ماضياً صقيلاً، لأنه ينوب عنك ويزيد عليك.

وكلّ شواة غطريفٍ تمنّى لسيرك أنّ مفرقها السّبيل

الشواة: جلدة الرأس. والغطريف: السيد. ومفرق الرأس: حيث يتفرق الشعر. وتمنى: الأصل فيه تتمنى، فحذف إحدى التاءين.

يقول: إذا ارتحلت فكل سيد يتمنى رأسه: أي مفرقه، طريقاً لك ليشرف بك وينال بسببك رفعة.

ومثل العمق مملوءاً دماءً مشت بك في مجاريه الخيول

العمق: الفج، وهو الطريق الواسع في الجبل. وقيل: موضع بالشام أوقع سيف الدولة فيها بالأعداء وقعة عظيمة. ويقال: هو موضع كثير الوحل. مملوءاً: قيل نصب على التمييز، وقيل: على الحال. وروى بالرفع فيكون خبراً عن مثل وروى بالجر فيكون بدلا من العمق.

يقول: كم من مواضع في الحرب قد امتلأت بالدم فخاضت بك خيلك، ومشت بك في مجاريه، فكيف بالوحل والمطر ؟! والهاء في مجاريه للعمق.

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا　　فأهون ما يمرّ به الوحول

فأهون: مبتدأ. وما يمر به: صلة وما بمعنى الذي. ويجوز أن تكون نكرة موصوفة. يعني: فأهون شيء يمر به، وفاعل يمر ضميره. والوحول خبر أهون.

يقول: من تعود خوض المنايا والحروب، فخوض الوحل أهون شيء عليه.

ومن أمر الحصون فما عصته　　أطاعته الحزونة والسّهول

الحزون، والحزونة: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع. وقيل: إن الحزونة مصدر مثل السهولة.

يقول: من رام القلاع الحصينة والحصون المنيعة فلم يصعب عليه فتحها وأخذها حتى كأنها مأمورة له، فكيف يصعب عليه السير في حزن الأرض وسهلها ؟!

أتحفر كلّ من رمت اللّيالي　　وتنشر كلّ من دفن الخمول ؟ !

خفرت الرجل خفارة: إذا أجرته وحفظته، وأراد من رمته الليالي ومن دفنته الخمول فحذف الضمير.

وتنشر: أي تحيي، والخمول: خفاء الذكر والألف في أتخفر للاستفهام، والمراد به التقدير.

يقول: كل من رمته الليالي بشدائدها فإنك تحفظه، وكل من كان خامل الذكر فإنك ترفعه.

وندعوك الحسام وهل حسامٌ　　يعيش به من الموت القتيل ؟ !

يقول: كيف يجوز أن ندعوك الحسام وأنت أعظم منه فعلا ؟! وليس حسام يعيش به القتيل بعد الموت ! وأنت تحي من قتله الفقر، وترفع من خفضه الخمول.

وما للسّيف إلاّ القطع فعلٌ　　وأنت القاطع البرّ الوصول

إلا القطع: نصب لأنه استثناء مقدم. أي ليس للسيف فعل، وأنت تقطع رقاب الأعداء، وتبر قصادك وتصل أولياءك وعشيرتك.

وأنت الفارس القوّال: صبراً　　وقد فني التّكلّم والصّهيل

أي أنك تقول: صبراً صبراً ونصب صبرا على الحكاية، فحكى ذلك اللفظ على إعرابه. وقيل: نصب بقوال.

يقول: أنت الفارس الذي يصبر أصحابه إذا اشتدت الحرب، ولم يقدر الشجاع على الكلام، ولا الفرس على الصهيل، من التعب والخوف.

يحيد الرّمح عنك وفيه قصدٌ　　ويقصر أن ينال وفيه طول

يقول: هيبتك ملأت قلوب الناس، فمن بارزك تخذله يده وأقدامه، فيحيد الرمح عنك ويقصر، فلا يصل إليك، وإن كان طويلا. وقوله: وفيه قصد وفيه طول في موضع نصب على الحال.

فلو قدر السّنان على لسانٍ لقال لك السّنان كما أقول

يقول: إن ما أقوله لو علمه من لا ينطق لقال لك مثل ما أقول، وأثنى عليك مثل ثنائي.

ولو جاز الخلود خلدت فرداً ولكن ليس للدّنيا خليل

يقول: لو جاز أن يخلد أحد دائماً في هذه الدنيا، لخلدت أنت وحدك؛ إذ لا نظير لك، ولكن الدنيا ليست بخليل تدوم.

وقال يرثي والدة سيف الدولة، وقد ورد خبرها إلى أنطاكية في جمادي الآخرة سنة 337:

تعدّ المشرفيّة والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

نعد: أي نجعل عدة. والمنون: الموت، وأنثه ذهاباً به إلى المنية.

يقول: نحن نعد للمنون السيوف والرماح للقتال، والموت يقتلنا قبل القتال، فليس فيما نعده فائدة عند دنو الآجال كأنه من قوله تعالى: "أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْمُ الْمَوْتُ".

ونرتبط السّوابق مقرباتٍ وما ينجين من خبب اللّيالي

نرتبط: أي نشد. والسوابق: الخيل. ومقربات: أي مدنيات من البيوت والخبب: السير السريع.

يقول: نحن نرتبط السوابق لنهرب عليها، إن جاءنا حادث، ولكن لا تنجينا من سير الليالي، فإنها تدركنا لا محالة.

ومن لم يعشق الدّنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى وصال

يقول: إن الإنسان يعشق الدنيا من قديم الدهر. يعني: أن كل أحد يعشق الدنيا ويحب البقاء فيها والخلوص من شوائبها، ولكن لا سبيل إلى ما يحب.

نصيبك في حياتك من حبيبٍ نصيبك في منامك من خيال

نصيبك: الأول مبتدأ، ونصيبك الثاني خبره.

يقول: إن ما تناله من اللذة والسرور بقرب حبيبك لا حقيقة له، وإنه لزائل، كما لا حقيقة لما تراه في المنام من خيال الحبيب، فنصيبك منه عياناً كنصيبك من خياله الذي ليس هو بشيء حقيقة.

رماني الدّهر بالأرزاء حتّى فؤادي في غشاءٍ من نبال

يقول: إن الدهر رماني بسهام مصيبة، حتى عمت فؤادي وصار قلبي كأنه في غطاء أو غشاء من سهام.

فصرت إذا أصابتني سهامٌ تكسّرت النّصال على النّصال

يقول: إن سهام الدهر لم تدع في قلبي موضعاً إلا وفيه سهم، حتى كأنه إذا رماني بسهامه وقع سهم على سهم آخر، ولم يجد في فؤادي مكاناً خالياً، فتكسرت السهام على السهام.

وهان فما أبالي بالرّزايا لأنّي ما انتفعت بأن أبالي

معناه: وهان على الدهر وحوادثه. وقيل: هان علي ما ألقاه، فأضمر الفاعل. وهان: أي خف.

يقول: خف علي أمور المصائب، فلا أبالي بها ولا أجزع عند نزولها. أي لأني ما انتفعت بما بليت قبل ذلك، فكذلك لا أنتفع بالمبالاة في المستقبل أيضا.

وهذا أوّل النّاعين طرّا لأوّل ميتةٍ في ذا الجلال

الناعي: المخبر بالموت. وطرا: نصب على المصدر، وهو توكيد. وميتة: تخفيف ميتة، وروى ميتة.

والجلال كالجلة. وذا: بمعنى هذا. والجلال: هو ملك سيف الدولة.

يقول: هذا أول مخبر خبر بأول مصيبة في هذه الدولة ! يعني: أنه لم ير في ملكه شيئاً يكرهه قبل هذه.

وقيل معناه: لأول ميتة في هذا الجلال والعظمة.

كأنّ الموت لم يفجع بنفسٍ ولم يخطر لمخلوقٍ ببال

تقديره: لم يفجع أحداً بنفس، فحذف المفعول.

يقول: كأن هذه المصيبة لعظمها، أنست كل مصيبة كانت قبلها، حتى كأن الموت لم يفجع أحداً بموت أحد، ولم يخطر على قلب أحد، لعظم هذه المصيبة، أو لأنه لم يمت له أحد قبلها. ومثله قول الآخر:

كأن لم يمت حيّ سواك ولم يقم على أحدٍ إلاّ عليك النّوائح

صلاة اللّه خالقنا حنوط على الوجه المكفّن بالجمال

يقول داعياً لها: إن صلاة الله عليك حتى تقوم مقام الحنوط للميت. وخص الوجه المكفن بالجمال: تشريفاً للوجه وهو عبارة عن جميع الشخص.

على المدفون قبل التّرب صوناً وقبل اللّحد في كرم الخلال

على المدفون: بدل من قوله: على الوجه. ونصب صوناً: على التمييز.

يقول: إن رحمة الله على الميت كان مدفوناً في الصيانة والعفة قبل أن يدفن في التراب، كذلك مدفوناً في الخصال الكريمة قبل الدفن في اللحد. وروى: قبل الموت بدل الترب

فإنّ له ببطن الأرض شخصاً جديداً ذكرناه وهو بالي

أي للمدفون وذكرناه أي ذكرنا له. وجديداً: نصب صفة لشخص.

يقول: إن هذا الشخص ذكرنا له جديد، وإن بلي في التراب ومضى.

أطاب النّفس أنّك متّ موتاً تمنّته البواقي والخوالي

فاعل أطاب: أنك، وهو في موضع رفع.

يقول: طيب نفسي، ونفوس أوليائك، موتك في العز والإكرام. ومثل هذا الموت، في مثل هذا العز مما يتمناه كل أحد من الأموات والأحياء.

وزلت ولم ترى يوماً كريهاً تسرّ الرّوح فيه بالزّوال

يقول: طيب نفسي أنك زلت ومت من الدنيا مسرورة ولم تر فيها يوماً مكروهاً يتمنى فيه الموت.

رواق العزّ فوقك مسبطرّ وملك عليّ ابنك في كمال

مسبطر. أي ممتد طويل، وروى مستطيل.

يقول: لم تموتي حتى رأيت رواق عز ابنك ممتداً وملكه كاملاً.

وذكر ابن جني وكثير ممن فسروا هذا الديوان: أن قوله: مسبطر لفظه مستقبحة خصوصاً في النساء، ولعلهم قالوا ذلك لما وقفوا على بيت لأبي الشمقمق وهو قوله:

مررت بإير بغل مسبطر فويق الباع كالوتر المطوق

وليس كذلك، لأن هذه اللفظة قد تستعمل في غير هذا المعنى. فقد وصف أمر السير بها وقال: ومن سيرها العنق المسبطرة وذكرها ذو الرمة في الكواكب فقال:

.... من اللّيل جوز واسبطرت كواكبه

سقى مثواك غادٍ في الغوادي نظير نوال كفّك في النّوال

يقول: سقى القبر الذي ثويت فيه سحاب غاد أي: مطر مدرار يشبه نوال كفك في كثرته وغزارته، فكما أن نوال كفك أغر من نوال غيرك، فكذلك هذا السحاب أغر من كل سحاب.

لساحيه على الأجداث حفشٌ كأيد الخيل أبصرت المخالى

الساحي: القاشر. والهاء في لساحية تعود على قوله غاد والحفش: الأثر. وقيل: هو مصدر السيل حفشاً: إذا جمع الماء من كل جانب. وقوله: كأيدي الخيل: أي كحفش أيدي الحيل، فحذف المضاف. والمخالي. جمع مخلاة، وهي وعاء يجعل فيه العلف.

يصف شدة وقع المطر الذي دعا لقبرها بسقياه فيقول: سقى قبرك غاد: مطر يقشر عنه ويترك على القبر أثراً مثل آثار أيدي الخيل إذا أبصرت المخالي ومثله. قول حميد:

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الغمام وديمةٌ تهمى

وروى تنم. وقيل: هو من قولهم: حفش المطر الأرض: إذا أظهر نباتها. كأنه يقول: سقى قبرك غاد. مطر ينبت النبات. ثم شبهه بفعل أيدي الخيل في حالة مخصوصة، إشارة إلى معنى المبالغة في إنبات ما يدعو الناس إلى الإقامة بها والحلول فيها؛ لأنه كلما كان أشد كان أحسن لنباته. وقال ابن الأعرابي: حفشت السماء. إذا جاءت بمطر قليل، وهذا مما يزيد الطعن.

أسائل عنك بعدك كلّ مجدٍ ... وما عهدي بمجدٍ منك خالي

يقول: لما فقدتك جعلت أساءل عنك كل مجد؛ لأن المجد كان قرينك، وما رأيت مجداً خالياً منك، وكان هو الأولى بأن يسأل.

يمرّ بقبرك العافي فيبكي ... ويشغله البكاء عن السّؤال

يقول: إذا مر بقبرك من كان يقصدك، بكى أسفا لفقدك، فاشتغل ببكائه عن أن يسألك، كما كانت عادته في حياتك.

وما أهداك للجدوى عليه! ... لو أنّك تقدرين على فعال

الهاء في عليه للعافي.

يقول: ما أرشدك إلى الإجداء عليه، والإنعام لديه ! لو قدرت على الفعل، ولكنك لا تقدرين على ذلك، لأنك ميته.

بعيشك هل سلوت ؟ فإنّ قلبي ... وإن جانبت أرضك غير سالي

بعيشك: قسم على المتوفاة.

يقول: بعيشك، ألا أخبرتيني: هل سلوت عني وطابت نفسك بعدي ؟! فإني وإن كنت بعيداً عن أرضك غير صابر عنك.

وهذا قد ذكره على لسان سيف الدولة، ولو لم يرد هذا المعنى لكان سوء أدب ! ويحكى عن أبي الطيب أنه أنكر هذا البيت وقال: إنه زيد في القصيدة ليفسد به حالي عند سيف الدولة.

نزلت على الكراهة في مكانٍ بعدت عن النّعامى والشّمال

النعامى: الجنوب، وقيل: كل ريح، وقوله بعدت: أي بعدت فيه فحذف للعلم بذلك.

يقول: إنك قد نزلت على كراهة منك. وقيل: على كره منا، في مكان منعت فيه عن اللذات، وفقد الحياة، وتنسم رياح الجنوب والشمال !

تحجّب عنك رائحة الخزامى وتمنع منك أنداء الطّلال

الخزامى: نبت طيب الرائحة. وروى: الظلال والطلال بالظاء والطاء. ومعناه: إنك فقدت لذات الدنيا لفقدك الحياة.

بدار كلّ ساكنها غريبٌ طويل الهجر منبتّ الحبال

يقول: نزلت بدار كل ساكنها غريب، لأنه لم يكن به أحد قط، ولأنه منفرد لا يزوره أحد، وكل ساكنها طويل الهجر، لا يرجع إلى يوم الحشر، وهو منقطع الأسباب، إذ لا وصل بين الأحياء والأموات.

وقيل: أراد بقوله: منبت الحبال انبتات المودة كما قال أبو نواس:

وجاورت قوماً لا تزاور بينهم ولا وصل إلاّ أن يكون نشور

حصانٌ مثل ماء المزن فيه كتوم السرّ صادقة المقال

حصان بفتح الحاء: أي عفيفة. والهاء في فيه ترجع إلى المكان في قوله: نزلت على الكراهة في مكان.

وقيل: ترجع إلى المزن يعني مثل ماء المزن في المزن قبل مفارقتها إياه.

يمدحها بالعفة والطهارة وكتمان السر وصدق القول. وشبهها في طهارة أخلاقها بالماء ما دام في السحاب لا يلحقه دنس ولا كدر. وقيل في قوله: صادقة المقال لأنها لا تقارب ريبة فتحتاج إلى العذر.

يعلّلها نطاسيّ الشّكايا وواحدها نطاسيّ المعالي

يعللها: أي يداويها. وعللت المريض: إذا أقمت عليه في علته. النطاسي: الطبيب الفطن. والشكايا: جمع شكية وهي ما يشكوه من مرض وغيره وأراد بواحدها: سيف الدولة والهاء: للمتوفاة.

يقول: إن طبيب الأمراض كان يداويها، وكذلك واحدها: أي ابنها الذي هو طبيب المعالي. أي أنه إذا وقع الخلل في المعالي سده برأيه.

إذا وصفوا له داءً بثغرٍ سقاه أسنّة الأسل الطّوال

يقول: إن طبيب المعالي، فإذا وصف له داء بثغر من ثغور المسلمين، سقاه الأسنة وداواه بها حتى يشفيه كما يشفي الطبيب من الأمراض بالعقاقير والأدوية ومثله لأبي تمام:

وقد نكس الثّغر فابعث له صدور القنا لابتغاء الشّفاء

وليست كالإناث ولا اللّواتي تعدّ لها القبور من الحجال

يقول: ليست من النساء اللواتي تكون القبور سترا لهن، ويعد موهن كرامة، لأنها كاملة الخصال، شريفة الخلال، ليس لها نقص النساء الذي يحتاج إلى الستر بالقبر. وهذا كأنه من الخبر، دفن البنات من المكرمات.

ولا من في جنازتها تجارٌ يطون وداعها نفض النعال

يقول: ليست هي من نساء العامة التي يحضر جنازتها التجار فإذا دفنوها وودعوها نفضوا نعالهم وانصرفوا عنها.

مشى الأمراء حوليها حفاةً كأنّ المرو من زفّ الرّئال

المرو: جمع مروة، وهي حجر أبيض. والزفة: الريش تحت الجناح للطائر وهو ألين ما يكون من الأشياء. والرئال: جمع الرأل وهو فرخ النعام.

يقول: مشت الأمراء والملوك حول نعشها حفاة فلم يشعروا بخشونة الأحجار على أقدامهم الناعمة حزناً بها، حتى كأن الحجارة كانت عندهم في اللين كزف أفراخ النعام.

وقيل: إنهم لكثرتهم وشدة وطئهم على الحجارة وقلة مبالاتهم بها، صارت الأحجار مسحوقة لينة كريش النعام.

وأبرزت الخدور مخبّآتٍ يضعن النّقس أمكنة الغوالي

أبرزت: أي أظهرت. والخدور: الستور، وهي الفاعلة. ومخبآت: أي مخدرات، وهي المفعولة، والمراد بالنقس المداد، وهو السواد. والغالية: هي المسك والعنبر معجونان.

يقول: إن النساء المخبآت في الخدور برزن من خدورهن ووضعن المداد على خدودهن وشعورهن، ومواضع كن يضعن فيها الغوالي.

أتتهنّ المصيبة غافلاتٍ فدمع الحزن في دمع الدّلال

وروى: المصائب. يقول: إن هذه المصيبة أتت هؤلاء المخبآت وهو غافلات في السرور والدلال، بحيث كانت عيونهن تدمع من السرور، لحياة هذه المتوفاة ولوجوه أخر من المسرات، فأتتهن المصيبة فجأة فأخرجت من عيونهن دمع الحزن واختلط بدمع الفرح.

ولو كان النّساء كمن فقدنا لفضّلت النّساء على الرّجال

معناه ظاهر، وكونها كانت أفضل من الرجال، لما لها من زيادة العقل والرأي الكامل، والخصال الفاضلة. وروى: لفضلت النساء وذلك يلائم قوله: فقدنا فيكون كل واحد إخبار عن النفس. ويحكى عن سيد المؤيد ؟ قدس الله روحه. قال: كنت أقرأ هذه القصيدة على المتنبي فقرأت لفضلت على ما لم يسم فاعله فرد علي فقال: أما أنا فلم أقل إلا فضلت على أن يكون الفعل لي. وهذا يؤيد ما ذكرناه من الرواية.

وما التّأنيث لاسم الشّمس عيبٌ ولا التّذكير فخرٌ للهلال

يقول: لا اعتبار بالتذكير والتانيث، وإنما الاعتبار بالفضل والنقص، فالهلال مذكر، والشمس مؤنث، ومع ذلك الشمس أفضل من الهلال.

وأفجع من فقدنا من وجدنا قبيل الفقد مفقود المثال

يقول: أعظم من فجائع المفقودين فجيعة من وجدناه قبل الموت وحيداً لا نظير له يخلفه.

يدفّن بعضنا بعضاً ويمشي أواخرنا على هام الأوالي

الأوالي: مقلوب من الأوائل، فقدم اللام وأخر الهمز، ثم أبدلها ياء، فصارت كالقاضي.

يقول: الحي يدفن الميت، والآخر يمشي على هام الأول.

وكم عينٍ مقبّلة النّواحي كحيلٍ بالجنادل والرّمال

الجندل: الصخر. يقول: كم عين كانت مقبلة النواحي، أضحت مكحلة بالرمل تحت التراب.

ومغضٍ كان لا يغضى لخطبٍ وبالٍ كان يفكر في الهزال

يقول: كم رجل مغض: خاشع الطرف لأجل الموت. وقد كان لا يغضى لخطب من خطوب الدهر؛ لعزته ومنعته، وكم رجل قد بلي تحت التراب وتمزقت أوصاله، وقد كان يتفكر في هزال نفسه، ويطلب صلاح جسمه.

أسيف الدّولة استنجد بصبرٍ وأين بمثل صبرك للجبال ؟ !

يقول: يا سيف الدولة، استعن بصبرك الذي هو كالجبال الثوابت، على هذه المصيبة العظيمة. ومن أين للجبال مثل صبرك ؟!

وأنت تعلّم النّاس التّعزّي وخوض الموت في الحرب السّجال

الحرب السجال: مرة لهؤلاء، ومرة لهؤلاء مأخوذ من المساجلة: وهو المغالبة في جذب الدلو، والسجل: الدلو العظيم.

يقول: لا تحتاج أن نعزيك على مصائبك؛ لأنك تعلم الناس التصبر وتعلمهم خوض المنايا في الحروب العظيمة.

وحالات الزّمان عليك شتّى وحالك واحدٌ في كلّ حال

ذكر الحال في قوله: وحالك واحد في كل حال لأنه يذكر ويؤنث.

يقول: أحوال الزمان عيك متفرقة ومختلفة، ولا يزعجك منها شيء، ولا يغيرك عن حالك من الصبر والثبات والحلم والوقار في جميع الأوقات.

فلا غيضت بحارك يا جموماً على علل الغرائب والدّخال

غيضت: أي نقصت. والجموم: الكثير. والعلل: الشربة الثانية. والغرائب: جمع غريبة، وهي الناقة تدخل في الإبل وليست منها. والدخال: جمع دخل، وهو أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا يساعدهما على الشرب.

يقول: لا نقص الله من جمام بحارك، على كثرة ما يرد عليها من غرائب المصائب، وتكرير الحوادث، وهذا مثل. والمراد: لا نقص الله صبرك بكثرة ما يصيبك من حوادث الأيام. فشبه سيف الدولة بالبحر الكثير الماء، وحوادث الأيام بإبل ترد عليه مرة بعد أخرى.

وقيل معناه: لا نقص جودك على كثرة من يرده ممن لا يستحقه، كما أن الغرائب والدخال لا يستحق ورود الحوض، إذ الغرائب ليست من إبل هذا الحوض، والدخال قد شربت مرة. وقيل معناه: أنك كثير العطاء لمن هو مقيم عندك وهو المراد بالدخال، ولمن يرد عليك من مكان آخر وهو المراد بالغرائب، وهذا أبلغ من قول الكميت:

أناسٌ إذا وردت بحرهم صوادى الغرائب لم تقرب

رأيتك في الذين أرى ملوكاً كأنّك مستقيمٌ في محال

يقول: أراك بين الملوك كالمعنى المستقيم، والكلام المستقيم، والأمر المستقيم، الظاهر إلى جنب المستحيل الفاسد، أي أنك الملك على الحقيقة وغيرك من الملوك اسم بلا جسم.

فإن تفق الأنام وأنت منهم — فإنّ المسك بعض دم الغزال

المسك للظبي: بمنزلة الحيض للنساء. وقيل: لا يكون إلا في إناثها.

يقول: إن فضلت الأنام وعلوتهم وأنت من جملتهم فليس ذلك بعجب فإن المسك دم، ولكن يخالف سائر الدماء ريحاً وطبعاً.

وهذا من اختراعات أبي الطيب وفرائده. وقوله فإن تفق شرط وأنت منهم حال. فإن المسك جواب الشرط.

وقال يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل: تغلب بن داود بن حمدان لما أسره الخارجي الناجم من كلب. ويصف قتل الخارجي.

وكان أبو وائل قد ضمن لهم، وهو في الأسر خيلا طلبوا منها: العروس ومالا اشترطوه عليه وأقاموا ينتظرون وصول ذلك فصبحهم سيف الدولة بالجيش فأبادهم، وقتل الخارجي في شهر شعبان سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة.

إلام طماعية العاذل — ولا رأى في الحبّ للعاقل ؟

إلى من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية، ثم حذف منها الألف وجعلت مع إلى بمنزلة اسم. ومعناه: إلى أي شيء. وقيل إلى متى والطماعية مصدر كالطمع وهي مخففة إليه.

يقول: إلى متى يطمع العاذل في رجوعي عن الهوى، والعاقل إذا ابتلى في الهوى فقد فقد رأيه وزال عقله.

يراد من القلب نسيناكم — وتأبى الطّباع على النّاقل

يقول: إني مطبوع على حبكم، ومجبول على هواكم، والعاذل يريد مني أن أنساكم، وهذا محال، لأن الطبع لا يقدر أحد أن ينقه إلى غره، ويغيره عما هو عليه، ومثله قول الآخر:

لا تحسبوني عنكم مقصّرا — إنّي على حبّكم مطبوع

وإنّي لأعشق من عشقكم — نحولي وكلّ امرئٍ ناحل

أعشق: يجوز أن يكون فعلا مضارعاً، من عشقت ويكون كل منصوبا عطفاً على نحولي وهو في موضع النصب.

ومعناه: أني من فرط عشقي لكم أعشق نحولي، وأعشق كل عاشق مثلي ناحل مثل نحولي، للمشاكلة التي بيننا. ويجوز أن يكون أعشق أفعل تفضيل وكل يكون مجروراً عطف على الياء في نحولي. ومعناه: أني أعشق لكم. أي أشد عشقاً لكم من عشقكم نحولي ونحول كل فتى ناحل. يعني: أنكم تعشقون نحولي ونحول كل عاشق، وعشقي لكم أشد من عشقكم نحولي ونحول كل فتى هذه صفته.

ولو زلتم ثمّ لم أبككم بكيت على حبّى الزّائل

يقول: لو فارقتموني وفراقكم دال على زوال حبي ثم لم أبك لفراقكم، لبكيت على حبي الزائل؛ لأني أحب حبي لكم، فإذا زال ساءني زواله فأبكي له، وإن لم أبك لفراقكم، ويجوز أن يكون بكيت دعاء على نفسه. أي: إن لم أبك لكم، جعل الله حبكم زائلا عني حتى أبكي عليه.

أينكر خدّي دموعي وقد جرت منه في مسلكٍ سابل ؟

قيل: سابل بمعنى مسبول: أي مسلوك للمارة. وقيل: سابل: أي عامر بالمارة والهاء في منه للخد.

يقول: إن خدي لا ينكر دموعي السابلة عليه؛ لأنها لم تزل تسيل على الخد حتى صار فيه طريق سابل، فهذا الذي يجري الآن يجري في ذلك الطريق المسلوك.

وروى: في مسلك سائل يقال: هذا المكان سائل الماء. أي يسيل عليه الماء

أأوّل دمعٍ جرى فوقه ؟ وأوّل حزنٍ على راحل ؟

يقول: ليس هذا بأول دمع جرى، لأني كثيراً ما ابتليت بذلك، وليس الحزن الآن بأول حزن على حبيب راحل، لأني قد تجرعت من غمومه غير مرة.

وقيل معناه: لست أول عاشق بكى من الفراق وحزن من ألم الشوق، وقد كان قبلي عشاق يبكون ويحزنون على فراق الأحبة.

وهبت السّلوّ لمن لامني وبتّ من الشّوق في شاغل

يقول: تركت السلو على من لامني، ويأمرني بالسلو، ويعذلني عليه، واشتغلت بما أنا فيه من الوجد والشوق والمحبة.

كأنّ الجفون على مقلتي ثيابٌ شققن على ثاكل

يقول: كأن جفوني على مقلتي - لتباعد ما بين الجفون من شدة السهر - ثياب شققن على ثاكل؛ لأنها إذا شقت تباعد ما بين جانبي المشقق.

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل

يقول: لو كنت أسيراً كسائر الأسارى. الذين يكونون في أيدي الأعادي لضمنت لهم من المال ما ضمنه أبو وائل، واستعنت بسيف الدولة ليخلصني من الأسر، ولكني أسير الهوى، فلا أقدر على الخلاص منه، ولا أقهره بشدة ولا قوة.

فدى نفسه بضمان النّضار وأعطى صدور القنا الذّابل

يقول: فدى نفسه أبو وائل من الخارجي بأن ضمن لهم الذهب، وأعطاهم صدور القنا التي جاء بها سيف الدولة حين استنقذه من يديه.

ومنّاهم الخيل مجنوبةً فجئن بكلّ فتىّ باسل

مجنوبة: أي مقودة جنب الفارس.

يقول: مناهم أبو وائل الخيل مقودة ليفدى بها نفسه فجاءتهم الخيل بكل فارس شجاع يضرب رءوسهم ويهلكهم.

كأنّ خلاص أبي وائل معاودة القمر الآفل

شبه أسره وخلاصه بالقمر إذا غاب ثم طلع. يعني عاد كالقمر، وهو في نوره كما كان.

دعا فسمعت وكم ساكتٍ على البعد عندك كالقائل

يقول لسيف الدولة: إن أبا وائل دعاك لتخلصه، فسمعت دعاءه ثم قال: فكم ساكب أي أنك تراعي أمر القريب منك وأمر البعيد الذي لا يسألك مراعاته، فكأنه في سكوته استجارك كالناطق؛ لأن معونتك تعم الخاص والعام.

فلبيّته بك في جحفلٍ له ضامنٍ وبه كافل

ضامن وكافل: نعت لجحفل.

يقول: لما دعاك لبيته بنفسك في عسكر ضامن لأبي وائل، وكافل به، فخلصته من يد الخارجي، ولم يكن هناك دعاء ولا إجابة، ولكنه جعل وقوعه في يد الخارجي دعاء منه، وخروج سيف الدولة إجابة منه إياه.

خرجن من النّقع في عارضٍ ومن عرق الرّكض في وابل

خرجن: أي الخيل. والركض: الضرب بالرجل جنب الدابة.

يقول: إن الخيل لما ركضت، ثار الغبار مثل السحاب، وسال عرقها مثل المطر الوابل.

فلمّا نشفن لقين السّياط بمثل صفا البلد الماحل

نشفن: أي جف العرق عنهن. والصفا: جمع صفاة، وهي الصخرة البيضاء. والبلد الماحل: المجدب، فحجره أصلب.

يقول: إنها لما عرقت الخيل علاها الغبار، وتلبد التراب عليها، فلما جف عرقها أشبهت جلودها الصلاء؛ لصلابتها، فوقعت السياط على جلود هذه صفتها، وإنما خص البلد الماحل قيل: لأن أحجارها أصلب من غيرها. وقيل: هذا لا معنى له وأنها لا تتغير، وإنما خصها لأنها أكثر غباراً من البلد الكثيرة الري، فشبه تراكم الغبار على جلودها في صلابتها بصفاء البلد الكثيرة التراب.

شفنّ لخمسٍ إلى من طلب ن قبل الشّفون إلى نازل

شفن: أي نظرن. والشفون: النظر.

يقول: إن الخيل سارت خمس ليال لم يترل عنها فارس، فنظرت هذه الخيل إلى من طلبته من العدو، بعد خمس ليال، قبل نظرها إلى نازل عن ظهرها؛ وذلك لأن فرسانها واصلوا سيرها حتى أدركوا مقصودهم ولم يترلوا عنها حتى لحقوا الخارجي.

فدانت مرافقهنّ البرى على ثقةٍ بالدّم الغاسل

روى: البرى والثرى.

يقول: قاربت مرافقهن التراب وخالطته عند العدو، ووثقت أن دم العدو يغسل هذه المرافق من التراب الذي عليها. ويجوز أن يكون دانت بمعنى أطاعت مرافقهن التراب، لأنها وثقت أن الدم يغسلها.

وما بين كاذتي المستغير كما بين كاذتي البائل

الكاذة: لحم الفخذ.

يقول: إن الفرس التي تطلب الغارة قد اتسع ما بين فخذيه، من شدة العدو، مثل ما بينهما إذا أراد أن يبول.

وقيل: أراد بالمستغير. الخارجي؛ لأنه كالطالب لهذه الغارة من خيل سيف الدولة.

فيقول: الدم الذي يترشش بين لحمتي فخذ الخارجي أو فخذ فرسه كان كالبول: أي يترشش على هذه المواضع عند البول.

فلقّين كلّ ردينيّةٍ ومصبوحةٍ لبن الشّائل

المصبوحة: التي سقيت اللبن وقت الصبح. والشائل: التي لا لبن لها، والشائلة: التي حملت وقل لبنها. قال ابن جني؛ قلت للمتنبي: إن الشائل هي التي لا لبن لها، وأنت تريد ما لها لبن، والتي لها لبن قليل يقول لها: الشائلة. فقال أردت الهاء فحذفتها كقول الشاعر:

إنّا بنو عمكم لا أن نباعدكم ولا نحاربكم إلاّ على ناجي

فإنه أراد: ناجية. فسألته عن غرضه. في ذلك، فقال: إن الناقة إذا قل لبنها، ونجع في شاربه، فلا يسقوها الإكرام خيولهم.

فكأنه يقول: إن خيول سيف الدولة لقين أي لقيت خيله في جيش الخارجي كل رمح رديني، وكل فرس مصبوح لبن الشائل. التي جف لبنها. وقيل أراد بالشائل: التي لا لبن لها أصلاً. ومعناه: أنها لا تطعم فتلزم الطوى توفيراً لها على العدو.

وجيش إمام على ناقةٍ صحيح الإمامة في الباطل

أي: ولقين خيل سيف الدولة، جيش إمام في الباطل دون الحق. وكان الخارجي يدعى الإمامة.

فأقبلن ينحزن قدّامه نوافر كالنّحل والعاسل

ينحزن: أي يجتمعن، من قولك انحاز القوم إلى ناحية. إذا التجئوا إليها.

وقيل: يتفرقن يميناً وشمالاً، تذهب كل فرقة إلى حيزة.

وقيل: هو من نحزت الناقلة برجلي: إذا ركلتها. أي أنهن يركلن بأرجلهن، قدامه: أي قدام الخارجي، والعاسل الذي يخرج العسل.

يقول: إن خيل الخارجي رأوا جماعات لها ضجيج ونفر، فشبههم بالنحل. وشبه الخارجي بالعاسل. والنحل عند معالجة العاسل، يكون لها ضجيج ونفر في وجه العاسل.

وقيل معناه: أقبلت خيل الخارجي - لما رأت جيش سيف الدولة - تتفرق عنه وتسلمه إلى سيف الدولة، كما يسلم النحل ويتفرق عنه، إذا دخل عليه العاسل.

فعلى هذا: العاسل: سيف الدولة، والنحل: جيش الخارجي.

فلمّا بدوت لأصحابه رأت أسدها آكل الآكل

يقول لسيف الدولة: لما ظهرت لأصحاب الخارجي، وكانوا كالأسود رأوا منك أسداً يأكل كل أسدٍ آكلة لهم يأكلهم ويفنيهم.

بضربٍ يعمّهم جائرٍ   له فيهم قسمة العادل

له أي للضرب. والباء متعلق بقوله: آكل الآكل. أي يأكلهم بضربٍ. جعل الضرب مجاوزاً للحد، خارجاً عن المعتاد. وقوله: قسمة العادل. فيه وجوه: أحدها: قيل معناه: أنه عدل، لأنه قربة إلى الله تعالى، لأنهم خوارج على إمامهم.

والثاني: أنه كان عدلا لخصوصة بالشجعان.

والثالث: أنه مقسوم بينهم على سواء، له في كل واحد منه حصة مثل حصة الآخر، ولم يفت منه أحد، فهو عدل من هذا الوجه.

والرابع: أنه كان عدلاً من حيث أنه جعل كل واحد منهم بنصفين على سواء، فكانت صورة القسمة النصفة.

وطعنٍ يجمّع شذّانهم   كما اجتمعت درّة الحافل

روى: شذاذهم بذالين، وشذانهم بذال ونون، أي المتفرقون.

يقول: إن سيف الدولة كان يطعنهم طعناً يجتمع عليه المتفرقون، ويتعجبون من سعتها، كما يجتمع الدر في الضرع الحافل، ووجه التشبيه أنهم يجتمعون عليه واحداً واحداً وينضم واحد إلى آخر، كما تجتمع الدرة شيئاً فشيئاً. وقيل: أراد أن خيل الخارجي من شدة الطعن تجمعوا ليتقوا كما يجتمع الدرة في الضرع الحافل.

إذا ما نظرت إلى فارسٍ   تحيّر عن مذهب الرّاجل

أي عن مذهب مثل الراجل.

يقول: إذا نظرت إلى فارس منهم خذلته نفسه، وبقي متحيراً لا يقدر على أن يسير مثل سير الراجل، ولا أن يذهب مثل مذهبه.

فظلّ يخضّب منها اللّحى   فتى لا يعيد على النّاصل

الناصل: المضروب بالنصل، وهو فاعل بمعنى مفعول، والهاء في منها للأسد، وهي خيل الخارجي. وفاعل ظل فتى وهو سيف الدولة.

يقول: إن سيف الدولة إذا ضرب منهم إنساناً ضربة قتله، فلا يحتاج إلى أن يعيد الضرب مرة أخرى.

وقيل: الناصل. من نصل الخضاب يعني: إذا ضرب فخضب المضروب بالدم، فإن خضابه لا ينصل

عنه حتى يحتاج إلى إعادته.

ولا يستغيث إلى ناصرٍ — ولا يتضعضع من خاذل

تضعضع البناء: إذا انهدت أركانه أي لا يتذلل هذا الفتى، ولا يستعين بناصر ينصره، ولا يضعف إن خذله أصحابه، لأنه مستقل بنفسه لا يحتاج إلى أحد.

ولا يزع الطرف عن مقدمٍ — ولا يرجع الطّرف عن هائل

يزع: أي يكف. ومقدم: أي الإقدام.

يعني: أنه لا يرد فرسه عن الإقدام، ولا يرد طرفه أي عينه عن أمر مخوف ومنظر هائل.

إذا طلب النّبل لم يشأه — وإن كان ديناً على ماطل

النبل: الحقد. يقول: إذا طلب ثأراً أدركه، فلم يفته وإن كان ثأره عند من لا يدرك لديه ثأر. فشبه هذا الثأر بدين على ماطل.

خذوا ما أتاكم به واعذروا — فإنّ الغنيمة في العاجل

يقول للخارجي وجماعته الذين كانوا ينتظرون الفداء هزءاً بهم: خذوا ما أتاكم به سيف الدولة من الفداء، واعذروه في هذه الغنيمة المعجلة، فاغتنموا ذلك فإن الغنيمة في العاجل.

وإن كان أعجبكم عامكم — فعودوا إلى حمص في القابل

يقول: لئن كان أعجبكم ما ملكتم في هذا العام من الخير، فعودوا في العام القابل إلى حمص، حتى تروا ما يزيد على ذلك فترضوا به.

فإنّ الحسام الخضيب الّذي — قتلتم به في يد القاتل

يقول: السيف المخضب بدمائكم في يد القاتل، وهو سيف الدولة، فمتى شئتم فتعالوا إليه.

وقال ابن جني: أراد بالسيف. سيف الدولة. والخضيب: هو الخاضب اللحي بالدماء. والقاتل: هو الخليفة الذي ينصر سيف الدولة ويقاتل عنه.

يجود بمثل الّذي رمتم — فلم تدركوه على السّائل

أي يجود على السائل بمثل المال الذي رمتم، فلم تدركوه على السائل: يعني أنه يعطي سائله مثل ما طلبتموه، وإنما لم يعطكم أنفة، من أن تأخذوه قهراً.

أمام الكتيبة تزهى به — مكان السّنان من العامل

أمام: نصب على الظرف. وتزهى به: أي تفتخر به. والتاء: ضمير الكتيبة والهاء: ضمير سيف الدولة. وعامل الرمح: قدر ذراعين من أعلى الرمح.
أي أن سيف الدولة يكون أبداً أمام الكتيبة، كما يتقدم السنان على الرمح وأن الكتيبة تفتخر به، إذ لا غناء لهم عنه كما لا غناء للرمح عن السنان.

وإنّي لأعجب من آملٍ قتالاً بكمّ على بازل

البازل: البعير الذي دخل في السنة التاسعة. وكان الخارجي حينئذ على ناقة يومئ بكمه على أصحابه؛ يحرضهم على قتال سيف الدولة.
يقول: إني أعجب من ضعف رأي من يقاتل بكم على ناقة بازل.

أقال له اللّه: لا تلقهم بماضٍ على فرسٍ حائل ؟

الهاء في له للخارجي وفي لا تلقهم لأصحاب سيف الدولة. بماض: أي بسيف ماض. والحائل: خلاف الحامل، وخص الحائل لأنها تكون أشد على العمل، وأصبر على الشدة، وهم لا يركبون يوم القتال إلا الفرس الأنثى الحائل.
يقول: كأن الله تعالى قال له. لا تلق جيش سيف الدولة بسيف ماض على فرس حائل ! فلهذا ركب الناقة وأشار بكمه بدل السيف !

إذا ما ضربت به هامةً براها وغنّاك في الكاهل

الكاهل: أعلى الكتف بين المنكب والعنق. والهاء في به للسيف الماضي. أي كأن الله تعالى قال: لا تلقهم بسيف ماض، إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى العنق، وهامة قطعها، وسمعت له صليلا كالغناء.
وقيل: معناه: قال الله لهذا الخارجي. لا تحارب بسيف ماض مثل سيفك الماضي يا سيف الدولة، الذي إذا ضربت به رأساً تجاوزها وغنى لك في الكاهل.

وليس بأوّل ذي همّةٍ دعته لما ليس بالنّائل

يقول: إن الخارجي ليس بأول من لم يدرك مراده، وما دعته إليه همته، وقد خرج قبله كثير من الخوراج وطلبوا مثل ما طلب فقتلوا كما قتل.

يشمّر للّجّ عن ساقه ويغمره الموج في السّاحل

يقول: إن الخارجي كان يشمرّ عن ساقه؛ ليخوض لجة البحر، وقد علاه الموج في ساحل هذه اللجة. أي قد تأهب لجيش سيف الدولة الذي هو كالبحر العظيم، والموج يغرقه في الساحل ! أي أنه لقي مقدم عسكر سيف الدولة فهزموه، فكيف إذا لقي معظم عسكره ؟! وقال ابن جني: إنه يصف تمويه الخارجي على الأعراب وادعاءه النبوة فيهم فكان يحسر عن ساقه عند الماء ليرى الناس أنه يخوضه تمويها ومخرقة، ومع ذلك قد غمره الموج وهو على الساحل.

أما للخلافة من مشفقٍ على سيف دولتها الفاصل ؟ !

الفاصل: القاطع. يقول: هو أبداً على سيف الدولة. هذا الخليفة، لأن بقاء هذه الخلافة وبقاء دولتها بسيف الدولة، فهل أحد يشفق على هذا السيف القاطع؛ لتبقى هذه الخلافة.

يقدّ عداها بلا ضاربٍ ويسري إليهم بلا حاملٍ

يقد: أي يقطع. والهاء في عداها للخلافة وفي إليهم للعدا.

يقول: هذا السيف بخلاف سيف الحديد، فهو يقطع أعداء الخلافة بلا ضارب، ويسير إلى الأعداء بلا حامل.

وقيل: أراد أنه يذب عن الخلافة وحده، وليس من أوليائها معين ينصره.

تركت جماجمهم في النّقا وما يتحصّلن للنّاخل

النقا: الكثيب من الرمل.

يقول: رضضت جماجمهم فيما بين الرمل فصارت كالهباء، واختلطت بالرمل، فلو نخل الرمل أحد بمنخل لم يحصل له شيء.

وروى: وما يتخلصن أي ما يتميزن: أي أن جماجمهم، لا تتميز عن الرمل للناخل.

وأنبتّ منهم ربيع السّباع فأثنت بإحسانك الشّامل

يقول: طرحت هؤلاء السباع حتى أكلت، وأخضبت كما تخصب السوائم في الربيع، فصارت لحومهم للسباع كالربيع، فأثنت عليك السباع لذلك.

وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحلىّ إلى العاطل

العاطل: التي لا حلى عليها. يعني: أن حلب عريت عن زينتها لما فارقتها ! فلما عدت إليها ظافراً، عادت زينتها، كالحلي إذا عاد للعاطل.

ومثل الّذي دسته حافياً　　　يؤثّر فِي قدم النّاعل

يعني: هذا الذي وصلت إليه من الفتح العظيم بالهويني، لا يدركه غيرك بمشقة وتعب، أي وصلت إليه من غير آلة وعدة.

وكم لك من خبرٍ شائعٍ　　　له شية الأبلق الجائل

يقول: ذكرك وخبر وقائعك مشهورة، كشهرة الفرس الأبلق فيما بين سائر الأفراس؛ إذا كان الأبلق جائلا من مكان إلى مكان كان أشهر وأظهر.

ويومٍ شراب بينه الرّدى　　　بغيض الحضور إلى الواغل

وكم لك من يوم. وأيام العرب: حروبها. والواغل: الداخل في القوم؛ يشرب من غير دعوة. والهاء في بنيه لليوم.

يقول: كم لك من يوم حرب سقيت فيه أعداءك الموت، حتى كأن الواغل يبغض حضوره، وكان من عادته ألا يبغض ذلك؛ لأنه ليس بيوم شراب في الحقيقة.

تفكّ العناة وتغنى العفاة　　　وتغفر للمذنب الجاهل

يقول: تطلق الأسرى، وتغني العفاة: أي السؤال، بما تعطيهم من الأموال، ومن أذنب إليك بجهل عفوت عنه.

فهنّأك النّصر معطيكه　　　وأرضاه سعيك في الآجل

فاعل هناك معطيكه وفاعل أرضاه سعيك والهاء فيه ترجع إلى المعطى وهو الله تعالى والهاء في معطيكه للنصر.

يقول: هناك الله النصر الذي أعطاك، وأرضى الله سعيك في الآخرة، فأما هذه الدنيا فليس لها قدر يكون ثواباً لك ! وهذا دعاء له.

فذى الدّار أخون من مومسٍ　　　وأخدع من كفّة الحابل

ذي الدار: إشارة إلى الدنيا. والمومس: الفاجرة. والكفة: شرك الصائد. والحابل: صاحب الحبالة.

يقول: هذه الدنيا خبيثة كالمرأة الفاجرة، غدارة لا تدوم لأحد، فهي في الغدر كشرك الصائد الذي يظن الصيد فيه خيراً، فإذا فيه هلاكه !

تفانى الرّجال على حبّها　　　وما يحصلون على طائل

يقول: إن الرجال تفانوا جميعاً - بقتل بعضهم بعضاً - في حب هذه الدار الغدارة، ثم يتركوها ولا يحصلون منها على فائدة وخير. والطائل: هو الخير.

وقال عند مسيره نحو أخيه ناصر الدولة لنصرته لما قصده معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي إلى الموصل في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة.

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل   والطّعن عند محبيّهنّ كالقبل

يقول: أشرف الممالك قدراً، ما ملك عنوة، وفتح بأطراف الأسنة، وكان الطعن عند من أحب هذه الممالك، أحلى من قبل الأحباب.

وما تقرّ سيوفٌ في ممالكها   حتّى تقلقل دهراً قبل في القلل

أي ما تستقر مملكة سيف الدولة، ولا تستقر سيوف في مملكته، حتى يقلقل أعداءه، وتتحرك سيوفه دهراً في رءوس الأعداء. ومثله لأبي تمام:

سأجهد عزمي والمطايا فإنّني   أرى العفو لا يمتاح إلاّ من الجهد

مثل الأمير بغى أمراً فقرّبه   طول الرّماح وأيدي الخيل والإبل

معناه: من مثل الأمير ؟ وقيل معناه: لا تستقر المملكة حتى يفعل مثل ما فعله سيف الدولة. فإنه يطلب أمراً بعيداً فيقرب هذا الأمر عليه: طول الرماح وخيله وإبله، أي يقصد إليه برماحه وإبله.

وعزمةٌ بعثتها همّةٌ زحلٌ   من تحتها بمكان التّرب من زحل

زحل: مبتدأ. والمكان: خبره. والهاء في تحتها: للهمة. وفي بعثتها للعزمة.

يقول: قرب عليه مرامه عزمة بعثتها همة عالية، بحيث زحل تحت هذه الهمة بمكان التراب من زحل ! أي أن ما بينها وبين زحل من البعد مثل ما بين زحل والتراب.

على الفرات أعاصيرٌ وفي حلبٍ   توحّشٌ لملقى النّصر مقتبل

الأعاصير: جمع إعصار، وهو غبار الحرب، ورهج الخيل.

يقول: على الفرات غبار الخيل من كثرة الحروب والنزول عليها، وفي حلب توحش بمفارقتها سيف الدولة، وهو ملقى النصر، ملقاه حيث توجه. مقتبل: أي هو في أول شبابه. وقيل: معناه أنه حسن تقبله العيون، وتحبه القلوب.

تتلوا أسنّته الكتب الّتي نفذت   ويجعل الخيل أبدالاً من الرّسل

فيه وجهان: أحدهما: أن أسنته تتلوا الكتب الواردة إليه من أخيه ناصر الدولة، فجعل جواب كتبه خروجه إليه بنفسه، وجعل خيله بدل رسله. وهذا مثل قوله: فليته في محفل.
والثاني: أنه إذا كتب إلى الأعداء فأسنته تتبعها، وإنما يكتب إلى أعدائه ليعرفهم أنه متوجه إليهم، حتى لا يكون خروجه اغتيالاً؛ لأن هذا داخل في الشجاعة من أن يقصدهم مفاجأة، لأنه يدل على الجبن والاغتيال، وهذه فائدة كتبه إلى أعدائه.

يلقى الملوك فلا يلقى سوى جزر وما أعدّوا فلا يلقى سوى نفل

جزر: بمعنى مجزور، أي مقطوع. وقيل: هي جمع جزور. أي كأنهم جزر يساقون إليه لينحرهم.
يقول: إنه كلما لقي ملكاً في حرب قتله وغنم أمواله، فهي جزر لسيوفه، وما له غنيمة له ولعسكره.

صان الخليفة بالأبطال مهجته صيانة الذّكر الهنديّ بالخلل

الخلل: جمع الخلة، وهي غاشية جفن السيف. وقيل: هي واحد، وجمعه أخلة. والذكر الهندي: هو السيف. والهاء في مهجته قيل لسيف الدولة ومعناه: أن الخليفة صان مهجة سيف الدولة بما ضم إليه من الجند والفرسان، كما يصان السيف بالخلل.
لما كان للدولة سيفاً جعل الخليفة والأبطال جفناً، وفيه إشارة إلى أن الاعتماد في الحرب عليه والجند فضلة، كما أن العمل للنصل دون الجفن.
وقيل: الهاء في مهجته للخليفة أي أنه صان نفسه بالأبطال الذين مع سيف الدولة، صيانة السيف بالخلل؛ لأنهم يقاتلون عنه أعداءه مع سيف الدولة فيصونه عن الأعداء.

الفاعل الفعل لم يفعل لشدّته والقائل القول لم يترك ولم يقل

يقول: إنه يفعل أفعالاً تعجز الناس عنها فيتركونها، أو أنهم لم يعرفوا ما يفعله من الأفعال ولم يهتدوا إليها، ويقول أقوالا حاول البلغاء أن يقولوا مثلها فلم يقدروا على ذلك، ولم يأتوا بها على وجهها ولم يتركوها؛ لأنهم تعرضوا لها ولم يستوفوا ما فيها من أنواع الفصاحة، فهي غير مقولة ولا متروكة.
ومثله قوله من قصيدة أخرى:

فأنطق واصفيه وأفحما

وقيل معناه: أنه يقول أقوالا لم تعرف فلم تقل، ولم تترك لأنها إذا لم تعرف لا يمكن تركها، لأنه ما لا يعرف، كما لا يفعل، لا يترك.

والباعث الجيش قد غالت عجاجته ضوء النّهار فصار الظّهر كالطّفل

غالت: أي أهلكت. وفاعله العجاجة ومفعوله ضوء النهار والهاء في عجاجته للجيش لفظاً، والطفل: آخر النهار.

يقول: هو الذي يبعث الجيش العظيم الذي يستر غباره الشمس حتى يصير وقت الظهر مثل آخر النهار: وقت المغرب.

الجوّ أضيق ما لاقاه ساطعها ... ومقلة الشّمس فيه أحير المقل

أضيق قيل: في معنى ضيق. أي أن الجو يضيق بما لاقاه من الغبار. وقيل: هي على أصلها. أي أشد ضيقاً. والهاء في ساطعها للعجاجة وفي لاقاه للجو وفي فيه لساطعها.

يقول: إن أضيق الأشياء - بما يسطع عن غبار هذا الجيش - هو الهواء: الذي هو أوسع الأشياء، وإذا كان الهواء كذلك فما ظنك بغيره ؟! وهذا الغبار أيضاً يغطي نور الشمس وقرصها حتى صارت عين الشمس أحير العيون في هذا الغبار، فكيف أحوال سائر العيون ؟!

ينال أبعد منها وهي ناظرةٌ ... فما تقابله إلاّ على وجل

ينال: فعل السيف. والهاء في منها: للشمس، أو لمقلتها.

يقول: إنه ينال ما هو أبعد منها. أي أبعد من الشمس. وهي ترى ذلك وتنظر إليه، فما تقابل هذه الشمس سيف الدولة عند طلوعها وفي سائر الأوقات، إلا وهي خائفة من أن يغير عليها.

قد عرّض السّيف دون النّازلات به ... وظاهر الحزم بين النّفس والغيل

قيل: أراد بالسيف نفسه، والهاء في به: ترجع إلى سيف الدولة.

يقول: جعل سيفه عارضاً بينه وبين النوائب وقد لبس الحزم مظاهراً. حاجزاً بين نفسه وبين اغتيال عدوه، فحزمه سلاح له كالسيف.

ووكّل الظنّ بالأسرار فانكشفت ... له ضمائر أهل السّهل والجبل

الهاء في له ترجع إلى سيف الدولة، وقيل: إلى الظن.

يقول: وكل ظنه بضمائر الناس، فظهرت له ضمائر أهل السهل والجبل.

هو الشّجاع يعدّ البخل من جبنٍ ... وهو الجواد يعدّ الجبن من بخل

يقول: إنه يتجنب من البخل، كما يتجنب الشجاع من الجبن، ويتجنب من الجبن، كما يتجنب الجواد من البخل، فأجرى البخل مجرى الجبن. فشجاعته تريه أن البخل من جملة الجبن؛ لأن البخيل يبخل

بماله خوف الفقر، فهو جبن. وجوده يريه أن الجبن بخل بالنفس فشجاعته تمنعه من البخل، وجوده يمنعه من الجبن.

يعود من كلّ فتحٍ غير مفتخرٍ وقد أغذّ إليه غير محتفل

أغذ إليه: أي أسرع إليه في السير. والاحتفال: التأهب.

يقول: إنه يفتح البلاد ويعود، ولا يفتخر بما فعل ولا يعتد به؛ لأنه يستصغر ما يفعله، ويسير إلى الأعداء مسرعاً غير مبال بهم ولا مستعد لهم فيهزمهم.

ولا يجير عليه الدّهر بغيته ولا يحصّن درعٌ مهجة البطل

البغية: الطلبة، وهي المطلوب، ولا يجير: أي لا يعيب.

يقول: إنه الدهر لا يمنعه مراده، والدرع لا يحفظ منه مهجة الشجاع إذا أراد قتله.

إذا خلعت على عرضٍ له حللاً وجدتها منه في أبهى من الحلل

أراد بالحلل: القصائد.

يقول: كسوته مدائح من شعري، لأجمله بحسن ذكره في الآفاق، فاكتسبت منه مدائحي جمالاً، ولبست من عرضه حللاً وكمالا، فصار هو الذي ينشر شعري. ومثل هذا قول كثير:

وإذا الدّرّ زان حسن وجوه كان للدّرّ حسن وجهك زينا

بذى الغباوة من إنشادها ضررٌ كما تضرّ رياح الورد بالجعل

يقول: إن الجاهل عن إدراكه وإدراك معناه، لا يعيب في شعري، بل هو على أبلغ وجوه الإحكام والجودة، وكما أن الجعل إذا شم ريح الورد غشى عليه وليس ذلك لنقص الورد، بل هو لخبث نفس الجعل ولؤم طبعه. ووجه ضررها بالغبي أنها تهتك ستر جهله، وتدل على بلادة فهمه، كما يظهر الورد لؤم طبع الجعل والهاء في إنشادها للحلل.

لقد رأت كلّ عينٍ منك مالئها وجرّبت خير سيفٍ خيرة الدّول

الهاء في مالئها للعين. والخيرة وإن كانت أفعل التفضيل، وهو لا يدخله الهاء، فإنها إنما حذفت منه الألف لحقت بغيرها فيقال: زيد خير الناس وهند خيرة النساء.

يقول: كل عين نظرت إليك ملأها حسنك وهيبتك، ولما كنت سيفاً كان مجربه: الذي هو الدولة. خيرة الدول.

فما تكشّفك الأعداء عن مللٍ من الحروب ولا الآراء عن زلل

يقول: إن الأعداء جرّبوك، فوجدوك لا تمل حروبهم، وكذلك لا تكشفك الآراء عن زلل؛ لأن رأيك لا يكون خطأ أبداً.

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم تركت جمعهم أرضاً بلا رجل

يقول: كم رجال من الأعداء ضاقت الأرض بهم لكثرتهم، فأفنيتهم، حتى صارت ديارهم خالية ليس فيها رجل.

ما زال طرفك يجري في دمائهم حتّى مشى بك مشي الشّارب الثّمل

يقول: قد أجريت دماءهم، وأكثرت من قتلهم، حتى كأن فرسك يتعثر فيهم؛ لكثرة جيفهم، ويتمايل بك كما يتمايل السكران الثمل.

يا من يسير وحكم النّاظرين له فيما يراه وحكم القلب في الجذل

الجذل: السرور.

يقول: إن الأرض كلها له، فحيثما سار يرى سروراً، وهو مأخوذ من قوله تعالى: "وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ".

إنّ السّعادة فيما أنت فاعله وفقت مرتحلاً أو غير مرتحل

يقول: كل ما فعلته مقرون بالسعادة والتوفيق، سواء ارتحلت أو أقمت. وقيل: إنه دعاء له بالتوفيق على كل حال.

أجر الجياد على ما كنت مجريها وخذ بنفسك في أخلاقك الأول

عن ابن جني قال: سألت المتنبي عن هذا فقال: كان سيف الدولة ترك الركوب مدة لعلة أصابته، فحركته بهذا، فعلى هذا: البيت الأول بيت لهذا المعنى.

يعني أنك موفق الرأي فيما تفعله، ولكن الرأي أن ترجع إلى أمرك الأول من الغزو والقتال.

ينظرن من مقلٍ أدمى أحجّتها قرع الفوارس بالعسّالة الذّبل

الأحجة: جمع الحجاج، وهو العظم الذي فوق العين، وفاعل أدمى: قرع الفوارس. ومفعوله: أحجتها. وقرع: قيل مضاف إلى المفعول، ومعناه: قرعك الفوارس. أي أن خيلك ينظرن من عيون قد أدماها قرعك الفوارس بالعسالة: بالرماح اللينة الكثيرة الاضطراب؛ لأنها إذا شرعت للطعن يكون مرها

على قرب الحجاج من الفرس. يعني أنها معودة للقتال. وقيل: إنه مضاف إلى الفاعل. أي أن خيلك قد أدمى عيونها طعن الفرسان إياها؛ لأنها تكون مقدمة لا تولى، فالطعن إنما يقع على وجهها.

فلا هجمت بها إلاّ على ظفرٍ ... ولا وصلت بها إلاّ إلى أمل

دعاء له بالظفر. يقول: كلما ركبت خيلك وصلت إلى ما ترجوه، وظفرت بما تطلبه والهاء في بها للخيل.

وقال يمدحه ويعتذر عن المسير معه وقد سأله السير معه في الطريق، لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولي سنة 337:

سر حلّ حيث تحلّه النّوّار ... وأراد فيك مرادك المقدار

النور والنوار واحد. ويجوز أن يكون النوار: جمع نور. وحل: قيل: دعاء بلفظ الخبر، ومعناه: سر، حل النوار حيث تحله.

والمقصود: سقاك الله الغيث حيث حللت حتى يحل هناك النوار.

وقيل: إنه خبر على الحقيقة، ومعناه: أنه جعل سقياً. فيقول له: أنت السحاب فإذا حللت ببلد يحصل منك السقى، فيحصل بك النور والزهر.

وأما الصراع الثاني فأولى فيه حمله على الدعاء: معناه أن الأقدار ساعدتك على مرادك، وأرادت كما تريد أنت.

ويجوز حمل المصراع الثاني على الخبر: أي أن الأقدار، لا تريد إلا ما تريد أنت. وفاعل حل: النوار. وفاعل أراد: المقدار.

وإذا ارتحلت فشيّعتك سلامةٌ ... حيث اتّجهت وديمةٌ مدرار

توجهت: بمعنى اتجهت. والديمة. مطر يدوم أياماً في سكون ريح ورعد. ومدرار: قيل متصل المطر. وشيعتك: دعاء، ومعناه حيث قصدت صاحبتك السلامة، وديمة غزيرة تسقي محلك، وتخضب منزلك.

وصدرت أغنم صادرٍ عن موردٍ ... مرفوعةً لقدومك الأبصار

وهذا البيت أيضاً دعاء. وقوله: مرفوعة لقدومك الأبصار: إشارة إلى ما يحصل من السرور، لأن الأبصار إنما ترفع عند ذلك.

يقول: إذا رجعت من مقصدك رجعت غانماً قد شخصت الأبصار إليك وقوله: أغنم ومرفوعة: نصب على الحال.

وأراك دهرك ما تحاول في العدا   حتّى كأن صروفه أنصار

يقول داعياً له: أراك دهرك من أعدائك ما تريده منهم، حتى تكون صروف الدهر أنصاراً لك، ومن جملة أوليائك.

أنت الذي بجح الزّمان بذكره   وتزيّنت بحديثه الأسمار

بجح: أي افتخر. يقول: إن الزمان يفتخر بذكرك؛ لأن له فضلاً على سائر الأزمنة المتقدمة.

وقيل: أراد بالزمان أهله، والأسمار إذا تضمنت حديثك وحديث وقائعك تزينت، إذ فيها من العجائب أكثر مما في الأحاديث الموضوعة.

وإذا تنكّر فالفناء عقابه   وإذا عفا فعطاؤه الأعمار

وله وإن وهب الملوك مواهبٌ   درّ الملوك لدرّها أغبار

الدر: أول ما يترل من اللبن الكثير. والأغبار: جمع الغبر، وهو البقية بعد الحلب. والهاء في لدرها للمواهب.

يقول: إن عطايا الملوك في جنب إعطائك كالأغبار. يعني أن أقل مواهبك أعظم من مواهب سائر الملوك.

وقيل معناه: أن عطايا الملوك هي بقايا عطاياه، ومعناه أنه أفضل منهم وهم دونه ومحتاجون إليه، وإن صلاتهم من صلاته.

للّه قلبك ! ما تخاف من الرّدى   وتخاف أن يدنوا إليك العار

لله قلبك: أي ما أعجب أمرك ! وأعظم أمر قلبك ! لما فيه من القوة والشجاعة والهمة التي لا تخاف معها الهلاك ! ومع ذلك فأنت تخاف من أن يدنوا إليك العار.

وقيل: ألف الاستفهام محذوفة في الموضعين ومعناه: أما تخاف من الردى ؟! وأتخاف من العار؟! وهو دون الردى في الصورة.

وتحيد عن طبع الخلائق كلّه   ويحيد عنك الجحفل الجرّار

الطبع: قيل هو الدرن. والخلائق الأخلاق ومعناه أنك تميل عن دنس الأخلاق ودنس الطباع.

وقيل الطبع: الخلق. والخلائق: البشر. أي أنك تميل وتكره أخلاق جميع الناس. والجحفل: العسكر. الجرار: الذي يجر نفسه أي بعضه بعضاً، وقيل: الذي يجر الرماح.

يقول: إنك تتجنب أخلاق الناس، أو دنيء الأخلاق، مع أن العسكر العظيم إذا أتبعته مال عنك.

يا من يعزّ على الأعزّة جاره ويذلّ في سطواته الجبّار

الأعزة: قيل هي أولاده وسائر من يعز عليه. ومعناه أن جاره المستجير به يكون أفضل في جواره من أعزته. وقيل أراد بالأعزة الملوك أي أن جاره عزيز، له فضل على سائر الملوك، والأعزة، فلا يمكن لأحد من الملوك ضيمه، ويذل الملك الجبار بسطوته. وعدوه. ذليل لفضل قوته.

كن حيث شئت فما تحول تنوفةٌ دون اللّقاء ولا يشطّ مزار

التنوفة: المفازة البعيدة الأطراف. وتحول: أي تمنع. ولا يشط: أي لا يبعد. والمزار: يجوز أن يكون كالزيارة، ويجوز أن يكون اسماً لمكان الزيارة.

يقول: كن في أي موضع شئت فما يحول بيني وبين قصدك، وبين من يقصدك لمعروفك مفازة بعيدة، ولا يبعد على من يقصدك مستميحاً ومثله:

من عالج الشّوق لم يستبعد الدّار

وله:

كن كيف شئت تسر إليك ركابنا

وبدون ما أنا من ودادك مضمرٌ ينضى المطيّ ويقرب المستار

المستار: بمعنى المسير، وهو مفتعل منه، ويجوز أن يكون اسماً لمكان السير.

يقول: ما أضمره لك من المودة والحرص على اللحاق بك - ومن ود إنساناً بعض ما أودك - فإنه يهز المطيّ في اللحوق بك، ويقرب عليه المسير والمسافة البعيدة.

إنّ الّذي خلّفت خلفي ضائعٌ ما لي علي قلقي إليه خيار

يقول: لولا أهلي الذين خلفتهم ورائي، لصحبتك، ولكنهم إن رغبت عنهم ضاعوا، فقلقي إليهم شغل قلبي بهم، فمنعني من اختياري وإيثار صحبتك عليهم.

وقيل أراد بالقلق الاضطرار أي أني مضطر إلى الرجوع إلى أهلي ومالي مع هذا اختيار.

وإذا صحبت فكلّ ماءٍ مشربٌ لولا العيال وكلّ أرضٍ دار

يقول: لولا العيال، لما كان شيء عندي أطيب من مصاحبتك؛ لأني إذا صحبتك فكل ماء مشرب. أي طيب زلال، وكل بلد يكون داراً لي؛ لأن كل راحة معك وكل عيش يتهيأ بك وبصحبتك. ومثله قول الآخر:

إذن الأمير بأن أعود إليهم صلةٌ تسير بشكرها الأشعار

وماهي إلا بلدة مثل بلدة وخيرهما ما كان عوناً على الزمن

يقول: إن أذن الأمير بالعودة إلى أهلي عددت ذلك صلة من صلاته، أشكره عليها، وأسير الأشعار بذكرها. وفيه تنبيه على أن الوقت وقت الصلة وعلى التحقيق أن سيف الدولة قدر رضى بالإذن من غير اقتران صلة.

وقال يرثى عبد الله بن سيف الدولة بحلب وقد توفى بميافارقين سنة 338 قال :

بنا منك، فوق الرّمل، ما بك في الرّمل وهذا الّذي يضني كذاك الّذي يبلي

الرمل ها هنا: الأرض والتراب. والضنا: طول المرض، والاضناء: الإمراض. وقوله منك أراد من الغم عليك، فحذف المضاف.

يقول: تحت التراب تبلى ونحن فوقه نضنى، فبنا من الغم عليك فوق الأرض من طول الضنا، مثل ما بك تحتها من طول البلى، فهذا الحزن الذي بنا يضنينا ويهزلنا، مثل الموت الذي يبلى جسدك ويفرق أوصالك، فنحن أموات في صورة الأحياء.

كأنّك أبصرت الّذي بي وخفته إذا عشت فاخترت الحمام على الثّكل

الثكل: فقد المحبوب ! يخاطب الولد على لسان سيف الدولة فيقول: كأنك أبصرت قبل موتك ما بي الآن من الحزن عليك، فرأيته أشد من الموت ! وخفت أنك إن عشت تبتلى بثكل ولد كما ابتليت أنا بثكلك ! ويصيبك من ألم الحزن مثل ما أصابني، فاخترت الموت على الثكل.

تركت خدود الغانيات وفوقها دموعٌ تذيب الحسن في الأعين النّجل

يقول: تركت النساء الغانيات يبكين عليك، حتى قرحت أجفانهن وذهب حسن عيونهن، وإنما اختار لفظ الإذابة، لأن حسن العيون لما كان كأنه يذهب بالبكاء على تدرج الأيام، ولم يذهب دفعة واحدة كان لفظ الإذابة أبلغ من قوله تزيل الحسن أو تذهب الحسن.

وقيل: إنما قال تذيب؛ لأن الذوب في معنى السيلان، والدمع سائل، فكما أن الحسن سال مع الكحل، فيزول حسن الكحل ويبقى حسن الكحل، وكأن الحسن قد ذاب ونقص.

تبلّ الثّرى سوداً من المسك وحده وقد قطرت حمراً على الشّعر الجثل

تبل أي من الدموع. والشعر الجثل: الكثير المجتمع. والهاء في وحده يرجع إلى المسك.

معناه: أن دموعهن كانت تقطر من أجفانهن حمراً؛ لامتزاجها بالدم، فإذا سقطت على شعورهن الكثيرة المنتشرة، لأجل المصيبة، المسترسلة على خدودهن، خالطها ما في شعورهن من المسك، فاسودت، فوصلت إلى الترب سوداء من المسك.

وقوله: من المسك وحده فيه وجوه.

قيل: معناه أن سواد دموعهن ليس لأجل الكحل، لأنهن مستغنيات عن التكحل بالكحل، فليس ذلك السواد إلا لأجل المسك فقط.

والثاني: أنهن يستعملن الكحل لأجل المصيبة، فاسودت دموعهن بالمسك الذي استعملته قبل المصيبة وكان قد بقيت رائحتها وأجزاؤها على شعورهن.

والثالث: أنه إشارة إلى أنهن من بنات الملوك، فلم يستعملن من الطيب إلا المسك الخالص، دون ما يخلط به من أنواع الطيب.

فإن تك في قبر فإنّك في الحشا وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطّفل

يقول: إن مت، ودفنت في القبر، فقلوبنا معمورة بذكرك، وأحشاؤنا محترقة بحزنك ! فكأنك حال في قلوبنا، وإن كنت طفلا، فإن حزننا عظيم عليك !

ومثلك لا يبكي على قدر سنّه ولكن على قدر المخيلة والأصل

المخيلة: الفراسة، وقيل: العلامة، وأصله في السحاب الذي يطمع منه المطر.

يقول: ليس نبكي عليك على مقدار سنك، ولكن على مقدار أصلك، وكرم منصبك وعلى ما يتفرس منك من الخصال الحميدة، وما كنا نتوقعه منك من الملك.

ألست من القوم الألى من رماحهم نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل ؟

ألست: استفهام، ومعناه التقرير. والألى: بمعنى الذين. وروى: من القوم الذي. ورده إلى لفظ القوم. وقيل: أراد الذين، فحذف النون.

قيل: في هذا البيت معنيان: أحدهما: ما قال ابن جني ومعناه: ألست من القوم الذين يقتلون البخل بنداهم ؟ فكأن نداهم من جملة رماحهم، يطعنون به في مهجة البخل. وعلى هذا روى من رماحهم

نداهم.

والثاني: أن سخاءهم؛ لأنهم يغيرون برماحهم على أعدائهم، ويغنمون أموالهم ويهبون منها المواهب.

ثم استأنف معنى وقال: البخل من جملة قتلاهم. يعني: أنهم يهبون المواهب العظيمة حتى يكون البخلاء أسخياء، فلا يكون في الدنيا بخيل ولا بخيلة.

بمولودهم صمت اللّسان كغيره ولكنّ في أعطافه منطق الفضل

روى: منطق الفضل، والفصل. بالضاد والصاد: وهو الكلام الفاصل بين الحق والباطل.

يقول: مولودهم لا يتكلم في المهد، كسائر الأطفال، ولكن دلائل الفضل ناطقة من أعطافه ! ومخايل النجابة موجودة في شمائله، فكأنها مقام النطق.

تسلّيهم علياؤهم عن مصابهم ويشغلهم كسب الثّناء عن الشّغل

يقول: إذا أصابتهم مصيبة فإن علياءهم وسلامتها، تسليهم عن المصيبة، ويشغلهم اكتساب الثناء عن كل شغل سواه.

أقلّ بلاءً بالرّزايا من القنا وأقدم بين الجحفلين من النّبل

أقل بلاء: أي أقل مبالاة، وأقدم: من قدم يقدم إذا سبق، وفي القرآن: يقدم قومه وإن كان من أقدم فعلى حذف الزوايد.

يقول: إنهم أقل مبالاة بالمصائب من الرماح التي لا يتصور فيها المبالاة، ولا تخشى من الكسر، وإنهم أشد تقدما بين الجيشين من السهام التي هي أسبق الأسلحة.

عزاءك سيف الدّولة المقتدى به فإنّك نصلٌ والشّدائد للنّصل

عزاءك: نصب على الإغراء أي الزم عزاءك، والمقتدى به: نعت لسيف الدولة يعني يا سيف الدولة الذي يقتدى به. وقيل: نعت للعزاء المقتدى به.

يقول: أنت قدوة لنا في صبر أو جزع، فالزم صبرك، فإن سيف الدولة من شأنه ملاقاة الشدائد، وقلة المبالاة بالضرب والثلم، وترك الجزع عند لقاء الكرائه.

مقيمٌ من الهيجاء في كلّ منزلٍ كأنّك من كلّ الصّوارم في أهل

المقيم: ضد المسافر.

يقول: إنك مقيم في حروب، في كل منزل، فكل حرب كأنها منزلك ! وكأنها عشائرك وأهلك؛ لأنك سيف والسيوف منازلها الحروب، وعشائرها السيوف، فأنت أبداً في دارك، وبين قومك. وقيل: معناه

أنك من قلة مبالاتك بالحروب كأنها منزلك، وكأن السيوف أهلك، حيث تسكن إليها سكون الرجل إلى أهله؛ لأنها تحيد عنك ولا تعمل فيك بل تعمل في أعدائك.

ولم أر أعصى منك للحزن عبرةً   وأثبت عقلاً والقلوب بلا عقل

يقول: ما رأيت إنساناً أصبر على المصائب منك ! وأعصى عند الحزن عبرة منك، ولا أثبت عقلا عند شدة؛ لأنه أبداً ثابت لا يعتريه الطيش والخفة.

تخون المنايا عهده في سليله   وتنصره بين الفوارس والرّجل

السليل: الولد.

يقول: إن المنية عاهدته على أن تنصره في الحروب، ثم تخون عهده في ولده، فكيف تجمع بين الإحسان والإساءة ؟! لولا تقلب أحواله !!

ويبقى على مرّ الحوادث صبره   ويبدو كما يبدو الفرند على الصّقل

الفرند: ماء السيف، وجوهره.

يقول: إن الحوادث تظهر صبره، وكرم أصله، كما يظهر الصقل جوهر السيف ورونقه.

ومن كان ذا نفسٍ كنفسك حرةٍ   ففيه لها مغنٍ وفيها له مسلى

حرة: صفة لنفس، والتذكير: لمن والتأنيث: للنفس.

يقول: من كانت له نفس حرة مثل نفسك، ففيه ما يغنى نفسه عن تعزية غيره عليه، وعن كل شيء، وفي نفسه ما يسليه عما يجده من الهموم والمصائب.

وما الموت إلا سارقٌ دقّ شخصه   يصول بلا كفٍ ويسعى بلا رجل

يقول: لا عيب لك، فالموت. كالسارق الذي دق شخصه دقة، ليس له يد ولا رجل، ولو كان أراد أن يجاهرك وظهر شخصه لم يقدر على غضبك، وقيل: معناه أن السارق يستحق القطع، والموت ليس له محل القطع من اليد والرجل.

يردّ أبو الشّبل الخميس عن ابنه   ويسلمه عند الولادة للنّمل

أبو الشبل: الأسد، والشبل ولده. ويقال: إن ولد الأسد يجتمع عليه النمل - ما لم ينبت عليه الشعر - فيقتله، ولهذا لا تلد الأسدة إلا في ثجة؛ هرباً من ذلك.

فيقول: مثلك ومثل الموت، كمثل الأسد والنمل، فإنه يدفع الجيش عن ولده، ولا يقدر أن يمنعه من

النمل، وليس ذلك لعجز الأسد، ولكن لقلة قدر النمل ودقة شخصه، وكذلك أنت، لو ظهر لك الموت لمنعته، ولكنه يأتي من حيث لا يراه أحد، ولا يدل ذلك على عدم شجاعتك.

بنفسي وليدٌ عاد من بعد حمله إلى بطن أم لا تطرّق بالحمل

طرقت المرأة بالولد: إذا نشب فيها، ثم يتسع فيقال: طرقت: أي ولدت.

يقول: نفسي فداء لهذا المولود الذي انفصل عن بطن أمه إلى بطن أم ليست كالأمهات في الولادة، أي أنا ليست بأم على الحقيقة. وقيل: معناه عاد إلى بطن أم لا تلد أبداً، يعني أنه لا يخرج منها، فكأنه يقول: لقصر أيامه كأنه انتقل من بطن أمه إلى القبر.

بدا وله وعد السّحابة بالرّوى وصدّ وفينا غلّة البلد المحل

الروى بالفتحة على المصدر من روى يروي روى، وبالكسر هو الماء الكثير.

يقول: كانت مخايله تعدنا بجوده وأفضاله، كما تعدنا السحابة بالغيث، فمضى عنا وخيب آمالنا. شبهه بسحابة نشأت على بلد خرب ثم أقلعت ! من غير شيء.

وقد مدّت الخيل العتاق عيونها إلى وقت تبديل الرّكاب من النّعل

يقول: كانت الخيل تنتظر كبره، لتتشرف بركوبه إياها، وبتنقله رجله إلى الركاب.

وريع له جيش العدوّ وما مشى وجاشت له الحرب الضّروس وما تغلى

ريع: أفزع. وروى: جاش العدو: أي قلبه، وجيش العدو، وجاش: أي هاج وارتفع. والضروس: الشديد.

يقول: إن أعداء أبيه خافوا منه وهو بعد في المهد لم يمش ! وهاجت له الحروب الشديدة وارتفعت قبل غليانها، وروى وما يقلى من قليت بالقلة أقلى بها، وقلوت أقلو يعني أنهم خافوه قبل أن يبلغ إلى أن يقلى بالقلة.

أيفطمه التّوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل

التوراب: لغة في التراب. قال الأصمعي: التراب والتوراب، والتيرب والتورب، والترباء كل ذلك بمعنى.

يقول: فطمه التراب قبل أوان فطامه ! وأكله التراب قبل وقت أكله ! يقول ذلك على معنى الإنكار والتأسف.

وقبل يرى من جوده ما رأيته ويسمع فيه ما سمع من العذل

قبل: مضاف إلى يرى. وإنما جاز إضافة الظرف إلى الفعل لقلة تمكنها. وفي القرآن: "يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُل"، "يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ". وقيل: إن فيه إضمار أن وتقديره: وقبل أن يرى. فيكون في معنى المصدر: أي وقبل رؤيته، فتجرى الإضافة على بابها. فعلى هذا يجوز. في يسمع الرفع، والنصب. يقول: كيف جآءت قبل أن يرى من جوده ما رأيته من جودك ؟! من قصد العفاة، وعذل العذال، فيه ما رأيت وسمعت.

ويلقى كما تلقى من السلم والوغى ويمسى كما تمسى مليكاً بلا مثل

معناه: أكله التراب قبل أن يلقى من الصلح والوغى مثل ما نلقى، وكذلك قبل أن يسمى مليكاً بلا مثل، كما أنت تسمى كذلك الآن.

تولّيه أوساط البلاد رماحه وتمنعه أطرافهنّ من العزل

فاعل توليه: رماحه، ومفعوله الأول الهاء من توليه، والثاني أوساط البلاد.

يقول: مات قبل أن توليه أطراف الرماح أوساط البلاد والممالك، وتمنعه أطراف الرماح من العزل.

طابق بين أوساط البلاد، وأطراف الرماح، وبين الولاية، والعزل.

نبكّى لموتانا على غر رغبةٍ تفوت من الدّنيا ولا موهبٍ جزل

يقول: نبكي على من مات منا، ولم يفته من هذه الدنيا حظ له خطر يوجب الأسف على مفارقته.

إذا ما تأمّلت الزّمان وصرفه تيقّنت أنّ الموت ضربٌ من القتل

يقول: إذا تأملت أحوال الزمان، رأيت أنه عدو للإنسان، فلذا يحاربه، فإذا مات الإنسان فكأن الزمان قتله وظفر به.

وقيل: معناه أن الموت كله قتل ! وأسبابه مختلفة، فلاختلاف الأسباب اختلفت تسميته، فبعضه يسمى قتلاً، وبعضه موتاً: وهو ما كان على الفراش.

هل الولد المحبوب إلاّ تعلّة وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل ؟

التعلة: ما يعلل به الإنسان.

يقول: السرور بالولد ليس شيئاً يدوم، وإنما هو شيء يعلل به المرء نفسه ثم ينقطع ! فإن الخلة بالمرأة الحسناء ليس إلا أذى البعل، من حيث يؤدي إلى أذى شديد؛ لأن غم موت الولد أكثر من السرور بهذه اللذة، فسمى تلك الخلوة بأسرها أذى لما يؤدي إليها.

وقيل: معناه أن الذى فيها أكثر من حيث المؤن والكلف والغيرة عليها، والاشتغال بذلك يمنع من اكتساب المجد والأجر، فإذا كان هاتان اللذتان لا حقيقة لهما، فما سواهما أولى بذلك.

وقد ذقت حلواء البنين على الصّبا   فلا تحسبنّي قلت ما قلت عن جهل

الحلواء: الحلاوة.

يقول: قد ولدت في حداثة سني، وجربت حلاوة الأولاد فلا تظنن أني قلت ذلك عن جهل.

وما تسع الأزمان علمي بأمرها   وما تحسن الأيّام تكتب ما أملي

يقول: علمي بالدهر أكثر من أحواله، فأزمانه لا تسع علمي بما أعلمه منه، ولو أمليت ما أعلم من أحوالها لم تحسن أن تكتبه.

وما الدّهر أهلٌ أن يؤمّل عنده   حياةٌ وأن يشتاق فيه إلى النّسل

يقول: الدهر ليس بأهل أن يؤمل عنده حياة؛ لقلة وفائه ! وليس بأهل أن يشتاق فيه إلى الولد.

وقال يمدحه ارتجالا، وقد سئل عن وصف فرس يهديه إليه.

موقع الخيل من نداك طفيف   ولو أنّ الجياد فيها ألوف

الطفيف: اليسير الحقير.

يقول: الخيل عند جودك لا قدر لها، ولو وهبت منها ألوفا لاستقللتها، ولم تعتد بها.

ومن اللفظ لفظةٌ تجمع الوص   ف وذاك المطهّم المعروف

الفرس المطهم: هو الحسن التام الخلق، الذي كل عضو منه حسن على انفراده.

يقول: من الألفاظ لفظ يجمع جميع الأوصاف، وهو المطهم المعروف. أتى بوصفه على وجه الإجمال، فجمع الوصف في أقل الألفاظ وأوجزها، ولم يذكر الوصف على سبيل التفصيل.

ما لنا في النّدى عليك اختيارٌ   كلّ ما يمنح الشّريف شريف

يقول: ما لنا في الندى اختيار: أي ليس الاختيار في ذلك إلينا فأنت كريم، وكل ما تمنحه شريف مثلك.

وقال يمدحه وقد خيره بين فرسين: دهماء وكميت:

اخترت دهماء تين يا مطر   ومن له في الفضائل الخير

دهماء: مضاف إلى تين أي: دهماء هاتين.

يقول: اخترت الدهماء من هاتين الفرسين، وسماه مطرا على المبالغة في الجود. أي يا من له في الفضائل الاختيار. والخير: جمع خيرة.

وربّما فالت العيون وقد   يصدق فيها ويكذب النّظر

فالت: أي أخطأت وضعفت، والهاء في فيها للدهماء المختار، أو لجملة الخيل.

يقول: أنا اخترت منها هذه الدهماء؛ لأنها أحسن في عيني، وربما لم تكن كذلك بل غيرها خير منها؛ فإن العين ربما كذبت في النظر، وربما صدقت، وقد قلت ما رأيت.

أنت الّذي لو يعاب في ملإٍ   ما عيب إلاّ بأنّه بشر

الملأ: جماعة الأشراف، والسادة.

يقول: لو عابك عائب فيما بين الملأ، لم يجد لك عيباً إلا كونك من البشر، ومعناه لا عيب فيك؛ لأن هذا ليس بعيب.

وأنّ إعطاءه الصّوارم والخي   ل وسمر الرّماح والعكر

العكر: جمع عكرة: وهي ما بين الخمسين إلى المئة من الإبل.

يقول: لو عابك عائب ما وجد فيك عيبا ! إلا كونك من البشر، وأنك تعطى السيوف، والخيل، والرماح، والإبل الكثيرة. وهذا ليس مما يعاب. ومثله قول الآخر:

ولا عيب في أخلاقه غير أنّه   جوادٌ فما يبقى من المال باقيا

فاضح أعدائه كأنّهم   له يقلّون كلّما كثروا

يقول: يفضح أعداءه بالقهر، وإظهار عجزهم، وكلما اجتمعوا عليه كان على كسرهم أقدر، فكأنهم عند كثرتهم يقلون له، وكأن كثرتهم سبب قلتهم.

وقيل: معناه أنهم كلما كثروا وازدادوا فضلاً، إذا قيسوا به صاروا إلى الإضافة إليه في حد القلة، وصار فاضحاً لهم.

أعاذك اللّه من سهامهم   ومخطئٌ من رميّه القمر

وقال يشكره وقد أمر سيف الدولة بإنفاذ خلع إليه:

فعلت بنا فعل السّماء بأرضه   خلع الأمير وحقّه لم نقضه

الهاء في أرضه للسماء، ذكره لأنه أراد السقف، وقيل: أراد به المطر.
وقيل: إنه كناية الأمير، فأضمره قبل الذكر، كقوله تعالى: "فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَار".
يقول: إن خلع الأمير قد زينتنا وكستنا بأنواع الوشى، كما يكسو المطر، الأرض، ويزينها بأنواع الأنوار، وألوان الأزهار، ونحن لم نقض حق الأمير من الخدمة، ولم أقدر على أن أمدحه بما يليق بأوصافه، لقصور المدائح عن أوصافه.

فكأنّ صحّة نسجها من لفظه   وكأنّ حسن نقائها من عرضه

شبه صحة نسج هذه الخلع بصحة معاني الممدوح في لفظه، وشبه نقاءها من الدنس بعرضه. والعرض: يمدح به الرجل، أو يذم.

وإذا وكلت إلى كريمٍ رأيه   في الجود بان مذيقه من محضه

المذيق: المشوب. والمحض: الخالص.
يقول: إذا جعلت إلى كريم رأيه، وفوضته إليه، في الجود والكرم، ظهر لك الخالص من المشوب، والطبيعي من التكلفي.
وقال يمدح سيف الدولة:

لا الحلم جاد به ولا بمثاله   لولا ادكار وداعه وزياله

الزيال: المزايلة: وهي المفارقة. وقيل: هو الزوال. يقال: زال زوالا وزيالاً. والكناية في به ومثاله ووداعه وزياله للخيال. وقيل: إن الكنايات ترجع إلى الحبيب. والمثال: مثال الحبيب.
يقول: إن النوم لم يسمح لي برؤية هذا الحبيب، ولا أهدي النوم إلي مثاله: أي خياله، لولا أني أطلت الفكرة بذكر وداعه ومفارقته، فرأيت في النوم ما كان هاجساً في خاطري، من ذكره وذكر وداعه.
فإن كان الضمير للكناية، فمعناه لولا تذكري لوداعه ليلاً ونهاراً، لكان النوم لا يسمح لي بهذا الخيال، لا مثال الخيال ! يشبه قول الطائي:

زار الخيال لها بل أزاركه   فكرٌ إذا نام فكر القوم لم ينم

ومثله لآخر:

وما زال حتّى سهّل الشّوق طرقه   وقاد إليه ناظر العين مركبا
إنّ المعيد لنا المنام خياله   كانت إعادته خيال خياله

له معان: أحدها: أن ما أرانا المنام من خيال الحبيب - عوداً على بدء - ليس خياله، بل كان خيال خياله؛ لأن النوم أرانا أولا: خياله بعد الفراق؛ فأنبهنا، وفي نفوسنا طيب ذلك الخيال، فلما أردنا النوم ثانياً: كان خيال الخيال الذي أراناه قبل ذلك، فالأول خيال الحبيب والثاني خيال ذلك الخيال.

والثاني: أنا كنا تذكرناه بعد فراقه، وأدناه في عيوننا، فكأنه لم يغب عنا، فما رأيناه في النوم خيال ذلك الخيال الذي كنا نراه بالفكر والوهم.

والثالث: أن لقاء الحبيب صار خيالا لبعد العهد، وتطاول الأيام على هجره، فلما رأيته في المنام فكأني رأيت خيال خياله؛ لأن صورته كانت لنا كالخيال؛ لزوال الانتفاع، كما لا ينتفع بالخيال.

بتنا يناولنا المدام بكفّه — من ليس يخطر أن نراه بباله

الهاء في نراه وبباله لمن وهو الخيال.

يقول: رأيت في النوم كأني أشرب المدام من كف حبيب، ليس يخطر على باله أن نراه؛ لبعده عني وقلة تفكره في، وخلو قلبه عن ذكرى، فضلا من أن يسقيني المدام بكفه.

نجني الكواكب من قلائد جيده — وننال عين الشّمس من خلخاله

أراد بالكواكب: الدر الذي في العقود. وشبهه بالكواكب في الحسن والصفاء، وشبه الخلخال بعين الشمس؛ لما عليه من الحمرة والاستدارة.

وقيل: أراد بذلك بعد التناول، فكنت إذا أجلت يدي بين قلائده فكأني نلت الكواكب ! وإذا لمست موضع خلخاله فكأني لمست عين الشمس؛ لتعذر الوصول.

بنتم عن العين القريحة فيكم — وسكنتم طيّ الفؤاد الواله

الهاء في الواله أصلية، وقد استعملها وصلا، وهو جائز. وقد جاء مثله في الشعر. الواله: المتحير الذاهب العقل.

يقول: بعدتم عن عيني القريحة بالبكاء عليكم، ونزلتم وسط القلب المتحير لفراقكم، فإن لم أركم بعيني رأيتكم بقلبي وخاطري.

فدنوتم ودنوّكم من عنده — وسمحتم وسماحكم من ماله

الها في عنده وماله للفؤاد، كأن الدنو من قلبي؛ لأنه هو الذي أدناكم مني، وسمحتم علي بالوصال والزيارة، وكأن هذا السماح من مال قلبي؛ إذ لولا تفكره لما زرتموني، وذكر المال لما ذكر السماحة.

إنّي لأبغض طيف من أحببته إذ كان يهجرنا زمان وصاله

يهجرنا: فعل الطيف، والهاء في وصاله لمن وهو الحبيب.

يقول: إني أبغض خيال حبيبي في النوم؛ لأني إنما أرى خياله أيام هجر الحبيب، فوصال الخيال إنما يكون عند بعد الحبيب؛ لأن الإنسان إنما يرى خيال المحبوب عند فراقه واشتغال قلبه بذكره.

مثل الصّبابة والكآبة والأسى فارقته فحدثن من ترحاله

يقول: إني أبغض طيف الحبيب؛ لأن رؤيته تكون بعد الفراق، كما أبغض هذه الأشياء؛ لأنها حدثت بعد فراقه، فالطيف لما كانت رؤيته بعد فراق الحبيب كانت هذه الأمور. والصبابة: الشوق، والكآبة: الحزن والاستكانة والأسى: الحزن أيضاً.

وقد استقدت من الهوى وأذقته من عفّتي ما ذقت من بلباله

الهاء في بلباله للهوى.

يقول: لما حيرني وقتلني شوقه أخذت القود منه؛ من حيث أني لما ظفرت بمن أهواه، عففت عنه، فأذقت الهوى من مرارة الصبر عن الحبيب، مثل ما أذاقني من الشوق والحيرة.

ولقد ذخرت لكلّ أرضٍ ساعةً تستجفل الضّرغام عن أشباله

تستجفل الضرغام: تهربه وتستعجله في الهرب عن أشباله: أي أولاده.

يقول: خبأت لكل أرض ساعة صعبة من الحرب، بحيث تزعج الأسد وتستعجله عن أولاده، وتحوجه إلى الهرب خوفاً على نفسه، ولا يبالي بولده !.

تلقى الوجوه بها الوجوه وبينها ضربٌ يجول الموت في أجواله

الأجوال: جمع الجول، وهو مصدر جال يجول جولا وجولانا. وقيل: أجواله: نواحيه. والهاء في بها قيل: للساعة، وقيل للأرض. وفي بينها للوجوه وفي أجواله للضرب.

يقول: ذخرت لكل أرض ساعة تلتقي فيها الفرسان، ويضرب بعضهم وجوه بعض ضرباً، يدور الموت في نواحي هذا الضرب.

ولقد خبأت من الكلام سلافةً وسقيت من نادمت من جرياله

السلافة والسلاف: أرق الخمر وألطفها، وهو ما يجري من العصير قبل أن يعصر، وهو يضرب إلى الصفرة، والجريال: ما كان أحمر، وهو دون الأصفر. وقيل: الجريال: نفس الخمرة. وقيل: لونها.

يقول: خبأت لسيف الدولة أحسن الكلام وأبدعه، ومدحت غيره بما هو دونه، الذي لم أتعب فيه فكراً، ولم أبدع فيه معنى.

وإذا تعثّرت الجياد بسهله ... برّزت غير معثّرٍ بجباله

الهاء في قوله بجباله وسهله للكلام. وبرزت: أي سبقت.

يقول: إذا تعثر غيري من الخطباء في السهل من الكلام، برزت عليهم، ولم أتعثر في الصعب البعيد المرام. وجعل الكلام سهلا وجبلا مجازاً، وقيل: وصف في ذلك فروسيته. وشجاعته، وأن غيره لا يقاومه.

وحكمت في البلد العراء بناعجٍ ... معتاده مجتابه مغتاله

أي: تحكمت وصرت فيها كما اخترت والبلد العراء: الخالي الذي لا نبت فيه. والناعج: الخالص البياض من الإبل. وقيل: سريع السير، ومعتاده؛ أي قد تعود السير، والهاء: عائد إلى البلد، وكذلك فيما بعده، مجتابه: أي قاطعه بسيره، مغتاله: أي تغوله وتهلكه وتفنيه بسيره.

يمشي إذا عدت المطيّ وراءه ... ويزيد وقت جمامها وكلاله

يمشي: فعل الناعج والهاء في وراءه وكلاله: للناعج. وفي جمامها للمطي. والجمام: الراحة. والكلال: الإعياء.

يقول: إذا مشى هذا الناعج كان مشيه مثل عدو المطي خلفه، ويكون أزيد من ذلك أيضاً، وذلك في وقت راحة المطي وكلال هذا الناعج، فكيف يكون سيره وقت الجمام ؟!!

وتراع غير معقّلاتٍ حوله ... فيفوتها متجفّلاً بعقاله

وتراع: أي تخوف المطي. متجفلا: أي سريعاً.

يقول: إن هذا الناعج إذا كان معقولا بعقاله فإنه يسبق سائر المطي، وهن غير معقولات.

وفائدة قوله: وتراع. قيل: إن هذا الناعج يفزعها ويثيرها وهو معقول ويسبقها.

وقيل: أراد أنها تفزع وتخوف بقطع المفاوز، ولا يفزع هذا الناعج بل يسبقها إلى حيث يريد صاحبه.

وقيل: معناه أنها تفزع من شيء أفزعها، وهي غير معقوله، ويفرق هو معقولا، فإنه يسبقها في العدو.

فغدا النّجاح وراح في أخفافه ... وغدا المراح وراح في إرقاله

الإرقال: ضرب من السير السريع. وراح فعل النجاح. والمراح: النشاط وراح، الثاني فعل المراح.
يقول: إن النجاح غدا وراح في أخفاف هذا الناعج. أي أن من ركبه ظفر بما طلب وأدرك ما أراد، وكذلك النشاط غدا وراح في سيره: أي لا يلحقه كلال ! فهو أبدا مرح نشيط. أي أنه مبارك حيثما توجه أدرك ما حوله، فنشط ومرح.

وشركت دولة هاشمٍ في سيفها وشققت خيس الملك عن رئباله

الرئبال: الأسد. والخيس: الأجمة. والهاء في سيفها للدولة وفي رئباله للخيس أو للملك.
يقول: صرت شريكاً مع دولة هاشم في سيف الدولة: أي كان لي حظ فيه كما للدولة فيه حظ، وشققت أجمة الملك حتى وصلت إلى أسده، فجعله أسداً والملك خيساً له.

عن ذا الّذي حرم اللّيوث كماله ينسى الفريسة خوفه بجماله

عن ذا الذي بدل عن المبدل. وينسى: يتعدى إلى مفعولين، فنصب الفريسة على أنه مفعوله الأول وخوفه المفعول الثاني.
يقول: شققت أجمة الملك عن أسد منع الليوث كما له: أي ليس لها كما له؛ لأنه يفضلها بخلائق كثيرة، وليس لليوث إلا الإقدام، وهذا فيه كل خصلة جميلة، ثم قال: إن هذا الأسد إذا افترس فريسة أنسى هذه الفريسة خوفه بجماله ! أي أنها إذا رأت جماله يشغلها جماله عما يلحقها من الخوف عن افتراسه، والليوث تكون قبيحة المنظر.

وتواضع الأمراء حول سريره وترى لمحبّة وهي من آكاله

الآكال: جمع أكل، وهو الذي يؤكل، وهي ضمير: الأمراء.
يقول: إن الأمراء يتواضعون حول سرير سيف الدولة ويظهرون المودة له، وهم من قتلاه وفرائسه. يعني أنهم يظهرون المودة خوفاً لا حباً. وقيل: هي ضمير المحبة أي أن الأمراء يحبونه حباً مفرطاً، فلفرط حبهم لا يلتمسون منه العطاء ويرون من جملة أرزاقه إياهم المحبة؛ لأنهم يرون محبته فخراً وذخراً.

ويميت قبل قتاله، ويبشّ قب ل نواله، وينيل قبل سؤاله

وروى: ويعيش فيكون قد طابق بين: يعيش، ويميت. يعني أنه يقتل أعداءه بالخوف قبل القتال، ويظهر السرور بالعطاء، ويعطى قبل السؤال.

إنّ الرّياح إذا عمدن لناظرٍ أغناه مقبلها عن استعجاله

عمدن: أي قصدن. والناظر: هو ناظر العين، وقيل: اسم الفاعل من نظر والهاء في أغناه واستعجاله للناظر وفي مقبلها للرياح.

يقول: إنه لا يحتاج في إعطائه إلى السؤال والاستعجال، كما أن الرياح إذا قصدت لناظر لا يحتاج الناظر في حال إقبالها إلى الاستعجال بل تصل إلى كل أحد وإن لم يستعجلها، فكذلك هو يعطى قبل السؤال.

أعطى ومنّ على الملوك بعفوه ... حتّى تساوى النّاس في إفضاله

يقول: نعمه قد عمت الناس كلهم، فأعطى العفاة من ماله، وعفا عن الملوك؛ بأن أسرهم ثم أطلقهم وعفا عنهم، أو ترك قتلهم والتعرض لهم، فكلهم تساووا في فضله.

وإذا غنوا بعطائه عن هزّه ... والى فأغنى أن يقولوا: واله

والى: أي تابع، وواله: أمر منه. والهاء في منه للعطاء.

يقول: إذا استغنى الناس بعطائه عن تحريكه وسؤاله، تابع العطاء وأغنى في المتابعة عن الاستمداد والسؤال.

وكأنّما جدواه من إكثاره ... حسدٌ لسائله على إقلاله

الهاء في إكثاره للممدوح. وقيل: للجدوى. وذكر على معنى النوال، والعطاء، وفي إقلاله للسائل.

والإقلال: الفقر. جعل جدواه حسداً، وجعل الممدوح حاسداً، والإقلال محسوداً عليه.

يقولك إذا رأى فقيراً أكثر له العطاء، فكأنه يحسده على إقلاله: أي فقره. فهو يحب إزالته، كما يحب الحاسد زوال نعمة المحسود.

غرب النّجوم فغرن دون همومه ... وطلعن حين طلعن دون مناله

غرب: أي غبن. والهموم: جمع الهم: الذي هو الهمة.

وقيل: أراد بهمومه مقاصده.

يقول: إن همم الممدوح فوق الكواكب، وهو قد نال ما هو أبعد منها، فتغيب الكواكب دون همته، وتطلع دون مناله، فهو أعلى منالاً منها في كل حال.

واللّه يسعد كلّ يومٍ جدّه ... ويزيد من أعدائه في آله

يقول: إن الله تعالى يخصه كل يوم بسعادة، ويظفره بأعدائه، فينعم عليهم ويعفو عنهم، فيعودون أولياءه بعد أن كانوا أعداءه، وعلى هذا معناه: الخبر.

وقيل: إنه دعاء أن الله تعالى يوفقه للسعادة ويزيد الله من أعدائه في أوليائه.

لو لم تكن تجري على أسيافه　　　مهجاتهم لجرت على إقباله

الهاء في إقباله لجده: أي على إقبال جده. وقيل: إنه راجع إلى الممدوح.

يقول: لو لم يقتل أعداءه بسيوفه، لقتلهم إقباله وسعادة جده، وبلغته الأقدار مراده.

فلمثله جمع العرمرم نفسه　　　وبمثله انقصمت عرى أقتاله

العرمرم: الكثير. والأقتال: جمع القتل، وهو النظير في الحرب. ويقال أيضاً للعدو: قتل.

يقول: لمثل هذا الممدوح يجمع الجيش الكثير: يعني أن من كان مثله في الإقدام يفنى الجيش العظيم، ويفرق جمعه، ويقتل أبطاله.

وقيل: جمع العرمرم نفسه: معناه الفزع. يقال: جمع فلان نفسه: إذا فزع. يعني: أن العسكر العظيم من مثله يفزع، وبمثله يقتل.

لم يتركوا أثراً عليه من الوغى　　　إلا دماءهم على سرباله

يقول: إن أعداءه في الحرب لم يقدروا له على شيء، سوى أنهم خصبوا ثوبه بدمائهم؛ من جرحه إياهم، وانتضاح دمائهم إليه.

يا أيّها القمر المباهى وجهه　　　لا تكذبنّ فلست من أشكاله

يقول للقمر: لا تكذبن. أي لا تغتر بما سولت نفسك من الكذب، ولا تباهي، ولا تفاخر وجهه في الحسن والبهاء، ولا تغتر بما حدثتك نفسك: بأنك مثله في الحسن والعلاء، فإنها كذبتك فسلت من أمثاله.

وإذا طما البحر المحيط فقل له　　　دع ذا فإنّك عاجزٌ عن حاله

وهب الّذي ورث الجدود وما رأى　　　أفعالهم لابنٍ بلا أفعاله

يقول: وهب ما ورث عن آبائه من الأموال، لأنه لم ير ما بنوه من المجد وشيدوه من الفخر فخراً ما لم يفعل هو لنفسه فوق ما ورث لنفسه ما هو فخر له. كما قال بعضهم:

إنّا وإن أحسابنا كرمت　　　لسنا على الأحساب نتّكل

نبني كما كانت أوائلنا　　　تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ومثله لابن الرومي.

وما الحسب الموروث لادر دره　　بمحتسب إلا بآخر مكتسب

إذا لم يكن وإن كان شعبه　　من المثمرات اعتده الناس من خطب

حتى إذا فنى التراث سوى العلا　　قصد العداة من القنا بطواله

يقول: لما أفنى بهباته ما ورث من آبائه، فلم يبق منه شيء، إلا معالي آبائه، فإنه شحيح بها، قصد الأعداء وأغار عليهم، فاحتوى على أموالهم ووهبها.

وبأرعنٍ لبس العجاج إليهم　　فوق الحديد وجرّ من أذياله

الأرعن: الجيش العظيم، والهاء في أذياله للأرعن.

يقول: قصد الأعداء بجيش عظيم، قد لبس الغبار فوق الدرع، يعني أن الغبار قد علا الفرسان، حتى صار لها كالدرع السابغة وجر من أذياله يعني به التجافيف، وأنه يسحبها لطولها.

فكأنّما قذى النّهار بنقعه　　أو غضّ عنه الطّرف من إجلاله

يقول: إن غبار الجيش قد غير ضوء النهار، وكأن الشمس قد قذيت بهذا الغبار، أو غض عينه؛ من الإعظام للممدوح؛ فالهاء: للممدوح، وقيل للجيش، وقيل للغبار.

الجيش جيشك غير أنّك جيشه　　في قلبه ويمينه وشماله

يقول: الجيش لك، وأنت عليه أمير؛ لأنك تحميه بنفسك وتذب عنه بسيفك، فكأنك جيش الجيش. والكنايات للجيش.

ترد الطّعان المرّ عن فرسانه　　وتنازل الأبطال عن أبطاله

هذا تفسير البيت الأول.

يقول: إنك تباشر الطعان الصعب عن فرسان جيشك، وتقاتل شجعان العدو عن شجعان جيشك.

كلّ يريد رجاله لحياته　　يا من يريد حياته لرجاله

يقول: كل الملوك إنما يريدون الجنود لحياة نفوسهم، حتى يدفعوا عنها الأعداء، وهو يريد الحياة؛ ليدفع عن جيشه ويصونهم.

دون الحلاوة في الزّمان مرارةٌ　　لا تحتظى إلاّ على أهواله

الهاء في أهواله للزمان.

يقول: كلا حلاوة الدنيا دونها مرارة ! فلا تنال حلاوة الزمان إلا بتجرع مرارته وأهواله ! يعني أن معالي الأمور لا تدرك إلا باقتحام القتال والحروب ومباشرة الأمور العظام، وتحمل المؤن والمغارم.

فلذاك جاوزها عليّ وحده   وسعى بمنصله إلى آماله

يقول: فلهذا احتوى سيف الدولة على معالي الأمور دون غيره، وأدرك بسيفه ما أمل من المعالي، مالا يأمل غيره.

وقال أيضاً يمدحه:

أنا منك بين فضائلٍ ومكارم   ومن ارتياحك في غمامٍ دائم

الفضائل: جمع فضيلة، وهي كل خلق شريف. والمكارم: جمع مكرمة، وهي كل فعل كريم. والارتياح: السخاء، والاهتزاز.

يقول: حصلت أنا منك بين شرف أخلاقك، وكرم أفعالك، وحللت من جودك في مطر دائم، من غمام سخائك وغزارة عطائك.

ومن احتقارك كلّ ما تحبو به   فيما ألاحظه بعيني حالم

يقول: أنت تعطى العطايا الجليلة وتحتقرها مع عظمها ! وإني وأنا أتعجب من عظم هذا الشان، فأقدر - فيما أشاهده من فعلك - أني نائم وأن ما أراه حلم !

إنّ الخليفة لم يسمّك سيفها   حتّى بلاك فكنت عين الصّارم

بلاك: أي جربك. فكنت عين الصارم: أي حقيقته.

يقول: إن الخليفة لم يلقبك بسيف الدولة إلا بعد أن جربك، فوجدك أمضى من السيف الصارم.

فإذا تتوّج كنت درّة تاجه   وإذا تختّم كنت فصّ الخاتم

يقول: أنت زينة ملكه، وقوام دولته فموقعك من الخليفة موقع الدرّة من التاج، إذ هي زينته، والفص من الخاتم؛ لأن قدر الخاتم بالفص.

وإذا انتضاك على العدى في معركٍ   هلكوا وضاقت كفّه بالقائم

يقول: إذا جردك الخليفة على أعدائه أهلكتهم، وملأ يده قائمك. يعني أنت أعظم منه قدراً، وأنفذ أمراً، وإن كنت له مطيعاً.

أبداً سخاؤك عجز كلّ مشمرٍ   في وصفه وأضاق ذرع الكاتم

الذرع: القلب ها هنا.

يقول: من اجتهد في وصف سخائك ظهر عجزه عن بلوغ كنهه، ومن أراد أن يكتمه ضاف صدره؛ ؟ لأنه لا ينكتم.

وقال أيضاً يمدحه بحلب وقد أر له بفرس وجارية:

أيدري الرّبع أيّ دم أراقا   وأيّ قلوب هذا الرّكب شاقا ؟ !

الألف: للاستفهام. ومعناه: النفي. أي لا يدري الربع. وشاقه الحبيب: أي هيج شوقه إليه.

سأل أصحابه وقوفهم ساعة على ربع حبيبه. هل يدري الربع من قتل منا لوجوده ؟! وقلب من هيه لشوقه ؟ أراد به دم نفسه وقلبه، تغظيماً لهما.

لنا ولأهله أبداً قلوبٌ   تلاقى في جسومٍ ما تلاقى

الهاء في لأهله للربع. وتلاقى: أصله تتلاقى في الموضعين. وما: النفي. يقول: لنا ولأهل الربع قلوب تتلاقى بالذكر، وإن كانت الجسوم متباينة في العين.

وما عفت الرّياح له محلاً   عفاه من حدا بهم وساقا

عفا المنزل، وعفتها الرياح: يلزم ويتعدى.

يقول: إن الرياح لم تعف محلاً بهذا الربع، فقد كانت هب الرياح عليه، وهم حلول به، فلا تمحو له رسماً، ولا تعفو له أثراً، فلما حدى بهم حادي الرحيل، وساق إبلهم سائقه، عفت منازله ودرست أطلاله، فليس للرياح فيه صنع، وإنما ذلك من صنيع من حدى إبلهم وساقها.

فليت هوى الأحبة كان عدلاً   فحمّل كلّ قلبٍ ما أطاقا

يعني أن الحب قد جار على فحملين فوق ما أطيقه من الشوق، فليت الهوى كان بالتسوية والنصفة بين العشاق. فيكون حظ كل عاشق منه قدر ما يطيقه.

نظرت إليهم والعين سكرى   فصارت كلّها للدّمع ماقا

سكرى: أي مملوءة من الدمع. والماق: طرف العين مما يلي الأنف، وهو مصب الدمع.

يقول: نظرت للتوديع عند ارتحال الحبيب وعيني مملؤة من لدمع، فلما رحلوا فاض الدمع من كل جانب، فصارت الجوانب كلها والمآق سواء في انصباب الدمع منه.

وقد أخذ التّمام البدر فيهم   وأعطاني من السّقم المحاقا

يقول: إن البدر فيما بين أهل هذا الربع، قد أخذ التمام والكمال، وأعطاني من السقم الذي في المحاق. يعني: أنا والحبيب بمترله القمرين، فاختص التمام به، والمحاق بي.

وبين الفر والقدمين نورٌ — يقود بلا أزمّتها النّياقا

النور: قيل: أراد به جسمها، وقيل: أراد به الوجه، وفاعل يقود ضمير النور.

يقول: بين أعلى هذه المرأة، وبين قدميها جسم، أو وجه، له نور. مضيء بحيث يقود الإبل بلا زمام؛ لأن الإبل - لحسنها - تنقاد لها، والهاء في أزمتها للنياق، فهو مؤخر في الرتبة وإن كان مقدما في اللفظ.

وطرفٌ إن سقى العشّاق كأساً — بها نقصٌ سقانيها دهاقا

وطرف عطف على قوله: نور يعني لها طرف إذا سقى عشاقة كأساً من الهوى ناقصة، سقانيها مملوءة. أي حبه لطرفها أكثر من حب كل عاشق له.

وخصرٌ تثبت الأبصار فيه — كأنّ عليه من حدثٍ نطاقا

وخصر أيضاً عطف على ما تقدم من البيت، والكنايات للخصر يقول: إن خصرها إذا بدا نظرت إليه العيون من كل جانب، وثبتت فيه شاخصة متحيرة، لا يمكن للناظر أن يصرف عينه، فيصير طرف الناس بإحاطته به كالنطاق المحيط بالخصر، وأخذ هذا المعنى بعضهم فقال:

أحاطت عيون العالمين بخصره — فهنّ له دون النّطاق نطاق

وقال ابن جني: معناه أن الأبصار تؤثر فيه لنعومته، ورقة بشرته ! فيصير ذلك الأثر الحاصل عن الأبصار حوالي خصره كالنطاق. والأول أولى.

سلي عن سيرتي فرسي ورمحي — وسيفي والهملّعة الدّفاقا

الهملعة: الناقة الخفيفة. والدفاقا. بكسر الدال وفتحها: الكثيرة السير فكأنها تتدفق كما يتدفق الماء، إذا جرى بشدة. والسيرة: الطريقة، والعادة.

يقول لعاذلته؛ سلي عن شجاعتي: فرسي ورمحي، وعن السير: ناقتي، فإنها تخبرك بأفعالي، فلا أصغو إلى عذلك.

تركنا من وراء العيس نجداً — ونكّبنا السّماوة والعراقا

نكبنا: أي بعدنا، وعدلنا عنه. والسماوة: مفازة بين الشام والعراق.
يقول: وتركنا نجداً وراء ظهورنا، وعدلنا عن السماوة والعراق، وقصدنا سيف الدولة، بحلب.

فما زالت ترى والليل داجٍ لسيف الدّولة الملك ائتلاقا

الائتلاق: اللمعان.
يقول: ما زالت العيس ترى لمعان غرة سيف الدولة في ظلمة الليل، فتهتدي بضوء غرته في طريقها إليه.
وقيل: أراد أن مقصودنا لما كان سيف الدولة، كان الليل لنا بمترلة النهار عند قصدنا إياه، من الفرح.
وقيل: أراد أنه قد بلغ من كرمه أن يوقد النار للضيوف في كل موضع، فترى العيس ذلك وتستأنس به. والأول هو الظاهر.

أدلّتها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها انتشاقا

الانتشاق: طلب الرائحة بالأنف، والهاء في منه للممدوح.
يقول: العيس كانت تستدل على مكانه بما تنتشق من رائحته، فكانت رياح المسك أدلة لها إليه إذا فتحت العيس مناخرها للانتشاق، فكأنه عبر عن كرمه بالمسك، وعن صيته بالرياح.

أباح الوحش يا وحش الأعاديفلم تتعرّضين له الرّفاقا ؟

تقدير البيت: يا وحش أباح سيف الدولة. الوحش الأعادي. فالوحش أحد المفعولين، والأعادي المفعول الآخر. وروى: أباحك أيها الوحش الأعادي والرفاق: هم قوم يجتمعون في السفرة. وكان الأسد افترس له ناقة في قصد مسيره إلى سيف الدولة. فيقول للوحش: يا وحش أباح لك سيف الدولة الأعادي؛ فإنه يقتلهم ويطرحهم لك، فلم تتعرضين الرفاق القاصدين إليه ؟ لأنك مستغنية عن ذلك بما مكنك من لحوم قتلاه.

ولو تبّعت ما طرحت قناه لكفّك عن رذايانا وعاقا

ما طرحت: في موضع نصب، لأنه مفعول تبعت أي لو تبعت مطروح قناته. والرذايا: جمع رذية، وهي البعير الذي قام من الإعياء، ولم يقدر على السير.
يقول للوحش: لو تبعت ما طرحت رماح سيف الدولة من القتلى لمنعك عن أكل الإبل المعيبة، لأن لك بقتلاه مندوحة عن إبلنا.

ولو سرنا إليه في طريق من النّيران لم نخف احتراقا

يقول للوحش: كيف تعرضت لنا ونحن نقصده ؟ ولم تخافي صولته وهيبته، فإن لو سرنا في طريق يلتهب ناراً، وعلمت النار أنا قاصدوه لم تضرنا ! ولم تقدر على إحراقنا، يعني أن كل شي من الوحش والعاتين في الأرض يخافه، حتى لو تصور في الجمادات أن تخافه لخافته.

إمامٌ للأئمّة من قريشٍ ... إلى من يتّقون له شقاقا

الهاء في له قيل: راجع إلى إمام، ويجوز أن يكون راجعاً إلى ضمير من تقديره: إلى من يتقون شقاقه. فلما قدمه أدخل فيه اللام كقوله تعالى: "لِلّرؤْيَا تَعْبُرُونَ" والشقاق: العصيان والمخالفة.

يقول: هو إمام للأئمة من قريش: أي الخلفاء من ولد العباس. يعني أن الأئمة إذا ساروا إلى عاص عليهم، خارج عن طاعتهم، كان سيف الدولة إمامهم في مقدمة جيوشهم، فهو لهم إمام في كل حرب يتبعون خطوه، ويرجعون إلى رأيه ومثله للبحتري:

ولو جمع الأئمّة في مكانٍ ... تكون به لكنت لهم إماما

يكون لهم إذا غضبوا حساماً ... وللهيجاء حين تقوم ساقا

يقول تأكيداً لما تقدم: إن الأئمة إذا غضبوا على مخالف، كان لهم سيفاً يقتلون به، ويكون ساقاً للحرب حين تقوم الحرب، فقوام الحرب به كما يقوم الإنسان على ساق.

فلا تستكثرنّ له ابتساما ... إذا فهق المكرّ دماً وضاقا

فهق: امتلأ.

يقول: لا تستعظم منه الابتسام، وإشراق الوجه عندما امتلأ مكان الحرب بالدماء، وصار كالسيول.

فقد ضمنت له المهج العوالي ... وحمّل همّه الخيل العتاقا

فاعل ..ضمنت: العوالي. ومفعوله: المهج.

يقول: إنما يبتسم في حال شدة الحرب؛ لأن الرماح قد ضمنت له نفوس الأعداء، فوثق بها، وحمل خيله العتاق همته، فكما أنه لا يولى عن العدو، كذلك خيله؛ لتحملها همته.

إذا أنعلن في آثار قومٍ ... وإن بعدوا، جعلنهم طراقا

الطراق: نعل يطرح تحت النعل يؤكد بها.

يقول: إذا أنعلت لطلب قوم أدركتهم، وجعلتهم نعلاً ثانية، لأنها تطؤهم وتدوسهم، وتجعلهم بين حوافرها، فتلحق بهم وإن كانوا على مسافة بعيدة وعليها نعلها الأولى فيصيروا نعلا ثانية.

وإن نقع الصّريخ إلى مكانٍ		نصبن له مؤلّلةً دقاقا

نقع: ارتفع. وروى: وقع الصريخ والصريخ، والصراخ: الصوت. والمؤللة: المدققة المحددة، وهي الآذان ها هنا.

يعني: أن خيله قد تعودت إجابة الصارخ، واستغاثة المستغيث، فإذا ارتفع صوت مستغيث من مكان ووصل إليها. نصبت له آذانا محددة دقاقا. لاعتيادها إجابة الصارخ.

فكان الطّعن بينهما دراكاً		وكان اللّيث بينهما فواقا

الفواق: الوقت الذي بين الحلبتين. ودراكا: أي متتابعة.

يقول: بين دعاء المستغيث، وبين إجابة سيف الدولة، لا يكون الليث إلا قدر ما بين الحلبتين، حتى يلحق به، ويداركه الطعن في عدوه: أي يتابع. ويروى بينهما جواباً أي يكون هناك الطعن بدل الكلام.

ملاقيةً نواصيها المنايا		معاودةً فوارسها العناقا

نصب ملاقية ومعاودة على الحال أي لحقن الصريخ على هذا الحال.

يقول: إن الخيل تلاقي الموت بنواصيها، وتعانق فرسانها الأبطال:

تبيت رماحه فوق الهوادي		وقد ضرب العجاج لها رواقا

الرواق: مقدم البيت. وقيل: سقف البيت المقدم، والهاء في رماحه للممدوح وفي لها للخيل والهوادي.

يقول: تبيت رماح سيف الدولة فوق أعناق الخيل في حال قد ضرب العجاج للخيل، ولهواديها، رواقا؛ لكثرته وتكاثفه عليها.

تميل كأنّ في الأبطال خمراً		عللن به اصطحاباً واغتباقا

روى يميل وتميل يذكر ويؤنث، ولأنه أراد به الدم.

يقول: تميل هذه الرماح عند طعنه بها في أجسام الأعداء، فكأنها قد اصطحبت واغتبقت في الأبطال من الخمرة فصارت من شربها سكارى.

تعجّبت المدام وقد حساها		فلم يسكر وجاد فما أفاقا

تعجبت الخمر حين شربها سيف الدولة ولم يسكر؛ لأنه شرب المسكر لا الجود ! وقيل: يمدحه بالإسراف في الجود والقوة على الشرب فهو سكران من الجود، وصاح من الشراب الذي شربه.

أقام الشّعر ينتظر العطايا		فلمّا فاقت الأمطار فاقا

يقول: قام شعري ينتظر عطاياك، حتى يكون على قدرها، فلما فاقت عطاياك الأمطار، فاق شعري الأشعار.

وزنّا قيمة الدّهماء منه ووفّينا القيان به الصّداقا

الهاء في منه وفي به للشعر.

يقول: جازيتك على ما أعطيتني بمدحي إياك، فوزنت لك ثمن الفرس، ومهر الجارية.

وقيل: معناه أن عطاياك لما فاقت العطايا صار شعري الذي يفوق سائر الأشعار وفاء لها.

وحاشا لارتياحك أن يبارى وللكرم الّذي لك أن يباقى

المباراة: المعارضة بالفعل. أي يفعل مثل فعله. ويباقي: يغالب في البقاء. واعتذر بهذا عن قوله: وزنا قيمة الدهماء وقيل: هو اعتذار من قوله: فلما فاقت الأمطار فاقا يعني: حاشا لجودك وكرمك أن يعارض بحمد، فجودك أكثر، ومدى كرمك أطول.

ولكنّا نداعب منك قرماً تراجعت القروم له حقاقا

المداعبة: الممازحة، والدعابة: المزاح. والقوم، الفحل الكريم من الإبل. والحقاق: جمع الحق، وهو الذي دخل في السنة الرابعة، والأنثى حقة.

يقول: جودك لا يقاومه شكر، وإنما قلت هذا مزحاً، وأنت سيد تفضل جميع السادة، فكل سيد قيس إليك وقوبل بك يعود ذليلا كالحقة إذا قيست إلى القرم، فكما أنه يفضلها كذلك أنت تفضل كل سيد كريم.

فتىّ لا تسلب القتلى يداه ويسلب عفوه الأسرى الوثاقا

الوثاق: بالكسر والفتح ما يشد به الأسير.

يقول: هو لا يسلب قتيله أبداً ويفك الغل من الأسارى بالعفو والإحسان.

ولم تأت الجميل إليّ سهواً ولم أظفر به منك استراقا

يقول: لم يكن إحسانك إلي عن غلط منك، ولا عن خديعة واستراق مني له، ولكني نلته باستحقاق، وأحسنت إلي بعد الامتحان. والهاء في به يعود إلى الجميل.

فأبلغ حاسديّ عليك أنّى كبا برقٌ يحاول بي لحاقا

كبا الفرس يكبو: إذا عثر.

يقول: أبلغ من يحسدني على محلي عندك، ويحاول لحاق غايتي في مدحك: أن البرق إذا أراد اللحاق بي فإنه يكبو خلفي، فكيف يدركني ؟! ويحاول إدراك محلي.

وقيل: هذا أمر للممدوح ويقتضي أن يكون دون الأمر، وذلك قبيح، ولكنه لما قال: حاسدي عليك أخرجه عن حد القبيح بأن بين: أن الحسد كان لاختصاصه.

وهل تغني الرّسائل في عدوّ إذا ما لم يكنّ ظبي رقاقا

رجع عن قول: حاسدي وقال: الرسالة لا تشفيني منهم، إلا أن يكون بدلها السيف، فأقتلهم وأستريح منهم، والكناية في قوله: إذا ما لم يكن للرسائل.

إذا ما النّاس جرّبهم لبيبٌ فإنّي قد أكلتهم وذاقا

تقديره: إذا ما الناس جربهم لبيب وذاق، فإني قد أكلتهم.

يقول: إني أعرف بأحوال الناس من كل عاقل، فأنا بمنزلة الآكل وغيري كالذائق.

فلم أر ودّهم إلاّ خداعاً ولم أر دينهم إلا نفاقا

يقول: جربت الناس فوجدت باطنهم بخلاف ظاهرهم في الصداقة، ووجدهم منافقين في دينهم ! قال علي بن عيسى الربعي: إن أبا الطيب كان يردد مع نفسه هذين البيتين كل يوم أكثر من خمسين مرة.

يقصّر عن يمينك كلّ بحرٍ وعمّا لم تلقه ما ألاقا

ألاق يليق إلاقة، ولاق يليق: إذا أمسك وحبس.

يقول: كل بحر يقصر عن جود يمينك، وما أمسكه البحر من جواهره، ومن بابه الذي هو فيه، يقصر عما لم تمسكه من العطاء، فيكون ما من عطائك أكثر من جواهر البحر ومائه.

ولولا قدرة الخلاّق قلنا أعمداً كان خلقك أم وفاقا ؟

يقول: لولا علمنا بقدرة الله عز وجل، على ما يعجز عنه كل قادر، ويخرج عن العادة، لشككنا في خلقك ! أوقع عن قصد واتفاق من غير مانع !؟

فلا حطّت لك الهيجاء سرجاً ولا ذاقت لك الدّنيا فراقا

يقول: لا زالت خيالك مسرجةً أبداً في الحرب، ولا ذاقت الدنيا مرارة فراقك.

وقال يمدحه ويرثي ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود، في جمادي الأولى سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة:

ما سدكت علةٌ بمورود أكرم من تغلب بن داود

ما سدكت: أي ما علقت. يقال: سدك به، لصق به، إذا لازمه ولم يفارقه. والمورود: المحموم الذي تتردد عليه الحمى كل يوم.

يقول: ما دامت علة على مريض ، أكرم من تغلب بن داود. يعني أنه أكرم من كل مريض طال عليه مرضه.

يأنف من ميتة الفراش وقد حلّ به أصدق المواعيد

الميتة: الهيئة. الجلسة.

يقول: كان يأنف من أن يموت على فراشه؛ بشجاعته في حال قد نزل به - وهو - الموت الذي هو أصدق المواعيد.

ومثله أنكر الممات على غير سروج السّوابح القود

السابح: الفرس السهل، الذي يمد ذراعيه في عدوه، كأنه يسبح. والقود: جمع أقود، وهو الطويل العنق.

يقول: من كان مثله في الشجاعة أنكر هذه الموتة، يعني أنه لا يرضى الموت إلا على سروج الخيل السوابح الطوال الأعناق.

بعد عثار القنا بلبّته وضربه أرؤس الصّناديد

العثار: السقوط على الوجه، وأراد ها هنا سقوط الرماح عليه. واللبة: النحر. والصناديد: السادات، وقيل: الشجعان.

يقول: إن مثله في شجاعته ينكر موته على فراشه، بعد مباشرته الحروب، وكثرة وقع الرماح بصدره، وضرب رءوس كثير من الشجعان الكرام.

وخوضه غمر كلّ مهلكةٍ للذّمر فيها فؤاد رعديد

الغمر: الماء الكثير، وجعل المهلكة غمراً اتساعاً، وأراد به معظمها، وقيل: أراد وسطها، والذمر: الشجاع، والرعديد: الجبان، الذي يرتعد من شدة الخوف، وقوله: للذمر إلى آخره. صفة للمهلكة.

يقول: إنه ينكر الموت على الفراش بعد خوض المهالك التي يصير قلب الشجاع فيها كقلب الجبان المرتعد من شدة الخوف، ومن كان هذه حاله، يستنكر موته على فراشه.

فإن صبرنا فإنّنا صبرٌ وإن بكينا فغير مردود

الصبر: جمع صابر، وقيل: جمع صبور.
يقول: إن صبرنا على هذه المصيبة، فكذلك عادتنا، وإن بكينا عليه، فغير مستنكر لعظم المصيبة.

وإن جزعنا له فلا عجب؛ ذا الجزر في البحر غير معهود

الجزر: نقصان الماء. والمد: زيادته.
يقول: إن جزعنا عليه فليس بعجب، لأن هذا الجزر في البحر غير معهود. يعني أن مثل هذا المصاب لم نعهده لنصب عليه، وعبر عن الرجل بالبحر، وعن المصيبة بالجزر، يعني: إنا وإن رأينا المصائب قبل هذا. فلم نر مثل هذه المصيبة، فهي جزر غير معهود على هذا الوجه.
وقيل: معناه أنه كالجزر لم يعهد في البحار، وإنما يكون في الأنهار، فهذا أمر هائل عجب، فجزعنا له غير عجب.
وقيل: أراد بالبحر سيف الدولة، ومعناه أن موت هذا الرجل كالجزر العظيم في البحر، الذي ليس بحر أعظم منه، وهو غير معهود. أي لم يمت لسيف الدولة أحد أجل منه.

أين الهبات الّتي يفرّقها على الزّرافات والمواحيد ؟؟

الزرافات: الجماعات. والمواحيد: جمع الموحد.
يقول: أين المواهب التي كان يفرقها على الجماعات والآحاد من قصاده.

سالم أهل الوداد بعدهم يسلم للحزن لا لتخليد

يقول: مات بموته أهل وده، فمن سلم منهم، فإنما يسلم لتجرع الحزن لا لأن يخلد في الدنيا ويدوم له البقاء، لن كلا يموت.

فما ترجّى النّفوس من زمنٍ أحمد حاليه غير محمود ؟ !

يقول: أي رجاء يكون للإنسان في الدنيا، ويكون أحمد حاليه وهو البقاء غير محمود ! لأنه مشوب بأنواع من الحزن والمكاره، وغايته الموت.

إنّ نيوب الزّمان تعرقني أنا الّذي طال عجمها عودي

نيوب: جمع ناب في الكثرة، وتعرقني: أي ما علي من اللحم. والعراق: فجربني حتى عرفني؛ لكثرة تقلي لصروفه.

وفىّ ما قارع الخطوب وما آنسنى بالمصائب السّود

المقارعة: المضاربة. والخطوب: الأمور العظيمة. والمصائب السود: هي الشديدة التي يسود بها البصر. وقيل: وصفها بالسود للبس الحداد فيها، لشدتها.

يقول: فيّ من الصبر ما يقاوم الخطوب، ويؤنسني بالمصائب الشديدة.

ما كنت عنه إذا استغاثك يا ... سيف بني هاشم بمغمود

غمدت السيف وأغمدته: إذا أدخلته في الغمد، وهو قرابه.

يقول: استغاث بك وهو في أسر الخارجي، فلم تك بمغمود عنه، ومغيب عن نصرته وإغاثته، فلو قدرت الآن على تخليصه من الموت لخلصته، لكن لا يقدر أحد على دفع الموت.

يا أكرم الأكرمين يا ملك الأم ... لاك طرّاً يا أصيد الصّيد

الأصيد: المتكبر المائل العنق من الكبر، وجمعه صيد. والأملاك جمع في القلة وفي الكثرة: الملوك.

قد مات من قبلها فأنشره ... وقع قنا الخطّ في اللّغاديد

أنشر الله الموتى فنشروا هم: أي أحياهم الله فحيوا. واللغاديد: جمع لغدوج، وهي لحم باطن اللهوات، وهي أيضاً اللغنون. والنغنغ.

يقول: كان قد مات من قبل هذه المرة، أو هذه الحالة حين أسره الخارجي، فأحياه وقع الرماح الخطية، في اللغاديد. يعني: أن سيف الدولة أوقع بالخارجي واستنقذه منه، بعد ما قتل منه خلقاً كثيراً.

ورميك اللّيل بالجنود وقد ... رميت أجفانهم بتسهيد

رميك: عطف على قوله: وقع الرماح.

أي أنشره بعد موته، قصدك الخارجي بجنودك، وسيرك إليه ليلاً، حتى طلعت عليهم مع الصبح.

فصبّحته رعالها شزباً ... بين ثباتٍ إلى عباديد

الهاء في صبحته للمرثي ورعال الخيل: أوائلها، الواحد رعيل ورعلة، والهاء في رعالها للجنود. والشزب: الضوامر. والثبات: الجماعات. والعباديد: المتفرقون يميناً وشمالاً.

يقول: جاءت هذا الرجل أوائل خيلك يا سيف الدولة، وقت الصبح، جماعة ومتفرقين، حتى خلصته من أيدي بني كلاب.

تحمل أغمادها الفداء لهم ... فانتقدوا الضّرب كالأخاديد

الهاء في أغمادها للسيوف، وذكر الجنود يدل عليها، ويرجع إلى الجنود إذ لا بد من كون أغماد السيوف معهم؛ لكون السيوف فيها. والأخدود: الحفرة المستطيلة في الأرض، وشبه الضربة العظيمة بها.

يقول: كانوا ينتظرون الفداء فجئتهم بخيلك، وفي أغماد سيوفهم الفداء، وهي السيوف ونقدوهم ضرباً فانتقدوا وكل شربة كأنها أخدود.

موقعه في فراش هامهم وريحه في مناخر السّيد

الفراش: عظام الرأس. والسيد: الذئب، وجمعه السيدان. والهاء موقعه راجعة إلى الضرب. والموقع: مصدر، وموضع الوقوع.

يقول: موضع هذا الضرب في رءوس - بني كلاب، ولكن ريحه في مناخر الذئاب؛ لأنها أكلتهم بعد ما صاروا جيفاً، فوصلت روائحهم إلى مناخرهم.

وقيل: معناه أنه إذا وقع بهم هذا الضرب، تطاير عنه الدم، وانتشرت رائحته إلى مناخر الذئب، واستدل به على القتلى، فأتى إليها وأكلها.

أفنى الحياة الّتي وهبت له في شرفٍ شاكراً وتسويد

شاكراً: نصب على الحال. وروى: في شامخ، وباذخ أي عال. والتسويد: السيادة.

يقول: أفنى أبو وائل الحياة التي وهبتها له حين استنقذته من يد الخارجي في شرف وزيادة، وهو لك شاكراً ولإحسانك إليه ناشراً.

سقيم جسيم، صحيح مكرمةٍ منجود كربٍ، غياث منجود

سقيم وما بعده نصب على الحال. والمنجود: المكروب.

يقول: أفنى الحياة التي وهبتها له وهو سقيم الجسم، ولكن مكارمه صحيحة، وهو منجود كرب: أي مجهود كرب العلة، وهو مع ذلك غياث كل مكروب. وهذا يدل على أنه لم يزل مريضاً منذ تخلص إلى أن مات.

ثمّ غدا قدّه الحمام، وما تخلص منه يمين مصفود

القد: السير. المقدود. والمصفود: المقيد المشدود.

يقول: كان أسيراً في يد الخارجي، فخلصته من أسره، ثم مات أسيراً للموت الذي لا يقدر أحد على الخلاص منه ! فمن صار مقيداً مغلولاً للموت، لم يخلصه أحد من قيده.

لا ينقص الهالكون من عددٍ منه عليّ مضيّق البيد

النقص ها هنا متعد والهاء في منه راجعة إلى العدد.

يقول: لا ينقص من هلك من عدد يكون من ذلك العدد سيف الدولة الذي يضيق المفاوز بجيوشه، ففيه خلق من كل هالك، وبدل من كل ناقص.

تهبّ في ظهرها كتائبه هبوب أرواحها المراويد

الهاء في ظهرها راجع إلى البيد وكذلك في أرواحها والمراويد: واحدها مرواد، وهي التي تجيء وتذهب. وقيل: هي الريح اللينة السهلة.

يقول: أن جيوشه تجري في المفاوز مجرى الرياح، غير مسترخية ولا ضعيفة، وخص المراويد؛ لأنه أراد أن عساكره جرارة لا تسير إلا بالهويني؛ من كثرها.

أوّل حرفٍ من اسمه كتبت سنابك الخيل في الجلاميد

شبه آثار سنابك الخيل على الأحجار الصلبة بأول حرف من اسم سيف الدولة وهو العين من علي وهو يشبه أثر السنابك.

مهما يعزّ الفتى الأمير به فلا بإقدامه ولا الجود

الأمير رفع لأنه اسمه، والهاء في به تعود إلى مهما لأنه اسم موضوع للشرط، ومعناه مهما عزى الفتى: الذي هو الأمير سيف الدولة فلا يعزى بشجاعته وجوده، لأنهما لا يفارقانه أبداً، ويجوز أن يكون دعاء ومعناه: فلا عزى بهاتين الخصلتين؛ لأنهما متى سملا له فما سواهما حلل، وروى: مهام يعز، فيكون الفتى فاعله، والأمر ينصب لأنه مفعوله، ومعناه: مهما يعزيه بإقدامه وجوده.

ومن منانا بقاؤه أبداً حتّى يعزّى بكلّ مولود

يجوز من بالفتح بمعنى: الذي، فيكون عطفاً على قوله: فلا بإقدامه ولا الجود أي فلا يعزى بإقدامه وجوده، ونفسه التي نتمنى أن تبقى هنا أبداً، ويهلك كل مولود، حتى نعزيه بهم. والمراد: أنه لا يعزى بمصبة في نفسه. ويجوز من بالكسر فيكون مستأنفاً، والمعنى أن مرادنا أن يبقى. هو إلى أن يعزى بكل مولود ولد.

وقال أيضاً يمدحه وقد ركب سيف الدولة يشيع عبده يماك لما أنفذه في المقدمة إلى الرقة فهاجت ريح شديدة. فقال:

لا عدم المشيّع المشيّع

ليت الرّياح صنّعٌ ما تصنع

روى الأول بالكسر، والثاني بالفتح. وقد روى بالكسر، من ذلك يقول داعياً له: لا عدم يماك المشيع، سيف الدولة المشيع أو لا عدم سف الدولة غلامه المشيع، وهذا أيضاً يتضمن الدعاء لسيف الدولة.

ثم قال: ليت الرياح كانت تفعل مثل فعله، لأن أفعاله تزيد على فعل الرياح.

بكون ضرّاً وبكرت تنفع

وسجسجٌ أنت وهنّ زعزع

وواحدٌ أنت وهنّ أربع

وأنت نبعٌ والملوك خروع

يقول مفضلاً له على الرياح: إنها تضر، وتنفع أنت. وقيل: إنه اتفق هبوب الريح الشديدة فذكر ذلك.

والسجسج: اللينة. والزعزع: الشديدة. يعني: هي شديدة صعبة، وأنت نفع خالص كالريح السجسج.

والرياح أربع: جنوب، وشمال، وصبا، ودبور، وأنت واحد تقوم مقامها أجمع. وقيل: أراد لا نظير له والريح له نظير.

والنبع: شجر صلب يتخذ منه القسى، والخروع: شجر ضعيف. شبه شجر التين. يعني أنت أفضل من الملوك، كالنبع أفضل من الخروع.

وقال أيضاً يمدحه وهو سائر يريد الرقة، وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثديين.

لعيني كلّ يومٍ منك حظّ تحيّر منه في أمر عجاب

العجاب: أبلغ من العجيب. والهاء في منه للحظ.

يقول: إن لعيني منك كل يوم حظاً ! يتحير من ذلك الحظ، ويتعجب منه.

حمالة ذا الحسام على حسامٍ وموقع ذا السّحاب على سحاب

حمالة: أي ذلك العجاب هو حمالة. هذا هو العجاب.

يقول: أرى أمراً عجيباً وهو حمالة السيف، وقعت على السيف، الذي هو سيف الدولة، لأنه سيف

تقلد سيفاً، وكذلك وقوع السحاب الذي هو المطر، على سيف الدولة، الذي هو كالسحاب جوداً.
وزاد المطر فقال فيه أيضاً

تجفّ الأرض من هذا الرّباب ويخلق ما كساها من ثياب

الرباب: السحاب الأبيض، وأراد تجف الأرض من مطر هذا الرباب فحذف المضاف.
يقول: تجف الأرض من هذا المطر، وكذلك يخلق ما كسى هذا المطر الأرض من أثواب الربيع وأنواع الأزهار، وألوان الأنوار.

وما يتفكّ منك الدّهر رطباً ولا يتفكّ غيثك في انسكاب

يقول: إن الأرض تجف من هذا المطر، ولا يزال الدهر من سحاب جودك رطباً ولا يزال جودك متصلاً، فيبقى أثره على الدهر.

تسايرك السّواري والغوادي مسايرة الأحبّاء الطّراب

تسايرك: أي تسير معك. والطراب: جمع طرب، وهو الذي استخفه الشوق.
يقول: إن السحب التي تأتي ليلا والتي تأتي غدوة تسير معك حيث سرت، كما يسير الحبيب مع حبيبه، إذا طرب إليه واستخفه الشوق نحوه.

تفيد الجود منك فتحتذيه وتعجز عن خلائقك العذاب

تفيد: أي تستفيد، والتاء للسواري والغوادي. يقال: أفاد واستفاد والاحتذاء: أن تفعل مثل ما فعل صاحبك. ويروى فتحتديه: أي تطلب حدى جودك.
يقول: إن السحاب تسايرك حتى تستفيد الجود منك، وتحذو على حذوك من الجود، فهي وإن استفادت عنك الجود احتذاء، تعجز عن أخلاقك العذبة.
وأجمل سيف الدولة ذكره وهو يسايره في طريق آمد فقال.

أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه تأتي النّدى ويذاع عنك فتكره

يقول: أنا إذا ذكرت جودك، وأثنيت عليك بإحسانك كنت بمنزلة من ينم عليك، ويفشي أسرارك؛ لأنك تفضل على الناس، وتستره، وتكره أن يظهر ذلك منك، فأنا إذا أظهرته كنت في حيز الواشين بك.

وإذا رأيتك دون عرضٍ عارضاً أيقنت أنّ اللّه يبغي نصره

يقول: إذا رأيتك عارضاً دون عرض إنسان، وذاباً عنه تيقنت أن الله تعالى ينصره على أعدائه. وإنما قال ذلك؛ لأن سيف الدولة أحسن ذكره.

فقال: إذا أثنيت علي، لم أبال بمن عابني؛ وعلمت أن الله تعالى ينصرني على من يطعن علي ذنباً من عرضي.

وفي قافية البيتين اضطراب لأنا إن جعلناها رائية، فالهاء تكون وصلاً، وهذا لا يجوز؛ لأن الهاء أصل في البيت الأول، وهو قوله: فتكره وفي الثاني ضمير وهو نصره فالبيت الأول هائي والثاني رائي، وإن جعلناها هائية فالثانية تكون رائية لما بينا: أن الهاء أصل في الأول، ووصل في الثاني. والكلام في هذا المعنى يطول، وموضعه كتاب القوافي، وقيل القافية رائية وقد جاء مثل هذا في الشعر القديم، وقد تركت ذكره لئلا يطول.

وزاد سيف الدولة في وصفه فقال له.

ربّ نجيعٍ بسيف الدّولة انسفكا ... وربّ قافيةٍ غاظت به ملكا

النجيع: الدم الطوى، وقيل: اليابس، وقيل: الخالص.

يقول: رب دم أجراه سيف الدولة، ورب قصيدة نظمت في مدحه، أو نظمها الشعراء في مدحه، فغاظ الملوك حسنها، وحسدوه حيث قصروا عن صفاته وخصاله.

من يعرف الشّمس لا ينكر مطالعها ... أو يبصر الخيل لا يستكرم الرّمكا

يقول: مثلك مثل الشمس، من عرفها لا ينكر مطالعها؛ لشهرتها، وفضلها، فكذلك أنت لا ينكر فضلك، وعلو محلك؛ فلهذا قصدتك دون سائر الملوك. وكذلك مثلك مع الملوك. مثل الخيل الجياد مع الرمك: وهي الإناث من البراذين.

تسرّ بالمال بعض المال تملكه ... إنّ البلاد وإنّ البلاد وإنّ العالمين لكا

يقول: نحن من جميع مالك، فأنت إذا وهبت لنا مالك فقد سررت بمالك بعض مالك الذي تملكه، لأنك تملكت البلاد والعباد، فكأنك وهبت مالك، من مماليكك، فالكل عائد إليك.

وقال يخاطب سيف الدولة وقد سار يريد آمد وتوسط جبالاً:

يؤمّم ذا السّيف آماله ... ولا يفعل السّيف أفعاله

وروى: يؤمل.

يقول: هذا السيف يقصد إلى آماله ويدركها بسعيه، ولا يفعل سيف الحديد مثل فعله، ولا يمضي مضاءه.

إذا سار في مهمةٍ عمّه وإن سار في جبلٍ طاله

طاله: أي علاه. يعني إذا سار في البر ملأه بخيله، أو بخيره وبركته أو هيبته، وإذا سار في الجبل: علاه وغطاه بجيشه. وقيل: علاه من حيث القدر والجاه، فهو أعلى منه وأعظم. وقيل: علاه بكثرة الخير والبركات.

وأنت بما نلتنا مالكٌ يثمّر من ماله ماله

نلتنا: أي أعطيتنا.

يقول: أنت بما أعطيتنا من العطايا، كالمالك الذي يكثر ماله بماله ويصلحه به، لأنا عبيدك، والدنيا كلها لك، وهذا كقوله: تسر بالمال.

كأنّك ما بيننا ضيغمٌ يرشّح للفرس أشباله

الضيغم: الأسد، وهو فعيل من الضغم: وهو العض والترشيح: التعليم والتدريب. ويروى: يحرض والفرس: الاصطياد، وأصله دق العنق.

يقول: أنت تعلمنا الحرب والشجاعة، كالأسد يعلم أولاده الاصطياد.

ونزل سيف الدولة آمد، وكثر المطر بها، ودعا أبا الطيب، فدخل وهو يشرب، فقال له: قال بعض الناس، في قولك:

ليت أنّا ارتحلت لك الخي ل وأنّا إذا نزلت الخيام

جعل الخيام فوقك، وعرض بجليس له. فأجابه أبو الطيب، وأراد بهذا قطع الكلام.

لقد نسبوا الخيام إلى علاءٍ أبيت قبوله كلّ الإباء

يقول: نسبوا الخيام إلى العلاء، فأبيت أنا قبوله، وامتنعت منه كل الامتناع، لأني لا أسلم أن تكون السماء فوقك، فكيف الخيام ؟!

وما سلّمت فوقك للثّريا ولا سلّمت فوقك للسماء

وقد أوحشت أرض حتّى سلبت ربوعها ثوب البهاء

يقول: إني لم أسلم أن السماء والثريا فوقك؛ لأن اعتقادي أهما دونك، وأنت فوقها ! وكيف أسلم أن الخيام فوقك مع أهما دونك ؟!

تنفّس والعواصم منك عشرٌ فتعرف طيب ذلك في الهواء

تنفس: أي تتنفس، فحذف تاء الخطاب. والعواصم: بلدان كانت من أعمال سيف الدولة، فتعرف: أي العواصم.

يقول: إذا تنفست وبينك وبين العواصم مسرة عشرة ليال، عرفت العواصم طيب نفسك في الهواء !! وأراد أهلها، وبالطيب: العدل والإحسان.

وذكر سيف الدواة لأبي العشائر جده وأباه، وفي نسخة ذكر سيف الدولة جد أبي العشائر فقال أبو الطيب:

أغلب الحيّزين ما كنت فيه ووليّ النّماء من تنميد

الحيز: الجانب، وقيل: الفريق، والجيش. ويجوز تنميه بفتح التاء: أي تنتمي إليه، ويجوز بضم التاء: أي تزيد فيه، من أنميت المال، ونمى هو.

يقول: هو أغلب الجانبين أو الفريقين أو العسكرين، الذي أنت فيه، والأولى بالكثرة من كنت منتسباً إليه، أو من كنت تزيد فيه.

ذا الّذي أنت جدّه وأبوه دنيةً دون جدّه وأبيه

دنية: أي قرباً، وهو مصدر في موضع الحال، لما قال: القبيل الذي أنت فيه أولى بالزيارة، استدرك ها هنا فقال: إنما يغلب الذي أنت جده وأبوه الأدنى، لا أبوه الذي ولده جده. فكأنه قال: إنما انتسبت هذه القبيلة إليك في الحقيقة.

وأذن المؤذن فوضع سيف الدولة القدح من يده، فقال أبو الطيب رحمه الله تعالى:

ألا أذّن فما أذكرت ناسي ولا ليّنت قلباً وهو قاسي

ولا شغل الأمير عن المعالي ولا عن حقّ خالقه بكاس

كان الوجه أن يقول: ناسياً، لكنه حذفه للضرورة، فجاء به على قول من قال: رأيت قاض.

يقول للمؤذن: أذن فإن أذانك لم ينبه سيف الدولة من غفلته، وليس قلبه قاسياً فتلينه بأذانك ولم

يشغله الكأس عن حق الله تعالى، ولا عن المعالي.
وذكر سيف الدولة بيتاً أحب إجازته وهو:

خرجت غداة النّحر أعترض الدّمى فلم أر أحلى منك في العين والقلب

الإجازة في البيت: إضافة بيت، أو أبيات إلى بيت آخر يتم به معناه، أو إضافة مصراع إلى مصراع يوافقهن ويتم معناه كقول بعضهم وقد شرب ماء:

عذب الماء وطابا

فقال أبو العتاهية:

حبّذا الماء شرابا

فما ذكره أبو العتاهية هو الإجازة ومعنى البيت: خرجت يوم الأضحى أنظر إلى وجوه الحسان وصورهم، فما رأيت فيه أحسن منك في عيني وقلبي. والدمى: جمع جمية وهي الصورة.
فقال أبو الطيب مجيزاً.

فديناك أهدى النّاس سهماً إلى قلبي وأقتلهم للدّارعين بلا حرب

أهدى الناس: أي أكثرهم هداية وأقصد، وسهماً نصب على التمييز، وأراد به العين. وقوله: أهدى يعني يا أهدى الناس، ويجوز أن يكون صفة لكاف الخطاب.
يقول: فديناك من معشوق يهدي سهمه إلى القلوب، ويقتل الرجال الشجعان اللابسين الدروع، وقيل أراد به سيف الدولة، يعني أنك تقتل أعداءك ولا تقيهم الدروع فعلى هذا يكون القلب بلا ياء. والأول أولى.

تفرّد بالأحكام في أهله الهوى فأنت جميل الخلف مستحسن الكذب

يقول: حكم الهوى يخالف سائر الأحكام، فالكذب فيه حسن ! وخلف الوعد فيه جميل ! وإن كان قبيحاً من سائر الناس.

وإنّي لممنوع المقاتل في الوغى وإن كنت مبذول المقاتل في الحبّ

المقتل: الموضع الذي إذا أصيب من الجسد مات صاحبه.
يقول: مقاتلي ممنوعة في الحرب بشجاعتي، وإن كنت مبذول المقاتل في الحب، فيصيب الهوى مقتلي بأهون سعي ! وهذا أيضاً من أحكام الهوى المخالفة لسائر الأحكام.

ومن خلقت عيناك بين جفونه أصاب الحدور السّهل في المرتقي الصّعب

يقول: مقاتلي مبذولة في الحب، وإن كانت ممنوعة في الحرب، لأن من كان له عينان مثل عينيك، سهل عليه المرام الصعب، وأدركه بأهون سعي.

وقيل: أراد من كانت عيناك نصب جفونه، صار طوعاً لهما، فلا يملك الامتناع من سهامها.

وهذه الأبيات ليست بجيدة في الإجازة؛ لأنها لا تتضمن معنى البيت الذي أجازه، غير أنها على وزنه ورويه، وهذا القدر لا يكفي في الإجازة، بل لا بد أن يكون له تعلق بالعنى الذي في البيت الأول.

وقال يمدحه بميّا فارقين، وقد نزلها سيف الدولة في شوال سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وقد أمر الغلمان والجيش بالركوب بالتجافيف والسلاح:

إذا كان مدحٌ فالنّسيب المقدّم — أكلّ فصيحٍ قال شعراً متيّم ؟ !

كان ها هنا بمعنى: وقع، لا يحتاج إلى خبر.

يقول: من عادة الشعراء أن يقدموا النسيب على المديح، حتى كأن كل شاعر عاشق ؟! ليس الأمر كذلك بل يجوز أن يكون فيهم من يمدح ولا ينسب، إذ لا يجب أن يكون كل شاعر عاشقاً.

لحبّ ابن عبد الله أولى فإنه — به يبدأ الذّكر الجميل ويختم

يقول: إذا كان ذكر النّسيب لا يدل على كون الشاعر عاشقاً، فذكر محاسن سيف الدولة، والتشبب بأوصافه أولى؛ فإن الذكر الجميل يبدأ به ويختم، إذ هو في جميع أوصافه.

أطعت الغواني قبل مطمح ناظري — إلى منظر يصغرن عنه ويعظم

طمح بنظره: إذا رفعه. وقيل: هو أن ينظر إلى مكان بعيد. وناظر العين: سوادها.

يقول: أطعت الغواني قبل أن أنظر إلى معالي الأمور، فلما نظرت إليها صغر في عيني أمر الغواني.

وقوله: يصغرن أي الغواني ويعظم أي المنظر.

وقيل معناه أطعتهن قبل أن أرى سيف الدولة، فلما رأيته عظم في عيني شأنه وصغر أمرهن عندي.

تعرّض سيف الدّولة الدّهر كلّه — يطبّق في أوصاله ويصمّم

تعرض: أي أتاه من عرضه: أي من جانبه. والتطبيق في القطع: أي يقطع المفصل فيكون أسهل، والتصميم: أن يمضي في العظم فلا ينبو عنه.

يقول: إن سيف الدولة قصد إلى الدهر فقطع أوصاله، وأمضى على أحكامه تارة بالعنف: وهو التصميم. وتارة بالرفق: وهو التطبيق، ولما جعله سيفاً: جعل مضيّ أمره على الدهر قطعاً لأوصاله.

فجازله حتّى على الشّمس حكمه وبان له حتّى على البدر ميسم

ميسم، قيل: هو الحسن. وقيل: هو من العلامة، وحكمه رفع بجاز أي جاز له حكمه على الشمس وميسم رفع ببان.

والميسم: من قوله وسمه يسمه، ومعناه على الأول أنه ملك الدهر حتى جاز حكمه على الشمس، ونفذ فيه مراده، وبان على البدر، وحسنه ظهر عليه وغلبه، وقيل: إن جواز أمره على الشمس هو أنه متى شاء غير لونها بغبار خيله، وأخفى ضياءها بلمع سيوفه، والأولى أن يحمل على مجرد الدعوى، مبالغة في المدح.

وإن أريد بالميسم العلامة فمعناه: أنه قد ظهر وسمه وأثره على كل شيء من الدهر، حتى على البدر، يعني أنه يذهب بضوء البدر.

وقيل: إنه أراد به الكلف الذي نراه في القمر، وأنه من تأثير سيف الدولة فيه، وقد وسمه، كما يسم الرجل دوابه وإبله.

كأن العدا في أرضهم خلفاؤه فإن شاء حازوها وإن شاء سلّموا

يقول: كأنّ أعداءه في بلادهم عماله وخلفاءه، فإن شاء حاز بلادهم بالقهر، وإن شاء سلموها وتسلمها منهم.

ولا كتب إلاّ المشرفيّة عنده ولا رسلٌ إلاّ الخميس العرمرم

العرمرم: الجيش الكثير المضطرب.

يقول: ليس له إلى أعدائه كتب إلا السيوف، ولا يرسل إليهم رسلا سوى الجيش.

فلم يخل من نصرٍ له من له يدٌ ولم يخل من شكرٍ له من له فم

ولم يخل من أسمائه عود منبرٍ ولم يخل دينارٌ ولم يخل درهم

يقول: إنه ملك البلاد، وعم بإحسانه العباد، وليس أحد من الناس إلا ناصره، ولا ناطق إلا شاكره، وما من منبر في البلاد إلا وخطيبه يدعو له، ويذكر اسمه، ولا دينار ولا درهم إلا وهو مضروب باسمه.

ضروبٌ وما بين الحسامين ضيقٌ بصيرٌ وما بين الشّجاعين مظلم

يقول: إذا تدانت الأقران في الحرب، وضاق ما بين الحسامين فلم يتمكن الشجاع من الضرب وجد هو لسيفه مجالاً، وإذا اشتد الأمر، وعلا الرهج حتى يظلم بين الشجاعين، كان هو بصيراً في الحلة، ولا يخفى عليه وجوه الصواب.

تبارى نجوم القذف في كلّ ليلةٍ نجومٌ له منهنّ وردٌ وأدهم

تبارى: أي تعارض. ونجوم القذف: النجوم المنقضة لرجم الشياطين. والورد: الأشقر. والأدهم: الأسود.

يقول: خيله تعارض النجوم المنقضة في السرعة وفي رمي الأعداء، فكما أن النجوم لا يرمى بها إلا الشياطين وتحرقها، فكذلك خيله التي منها الورد والأدهم، تسري إلى الأعداء فتحرقها كالنجوم المنقضة على الشياطين.

يطأن من الأبطال من لا حملنه ومن قصد المرّان مالا يقوّم

القصد: ما تكسر من الرماح، الواحدة: قصدة. والمران: الرماح اللينة والضمير في يطأن: للخيل، والهاء في حملنه لمن.

يقول: تطأ خيله من الشجعان ما لا تحمله الخيل: يعني القتلى. وتطأ الرماح المتكسرة التي لا تقوم. وقوله: من لا حملنه. معناه من لم يحملنه. أقام لا، مقام لم ويجوز أن يكون وحملنه: بمعنى يحملنه. وتقديره يطأن من الأبطال من لا يحملنه، فيكون موافقاً لقوله: ما لا يقوم. وقيل: إنه دعاء. ومعناه من لا أظفره الله على الممدوح وجيشه، ومعناه من يستحق أن يقال: لا حملنه. أي من يستحق هذا الدعاء عليه. وهذا كقوله: فداءه: أي يستحق أن أقول له: جعلت فداءه.

فهنّ مع السّيدان في البرّ عسّلٌ وهنّ مع النّينان في الماء عوّم

وهنّ مع الغزلان في الواد كمّنٌ وهنّ مع العقبان في النّيق حوّم

السيدان: جمع السيد. وهو الذئب. والعسل: جمع عاسل، وهو المضطرب في عدوه. والنينان: جمع نون، وهو الحوت العظيم. والواد: أصله والوادي فاكتفى بكسر الدال. والنيق: رأس الجبل. والعقبان: جمع عقاب.

يقول: إن خيله قد ملأت البر والبحر والسهل والجبل، ففي البر كالذئاب، وفي البحر كالحيتان، وتكمن مع الغزلان في كل واد، وتحوم مع العقبان في كل نيق فلا موضع يخلو منها.

إذا جلب النّاس الوشيج فإنّه بهنّ وفي لبّاتهنّ يحطّم

جلب: حمل. والوشيج: أصول الرماح، وأراد به الرماح ها هنا. يعني أن خيله قد تعودت القتال، فإذا جلب الناس الرماح من معادنها، فإنها لا تتكسر إلا في صدورهن، أو بأيدي فرسانه؛ لأنه لا يكون حرب إلا معه.

بغرّته في الحرب والسّلم والحجا وبذل اللّها والحمد والمجد معلم

اللها: الدراهم.

يقول: سيف الدولة معلم بغرته، مشهور بوجهه في هذه المواضع، لا يحتاج إلى علامة غيرها؛ لشهرتها.
وروى: معلم أي قد أعلم لذلك، أو عليه موضع علامة.

يقرّ له بالفضل من لا يودّه ويقضي له بالسّعد من لا ينجّم

يقول: قد ظهر فضله في الناس، حتى تساوي في الإقرار به الأولياء والأعداء، وثبتت له السعادة، واستمرت له السلامة، حتى تشارك المنجم وغيره بالقضاء له بالسعادة؛ استشهاراً بظاهر الحال فيعتبر به المآل.

أجار على الأيّام حتّى ظننته تطالبه بالرّد عادٌ وجرهم

أجار على الأيام: أي منع جورها عن الناس. وعاد وجرهم: أمتان هلكتا في قديم الزمان.
يقول: إنه أجار جميع النام من حوادث الأيام، حتى ظننت أن عاداً وجرهماً. تجيئان إليه، وتطالبانه بردهما إلى الدنيا، والانتقام لهما من الأيام.

ضلالاً لهذي الريح ! ماذا تريده !؟ وهدياً لهذا السّيل ! ماذا يؤمّم

ضلالاً، وهديا: نصب على المصدر بفعل مضمر.
كان سيف الدولة زار قبر أمه فأصابه في طريقه ريح فيه مطر فقال للريح: ضلالاً: أي أضلها الله ضلالاً؛ لأنها تزعم أنها عارضته، وأرادت أن تثنيه عن طريقه. ودعا للسيل بالهدى؛ لأنه زعم أنه جاء مع سيف الدولة يزور قبر أمه، ويسقى تربتها.
وقيل: الدعاء على الريح؛ لأنها تضر في الغالب، ودعاء للمطر لأنه ينفع في الأكثر.

ألم يسأل الوبل الّذي رام ثنينا فيخبره عنك الحديد المثلّم ؟

يقول: هلاّ يسأل هذا المطر الذي أراد صرفنا عن مقصدنا، حتى يخبره عنك الحديد المثلم، بأنك إذا رمت مراماً لم يصدك عنه سيف حسام، فكيف يثنيك المطر والغمام. وأراد بالحديد سلاح الأعداء.

ولمّا تلقّاك السّحاب بصوبه تلقّاه أعلى منه كعباً وأكرم

الصوب: المطر. وأعلى منه كعباً: أي منزلة.
يقول: لما تلقاك السحاب بمطره في طريقك، تلقاه من هو أعلى منه محلاً وأجل منه قدراً.

فباشر وجهاً طالما باشر القنا وبلّ ثياباً طالما بلّها الدّم

يقول: باشر السحاب وجهاً أكثر منه مباشرة للرماح، وبل ثياباً بلها الدم قبل ذلك، فالمطر أهون شيء عنده.

تلاك وبعض الغيث يتبع بعضه من الشّام يتلو الحاذق المتعلّم

يعني يتبعك هذا المطر لأنك غيث مثله، والغيث يتبع بعضه بعضاً كما يتبع المتعلم الأستاذ.

فزار الّتي زارت بك الخيل قبرها وجشّمه الشّوق الّذي تتجشّم

فاعل زار: الغيث، ومفعوله التي والذي في موضع نصب؛ لأنه مفعول جشمه، والهاء للغيث.

يقول: زار هذا الغيث قبر والدتك، وكلفه الشوق من السير مثل ما تكلفت أنت، أي هو يشتاق قبرها كما تشتاقه أنت.

ولمّا عرضت الجيش كان بهاؤه على الفارس المرخى الذّؤابة منهم

يقول: لما عرضت الجيش، كان بهاء هذا الجيش وجماله بالفارس الذي أرخى ذؤابته. سيف الدولة الممدوح.

حواليه بحرٌ للتّجافيف مائجٌ يسير به طودٌ من الخيل أيهم

الطود: الجبل. والأيهم: الصعب الذي لا يهتدي إلى موضع صعوده. والمائج: الفاعل من ماج يموج إذا اضطرب. شبه تجافيف الخيل ببحر يموج لكثرتها وصفائها، وشبه الخيل في اجتماعها بجبل صعب المرتقى، فجعل التجافيف بحراً مائجاً على جبل شاهق.

تساوت به الأقطار حتّى كأنّه يجمّع أشتات الجبال وينظم

الأقطار: نواحي الأرض، والواحد قطر وقتر والهاء في به للجيش، أو للبحر أو للقطر.

والمعنى: أن هذا الجيش قد ملأ بين الجبال حتى تساوت به جميع نواحي الأرض، وصارت الأرض جبالاً؛ فكأنه جمع الجبال المتفرقة. وروى: أشتات البلاد.

وكلّ فتىً للحرب فوق جبينه من الضّرب سطرٌ بالأسنّة معجم

يقول: كل واحد من هذا الجيش فوق جبينه أثر الضرب والطعن؛ لشجاعته وتعوده الحرب. فشبه أثر الضرب بالسطر لا ستطالتها كالسطر وأثر الطعن بالمعجم؛ لاستدارته كالنقط، وهو أحسن من قول أبي تمام:

كتبت أوجههم مشقاً ونمنمةً ضرباً وطعناً يقدّ الهام والصّلّفا

كتابة لآتنى مقروءةً أبداً وما كتبت بها لاما ولا ألفا

يمدّ يديه في المفاضة ضيغمٌ وعينيه من تحت التّريكة أرقم

المفاضة: الدرع الواسعة. والتريكة: البيضة. والأرقم: ضرب من الحيات منقط كأنه مرقوم، بما عليه من النقط. والهاء في يديه يعود إلى الفتى، وقيل: إلى الضيغم. وفي عينيه إلى الأرقم؛ لأنه المقدم في المعنى، وإن تأخر في اللفظ. وعينيه عطفاً على يديه شبه ساعدي الفتى في الدرع، بساعدي الأسد، وعينيه تحت البيضة، بعيني الحية.

كأجناسها راياتها وشعارها وما لبسته والسّلاح المسمّم .

الشعار: العلامة التي يتعارف بها أهل الحرب. والمسمم: المسقى السم. وروى: المسه وهي التأنيث كله للخيل. وقيل في معنى البيت وجوه.

أحدها: أن هذا الجيش كثير مختلف، اجتمع فيه كل أمة من الجند، وكما اختلفت هذه الأجناد، كذلك اختلفت شعارها وأعلامها وسلاحها. فكل طائفة على هيئة مخالفة لغيرها من الطوائف. كقوله:

في موضع تجمع فيه كل إنس وأمة

هذا ما ذكره المخزومي.

وثانيها: أنه كلما اختلفت ألوان الخيل وأجناسها وأنواع الرجال وأجنادها، كذلك الرايات والسلاح والشعار فإنهم في هيئات الأسود والعقبان، فالأسود من جنس الرجال، والعقبان من جنس الأفراس، وشعارها مختلفة الألوان كألوان هذه الخيل، وما لبسته من الحديد، ففي الخيل والرجال صلابة مثله:

وهم في النفاد واله لاك كالسلاح المسمم

وثالثها: معناه أن جنسها كالحديد في صبره على التعب والقتال، ونداؤهم باسم الحديد لأنهم يتنادون بشعار سيف الدولة المنصور، والسيف: حديد، وما لبسته من التجافيف والجواشن، وهي أيضاً حديد، والسلاح حديد، وعلى الرايات اسم سيف الدولة وهو حديد، ولأنه جعل الرماح رايات.

وقال ابن جني: معناه أن عسكره كله عربي. خيله وشعاره وملبوسه وسلاحه.

وأدّبها طول القتال فطرفه يشير إليها من بعيدٍ فتفهم

الهاء في أدبها وإليها للخيل. وتفهم فعل الخيل، والهاء في طرفه لك فتى.

يقول: إن خيله تأدبت بآداب القتال، فإذا أشار صاحبها إليها من بعيد فهمت مراده، فجاءت إليه مسرعة. وروى: طول القياد وطول الطراد.

تجاوبه فعلاً وما تسمع الوحى ويسمعها لحظاً وما يتكلّم

الوحى: الصوت. يقول: إن صاحبها إذا دعاها بلحظه وإشارته، أجابت بالفعل والمجيء، وإن لم تسمع صوته.

تجانف عن ذات اليمين كأنّها ترقّ لميّا فارقين وترحم

تجانف: أي تتجانف، فحذف التاء، أي تميل.

يقول: إن الخيل عدلت عن ميا فارقين وأخذت في جانب فكأنها ترحمها، وكانت ميا فارقين عن يمين هذه الخيل وهي من جملة ممالكه فلم يتعرض لها لأن القصد كان إلى ديار الروم.

ولو زحمتها بالمناكب زحمةً درت أيّ سورينا الضّعيف المهدّم

يقول: لو زحمت الخيل ميا فارقين بمناكبها، لكانت تدري أي السورين أضعف سورها أم سور الخيل ؟ يعني جعل الخيل سوراً؛ لثباها وبعد انزعاجها عن موضعها بإزعاج مزعج، والتصاقها للحرب، ومعناه: لو لم تعدل عنها، ونزلت عليها؛ لهدمت سورها.

قال ابن جني: وحكى أن المتنبي أنشده هذه القصيدة عصراً، فسقط سور ميا فارقين ليلاً، وكان السور جاهلياً.

على كلّ طاوٍ تحت طاوٍ كأنّه من الدّم يسقى أو من اللّحم يطعم

الطاوي: الضامر، واللطيف البطن، وقوله: كأنه يرجع إلى الطاوي الأول، وهي الفرس.

يقول: على كل فرس ضامر، فارسٌ مثله في الضمور. فكأن هذا الفرس سقى من الدم، وأطعم من اللحم.

قيل فيه وجوه: منها: كأنه ذئب يأكل اللحم ويشرب الدم، فهو يهجم بفارسه على الحرب كما يهجم الذئب على الصيد.

وثانيها: كأنه يأكل لحم نفسه، ويشرب دم نفسه. مبالغة في وصفة بالضمور، والهزال؛ لاعتياده القتال.

والثالث: أراد أنه أطعم لحوم الأعداء وسقى دماؤهم، فهو مجد في طلبهم اقتداء بما مضى من العادة.

لها في الوغى زيّ الفوارس فوقها فكلّ حصانٍ دارعٌ متلثّم

يقول: زي هذه الخيل مثل زي فوارسها؛ لأن كل فارس عليه درع ومغفر ولثام، وفرسه مغطى بالتجافيف، والبرقع.

وما ذاك بخلاً بالنّفوس على القنا ولكنّ صدم الشّرّ بالشّرّ أحزم

بخلاً: نصب لأنه خبر ما واسمه ذاك وهو في موضع الرفع.

يقول: تغطيتهم أنفسهم وخيلهم ليس لجبنهم وبخلهم بالحياة، ولكنه مقابلة الشر بالشر، ودفع الشر بمثله، هو الحزم وجودة الرأي.

والصدم: ضرب الشيء بمثله. وهذا قريب من قولهم: الحديد بالحديد يفلح.

أتحسب بيض الهند أصلك أصلها وأنّك منها ؟ ساء ما تتوهّم!

يقول لسيف الدولة: إن السيوف الهند كأنها تظن أصلها أصلك، وأنك سيف مثلها؛ لما سميت باسمها وقد ساء ما توهمت، لأنك أشرف منها جوهراً، وأمضى منها في الأمور، وإنما أشركتها في الاسم لا في الجوهر والخصال، فأنت من العرب أصلاً، وهي من الهند، وليس فيها خصالك.

إذا نحن سميّناك خلنا سيوفنا من التّيه في أغمادها تتبسّم

يقول: إذا سميناك تبسمت سيوفنا في غمودها عجباً بأنك سميها، فكأنها حسبت أنك منها أصلاً ومنظراً، وليس الأمر كذلك.

ولم نر ملكاً قطّ يدعى بدونه فيرضى ! ولكن يجهلون وتحلم

بدونه: أي بدون قدره.

يقول: ما رأيت ملكاً يسمى بدون قدره ويرضى بذلك غيرك ! فإنك لقبت بسيف الدولة فرضيت به لحلمك، وهو لا يرضون لجهلهم.

أخذت على الأرواح كلّ ثنيّةٍ من العيش تعطى من تشاء وتحرم

الثنية: العقبة.

يقول: حكمت بين الأرواح وبين العيش، فكأنك قعدت على طريق الحياة، فمن شئت خليت سبيل حياته، ومن شئت صرفتها عنه. يعني أنك قد استوليت على أرواح العباد، فمن أغثته يبقى، ومن لم تغثه يهلك ..

فلا موت من سنانك يتّقى ولا رزق إلاّ من يمينك يقسم

يقول: إن آجال الخلق في سنانك، وأرزاقهم في يدك، فلا موت يتقى إلا من سنانك، ولا رزق يقسم إلا من يمينك.

وضربت خيمة كبيرة لسيف الدولة بميا فارقين، وأشاع الناس أن المقام يتصل، فهبت ريح شديدة فسقطت الخيمة فأرجف بذلك وتطير وتحدث الناس فيه، وتكلموا عند سقوطها فقال أبو الطيب رحمه الله تعالى. يمدحه ويذكر الخيمة:

أينفع في الخيمة العذّل ؟ وتشمل من دهرها يشمل

العذل: جمع العاذل.

يقول: عذل الخيمة على سقوطها غير نافع، لأنها لا تقدر أن تشمل سيف الدولة مع اشتماله على الدهر، وإحاطته به ودهرها نصب بيشمل ومن كناية سيف الدولة، وهو بمعنى الذي وهو نصب بيشمل.

وتعلوا الّذي زحلٌ تحته محالٌ لعمرك ما تسأل

وتعلو: فعل الخيمة: والذي: في موضع نصب، لأنه مفعول تعلو.

يقول: كيف تعلو الخيمة سيف الدولة ؟ مع كون زحل تحته ! وما تسأل الخيمة من العلو عليه أمر محال.

فلم لا تلوم الّذي لامها ؟ وما فصّ خاتمه يذبل

التاء في تلوم للخيمة. وقيل: للخطاب. وما في قوله: وما فص خاتمه. للنفي بمعنى وليس. ويذبل: جبل.

يقول: من لامها على سقوطها فقد سامها أمراً محالاً، فلها أن تقابله بما هو محال مثله. فتقول: لم لم تجعل فص خاتمه يذبلا ؟ الذي هو الجبل، فكما أن هذا محال، فكذلك استقرارها فوق سيف الدولة محال، والهاء في خاتمه تعود إلى الذي.

تضيق بشخصك أرجاؤها ويركض في الواحد الجحفل

الأرجاء: النواحي، الواحد رجاً.

يقول: جوانب الخيمة، ونواحيها تضيق عن شخصك؛ والواحد من الجوانب - لسعته - لو ركض فيه جيش عظيم لما ضاق عنه. يعني أنها على سعتها تضيق عنك ! وقيل: أراد بالواحد: الواحد من الخيام:

يعني أن الواحد من الخيام يركض فيه العسكر الكثير، لعظمه وسعته، إلا أنه تضيق عن شخصك نواحيها.

وتقصر ما كنت في جوفها وتركز فيها القنا الذّبّل

يقول: إنها وإن كانت عالية السمك بحيث يمكن أن يركز فيها الرمح، ولكنها تقصر عنك، في الوقت الذي تكون فيها؛ لأنك أعلى من النجم، وأرفع من السماء.

وكيف تقوم على راحةٍ ؟ كأن البحار لها أنمل!

يقول: كيف تستقر الخيمة على راحتك ؟ فكل أنملة منها مثل البحر، فلا يستقر البناء على الماء. وإن قل، فضلاً عن البحار.

فليت وقارك فرّقته وحمّلت أرضك ما تحمل

الوقار: السكون. والتاء في تحمل قيل: للأرض: ومعناه ليتك قسمت وقارك على جميع الخلق، وحملت الأرض من الوقار ما يمكنها أن تحمله؛ لأنها لا تستطيع أن تحمل جميع وقارك.

وقيل: التاء للخطاب ومعناه: ليتك حملت الأرض ما تحمل أنت من الوقار. ولو فرقت وقارك على جميع الخلق لوصل إلى هذه الخيمة جزء منه وأمكنها بذلك القدر من الوقار السكون والاستقرار.

فصار الأنام به سادةً وسدتهم بالّذي يفضل

يعني: لو فرقت وقارك وحلمك بين الناس، لوسعهم وصاروا به سادة حلماً وكنت تفوقهم بالذي يفضل عنك من الوقار والحلم.

رأت لون نورك في لونها كلون الغزالة لا يغسل

الغزالة: الشمس وقت طلوعها، وكذلك المشرق.

يقول: رأت الخيمة نورك قد عادها، وأضاءت الخيمة به، كما تضيء الأرض بالشمس، فلا يمكن إزالته عنها كما لا يزال ضوء الشمس. وروى: كلون الغزالة لا ينصل من نصول الخضاب.

وأنّ لها شرفاً باذخاً وأنّ الخيام بها تخجل

باذخاً: أي عالياً. والعامل في أن مفتوحة رأت.

يقول: رأت هذه الخيمة لنفسها شرفاً عالياً على سائر الخيام، ورأت أن الخيام تخجل من شرفها.

وقيل: أراد أصحاب الخيام.

فلا تنكرنّ لها صرعةً؛ فمن فرح النّفس ما يقتل

يقول: لا تنكر سقوطها، فإنها لما رأت نورك فيها، وتشرفها بك، غلبها الفرح فسقطت؛ بما داخلها من الطرب والسرور. ومن الفرح ما يقتل صاحبه !! وهذا مثل قوله ومن السرور بكاء.

ولو بلّغ النّاس ما بلّغت لخانتهم حولك الأرجل

يقول: لو بلغ الناس ما بلغته هذه الخيمة، لخانتهم أرجلهم من هيبتك، ولسقطوا كما سقطت.

ولمّا أمرت بتطنيبها أشيع بأنّك لا ترحل

التطنيب: من الأطناب، وهي الحبال تشد إلى أوتاد الخيمة.

يقول: إنك لما أمرت بضرب الخيمة، أشيع فيما بين الناس بأنك لا ترحل، بل تقيم.

فما اعتمد اللّه تقويضها ولكن أشار بما تفعل

التقويض: هو قلع الخيام، ونقض البناء من غير الهدم. وأشار: من الإشارة إلى الشيء. وهو بمعنى الدلالة، لا بمعنى المشورة. واعتمد وأعمد: أي ما قصد الله إسقاط هذه الخيمة، ولكن أراد أن يعلم الناس أنك راحل، ودل بذلك على بطلان اعتقادهم باتصال المقام، وترك الارتحال.

وعرّف أنّك من همّه وأنّك في نصره ترفل

من همه: أي من إرادته. وقيل: من عنايته ونصره، والهاء في همه ونصره ترجع إلى اسم الله تعالى.

وترفل: أي تسحب في أذيال النصر.

يقول: إن الله تعالى عرف الناس أن سيرك من مراده، وأنك في عنايته، وأنك مؤيد بنصره، وعليك من نصره حلل ترفل فيها؛ فلهذا أسقطت الخيمة.

فما العاندون ؟ وما أثلوا وما الحاسدون ؟ وما قوّلوا

العاندون: الأعداء. والواحد عاند، وأصله من المغالبة عند الجرح، إذا غلب دمه ولم ينقطع سيلانه، وأثلوا: أصلوا من التطير لسقوط الخيمة وما في قوله: فما العاندون وما الحاسدون للاستفهام، ومعناه الإنكار والاستحقار. وما في قوله: فما أثلوا ما قولوا بمعنى الذي.

يقول: ما قدر الأعداء وما أصلوه من الأراجيف والأقوال، وما قدر الحاسدون، وما تقولوا من الأكاذيب.

هم يطلبون فمن أدركوا ؟ وهم يكذبون، فمن يقبل ؟

يقول: هم يطلبون غايتك، أو يطلبون أعداءهم، فمن أدركوا منهم ؟! أي لا يدركون ما يؤملون، وهم يكذبون عليك فمن يقبل قولهم ؟! أي لا يقبل منهم ما يقولون.

وهم يتمنّون ما يشتهون ... ومن دونه جدّك المقبل

الهاء في من دونه تعود إلى ما أي أن أعداءك يتمنون ما تشتهيه أنفسهم، ولكن سعادة جدك، وإقبال دولتك، يحول بينهم وبين مرادهم.

وملمومةٌ زردٌ ثوبها ... ولكنّه بالقنا مخمل

ملمومة: أي كتيبة مجموعة. والزرد: حلق الدرع. وقوله زرد ثوبها في موضع الصفة لملمومة ولما جعل الدرع ثوبا: جعل الرماح خملها؛ طلبا للمشاكلة.

يقول: من دونه جدك المقبلن وكتيبته مجموعة، أثوابها الدروع، وعلى هذه الأثواب خمل من الرماح: فهي مخملة بالرماح

يفاجئ جيشاً بها حينه ... وينذر جيشاً بها القسطل

الحين: الهلاك. والقسطل: الغبار. وحينه رفع لأنه فاعل يفاجئ والقسطل فاعل ينذر ويجوز أن يكونا مرفوعين بالابتداء وبها في موضع رفع خبر الابتداء. ويفاجئ وينذر: فعل سيف الدولة. والأول أظهر. وبها يعود إلى الململومة.

يقول: إن سيف الدولة تارة يسرى إلى العدو ليلا، فيفاجئه هلاكه ولم يشعر به، وتارة يسير نهاراً بهذه الكتيبة، فينذر جيشاً بغبارها فيهرب منه. وقيل: أراد أنه يسير مرة في الحزن من الأرض ولا يثير الغبار فيفاجئ جيش العدو، ومرة في السهل فيثير الغبار فيهربون.

جعلتك بالقلب لي عدّةً ... لأنّك باليد لا تجعل

يقول: أنت أجل من أن تنالك الأيدي فتدخرك، كما تدخر سائر السيوف والأموال، ولكن صيرتك في اعتقادي عدة لي لكل شدة، وذخراً لكل نائبة.

لقد رفع الله من دولةٍ ... لها منك يا سيفها، منصل

يقول: رفع الله دولة أنت سيفها، وأبان على جميع الدول فضلها، والهاء في لها وسيفها للدولة. والكاف في منك خطاب لسيف الدولة.

فإن طبعت قبلك المرهفات ... فإنّك من قبلها المقصل

المرهفات: السيوف المرققة الحد، والمقصل: القاطع.

يقول: إن كانت السيوف سبقتك بالطبع، فأنت سبقتها في جودة الجوهر والقطع، فأنت أول سيف قاطع.

وإن جاد بقلك قومٌ مضوا فإنّك في الكرم الأوّل

يقول: إن تقدمك الأجواد في الجود، فأنت سبقتهم في الفعال، وتقدمتهم في كرم الخلال، فأنت وإن تأخرت عنهم وجوداً، تقدمتهم كرماً وجوداً.

وكيف تقصّر عن غايةٍ وأمّك من ليثها مشبل

المشبل: التي معها أشبال، وأراد بالليث: أباه. والهاء في ليثها للأم فجعلهما أسدين، وجعله شبلهما.

يقول: فكيف تقصر عن غاية ترويها، وأنت ليث ابن ليث ابن لبؤة.

وقد ولدتك فقال الورى ألم تكن الشّمس لا تنجل ؟!

تنجل: أي تلد.

يقول: إنها في شرفها شمس، فلما ولدتك تعجب الناس وقالوا: أليس الشمس لا تلد ؟ فكيف ولدت الآن! فجعله شمساً مولوداً من شمس.

فتبّاً لدين عبيد النّجو م ومن يدّعي أنّها تعقل

تباّ: نصب على المصدر وعلى الذم بفعل مضمر، ومعناه: ضلالاً وخسرانا لدين من يعبد النجوم، ومن يدعي أنها تعقل وتختار وتميز. بين العلة في الذم.

وقد عرفتك فما بالها تراك تراها فلا تنزل ؟!

يعني: لو كانت النجوم تعقل، لكانت إذا رأتك تراها، وتنظر إليها نزلت إليك وخضعت لك، لأنك أعلى منها محلا، فلما لم تفعل علم أنها غير عاقلة.

ولو بتّما عند قدريكما لبتّ وأعلاكما الأسفل

يقول: لو حل كل واحد منكما المحل الذي يستحقه، لعلوت عليها وصرت في الفلك، وسفلت هي عنك، فصار أعلاكما الآن وهو النجم: الأسفل.

أنلت عبادك ما أمّلت أنا لك ربّك ما تأمل

التاء في أملت، تعود إلى العباد.

يقول: أنلت عبادك وهم الخلق ما أملوه منك، فبلغك الله آمالك في دنياك وآخرتك. وقيل: الضمير

في قوله: ما أملت راجع إلى النجوم: أي أن ما فعلته من تبليغ الناس مناهم، كانت النجوم تأمله، فلا تقدر عليه فأملت ما أملته النجوم.

قال ابن جني: ولما أطلق على الناس لفظ العبودية له، بين في آخر البيت أنه من جملة العباد وأنه محتاج كسائر الناس فقال:

أنا لك ربّك ما تأمل

فجعله مثل سائر الناس في الحاجة. صنعة وحذاقة.

وقال وقد ركب سيف الدولة في بلد الروم، من مترل يعرف بالسنبوس في جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة فأصبح وقد صف الجيش يريد سمندو. وكان أبو الطيب متقدماً، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف يدير رمحاً، فعرفه فرد الفرس إليه. فسايره وأنشده:

لهذا اليوم بعد غدٍ أريج ... ونارٌ في العدوّ لها أجيج

الأريج، والأرج: الرائحة الطيبة. والأجيج: من تأجج النار وهو التهابها.

يقول: سيكون لهذا اليوم الذي ركبت فيه، بعد غد أريج: أي ذكرى حسن يسر المسلمين، ويسوء المشركين، ويكون في العدو نار لها توقد والتهاب: أي حروب ووقائع تلتهب مثل النار.

تبيت به الحواصن آمناتٍ ... وتسلم في مسالكها الحجيج

الحواصن: جمع الحاصن وهي العفيفة من النساء. وقيل: المتزوجة.

وروى: الحواضر: جمع الحاضرة بخلاف البادية. وروى: الحواضن: جمع الحاضنة لأولادها.

يقول: يأمن بركوبك هذا بعد غد: من في الثغور من النساء، ويأمن أهل الحضر والبدو من الغارات، ويسلم الحجاج والمسافرون في أسفارهم وطرقهم من اللصوص وقطاع الطرق.

فلا زالت عداتك حيث كانت ... فرائس أيّها الأسد المهيج

المهيج: هو الهائج: تقول هيجته أهيجه هيجا، وهاج هو بنفسه.

يقول: جعل الله أعداءك حيث كانوا، فرائسك أيّها الأسد.

عرفتك والصّفوف معبّآتٌ ... وأنت بغير سيرك لا تعيج

لا تعيج: أي لا تبالي. تقول: ما عجت بكلامه أي ما باليت به. وعبأت الجيش وعبيته: إذا زينته وسويت صفوفه.

يقول: عرفتك في حال تعبئة الجيش، وتسوية الصفوف؛ لأنك كنت معروفا فيما بينهم بأسك وإقدامك، ومن حيث أنك لا تبالي بغير سيرك، فكان الوقت جامعاً للأمرين: لتعبئة الجيوش، وللحالة الثانية وهي أنك لا تعيج بغير سيرك، وكان من عادته أنه كان لا يعيج بسير غيره، وإنما كان يعتمد سير نفسه، ولا يعتمد على أن تسير الجيوش إلى الأعداء، بل كان يتولاها بنفسه.

ووجه البحر يعرف من بعيدٍ إذا يسجو فكيف إذا يموج

يسجو: يسكن.

يقول: أنت البحر ! يعرف من المكان البعيد، وهو ساكن، فكيف إذا ماج واضطرب ؟! شبهه بالبحر المائج، لبأسه وهيبته.

بأرضٍ تهلك الأشواط فيها إذا ملئت من الرّكض الفروج

الأشواط: عدو الفرس. يقال: عدا شوطاً، أي طلقا. والفروج: جمع فرج، وهو ما بين القوائم.

يقول: رأيتك في أرض واسعة بعيدة الأطراف. تهلك: أي تفنى. الأشواط فيها: أي عدو الفرس فيها، لسعتها ولا تقطعها إذا جرت أشد الجري، وهو في معنى قوله:

إذا ملئت من الرّكض الفروج

تحاول نفس ملك الرّوم فيها فتفديه رعيّته العلوج

العلوج: جمع علج، وهو الشديد الخلق، القوى على معالجة العمل. والهاء في فيها تعود إلى الروم ويجوز أن تعود إلى الأرض.

يقول: تطلب نفس ملك الروم، وتقصده دون غيره، ولكن تفديه رعيته وأصحابه وجنوده فتقتلهم بين يديه.

أبا لغمرات توعدنا النّصارى ونحن نجومها وهي البروج !؟

الغمرات: الشدائد، وأراد بها الحروب.

يقول: تهددنا النصارى بالحروب والشدائد والخوض في المهالك ونحن لا ننفك عنها، وليس لنا منزل سواها فكأنا نجوم، والغمرات بروج تلك النجوم، فكما لا تزايل النجوم بروجها فكذلك نحن لا نزايل الغمرات.

وفينا السّيف حملته صدوقٌ إذا لاقى وغارته لجوج

يقول: كيف توعدنا النّصارى ؟ وفينا سيف الدولة ! الذي إذا حمل صدقت حملته: أي لا يرجع حتى يقتل المحمول عليه، وإذا أغار لج على الإغارة وأدامها.

تعوّذة من الأعيان بأساً ويكثر بالدّعاء له الضّجيج

بأساً: قيل نصب على التمييز، وقيل: على أنه مصدر، وقيل: على أنه مفعول له. أي نعوذه لأجل بأسه وإقدامه.

يقول: إذا رأينا بأسه وإقدامه. خفنا عليه من العيون، فنعوذه من شر العيون أن تصيبه، ورفعنا أصواتنا بالدعاء له، حتى ينصرف الله عنه العين.

رضينا والدّمستق غير راضٍ بما حكم القواضب والوشيج

الدمستق عند الروم: قائد الجيش مثل اسفهسالار عند الفرس والقواضب: السيوف والوشيج: في الأصل. أصول الرماح، وعروقها التي تنبت عليها الرماح، ثم سميت الرماح بمنبتها.

يقول: نحن رضينا بما حكمت السيوف والرماح، والدمستق غير راض بذلك، لأنها حكمت لنا بالظفر والنصر، وعلى الدمستق بالقتل والهزيمة.

فإن يقدم فقد زرنا سمندو وإن يحجم فموعده الخليج

سمندو: مدينة في بلاد الروم، وأراد بالخليج: خليج قسطنطينيه: وهي دار مملكة الروم.

يقول: إن أقدم فنحن توسطنا بلاده، حتى نزلنا على سمندو، وإن أحجم عنا فالموعد بيننا وبينه أن نترل على الخليج ونحاصره في دار مملكته.

ومر سيف الدولة بسمندو وعبر آلس وهو نهر عظيم فترل على صارخة وأحرق ربضها وكنائسها وربض الخرشنه وما حولها وأكثر القتل، وأقام بمكانه يوماً ثم رحل حتى عبر آلس راجعاً، فلما أمسى ترك السواد وأكثر الجيش وسرى حتى جاز خرشنة، وانتهى إلى بطن اللقان في غد ظهراً، ولقى الدمستق في الألوف من الخيل، فلما نظر الدمستق إلى أوائل الخيل، ظنها سرية، فثبت لها وقاتل أول الناس حتى هزمهم، وأشرف عليه سيف الدولة فانهزم. قيل: وقتل من فرسانه خلق كثير، وأسر من بطارقته وزراورته ووجوه رجاله خلق كثير نيف على ثمانين، وأفلت الدمستق، وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده، وقفل غانما فلما وصل إلى عقبة تعرف بمقطعة الأثفار فصادفه العدو على رأسها، فأخذ ساقة الناس يحميهم، فلما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو فخرج من الفرسان جماعة، فترل

سيف الدولة على بردى وهو نهر عظيم وضبط العدو، وعقبة السير صعبة طويلة، فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها، فعدل متيا سراً في طريق وصفه له بعض أدلته، وأخذ ساقة الناس يحميهم، وكانت الإبل كثيرة مثقلة وجاءه العدو آخر النهار من خلفه، وقاتله إلى العشاء وأظلم الليل، فتسلل أصحاب سيف الدولة يطلبون سوادهم، فلما خف عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة قريبة من بحية الحدث، فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين، فجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلا ينفر أحد فمن نجا من العقبة نهاراً لم يرجع، ومن بقي تحتها لم تكن فيه نصرة ! وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة والزراورة ولك من كان في السلاسل - وكان فيها مئات - وانصرف سيف الدولة.

فاجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين، بعضهم نيام بين القتلى - من التعب - وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك، فلذلك قال:

وجدتموهم نياماً في دمائكم كأن قتلاكم إيّاهم فجعوا

فقال أبو الطيب: يصف الحال بعد القفول في جماد الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة. ويقال: إنه قد قتل في هذه الغزاة من المسلمين زهاء مئة ألف فارس ولم ينج سيف الدولة إلا في شرذمة يسيرة.

غيري بأكثر هذا النّاس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدّثوا شجعوا

قوله: هذا الناس إنما وجه فيه الإشارة، أنه حمله على لفظ الناس ثم قال: إن قاتلوا إلى آخره، فرد الكناية إلى المعنى، وروى: هذا الخلق: وهذا ظاهر.

يقول: غيري ينخدع بأكثر هؤلاء الناس، ويغتر بأقوالهم، فأما أنا، لا أنخدع بهم، ولا أغتر بقولهم، لأني جربتهم فوجدتهم لا خير فيهم، يقولون ما لا يفعلون ! فهم في ألسنتهم شجعان، وفي القتال جبناء لا خير عندهم، ولا غناء.

أهل الحفيظة إلاّ أن تجرّبهم وفي التّجارب بعد الغيّ ما يزع

الحفيظة: الشجاعة وأصلها: الغضب؛ لأن الشجاع يغضب عند الحروب، فيحمى عن قومه. وقيل: الحفيظة: الحمية والأنفة، والتجارب: جمع التجربة. ويزع: أي يكف يقول: هم أهل الشجاعة والحمية في الظاهر، وإذا جربتهم ظهر لك ما يزع عن الاغترار بهم، والانخداع بظاهر أحوالهم.

وما الحياة ونفسي بعدما علمت أنّ الحياة كما لا تشتهي طبع ؟

الطبع: الدنس، ثم سمى العار والعيب طبعاً وما استفهام في قوله: وما الحياة وموضعها رفع بالابتداء، والحياة: خبره، ونفسي: معطوفة على الحياة. يعني: وما الحياة، وما نفسي.

يقول: ما لنفسي وطلب الحياة، وكيف ترغب نفسي في حياة هي عار عليها، وغير موافقة لها ! وقد علمت نفسي أن الحياة إذا كانت تنغص بما لا تشتهيه: مرة فقر، ومرة تعب، فهي طبع وعار.

ليس الجمال لوجهٍ صحّ مارنه ... أنف العزيز بقطع العزّ يجتدع

المارن: مالان من طرف الأنف. يجتدع: أي ينقطع.

يقول: ليس جمال الرجل في صحة وجهه ومارنه، ولكن جماله في عزته ومنعته، فإن العزيز إذا ذهب عزه ذهب جماله، وكان في الحقيقة مثل من جدع أنفه، لأن السماجة فيه أكثر من قطع الأنف.

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه ؟ ... وأترك ألغيث في غمدي وأنتجع ؟ !

يقول: المجد وحسن الحال إنما يكسبان بالسيف. فأطرح هذا المجد عن كتفي ثم أطلبه ! وأترك سيفي في غمدي، وأنتجع المعروف من وجه آخر ! فإذا فعلت ذلك فكأني قد طلبت الأمر من غير وجهه.

وقيل: إنه إشارة إلى سيف الدولة. أي كيف أتركه وأطلب الخير والمجد من غيره ؟!

والمشرفيّة، لا زالت مشرّفةً ... دواء كلّ كريمٍ أو هي الوجع

يقول داعياً للسيوف: إنها لا تزال شريفة، فإن العز بها يدرك؛ لان الإنسان إما أن ينال بغيته بها، أو يقتل بها، فهي داء ودواء.

ومثله قول بعضهم:

من عاش بالسّيف لاقى عيشه عجباً ... موتاً على عجل، أو عاش منتصفاً

وفارس الخيل من خفّت فوقرها ... في الدّرب والدّم في أعطافها دفع

خفت: أي الخيل. والدرب: مضايق الروم. وقيل: الضرب. وهو المضيق في الجبل مثل الباب.

والأعطاف: الجوانب. ودفع: أي دفعة بعد دفعة. رجع إلى ذكر سيف الدولة.

يقول: الفارس الشجاع من ثبت خيله وسكنها في الدرب، والدم يجري في أعطافها دفعة بعد دفعة.

وأوحدته وما في قلبه قلقٌ ... وأغضبته وما في لفظه قذع

وأوحدته: أي جعلته الخيل وحيداً فريداً وانفرد عنها، ولم يداخله قلق لوحدته، وكذلك لما أغضبته الخيل، بتقاعدهم عنه، لم يتلفظ بالخنا والفحش.

وروى: وأوجدته: أي أغضبته. من الموجدة وهي الغضب. يعني أن أصحابه لما انهزموا غضب لذلك، ولكن لم يعلق لهذا الغضب ولم يتلفظ بالقبيح.

بالجيش تمتنع السّادات كلّهم   والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع

يقول: كل سيد وأمير يمنعه جيشه من الأعداء، ويدفع عنه شرهم، إلا سيف الدولة، فإنه يمنع جيشه بنفسه، ويذب عنه بسيفه.

قاد المقانب أقصى شربها نهلٌ   على الشكيم وأدنى سيرها سرع

المقنب: الجماعة من الخيل. والنهل: الشرب الأول، والشكيم: جمع الشكيمة، وهي الحديدة المعترضة في فم الدابة. وسرع: في معنى سريع. وقيل: مصدر سرع سرعاً مثل ضخم ضخما.

يقول: قاد الجيش إلى بلاد الروم، وكان غاية شرب خيله النهل، ومع ذلك كانت لجمها في أفواهها لا تنزع، وكان أقل سيرها سريعاً. فكيف أعلاه ؟!

لا يعتقى بلدٌ مسراه عن بلدٍ   كالموت ليس له ريّ ولا شبع

لا يعتقى: أي لا يمنع، يقال: عاقه واعتاقه، مقلوب من عقاه واعتقاه ومسراه: مصدر سرى يسري، وهو مفعول لا يعتقى.

يقول: لا يثبت في بلد من بلاد الروم، ولا يعوقه بلد عن آخر، فإذا فتح بلداً تجاوزه إلى آخر فيفتحه، فكأنه الموت لا يشبع، ولا يروى من هلاك الأنام، وسلب لنفوس. وشبهه بالموت، وشبه البلاد بالنفوس.

حتّى أقام على أرباض خرشنةٍ   تشقى به الرّوم والصّلبان والبيع

الأرباض: جمع الربض، وهي نواحي المدينة، وما يبنى حول سورها من خارج. والصلبان: جمع صليب، تزعم النصارى أنه صورة الخشبة التي صلب عليها المسيح. وخرشنة: بلد أو حصن.

يقول: لم يزل يسير في بلاد الروم حتى انتهى إلى خرشنة، ونزل على أرباضها، يغير على نواحيها ويكسر صلباها ويهدم بيعها

للسّبي ما نكحوا، والقتل ما ولدوا   والنّهب ما جمعوا، والنّار ما زرعوا

إنما قال: ما نكحوا وما ولدوا لأحد ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه أجراهم مجرى ما لا يعقل من البهائم، فاستعمل لهم لفظ ما لأنها لما لا يعقل.

والثاني: أن ذلك لغة حكاها أبو زيد عن أهل الحجاز. قال، يقولون: سبحان ما يسبح الرعد بحمده.

والثالث: أنه في معنى المصدر، تقديره: للسبي نكاحهم، وللقتل ولادهم.
يقول: إنه كان يسبي نساءهم، ويقتل أولادهم، وينهب أموالهم ويحرق زرعهم.

مخلىً له المرج منصوباً بصارخةٍ   له المنابر، مشهوداً بها الجمع

مخلى: في موضع نصب على الحال. وكذلك منصوباً ومشهوداً والهاء في بها تعود إلى صارخة. والمرج وصارخة: موضعان من نواحي خرشنة، وهي من أوسط ممالك الروم.
يقول: أخلى له هذان الموضعان. ونصب له بصارخة المنابر، وبني فيها المساجد، وأقام الجمعة، فشهد الناس الجمع بها.

يطمّع الطير فيهم طول أكلهم   حتّى تكاد على أحيائهم تقع

الطير: مفعول يطمع. وطول: فاعله.
يقول: إن الطير قد تعودت أكل لحوم القتلى منهم، فتكاد تقع على أحيائهم، فضلا عن موتاهم.

ولو رآه حواريّوهم لبنوا   على محبّته الشّرع الّذي شرعوا

يقول: إنه مع نكايته فيهم، محبوب إلى قلوبهم لشجاعته وسخاوته، فلو رآه حواريّ النصارى لبنوا شريعيتهم على محبته.

ذمّ الدّمستق عينيه وقد طلعت   سود الغمام فظنّوا أنّها قزع

القزع: السحاب المتفرق.
يقول: إن عيني الدّمستق كذّبتاه، حتى ظنّ جيشك العظيم، الذي هو بمترلة الغمام الأسود، أنه قليل، بمترلة القطع المتفرقة من السحاب، فلما علم ذلك ذم عينيه، وإنما خص الغمام الأسود، لأنه أهول منظراً وأكثر في السماء إجراء وتراكماً، فهو إشارة إلى الكثرة، ولأن فيها تكون الصواعق أكثر من غيرها، فهي بمترلة الجيوش.

فيها الكماة الّتي مفطومها رجلٌ   على الجياد الّتي حوليّها جذع

الكمى: الشجاع المتكمي في السلاح أي المستتر. وقيل: إنما سمى كمياً؛ لأن مواضع مقاتله كمى على قرنه. والحولي: الذي أتى عليه حول. والجذع: الذي تم له حولان.
يقول: في هذه الغمام السود، الشجعان الذي كل طفل منهم كأنه رجل؛ لشدته، أو كأنه أرجل من غيرهم، وكل مهر حولي من خيلهم كأنه جذع لقوته أو كأنه جذع من أفراس غيرهم.

يذرى اللّقان غباراً في مناخرها وفي حناجرها من آلس جرع

اللقان: جبل في بلاد الروم. وقيل موضع. وآلس: نهر. وقيل بينهما مسيرة يومين. ويذرى: أي يثير ويفرق. وفيه معنيان.

أحدهما: أنه يريد سرعة السير أي أن الخيل شربت الماء من آلس وسارت منه ووصلت إلى اللقان، والماء بعد في حلوقها لم تسغه فاختلط غبار اللقان في مناخرها، بماء آلس في حناجرها.

والثاني: أنه يريد كثرة الجيش حتى أن أوله يثير الغبار باللقان، وآخره على آلس يشرب من مائه كما قال غيره:

بيثرب أخراه وبالشّام قادمه

كأنّها تتلقّاهم لتسلكهم فالطّعن يفتح في الأجواف ما يسع

يقول: كأنه خيله تتلقى الروم لتسلكهم وتنفذ فيهم، كما ينفذ السهم، فالطعن يفتح لهم في أجواف أعدائهم ما تسع الفارس وفرسه. يعني أن كل طعن كأنه درب يسع الفارس، فلو أراد السلوك فيها أمكنه ..

تهدى نواظرها والحرب مظلمةٌ من الأسنّة نارٌ والقنا شمع

نار: فاعل تهدى ومفعوله. نواظرها. والهاء للخيل. والقنا: في موضع الجر عطفاً على الأسنة، ويجوز أن يكون في موضع الرفع على الابتداء، وشمع: خبره، والجملة في موضع النصب على الحال.

يقول: إذا أظلمت الحرب بالغبار، وتحيرت فيها عيون الفرسان، هداها لمع الأسنة في الرماح.

شبه القنا بالشمع، والأسنة بالنار التي في رءوسها، وهذا تشبيه بديع.

دون السّهام ودون الفرّ طافحةٌ على نفوسهم المقوّرة المزع

الفر: الفرار، وطافحة: أي مرتفعة، من طفحت القدر إذا جاشت وعلا زبدها. والمقورة: الخيل الضامرة. والمزع: السراع.

يعني أن هذه الخيل الضامرة السراع، واثبة على نفوس الأعداء عالية عليهم، وحائلة بينهم وبين الرمي بالسهام، والفرار بالانهزام، بل تسبق إليهم الخيل دون ذلك.

وروى: دون السهام ودون القر والمراد بالسهام: السموم، وهي الحر والقر: البرد والمزع بكسر الميم وفتح الزاي، والمقورة: الدرع، والمزع: صفتها، وهي الخلقة.

يعني أن خيله لا يلبسها من الحر والبرد والثياب المعتاد، ولكن دروع أخلقتها كثرة اللبس، والمداومة عليها.

إذا دعا علجاً حال بينهما أظمى تفارق منه أختها الضّلع

أراد بالعلج: الرومي. وبالأظمى: الرمح الأسمر.

يقول: إذا دعا الرومي رومياً آخر لينصره حال بين الداعي والمدعو. رمح أظمى، فيفرق بينهما، كما يفرق أحد الأضلاع من الآخر. والهاء في منه تعود إلى الأظمى وفي أختها إلى الضلع وهي المقدمة في المعنى، ورفعها لأنها فاعلة: تفارق.

أجلّ من ولد الفقّاس منكتفٌ إذ فاتهنّ، وأمضى منه منصرع

ولد الفقاس: هو الدمسق والمنكتف: المشدود إليه إلى خلف. والكناية في فاقمن تعود إلى خيل سيف الدولة، وهي المعبر عنها بسود الغمام.

يقول: إن كان الدمستق قد نجا بنفسه، وفات خيلك، فقد أسر من أصحابه من هو أجل منه، وصرع منهم من هو أشجع منه.

وما نجا من شفار البيض منفلتٌ نجا ومنهنّ في أحشائه فزع

الشفار: جمع الشفرة، وهي حد السيف. وأراد بالبيض: السيوف، والأصل فيه الصفة، ثم صار اسماً لها، والكناية في منهن تعود إلى الشفار. ومنفلت ليس بالفصيح. والجيد المفلت والأول أيضاً لغة.

يقول: إن كان الدمستق قد نجا من سيوفك، فلم يفلت إلا وقلبه مملوء من الفزع، فقد حل في قلبه من الخوف ما يقوم مقام قتله. ومثله لأبي تمام:

إن ينج منك أبو نصر فعن قدرٍ ينجو الرجال ولكن سله كيف نجا ؟ !

يباشر الأمن دهراً وهو مختبلٌ ويشرب الخمر حولاً وهو ممتقع

المختبل: الفاسد العقل. والممتقع: المتغير اللون.

يقول: قد دخل قلب الدمستق من الخوف، ما يباشر معه الأمن دهرا طويلا، وعقله زائل ويشرب الخمر حولا كاملا ولونه حائل، لشدة الفزع الذي حصل له، مع أن شرب الخمر يظهر في اللون حمرة.

كم من حشاشة بطريقٍ تضمّنها للباترات أمينٌ ما له ورع

الحشاشة: بقية النفس. والبطريق: عند الروم القائد. وتضمنها: أي تكفل بها. والمراد بالأمين: القيد.
يقول: كم من روح قائد من قواد الروم تكفل بها للسيوف القواطع القيد، وهو أمين، حتى يرد عليها، وإن لم يكن له ورع يكفه عن الخيانة.
وقيل: أراد بالأمين سيف الدولة، وتركه للتورع هو أنه يقتلهم لأنهم كفار، ويعرض عن عفوهم، إذ التورع يقتضي ذلك. والأول أولى.

يقاتل الخطو عنه حين يطلبه ويطرد النّوم عنه حين يضطّجع

يقاتل الخطو عنه: الضمير في عنه للبطريق.
يقول: إذ طلبه خطوه لينجيه، دفع القيد عنه فجعل ذلك مقاتلة بين الخطو وبين القيد، وإذا أراد أن ينام طرد عنه النوم هذا القيد. وهذا أحسن المعاني في وصف القيد. وقد قال أبو نواس مثله أو قريباً منه:

إذا قام أعيته على السّاق حلقةٌ بها خطوه عند القيام قصير
تغدو المنايا فلا تنفكّ واقفةً حتّى يقول لها: عودي، فتندفع

تندفع: أي تسير سيراً سريعاً.
يقول: إن الموت تحت طاعته، فيغدوا كل يوم، فيقف بين يديه، انتظاراً لأمره، فإذا أمره بالوقوع بالأعداء يقول له: اعد إليهم، اندفع إليهم في السير، وأسرع في إجابته وطاعته، فأتى على أرواحهم.

قل للدمستق: إن المسلمين لكم خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا

يقول: إن المسلمين بفتح اللام: أي الذين أسلمهم سيف الدولة إلى أعدائهم ولم يذب عنهم، إنما فعل ذلك لأنهم خانوه، وخالفوا أمره، فتركهم حتى ظفر بهم العدو، وجعل ذلك جزاء مخالفتهم لأمره، ومعناه: أنهم لما خالفوه لم يظفروا بعدوهم.

وجدتموهم نياماً في دمائكم كأنّ قتلاكم إيّاهم فجعوا

لما انهزم أصحاب سيف الدولة، التجأ من لا يمكنه الفرار منهم إلى قتلى الكفار، وطرح نفسه بين القتلى، وتخضب بدمائهم؛ ليحسب أنه قتيل فلا يتعرض له.
فيقول: إنما أسرتم كل عاجز لم يكن له حيلة سوى أن يطرح نفسه بين القتلى، ويخضب بدمائهم، فكأنه هو الفجيع بقتلاكم، يلقى نفسه عليهم أسفاً، ويتخضب بدمائهم جزعاً

ضعفي تعفّ الأعادي عن مثالهم من الأعادي وإن همّوا بهم نزعوا

يقول: الذين أسرتموهم، وقتلتموهم كانوا ضعفى، بحيث إذا ظفر العدو بعدوه على حالة مثلها أمسك عنه، وإن هم بقتله نزع عنه: أي كف عنه، لأن حاله شر من القتلى.

وروى: وإن هموا وإن نزعوا أي لا يقتلهم العدو وإن هموا بقتلهم، ومالوا إليه.

لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق فليس يأكل إلاّ الميّت الضّبع

يقول: لا تظنوا أن من أسرتم كان حياً، بل لم تأسروا إلا كل ميت لم يبق فيه رمق، لأنكم كالضبع، والضبع لا يأكل إلا الميت فلو كانوا أحياء لما أمكنكم أسرهم.

هلاّ على عقب الوادي وقد صعدت أسدٌ تمرّ فرادى ليس تجتمع ؟

العقب: جمع عقبة. وروى على عقب الوادي: وهو أسفله وآخره. وقيل: هو موضع بعينه.

يقول: فهلا أسرتم، أو هلا وقفتم أو حاربتم حين عبرنا الوادي وصعدنا عقبه، وكانت خيلنا كالأسود، تمر فرادى للحرب لا يتوقف بعضها لبعض.

تشقكم بفتاها كلّ سلهبةٍ والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع

روى: بقناها: أي برماحها. وروى: بفتاها، والمراد به سيف الدولة. والسلهبة: الفرس الطويلة، وقيل: الضامرة الخفيفة.

يقول: هلا تعرضتم لنا حين كانت الخيل السلاهب تشقكم برماحها، أو بفتاها: أي تحمل إليكم رجلا يقتلكم، أو رماحاً تطعنون بها. وقوله: الضرب يأخذ منكم فوق ما يدع أي أن من قتل منكم وجرح أكثر ممن سلم وتخلص من القتل والجرح.

وإنّما عرّض اللّه الجنود بكم لكي يكونوا بلا فسلٍ إذا رجعوا

يقال: عرضته للسيف: أي أمكنت السيف من عرضه، أي جانبه. والفسل: الضعيف الردىء من الرجال.

يقول: إنما مكنكم الله تعالى من جيش سيف الدولة ليتطهروا من الأوباش، فلا يبقى فيهم إلا كل شجاع فاتك فيعاودكم جيشة ليس فيه إلا الحماة والكماة.

فكلّ غزوٍ إليكم بعد ذا فله وكلّ غازٍ لسيف الدّولة التّبع

يقول: قد صفا جيشه من كل فسل، فكل غزو بعد هذا الغزو هو لسيف الدولة، والظفر له دونكم، وكل غاز تابع له، وداخل في جملته.

تمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع

يقول: كل كريم يتبع في كرمه من تقدمه من الكرام، وأنت تحدث من الكرم ما لا يسبقك إليه أحد، وتبتدع ابتداعاً، ليس لأحد مثله !

وهل يشينك وقتٌ كنت فارسه وكان غيرك فيه العاجز الضّرع

يشينك: أي يعيبك. والضّرع: الضعيف. والهاء في فارسه للوقت وكذلك في فيه وكان أصله: فارساً فيه. إلا أنه أضافه إليه.

يقول: أي عيل لك، إذا ثبت وانهزم أصحابك ! ليس فيه عيب، بل فيه فخر، لأنه أظهر شجاعتك وعجز غيرك.

وقيل: معناه ما شانك وقت من الأوقات في الحروب لأنك لم تنهزم قط، في وقت انهزم غيرك فيه، بل كنت الغالب وغيرك العاجز.

من كان فوق محلّ الشّمس موضعه فليس يرفعه شيءٌ ولا يضع

يقول: أنت أعلى من أن تضع الهزيمة من قدرك، أو يرفع الظفر محلك؛ لأنك فوق الشمس ومن كان كذلك لا يضع منه شيء ولا يرفعه؛ لأنه لا نهاية فوقه.

لم يسلم الكرّ في الأعقاب مهجته إن كان أسلمها الأصحاب والشّيع

يقول: إن أصحابه أسلموه فإن كره في أعقاب عدوه لم يخذله، فلم يضره خدلان أصحابه وأشياعه إياه. والهاء في أسلمها للمهجة.

ليت الملوك على الأقدار معطيةٌ فلم يكن لدنيٍّ عندها طمع

يقول: لو أن الملوك يعطون الناس على أقدارهم، لم يطمع الدنيء في الاتصال بهم والقرب منهم. كأنه يعرض بسيف الدولة، أنه لو كان ينفي الأراذل من جنده لم تتنفق هذه الهزيمة عليه. ويعرض بشعرائه، لأنهم لا يستحقون ما يستحقه من العطاء.

رضيت منهم بأن زرت الوغى فرأوا وأن قرعت حبيك البيض فاستمعوا

حبيك البيض: طرائقه.

يقول: كنت رضيت من جندك أن يكونوا نظارة، وإن ضربت الأعداء سمعوا صوت وقع السيف على رءوس الأعداء وبيضهم.

وقيل: إنه تعريض لبعض شعرائه. ومعناه: وقد رضيت منهم أن يحضروا القتلا، وأن يروا ضربك

الأعداء، ويستمعوا وقع الصوت على بيضهم، ومن الواجب ألا ترضى منهم بذلك، بل كان يجب أن يضربوا بين يديك، كما أضرب أنا. والأول أظهر.

لقد أباحك غشاً في معاملةٍ　　　من كنت منه بغير الصّدق تنتفع

يقول: قد أوسع في الغش معك، في معاملة، من كذبك من نفسه، وأظهر لك غير ما في ضميره، ونافقك في موالاته.

الدّهر معتذرٌ والسّيف منتظرٌ　　　وأرضهم لك مصطافٌ ومرتبع

المصطاف: موضع الإقامة في الصيف والمرتبع: في الربيع.

يقول: هذه الهزيمة كانت زلة من الدهر، فهو يعتذر منها إليك، وسيفك ينتظر معاودتك غزوهم، ليتلافى ما فرط، وأرضهم لك تنزلها أيام الصيف والربيع، ولا يقدرون على ردك عنهم، ودفعك عن ديارهم.

وما الجبال لنصرانٍ بحاميةٍ　　　ولو تنصّر فيها الأعصم الصّدع

الأعصم: الوعل الذي في إحدى يديه بياض. والصدع: الوعل بين السمين والهزيل. وقيل: الوعل اللطيف الجثة.

يقول: لو التجأت النصارى إلى الجبال لم تمنعهم منك، حتى لو تنصرت الأوعال التي في الجبال لكنت تصطادها بقوتك وتمضي فيها مرادك.

وما حمدتك في هولٍ ثبتّ له　　　حتى بولتك والأبطال تمتصع

تمتصع: أي تقتتل يقول: لم أمدحك في شعري إلا بعد أن جربتك وشاهدتك ثباتك في الأهوال، ومضاربتك فيما بين الأبطال.

فقد يظنّ شجاعاً من به خرقٌ　　　وقد يعدّ جباناً من به زمع

الخرق: الطيش. والزمع: الروية والعزم، وقيل: هو الثبات، وقيل: رعدة تصيب الرجل عند الغضب.

يقول: لم أمدحك إلا بعد التجربة فقد يحسب الأخرق المتهور في الحروب من غير تدير شجاعا، ويحسب الشجاع إذا قدم بالتدبير والعزم والثبات على الحروب جباناً أو إذا رؤى زمعه وارتعاده من الغضب يظن أنه جبان.

إنّ السّلاح جميع النّاس تحمله　　　وليس كلّ ذوات المخلب السّبع

كل ذوات المخلب السبع: مبتدأ وخبر. في موضع نصب بخبر ليس، والاسم: مضمر وهو ضمير الأمر والشأن. وقيل: إن ليس ها هنا بمترلة ما في لغة بني تميم لا ينصب خبرها.

يقول: ليس كل من يحمل السلاح شجاعاً، كما أن ليس كل ذي مخلب أسد، فقد يحمل الجبان السلاح كما يحمله الشجاع، وقد يكون لغير الأسد مخلب، كالكلب والذئب والضبع، كما يكون للأسد.

وتوقف سيف الدولة في الغزاة الصائفة في جمادي الآخرة سنة أربعين وثلاث مئة ببقعة عربسوس على افتراق القرى ثم أصبح صافا يريد سمندو، وقد اتصل به أن العدو بها جامعاً معد في أربعين ألفا، فتهيب جيش سيف الدولة الإقدام عليها، وأحب سيف الدولة المسير إليها، فاعترضه أبو الطيب وأنشده ارتجالا فلما بلغ إلى قوله:

وإن كنت سيف الدّولة العضب فيهم

قال سيف الدولة: قل لهؤلاء وأومأ بيده إلى من حوله من العرب والعجم - يقولوا كما تقول حتى لا ينثني الجيش، فما تجمل أحد منهم بكلمة.

نزور دياراً ما نحبّ لها مغنى ونسأل فيها غير سكّانها الإذنا

المغنى: المترل. والضمير في لها وسكانها للديار.

يقول: نحن نزور دياراً لا نحب مغانيها، لأنها ديار الأعداء، لا ديار الأحباب، وإن كانت هذه ليست بزيارة، غير أن الصورة صورة الزيارة، لأنا لا نريد المقام بها كما يفعل الزائر، ونحن نسأل لدخول هذه الديار الإذن من غير سكانها الذين هم الروم، فنستأذن سيف الدولة، وندخلها بإذنه.

نقود إليها الآخذات لنا المدى عليها الكماة المحسنون بها ظنّا

الكناية في إليها ولها للديار، وفي عليها بها للآخذات، والمدى: الغاية. يقال: أخذ هذا الفرس المدى: إذا سبق.

يقول: نقود إلى ديار الروم خيلاً سوابق، عليها شجعان، يحسنون الظن لأنهم جربوها فعرفوها بالجودة.

ونصفي الّذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الّذي يسمى الإله ولا يكنى

يقول: نصفي الحب للّذي كنيته: أبو الحسن، وهو سيف الدولة، ونرضي الله تعالى، وذلك اسمه، ولا يجوز أن يكنى.

وقد علم الرّوم الشّقيّون أنّنا إذا ما تركنا أرضهم خلفنا عدنا

يقول: قد علم الروم الأشقياء أنا إذا ارتحلنا عن ديارهم، عدنا إليها مرة أخرى، ولا نزال نعاودهم حتى نستأصلهم.

وإنّا إذا ما الموت صرّح في الوغى لبسنا إلى حاجاتنا الضّرب والطّعنا

صرح: ظهر، وانكشف.

يقول: قد علموا أنا نخوض الضرب والطعن، حتى نصل إلى مرادنا ولا يردنا عنه الموت الصريح.

قصدنا له قصد الحبيب لقاؤه إلينا، وقلنا للسّيوف هلمّنّا

الضمير في له يعود إلى الموت. وفي قوله لقاؤه إلى الحبيب.

يقول: إذا ظهر الموت في الحرب قصدنا إليه مسرعين. كما نقصد جيباً نشتهي لقاءه وأشهدنا علينا السيوف، وقلنا لها تعال إلينا. وهلم: اسم للفعل ومعناه: تعال، وهو مركب من فعل وحرف أصلها لم فها تنبه ولم أمر من لم. إذا أتاه والأمر: لم يا رجل. وألم يلم والأمر منه ألمم. ثم جعلا اسماً واحداً. وقيل: هلم فيه لغتان: إحداهما: التسوية بين المذكر والمؤنث والتثنية والجمع.

والثانية: التمييز فتقول: هلما: يا رجلان وهلموا يا رجال، وهلمي يا امرأة. وما في البيت على هذه اللغة، لأنه خطاب للسيوف وأصله هلمي يا سيوف ثم أدخلوا عليه النون الثقيلة فحذفت الياء لسكونها وسكون النون الأولى بعدها فبقي: هلمن فعلى هذا يكون بكسر الميم كما تقول: اضربن يا امرأة. وحكى عن المتنبي أنه كان ينشده بضم الميم، فعلى هذا يكون أجرى السيوف مجرى المذكرين ممن يعقل. كقوله تعالى: "كلّ في فلكٍ يسبحون" ورأيتهم لي ساجدين. وكان أصله هلموا فلما أدخل عليه النون للتأكيد الثقيلة حذفوا الواو؛ لسكونها وسكون النون الأولى، لأن النون الثقيلة كالتنوين.

وخيلٍ حشوناها الأسنّة بعدما تكدّسن من هنّا علينا ومن هنّا

حشوناها الأسنّة: أي طعنّاها، وأدخلنا الأسنّة في جلودها، أي رب خيل ملأنا جلودها بالأسنة، بعدما اجتمعن علينا من ها هنا وها هنا، أي من كل جانب. أو من اليمين والشمال، حتى تفرقت عنا مدبرة بين أيدينا.

ضربن إلينا بالسّياط جهالةً فلمّا تعارفنا ضربن بها عنّا

وروى: فلما تلاقينا وتقارعنا وجهالة: نصب على أنا المفعول له.

يقول: لما رأونا ضربوا خيولهم إلينا؛ لجهلهم بنا، فلما عرفوا أمرنا ولوا عنا، يضربون خيولهم بالسياط للهرب عنا، كما كانوا يضربونها للإقبال علينا.

وقيل: معناه أنهم ظنونا عسكر الروم فأقبلوا نحونا، فلما تحققوا الأمر ولوا عنا هاربين مستحثين خيولهم.

تعدّ القرى والمس بنا الجيش لمسةً نبار إلى ما تشتهي يدك اليمنى

تعد: أي تجاوز. والمس بنا: أي اقصد بنا. نبار: أي نسابق أو نسبق. والتاء في تشتهي: للخطاب لسيف الدولة، فيكون يدك منصوباً. وقيل: راجع إلى اليد، فيكون مرفوعاً.

ومعناه: تجاوز قرى الروم، وأعرض عن الإعادة، واقصد بنا جيش الروم، لكي نسبق في طاعتك، وما تشتهيه يدك اليمنى، فنكون أطوع لك منها.

وقيل: معناه أنا نكون كالرماح نسبق السيف في يدك.

فقد بردت فوق اللّقان دماؤهم ونحن أناسٌ نتبع البارد السّخنا

بردت: جمدت. واللقان: موضع.

يقول: إذا أردت دماء الذين قتلناهم، فاقصد بنا إليهم، لتجري دماؤهم الآن، لأنا قوم نتبع البارد. الحار.

وإن كنت سيف الدولة العضب فيهم فدعنا نكن قبل الضّراب القنا اللّدنا

يقول: إن كنت سيفاً قاطعاً ماضياً في الروم، فاجعلنا أرماحاً لينة، لنسبق ضربك، أي قدمنا أولاً إلى الحرب، فنكون مثل الرماح، يبدأ بها في القتال فإذا كسرت وآل أمرها إلى الضراب، رجعت النوبة إليك؛ لأنك سيف قاطع، ومثله:

فلمّا أن توافينا قليلاً أنخنا للكلاكل فارتمينا

فلمّا لم ندع قوساً وسهماً مشينا نحوهم ومشوا إلينا

فنحن الألى لا نأتلي لك نصرةً وأنت الّذي لو أنّه وحده أغنى

الألى: بمعنى الذين. لا نأتلي: أي لا نقصر. ونصرة: نصب على التمييز. وقيل: أصله في نصرة ثم حذف حرف الجر، وأوصله إلى ما بعده فنصبه.

يقول: نحن لا نقصر في نصرتك، مع أنك لا تحتاج إلى نصرة أحد، بل في غنائك ما يكفي كل الأعداء.

يقيك الرّدى من يبتغي عندك العلا ومن قال: لا أرضى من العيش بالأدنى

يقول: من طلب عندك العلا صار وقاية لك، وجعله الله فداء لك، وكذلك من لا يرضى بالأدنى من العيش، وطلب أقصاه، يقيك الهلاك بنفسه، فإنه لا يدرك منا إلا بك في حياتك.

يعني: إذا كنا نطلب عندك العلو وصفو العيش، فلا بد أن نتقدمك في الحرب، ونجعل نفوسنا وقاية لك، وإن كنت تغتني عنا بنفسك.

فلولاك لم تجر الدّماء ولا اللّها ولم يك للدّنيا ولا أهلها معنى

القياس: فلولا أنت. كقوله تعالى: "لَوْلاَ أَنْتُم لَكُنَّا مُؤْمِنينَ" لأن الاسم بعد لولا مبتدأ، فإذا وقع الضمير بعدها، يجب أن يكون ضمير رفع منفصل، ولكنه أقام ضمير المجرور مقام المرفوع، واللها: الدراهم والدنانير.

يقول: الدماء كلها تجري بسيفك، والعطايا تجري على يديك، وأنت معنى الدنيا وزينة أهلها، فلولا أنت لم يكن للدنيا ولا لأهلها معنى، ولم يكن شجاعة ولا جود.

وما الخوف إلا ما تخوّفه الفتى ولا الأمن إلاّ ما رآه الفتى أمنا

تخوفه: أي يخافه.

يقول: الخوف والأمن، ما تصوره الإنسان في نفسه، فإذا تصور في الشيء أنه مخوف خافة، وإن لم يكن مخوفاً وإذا تصور في نفسه أن الشيء مأمون أمن منه، وإن لم يكن كذلك في الحقيقة، وفيه حث على قتال الروم، ومنع من الخوف منهم.

وقال أيضاً يمدحه ويذكر هذه الغزاة وأنه لم يتم له قصد خرشنة؛ بسبب الثلوج وهجوم الشتاء.

عواذل ذات الخال فيّ حواسد وإنّ ضجيع الخود منّي لماجد

الخال: قيل هو الخيلاء، أي ذات الخيلاء. وقيل أراد به: الخال الذي يكون في الخد، مثل الشامة وجمعة خيلان. والخود: الناعمة الحسنة الخلق. والماجد: الكثير الشرف، وكنى به عن العفيف.

يقول: إن النساء اللواتي يعذلن هذه الجارية ذات الخال في وصلها إياي لسن بعواذل في الحقيقة، وإنما هن الحواسد، يحسدونها علي، بحبي إياها. ثم استأنف وقال: إن ضجيع الخود مني لماجد أي إذا ضاجعتها عففت عنها، ولم ينلها من جهتي عار. وأراد بالضجيع نفسه وهمته ولهذا قال منى أي أن الذي يضاجعها منى ماجد عفيف.

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادرٌ ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد

فاعل يرد ضمير الضجيع، وكذلك جميع الكنايات تعود إليه.

يقول: إذا خلوت معها رددت يدي عنها وأمسكتها عن ثوبها، ولو أردت لقدرت منها على ما اشتهيت، وإذا رأيت طيفها في النوم عصيت الهوى فيه، وعففت عنه، فحالي في النوم مع الطيف كحالي في اليقظة معها.

ومعناه: أن الفاحشة لا تخطر ببالي لاستعمال العفة في اليقظة، لأن الإنسان إنما يرى في المنام ما حدثته به نفسه في حال اليقظة، وأخذ منه التهامي هذا المعنى فقال:

إذا ما أراد الطّيف تقبيل ثغره ... ثنى وجهه عن لثمه بلثامه

فكيف يرجّى منه حال انتباهه ... حنوّاً، فهذا فعله في منامه

متى يشتفي من لاعج الشّوق في الحشى ... محبّ لها في قربه متباعد

لاعج الشوق محرقه، وفاعل يشتفي محب.

يقول: متى يشتفي العاشق من شوقه المحرق له، إذا كان في حال قربه من الحبيب متباعد منه. يعني أن العاشق إنما يداوي شوقه بلقاء حبيبه، فإذا باعده أيام قربه لم يشتف منه.

إذا كنت تخشى العار في كلّ خلوةٍ ... فلم تتصبّاك الحسان الخرائد ؟!

تتصباك تستميل قلبك. وقيل: تحملك على الصبي. وتعرضك له، والخريدة: الجارية الناعمة.

يخاطب نفسه ويقول: إذا كنت تختار العفاف في كل خلوة وتعد القرب من الحسان عاراً، فلماذا تعشقك النساء الحسان ؟! ومالك والتعرض للهوى ! وقريب منه:

من راقب النّاس مات غمّاً ... وفاز باللّذة الجسور

ألحّ عليّ السّقم حتّى ألفته ... وملّ طبيبي جانبي والعوائد

ألح دام والعوائد جمع العائد؛ وخص النساء لأنهن أعطف قلوباً، وأدوم على العيادة، فإذا ملت النساء من العيادة فالرجال أكثر ملالاً.

يقول: إن السقم قد لازمني حتى ألفته واستأنست به، وحتى ملني الطبيب والعوائد وأسلموني لما بي.

مررت على دار الحبيب فحمحمت ... جوادي، وهل تشجو الجياد المعاهد ؟ !

تشجو أي تحزن والجياد مفعوله والمعاهد الفاعل. وهي المنازل، والواحد معهد.

يقول: مررت بدار الحبيب فعرفت جوادي، فحمحمت لما تذكرت أيامها حين، كنت أزور الحبيب

عليها. ثم تعجب وقال: كأن الجياد أيضاً تشتاق إلى الديار ! وتشجوها المنازل ومفارقة الأحباب ! ثم رجع عن التعجب في البيت الذي بعده.

وما تنكر الدّهماء من رسم منزلٍ سقتها ضريب الشّول فيها الولائد ؟

الدهماء الفرس السوداء، وهي الجواد المذكورة قبل، والضريب: اللبن الخاثر والشول: جما شائل وهي الناقة التي قل لبنها، وذلك أحمد اللبن، وألطفه، والهاء في فيه للمترل. والوليدة: الأمة والخادمة.

يقول: كيف تنكر فرسي أثر الموضع التي كانت الولائد تسقيها اللبن فيه من الشول حتى اعتادت ذلك ؟ أي كان من الواجب عليها أن تعرف ذلك، وتحزن لفراق هذا المترل.

أهمّ بشيٍ واللّيالي كأنّها تطاردني عن كونه وأطارد

أهم بشيء: أي عزم عليه وأريده. والمطاردة: المحاربة. وقوله: أطارد فيه محذوف، أي وأطاردها عن كونه، وأخبر عما يهم به بالنكرة، ليكون أعظم في النفوس.

يقول: إني أحاول أمراً عظيماً وأريد أن أحصل مرادي فيه، والأيام تدافع عنه وتحاربني عليه. ومثله لآخر:

يطردني دهري وأحداثه عن كون ما أبغي وما أطلب

وما ينال المرء مأموله ودهره عنه به يهرب

وحيداً من الخلاّن في كلّ بلدةٍ إذا عظم المطلوب قلّ المساعد

نصب وحيداً على الحال في الضمير الذي في أطارد أي أطارد الليالي وحيداً. وروى: مرفوعاً، فيكون خبر ابتداء محذوف. أي أنا وحيد.

يقول: أحاول أمراً عظيماً وأنا وحيد فالليالي تدافعني عنه، ولا أجد خليلاً يساعدني عليه، والمطلوب إذا كان عظيماً قل من أن يساعد طالبه.

وتسعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ سبوحٌ لها منها عليها شواهد

وروى: تساعدني، وهو معنى تسعدني والشواهد: الدلائل والهاء في لها وعليها ومنها للسبوح.

يقول: يساعدني فيما أطلبه فرسي السبوح، وتقتحم معي الغمرات والشدائد، مرة بعد مرة، ثم وصف فرسه فقال: لها منها عليها شواهد أي لها من خلقها شواهد على عتقها. يعني إذا نظرت إلى حسن أعضائها استدللت على كرمها. وقيل: إن الضمير في لها للسبوح وفي منها وعليها للغمرة. يعني بهذه

الفرس شواهد من هذه الغمرة التي خاضتها، وهذه الشواهد التي لها، تشهد على الغمرة بأنها قد خاضتها، وهي آثار الطعن.

وعيب عليه في الجمع بين حروف الجر، والكنايات المتناسبة ولا مطعن عليه. ومثله: في القرآن العظيم قوله تعالى: "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا"، "وَلِيَ فِيهَا مآرِبُ أُخْرَى" وفي الشعر قول الكميت:

إنّ ابن حزم عمرو من ذوى كرمٍ لي فيه منه علاماتٌ وآثار

تثنّى على قدر الطّعان كأنّما مفاصلها تحت الرّماح مراود

المراود جمع مرود، وهو الحلقة التي في رسن الدابة، يكون فيها مسمار يدور عليها ذلك، فذلك المسمار هو المرود.

يقول: إنها تتمايل وتتصرف بفارسها عند المطاعنه، على حسب ما يحتاج إليه الفارس، فكأن مفاصلها تحت الرماح: المرود الذي يدور في الحلقة، أو تدور الحلقة حيثما أديرت.

وقيل: المرود: هو الذي يكحل به، وهو الميل. فيكون من باب المقلوب ومعناه: كأن الرماح تحت مفاصلها المراود.

والمقصد في الوجهين وصفها بلين المفاصل، وجودة الانعطاف عند الجولان والطعان.

وأورد نفسي والمهنّد في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالد

والمهند السيف المطبوع، على مثال سيوف الهند. من لا يجالد أي من لا يحارب، ولا يجيد الضرب بالسيف.

يقول: إني أورد نفسي - وسيفي في يدي - موارد الحرب التي لا يسلم منها إلا كل شجاع فاتك مجيد الضرب.

ولكن إذا لم يحمل القلب كفّه على حالةٍ لم يحمل الكفّ ساعد

الهاء في كفه يعود إلى من في قوله: من لا يجالد.

يقول: الرجل إذا لم يكن له قلب يحمل كفه لم يحملها ساعده، لأن القوة والشجاعة من القلب.

خليليّ إنّي لا أرى غير شاعر فلم منهم الدّعوى منّى القصائد ؟

يقول: كلمن أرى يدعي أنه شاعر، ولكنما بلهم اقتصروا على مجرد الدعوى، ولم يشاركوني في المعنى كما يشاركوني في الاسم.

فلا تعجبا؛ إنّ السّيوف كثيرةٌ ولكنّ سيف الدّولة اليوم واحد

يقول: لا تعجبا من حالنا، فأنا واحد في الشعر، وغيري مدع، كما أن السيوف كثيرة، وليس شيء، منها كسيف الدولة، فهو واحد بين السيوف. يعني أنه في الشعر كسيف الدولة في الأمراء، وقوله: اليوم زائدة.

له من كريم الطّبع في الحرب منتض ومن عادة الإحسان والصّفح غامد

يقول: الكرم يبعثه على المحاماة في الحرب والذب، فينتضى من غمده على الأعادي، وله عادة الإحسان والصفح عن المذنب. وذلك يحثه على العفو.

ولمّا رأيت النّاس دون محلّه تيقّنت أنّ الدّهر للنّاس ناقد

يقول: لما رأيت سيف الدولة أعلى الناس محلا، ورأيتهم دونه، علمت أن الدهر ناقد، يترل كل أحد مترلته.

أحقّهم بالسّيف من ضرب الطّلى وبالأمر من هانت عله الشّدائد

يقول: أحق الناس بأن يسمى سيفا: من يضرب رقاب الأعداء، فيعمل عمل السيف، وأولاهم بالأمر والنهي: من تسهل عليه شدائد الزمان، وليس كذلك إلا سيف الدولة، فلهذا اختص بهذا الاسم، وتفرد بالأمر والنهي.

وقيل: معناه أحقهم بأن يكون صاحب السيف، من يضرب رقاب الأعداء ومن يتحمل شدائد الدهر، أولى بالأمر. وروى: بالأمن بالنون.

وأشقى بلاد اللّه ما الرّوم أهلها بهذا وما فيها لمجدك جاحد

ما الأولى: بمعنى الذي أي الروم أهلها. وما الثانية: للنفي. والضمير في أهلها وفيها يعود إلى معنى ما الأولى، لأنه بمعنى البلدة والأرض. ولمجدك جاحد هذا مثل قوله تعالى: "حَتَّى إذا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْن بِهِم" ومثل قول جرير:

متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث أيّتها الخيام

استفهم أولا عن الغائب، ثم عدل إلى الخطاب.

وفي إعراب البيت خلل، لأنه إن حمل على أنه فصل بين أفعل، وما هو من تمامه، بخبر الابتداء، وهو قبيح، لأنه قال: أشقى بلاد الله ما الروم أهلها بهذا.

وتأويله: أن قوله: بهذا متعلق بمحذوف يدل عليه أشقى، أي شقوا بهذا.

المعنى: أشقى البلاد بك بلاد الروم، وأهلها أشقى الناس بك، لأنها أبداً بك تخرب بلادهم، وتغير عليهم وتسبي نساءهم، وأهليهم، وهمع ذلك يقرون بفضلك، وشرفك حتى ليس فيهم أحد ينكر ذلك.

شننت بها الغارات حتّى تركتها وجفن الّذي خلف الفرنجة ساهد

شننت أي فرقت بها أي بالروم. والغارات هي التي تغير عليها. والفرنجة ناحية بأقصى بلاد الروم، تجاور الأندلس. وقيل: خلف الفرنجة أراد به قسطنطينية، وهي وراء الفرنجة. وأراد بالذي ملك الروم أو ملك الفرنجة. يعني أغرت على بلاد الروم وعممتها بخيلك وسراياك، حتى صاحب الفرنجة، أو ملك الروم، لا تنام عينه خوفاً منك.

مخضّبة والقوم صرعى كأنّها وإن لم يكونوا ساجدين، مساجد

مخضبة نصب على الحال. أي شنت بها الغارات، وسفكت فيها الدماء، حتى خضبت الأرض بدماء القتلى، فكأن الأرض مساجد مخلقه، والقوم الصرعى فيها، كأنهم ساجدون، وإن لم يكونوا سجوداً في الحقيقة.

شبه الدم بالخلوق الذي يكون في المساجد.

تنكّسهم والسّابقات جبالهم وتطعن فيهم والرّماح المكايد

قال الليث: طعنه بالرمح يطعنه طعناً، وطعنه بالقول يطعنه طعاناً، ففرق بينهما في المصدر، وأما في المستقبل فمضموم العين. وقيل: يجوز طعاناً في الرمح أيضاً. وعن الليث عن بعضهم: يطعن بالرمح ويطعن بالقول. قال: وكلاهما يطعن. ومثله للكسائي بالضم فيهما. قال الفراء: سمعت يطعن بالرمح. ونكست الفارس عن فرسه: إذا طرحته عنه، على رأسه.

يقول: تحصنوا بالجبال فراراً منك، فطاعنتهم برماح كيدك، حتى نكستهم عن رءوس الجبال، التي هي كالخيور لهم.

وقيل: أراد بالسابقات الخيل نفسها، أي تقلب بالقتل عن أفراسهم التي هي كالجبال الحصينة، ويصل طعنك إليهم، والذي يوصله إليهم هو رماح المكايد والتدابير. والأول هو الوجه.

وروى والسابقات حبالهم بالحاء. أي حبالك التي تصطادهم بها: خيلك. ومكايدك: رماحك تطعنهم بها.

وتضربهم هبراً وقد سكنوا الكدى كما سكنت بطن التّراب الأساود

الهبر: أن يقطع اللحم ويبينه عن الجسم يقال: يضرب هبراً. أي يقطع. وقيل: هو تجاوز الضريبه والكدى جمع الكدية، وهي الأرض الصلبة. والأساود جمع الأسود وهي الحية السوداء.

يقول: فروا منك إلى المغارات والمطامير ودخلوا تحت الأرض كالحية السوداء، فأخرجتهم منها وقتلتهم.

وقيل: معناه ضربتهم هبراً حتى دخلوا الكدى، خوفا منك، فاستتروا بالمطامير، كالحيات تحت التراب.

وقيل: إن سيف الدولة أسرهم وأدخلهم المطامير.

وقيل: أراد بالكدى القلاع والحصون.

وتضحى الحصون المشمخرّات في الذّرى وخيلك في أعناقهن قلائد

الذرى: رءوس الجبال، الواحد: ذروة. يعني أن خيلك تصعد رءوس الجبال، فتحيط بحصونهم إحاطة القلائد بالأعناق.

عصفن بهم يوم اللّقان وسقتهم بهنزيط حتّى أبيضّ بالسّبي آمد

عصفن بهم أي هلكنهم، والكناية للخيل. وفي بهم للروم، وكذلك ناحية الأرض، من وراء آمد، لأنه ذهب به مذهب البلد أو الموضع، ولأن التأنيث إذا كان غير حقيقي يجوز تذكيره.

يقول: إن خيلك أهلكتهم يوم اللقان، ثم قدت خيلك إلى هنزيط حتى أغرن عليها وسبن ذراريهم ونساءهم، ثم عدت إلى آمد. حتى ابيضت من كثرة السبي الذي ملأها، لأن أهل الروم بيض الألوان وآمد سورها مبني بالحجارة السود، وكذلك دورها كلها سود.

وألحقن بالصّفصاف سابور فانهوى وذاق الرّدى أهلاهما والجلامد

الصفصاف وسابور حصنان. وانهوى أي سقط، والجلامد: الصخور.

يقول: ألحقت خيلك سابور بالصفصاف، لأنها هدمت الصفصاف أولا، ثم ألحقت سابور بها في الهدم والإخراب، وذاق أهلاهما، وصخورهما الهلاك.

وغلّس في الوادي بهنّ مشيّعٌ مبارك ما تحت اللّثامين عابد

الضمير في بهن للخيل. وفاعل غلس: مشيع أي جرى، شجاع يشيعه قلبه، ومبارك. بدل من المشيع، وما تحت اللثامين الوجه. أي مبارك الوجه، ميمون النقية. واللثامان: أحدهما، لثام الفم، والآخر لثام الأنف وقيل: أراد بهما الشيب، واللثام المعهود. وقيل: الغبار واللثام. وقيل: تلثم بلثامين. وقيل،

أحدهما لثام الفم، الذي هو طرف العمامة، والآخر لثام البيضة. أي سار بخيله بالغلس في الوادي، وهو شجاع مبارك الوجه، عابد متورع، أو لأنه جهاد وغزو، فجميع ما يفعله طاعة وعبادة.

فتىً يشتهي طول البلاد ووقته تضيق به أوقاته والمقاصد

ووقته جر عطفاً على البلاد وفتى بدل من مشيع وما بعده صفة له.

يقول: هو يتمنى طول البلاد التي يقتحمها، أو يتمنى طولها، لتسع جيشه، ويتمنى طول وقته: أي طول عمره، ليدرك غاية همه، فأوقاته تضيق به، لأنه يطلب غاية لا تتسع لها الأوقات، وجيشه عظيم ضاقت عليه البلاد، وقوله: تضيق به يجوز أن يكون حالاً من يشتهى أي يشتهي به ضائقاً به أوقاته، ويجوز أن يكون خبراً آخر كما كان يشتهي خبراً وجميعه صفة للفتى، وهو في موضع رفع، وهذا أولى.

أخو غزواتٍ ما تغبّ سيوفه رقابهم إلاّ وسيحان جامد

أخو غزات نعت لفتى وقيل: خبر ابتداء محذوف: أي هو أخو غزوات. ما تغب أي ما تقصر وما تتأخر وسيحان نهر في بلاد الروم. وقيل بحر.

يقول: هو أبداً يغزوهم ويسفك دماءهم ولا يرجع عن بلادهم، إلا عند شدة البرد وجمد الماء، وإن حملته على البحر كان معناه: أن سيوفه لا تغب رقابهم أبداً، لأن البحر لا يجمد، فعلق ذلك بأمر محال.

فلم يبق إلاّ من حماها من الظّبي لمى شفتيها والثّديّ النّواهد

الضمير في حماها راجع إلى معنى من إذ المراد به المرأة المسبيه.

يقول: لم يبق من الروم إلا نساؤهم الحسان الوجوه اللمى الشفاة، حماها من السيوف حسنهن وملاحتهن، ونهود ثديهن، فسبين ولم يقتلن.

يبكّى عليهنّ البطاريق في الدّجى وهنّ لدينا ملقياتٌ كواسد

يقول: إن النساء اللاتي سبيناهن، بنات الكبار من الروم ونساؤهم؛ فهم يبكون عليهن، عندما يخلون بأنفسهم في ظلمة الليل، لأنهن أقاربهم، وهو مع ذلك عندنا مهانات ملقيات كواسد، لا يلتفت إليهن لكثرتهن.

بذا قضت الأيام ما بين أهلها: مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد

بذا إشارة إلى ما وصفه فيما تقدم، وقيل: إشارة إلى الحال، وهو يذكر ويؤنث.

يقول: هكذا حكم الأيام فيما بين الناس. أن يجعل مصيبة قوم فائدة لقوم؛ لأن هذه السبايا لنا فوائد، وعلى أهلها مصائب.

ومن شرف الإقدام أنّك فيهم على القتل مموقٌ كأنّك شاكر

المموق المحبوب، من ومقته. والشاكد المعطى.

يقول: شرف الشجاعة أنك تقتلهم، وهم يحبونك ! كأنك تعطيهم وتحسن إليهم.

وأنّ دماً أجريته بك فاخرٌ وأنّ فؤاداً رعته لك حامد

وأن بالفتح عطفا على قوله: أنك فيهم يقول: من شرف الإقدام أن كل دم تجريه يفتخر بك، وكل إنسان قتلته أكسبته شرفاً، وكل فؤاد خوفته وملأته خوفاً يحمدك ويثنى عليك؛ لما يرى من شجاعتك وإقدامك ومثله لآخر:

فإن أك مقتولاً فكن أنت قاتلي فبعض منايا القوم أكرم من بعض

وكلّ يرى طرق الشّجاعة والنّدى ولكنّ طبع النّفس للنّفس قائد

يقول: كل أحد يعرف فضل الشجاعة والسخاء ويعرف الطريق إليهما، ولكن طبع اللئيم يقوده إلى الجبن والبخل، وطبع الكريم يحثه على الشجاعة والبذل، فطبع كل إنسان يقوده إلى ما يميل إليه، إذ الإنسان طوع الطبع.

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدّنيا بأنّك خالد

يقول نهبت من أعمار الأعداء ما لو جمعته وملكته، وزيد في عمرك، لبقيت في الدنيا خالداً دائماً. وفيه إشارة إلى أن الدنيا مسرورة بكونه فيها، فلو رزق هذه الأعمار، لدام سرورها، وفيه مدح من وجهين: أحدهما: وصفه بالشجاعة المؤدية إلى قتل جماعة الأعداء.

والثاني: أن سرور الدنيا ببقائه، إذ هو زينتها. وقيل: معناه لهنئ أهل الدنيا. حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى: "واسْألِ القَرْيَة" أي أهل القرية.

فأنت حسام الملك والله ضاربٌ وأنت لواء الدّين واللّه عاقد

يقول: أنت سيف الملك، وهو ملك بني العباس، لكن الله تعالى يضرب بك أي ينصرك ويسلطك على الأعداء، وأنت لواء الدين: يعني أنت تظهر شعاره، وتدعو الناس إليه، والله يعقد هذا اللواء؛ لأن ما يعقده الله لا يقدر أحد على حله.

وأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه تشابه مولودٌ كريمٌ ووالد

أبو الهيجاء: أبو سيف الدولة.

يقول: أنت أبوك. أي تشبهه في أفعاله وأخلاقه، يا ابنه نداء لسيف الدولة، معناه: يا ابن أبي الهيجاء أشبهته وأشبهك، فالمولود الكريم، ووالده متشابهان، في الأخلاق والأفعال.

وحمدان حمدونٌ، وحمدون حارثٌ وحارث لقمانٌ، ولقمان راشد

حمدان جد سيف الدولة. وحمدون جد أبيه، وكذلك ما بعده.

يعني: أنك أشبهت أباك، وأبوك أشبه جدك، وجدك أشبه أباه، فكل واحد منكم يشب أباه إلى الجد الأكبر، في الكرم والخصال.

وطعن الصاحب لإيراده لقطة حمدان وحمدون. وليس فيه مطعن لأنه لم يمكنه أن يغير اسم آبائه وأجداده، وأن يجعل مكانة لفظة حسنة يخترعها.

أولئك أنياب الخلافة كلّها وسائر أملاك البلاد الزّوائد

الأنياب جمع الناب. والزوائد ما زاد على الأسنان المعروفة في الفم، وقيل: إنما جعلهم أنياب الخلافة، لأن ذوات الأنياب يسطون بها، وكان الخلفاء يسطون بهم على أعدائهم، وجعل غيرهم من الملوك كالزوائد، لا يحتاج إليها، بل يتأذى بها، فكأنه قال: أنت وآباؤك الأمراء حقاً، وأنتم للخلافة كأنياب يذبون عنها، وغيركم التي لا خير فيها.

أحبّك يا شمس الزّمان وبدره وإن لامني فيك السّها والفراقد

جعله كالشمس وكالبدر. يعني أن الشمس تضيء النهار، والبدر يضيء الليل، وأنت قد جمعت معنيين فاستحققت الاسمين، وجعل غيره من الملوك إلى جنبه كالسها والفرقدين لأن السها: نجم حفي لا يكاد يراه إلا حاد البصر، والفرقدان: نجمان خفيان أيضاً، من بنات نعش الصغرى، وأتى بلفظ الفرقدين، وما حولهما من الكواكب، وقيل: أقام لفظ الجمع مكان لفظ التثنية.

وذاك لأنّ الفضل عندك باهرٌ وليس لأنّ العيش عندك بارد

باهر: أي ظاهر غالب، وبارد: أي طيب.

يقول: أحبك لفضلك، لا لما أناله من طيب العيش عندك، لأن ذلك يحصل في كل موضع.

فإنّ قليل الحبّ بالعقل صالحٌ وإن كثير الحبّ بالجهل فاسد

يقول مؤكداً لقوله: أحبك يا شمس الزمان، وإن القليل من المحبة مع العقل ينتفع بها، فأنا أحبك بالعقل، فإن قدرت أن محبتي لك قليلة، ولكنها لما كانت مع العقل كانت أنفع من محبة الجاهل إياك؛

لأن العاقل إنما يحب الإنسان لما يرى من فضله، فمحبته دائمة لذي الفضل، وأن الكثير من المحبة مع الجهل، فاسد لا أصل له، لأن الجاهل إنما يحب الإنسان للطمع، فإذا انقطع انقطعت المحبة، فغيري من الشعراء وإن كان يظهر لك من نفسه حباً كثيراً؛ فحبه لما كان مع الجهل ليس فيه طائل ومنه قوله:

يحبّ العاقلون على التّصافي وحبّ الجاهلين على الوسام

وقيل: أراد أنت تحبني محبة قليلة، وغيرك من الملوك يحبونني كثيراً، غير أن محبتك مع العقل، فإنك تعرف فضلي ومحبتهم مشوبة بالجهل بفضلي، والقليل من الحب إذا كان مع العقل، أصلح من الحب الكثير إذا كان مع الجهل.

وقال يمدحه ويعزيه بغلامه التركي يماك، وقد توفي في سحر يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربعين وثلاث مئة.

لا يحزن اللّه الأمير فإنّني لآخذ من حالاته بنصيب

لا حزن الأمير، فإني أشاركه في أحواله. إذا حزن حزنت لأجل حزنه، وإذا سر شاركته في السرور، وهذا معنى قوله: لآخذ من حالاته بنصيب. فكأنه دعاء لنفسه. كما تقول: حرس الله على نعمه ببقائك. وهذا إشارة إلى خلوص الدعاء له وصفاء النية في حبه.

ومن سرّ أهل الأرض ثمّ بكى أسىً بكى بعيونٍ سرّها وقلوب

أسى في موضع نصب، لأنه مفعول له. وقيل: تمييز. والهاء في سرها للعيون وقلوب سرها، فحذف لدلالة الأول عليه.

يقول: من سر الناس كلهم بإحسانه إليهم، ثم بكى لحزن أصابه، ساء بكاؤه الذين سرهم، فكأنه يبكي بعيونهم ويحزن بقلوبهم، ومثله لآخر:

عمّت فواضله فعمّ مصابه فالنّاس فيه كلّهم مأجور

وقيل: معناه أن من سر أهل الأرض، إذا بكى لزم كل من سره أن يشاركه على بكائه، حتى تتحقق المحبة التي يقتضيها سرورهم بفعله، وهذا قريب من الأول ومعناه: أنهم شاركوه في حزنه، كما شاركوه في سروره. ومثله ليزيد بن محمد:

أشركتمونا جميعاً في سروركم فلهونا إذ حزنتم غير إنصاف

وإنّي وإن كان الدّفين حبيبه حبيبٌ إلى قلبي حبيب حبيبي

يقول: أنا أحب سيف الدولة، وهذا المدفون حبيبه، فهو إذاً حبيب حبيبي فمن كان حبيب حبيبي فهو حبيب إلى قلبي، فكيف لا أحزن عليه ؟!.

وقد فارق النّاس الأحبّة قبلنا وأعيا دواء الموت كلّ طبيب

أعيا: أي أعجز.

يقول: قد فارق الناس قبلك أحبتهم، وذاقوا ألم الفراق، فليس هذا بأول حبيب فارق حبيبه.

سبقنا إلى الدّنيا فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئةٍ وذهوب

يقول: لو عاش من كان قبلنا في الدنيا، لضاقت الدنيا علينا، ومنعنا لكثرة أهلها عن المجيء والذهاب، والتصرف فيها.

تملّكها الآتي تملّك سالبٍ وفارقها الماضي فراق سليب

السالب: الآخذ مال غيره قهراً والسليب: المسلوب.

يقول: إن هذه الدنيا كانت في يد السابق، ثم تنتقل إلى من يأتي بعده، فكأن الآتي سلبها من الماضي، فجعل الوارث الآتي سالباً، والميت الماضي مسلوباً والإرث سلباً.

ولا فضل فيها للشّجاعة والنّدى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

شعوب: اسم الموت، معرفة لا يدخلها التعريف؛ لأنه اسم علم للمنية، فقد اجتمع فيه التأنيث والتعريف.

يقول: لولا خوف الموت، لكان لا يظهر فضل الشجاعة والسخاء والصبر؛ لأن الإنسان إنما جبن خوفاً من القتل، وإذا علم أنه لا يموت ارتفع الجبن، كذلك البخيل، إنما يبخل لأنه يخاف أن تبلغ به الحاجة إلى الموت، فإذا أيقن بالخلود، فقد سمحت نفسه بما في يده، لأنه آمن من الهلاك، ويرجو أن يكتسب فيما يأتي من الزمان، وكذلك من جرح فإنما يجزع خوفاً من الموت، فإذا علم أنه لا يموت، لا فضل لصبره، وفي الموت هذه الحكمة والصلاح.

وأوفى حياة الغابرين لصاحبٍ حياة امرئٍ خانته بعد مشيب

أوفى: أفعل من الوفاء.

يقول: الحياة لا بد لها من النفاد، وآخر غاياتها المشيب، فإذا دام الإنسان حتى يبلغ المشيب، فقد بلغ غاية الحياة، ثم تخونه هذه الحياة في الوفاء له، فأوفى الحياة، هي الحياة التي تخون صاحبها عند المشيب.

لأبقى يماكٌ في حشاي صبابةً إلى كلّ تركيّ النّجار جليب

اللام في قوله: لأبقى في جواب قسم مضمر، أي والله لأبقى. وقيل: اللام للتأكيد. والنجار: الأصل، وهو اللون أيضاً. وجليب: أي مجلوب، وروى في حشاي جراحة.

يقول: إني رأيت من نجابة يماك، وحسن أخلاقه وطاعته لمولاه، ما ترك في قلبي محبة لكل تركي مجلوب من بلاد الترك.

وما كل وجهٍ أبيضٍ بمباركٍ ولا كلّ جفنٍ ضيّق بنجيب

يقول: إني كنت أشتاق إلى تركي، وأعلم أنه لا يشبهه في نجابته وكرامته، إذ ليس كل وجه أبيض مباركاً، وكل جفن ضيق نجيباً.

وقيل: إنه رجع عما قبله من الاشتياق إلى كل تركي، إذ ليس لكل أحد من الخصال ما فيه.

لئن ظهرت فينا عليه كآبةٌ لقد ظهرت في حدّ كلّ قضيب

الكآبة: الحزن، والقضيب: ها هنا هو السيف.

يقول: إن ظهر علينا الحزن لموته، فقد ظهر أيضاً في السيوف، لفقدها من يضرب بها وطول لبثها في غمودها بعد موته.

وفي كلّ قوسٍ كلّ يومٍ تناضلٌ وفي كلّ طرفٍ كلّ يوم ركوب

التناضل: الترامي بالسهام. والطرف: الفرس الكريم.

يقول: ظهرت الكآبة أيضاً في القوس والفرس.

يعزّ عليه أن يخلّ بعادةٍ وتدعو لأمرٍ وهو غير مجيب

روى بعادة أي بعادة من عادات خدمتك. وروى بغارة يقول: يشتد على هذا الميت أن يخل بعادة من عادات خدمتك، أو يخل بغارة من غاراتك، وأن تدعوه لأمر وهو لا يجيبك، لكن به ما منعه عن ذلك.

وكنت إذا أبصرته لك قائماً نظرت إلى ذي لبدتين أديب

لبدة الأسد: ما تلبد من الشعر على عاتقه.

يقول: كنت إذا رأيته قائماً بين يديك في الخدمة، رأيت أسداً له عقل وأدب. يعني أن الأسد شجاع لا عقل له ولا أدب. وهذا قد جمع الشجاعة والعقل والأدب، فهو أفضل من الأسد.

فإن يكن العلق النّفيس فقدته فمن كفّ متلافٍ أغرّ وهوب

العلق خبر يكن والنفيس نعت له، واسمه مضمر. أي إن يك يماك العلق النفيس. يعني إن كان هذا العبد علقاً نفسياً فقدته، فلا تأسف عليه، لأنك مالك، ومن عادتك إتلاف الأموال وهبة الأعلاق.

كأنّ الرّدى غادٍ على كلّ ماجدٍ ... لم يعوّذ مجده بعيوب

روى عاد أي ظالم. وروى من الغداة.

يقول: كأن الهلاك يتسلط على ماجد، إلى لم يجعل لمجده عوذة من العيب، تقيه عين الحساد، ومثله الكشاجم:

شخص الأنام لحسن وجهك فاستعذ ... من شرّ أعينهم بعيبٍ واحد

ولولا أيادي الدّهر في الجمع بيننا ... غفلنا فلم نشعر له بذنوب

يقول: إن كان الدهر قد أساء في التفريق بين الأحبة، فقد تقدم إحسانه في الجمع بينهم، فلولا ما سبق من إحسانه في الجمع بيننا وبين الأحبة، لما شعرنا بذنوبه في تفريقه شملنا، ولم نعد ذلك عليه ذنبا.

وللتّرك للإحسان خيرٌ لمحسنٍ ... إذا جعل الإحسان غير ربيب

ربيب: بمعنى مربوب، وربى الإحسان إذا رباه.

يقول: الدهر أحسن أولاً ثم أفسد إحسانه آخراً، وترك الإحسان ابتداء، خير من أن يبتدئ به ثم لا يربيه بالمداومة عليه.

ورجع في هذا البيت إلى ذم الدهر.

وإنّ الذي أمست نزارٌ عبيده ... غنيّ عن استعباده لغريب

يقول: إنك ملكت نزاراً كلها بإحسانك، واستعبدتهم بفضلك، وهم قومك وعشيرتك، فلا حاجة بك إلى استعباد عبد غريب.

كفى بصفاء الودّ رقّاً لمثله ... وبالقرب منه مفخراً للبيب

بين كيفية استعباده لنزار: أي هم عبيدك بالطاعة وصفاء المودة، وكفى بصفاء المودة منهم رقاً لك، فلا تريد منهم إلا أن تصفوا لك المودة، وكفى بالقرب منك فخر لمن كان لبيباً.

فعوّض سيف الدّولة الأجر إنّه ... أجلّ مثابٍ من أجلّ مثيب

الهاء في إنه يعود إلى سيف الدولة، والمثاب: هو سيف الدولة أيضاً.

يقول: عوض سيف الدولة الأجر، على جهة الدعاء أي عوض الله ذلك أجل من أثيب الأجر، والله أجل مثيب.

وقيل: إن الهاء للأجر، أي إن الأجر أجل مثاب، أي أجل ثواب من أجل مثيب، وهو الله تعالى، والمثاب على هذا: مصدر كالإثابة.

فتى الخيل قد بلّ النّجيع نحورها يطاعن في ضنك المقام عصيب

النجيع: قيل: هو الدم الطري على الإطلاق، وقيل: دم الجوف والضنك: الضيق. والعصيب: الشديد الصعب. وروى يطاعن: أي فتى الخيل يطاعن وروى: تطاعن أي تتطاعن.

يقول: هو الفتى المشهور في الشجاعة، الذي يطعن في ضنك المقام عند اشتداد القتال، وابتلال نحور الخيل بالدم.

يعاف خيام الرّيط في غزواته فما خيمه إلاّ غبار حروب

يعاف: يكره. والرّيط: الملاء البيض.

يقول: يكره المبيت والتنعم في الخيام، وإنما يحب القتال، فليس له خيمة إلا غبار الحروب.

وقيل: معناه أنه لا يستظل في غزواته بخيمة، كما يفعله الملوك، وإنما يستظل بغبار الحروب.

علينا لك الإسعاد، إن كان نافعاً، بشقّ قلوبٍ لا بشقّ جيوب

الإسعاد: المساعدة. يعني لو كان شق الجيوب والبكاء يردان ميتاً. لأسعدناك بشق القلوب، عن شق الجيوب.

فربّ كئيبٍ ليس تندى جفونه وربّ كثير الدّمع غير كئيب

يقول: إن الدمع ليس دلالة الوجد، فكثير من الناس ينحرق قلبه ولا يجري منه دمع ! وكثير منهم يجري دمعه ولا حزن في قلبه !

تسلّ بفكرٍ في أبيك فإنّما بكيتفكان الضّحك بعد قريب

يروى: أبيك بفتح الباء. وهو جمع قولهم أباً. مثل: عصا، وكان في الأصل أبين فانقلبت الياء ألفاً، وبعدها ياء جمع، فحذفت لالتقاء الساكنين، فبقي أبين ثم أضافه إلى كاف الخطاب، فحذف النون للإضافة فصار أبيك، وفي حال الرفع: أبون والأبا لغة في الأب. فعلى هذا تقول: هذا أباك ورأيت أباك ومررت بأباك. ويجوز أن يكون تثنية بمعنى أبويك. وروى: أبيك فيجوز أن يكون واحداً وجمعاً.

يقول: تفكر في آبائك فإنك بكيت عند موتهم، ثم سليت عن قريب وصبرت، فاعتبر حالك اليوم بحالهم حين فقدت أباك.

إذا استقبلت نفس الكريم مصابها بخبثٍ ثنت فاستدبرته بطيب

المصاب: المصيبة. وقوله ثنت أي ثنت النفس المصاب. وأراد بالخبث: الجزع، وبالطيب: الصبر.
ومعناه: إذا جزع الكريم عند أول المصيبة، راجع أمره في آخرها، فعاد إلى الصبر، والرضا والتسليم.
وقيل: أراد بالخبث: الصبر، لأن النفس تنفر عنه، لما فيه من المشقة، والطيب: عاقبة الصبر، وهو ما يجد الصابر من المدح على صبره والثواب في الآخرة. لأن ذلك يطيب النفس.
ومعناه: أن الكريم وإن خبثت نفسه في الابتداء لصبره على المصيبة في الأول قبل وقوعها صعب عليه الصبر عند وقوعها.

وللواجد المكروب من زفراته سكون عزاءٍ أو سكون لغوب

الواجد: الحزين يقول: كل جازع على مصيبة، فآخر أمره السلوة والسكون: إما صبراً واحتساباً، وإما تعباً وملالاً. ومثله لمحمود الوراق:

إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبةً سلوت على الأيّام مثل البهائم

ومثله لأبي تمام:

أتصبر للبلوى عزاءً وحسبةً فتؤجر أو تسلو سلوّ البهائم

وكم لك جدّاً لم تر العين وجهه فلم تجر في آثاره بغروب

الغروب: مجاري الدموع في العيون. ونصب جداً على التمييز، وكم يحتمل الاستفهام، والخبر: فإن كان استفهاماً، كان الواجب نصب جداً لأنها في الاستفهام تنصب تمييزها، وإن كانت خبراً، فالاختيار هو النصب ها هنا، لأنك إذا فصلت بينها وبين ما يضاف إليها بفاصل، كان الواجب النصب.
يقول: إن ما مضى وغاب عنك، كشيء لم تره، فكما أنك لم تبك على أجدادك الماضين، الذي لم ترهم، فكذلك ينبغي أن تسلو عمن فقدته الآن، لغيبته عن عينك.

فدتك نفوس الحاسدين فإنّها معذّبة في حضرةٍ ومغيب

يقول: نفوس حسادك معذبة بحسد معاليك، حضروا أم غابوا، فجعلهم الله فداك، ووقاك بهم صروف الزمان، ليستريحوا من هذا العذاب الذي ينالهم، وهذا مثل قوله:

فإن لهم في سرعة الموت راحةً

وفي تعبٍ من يحسد الشّمس نورها ويجهد أن يأتي لها بضريب

الضريب هو النظير والشبيه. شبهه بالشمس، وخصاله بنورها وقال: من حسد الشمس على نورها فهو في تعب، لأن نورها لا يزايلها، ومن جهد أن يأتي بنظيرها لم يقدر عليه؛ لأنه لا نظير لها، كذلك أنت لا نظير لك في علو محلك وخصالك الجميلة وخلائقك الحسنة.

وقال أيضاً يمدحه. ويذكر بناءه مرعش، وإصابته المطر عند دخوله، ومحاربته الدمستق وهزمه، في سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة.

فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كربا　　　فإنّك كنت الشّرق للشّمس والغربا

قوله: فديناك، من ربع: أي فديناك ربعاً ومن زائدة وربعاً: بدل من الكاف في فديناك.

خاطب ربع حبيبته فقال: نحن نفديك بأنفسنا، وإن كنت تزيد في غمنا؛ لخلوك من المحبوبة، ثم قال: إنما قد فديناك، لأنك كنت مألف محبوبتي، التي هي كالشمس، فكنت مطلعاً لها حين تخرج وتبرز بروز الشمس من مطلعها الذي هو المشرق، وإذا احتجبت وغابت فيك كنت لها مغرباً، لما جعلها الشمس جعل الربع مطلعاً لها ومغرباً.

وكيف عرفنا رسم من لم تدع لنا　　　فؤاداً لعرفان الرّسوم ولا لبّا ؟ !

العرفان: مصدر عرفت وتدع: تعود إلى معنى من وأنث على معنى المرأة، ويجوز من يدع رداً إلى لفظ من.

يتعجب من رسم دار المحبوبة التي هي الشمس فيقول: كيف عرفنا رسم دارها، مع أنها لم تدع لنا قلباً ولا عقلاً ؟!

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً　　　لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

الأكوار: جمع كور، وهو الرحل، وكرامة نصب لأنه مفعول له وركباً: على الحال: أي نلم به راكبين، وأصله عن أن نلم به، فحذف عن ويجوز أن يكون معناه كراهة أن نلم به، أو ألا نلم به، فحذف والهاء في عنه وبه للربع.

يقول: لما أتينا الربع نزلنا عن رواحلنا كرامةً لأهله، ورفعاً لقدره، عن أن نلم به فحذف راكبين.

يا ساكن النّوب انهض طالباً حلباً　　　نهوض معنى لحسم الدّاء ملتمس

واخلع حذاءك إن حاذيتها ورعاً　　　كفعل موسى كليم اللّه في القدس

ندمّ السّحاب الغرّ في فعلها به　　　ونعرض عنها كلّما طلعت عتبا

السحاب: بمعنى الجمع، ولذلك وصفها بالغر وهو جمع أغر، ونصب عتبا على أنه مصدر واقع موقع الحال أي عاتبين. وقيل: إنه مفعول له، والعتب: أدنى الغضب.

يقول: نحن نذم السحاب البيض في فعلها بهذا الربع، لأنها درست آثاره، وإذا طلعت وظهرت في السماء أعرضنا عنها، وصرفنا وجوهنا، كما يفعل العاتب إذا رأى من عتب عليه.

ومن صحب الدّنيا طويلاً تقلّبت على عينه حتّى يرى صدقتها كذبا

يقول: إن الربع قد تغير وحال عن الحسن الذي كان له بكون الحبيب فيه، وكذا عادة الزمان، فمن صحب الدنيا علم أن ما يعانيه من أحوالها زائل، فكأن ما يراه حقيقة وصدقاً، فهو محال وكذب.

وقيل: معناه من عمر تبدل به الحال، فصار العمر الذي يسره يسوءه، لقربه من الفناء، فكأن كل شيء في الدنيا وإن كان سروراً فإنه غم، فصاحب الدنيا يرى صدقها كذباً، وحياتها موتاً، لما كان عاقبتها إلى الفناء وغاية أمرها إلى الزوال.

وكيف التذاذي بالأصائل والضّحى إذا لم يعد ذاك النّسيم الّذي هبّا ؟ !

الأصائل: واحدها أصيل، وهو آخر النهار والنسيم: الريح الطيبة التي يلتذ بها، وأراد به قرب الحبيب.

يقول: كيف ألتذ بأوقاتي: الغدوات والعشيات، مع أني بعيد عمن أهواه، إذا لم تعد إلى أوقاتي في الأصائل والضحى؛ لأنها أطيب الأوقات، لا حر فيها يؤدي، ولا برد شديد، وخص الأصائل والضحى ليعلم أنه إذا لم يلتذ بأطيب الأوقات فكيف يلتذ بغيرها ؟

ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به وعيشاً كأنّي كنت أقطعه وثبا

الباء: بمعنى في أي في الربع، وهو متعلق بذكرت أي ذكرت في الربع، كقول النابغة: وما بالربع من أحد.

وقيل: إن الباء متعلق بقوله: وصلاً وعيشا أي ذكرت وصلاً وعيشاً كان لي به أي فيه. والهاء في قوله: لم أفز به للوصل وفي أقطعه للعيش.

يقول: لما وقفت بهذا الربع تذكرت عيشاً مر لي فيه، كأني لم أظفر به من قصر، كأنه لم يكن، كما قال عبد الصمد بن المعذل:

شبابٌ كأن لم يكن وشيبٌ كأن لم يزل

وتذكرت عيشاً كان من قصره وقصر أوقاته وكل نعمة فيه، كأنه قصر وقت الوثب، فكل زيارة من الحبيب وثبة، ولك ساعة من اللقاء والاجتماع وثبة، والوثب في معنى قصر الوقت وقصر العيش. وفيه معنى بديع ومبالغة حسنة.

وفتّانة العينين قتّالة الهوى إذا نفحت شيخاً روائحها شبّا

وفتانة: عطفاً على قوله: ذكرت وصلاً وعيشاً أي ذكرت جارية تفتن الناس بحسن عينيها، وتقتلهم بهواها، ولو اتصلت روائحها بالشيخ، لعاد إليه شبابه، وهذا كقولي الأعشى:

لو أسندت ميتاً إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

لها بشر الدّرّ الّذي قلّدت به ولم أر بدراً قبلها قلّد الشّهبا

البشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد. والشهب: قيل: إنه جمع شهاب وهو النجم. وقيل جمع أشهب، وهو أيضاً النجم، والتأنيث كله للفتانة والهاء في به للدر.

يقول: هي في نعومة بشرتها كالدر الذي قلدت به، وهي في الحسن كالبدر. والدر الذي عليها كالنجوم، وما رأيت بدراً متقلداً بالدر حتى رأيتها. والأول أليق بذكر البدر.

فيا شوق ما أبقى ! ويالي من النّوى ويا دمع ما أجرى ! ويا قلب ما أصبى !

وأصله: يا شوقي ما أبقاك ! ويا دمعي ما أجراك ! ويا قلبي ما أصباك ! فحذف الياء من المنادى كما تقول: يا غلام وحذف ضمير المفعول الذي هو المتعجب منه ويجوز الرفع في قوله: يا شوق ويا دمع ويا قلب على أن يكون نداء مفرداً وقوله: ويالي من النوى توجع منه لنفسه فيما لقي من ألم النوى، ومعناه يا شوقي ما أدومك، ويا دمعي ما أجراك، ويا قلبي ما أشد صبوتك.

لقد لعب المشتّ بها وبي وزوّدني في السّير ما زوّد الضّبّا

المشت: المفرق، من أشت جمعهم، وشت القوم: تفرقوا. وفاعل ما زود ضمير البين وهو السفر، ومعناه زودني البين في سيري، ما زود البين الضب في سيره وما في موضع النصب. قوله: لعب البين بها وبي أي فرق بيننا. وقوله: زودني إلى آخره معناه: لم يزودني البين من حبيبتي شيئاً أتعلل به بعد فراقنا: كالقبلة والعناق، وغير ذلك. إلا التفرق. وخص الضب لأنه يتبلغ بالنسيم، ولا يرد الماء، ولا يشرب بل يكتفي بنسيم الرياح عند العطش، فكأنه قال لم يزودني البين من حبيبتي شيئاً إلا النسيم والتعلل به كما يتعلل الضب به. وقال أبو علي بن فورجة. معناه أن الضب إذا فارق حجره ضل

وتحير، لأنه لا يهتدي للرجوع إليه، على ما ضرب به المثل فقيل: أضل من ضب، وأتيه من ضب، وأحير من ضب. فكأنه قال زودني البين في رحيلي حيرة الضب إذا فارق حجره. أي سرت متحيراً واله العقل.

ومن تكن الأسد الضّواري جدوده		يكن ليله صبحاً ومطعمه غصبا

ومن تكن: عنى به نفسه أي من كان شجاعاً كالأسد، لم يثنه الليل عن مرام ولا يحول بينه وبين مراده ظلامه ليل، فهو مثل الصبح يسعى فيه لطلب مآربه، وإذا حاول أمراً أو طلب مالاً، تناوله غصباً وقسراً. ومعناه أن الممدوح أسد ومن كان أسداً كان جده أسداً لا محالة، وليس المراد به من كان له أب أو جد شجاع، لأنه قد يكون أبوه شجاعاً وهو جبان.

ولست أبالي بعد إدراكي العلا		أكان تراثاً ما تناولت أم كسبا

يقول: إذا نلت الشرف ومعالي الأمور، فلا أبالي بأن يكون ذلك موروثاً، أو مكتسباً. ومثله:

نفس عصام سوّدت عصاما		وصيّرته ملكاً هماما

فربّ غلام علّم المجد نفسه		كتعليم سيف الدّولة الدّولة الضّربا

يقول: رب إنسان علم نفسه المجد من غير أن يعلمه أحد، لأن طبعه وجوهره يحمله عليه، ولأنه إذا نظر في أفعال المجد يحمل نفسه عليها، حتى يبلغ إلى منازلهم، كما أن أهل الدولة إذا نظروا إلى مواقف سيف الدولة في الحروب، وشجاعته فيها تعلموا منه الضرب، واقتدوا به في أفعاله، فكأنه هو الذي علم الدولة الضرب أي أهل الدولة، فحذف أهل.

إذا الدّولة استكفت به في ملمّةٍ		كفاها فكان السّيف والكفّ والقلبا

الملمة: المصيبة، والشدة. يعني: إذا نزلت بالدولة ملمة، فاستعانت به. أراد سيف الدولة وهو الخليفة كفى الدولة تلك الحادثة، فكان لها سيفاً وكفاً وقلباً: لأن السيف لا يعمل إلا بالكف، ولا يضرب به الكف حتى يشيعه القلب، وسيف الدولة يستغني عن ذلك، فهو السيف والقلب والكف، فيكفي الدولة ما ينوبها، ولا يحتاج إلى ناصر ومعين.

تهاب سيوف الهند وهي حدائدٌ		فكيف إذا كانت نزاريّةً عربا ؟ !

الحدائد: جمع حديدة، وهي نصل السيف. يقال: سيف جيد الحديدة، أي جيد النصل.

يقول: إذا كانت سيوف الهند يحذر منها ويهاب بأسها، وهي حدائد لا تعمل حتى تجد ضارباً بها،

فسيف الدولة الذي هو عربي يضرب بنفسه رءوس الفرسان، وكذلك قومه، الذين هم من نزار، أولى بأن يخاف منهم، ولهذا قال: إذا كانت نزاريةً عربا.

ويرهب نناب اللّيث واللّيث وحده فكيف إذا كان اللّيوث له صحبا ؟ !

يقول: إذا كان الليث يتقي نابه، ويخاف افتراسه وهو وحده، فلأن يتقي سيف الدولة وحوله الليوث أولى وأجدر.

ويخشى عباب البحر وهو مكانه فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبّا ؟ !

عباب البحر: تراكم أمواجه. يقال: عب البحر إذا ماج. وقيل: عبابه: صوت أمواجه. ومكانه: نصب على الظرف.

يقول: يخاف موج البحر إذا اضطرب، وهو مستقر مكانه، فكيف لا يخاف البحر الذي يملأ البلاد بخيله ورجله ؟!

عليم بأسرار الدّيانات واللّغى له خطراتٌ تفضح النّاس والكتبا

اللغى: جمع لغة، والخطرات: جمع خطرة، وأراد به الخواطر يقول: هو عالم بأحوال الناس وديانتهم، ومذاهبهم، واختلاف ألسنتهم، ولغاتهم، وله خواطر يستنبط بها ما ليس في الكتب وما لا يدركه الناس ولا يجري على قلب أحد.

فبوركت من غيثٍ كأنّ جلودنا به تنبت الدّيباج والوشى والعصبا

العصب: ضرب من برود اليمن.

يقول: بارك الله فيك أيها الغيث، فإن الغيث يكسو الأرض أنواع الأزهار وأصناف النبات والأنوار، وأنت تكسونا الخلع النفسيه من ضروب الوشي والديباج، فكأن جلودنا أنبتت هذه الثياب، كما أنبتت الأرض النبات بالغيث. شبه الجلود بالأرض، والخلع بالنبات، وسيف الدولة بالغيث.

ومن واهب جزلاً ومن زاجر هلاً ومن هاتك درعاً، ومن ناثرٍ قصبا

وهذا معطوف على قوله: فبوركت من غيث، ومن واهب، وهلا: زجر للخيل، ينون على النكرة ولا ينون على معنى المعرفة، وذلك كناية عن كونه فارساً مقتدراً، على أن يصرف فرسه كيف شاء والقصب: الأمعاء وروى: باتر قصبا أي قاطع أمعاء.

يقول: بوركت من واهب كثيراً، وزاجر فرسه في المعركة، وهاتك درع عدوه عليه بسيفه، وناثر أمعاءه: إذا أصاب جوفه ونثر أمعاءه على الأرض.

هنيئاً لأهل الثّغر رأيك فيهم وأنّك حزب الله صرت لهم حزبا

نصب هنيئاً على المصدر، وقيل: على الحال لفعل مضمر، أي ثبت رأيك هنيئاً وحزب الله نصب لأنه منادى مضاف، والثغر: مدينة مرعش.

يقول: هنأ الله أهل الثغر بحسن رأيك فيهم واهتمامك بأمرهم، وهنأهم الله، يا حزب الله، أنك صرت لهم حزباً وجيشاً وناصراً، تعاونهم وتذب عنهم.

وأنّك رعت الدّهر فيها وريبه فإن شكّ فليحدث بساحتها خطبا

الكناية في فيها وساحتها راجعة للثغر، وأنثه على معنى المدينة، أو البلدة، أو الأرض، وفاعل فليحدث ضمير الدهر، وخطبا مفعوله، وفاعل شك ضمير الدهر أيضاً.

يقول: وهنيئاً لهم انك خوفت الدهر في هذه المدينة، وخوفت حوادثه، فإن شك الدهر في ذلك، فليحدث بساحة هذه المدينة خطبا، وليترل بها حادثة.

فيوماً بخيلٍ تطرد الرّوم عنهم ويوماً بجودٍ تطرد الفقر والجدبا

يقول: لا تزال تذب عنهم، وتحامي عليهم، فإن قصدهم الروم طردهم بخيلك، وإن نازلهم فقر وجدب كشفته عنهم بجودك وأفضالك.

سراياك تترى والدّمستق هاربٌ وأصحابه قتلى وأمواله نهبى

يقول: سراياك متصلة إلى الروم، والدمستق لا يثبت لها بحال، أي من قتلك أصحابه، وأمواله نهبة للمسلمين.

أتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلاً وأدبر إذ أقبلت يستبعد القربا

مرعش: مدينة كان سيف الدولة جدد بناءها.

يقول: أتى الدمستق مدينة مرعش وهو مسرور، لطمعة فيها، فكأن الأرض تطوى له، والبعيد يقرب عليه، فلما قصدته ولى مدبراً، وهو شديد الغم، وطال عليه الطريق فصار قريبه بعيداً ومثله:

أرى الطّريق قريباً حين أسلكه إلى الحبيب بعيداً حين أنصرف

ومثله لتوبة:

وكنت إذا ما زرت ليلى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

كذا يترك الأعداء من يكره القنا ويقفل من كانت غنيمته رعبا

أراد بالأعداء: سيف الدولة، وجيشه.

يقول: من يكره أن يقتله أعداؤه، هكذا ينهزم ويرجع، ولم يغنم في قتاله إلا الخوف.

وهل ردّ عنه باللّقان وقوفه صدور العوالي والمطهّمة القبّا

يقول: قد فر بين يديك، لعلمه أنه لا يقاومك؛ لأنه لما ثبت لك حين لقيته على اللقان، قتلت أصحابه، وغنمت أمواله، ولم يرد عنه وقوفه الرماح، فلهذا لم يقف لك الآن، والقب: جمع أقب، وهو الضامر من الخيل.

مضى بعد ما التفّ الرّماحان ساعةً كما يتلقّى الهدب في الرّقدة الهدبا

أراد بالرماحين: رماح العسكرين، فثنى الجمع، كأنه قال: رماح هؤلاء ورماح أولئك. والهدب: شعر الجفن، شبه التفاف الرماح واشتباكها، عند الطعن باشتباك الأجفان عند النوم.

يقول: ثبت لك على اللقان ساعة، فلما اشتبكت رماح العسكرين، ولى منهزماً، وكأن اشتباك الرماح كالتقاء الهدبين إذا نام الإنسان.

ولكنّه ولّى وللطّعن سورةٌ إذ ذكرتها نفسه لمس الجنبا

السورة: الحدة، والشدة، وقوله: إذا ذكرتها نفسه إلى آخر البيت: صفة لسورة.

لما اشتد الطعان ولى، وقد امتلأ قلبه خوفاً، وكلما ذكر سورة الطعن، لم يصدق أنه سلم منها فيلمس جنبه، هل هو صحيح أم مطعون ؟ ومثله لأبي نواس:

إذا تفكّرت في هواي له لمست رأسي: هل طار عن جسدي ؟

وقيل: معناه يلمس جنبه وينثني عليه خوفاً من أن تنشق مرارته من الخوف كما قال آخر:

وأذكر أيّام الحمى ثمّ أنثنى على كبدي من خشيةٍ أن تصدّعا

وقيل: إنه يلمس الجانب الذي فيه قلبه، هل يخفق قلبه خوفاً أم لا ؟!

وخلّى العذارى والبطاريق والقرى وشعث النّصارى والقرابين والصّلبا

العذارى: جمع عذراء، وهي البكر، وشعث النصارى: الرهابين جمع أشعث، والقرابين: خاصة الملك. والصلب: جمع صليب.

المعنى: أنه ترك هذه الأشياء وترك عسكره وبلاده وجميع ما فيها، ونجا بنفسه خوفاً منك.

أرى كلّنا الحياة بسعيه حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا

المستهام، والصب: بمعنى. روى بسعيه وبجهده والمستهام: العاشق.

يقول: كل أحد يحب نفسه وحياها، ويسعى ليدفع عن نفسه الضرر والهلاك.

فحبّ الجبان النّفس أورده التّقى وحبّ الشّجاع النّفس أورده الحربا

ويختلف الرّزقان والفعل واحدٌ إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

النفس: منصوبة بحب في الموضعين؛ لأنه مصدر، فيعمل عمل الفعل وأورده: فعل، فاعله ضمير الحب.

يقول: كل أحد يطلب لنفسه البقاء، فالجبان يحذر لقاء الأقران، ويستعمل الخوف إبقاء على نفسه وطلباً لنجاته، والشجاع، يطرح نفسه في المهالك ويباشر القتال طلباً لاستبقاء النفس، بدفع الشر والأعداء عن نفسه، وإبقاء للذكر الجميل بعده، والقصد منهما واحد: وهو طلب الحياة، والسعي مختلف.

يقول: إن الجبان والشجاع قد اتفق فعلاهما في طلب الحياة، واختلف رزقاهما؛ لأن رزق أحدهما المدح، ورزق الآخر الذم.

وقيلك معناه أن الشجاع أعطى الحياة التي طلبها، والجبان حرم ذلك، لأنه في حال حياته ميت فكيف بعد الممات ؟! وقيل: إن الشجاع رزق موتاً هو كحياة، لبقاء الذكر له، ورزق الجبان حياة هي كممات لحصول الذم له.

وقيل: رزق الشجاع رفاهية ورغدا، والجبان شقاء وتعباً.

وقوله: إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا معناه: أن الشجاع إذا تعرض للقتل حتى يقتل، كان ذلك عنده إحساناً إلى نفسه، وذلك عند الجبان أكبر ذنب لإلقائ بنفسه إلى التهلكة، والجبان إذا أحسن إلى نفسه بترك الحرب وطالب الصلح، يراه الشجاع ذنباً.

وقيل: معناه أن الجبان إذا علم - مثلا - أنه لا ينتقم من اللاطم لجبنه، كان هذا إحساناً إلى اللاطم، لنه عفو في الظاهر، وهو ذنب عظيم عند الشجاع. وفي جميع هذه الوجوه يكون البيت متصلا بما قبله.

وقد قيل: إنه منقطع عما قبله ومعناه: أن الرجلين ربما طلبا أمراً من وجه واحد فيرزق هذا، ويحرم الآخر، فيكون ذلك الفعل إحساناً لأحدهما يرزق به، وذنباً للآخر يحرم لأجله. ومثله الآخر:

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى الفتى من حيث آخر يحرم

فأضحت كأنّ السّور من فوق بدؤه إلى الأرض قد شقّ الكواكب والتّربا

فأضحت: أي مدينة مرعش، وفوق: مضموم كقبل وبعد.

يقول: كأن سورها ابتدئ ببنائه من فوق، حتى انتهى إلى الأرض، فأصله شق الكواكب، وطرفه شق الترب: أي الأرض، وقيل: أراد بالترب: الغبار الذي ارتفع إلى السور من الحرب حواليه، أي أنه شق الغبار المرتفعة وجاوزها، وشق الكواكب أيضاً.

وقيل: أراد أن سورها لاتساعه على وجه الأرض كأنه شق الترب لطوله، وكأنه قد شق الكواكب وهو كعكس قول السموءل:

رسا أصله تحت الثّرى، وسما به   إلى النّجم فرعٌ لا ينال طويل

تصدّ الرّياح الهوج عنها مخافةً   وتفزع فيها الطّير أن تلقط الحبّا

الرياح الهوج: الشديدة الهبوب، التي لا تثبت على سمت واحد.

يقول إن الرياح لا تجسر أن تمر بها، وتخاف الطير أن تلقط منها الحب؛ لأنها إذا لقطت الحب نقصت من حبوبها، وذلك إضرار بها، وأنت قد أحميتها من كل ضرر.

والمصراع الثاني ضعيف؛ لأن الطير في كل موضع، تفزع أن تلقط الحب، فلا وجه لعطفه على الرياح.

وقيل في المصراع الأول: إن الرياح تعدل عنها؛ لطول السور الذي رفعتها في الجو والأولى أنه يريد أنها تعدل للهيبة.

وتردى الجياد الجرد فوق جبالها   وقد ندف الصّنّبر في طرقها العطبا

وتردى: من الرديان، وهو ضرب من العدو، وأراد بالصنبر: ها هنا السحاب البارد، وقيل: أراد البرد والعطب: القطن.

شبه الثلج على الجبال بقطن مندوف.

يقول: إن خيلك تطوف فوق جبال مرعش وحولها وتحرسها، والثلج على جبالها كأنه قطن مندوف، والضمير في جبالها لمرعش، وفي طرقها للجبال.

كفى عجباً أن يعجب النّاس أنّه   بنى مرعشاً تبّاً لآرائهم تبّاً!

التب الخسران، وأراد به الدعاء على آرائهم، كقولك: قبحاً له. وفاعل كفى أن يعجب، لأن أن مع صلتها كاسم مفرد وعجباً نصب على التمييز وتباً على الذم أو على المصدر.

يقول: ليس من العجب بناؤه مرعش، ولكن العجب استعظام الناس وتعجبهم من بنائها.

وما الفرق ما بين الأنام وبينه إذا حذر المحذور واستصعب الصّعبا ؟ !

إذا كان يحذر من الأمر المحذور، ويصعب عليه الأمور الصعبة، مثل سائر الناس، فأي فرق بينه وبين سائر الناس.

لأمر أعدّته الخلافة للعدى وسمّته دون العالم الصّارم العضبا

يقول: لولا اختصاصه من بين سائر الأنام بمعان، لم تجعله الخلافة من بينهم، عدة لها، ولما سمته سيفاً قاطعاً وأراد بالخلافة: الخليفة أي ذوي الخلافة.

ولم تفترق عنه الأسنّة رحمةً ولم تترك الشّام الأعادي له حبّا

يقول: لولا شجاعته، لم تفترق الأسنة عنه في حروبه، ولم تترك الأعادي له الشام، لولا خوفهم منه.

ولكن نفاها عنه غير كريمةٍ كريم النّثا ما سبّ قطّ ولا سبّا

الضمير في نفاها للأعادي، وغير كريمة حال من الأعادي، والعامل فيها نفاها والهاء في عنه لسيف الدولة، وقيل: يرجع إلى الشام والنثا بالنون قيل: مقصور، هو الذكر في الحمد، والذم.

يقول: لم يترك العادي له الشام محبة منهم له، ولكنه طردهم قهراً، مهانين غير مكرمين، وهو ملك كريم الذكر ما سب قط: أي لم يشتمه أحد؛ لأنه لم يفعل ما يشتم عليه، ولا شتم أيضاً هو أحداً؛ لأن الشتم سلاح من لا قلب له على المحاربة؛ ولأن الناس بعضهم مطيع له فلا يشتمه، وبعضهم خائف أن يشتمه.

وجيشٌ يثنّى كلّ طودٍ كأنّه خريق رياحٍ واجهت غصناً رطبا

يثنى: أي يعطف، ويجعل اثنين. والطود: الجبل. والخريق: الريح الشديدة التي تخرق كل شيء تجري عليه.

يقول: نفي أعداءه عن الشام كريم النثا، وجيش عظيم يثنى كل جبل: أي يعطفه ويهده، ويزعزه، عن موضعه، وأراد به أن يجعل الجبل اثنين: أحدهما الجبل، والثاني نفس الجيش، ثم شبه الجيش بريح شديدة قابلت غصناً رطبا: يعني أنه يكسر الجبل ويعطفه كريح هذه صفتها، وإن هذا الجيش وإن كانوا كالجبل، فالجبل الذي تحتهم كالغصن الرطب عند الريح الشديدة الهبوب.

كأنّ نجوم اللّيل خافتت مغاره		فمدّت عليها من عجاجته حجبا

مغاره: إغارته والهاء فيها، وفي عجاجته: للجيش.

يقول: كأن النجوم قد خافت أن يغير عليها هذا الجيش، فمدت على نفسها من غبار هذا الجيش حجباً، حتى لا يراها. يعني أن غباره وصل إلى النجوم.

فمن كان يرضى اللّؤم والكفر ملكه		فهذا الّذي يرضى المكارم والربّا

هذا في قوله: فهذا إشارة إلى سيف الدولة.

يقول: هو أبداً في الجهاد، يرضى الرب بفعله، ويبذل الأموال، يرضى بها مكارمه، وغيره من الملوك: إما مشرك برضى الكفر، وإما بخيل برضى البخل، واللؤم.

وأهدى سيف الدولة إلى أبي الطيب هدية فيها ثياب ديباج رومية، ورمح وفرس معها مهرها وكان المهر أحسن من الفرس فقال يمدحه:

ثياب كريمٍ ما يصون حسانها		إذا نشرت كان الهبات صوانها

الصوان: ما يلف به الثوب ويصان به: ثياب: رفع لأنه خبر ابتداء محذوف: أي هذه ثياب كريم، أو هي مبتدأ وخبره محذوف: أي عندي ثياب كريم، ليس يصون حسان الثياب، ولكن إذا نشرها فرقها على جلسائه، وجعل صوانها أن يهبها لأصحابه.

ترينا صناع الرّوم فيها ملوكها		وتجلو علينا نفسها وقيانها

امرأة صناع: حاذقة دقيقة اليد في صنعتها وجمعها صنع، ورجل صنع وجمعها صناع. وروى: صناع الروم وهي جمع صنعة، والكناية في فيها للثياب، وفي نفسها للصناع، وفي ملوكها وقيانها للروم، ويجوز أن تكون راجعة إلى صناع الروم. والقيان: جمع قينة، وهي الجارية المغنية.

يقول: إن المرأة الصانعة من الروم ترينا في هذه الثياب الملوك، وتظهر علينا نفسها أي نفس هذه الصانعة من الروم، وصور القيان. يعني: أن هذه الثياب صورة ملوك الروم، وصورة الناقشة، وصورة القيان.

ولم يكفها تصويرها الخيل وحدها		فصوّرت الأشياء إلاّ زمانها

الهاء في يكفها راجعة إلى صناع الروم، وكذلك في تصويرها وفي وحدها إلى الخيل، وفي زمانها إلى الأشياء.

يقول: لم يكفها أنها صوّرت على الثياب صور الخيل، حتى صورت معها كل شيء من طائر وسبع وغيرهما من الزمان، إلا الزمان فإنها لا تقدر على تصويره.

وما ادّخرتها قدرةً في مصوّرٍ سوى أنّها ما أنطقت حيوانها

تاء التأنيث الساكنة في ادخرتها راجعة إلى صناع، والهاء، إلى الثياب، وأصلها: ادخرت عنها، فحذف حرف الجر، وأوصل الفعل إلى الضمير: أي ما خبأت هذه المرأة عن هذا الثياب قدرةً عليها في مصور إلا صورت على هذه الثياب، غير أنها لا تقدر على إنطاق الحيوان المصور عليها، إذا لو قدرت على ذلك لفعلت، والهاء في حيوانها راجعة إلى الثياب.

وسمراء يستغوى الفوارس قدّها ويذكرها كرّاتها وطعانها

وسمراء: عطف على قوله: ثياب كريم. والضمير في قدها للسمراء وفي يذكرها وكراتها وطعانها للفوارس ويستغوي: أي يستميل، ويحمله على الغي، وسمراء: صفة لمحذوف: أي وهذه فتاة سمراء، يحمل قدها واستواؤها الفوارس على ملاقات الأقران، ويسوقهم إلى الطعان. وذكر الفوارس موافق للقتال.

ردينةٌ تمّت وكان نباتها يركّب فيها زجّها وسنانها

الزج: الحديدة التي في أول الرمح، يعني أنها مستقيمة نبتت كذلك، لم تحتج إلى تثقيف مثقف، فلم يبق إلا أن يركب فيها الزج، والسنان.

وأمّ عتيقٍ خاله دون عمّه رأى خلقها من أعجبته فعانها

وهذا أيضاً عطف على ما تقدم، وأراد بالعتيق: المهر، وقوله: خاله دون عمه أي أبوه أكرم من أمه؛ لأنه إذا كان خاله دون عمه، كانت أمه دون أبيه.

يقول: هذه أم مهر كريم، أمه دون أبيه في الكرم، وكانت هي حسنة الخلق فرأى خلقها من أعجبته فعانها، أي أصابها بالعين، فصار ولدها أحسن منها وأكرم.

إذا سايرته باينته وبانها وشانته في عين البصير، وزانها

يقول: إذا سارت الأم معه بانت منه، وبان منها. أي لم يشبهها في الحسن والجمال، كما يشبه المهر أمه، وشانته في عين البصير: أي أن البصير بالخيل لم ير فيه عيباً إلا كونه من هذه الأم التي هي دونه، فهو له عيب وشين، وهذا المهر زان الأم، لأنها ولدت مهراً كريماً، فهو يزينها، وهي تشينه.

فأين الّتي لا تأمن الخيل شرّها وشرّى، ولا تعطي سواي أمانها ؟

يقول: هلا وهبت لي فرساً أكرم منها ؟ وهي التي لا تأمن الخيل شرها يعين أنها سابقة إذا سابقت سائر الخيل، لم تأمن شرها ولا تأمن الفرسان شري، ولا تعطى سوى أمانها: أي لا يقدر على ركوبها إلا مثلي من الفرسان الحذاق بالركوب.

وأين الّتي لا ترجع الرّمح خائباً إذا خفضت يسرى يديّ عنانها

يقول: هلا وهبت لي الفرس التي إذا رخيت عنانها بيدي اليسرى وجلت عليها لا أرجع خائباً، ولا ترد رمحي من دون قتل العدو.

ومالي ثناءٌ لا أراك مكانه فهل لك نعمى لا تراني مكانها ؟

يقول: ليس عندي ثناء لا أراك مستحقاً له، فهل عندك نعمة لا تراني أهلاً لها ؟ يعني: كما لا أدخر عنك ثناء، فلا تدخي عني نعمة.

وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه، وأكثر أذاه وأحضر من لا خير فيه، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب، فكان أبو الطيب لا يجب أحداً عن شيء، فيزيد ذلك في إنكاء سيف الدولة، ويتمادى أبو الطيب في ترك قول الشعر، ويلح سيف الدولة فيما يستعمله من هذا القبيح وأكثر عليه مرة بعد أخرى فقال أبو الطيب هذه القصيدة وأنشده إياها في محفل من العرب والعجم.

واحرّ قلباه ممّن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وأحر قلباه: ندبة وهذه الهاء لا تدخل عند أهل البصرة إلا في الوقف، فإذا وصلت حذفت.

وأجاز الفراء دخولها في حال الوصل، وأنشد فيه أبياتاً، وإذا كان كذلك، فما ذكره لا مطعن عليه، إذ جاءت عن العرب، والرواة الثقات.

وحكى أبو الفتح بن جني: أن المتنبي كان ينشده بكسر الهاء وضمها، قال: والوجه إذا جاز إثبات الهاء، كسرها لالتقاء الساكنين قال: ولا أرى للضم وجهاً. قال: ولو فتحت الهاء لالتقاء الساكنين ومجاورة الألف كان قياساً.

وطعن فيه من وجوه أخر: وهو حذف الياء من قلباه، وكان الوجه: قلبياه، لأن هذه الياء إنما تحذف قياساً على التنوين، فحيث يحذف التنوين في المنادي، جاز سقوط الياء وثباتها كقولك. يا زيد، فتحذف منه التنوين، ثم تقول: وازيداه، لتحذف الياء، وحيث ثبت التنوين لم يجز حذف الياء،

كقولك: واغلام زيد فتنون زيد، فإذا قلت: واغلامياه، أثبتت الياء.
والحاصل: أن الياء إنما تحذف من المنادى، لا من المضاف إليها المنادى، وقد أجاز بعض النحويين إسقاط الياء في هذا الموضع وإن كان ضعيفاً، فيجوز في الشعر لأنه موضع الضرورة. والشيم: البارد.
يقول: أشكو حرارة قلبين وشدة وجدي ممن قلبه خالي مما أنا مبتلى به، وممن حالي عنده ضعيفة سقيمة مثل جسمي. يعني أني سقيم بحبه، وليس لي عنده حال ولا منزلة.

مالي أكتّم حبّا قد برى جسدي وتدّعي حبّ سيف الدّولة الأمم

وروى: أكاتم: يقول: كل أحد من الأمم، يدعي حبه ! فلم لا أقتدي بهم، وأظهر حبه مثل ما يظهرون ؟ ومعناه: أنهم يظهرون حبه، وأنا أحتاج إلى أن أكتمه، كأنه يشير إلى أنه يتأذى بإظهار حبه فيكتمه ! فيؤدي كتمانه إلى سقمه ونحول جسمه، وقيل: كتمانه الحب من حيث أنه يتجنب التملق بحبه، لما فيه من التكلف، وأن غيره يتملقون إليه بحبه ويتكلفون ذلك.

إن كان يجمعنا حبّ لغرّته فليت أنّا بقدر الحبّ نقتسم

يقول: إن كان يجمعني والأمم حب سيف الدولة، فليت حظنا منه على قدر حبنا، فأكون أخصهم منه قرباً، كما أني أكثرهم له حباً، أو أكون مثلهم في قوة أجسامهم، وحسن أحوالهم، وهو مثلي في مرضي ورثاثة حالي.

قد زرته وسيوف الهند مغمدةٌ وقد نظرت إليه والسّيوف دم

يقول: نظرت إليه في حالتي السلم والحرب. وصحبته في حالتي الخوف والحب، كأنه عليه بطول الخدمة، ثم يصف قيامه بجميع الأمور.

فكان أحسن خلق اللّه كلّهم وكان أحسن ما في الأحسن الشّيم

الشيم: جمع الشيمة، وهي الخليقة، وأحسن الأول: نصب لأنه خبر كان واسمه ضمير سيف الدولة، وأحسن الثاني، خبر كان الثاني، والشيم: اسمه، وأراد بالأحسن الممدوح.
يقول: نظرت إليه فكان أحسن خلق الله، وأحسن ما في هذا الأحسن الذي نظرت إليه أخلاقه، فكأنه يقول: هو أحسن الناس، وخلقه أحسن من حسن وجهه.

فوت العدوّ الّذي يمّمته ظفرٌ في طيّه أسفٌ في طيّه نعم

الهاء في طيه الأول للظفر، والثاني للأسف.

يقول: هرب عدوك الذي قصدته، منك ظفر، ذلك، غير أن في طي هذا الظفر أسفاً، لأنك كنت تشتهي أن تقتله، أو تأسره، وفي طي هذا الأسف نعم لأنه هرب منك خوفاً.

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا تصنع البهم

البهم: جمع بهمة، وهو الشجاع.

يقول قد حصل لك في قلوبهم من الخوف والهيبة، ما يزيد على فعل الشجعان فيهم.

ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها ألاّ تواريهم أرضٌ ولا علم

تواريهم: أي تسترهم. والعلم: الجبل.

يقول: كلفت نفسك في طلب أعدائك، تهزمهم وتكسر جموعهم، بل تريد ألا تسترهم أرض ولا جبل، بأن تخرجهم من مكان من الأرض، وتحطهم من رءوس الجبال.

وقيل: معناه لا ترضي أن تسترهم أرض ولا جبل، وإنما ترضى أن يواريهم بطون الطير، والوحوش.

أكلّما رمت جيشاً فانثنى هرباً تصرّفت بك في آثاره الهمم ؟

أكلما: استفهام، ومعناه التقرير، وانثنى: أي انصرف. تصرفت بك: أي صرفتك.

يقول: كلما قصدت جيشاً وهرب من بين يديك حملتك همتك العلية على طلبه، واتباع أثره.

وقيل: معناه حملتك همتك على الجزع في فوتهم منك.

عليك هزمهم في كلّ معترك وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا

الجمع: راجع إلى معنى الجيش.

يقول: إنما عليك أن تهزمهم، فإذا انهزموا فليس عليك عار في انهزامهم بل ذلك يدل على قوتك.

أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفرٍ تصافحت فيه بيض الهند واللّمم ؟

اللمم: جمع اللمة، وهي الشعر. الملم بالمنكب، وأراد بالتصافح: التلاقي.

يقول: لا تعد الظفر ظفراً إلا بعد القتل والقتال، وضرب السيوف على رءوس الأبطال. وعبر عن ذلك بتصافح السيوف واللمم؛ لأن القتل يحصل عند ذلك.

يا أعدل النّاس إلاّ في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم !

يقول: أنت أعدل الناس إلا بيني وبينك، فأنت لا تنصفني ولا تعينني قدر ما أستحقه عندك من المترلة.

فيك الخصام: أي الخصومة بيني وبين أعدائي وقعت فيك، وأنت الخصم: لأنك ملت إليهم، ولأني أخاصمك على مترلتي عندك، وأنت الحاكم: فاحكم على نفسك، فوفني ما أستحقه من المترلة !
وقيل: معناه مع ذلك كيف أطمع في الانتصاف منك !

أعيّها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسب الشّحم فيمن شحمه ورم

نظران نصب على التمييز. قال أبو الفتح: قلت له: الهاء في أعيذها لأي شيء تعود ؟ فقال: إلى النظران. أجاز الأخفش مثله في قوله تعالى: "فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ" وقال أبو الفتح: وإنما جاز إضمارها قبل الذكر، لأنها كانت مشاهدة في الحال، فاكتفى بمشاهدتها من تقدم ذكرها.
يقول: أعيذ نظراتك الصادقة، أن تغلط، فترى الشيء على خلاف الحقيقة، فتحسب الشحم ورماً فجعل الشحم مثلا لنفسه، والورم لسائر الشعراء.

وما انتفاع أخي الدّنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظّلم

بناظره: أي ببصره.
يقول: إن الإنسان إذا لم يفرق بين النور والظلمة، فاستويا في عينه، فلا ينتفع بناظرهن بل هو بمترلة الأعمى.
يعني أن حاله تخالف غيره من الشعراء والفضلاء، وأنت إذا لم تميز بيننا كنت كالأعمى.

أنا الّذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

من في موضع نصب، لأنه مفعول أسمعت وفاعله كلماتي وأراد بها القصائد.
يقول: إذا نظر الأعمى إلى أدبي يعرفه ويراه، فكيف البصير ؟! والأصم يسمع شعري، فكيف السميع ؟! معناه أن أدبي وشعري قد اشتهرا، حتى استوى في معرفتها العالم والجاهل، فضرب الأعمى والأصم مثلا للجاهل الذي لا يتفكر فيعرف.

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

جراها: من أجلها، والهاء في شواردها للكلمات، وهي جمع شاردة: أي سائرة تروى بكل مكان.
وقيل: معناه أنها تشرد، وتصعب على صاحبها.
يقول: أنا أقول القصائد الشوارد عفواً، من غير إتعاب فكر، وأنام عنها ملء جفوني، والخلق كلهم يسهرون من أجلها، ويتنازعون في دقيق معانيها، وجودة مبانيها.
وقيل: معنى قوله: أنام أي أموت. والأول أظهر.

وجاهل مدّه في جهله ضحكي حتّى أتته يدٌ فرّاسةٌ وفم

فراسة: من الفرس، وهو دق العنق.

يقول: رضي الله عنه جاهل غره ضحكي في وجهه، فتمادى في جهله، حتى سطوت عليه وقصدته مني يد فراسة، وفم: أي أهلكته بيدي ضرباً وقتلا، وأهلكته بفمي من طريق الهجو، والذم.

إذا رأيت نيوب اللّيث بارزةً فلا تظنّنّ أنّ اللّيث مبتسم

يقول: لما رآني أكشر الأسنان، حسب أني مسرور بفعله، ولم يعلم - من جهله - أني كالليث، إنما يكشر عن أنيابه وأسنانه، إذا اشتد غضبه.

والأصل فيه قول عنترة:

لا رآني قد نزلت أريده أبدى نواجذه لغير تبسّم

ومهجةٍ مهجتي من همّ صاحبها أدركتها بجوادٍ ظهره حرم

الهاء في صاحبها وأدركتها للمهجة الأولى.

يقول: رب نفس كانت همتها إتلاف نفسي، فأدركتها بفرس جواد، ظهره حرم: يعني من ركبه أمن، لأنه إذا طلب فات، فلا يخاف أحداً، كما لا يخاف سكان الحرم.

رجلاه في الرّكض رجلٌ واليدان يدٌ وفعله ما تريد الكفّ والقدم

الركض: في الأصل ضرب الدابة بالرجل لتعدون، ثم ذكر ذلك حتى قيل لنفس العدو ركض فيقال: ركض الفرس: أي عدا.

يقول: إن رجليه تقعان معاً على الأرض وكأنهما رجل واحدة، وكذلك يداه وأنه لجودة جريه يغني راكبه عن تحريك يده بالسوط، وتحريك رجليه للركض، بل هو يعطيه من العدو ما يطلبه منه، بيده وقدمه، ذكره ابن جني.

وقال غيره: معناه أن فرسه مؤدب مطيع لفارسه، متصرف على اختياره، فكأن رجليه رجل راكبه، فيضع قوائمه حيث شاء صاحبه، ويتصرف راكبه فيهما، كما يتصرف في جوارح نفسه.

ولا يقال: إن هذا المعنى الذي ذكرتموه هو معنى المصراع الثاني، فيكون المصراعان واحداً، فليس فيه إلا التكرير بلا فائدة.

لأنا نقول: إن الأول يفيد أن رجليه رجلاً راكبه، ويديه يداه في حال ركضه فقط، والمصراع الثاني

يدل على أن فعل هذا الفرس، ما يريده صاحبه في جميع الأحوال، من ركض أو غيره، وأنه مطيع لصاحبه في جميع جوارحه، فكأنه قال: أفعال الفرس من أحواله كلها وجوارحه جميعاً موافقة لاختيار صاحبه، وتصريف كف راكبه وقدمه، وهذه فائدة جديدة.

ومرهفٍ سرت بين الموجتين به حتّى ضربت وموج الموت يلتطم

وروى: الجحفلين أي العسكرين. والموجتين: هما صفتا العسكرين وأراد بالموج. الأمواج، فهو واحد في معنى الجمع، ولهذا قال: يلتطم، والالتطام لا يكون من واحد، ويجوز أن يكون الموج: جمع موجة.

يقول: رب سيف محدد شققت به الصفين، وضربت به الأعداء في حال اشتداد الحرب، والتطام موج الموت. وأراد به مقدمات الموت، من الضرب والطعن.

وقيل: أراد بالموجتين: جملة كل واحد من الصفين على الآخر كالتطام الأمواج.

فالخيل واللّيل والبيداء تعرفني والحرب والضّرب والقرطاس والقلم

يقول: أنا لجامع بين آداب السيف والقلم: فالخيل تعرفني بالفروسية لإدماني ركوبها، والليل يعرفني لدوام سيري في ظلامه، والبيداء تعرفني لإدمان قطعي إياها، ودوام سكناي فيها، والحرب يعرفني لكثرة مباشرتي له، والقرطاس والقلم يعرفاني لأني كاتب أديب.

وقيل: أراد به أهل الخيل، وأهل البيداء إلخ يعرفوني.

قال ابن جني: قد سبق بجميع هذه الأمور في بيت واحد، ولم يجتمع مثله في بيت مما أعلمه، الأقرب إليه قول البحتري:

اطلبا ثالثاً سواي فإنّي رابع العيس والدّجى والبيد

وحكى أن سيف الدولة قال لما أنشد هذا البيت: والله لو قال هذا البيت في لشاطرته في ملكي.

صحبت في الفلوات الوحش منفرداً حتّى تعجّب منّي القور والأكم

القور: جمع قارة، وهي صرة من الأرض، فيها حجارة سود، وقيل: جبل صغير أسود كأنه مطلي بالقار، والأكمة: الجبل الصغير، وجمعها الأكم، والآكام، وقيل: هي ما ارتفع من الأرض.

يقول: إني لا أزال أقطع المفاوز وحدي، من غير أن يدلني أحد. وأراد بذلك وصف شجاعته، وقيل: أراد بذلك أنه بدوي، تربيته مع الوحش، بين الأكم والقور.

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلّ شيء بعدكم عدم

يعز: أي يشتد، يعرض برحيله عن سيف الدولة، يقول: يا من يشتد علينا مفارقتهم، كل شيء نجده بعد فراقكم فهو عندنا عدم، أي وجوده كعدمه ومثله:

ومن اعتاض عنك إذا افترقنا ... وكلّ النّاس زورٌ ما خلاكا

ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ ... لو أنّ أمركم من أمرنا أمم

يقول: ما أخلقه بهذا الأمر ! وما أجدوه ! وما أولاه ! والأمم: القصد والقرب يقول: ما أولانا منكم بأن تكرمونا ! لو أن أمركم قريب من أمرنا، وجواب لو محذوف أي لو كنتم تحبوننا، كما نحبكم، لكنتم تكرموننا.

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا ... فما لجرح إذا أرضاكم ألم

يقول: إن كان سركم قول الحساد وسعايتهم بي، فإني أصبر على ذلك، وكل جرح يصيبني فلا أتألم به، إذا كان فيه رضاكم.

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفةٌ ... إنّ المعارف في أهل النّهي ذمم

قوله: معرفة مبتدأ وبيننا خبرها مقدم عليها، وذكرها ذهابا بها إلى العرفان أو الحق، وتقديره: بيننا معرفة لو رعيتم ذاك: أي لو رعيتم حق المعرفة، وجواب لو محذوف أي لو رعيتم لرفعتم مترلتي، وكافأتموني عليه.

يقول: قد تقدمت بيننا معرفة، وحرمة يجب عليك رعاية حقها؛ لأن المعارف ذمم بين أهل العقول: يعني يمتنع كل أحد من المتعارفين أن يسيء إلى صاحبه إذا كان عاقلاً، فكأن هذه المعرفة ذمة وعهد بينهما.

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ؟ ... ويكره اللّه ما تأتون والكرم

يقول: لا تزالون تطلبون عيباً فيّ، فيعجزكم عيبي: أي لا تقدرون عليه، وهذا الفعل لا يرضى الله به، ولا يليق بالكرم.

ما أبعد العيب والنّقصان من شرفي ... أنا الثّريّا وذان الشّيب والهرم

ذان: إشارة إلى العيب، والنقصان.

يقول: كما أن الثريا لا تشيب، ولا تهرم، كذلك شرفي لا يلحقه عيب ولا نقصان.

ليت الغمام الّذي عندي صواعقه ... يزيلهنّ إلى من عنده الدّيم

الضمير في صواعقه: للغمام، ويزيلهن فعله، والكناية التي هي هن تعود إلى الصواعق كني بالغمام عني سيف الدولة وصواعقه عن إيذائه إياه وبالديم عن عطائه عند غيره.

فيقول: ديم هذا الغمام عند غيري، وصواعقه عندي، فليت صواعقه عند من ديمه عنده، يعني ليته إن ليم يخصني بكرامة لا يقصدني بأذاه، بل يصرف امتنانه إلى من عنده عطاياه، ومثله لآخر:

فلو شاء هذا الدّهر أقصر سوءه كما أقصرت عنّا لهاه ونائله

ومثله للبحتري:

سحابٌ خطاني جوده وهو مسبل وبحر عداني قطره وهو مفعم

وبيت ابن الرومي أقرب إلى أبي الطيب:

أعندي تنقضّ الصّواعق منكما وعند ذوي الكفر الحيا والثّرى الجعد

والأصل في ذلك قول الحسين بن علي رضي الله عنهما: نال حارها من تولي قارها.

أرى النّوى تقتضيني كلّ مرحلةٍ لا تستقلّ بها الوخّادة الرّسم

تقتضيني: أي تتقاضاني، وتطالبني، والوخادة الإبل التي تسير الوخد، وهو ضرب سريع من السير، والرسم: جمع رسوم، وهي التي تسير الرسيم، وهو أيضاً ضرب من السير، والهاء في بها للمرحلة: أي لا ينهض بها.

يقول: أرى البعد يطالبني بكل مرحلة لا تقطعها الإبل السريعة السير، من طولها، فأظهر لسيف الدولة السير عنه والرحيل. وبينه أيضاً فيما يليه.

لئن تركن ضميراً عن ميامننا ليحدثنّ لمن ودّعنهم ندم

ضمير: اسم ماء في السماوة وقيل: جبل عن يمين طالب مصر، إذا خرج من الشام قاصداً مصر، والكناية في تركن وميامنها وودعن إلى الوخادة الرسم.

يقول: لئن تركت الإبل الوخادة الرسم ضميراً عن ميامنها، وأخذت بنا طيق مصر، ليحدثن لمن أفارقه ندم. واللام في قوله: ليحدثن جواب قسم محذوف: أي والله ليحدثن. واللام في لئن تركن زائدة دخلت توطئة للام الثانية، وحل جواب القسم محل جواب الشرط.

إذا ترحّلت عن قومٍ وقد قدروا ألاّ تفارقهم فالرّاحلون هم

الراحل: المرتحل.

يقول مخاطبا لنفسه: إذا قدر قوم على ألا يضطروك إلى مفارقتهم والرحيل عنهم، ثم اضطروك إلى ذلك، فهم مخلون بحقك، فيكونون بمترلة المرتحلين عنك، لرغبتهم عنك، فلا فرق بين رحيلهم عنك، وإلجائهم إياك إلى فراقهم.

شرّ البلاد بلادٌ لا صديق بها وشرّ ما يكسب الإنسان ما يصم

ما يصم أي ما يصمه، ومعناه: ما يلحقه الوصم، وهو العيب.

يقول: شر البلاد بلاد لا صديق بها تسكن إليه، ويعينك على ما تريده، ويدفع ما يضرك، وشر كسب يكسبه الإنسان، ما يعاب به، وبذل عرضه بسببه.

وشرّ ما قنصته راحتي قنصٌ شهب البزاة سواءٌ فيه والرّخم

البزاة: الشهب البيض، وهي كرامها، والرخم: جمع رخمة، وهي طائر يشبه النسر، تأكل الجيف ولا تصيد، وهي من لئام الطير وقيل: الرخمة: الأنثى من النسور. وروى: اقتنصته وقنصته.

يقول: أنا كالبازي، وشعراؤك كالرخم، فلم سويت في المترلة بيننا في الجائزة فيبطل فضل البازي فيم يعد لذلك العطاء عندي قدر. ومثله لأبي تمام:

كلابٌ أغارت في فريسة ضيغم طروقاً وهامٌ أطمعت صيداً أجدلا

بأيّ لفظٍ يقول الشّعر زعنفةٌ تجوز عندك لا عربٌ ولا عجم ؟ !

الزعانف: سقاط الناس، واحدها زعنفة، وأصله من زعنفة الأديم: وهو ما سقط منهن إذا قطع فلا ينتفع به، فشبه به رذال الناس، وقيل: الزعانف: أجنحة السمك، ثم يقال للدعي الملحق بالقوم زعنفة.

يقول: إن شعراءك الذين تسوي بيني وبينهم أدعياء في الشعراء، وإهم من جملة رذال الناس، ليسوا بأهل للإقبال عليهم؛ لأهم دخلاء في الشعر، ليسوا من العرب ولا من العجم، فتقبل منهم شعرهم، ويجوز عليك تمويههم.

وقال ابن جني: معناه ليست لهم فصاحة العرب، ولا تسليم العجم، والفصاحة للعرب، فهم فضول رذال.

وقيل: إنه عرض في هذا بالنامي، وكان أخص شعراء سيف الدولة وأنشد أبو الطيب يوما قول النامي:

ومن العجائب أنّ بيض سيوفه تلد المنايا السّود وهي ذكور

فاستحسنه.

هذا عتابك إلاّ أنّه مقةٌ قد ضمّن الدّرّ إلاّ أنّه كلم

العتاب: أدنى الملامة والمقة: المحبة.

يقول: هذا عتابك في الظاهر، ولكنه محبة لك، يعني لم أعاتبك إلا من محبتي إياك، فكلامه كالدر في الحسن والرونق والصفاء، وإن كان في الصورة كلاماً، وهو كقول أبي تمام:

تخال به مبرداً عليك محبرّا وتحسبه عقداً عليك مفصّلا

والمصراع الأول من قول القائل:

ويبقى الودّ ما بقي العتاب

ومثل لآخر:

نعاتبكم يا أمّ عمرو لحبّكم ألا إنّما المقلىّ من لا يعاتب

فلما أنشد هذه القصيدة وانصرف، اضطرب المجلس، وقال له نبطي كان في المجلس: اتركني أسعى في ذمه، فرخص له في ذلك، والنبطي هو السامري، وفيه يقول أبو الطيب:

أسامريّ ضحكة كلّ رائي فطنت وأنت أغبى الأغبياء

صغرت عن المديح فقلت أهجى كأنّك ما صغرت عن الهجاء

وما فكّرت قبلك في محالٍ ولا جرّبت سيفي في هباء

فانصرف المتنبي فوقف له رجاله سيف الدولة في طريقه ليغتالوه، فلما رآهم أبو الطيب؛ وتبين السلاح تحت ثياهم أمكن يده من قائم سيفه، وجاءها حتى خرقها، فلم تقدم عليه، ثم أنفذت الطير إلى أبي العشاير في أمره، فأنفذ عشرة من خاصته، فوقفوا بباب سيف الدولة أول الليل، وجاءه الرسول على لسان سيف الدولة، فسار إليه، فلما قرب منهم ضرب راجل منهم - بين أيديهم - إلى عنان فرسه، وسل أبو الطيب السيف، فوثب الراجل وتقدمت فرسه به الجيل، فعبر قنطرة كانت بين أيدهم واجترهم إلى الصحراء، فأصاب أحدهم نحرة فرسه بسهم فأنفذه، فانتزع أبو الطيب السهم، ورمى به. واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن مدد - إن كان لهم - ثم رد عليهم بعد أن فنى النشاب، فضرب أحدهم فقطع الوتر وبعض القوس، وأسرع السيف في ذراعه ووقفوا على

المضروب، فسار وتركهم. فلما يئسو منه، قال له أحدهم في آخر الوقت: نحن غلمان أبي العشائر، فلذلك قال: ومنتسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حفيف الأبيات ....

وعاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفياً فأقام عند صديق له، والمراسلة بينه وبين سيف الدولة متصلة، وسيف الدولة ينكر أن يكون فعل ذلك، أو أسر به فعند ذلك قال أبو الطيب:

ألا ما لسيف الدّولة اليوم عاتبا فداه الورى أمضى السّيوف مضاربا

ألا تنبيه وما للاستفهام على جهة الإنكار، وعاتبا نصب على الحال ومضاربا نصب على التمييز، والعتب: أدنى الغضب.

يقول: ما باله اليوم قد عتب علي، جعل الله الورى فداء له، وقوله: أمضى السيوف مضاربا: هذه الجملة في موضع نصب على الحال، أي فداه الورى في هذه، أي في حال كونه أمضى السيوف.

وما لي إذا ما اشتقت أبصرت دونه تنائف لا أشتاقها وسباسبا!

التنائف: جمع تنوفة، وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف. والسباسب: جمع سبسب وهو الفضاء الواسع.

يقول: ما لي إذا ما اشتقت إلى لقائه حال بيني وبينه إعراضه. أقام عتب سيف الدولة مقام المفاوز التي يحتاج أن يقطعها، حتى يصل إلى مراده، كما أن المفاوز مانعة لمن أراد الحاجة، فكذلك عتبه مانع من مراده.

وقيل: ضرب التنائف والسباسب: مثلا للصد والمباعدة.

وقد كان يدني مجلسي من سمائه أحادث فيها بدرها والكواكبا

أي ماله أبعدني عن مجلسه؛ بعد أن كان يقربني منه، ويجعلني من جلسائه ؟! لما جعله بدراً جعل مجلسه سماء وجعل خصاله وأفعاله كواكب، وكذلك جعل ندماءه كواكب سمائه، والهاء في فيها وفي بدرها تعود إلى السماء.

حنانيك مسئولاً، ولبّيك داعيا وحسبي موهوباً وحسبك واهباً

حنانيك: أي تحنناً بعد تحنن، ومعناه الرحمة، معناه أسألك رحمة بعد رحمة وأرجو أن تضاعف على النعمة، ولبيك: أي إجابة بعد إجابة إذا دعوتني وحسبي موهوباً: أي حسبي من جميع هباتك، أن تهب لي نفسي، وقيل: يكفيني ما وهبت من المال، وحسبك واهباً: أي كملت في هذه الصفة، فالكفاية واقعة في كونك واهباً، لا يزاد معك إنسان آخر يكون واهباً، وقيل: حسبك من جميع المناقب أن

تكون واهباً نفسي مني، ونصب حنانيك ولبيك على المصدر. أو بفعل مضمر، ونصب مسئولا وداعياً وموهوباً وواهبا على الحال.

أهذا جزاء الصّدق إن كنت صادقاً ؟ أهذا جزاء الكذب إن كنت كاذبا ؟

يقول: إن كنت صادقا في مدحك، فليس جزائي منك الإبعاد والعتب، وإن كنت كاذباً في مدحك فقد تكلفت لك المجاملة في القول، فكان من الواجب أن تعاملني بمثل ذلك، فعلى الحالين أستوجب منك خلاف ما فعلته بي.

وقيل: معناه إن كنت صدقت فيما عاتبتك عليه فما جزاء الصدق أن تأمر بقتلي ! وإن كذبت، فالواجب على كرمك أن تعفو عني.

وإن كان ذنبي كلّ ذنبٍ فإنّه محا الذّنب كلّ المحو من جاء تائبا

الهاء في إنه ضمير الشأن، أي فإن الشأن محا الذنب من جائ تائبا.

يقول: إن كان ذنبي يوازي ذنوب الناس كلهم، فإن توبتي تمحوه، فإن من جائ تائباً استوجب العفو، وإن كان ذنبه بمترلة جميع الذنوب، أخذه من قول النبي صلى الله عليه وسلم: التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومثل البيت قول الآخر:

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه وكلّ امرئٍ لا يقبل العذر مذنب

قال: ودخل على سيف الدولة، بعد تسع عشرة ليلة، فتلقاه الغلمان، وأدخلوه إلى خزانة الكسوة فخلع عليه وطيب، ثم دخل على سيف الدولة فسأله سيف الدولة عن حاله وهو مستح منه، فقال له أبو الطيب: رأيت الموت عندك أحب إلي من الحياة دونك، فقال له سيف الدولة: بل يطيل الله بقاءك ودعا له.

ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى مترله، وأتبعه سيف الدولة طيباً كثيراً وهدية، فقال أبو الطيب يمدحه وأنشدها إياه في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة.

أجاب دمعي وما الدّاعي سوى طلل دعا فلبّاه قبل الرّكب والإبل

يقول: لما وقفت على الطلل، بكيت قبل أصحابي، وقبل بكاء الإبل، فكأن الطلل دعا دمعي فأجابه قبل أصحابي.

ظللت بين أصيحابي أكفكفه وظلّ يسفح بين العذر والعذل

الأصيحاب: تصغير الأصحاب، وأكفكفه: أي أحبسه، وأردده والها: للدمع. وظل: أي الدمع. يسفح: أي يجري.

يقول: ظللت عند إجابة الدمع أكف دمعي عن السيلان، وأمنعه من الهملان، وظل الدمع يسيل ولا ينقطع، وأمنعه ولا يمتنع، فكان يجري بين عاذل من أصحابي على البكاء، وبين عاذر منهم، لما يرى من شدة صبابتي.

أشكو النّوى ولهم من عبرتي عجبٌ كذاك كانت وما أشكو سوى الكلل

الكلل: جمع الكلة، وهي الحجلة والتاء في كانت: للعبرة.

يقول: كنت أشكو النوى إليهم، وهم يتعجبون من دمعي، وليس ذلك بموضع تعجب؛ لأن الدمع كان هكذا، حين كانت المحبوبة قريبة منين لا يغيبها عن عيني سوى كلل. فالآن وقد بعدت وحالت بيننا المفاوز والبلاد، أجدر أن أبكي، وقوله: كذا كانت خطاب للأصحاب، أي قلت لهم: لا تعجبوا فإني كنت هكذا أبكي وهي قريبة مني.

وما صبابة مشتاق على أمل من اللّقاء كمشتاق بلا أمل

أي كصبابة مشتاق بلا أمل، فحذف المضاف.

يقول: إذا كنت أبكي وهي بالقرب، وكان البعد بيننا كله، فالآن - مع هذا البعد - أولى بالبكاء، لأن الاشتياق، إذا كان مع الأمل من اللقاء، لا يكون في الشدة كالاشتياق إذا كان من غير الأمل! ومثله لأبي تمام:

يصدّون عمّن لو تيقّن أنّه صدود انقطاعٍ لانثنى فتقطّعا

متى تزر قوم من تهوى زيارتها لا يتحفوك بغير البيض والأسل

يقول: إذا زرت قوم حبيبك الذي هواه: جعلوا تحفتك السيوف والرماح، يعني أنهم وإن قصدوني عن زيارتي إياها بالرماح والسيوف، طلباً لقتلي، فإني لا أمتنع عن زيارتها، وقد بين ذلك بقوله.

والهجر أقتل لي ممّا أراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل ؟ !

يقول: إن هجرت زيارتها خوفاً من القتل، فالهجر أشد قتلاً لي، وما أراقب من قومها، ربما قارنته السلامة، وخوفي من قومها كالبلل.

ما بال كلّ فؤادٍ في عشيرتها به الّذي بي وما بي غير منتقل ؟

يقول: ما بال كل قلب من قلوب عشيرتها يحبها ! فبهم مثل ما بي من حبها، وكلنا ثابت الحب لها، غير منتقل الهوى عنها؛ لأنه إذا أخبر أن لكل فؤاد ما بفؤاده ثابت، فقد تضمن ذلك الإخبار عما في قلوبهم من الحب، أنه غير منتقل.

وقيل - وهو الأولى - معناه: أن كل أحد من عشيرتها يحبها مثلما أحبها لا تفاوت بيننا في حبها، فكأننا نحبها بحب واحد، وهذا الحب في قلوبنا أجمع، فكيف يكون وجدي وشوقي في قلب غيري وهو غير منتقل عني، والشيء الواحد لا يحل مكانين في زمان واحد ؟!

مطاعة اللّحظ في الألحاظ مالكةٌ لمقلتيها عظيم الملك في المقل

اللحظ: العين ها هنا.

يقول: إنها ملكت عيون الناس بحسن عينيها، وغنج ألحاظها، فلم تدع عينا أن تتخطاها إلى غيرها، فهي إذاً مطاعة العين فيما بين العيون كلها، وهي مالكة لمقلتيها الملك العظيم فيما بين المقل.

تشبّه الخفرات الآنسات بها في مشيها فينلن الحسن بالحيل

الخفرة: الحيية، والآنسة: التي تأنس محدثها ويأنس هو بها.

يقول: إن النساء الحسان يتشبهن بها في مشيها فيمسن كما تميس هي، فينلن حسن مشيها بالحيل والسرقة، وكأنهن يحاكينها في المشي فقط.

قد ذقت شدّة أيّامي ولذّتها فما حصلت على صابٍ ولا عسل

الصاب: شجر مر.

يقول: جربت أحوال الدهر، وذقت حلاوته ومرارته، فما وجدت لشيء منها حقيقة، لأنه لا يدوم ولا يبقى.

وقد أراني الشّباب الرّوح في بدني وقد أراني المشيب الرّوح في بدلي

فاعل أراني: الشباب، والمشيب والروح مفعوله الثاني، والكناية في أراني مفعوله الأول. والبدل قيل: أراد به غيره من الشبان ومعناه: أني ما دمت شاباً رأيت روحي في بدني، والآن لما شبت أرى الحياة في غير من الشبان، فكأن الروح التي كانت في انتقلت مني إلى غيري.

وقيل: معناه أيقنت عند طلوع الشيب أني قد ندبت إلى فراق الدنيا ليعمرها غيري.

وقيل: أراد بالبدل ولده، أي ما كنت أراه في نفسي من اللذة والروح في الحياة، انتقل مني إلى ولدي،

فصرت أرى في بدلي وهو ولدي الذي يخرج مني، بعد ما كانت في بدني، وكأني قد انتقلت من الدنيا، وقام ولدي مقامي.

وقد طرقت فتاة الحيّ مرتدياً بصاحبٍ غير عزهاةٍ ولا غزل

طرقتها: أتيتها ليلاً والعزهاة: الجافي الذي لا يصبو إلى النساء ولا يرغب فيهم والغزل: ضده.

يقول: ربما زرت حبيبتي ليلا، وأنا متقلد بسيفي، وجعله صاحبه، ثم قال: إن صاحبي لا يكره النساء ولا يميل إليهن، فهو لا عزهاة ولا غزل.

فبات بين تراقينا ندفّعه وليس يعلم بالشّكوى ولا القبل

يقول: ضاجعتها، وعلي سيفي، فبات بيني وبينها، وكنا ندفعه إلى جانب عند المباشرة، وهو لا يعلم ما يجري بيننا من القبل والشكوى.

ثمّ اغتدى وبه من ردعها أثرٌ على ذؤابته والجفن والخلل

الردع: أثر الزعفران وأثر الطيب، وذؤابة السيف: السير الذي في طرف قائمه. والجفن: الغمد.

والخلل: الغاشية التي يغشى بها السيف.

يقول: اغتدى السيف وقد علق به من طيها أثر، وكذلك علق بذؤابته وغمده.

لا أكسب الذّكر إلاّ من مضاربه أو من سنان أصمّ الكعب معتدل

يقول: لا أكسب الذكر الجميل، والثناء الحسن، إلا بحد السيف وسنان الرحم الأصم الكعب، فلهذا لا أفارقه.

جاد الأمير به لي في مواهبه فزانها وكساني الدّرع في الحلل

به: أي بالسيف فزانها: أي زان المواهب.

يقول: هذا السيف الذي لا أكسب الذكر إلا من مضاربه، وهبه لي الأمير في جملة مواهبة، فزان هذا السيف.

وقيل: زان سيف الدولة المواهب، وكذلك كساني الدرع في جملة ما كساني من الحلل.

ومن عليّ بن عبد اللّه معرفتي بحمله، من كعبد اللّه أو كعلي ؟ !

معرفتي: ابتداء. ومن علي بن عبد الله خبره.

يقول: إنما تعلمت حمل السيف من سيف الدولة، ومن يشبه سيف الدولة أو والده في الجود والكرم ؟!

معطى الكواعب والجرد السّلاهب وال بيض القواضب والعسّالة الذّبل

السلاهب: الطوال من الخيل والعسالة: الرماح المضطربة.

يقول: سيف الدولة هو يهب هذه الأشياء كلها.

ضاق الزّمان ووجه الأرض عن ملكٍ ملء الزّمان وملء السّهل والجبل

عن ملك: يعني ملأ الزمان بأفعاله ومناقبه وذكره، وملأ الأرض بخيله ورجله، حتى ضاقت عنه.

فنحن في جذلٍ، والرّوم في وجلٍ والبرّ في شغلٍ، والبحر في خجل

يعني: نحن في سرور من إحسانه إلينا، والروم في خوف من غزوه إليهم، والبر في شغل بخيله وجوده، والبحر في خجل من كثرة عطائه.

من تغلب الغالبين النّاس منصبه ومن عديّ أعادي الجبن والبخل

هو من تغلب، وتغلب من عدي، وروى: العنصر والمنصب، وهما الأصل.

يقول: أصله من تغلب الذين هم يغلبون الناس، ومن عدي أيضاً وهم أعادي البخل والجبن.

أي إنهم في طباعهم الجود والشجاعة.

والمدح لابن أبي الهيجاء تنجده بالجاهليّة عين العيّ والخطل

تنجده: أي تعينه، والخطل: الكلام الفاسد.

يقول: إذا استعنت في مدحه بذكر أيام آبائه، الذين كانوا في الجاهلية وإعانة مدحه بوصفهم عين العي والخطل، لأنك تجد في مناقبه ما لا يحتاج معه إلى ذكر آبائه.

قال ابن جنيك سألته عن هذا، قال: بعض الشعراء قد مدح سيف الدولة بذكر آبائه وأجداده ويعني به: النامي الشاعر.

وقيل: يجوز ألا يراعي السبب في ذلكن غير أنه لما قال فيما قبله من تغلب البيت. عاد إلى مدحه في نفسه، وبين أنه لم يذكر آباءه لاحتياجه إلى ذلك.

ليت المدائح تستوفي مناقبه فما كليبٌ وأهل الأعصر الأول ؟ !

يقول لذلك الشاعر. أو لنفسه: ليت أن الشعر يستوفي فضائله ومآثره، أي أن ما فيه من المناقب لا تحيط به المدائح، فما كليب وغيره من المتقدمين في الأزمنة الخالية بالإضافة إليه، حتى تذكر مناقبهم في مدحه !

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به　　في طلعة الشّمس ما يغنيك عن زحل

يقول: خذ ما قرب منك، ودع ذكر من غاب عنك، ولا سيما القريب منك الذي تشاهده، أكثر مناقب من البعيد الذي سمعت بذكره، وضرب المثل وشبهه بالشمس وأباه بزحل، فإن الشمس أقرب إلينا من زحل، وأبين منه نوراً، وأكثر منه فضلا.

يعني: عليك بمدح سيف الدولة الذي هو كالنور. وهذا البيت من محاسن الشعر.

وقد وجدت مكان القول ذا سعةٍ　　فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

يقول: قد وجدت لمدحك مجالاً، ولمكانك في الوصف مقالاً، فإن كان لك لسان يساعدك، وبيان يطاوعك فامدح. ومثله للنميري:

إذا امتنع المقال عليك فامدح　　أمير المؤمنين تجد مقالا

إنّ الهمام الّذي فخر الأنام به　　خير السّيوف بكفّي خيرة الدّول

خير السيوف: خبر إن.

يقول: إن الملك الهمام الذي يفتخر به الأنام هو خير السيوف بكفي خيرة الدول، وهي دولة الإسلام، لأنه سيفها.

تمسي الأمانيّ صرعى دون مبلغه　　فما يقول لشيءٍ: ليت ذلك لي

يقول: إنه بلغ فوق ما يتمناه، فلا يرى شيئاً لم يصل إليه، فيتمنى أن يكون له ! بل إذا تمنى شيئاً وصل إليه، وإلى ما هو خير منه.

ومعنى قوله: تمسي الأماني صرعى دون مبلغه معنى بديعي، لأبلغ مبلغاً، كل أمنية ساقطة دونه، فلا يحتاج أن يتمناها مع تجاوزه عنها، وهو في هذا ينظر إلى قول عنترة العبسي.

ألا قاتل اللّه الطّلول البواليا　　وقاتل ذكراك السّنين الخواليا

وقيلك للشّيء الّذي لا تناله　　إذا ما حلافي العين: يا ليت ذاليا !

انظر إذا اجتمع السّيفان في رهجٍ　　إلى اختلافهما في الخلق والعمل

الرهج: الغبار.

يقول: إذا ارتفع غبار الحرب، فانظر إلى سيف الدولة، وإلى السيف الذي في يده؛ لتعرف فضل ما بينهما خلقاً وعملا، يعني أنه وإن شارك السيف في الاسم، فهو مخالف له في الخلق والعمل والمضاء، والعزم والفناء.

هذا المعدّ الدّهر منصلتاً أعدّ هذا الرّأس الفارس البطل

أعد: فاعله المعد لريت الدهر. والمنصلت: المتجرد من الغمد، ومنصلتاً نصب على الحال.

يقول: إن سيف الدولة سيف جعله الخليفة عدته لحوادث الدهر، وهذا السيف قد اتخذ سيف الحديد عدة للحرب، ليضرب رءوس الأبطال، فهذا الأول إشارة إلى سيف الدولة والثاني إشارة إلى سيف الحديد.

فالعرب منه مع الكدريّ طائرةٌ والرّوم طائرةٌ منه مع الحجل

الكدري: ضرب من القطا، تضرب ألوانها إلى الكدرة والحجل: القبج.

يقول: إن الروم والعرب هربت منك، والتجأت إلى البوادي والجبال، فالعرب هاربة إلى البوادي مع القطا، والروم إلى الجبال مع القبج.

وخص العرب بالقط؛ لأنها تكون في بلاد العرب دون الروم، وخص الروم بالحجل، لأنها تكون في بلاد الروم وجبالها.

وما الفرار إلى الأجبال من أسدٍ تمشي النّعام به في معقل الوعل

الضمير في به للأسد، وأراد به: سيف الدولة، وأراد بالنعام ها هنا الخيل خيل سيف الدولة العراب.

يقول: كيف يمنع الروم فرارها إلى الأجبال من أسد تمشي به الخيل في الجبل التي هي معقل الوعل.

شبه الخيل بالنعام لسرعتها. وفيه إشارة إلى أنه لا يمتنع عليه أمر رامه؛ لأنه إذا أمكنه أن يبلغ بالنعا وهي سهلية إلى رءوس الجبال، فكيف يقدرون على التحرز منه في معقل الأوعال.

وقيل: معناه أن سيف الدولة لو ركب النعام مشت به في معاقل الأوعال، مع أنها من طير السهل، لأنه قد سهل له كل صعب.

وقيل: أراد بالنعام حقيقتها. ومعناه: أنه قد أحوج النعام التي هي من طيور السهل إلى الفرار منه ومن جيشه إلى رءوس الجبال.

جاز الدّروب إلى ما خلف خرشنةٍ وزال عنها وذاك الرّوع لم يزل

الدروب: مضايق الروم. وقيل: هي دروب الروم. وقيل: موضع بعينه. وخرشنة: بلد في الروم.

يقول: دخل بلاد الروم حتى جاوز الدروب والمضايق، وخلف خرشنة وراء ظهره، ثم عاد منها بعد الإغارة والسبي وخوفه بعد في قلوبهم لم يزل عنهم.

فكلّما حلمت عذراء عندهم   فإنّما حلمت بالسّبي والجمل

يقول: قد تمكن رعبك في قلوبهم، فالبكر منهم ترى في نومها أنها تسبي؛ لتمكن ذلك في نفسها في حال اليقظة، فهي تراه في المنام، أو ترى الجمل؛ لأنه لا يكون في بلاد الروم، فالنفس له أنكر والطباع منه أنفر.

وقيل: خص الجمل؛ لأنها إذا سبيت تحمل على الإبل.

وقيل: معناه أنهن يسبين صغاراً فيحملن على الجمال إلى عند أصحاب سيف الدولة؛ لأنها أصحاب جمالز ومثله لعلي بن جبلة:

وعلى عدوّك يا ابن عمّ محمّدٍ   رصدان: ضوء الصّبح والإظلام

ومثل ذلك لأبي الطيب:

يرى في النّوم رمحك في كلاه   ويفرق أن يراه في السّهاد

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزي بذلوا   منها رضاك ومن للعور بالحول !؟

الجزي: جمع جزية يقول: إن كنت ترضى منهم بالجزية، أعطوك منها ما تطلب، فهم يتمنون ذلك، كما يتمنى الأعور الحول، لأن الجزية خير لهم وأحب في أنفسهم من السبي والقتل، كما أن الحول خير من العور.

ناديت مجدك في شعري وقد صدرا   يا غير منتحلٍ في غير منتحل

صدرا: راجع إلى مجد سيف الدولة وشعر المتنبي، وفيه إشارة إلى أنهما ليسا بمستحدثين، ولو قال: وردا لأوهم ذلك، والانتحال: ادعاء الشيء كذباً.

يقول: ناديت مجدك فيما أقوله في مدائحك، فقلت في ندائي: يا مجداً غير منتحل في شعر غير منتحل.

يعني: أن مجدك حقيقة لك لم تنتحله، كما أن شعري كذلك غير منتحل.

وقوله: قد صدرا أي صدر الشعر مني والمجد منك ويجوز أن يريج صدر الشعر، والمجد من فعلك، إذ لولا عطاؤك لما كان مني مدح.

بالشّرق والغرب أقوامٌ نحبّهم   فطالعاهم وكونا أبلغ الرّسل

يقول، قلت لمجدك وشعري لما سارا في البلاد: إن في الشرق والغرب لي أحبة، فأبلغا أحبتي عند سيف الدولة.

وذلك إشارة إلى اشتهار المجد والشعر، إلا أنه لما كان مشتملا على ذكره مجده، كان المجد أيضاً سائراً بسيره ومشتهراً باشتهاره. وقد بين تتمة الرسالة فيما يليه فقال:

وعرّفاهم بأنّي في مكارمه أقلّب الطّرف بين الخيل والخول

الخول: جمع الخائل، وهو الخادم.

يقول للمجد والشعر: عرفا أحبتي ما أنا فيه من الكرامة، وما أعطاني الأمير من الخيل والعبيد.

يا أيّها المحسن المشكور من جهتي والشّكر من قبل الإحسان لا قبلي

يقول: أحسنت إلي وشكرت على إحسانك إلي، فالشكر من جهة إحسانك لا من جهتي، فكأنه هو الشاكر دوني.

ما كان نومي إلاّ معرفتي بأنّ رأيك لا يؤتى من الزّلل

أقام النوم مقام الغلفة والسهو، يعتذر مما بدر منه في القصيدة الميمية.

يقول: ما نمت عما وجب من صيانة مدحك، عن خلطه بالعتاب المؤلم، إلا بعد ثقتي باحتمالك وحلمك، وأنك لا تعجل علي بعقوبتك. وفوق ها هنا ظرف كما تقول: نمت فوق السرير. وقيل: إنه صفة لمصدر محذوف، أي لما وثقت بحلمك وعلمت أنك لا تزل في رأيك، تسحبت في العتاب تسحباً فوق ما عرفته من ثبات رأيك.

وقيل: معناه يا أيها الملك الذي أحسن إلي وشكرته على إحسانه، ما لحقني السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسي إلى فضلك، وأنك لا تزل في رأيك.

أقل، أنل، أقطع، أحمل، علّ، سلّ، أعد زد، هشّ، بشّ، تفضّل، أدن، سرّ، صل

أقل: من الإقالة من العثرة، والعفو عن الزلل. أنل: من الإنالة، وهو إسداء العطية. أقطع من الإقطاع. أحمل: من حملته على فرسي، ومنه قوله تعالى: "ولا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ". عل: من إعلاء المحل. يقال: عليت منزلته، وأعليتها. سل: من تسلية الهموم أعد: من الإعادة إلى العادة الأولى. زد: من الزيادة. وهش بش من الهشاشة، والبشاشة، وهما: التهلل، واللقاء بالبشر، والطلاقة. تفضل: من تفضل فلان على صاحبه. أدن: من الإدناء وهو التقريب. وسر: من سررته أسره. صل: من الصلة وهي العطية، أو من المواصلة وهي المقاربة.

ومعنى هذه الكلمات: إما دعاء لسيف الدولة. أي لا زلت أبداً تقيل عثرة من يبغي من أصحابك

وتنيل أولياءك وتقطعهم ضياعك، وتحملهم على خيلك إلى آخر البيت.

وإما للسؤال والطلب، فالمعنى: أقلني من عثرتي، وأنلني من فضلك، وأقطعني ضيعة من ضياعك، واحملني على فرس من خيلك، وعل مترلتي عندك، وسل ما حصل في قلبك من غش، أو سل ما في قلبي من الهم بإعراضك عني، وأعدني ما كنت عليه من المترلة، وسرني إلى الإجابة إلى ما سألتك وقيل سر قلبي برضاء عني، وصلني بصلة من صلاتك، أو صل ما بيني وبينك.

ويحكى أن سيف الدولة وقع بخطه تحت أقل أقلناك. وتحت أنل يحمل إليه كذا وكذا ألف درهم، وتحت أقطع أقطعناك الضيعة الفلانية بباب حلب، وتحت أحمل يقاد إليه فرس مركب وتحت عل قد فعلنا وتحت سل قد فعلنا فاسأل، وتحت أعد أعدناك إلى حالك من حسن رأينان وتحد زد يزاد كذا وكذا، وتحت تفضل قد فعلنا، وتحت أدن قد أدنيناك وتحت سر قد سررناك.

فقال أبو الطيب: إنما قلت هب سرّية لي فأمر بجارية له، وتحت سل قد فعلنا.

ويحكى أن المعقلي وكان شيخاً ظريفاً قال لسيف الدولة: قد فعلت به كل شيء سألك، فهلا قلت: لما قال: هش بش هئ هئ: يحكى الضحك، فضحك سيف الدولة وقال: اذهب يا ملعون.

لعلّ عتبك محمودٌ عواقبه فربّما صحّت الأجسام بالعلل

يقول: لعلي أتأدب بعد عتبك علي، ثم بعد عفوك عني هذه الكرة، فيكون عتبك علي تهذيباً لأدبي، ويؤدي إلى العاقبة المحمودة، كما أن بعض العلل يكون محمود العاقبة، لما يؤمن معه من الأمراض، كالزكام، فإنه يؤمن معه من أدواء كثيرة من أدواء الرأس، ويعقبه الصحة. كالفتور الذي ينال شارب الدواء ثم يتعقبه صحة كثيرة وكضرب المؤدب للغلام.

قال ابن جني: وهذا من الكلام الذي يقضي بفضله كل من فهمه.

وما سمعت ولا غيري بمقتدرأذبّ منك لزور القول عن رجل

عن رجل: عني به نفسه، كأنه كان قد كذب عليه بعض حاسديه عند سيف الدولة، ولم يقبل قوله، ولكنه عاتبه على ذلك من غير علم هذا الحاسد. فقال: لم أسمع أنا ولا غيري بملك يقتدر على الانتقام. أذب منك لزور القول عن رجل سعى إليك بزور القول.

لأن حلمك حلمٌ لا تكلّفه ليس التحكّل في العينين كالكحل

الكحل: أن تكون أشفار العين سوداً خلقةً. والتكحل: استعمال الكحل.

يقول: إنما توقف على أمر من يسعى عندك، لن حلمك في طباعك غير متكلف، فلا يتغير بسعاية

ساع، كما يتغير الحكم التكلفي. فحلمك ثابت لا يزول، كما أن الحكل في العين إذا كان خلقة لا يزول ولا يحول، وحلم غيرك من الملوك متكلف سريع الانتقال، كما أن التكحل لا دوام له.

وما ثناك كلام النّاس عن كرمٍ ومن يسدّ طريق العارض الهطل ؟ !

ما ثناك: ما صرفك. والهطل: المتتابع، وروى: ومن يرد ومن يسد شبه كرمه بالعارض الهطل فقال: فكما أن أحداً لا يمكنه سد طريق العارض الهطل، كذلك لا يمكن أحد أن يمنعك من استعمال الكرم.

أنت الجواد بلا منٍّ ولا كدرٍ ولا مطالٍ و ى وعدٍ ولا مذل

المذل: الضجر من الشيء.

يقول: أنت الجواد الذي لا يمن بعطائه، ولا يكدر معروفه بالمن وغيره، وليس في عطائه مطل ولا مدافعة ولا وعد، بل يعطى العطية ابتداء، ولا يضجر من جوده ولا يندم.

وقيل: معناه أن يجود بالتثبت والسكون، لا بالطيش والخفة.

أنت الشّجاع إذا ما لم يطأ فارسٌ غير السّنّور والأشلاء والقلل

السنور: قيل: جميع السلاح، وقيل: ما يلبس من السلاح، كالدروع ونحوها، والأشلاء: جمع شلو، وهو جسد المقتول. والقلل: الرءوس

يقول: أنت الشجاع المشهور، في حال لا يقع حافر فرسه إلا على أجساد القتلى، ورءوسهم وسلاحهم.

وردّ بعض القنا بعضاً مقارعةً كأنّه من نفوس القوم في جدل

يقول: أنت الشجاع إذا ضاق المجال، وقرع القنا بعضه بعضاً، فصار الرمح يرد الآخر عن الطعن، كما يرد الخصم حجة خصمه.

شبه النفوس بالمعاني، والرماح بالحجج، والاعتراضات التي تدور بين الخصمين والحرب بالجدال. وهذا البيت متصل بالذي قبله.

والمعنى: يعني أنه الفارس الشجاع في جميع الأحوال.

لا زلت تضرب من عاداك عن عرضٍ بعاجل النّصر في مستأخر الأجل

عن عرض: أي عن يمنة ويسرة، وهو متعلق بقوله تضرب.

يقول: لا زلت تضرب أعداءك معترضاً لهم بسيفك، والله يؤيدك بنصر قد عجله لك، وأجل قد أخره

الله عنك، فكأنه أخر الله أجلك، وعجل نصرك.

فاستحسن سيف الدولة ومن حضره القصيدة هذه وأطنبوا في وصفها، فقال ارتجالا:

إنّ هذا الشّعر في الشّعر ملك سار فهو الشّمس والدّنيا فلك

يقول: شعري ملك الشعر، كما أنك ملكت الخلق، وهو شمس يسير في الدنيا، كما تسير الشمس في الفلك.

عدل الرّحمن فيه بيننا فقضى اللّفظ لي والحمد لك

يقول: عدل الله تعالى في قسمه هذا الشعر بيني وبينك، فأعطاني لفظه، وأعطاك معناه. وهو الحمد والثناء.

فإذا مرّ بأذني حاسدٍ صر ممّن كان حيّا فهلك

يقول: إذا سمعه من يحسدك على مجدك، ومن يحسدني على فضلي، غلب على قلبه الحسد، فأهلكه، فيهلك بسببه.

ولم أنشده: أقل أنل رأى قوماً يعدون ألفاظه فزاد فيه وأنشده.

أقل، أنل، أن، صن، احمل، علّ، سلّ، أعد زد، هش بشّ، هب، اغفر، أدن، سرّ، صل

أن: أمر من الأون، وهو الرفق. وصن أمر من الصيانة، والمراد به حفظ الجاه.

فرآهم يستكثرون الحروف فقال. يظهر مقدرته على جمع كلمات كثيرة في بيت واحد.

عش، ابق، اسم، سد، قد، جد، مر، انه، ره، فه، اسر، نل غظ، ارم، صب، احم، اغز، اسب، رع، زع، ده، له، اثن، بل

عش: من العيش، وابق: من البقاء، واسم: من السمو. وسد: من السيادة، وقد: من قاد الجيش، وجد: من الجود، ومر: من الأمر بالشيء، وانه: من النهي، أي لا زلت آمراً ناهياً. وره: من وريته أريه، وهو داء في الجوف، أي أصب اعدو بهذه الآفة. وفه: من الوفاء بالعهد، واسر: من السرية، أي جهز الجيش إلى الأعداء.

وقيل: معناه الدعاء، أي لا زلت أبداً تسري إلى أعدائك. ونل: من النيل، وهو الإدراك، أي لا زلت تدرك من أعدائك إرادتك، ويجوز نل بضم النون من نلته: أي أعطيته. وغظ: أي غظ حسادك بما يرون من إقبال دولتك وارم: من يكيدك. وصب: من صاب السهم الهدف، أي أصابه، أي لا زلت ترمي أعداءك فتصيب مقاتلهم. واحم: من حميت الرجل إذا منعته، أي احفظ حوزتك. واغز: من الغزو. واسب: من السبي أي لا زلت أبداً تغزو الأعداء، وتسبي زراريهم. ورع: أي أفزع أعداءك،

أي لا زلت كذلك. ز ع: أي كف شر أعدائك. ده: من وديت القتيل، إذا أعطيت ديته، أي لا زلت تحمل الدية عن القاتل لكرمك. له، من الولاية، أي لا زلت تلي الولايات. واثن: أي اصرف أضدادك عن الوصول إليك: وقيل اثن من ثنيت الفعل إذا فعل مرة بعد مرة. أي لا زلت كلما وليت ولاية ثنيتها بأخرى، وشفعتها بما هو خير منها، وبل: من الوبل. وهو المطر إذا اشتد، أي لا زلت تعطي عطاء كالوابل.

وهذا البيت لم يسبقه أحد إلى مثله. ولا لحقه أحد فيه، وهو مركب من أربع وعشرين كلمة، وهي مع ذلك فصيحة، وقد قال قبله عدة من الشعراء فلم يزيدوا على عشر كلمات كقول أبو العميثل:

اصدق، وعفّ، وبر، واصبر، واحتمل واحلم، ودار، وكاف، وانصر، واسمع

والأصل قول امرئ القيس:

أفاد، وجاد، وساد، وحاد وقاد، وباد، وعاد، وأفضل

فقال سيف الدولة: أيمكن أكثر من هذا ؟! فقال: نعم ولكن يغيظ جداً

وهذا دعاء لو سكتّ كفيته لأني سألت الله فيك وقد فعل

أي هذا الدعاء أمر زائد، لأن كلما سألت الله فيك، قد فعله الله فيك، فلو سكت كنت كفيته.

وقال أيضاً وقد حضر مجلس سيف الدولة في شوال سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة، وبين يديه طلع ونارنج، وهو يمتحن الفرسان فقال لابن جش وهو شيخ المصيصة وكان عالماً: لا يتوهم أن هذا للشرب. فقال أبو الطيب ارتجالا:

شديد البعد من شرب الشّمول ترنج الهند أو طلع النّخيل

الشمول: الخمرة. وسميت بذلك لأنها تشمل عقل شاربها، وقيل: لأنها تجتمع شمل الندامى عليها.
والترنج: جمع ترنجة، وهي لغة. والأصح: الأترج، والأتجة. والطلع: الثمر: أول ما يخرج وهو في كمة، وكان الذي بين يدي سيف الدولة هو نارنج فسماه أترجاً، لأنه نوع من أنواعه.
يقول: هذا الطلع والأرتج بعيد من الشرب عليه، لم يحضر لذلك. قوله: ترنج الهند مبتدأ، وشديد البعد خبره مقدم عليه.
وقال ابن جني: في الكلام حذف. فقوله شديد البعد خبر ابتداء محذوف، أي أنت شديد البعد. وقوله: ترنج الهند: مبتدأ، وخبره محذوف: أي عندك، أو في مجلسك، أو بين يديك ترند الهند. وعلى الوجه

الأول لا حذف فيه، وهو أولى وأو في قوله: أو طلعب النخيل بمعنى الواو، كما قيل في قوله تعالى: "أَوْيزيدونَ".

ولكن كلّ شيءٍ فيه طيبٌ لديك من الدّقيق إلى الجليل

يعني: أنك لم تحضر هذا لأجل الشرب، ولكن لأجل طيبه، وكل شيء فيه طيب دق أو جل، فهو عندك وبين يديك.

وميدان الفصاحة والقوافي وممتحن الفوارس والخيول

ممتحن: يجوز أن يكون موضع الامتحان، ويجوز أن يكون مصدراً كالامتحان.

يقول: عندك أيضاً مجال الفصاحة، والأشعار، لمعرفتك بهما، وعندك موضع امتحان الفوارس والخيل، لأنك أعرف الناس بهذه الأشياء كلها.

فلم يتبين معنى البيت الأول لقوم حضروا فقال يرد على من أنك عليه استعمال لفظ: الترنج:

أتيت بمنطق العرب الأصيل وكان بقدر ما عانيت قيلي

الأصيل: هنا القوى المكين الذي له أصل.

يقول: إنما نطقت بكلام العرب الفصيح، وكان وصفي بقدر ما شاهدته ورأيته في الحال.

فعارضه كلامٌ كان منه بمنزلة النّساء من البعول

أي تعرض له وناقضه، والهاء في منه تعود إلى منطق العرب وكذلك في قوله: فعارضه.

يقول: عارض قولي الفصيح قول ركيك ضعيف لكان كلامي ذكر، وكلام من عارضني أنثى. وهذا كقول الراجز:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البشر

شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وهذا الدّرّ مأمون التّشظّي وأنت السّيف مأمون الفلول

التشظي: التكسر، والتشقق يقول: كلامي در مخالف للدر الحقيقي؛ لأن الدر غير مأمون التشظي، وكلامي لا يقع فيه خلل. كما أنك سيف لا يخاف عليك الفلول فهو سالم عن كل عيب بخلاف سائر السيوف.

وليس يصحّ في الأفهام شيءٌ إذا احتاج النّهار إلى دليل

يعني: إنما يقام الدليل على الشيء الخفي، فأما الظاهر الجلي، فهو بمترلة النهار الذي لا يحتاج إلى الدليل، لأن كل من رآه عرفه، ومن خفي عليه ضوء النهار، فلا فائدة لإقامة الدلالة في حقه، إذ المعاينه أقوى، والمشاهدة أولى، وهذا كقول البحتري:

عليّ نحت القوافي من معادنها وما عليّ إذا لم تفهم البقر

وقال أيضاً وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم، وقد ورد يلتمس الفداء، وركب الغلمان بالتجافيف، وأحضروا لبؤة مقتوله، ومعها ثلاثة أشبال أحياء، وألقوها بين يديه، فقال ارتجالا لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة:

لقيت العفاة بآمالها وزرت العداة بآجالها

العفاة: طلاب المعروف.

يقول داعيا: لا زلت تلقى العفاة بآمالها، يعني إذا لقيتهم أعطيتهم وأغنيتهم، ولا زلت تقصد أعداءك وتفنيهم.

وأقبلت الرّوم تمشي إلي ك بين اللّيوث وأشبالها

أطلق لفظ الروم جملة على رسولهم، لما كان منهم.

يقول: إن الروم قصدت إليك تمشي بين الليوث المقتولة، وأولادها. وجعل الليوث: لبؤة.

إذا رأت الأسد مسبيّةً فأين تفرّ بأطفالها ؟

يقول: إذ رأتك الروم وأنت تقتل الليوث وتسبي أولادها، علمت أنها لا تقدر على الفرار بأولادها الصغار، وإنما قال: مسبيه لأنها كانت أحياء.

وقال أيضاً يذكر الفداء الذي التمسه الرسول، وكتاب ملك الروم الوارد معه.

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحبّ ما لم يبق منّي وما بقي

ما يلقى: مبتدأ بمعنى الذي. ولعنيك: خبر مقدم عليه، وكذل المصراع الثاني يقول: كل شيء لقي قلبي من ألم الشوق فيما مضى، وفيما يلقاه من بعد فهو بسبب عينيك، ولأجل حسنها.

وقيل: يعني حلال لعينيك ما لقيته وما ألقاه، والمراد جعلت قلبي لعينيك، فكل ما يمر عليه معفو عنه.

وقيل: أراد، ظاهر لعينيك ما يلقاه فؤادي وما لقيته، وكذلك في المصراع الثاني. إني ما لقيت من نحول جسمي، وهزال بدني، وما بقي منه، فهو لأجل حبك، أو هو حلال، أو ظاهر للحب.

وقيل: أراد كأن الحب ملكه يتصرف فيه تصرف الملاك في الأملاك، فأذهب بعض جسمه بالهزال، وأبقى بعضه وقيل: أذهب قوتي وأبقى جسمي.

وقيل: أراد عمري الذي مضى وبقي. وقيل: أراد بما بقي روحه وبما لم يبق جسمه.

وما كنت ممّن يدخل العشق قلبه ولكنّ من يبصر جفونك يعشق

يقول: لم أكن ممن يميل به أسباب الهوى، ولكني لما أبصرت جفونك، وغنج عينيك صرت عاشقاً لك.

وبين الرّضا والسّخط والقرب والنّوى مجالٌ لدمع المقه المترقرق

يقول: لا أزال أبكي في حال رضي الحبيب، خوفاً من سخطه، وفي حال سخطه، لحصوله، وفي حال القرب، خوفا من النوى، وفي حال النوى لحصولها، فبين كل شيء من هذه الأحوال مجال لدمع السائل. ومثله لآخر.

فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق

وأحلى الهوى ما شكّ في الوصل ربّه وفي الهجر، فهو الدّهر يرجو ويتّقي

أحلى الهوى: ما يشوبه الخوف والرجاء، حتى يكون العاشق مرة خائفاً ومرة راجياً، فلا يشفى بالوصل، فيزدري ذلك بحلاوته، ويؤدي إلى الملال، ولا ييئس من الوصل رأسا، فيؤدي ذلك إلى شدة الحزن الذي يؤدي إلى الهلاك فحالة الشك والتردد في الهجر والوصل، والوقوف بين حالتي الخوف والرجاء، ألذ أحوال الهوى.

وغضبي من الإدلال سكرى من الصّبا شفعت إليها من شبابي بريّق

ريق كل شيء: أوله.

يقول: رب جارية غضبي، غضب الدلال لا غضب الهجران، فكانت من الإدلال غضبي ومن الشباب سكرى، توسلت إليها بريق شبابي، فوصلت منها إلى ما أحب، أي نظرت إلي فعشقتني، لأجل شبابي، وساعدتني على مرادي، فكأن الشباب كان شفيعاً عندها.

وأشنب معسول الثّنيّات واضحٍ سترت فمي عنه فقبّل مفرقي

الأشنب الثّغر: الذي له شنب، وهو برد الأسنان. وقيل: إنه حدة الأسنان، وقد جعله صفة لشخص: أي ورب حبيب ذي ثغر أشنب. والمعسول: الحلو، كأنه جعل فيه العسل. والواضح: الأبيض المضيء.

يقول: ما زلت أطلب العفاف، حتى في حال الخلوة مع الحبيب، ورب حبيب ثناياه باردة عذبة، حلوة

الترشف، عففت عنه حين خلوت به، وأراد أن يقبل فمي، فسترت فمي عنه، لأنه موضع التلذذ بالقبلة، فقبل مفرقي ليدل إلي فلم أستر المفرق، لأن ذلك للعظمة لا للذة.

وأجياد غزلانٍ كجيدك زرنني فلم أتبيّن عاطلاً من مطوّق

العاطل: الذي لا حلى عليه. والمطوق: اللابس للطوق يقول: رب نساء مثلك كأن أجيادهن أجياد الغزلان، جئن لزيارتي، فلم أنظر إليهن وإلى أجيادهن، لعفتي، حتى لم أتبين العاطل منهن من المطوق. والمقصد وصف نفسه بالعفة.

وما كلّ من يهوى يعفّ إذا خلا عفافي ويرضى الحبّ والخيل تلتقي

إني إذا خلوت عففت، وكذلك أنا أرضى حبيبي في حال التقاء الخيل، لشجاعتي، لأن. المرأة من العرب يعجبها أن يكون خليلها شجاعاً مقداماً. وقيل: أراد بإرضائه الحبيب في حالة الحرب: الدفع عنه. والذب دونه، كقول عمرو بن كلثوم:

يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا

إذا لم تمنعنّ فلا بقينا لشيءٍ بعدهنّ ولا حيينا

وقال المخزومي في معنى البيت: هو أن يقول أعف كرماً وأكتم هواي، فإني أرعى الهوى وأحافظ عليه في ملتقى الخيل، والمراد بإرضاء الحبيب رعاية الهوى، وفي ذلك خصلتان: إحداهما: الدلالة على أن الهوى عند ذوي الوفاء لا يشغل عند الشدائد كقول أبو عطاء:

ذكرتك والخطّى يخطر بيننا وقد نهلت منّا المثقّفة السّمر

وكقول الآخر:

ولقد ذكرتك والسّياط تنوشني عند الإمام وساعدي مغلول

ولقد ذكرتك والّذي أنا عبده والسّيف عند ذؤابتي مسلول

والثانية: الدلالة على كونه رابط الجأش عند التحام القتال، حتى لم يشتغل خاطره عن الهوى في ذلك الحال.

سقى اللّه أيّام الصّبا ما يسرّها ويفعل فعل البابليّ المعتّق

البابلي: منسوب إلى بابل، وهي أرض العراق، وأراد به الشراب، والمعتق: القديم، ويفعل: أي وما يفعل. وقوله: ما يسرها يحتمل معنين: أحدهما: سقى الله من الغيث قدر ما يبلغ مرادها من الري، حتى لا يكون قاصراً عن إرادها، ولا زائداً عن حاجتها فيكون مثل قول الآخر:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الرّبيع وديمةٌ تهمى

الثاني: أهدى إليها السرور، كما سررنا بها، وذلك أنه رأى أن دعاءه للصبا بالسقيا لا معنى له، لأنها أوقات وزمان، فقال: سقاها الله شيئاً يهدي إليها السرور والارتياح، يفعل بها فعل الشراب، فكأنه قال: سقاها الله خمراً يسرها.

إذا ما لبست الدّهر مستمتعاً به تخرّقت والملبوس لم يتخرّق

يقول: إذا كنت لابساً للدهر، وتستمتع به وتعيش فيه، تخرقت أنت، والملبوس الذي هو الدهر، لم يتخرق، بل يكون أبداً جديداً، بخلاف سائر الملابس، فأنت تبليها وتخرقها، وهو يبلي الأبدان، ويفنيها وهذا مثل قوله:

تغيّر حالي والليالي بحالها

ونحو قول ابن دريد:

إنّ الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياه للبلى

وقول الآخر:

وأفناني ولا بقيا نهاراً وليل كلّما يمضي يعود

ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهم بعصن بكلّ القتل من كلّ مشفق

المشفق: قيل من الشفقة، التي ترجع إلى معنى المحبة.

يعني: كنت إذا نظرت إليهن ونظرن إلي قتلنني وقتلتهن من خوف الفراق، وما منا إلا مشفق على صاحبه، فلم أر أعجب من الألحاظ، كيف اجتمع فيها القتل والشفقة !؟ فكأنه من قول الشاعر:

ونبكي حين نقتلكم عليكم ونقتلكم كأنّا لا نبالي

وقيل: المشفق: الخائف، ومعناه بعثت الألحاظ من كل خائف من ألم الفراق، كل أنواع القتل لأنها أبكتهم فسفكت دماءهم وأماتتهم.

أدرن عيوناً حائراتٍ كأنّها مركّبةٌ أحداقها فوق زئبق

الضمير في أدرن للألحاظ، وروى: أدرنا.

يقول: كنا نقلب عيوناً حائرات عند وداعنا، لا تبصر شيئاً مما دهانا من ألم الفراق، فكأها من كثرة حركاها وقلة استقرارها مركبة على الزئبق، لأن طبعه الحركة. وقيل: الحيرة ليست لامتناع الرؤية، وإنما هي لاجتماع ظهور الدمع في العين وغلبته.

وقيل: معنى البيت كنا نقلب عيوننا في النظر تارة إلى العذال وتارة إلى الأحباب، فكانت لا تستقر، كأها ركبت فوق زئبق.

عشيّة يعدونا عن النّظر البكى | وعن لذّة التّوديع خوف التّفرّق

يعدونا: أي يصرفنا.

يقول: كانت هذه الحالة وقت العشية حين كان البكاء يمنعنا من النظر، وخوف الفراق يمنعنا من التلذذ بالوداع والعناق.

نودّعهم والبين فينا كأنّه | قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

الفيلق: العسكر، قلب، أي وسط.

يقول: كنا نودع الأحباب، في الحال التي كان البين يفعل في قلوبنا من التفريق مثل ما تفعل رماح سيف الدولة في قلب عساكر الأعداء من التفريق والقتل.

قواضٍ مواضٍ نسج داود عندها | إذا وقعت فيه كنسج الخدرنق

أي هذه القنا قواض: يعني تقضي بالموت وتمضي في الأعداء، أي لا يردها شيء إذا وقعت في الدروع المنسوبة إلى داود، وتمضي فيها، كما تنفذ في نسج العنكبوت والخدرنق: العنكبوت، والتأنيث في البيت للقنا والهاء في فيه لنسج داود، وموضع قواض رفع لأنه خبر ابتداء محذوف: أي هذه القنا قواض مواض، كما تقول: هذا حلو حامض.

وقيل: هو ابتداء الكلام. والمراد أداء السيوف، والأول أظهر.

هوادٍ لأملاك الجيوش كأنّها | تخيّر أرواح الكماة وتنتقي

هواد: جمع هادية، وقيل: هو من هديت فلاناً إذا أرشدته، ومعناه أن هذه الرماح ترشد الموت، أي هديه إلى الملوك وقواد الجيش، فكأها تتخير أرواح الكماة، وتنتقي نفوس الأملاك دون من عداهم.

وقيل: من هدى بمعنى اهتدى، فإن هدى واهتدى بمعنى، أي إن هذه القنا هتدي إلى الملوك فتقتلهم.

تفكّ عليهم كلّ درعٍ وجوشنٍ | وتفري إليهم كلّ سورٍ وخندق

روى تفك أي تحل، وتقد: أي تقطع. وتفري: أي تقطع.

يقول: هذه الرماح تقطع على الكماة والملوك دروعهم وجواشنهم، وتخرق إليهم الحصون والأسوار والخنادق حتى تصل إليهم، وتفتح بلادهم.

يغير بها بين اللّقان وواسطٍ ويركزها بين الفرات وجلّق،

اللقان: موضع ببلد الروم، وقيل: جبل. وواسط: مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف والفرات: معروف يجيء من بلاد الروم، ويمر على أطراف الشام، حتى ينتهي إلى العراق، ويلتقي مع دجلة أسفل بغداد فيصيران نهراً واحداً، ويمران على البصرة ثم إلى البحر. وجلق: موضع بدمشق.
يعني لا يزال أبداً يغير برماحه مرة في بلاد الروم، ومرة على البوادي التي في العراق، ويركزها بين الفرات وجلق، لأنها دار مملكته ومعدن ولايته.

ويرجعها حمراً كأنّ صحيحها يبكّي دماً من رحمة المتدقّق

المتدقق: المتكسر، يقال: اندق الرمح، إذا انكسر، ولا يستعمل الأندقاق إلا فيما كان فيه طول، مثل الرمح ونحوه، ويقال: سقط فلان فاندقت عنقه.
يقول: يرجع هو رماحه من الغارات وقد احمرت بالدم، وبعضها قد تكسر في بدن الأعداء، فكأن الصحيح منها يبكي دماً على ما تكسر منها، حزناً عليها، لأنه من جنسه، ودماً نصب على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولاً به عن فعل مضمر، دل عليه. يبكي أي يبكي فيجري دماً.

فلا تبلغاه ما أقول فإنّه شجاعٌ متى يذكر له الطّعن يشتق

يقول: لا تبلغا يا صاحبي سيف الدولة ما أقول، فإنه شجاع، إذا سمع وصف الشجاعة اشتاق إليها.
وهذا بيت كثير نقله من النسيب إلى الشجاعة، وهو:

فلا تذكراه الحاجبية يشتق

وهذه السرقة قبيحة، لأنه أخذ المعنى واللفظ والوزن والقافية.

ضروبٌ بأطراف السّيوف بنانه لعوبٌ بأطراف الكلام المشقّق

روى بصير ولعوب والمشقق: الكلام الذي له خط في كل شق. ويقال: فلان يشقق في كلامه. إذا تصرف في معانيه. وقيل: هو المشق من المشة، أي يشق على غير الفصيح التكلم به. يصفه بالشجاعة والفصاحة.

كسائله من يسأل الغيث قطرةً كعاذله من قال للفلك: ارفق

يقول: هو يجود بالطبع، فمن يسأله كمن يسأل الغيث قطرة.

وقيل: معناه كما أن القطرة لا تؤثر في الغيث، كذلك سائله لا يؤثر في جوده وماله، وكذلك من يعذله على كرمه، لكونه مطبوعاً عليه، كمن يعذل الفلك على دوره. وقال له: ارفق في الحركة.

وقيل: إن من يسأل الغيث قطرة، فقد تكلف ما قد استغنى عنه، وأتى غيثاً، إذ قطراته مبذولة، فكذلك سائل سيف الدولة يتكلف ما لا يحتاج إليه، لأنه يعطى قبل السؤال، فنائله مبذول كقطر الغيث.

لقد جدت حتّى جدت في كلّ ملّةٍ وحتى أتاك الحمد من كلّ منطق

أي: من كل ذي منطق.

يقول: عممت بجودك أهل الإسلام، وأهل الشرك، فحصل لك الشكر من كل ذي منطق.

جعل إجابته إلى الصلح، فضلاً منه على الروم.

رأى ملك الرّوم ارتياحك للنّدى فقام مقام المجتدي المتملّق

الارتياح: الاهتزاز للعطية، والمجتدي: طالب المعروف. والمتملق: المتلطف في الكلام.

يقول: علم ملك الروم جودك، فبعث إليك رسوله، واستوهب منك أسراء الروم، فقام لك مقام السائل المتلطف في سؤاله، لعلمه أنك لا تخيب سائلك.

وخلّى الرّماح السّمهريّة صاغراً لأدرب منه بالطّعان وأحذق

صاغراً نصب على الحال. والدربة في معنى العادة والتجربة. والحذق: إحكام الصنعة.

يقول: إن ملك الروم ترك الرماح على رغم منه، وذل لمن هو أعود للطعان وأحذق به. وأراد به سيف الدولة، يعني أنه ترك قتالك وعدل إلى استعطافك.

وكاتب من أرضٍ بعيدٍ مرامها قريبٍ على خيلٍ حواليك سبّق

يقول: كاتبك في الصلح من أرض بعيدة المرام، ولكنها مع بعدها قريبة عليك، وعلى خيلك السوابق التي هي حواليك.

وقد سار في مسراك منها رسوله فما سار إلاّ فوق هامٍ مفلّق

المسرى: اسم المكان السري، والهاء في منها للأرض.

يعني: أن رسول ملك الروم سار في الطريق التي سرت فيها إلى بلاد الروم، فلم يسر إلا فوق هام مشققة بسيوفك.

فلمّا دنى أخفى عيه مكانه   شعاع الحديد البارق المتألّق

البارق المتألق: هو اللامع، وإنما أتبع أحدهما الآخر، لاختلاف اللفظين. والهاء في مكانه للرسول.

يقول: وصل الرسول إليك، فأخفى عليه مكانه، بريق السيوف ولمعان الأسنة، فلم يمكنه أن يبصر موضعه.

وأقبل يمشي في البساط فما درى   إلى البحر يمشي أم إلى البدر يرتقي ؟ !

يقول: لم يدر أيمشي إلى بحر أو إلى بدر، لأنك تشبه البحر في السخا، وتشبه البدر في النور والبهاء.

ولم يثنك الأعداء عن مهاجتهم   بمثل خضوعٍ في كلامٍ منمّق

المنمق: المحسن.

يقول: لا يقدر أعداؤك أن يردوك عن مهجاتهم، أي أنفسهم، إلا بالخضوع، والتملق بالثناء والتعظيم.

وكنت إذا كاتبته قبل هذه   كتبت إليه في قذال الدّمستق

القذال: مؤخر الرأس: والضمير في كاتبته وإليه لملك الروم.

يقول: كنت متى أردت أن تكتب إلى ملك الروم كتبت إليه في قفا الدمستق، وذلك كناية عن هزيمته، والجراحة تقوم لك مقام الكتابة.

فإن تعطه بعض الأمان فسائلٌ   وإن تعطه حدّ الحسام فأخلق

يقول: إن أعطيته بعض المراد فأمنته، فهو سائل، ومن عادتك ألا تخيب سائلك، وإن أعطيته السيوف، فهو أجدر بذلك.

وهل ترك البيض الصّوارم منهم   حبيساً لفادٍ، أو رقيقاً لمعتق

يقول: إن سيوفك لم تترك منهم أسيراً محبوساً من الأسرى، يفدونه بما يحمل إليك، ولا رقيقاً يسألونك أن تعتقه.

وقيل: معناه لم تترك سيوفك عبداً عندهم يعتقه معتق.

لقد وردوا ورد القطا شفراتها   ومرّوا عليها زردقاً بعد زردق

الهاء في شفراتها للبيض الصوارم. وهي منصوبة بوردوا أي وردوا شفرات الصوارم، كما ترد القطا المناهل. والزردق فارسي معرب.

يقول: وقعوا على شفرات سيوفك كما تقع القطا على الماء، ووفدوا عليها صفا بعد صف.

يعني أنك تقتلهم فوجاً بعد فوج.

بلغت بسيف الدّولة النّور رتبةً أنرت بها ما بين غربٍ ومشرق

روى: اليوم بدل النور.

يقول: نلت عنده منزلة ألقت علي ضياء نوره حتى أنرت بها الدنيا. وأراد به اشتهار ذكره في العالم.

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ أراه غباري، ثمّ قال له: الحق

كان سيف الدولة يغرى به الشعراء، ويبعثهم على مباراته، لأنه كان يغتاظ من عجبه بنفسه.

فيقول: إن سيف الدولة لا يخفى عليه فضلي على من حوله من الشعراء، ولكنه إذا شاء أن يتلهى بشاعر أراه من فضلي أدنى شيء، ثم قال: الحق به، وهات مثله، وإنما وصفه بالحمق، لأن من طمع في إدراك غايته، فهو عنده أحمق! فلا جرم يريد سيف الدولة أن يسخر من قلة عقله. وقوله: أراه غباري: كناية عن اليسير من فضله.

وما كمد الحسّاد شيئاً قصدته ولكنّه من يزحم البحر يغرق

الكمد: الحزن.

يقول: ليس لمن يحسدني أن يلومني، لأني لم أقصد أن أغم الحساد، ولكني بحر في الفضل، فمن زاحمني من الجهال غرق في فضلي، كما أن من تعرض للبحر وطرح نفسه فيه غرق، فاللوم عليه لا على البحر.

ويمتحن النّاس الأمير برأيه ويغضى على علمٍ بكلّ ممخرق

الممخرق: الكذاب والمدلس وهي اللغة الجيدة، والباء فيه، متعلق بقوله: على علم.

يقول: هو يمتحن الناس، ويجرب أحوالهم، ثم يغضى ويتغافل، مع علمه بالفاضل منهم، والمدلس الممخرق، ويتجاوز عن الجهال بحلمه.

وإطراق طرف العين ليس بنافعٍ إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

يقول: متى علم صاحبك بتمويهك، لم ينفعك إعراضه وإطراق طرفه. فعبر عن معرفته بترك إطراق طرف قلبه.

فيا أيّها المطلوب جاوره تمتنع ويا أيّها المحروم يمّمه نرزق

يقول: يا أيها الخائف، جاور سيف الدولة تمتنع على من يظلمك، ويا أيها الفقير اقصده تصل إلى الغنى.

ويا أجبن الفرسان صاحبه تجترئ ويا أشجع الشّجعان فارقه تفرق

يقول: يا أيها الجبان، صاحبه تصر شجاعاً، اقتداء به ويا أيها الشجاع، فارقه تصر جباناً، لأن الشجاعة به.

إذا سعت الأعداء في كيد مجده سعى مجده في جده سعى محنق

المحنق: المغضب. والجد: البخت والإقبال.

يقول: متى قصد أعداؤه إلى هدم مجده غضب لذلك إقباله وجده، ورد كيد العدو إليه.

وما ينصر الفضل المبين على العدا إذا لم يكن فضل السّعيد الموفّق

يقول: الفضل الظاهر لا ينصر صاحبه على أعدائه، حتى يوافقه على ذلك سعادة جده وتوفيق ربه.

ودخل على سيف الدولة ليلاً وقد رفع سلاح كان بين يديه، وهو في ذكره ووصفه، فقال ارتجالاً:

وصفت لنا ولم نره سلاحاً كأنّك واصفٌ وقت النّزال

نصب سلاحاً بوصفت وتقديره: وصفت لنا سلاحاً ولم نره.

يقول: وصفت لنا هذا السلاح، حتى كأنك صورت لنا وقع الحرب، فكأنك واصف وقت النزال، فشوقتنا إلى القتال، بوصفك للسلاح.

وأنّ البيض صفّ على دروعٍ فشوّق من رآه إلى القتال

البيض: المغافر، والفعل في شوق للبيض، ورده إلى اللفظ، وكذلك جميع التذكير راجع إليه.

يعني أنك ذكرت أن كل درع جعل عليها بيضتها، وكل من في نفسه شجاعة، إذا رأى آلة القتال اشتاق إلى الطعان.

فلو أطفأت نارك تالديه قرأت الخطّ في سود اللّيالي

تا بمعنى: هذه، وهي إشارة إلى السراج يقول: لو أطفات سراجك، لأمكنك أن تقرأ الخط في الليل المظلم، لبريق السلاح ولمعه.

ولو لحظ الدمستق حافتيه لقلّب رأيه حالا لحال

حافتيه: أي جانبيه، والهاء في رأيه للدمستق. أي لقلب رأيه في محاربتك، إلى الانقياد لك، والفرار منك.

إن استحسنت وهو على بساطٍ فأحسن ما يكون على الرّجال

أراد: إن استحسنته، فحذف الهاء.

يقول: إن استحسنت هذا السلاح، وهو على بساطك، فأحسن ما يكون، إذا كان على الرجال، يوم القتال.

وإنّ بها وإنّ به لنقصاً وأنت لها، النّهاية في الكمال

إن الثانية زائدة أي: وإن به وبها لنقصاً، وقيل: اسم إن الأولى محذوف. أي: إن بها لنقصا، وإن به لنقصا. فاسم الثانية دل على المحذوف. وبه: أي بالسلاح وبها: أي بالرجال. وقيل: به: للبيض، وبها: للدروع.

يقول: إن جمال السلاح، وكمال الدروع والرجال بك، فما لم تكن لابسها، أو لم تكن فيها بين الرجال، لم يكن لهم غناء، فأنت غاية الكمال ونهاية الجمال.

وقال وقد عرضت على سيف الدولة سيوف، فوجد فيها سيفاً غير مذهب فأمر بإذهابه فقال ارتجالا:

أحسن ما يخضب الحديد به وخاضبيه النّجيع والغضب

أحسن: مبتدأ. وما بمعنى: الذي، وهو في موضع الجر بإضافة أحسن إليه. والنجيع: خبر الابتداء، والغضب: عطف عليه. وخاضبية: جر عطفاً على ما أي وأحسن خاضبيه. والهاء في به لما وفي خاضبيه للحديد.

يقول: أحسن شيء يخضب الحديد به: الدم: وأحسن خاضبيه: الغضب. وقيل: أراد به صاحب الغضب. والنجيع: الدم الطري.

وقيل: خاضبيه: جر على القسم، ومعناه: أحسن ما يخضب به الحديد، النجيع والغضب. وجعل الغضب خضابا له توسعا، إذا كان سبباً لخضابه. وروى مكان الغضب القضب وهو جمع قضيب، وهو السيف: أي أحسن الخاصبين السيوف التي تخضب الأشياء بالدم.

فلا تشيننه بالنّضار فما يجتمع الماء فيه والذّهب

يقول: رونق هذا الحديد وماؤه، أحسن فيه من ماء الذهب، فإذا أذهبته ذهبت بمائه ورونقه وصار ما قصدت من زينة شيناً له.

وأنفذ إلى سيف الدولة أحد أهل بغداد أبياتاً، يذكر أنه رآها في النوم، يشكو إليه الفقر فقال أبو الطيب:

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلناك بدرةً في المنام

البدرة: عشرة آلاف درهم. وسميت بدرة؛ لأنها تمام العدد. والبدرة أيضاً: جلد السخلة، إذا رعت وفطمت. ويجوز أن تكون البدرة من هذه؛ لأن العادة جرت أن تجعل الدراهم في جلد السخلة.

يقول: سمعنا أيها المتعرض لنائلنا، ما قلت من الشعر في الأحلام، فأعطيناك - على وجه المقابلة والمكافأة - بدرة في المنام.

وانتبهنا كما انتبهت بلا شي ءٍ فكان النّوال قدر الكلام

يقول: مدحتنا في النوم، فأجزناك في النوم، فكان العطاء على قدر المدح، فلما لم يكن لنوالنا حقيقة، كذلك لم يكن لمديحك إيانا.

كنت فيما كتبته نائم العي ن فهل كنت نائم الأقلام ؟

يقول: إن كنت حين قلت هذا الشعر نائم العين، فإنك حين كتبته كنت مستيقظاً، يجب عليك حفظ الأدب والتحرز من الكلام الركيك، ويمكن أن يكون قرنت إلى الأبيات رسالة أخرى في معنى الاعتذار.

فيقول: إن كنت في الأبيات نائماً، فلم تكن في الرسالة نائماً.

أيّها المشتكي إذا رقد، الإع دام، لا رقدةٌ مع الإعدام

يقول: زعمت أنك رأيتها في النوم، وشكوت فيها عدمك، فإن كنت معدماً على الحال التي وصفتها، فكيف يأخذك النوم ؟!

افتح الجفن واترك القول في النّو م وميّز خطاب سيف الأنام

يقول: دع عنك الخطاب في النوم، وافتح الجفن، وميز خطاب سيف الدولة، وهو سيف الخلق كلهم، والذاب عنهم، ولم يمكنه أن يقول: سيف الدولة، لأجل القافية فرده إلى الأنام وروى: سيف الإمام أي الخليفة.

الّذي ليس عنه مغنٍ ولا من ه بديلٌ، ولا لما رام حام

يقول: سيف الدولة، هو الذي لا أحد من الناس يقوم مقامه في الكرم والخصال الحميدة.
وقيل: معناه كل الناس يقتدون به؛ ولا يغنيهم عنه ملك غيره، ولا يجدون له بدلاً يسد مسده، وإن رام أمراً لم يمنعه منه مانع.

كل آخائه كرام بنى الدّن يا ولكنّه كريم الكرام

الآخاء: جمع أخ، وقد ذكره سيبويه في كتابه. وروى: كل آبائه. يقول: جميع إخوته أكرم الناس، ولكنه أكرم من إخوته، فهو أكرم الكرام.
وقال وقد أمره سيف الدولة بإجازة الأبيات التي لأبي ذر: سهل بن محمد الكاتب أولها:

بالائمى كفّ الملام عن الذي أضناه طول سقامه وشقائه

على هذا الوزن، والروى فقال:

عذل العواذل حول قلبي التّائه وهوى الأحبّة منه في سودائه

التائه: المتحير، وقيل: هو المتكبر، وها هنا: الذي لا ينقاد للعاذل. وسوداء القلب، وسويداؤه: الحبة السوداء فيه، وقيل الدم الذي في جوفه.
يقول: هوى أحبتي قد حل وسط فؤادي، وعذل العواذل يحول حوله، وليس يدخله البتة، فلا يبالي القلب به، فكيف يقدر العذول أن يصرفني عنه ؟!

يشكو الملام إلى اللّوائم حرّه ويصدّ حين يلمن عن برحائه

الهاء في حره للقلب، وكذلك في برحائه والبرحاء: الشدة.
يقول: إن اللوم إ ذا دنا من قلبي أحرقه بحره، فأعرض عنه وعاد إلى اللوائم، يشكو إليهن ما لقي من شدة حرارته، فكأن حر قلبي يصرف اللوم عني، والضمير في يلمن للعواذل.

وبمهجتي يا عاذلي الملك الّذي أسخطت أعذل منك في إرضائه

يقول لعاذله: تعذلني على حبه والانقطا ع إليه ؟! وقد لامني من هو أشد منك عذلا، فلم أقبل منه، بل أسخطته واتبعت رضاء سيف الدولة، ولم ألتفت إلى غيره من الملوك، والهاء في إرضائه للملك.

إن كان قد ملك القلوب فإنّه ملك الزّمان بأرضه وسمائه

يقول: إن كان سيف الدولة قد ملك القلوب. بمودالها وثبات حبه فيها، حتى لا تميل إلى غيره، فليس بعجاب؛ فإنه ملك الزمان وجميع ما فيه، فالقلوب بعض ما في الزمان ومن جملة ما ملكه.
وقيل: اسم كان محذوف مضمر: أي إن كان الحبيب الذي يعشق قد ملك قلوب عاشقيه، فإن هذا

الحبيب ليس كسائر الأحبة، لأنه إنما يحب لجلالة قدره، وسمو أمره، وإنه إن كان الحبيب المعشوق قد ملك القلوب، فإن هذا الملك قد ملك الزمان بما فيه، فضلا عن القلوب.

الشّمس من حسّاده والنّصر من قرنائه، والسّيف من أسمائه

أي: الشمس تحسده على إشراق غرته، وعلو منزلته، والنصر قرينه حيثما توجه نصر على أعدائه، والسيف بعض أسمائه، أي هو مسمى بسيف الدولة.

أين الثّلاثة من ثلاث خلاله من حسنه وإبائه ومضائه ؟ !

الخلال: الخصال.

يقول: أين حسن الشمس من حسن وجهه ؟ بل حسنها يعجز عن حسنه ! وأين النصر من عزة نفسه وإبائه ؟ أي أن النصر يعجز عن نصرة من يريد خذلانه، وأين السيف من مضائه ؟ أي هو أمضى وأكثر غناءً منه !

مضت الدّهور وما أتين بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

أتى: أي سيف الدولة.

يقول: مضت الدهور قبله، ولم يكن فيها أحد مثله في فضائله ! وأتى هو الآن فعجزت الدهور عن الاتيان بأمثاله في زمانه أيضا، فليس له نظير فيما مضى من الزمان ولا في زمانه.

فاستزاده سيف الدولة فقال يمدحه

القلب أعلم يا عذول بدائه وأحقّ منك بجفنه وبمائه

الضمائر في قوله: بدائه، وبجفنه، وبمائه، راجعة إلى القلب، وقيل: إنه في قوله بمائه راجع إلى الجفن فقط.

يخاطب عاذله فيقول: القلب أعلم بما يلاقيه من ألم الشوق، والقلب أيضا أولى منك بجفنه ودموعه؛ لأنه المالك للعيون فيصرفها كيف شاء، ويجريها على من يحب، فمالك أيها العاذل والاعتراض عليه ؟!

فو من أحبّ لأعصينّك في الهوى قسماً به وبحسنه، وبهائه

الفاء في قوله: فو من للعطف. والواو حرف القسم، والمقسم به المحبوب، والجواب لأعصينك، والكاف، خطاب للعاذل، وقسماً: نصب على المصدر.

يقول: وحق من أحب، وحق حسنه، لا أطيعك فيما تأمرني، ولا أصغي إلى ملامك فيه.

أألحبّه وأحبّ فيه ملامةً؟ إنّ الملامة فيه من أعدائه

يقول: لا أحب الملامة في جيي، ولا أصغي إليها، فكأنه ناقض أبا الشيص في قوله.

أجد الملامة في هواك لذيذةً حبّاً لذكرك، فليلمني اللّوّم

عجب الوشاة من اللّحاة وقولهم: دع ما نراك ضعفت عن إخفائه

الوشاة: جمع الواشي. واللحاة: جمع: اللاحي، وهو الذي يزجر ويغلظ القول في الملامة. وما في قوله: ما نراك بمعنى الذي، وهو في موضع نصب بدع ونراك صلة ما وضعفت في موضع المفعول الثاني، والأول هو الكاف.

يقول: إن اللحاة قالوا لي: دع الذي نراك ضعيفاً عن إخفائه. أي دع هذا الهوى، فعجب الوشاة من تكليف اللحاة إياي ما لا أطيق، فإني إذا ضعفت عن إخفائه، كنت على تركه والإفاقة من سكره أضعف.

ما الخلّ إلاّ من أودّ بقلبه وأرى بطرفٍ لا يرى بسوائه

يقول: ليس في هؤلاء اللحاة صديق شفيق، ولا خليل نصيح، فأصغ إلى ملامه، فإن الصديق من يساعد صديقه، فيحب ما يحبه، ويكره ما يكرهه، حتى كأنهما يحبان بقلب واحد، وينظران بعين واحدة.

فكأنه يقول: ليس صديقي إلا من يوافقني، فإذا أحببت شيئاً فكأني أحبه بقلبه ! وإذا رأيت شيئاً فكأني رأيته بعينه ! وهذا البيت يوافق بعض الأبيات التي أجازها وهي.

إن كنت ناصحه فداو سقامه وأعنه ملتمساً لأمر شفائه

حتّى يقال بأنّك الخلّ الّذي يرجى لشدّة دهره ورخائه

ومثله:

إن كنت تصدق في ادّعاء وداده فافككه من أسر الهوى أو فاده

ومعنى البيت: أنه ليس لك خليل إلا نفسك، فلا تغتر بقول من يقول: إني خليلك. وأراد بقوله: من أود بقلبه: نفسه؛ لأن المرء إنما يود الشيء بقلب نفسه، وكذلك قوله: وأرى بطرف لا يرى بسوائه أراد طرف نفسه، وهو مثل قوله:

خليلك أنت لا من قلت خلّي وإن كثر التّجمل والكلام

إن المعين على الصّبابة والأسى أولى برحمه ربّها وإخائه

الضمير في ربها يعود إلى الصبابة. وفي إخائه إلى ربها. والأسى: الحزن والمعين على الصبابة: هو الزائد في الصبابة.

يقول: إن الذي يعين على صبابتي ويزيد بلومه في حزني، كان الأولى أن يرحمني ويلتمس شفائي.

وقيل: على بمعنى مع أي مع الصبابة وهذا مثل قول من أجاز أبياته:

أولا فدعه، فما به يكفيه من — طول الملام فلست من نصحائه

وروى: بالأسى والمراد بها الصبر، فمعناه إن الذي يعيني في اعتقاده على صبابتي، ويريد إزالة بلائها عني، بأن يصبرني، ليس ما يفعله بإعانة في الحقيقة، وكان الأولى في باب الشفقة أن يرحمني ويساعدني على ما أنا فيه من البلوى.

والأول أولى وهو أن المراد بالمعين العاذل الذي يزيد في حزنه بالعذل.

مهلاً فإنّ العذل من أسقامه — وترفّقاً فالسّمع من أعضائه

مهلاً وترفقاً نصب بفعل مضمر: أي أمهل مهلاً، وترفق ترفقاً. والضمير في أسقامه وأعضائه يعود إلى ربها في قوله: برحمة ربها.

يقول لعاذله: ارفق بصاحب هذه الصبابة، فإنه سقيم وعذلك يزيد في سقمه، وما زاد في السقم فهو سقم، وارفق أيضا بسمعه فإنه من جملة أعضائه، كما أن سائر الأعضاء سقمت، كذلك السمع، وسقمه: هو الصمم وقيل معناه: إن السمع إذا سمع العذل يفنى كما فنيت سائر الأعضاء، فيؤدي إلى فوات غرض العاذل، إذ لا يبقى سمع يعي العذل.

وهب الملامة في اللّذاذة كالكرى — مطرودةً بسهاده وبكائه

هب: أي اجعل. يقال: وهبني الله فداك. واللذاذة: متعلقة بالملامة: أي لذة الملامة. معناه: دع عنك ملامتك إياي، وإن كان لك فيها لذة، لما تراه من بكائي وسهادي، واعمل على أن بكائي صرف عنك لذتك في الملامة، كما صرف عني الملام، فكما أني فقدت لذة الكرى، كذلك أنت لا بأس عليك أن تفقد لذتك في ملامتي.

وقيل: إن اللذاذة هي لذة الهوى، ومعناه: اجعل ملامتك إياي في لذتي مطرودة عني، كالنوم المطرود بالسهاد والبكاء ومعناه: اصرف ملامتك عني من جميع الوجوه. والهاء في قوله بسهاده وبكائه راجع إلى قوله ربها.

لا تعذر المشتاق في أشواقه حتّى يكون حشاك في أحشائه

يقول: أيها اللائم أنت لا تقبل عذر العاشق ! حتى تبتلي بمثل ما ابتلي به من الصبابة والاشتياق، فيكون في قلبك من لوعة الشوق مثل ما في قلب المشتاق.

ومثله للبحتري:

إذا شئت ألاّ تعذل الدّهر عاشقاً على كمدٍ من لوعة البين فاعشق

ومثله لآخر:

وإنّما يعرف العشّاق من عشقا

إن القتيل مضرّجاً بدموعه مثل القتيل مضرّجاً بدمائه

مضرج: أي مخضب. وقد نصب على الحال في الموضعين.

يقول: إذا دام عذلك علي هلكت أنا، فتكون أنت قد قتلتني ! فإنه إذا جرت دموعي حتى أموت، كنت مثل القتيل الذي يسيل دمه، فالمقتول بالعذل هو كالمقتول بالسيف، فهذا يسيل دموعه، وذاك يسيل دمه.

والعشق كالمعشوق يعذب قربه للمبتلي وينال من حوبائه

الحوباء: النفس.

يقول: العشق محبوب للعاشق، كما أن المعشوق محبوب إليه، فيتلذذ العاشق بقرب المعشوق وإن كان يذيب جسمه ويؤلم قلبه.

لو قلت للدّنف الحزين: فديته ممّا به لأغرته بفدائه

الدنف: الذي أدنفه الحب، وأغرته: أي حملته على الغيرة.

يقول: إن العاشق يشتهي العشق، ويلتذ بغرامه وطول سقامه، حتى لو قلت له: قد جعلني الله فداك مما بك، وأنزل بي سقمك لحملته على الغيرة.

وقيل. معناه لو قلت له: دعني حتى أتحمل عنك مؤن العشق وتكاليفه، لغار عليك. فالأول على الدعاء والثاني على الأمر. وقوله: بفدائه: أي بفدائك إياه، وأضاف المصدر إلى المفعول، وحذف الفاعل.

وقى الأمير هوى العيون، فإنّه ما لا يزول ببأسه وسخائه

هوى: في موضع النصب، على أنه خبر ما لم يسم فاعله، واسمه الأمير يخاطب سيف الدولة.
يقول: وقاك الله هوى العيون، فإنه أمر لا يمكنك إزالته عن نفسك، بسخائك وشجاعتك. وقوله: هوى العيون: مصدر مضاف إلى المفعول: أي وقى الأمير هواه للعيون.

يستأسر البطل الكميّ بنظرةٍ — ويحول بين فؤاده وعزائه

يستأسر: أي يأسر، وهو في الأصل بمعنى الاستسلام للأسر، وروى: يستأصل.
يقول: إن الرجل الشجاع لا يقدر على دفع الهوى عن نفسه، بل يأسره هذا الهوى بنظرة واحدة من نظرات العين ! ويحول بين قلبه وصبره، فوقى الله تعالى الأمير ذلك.

إنّي دعوتك للنّوائب دعوةً — لم يدع سامعها إلى أكفائه

الضمير في سامعها للدعوة، وفي أكفائه لسامعها. وأراد بالسامع سيف الدولة.
يقول: إني دعوتك لتنصرني على نوائب الدهر، كل نائبة - وإن خلت - تقصر عن أن تدعى لها، لأنا لا نجد ما يكون كفواً لك منها، فندعوك إليه، لكن لما لم أجد أحداً أستعين به عليها غيرك، دعوتك لها لتزيلها عني، وإن لم تكن النوائب من أكفائك.

فأتيت من فوق الزّمان وتحته — متصلصلاً وأمامه وورائه

متصلصلاً: أي له صلصلة، وهي صوت الحديد عند السرعة.
يقول: لما دعوتك للنوائب أجبتني في أسرع وقت، وأحطت بالزمان من جميع جهاته، وكأنك أتيت ولأسلحتك صلصلة لسرعتك.
وقيل: معناه: أنك لما كنت سيفاً دعوتك للنوائب لتقطعها عني، فأتيت مسرعاً في الإجابة، ولك صلصلة، وهي صوت السيف والحديد.

من للسّيوف بأن تكون سميّها — في أصله، وفرنده، ووفائه

التاء في تكون قيل: ضمير للسيوف، وقيل: خطاب لسيف الدولة وكذلك إذا روى: بالياء.
يقول: من للسيوف بأن تكون هي مثل سميها الذي هو سيف الدولة، أو أن تكون أنت سمي السيوف، بل له عليها مزية، في أصله وجوهره ووفائه.

طبع الحديد فكان من أجناسه — وعليٌّ المطبوع من آبائه

يقول: إن كل واحد من سيف الدولة وسيف الحديد، رجع إلى أصله وجنسه، وإن اتفق الاشتراك في الاسم، فالسيوف ترجع إلى جنسها الذي طبعت منه وهو الحديد، فليس لها فعل سوى القطع وسيف

الدولة يرجع إلى آبائه في الخصال الحميدة، من الوفاء والسخاء، ويشاركها في القطع والمضاء. ومراده تفضيله على السيف الحقيقي.

والأبيات التي أجازها أبو الطيب لأبي ذر: سهل بن محمد البصري الكاتب مؤدب سيف الدولة. وهي:

يا لائمي كفّ الملام عن الذي ... أضناه طول سقامه وشقائه
إن كنت ناصحه فداو سقامه ... وأعنه ملتمساً لأمر شفائه
حتّى يقال بأنّك الخلّ الّذي ... يرجى لشدّة دهره ورخائه
أولا فدعه فما به يكفيه من ... طول الملام فلست من نصحائه
نفسي الفداء لمن عصيت عواذلاً ... في حبّه لم أخش من رقبائه
فالشّمس تطلع من أسرّة وجهه ... والبدر يطلع من خلال قبائه

وجاء رسول سيف الدولة مستعجلا، ومعه رقعة فيها بيتان للعباس بن الأحنف في كتمان السر، يسأله إجازتهما وهما:

امتّي تخاف انتشار الحديث ... وحظّي في ستره أوفر
فإن لم أصنع لبقيا عليك ... نظرت لنفسي كما تنظر

فقال أبو الطيب:

رضاك رضاي الّذي أوثر ... وسرّك سرّى فما أظهر

يقول: الذي ترضى به فهو رضائي الذي أوثره، وسرك مثل سري أكتمه كما أكتم سري، ولا أظهره لأحد.

كفتك المروءة ما تتّقى ... وآمنك الودّ ما تحذر

الكاف في كفتك المفعول الأول لكفي. وما يتقى: المفعول الثاني، وكذلك الكاف في آمنك، وما تحذر.

يقول: إن مودتي لك ومروءتي آمناك ما تخاف من إفشاء السر، فلا تحذر على سرك من جانبي.

وسرّكم في الحشا ميّتٌ ... إذا أنشر السرّ لا ينشر

يقال: أنشر الله الموتى فنشروا. وروى: إذا نشر من النشر الذي هو ضد الطي، وهو أيضاً في معنى أنشر الله الميت.

يقول: سرك في قلبي كالميت في قبره، وإذا أحيي الموتى يوم القيامة لا يحيي هذا الميت.

يعني: إني لا أظهره إذا أظهر غيري سره.

كأنّي عصت مقلتي فيكم وكاتمت القلب ما تبصر

يقول: إن عيني إذا شاهدت شيئاً من أحوالكم لم ترو إلى القلب ما رأته، فكأنها تكاتم القلب ما تبصره.

يعني: أن سركم يصير في قلبي منسياً.

وإفشاء ما أنا مستودعٌ من الغدر والحرّ لا يغدر

يقول: السر أمانة وعهد، وإظهاره خيانة، والحر لا يغدر بعهده، فلو أبديت سرك صرت غادراً ولم أكن حراً.

إذا ما قدرت على نطقةٍ فإنّي على تركها أقدر

النطقة: المرة الواحدة من النطق. وهي بمنزلة الكلمة، واللفظة يقول: إذا قدرت على أن أنطق بالسر، كنت على السكوت عنه أقدر؛ لأنه أهون من النطق وأيسر.

أصرّف نفسي كما أشتهي وأملكها والنقا أحمر

يقول: أنا أملك نفسي، أصرفها كما أريد، وأقهرها على هواها، وأملكها في حال شدة القتال، فمتى أرادت الإحجام قهرتها على الإقدام، فلذلك إذا دعتني نفسي إلى أن أبدي السر قهرتها على كتمانه.

دواليك يا سيفها دولةً وأمرك يا خير من يأمر

الدوال كالدولة. ودواليك: نصب على المصدر، وثنى على التكرير: أي أدالك الله دولةً بعد دولة. والهاء في سيفها للدولة. ودولة: تفسير للدولة المضمرة، وهي نصب على التمييز، وقيل: على المصدر، وأمرك: أيضاً نصب بفعل مضمر أي مر أمرك.

يقول: أدام الله دولتك. مرني بأمرك، وخصني بأوامرك ونواهيك، حتى أتشرف به.

أتاني رسولك مستعجلاً فلبّاه شعري الّذي أذخر

أراد أذخره، فحذف الضمير.

يقول: جاءني رسولك مستعجلا، يأمرني بإجازة البيتين، فلبيته بشعري الذي أدخره وأعده.

ولو كان يوم وغىً قاتماً　　　للبّاه سيفي والأشقر

قاتماً: نصب صفة ليوم. والقاتم: المظلم من شدة الغبار، وروى: أيضا قائماً من قولهم: قامت الحرب.
ويوم: نصب لأنه خبر كان، واسمه مضمر: أي لو كان أمرك أو إتيان رسولك إلي يوم وغى.
يقول: لو كان دعاؤك إياي إلى يوم حرب لأجبتك بسيفي وفرسي.

فلا غفل الدّهر عن أهله　　　فإنّك عينٌ بها ينظر

فاعل ينظر: ضمير الدهر.
يقول: إنك عين الدهر الذي ينظر بها إلى أهله، فمن أكرمه كان كريماً، ومن أهانه كان مهانا، فكأنه قال: لا زلت أبداً تراعي أهل زمانك إذ الدهر غافل لولا أنك فيه. والغرض: الدعاء بالبقاء ودوام السلامة.

وقد كان سيف الدولة استبطأ مدحه، وعاتبه مدةً، ثم لقيه في الميدان، فأنكر أبو الطيب تقصيره فيما كان عوده من الإقبال إليه والتسلم عليه، فعاد إلى مترله وكتب بهذه الأبيات إليه لوقته: يعتذر عن إبطاء مدحه ويعاتبه ويشيد بمدائحه فيه.

أرى ذلك القرب صار ازورارا　　　وصار طويل السّلام اختصارا

الازورار: الإعراض.
يقول: قربي منك صار بعداً وإعراضاً، وطول سلامي صار اختصارا وتقصيرا.

تركتني اليوم في خجلةٍ　　　أموت مراراً، وأحيا مراراً

يقول: لما عرضت عني فيما بين الناس تركتني خجلا أموت جزعاً؛ لإعراضك عني، وأحيا طوراً رجاء كرمك وعفوك.

أسارقك اللّحظ مستحيياً　　　وأزجر في الخيل مهري سرارا

يقول: كنت أنظر إليك سرقة وخجلا وحياءً، وإذا زجرت مهري أخفيت صوتي لئلا تسمع صوتي حياءً منك وإخفاء لشخصي، أو كنت أسر زجره مخافةً أن يرى حالي من يجبني من الفرسان، فيعرف سقوط مترلتي عندك، استدلالاً بما بي من الاغتمام، أو كنت أخفي صوتي لما لحقني من الغم، إذ المغموم لا يكاد يرتفع صوته.

وأعلم أنّي إذا ما اعتذرت　　　إليك أراد اعتذاري اعتذارا

يقول: لو أردت أن أعتذر إليك، كان عندي أيضا ذنباً ثانياً يجب الاعتذار منه إذ الاعتذار من غير ذنب كذب، والكذب مما يعتذر منه والغرض ادعا براءة الساحة.

وقيل: معناه إني إذا اعتذرت إليك، مع علمي بسعة عفوك الذي لا يحتاج معه إلى الاعتذار، كنت قد أذنبت في اعتذاري ذنباً آخر، لأن ذلك يوهم خلاف ما أنت عليه من عادة الصفح وسعة العفو.

وقيل: معناه إن اعتذاري متى اعتذرت يكون كذبا فيلزمني الاعتذار عنه، لأنك جفوتني، فألجأتني إلى التقصير في خدمتك، فمتى كنت كاذباً في الاعتذار، يلزمني الاعتذار منه أيضا.

كفرت مكارمك الباهرا ... ت إن كان ذلك منّي اختيارا

يقول مقسماً: إن كان تأخير مدحك عن اختيار مني كذلك، فجحدت مكارمك الظاهرات، ولكن كان اعتذاري على ما بينته.

ولكن حمى الشّعر إلاّ القلي ... ل همٌّ حمى النّوم إلا غرارا

الغرار: النوم القليل.

يقول: منعني من قول الشعر هم منع نومي إلا القليل منه.

وما أنا أسقمت جسمي به ... ولا أنا أضرمت في القلب نارا

الهاء في به للهم.

يقول: هذا الهم الذي أسقم جسمي بألمه، لم يكن عن قصد مني، وكذلك إضرام نار الهم في قلبي، لم يكن من فعلي، فإذا لم يكن هذا الهم عن قصدي، فلا ذنب لي فيه، أستوجب به عتبك، ولكن الذنب للزمان.

فلا تلزمنّي ذنوب الزّمان ... إليّ أساء وإيّاي ضارا

ضار يضير، وضره يضره بمعنىً.

يقول: لا تعتب علي في تأخير مدحك، فليس لي فيه ذنب، وإنما الذنب للزمان الذي قصدني بهمومه، وشغل قلبي عن الشعر، فلا تلزمني ذنوبة، واعلم أن الزمان إنما قصدني بالإساءة، وألحق الضر بي دونك، لأن مدحي إياك يزيد في شرفي ومنزلتي عندك، وتأخره جر على عتبك وإعراضك عني، فالضرر في تأخيره راجع إلي، والإساءة واقعة بي لا بك.

وعندي لك الشّرّد السّائرا ... ت لا يختصصن من الأرض دارا

يقول: سأمدحك من بعد، بقصائد سائرات، لا تستقر في مكان، بل تعم الشرق والغرب، والسهل والجبل.

فإنّي إذا سرن من مقولي وثبن الجبال وخضن البحارا

المقول: اللسان. يعني إذا قلت قصيدة سارت في البر والبحر. وقوله: وثبن الجبال: عداه بنفسه على معنى: جزن الجبال ومثله لعلي بن الجهم في وصف شعره:

فسار مسير الشّمس في كلّ بلدةٍ وهبّ هبوب الرّيح في البرّ والبحر

ولي فيك ما لم يقل قائلٌ وما لم يسر قمرٌ حيث سارا

يقول: قد مدحتك قبل هذه بقصائد التي لم يقل أحد مثلها، وقصر القمر عن شأوها، فوصلت إلى الآفاق واشتهرت في العالم.

فلو خلق النّاس من دهرهم لكانوا الظّلام وكنت النّهارا

يقول: لو كان الناس خلقوا من الدهر لكانوا الليل، وكنت النهارا: يعني إن لك فضلا عليهم، كفضل النور على الظلام.

أشدّهم في النّدى هزّةً وأبعدهم في عدوٍّ مغارا

يقول: أنت أشد الناس اهتزازاً في الجود، وأبعدهم غارة في العدو، وهزة، ومغارا نصب على التمييز.

سما بك همّي فوق الهموم فلست أعدّ يساراً يسارا

يقول: ارتفعت همتي على كل همة بسببك، وصغر في عيني المال، فلا أعتد باليسار، ولا أقصر على ما أناله من المال، فإنما أطلب معالي الأمور، وارتفاع المحل والمترلة.

ومن كنت بحراً له يا عليّ لم يقبل الدّرّ إلاّ كبارا

هذا مثل: يعني من كنت مقصوده فلا يرضي بالقليل، ويستصغر الخطب الجليل، وإنما يرضي منك بشرف القدر وجلالة المترلة.

ورحل سيف الدولة من حلب إلى ديار مضر، لاضطراب البادية بها فترل حران وأخذ رهائن بني عقيل وقشير والعجلان. وحدث له بها رأي في الغزو، فعبر الفرات إلى دولوك وإلى قنطرة صنجة إلى درب القلة، فشن الغارة على أرض عرقة وملطية وعاد ليعبر من درب موزار فوجد العدو قد ضبطه عليه، فرجع وتبعه العدو، فعطف عليه فقتل كثيراً من الأرمن، ورجع إلى ملطيه، وعبر قباقب وهو نهر حتى

ورد المخاض على الفرات: وهو نهر، تحت حصن يعرف بالمنشار، فعبر إلى بطن هتريط وسمنين ونزل بحصن الران ورحل إلى سميساط فورد عليه بها من أخبره أن عدوه في بلد المسلمين، فأسرع إلى دلوك فعبرها، فأدركه راجعاً على جيحان فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق، وجرح الدمستق في وجهه. فقال أبو الطيب يصف ما كان في جمادي الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة.

ليالىّ بعد الظّاعينين شكول   طوالٌ وليل العاشقين طويل

شكول: جمع شكل في الكثير وهو المثل، واختار الجمع الكثير في الطول لليالي، ليكون أبلغ في الشكوى، وأدل على عظم الشوق والبلوى وليالي: مبتدأ، وشكول: خبره. وطوال: بدل من شكول، فكأنه قال: ليالي طوالٌ، وإن شئت جعلت طوالا تفسيراً لشكول، وأضمرت فيه مبتدأ يرفعه: أي هي طوال وتم المعنى عند قوله طوال. ثم ابتدأ فقال: وليل العاشقين طويل.

المعنى: ليالي بعد الأحباء الظاعنين عني كلها مشاكلة في الطول، لا تختلف كليالي سائر الناس؛ لأنها تقصر مرة وتطول أخرى، ثم قال: إن ليل العشاق كذا يكون، وكل عاشق يطول ليله؛ لسهره فيه، وعظم حزنه شوقاً إلى حبيبه. وقيل: أراد أنها مشاكلة في السهر وبعد النوم وفقد الروح والراحة، شوقاً إلى الظاعنين، فهي طوال، لبعد العهد باللقاء وطول المدة، ولا يسلى عني ما بي من الشوق، فهي مشاكلة يشبه أولها آخرها في الشوق إلى الظاعنين.

يبنّ لي البدر الّذي لا أريده   ويخفين بدراً ما إليه سبيل

بين: أي يظهرن، والنون فيه، وفي يخفين: لليالي.

يقول: هذه الليالي يظهرن لي بدراً لا أريده، وهو بدر السماء ولا أشتهيه، ولا أختار النظر إليه، ويسترن عني بدراً لا سبيل لي في الوصول إليه، وأراد به حبيبه.

وإنما قال ذلك؛ لأنه يراه بالنهار، والغيبة كانت تحصل بالليل، وإنما لا يريد البدر الحقيقي، لأنه ينم إذا سار إلى حبيبه، فلا يتمكن من الوصول إليه في ضوئه. قال ابن المعتز:

ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحنا   مثل القلامة قد قدّت من الظّفر

وقال بعض الأعراب:

أشكو إليها ثلاثاً لا تلائمني   منها: العجوز ومنها الكلب والقمر

وما عشت من بعد الأحبّة سلوةً   ولكنّني للنّائبات حمول

سلوة: نصب على أنه مفعول له، وقيل: على التمييز.

يقول: لا تظن أن بقائي بعد رحيل حبيبي عني هو للسلوة عنه، ولكن هان علي حوادث الدهر وتحمل الشدائد. وقريب منه قول الآخر:

فلو كان قلبي ساعة البين زيرةً ... جرى جزعاً أو صخرةً لتفطّرا

ولكنّه من جوهر لا تحيله ... حوادث صرف الدّهر كيف تنكّرا

ولكن قلبي أشد من الحديد، وأقسى من الصخر؛ فلهذا لم يذب من لوعة الهجر. ومثله لأبي خراش:

فلا تحسبنّي أنّي تناسيت عهده ... ولكنّ صبري يا أميم جميل

وإنّ رحيلاً واحداً حال بيننا=وفي الموت من بعد الرّحيل رحيل يقول: معتذراً لبقائه بعد فراق الأحبة. إن رحيلهم الواقع، قد حال بيني وبينهم، وبقي رحيل آخر وهو الموت، وسيحصل هذا الرحيل أيضاً أسفاً على فراقهم، فيزيد البعد بيني وبينهم، وتنقطع الأسباب عنا بالكلية.

إذا كان شمّ الرّوح أدنى إليكم ... فلا برحتني روضةٌ وقبول

الروح في اللغة: الريح، وأكثر ما يستعمل في الريح المستلذة، وقد يستعمل في معنى الراحة، وقيل: أراد بشم الروح: الحياة. والقبول: الريح تأتي من جهة القبلة، وخصها لأنها كانت تجيء من ناحية حبيبه. وأدنى: فعل متعد من دنيت.

والمعنى: إذا كانت الحياة وشم الروح يقربني إليكم، فلا فارقتني حياة ولا برحت مكاني روضة وقبول؛ لأنها تكون سبباً إلى انتشاق روائحكم. وهذا توكيد لعذره في الحياة بعدهم؛ لأنه يجد في الحياة أسباباً تقربه منهم: من نسيم محبوبته، وامتزاج أنفاسه بأنفاسها، ووصول القبول من جهته، وغير ذلك.

وقيل: إن أدنى: اسم بمعنى أقرب: يعني أن شم الروح إذا كانت أقرب إليكم، قرب المسافة، وأدنى إلى جهتكم، فلا فارقني الذي هو قريب منكم.

وقيل: أراد بالقرب. قرب المحبة دون المسافة.

ومعناه: إذا كان شم الروح أقرب إلى قلوبكم وأشبه بإيثار محبتكم، فلا فارقتني الروضة والقبول، حتى لا أكون مفارقاً ما تهدون وتؤثرون.

وقيل: معناه إذا لم يكن من فراقكم إلا التعلل بالنسيم، شهة لما كان ينالني من الفرح بقربكم، فلا فارقتني روضة وقبول يهيج ذلك النسيم لي. لأشمه. ومعناه: إني أرضى بقليل الراحة من الشوق، إذا لم

أصل إلى الحبيب.

والأولى في برحتني أن يكون فعلاً تاماً، كفارقتني، فيكون روضة رفعاً به ولا يحتاج إلى الخبر، كقوله تعالى: "فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ" وعن ابن جني أنه من باب كان وروضة اسمه وهي نكرة، وخبره: ضمير لشم الروح، ونكر اسمه لأجل القافية ضرورة.

وما شرقي بالماء إلا تذكّراً لماءٍ به أهل الحبيب نزول

نصب تذكرا على الحال، أي متذكرا، ويجوز أن يكون مفعولا له.

يقول: إذا أردت شرب الماء تذكرت الماء الذي نزل عليه أهل من أحبه فشرقت بهذا الماء، لما خنقني من العبرة، أو لأجل أني كنت أشتهي أن يكون شربي من الماء الذي نزلوا عليه، لمجاورته إياهم.

وحكى أن الصاحب أنشد هذا البيت فقال: ليس والله هذا هوى وصبابة، ولكنه وفاء ورعاية.

يحرّمه لمع الأسنّة فوقه فليس لظمآنٍ إليه وصول

يقول: إن هذا الماء ممنوع الوصول إليه مما فوقه من الرماح، وما حوله من الأبطال، فلا يصل إليه أحد؛ لعزة قومه.

أما في النّجوم السّائرات وغيرها لعيني على ضوء الصّباح دليل ؟

يقول مستفهماً، ومستطيلا لليل: أما في نجوم هذا الليل السيارة منها، والثابتة - على ما يقوله المنجمون - نجم يدل على ضوء الصباح، وزوال الظلام ؟ لأن كثيراً من النجوم يختص طلوعها بأواخر الليالي، فيجب أن يعرفه، ليدل على قرب الصباح. وروى: أما في النجوم الساريات وغيرها: معناه ليس في هذه النجوم التي تسري بالليل ولا في غير النجوم: من صوت طائر وغيره، ما يدل على طلوع الفجر وذهاب الليل.

ألم ير هذا اللّيل عينيك رؤيتي فتظهر فيه رقّةٌ ونحول ؟

روى: رقة ودقة يقول: ألم ير هذا الليل الطويل عينيك يا حبيبتي مثلما رأيتهما ؟! حتى يذوب ويزول، فيصيرنا حلاً دقيقاً مثلي.

وقيل: معناه يا رؤيتي. يعني. ألم ير الليل عينيك يا رؤيتي ؟! ولم يرد معهما ونحولهما فيرحمني، ويرق لي، ويظهر فيه النحول والقصر رقة علي، فيزول الليل ويقصر.

لقيت بدرب القلّة الفجر لقيةً شفت كمدى واللّيل فيه قتيل

تخلص إلى مدح سيف الدولة وقال: لقيت الفجر في هذا الموضع. الذي فيه درب القلة، لقية واحدة، وهذه اللقية شفت حزني وأذهبت كمدى، وصار الليل قتيلاً؛ لانقطاعه وذهابه. وقيل: إنما يجعل الليل قتيلا، لأنه أراد أن الحمرة التي تظهر عند الفجر كانت كالدم على بدن القتيل.

وقيل: لم يرد حقيقة الفجر، وإنما أراد نيراناً أوقدها سيف الدولة بدرب القلة، وكان ضياؤها مختلطاً بالدخان، فشبه اختلاط الضياء بالدخان، بالفجر الذي يختلط فيه الظلام بالضياء. والهاء في فيه تعود إلى الدرب. وقيل: تعود إلى القلة، وذكره على تأويل الموضع والمكان، ودرب القلة: موضع ببلاد الروم.

وعن ابن جني قال: سألته وقت القراءة عليه عن معنى هذا فقال: كنا نساير سيف الدولة فلقينا القلة وقت السحر مع الفجر، فكأني لقيت الفجر بها، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر وشننا الغارات، وغنمنا.

ويوماً كأنّ الحسن فيه، علامةٌ   بعثت بها والشّمس منك رسول

يوماً: نصب عطفاً على قوله: لقيت بدرب القلة الفجر لقية ويوماً.

وجعل حسن اليوم الذي ظفر فيه الممدوح بالروم، كأنه علامة من محبوبته، وجعل الشمس كأنها رسولها، وذلك لسروره في هذا اليوم، وسروره بطلوع الشمس فيه.

وقيل: إنه إنما استحسن هذا اليوم، وطلوع الشمس فيه؛ لزوال الليل واستراحته بالنهار من السهر والحزن.

وقيل: معنى البيت أن الحسن في ذلك كان خفياً لشدة الحرب، وإظلام الجو باقتام، وأن الشمس كانت تبدو مرة وتختفي أخرى لتكاثف الغبار، فشبهه برسول يأتي من عند حبيبته، فهو إذا رأى رقيباً توارى، وإذا صادف خلوة بدا، وشبه حسن ذلك اليوم: وهو النصر والظفر بالاعداء في حقائقه - بعلامة تكون بين المحب وحبيبه، لا يعلمها أحد سوهما، وفيه إشارة إلى أن الحرب كانت قد اشتدت في ذلك، حتى خفيت علامة النصر، إلا على سيف الدولة، فإنه كان عالماً بالظفر، كما يعلم المحب العلامة التي بينه وبين حبيبته وهذا من لطائف أبي الطيب.

وما قبل سيف الدّولة اثّار عاشقٌ   ولا طلبت عند الظّلام ذحول

اثار: افتعل من الثأر. أي أدرك ثأره، يقال: اثار وثار بمعنى. والذحول: جمع ذحل وهو الحقد في القلب. فذكر أن الليل صار قتيلاً، ثم قال: إن القاتل هو سيف الدولة.

وقال: لولا سيف الدولة لم يقدر عاشق على أخذ الثأر من الليل، وما أدرك عاشق ثاره قبل حصول سيف الدولة بدرب القلة، ولم يطلب أحد عند الليل ذحلاً وثأراً قبله وهذا ضد قوله في بدر:

حدقٌ يذمّ من القواتل غيرها　　　بدر بن عمّار بن إسماعيلا

ولكنّه يأتي بكلّ غريبةٍ　　　تروق، على استغرابها، وتهول

تروق: تعجب بحسنها، وتهول: تخوف.

يقول: إن قتله الليل وإدراك ثأره منه أمر عجيب ! وشيء عجيب ! لكن سيف الدولة لا يزال يأتي بكل فعل غريب ! كل من رآه راقه حسنه، ويهول القلوب لعظمه، فليس هذا منه ببديع.

رمى الدّرب بالجرد الجياد إلى العدا　　　وما علموا أنّ السّهام خيول

الدرب: ها هنا، موضع معروف من بلاد الروم. يقول: رمى درب الروم، كما يرمي لغرض بالسهام، ولم يعلم الروم أن الخيل في السرعة تقوم مقام السهام. شبه خيله بالسهام في إقدامها وسرعتها.

شوائل تشوال العقارب بالقنا　　　لها مرحٌ من تحته وصهيل

الشوائل: جمع شائلة، وعداها إلى القنا بالباء. والتشوال: مصدر شول. والمرح: النشاط. والشوائل: نصب على الحال. وقوله: لها مرح إلى آخره نصب على الحال. والهاء في تحته للقنا، راجع إلى اللفظ.

يقول: رمى الدرب بالخيل رافعة رماحها، كما رفعت العقارب أذنابها، وكان لهذه الخيل مرح تحت القنا وصهيل، يعني بأن الركض لم يذهب مرحها. وهذا قول بشار:

والخيل شائلةٌ تشقّ غبارها　　　كعقاربٍ قد رفعت أذنابها

غير أنه زاد عليه في التشبيه، فبشار شبه الخيل الرافعة لأذنابها بالعقارب، رافعة أذنابها، فالتشبيه واقع على وجه واحد، وهو أوقع التشبيه من وجهين: أحدهما: أنه جعل الخيل شائلة بالقنا، كما تشول العقارب بأذنابها.

والثاني: أنه شبه أطراف الرماح بأذناب العقارب، وأن لها من الطعن مثل ما للعقارب من اللسع، فأخذ معنى بشار، وضم إليه هذه الزيادة، فكان هو أولى به من بشار.

وما هي إلا خطرةٌ عرضت له　　　بحرّان لبّتها قناً ونصول

وما هي: أي الغزاة. وحران: مدينة بالشام، والضمير في له للمدوح، وفي لبتها للخطرة، والتاء: للقنا، والنصول: للسيوف، وعرضت: أي ظهرت.

يقول: لم تكن هذه الغزاة عن تأهب واستعداد، ولكن خطر بقلبه وهو بحران أن يقصد بلاد الروم، فأجابته الرماح والسيوف، فسار إليهم غير محتفل.

همامٌ إذا ما همّ أمضى همومه بأرعن، وطء الموت فيه ثقيل

الهموم: بمعنى الهمم. والأرعن: الجيش العظيم.

يقول: هو عظيم الهمة إذا هم بشيء وعزم على أمر أمضاه. بجيش عظيم، كأنه لا يمر على ناحية إلا أنكى فيها وأكثر القتل فيها، وهو في معنى قوله: وطء الموت: وقعه، يعظم ويكثر من هذا الجيش، أو يشتد وطء هذا الجيش ويعز عليه.

وخيل براها الرّكض في كلّ بلدةٍ إذا عرّست فيها فليس تقيل

وخيل: عطف على أرعن. والتعريس: النزول آخر الليل.

المعنى: إذا هم بأمر أمضاه بجيش أرعن، وبخيل قد أنحلها اتصال السير بالسرى، فإذا عرست في بلدة من بلاد العدو، رحلت عنها ولم تقم إلى وقت القائلة.

فلمّا تجلّى من دلوك وصنجةٍ علت كلّ طودٍ رايةٌ ورعيل

تجلى: أسي بان عنها وفصل، وأصله الظهور، ودلوك وصنجة: موضعان من بلاد الأرمن، والطود: الجبل. والرعيل: قطعة من الخيل تتقدم الجيش.

يقول: لما انفصل عن هذين الموضعين وانتشرت خيله على رءوس الجبال، فكان على كل جبل راية وخيل.

على طرقٍ فيها على الطّرق رفقةٌ وفي ذكرها عند الأنيس خمول

الهاء في فيها للطرق. وقيل راجعة إلى كل طود وهو في معنى الجمع، ومعناه أنه سار إليهم بين الجبال، في الطرق المجهولة فكانت فيها رفعة على سائر الطرق؛ لأنها كانت على رءوس الجبال.

وقيل: معناه أنها كانت رفيعة القدر من حيث كانت موصلة إلى المطالب الجليلة، والمغانم الجزيلة. ثم قال: في ذكر هذه الطرق عند الناس خمول؛ لأنها غير مسلوكة ولا يهتدي إليها أحد، فطابق بين الرفعة والخمول.

فما شعروا حتّى رأوها مغيرةً قباحاً، وأمّا خلقها فجميل

فما شعروا: يعني الروم، أضمرهم لدلالة الحال، وتقدم العلم.

يقول: ما علم الروم بخيل سيف الدولة، حتى شاهدوها تغير عليهم، فكانت قباحاً في أعينهم؛ لسوء أفعالها بهم، وإن كانت جميلة الخلق حسنة المنظر. ومغيرة: نصب على الحال، وليس مفعولاً لرأوها: لأن الرؤية بمعنى المشاهدة لا تتعدى إلى مفعولين. وقباحاً: بدل من مغيرة ويجوز أن تكون حالاً ثانية، كقولك: جاء زيد راكباً مسرعاً. ويجوز أن تكون الرؤية من رؤية القلب فيكون المفعول الأول الهاء، ومغيرة حالاً. أي رأوها في حال غارتها قباحاً.

سحائب يمطرن الحديد عليهم وكلّ مكانٍ بالدّماء غسيل

سحائب: نصب بدلاً من قباح، يجوز فيها الرفع على إضمار المبتدأ: أي هذه الخيل سحائب.

يقول: هذه الخيل سحائب ولكن مطرها الحديد، ثم قال: وكل مكان حلت به مغسول بدماء الأعداء لكثرة القتله به، وإسالة الدماء فيه.

وأمسى السّبايا ينتحبن بعرقةٍ كأنّ جيوب الثّاكلات ذيول

ينتحبن: أي يرفعن أصواتهن بالبكاء. وعرقة: مدينة بالشام، وقيل: من الروم.

يقول: حصلت السبايا بعرقة، فأقمن بها يبكين على من قتل من أولادهن وأقاربهن، وقد شققن جيوبهن حتى صارت في السعة كالذيول.

وقيل: أراد بالسبايا الأولاد، وبالثاكلات: الأمهات في الروم: يعني لما سبي الأولاد، بكت أمهاتهن في الروم عليها.

وعادت فظنّوها بموزار قفّلاً وليس لها إلاّ الدّخول قفول

موزار: اسم بلد.

يقول: إن خيله أغارت عليهم، وحملت السبايا إلى عرقة، وعادت لتعبر من درب موزار، ثم عادت راجعة إلى بلادهم مرة أخرى، فلما رأوها بموزار ظنوها راجعة إلى بلاد الإسلام، ولم يعلموا أنها عادت لتدخل بلادهم مرة أخرى، فصار دخولها قفولا.

وكان سيف الدولة أراد بعد الإغارة أن يعبر من درب موزار، فوجد العدو هناك، قد أخد عليه الدرب، فرجع داخلاً إلى بلاد الروم، وتبعه العدو فعطف عليه وقتل كثيراُ من الأرمن. وهذا معنى قوله: وليس لها إلا الدّخول قفول.

فخاضت نجيع الجمع خوضاً كأنّه بكلّ نجيع لم تخضه كفيل

الضمير في خاضت: لخيل سيف الدولة. والهاء في كأنه للنجيع، وهو الدم.

يقول: إنها عادت إلى بلاد الروم، وقتلت الأبطال، وخاضت في دمائهم المصبوبة، فكأن هذه الوقعة ضمنت لها سفك كل دم بعدها؛ لأنها قتلت فؤاد الجيوش، فسهل بعد ذلك عليها مرامها، وصار من لم يقتل تحت قدرتها متى شاءت قتلته، وخاضت في دمه.

تسايرها النّيران في كل مسلكٍ به القوم صرعى والدّيار طلول

يقول: إن النيران تسايرها وترافقها في كل موضع تسلكه من بلاد الروم، لأنها كانت تترل فيه، وتوقد النيران فيه، وهو خراب وأهله صرعى، ولم يبق لديارهم إلا الآثار.

وقيل: معناه أنها قتلت أهل كل مترل نزلته، وأحرقت مساكنهم.

وكرّت فمرّت في دماء ملطيةٍ ملطية أمّ للبنين ثكول

ملطية: مدينة من بلاد الروم.

يقول: إن الخيل كرت على أهل ملطية فخاضت في دمائها، فصارت ملطية مثل أم ثكلت أولادها.

وأضعفن ما خلّصنه من قباقبٍ فأضحى كأنّ الماء فيه عليل

ما خلصنه: أي خلصن من الماء، من بين القوائم. وروى: ما كلفنه أي الموضع الذي كلفت الخيل قطعه من هذا النهر. وقباقب: اسم نهر.

يقول: إن الخيل لما عبرت هذا النهر سكرته بقوائمها، وكسرت شدة جري الماء، وأضعفت قوته، فصار الماء يضعف جريه، كأنه عليل.

شبه جريه بين قوائمها بمشي العليل في فتور وضعف.

ورعن بنا قلب الفرات كأنّما تخرّ عليه بالرّجال سيول

ورعن بنا قلب الفرات: يعني أن الخيل خوفن بنا قلب الفرات. أي عبرته بنا الخيل، وخاضت دماءه.

وشبه انحدار الخيل فيه بتدافع السيل، وشبه الخيل بالسيول، والرجال بما تحمله السيول.

فيقول: كأنه مثل السيول تقع من موضع إلى موضع من الوادي.

يطارد فيه موجه كلّ سابحٍ سواءٌ عليه غمرةٌ ومسيل

الضمير في فيه وموجه للفرات. وفي عليه للسابح والغمرة معظم الماء، وأردا به ها هنا معظم الحرب. والمسيل: حيث يسيل الماء.

يقول: إن الخيل لما عبرته كان يدافعها موجه، فكأنه تطارده: أي تحاربه. وسواء على كل فرس منها خوض الماء، وغمرة الحرب، وكلاهما سهل عليها.

تراه كأنّ الماء مرّ بجسمه | وأقبل رأسٌ وحده وتليل

تشبيه بديع؛ لأن التليل: العنق.

يقول: كأن الماء حمى جسده وأبان عن رأسه وعنقه. فهذا الفرس إذا سبح لم يظهر منه إلا رأسه وعنقه.

وفي بطن هنزيطٍ وسمنين للظّبي | وصمّ القنا ممّن أبدن بديل

أبدن: أهلكن، والضمير للخيل، وللظّبي. وصم القنا، وهتريط وسمنين: بلدان من الروم.

يقول: إن أصحاب السيوف والرماح قد أهلكوا أهل عرفة وملطية، ولم يصلوا إلى بطن هتريط وسمنين، فكأن أولئك الهالكين بدل في هاتين البلدتين للسيوف والرماح ولأصحاب الخيول، يهلكونهم متى شاءوا، ويقتلونهم متى قفلوا.

طلعن عليهم طلعةً يعرفونها | لها غررٌ ما تنقضي وحجول

طلعن: أي الخيل. عليهم: أي على أهل هتريط وسمنين.

المعنى: أن خيل سيف الدولة لما فرغت من أهل ملطية، عطفت عليهم وطلعت على ديارهم، وهذه الطلعة معروفة مشهورة؛ لأنها لم تكن أول مرة، بل تقدم لها أخوات مشهورة كشهرة الغرر والحجول، في الخيل الغر المحجلة. والعرب تصف الشهرة بالغرة والحجول، كما قال الآخر:

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه | ولما يكن يومٌ أغرّ محجّل

وقوله: لها عزر مأخوذ من قول السموءل:

وأيّامنا مشهورةٌ في عدوّنا | لها غررٌ معلومةٌ وحجول

فهو وإن وافقه في المعنى والوزن والقافية وبعض الألفاظ، إلا أن هذا لما كان من العام المنتشر لا يقال فيه: إنه مسروق.

تملّ الحصون الشّمّ طول نزالنا | فتلقى إلينا أهلها وتزول

يقول: إن الحصون الطوال المرتفعة، ملت من طول منازلتنا إياها، فتلقى إلينا أهلها، وتزول الحصون عن أماكنها، حتى لا يبقى منها شيء.

وبتن بحصن الرّان رزحي من الوجى   وكلّ عزيزٍ للأمير ذليل

رزحي: تعبة معيية، والواحد رازح، والوجى: وجع بحافر الفرس؛ من الحفا، وكثرة المشي.

وقيل: أراد به كثرة الضرب والطعن، من قولهم: وجأته بالسكين.

يقول: إن الخيل عادت إلى حصن الران، وقد تعبت وكلت بعد أن قتلت كل بطل، وأذلت كل عزيز، وموضعه نصب على الحال. أي بتن على هذه الحال.

وقيل: معناه أنها لم تصر كذلك للضعف، ولكنه كلفها من همته أصعبها فضعفت.

وفي كلّ نفس ما خلاه ملالةٌ   وفي كلّ سيف ما خلاه فلول

الضمير في ما سواه وما خلاه للأمير.

يقول: كل أحد قد مل من طول الحرب، وكل سيف انثلم من كثرة الضرب، سوى سيف الدولة.

ودون سميساط المطامير والملا   وأوديةٌ مجهولةٌ وهجول

سميساط: مدينة، والمطامير: الآبار، تحفر فلا تبلغ بها إلى الماء، والواحدة: مطمورة. والملا: الأرض الواسعة. والهجول: جمع هجل، وهو المطمئن من الأرض، وقيل: هو الأرض البعيدة الأطراف. يعني: بيننا وبينها هذه الطرق المجهولة، والأراضي الواسعة.

لبسن الدّجى فيها إلى أرض مرعشٍ   وللرّوم خطبٌ في البلاد جليل

مرعش: مدينة والضمير في فيها للمطامير والأودية، وقيل: يرجع إلى سميساط.

يقول: لبست خيل سيف الدولة ظلمة الليل بين هذه المطامير والودية، من سيساط حتى أتى مرعش، وقوله: وللروم خطب: في موضع الحال، أي كانت هذه المسيرة والحال هذه، وهي أن خطبهم قد عظم واشتد أمرهم.

فلمّا رأوه وحده قبل جيشه   دروا أنّ كلّ العالمين فضول

يقول: لما رآه الروم وحده متقدماً على جيشه، علموا أنه كاف عن كل أحد، وأن من عداه زيادة لا يحتاج إليها.

وأنّ رماح الخطّ عنه قصيرةٌ   وأنّ حديد الهند عنه كليل

يقول: وعلموا أن الرماح تقصر عنه ولا تناله، والسيوف تكل ولا تعمل فيه، أي لا يقدر أحد على طعنه وضربه.

فأوردهم صدر الحصان وسيفه فتىً بأسه مثل العطاء جزيل

يجوز في سيفه النصب عطفاً على صدر الحصان.

يقول: جعل سيف الدولة صدر سيفه وفرسه مورد الأعداء. يعني أنه قتلهم بسيفه، واقتحمهم بفرسه. وهو فتى شجاعته مثل عطائه، وكل واحد منهما جزيل.

جوادٌ على العلاّ بالمال كلّه ولكنّه بالدّارعين بخيل

العلات: جمع العلة، وأرد ها هنا كل حدث شاغل، وقيل: قلة المال وتعذر الحال.

يقول: هو جواد بماله كله في جميع الأحوال، لا تشغله الحروب والشدائد عن الجود.

وقيل: معناه أنه يجود حين يعتل عليه ماله ويقل، ولكنه مع هذا الجود، بخيل بالرجال، لا تسمح نفسه أن يسلمهم للقتل، بل يذب عنهم بنفسه. والدارعين: أصحاب الدروع.

فودّع قتلاهم وشيّع فلّهم بضرب حزون البيض فيه سهول

البيض: جمع بيضة، وهي الترك. وروى: حزون الموت والفل: القوم المنهزمون. والضمير في قتلاهم وفلهم للروم.

يقول: قتل قوماً وهزم الباقين، ثم ترك القتلى مكانهم فودعهم، وشيع المنهزمين، وفعل هذا التوديع والتشييع بضرب حزون البيض فيه سهول: أي شدة البيض وصعوبته سهل على هذا الضرب، لم تمنعه الدروع والبيض.

وقيل: إنه جعل ضربه إياهم توديعاً لمن قتل منهم، وتشييعاً لمن انهزم كما قال:

تحيّة بينهم ضربٌ وجيع

على قلب قسطنطين منه تعجّبٌ وإن كان في السّاقين منه كبول

قسطنطين: ابن الدمستق، والكبول: القيود.

يقول: هو متعجب مما شاهد من سيف الدولة من الشجاعة والإقدام ! لم يشغله عن التعجب ما هو فيه من الأسر والقيود.

لعلّك يوماً يا دمستق عائدٌ فكم هاربٍ ممّا إليه يئول

يقول: إن كنت قد هربت وسلمت. فلعلك ترجع يوماً آخر، فتؤسر وتقتل، وكثير من الناس هرب من أمر، ثم رجع إليه.

نجوت بإحدى مهجتيك جريحةً وخلّفت إحدى مهجتيك تسيل

يقول: نجوت بواحدة من مهجتيك مجروحة: يعني نفسه، وخلفت مهجتك الأخرى: يعني ولده؛ لأنه في حكم نفسه. تسيل: أي تذوب في القيد؛ وهذا لأنه جعل ابنه إحدى روحيه. كما روى في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم قال: فطمة بضعة منّى.

أتسلم للخطّيّة ابنك هارباً ويسكن في الدّنيا إليك خليل !!؟

يقول: أنت إذا سلمت ابنك، الذي هو نفسك، للرماح وهربت عنه ! فكيف يسكن إليك صديقك ! وكيف يثق بالوفاء منك خليلك ؟!

بوجهك ما أنساكه من مرشّةٍ نصيرك منها رنّةٌ وعويل

الهاء في أنساكه للابن. والمرشة: الضربة التي ترش الدم، أي تطايره.

يقول: هربت وفي وجهك ضربة أنستك ابنك وشغلتك بنفسك، فنصيبك من هذه الضربة الأنين والبكاء، أي لا تقدر إلا على البكاء والعويل.

أغرّكم طول الجيوش وعرضها ؟! عليّ شروبٌ للجيوش أكول

يقول: غركم كثرة جيوشكم، فلم تعلموا أنه يأكلها ويشربها ! يعني أنها غنيمة له يأكلها، فكلما كثرت، كان أجود له.

إذا لم تكن للّيث إلا فريسةً غذاه ولم ينفعك أنّك فيل

يقول: إذا كنت فريسة لليث، لم ينفعك عظم جسمك، ولو كنت مثل الفيل، بل سمنك وعظم جسمك يغذوه، وموضع أنك فيل رفع بغذاه: أي غذاه كونك ذلك، فأعمل الفاعل الأول فيه وأضمر الفاعل الثاني. وقيل: أضمر الفاعل في غذاه لدلالة الثاني عليه، وتقديره: وغذاه الفيل، ولم ينفعك أنك كذلك.

إذا الطّعن لم تدخلك فيه شجاعةٌ هي الطّعن لم يدخلك فيه عذول

يقول: إذا لم يكن فيك شجاعة، تدخلك في الطعان، وتحملك على مقارعة الأقران، لم يحملك عليه عذل العاذل.

فإن تكن الأيّام أبصرن صولةً فقد علّم الأيّام كيف تصول

يقول: إن أبصرت الأيام صولته هذه على الروم، فقد علمها أيضاً قبل هذه الصولة كيف تصول؟ يعني أن الأيام نظرت إلى صولته بالأعداء فتعلمت منه كيف تقصد أهلها بصروفها، وقيل. أراد بالأيام: أهلها.

فدتك ملوكٌ لم تسمّ مواضياً فإنّك ماضي الشّفرتين صقيل

يقول: فداك كل ملك لم يسم باسمك، وليس له مضاء مثل مضائك، فإنك ماض فيما بينهم، فأنت كالسيف وهم كالبوقات والطبول.

إذا كان بعض النّاس سيفاً لدولةٍ ففي النّاس بوقاتٌ لها وطبول

يقول: أنت كالسيف وغيرك كالطبول والبوقات؛ لأنه إذا جاز أن يكون سيفاً للدولة؛ جاز أن يكون لها طبول، لأن غيرك من الملوك ليس لهم مضاء في الأمور، وليس عنده إلا القول الخالي من الفغل، كالبوقات.

أنا السّابق الهادي إلى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول

يقول: أنا السابق إلى ما أقوله من الشعر، والمبدع لمعانيه، وغيري من الشعراء يسرق ما يقوله ممن تقدمه من الشعراء.

وما لكلام النّاس فيما يريبني أصولٌ، ولا للقائليه أصول

يقول: كلام الناس في غيبتي، والطعن فيّ لا أصل له، غذ لا عيب فيّ، وكذلك لا أصل لمن يعيبني ويطعن عليّ وأصلة من الحديث: الساعي لغير رشده.

أعادي على ما يوجب الحبّ للفتى وأهدأ والأفكار فيّ تجول

حسدوني لفضلي وعادوني، وكان يجب أن يحبوني؛ لأن الفضل يوجب المحبة، وأهدأ: أي أسكن، ولا أحسد أحداً، بل أنام خالي البال، وأفكار الحساد تجول فيّ. ومثله للبحتري:

إذا محاسني اللاّتي أدلّ بها كانت ذنوبي، فقل لي: كيف أعتذر ؟

سوى وجع الحسّاد فإنّه إذا حلّ في قلبٍ فليس يحول

يقول: داو كل داء من الأمراض والفقر وغيرهما، فإنه يزول بمداواتك، ولا تشتغل أنت بمداواة وجع الحساد؛ لأنه لا يزول أبداً.

ولا تطمعن من حاسدٍ في مودّةٍ وإن كنت تبديها له وتنيل

يقول: لا تطمع في مودة حاسدك، فإنك وإن كنت تظهر له المودة، وتعطيه المحبة فإن ما في قلبه من الحسد يمنعه من مودته لك.

وإنّا لنلقي الحادثات بأنفسٍ — كثير الرّزايا عندهنّ قليل

يقول: إن لنا نفوساً كريمة، وقلوباً صابرة على حوادث الدهر، وكثرة الرزايا والشدائد عندها قليل، لكثرتها وصبرها.

يهون علينا أن تصاب جسومنا — وتسلم أعراضٌ لنا وعقول

الأعراض: جمع العرض، وهو موضع الحمد والذم.

يقول: إذا سلمت الأعراض والعقول، فلا حظ للأجسام عندنا، بل يهون علينا ما يحدث فيها من الجراحات والأسقام. ومثله:

إذا أبقت الدّنيا على المرء دينه — فما فاته منها فليس بضائر

فتيهاً وفخراً تغلب ابنة وائل — فأنت لخير الفاخرين قبيل

يقول: يا تغلب ابنة وائل تيهي تيهاً، وافخري فخراً، فإنك قبيلة سيف الدولة، وهو خير الفاخرين، وأنت تغلب. ذهاباً بها إلى القبيلة أو العشيرة، ونصب تيهاً وفخراً على المصدر أي تيهي تيهاً، وافخري فخراً.

يغمّ عليّاً أن يموت عدوّه — إذا لم تغله بالأسنة غول

إذا لم تغله: إذا لم تهلكه. والغول: الداهية. وقيل: المنية.

يقول: إن سيف الدولة إذا مات عدو يغتم بموته، وإنما يريد أن يقتله.

شريك المنايا، والنّفوس غنيمةٌ — فكل مماتٍ لم يمته غلول

الغلول: الخيانة في الغنيمة.

يقول: إن سيف الدولة شارك المنية في الإغارة على نفوس الأعداء، والنفوس غنيمة لها يشتركان فيها، فإذا استبدت المنية في نفس واحد لم يقتلها هو فقد خانته وغلت تلك النفس منه.

فإن تكن الدّولات قسماً فإنّها — لمن ورد الموت الزّؤام تدول

الزؤام: السريع. وتدول أي صارت له، ورجعت إليه.

يقول: إن كانت الدولة مقسومة بقدر السعي فالأولى بها من يقتحم على الأهوال ويباشر القتال وأسباب الموت. فأطلق لفظ الموت على أسبابه.

لمن هوّن الدّنيا على النّفس ساعةً وللبيض في هام الكماة صليل

لمن هون: بدل من قوله: لمن ورد.

يقول: إن الدولة لمن هون الدنيا على نفسه ساعة، في موضع الضرب والطعن، وضرب على شدائدها في تلك الحال؛ لأنه متى صبر فاز بالظفر والغلبة.

وتأخر مدحه عنه فعتب عليه، فقال يعتذر:

بأدنى ابتسامٍ منك تحيا القرائح وتقوى من الجسم الضّعيف الجوارح

القرائح: جمع القريحة، وهي خالص طبيعة الإنسان، وأصلها من قريحة البئر، وهو أول ما يخرج من مائها إذا حفرت.

يقول: إذا ابتسمت ورضيت عنا تحيي ما مات من خواطرنا وتقوي ما ضعف من جوارحنا.

ومن ذا الّذي يقضي حقوقك كلّها ؟ ومن ذا الّذي يرضى سوى من تسامح ؟

يقول: لا يقدر واحد على قضاء حقوقك، وعلى إرضائك في قضائها، إلا أن تسامحه، ولا تكلفه فوق طاقته.

وقد تقبل العذر الخفيّ تكرّماً فما بال عذري واقفاً وهو واضح ؟

تكرماً نصب على المفعول، وواقفاً على الحال، ومعناه: غير مقبول.

يقول: أنت تقبل العذر الخفي لكرمك، فكيف صار عذري غي مقبول في تأخيري مدحك مع وضوحه وظهوره ؟!

وإنّ محالاً إذبك العيش أن أرىوجسمك معتلّ وجسمي صالح

يقول: إن كان قوام عيشي بك فمن المحال سلامة جسمي مع اعتلال جسمك، بل الواجب مشاركتنا. إياك في لاعتلال.

وما كان ترك الشّعر إلاّ لأنّه تقصّر عن وصف الأمير المدائح

جعل تقصير المدائح عن وصفه عذراً في تأخير المدح، فقال: لم أترك مدحك تغافلاً عن قضاء حقك، ولكن رأيت المدائح قاصرة عن وصفك، غير ناهضة بآداء شكرك.

وقال وقد تشكى سيف الدولة من دمل في شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة.

أيدري ما رأيك من يريب ؟ وهل ترقى إلى الفلك الخطوب !؟

فاعل يدري: ما أريك، وهو الدمل ومن في موضع نصب؛ لأنه المفعول، وهو سيف الدولة على جهة التعجب والتعظيم للأمر.

يقول: أيدري هذا الدمل من يريب ؟ وعلى من أقدم ؟ أي لو علم علو مكانك لما تجاسر على الحلول بك، فإنك الفلك في العلو والارتفاع عن الآفات، والخطوب لا ترقى إلى الفلك، فكيف رقى إليك الدمل ؟!

وجسمك فوق همّة كلّ داءٍ فقرب أقلّها منه عجيب

الهاء في أقلها للأدواء التي تدل عليه قوله: كل داء إذ هو في معنى الجمع.

يقول: إن جسمك أعلى محلاً من أن يصيبه أعظم الأدواء، وأن تبلغ همته إليه، فكيف وصل إليك الدمل الذي هو أقل الأدواء وأحقرها ؟

يجشّمك الزّمان هوىً وحبّاً وقد يؤذي من المقة الحبيب

يقول: إن الزمان يحبك حباً شديداً فآلمك بهذا القدر من الألم؛ لأن الحبيب يؤذيه الحبيب إذا غلبه الحب، تذللاً. والمقة: الحب، وقد روى: يجمشك والتجميش: مداعبة الحبيب والممازحة معه.

يقول: إن الزمان يداعبك، ويتعرض لك؛ لحبه إياك، وهذا الدمل الذي أصابك تجميش منه، فآذاك وآلمك، فإن المحب ربما آذى حبيبه بالعض وغيره، محبة منه. وقوله هوى وحباً نصب على المفعول له.

وكيف تعلّك الدّنيا بشيءٍ وأنت بعلّة الدّنيا طبيب ؟

يقول: كيف أصابتك الدنيا بعلة وأنت طبيبها ؟ الذي تداوي علتها، وتذهب سقمها، وتصلحها من الفساد.

وكيف تنوبك الشّكوى بداءٍ وأنت المستغاث لما ينوب ؟

تنوبك أي تصيبك والشكوى: المرض.

يقول: كيف تصيبك ما تشكو منه ؟ ومن نابته الشكوى استغاث بك فأجرته.

مللت مقام يومٍ ليس فيه طعانٌ صادقٌ ودمٌ صبيب

المقام: الإقامة، والصبيب: المصبوب.

يقول: قد تعودت الحرب، وتركت الإقامة، فمتى فقدت ذلك يوماً واحداً ألمت من ذلك، ومللت من طول الإقامة، فألمك هو الجلوس في الدعة، وترك الحرب، لا من الدمل، إذ هو أقل من أن تبالي به.

وقوله: طعان صادق يعني أنه لا يخطئ بل يصيب.

وأنت الملك تمرضه الحشايا لهمّته، وتشفيه الحروب

الحشايا: جمع الحشية.

يقول: أنت ملك عظيم الهمة لا تلتذ بالتنعم والراحة، فالنوم على الحشايا يمرضك، والحروب تشفيك وتوافقك. إذ ترك العادة يمرض الإنسان.

وما بك غير حبّك أن تراها وعثيرها لأرجلها جنيب

العثير: الغبار، والضمير في تراها وعثيرها وأرجلها للخيل، فأضمرها وإن لم يجر لها ذكر: للعلم بها. إذ الحروب لا تعرى من الخيل. والجنيب: التابع كالجنيبة التي تقاد إلى جنب الفرس.

يقول: هذا الألم الذي ألم بك، ليس هو من المرض، ولكنه لشوقك إلى أن ترى الخيل، وقد أثارت الغبار في الحروب، وصار غبارها تابعاً لأرجلها، كما يتبع الفرس قائده.

مجلّحةً لها أرض الأعادي وللسّمر المناحر والجنوب

مجلحةً: مصممة جادة في شأنها، ونصب على الحال. والمناحر: موضع النحر، والجنوب: جمع الجنب، وأراد به: جنوب الأعادي ونحورهم.

يقول: ليس بك إلا ألم حبك أن ترى خيلك مجلحة محدة في الحروب، وقد ملكت أرض الأعادي، وملكت الرماح نحور الأعادي وجسومها.

وقيل أراد: نحور الخيل وجنوبها، يعني: أنها تتلقى الرماح بنحورها، وجنوبها، ولا تولي عنها.

فقرّطها الأعنّة راجعاتٍ فإنّ بعيد ما طلبت قريب

تقريط الأعنة: هو أن يرخي الفارس عنان الفرس، حتى يمس أذنه، فيصير بمنزلة القرط له. وقيل: هو طرح اللجاح في رأس الفرس.

يقول: إذا كان مرضك هذا، فشفاؤك في يدك، فارجع بخيلك إلى أرض الروم، وارخ لها الأعنة، حتى تبلغ مرادك، ويشفيك من ألمك، فإن ما طلبته هذه الخيل، وإن كان بعيداً، فهو عليها قريب.

إذا داءٌ هفا بقراط عنه فلم يعرف لصاحبه ضريب

هفا: أي غفل وزل. ولم يعرف: أي ليس يوجد، وأقام لم مقام ليس والضريب: المثل والنظير، فالهاء في لصاحبه للداء.

والبيت يفسر على وجوه.

أحدها: أن بقراط قد ذكر جميع الأدواء، ولم يذكر فيها حب الحروب، ولم يعلم بقراط أحداً، يكون فقد الحرب مرضاً له، فمن أصابه هذا الداء الذي هفا عنه بقراط، لم يكن له في الناس نظير، فكأنه يقول: ليس لك نظير في هذه الهمة، فإنا ما سمعنا بمن يمرضه حب الحرب، وتؤلمه الراحة والدعة.

وجواب إذا قوله: لم يعرف.

والثاني: أنه جعله بمنزلة بقراط. فيقول: أنت مع علمك وكونك في مثل علم بقراط، عجزت عن دفع هذا الداء عنك، وكل داء هفا بقراط عنه، فإن صاحب ذلك الداء ليس له نظير، إذ هو خارج عن الطبائع البشرية؛ لأن بقراط لا يشكل عليه طبايع البشر، فلما كنت بقراط فعجزت عن مداواة هذا الداء، علمنا أنك تفارق جميع الناس، ولا يشبهك أحد منهم، وجواب إذا أيضاً فلم يعرف.

والثالث: أن المراد بالداء: الحروب ونيوب الدهر، وهو متعلق بقوله: فإن بعيد ما طلبت قريب إذا داء هفا بقراط عنه، فلم يوجد عليل، به تلك العلة، ففي تلك الحال بعيد ما تطلبه قريب الغرض به. يعني: أنه إذا اختل أمر الثغور كان عود خيلك إليها قريباً، فتكون أنت مداوياً لها. والفاء على هذا تكون عاطفة لجملة على جملة، وهذا كقول ليلى الأخيلية:

إذا هبط الحجّاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدّاء العضاء الّذي بها غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها

بسيف الدّولة الوضّاء تمسى جفوني تحت شمسٍ ما تغيب

الوضاء: مبالغة الوضيء.

يقول: إذا أبصرته أبصرت شمساً لا تغيب، كما تغيب الشمس، وقوله: جفوني تحت شمس: أن ناظرة إلى وجهه.

فأغزو من غزا، وبه اقتداري وأرمى من رمى وبه أصيب

يقول: إذا غزا سيف الدولة غزواً غزوته معه، ولكن اقتداري به، وقوتي ونكاتي في غزوه بتأييده. وقيل: معناه أني لا أغزوهم إلا بنفقته وخيله وسلاحه الذي وهب لي، فكأن اقتداري بعطيته، وإذا رميت الاعداء أصبتهم بدولته.

وللحسّاد عذرٌ أن يشحّوا على نظري إليه وأن يذوبوا

يقول: إن حسدوني على نظري إليه، ونافسوني فيه، وذابوا كمداً وحزناً، بمترلتي عنده، فلهم في ذلك عذر.

فإنّي قد وصلت إلى مكانٍ		عليه تحسد الحدق القلوب

يقول: من يحسدني على مترلتي عنده، ونظري إليه فهو معذور؛ لأني قد جعلت في مكان يحسد قلبي فيه عيني، لما تدركه من اللذة بالنظر إليه، ورؤيتها لمكارمه ومحاسنه، والقلب لا يصل إليها مباشرة، وإنما يصل إليها بالعلم. وهو قريب من قول الآخر:

إذا زرت حفصاً تستضيء برأيه		فقلبك مغبونٌ وطرفك رابح

وروى: تستضيء بشمسه.

وقال سيف الدولة، وعنده رسول ملك الروم: الساعة يسر الرسول بهذه العلة، فأجابه أبو الطيب:

فديت، بماذا يسرّ الرّسول ؟		وأنت الصّحيح بذا لا العليل

يقول: جعلنا الله تعالى فداءك، بأي شيء يسر الرسول ؟ وأنت الصحيح بهذا الدمل لا المريض؛ لأن بهذا يزول أدواء كثيرة، وهذا علامة الصحة.

عواقب هذا تسوء العدوّ		وتثبت فيك وهذا يزول

يقول عاقبة هذا الدمل، وهو الصحة تسوء أعداءك، وتثبت فيك الصحة دائماً، وهذا الذي أصابك يزول في أسرع وقت.

وقال أيضا في علة سيف الدولة، يمدحه:

إذا اعتلّ سيف الدّولة اعتلّت الأرض		ومن فوقها والبأس والكرم المحض

يقول: إذا أصاب سيف الدولة علة، عمت الأرض ومن عليها، واعتل بها أيضا الشجاعة والكرم؛ لأن قوام الكل به. والبأس: الشجاعة. ومثله لعلي بن الجهم:

وإذا رابكم من الدّهر ريبٌ		عمّ ما خصّكم جميع الأنام

وكيف انتفاعي بالرّقاد وإنّما		بعلّته يعتلّ في الأعين الغمض ؟

يقول: إذا اعتل هو، لم أنتفع بالنوم، ولم أجد له لذة؛ لأنه إذا اعتل اعتل النوم في عيني جزعاً عليه.

شفاك الّذي يشفي بجودك خلقه		فإنّك بحرٌ كلّ بحرٍ له بعض

يقول: شفاك الله تعالى، كما يشفي خلقه بجودك، فإنك في الجود بحر، إذا قيست البحار إليه كانت بعضاً منه وجزءا له.

وقال أيضاً في شهر رمضان وقد عوفي سيف الدولة من الدمل:

المجد عوفي إذا عوفيت والكرم   وزال عنك إلى أعدائك الألم

يقول: إن المجد والكرم اعتلا بعلتك ! فلما عوفيت عوفيا بعافيتك، وزال ألمك الذي بك إلى أعدائك؛ لأنهم اغتموا بعافيتك، وتألموا بصحتك، فكأن ألمك انتقل إليهم.

وقيل: إن هذا دعاء: أي رد الله تعالى ألمك إلى أعدائك.

والأولى أنه خبر، وليس بدعاء؛ لأنه أخبر في صدر البيت أنه عوفي، فلا يتصور معه الدعاء عليهم بداء له وقد زال.

صحّت بصحّتك الغارات وابتهجت   بها المكارم وانهلّت بها الدّيم

ابتهجت: أي فرحت. وانهلت: أي انصبت.

يقول: لما راجعتك الصحة صحت الغارات بصحتك؛ لأنها كانت سقيمة بسقمك، وسرت المكارم بها؛ لأنها كانت سقيمة، وجرى بها عطاياك المتصلة، كأنها ديم منهلة.

وراجع الشّمس نورٌ كان فارقها   كأنّما فقده في جسمها سقم

يقول: كانت الشمس فارقها نورها لمرضك، فعاد إليها الآن لأجل صحتك، وكأن فقد هذا النور سقما في جسم الشمس، فزال عنها مرضها لأجل صحتك.

ولاح برقك لي من عارضي ملكٍ   ما يسقط الغيث إلاّ حين يبتسم

العارض: أول ما يلي الناب من الثنايا، ويقال: هو الناب.

شبه نقاء عارضيه بالبرق، ثم قال: ما يسقط الغيث إلا حين يبتسم هذا الملك، يعني إذا ابتسم أعطى، فعبر عن العطايا بالغيث.

وقيل: أراد بالبرق علامات جوده ومخايل إحسانه.

يسمى الحسام وليست من مشابهةٍ   وكيف يشتبه المخدوم والخدم ؟ !

يقول: يسمى الممدوح باسم السيف، وهذا لا يشابهه في الخصال والمعاني، وكيف يشبهه وهو خادمه يتصرف على إرادته ؟!

تفرّد العرب في الدّنيا بمحتده   وشارك العرب في إحسانه العجم

المحتد: الأصل، والضمير فيه وفي إحسانه للممدوح.

يقول: تفرد العرب بأصله؛ لأنه والعرب من أصل واحد، والعجم تشارك العرب في إحسانه ونعمه.

يعني أن فضله عم العجم عمومه للعرب، وشاع في الناس كافة.

وأخلص الله للإسلام نصرته   وإن تقلّب في آلائه الأمم

الآلاء: النعم. واحدها إلى وألي.

يقول: جعل الله تعالى نصرته للإسلام خالصة؛ لأنه أبداً يجاهد الكفار؛ ويذب عن الإسلام، فنصره مقصور على الإسلام، ونعمه تعم الخلق: مؤمنهم وكافرهم.

وما أخصّك في برءٍ بتهنئةٍ   إذا سلمت فكلّ النّاس قد سلموا

يقول: لا أخصك بهذه التهنئة على برئك من المرض، بل أهنئ جميع الناس، فإنهم كانوا مرضى لمرضك، فإذا سلمت منه سلم جميع الناس، فاستووا معك في استحقاق التهنئة.

وقال في انسلاخ شهر رمضان يمدح ويهنئه بعيد الفطر:

الصّوم والفطر والأعياد والعصر   منيرةٌ بك حتّى الشّمس والقمر

الشمس: مرفوعة، لأنها معطوفة بحتى على ما قبلها.

يقول: هذه الأشياء نورها وبهجتها بك، حتى أن الشمس والقمر اللذين هما الأصل في الإنارة، منيران بك مضيئان بدولتك؛ لأنهما يشهدان النور من أنوارك، كالقمر يشهد النور من الشمس.

ترى الأهلّة وجهاً عمّ نائله   فما يخصّ به من دونها البشر

التذكير: للوجه، وفي به للنائل، والتأنيث: للأهلة.

يقول: نظر الأهلة إلى وجهه، يقوم مقام نائله، لأنها تقابل منه سعداً وتكتسب منه نورا، فنائله عم الأهلة وسائر الخلق، ولم يختص به البشر دون غيره.

ما الدّهر عندك إلا روضةٌ أنفٌ   يا من شمائله في دهره زهر

الروضة الأنف: التي لم ترع، فيكون أحسن لها.

شبه الدهر بالروضة، وشمائله بالزهر الذي هو في الروضة لحسنها.

ما ينتهي لك في أيامه كرمٌ   فلا انتهي لك في أعوامه عمر

الهاء في أيامه للدهر، وكذلك في أعوامه وقوله: فلا انتهى دعاء للممدوح.

يقول: ليس لكرمك نهاية في الدهر، وعمرك يزيد في أعوام الدهر.

فإنّ حظّك من تكرارها شرفٌ   وحظّ غيرك منه الشّيب والكبر

الهاء في تكرارها للأيام أو للأعوام، وفي منه للدهر.
يقول: إنك لا تزال تزداد شرفاً على مرور الأيام وكرور الأعوام؛ لأنك تفعل في كل وقت فعلاً لك فيه ذكر وشرف، وغيرك يزداد شيباً وهرماً.
ومد قويق: وهو نهر بحلب، فأحاط بدار سيف الدولة، فخرج أبو الطيب من عنده، فبلغ الماء صدر فرسه. فقال:

حجّب ذا البحر بحارٌ دونه

يذمّها النّاس ويحمدونه

البحر: سيف الدولة، والبحار: مدود النهر.
يقول: حالت هذه السيول، والمدود، بيننا وبين بحر الجود، فالناس يذمون هذه البحار؛ لأنها منعتهم عن ذلك البحر ويحمدون سيف الدولة؛ لأنه لم يحجب نائله عنهم.
وقيل: يذمون البحار استحقاراً بالإضافة إليه، ويحمدونه تعظيماً له.

يا ماء هل حسدتنا معينه ؟

أم اشتهيت أن ترى قرينه ؟

المعين: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض، مفعول من العين: أي تدركه.
يقول للماء: هل حسدتنا على كثرة جوده، الذي هو كالماء الجاري، فحلت بيننا وبينه ؟ وقيل: معناه هل حسدتنا على مشاهدتنا لسيف الدولة فعقتنا عنه وعن الوصول إليه ؟ أم أردت يا ماء أن ترى قرينه: أي تكاثر جوده، فتكون أنت قريناً له ؟!

أم انتجعت للغنى يمينه ؟

أم زرته مكثّراً قطينه ؟

قطين الملك: خدمه المقيمون.
يقول للماء: أم قصدته يا ماء مستميحاً الغنى منه ؟ أم أردت أن تكثر بنفسك خدمه وحشمه تشرفا بخدمته ؟

أم جئته مخندقاً حصونه ؟

إنّ الجياد والقنا يكفينه

يقول: لعلك جئته لتصير خندقاً حول حصونه، ثم إنه لا يحتاج إلى إحاطتك بحصنه، بل هو غني بخيله وسلاحه.
والضمائر من أول الأبيات إلى ها هنا للبحر.

يا ربّ لجّ جعلت سفينه

وعازب الرّوض توفّت عونه

اللج: جمع لجة. والهاء في سفينه عائدة إليها لفظاً. والسفين: جمع السفينة، والهاء في عونه للروض. والعون: جمع عانة، وهي القطعة من حمر الوحش. والتاء في جعلت وتوفت للجياد.
يقول: رب لجة جعلت الجياد سفيناً لها. يعني أنه اقتحم بها الأنهار العظيمة في غزواته، فصارت كالسفن. وقيل: أراد حومة القتال وغمرة الحرب. ورب روض بعيد قد وصلت إليه هذه الجياد، فاستوفت جميع ما فيها من عانات الحمر الوحشية وأهلكته.

وذي جنونٍ أذهبت جنونه

وشرب كأسٍ أكثرت رنينه

وأبدلت غناءه أنينه

وقوله: وذي جنون: كناية عن الشجاع، أو كناية عن الباغي. وقيل: أراد به ملكاً. كأنه من غيرة نفسه مجنون، والشرب: القوم المجتمعون على الشراب. والهاء في جنونه لذي جنون وفي رنينه وغناءه وأنينه للشرب، لفظاً لا معنىً، والرنين: صوت الباكي الحزين. والأنين: صوت الحزين المتوجع.
يقول: ورب ذي جنون قصدته هذه الخيل، وأذهبت ذلك الجنون من رأسه، ورب قوم شاربين للكأس، هجمت عليهم فقتلتهم وأكثرت رنينهم وأبدلت غناءهم وطربهم حزناً وبكاء !

وضيغمٍ أولجها عرينه

وملكٍ أوطأها جبينه

العرين: موضع الأسد في الأجمة. وفاعل أولجها ضمير البحر، الذي هو سيف الدولة، والهاء: ضمير الجياد، وكذلك في أوطأها أي ورب أشد أدخل سيف الدولة هذه الجياد في أجمته، وأغار على مملكته، ورب ملك قتله، ومشى بها على جبينه.

يقوده مسهّداً جفونه

مباشراً بنفسه شؤونه

مسهداً ومباشراً نصب على الحال، والضمائر كلها راجعة إلى سيف الدولة، وهو المعبر عنه بالبحر.
يقول: يقود سيف الدولة هذه الجياد إلى الحروب ليلاً، وقد منع أجفانه من النوم.

وقيل: الهاء في جفونه تعود إلى الملك: أي يسهد جفون الملك بقصده بخيله. وهو يتولى أموره بنفسه، ولا يتكل فيها إلى كفاية غيره؛ لفضل قوته وبعد همته.

مشرّفاً بطعنه، طعينه

عفيف ما في ثوبه مأمونه

أبيض ما في تاجه ميمونه

المنصوبات كلها على الحال. إلا قوله: طعينه فإنه منصوب بمشرف.
يقول: إذا طعن إنساناً فإنه يتشرف بطعنه، لأنه يقال قد نازله وثبت له، وهو عفيف الفرج، أبيض الوجه، مبارك ميمون على من رآه.

بحرٌ يكون كلّ بحرٍ نونه

شمسٌ تمنّى الشّمس أن تكونه

قوله: أن تكونه الهاء فيه خبر كان وقد وصله، والأولى فيه الفصل، فيقال: أن تكون إياه. وذكر الضمير في أن تكونه وإن كان راجعاً إلى قوله: شمس لأنه أراد بها سيف الدولة.
يقول: هو بحر في الجود والهيبة، إذا قيست البحار إليه كانت بمنزلة السمكة في البحر، وهو شمس في إشراقه وعلو همته، ومنزلته وشهرة ذكره، والشمس الحقيقي تتمنى أن تكون مثله.

إن تدع يا سيف لتستعينه

يجبك قبل أن تتمّ سينه

الهاء في سينه تعود إلى سيف. يخاطب صاحباً له، أو نفسه، فيقول: إن دعوته وقلت يا سيف الدولة، تستعين به أجابك قبل أن تلفظ بالسين، من يا سيف.
وقيل: هو خطاب لسيف الدولة: أي إن دعوت سيفك لتستعين به أجابك قبل إتمام السين منه.

أدام من أعدائه تمكينه

من صان منهم نفسه ودينه

من فاعل أدام، وأراد به الله تعالى.
يقول: أدام الله تمكينه، كما صان منهم نفسه ودينه: أي حال بينهم وبينه من أن ينالوه بطعن في نفسه ودينه.

وقال في ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة، يمدحه ويهنئه بعيد الأضحى، وأنشده إياها في ميدانه بحلب، تحت مجلسه، وهما على فرسيهما ويذكر أسره لابن الدمستق وفيها يفتخر بنفسه وشعره:

لكلّ امرئٍ من دهره ما تعوّدا   وعادات سيف الدّولة الطّعن في العدا

يقول: كل إنسان يجري على ما تعود من دهره، وعادة سيف الدولة التي لا ينفصل عنها، أن يطعن أعداءه، فهو جار عليه.

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه   ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا

الإرجاف: خوض العامة في الإخبار عن الملوك بالسيئ. وقيل: هو مقدمة الكون.
يقول: من عادته أيضاً أن يكذب إرجاف أعدائه عنه بضد ما أرجفوا، فإذا نووا على إيقاع شر به عاد ما تمنوه عليهم، فيصير هو أسعد من أعدائه. بما نووا عليه. وروى: بما تحوي وتنوي.

وربّ مريدٍ ضرّه، ضرّ نفسه   وهادٍ إليه الجيش، أهدى وما هدى

الهاء في ضره لسيف الدولة، وفي نفسه للمريد، وهاد: من قولهم: هديته الطريق، والجيش: نصب بهاد وضره: بمريد. وأهدى: من الهدية.
يقول: رب إنسان أراد أن يضره، ضر نفسه ! وعاد كيده إليه، وهذا من قوله تعالى: "وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهْلِهِ". ومنه قول الشاعر:

رماني بأمر كنت منه ووالدي   بريّاً ومن قعر الطّويّ رماني

أي عاد رميه إليه، مثل من يرمي حجراً من قعر بئر، فيعود على رأسه.
ورب قائد هدى إليه جيشاً، فكأنه بعث إليه هدية وغنيمة.

ومستكبرٍ لم يعرف الله ساعةً   رأى سيفه في كفّه فتشهّدا

يقول: رب كافر مستكبر عن طاعة الله تعالى، لم يؤمن ساعة، لما رأى سيف الدولة وفي يده سيفه أسلم، وتشهد: أي أقر بشهادة التوحيد.
ويجوز أن يكون ساعةً متعلق بقوله: رأى السيف في يده، ساعةً، ووقتاً، فأسلم.

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً　　　على الدّرّ واحذره إذا كان مزبداً

يقول: هو بحر، فإذا كان ساكناً فغص فيه، واستخرج منه الدر، وإذا كان هائجاً مزبداً فاحذره ولا تقربه، فتغرق فيه. يعني: استمنح منه الرغائب في حال السلم، واحذر من أن تلقاه محارباً، فإنه يهلكك. وهو وقوله:

سل عن شجاعته وزره مسالماً

فإنّي رأيت البحر يعثر بالفتى　　　وهذا الّذي يأتي الفتى متعمّداً

يقول: هو أشد من البحر بأساً؛ لأن البحر إنما يصيب الإنسان اتفاقاً، فربما سلم منه، وإن باعد منه لم يقصده، وهذا البحر يقصد إلى قرنه عن عمد، ويهلكه عن قصد، فيكون يعثر بمعنى يصيب.

وقيل: معناه البحر ليس هو مكنه على قصد مكان غير مكانه، وهذا البحر يقصد العدو ويهلكه، وهو قريب من الأول.

وقيل: لما سوى بين البحر وبين سيف الدولة من حيث الغضب والسكون فضله على البحر فقال: ما يفعله سيف الدولة في حالتي الغضب والسكون، فهو عن قصد وإرادة، وما يفعله البحر لا يكون عن قصد وإرادة، وليس إغناء البحر من يقصده. بما فيه من الدر عن قصد، وكذلك إهلاكه في حال الاضطراب، فيكون قوله: يعثر بالفتى عبارة عن وقوع الفعل غفلة لا عن قصد وعمد.

تظلّ ملوك الأرض خاشعةً له　　　تفارقه هلكى، وتلقاه سجّداً

يقول: إن الملوك تخشع له، فإذا لقيته سجدت له، وإذا خرجت من عنده ففي قلوبهم من الخوف والهيبة ما يقوم لهم مقام الهلاك.

وقيل: أراد به حقيقة الهلاك. يعني إذا فارقوه على سبيل العصيان أهلكهم.

وتحيي له المال الصّوارم والقنا　　　ويقتل ما تحيي التّبسّم والجدا

الجدا، والجدوى: العطية.

يقول: يغنم الأموال بالسيوف والرماح، ثم يهبها بتبسمه وجدواه. وقوله: بالتبسم إشارة إلى أنه لا يمكن أن يؤخذ منه على وجه القهر. ومثله لأبي تمام:

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشرٍ　　　أغارت عليهم فاحتوته الصّنائع

ذكيٌّ تظنّيه طليعة عينه　　　يرى قلبه في يومه ما ترى غدا

تظنيه: أصله تظننه، وهو تفعل من الظن، وتظنيه: مبتدأ: وطليعة عينه: خبره، والجملة: صفة لذكي.
يقول: هو ذكي يعرف الأمر قبل موقعه، فكأن ظنه طليعة لعينه، فهو يرى بقلبه اليوم ما تراه أيها الإنسان بعينك غدا.

وصولٌ إلى المستصعبات بخيله فلو كان قرن الشّمس ماءً لأوردا

روى: المستصعبات بالكسر، والفتح. والكسر: على أنه من الفعل اللازم، استصعب: أي صعب.
والفتح: من قولك استصعبت الأمر: وجدته صعباً.
يقول: لا يتعذر عليه ما يريده، حتى لو كان قرن الشمس ماء لأورد خيله منه.

لذلك سمّى ابن الدّمستق يومه مماتاً، وسمّاه الدّمستق مولداً

الهاء في يومه لابن الدمستق، وفي سماه لليوم، وقوله: لذلك إشارة إلى البيت الذي قبله: أي أنه أسر ابن الدمستق، لأنه يصل إلى كل أمر صعب بخيلة، فسمى ابن الدمستق اليوم الذي أسر فيه مماتاً؛ لأنه دنا من الموت، وأيس من الحياة، وسماه أبوه: مولداً؛ لأنه قد نجا من القتل والموت، فكأنه ولد في ذلك اليوم، أو كأنه عاد إلى الدنيا، بعد أن خرج منها.

سرت إلى جيحان من أرض آمدٍ ثلاثاً؛ لقد أدناك ركضٌ وأبعدا

جيحان: نهر في بلاد آمد مسافته بعيدة.
يقول: سريت من آمد إلى جيحان في ثلاث ليال، مع بعد المسافة بينهما، قاله متعجباً. ثم قال: لقد أدناك الركض من جيحان؛ وأبعدك من آمد.
وعن ابن جني قال: أدناك من جيحان، وأبعد أولئك القوم من جيحان؛ مخافةً منك، فيكون مفعول أبعد محذوفاً.

فولّى وأعطاك ابنه وجيوشه جميعاً ولم يعط الجميع لتحمداً

يقول: ولى الدمستق لما رآك، وأسلم ابنه وجيشه إليك، ولم يعط جميع ما قلت لتحمده عليه؛ لأنه لم يعطك عن طيب نفس واختيار منه حتى تحمده، ولكن كان ذلك على رغم منه: قهراً وقسراً.

عرضت له دون الحياة وطرفه وأبصر سيف الله منك مجرّدا

يقول: لما رآك غلب على قلبه الخوف، وعلى عينه الحيرة، فلم تر عينه غيرك، وحلت بينه وبين حياته، فصار كالميت؛ لبطلان حواسه.
وجعله سيف الله؛ لأنه مجاهد في سبيله ودينه. وروى: وطرقه أي حلت بينه وبين طريقه إلى الحياة.

وما طلبت زرق الأسنّة غيره ... ولكنّ قسطنطين كان له الفدا

الفدا إذا فتح: يقصر، وإذا كسر: يمد.

يقول: لم تطلب الرماح إلا الدمستق ولكن نجا هو وصار ابنه فداءً له.

فأصبح يجتاب المسوح مخافةً ... وقد كان يجتاب الدّلاص المسرّدا

يجتاب: أي يلبس المسوح ويدخل فيها. والمسوح: جمع مسح. والدلاص: الدرع الصافية البارقة. والمسرد: المحكم النسج.

يقول: إن الدمستق لما نجا ترهب خوفاً من سيف الدولة، ولبس المسوح السود، وقد كان يلبس الدروع ويباشر الحروب فترك ذلك.

ويمشي به العكّاز في الدّير تائباً ... وما كان يرضى مشى أشقر أجردا

العكاز، والعكازة: العصا. والدير للرهبان، كالصوامع للعباد.

يقول: لما عجز عن المقاتلة كانت تحمله العصا في الدير؛ لأنه قد ضعف ومرض خوفاً، وأظهر التوبة، وكان قبل ذلك لا يرضي أن يحمله الفرس الأشقر الأجرد، لأنه على ما يقال: يكون أصبر على السير.

وما تاب حتّى غادر الكرّ وجهه ... جريحاً وخلّى جفنه النّقع أرمدا

يقول: لم يتب اختياراً وزهداً في الدنيا، ولكن لما تركت وجهه جريحاً، وأسرت ابنه، وجعل الغبار عينه أرمد، خاف على نفسه فترهب.

فإن كان ينجي من عليٍّ ترهّبٌ ... ترهّبت الأملاك مثنى وموحدا

يقول: إن كان كل من يترهب ينجو من سيف الدولة، فإن جميع الملوك يترهبون اثنين اثنين، وواحداً واحداً ومثنى وموحد نصب على الحال.

وكلّ امرئٍ في الشّرق والغرب بعدها ... يعدّ له ثوباً من الشّعر أسودا

وكل امرئ بعدها: أي بعد حالة الدمستق. وقيل: بعد الوقعة والهاء في له لامرئ، أي يعد لنفسه.

يقول: إن كان ينجيه ترهبه، فكل أحد بعد هذا - في الشرق والغرب - يجعل لنفسه مسحاً أسوداً ليلبسه. يعني لا ينفعه ذلك.

هنيئاً لك العيد الّذي أنت عيده ... وعيدٌ لمن سمّى وضحّى وعيّدا

هنيئاً: نصب على الحال، والعيد: رفع بفعل مضمر يدل عليه هنيئاً: أي ثبت العيد لك هنيئاً.
يقول: هنأك هذا العيد الذي أنت عيد له، لأنه يتجمل بك ويسر بكونك فيه، كما يتجمل الناس في العيد، وأنت أيضاً عيد لكل مسلم يرى هذا اليوم عيداً، فيضحي ويذكر اسم الله تعالى في أيامه.
وقيل: أراد هذا العيد عيد لكل من سمى وضحى، وجعله عيداً: أي عيد لكل مسلم.

ولا زالت الأعياد لبسك بعده   تسلّم مخروقاً وتعطي مجدّدا

يقول: لا زلت بعده تلقى أعياداً كثيرة وتلبسها، فإذا أبليت عيداً ملبوساً، لبست عيداً جديداً.

فذا اليوم في الأيّام مثلك في الورى   كما كنت فيهم واحداً كان أوحدا

يقول: هذا اليوم في الأيام بمترلتك من الأنام، فهو سيد الأيام وأوحدها، كما أنك أوحد الناس وسيدهم.

هو الجدّ حتّى تفضل العين أختها   وحتّى يكون اليوم لليوم سيّدا

يقول: البخت يسعد كل شيء، حتى الأيام، فيصير اليوم سيدا لليوم، والعين قيل: أراد بها العين الحقيقية. يعني: أن البخت ربما يجعل إحدى العينين أفضل من الأخرى؛ لما يلحق الأخرى من الآفة والنقص فتصير دونها. وقيل: أراد بالعين قول القائل هذا عين الشيء.
أي قد يكون عينان من ثوبين أو درتين وغيرهما - وإن كانا من جنس واحد - تفضل إحداهما على الأخرى؛ لما لها من الحظ، فتكون أوقع في النفس وأعظم للحظ.

فواعجباً من دائلٍ أنت سيفه   أما يتوقّى شفرتي ما تقلّدا

الدائل: صاحب الدولة.
يقول: ما أعجب أمر الخليفة ! حيث جعلك سيفه، كيف لا يخافك فأنت أقوى منه سلطانا ؟!

ومن يجعل الضّرغام للصّيد بازه   تصيّده الضّرغام فيما تصيّدا

يقول أنت كالأسد، فإذا جعلك الخليفة بازه، كان قد وضع الشيء في غير موضعه ! لأن الأسد لا يصيد لأحد، وإنما يصيد لنفسه، فمن جعله بازه كان آخر أمره أن يعطف عليه يوماً فيجعله من جملة صيده، فكذلك الخليفة، ربما عطفت عليه فأقمته عن ملكه وقعدت مكانه، فيصير صيداً لك.
ومن شرط ويجعل مجزوم به وكان يجب جزم قوله: تصيده لكن حمله على التقديم والتأخير: أي تصيد الضرغام فيما تصيد، من يجعل الضرغام للصيد بازه كقول الشاعر:

إنّك إن تصرع أخاك تصرع

أي إنك تصرع إن تصرع أخاك. وقال أبو الفتح بن جني: قلت له: لم جعلت من في قولك ومن يجعل شرطاً صريحاً ؟ وهلا جعلته بمترلة الذي، وضمنت الصلة معنى الشرط حتى لا تركب الضرورة، نحو قوله تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ باللَّيْلَ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنيةً فَلهُمْ أجْرُهُم". فقال: هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وإنما جئت بلفظ الشرط صريحاً؛ لأنه أوكد وأبلغ، قال: وأردت الفاء في قوله تصيده وحذفتها وهذا جائز.

رأيتك محض الحلم في محض قدرةٍ ولو شئت كان الحلم منك المهنّدا

يجوز أن يكون متصلاً بما قاله: أي أنك مع قدرتك الظاهرة تعامل الخليفة بالحلم. ولو شئت جعلت مكان الحلم السيف، ويجوز ألا يكون متصلاً به. أي حلمك عن الجهال عن قدرة، ولو شئت جعلت مكانه سيفاً.

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحرّ الّذي يحفظ اليدا ؟ !

يقول: إذا قدرت على حر فعفوت عنه، فكأنك قتلته؛ لأنه لا يقدر بعد ذلك على محاربتك، حياءً من إحسانك إليه؛ ولكن أين ذلك الحر الذي يحفظ النعمة ويشكرها ؟! وقوله: ومن لك أي من يطلب لك الحر الذي يحفظ اليد.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللّئيم تمرّدا

يقول: إذا أكرمت الكريم وأحسنت إليه، فقد ملكته بإحسانك، وصار عبدك، وإذا أكرمت اللئيم كفر نعمتك، ولم يشكر إحسانك ! وظن أنك أكرمته خوفاً منه، فتمرد عند الإحسان للؤم طبعه.

ووضع النّدى في موضع السّيف بالعلا مضرٌّ، كوضع السّيف في موضع النّدا

يقول: الإحسان إلى من يستحق السيف، مثل الإساءة إلى من يستحق الإحسان، في أن كل واحد منهما يقدح بالعلا ويضر بالملك وهذه الأبيات تعريض بالخليفة.

يقول: إذعانك له مع قدرتك عليه، حكم موضوع في غير موضعه، لأنه لا يعرف حق ذلك، ويعد ذلك يداً عليه. ومثله لآخر:

من لم يكن للوصال أهلاً فكلّ إحسانه ذنوب

ولكن تفوق النّاس رأياً وحكمةً كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتدا

يقول: أنت أصوب الناس رأياً، وألطفهم حكمةً، كما أنك أحسنهم حالاً، وأشرفهم نفسا، وأكرمهم أصلاً.

ومعناه: أنك تفعل ما هو في الظاهر وضع الشيء في غير موضعه، ولكن لا اعتراض عليك؛ لأن رأيك أصوب الآراء، فلعلك رأيت فيه ما خفي على غيرك.

وقيل: إن معناه وضع الندى في موضع السيف يضر بالعلا، ولكنك لا تفعل شيئاً من ذلك، فلا تضع الندى إلا في موضعه، وكذلك السيف، لأن رأيك أصوب الآراء.

يدقّ على الأفكار ما أنت فاعلٌ فيترك ما يخفي ويؤخذ ما بدا

يقول: إن ما تفعله من المكارم والعجائب لا تحيط به أفكار الشعراء، فيذكرون ما ظهر لهم، ويتركون ما خفى عيهم.

أزل حسد الحسّاد عنّي بكبتهم فأنت الّذي صيّرتهم لي حسّدا

يقول: أزل عني حسد الحساد، بأن تكبتهم وتذلهم، بالازدياد في الإحسان إلي والرفع من مترلتي لديك، فإنك أنت الذي جعلتهم حساداً لي، إذ أعطيتني وقربت مترلتي عندك، حتى حسدوني على ذلك.

إذا شدّ زندي حسن رأيك في يدي ضربت بنصلٍ يقطع الهام مغمدا

يقول: إذا قربتني منك، وأعنتني بحسن رأيك، فلا أبالي بحسد الحساد، بل أقتلهم بأهون سعي، فعبر عن ذلك بالمغمد: الذي لا يعمل.

وما أنا إلاّ سمهريٌّ حملته فزيّن معروضاً وراع مسدّدا

المسدد: المشرع.

يقول: إنما أنا جمال مجلسك، وزين حضرتك، وأنا لك بمترلة الرمح، تحمله يزينك، ويردع أعداءك في حربك، كذلك أنا أنشر مكارمك وأزين مجلسك وإذا حملتني إلى القتال قاتلت أعداءك.

وما الدّهر إلاّ من رواة قلائدي إذا قلت شعراً أصبح الدّهر منشدا

أراد بالقلائد: القصائد، وقد رويت أيضاً.

يقول: إن الدهر من جملة رواة قصائدي، فإذا قلت شعراً سار في الآفاق وبقى على الأيام، فصار كأن الدهر يرويه وينشده. وقيل: أراد به أهل الدهر. أي الناس كلهم يروون شعري وينشدونه.

فسار به من لا يسير مشمّراً وغنّى به من لا يغنّي مغرّدا

يقول: يسير بشعري من ليس عادته السير، يهديه إلى غيره، وكذلك يغني به تطريباً وتغريداً من لم يكن شأنه الغناء، لحسنه وموافقته للطباع، فيحمل كل سامع على الاستماع، ويحمل كل أحد على الإنشاد.

أجزني إذا أنشدت مدحاً فإنّما — بشعري أتاك المادحون مردّدا

مردداً: منصوب على الحال من قوله: بشعري.

يقول: إذا أنشدك الشاعرون المدائح فأعطني الجائزة، فإني أحق منهم بها، لأنهم أخذوا المعاني من شعري ورددوها فيك، فكأنهم أتوك بشعري ونسبوه إلى أنفسهم.

وروى أن شاعراً مدح الصاحب بقصيدة سرق فيها أبياتاً من شعره، فوقع على ظهرها هذه بضاعتنا ردت إلينا.

ودع كلّ صوتٍ بعد صوتي فإنّني — أنا الصّائح المحكيّ والآخر الصّدي

وروى: أنا الشاعر المحكي بدل الصائح.

يقول: لا تلتفت إلى الشعراء غيري؛ لأنهم يسرقون أشعارهم من أشعاري، فأنا الصائح الذي يحكي صوته، وهم كالصدى.

وقيل: معناه لا تسمع إلى قول غير قولي، فإن ما عداه هذيان، كالصدى من الصياح.

تركت السّرى خلفي لمن قلّ ماله — وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

يقول: أغنيتني بعطاياك، حتى قعدت عن السرى طلباً للغنى، وتركت السرى لمن هو قليل المال، وكثر لي الذهب حتى أنعلت به خيلي. وهذا كما قيل في المثل: من كثر ذهبه طلي به استه وقيل: إن سيف الدولة كان وهب له فرساً منعلاً بالذهب فذكره.

وقيّدت نفسي في ذراك محبّةً — ومن وجد الإحسان قيداً تقيّداً

محبةً: نصب لأنه مفعول له.

يقول: أحسنت إلي، فأقمت عندك، وصار إحسانك لي قيداً يمنعني عن الأسفار .

إذا سأل الإنسان أيّامه الغنى — وكنت على بعدٍ جعلنك موعدا

يقول: إذا طلب أحد من الأيام أن تعينه، وكنت بعيداً عنه. قالت له الأيام: إذا بلغت سيف الدولة استغنيت. وقوله: وكنت على بعد إشارة إلى أن هذا الوعد من الأيام إنما يكون لمن بعد عنك، فأما

القريب فقد أغنيته فلا يحتاج إلى السؤال.

وجرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل، فقال سيف الدولة ما تقول وتحكم في هذا يا أبا الطيب ؟ فقال:

إن كنت عن خير الأنام سائلاً

فخيرهم أكثرهم فضائلا

يقول: إن كنت تسألني عن خير الناس، فإن خيرهم من كانت فضائله أكثر، ثم بين من بعد. وفضائلا نصب على التمييز.

من أنت منهم يا همام وائلا

الطّاعنين في الوغى أوائلا

لم يصرف وائل لأنه اسم القبيلة، فهي معرفة مؤنثة؛ والطاعنين، وما بعده خبر، لأنه صفة لوائل وهي في موضع جر. وقيل: نصب على المدح.

يقول: خير الناس العرب الذين أنت منهم يا سيد وائل، وهم الذين يطعنون في الحرب أوائل الخيل في المعركة، فهم الشجعان لأنه يسبق إلى الطعان إلا الشجاع. وقيل: أراد بالأوائل. الوجوه والصدور، أي أنهم يطعنون وجوه الأعداء وصدورهم، فيكون نصباً على المفعولية.

وقيل: معناه أنهم يطعنون الأبطال أولا. أي يتقدمون إلى الأقران. ونصبه حينئذ على الحال.

والعاذلين في النّدى العواذلا

قد فضّلوا بفضلك القبائلا

العاذلين: عطف على الطاعنين.

يقول: إذا عذلهم العواذل على السخاء عذلوهن على عذلهن، ثم بين أن قبيلته قد فضلوا سائر القبائل بسبب فضله ومآثره.

وجلس سيف الدولة لرسول ملك الروم في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة فحضر أبو الطيب فوجد دونه زحمة شديدة، فثقل عليه الدخول فاستبطأه سيف الدولة فقال ارتجالاً:

ظلمٌ لذا اليوم وصفٌ قبل رؤيته   لا يصدق الوصف حتّى يصدق النّظر

ظلم نكرة مفيدة، والوصف: خبره.

يقول: إن وصفت هذا اليوم قبل مشاهدة الحال فقد ظلمته، ولم أقدر على وصفه على الحقيقة إلا بعد المشاهدة، وإنما قال ذلك: تعظيماً لليوم، وأنه لا يحيط به العيان.

تزاحم الجيش حتّى لم يجد سبباً ... إلى بساطك لي سمعٌ ولا بصر

أي ازدحم الجيش عليك، حتى لم يبنك بصري من كثرة الناس في بساطك، وكثرت الأصوات حتى لم أسمع كلامك.

فكنت أشهد مختصٍّ وأغيبه ... معايناً، وعياني كلّه خبر

المعنى: كنت حاضراً، وكأني كنت غائباً؛ للازدحام، فلم يمكنني مشاهدة الحال، وكتب معايناً، وكان عياني خبراً؛ لشدة الزحمة وكثرة الناس.

اليوم يرفع ملك الرّوح ناظره ... لأنّ عفوك عنه عنده ظفر

يقول: إذا أجبته إلى الصلح أمن وزال منه الخوف، فيرفع طرفه؛ لأن عفوك عنه يقوم له مقام الظفر في هذه المرة.

وإن أجبت بشيءٍ عن رسالته ... فما يزال على الأملاك يفتخر

يقول: إن كتبت إليه جواب كتابه، افتخر بذلك على ملوك زمانه، وتشرف به على جميع أقرانه.

قد استراحت إلى وقتٍ رقابهم ... من السّيوف وباقي النّاس ينتظر

يقول: استراحت بهذا الصلح رقاب الروم عن السيوف، وانتظر سيوفك باقي الناس من الأعداء؛ لأنهم كانوا آمنين ما دمت مشتغلاً بغزو الروم، فالآن يخافونك أن تقاتلهم.

وقد تبدّلها بالقوم غيرهم ... لكي تجمّ رءوس القوم والقصر

الهاء في تبدلها للسيوف، والقوم. هم الروم. وغيرهم: نصب بتبدلها.

يقول: تبدل سيوفك وتنقلها من رقاب الروم إلى غيرهم، لتستريح رقابهم من ضرب السيوف، وهذا عادتك إذا أدمت القتل في قوم وأقللتهم تقلب سيوفك إلى قوم آخرين لتريحهم، فإذا كثروا واجتمعوا عاودهم القتل وأبدهم.

تشبيه جودك بالأمطار غاديةً ... جودٌ لكفّك ثانٍ ناله المطر

يقول: إذا شبهنا جودك بالأمطار، وصار ذلك مدحاً للمطر، وكأن هذا، تشبيه جودك، ثانياً منك على المطر وغادية: نصب على الحال من الأمطار.

تكسّب الشّمس منك النّور طالعةً كما تكسّب منها نورها القمر

طالعةً: نصب على الحال.

يقول: الشمس تأخذ من نورك، كما أن القمر يأخذ من نور الشمس. أي أنك للشمس شمس، كالشمس للقمر.

وقال أيضاً يمدحه ويذكر مجيء الرسول من عند ملك الروم، ودخلوه عليه، في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة.

دروعٌ لملك الرّوم هذي الرّسائل يردّ بها عن نفسه ويشاغل

هذي الرسائل: مبتدأ، ودروع: خبره.

يقول: هذه الرسائل تقوم للملك مقام الدروع، يحفظ بها نفسه، ويرد الموت عنه، ويشاغلك عن قتاله، ويدفعك عن قصده، ريثما يرجع رسوله إليه.

هي الزّرد الضّافي عليه ولفظها عليك ثناءٌ سابغٌ وفضائل

الزرد: حلق الدروع، والضافي: السابغ التام.

يقول: هذه الرسائل دروع سابغة، يلبسها ملك الروم؛ يدفع بها عن نفسه. ولفظها ثناء عليك وفضائل لك، فكأنها دروع له من حيث الباطن، وثناء لك من حيث الظاهر.

وأنّى اهتدى هذا الرّسول بأرضه وما سكنت مذ سرت فيها القساطل

أنى: بمعنى كيف وأين، والقساطل: هو الغبار. والهاء في بأرضه للرسول وفي فيها لأرضه.

يقول: كيف اهتدى هذا الرسول في طرقه وهي مظلمة ؟! بغبار الخيل وقتام الحرب، وما سكن بعد ذلك الغبار !

ومن أيّ ماءٍ كان يسقى جياده ولم تصف من مزج الدّماء المناهل ؟ !

المنهل: موضع الشرب من الوادي، وأصله النهل.

يقول: من أي ماء كان يسقى خيله، وكل ماء كان ممزوجاً بدما القتلى.

أتاك يكاد الرّأس يجحد عنقه وتنقدّ تحت الذّعر منه المفاصل

يقول: أتاك هذا الرسول، وقد امتلأ قلبه ذعراً، مما شاهد من إيقاعك بأصحابه، حتى يكاد رأسه يجحد عنقه: أي يفارقه، وتنقد مفاصله وتتقطع، من عظم خوفه منك؛ مما شاهده وتحقق من عاداتك في قتلهم.

يقوّم تقويم السّماطين مشيه إليك إذا ما عوّجته الأفاكل

السماطان: صفان من الرجال يمتدان بين يدي السلطان. والتقويم: رفع لأنه فاعل يقوم ومفعوله: مشيه، والأفاكل: جمع الأفكل، وهو الرعدة.

يقول: كان يرتعد عند مشيه إليك، فقوم مشيته تقويم السماطين.

فقاسمك العينين منه ولحظه سميّك والخلّ الّذي لا يزايل

منه: أي من الرسول، وكذلك لحظه: أي لحظ الرسول. وفاعل قاسمك: سميك، والمراد به: السيف.

يقول: قسم سيفك عيني الرسول بينك وبينه، فكان ينظر بإحدى عينيه إليك، وبالأخرى إلى سيفك، لأنه كان يخاف منك أن تأمر بقتله، ومن سيفك أن تقتله به.

أو كان ينظر إليك ويرى كرم أخلاقك فيطمع في عفوك، وإذا نظر إلى سميك خاف بأسه، فقسم عينيه بينكما، ءيرجو ويخاف، وهذا السمى: هو خليلك الذي لا يزايلك.

وأبصر منك الرّزق والرّزق مطمعٌ وأبصر منه الموت والموت هائل

يقول: إذا نظر إليك طمع في الحياة؛ بما يشاهد من مخايل جودك، وأمل عفوك، وإذا نظر إلى سيفك عاين فيه الموت، لما هاله من هيبتك. والواو في قوله والرزق مطمع والموت هائل للحال.

وقيل: معناه رأى أرزاق كثير من الناس تحت يديك، فأطمعه ذلك في أن يكون من جملة القوم، ورأى حتف كثير منهم بسيفك، فهاله ذلك.

وهذا البيت يدل على المعنى الثاني الذي ذكرناه في البيت الذي قبله.

وقبّل كمّاً قبّل الأرض قبله وكلّ كميٍّ واقفٌ متضائل

المتضائل: المخفي شخصه من الجبن والفزع، وقيل: هو المنقبض. والواو في قوله: وكل كمي للحال.

يقول: لما وصل الرسول إليك قبل أولاً الأرض بين يديك، ثم قبل كمك، والأبطال قيام بين يديك، قد تضاءلوا هيبة لك، وأخفوا أنفسهم إجلالاً لك.

وأسعد مشتاقٍ وأظفر طالبٍ همامٌ إلى تقبيل كمّك واصل

أسعد: مبتدأ. وأظفر: عطف عليه، وهمام: خبره.

يقول: ملك وصل إلى تقبيل كمك هو أسعد مشتاق وأظفر طالب لحاجة، ولا مزيد على ما ناله من الشرف.

مكانٌ تمنّاه الشّفاه ودونه صدور المذاكي والرّماح الذّوابل

يقول: إن كمك وتقبيله، مكان تتمنى الشفاه الوصول إليه، وتريد الملوك تقبيله ولكنهم لا يصلون إليه.

فما بلّغته ما أراد كرامةٌ عليك، ولكن لم يخب لك سائل

كرامة: فاعل بلغته، والمفعول الأول الهاء والثاني ما.

يقول: لم يبلغ الرسول إلى ما بلغه من تقبيل كمك كرامته عليك؛ لأنه كافر وأنت تبغضه وتستخف به، ولكن لما سألك أن تمكنه من ذلك لم تخيبه، إذ عادتك ألا تخيب سائلك.

وأكبر منه همّةً بعثت به إليك العدى واستنظرته الجحافل

روى: أكبر بالرفع والنصب.

فالرفع: على أنه اسم المبالغة والمعنى: على أن همة الرسول وإن كانت كبيرة في قدومه عليك، فأكبر همة منه، العدى حيث بعثوا به إليك، وسألوه أن يؤخر عنهم القتال؛ لشغله إياك عنهم، والاستنظار: طلب النظر، وهو التأخير.

والنصب: يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون اسماً كالأول ومعناه: رب رسول أكبر من هذا الرسول همة، وأعلى منه قدراً، جاءك رسولاً، واستنظرته الجحافل، كما استنظرت هذا الرسول، ثم رجع إليهم وهو يعذلهم على مخالفتهم أمرك. فعلى هذا يكون البيت الذي بعده من تمامه.

والمعنى الثاني: أن يكون أكبر فعلاً ماضياً، وفاعله العدى وهمة مفعوله. والمعنى: أن العدى أكبروا واستعظموا همةً بعثت هذا الرسول إليك، وأقدمته على الدنو منك، واستنظرت هذا الرسول الجحافل على ما بيناه

فأقبل من أصحابه وهو مرسلٌ وعاد إلى أصحابه وهو عاذل

يقول: هذا الرسول جاء من أصحابه رسولاً، ثم عاد إليهم يعذلهم على ترك طاعتك؛ لما رآه من عظم شأنك.

تحيّر في سيفٍ ربيعة أصله وطابعه الرّحمن والمجد صاقل

ربيعة: ابن نذار، وإليه ينسب سيف الدولة.

لما رآك تحير فيك؛ لأنه رأى سيفاً لا كالسيوف، إذ السيف أصله الحديد، وطابعه الحداد، وصاقله الصيقل، وأنت أصلك من ربيعة، والرحمن طابعك، والمجد صاقلك.

وما لونه ممّا تحصّل مقلةٌ ولا حدّه ممّا تجسّ الأنامل

يقول: لون هذا السيف لا يدركه النظر، ولا تحققه المقلة، ولا يمكن الناظرين أن يملئوا أعينهم منه، هيبةً له، وكذلك ليس حده مما يمكن أن يختبر باللمس كما يحس ويضبط سيف الحديد. فتحير هذا الرسول في سيف هذه صفته.

إذا عاينتك الرّسل هانت نفوسها عليها وما جاءت به والمراسل

المراسل: ملك الروم. والرسل: الرسل. وما جات به: الرسالة.

يقول: إذا رأتك الرسل استحقروا أنفسهم، واستحقروا ما جاءوا به من الرسالة، واستحقروا صاحبهم الذي أرسلهم إليك؛ لما يرون من هيبتك وعلو شأنك.

رجا الرّوم من ترجى النّوافل كلّها لديه وما ترجى لديه الطّوائل

النوافل: العطايا، واحدها نافلة. ومن ترجى: هو سيف الدولة يرجى منه كل عطية وصلة، ويوصل إلى كل مراد، إلا إدراك الثأر، فإنه لا يوصل إليه منه.

فإن كان خوف القتل والأسر ساقهم فقد فعلوا ما القتل والأسر فاعل

يقول: إن كان الذي ساقهم إليك لطلب الصلح والأمان، هو الخوف من القتل والأسر، فقد فعلوا في مجيئهم إليك ما يفعله الأسر والقتل، من الذل والاستكانة؛ لأنهم إنما جاءوك خوفاً، فصاروا مقتلين مأسورين.

فخافوك حتّى ما لقتلٍ زيادةٌ وجاءوك حتّى ما تزاد السّلاسل

ما نفي في الموضعين.

يقول: خوفهم منك قام لهم مقام القتل، فليس للقتل زيادة على ما أصابهم، وكذلك جاءوك مستسلمين في أمرهم طائعين كالأسارى، حتى لا يحتاج معهم إلى السلاسل؛ لأن الأسير إنما يشد إذا خيف عليه الهر.

والمصراع الأول مثل:

وإلاّ فأعلمه بأنّك ساخطٌ ودعه فإنّ الخوف لا شكّ قاتله

أرى كلّ ذي ملكٍ إليك مصيره كأنّك بحرٌ والملوك جداول

يقول: كل ملك يصير إلى حضرتك، وينضاف ملكه إلى مملكتك، فكأنك بحر وهم جداول تنصب إلى البحر.

إذا مطرت منهم ومنك سحائبٌ فوابلهم طلٌّ وطلّك وابل

الوابل: أشد المطر. والطل: أضعفه.

يقول: إنك تزيد على الملوك في كل حال، فكثير عطاياهم إذا قيست إلى عطاياك قليل، بمترلة الطل من الوابل، وقليلها منك إذا قيس إلى عطاياهم كثير، كالوابل من الطل.

كريمٌ متى استوهبت ما أنت راكبٌ وقد لقحت حربٌ، فإنّك نازل

لقحت حرب: اشتدت.

يقول: أنت كريم بحيث لو سألك سائل في شدة الحرب فرسك الذي أنت راكبه، لترلت عنه ووهبته له !

أذا الجود أعط النّاس ما أنت مالكٌ ولا تعطينّ النّاس ما أنا قائل

أذا الجود: أي يا ذا الجود، والألف للندى.

يقول: الشعر الذي أقوله لا يشركني فيه أحد.

وقيل: أراد لا تقبل منهم.

يقول: يا ذا الجود أعط الناس ما أنت مالك من المال، ولا تعطهم ما اختص به. من القصد لمكان يسرقونه من شعري في مدائحك، ولا تعطهم عليه الجائزة، فإني أنا القائل لذلك في الحقيقة.

وقيل: أراد لا تمكن الناس من مكارمك التي أذكرها في شعري، بل كن أبداً متفرداً بها.

وقيل: معناه لا تحملني على مدح غيرك، فتكون قد تركت شعري للناس.

وقيل: أراد لا تمكن الناس من شعري فيسرقوا معانيه ويفسدوه.

وهذا لا معنى له، إذ لا معنى لسؤاله إياه ستر شعره، ومنعهم من سرقة معانيه؛ لأن ذلك يكون سؤالاً لكتمان فضله، وطلباً لإخفاء ذكره.

أفي كلّ يومٍ تحت ضبني شويعرٌ ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطاول ؟ !

الضبن: الحضن، وهو ما تحت اليد من الجنب. ويقاويني: من القوة. ويطاول: من الطول.

يقول: لا أزال أرى كل يوم شويعراً هو ضعيف، ومع ذلك يفاخرني في القول، وهو قصير يطاولني بقصره، أي يباريني ولا يقاومني.

وقيل: هذا تعريض بالنامي، وقيل: بابن نباتة. وقيل: أراد غيرهما من شعراء سيف الدولة.

لساني بنطقي صامتٌ عنه عادلٌ وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازل

يقول: لساني مع كوني ناطقاً قادراً على الكلام صامت عن هذا الشويعر، وعادل عنه لقلته وقلة مبالاتي به. وقلبي ضاحك منه ومن جهله مع صمتي عن إجابته. يعني أضحك منه في نفسي وإن لم أنطق بالكلام.

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وروى: أيضاً من ناوأك من المناوأة وهي: المعاداة وناداك أولى لقوله: لا تجيبه ولقوله بعده من عاداك.

يقول: أشد الناس تعباً في ندائه من ناداك وأنت لا تجيبه، بل تجعل السكوت جوابه، وأشدهم غيظاً من عاداك وهو دونك في العمل، فيعجز عن مقاومتك.

وقيل: أراد إذا دعاك من هو دونك غاظك ذلك منه.

وما التّيه طبّى فيهم غير أنّني بغيضٌ إليّ الجاهل المتعاقل

التيه: الكبر. وطبى: أي عادتي. وعدمي.

يقول: ليس دائي الكبر، ولم يكن ترك جوابه كبراً وتيهاً، غير أني أبغض الجاهل المتكلف للعقل والفضل، وكرهت مجاوبته رفعاً لنفسي عن مقاومته.

وأكثر تيهي أنّني بك واثقٌ وأكثر مالي أنّني لك آمل

يقول: أكثر تيهي أني واثق بك؛ لأنك لا تقبل على قول حاسد، ولا يخفي عليك تمويه مموه، وأنك تعرف فضلي فتوفيني ما أستحقه من المنزلة. وأكثر مالي، هو أملي إياك ورجائي فيك، إذ لا تخيب آمليك.

لعلّ لسيف الدّولة القرم هبّةً يعيش بها حقٌّ ويهلك باطل

هبةً: أي نشاطاً واهتزازاً.

يقول: أرجو أن يكون منه هزة في أمري مع غيري من الشعراء الذين ينازعون فضلي، ليظهر الحق ويهلك الباطل، وهو التمويه والكلام المسروق، أو يقتل أعدائي، فأستريح منهم.

وقيل: أراد لعل له هزة وحركة يأخذ بها الروم كلها فيهلكها، فينصر فيها الحق، ويهلك الباطل: وهو الكفر.

رميت عداه بالقوافي وفضله وهنّ الغوازي السّالمات القواتل

يقول: رميت أعداءه بقصائدي في سيف الدولة، وفضله فيها، فقتلتهم بها حسداً وغيظاً، وهذه القوافي أسلم من الخلل والفساد من السيوف والرماح؛ لأنهم لم يجدوا في شعري مطعناً، ولا لفضائله مدفعاً.

وقد زعموا أنّ النّجوم خوالدٌ ولو حاربته ناح فيها الثّواكل

يقول: الناس يزعمون أن النجوم مخلدة لا يلحقها فناء، وليس كما زعموا، فإنها لو حاربته لقتلها وناح عليها من يثكلها.

وقيل: أراد لو قصدته بنحس لأبطل نحوستها وأفناها، فيبطل قول من قال: إنها خوالد.

وما كان أدناها له لو أرادها وألطفها لو أنّه المتناول

يقول: إن النجوم تقرب له إذا أرادها، غاية القرب، ولو أراد أن يتناولها لكانت أقرب الأشياء إليه.

قريبٌ عليه كلّ ناءٍ على الورى إذا لثّمته بالغبار القنابل

القنابل: جمع القنبلة وهي الجماعة من الخيل، قدر الخمسين فصاعد. ولثمته: أي شدت عليه اللثام.

يقول: إذا رام مراماً بعيداً سهل عليه الوصول إليه إذا دخل الحرب والتثم بغبار خيله، وإن كان بعيدا على من سواه.

تدبّر شرق الأرض والغرب كفّه وليس لها وقتاً عن الجود شاغل

روى: وقتاً نصباً على الظرف. وروى: وقت فيكون اسم ليس وشاغل صفته.

يقول: إن كفه تدبر شرق الأرض وغربها، ولا يشغلها عن الجود شاغل وقتاً يعني أنه مع شغله بتدبر الأرض، لا يشتغل عن الجود ساعة واحدة، وعلى الرفع: أنه يملك الأرض، وليس وقت يشغله عن الجود.

يتّبع هرّاب الرّجال مراده فمن فرّ حرباً عارضته الغوائل

الغوائل: الدواهي، وهي جمع غائلة، وفاعل يتبع: ضمير سيف الدولة. وحرباً: نصب لأنه مفعول له، وقيل: أصله من حرب فحذف من ونصبه.

يقول: إن سيف الدولة يجعل مراده طالباً لكل من هرب منه، فمن فر منه خوفاً من محاربته، عارضته

في طريقه - من قبل سيف الدولة - الغوائل والبلايا فأهلكته.

ويجوز رفع مراده فيكون هو فاعل يتبع ومعناه: أن مراده يتبع هراب الرجال ويطلبهم حتى يدركهم، فيكون اتبع وتبع بمعنى.

ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقّاه منه، حيثما سار نائل

يقول: إن جوده عم الأرض، فمن حسده على إحسانه وهرب إلى موضع لا يرى فيه إحسانه ولا يسمع به، رأى منه في كل مكان نائلاً، وسمع حيثما كان بذكر جوده وعطاياه، فلا يمكنه الفرار منه أبداً.

فتى لا يرى إحسانه وهو كاملٌ له كاملاً حتّى يرى وهو شامل

الشامل: العام.

يقول: لا يرى إحسانه الكمل كاملاً، حتى يكون مع كماله عاماً شاملاً.

إذا العرب العرباء رازت نفوسها فأنت فتاها والمليك الحلاحل

العرباء والعاربة: القديمة. رازت: أي جربت، والحلاحل: السيد. وروى: فأنت قناها وروى فتاها

يقول: إذا جربت العرب أنفسها، واختبرت أحوالها، علمت أنك سيدها وكريمها.

أطاعتك في أرواحها وتصرّفت بأمرك والتفّت عليك القبائل

يقول: إن العرب أطاعتك في أرواحها: أي لو أمرتها بقتل نفوسها لأطاعتك، وتصرفت العرب بأمرك، واجتمعت قبائلها عليك طاعة لك وانقياداً.

وقيل: أراد أن أنسابهم أحدقت بنسبك، وأنت الواسطة فيهم.

وكلّ أنابيب القنا مددٌ له وما تنكت الفرسان إلاّ العوامل

عامل الرمح: قدر ذراعين من أعلاه. وتنكت: أي تسقط، يقال: نكته عن فرسه: أي أسقطه على رأسه.

يقول: أنت من العرب كالسنان من الرمح، وهم كالأنابيب تحته. والأنابيب تكون مدداً للسنان وعونا للرمح والغرض يحصل بالسنان: وهو الذي يتقدم في الحرب، فكذلك تتولى الحرب وتتقدم إليها كالسنان.

قال ابن جني: أردت أن أقول: وما ينكت بالياء، فأبى أبو الطيب ذلك وقال: أريد وما تنكت الأنابيب فلذلك أنثت وهذه لغة يقال: ما قامت إلا هند، أي ما قامت امرأة إلا هند، فكذلك تقديره:

ما تنكت أنبوبة الفرسان إلا العوامل، واللغة الجيدة في مثل هذا الموضع إضمار وتذكير الفعل، فيقال: ما قام أحد إلا هند. وإضمار المؤنث أيضاً لغة.

رأيتك لو لم يقتض الطّعن في الوغى إليك انقياداً، لاقتضته الشّمائل

يقول: لو لم يقد الناس إلى طاعتك الخوف من طعنك، لقادهم إليك كرم شمائلك.

ومن لم تعلّمه لك الذّلّ نفسه من النّاس طرّاً علّمته المناصل

يقول: من لم يتعلم لك الذل في الخضوع من ذلة نفسه، علمه السيف ذلك. يعني: من لم يذل لك طائعاً ذل قهراً وجبراً. ومثله الآخر.

فإن لّم تصل رحم ابن عمرو بن مرثدٍ يعلّمك وصل الرّحم عضبٌ مجرّب

وأنفذ سيف الدولة قول الشاعر، وهو أبو الأسود الدؤلي:

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتّى تجلّت

وسأله إجازته فقال ورسوله واقف:

لنا ملكٌ ما يطعم النّوم، همّه مماتٌ لحيٍّ أو حياةٌ لميّت

تم الكلام عند قوله: ما يطعم النوم ثم ابتدأ فقال: همه معناه: أنه لهمته لا ينام، كما قال:

يؤرّقه فيما يشرفه الفكر

ثم قال: إن همه مقصور على إحياء الأولياء: يعني تخليصهم من الهلكة، وإماتة الأعداء.

ويكبر أن تقذى بشيءٍ عيونه إذا ما رأته خلّةٌ بك فرّت

يقول: هو أكبر من أن يرى شيئاً مكروهاً تقذى به عينيه، ولكنه إذا رأته خلة الإنسان: أي فقره وحاجته فرت الخلة منه وبعدت.

فكأنه أراد أن يزيد على ما في البيت؛ لأن الشاعر. قال: رآى خلتي فكانت في عينيه كالقذى حتى أزلها عني: أي لم يزل يتألم بها حتى أزالها، كما يتألم من تسقط في عينه القذاة.

وهو يقول: هو أكبر من أن يرى شيئاً يؤلم عينيه، فهو يزيل خلة قاصده قبل أن يراه ويقذى هو بها.

جزى اللّه عنّي سيف الدولة هاشمٍ فإنّ نداه الغمر سيفي ودولتي

يقول: قد أصبح جوده لي سيفاً أصول به على حوادث الدهر، ودولتي حسنت معها. فجزاه الله عني في إحسانه علي وإسدائه النعم إلي. والغمر: الكثير.

وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس فسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب معه، فأدركهم بعد ليال بين ماءين يعرفان بالغبارات والخرارات من جبل النسر فأوقع بهم ليلاً فقتل منهم وملك الحريم، فأبقى وأحسن إلى الحرم فقال أبو الطيب بعد رجوعه في جمادي الآخرة من سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة:

بغيرك راعياً عبث الذّئاب		وغيرك صارماً ثلم الضّراب

العبث: الولوع بالشيء من غير معنى. وراعياً: نصب على الحال من الضمير في قوله: بغيرك وقيل على التمييز: والراعي: الحافظ، وسمى الأمير راعياً، لحفظه الناس. وغيرك: مفعول مقدم، نصبه ثلم وصارماً نعت له، وقيل: المفعول صارما وغير نصب على الحال، فيكون التقدير: وثلم الضراب صارماً غيرك، فلما تقدم نعت النكرة عليها انتصب على الحال.

يقول: مثلك لا يعبث به أحد في ممالكه، وإنما يعبث بغيرك من الملوك، الذين لا يقدرون على ضبط رعيتهم وحفظ نواحيهم.

وجعل الذئاب والراعي مثلا، فشبه بني كلاب حين عدوا عليه بالذئاب إذا تعرضت للراعي وحاولت الاختلاس من غنمه، كذلك إذا كسر الضراب السيوف، فإنما يكسر ما عداك منها، ولا يعمل فيك مع كونك سيفاً: أي أنك لا تمل من الحروب ولا يؤثر فيك مداومة الضرب.

وقيل: أراد نوائب الدهر وكيد الأعداء لا يعمل فيك. فكأنه قسم الناس ثلاثة أقسام: راع، وهو سيف الدولة وسائر الملوك، وذئاب: وهم بنو كلاب وغيرهم من الصعاليك وأهل الفساد، وغنم: وهم عامة الناس.

وتملك أنفس الثّقلين طرّاً		فكيف تحوز أنفسها كلاب ؟ !

كلاب: قبيلة يقول: كيف تقدر بنو كلاب أن يحوزوا أنفسهم ويحصنوها بالفرار منك ؟ وأنت تملك أرواح الثقلين !

وما تركوك معصيةً ولكن		يعاف الورد والموت الشّراب

يعاف: أي يكره: والورد: الورود.

يقول: لم يفارقك هؤلاء قصداً منهم إلى معصيتك، ولكن خافوا سطوتك وقتلك؛ لأن الشراب إذا كان الموت، كره الورود عليه، فلا لوم عليهم في ذلك.

طلبتهم على الأمواه حتّى		تخوّف أن تفتّشه السّحاب

يقول: لم يبق ماء في المفازة إلا طلبتهم عليه، حتى ظن السحاب أنك ترقى إله وتطلبهم فيه ! وإنما ذكر السحاب لأنه يحتمل الماء، فجعله من جملة الأماكن التي تضمن المياه، وهذا مبالغة عظيمة.

فبتّ لياليا لا نوم فيها تخبّ بك المسوّمة العراب

تخب: من الخبب، وهو أرفع السير. والمسومة: الخيل المعلمة.
يقول: إنك لم تنم ليالي تسري في طلبهم، تسرع بكم خيل عراب.

يهزّ الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

شبه سير الجيش عن يمينه ويساره واهتزازه، بجناحي عقاب في طيرانها. وقيل: العقاب: ملك الطير، فشبه سيف الدولة بالعقاب؛ لكونه ملكاً، إلا أنه شبهه به في حال ما يكون في قلب العسكر والعسكر حوله يضطرب ويتحرك يمنة ويسرة، وجعل أصحاب اليمين أحد جناحيه، وأصحاب الشمال جناحه الآخر، وجعله في الوسط، كالعقاب التي نفضت جناحيها.

وتسأل عنهم الفلوات حتّى أجابك بعضها وهم الجواب

يقول: ما زلت تبحث عنهم فلاة فلاة، حتى وجدهم في بعض الفلوات، فكأنك كنت تسأل عنهم الفلوات التي كانوا فيها، فصاروا كالجواب، لأنك أصبتهم.

فقاتل عن حريمهم وفرّوا ندى كفّيك والنّسب القراب

حريم الشيء: حقوقه، وما يحرم إضاعته من الأهل والنساء. والقراب: أبلغ من القريب. والندى: فاعل قاتل. والنسب: معطوف عليه.

يقول: إن ندى كفيك ونسبك القريب من هؤلاء، قام لهم مقام من يقاتل عن حريمهم حين فروا وإنما أثبت لهم قرب النسب؛ لأن سيف الدولة وهم، ينتسبون إلى أصل واحد، وهو معد بن عدنان وقد أشار إليه.

وحفظك فيهم سلفي معدّ وأنّهم العشائر والصّحاب

وروى: النساب وهو أصل النسب. الصحاب، جمع الصاحب، كقائم وقيام. وقيل: جمع صحب ككعب وكعاب. وقوله: سلفي معد أي إنهم من قبل آبائهم وأمهاتهم ينتسبون إلى معد بن عدنان.
يقول: قاتل عن حريمهم ندى كفيك والنسب القراب، وحفظك فيهم سلفهم في معد، وأنهم عشائرك وأصحابك.

تكفكف عنهم صمّ العوالي وقد شرقت بظعنهم الشّعاب

تكفكف: أي تكف وتصرف عنهم. وشرقت: أي امتلأت كما يشرق الإنسان بالماء. والظعن: النساء، الواحدة: ظعنية، وهي المرأة ما دامت في الهودج والشعاب: جمع شعب، وهو الطريق في الجبل.

يقول: رددت عنهم الرماح، وأمسكت عن قتلهم، لما فروا منك وظفرت بهم وقد امتلأت الشعاب من نسائهم وأموالهم.

وأسقطت الأجنّة في الولايا وأجهضت الحوائل والسّقاب

الولايا: جمع ولية، وهي شبيهة بالبرذعة، تطرح على ظهر البعير مما يلي سنامه. وأجهضت أرهقت وأتعبت حتى قامت، يقال، أجهضه: السير إذا أتعبه وأجهضت الناقة ولدها: أي اسقطت. والحوائل: جمع الحائل وهي التي لم تحمل في سنتها. وقيل الحائل الأنثى من ولد الناقة. والسقب: الذكر منها. وقيل السقب ولد الناقة ما دام صغيراً.

يقول: إنهم أمعنوا في الهرب خوفاً منك، وكانوا قد أردفوا نساءهم وراء الخيل وفيهم الحبالى، فأسقطن أولادهن في البراذع، على أعجاز الخيل، أو كن يركبن الإبل فأسقطن الأجنة على ظهور الإبل، وتعبت الإبل الحوائل والسقاب، فقامت ولم تقدر على السير، لما لحقها من الجهد والعياء.

وإذا قلنا إن الإجهاض: هو الإسقاط، فمعناه أن النوق أسقطت أولادها الإناث والذكور.

وعمروٌ في ميامنهم عمورٌ وكعبٌ في مياسرهم كعاب

بنو عمرو، وبنو كعب، بطنان من العرب، عمرو بن كلاب، وكعب بن ربيعة. والميمنة: جانبه الأيمن والميسرة: الأيسر.

يقول: اختلفت كلمة هذين البطنين خوفاً منك فقال قوم: نهرب عنه، وقوم: نتقدم فنأخذ الأمان، وقال آخرون: نتقدم ونحارب، وكانوا قبل ذلك يداً واحدة فاختلفوا حتى صارت عمرو عمورا، وكعب كعاباً، ومثله قول معاوية ابن مالك:

رأيت الصّدع من كعبٍ جميعاً وكان الصّدع لا يعد ارتئابا

فأمسى كعبها كعباً وكانت من الشّنآن قد دعيت كعابا

يعني: كانوا متفرقين متعادين فأصلحت بينهم، حتى عادوا إلى الألفة والاتفاق وصارت كلمتهم واحدة.

وقد خذلت أبو بكر بنيها وخاذلها قريطٌ والضّباب

أبو بكر: هنا قبيلة من بني كلاب؛ فلهذا أنث، وكذلك الضباب. والقريط: بطنان من بني كلاب. وروى قريظ بالظاء والطاء.

يقول: خذل بعض هؤلاء بعضاً وتفرقوا، لما أحسوا بطلبك إياهم، بعد أن كانوا مجتمعين على محاربتك.

إذا ما سرت في آثار قومٍ تخاذلت الجماجم والرّقاب

يقول: إذا سرت في أثر قوم خذلت رقابهم رءوسهم يعني: أنك تدركهم وتضرب أعناقهم، وتفرق رءوسهم من أجسادهم، إذا كان العنق يسلم رأسه والرأس يفارق جسمه خوفاً منك، فكيف لا تتفرق القبائل ويخذل بعضهم بعضا ؟!

فعدن كما أخذن مكرّماتٍ عليهنّ القلائد والملاب

الملاب: ضرب من الطيب.

يقول: إنك لما أسرت نساءهم بما عليهن من الحلي والطيب، لم يتعرض أحد لهن، بل رجعن إلى أهلهن وعليهن ثيابهن وطيبهن.

وقيل: أراد أنهن كن بلا قلائد ولا عطر، فقلدهن سيف الدولة وطيبهن.

يثبنك بالّذي أوليت شكراً وأين من الّذي تولى الثّواب ؟ !

يثبنك: أي يجزينك ويعوضنك يقول: رجعن إلى أهلهن وهن يشكرنك على ما أوليتهن من الصفح الجميل، والإحسان الجزيل، ولكن أين الثواب وشكرهن جميل فعلك ؟! أي أن الشكر لا يقابل إحسانك ولا يبلغ أن يكون جزاء له.

وليس مصيرهنّ إليك شيناً ولا في صونهنّ لديك عاب

روى شيناً وسبياً والأول أجود في مقابلة عاب يقول: ليس في حصولهن في يدك عار لهن، لأنك منهن وهن منك، فصونك لهن كصون بعولتهن في بيوقمن. والصون: الصيانة، وهي كناية عن الستر.

ولا في فقدهنّ بني كلابٍ غذا أبصرن غرّتك اغتراب

يقول: إنهن إذا رأين غرتك وصرن عندك فلا يضرهن فقدانهن أهلهن، وليس اغتراب وبعد، لأنك منهن.

وكيف يتمّ بأسك في أناسٍ تصيبهم فيؤلمك المصاب ؟

يقول: كيف تقدر على أن تعاقبهم وتوقع بهم ؟ فإنك إذا أصبتهم تألمت بما يصيبهم من الضرر، لكونهم منك.

والمصاب: يجوز أن يكون مصدراً كالإصابة، وأن يكون مفعولا، وهذا البيت مثل قول الحارث بن وعلة الذهلي:

قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللاً ولئن سطوت لأوهنن عظمي

ونحو قول الآخر:

وإنّي وإن عاديتهم وجفوتهم لتألم ممّا عضّ أكبادهم كبدي

ترفّق أيّها المولى عليهم فإنّ الرّفق بالجاني عتاب

يقول: أنت سيدهم فتجاوز عنهم، ولا تعجل لهم في العقوبة، فإن رفقك بهم يردهم إلى طاعتك، ويقوم لهم مقام اللوم.

وإنّهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لحادثةٍ أجابوا

يقول: ترفق بهم وتجاوز عنهم، فإنهم عبيدك وقومك، متى دعوتهم إلى حرب ونازلة أجابوك.

وعين المخطئين هم وليسوا بأوّل معشرٍ خطئوا فتابوا

يقول: هم حقيقة المخطئين في خروجهم عليك، غير أنهم تابوا وأذعنوا لك، كما أخطأ غيرهم ثم تاب، وليسوا بأول من فعل مثل ذلك.

وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهم عقاب

يقول: إن حياتهم بك، لأنك تعطيهم ما تقوم به حياتهم من المال، فإذا غضبت عليهم زالت عنهم حياتهم، فكفاهم عقوبة أن تغضب عليهم، فإن ذلك كالموت لهم.

وما جهلت أياديك البوادي ولكن ربّما خفي الصّواب

الأيادي، النعم، واحدها يد، والبوادي قيل: هي جمع بادية، وهم العرب الذين يترلون البدو، فيكون في موضع الرفع، لأنها فاعلة جهلت والمعنى: أن أهل البدو، الذين هم بنو كلاب مقرون بإحسانك إليهم، غير جاهلين نعمك عليهم، ولكن خفي الصواب عليهم حين قاتلوك، وكان ذلك سهواً منهم من غير قصد.

وقيل: البوادي. الظاهرة من النعم أو المتقدمة منها، فهي صفة للأيادي في موضع النصب، وسكن الياء ضرورة، فيكون على هذا فاعل جهلت ضمير القبيلة التي هي بنو كلاب، يعني: أنهم لا ينكرون نعمك الظاهرة المتقدمة إليهم.

وكم ذنبٍ مولّده دلالٌ وكم بعدٍ مولّده اقتراب ؟

يقول: كم ذنب يتولد من الدلال أي الإفراط وتجاوز الحد وكم بعد يتولد من قرب إذا لم يكن معه الأدب ورعاية الحرمة.

والمعنى: أنهم لم يخرجوا عليك إلا ثقة منهم بقرابتك وتدللا بانتسابهم إليك.

وجرمٍ جرّه سفهاء قومٍ وحلّ بغير جارمه العذاب

يقول: وكم ذنب يجنيه السفيه، فيعاقب به البريء، ومثله قول بعض العرب:

إنّ الفتى بابن عمّ السّوء مأخوذ

والأصل فيه قوله تعالى: "أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّا" وقوله تعالى "واتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً".

فإن هابوا بجرمهم عليّاً فقد يرجو عليّاً من يهاب

أراد: من يهابه، فحذف المفعول.

يقول: إن هابوه لكونه مهيباً، فإنهم يرجون عفوه، لكونه كريماً.

وإن يك سيف الدولة غير قيسٍ فمنه جلود قيسٍ والثّياب

قيس: هو عيلان، وإليه ينسب بنو كلاب مضر.

يقول: إن كان هو سيف دولة بني هاشم، لا سيف دولة قيس، فإن جلود قيس تربت من نعمه، وثيابهم من ماله ومن خلعه.

وتحت ربابه نبتوا وأثّوا وفي أيّامه كثروا وطابوا

الرباب: غيم متعلق بالغيم، يضرب إلى السواد، وقيل: هو السحاب الأبيض. وأثوا: تمكنوا وقووا من قولهم أث النبت.

يقول: إنهم نبتوا بفضله وإنعامه، كما نبت العشب بالمطر، وكثروا بدولة أيامه وطالوا.

شبههم بالنبات، وشبهه بالسحاب.

وتحت لوائه ضربوا الأعادي وذلّ لهم من العرب الصّعاب

يقول: إنهم بقوته وسلطانه قتلوا أعداءهم، وقهروا العرب، حتى ذلت لهم صعاب العرب وانقادت.

ولو غير الأمير غزا كلاباً ثناه عن شموسهم ضباب

الضباب ما يرتفع من البخار، من غدوات الربيع كالسحاب.

يقول: لو قصد بني كلاب غير سيف الدولة، لرده عن شموس بني كلاب ضبابهم. كني بالشموس عن النساء، وبالضباب عن الحرب التي كانت تحول بينهن وبين من يقصد الوصول إليهن، كما يحول الضباب دون الشمس.

وقيل: الضباب، كناية عن الغبار الذي يرتفع عن الخيل، حتى يصير كالضباب، فيصرف عن قصدهن، كما يمنع الضباب شعاع الأمس.

وقيل: عني بالشموس وجوه القوم التي هي كالشمس.

ولاقى دون ثايهم طعاناً يلاقى عنده الذّئب الغراب

الثاي: جمع ثاية، وهي الحجارة حول البيت، تبنى فيأوي إليها الراعي ليلاً كأنها الحظيرة، وفاعل لاقى ضمير غير في قوله: غير الأمير والهاء في عنده للطعان.

يقول: كان ينفي ذلك القاصد قبل أن يصل إلى ثايهم طعناً يكثر منه القتلى حتى يجتمع الذئب والغراب على أكل جيفهم وأجسامهم: يعني أنهم يدفعونه عن الوصول إلى حظائر الغنم، فكيف الوصول إلى النساء والحرم ؟!

وخيلاً تغتذي ريح الموامي ويكفيها من الماء السّراب

تغتدي: من الغذاء والموامي: جمع موماة، وهي الفلاة.

يقول: لاقى دون ثايهم طعاناً وخيلا معودة للقتال، صابرة على الجوع والعطش، حتى تكتفي عن الزرع والعلف، بانتشاق النسيم، وعن الماء بالسراب.

ولكن ربّهم أسرى إليهم فما نفع الوقوف ولا الذّهاب

يقول: لكن غزاهم سيف الدولة الذي هو مولاهم وهم عبيده، فلم ينفع منه الوقوف ولا الهرب.

ولا ليلٌ أجنّ ولا نهار ولا خيلٌ حملن ولا ركاب

يقول: إنهم لما رأوه تحيروا في أمرهم، ولم يسترهم ليل بظلمته، ولا نهار بضيائه، ولم تحملهم خيلهم وإبلهم.

رميتهم ببحرٍ من حديدٍ — له في البرّ خلفهم عباب

العباب: صوت الموج. وقيل: عباب كل شيء: أوله.

يقول: رميتهم بجيش كأنه بحر ارتفعت أمواجه لعظمه، ولما عليه من السلاح.

فمسّاهم وبسطهم حريرٌ — وصبّحهم وبسطهم تراب

روى: فرشهم بدل بسطهم في الموضعين. وفاعل مساهم وصبحهم ضمير البحر الذي هو الجيش.

يقول. أتاهم ليلاً جيشك، وهم على فرش الديباج فأغار عليهم وسلب أموالهم، فأصبحوا جلوساً على التراب، فصار فراشاً لهم ! وقيل: أراد أنهم انهزموا، فتبدلوا بعد بسط الحرير، الجلوس على التراب. وهذا قريب من الأول.

قال ابن جني: أراد أن جيشه مساهم فقتلهم فأصبحوا وقد تزملوا بالتراب، وصار بسطهم تراباً بعد ما كان حريراً.

ومن في كفّه منهم قناة — كمن في كفّه منهم خضاب

يقول: مع شوكتهم، وصبرهم، واجتهادهم، وشجاعتهم، لما رأوك جبنوا وتحيروا، حتى صار الفارس الذي يحمل الرمح كالمرأة التي في يدها خضاب في قلة الغناء والدفع.

بنو قتلى أبيك بأرض نجدٍ — ومن أبقى وأبقته الحراب

الحراب: جمع حربة وهي رمح قصير.

يقول: كان آباؤهم استعصوا على أبيك فقتلهم، وفعل بآبائهم ما فعلت بهم أنت الآن، وكان أبو سيف الدولة غزا القرامطة الذين هم في الأحساء وقتل منهم وكسر.

فيقول: هؤلاء بنو الذين قتلهم أبوك بنجد، وأبقاهم أبوك وأبقته رماحه. وبنو: خبر ابتداء محذوف: أي هم بنو قتلى أبيك.

عفا عنهم وأعتقهم صغاراً — وفي أعناق أكثرهم سخاب

السخاب: كالثياب، يلبسه الصبيان، وجمعه سخب. وقيل السخاب: القلادة تنظمها الأعراب من القرنفل، أو حب الحنظل.

يقول: إن أباك كان عفا عن هؤلاء وأعتقهم بعد ما ملكهم، وهم صغار في أعناقهم السخب.

وكلكم أتى مأتى أبيه — فكلّ فعال كلّكم عجاب

يقول: كل واحد منك ومنهم - أي مثل ما فعل أبوه، فأنت عفوت كما عفا أبوك عن آبائهم، وخضعوا خضوع آبائهم، فما حصل منك من الاقتداء بأبيك عجب ! وما حصل منهم من الاقتداء بآبائهم من العصيان عجب ! وقيل: وفعلت بهم مثل ما فعل أبوك بآبائهم، وأبوك فعل مثل ما فعل جدك بأجدادهم، وكل فعل منك عجب !

كذا فليسر من طلب الأعادي ومثل سراك فليكن الطّلاب

يقول: من طلب الأعادي والظفر بهم، فليسر إليهم كما سريت إليهم أنت، وكذا: إشارة إلى فعل سيف الدولة.

وسار سيف الدولة نحو ثغر الحدث لبنائها وكان أهلها أسلموها بالأمان إلى الدمستق سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة، فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جماد الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة وبدأ في يومه فخط الأساس، وحفر أوله بيده، ابتغاء ما عند الله عز وجل، فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس: دمستق النصرانية، في نحو من خمسين ألف فارس وراجل من جموع الروم والأرمن والروس والبلغر والصقلب. والخزر وأصناف رجاله ووقعت المصافة يوم الاثنين انسلاخ جمادي الآخرة من أول النهار إلى وقت العصر، ثم إن سيف الدولة حمل عليه بنفسه ف نحو خمس مئة من غلمانه وأصناف رجاله، فقصد موكبه وهزمه، وأظفره الله تعالى به، وأسر تودس الأعور: بطريق سمندو، وهو صهر الدمستق وقتل نحو ثلاثة آلاف رجل من مقاتلته، وأسر خلقاً كثيراً من اسخلاريته وأراخنته فقتل أكثرهم واستبقى البعض وأقام على الحدث إلى أن بناها، ووضع بيده آخر شرافة منها يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رجب من السنة المذكورة فقال أبو الطيب في ذلك، وأنشده إياها بعد الوقعة بالحدث.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

العزائم جمع عزيمة، وهي إمضاء الأمور، وكذلك عزمت على كذا: أي أمضيته. والمكارم: جمع مكرمة، وهي كل فعل محمود.

يقول: عزيمة كل إنسان على قدر همته وشهامة قلبه، إن كان عظيم القدر والخطر، جد أمره ومضت عزائمه، وإن كان الرجل فشلاً اضمحلت وبطلت، وكذلك المكارم: تكون على حسب فاعليها، فهي من الشريف شريفة، ومن الوضيع وضيعة.

وتعظم في عين الصّغير صغارها		وتصغر في عين العظيم العظائم

الضمير في صغارها للمكارم والعزائم.

يقول: الرجل الصغير النفس يستكبر الصغير، والعالي الهمة يصغر في عينه ما يفعله وإن كان عظيماً.

ومثله لعبد الله بن طاهر:

إنّ الفتوح على قدر الملوك وهم		ات الولاة وإقدام المقاديم

يكلّف سيف الدولة الجيش همّه		وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

يقول: إن همته عظيمة، وهو يكلف جيشه أن تكون لهم مثل همته، والجيوش الكثيرة تعجز عنه. والهاء في عنه لهمته.

ويطلب عند النّاس ما عند نفسه		وذلك ما لا تدّعيه الضّراغم

يقول: يطلب عند الناس من الشجاعة والبأس ما عند نفسه، والأسود تعجز عن ادعاء ذلك، فكيف بالناس ؟!

يفدّى أتمّ الطّير عمراً سلاحه		نسور الملا أحداثها والقشاعم

النسور: جمع النسر. والأحداث جمع حدث، وهو الحديث السن، والقشاعم: المسنة الطويلة العمر. الواحد قشعم والملا: الأرض الواسعة.

يقول: إن سلاحه أكثر القتلى في البر قديماً وحديثاً، حتى شبع النسور منها، فلم تحتج إلى صيد، فقشاعمها: التي هي المعمرة، تضيف إلى الشكر القديم الشكر الحديث، وأحداثها تثنى عليه بالحديث من لحوم القتلى، فهما يفديان سلاحه ويقولان: نحن الفداء لك؛ لإنعامك علينا بكثرة القتل، إذ في ذلك استراحتها عن طلب الرزق.

وإنما قال: أتم الطير عمراً لأن النسر يعيش على زعم الناس خمس مئة سنة وإنما خص النسور؛ لأنها لا تصيد كما تصيد الجوارح، وإنما تأكل الجيف ولحوم القتلى. روى ابن جني تفدى بالتآء قال: أراد النسور فكأن قال: تفدى النسور سلاحه.

والأظهر في العربية يفدى بالياء لأنه فاعله أتم وهو مذكر وهذا حمل على الظاهر، والأول على المعنى. وعمراً نصب على التمييز وسلاحه نصب لأنه مفعول يفدي ويجوز في نسور الملا الرفع على خبر الابتداء: أي هي نسوء الملا. ويجوز أن تجعله بدلا من قوله: أتم الطير التقدير: تفدى نسور الملا سلاحه وأحداثها من نسور الملا، والقشاعهم معطوف عليه.

وما ضرّها خلقٌ بغير مخالبٍ وقد خلقت أسيافه والقوائم

القوائم: جمع قائم وهو قائم السيف.

يقول: لا يضر هذه النسور خلقها بغير مخالب، وألا تصيد كالبازي ونحوه، فإن سيوف سيف الدولة تغنيها عن المخالب وتقوم لها مقامها. وتم المعنى عند قوله: وقد خلقت أسيافه وقوله: والقوائم فضلة لا فائدة فيها إلا إتمام القافية.

وقيل: إنما قال ذلك؛ لأن السيوف لا ينتفع بها إلا بقوائمها، والمراد بنفي المخالب عنها ما ذكرناه أنها ليست مما يصيد كالبازي، تأكل الجيف.

وقيل: لها مخالب. وإنما أراد الفرخ الحدث الذي لا يمكنه الانتفاع بمخالبه، والمسن الذي عجز عن طلب القوت، ودل عليه في قوله: أحداثها والقشاعم.

الثاني: أن معناه ما ضر لو كانت خلقت بغير مخالب مع قيام سيوفه مقامها. وقوله: ما ضرها خلق: فالخلق هو المصدر الحقيقي.

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أيّ السّاقيين الغمائم

الحدث: قلعة، وقيل مدينة. وجعلها حمراء؛ لأن سيف الدولة أراق فيها دماء الروم، حتى سالت عليها كالمطر، ودام ذلك حتى نسي لونها الأول.

يقول: فهل تعرف الحدث لونها الأول أم نسيته من طول ما جرى الدماء عليها ؟ وهل تفرق بين سيف الدولة الذي سقاها الدم، وبين الغمام الذي سقاها الماء ؟ فتعلم أي ساقييها الغمائم.

وقيل: معناه هل تعرف لونها ؟ إنها قد حسنت به حالها حين عمرها، وكنت قد خربت قبل ذلك.

وقيل: أراد أنه بناها غير البناء الأول، إذا كان بناؤه لها إعادة لا ابتداء فكأنه بناها من الحجر الأحمر، وكانت قبل ذلك بخلافه.

سقتها الغمام الغرّ قبل نزوله فلمّا دنا منها سقتها الجماجم

الغمام: جمع غمامة، ولهذا وصفها بأنها غر وخص الغر، لأنها أغزر وأكثر ماءً.

يقول: كانت السحاب تسقيها الغيث، فلما جاءها سيف الدولة، وقتل فيها الروم فسالت دماؤهم كالمطر السائل من السحاب.

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

أي: فأعلاها، فحذف المفعول، والواو للحال في قوله: والقنا، وموج المنايا.
يقول: بنى الحدث حتى أتمها وأعلاها، في حالة المطاعنة، وتداخل الرماح بعضها في بعض، والتطام أمواج الموت فيها؛ لكثرة القتل.

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم

يقول: إنها تروع كل وقت، كما يروع المجنون، وتهدم وقتاً بعد وقت، فكانت لا تستقر، فتشبه بالمجنون، فلما قتل أعداءها ومن كان يطلبها، سكنت كالمجنون إذا علقت عليه التمائم، فصارت جثث القتلى لها كالتمائم.

طريدة دهر ساقها فرددتها ... على الدّين بالخطّيّ والدّهر راغم

الطريد: ما أخذه العدو من المال وفاز به.
يقول: كانت هذه القلعة طريدة الدهر قد ساقها وذهب بها الدهر وجعلها للروم، فرددتها على المسلمين الذين كانت لهم من قبل، وأرغمت أنف الدهر وقهرته.

تفيت اللّيالي كلّ شيءٍ أخذته ... وهنّ لما يأخذن منك غوارم

التاء في تفيت للخطاب. والليالي: في موضع نصب بتفيت، ومعناه: كل شيء أخذته الليالي فإنك تفيتها. أي تأخذه منها، وهي إذا أخذت منك شيئاً غرمته لك، وغيرك لا يقدر على ذلك.
وقيل: التاء تاء التأنيث، والليالي: رفع لأنها فاعلة تفيت.
والمعنى: إن ما أخذته الليالي من كل أحد أفاتته ولا ترده عليه، وما تأخذه منك فإنك تغرمه لك.

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

الفعل المضارع يصلح للحال وللاستقبال، والمراد ها هنا: الفعل المستقبل خاصة.
يقول: إذا نويت فعل شيءٍ تم ومضى، وتعجل وقوعه قبل أن يعوقك معوق، فعبر عن المعوق بالجوازم، وعن نفيه بنفي الجوازم، وإنما قال ذلك؛ لأن حروف الجزم كلها تعويق: إما بنفي كلم، أو بنهي نحو، لا تفعل، أو تعلق بالشرط، ولام الأمر للغائب فيه معنى التراخي، ووصول الأمر إليه.
وقيل: أراد بالجوازم ها هنا التي للذي، وجمعه إرادةً للكثرة والتكرير.
والمعنى: أنك إذا نويت أمراً سبقت به نهي الناس، وعذل العذال، وتفعله قبل أن تقول لك الناس: لا تفعل، فيكون مثل قولهم: سبق السيف العذل.

وقيل: أراد به لام الأمر نحو قولك: ليخرج زيد، ومعناه: أنك إذا نويت أمراً تم قبل أن تأمر به، فتقول ليكن كذا فيكون، مثل قوله:

يجيبك قبل أن يتمّ سينه

أو يكون المراد به أنك إذا أمرت بفعل يسبق مضاؤه لحوق هذه اللام به.

وقيل وجه رابع: وهو أن الفعل المضارع إنما يصير ماضياً بدخول لم عليه، والمعنى: أنك إذا نويت أمراً مستقبلاً انقضى ومضى بنفسه، من غير أن يعارضه ما ينفيه من الموانع.

وكيف ترجّى الرّوم والرّوس هدمها وذا الطّعن أساسٌ لها ودعائم!

يقول: إن الروس والروم كيف يطمعون في هدمها ؟ وأساسها ودعائمها دفاعك وطعانك ! فإذا كان كذلك فلا سبيل لهم إلى هدمها.

وقد حاكموها والمنايا حواكمٌ فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالم

يقول: إن الروم والروس حاكموا هذه القلعة إلى المنايا، وجعلوها حاكمةً بينهم وبين القلعة، فكانت هذه مظلومة، والروم ظالمين، تغلبوا عليها وأخذوها من المسلمين ظلماً، فحكمت المنية بموت الظالم وحياة المظلوم، فقتل الروم، وهم ظالمون، وعاش المظلوم وهي القلعة؛ لأنها تخلصت من أيديهم.

وقيل: المظلوم هم المسلمون؛ لأن الروم ظلموهم بأخذها منهم. يعني أنك أخذتها منهم بالسيف والقتل، فكأنك حاكمتهم إلى السيوف فقضت لك بما فعلت.

أتوك يجرّون الحديد كأنّهم سروا بجيادٍ ما لهنّ قوائم

يقول: أتوك وعليهم الدروع، وعلى خيلهم التجافيف، كأنها لم تكن لها قوائم.

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم

البيض: السيوف. وثيابهم: الدروع والجواشن، والعمائم البيض. وقوله: من مثلها: أي الثياب والعمائم كانت مثل البيض؛ لأنها كانت من الحديد.

يقول: جاءوك في أسلحة تامة، فلم تفرق بين سيوفهم وبينهم، لأن ثيابهم وعمائمهم كانت من الحديد.

وقيل: أراد أن السيوف لم تتميز من لباسهم، لبريقها ولمعانها.

خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم

الزحف: السير الهين. والزمازم: جمع زمزمة، وهي كل صوت لا يفهم، وأراد به صوتهم وصليل الحديد، وصهيل الفرس.

يصف كثرة الجيش وأنه ملأ الأرض شرقها وغربها وبلغت زمازمه إلى السماء، والجوزاء مصغية إليه تسمع أصواته. وخص الجوزاء لأنها على صورة إنسان وقد أمال عنقه، فجعلها تسمع إلى أصواته.

تجمّع فيه كلّ لسنٍ وأمّةٍ فما يفهم الحدّاث إلاّ التّراجم

اللسن: اللغة. والحداث: المتحدثون. والتراجم: جمع الترجمان.

يقول: إن جيش العدو الذي ملأ الأرض، كان قد تجمع فيه أمم مختلفة اللغات، فلا يفهم بعضهم كلام بعض إلا بالترجمان.

وقيل أراد به جيش سيف الدولة.

فللّه وقتٌ ذوّب الغشّ ناره فلم يبق إلاّ صارمٌ أو ضبارم

قوله: فلله وقت في معنى التعجب، والضبارم: الأسد الشديد الغليظ.

يقول: إن وقت الحرب أذاب الغش ناره.

يعني: أن الحرب لما اشتدت فر منها كل جبان فشل عاجز، وتكسر كل سيف غير قاطع، فلم يبق إلا نخب الفرسان، فشبه الحرب بالنار، والجبن بالغش الذي تذيبه النار.

وقيل: أشار بهذا إلى أن خيل سيف الدولة لا تحارب على وجه المسارقة والختل، بل يجاهرون بالمحاربة فعبر عن الختل بالغش.

تقطّع ما لا يقطع الدّرع والقنا وفرّ من الفرسان من لا يصادم

يقول: لم يبق في ذلك الوقت من السيوف كل سيف لا يقطع الدروع ولا يمسها، وفر من الفرسان كل ضعيف، لا يصادم الأبطال: أي لا يحارب.

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ كأنّك في جفن الرّدى وهو نائم

يقول: وقفت في مقام من قام فيه لا يشك أنه يقتل، وقد أحاط الموت من كل جانب، حتى كان الردى نائم عنك وأنت قائم في جفنه؛ لإحاطته بك.

شبه إحاطة الردى به بكونه في جفنه، وسلامته بكون الردى نائم عنه.

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسم

يقول: وقفت وكانت الأبطال تمر بك، وهي مجروحة منهزمة عابسة الوجوه، وأنت مشرق الوجه ضاحك السن، لم تداخلك حيرة لانهزام أصحابك، ومعرفتك بوجه الأمر في تلك الحالة.

وحكى أن سيف الدولة استنشد أبا الطيب هذه القصيدة وكان معجباً بها، فاندفع أبو الطيب ينشدها فلما بلغ إلى قوله: وقفت إلى آخر البيتين قال سيف الدولة: إن صدر البيتين لا يلائم عجزهما، وكان ينبغي أن تقول:

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسم

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمةً كأنّك في جفن الرّدى وهو نائم

فقال أبو الطيب: لما ذكرت الموت أتبعته ذكر الردى لتجانسهما، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من العبوس، وعينه من البكاء قلت: ووجهك وضاح وثغرك باسم للمطابقة بينهما.

تجاوزت مقدار الشّجاعة والنّهى إلى قول قومٍ: أنت بالغيب عالم

الغرض بالبيت: أن الشجاع يثبت ما دام يطمع في الظفر ويرجو النصر، وكذلك العاقل الحازم، يقف متى رأى مخايل النصر وأمارات الظفر، فإذا اشتد الأمر وأيقن كل واحد بالموت طلب النجاة بالفرار، وسيف الدولة تجاوز هذه المترلة، فهو يقف في المواقف التي لا يشك الحازم والشجاع في الهلاك فيها، كأنه عالم بالغيب وعواقب الأمور.

وقوله: إلى قول قوم يعني: أن الناس لما رأوا مقامه وثباته في المواطن التي لا يشك أحد فيها بالقتل قالوا: إنه عالم بالغيب ! ولولا ذلك لم يقف، وقد فر كل شجاع.

ضممت جناحيهم على القلب ضمّةً تموت الخوافي تحتها والقوادم

يقول: حملت على الميمنة والميسرة فضممتهما على القلب ورددهما إليه، حتى سقط بعضهم على بعض.

جعل الميمنة والميسرة جناحين وشبه الأبطال المقدمين بقوادم الجناح، والأتباع والحشو بالخوافي.

بضربٍ أتى الهامات والنّصر غائبٌ وصار إلى اللّبّات والنّصر قادم

الباء في بضرب متعلقة، قيل بقوله: تموت.

يقول: نازلت العدو وضربته بالسيف والنصر غائب، فلما بلغ الضرب إلى اللبات قدم النصر.

يصف بذلك سرعة الهزيمة ووقوع النصر بعدها، وأنه كان بين غيبته وقدومه، قدر نزول السيف من

الهامة إلى اللبة، فكأنه يقول: لم يصل سيفك إلى نحورهم حتى نصرت عليهم.

وقال ابن جني: يقول. إذا ضربت عدوك، فحصل سيفك في هامته، فلا تعتد ذلك نصراً، حتى يصل السيف إلى اللبة، فحينئذ يكون ذلك نصراً، ولا ترضى بدونه.

حقرت الرّدينيّات حتّى طرحتها وحتّى كأنّ السّيف للرّمح شاتم

تركت الطعن بالرماح، ورجعت إلى الضرب بالسيوف، حتى كأنك حقرت الرماح وعدلت عنها إلى السيوف؛ لأنها أنكى في العدو، وكأن سيف رأى عجز الرماح وقلة غنائها فشتمها وعابها.

ومن طلب الفتح الجليل فإنّما مفاتيحه البيض الخفاف الصّوارم

البيض، الخفاف، الصوارم كلها صفات للسيوف.

يقول: من أراد الوصول إلى الفتوح العظيمة، فإنما يصل إليها بالسيوف، ولما جعل المطلوب فتحاً جعل السيوف مفاتيحه؛ لأن بها يوصل إلى ما وراء الباب من المقاصد.

نثرتهم فوق الأحيدب نثرةً كما نثرت فوق العروس الدّراهم

الأحيدب: موضع، وقيل: اسم الجبل الذي عليه مدينة الحدث.

يقول: إنك قتلتهم في كل موضع من هذا الجبل، ونثرتهم عليه كما تنثر الدراهم فوق العروس.

شبه الأحيدب بالعروس؛ لأنه قد اختضب بالدم، كالعروس في المصبوغات والجاسد، وشبه القتلى بالدراهم؛ لبياض جثتهم حولها، ونثرهم: بنثرهم الدراهم فوق العروس.

تدوس بك الخيل الوكور على الذّرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم

يقول: صعدت على رءوس الجبال إليهم فقتلتهم هناك، حتى كثرت المطاعم للطيور في رءوس الجبال، وكانت الخيل تطأ وكور الطير التي كانت في الجبال وحولها القتلى مطروحة. وقوله تدوس بك: أي تطأ وأنت عليها.

تظنّ فراخ الفتخ أنّك زرتها بأمّاتها وهي العتاق الصّلادم

الفتخ: العقبان، والواحد أفتخ، وفتخاء، وهي عتاق الطير كالبازي والعقاب؛ سميت بذلك للين أجنحتها وانعطافها، والأمات: جمع الأم، فيما لا يعقل، وفيمن يعقل أمهات والمراد بالعتاق: الخيل الكرام والصلادم: جمع صلدم، وهو الفرس الصلب الشديد.

يقول: لما صهلت الخيل ظنت فراخ النسور أنك زرتهن أمهاتهن؛ لاشتباه أصوات الخيل بها في بعض الأوقات، ولذلك قال الاخر:

إذا الخيل صاحت صياح النّسور

وقيل: شبه الخيل بالنسور من جهة السرعة والضمور.

إذا زلقت مشّيتها ببطونها كما تتمشّى في الصّعيد الأراقم

الصعيد: وجه الأرض. والأراقم: الحيات.

يقول: إذا زلقت الخيل من رءوس الجبال لملاستها وقلة استقرار قوائمها عليها، انسابت فيها على بطونها كما تنساب الحيات في الأرض والتراب.

أفي كلّ يوم ذا الدّمستق مقدمٌ قفاه على الإقدام للوجه لائم

وروى أيضاً: أفي كل يوم للدمستق مقدم، أي إقدام.

يقول: الدمستق كل يوم مقبل، فيقدم على لقائك ثم ينهزم من بين يديك، فيلوم قفاه وجهه فيقول: إلى كم تعرضني للجراحة ولا تكتفي بما تقدم من الانهزام ؟!

أينكر ريح اللّيث حتّى يذوقه وقد عرفت ريح اللّيوث البهائم

يقول: إن الدمستق لا يزال يتعرض لك حتى تقتله أو تأسره، ولو كان له عقل لكفاه ما رأى من شجاعتك وهزمك إياه، والبهائم أعقل منه، لأنها تعرف ريح الليث من بعيد فتتباعد عنه.

وقد فجعته بابنه وابن صهره وبالصّهر حملات الأمير الغواشم

الغواشم: جمع غاشمة، وأصله الظلم، وهي ها هنا القهر والغلبة.

يقول: لو كان له تمييز أو عقل، لم يتعرض لك بعد ما رأى من فعلك بابنه، حيث أسرته وقتلت أيضاً صهره وابن صهره.

مضى يشكر الأصحاب في فوته الظّبا لما شغلتها هامهم والمعاصم

المعاصم: جمع المعصم، وهو الذراع.

يقول: مضى الدمستق هارباً، وهو يشكر أصحابه حيث شغلوا المسلمين عنه؛ بأن مكنوهم من قتلهم، واستغنت السيوف برءوسهم ومعاصمهم، فكان سبب نجاته ذلك.

ويفهم صوت المشرفيّة فيهم على أنّ أصوات السّيوف أعاجم

فيهم: أي في الأصحاب.
يقول: كان الدمستق إذا سمع صليل السيوف في أصحابه عرف ما تفعله، وإن لم يكن لها ألسنة. وأخذ هذا المعنى المعري وشرحه فقال.

وقد تنطق الأسياف وهي صوامت وما كلّ نطق المخبرين كلام

ثم قال من عنده:

كفى بخطاب المشرفيّة مخبراً بأنّ رءوساً قد شققن وهام
يسرّ بما أعطاك لا من جهالةٍ ولكنّ مغنوماً نجا منك غانم

يقول: إن الدمستق يسر بما سلم إليك من أصحابه وأمواله؛ لسلامته منك، لأن المغنوم إذا نجا منك كان غانماً.

ولست مليكاً هازماً لنظيره ولكنّك التّوحيد للشّرك هازم

يقول: لست ملكاً كسائر الملوك في فعلك بالدمستق، حتى يقال: ملك هزم نظيره من الملوك، ولكن أنت موحد وهو مشرك، فكأن التوحيد هزم الشرك وقهره، لما ظفرت على الدمستق وقهرته.

تشرّف عدنانٌ به لا ربيعةٌ وتفتخر الدّنيا به لا العواصم

عدنان: أصل العرب. وربيعة: قبيلة سيف الدولة. والعواصم: حصون بالشام، وهي دار مملكته.
يقول: إن جميع العرب تتشرف به، لا قبيلته وحدهم، وكذلك الدنيا كلها تفتخر به، لا العواصم التي هي ممالكه.

لك الحمد في الدّرّ الّذي لي لفظه فإنّك معطيه وإنّي ناظم

يقول: الحمد لله. الذي أقوله في شعري ليس هو حمدي إياك، بل هي مكارمك ووصفتها في شعري، وحسن بها قولي، فكأنها در أعطيتنيه فنظمته، فلك المعنى ولي اللفظ، فالحمد لك.

وإنّي لتعدو بي عطاياك في الوغى فلا أنا مذمومٌ ولا أنت نادم

يقول: إنك أعطيتني في عطاياك الخيل، وهي تعدو بي في الحرب، وأقاتل بها بين يديك، فلست أنا مذموماً لتقصيري عن طاعتك وترك القتال بين يديك، ولا أنت نادم على عظم نعمتك علي بالخيل وغيرها من النعم.
وقيل: لست مذموماً بهذا الشكر وذكر عطاياك الكريمة، ولا أنت نادم على ما فعلت من اتصال شكري.

على كلّ طيّارٍ إليها برجله إذا وقعت في مسمعيه الغماغم

الغماغم: الأصوات في الحرب. والهاء في إليها يرجع إلى الوغى إذ الحرب مؤنثة.

يقول: تعدو بي عطاياك على كل طائر يطير برجله، خلاف سائر الطير، وأراد به الفرس إذا سمع صوت الحرب طار إليها ولا يقف.

ألا أيّها السّيف الّذي لست مغمداً ولا فيك مرتابٌ ولا منك عاصم

يقول: لست كسائر السيوف في أنها تغمد مرةً وتصلت أخرى، بل أنت مجرد أبداً، تنصر الدولة وتذب عنها وتحامي دونها، ولا يشك أحد في أنك بهذه الصفة، ومن طلبته لم يعصمه منك عاصم ولم يمنعه مانع. ومرتاب: يجوز أن يكون اسم الفاعل من ارتاب، ويجوز أن يكون مصدراً كالارتياب.

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا وراجيك والإسلام أنّك سالم

يقول: هنيئاً لهذه الأشياء سلامتك؛ لأن سلامتها بك، وبقاؤها ببقاؤك؛ لأنك تحامي دونها وتذب عنها.

ولم لا يقي الرّحمن حدّيك ما وقى وتفليقه هام العدا بك دائم ؟

يقول: أنت سيف ماض، تنصر الإسلام ودين الله، وتضرب رءوس أعداء الله تعالى، فكيف لا يقيك الله تعالى كل مكروه ؟ ولا يدفع عن حديك كل محذور. ولما جعله سيفاً جعل له حدين. وما في قوله: ما وقى ظرف.

وورد على سيف الدولة فرسان طرسوس وأذنة والمصيصة، ومعهم رسول ملك الروم، في طلب الهدنة يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاث مئة.

فقال أبو الطيب يمدحه وأنشدها بحضرتهم وقت دخولهم:

أراع كذا كلّ الأنام همام وسحّ له رسل الملوك غمام ؟ !

الهمزة في أراع للاستفهام، في معنى التعجب. وراع: أي أفزع. والمفعول: كل الأنام، والفاعل: همام. وكذا أي كما أرى، وهو في موضع نصب؛ لأنه صفة لمصدر محذوف: أي أراع روعاً كذا.

يقول: كيف راع الأنام كلهم رجل واحد ؟ حتى تقاطرت إليه رسل الملوك يسألونه الصلح، كما يتقاطر المطر من الغمام. وقوله سح أي أسح ؟ على الاستفهام.

ودانت له الدّنيا فأصبح جالساً وأيّامها فيما يريد قيام

يقول: انقادت له الدنيا، وأطاعه أهلها، وهو جالس، وأيام الدنيا تسعى في مراده، وتقوم له قيام الخدم للمخدوم.

إذا زار سيف الدّولة الرذوم غازياً كفاها لمامٌ لو كفاه لمام

اللمام: الزيارة القليلة.

يقول: إذا قصد بلاد الروم كفاهم قليل من إيقاعه بهم، ولكنه لا يرضى إلا بالسبي والقتل وأخذ الممالك.

فتىً تتبع الأزمان في النّاس حكمه لكلّ زمانٍ في يديه زمام

روى: خطوة وحكمه.

يقول: إن الزمان يتبع حكمه ويتصرف بإرادته، يذل من أذله ويعز من أعزه فكأن زمام الدهر في يده، يقوده كيف شاء. وقوله: فتى خبر ابتداء محذوف، أي: هو فتى.

تنام لديك الرّسل أمناً وغبطةً وأجفان ربّ الرّسل ليس تنام

يقول: إذا وصلت الرسل إليك سكنت نفوسها، ونامت عيونها لجوارك، وأجفان الذين يرسلونهم لا تنام خوفاً منك.

حذاراً لمعروري الجياد فجاءةً إلى الطّعن قبلاً ما لهنّ لجام

اعروريت الفرس: إذا ركبته عرياناً بلا سرج. وقبلاً: أي متقدماً إلى أعدائه. وقيل: هو جمع أقبل وقبلاء، وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى وهو محمود في الخيل؛ وإنما تفعل ذلك لعزة نفسها. وحذاراً: مفعول له. والمعروري: هو الفاعلي من اعروري. وفجاءة: نصب على الحال، وكذلك قبلاً.

يقول: إن أجفان رب الرسل لا تنام حذاراً من ملك يركب الفرس عرياناً لمفاجأته الغزو، ويصرفه بغير لجام.

تعطّف فيه والأعنّة شعرها وتضرب فيه والسّياط كلام

فيه أي في الطعن.

يقول: إن هذه الخيل مؤدبة معودةً للحرب، فتنعطف في الطعن ولا أعنة لها سوى شعر أعرافها ونواصيها؛ وكذلك تضرب في حال الطعن، لا بالسياط، بل بالكلام والزجر.

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام

يقول: إن الخيل الكرام، لا تغنى حتى يكون فوقها كرام. ومثله للبحتري:

وما السّيف إلا مستعار لزينةٍ إذا لم يكن أمضى من السّيف حامله

إلى كم تردّ الرّسل عمّا أتوا به كأنّهم فيما وهبت ملام

يقول: إلى متى ترد الرسل عما يلتمسونه من الصلح ؟ فكأن سؤالهم إياك عذل العاذل على جودك، فأنت تردهم عما راموه، كما ترد من يعذلك على جودك عن مرامه، ولا تصغي إلى ملامهم. وشبههم باللوم وشبه ردهم برد اللوم.

فإن كنت لا تعطى الذّمام طواعةً فعوذ الأعادي بالكرام ذمام

الذمام: العهد. والطواعة، والطواعية، والطوع: واحد.

يقول: إن كنت لا تعطيهم الأمان والذمة بطاعتهم لك، أو رغبة منك في ذلك. وقيل: معناه. متبرعاً، وقد عاذوا بك والتجأوا إليك، وعوذهم بك يوجب حفظهم.

وإنّ نفوساً أمّمتك منيعةٌ وإنّ دماءً أمّلتك حرام

يقول مؤكداً للمعنى الأول: قصدهم إليك، تحصين نفوسهم، ورجاؤهم لك، يصون دماءهم، فنفوسهم منيعة ودماؤهم حرام.

إذا خاف ملكٌ من مليكٍ أجرته وسيفك خافوا والجوار تسام

الواو في قوله: وسيفك للعطف. وتسام: أي تكلف، وتطلب منك.

يقول: من عادتك إجارة كل ملك خاف ملكاً آخر، وهؤلاء خافوا سيفك فاستجاروا بك، والتجأوا إليك، وكلفوك إجارتهم، فالأولى أن تجيرهم.

لهم عنك بالبيض الخفاف تفرّقٌ وحولك بالكتب اللّطاف زحام

يقول: إذا لقوك في الحرب تفرقوا عنك، خوفاً من السيوف الخفاف، ثم يجتمعون حولك ويزدحمون عليك طلباً للصلح، ويرسلون إليك كتباً لطافاً يسألونك فيها العفو. وإنما جعلها لطافاً، لأنها كتب مبعوثة على كتمان، فكل كبير وبطريق يتقرب إليه بكتاب لطيف، سراً عن صاحبه !

تغرّ حلاوات النّفوس قلوبها فتختار بعض العيش وهو حمام

يقول: إن حلاوات النفوس تغر القلوب، حتى تختار قلوب بعض الناس العيش والذل، وهو مثل الموت.

وشر الحمامين الزّؤامين عيشةٌ يذلّ الذي يختارها ويضام

الزؤام: السريع.

يقول: العيش في الذل أحد الحمامين السريعين، وهو أشرهما.

فلو كان صلحاً لم يكن بشفاعةٍ ولكنّه ذلّ لهم وغرام

يقول: هذا الصلح ليس بصلح، وإنما هو ذل لهم وعقوبة وغرامة يحملونها لك؛ لأن الصلح لا يكون بالشفاعة وإنما يكون صلحاً إذا استوى فيه الفريقان وأراجه الخصمان.

ومنّ لفرسان الثّغور عليهم بتبليغهم ما لا يكاد يرام

الثغر: موضع المخافة.

يقول: هذا الصلح ذل لهم وغرام، وتفضل لفرسان الثغور من المسلمين عليهم، حيث ساروا معهم إليك، وبلغوهم إلى ما ما لا يكاد يطلب منك، فلولا أنهم صحبوا لهم، لم يقدروا على الوصول إليك.

كتائب جاءوا خاضعين وأقدموا ولو لم يكونوا خاضعين لخاموا

يقول: إنما أقدموا عليك لأنهم جاءوك خاضعين سائلين، ولو كانوا محابين لم يجسروا على الإقدام، فيكون المراد بالكتائب: رسل الروم.

وقيل: أراد به فرسان الثغور.

كتائب جاءوا إليك خاضعين متشفعين للروم، ولو لم يكن كذلك لجبنوا عن الحروب، وعن الوصول إليك.

وعزّت قديماً في ذراك خيولهم وعزّوا، وعامت في نداك وعاموا

يقول: لما وصلوا إليك أمنوا وعزوا، واستراحت خيلهم، وأفضلت عليهم حتى عاموا في نعمك وإحسانك، ولم تزل تفعل ذلك بهم في قديم من الزمان إذا صدروا إليك واستذموا بجوارك. والمراد به الرسل.

وعلى الثاني: أن أهل الثغور عزوا بك وعاموا في نداك قديماً وحديثاً؛ لأنك أهل ثغر المسلمين.

على وجهك الميمون في كل غارةٍ صلاةٌ توالي منهم وسلام

قوله: توالى أصله تتوالى، منهم. قيل: الضمير يرجع إلى الروم، ومعناه: قد عمهم فضلك وإحسانك وبهرهم إقدامك، وكلما أغرت عليهم ورأوا وجهك دعوا لك وأتبعوك بالسلام، لما يروا من جمالك وشجاعتك، مع إغارتك عليهم وقتلك إياهم، وهو مثل قوله:

ومن شرف الإقدام

وقيل: إن الضمير في منهم يعود إلى فرسان الثغور، أراد صلاتهم وسلامهم عليك يتصل في كل غارة تكون لك على الروم.

وكلّ أناسٍ يتبعون إمامهم ... وأنت لأهل المكرمات إمام

يقول: كل أحد يقتدى بغيره في المكارم، وأنت إمام لأهلها، فكل كريم يقتدى بك في المكارم. ويشبه قوله أيضاً:

يمشي الكرام على آثار غيرهم ... وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع

وربّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته ... وعنوانه للنّاظرين قتام

القتام: الغبار وعنوان الكتاب: ما يكتب على ظهره.

يقول: ربما كتب إليك ملك الروم كتاباً قبل هذه المرة، فقصدته بجيشك، وجعلته جواب كتابه، فصار غباره يدل عليه، كما يدل العنوان على الكتاب: ممن هو ؟ وإلى من هو ؟

تضيق به البيداء من قبل نشره ... وما فضّ بالبيداء عنه ختام

يقول: هذا الجواب الذي بعثته هو الجيش تضيق به البيداء من قبل نشره عن كتائبه ولم يفض عنه ختمه يعني: أنه ما تفرق أو هو مجتمع غير منتشر.

حروف هجاء النّاس فيه ثلاثةٌ: ... جوادٌ، ورمحٌ ذابلٌ، وحسام

يقول: حروف هذا الكتاب ثلاثة: فرس جواد، ورمح ذابل، وسيف قاطع، لما جعل الجيش كتاباً جعل حروفه هذه الثلاثة.

أذا الحرب قد أتعبتها فاله ساعةً ... ليغمد نصلٌ أو يحلّ حزام

يقول: إنك قد أتعبت الحرب، يعني أهلها بكثرة إنهاضهم لها، فاتركها ساعة ليستريح الناس ويغمدوا سيوفهم ويحلو حزم خيلهم، ويحطوا سروجها.

وقوله: أذا الحرب قيل: الهمزة للنداء: أي يا ذا الحرب. وقيل: هو إذا يعني: إذا أتعبت الحرب.

وإن طال أعمار الرّماح بهدنةٍ ... فإنّ الّذي يعمرن عندك عام

الهدنة: الصلح وعمر الرجل يعمر: إذا طال عمره.

يقول: أطول أعمار الرماح بصلحك معهم عام واحد، ثم تعود إلى قتالهم فتقصر أعمار الرماح بالكسر والحطم، لأنك لا تصبر على قتالهم، فلا تعقد الهدنة إلا سنة واحدة.

وما زلت تفني السّمر وهي كثيرةٌ وتفني بهنّ الجيش وهو لهام

جيش لهام: أي كثير يلتهم كل شيء ويبتلعه.

يقول: لم تزل تكسر الرماح بالطعن وتفني بها الجيش، أي ذلك عادتك.

متى عاود الجالون عاودت أرضهم وفيها رقابٌ للسّيوف وهام

الجالون: الذين تركوا بلادهم هرباً منه، الواحد: جال.

يقول: متى عاود الذين هربوا عن بلادهم من الروم إليها؛ عاودت أرضهم بالغارة والقتل، وتكون الرقاب التي ضربتها بسيوفك والهام التي فلقتها بعد، ساقطة لم تبل.

يصف قرب المدة التي يعاودهم فيها.

وقيل: معناه أنهم متى عاودوا أرضهم وحصلوا فيها، وعلمت أن هناك رقاباً تضربها، وهاما تفلقها، فإنك تعود إليهم؛ لأنك إنما تركت غزوك لجلائهم عنها.

وربّوا لك الأولاد حتّى تصيبها وقد كعبت بنتٌ وشبّ غلام

كعبت الجارية: إذا نتأ ثديها وشب الغلام: ارتفع سنه، وأخرج من الصبي.

يقول: إن هؤلاء الروم يربون أولادهم لتسبيهم وتأخذهم في أحسن أحوالهم، وهو إذا كعبت الجارية، وارتفع سن الغلام، أي عاقبة أمرهم تعود إلى ذلك.

جرى معك الجارون حتّى إذا انتهوا إلى الغاية القصوى جريت وقاموا

يقول: إن الكرام جاروك في مضمار المجد، فلما انتهوا إلى أقصى الغاية وقفوا، وجريت أنت وحدك، لم يجارك أحد بعد.

وقيل: أراد أنهم جروا معك إلى المجد في المعركة، إلى أن اشتد القتال فقاموا، وجريت أنت.

فليس لشمسٍ مذ أنرت إنارةٌ وليس لبدرٍ مذ تممت تمام

يقول: أنت أنور من الشمس، وأكمل في الخصال من البدر، فخفي بنورك نور الشمس، وانتقص بكمالك كمال البدر.

وقيل: أراد بالشمس والقمر، ملوك عصره وكرام دهره، أي أنه أشرق عليهم وطمس معالم أفعالهم ومكارم خصالهم.

وتجمعت عامر بن صعصعة، وعقيل، وقشير، وعجلان وأولاد كعب ابن ربيعة بن عامر، بمروج

سلمية، وكلاب بن ربيعة بن عامر ومن ضامهم بماء يقال له الزرقاء، بين خناصرة وسورية، ونمير بن عامر بدير دينار من الجزيرة وتشاركوا ما يلحقهم من سيف الدولة وتوافقوا على التذام فيما بينهم، وشغله من كل ناحية والتناصر إن قصد طائفة منهم، وبلغه ما عملوا عليه، وأقل الفكر فيهم، فأطغاهم كثرة عددهم وعددهم، وسولت لهم أنفسهم الأباطيل، واستوىل على تدبير كعب عقيلها، وحسن ذلك لهم قواد كانوا في عسكر سيف الدولة، فسار إليهم وظفر بهم فقال أبو الطيب يذكر ما جرى ويمدحه سنة أربع وأربعين وثلاث مئة.

تذكّرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السّوابق

العذيب: اسم ماء لبني تميم. وبارق: اسم موضع. والمجر: يجوز أن يكون موضع الجر، وأن يكون مصدراً. والمجرى: بفتح الميم موضع الجر، ومصدر كالجري. وبالضم: موضع الأجراء ومصدر كالإجراء، وقد روى: مجرى السوابق بضم الميم وفتحها وما في قوله: ما بين العذيب قيل: اسم في موضع نصب بتذكرت، ومجر عوالينا: بدل عنه. ومجرى: عطف عليه، ويجوز أن يكون صفة له. والمعنى: تذكرت الموضع الذي بين العذيب وبارق بعد مفارقتي له، وكان ذلك الموضع مجر رماحنا ومجرى خيلنا: إما لعباً أو حرباً. وقيل ما زائدة وبين ظرف ومجر بعده نصب بتذكرت: أي لما حصلت بين العذيب وبارق تذكرت هناك جر رماحنا وإجراء خيلنا.

وصحبة قومٍ يذبحون قنيصهم بفضلات ما قد كسّروا في المفارق

يقول: تذكرت صحبة قوم أبطال، إذا قنصوا صيداً ذبحوه ببقايا سيوفهم التي كسروها في رءوس أعدائهم.

وليلاً توسّدنا الثّويّة تحته كأنّ ثراها عنبرٌ في المرافق

توسدنا الثوية: أي اتخذناها وسادة، والثوية: أرض بالكوفة. والثرى: التراب الرطب والهاء في ثراها للثوية وفي تحته لليل، وقيل: للثوية، إذ هو في معنى الرمل. وليلاً: عطف على ما قبله، وتوسدنا الثوية جملة من فعل وفاعل في موضع نصب صفة الليل، وقوله: كأن ثراها: في موضع النصب على الحال. يقول: تذكرت ليلة كنا بالثوية وضعنا رءوسنا على ثراها، فكان ثراها الملتزق بمرافقنا عنبر لطيبه.

بلادٌ إذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقّبنه للمخانق

الحسان: منصوب بزار، والهاء في بغيرها تعود إلى البلاد، وحصى: في موضع رفع لأنه فاعل زار. وأراد بالحصى: الفصوص الغروية التي تحمل من الغرى: وهو بناء عظيم بظهر الكوفة، وعنده مشهد

علي أمير المؤمنين رضي الله عنه.

يقول: إن الثوية بلاد إذا حمل حصى هذه البلاد إلى النساء اللواتي هن بغير هذه البلاد، فإنهن يثقبن هذا الحصى ويجعلنه في مخانقهن، لحسنه وصفائه.

وقيل: إن هذه البلاد من بلاد الشام، والحصى: أراد به الفسيفساء تكون بتلك البلاد. والأول هو الأظهر.

سقتني بها القطربّليّ مليحةٌ على كاذبٍ من وعدها ضوء صادق

الكناية في بها للبلاد أو للثوية. وقطربل: قرية من قرى بغداد، والقطربلي: الخمر المنسوبة إلى قطربل.

يقول: سقتني في هذه البلدة امرأة مليحة، وكانت الساقية المليحة تعدني من وصلها مواعيد كاذبة، تشبه الصدق؛ لحسن لفظها وطيب كلامها.

وقيل: إنه أراد أنه رآها في النوم تسقيه الشراب، وتعده الوصال، وكان كاذباً وإن كان في صورة الحق.

سهادٌ لأجفانٍ وشمسٌ لناظرٍ وسقمٌ لأبدانٍ، ومسكٌ لناشق

نشق الطيب: إذا طلبت رائحته.

يقول: قد اجتمعت في هذه المليحة هذه الأوصاف، فهي سهاد لأجفان العشاق، لأنهم لا ينامون شوقاً إليها، وشمس للناظرين إليها؛ من جمالها وحسنها، وسقم لأبدان العشاق؛ لأنهم يذوبون من حبها وتبلي أجسامهم شوقاً إليها، ومسك لناشق، يعني أنها طيبة البدن، فمن شمها وجد فيها رائحة المسك.

وقيل: أراد بها الخمر؛ لأنه تسهد لشربها، وشمس؛ للونها وسقم عند شربها، ومسك؛ لطيب رائحتها.

وأغيد تهوى نفسه كلّ عاقلٍ عفيفٍ ويهوي جسمه كلّ فاسق

الأغيد: الناعم الجسم، الطويل العنق، مع لين ونعومة. وهو رفع عطف على قوله: مليحة. أو على قوله: سهاد. وذكر قوله أغيد؛ لأنه أراد به شخصاً أغيد.

يقول: هو حسن الخلق والخلق، فالعاقل العفيف يهواه؛ لحسن خلقه وكمال عقله. والفاسق يهوى جسمه لحسن خلقه وملاحة وجهه.

وقيل: معناه سقاني الخمر المليحة الجامعة للصفات الأربع في البيت قبله، غلام أغيد، صفته كذا وكذا.

أديبٌ إذا ما جسّ أوتار مزهرٍ بلا كلّ سمعٍ عن سواها بعائق

أديب: رفع لأنه نعت لأغيد، أو بدل عنه. والمزهر: العود الذي يستعمل في الغناء وجس: أي مس. وبلا: أي جرب وامتحن.

يقول: إذا جس أوتار العود، شغل كل سمع عن الإصغاء إلى غيره؛ لحسن ضربه وجودة غنائه وصوته.

يحدّث عمّا بين عادٍ وبينه   وصدغاه في خدّي غلامٍ مراهق

يقول: هو أديب يحفظ أيام الناس وأشعارهم، ويخبر بالأخبار القديمة التي كانت بينه وبين أيام عاد، وهو بعد مراهق حديث السن.

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له   إذا لم يكن في فعله والخلائق

يقول: حسن الوجه لا يكسب لصاحبه شرفاً؛ ما لم يكن معه حسن الفعل وكرم الأخلاق.

وما بلد الإنسان غير الموافق   ولا أهله الأدنون غير الأصادق

يقول: ليس بلد الإنسان إلا ما يوافقه، فلا تلتفت إلى وطنك إذا لم يوافقك، وحسنت في غيره حالك، وليس أهل الإنسان وأقاربه الأدنون إلا كل من يصادقه في المودة، فكل إنسان يصادقك فهو قريبك.

وجائزةٌ دعوى المحبّة والهوى   وإن كان لا يخفى كلام المنافق

جائزة: قيل نافذة، وقيل: ممكنة.

يقول: دعوى المحبة من غير معنىً ربما تجوز وتنفذ، وإن كان كلام المنافق لا يخفى عليك.

وكان جماعة من شيوخ بني كلاب جاءوا وطرحوا أنفسهم على سيف الدولة وتضرعوا إليه. لما قصد لهم فقال: هؤلاء يدعون حبك وهذه الدعوى تنفذ منهم وإن كانوا منافقين في ذلك.

وقيل: معناه أن الإنسان يمكنه أن يظهر المودة بلسانه، وقلبه على خلافه، ولكنه لا يقدر أن يخفي نفاقه.

برأي من انقادت عقيلٌ إلى الرّدى   وإشمات مخلوقٍ، وإسخاط خالق ؟

من استفهام، وهو في موضع الجر باضافة رأى إليه وعقيل: قبيلة. والشماتة: الفرح ببلية العدو.

يقول: بتدبير من أظهرت عقيل عصيان سيف الدولة ؟ فإنه أوقعها في الهلاك، وأشمت بها أعداءها، وأسخط خالقها.

أرادوا عليّاً بالّذي يعجز الورى   ويوسع قتل الجحفل المتضايق

يقول: قصدوا عليا بالأمر الذي يعجز الخلق عن إيقاعه به؛ لأنهم أرادوا قتله والخروج من طاعته، وذلك يعجز الناس ولا يقدر عليه أحد، ولو أراد الجيش العظيم المجتمع الذي تضيق به الأرض لكثرته، أن يفعلوا ذلك لقتلوا دونه، حتى تتسع الأرض، وأراد بالمتضايق: المجتمع.

فما بسطوا كفّاً إلى غير قاطع ولا حملوا رأساً إلى غير فالق

يقول: بسطوا أيديهم إلى من يقطعها ! وحملوا رءوسهم إلى من يشقها.

يعني: لما كان آخر أمرهم ذلك، كانوا كأنهم بسطوا أيديهم للقطع ورءوسهم للشق.

لقد أقدموا لو صادفوا غير آخذٍ وقد هربوا لو صادفوا غير لاحق

يقول: كان يتم إقدامهم لو صادفوا من هو مثلهم، فلما أقدموا عليك أسرتهم، فلولاك لكان يتم ما أرادوه، وكان يمكنهم الهرب لو هربوا منك، فلما لاحقهم لم يمكنهم الهرب منه

ولمّا كسا كعباً ثياباً طغوا بها رمى كلّ ثوبٍ من سنانٍ بخارق

كعب: اسم قبيلة يقول: لما كساهم سيف الدولة ثياب إنعامه، وكفروا إحسانه، خرق عنهم تلك الثياب بممزق من سنان، يعني أنهم لما جحدوا نعمه أزالها عنهم وقتلهم، وتلك نعمة عليهم.

ولمّا سقى الغيث الّذي كفروا به سقى غيره في غير تلك البوارق

البوارق: جمع بارقة، وهي السحابة التي فيها برق، وهذا مثل الذي قبله.

يقول: أنشأ عليهم سحائب إحسانه وسقاهم غيث امتنانه، فلما جحدوا فضله أمطر عليهم من سحائب غير تلك السحائب، يعني أتاهم من عسكره في مثل السحائب البارقة فصب عليهم صواعق الانتقام، وأزال عنهم غيث الإنعام

وما يوجع الحرمان من كفّ حازمٍ كما يوجع الحرمان من كفّ رازق

يقول: إن كان الحرمان ممن جرت عادته به لا يوجع المحروم، كما يوجع إذا كان ممن جرت عادته بالنعم والامتنان.

أتاهم بها حشو العجاجة والقنا سنابكها تحشو بطون الحمالق

حشو: نصب على الظرف أو الحال، والهاء في بها للخيل المضمرة التي يدل عليها ذكر الجيش، والحملاق: باطن الجفن، والحمالق: أصلها الحماليق فحذفت الياء ضرورة يقول: أتاهم سيف الدولة بالخيل وسط الغبار والرماح، وحوافرها تنثر الغبار فيدخل في عيونها وعيون فرسانها.

عوابس حلّي يابس الماء حزمها فهنّ على أوساطها كالمناطق

عوابس: نصب على الحال أي أتاهم عوابس. وحلي: من التحلية. والحزم: جمع الحزام، وأراد بيابس الماء: عرقها.

يقول: قصد إليهم بالخيل وقد عبست وجف عرقها على حزمها فابيض فصار كأنه حلي من فضة، وأشبهت الحزم على أوساطها المناطق المحلاة بالفضة.

وقيل أراد به الماء الحقيقي.

والمعنى: أنه قصدهم في الشتاء وخاض بها الأنهار فجرى الماء على حزمها مثل الحلي في المناطق.

فليت أبا الهيجاء يرى خلف تدمرٍ طوال العوالي في طوال السّمالق

أبو الهيجاء: والد سيف الدولة. وتدمر: مدينة على طرف السماوة من ناحية الشام. يقال: إنها من بناء سليمان عليه السلام. والسمالق: جمع السملق، وهي الأرض البعيدة الأطراف. وقيل: السمالق: الطرق البيض.

يقول: ليت والده رآه وقد هزم عقيلاً وطردها بالرماح في هذه النواحي؛ ليفرح وتقر به عينه.

وسوق عليٍّ من معدٍّ وغيرها قبائل لا تعطى القفىّ لسائق

القفى: جمع القفا. واللام في قوله: لسائق زائدة كقوله تعالى: "رَدِفَ لَكُمْ" وسوق: عطف على قوله: طوال العوالي يقول: وليته رأى سوق ابنه قبائل العرب من معد وغيرها، ممن كان لا ينهزم لأحد ولا يوليه قفاه.

قشيرٌ وبلعجلان فيها خفيّةٌ كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق

هما قبيلتان، وبلعجلان: أراد بني العجلان، فحذف النون، كما قالوا في بني الحارث بلحارث. وأما إذا أرادوا إدغام النون في اللام فلا يمكنهم، لسكون اللام، فعدلوا إلى الحذف لتعذر الإدغام، والنون من بلعجلان مكسورة لأن الاسم مجرور بالإضافة.

وحكى ابن جني عنه أنه كان يضمه ذهاباً إلى أن الاسمين صارا اسماً واحداً.

والألثغ: الذي يميل بالراء إلى اللام، والمعنى: أن هاتين القبيلتين مع كثرتهما قد خفيتا في جملة القبائل كالراءين في لفظ الألثغ في خفائهما بغيرهما من الحروف.

تخلّيهم النّسوان غير فوارك ٍ وهم خلّوا النّسوان غير طوالق

الفوارك: جمع فارك، وهي التي تبغض. وغير في الموضعين نصب على الحال.
يقول: شتت سيف الدولة جمعهم، حتى خلت النساء أزواجهن، لا للبغض والطلاق !

يفرّق ما بين الكماة وبينها بطعنٍ يسلّي حرّه كلّ عاشق

الهاء في بينها للنسوان.
يقول: إن سيف الدولة كان يفرق بين الأبطال ونسوانهم بطعن، لو أصاب العاشق أنساه حره حرارة العشق الذي في قلبه، وسلاه عن العشق.
وقيل: معناه أنه كان يقتل بالطعن الذي إذا حل في العاشق أنساه عشقه.

أتى الظّعن حتّى ما تطير رشاشةٌ من الخيل إلاّ في نحور العواتق

الظعن: جمع ظعينة، وهي المرأة ما دامت في الهودج. وروى: أتى الطعن بالطاء. والرشاش: ما تطاير من الدم. الواحدة رشاشة: والعواتق: النساء الأبكار، الواحدة عاتق.
يقول: إن سيف الدولة ألجأهم إلى رحلهم والتواري في خدور العواتق، واقتحم عليهم بخيله وسط نسائهم، وكانت الخيل تطعنهم فيطير الدم في نحور العواتق.
وفي رواية الطاء: طاعن الأعداء وهم في بيوتهم، فهذا معنى إتيان الطعن حتى يطير رشاشه في نحور النساء.

بكلّ فلاةٍ تنكر الإنس أرضها ظعائن حمر الحلي حمر الأيانق

المعنى: أنهم فروا بنسائهم إلى كل فلاة لم يطأها الإنس قبلهم، وكانت فيها نساء حمر الحلي: أي أن حليهم ذهب، وأيانقهن حمر، يعني: أنهن نساء ملوك وأرباب نعمة.
وقيل: أراد بقوله. حمر الحلي أنهن مختضبات بالدماء التي ترششت عليهن من رجالهن في نحور العواتق.

وملمومةٌ سيفيّةٌ ربعيّةٌ تصيح الحصى فيها صياح اللّقالق

أي كتيبة ملمومة: وهي المجتمعة. وسيفية: منسوبة إلى سيف الدولة؛ لأنهم جنده وأصحابه. وقوله: ربعية: منسوبة إلى ربيعة: يعني هم من بني ربيعة ليس فيهم غيرهم وإنما هم قومه وبنو عمه. واللقالق: جمع لقلق وهو طائر معروف. وفاعل تصيح: هو الحصى. وروى: يصيح الحصى أي الملمومة تحمله على الصياح. والهاء في فيها للفلاة.
يقول: إن هذه الملمومة إذا سارت في الحصى حكى وقع حوافرها فيه، صوت اللقالق.

وقيل: معناه أنها قد لبست التجافيف والدروع، وإذا وقعت حصاة عليهم طنت في الحديد والدروع، فأشبهت صياح اللقالق. وملمومة عطف على قوله ظعائن يعني أنهم فروا بظعائنهم إلى الفلوات، وسار سيف الدولة في طلبهم بخيله، وكان في كل فلاة ظعائنهم وخيل سيف الدولة تطلبهم. وهذا التشبيه من قول الشاعر:

تصيح الرّدينيّات فيها وفيهم صياح بنات الماء أصبحن جوّعاً

بعيدة أطراف القنا من أصوله قريبة بين البيض غبر اليلامق

هذا من صفة الملمومة.

يقول: هي بعيدة أطراف القنا من أصوله. يعني طويلة الرماح فأطرافها بعيدة من أصولها، وهي قريبة بين البيض: أي مجتمعة مزدحمة. والبيض: الذي على رءوسها يمس بعضها بعضاً بتزاحم الخيل. وهي غبر اليلامق: أي أن الغبار قد علاها. واليلامق: جمع يلمق، وهي جبة يكثر حشوها وتضرب وتلبس مثل الجوشن. وربما يجعل فيما بينها دروع.

وقيل: اليلمق: القباء، وإنما مدح بطول الرماح؛ لأن تمام الفروسية بحسن استعمالها.

وقوله: غبر اليلامق كان الوجه غبراء اليلامق كقوله قريبة وبعيدة، ولكنه حمله على المعنى؛ لأن الكتيبة جماعة، والأوليان محمولة على اللفظ. وقيل: رده إلى كل جزء من الكتيبة، كما يقال: امرأة واضحة اللباب.

نهاها وأغناها عن النّهب جوده فما تبتغي إلاّ حماة الحقائق

حماة الحقائق: هم الشجعان الذين يحمون ما يحق حمايته. والهاء في نهاها وأغناها للملمومة. وفاعل تبتغي ضميرها أيضاً.

يقول: إن سيف الدولة نهى الكتيبة عن الإغارة وأغناهم بجوده عن الاشتغال بالنهب، فهم لا يلتفتون إلى الأنهاب والأسلاب، وإنما قصدهم الأبطال والفرسان الحامون للحقائق.

توهّمها الأعراب سورة مترفٍ تذكّره البيداء ظلّ السّرادق

السورة: الوثبة. وقيل: هي الحرب ها هنا. والمترف: المتنعم. والسرادق: ما أحاط بالخيمة مثل السور. والهاء في توهمها ضمير الحرب، وقيل: ضمير السورة. وتذكره: تفسير لها.

يقول: ظن الأعراب أنك إذا سرت خلفهم تعبت، وأن سورتك مثل سورة كل متنعم، لا يصبر على الحر، فإذا حصل بالبيداء تذكر لين العيش، فتركهم وانصرف.

فذكّرتهم بالماء ساعة غبّرت سماوة كلبٍ في أنوف الحزائق

فذكرهم بالماء: الباء فيه زائدة، أي ذكرهم الماء. والسماوة: مفازة بين الشام والعراق، وأضافها إلى بني كلب لأنهم يترلونها، وهي أصعب البرية. وغبرت: أي ركب عليها الغبار. والحزائق: الجماعات والواحد حزيق وحزيقة.

يقول: إنهم توهموا أنك لا تصبر على البادية فتنصرف سريعاً، كما يفعل كل مترف فكذبت ظنونهم وطردهم، حتى إذا بلغوا السماوة، وثار غبارها فدخل في أنوف جماعتهم، عطشوا فتذكروا الماء من شدة ما لحقهم من العطش.

وكانوا يروعون الملوك بأن بدوا وأن نبتت في الماء نبت الغلافق

يروعون: أي يفزعون. وبدوا: أي صاروا أهل البادية وسكنوها. والغلافق: جمع الغلفق وهو الطحلب، وقيل: هو ما نبت في الماء مثل الطحلب.

يقول: كانوا يخوفون الملوك بترولهم في البادية، وبأن الملوك لا تصبر على الماء كما لا تصبر الغلافق.

فهاجوك أهدى في الفلا من نجومه وأبدى بيوتاً من أداحي النّقانق

الهاء في نجومه يعود إلى لفظ الفلا ويجوز نجومها فيكون راجعاً إلى المعنى؛ لأنها جمع الفلاة. وهاجوك: أي هيجوك. وموضع أهدى نصب على الحال. وأبدى بيوتاً: أي أدخل في البدو بيتاً من النعام، فأبدى: من البادية. وأداحي: جمع الأدحية، وهي موضع بيض النعام. والنقانق: جمع نقنق وهو ذكر النعام.

يقول: هيجوك للحرب، وأنت عالم بالفلوات وأكثر اهتداء من النجوم، وكنت أدخل في البادية بيتاً من النقانق.

وقيل: إن قوله أبدى بيوتاً: أي أظهر بيوتاً، ومعناه: كنت فيها أظهر بيوتاً من النقانق؛ لأن بيوتها تكون ظاهرة غير خفية.

وأصبر عن أمواهه من ضبابه وآلف منها مقلةً للودائق

الودائق: جمع الوديقة، وهي شدة الحر. ويجوز أمواهها وضبابها رداً إلى معنى الجمع. والهاء في منها للضباب. وأصبر وآلف نصب على الحال، عطفاً على قوله: أهدى في الفلا ومقلةً نصب على التمييز.

يقول: كنت أصبر في الفلوات عن الماء من الضباب؛ لأنها تتبلغ بالنسيم عن الماء، وكنت آلف للحر من الضباب، ومقلتك أكثر إلفاً للحر من مقلة الضباب.

وكان هديراً من فحولٍ تركتها مهلّبة الأذناب خرس الشّقاشق

الهدير: صوت الفحل الهائج. المهلبة: مجذوذة الأذناب، والهلب: شعر الذنب والشقاشق: جمع الشقشقة، وهي ما يخرجه الفحل من فمه شبه الرئة، والفحل إذا هاج شد ذنبه فيسكن عند ذلك ويذل، فالمهلبة: هي المشدودة الأذناب.

وقيل: إن الفحل الهائج إذا نتف ذنبه سكن. فالمهلبة: المنتوفة الأذناب على المعنيين اللذين ذكرناها، فسكتت وخرست شقاشقها: أي انقطع هديرها.

قال ابن جني: المعنى كأن فعلهم من طغيانهم كهدير من فحول هاجت، فانتدب لها فحل أصعب منها فهربت منه وولته أذنابها، فهلبها: أي أخذ شعر أذنابها فنتفها وسكن هديرها.

فما حرموا بالرّكض خيلك راحةً ولكن كفاها البرّ قطع الشّواهق

فما حرموا: أي ما منعوا خيلك. نصب لأنها المفعول الأول بحرموا. وراحةً: المفعول الثاني والهاء في كفاها للخيل وهو المفعول الأول. وقطع: المفعول الثاني. والبر: فاعل كفاها.

يقول: إنهم ما منعوا خيلك بالركض راحةً وما كلفوها مشقةً؛ لأنها أبداً لا تخلو من الحرب، فلولا أنها لم تسر إليهم لغزت بلاد الروم، وعلت الجبال الشواهق، والبر أسهل عليها من الجبال.

ولا شغلوا صمّ القنا بقلوبهم عن الرّكز لكن عن قلوب الدّماسق

الدماسق: جمع الدمستق.

يقول: لم تكن رماحك مركوزة في الأرض، فشغلوها عن الركز في الأرض بالطعن في قلوبهم، وإنما حولوها عن قلوب الدماسق إلى قلوبهم. يعني: لا راحة لخيلك ولا راحة لسلاحك.

ألم يحذروا مسخ الّذي يمسخ العدى ويجعل أيدي الأسد أيدي الخرانق

المسخ: تغير الصورة إلى غيرها. والخرانق: جمع الخرنق، وهو الأرنب الصغير.

يقول: أما خافوا سيف الدولة أن يمسخهم كما يمسخ أعداءه ؟! ويرد أيدي الأسود منهم إلى أيدي الخرانق في القصر. والذلة والضعف، يعني: أن يجعل العزيز ذليلاً.

وقد عاينوه في سواهم وربّما أرى مارقاً في الحرب مصرع مارق

المارق: الخارج عن الطاعة. والهاء في عاينوه للمسخ، وفاعل أرى ضمير سيف الدولة.
يقول: أما خافوا مسخه ؟! وقد شاهدوا سيف الدولة كيف مسخ أعاديه من غيرهم ! فكان سبيلهم أن يرتدعوا بغيرهم، وسيف الدولة إذا مرق واحد من طاعته صرعه وقتله، وأرى مارقاً غيره مصرع الأول ليحذر منه ويتعظ به، ومثله قول أشجع:

شدّ الخطام بأنف كلّ مخالفٍ ... حتّى استقام له الّذي لم يخطم

تعوّد ألاّ تقضم الحبّ خيله ... إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق

العلائق: المخالي التي يجعل فيها الشعير، وتعلق على الدابة.

قال ابن جني: سألت المتنبي عن معناه فقال: الفرس إذا علقت عليه المخلاة طلبت موضعاً مرتفعاً يضعها عليه، ثم يتناول منها، فخيل سيف الدولة أبداً إذا علقت عليها علائقها رفعته على هام الرجال الذين قتلتهم ! لكثرة هاماتهم.
وقد قيل: إن هذا يؤدي إلى أن تكون الخيل هجنا قصار الأعناق؛ لأن الفرس العتيق لا يضع مخلاته على شيء لطول عنقه.
واعتذر عنه فقيل: إن رءوس القتلى قد كثرت حتى غطت وجه الأرض، فالفرس لا يضع مخلاته - إن وضعها - إلا على رءوس القتلى؛ وكثر ذلك حتى صار عادة لها، ولم يفعل ذلك لأنه كان يحتاج إليه لقصر عنقه.

ولا ترد الغدران إلاّ وماؤها ... من الدّم كالرّيحان تحت الشّقّائق

الشقائق: يقال له الشقر، وهو اسمه الأصلي، وإنما سمي الشقر شقائق بمنبته، والشقائق: جمع شقيقة، وهي كل أرض مستطيلة تشق بين الرملين. وقيل لها: شقائق النعمان؛ لأن النعمان مر على شقائق فيها هذا النور فأعجبه فحماه، ولم يدع أحداً يرعى تلك الشقائق، فأضيفت إليه يقول: تعودت خيله ألا ترد لشرب الماء إلا الغدران الممزوجة بالدماء. شبه خضرة الماء تحت الدم بالريحان تحت الشقائق.
وقيل: أراد بالريحان الطحلب ومعناه: أن حمرة الدم تعلو خضرة الطحلب. وأخذ هذا المعنى بعض المتأخرين ونقله إلى وصف سيف فقال:

ويلوح في ورق النّجيع فرنده ... كالماء تحت شقائق النّعمان

لوفد نميرٍ كان أرشد منهم ... وقد طردوا الأظعان طرد الوسائق

الوسائق: جمع الوسيقة، وهو ما يطرد من الوحش عند الصيد.

يقول: بنو نمير كانوا أرشد منهم رأياً حين فروا بنسائهم، وبعثوا وفودهم إليه يسألونه العفو، ولم يقفوا لك، كما فعلت عقيل.

أعدّوا رماحاً من خضوعٍ فطاعنوا   بها الجيش حتّى ردّ غرب الفيالق

الغرب: الحد.

يقول: جعلوا خضوعهم إلى سيف الدولة رماحاً لهم، طعنوا بها الجيش، وردوا بها حدته عنهم.

فلم أر أرمى منه غير مخاتلٍ   وأسرى إلى الأعداء غير مسارق

يقول: لم أر أرمى منك غير مخادع. يعني أنك لا تخادع أعداءك، ولا تسري إليهم سراً، بل تجاهر بالطلب وتواجه بالرمي.

تصيب المجانيق العظام بكفّه   دقائق قد أعيت قسيّ البنادق

قسي البنادق: ما يستعمله أهل العراق في رمي الطيور ويسمونه: الجلاهق. والبنادق: جمع بندقة، تعمل من الطين بقدر البندقة، وترمي بها الطير. وقيل: حجارة مستديرة كهيئة البندقة يرمى بها.

يقول: إن المجانيق تعمل بكفك عمل الجلاهق، فيمكنك أن تصيب بالمنجنيق المواضع اللطيفة الدقيقة التي لا يصيبها غيرك بقوس البنادق.

يعني: أنه يتوصل بجيشه عند مجاهرة أعدائه إلى ما لا يقدر غيره على التمكن منه بالختل والمخادعة.

وقال أبو الطيب هذه القصيدة في هذه السرية يسترضيه على قبائل العرب المشار إليها إلا أنه لم يذكر المنازل ولا وصف الوقعة؛ لأنه لم يشهدها، فشرحها له سيف الدولة وسأله أن يصفها فقال.

طوال قناً تطاعنها قصار   وقطرك في ندىً ووغىً بحار

الهاء في تطاعنها لطوال القنا، وأراد أصحابها.

يقول: إذا طاعنت أصحاب الرماح الطوال قصرت تلك الرماح في أيديهم؛ لأن أيديهم تضعف وترتعد عند لقائك، فلا تعمل رماحهم فيك، وكأنها مع طولها قصيرة، والقليل من عطائك كثير بالإضافة إلى عطايا غيرك، كالقطرة في البحر، وكذلك القليل من حربك كثير بالإضافة إلى حرب غيرك.

وفيك إذا جنى الجاني أناةٌ   تظنّ كرامةً وهي احتقار

الأناة: الحلم والرفق. والتأني.

يقول: أنت حليم تتغافل عن المسيء، فيظن المسيء وغيره أن ذلك لكرامته عليك، وإنما هو لاحتقارك إياه.

وأخذٌ للحواضر والبوادي بضبطٍ لم تعّوده نزار

وأخذ: عطف على قوله: أناة.

يقول: فيك أخذ لأهل الحضر وأهل البدو، سياسةً وشدة لم تتعود العرب مثله. ونزار يجمع ربيعة ومضر ونحوهما أكثر العرب، فلذلك خصهم بالذكر.

تشمّمه شميم الوحش إنساً وتنكره فيعروها نفار

أراد: تتشممه، فحذف أحد التاءين، والضمير في تشممه يعود إلى الضبط. فيعروها: أي يظهر لها، والهاء في يعروها لنزار.

يقول: تتشمم نزار ضبطه وسياسته كما يتشمم الوحش الإنس فتهرب عند ذلك؛ لأنها لم تتعود هذه السياسة.

وما انقادت لغيرك في زمانٍ فتدري ما المقادة والصّغار

المقادة: الانقياد. والصغار: الذل.

يقول: إن نزار لم تنقد لأحد قبلك، حتى تعرف ما الصغار والانقياد.

فأقرحت المقاود ذفرييها وصعّر خدّها هذا العذار

الذفران: الجيدان المكتنفان للنقره حول القفا، وقيل: هما العظمان الناشزان خلف الأذنين، وأراد بهما الذفاري، فذكر لما يكون للواحد؛ لأن لكل واحد ذفرين، فاكتفى بالواحد عن الجمع. وصعر خدها: أي أماله، وأراد بالخد أيضاً: الخدود. وبالعذار: العذر. وفاعل أقرحت: المقاود. والهاءات لنزار.

والمقاود: جمع مقود، وهو الحبل تقاد به الدابة الصعبة الانقياد.

يقول: ما زلت تقودهم بالعذار والمقود الخشن، حتى تقرح ذفرياها وتصعر خدها من ذلك العذار.

وأطمع عامر البقيا عليها ونزّقها احتمالك والوقار

ولم يصرف عامر لأنه جعلها اسماً للقبيلة. والهاء في عليها تعود إلى عامر والبقيا: اسم من الإبقاء، وهي المسامحة.

يقول: لما أبقيت على بني عامر طمعت فيك، فدعاها ذلك إلى الخفة والطيش، حتى أقدمت على محاربتك.

وغيّرها التّراسل والتّشاكي ... وأعجبها التّلبّب والمغار

التلبب: التحزم للقتال ولبس الأسلحة. والمغار: هو الإغارة على العدو.

وقيل: من الإغارة التي هي إحكام الفتل فيقرب من التلبب.

يقول: غيرها عن الطاعة تراسل بعضهم بعضاً، وشكوى سيف الدولة، فكان يشكو بعضهم بعضاً ما يعاملهم به، وقيل: معناه غيرها عن الطاعة مراسلة سيف الدولة إياهم متلطفاً، وكذلك شكايته أفعالهم، ظنوا أن ذلك عن عجزه وأعجبها التحزم للحروب والغارات، وطمعوا في ذلك من سيف الدولة، لما رأوا احتماله.

وقيل: معناه اغتروا بتحزمهم ولبسهم الأسلحة وكثرة الإغارة على الأعداء.

جيادٌ تعجز الأرسان عنها ... وفرسانٌ تضيق بها الدّيار

جياد: عطف على قوله: التلبب والمغار، وقيل: هي مبتدأ والخبر محذوف، أي لهم جياد.

يقول: أعجبها خيل جياد تعجز عنها الأرسان؛ لكثرتها فلا يوجد لها أرسان تكفيها.

وقيل: تعجز الأرسان عن ضبطها؛ لصعوبتها، وكذلك أعجبها فرسان لا تسعهم الأرض لكثرتهم.

وكانت بالتّوقّف عن رداها ... نفوساً في رداها تستشار

نفوساً: خبر كانت. واسمه ضمير القبيلة التي هي بني عامر.

يقول: كانت هذه القبيلة بإقامتهم على عصيانهم سيف الدولة كالمشيرين عليه بقتلهم، وكان هو يتوقف عن قتلهم، فكأنه كان هو كالمستشير في قتله إياهم.

وكنت السّيف قائمه إليها ... وفي الأعداء حدّك والغرار

غرار السيف: ما بين حده إلى عيره الناشز في وسطه. وقيل: هو الحد، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين.

يقول: كنت قبل أن يعصوك، سيفاً لهم قائمه في أيديهم، وحده في أعدائهم، فلما عصوك انقلب حده فيهم ومثله:

نقاسمهم أسيافنا شرّ قسمةٍ ... ففينا غواشيها وفيهم صدورها

ومثله لجعفر الحارثي:

لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبلٍ ... ولي منه ما ضمّت عليه الأنامل

فأمست بالبديّة شفرتاه وأمسى خلف قائمه الحيار

البدية والحيار: ماءان. وقيل موضعان. فالحيار: قريبة من العمارة. والبدية: واغلة في البرية، وبينهما مسيرة ليلة. وكان سيف الدولة بالحيار، وبنو عامر بالبدية.

يقول: كنت سيفاً لهم، قائمة في إيديهم، فلما عصوك صار حده فيهم وقائمه خلف الحيار.

وقيل: معناه أن قائمه كان خلف الحيار وشفرتاه بالبدية: أي طال السيف إليهم حتى وصل من خلف الحيار إلى البدية، وإنما طال بطول با ع حامله.

يصف بذلك سرعة وصوله إليهم.

وكان بنو كلابٍ حيث كعبٌ فخافوا أن يصيروا حيث صاروا

كعب: مرفوع بالابتداء وخبره محذوف. أي حيث كعب كائنة. وكان سيف الدولة بالحيار، فسار عنها يقصد البدية، فتلقاه مشيخة بني كلاب في الطريق، واستأمنوه، وقد كانوا مع كعب يداً واحدة، فخالفوهم وساروا مع سيف الدولة، إلى بني كعب.

فيقول: كان بنو كلاب مع كعب، فخافوا أن يحل بهم ما حل بكعب من القتل، فرجعوا إلى الطاعة.

تلقّوا عزّ مولاهم بذلٍّ وسار إلى بني كعبٍ وساروا

يقول: ذل بنو كلاب لعز مولاهم وهو سيف الدولة وانقادوا له فساروا معه إلى بني كعب.

فأقبلها المروج مسوّماتٍ ضوامر لا هزال ولا شيار

الهاء في أقبلها للخيل، وأضمرها للعلم بها، وأقبلها: أي أجازها وحولها نحوها. والمسومات: أي معلمات. والمروج: مروج سلمية. والهزال: جمع هزيل. وشيار: جمع شير، وهو الفرس السمين الممتلئ من اللحم.

يقول: أقبل بخيله إلى المروج، وهي مضمرة ليست بهزيلة ولا سمينة، بل كانت خفيفة اللحم لا من الهزال.

تثير على سلمية مسبطرّاً تناكر تحته لولا الشّعار

تناكر: أي تتناكر. وسلمية: موضع. مسبطراً: أي غباراً ساطعاً ممتداً.

يقول: أثارت الخيل غباراً بسلمية حتى ستر الشمس وأظلم النهار لامتداد الغبار، فأنكر ما تحته؛ لشدة الظلمة، وإنما كانوا يتعارفون بالعلامات.

عجاجاً تعثر العقبان فيه كأنّ الجوّ وعثٌ أو خبار

عجاجاً: بدل من مسبطراً. والوعث: الأرض السهلة الكثيرة الرمل. والخبار: الأرض السهلة التي فيها حجارة.

يقول: صار الجو من كثرة الغبار وتكاثفه أرضاً ذات وعث وخبار، حتى إن العقبان تعثر فيها ولا يمكنها الطيران.

وظلّ الطّعن في الخيلين خلساً كأنّ الموت بينهما اختصار

الخيلان: خيل سيف الدولة وخيل العدو، وهم بنو كلاب. والخلس: الاختلاس. يصف الجيش بالحذق في الطعن.

يقول: لما التقى الخيلان تخالسوا الطعن واختصروا الطريق إلى الموت، يعني أنهم اقتصروا على الطعن والضرب، فكأنهم اختصروا الحرب، وحذفوا فضولها، وقربوا القتل على الأعداء، فهذا اختصار الموت.

وقيل: إن معناه أن الموت كان يقلل من عدد جيش العدو بسرعة، لأن الاختصار هو رد الكثير إلى القليل.

فلزّهم الطّراد إلى قتالٍ أحدّ سلاحهم فيه الفرار

لزهم: أي ألجأهم. والطراد: المطاردة.

والمعنى: ألجأهم القتال إلى الهرب. أحد سلاحهم فيه الفرار يدفعون به القتل عن أنفسهم، كما يدفع السلاح، لما لم يمكنهم القيام لسيف الدولة.

مضوا متسابقي الأعضاء فيه لأرؤسهم بأرجلهم عثار

الهاء في فيه ضمير الفرار والطراد.

يقول: مضوا منهزمين فكانت أعضاؤهم يسبق بعضها بعضاً في الفرار، فالرأس يترك جسمه ويتقدم عليه ويتعثر بأرجل المنهزمين.

أو كانت الرءوس إذا أبينت تسقط على أرجل أصحابها فتعثر بها، خلاف المعهود، لأن المعهود أن تتعثر الأرجل لا الرءوس.

والمعنى: أنهم ولوا وتبعت خيل سيف الدولة أدبارهم تضرب أعناقهم وتسقط رءوسهم على أرجلهم، وهم ينهزمون، فجعل ذلك سابقاً من أعضائهم في الفرار.

يشلّهم بكلّ أقبّ نهدٍ لفارسه على الخيل الخيار

يشلهم: أي يطردهم. والأقب: الضامر البطن. والنهد. المشرف العالي.

يقول: يطردهم سيف الدولة بكل فرس ضامر مرتفع عالي، لفارسه خيار على الخيل: يعني يصرفها كيف شاء: إن شاء سبق، وإن شاء لحق؛ لجودة فروسيته.

وقيل: أراد بالخيار أنه يختار من يقتلهم، فكأنه يقتل القواد والكبار من أصاب الخيل دون الأرذال والحشو.

وكلّ أصمّ يعسل جانباه على الكعبين منه دمٌ ممار

وكل: عطف على قوله: بكل أقب. ويعسل: أي يضطرب. وجانباه: جانب الزج، وجانب السنان.

وأراد بالكعبين: الكعبين اللذين في عامل الرمح. قيل: أراد به الكعاب للرمح فعبر عنهما بالتثنية.

والممار: المجرى من أمرت الدم أي أجريته، فهو ممار، ومار، فهو مائر.

يقول: يطردهم بكل فرس ضامر، وكل رمح أصم لا تجويف فيه يهتز طرفاه، وقد سال الدم على كعوبه.

يغادر كلّ ملتفتٍ إليه ولبّته لثعلبه وجار

ثعلب الرمح: ما دخل منه في السنان. والوجار: بيت الثعلب بفتح الواو وكسرها. واللبة: المنحر.

يقول: هو يطردهم بكل رمح إذا التفت المنهزم لينظر هل وراءه أحد، طعنه في لبته حتى تصير لبته لثعلب الرمح بمنزلة الوجار للثعلب الذي هو الحيوان.

إذا صرف النّهار الضّوء عنهم دجا ليلان: ليلٌ والغبار

يقول: إذا زال عنهم ضوء النهار غطاهم ليلان: أحدهما الليل المعروف، والثاني ظلمة الغبار الموصوف.

وإن جنح الظّلام انجاب عنهم أضاء المشرفيّة والنّهار

جنح الليل وجنحه: جانبه، وقيل: سواده، وانجاب: انكشف.

يقول: إذا انكشف الليل عنهم أضاء لهم نهاران: أحدهما النهار الحقيقي، والثاني ضوء لمع السيوف.

وقد أتى النابغة بجميع ذلك في بيت واحد فقال:

تبدوا كواكبه والشّمس طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً بإظلام

يبكّي خلفهم دثرٌ، بكاه رغاءٌ أو ثؤاجٌ أو يعار

الرغاء: صوت الإبل. والثؤاج: صوت الضأن. واليعار: صوت الماعز. والدثر: المال الكثير.

يقول: يصيح وراءهم مال عظيم من الإبل والضأن والماعز فكأنها تبكي.

غطا بالغنثر البيداء حتّى تخيّرت المتالي والعشار

غطا يغطو، وغطى يغطي بمعنىً. والغنثر: ماء. والمتالي: جمع متلية وهي التي يتلوها ولدها. والعشار: الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر والواحدة عشراء.

يقول: لما وصل سيف الدولة إلى هذا الماء أخذ أموال بني كعب لما هربوا، وغطى بها البيداء وملأها، حتى عجز الجيش عن سوقها، فكان أصحابه يختارون نفائسها وكرائمها وهي المتالي والعشار.

وقيل: إن فاعل غطا هو ضمير الدثر. والمعنى: أن المال غطى بكثرته البيداء على هذا الماء، حتى أخذ كرائمه.

ومرّوا بالجباة يضمّ فيها كلا الجيشين من نقعٍ إزار

الجباة: ماء، أو موضع. والنقع: الغبار.

يقول: انهزموا من سلمية، ومروا بالجباة، وخيل سيف الدولة خلفهم فأحاط الغبار بهم جميعاً، فكان العسكران كأنهما في إزار واحد، وصار الغبار كالإزار المحيط بهم. ومثله للخنساء تصف عيراً يطرد أتاناً:

يتعاوران من الغبار ملاءةً بيضاء ساطعةً هما نسجاها

وجاءوا الصّحصحان بلا سروجٍ وقد سقط العمامة والخمار

الصحصحان: صحراء هناك. وأراد بالعمامة: العمائم. وبالخمار: الخمر.

يقول: انهزموا من الجباة وجاءوا الصحصحان، وقد ألقوا سروجهم لتخف دوابهم، وسقطت عمائمهم عن رءوسهم وخمر نسائهم.

وأرهقت العذارى مردفاتٍ وأوطئت الأصيبية الصّغار

أرهقت: أي كلفت أمراً صعباً. والأصيبية: تصغير صبية، وهي جمع الصبي في القلة.

يقول: أردفوا العذارى خلفهم وأتعبوهن من شدة الركض، وأوطئوا إبلهم وخيلهم صبيانهم الصغار؛ لشدة هربهم.

وقد نزح العوير فلا عويرٌ ونهيا والبييضة والجفار

هذه كلها أسماء مياه.
يقول: نزحوا هذه المياه لما أصابهم من شدة العطش حين مروا بها.

وليس بغير تدمر مستغاثٌ وتدمر كاسمها لهم دمار

تدمر: مدينة على طرف السماوة. والمستغاث: الموضع الذي يلتجأ إليه. والدمار: الهلاك.
يقول: لما لم يجدوا في هذه المواضع ماء اجتمعوا في تدمر ليدبروا رأياً، ولم يكن لهم موضع سواها يلتجئون إليه، فلما نزلوا بها قصدهم سيف الدولة، فدمر عاليهم فيها، فصار اسمها موافقاً لهلاكهم ودمارهم.

أرادوا أن يديروا الرّأي فيها فصبّحهم برأيٍ لا يدار

يقول: اجتمعوا في تدمر؛ ليدبروا رأيهم، فصبحهم سيف الدولة برأي لا يتوقف فيه، لأنه لا يرى إلا ما يكون صواباً في أول وهلة، وقيل: أراد أنه يستبد برأيه، ولا يرجع فيه إلى أحد، ولا يعرض له ما يعوقه عنه.

وجيشٍ كلّما حاروا بأرضٍ وأقبل أقبلت فيه تحار

حار يحار حيرة: إذا تحير. والضمير في حاروا قيل: يعود إلى بني كعب. وفي فيه إلى الجيش.
يقول: صبحهم برأي وجيش عظيم يغطي الأرض كثرةً، فمتى تحير القوم المنهزمون بأرض تحيرت الأرض في هذا الجيش، لكثرته.
وقيل: حاروا للجيش وفيه لسيف الدولة، والمعنى: صبحهم بجيش كلما تحير هذا الجيش بأرض: إما لأنها تضيق بهم لكثرتهم، وإما لسعتها فلا يهتدون فيها، وإما لخشونتها، ثم إذا أقبل سيف الدولة وجاء إلى الجيش أقبلت الأرض تتحير في سيف الدولة؛ لعظم هيبته.
وقيل: حاروا فعل الجيش على المعنى. قيل: وفيه يعود إلى لفظ الجيش. يعني: أن الجيش إذا تحيروا في هذه الأرض أقبلت الأرض تتحير في هذا الجيش لكثرته وزيادته عليها.

يحفّ أغرّ لا قودٌ عليه ولا ديةٌ تساق ولا اعتذار

يقول: إن هذا الجيش يحف أغر: أي يحيط به من جميع جهاته، وإذا قتل إنساناً لا يقتل به قوداً؛ لعزته ومنعته، أو لأنه لا يقتله إلا بحق، ولا يطالب أيضاً بديته، ولا يعتذر عما فعله؛ للوجهين اللذين ذكرناهما. وهو من قوله تعالى: "لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ".

تريق سيوفه مهج الأعادي وكلّ دمٍ أراقته جبار

المهجة: دم القلب، وهي النفس أيضاً. والدم الجبار: الباطل.

يقول: كل دم تريق سيوفه من دم الأعادي، ذهب هدراً لا يدرك له ثأر.

فكانوا الأسد ليس لها مصالٌ على طيرٍ وليس لها مطار

المصال: مصدر صال، والمطار: من طار.

يقول: إنهم كانوا أسوداً في أنفسهم بشجاعتهم وإقدامهم، وكانت خيلهم كالطيور سرعة، ولكن لما رأوك تحيروا وتحيرت أفراسهم هيبةً لك، فلم يكن لهم مصال مع كونهم أسود، ولا لخيلهم مطار مع كونها في السرعة كالطير.

وقيل: المعنى أنهم كانوا قبل ذلك مثل الأسود، والآن لما غضبت عليهم ليس لهم مصال على طير لضعفهم وقلتهم، وليس لهم أيضا مطار؛ لأنك قد أهلكتهم بالقتل والأسر. وأراد بالمصال على طيران الأفراس: كالطير لخفتها، فكأنه قال: ليس لها مصال على غيرهم من الفرسان لضعفهم، فشبه خيل المخالفين لهم بالطير.

إذا فاتوا الرّماح تناولتهم بأرماحٍ من العطش القفار

يقول: إن فاتوا رماحك ودخلوا البر هلكوا من العطش، وكأن العطش رماح القفار، قتلتهم بها.

يرون الموت قدّاماً وخلفاً فيختارون، والموت اضطرار

يقول: قد أحاط بهم الموت من قدامهم وخلفهم فقدامهم العطش، ووراهم الرماح، فكانوا بين موتين، فيختارون أحدهما، وإن هذا الموت ليس باختيار، بل هو اضطرار.

وقيل: معناه يختارون أحد الموتين، فأما الموت فهو نازل بهم لا محالة ولا محيص لهم عنه، وإنما يختارون أحد الموتين.

إذا سلك السّماوة غير هادٍ فقتلاهم لعينيه منار

الهادي: الدليل، وقيل: هو العارف بالطريق، وهو في معنى المهتدي. والمنار: العلامات التي تبنى على الطريق، ليهتدي بها، والواحدة: منارة.

يقول: إنهم دخلوا السماوة فراراً من سيف الدولة، وتبعهم فقتلهم في كل مكان، وبقيت جثثهم مطروحة على الطرق حتى لو سلك السماوة من لا يهتدي فيها، لكانت جثثهم تدله على الطريق،

وتقوم له مقام المنار.

وقيل: أراد أنهم ماتوا عطشاً هناك وبقيت جثثهم دالة للمار بها.

ولو لم يبق لم تعش البقايا وفي الماضي لمن بقي اعتبار

يقول: لو لم يعف عنهم سيف الدولة لهلكوا عن آخرهم، ولم يعش الباقي منهم، ومن بقي منهم يعتبر حاله بحال من مضى.

والماضي: هو المقتول، والباقي: الذي بقي بعدهم.

إذا لم يرع سيّدهم عليهم فمن يرعى عليهم أو يغار ؟ !

أرعى فلان على فلان: إذا كف عنه ورق له.

يقول: إذا لم يرحمهم سيدهم فمن الذي يرحمهم ويغضب لهم ؟!

تفرّقهم وإيّاه السّجايا ويجمعهم وإيّاه النّجار

هولاء من أصل واحد، لأنهم جميعاً من نزار، وسجاياهم متفرقة. والنجار. الأصل.

يقول: خليقة سيف الدولة وخلائقهم مختلفة؛ لأن خليقة سيف الدولة الكرم والعفو، وخلائقهم العصيان والنزق، فبينهما فرق من هذه الجهة.

ومال بها على أركٍ وعرضٍ وأهل الرّقّتين لها مزار

الهاء في بها للخيل. وأرك وعرض: موضعان. والرقتان: مدينتان من ديار بكر.

يقول: لما فرغ من بني كعب، عطف بخيله على أهل أرك وعرض، وقرب من أهل الرقتين، حتى لو شاء أن يزورهما بخيله، لم يبعد عليه.

وقيل: مال بالخيل على أرك وعرض، لطلب بني كعب.

وقيل: معناه عدل بجيشه على أهل أرك وعرض، مع بعدهما عن مقصده؛ لأنه كان قد توجه إلى الرقتين وأرك وعرض بعيدان عن الرقتين.

وأجفل بالفرات بنو نميرٍ وزأرهم الّذي زأروا خوار

أجفل: أسرع هارباً مذعوراً. والزأر والزئير: صوت الأسد. والخوار: صوت الثور.

يعني: أن بني نمير فروا من الفرات، خوفاً منه، وكانوا قبل ذلك يزأرون كالأسود، ويرعدون بالحرب، فلما رأوه ذلوا وصار زئيرهم خواراً: أي بعد أن كانوا أسوداً في الشدة صاروا مثل البقر في الذلة.

فهم حزقٌ على الخابور صرعى بهم من شرب غيرهم خمار

الحزق: جمع حزقة، وهي الجماعة، والخابور: موضع بقرب الموصل.
يقول: إن بني نمير فروا من الفرات، ونزلوا الخابور صرعى من الخوف والكلال، فصاروا كالموتى خوفاً من أن يسري إليهم سيف الدولة، وهم صرعى كأنهم مخمورون، ورماحك كانت الشاربة، فكيف أصابهم الخمار دونها ؟! وقيل: معناه أنهم بقوا هناك خائفين صرعى خوفاً من الممدوح، فيهم خمار: وهو الخوف والتقطع من الكلال من شرب غيرهم، وهو ما فعل ببني كعب من القتل، فخافوا أن يشربوا كأس الموت مثل ما شرب بنو كعب.

فلم يسرح لهم بالصّبح مالٌ ولم توقد لهم بالليل نار

يقول: هولاء كمنوا في الخابور وحبسوا مالهم، فلا يجسرون على تسريح مواشيهم بالنهار، خوفاً من الإغارة، ولا على إيقاد النار بالليل، خوفا من الدلالة وقيل: معناه ذهب مالهم، فلا مال يسرح لهم في الصبح، وتقوضت خيامهم فلا نار لهم توقد بالليل.

حذار فتىً إذا لم يرض عنهم فليس بنافعٍ لهم الحذار

حذار: نصب لأنه مفعول له.
يقول: فعلوا ذلك خوفاً من فتى، إن لم يرض عنهم لم ينفعهم الحذار.

تبيت وفودهم تسري إليه وجدواه الّذي سألوا اغتفار

يقول: وفود هولاء يأتون سيف الدولة، ولا يسألون من العطايا شيئاً إلا العفو عنهم والصفح عن إساءتهم.

فخلّفهم بردّ البيض عنهم وهامهم له معهم معار

معار: من العارية وهو مفعول عار.
يقول: لما رد سيوفه عنهم، ترك رءوسهم عارية عندهم؛ لأنها له متى شاء أخذها منهم، فكأنه لما عفى عنهم أعارهم رءوسهم.

هم ممّن أذمّ لهم عليه كريم العرق والحسب النّضار

أذم لهم: أي صيرهم في ذمامه والحسب: الشرف. والنضار: الخالص.
يقول: صيرهم في ذمامه كرم الأصل وصحة الحسب.

وأضحى بالعواصم مستقرّاً وليس لبحر نائله قرار

أي عاد إلى دار مملكته واستقر بها، ونائله لا يستقر بل يسير في الآفاق. وينتشر في البلاد.

وأضحى ذكره في كلّ أرضٍ   تدار على الغناء به العقار

يقول: سار ذكره في الآفاق، يتحدث في كل مجلس بفضائله، ومتى أراد قوم شرب الخمر يغني لهم المغني بفضائله.

وقيل: معناه نظمت الأشعار بمدحه، فإذا أراد الناس شرب العقار غنى لهم المعني بهذه الأشعار.

تخرّ له القبائل ساجداتٍ   وتحمده الأسنّة والشّفار

يقول: غنه ملك رقاب العرب، وتسجد له قبائلها، وإن الرماح وشفار السيوف تحمده؛ لأنه أعلى قيمتها بكثرة الاستعمال، ولأنها تكون باعثة على حمده؛ لأن من رأى طعنه وضربه بها حمده.

وقيل: عنى أصحاب السيوف والرماح.

كأنّ شعاع عين الشّمس فيه   ففي أبصارنا عنه انكسار

الهاء في فيه لسيف الدولة، وفي عنه للشعاع، ويجوز أن يكون له أيضاً.

يقول: له من الهيبة والنور ما لا يمكننا أن ننظر معه إليه، كما لا نقدر أن ننظر إلى عين الشمس ومثله قوله عنترة:

إذا أبصرتني أعرضت عني   كأنّ الشّمس من قبلي تدور

فمن طلب الطّعان فذا عليٌّ   وخيل الله والأسل الحرار

الحرار: العطاش، واحدها: حرى: كغضبي وغضاب.

يقول: من أراد الحرب، ولا يجد محارباً فهذا علي فليأته، فقد رأيتموه وجربتموه، وهذه خيل الله؛ لأنه مجاهد بخيله، وهذه الرماح العطاش إلى الدماء.

يراه النّاس حيث رأته كعبٌ   بأرضٍ ما لنازلها استتار

يقول: إنه يجاهر من يحاربه، ويبرز إليه في البيداء كما جاهر بني كعب، ولا يمتنع بسور.

وقيل: أراد أنه أبداً يقطع المفاوز إلى الأعادي ولا يمكن لأحد أن يستتر عنه. والمعنى: يراه الناس بالعين التي رأته بها كعب.

يوسّطه المفاوز كلّ يومٍ   طلاب الطّالبين لا الانتظار

فاعل يوسط طلاب. تقديره: لا انتظاره.

يقول: كل يوم يتوسط المفاوز في طلب الهاربين إليها من أعدائه، والنازلين بها، لا أنه يهرب إليها

ويتحصن بها، وينتظر من يقصده فيها.
وقيل: معناه أنه يتوسط الفلوات لطلب المغيرين على الناس من أهل الفساد، لا لانتظار صيد يقع أو فرصة تنتهز.

تصاهل خيله متجاوباتٍ وما من عادة الخيل السّرار

السرار: المسارة.

يقول: يخرج بخيله إلى المفاوز جاهراً بها في طلب الأعداء، فهي تتجاوب بالصهيل، ولا يمنعها الصهيل بالضرب، إذ ليس من عادتها المسارة، فهو يتركها مع عادتها.
وقال ابن جني: معناه كأن بعض خيله يسر إلى بعض شكية لما يجشمها من الحروب وقطع المفاوز، فيجاوبها الآخر سراً.
قال: ويجوز أن يريد أن خيله مؤدبة معلمة فتصهل سراً هيبة وإجلالا.

بنو كعبٍ وما أثّرت فيهم يدٌ لم يدمها إلاّ السّوار

يقول: إن بني كعب يفتخرون بأنك أوقعت بهم، ويتجملون بقصدك إليهم، وإن أصابتهم الالآم والعقوبات، كيد يدميها السوار، فإن صاحبها لا يشكو الألم الذي ناله من السوار، لما كان السوار جمال يده وزينته.

بها من قطعه ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار

الهاء في بها لليد، وكذلك في فيها وفي قطعه وجلالته للسوار. ومعناه هم مثل يد أدماها السوار، فهي تتألم من قطعه وتفتخر بجماله.

لهم حقٌّ بشركك في نزارٍ وأدنى الشّرك في أصلٍ جوار

يقول: لهم عليك حق لانتسابك معهم إلى نزار، وأقل القرابة تقوم مقام الجوار، فكما يجب صيانة حق الجار، فكذلك حق القريب.

لعلّ بنيهم لبنيك جندٌ فأوّل قرّح الخيل المهار

يقول: اعف عنهم، فلعل أبناءهم يكونون جنداً لبنيك، كما أنهم جندك، فكل كبير يكون صغيراً ويصير رجلا، وأول ما يكون الخيل: مهاراً ثم تكون قرحاً.

وأنت أبرّ من لو عقّ أفنى وأعفى من عقوبته البوار

يقول: أنت أبر كل من ملك، إذا عقهم من تجب عليهم طاعتهم، لم يرضوا في عقوبتهم بغير الإهلاك، وأكثرهم عفواً وصفحاً، إذا كان غيرك يهلك بشدة عقوبته.

يعني: أنك بررهم وعفوت عنهم ولو أردت لأهلكتهم.

وأقدر من يهيّجه انتصارٌ وأحلم من يحلّمه اقتدار

يقول: أنت أقدر الملوك الذين يهيجون للانتصار من أعدائهم، أي متى هجت لتنتصر من أعدائك، كنت أقدر من كل ملك هذه صفته، وأنت أحلم من كل حليم يحلم عند قدرته.

وما في سطوة الأرباب عيبٌ ولا في ذلّةٍ العبدان عار

العبدان: جمع عبد.

يقول: إنك لربّهم وهم عبيدك، فلا عيب عليهم في سطوتك ولا عليهم في خضوعهم لك.

وقال أيضاً وقد ودعه إلى الإقطاع الذي أقطعه:

أيا رامياً يصمي فؤاد مرامه تربّى عداه ريشها لسهامه

يصمي: أي يقتل. يقال: رماه فأصماه، إذا قتله مكانه. والهاء في ريشها للعدى. وفاعل تربى: عداه والهاء في سهامه ومرامه وعداه: للرامي.

يقول لسيف الدولة: أيا راميا يصيب فؤاد مطلبه، بسهام ريشها من أعدائه فكأن أعداءه طير تربى أجنحتها حتى إذا بلغت أخذها لريش سهامه وأراد بالسهام: جيشه. وبريش السهام: سلاح أعدائه، الذي سلبه من الأعداء وكساه جيشه، يعني أنك تغير على الأعداء فتأخذ أسلحتهم وتقتلهم

أسير إلى إقطاعه، في ثيابه على طرفه، من داره بحسامه

يعني: أن جميع ما أملكه من عطاياه، فداري التي أسكنها وثيابي، وفرسي، من هباته، ومثله قول جحظه:

فكيف لا أشكر من لا أرى في منزلي إلاّ الّذي جاد به ؟ !

والأصل فيه قول النابغة:

وإنّ سلاحي إن نظرت وشكّتي ومهري وما ضمّت عليه الأنامل

حباؤك والعيس العتاق كأنّها هجان المها تردى عليها الرّحائل

وقال أيضاً جميع ذلك في نصف بيت:

وما أغفلت شكرك فانتصحني فكيف ومن عطائك كلّ مالي ؟

وما مطرتنيه من البيض والقنا　　　وروم العبدّي هاطلات غمامه

العبدي والعبود: اسم الجمع بمعنى العبيد.

يقول: عبيدي وسلاحي من مطره الذي مطرته لي سحائبه الهاطلة، وعطاياه الشاملة.

ودل بذلك على أن جوده يعم العالم، ويشمل الأزمان، ويتناول الأقوام.

فتىً يهب الإقليم بالمال والقرى　　　وما فيه من فرسانه وكرامه

يقول: هو يملك العباد والبلاد، ويهب الإقليم بما فيه من الأموال، ومن عليه من الفرسان والرجال.

ويجعل ما خوّلته من نواله　　　جزاءً لما خوّلته من كلامه

خولته: أي ملكته.

يقول: إن أياديه علمتني الشكر، ولقنتني الثناء والذكر، فكلامي منه من هذا الوجه، فلما أثنيت عليه جازاني على ثنائي فخولت الإحسان جزاء على ما خولت من الكلام.

وقيل: أراد، أستفيد منه حسن الكلام فإذا مدحته به جازاني بالنعم العظام.

فلا زالت الشّمس التي في سمائه　　　مطالعة الشّمس الّتي في لثامه

أضاف السماء إليه في قوله: في سمائه توسعاً ليجانس قوله: في لثامه قلت: إنما أضافها إليه لأنه جعله مالكاً للسماء والأرض.

يقول داعياً له بدوام البقاء: لا زالت شمس السماء مقابلة لوجهك الذي هو كالشمس في حسن البهاء والسمو والعلا.

ولا زال تجتاز البدور بوجهه　　　تعجّب من نقصانها وتمامه

يقول: لا زال أبدا يطلع البدر عليه، ويرى وجهه أحسن منه وأكمل بهاءً ومنظراً.

وقيل: أراد بذلك بدر السماء ينتقص في كل شهر، ووجه الممدوح أبداً غاية التمام، فيتعجب البدر من نقصانه كل شهر، وتمامه أبد الدهر.

وقال في يوم الأربعاء المنتصف من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاث مئة معزياً لسيف الدولة في أخته الصغرى ومسلياً ببقاء الأخت الكبرى.

إن يكن صبر ذي الرّزيّة فضلاً　　　تكن الأفضل الأعزّ الأجلاّ

الرزية: المصيبة، وأصلها من النقصان، يقال: رزى فلان في ماله وأهله، إذا أصيب. وذي: بمعنى الصاحب، والتاء في تكن للخطاب.

يقول: إن كان صبر صاحب الرزية فضلا له، فأنت أفضل من كل مصاب، لأنك أحسن صبراً على ما يصيبك من كل أحد، ولأن لك فضائل أخرى، مع فضل هذه المصيبة ولأن لك صبراً في هذه المصيبة وصبراً في أمور أخر.

أنت يا فوق أن تعزّى عن الأح　　　باب فوق الّذي يعزّيك عقلا

التعزية: أصلها من النسب، كأن المعزي يقول للمصاب: اذكر أباك وأجدادك، فإنهم قد هلكوا وبادوا، يسليه بهذا القول، فكأنه ينسبه إليهم. وفوق: الأول نصب، لأنه نداء مضاف. والثاني ظرف.

يقول: أنت أرفع قدراً من أن تحتاج إلى أن يعزيك أحد عن فقد الأحباب، فكل من يعزيك، فأنت أوفر عقلا منه، وأعرف بأحوال الدهر.

وبألفاظك اهتدى فإذا عز　　　زاك قال الّذي قلت قبلا

قبل: يبنى على الضم إذا أريد به الإضافة فقطع عنها، فإذا لم يرد الإضافة صرف، ويجعل نكرة، فلذلك نون ها هنا، ونصبه على الظرف. تقول: جئتيك قبلاً وبعداً.

يقول: إذا عزاك المعزي فإنما اهتدى إلى التعزية بتعليمك، فيقول لك عند التعزية: ما قلته له قبل ذلك، ويرد عليك ما حفظه من كلامك. أخذه من قوله تعالى: "بِضَاعتنا رُدَّتْ إلَيْنَا".

قد بلوت الخطوب مرّاً وحلواً　　　وسلكت الأيّام حزناً وسهلا

يقول: جربت أحوال الدهر، ودخلت في الأيام. صعبها وسهلها، فلم يشتبه عليك شيء في أحوال الدهر.

وقتلت الزّمان علماً فما يغ　　　رب قولاً ولا يجدّد فعلا

يقال: قتلت الشيء علماً إذا تيقنته.

يقول: عرفت الزمان بحقيقته، فلا يأتي الزمان بقول غريب لم تعرفه، ولا يفعل جديداً لم تجربه.

أجد الحزن فيك حفظاً وعقلا　　　وأراه في الخلق ذعراً وجهلا

يقول: وجدت الحزن فيك على من تفقد، حفظاً منك لحرمته ورعاية لصحبته وفي من سواك: خوفاً من ريب الدهر، وجهلا بالسبب الموجب للحزن.

وإنما ذكر العقل لأنه يدعو إلى الحفاظ، ومراعاة الحرمة. وأراد بالعقل: العلم بأحوال الدهر.

لك إلفٌ يجرّه وإذا ما كرم الأصل كان للإلف أصلا

الهاء في يجره للحزن.

يقول: لك إلف يجر هذا الحزن عليك، وكرم الأصل يعينه على ذلك، فكأنه أصلي للإلف الذي لك.

يعني: أنك إنما تحزن لفقد أحبتك لأنك ألوف كريم الأصل، وليس ذلك بجزع وخوف.

ووفاءٌ نبتّ فيه ولكن لم يزل للوفاء أهلك أهلاً

يقول: لو وفاء نبت فيه جره إليك. والوفاء عادة لك موروثة عن آبائك وأجدادك، فلم يزل أهلك أهلاً للوفاء.

إنّ خير الدّموع عيناً لدمعٌ بعثته رعايةٌ فاستهلاّ

استهل: أي جرى. وعيناً: نصب على التمييز.

يقول: أكرم الدموع ما أجرته رعاية الحقوق. وروى عوناً بدل قوله: عيناً.

أين ذي الرّقّة الّتي لك في الحرب إذا استكره الحديد وصلاّ

استكره الحديد: أي ضرب على كره، وتكف من الدروع ما لا يقدر على قطعه، وصل الحديد: إذا سمعت له صوتاً.

يقول: أين هذه الرقة التي حصلت لك الآن عند كونك في الحرب، وذلك حين تجرد السيوف وتقتل بها الناس.

والمعنى: أن هذه الرقة لو كانت لضعف قلبك للحقتك أيضاً في الحرب، ولكنه وفاء ورعاية، فأنت تستعمل كل واحد منهما في موضعه، حيث تحمده وتستحسنه العقول، ولا تضعه في غير موضعه.

أين خلّفتها غداة لقيت الرّوم والهام بالصّوارم تفلى

تفلى: من فليت رأسه، إذا فتشته لتخرج منه القمل.

معناه: يضرب بالسيوف من كل جهة، كما أن الفالي يعم الرأس.

يقول: أين تركت هذه الرقة غداة محاربتك الروم فيما كنت تضرب رءوسهم بالسيوف الصوارم.

قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيه عدلاً

أنت المنون على معنى المنية. والهاء في فيه ترجع إلى الجور.

يقول: قاسمتك المنون على أختيك ظلماً وجوراً منها في هذه المقاسمة؛ لأنها ليس لها الحق في واحدة

منهما، غير أن هذه القسمة جعلت نفسها في الجور الذي حصل من المنون عدلاً؛ لأنها أخذت الصغيرة وتركت الكبيرة.

وقال ابن جني: يجوز فيك: فيكون المعنى: أن المنون جارت في فعلها، إلا أنك إذا كنت البقية فجورها عدل.

أو يقال: إن هذه القسمة نفسها في حقك عدل، وإن كان قاسمها ظالما.

فإذا قست ما أخذن بما أغ درن سرّى عن الفؤادي وسلّى

أغدرن: أي تركن. وسرى: أي كشف. وسلى: من التسلية. وروى أغبرن مكان أغدرن والفاعل ضمير المنون، وأراد بها المنايا.

يقول: إذا قست ما أخذته المنية بما تركته، كشف بقاء الباقية منهما هذا الحزن عن قلبك.

وتيقّنت أنّ حظّك أوفى وتبيّنت أنّ جدّك أعلى

يقول: إذا قست سهمك بسهم المنية علمت أن حظك أكثر، وأن جدك أعلى؛ لأن الكبرى خير من الصغرى.

ولعمري لقد شغلت المنايا بالأعادي، فكيف تطلبن شغلا ؟

يقول: شغلت المنايا بقبض أرواح الأعادي، فكيف تطلب المنايا شغلاً ؟! لأن لها شغلاً بالأعداء، لا تتفرغ عنه إلى شغل آخر.

وكم انتشت بالسّيوف من الدّه ر أسيراً وبالنّوال مقلاّ

انتشت: أي دفعت، والانتياش: افتعال من النوش والمقل: الفقير.

يقول: كم أنقذت كثيراً من الأسرى من أسر الدهر بسيوفك، ومن الفقر بجودك، ونائلك، فأغنيتهم بعطاياك، ورفعتهم من الذل والصغار.

عدّها نصرةً عليه فلمّا صال ختلاً رآه أدرك تبلاً

الهاء في عدها ضمير الحالة: أي عد الدهر هذه الحالة التي هي إنقاذ الأسير من يده، ورآه: أي رأى نفسه ويجوز ذلك في الرؤية: بمعنى العلم: وسائر أفعال الشك، واليقين.

يقول: لما رآك الدهر تنقذ أساراه حقد عليك، وعد فعلك نصرةً لعيه لمن خاصمه فلما صال مخادعة، وأخذ أختك مسارقةً، حسب أنه أدرك ثأره.

كذبته ظنونه؛ أنت تبلي ه وتبقى في نعمةٍ ليس تبلى

يقول: كذب الدهر ظنه أنه يقدر على أخذ ثأره عندك، فإنك تجعل الدهر بالياً ! وتبقى أنت في نعمة لا تبلي.

وقيل: إن قوله أنت تبليه دعاء له بطول البقاء فكأنه يقول: أبقاك الله في نعمة دائمة حتى تبلي الدهر وتفنيه.

ولقد رامك العداة كما را   م فلم يجرحوا لشخصك ظلاّ

يقول: طلب أعداؤك أن يدركوا ثأرهم عندك - كما طلب الدهر - فلم يقدروا أن يجرحوا ظل شخصك؛ لاتصاله بك.

ولقد رمت بالسّعادة بعضاً   من نفوس العدا فأدركت كلاّ

قوله: بالسعادة متعلق بقوله: فأدركت كلا يعني: أنك رمت بعض أعدائك فأدركت الكل بسعادة جدك، وهو متصل بما قبله.

قارعت رمحك الرّماح ولكن   ترك الرّامحين رمحك عزلا

الرامح: صاحب الرمح. والعزل: جمع أعزل، وهو الذي لا سلاح معه.

يقول: قد حاربك الأعداء فعجزوا، فصار الرمح منه أعزل.

لو يكون الّذي وردت من الفج   عة طعناً أوردته الخيل قبلا

القبل: جمع أقبل: وهو مثل الأحول، والخيل تفعل ذلك لعزة أنفسها، وليس بخلقه.

يقول: لو لقيت مكان هذه المصيبة طعناً وكان مجيئها إليك محاربة؛ لأوردت خيلك، ودفعت عن نفسك بشجاعتك. والهاء في أوردته للطعن.

وقيل: معناه لو كنت تلقى بدل هذه المصيبة طعناً لأوردته الخيل ورددته بشجاعتك.

ولكشّفت ذا الحنين بضربٍ   طالما كشّفت الكروب وجلّى

الحنين: رقة الحزن، وهو أيضاً الصوت الضعيف كالأنين، وقد يراد به الاشتياق. وجلى: أي كشف، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين.

يقول: لو لقيت مكانها حزناً لكنت تزيل الحزن عن قلبك بالسيف، كما كانت عادتك في الحرب أن تكشف الحروب عن نفسك بالضرب وتجليه بالطعن.

وقيل: أراد لو كان بدل هذا الحنين الذي حصل بموت الأخت، حنين الفرسان يوم الحرب، لكشفت ذلك بالضرب وخلصتهم من الغم بالسيف، ولكن قضاء الله تعالى لا مرد له.

خطبةٌ للحمام ليس لها ردٌّ ... وإن كانت المسمّاة ثكلا

ثكلا: نصب لأنه مفعول ثان للمسماة التقدير: وإن كانت الخطبة تسمى ثكلا، فالخطبة المضمرة: اسم كان. والمسماة: خبره. وفيه ضمير الخطبة وموضعه: رفع؛ لأنه مفعول ما لم يسم فاعله وثكلا: مفعوله الثاني.

يقول: إن هذا الموت يجري مجرى الخطبة من الحمام للمرأة، وإن كانت الناس يسمونه ثكلا.

يعني: الحمام قد خطب أختك فلم تقدر على رده.

وإذا لم تجد من النّاس كفئاً ... ذات خدرٍ، أرادت الموت بعلا

يقول: إن المرأة المخدرة إذا لم تجد لنفسها كفئاً لها اختارت الموت على الأزواج الذين ليسوا بأكفاء.

ولذيذ الحياة أنفس في النّف ... س وأشهى من أن يملّ وأحلى

يقول: إن الحياة لذيذة للنفس، وإن كانت في ضر وبؤس، ولكنها لما عدمت الكفء صار ذلك سبباً في اختيار الموت وإن لم يكن لها ملال من الحياة ولذها.

وإذا الشّيخ قال: أفٍّ فما مل ... ل حياةً وإنّما الضّعف ملاّ

يقول: إذا قال الشيخ الهرم: أف تضجراً فإنه لم يقل ذلك ملالاً من الحياة ولكنه يقول تضجراً من الضعف والمرض.

آلة العيش صحّةٌ وشبابٌ ... فإذا ولّيا عن المرء ولّي

المرء: الشاب.

يقول: لذة العيش مع الشباب وصحة الجسم، وإذا عدم المرء هذين، فليس له عيش، بل إذا وليا ولي المرء: أي يموت ويفارق المرء بفراقهما.

أبداً تستردّ ما تهب الدن ... يا فيا ليت جودها كان بخلاً !

الدنيا: رفع بتهب، أو بتسترد، على حسب إعمال أحد الفعلين.

يقول: عادة الدنيا أها تسترد ما تهب، فليت أها لم تهب ولم تجد !

فكفت كون فرحةٍ تورث الغم ... م وخلٍّ يغادر الوجد خلاّ

يقول: ليت الدنيا كفت كون فرحة تورث الغم وتعقب ترحة! وليتها كفت كون خليل يترك الحزن خليلاً، ويجعله صاحباً للمرء بعد خليله الذي كانت الدنيا وهبته منه.

وهي معشوقةٌ على الغدر ولا تح   فظ عهداً ولا تتمّم وصلاً

يقول: الدنيا معشوقة مع كونها غدارة لا تحفظ عهداً، وإن واصلت لا يدوم وصلها.

كلّ دمعٍ يسيل منها، عليها   وبفكّ اليدين عنها تخلّى

يقول: كل دمع يسيل فإنه يكون من جملة الدنيا عليها ولا يتركها إلا أن تفك يداه قسراً فيؤخذ عنها بالقهر، وذلك يكون عند الموت.

شيم الغانيات فيها فلا أد   ري لذا أنّث اسمها النّاس أم لا ؟

يقول: في هذه الدنيا أخلاق الغانيات. في قلة الوفاء، وسرعة التقلب، وكثرة الغدر، فلعل الناس أنثوها لشبهها بالغواني في الغدر والانقلاب! وهذا مثل قوله:

ولذا اسم أغطيه العيون جفونها

يا مليك الورى المفرّق محياً   ومماتاً فيهم وعزّا وذلاّ

يقول: يا مليك الخلق الذي يقسم بينهم الأحوال، فمنه ضرهم ونفعهم، وموتهم وحياتهم، وعزهم وذلهم.

قلّد الله دولةً سيفها أن   ت حساماً بالمكرمات محلّى

يقول: قلد الله حساماً محلى بالمكرمات دولة أنت سيفها.

لما جعله سيفاً جعل حليه المكارم.

فيه أغنت الموالي بذلاً   وبه أفنت الأعادي قتلا

الموالي: يعني الأولياء ها هنا. والفعل للدولة، والهاء في به للسيف.

يقول: بهذا السيف أغنت الدولة أولياءها، وأفنت أعداءها.

أي أغنت أولياءها ببذل مالك، وأفنت أعداءها بقتالك.

وإذا اهتزّ للنّدى كان بحراً   وإذا اهتزّ للوغى كان نصلا

يقول: هذا السيف إذا اهتز للجود كان غايةً فيه، وهو البحر، وفي الحرب كان نصلاً في مضائه ونفاذه.

وإذا الأرض أظلمت كان شمساً   وإذا الأرض أمحلت كان وبلا

يقول: إذا أحدث أمراً تظلم له الأرض، كشفه وجلاه، كما تجلو الشمس الظلام، وإذا أصابها قحط، يقوم جوده مقام الغيث.

وهو الضّارب الكتيبة والطّع نة تغلوا والضّرب أعلى وأغلى

هذه الأبيات الأربعة صفة لقوله: قلد الله دولةً سيفها أنت: أي قلدها الله منك حساماً هذه صفته.
يقول: هو يضرب الكتيبة بسيفه، حيث لا يقدر أحد منها أن يطعن برمحه. والضرب أعلى وأغلى: معناه إذا لم يقدر أحد على الدنو من العدو، وقيد الرمح بالدنو فيه، فقيد السيف أصعب وأشد.
ولا يعترض على هذا بأن يقال: الأمر بخلاف ذلك؛ لأنه ربما لا يمكن المطاعنة لطول الرماح، ويمكن المضاربة بالسيوف لقصرها، فلا يكون الضرب أعلى وأغلى؛ لأن المعنى ما بينا: أنه إذا لم يمكن الدنو مقدار رمح لشدة القتال، فالدنو مقدار سيف أشد تعذراً، أو لأنه إذا كانت الحال هذه فترتعش الأيدي، ولا تقل السيوف.

أيّها الباهر العقول فما يد رك وصفاً أتعبت فكري فمهلاً

يقول: حيرت العقول بفضلك، فلا تحيط الأوصاف كنه وصفك، وقد أردت وصفك في الشعر فأتعبت فكري بمحاسن أوصافك، فارفق ولا تكلفني من وصفك ما لا أطيق. ووصفاً: نصب على التمييز، ومهلاً: على المصدر.

من تعاطى تشبّهاً بك أعيا ه ومن دلّ في طريقك ضلاّ

دل في طريقك: أي سلكها، يقال: دل فلان في طريق إذا عرف أعلامها، وتبع الناس أثره فيه.
يقول: من رام أن يشتبه بك أعجزه ما يرومه ولم يقدر عليه، ومن سلك طريق فعالك ضل وتحير ولم يقدر أن يقتفي آثار سعيك. وفاعل أعياه قيل: ضمير التشبه، وقيل: راجع إلى التعاطي: أي أعياه تعاطيه، ودل عليه: تعاطى.

فإذا ما اشتهى خلودك داعٍ قال: لا زلت أو ترى لك مثلا

يقول: لا نظير لك في الشرف، ولا يكون لك نظير فيما بعد، فمن أراد أن يدعو لك بالخلود قال: لا زلت حتى ترى لك نظيراً. وهذا مما لا يكون، فكأنه قال: لا مت أبداً.
وورد على سيف الدولة الخبر، آخر ساعة نهار يوم الثلاثاء لست خلون من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلاث مئة، بأن الدمستق وجيوش النصرانية قد نزلت ثغر الحدث، في يوم الأحد، ونصبت

مكايد الحصون عليه، وقدرت نيل فرصة، لما تداخلها من القلق والانزعاج والوصم في تمام بنائه على يد سيف الدولة، لأن ملكهم ألزمهم قصدها، وأنجدهم بأصناف الكفر من البلغر والروس والصقالبة وغيرهم وأنفذ معهم العدد فركب سيف الدولة لوقته نافراً، وانتقل إلى موضع غير الموضع الذي كان به، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه في ليلته، وسار عن حلب غداة يوم الأربعاء لسبع خلون فترل رعبان، وأخبار الحدث مستعجمة عليه لضبطهم الطرق، تقديره أن يخفى عليه خبرهم، فلما أسحر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك، وسار زحفاً، فلما قرب من الحدث عادت إليه الطلائع، فأخبرته بأن عدو الله تعالى لما أشرفت عليه خيول سيف الدولة، على عقبة يقال لها: العبراني، رحل ولم تستقر به دار، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يعترض الرسل، فترل سيف الدولة بظاهرها، وذكر خليفته بها أنهم نازلوه وحاصروه فلم يخله الله تعالى من نصره عليهم، إلا في نقوب نقبوها في فصيل كان قديماً للمدينة وأتتهم طلائعهم بخبر سيف الدولة في إشرافه على ثغر رعبان، فوقعت الصيحة فيهم وظهر الاضطراب في جمعهم وولي كل فريق على وجهه، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم وأخذوا آلة حربهم فأعدوها في حصنهم. فقال أبو الطيب في ذلك، ويمدحه:

ذي المعالي فليعلون من تعالي هكذا هكذا، وإلاّ فلا، لا

ذي إشارة: إلى المعالي. وتعالي: بمعنى: علا. وهكذا: إشارة إلى المعالي أيضاً، وكرره تفخيماً لأمر سيف الدولة.

يقول: المعالي هذه التي يسعى إليها سيف الدولة، ومن أراد أن يعلو إلى المعالي ويسعى إلى المجد، فليفعل كما فعل، وإلا فليترك طلبها. وليدعها لمن هو أقدر منه، فإنه لا معالي دون ذلك.

شرفُ ينطح النّجوم بروقي ه وعزٌّ يقلقل الأجبالا

روقاه: قرناه. والهاء فيه للشرف. ويقلقل: أي يحرك، هذا تفسير للمعالي.

يقول: للمعالي شرف ينطح النجوم بقرنيه، وعز يزعزع الجبال من أماكنها، مثل شرف سيف الدولة وعزه.

حال أعدائنا عظيمٌ وسيف الدّ ولة ابن السّيوف أعظم حالا

الحال: يذكر ويؤنث، ولهذا قال: عظيم.

يقول: إن كان حال الروم عظيما فسيف الدولة أعظم منهم حالاً.

كلّما أعجلوا النّذير مسيراً أعجلتهم جياده الإعجالا

أعجلت السير: استعجلته. والنذير: المنذر.

يقول: كلما بعث الروم عينا يتعرف لهم خبر سيف الدولة وينذرهم، وأعجلوا رسولهم في مسيره إليهم بأخباره، أعجلهم سيف الدولة بخيله، وسار إليهم قبل عود الرسول إليهم، وقبل أن يصل نذيره إليهم.

فأتتهم خوارق الأرض ما تح ... مل إلاّ الحديد والأبطالا

خوارق: نصب على الحال.

يقول: أتتهم خيل سيف الدولة تشق الأرض بحوافرها؛ لشدة وطئها وقوة جريها، وليس عليها إلا الفرسان والسلاح.

خافيات الألوان قد نسج النّق ... ع عليها براقعاً وجلالا

يقول: أتتهم الخيل قد خفيت ألوانها لما علاها من الغبار، حتى صار لها مثل البراقع والجلال، وخافيات: نصب على الحال.

حالفته صدورها والعوالي ... ليخوضنّ لدونه الأهوالا

حالفته: أي حلفت له، والهاء لسيف الدولة، وكذلك في دونه وقوله: ليخوضن المروى عنه بضم الضاد، وأجراها مجرى العقلاء، فلذا أطلق عليها اسم المحالفة، كقوله تعالى: "رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجدِينَ" ولو قال لتخوضن بالتاء وفتح الضاد، لكان أظهر في الإعراب.

يقول: حلفت لسيف الدولة هذه الخيل، والرماح أنها تخوض الأهوال دونه، وتقاتل الأبطال عنه.

ولتمضنّ حيث لا يجد الرّم ... ح مداراً ولا الحصان مجالا

القياس: وليمضن عطفاً على قوله: ليخوضن غير أنه رده إلى أصل التأنيث، فأورده بالتاء، ثم كان القيسا على هذا لتمضين كما يقال: لتقومن هند، إلا أن هذا لغة أيضاً.

يقول عطفاً على ما تقدم: إن خيله ورماحه حالفته أنها تمضي حيث لا يقدر الرمح أن يدور فيه لضيقه، ولا يتمكن الحصان من الجولان عليه. والمدار والمجال: يجوز أن يكونا مصدرين من. جال يجول مجالاً، ودار يدور مداراً. ويجوز أن يكونا اسمين لمكان الدوران والجولان.

لا ألوم ابن لاونٍ ملك الرّو ... م وإن كان ما تمنّى محالا

يقول: لا ألوم ملك الروم على قلقه. لما بنيت من هذه القلعة، وإن كان ما تمناه من هدمها محالاً.

أقلقته بنيّةٌ بين أذني ... ه وبانٍ بغى السّماء فنالا

يقول: لا ألوم ملك الروم على قصده لهدم هذه البنية التي هي قلعة الحدث لأنها أقلقته، فكأنها مبنية على مؤخر رأسه بين أذنيه، فلا بد من أن تقلقه لثقلها عليه، وهذا الباني أيضاً قلعة وهو الذي طلب السماء فوصل إليها، فكأنه يقول: كيف يتعذر على سيف الدولة بناء الحدث وهو قد رام السماء فنالها بعلوه.

كلّما رام حطّها اتّسع البن ... ى فغطّى جبينه والقذالا

بنى يبني بنياً و، بناء.

يقول: كلما أراد ملك الروم هدم هذه القلعة، وسع سيف الدولة بناءها، وأحكم حائط سورها، حتى عم بها رأسه: مقدمه مؤخره، فيكون حطه سبباً لإحكامها، فيعظم أمرها عليه.

يجمع الرّوم والصّقالب والبل ... غر فيها وتجمع الآجالا

فيها: أي في ناحيتها، والآجال: جمع الأجل.

يقول: إن ملك الروم يجمع الأمم لهدم هذه القلعة، وأنت تجمع آجالهم ومناياهم فتوافيهم بها وتقتلهم.

وتوافيهم بها في القنا السّم ... ر كما وافت العطاش الصّلالا

الصلال: جمع صلة وهي الأرض التي أصابها المطر من بين الأرضين التي لم تمطر وقيل: هي بقايا المياه.

يقول: تجمع آجالهم وتوافيهم بها على أطراف الرماح، فآجالهم تتسابق إليهم، كما تتسابق العطاش إلى الأرض المطورة.

والمعنى: أنهم كلما بعثوا إليها الجيش لهدمها قصد إليه سيف الدولة فأهلكه.

قصدوا هدم سورها فبنوه ... وأتوا كي يقصّروه فطالا

يقول: إنهم قصدوا إليها؛ ليهدموا سورها، فقتلهم سيف الدولة، وتم بناء سورها، فكأن قصدهم لهدمها سبب بنائها.

وحكى ابن جني: إن سبب إتمام بناء الحدث. أن الروم لعنوا سيف الدولة، فاغتاظ من ذلك وأتمه، فلما كان لعنهم إياه سبباً لإتمامه، أجرى عليه لفظ البناء.

واستجرّوا مكايد الحرب حتّى ... تركوها لها عليهم وبالا

استجروا: أي جروا. ومكايد الحرب: آلاتها. والهاء في لها لقلعة الحدث، وأراد بها: أهلها.

يقول: إنهم جمعوا آلات الحرب، ومكايد الحصون، ثم انهزموا وتركوها، فأخذها أهل الحدث،

واستعانوا بها عليهم، فصارت وبالاً عليهم.
وقيل: أراد بمكايد الحرب: تدبيرهم في الحدث فقال: إن تدبيرهم صار وبالاً عليهم، لأن أهل الحدث أوقعوا بهم.

ربّ أمرٍ أتاك لا تحمد الفع عال فيه وتحمد الأفعال

يقول: إن هذا الفعل كان منهم محموداً في نفسه؛ لما فيه من نفع المسلمين، فحمدته لذلك، وإن كان لا تحمدهم على فعلهم ذلك.

وقسيّ رميت عنها فردّت في قلوب الرّماة عنك النّصالا

يقول: إنهم جاءوا بها، ثم انهزموا، فأخذ أصحابك قسيهم، فرموا بها من كان يرميهم، فردت نصالهم في نحورهم.

أخذوا الطّرق يقطعون بها الرّس ل فكان انقطاعها إرسالا

يقول: أخذوا الطرق من كل جهة؛ ليمنعوا الرسل الذين يرسلهم أهل الحدث إلى سيف الدولة، فلما انقطعت الرسل استراب، وعلم أن الروم حاصروهم، فركب إليهم، وكأن انقطاع الرسل عنه قائماً مقام الإرسال.
وقيل: أراد أنهم وإن اجتهدوا في قطع الرسل عنه، فلم يخف الخبر عليه؛ لأن الناس تطلعوا إلى إبطاء الخبر عنهم، وعادوا بالخبر إليه.

وهم البحر ذو الغوارب إلاّ أنّه صار عند بحرك آلا

كثروا فكانوا كالبحر، ذي الأمواج، فكانوا بالإضافة إليك كالسراب إلى البحر.

ما مضوا لم يقاتلوك ولكن ن القتال الّذي كفاك القتالا

ما: نفي، ولم يقاتلوك: في موضع الحال، أي ما مضوا غير مقاتلين لك، أي أنهم ما انهزموا من غير قتال، بل ثبتوا وقاتلوا، ولكن كان القتال الذي هزمهم هو قتالك معهم قبل ذلك، وكفاهم الآن قتالهم.
والمعنى: أنهم لما جربوك قبل هذا اليوم، وشاهدوا إيقاعك بهم، خافوا الآن من الإقدام، فانصرفوا منهزمين.

والّذي قطع الرّقاب من الضّر ب بكفّيك قطّع الآمالا

يقول: إن السيف الذي قطع رقابهم حين ضربتهم به قبل ذلك، قطع الآن آمالهم أن يقدموا عليك.

والثّبات الّذي أجادوا قديماً علّم الثّابتين ذا الإجفالا

يقول: إن الروم كانوا ثبتوا فيما مضى من الأيام، وجودوا الثبات لك، فأدى ثباتهم إلى قتلهم واستئصالهم، فعلم هؤلاء ثباتهم من قبل، هذا الهرب والانهزام، لأنهم علموا أنهم لو ثبتوا لهلكوا.

والإجفال: الانهزام.

نزلوا في مصارعٍ عرفوها يندبون الأعمام والأخوالا

يقول لما نزل هؤلاء حول الحدث؛ ورأوا مصارع أعمامهم وأخوالهم الذين قتلهم قبل هذا اليوم، وأقبلوا يندبونهم، ويبكون عليهم.

ثم انهزموا خوفاً من أن يحل بهم ما حل بمن تقدمهم من أقربائهم.

تحمل الرّيح بينهم شعر الها م وتذري عليهم الأوصالا

تذري: أي تسير. والأوصال: الأعضاء.

يقول: نزلوا في مصارع الذين قتلهم من الروم، وأوصالهم كانت موجودة بها بعد، فكانت الريح تذري عليهم رميم أوصالهم، وتحمل بينهم شعور هامهم.

تنذر الجسم أن يقيم لديها وتريه لكلّ عضوٍ مثالاً

فاعل تنذر ضمير المصارع، وإليها يرجع الضمير في قوله: لديها وقيل: إن فاعل تنذر: ضمير الريح. والأول أولى.

والمعنى: إن مصارع المقتولين من قبل تنذر أجسام هؤلاء المنهزمين أن يقيموا بها، وترى هذه المصارع أجسامهم لكل عضو منها مثالاً من أعضاء المقتولين، فإذا تأملوا تلك الأعضاء علموا أنهم إن أقاموا بها قتلوا، وصارت أعضاؤهم منقطعة.

أبصروا الطّعن في القلوب دراكاً قبل أن يبصروا الرّماح خيالا

دراكاً: تباعاً. متداركاً. وتقدير البيت: أبصروا الطعن في القلوب دراكاً خيالا قبل ان يبصروا الرماح.

يقول: إنهم تخيلوا الطعن في قلوبهم، لما رأوا مصارع قتلاهم، فانهزموا قبل أن يروا الرماح عياناً.

وإذا حاولت طعانك خيلٌ أبصرت أذرع القنا أميالا

الأميال: جمع ميل. وهو ثلث الفرسخ.

يقول: إن العدو إذا أراد مطاعنتك رأى رماحك طوالاً، حتى كأنه يرى كل ذراع منها في طول الميل، لما لحقه من الخوف والوهل، فكأنه مأخوذ من قول الله تعالى "يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ".

بسط الرّعب في اليمين يميناً فتولّوا وفي الشّمال شمالاً

قال ابن جني: هذا مثل قول الله تعالى: "يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ" ولم يزد على هذا.

والمعنى: أن الرعب قد ملأ قلوبهم لما عاينوا جيشك، فصور لهم أنه قد اتصل بناحية يمين جيشه يمين أخرى، وكذلك في ناحية الشمال، فرأوه أكثر مما هو، فكأنهم رأوا الرجل رجلين، واليمين يمينين والشمال شمالين، فولوا أدبارهم منهزمين.

وقيل: المعنى أن الخوف قد تسلط عليهم حتى أعجزهم عن القتال، فكأن الخوف بسط في يمين الجيش يمينه وفي شمال الجيش شماله. وهو جيش العدو.

ينفض الروع أيدياً ليس تدري أسيوفاً حملن أم أغلالا

يقول: إن الخوف ملأ قلوبهم، وكانت أيديهم ترتعد، وهي قابضة على السيوف فكأنها مغلولة.

ووجوهاً أخافها منك وجهٌ تركت حسنها له والجمالا

وجوهاً: نصب لأنها معطوفة على قوله: أيديا لفظاً، وهي منصوبة بفعل مضمر معنىً، دل عليه ينفض أي يغير وجوهاً.

يقول: خوفك يغير وجوهاً، ويردها من حال الحسن إلى حال القبح، ولا يلحقك خوف يتغير له وجهك، فكأن وجهك سلب وجوههم حسنها، وانتقل إلى وجهك جمال الوجوه.

والعيان الجليّ يحدث للظّنّ زوالاً، وللمراد انتقالا

يقول: جاءوا ليهدموا الحدث، ظناً منهم أنهم يقدرون على ذلك، فلما عاينوك بطل الظن، وانتقل المراد إلى غيره، ورضوا من الظفر بالهزيمة.

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطّعن وحده والنّزالا

الهاء في وحده للجبان.

يقول: الجبان إذا خلا بنفسه أظهر الشجاعة، وإذا عاين الحرب انثنى عزمه.

أقسموا لا رأوك إلاّ بقلبٍ طالما غرّت العيون الرّجالا

يقول: حلفوا أنهم لا يرونك إلا بالقلب وإعمال الفكر، فإن يوهم قد غرهم، وأرهم منك خلاف ما جربوه.

أيّ عينٍ تأمّلتك فلاقتك وطرفٍ رنا إليك فالا ؟

يقول: كل عين نظرت إليك تحيرت بجلالك وهيبتك، ولم يمكنها أن تلاقيك، والطرف إذا رنا إليك بقي شاخصاً لا يرجع من النظر إليك ..

ما يشكّ اللّعين في أخذك الجي ش فهل يبعث الجيوش نوالا

يقول: إن ملك الروم لا يشك في أنك تأخذ جيشه وتأسره، ومع ذلك يبعث الجيوش إليك، أفتراه يبعثها إليك هدية وعطيةً ؟! وحكى ابن جني: أن أبا الطيب كان يرفع اللعين وينصبه على: أعني اللعين.

ما لمن ينصب الحبائل في الأر ض ومرجاة أن يصيد الهلالا ؟

ومرجاةً: نصب لأنه مفعول معه: أي ماله مع مرجاة. وهي مفعلةٌ من: رجا يرجو.

يقول: من ينصب حبائل في الأرض، كيف يطمع أن يصيد الهلالا ؟! وهذا مثل والمعنى: كيف يطمع ملك الروم في قلعة الحدث ؟! وهي في بعد المنال كالنجم والهلال.

إنّ دون الّتي على الدّرب والأح دب والنّهر مخلطاً مزيالا

الأحدب: اسم جبل وعليه قلعة الحدث. والمخلط من الرجال: من يخلط للقتال. والمزيال: الذي يفارقه. وقيل: المخلط والمزيال: الرجل الداهية، لا يعرف كيف يدخل في الأمر ! وكيف يخرج منه !

يقول: دون هذه القلعة رجل بصير بالأمور، يقابل وقت القتال، ويزايل وقت الزيال، فهو يحول بين القلعة وبين من يقصدها.

وقيل: المخلط: الذي يخلط بين الجيشين. والمزيال: الذي يميز بينهما، وهي صفة الرجل الشجاع، والمراد به سيف الدولة.

غصب الدّهر والملوك عليها فبناها في وجنة الدّهر خالا

خالا: نصب على الحال.

يقول: إن سيف الدولة قد غصب هذه القلعة من الملوك ومن الدهر: أي خلصها من حوادثه، وبناها وحصنها، فهي تلوح في وجنة الدهر كالخال، فلا يقدر الدهر على أن يزيلها حتى يزول، فهي باقية ما بقي الدهر، لبقاء الخال ببقاء الخد.

وحماها بكلّ مطرّد الأك عب جور الزّمان والأوجالا

يقول: منعها من حوادث الزمان، ومن الخوف، بكل رمح مطرد الأكعب أي مستو ليس في كعوبه اختلاف واضطراب.

فهي تمشي مشي العروس اختيالا وتثنّي على الزّمان دلالا

يقول: هذه القلعة تختال في مشيها، كما تختال العروس، وتتثني دلالاً على الزمان؛ لأنها أمنت أحداثه. وأراد به أهل القلعة.

في خميسٍ من الأسود بئيسٍ يفترسن النّفوس والأموالا

بئيس: أي شديد.

يقول: تمشي مشي العروس، في جيش شديد مثل الأسود، فهي تفترس النفوس بالقتل، والأموال بالنهب.

وظباً تعرف الحرام من الحلّ فقد أفنت الدّماء حلالا

يقول: إن السيوف التي حولها، تعرف الحلال من الحرام، فهي لا تسفك إلا دماً يحل سفكه: يعني أنها لا تقتل إلا من حل دمه، وظباً: عطف على خميس.

إنّما أنفس الأنيس سباعٌ يتفارسن جهرةً واغتيالا

الأنيس: الإنس. والاغتيال: الخديعة.

يقول: نفوس الناس مثل السباع يفرس بعضها بعضاً، إما مجاهرة، وإما مخادعة، كما تفعل السباع. وجهرة واغتيالاً: مصدران واقعان موقع الحال.

من أطاق التماس شيءٍ غلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

الغلاب: المغالبة.

يقول: من قدر على مراده بالغصب، لم يطلبه بالسؤال.

كلّ غادٍ لحاجةٍ يتمنّى أن يكون الغضنفر الرّئبالا

يقول: من يطلب أمراً يتمنى أن يكون فيه كالأسد في الشجاعة والقهر. والرئبال والغضنفر: اسمان للأسد، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين.

وقيل: إن الرئبال بدل من الغضنفر، وقيل صفة له.

وفزع الناس لخيل لقيت سرية سيف الدولة ببلد الروم، فركب وركب أبو الطيب معه فوجد السرية قد قتلت بعض الخيل، وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك الوقت فأنشد سيف الدولة متمثلاً قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ... بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب
تخيّرن من أزمان يوم حليمةٍ ... إلى اليوم قد جرّبن كلّ التّجارب

فقال أبو الطيب مجيباً له في الوقت ارتجالاً.

رأيتك توسع الشعراء نيلاً ... حديثهم المولّد والقديما

القديم: من كان في الجاهلة. والمخضرم: الذي أدرك الجاهلية والإسلام. والإسلامي: من ولد في الإسلام إلى وقت بشار. والمولد: من كان في وقت بشار، وهم إلى يومنا، فبشار أبو المولدين وكذلك الحديث.

وقيل: القديم: البدوي. والمولد: الحضري.

يقول: قد عم إحسانك الشعراء السالف منهم والباقي، وحديثهم وما كان بعده بدل من الشعراء.

فتعطي من بقي مالاً جسيماً ... وتعطي من قضي شرفاً عظيماً

بقي: لغة طائية.

يقول: تعطي الباقي منهم الأموال الجسيمة، وتعطي الماضي الشرف العظيم وروى عميماً أي ثابتاً.

سمعتك منشداً بيتي زيادٍ ... نشيداً مثل منشده كريماً

النشيد: الإنشاد. وزياد: اسم النابغة، وأراد بمنشده: سيف الدولة.

يقول: سمعتك تنشد بيتي النابغة، وكان هذا الإنشاد كريماً مثلك.

فما أنكرت موضعه ولكن ... غبطت بذاك أعظمه الرّميما

الرميم: البالية، وإنما لم يؤنثه، وإن كان صفةً لأعظمه، لأن الرميم مصدر في الأصل. يقال: رم العظم يرم رماً ورميماً، فلما استعمله صفة لم يؤنثه، كقولهم: رجل صؤوم وامرأة صؤوم.

يقول: لم أنكر موضع النابغة في الشعراء ومحله في الفصحاء، ولكن غبطت عظامه البالية؛ حيث تشرف بإنشادك شعره، فتمنيت أن أكون مكانه.

وقال أيضاً يمدحه وكان قد اجتاز برأس عين سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، وقد أوقع سيف الدولة

بعمرو بن حابس من بني أسد، وبني ضبة ورباح من بني تميم، ولم ينشدها إياه، فلما لقيه دخلت في جملة مدائحه وهي من قوله في صباه:

ذكر الصّبا ومرابع الآرام   جلبت حمامي قبل وقت حمامي

ذكر: جمع ذكرى. وروى ذكر الصبا مصدر: ذكرت. والمرابع: جمع مربع، وهو المترل في أيام الربيع، وقيل: المرعى. والآرام: جمع ريم، وهو الظبي الأبيض.

يقول: تذكرت منازلنا في الربيع، ومنازل مجاورةً، لنساء كالظباء البيض جلبن علي الموت قبل وقته. وإنما تذكر العرب أيام الربيع؛ لأنهم يخرجون إلى المراعي فيجتمعون مع أحبابهم، فإذا جاء الصيف، رجع كل قوم إلى دارهم، وهاجت صبابة الاشتياق، وتجرعوا مرارة الافتراق.

دمنٌ تكاثرت الهموم عليّ في   عرصاتها كتكاثر اللّوّام

دمن: خبر ابتداء محذوف، أي هذه المرابع دمن. والدمن: جمع الدمنة، وهي ما يرى من آثار الديار: من الأبوال والأبعار.

يقول: لما وقفت في هذه المرابع، تذكرت أحبابي فيها، فتكاثرت علي الهموم كتكاثر اللوم في وقوفي في تلك العرصات.

وكأنّ كلّ سحابةٍ وقفت بها   تبكي بعيني عروة بن حزام

عروة بن حزام: أحد العشاق، وصاحبته عفراء.

يقول: عفت آثار هذه المرابع بكثرة الأمطار حتى كأن كل سحابة كان لها بهذه الدمن حبيب، فهي إذا وقفت عليها بكت لتذكره، كما بكي عروة على عفراء، ومثله لأبي تمام:

كأنّ السّحاب الغرّ غيّبن تحتها   حبيباً فما ترقى لهنّ مدامع

وقد شبه غزارة المطر بغزارة دمع عروة على عادته في قلب التشبيه

ولطالما أفنيت ريق كعابها   فيها، وأفنت بالعتاب كلامي

الكعاب: التي كعب ثدياها.

يقول: إن كانت هذه المرابع قد درست، فطالما خلوت فيها بجارية كاعب، أقبلها وأترشف ريقها، وهي تعاتبني حتى أفنيت ريقها بالترشف؛ وأفنت كلامي بالعتاب.

قد كنت تهزأ بالفراق مجانةً   ويجرّ ذيلي شرّةٍ وعرام

وروى: قد كنت أهزأ وأجر والمجانة: المجون. والعرام، والعرامة: خلع العذار.
يخاطب نفسه ويقول: قد كنت تستصغر شأن الفراق، وتسخر منه في أيام الوصال وكنت تجر ذيل الشرة والنشاط، ولم تشكر ما أنت فيه من النعمة، حتى بليت بالفراق فعرفت مرارة الاشتياق.

ليس القباب على الرّكاب وإنّما هنّ الحياة ترحّلت بسلامِ

يقول: هذه الهوادج التي على الجمال ليست هي القباب؛ وإنما هي حياتي رحلت عني، وكانت حياتي سالمة فذهبت بما فيها من السلامة.

ليت الّذي خلق النّوى جعل الحصى لخفافهنّ مفاصلي وعظامي

لخفافهن: أي لخفاف الركاب.
يقول: ليت الله تعالى لما خلق الفراق جعل مفاصلي، وعظامي تحت خفاف الإبل، حتى يمشين عليها؛ لكرامتهن علي، بسبب من عليها من الجواري.
وقيل: تمنى ذلك ليتلف بسببهن، كي يستريح من الاهتمام بفراقهن، وليتذذ بهذا الموت، بعد علمه بأن الفراق أشد من الموت.
وقيل: معناه ليت الله تعالى لما خلق الفراق أماتني قبل أن أبتلي به، وجعل عظامي حصى تدوسه إبلهم بأخفافها: أي ليتني مت قبل أن أرى الفراق.

متلاحظين نسحّ ماء شئوننا حذراً من الرّقباء في الأكمام

متلاحظين: نصب على الحال من فعل محذوف: أي وقفنا متلاحظين، يلحظ بعضنا بعضاً، وينظر إليه سراً. ونسح: أي نصب والشئون: مجاري الدموع من الناس. وحذراً: نصب على المفعول له وفي الأكمام: متعلق بقوله: نسح. أي نسح في الأكمام.
يقول: وقفنا متلاحظين حال التوديع: نصب دموعنا في أكمامنا خوفاً من الرقباء أن يقفوا على أحوالنا.

أرواحنا انهملت وعشنا بعدها من بعد ما قطرت على الأقدام

روى: انهملت وانهلت.
يقول: إن الدموع هي أرواحنا، سالت منا وقطرت على أقدامنا، فكيف عشنا بعد خروج الروح من أبداننا ؟! وجعل الدموع أرواحاً لأن البكاء يمرض ويتلف.
وقيل: أراد أن دموعهم كانت دماً ! والدم إذا كثر خروجه أتلف ومثله لآخر:

وليس الّذي يجري من العين ماؤها ولكنّها نفسٌ تذوب وتقطر

لو كنّ يوم جرين كنّ كصبرنا عند الرّحيل لكنّ غير سجام

السجام: الغزيرة، وهي جمع ساجم.

يقول: لو كانت دموعنا يوم الفراق على قدر صبرنا. لكانت قليلة كقلة صبرنا.

لم يتركوا لي صاحباً إلاّ الأسى وذميل ذعبلةٍ كفحل نعام

روى: الأسى والأذى والذميل: ضرب من السير. والذعلبة: الناقة الخفيفة، وروى بدلها عرمسة.

يقول: لم يترك الأحباب الراحلون صاحباً لي إلا لحزن، وناقةً خفيفةً أرحل عليها، وأقصد الممدوح، وهي في السرعة كفحل النعام.

وتعذّر الأحرار صيّر ظهرها إلاّ إليك، عليّ فرج حرام

يقول: قلة الأحرار وتعذرهم حرم علي أن أركب ظهر هذه الناقة إلا إليك، فلا أقصد عليها سواك، كما لا أركب فرجاً حراماً.

أنت الغريبة في زمانٍ أهله ولدت مكارمهم بغير تمام

أنت الغريبة: أي الخصلة الغريبة، أو الحالة الغريبة. وقيل: أدخل الهاء للمبالغة كقولهم: فلان كريمة قومه.

يقول: إن أهل هذا الزمان إذا فعلوا مكرمة لم يتموها، وأنت بينهم غريبة؛ لتمام مكارمك وكمال معالمك.

أكثرت من بذل النّوال ولم تزل علماً على الإفضال والإنعام

يقول: أكثرت بذل العطاء وبالغت في الجود والسخاء، حتى صرت في الجود علماً مشهوراً ومثالاً مضروباً، ولم تزل كذلك في قديم الأيام.

صغّرت كلّ كبيرةٍ وكبرت عن لكأنّه وعددت سنّ غلام

يقول: فعلت كبار الصنائع حتى صغرت كل صنيعة كبيرة ! وجل قدرك عن أن يشبه شيء، فيقال: والله لكأنه بحر في جوده، وبدر في علوه، وبلغت هذا المبلغ وأنت في سن الغلام الحدث! واللام في قوله: لكأنه جواب القسم المحذوف لدلالة اللام عليه.

ورفلت في حلل الثّناء وإنّما عدم الثّناء نهاية الإعدام

رفل الرجل: إذا تبختر في مشيه وجر ذيله؛ فشبه الثناء بالحلل؛ لما فيه من الزينة والجمال، وإنما عندك الإعدام هو عدم الثناء لا عدم المال، فلهذا أبيت الحلل واكتسيت من الثناء الحلل.

عيبٌ عليك ترى بسيفٍ في الوغى   ما يصنع الصّمصام بالصّمصام

ترى: أي أن ترى بسيف، أي مع سيف.

يقول: أنت سيف فلا حاجة لك إلى حمل سيف في الحرب، وحمله عيب عليك لأنك أمضى منه.

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ   فبرئت حينئذٍ من الإسلام.!

أقسم بالبراءة من الإسلام، إن كان له نظير في زمانه، أو سيكون في مستقبل أيامه !.

ملكٌ زهت بمكانه أيّامه   حتّى افتخرن به على الأيّام

زهت: أي زهيت، فأبدل من الكسرة فتحة فصارت الياء ألفاً، ثم سقطت لسكونها وسكون التاء الساكنة بعدها، وهذه لغة طيئ.

يقول: أيامه افتخرت بمكانه فيها على سائر الأيام؛ لأنه كساها فخراً وزادها على الأيام شرفاً.

وتخاله سلب الورى من حلمه   أحلامهم فهم بلا أحلام

من حلمه: أي بحلمه. والأحلام: العقول.

يقول: إذا رأيت عقله وعقل الناس، ظننت أنه سلبهم عقلهم ورأيهم فلا عقول لهم.

وإذا امتحنت تكشّفت عزماته   عن أوحديّ النّقض والإبرام

الأوحدي: منسوب إلى الأوحد.

يقول: إذا جربت عزمه رأيته أوحداً في نقضه وإبرامه، لا نظير له في أفعاله.

وإذا سألت بنانه عن نيله   لم يرض بالدّنيا قضاء ذمام

يقول: إذا استمحنت بنانه، استحقر الدنيا بأسرها في قضاء حقك وحرمة سؤالك.

مهلاً ! ألا لله ما صنع القنا   في عمرو حاب وضبّة الأغتام

ألا لله: تعجب. وما: بمعنى الذي، وقيل: استفهام، وأراد عمرو بن حابس، فرخم في غير النداء وهو جائز عند الكوفيين، ولا يجيزه البصريون، والأغتام: جمع الغتم وهو الجاهل الجافي.

يقول: اكفف عن هاتين القبيلتين فقد أوقعت بهم وقعة كبيرة.

لمّا تحكّمت الأسنّة فيهم   جارت وهنّ يجرن في الأحكام

جارت: أي عليهم.
يقول: لما جعلت الرماح حكماً بينك وبينهم، جارت عليهم في حكمها، وعادها أن تجور إذا حكمت؛ لأنها تقتل الناس.

فتركتهم خلل البيوت كأنّما غضبت رءوسهم على الأجسام

يقول: تركتهم وسط البيوت قتلى، أجساماً بلا رءوس، فكأن رءوسهم غضبت على جسومهم ففارقتها.

أحجار ناسٍ فوق أرضٍ من دمٍ ونجوم بيضٍ في سماء قتام

يعني: أن الأرض احمرت بما سال من دمائهم، وهم مصروعون على الدماء كالحجارة على الأرض، وكأن السيوف كانت تلمع في الغبار، كما تلمع النجوم في السماء.
لما جعل الأرض دماً جعل حجارتها القتلى، ولما جعل البيض نجوماً جعل القتام سماء.
ويجوز في أحجار الرفع على إضمار المبتدأ، والنصب على إضمار الفعل: أي أشبهوا أحجاراً، والرفع أجود.

وذراع كلّ أبي فلانٍ كنيةً حالت فصاحبها أبو الأيتام

وهذا معطوف على قوله: أحجار ناس.
يقول: إنك قتلتهم وفرقت أوصالهم ! فهناك ذراع كل إنسان كل يكنى أبا فلان، كأبي زيد وأبي محمد وغيره، فحين قتلته حالت كنيته، فصار يكنى أبا الأيتام.
وكنيةً نصب على الحال من أبي فلان وقيل: على المصدر: أي يكنى كنية. وقدر انفصال كل أبي فلان لأن كل إذا أضيف إلى اسم واحد في معنى الجمع، لا يقع بعده إلا النكرة، فيقال: كل رجل في الدار، ولا يقال: كل زيد. غير أنه قدر الانفصال اضطراراً، فكأنه قال: كل أب لفلان، كما تقول: رب واحد أمه. أي رب واحد لأمه.

عهدي بمعركة الأمير وخيله في النّقع محجمةً عن الإحجام

يقول: عهدت ذلك اليوم خيل الأمير محجمة عن الإحجام: أي مقدمة في الغبار إلى الأعداء؛ لأنها إذا تركت الإحجام فعلت ضده، وهو الإقدام.

صلّى الإله عليك غير مودّعٍ وسقى ثرى أبويك صوب غمام

غير مودع: نصب على الحال، دعاء له بالصلاة والرحمة، ولثرى أبويه بالسقيا، ثم قال: لا جعل هذا الدعاء مني وداعاً لك.

وكساك ثوب مهابةٍ من عنده وأراك وجه شقيقك القمقام

الهاء في عنده يعود إلى اسم الله تعالى. القمقام: البحر، والقمقام: السيد.

يقول: ألبسك الله الهيبة، وجمع بينك وبين أخيك السيد البحر وهو ناصر الدولة وكان أميراً بالموصل.

فلقد رمى بلد العدوّ بنفسه في روق أرعن كالغطمّ لهام

روق أرعن: أي مقدمة العسكر. والغطم: البحر.

يقول: إن أخاك قصد العدو بنفسه في جيش عظيم كالبحر، وهو في أول الخيل.

قومٌ تفرّست المنايا فيكم فرأت لكم في الحرب صبر كرام

أي أنتم قوم تفرست: أي تأملت، وكان الوجه فيهم ولهم غير أنه رده إلى المعنى؛ لأنه أبلغ.

يقول: نظرت المنايا فيكم فرأتكم صابرين على الحرب، وعاينت فيكم صبر الكرام، فعدلت عنكم إلى أعدائكم الذين لم يصبروا على الحرب.

تالله ما علم امرؤٌ لولاكم كيف السّخاء وكيف ضرب الهام ؟ !

تالله: قسم وتعجب، وإنما خصت التاء بهذا الاسم لتضمنها معنى التعجب، فمنع التصرف، كما منع فعل التعجب.

يقول: علمتم السخاوة والشجاعة، ولولا أنتم لما علم امرؤ طريق السخاء والشجاعة.

وغزا سيف الدولة من حلب وأبو الطيب معه، وقد أعدوا الآلات لعبور أرسناس فاجتاز بحصن الران وهو في يده، ثم اجتاز ببحيرة سمنين ثم بهتريط، وعبرت الروم والأرمن أرسناس وهو نهر عظيم لا يكاد أحد يعبره سباحةً إلا جره وذهب به، لشدته وشدة جريه فسبحت الخيل حتى عبرته خلفهم إلى تل بطريق، و قتل من وجه بها، وأقام أياماً على أرسناس وعقد بها سماريات يعبر فيها.

ثم قفل، فاعترض البطريق في الدرب بالجيش، وارتفع في ذلك الوقت سحاب عظيم وجاء بمطر غزير وقع القتال تحت المطر، ومع البطريق نحو ثلاثة آلاف قوس، فابتلت أوتار القسي ولم تنفع، وانهزم أصحابه، ثم انهزم بعد أن قاتل وأبلى، وعلقت به الخيل، فعجل الهرب يحمي نفسه حتى سلم.

فقال أبو الطيب وأنشدها إياه بآمد، وكان دخوله إليها منصرفاً من بلاد الروم في آخر نهار يوم الأحد، لعشر خلون من صفر سنة خمس وأربعين وثلاث مئة.

الرّأي قبل شجاعة الشّجعان هو أوّلٌ وهي المحلّ الثّاني

يقول: إن الرأي والعقل أفضل من الشجاعة، لأن الشجعان يحتاجون أولاً إلى الرأي ثم إلى الشجاعة، فإذا لم تصدر الشجاعة عن الرأي فهي التتري وربما أتت عليه. وروى بدل: الشجعان: الفرسان.

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ بلغت من العلياء كلّ مكان

مرة: أي أبية. وروى: حرة.

يقول: إذا اجتمع الرأي والشجاعة لنفس واحدة كريمة أبية، بلغت كل مكان من المعالي.

ولربّما طعن الفتى أقرانه بالرّأي قبل تطاعن الأقران

يقول: إن الرأي ربما يغني عن الشجاعة، ويوصل صاحبه إلى الإيقاع بالأعداء والنكاية بهم قبل أن يقع حرب أو قتال.

لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ أدنى إلى شرفٍ من الإنسان

أدنى ضيغم: من الدناءة. وأدنى إلى شرف: من الدنو. والأول اسم كان، والثاني خبره.

يقول: لولا ما خص الله تعالى الناس من العقل، لكان أدنى أسد أقرب إلى الشرف من الإنسان؛ لما للأسد من فضل البأس والإقدام.

ولما تفاضلت النّفوس ودبّرت أيدي الكماة عوالي المرّان

قوله: ودبرت أي ولما دبرت.

يقول: لولا العقول لما كان لبعض الناس فضل على البعض، وما كانت الأيدي تصرف الرماح، بل تكون هي المدبرة للأيدي؛ لأن لها من المضاء ما ليس للأيدي. فبالعقل صار الإنسان مدبراً لها.

لولا سميّ سيوفه ومضاؤه لمّا سللن لكنّ كالأجفان

يقول: لولا سيف الدولة ومضاؤه، لم يكن للسيوف مضاء حين تسل من أغمادها، بل كانت كالأجفان في قلة الغناء.

خاض الحمام بهنّ حتّى ما درى أمن احتقارٍ ذاك أم نسيان

بهن: أي بالسيوف. حتى ما دري: أي ما دري الحمام. وروى: حتى ما دري على لغة طيئ.

يقول: خاض سيف الدولة الموت بسيوفه حتى ما دري الموت، هل ذاك احتقار منه، أم نسي كونه في الحرب ؟!

وجرى فقصّر عن مداه في العلا　　　أهل الزّمان وأهل كل زمان

وروى: وسعى أهل الزمان: أي أهل زمانه. وجرى إلى المعالي فعجز أهل زمانه عن بلوغ شأوه، كذلك كل أهل زمان قبله وبعده.

تخذوا المجالس في البيوت، وعنده　　　أنّ السّروج مجالس الفتيان

تخذت واتخذت بمعنىً.

يقول: إنما قصروا عن بلوغ مداه؛ لأهم اتخذوا بيوقم مجالسهم، وهو يجعل مجالسه سروج الخيل، ومثله لعنترة:

وتبيت عبلة فوق ظهر حشيّةٍ　　　وأبيت فوق سراة أدهم ملجم

وتوهّموا اللّعب الوغى الهيجاء　　　غير الطّعن في الميدان

يقول: حسب الناس لعبهم بالرماح في الميدان، أنه مثل الطعن في الحرب عند ملاقاة الأقران، وليس الأمر كما قدروا.

قاد الجياد إلى الطّعان ولم يقد　　　إلاّ إلى العادات والأوطان

يقول: قاد الخيل إلى المطاعنة، ولم يكن قوده لها أول مرة، بل قد سبق له أمثالها، وتعودت خيله التردد إلى الروم، ومعارك الحرب، فكأنه يقودها إلى أوطانها التي تعودت الإقامة بها.

كلّ ابن سابقةٍ يغير بحسنه　　　في قلب صاحبه على الأحزان

هذه الجياد، وكل ابن فرس سابقة حسن الخلق، إذا نظر صاحبه إليه أغار على ما في قلبه من الحزن بحسنه، وأزاله عن قلبه.

إن خلّيت ربطت بآداب الّوغى　　　فدعاؤها يغني عن الأرسان

يقول: إن أرسلت هذه الخيل، فرابطها آداب الوغى.

يعني: أنها مؤدبة بآداب الحرب، فإذا أرسلت لم تشرد، فتحتاج إلى أن تشد برسن أو شكال، ولكنها متى دعاها صاحبها أقبلت إليه، فيغني دعاؤها عن أرسان تقاد بها.

في جحفلٍ ستر العيون غباره فكأنّما يبصرن بالآذان

الهاء في غباره للجحفل.

يقول: قاد جياده في جيش عظيم، قد ثار غباره حتى ستر العيون، وأطبق الجفون من تكاثفه، فكأن هذه الخيل تبصرن بالآذان؛ لأن الغبار لا يطبق الآذان، بل تكون أبداً منتصبة.

يرمى بها البلد البعيد مظفّرٌ كلّ البعيد له قريبٌ داني

يقول: يغير بهذه الخيل كل بلد ملك مظفر، كل مرام بعيد له قريب، وكل صعب على غيره، عليه سهل يسير.

فكأنّ أرجلها بتربة منبجٍ يطرحن أيديها بحصن الرّان

منبج: مدينة بالشام. والران من بلاد الأرمن وبينهما مسيرة خمس ليال.

يقول: كأن هذه الخيل لخفتها تكون أرجلها بمنبج وأيديها بحصن الران، فلا يتخلل من مسيرها من منبج إلى حصن الران، إلا مقدار الزمان الذي تتخلله الخطوة الواحدة.

وقيل: أراد بذلك سعة خطوها، فكأنه يقول: إنها تقطع ما بينهما بخطوة واحدة.

حتّى عبرن بأرسناس سوابحاً ينشرن فيه عمائم الفرسان

أرسناس: نهر عظيم في بلاد الروم.

يقول سار بها حتى عبرت هذا النهر سابحةً، وكانت تنشر عمائم الفرسان فوقهن؛ لسرعتهن في السباحة، فتضطرب العمامة لذلك.

وقيل: أراد أن ما يطفو من الماء من جنبي الفرس يعلو إلى أطراف العمائم المسدلة فينشرها. والأول هو الظاهر.

يقمصن في مثل المدى من باردٍ يذر الفحول وهنّ كالخصيان

يقمصن: أي يثبن. والمدى: جمع مدية وهي السكين: يقول: إن هذا النهر يعمل في البدن ما تعمل السكاكين من شدة برده ! وتقلصت الخصى وبردت حتى صارت الفحول مثل الخصيان.

والماء بين عجاجتين مخلّصٌ تتفرّقان به وتلتقيان

يقول: إن الغبار قد ثار على جانبي هذا النهر، فكأن موج الماء يفرق بينهما، فمرة يفترقان ومرة يلتقيان فيتصلان من أحد الجانبين إلى الآخر.

وقيل لأبي الطيب: إنك وصفت برد الماء، وذلك يكون في الشتاء، ثم بالغت في وصف الغبار، والغبار

لا يثور على الوجه المذكور في الشتاء، فبينهما تناقض، فقال: إنما وصفت ما عاينت. وفي رواية أخرى: إن ماء هذا النهر يكون في الصيف شديد البرد إلى الغاية.

وقيل: أراد بالعجاجتين: ما يثور من الماء على جانبي الفرس السابح، فإذا شق الماء افترق جانباه ثم تلاقيا من بعد.

ركض الأمير وكاللّجين حبابه   وثنى الأعنّة وهو كالعقيان

اللجين: الفضة. والعقيان: الذهب. والحباب: طرائق الماء.

يقول: ركض، وكان الماء في الصفاء كالفضة البيضاء، وثنى عنانه راجعاً. وقد صار كالذهب؛ لما سال إليه من دماء القتلى، واحمر بما خالطه من دماء الروم.

فتل الحبال من الغدائر فوقه   وبنى السّفين له من الصّلبان

الغدائر: الذوائب.

يقول: فتل من شعور من قتل من الروم الحبال الكثيرة، وكذلك بنى مما كسر من الصلبان سفناً يعبر بالسبي والأموال عليها.

وأراد: أنه لو أراد أن يفعل لأمكنه؛ من كثرة ما قتل منهم، وكسر من صلبانهم.

وحشاه عاديةً بغير قوائمٍ   عقم البطون حوالك الألوان

العادية: الجارية.

يقول: ملأ هذا النهر بخيل تعدو بلا قوائم، يعني: السفن فهي عقيمة لا تلد كسائر الخيول، وهي سود الألوان؛ لأنها مغبرة، فعبر عن السفن بالخيل، وأخرجه مخرج اللغز.

تأتي بما سبت الخيول كأنّها   تحت الحسان مرابض الغزلان

يقول: هذه السفن كانت تحمل ما سبته الخيول من النساء والولدان، فكأنهن الغزلان والسفن تحتهن كأنها مرابض الغزلان.

بحرٌ تعوّد أن يذمّ لأهله   من دهره وطوارق الحدثان

يقول: هذا النهر بحر يحفظ أهله، ويحصن من حوله من حوادث الدهر، فلم يقدر أحد على عبوره.

فتركته وإذا أذمّ من الورى   راعاك واستثنى بني حمدان

يقول: جعلته بعد عبورك به، إذا ضمن لمعشر أن يمنعهم، استثناك وقومك، فيقول: إني أمنعكم من كل أحد، إلا من بني حمدان، فإني لا أمنعكم منهم.

وأراد أن الروم إذا تحصنوا به، لم يقدر أحد أن يصل إليهم إلا أنت وقومك.

المخفرين بكلّ أبيض صارمٍ ذمم الدّروع على ذوي التّيجان

يقال: أخفرته: إذا نقضت عهده، وهذا صفة بني حمدان.

يقول: إن دروع الملوك أعطتهم ذمةً أنها تمنعهم، فهم يخفرون بسيوفهم تلك العهود والذمم، ويهتكون بسيوفهم دروعهم. وذووا التيجان: هم الملوك.

متصعلكين على كثافة ملكهم متواضعين على عظيم الشّان

الصعلوك: الفقير، والمتصعلك: من يتكلف ذلك.

يقول: هم يتخلقون بأخلاق الصعاليك، ويتطامنون مع ملكهم العظيم، وهم متواضعون مع علو قدرهم وعظم شأنهم.

يتقيّلون ظلال كلّ مطهّمٍ أجل الظّليم وربقة السّرحان

روى ابن جني: يتقيلون وحمله على معنى قولهم: فلان يتقيل أباه: أي يتشبه به. قال: ومعناه أن كل واحد منهم يتشبه بأب كريم، ويتبعه كما يتبع الفرس ظله، ويسبق إلى المجد والكرم، كالفرس المطهم الذي إذا رأى الظليم أهلكه، وإذا رأى الذئب شده.

قال: ويجوز أن يكون ويتقيلون من القائلة، يعني: يقيلون في ظل كل فرس مطهم، فوافق في المعنى رواية سائر الناس وروى غيره يتفيئون من الفيء. والمعنى أنهم يستظلون في الهواجر بظلال خيولهم كما يفعله الصعاليك، ولا يدخلون الخيام كما يفعله المتنعمون.

وقوله: أجل الظليم: صفه المطهم، أي أنه إذا عدا خلف الظليم أدركه أجله الذي لا خلاص له منه، وإذا عدا خلف سرحان لحقه، فكأنه قيده، وهذا من قول امرئ القيس.

بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل

وقيل: يمدحهم بالفروسية والثبات على الخيل فيقول: هم لا يفارقون ظهورها بل يلازمونها ملازمة الظلال ويتقيلون يميناً وشمالاً كما تنقلب الظلال.

خضعت لمنصلك المناصل عنوةً وأذلّ دينك سائر الأديان

العنوة: القهر.

يقول: سيفك قهر كل سيف، فانقادت له السيوف قهراً، ودينك ذل سائر الأديان وقهرها.

وعلى الدّروب وفي الرّجوع غضاضةٌ والسّير ممتنعٌ من الإمكان

الدروب: جبال الروم، وطرقها. والغضاضة: الذل والقهر. والتقدير وعلى الدروب غضاضة، وفي الرجوع غضاضة.

وقيل: على تعلق بالفعل الذي بعده وهو نظروا أي نظروا على الدروب إلى خليك.

يقول: قهرتهم في حالة صعبة على المسلمين، وذلك حيث لم يمكنهم المقام على الدروب، ولا الرجوع عنها، وكان السير ممتنعاً فدخلت عليك الغضاضة لذلك.

والطّرق ضيّقة المسالك بالقنا والكفر مجتمعٌ على الإيمان

يقول: إن الطرق كانت قد ضاقت برماح الروم، وكان الكفر مجتمعاً على الإيمان في تلك الحال، فأذللت الكفر ونصرت الإسلام.

نظروا إلى زبر الحديد كأنّما يصعدن بين مناكب العقبان

يقول: نظر الروم إلى قطع الحديد على الخيل، فكأن هذه القطع عليها، بين مناكب العقبان.

شبه الخيل بالعقبان في سرعتها، والدروع التي على الفرسان والبيض وغيرها كأنها علت العقبان وصعدت بين مناكبها.

وفوارسٍ يحي الحمام نفوسها فكأنّها ليست من الحيوان

يقول: نظروا إلى فوارس يعدون الموت في الحرب حياة؛ لبقاء الذكر، حتى كأنهم ليسوا من الحيوان، لأن الحيوان إذا مات ينسى.

ما زلت تضربهم دراكاً في الذّرى ضرباً كأنّ السّيف فيه اثنان

روى: في الذرى أي رءوس القوم، أو رءوس الجبال. وروى: في الوغى وهي الحرب. دراكاً: أي تباعاً.

يقول: ما زلت تضربهم ضرباً في إثر ضرب، متوالياً من دون أن يتخللها، فكأنك تضربهم بسيفين.

وقيل: ما زلت تضربهم ضربةً تعمل عمل ضربتين. يعني: كأن السيف الواحد سيفان، والهاء في فيه راجع إلى الضرب.

خصّ الجماجم والوجوه كأنّما جاءت إليك جسومهم بأمان

خص السيف، أو الضرب رءوسهم ووجوههم دون أجسامهم، حتى كأنك أعطيت أجسامهم أمانك ألا تمسها بضرب.

فرموا بما يرمون عنه وأدبروا يطئون كلّ حنيّةٍ مرنان

روى يطئون من الوطء بالرجل، وروى: يطوون من طويته. والحنية: القوس. والمرنان: الكثير الرنة.
وما يرمون عنه: هو القسي التي كانوا يرمون عنها.
يقول: رموا قسيهم وانهزموا يطئون قسيهم المطوية عند الرمي.

يغشاهم مطر السّحاب مفصّلاً بمهنّدٍ ومثقّفٍ وسنان

قيل: أراد بالمطر: المطر الحقيقي. والمعنى: أصابهم المطر النازل من السحاب، مفصلاً بالسيوف والرماح، كما يفصل العقد بالدر والذهب.
يعني: كما هزمهم السلاح هزمهم أيضاً المطر.
وقال ابن جني: أراد بالسحاب: جيش سيف الدولة. شبهه بالسحاب لكثافته، ولما جعله سحاباً جعل مطره الرماح والسيوف.

حرموا الّذي أملوا وأدرك منهم آماله من عاد بالحرمان

يقول: حرموا ما كانوا يؤملونه من الظفر بك، وانهزموا، فمن كان منهم محروماً من أمله الأول أدرك أمله الثاني، من العود إلى أهله، والسلامة من القتل والأسر، وهذا مثل قولهم: من نجا برأسه فقد ربح.

وإذا الرّماح شغلن مهجة ثائرٍ شغلته مهجته عن الإخوان

يقول: إنهم جاءوا يطلبون بثأر من قتلت منهم، فلما وقعت الرماح في قلوبهم اشتغلوا بأنفسهم ونسوا إخوانهم الذين يطلبون ثأرهم. وهذا من قول الله تعالى "لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ".

هيهات ! عاق عن العواد قواضبٌ كثر القتيل بها وقلّ العاني

العواد: الرجوع، وهو مصدر عاود يعاود معاودةً وعواداً وهي ها هنا من: عاود. وروى مكانه: الرجوع والعاني: الأسير.
المعنى كما قال: وأدرك منهم آماله من عاد بالحرمان فقال: ما أبعد عليهم الرجوع ! وقد عاقهم عن ذلك سيوفك التي كثرت القتل فيهم، فكان من قتل منهم أكثر ممن أسر.

ومهذّبٌ أمر المنايا فيهم فأطعنه في طاعة الرّحمن

ومهذب: هو سيف الدولة، عطف على قواضب.

يقول: منعهم عن الرجوع إلى ديارهم رجل مهذب صفي من كل عيب، أمر الموت بقبض أرواحهم فأطاعه الموت في طاعة الله تعالى؛ لأن قتلهم طاعةً، وفيه رضى الله تعالى.

قد سوّدت شجر الجبال شعورهم فكأنّ فيه مسفّة الغربان

الهاء في فيه للشجر. والمسفة: الدانية من الأرض.

يقول: إن شعورهم سودت أشجار الجبال؛ لأنها متعلقة بها، فكأن عمومها الأشجار، غربان دانية من الأرض، واقفة على الأشجار.

وجرى على الورق النّجيع القاني فكأنّه النّارنج في الأغصان

يقول: جرى دمهم على الأوراق، فثمرت به، فأشبه الدم عليها، النارنج على الأغصان.

والمعنى: أن الشعور تعلقت بالشجرة فأشبهت الغربان على الأشجار، والدماء تطايرت فخضبت ورق الأغصان.

إنّ السّيوف مع الّذين قلوبهم كقلوبهنّ إذا التقى الجمعان

يقول: إن السيوف، إنما تعمل إذا كانت مع الشجعان الذين قلوبهم في المضاء كقلوب هذه السيوف عند اجتماع الجيشين.

تلقى الحسام على جراءة حدّه مثل الجبان بكفّ كلّ جبان

التاء: للخطاب، ومعناه: تلقى أيها السامع السيف القاطع مع جراءته في الحد، غير عامل، إذا كان في يدي الجبان، حتى كأنه جبان مثله.

وقيل: التاء ضمير السيوف.

يعني: أن السيوف التي في أيدي أصحاب سيف الدولة، الذين قلوبهم كقلوبها، تلقى سيوف الروم - مع جراءة حدها - غير قاطعة، فكأنها جبان مثل أصحابها الحاملين لها، وجبن السيوف: قلة المضاء.

رفعت بك العرب العماد وصيّرت قمم الملوك مواقد النّيران

العماد: عماد البيت، ويعبر به عن الشرف؛ لأن الرجل إذا كان شريفاً، كان عماد بيته رفيعاً. ومنه يقال في المدح: هو رفيع العماد، أي شريف، كثير الرماد. والقمم: جمع قمة، وهي وسط الرأس.

يقول: إن العرب تشرفت بك، وقتلت الملوك، فجعلوا هامهم أثافي لقدورهم.

أنساب فخرهم إليك وإنّما أنساب أصلهم إلى عدنان

عدنان: أبو العرب كلها.

يقول: العرب تنتسب إليك من حيث الفخر، وتنتسب إلى عدنان من جهة النسب: فكما أن عدنان أصل نسبها، فإنك أصل فخرها وشرفها.

يا من يقتّل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

يقول: أنت تعم الناس بالقتل، فتقتل الأعداء بسيفك، والأولياء بإحسانك؛ من حيث الاستعباد، وأنا من جملة قتلى إحسانك.

فإذا رأيتك حار دونك ناظري وإذا مدحتك حار فيك لساني

يقول: إذا رأيتك تحير ناظري دونك، فلا يمكنني أن أنظر إليك ملء عيني؛ لهيبتك، وكثرة مآثرك، وإذا أردت مدحك حار في وصفك لساني، وعجز عن استيفاء مدحك عبارتي وبياني.

وتحدث بحضرة سيف الدولة: أن البطريق أقسم عند ملكه أن يعارض سيف الدولة في الدرب، ويجتهد في لقائه، وسأله إنجاده ببطارقته وعدده، فخيب الله ظنه وأتعس جده.

فقال أبو الطيب وأنشده إياها بحلب سنة خمس وأربعين وثلاث مئة. وهي آخر قصيدة قالها عند سيف الدولة.

قال ابن جني: قلت لأبي الطيب وقت قراءة هذه القصيدة عليه: إنه ليس في جميع شعرك أعلى كلاماً من هذه القصيدة، فاعترف بذلك وقال: كانت وداعاً.

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم ؟

يقول: عاقبة اليمين على عاقبة الحرب ندامة؛ لأنه إذا حلف على لقاء من لا يقاومه انهزم، وكان انهزامه أشنع، والملامة فيه أوقع، فيكون عاقبة اليمين الحنث واللوم، وعاقبة الحرب الانهزام، وهذا أشد من الانهزام بلا يمين، والقسم لا يزيد شجاعة الإنسان إذا لم يكن في نفسه شجاعة، يمكنه بها مقاومة خصمه. وعلى في قوله: على عقبى الوغى متعلق بلفظ اليمين.

وفي اليمين على ما أنت واعده ما دلّ أنّك في الميعاد متّهم

يقول للبطريق: إن يمينك يدل على تهمتك في نفسك، فيما تعده من الإقدام، فلو كنت تصدق في وعدك لم تحتج إلى اليمين لرفع التهمة.

آلى الفتى ابن شمشقيقٍ فأحنثه فتىً من الضّرب ينسى عنده الكلم

الكلم: جمع كلمة.

يقول: حلف ابن شمشقيقٍ على الإقدام على سيف الدولة، فأحنثه سيف الدولة، وحال بينه وبين مراده، بضرب ينسى عنده الأيمان، فلما ضربه بسيفه نسي يمينه وفر من بين يديه.

وفاعلٌ ما اشتهى يغنيه عن حلفٍ ... على الفعال، حضور الفعل والكرم

وفاعل: عطف على فتى.

يقول: أحنثه فاعل يفعل كل ما اشتهاه، لا يحتاج فيه إلى اليمين، بل يغنيه عن اليمين حضور ذلك الفعل الذي أراده، ويغنيه عنها أيضاً كرمه ومضاء عزمه، فهو إذا هم بأمر أمضاه.

كلّ السّيوف إذا طال الضّراب بها ... يمسّها غير سيف الدّولة السّأم

السأم: الملال.

يقول: كل السيوف إذا طال عليها الضرب تكل وتعجز عن القطع، إلا سيف الدولة فإنه لا يمل.

لو كلّت الخيل حتّى لا تحمّله ... تحمّلته إلى أعدائه الهمم

قال ابن جني: اختار أبو الطيب في تحمله الرفع لأنه فعل الحال، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله.

يقول: لو كلت خيله وعجزت عن حمله إلى أعدائه لكانت همه وصحة عزائمه تحمله إليهم ليحاربهم.

أين البطارق والحلف الّذي حلفوا ... بمفرق الملك والزّعم الّذي زعموا

البطارق، والبطاريق: جمع بطريق، وهو القائد للروم. والزعم: أكثر ما يستعمل في القول من غير علم.

يقول: أين يمين قواد الملك حين حلفوا برأسه، وزعموا أنهم يثبتون لسيف الدولة ؟!

ولّى صوارمه إكذاب قولهم ... فهنّ ألسنةٌ أفواهها القمم

فاعل ولي ضمير سيف الدولة ومعناه: فوض إليه. وصوارمه: مفعوله الأول وإكذاب: المفعول الثاني.

يقول: فوض إلى سيفه تكذيب قول البطاريق، فالسيوف بمترله الأفواه، فكأنها تكلمت في رءوسهم فقال لهم: كذبتم في يمينكم. ووجه التشبيه: أن السيوف تتقلقل فيها فيسمع عند وقعها في العظام ما يعلم منه كذبهم، فينوب ذلك عن قوله لهم: كذبتم.

نواطقٌ مخبراتٌ في جماجمهم ... عنه بما جهلوا منه وما علموا

يقول: هذه السيوف تنطق في جماجمهم، وتخبرهم عن سيف الدولة ما علموا من أحواله، وما جهلوا من أخباره.

الرّاجع الخيل محفاةً مقوّدةً   من كلّ مثلٍ وبارٍ أهلها إرم

المحفاة: التي أحفاها الركض، يقال: حفى الفرس: إذا رق حافره، وأحفاه فارسه. ووبار من مدائن قوم عاد، خربت، وهي بين اليمن وعمان، والعرب تزعم أنها من مساكن الجن. وإرم: قوم عاد.

يقول: إن سيف الدولة هو الذي يرجع الخيل من الغزو، وقد أحفاها طول السير، حتى نزل فارسها عنها، فقادها رفقاً بها، بعد ما خرب أرض العدو، وأهلك، أهلها فترك تلك الأرض خراباً مثل وبار، وأهلها هلكى مثل إرم

كتلّ بطريقٍ المغرور ساكنها   بأنّ دارك قنّسرون والأجم

قنسرون: بفتح النون الأولى. قال ابن جني: وكان المتنبي يكسرها. والأجم: موضع. وتل بطريق: مدينة خربها سيف الدولة.

يقول: إنه يخرب أرض العدو ويهلك أهلها كما خرب تل بطريق التي اغتر أهلها ببعدك عنهم وأنك في قنسرين، فقد رأوا أنك لا تقدر على أن تصل إليهم، فقصدتهم وخربت بلادهم.

وظنّهم أنّك المصباح في حلبٍ   إذا قصدت سواها عادها الظّلم

وظنهم: عطف على قوله: بأن دارك.

يقول: اغتروا أيضاً بظنهم أنك لا تقدر أن تفارق حلب؛ خوفاً من أن تضطرب وتستولي عليها الأعداء، فلا يمكنك العود إليها، فشبهه فيها بالمصباح لأنه ينفي عنها ظلم الفتنة، كما ينفي المصباح ظلمة الليل.

والشّمس يعنون إلا أنّهم جهلوا   والموت يدعون إلا أنّهم وهموا

يقول: جهلوا حيث شبهوك بالمصباح، ولم يعلموا أنك كالشمس، يعم نورها الأرض وتضيء الدنيا وهي بعيدة، وكذلك أنت تسوس جميع ممالكك وتدبر أحوال الناس وإن كنت بعيداً عنهم، وكذلك أنت كالموت لا كالمصباح، فغلطوا في تشبيهك بالمصباح، ولم يعلموا أنك كالموت لا يمتنع منك أحد ولا يبعد عليك متناوله.

فلم تتمّ سروجٌ فتح ناظرها   إلا وجيشك في جفنيه مزدحم

سروج: مدينة، والهاء في ناظرها تعود إلى سروج. وفي جفنيه للناظر.

يقول: كانوا يغترون ببعدك منه فجئت إليهم أسرع من فتح سروج عينها، حتى ازدحم جيشك في عينها.

وقيل: أراد بازدحام الجيش في جفني الناظر عبارة عن امتلائهما بالغبار المرتفع من أرجل الخيل.

وقيل: معناه لم تصبح سروج إلاّ وخيلك مزدحمة عليها، فجعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر من النوم.

والنّقع يأخذ حرّاناً وبقعتها والشّمس تسفر أحياناً وتلتثم

النقع: الغبار. وحران: مدينة بالشام. والبقعة: بضم الباء، أرض يخالف لونها لون ما حولها.

وذكر أبو العلا المعري: أنه بفتح الباء وهكذا يروي قال: وهو موضع يقال له بقعة حران، وهذا أحسن لأنه لو لم يرد مكاناً مخصوصاً لم يكن لذكرها فائدة، لأن النقع إذا أخذ حران فقد أخذ بقعتها وإن لم تذكر.

يقول: جئت إلى سروج وعم غبار خيلك حران وسترها، وكانت الشمس تارة تظهر، حين انحسر عنها الغبار، وتارةً تستتر، حين تكاثف الغبار.

سحبٌ تمرّ بحصن الرّان ممسكةً وما بها البخل لولا أنّها نقم

حصن الران: من أعمال سيف الدولة.

يقول: كانت خيلك تمر بحصن الران كالسحاب، لأنها كانت تمطر النقم والهلاك، غير أنها كانت ممسكة عن الأمطار، وليس الإمساك عن بخل، ولكن ما فيها كانت نقماً وعقوبات، فلم تصبها على حصن الران؛ لأنها لم ترد هلاكها وهلاك أهلها.

جيشٌ كأنّك في أرضٍ تطاوله فالأرض لا أممٌ والجيش لا أمم

الأمم: القصد، والقرب. وتطاوله: فعل الأرض، والهاء: للجيش.

يقول: إن الجيش جيش ممتد متباعد الأطراف، يسير في أرض كذلك، فالأرض تطاول الجيش وتباريه في الطول، فلا الأرض متقاربة الطول، ولا الجيش، بل كلاهما طويل ممتد.

إذا مضى علمٌ منها بدا علمٌ وإن مضى علمٌ منه بدا علم

منها يعود إلى الأرض. والعلمان: كل واحد منهما الجبل. والهاء في منه تعود إلى الجيش. والعلمان: كل واحد منهما العلم المعروف: الذي هو الراية.

يقول: إذا غاب جبل من هذه الأرض بدا جبل آخر، وإذا مضت راية من جيشك بدت راية أخرى.

وشزّبٌ أحمت الشّعري شكائمها ووسّمتها على آنافها الحكم

الشزب: جمع الشازب، وهو الفرس الضامر. وقوله: أحمت الشعري شكائمها إنما قال ذلك؛ لأن طلوع الشعري يكون في شدة الحر، فأضاف الفعل إليها. والشكيمة: رأس اللجام. وقوله: فوسمتها. من السمة التي هي الكي. والحكم: جمع حكمة وهي ما على أنف الدابة.

يقول عطفاً على ما قبله: وظهرت خيل ضامرة وقد أحمت شدة الحر شكائمها، حتى صارت كالمكاوي، فوسمت أنوفها.

حتّى وردن بسمنينٍ بحيرتها تنشّ بالماء في أشداقها اللّجم

تنش: من النشيش، وهو صوت القلي، وصوت الحديد المحمي، إذا ألقى في الماء. وفاعل تنش: اللجم.
يقول: وردت خيلك بحيرة سمنين، وقد حميت شكائمها من شدة الحر، فلما شربت الماء، جعلت لجمها تنش في الماء نشيش الحديد المحمي إذا ألقي في الماء.

وأصبحت بقرى هنزيط جائلةً ترعى الظّبا في خصيبٍ نبته اللّمم

فاعل ترعى ضمير الخيل: أي أمهار راعية السيوف، مسببة لها في المرعى.
يقول: أصبحت الخيل جائلة في قرى هنزيط، تغير وتقتل، وأرسلت السيوف ترعى في منبت خصيب، وهي الرءوس: خصيبة بالشعور.
وقيل: إن فاعل ترعى الظبا أي كانت الظبا ترعى في رءوسهم الخصيبة من الشعور.

فما تركن بها خلداً له بصرٌ تحت التّراب ولا بازاً له قدم

الخلد: فأرةٌ عمياء فما تركن: أي الغارة والسيوف. وبها أي بقري هنزيط.
يقول: لم تترك الخيل والسيوف بقرى هنزيط شيخاً متوارياً من الأعداء منجحرا كالخلد في بطن الأرض إلا أنه ذو بصر، ولا شابا خفيفاً توغل في الجبال وتحصن بها كالباز، إلا أن طيرانه بقدم.
شبه المتوارين في البراري بخلد ذي بصر، والمتحصنين بالجبال بباز ذي قدم، إزاله للتوهم أنه خلد حقيقي، أو باز حقيقي، وبياناً أنه قصد به التشبيه والاستعارة.

ولا هزبراً له من درعه لبدٌ ولا مهاةً لها من شبهها حشم

اللبد: جمع لبدة الأسد، وهي ما تلبد على كتفه من وبره. والمهاة: البقرة الوحشية. والحشم: حاشية الرجل.

يقول: ما تركت بها شجاعاً أيضا مثل الأسد، عليه - مكان لبدته - درع، ولا امرأة كالمهاة ولها من أمثالها خدم.

ترمى على شفرات الباترات بهم　　　مكامن الأرض والغيطان والأكم

الباء في بهم متعلق بترمى بهم: أي بالأعداء.

يقول: إن الأرض ترمى بالأعداء على شفار السيوف، وكل موضع استتروا فيه وهربوا إليه استخرجتهم الخيل وقتلتهم، فلم تكتمهم مكامن الأرض، ولا واراهم الغيطان، ولا حصنتهم الآكام.

وجاوزوا أرسناساً معصمين به　　　وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم ؟ !

أرسناس: نهر عظيم. معصمين به: أي ممتنعين به.

يقول: لما عبروا أرسناس ظنوا أنه يحول بينك وبينهم، وكيف يعصمهم منك وهو لم يمكنه أن يعصم نفسه منك ؟! لأنك عبرته بخيلك، فلم يقدر على الامتناع عليك.

وما يصدّك عن بحرٍ لهم سعةٌ　　　وما يردّك عن طودٍ لهم شمم

الشمم: الارتفاع.

يقول: لا يمنعك عن بحر الأعداء سعته، ولا يردك عن جبلهم ارتفاعه.

ضربته بصدور الخيل حاملةً　　　قوماً إذا تلفوا قدماً فقد سلموا

حاملةً: نصب على الحال. وقوماً: نصب بحاملة. أي يحمل قوماً صفتهم ما بعده.

يقول: ضربت أرسناس بصدور الخيل وكانت تحمل من أصحابك قوماً يعدون التلف في الحرب سلامة، فيسرون به كما يسرون بالسلامة.

تجفّل الموج عن لبّات خيلهم　　　كما تجفّل تحت الغارة النّعم

تجفل: أي أسرع في الذهاب.

يقول: إن الموج كان يتفرق يميناً وشمالاً عن صدور الخيل بالسرعة، كما تتفرق الإبل عند الإغارة عليها.

عبرت تقدمهم فيه وفي بلدٍ　　　سكّانه رممٌ، مسكونها حمم

يقول: عبرت هذا النهر، وأنت تتقدم الجيش، وتقدمتهم أيضاً في بلد أحرقته حتى صار كالفحم، وصار أهلها رميما.

وفي أكفّهم النّار الّتي عبدت　　　قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم

يقول: عبرت هذا النهر بخيلك، وفي أيديهم السيوف المجردة، وشبهها بالنار لبريقها، ولما جعلها ناراً جعلها معبوداً من قبل المجوس الذين يعبدون النار.

يعني: أن المجوس دانوا لها وخضعوا لشعارها من أول الدهر إلى يومنا هذا.

وقبل: تم الكلام عند قوله: وفي أكفهم النار التي عبدت ثم قال: قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم.

يعني: أن السيوف مضطرمة متألقة قبل زمان المجوس إلى زماننا هذا. فكأنه يقول: إن السيوف كالنيران الحقيقية، وهي النيران المعبودة. ثم بين أن اضطرامها تقدم زمان المجوس، يعني: أن سيوفه عتيقة.

هنديّةٌ إن تصغّر معشراً صغروا بحدّها أو تعظّم معشراً عظموا

يقول: هذه النارة هندية: أي سيوف مطبوعة بالهند، فهي تصغر المقتول وتعظم القتال، ويدرك بها العز والشرف.

قاسمتها تلّ بطريقٍ فكان لها أبطالها ولك الأطفال والحرم

يقول قسمت أهل هذه البلد بينك وبين سيوفك، فأعطيتها الأبطال، وأخذت لنفسك النساء والأطفال.

تلقى بهم زبد التّيّار مقربةٌ على جحافلها من نضحه رثمٌ

التيار: الموج. والمقربة: ها هنا، هي السفن. والرثم: بياض في شفة الفرس العليا. والضمير في بهم يعود إلى أصحاب الخيل وإلى السبى.

يقول: سبيت الأطفال والحرم، وشحنت بهم السفن، وعبرت بهم النهر. وشبه السفن في النهر بالخيل المقربة، وشبه زبد الماء على مقاديم السفن بالرثم، وجحافل الخيل: أراد بها الخيل نفسها.

دهمٌ فوارسها ركّاب أبطنها مكدودةٌ وبقومٍ لا بها الألم

يقول: إن هذه الخيل دهم. يعني: أن السفن مطلية بالقار، وفوارسها يركبون بطونها، بخلاف الخيل التي يركب ظهورها، وهي مكدودة في السير، ولكن ليس بها ألم الكد، وإنما يلحق الكد والتعب قوماً آخرين، وهم الملاحون.

من الجياد الّتي كدت العدوّ بها ومالها خلقٌ منها ولا شيم

يقول: هذه السفن، هي بعض خيلك التي تكيد بها عدوك، ولكنها لا تشبهها في الخلقة ولا في الطبع.

نتاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ   كلفظ حرفٍ وعاه سامعٌ فهم

يقول: هذه السفن كانت نتيجة رأيك لما أردت أن تعبر النهر بالسبي، أنشأتها في أسرع وقت، وكانت المدة في اتخاذها، في القصر كمدة فهم السامع كلمة نطق بها الناطق.

وقد تمنّوا غداة الدّرب في لجبٍ   أن يبصروك فلمّا أبصروك عموا

في لجب: أي في اختلاط أصوات. وروى: في لجب: أي في جيش ذا لجب.

يقول: كانوا يتمنون لقاءك حين كانوا على الدرب، فلما عاينوك عموا: أي ماتوا، فزالت أبصارهم.

وقيل: تحيروا لما نظروا إليك فلم يملكوا أبصارهم.

وقيل: عموا عن الرأي؛ لما لحقهم من الخذلان.

صدمتهم بخميسٍ أنت غرّته   وسمهريّته في وجهه غمم

وروى صبحتهم بدل صدمتهم والغمم: كثرة الشعر على الناصية والقفا، شبه الجيش بفرس، وشبه سيف الدولة بغرته، والرماح بشعر ناصيته، وإنما شبهه بالغرة لتقدمه على الجيش، أو لأنه كان يزين الجيش كما تزين الفرس غرته

فكان أثبت ما فيهم جسومهم   يسقطن حولك والأرواح تنهزم

يقول: كانت جسومهم أثبت شيء منهم؛ لأنها إذا سقطت عن الدواب ثبتت مكانها، والأرواح كانت تطير ولا تستقر.

والأعوجيّة ملء الطّرق خلفهم   والمشرفيّة ملء اليوم فوقهم

الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى أعوج، وهو فرس كريم كان لكندة، فأخذه بنو سليم في بعض أيامهم، فصار إلى بني هلال.

يقول: انهزموا وتبعتهم خيلك وكانت تملأ الطرق، لانبساطها على وجه الأرض. ولما كانت السيوف تعلوا في الجو، جعلها ملء النهار لأنه ما بين السماء والأرض ولأن النهار من الشمس والشمس تعلو.

إذا توافقت الضّربات صاعدةً   توافقت قللٌ في الجوّ تصطدم

يقول: إذا اتفقت الضربات في الصعود إلى الرءوس: أي وقعت في وقت واحد، توافقت الرءوس في انحدارها، ويصطدم بعضها ببعض، وإنما قال: صاعدة لأن الحذاق يضربون السيوف من تحت إلى فوق وصاعدة نصب على الحال.

وأسلم ابن شمشقيقٍ أليّته   ألاّ انثني فهو ينأى وهي تبتسم

يقول: انهزم وترك يمينه التي حلف، ألا انثني عنك، فكان يبعد هو في الهرب ويمينه تبسم من عمله بها.

لا يأمل النّفس الأقصى لمهجته فيسرق النّفس الأدنى ويغتنم

يقول: هو يتوقع القتل، ولا يطمع في أن يبقى، وهو النفس الأقصى، فيسرق النفس الأدنى: أي الأقرب منه ويعده غنيمة، ولا يأمل أن يتنفس نفساً بعده.

تردّ عنه قنا الفرسان سابغةٌ صوب الأسنّة في أثنائها ديم

السابغة: الدرع، وهي فاعلة ترد والهاء في عنه للبطريق.

يقول: إن الخيل كانت في إثره تطعن ظهره وهو منهزم، ولكن رد عنه رماح الفرسان درعه المحكمة، مع أن وقع الأسنة عليها في الكثرة كوقع المطر.

تخطّ فيها العوالي ليس تنفذها كأنّ كلّ سنانٍ فوقها قلم

فيها: أي في السابغة.

يقول: إنها درع حصينة، فكانت الرماح تخط عليها خطاً ولا تنفذها، كما يخط القلم على الألواح ولا ينفذها.

فلا سقى الغيث ما واراه من شجرٍ لو زلّ عنه لوارى شخصه الرّخم

روى: لوارى ولوارت وجسمه وشخصه وروى الرجم أي القبر والحجارة. وما في موضع نصب، لأنه مفعول سقي.

يعني: أنه لولا دخوله فيما بين الأشجار. وتواريه، لكان يقتل، ولكانت الرخم تأكله وتوارى شخصه، أو يواريه قبره فلا سقى الله هذا الشجر.

ألهى الممالك عن فخرٍ قفلت به شرب المدامة والأوتار والنّغم

الممالك: أي أهل الممالك، فحذف المضاف.

يقول: شغل الملوك عن هذا العز الذي رجعت به، شربهم المدام، واشتغالهم بسماع اللهو، وأصوات أوتار البربط والعود والنغم، وهي الأصوات الطيبة.

مقلّداً فوق شكر الله ذا شطبٍ لا تستدام بأمضى منهما النّعم

مقلداً: نصب على الحال، أي قفلت مقلداً. وشطب السيف: طرائقه.

يقول: قفلت من الغزو، وأنت مقلداً سيفاً ذا شطب، فوق شكر الله تعالى على ما أولاك من الظفر

وكساك من النصر، فجعلت الشكر دثاراً والسيف شعاراً.

ثم قال: إن النعم لا تستدام بشيء أمضى من شكر الله تعالى، ومن السيف القاطع؛ لأن الشكر يحرس النعم من الزوال ويحفظها من حوادث الأيام والانتقال والسيف يذب عنها كيد الحساد فتدوم النعم.

ألقت إليك دماء الرّوم طاعتها فلو دعوت بلا ضربٍ أجاب دم

يقول: دماء الروم تطيعك، فلو دعوتها بلا سيف لاجابتك.

يعني: أنك قدرت على سفك دمائهم على أي وجه أردت.

يسابق القتل فيهم كلّ حادثةٍ فما يصيبهم موتٌ ولا هرم

يقول: القتل يسبق إلى الروم كل حادثة، فيميتهم القتل قبل أن يصيبهم شيب ولا هرم، ولا شيء من حوادث الأيام.

نفت رقاد عليٍّ عن محاجره نفسٌ يفرّح نفساً غيرها الحلم

يقول: نفي عن عينه النوم نفسه النفيسة، وهمته العالية، وكل نفس غيرها تسر بالأحلام الكاذبة.

القائم الملك الهادي الّذي شهدت قيامه وهداه العرب والعجم

يقول: هو قائم بشرائط الملك ومدبر لأمر رعيته، وهاد إلى معالم الدين، وقد حضرت ذلك منه، وعلمته سائر العرب والعجم.

ابن المعفّر في نجدٍ فوارسها بسيفه وله كوفان والحرم

يقول: هو ابن الذي قتل فرسان نجد، وعفرهم بالتراب، وهو قد ملك الكوفة والحجاز واستولى عليهما وكوفان: هي الكوفة ونواحيها. والحرم: مكة والمدينة. وأراد بما ذكر محاربة أبي الهيجاء والد سيف الدولة للقرامطة أصحاب الأحساء والبحرين.

وروى: وابن المعقر بالقاف وهو المقطع، من عقرت الدابة.

لا تطلبنّ كريماً بعد رؤيته إنّ الكرام بأسخاهم يداً ختموا

يخاطب نفسه أو صاحبه يقول: لا تطلب أحداً كريما بعد رؤيته فإن الكرام ختموا بأسخاهم، وهو سيف الدولة.

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتّى أحمد الصّمم

الهاء في شاعره لسيف الدولة، وأحمد الصمم أي وجد محموداً.

يقول: لا تفكر في شعر بعد شاعر سيف الدولة، وعنى به نفسه، فإن الشعراء قد ختموا به كما ختم

الكرام بسيف الدولة، وهو خاتم الكرام وأنا خاتم الشعراء، وقد أفسد الشعر حتى صار الصمم محموداً، لأن الإنسان إذا سمع شعر أهل هذا العصر، تمنى أن يكون أصم لا يسمع لفساده واختلاله.
بذا آخر مدائحه في سيف الدولة، وما قاله فيه بحلب.
ثم مدحه بمصر بهذه الدالية.

فارقتكم فإذا ما كان عندكم　　　قبل الفراق أذىً بعد الفراق يد

يقول معرضاً بسيف الدولة: كانت منكم أحوال أكرهها، فأعدها قبل الفراق أذى، فكنت أتأذى، فلما فارقتكم صارت تلك الإساة والأذى نعمة إلي وإحساناً، من حيث إني إذا تذكرتها أزالت عني الشوق: وقيل: إن معناه، شكرتكم قبل أن أجرب غيركم، فعلمت أن ما ظننته أذىً كان نعمة.

إذا تذكّرت ما بيني وبينكم　　　أعان قلبي على الشّوق الّذي أجد

يقول: كلما اشتد حزني على مفارقتكم، وغلب علي الاشتياق إليكم، تذكرت ما كنتم تعاملونني به من الإساءة، فأتسلى وتطيب نفسي لفراقكم، فيكون الأذى من هذه الجهة نعمة ويداً.
وعلى الثاني: إذا تذكرت ما بيننا من الأحوال زادني الشوق والحزن على الفراق.

وتوفيت أخت سيف الدولة الكبرى، بميافارقين من ديار بكر لثلاث بقين من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وورد الخبر إلى العراق فقال أبو الطيب يرثيها في شعبان. وأملاها لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة:

يا أخت خير أخٍ، يا بنت خير أبٍ،　　　كنايةً بهما عن أشرف النّسب

كنيت الشيء وكنيت عنه: إذا تركت التصريح به، وعبرت بلفظ آخر يؤدي معناه. ونصب كناية على المصدر.
المعنى: أراد أن يقول: يا أخت سيف الدولة، ويا بنت أبي الهيجاء، فكنى بذلك عن قوله: يا أخت خير أخ يا بنت خير أب وأراد التصريح باسمها فعبر عنه بهذه العبارة، ثم قال: كناية بهما.
يعني: إذا قلت ذلك علم أن نسبها أشرف النسب، والغرض انتسابها إليهما لا يخص الأب وحده، وجعل كونها أختاً له: نسباً لها وهذا تعظيم شأن سيف الدولة.

أجلّ قدرك أن تسمى مؤبّنةً　　　ومن يصفك فقد سمّاك للعرب

روى: أن تسمي وأن تدني وهما متقاربان. يقال: أسميته بكذا وسميته به، وقد جمع بينهما في البيت.
والتأبين: مدح الميت. ومؤبنة: نصب على الحال.
يقول: أجل قدرك أن أذكر اسمك في مرثيتك، ولكني إذا وصفت ما فيك من المحاسن والمناقب، عرفتك العرب، لأن ذلك لا يوجد في غيرك.
وقيل اراد: أني أصفك بقولي يا أخت خير أخ، يا بنت خير أب، وهذه صفة يقع بها التمييز بينك وبين سائر النساء؛ لأن هذه الصفة ليست إلا لك خاصة. وإنما أعرض عن تسميتها؛ لأن تسمية النساء من قلة المروءة ما وجد إلى تعريفها - بغير التسمية - سبيلا، أو لأجل أن سيف الدولة ربما لحقته الغيرة إذا سمع التصريح باسمها، أو لأجل أنه أراد أن يعد محاسنها، والتعريف بالأوصاف المحمودة أجل من ذكر اللقب المحض الذي لا مدح تحته. ومثله لأبي نواس:

فهي إذا سمّيت فقد وصفت — فيجمع الاسم معنيين معا

وأبو الطيب - رحمة الله - قلده.

لا يملك الطّرب المحزون منطقه — ودمعه وهما في قبضة الطّرب

الطرب: خفة تصيب الإنسان من فرط الفرح، أو الجزع. والطرب: اسم فاعل منه.
يقول: الرجل الذي غلب الحزن على قلبه لا يملك منطقه ودمعه؛ لأنهما في قبضة الطرب، فهو مغلوب لا فعل له في ذلك.

غدرت يا موت كم أفنيت من عددٍ — بمن أصبت وكم أسكتّ من لجب ؟ !

اللجب: الصوت في الحرب.
يقول: يا موت غدرت بهذه المتوفاة: بعد أن كنت تصل بها إلى إفناء الأعداء: الذين هم الكفار، وإلى إسكات لجبهم، لأنها تجهز الجيش، وتنفق في سبيل الله تعالى.
وقيل: إن المعنى أنك أفنيت بإفنائها كثيراً من الناس، وأسكت أصواتهم، لأنهم ماتوا بموتها، لأن حياتهم كانت بها. وهذا مثل قول الآخر:

ولكنّ الرّزيّة فقد حيٍّ — يموت بموته بشرٌ كثير

ومثله قول الآخر:

فما كان قيسٌ هلكه هلك آدم — ولكنّه بنيان قومٍ تهدّما

وكم صحبت أخاها في منازلةٍ — وكم سألت فلم يبخل ولم تخب

يقول: يا موت كم صحبت أخاها في الحروب ؟! وكم سألته أن يمكنك من تناول الأبطال فلم يبخل ؟! هو بما سألت، ولم تعد خائباً في سؤالك عنه، ثم غدرته ونقضت ما كان بينكما من المواصلة.

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

خبر: مرفوع بجاءني. وفي طوى ضمير على شريطة التفسير. وفي قول الكوفيين مرفوع بالفعل الأول وجاءني مسند إلى ضميره: أي حتى جاني هو. والجزيرة: مدينة معروفة على شط دجلة بين الموصل وميافارقين.

يقول: جاءني خبر موهّا من الشام وقطع الجزيرة حتى وصل إلي، فلما سمعته التجأت إلى التعلل بالآمال الكاذبة فقلت: لعله يكون كذباً، فلم ينفعني ذلك.

حتّى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدّمع حتّى كاد يشرق بي

يقول: فلما تحققت صدقه، ولم يبق فيه موضع أمل بكيت جزعاً، حتى سار دمعي وجرى في حلقي وشرقت، ثم زاد وفاض، حتى غمرني، فصرت في وسطه كالجرعة من الماء في الحلق.

تعثّرت به في الأفواه ألسنها والبرد في الطّرق والأقلام في الكتب

حذف الياء من به ضرورة، واكتفى بالكسرة عنها. وروى: تعثرت بك فيكون عدولا عن الغائبة إلى مخاطبة الخبر، والهاء في به تعود إلى الخبر.

يقول: لعظم هذا الخبر تعثرت الألسن في الأفواه، فلم تقدر على أن تنطق به إذا أرادت الإخبار عنه، وكذلك البرد الذي تحملت هذا الخبر تعثرت في الطرق، وتعثرت الأقلام في الكتب، فلم تقدر أن تكتب هذا الخبر.

كأنّ فعلةً لم تملأ مواكبها ديار بكرٍ ولم تخلع ولم تهب

لما لم يصرح باسمها كنى عنه، وذكر وزنه من الفعل وكان اسمها خولة وديار بكر: ما بين الشام والعراق.

يقول: إنها ملأت ديار بكر بجيوشها، ووهبت الأموال، وخلعت، ثم زال ذلك كله بموها، فكأنها لم تفعل شيئاً من ذلك.

ولم تردّ حياةً بعد تولية ٍ ولم تغث داعياً بالويل والحرب ٍ

يقو: كأنها لم ترد حياةً على رجل بعد ما ولت عنه حياته. يعني: رجلاً أشرف على الهلاك، فأزالت عنه هلاكه، فكأنها ردت إليه حياته، وكأنها لم تغث ملهوفاً يقول: يا ويلاه ويا حرباه ! يعني: أنها كانت تفعل ذلك، فبطل ذلك بموتها.

أرى العراق طويل اللّيل مذ نعيت فكيف ليل فتى الفتيان في حلب ؟ !

يقول: لما أخبرت بموتها طال علي الليل وأنا بالعراق لما دخل علي من الأسف، فكيف حال أخيها وهو في حلب ؟! يعني: إذا انت هذه حالي في طول الليل فليله أطول.

يظنّ أنّ فؤادي غير ملتهبٍ وأنّ دمع جفوني غير منسكب

أي: ايظن سيف الدولة أن فؤادي غير محترق بالحزن، وأن دمعي غير سائل على فقدها ؟!

بلى وحرمة من كانت مراعيةً لحرمة المجد والقصّاد والأدب

يقول: ليس الأمر كما يظن أني لم أتأسف على فقدها، بل تأسفت على فقدها ثم حلف بحرمتها فقال: وحرمة هذه المرأة التي كانت مراعية لحرمة المجد وحقوق القصاد، وحق الأدب، أن فؤادي ملتهب ودمعي منسكب لعموم هذه المصيبة القريب والبعيد.

ومن مضت غير موروثٍ خلائقها وإن مضت يدها موروثة النّشب

النشب: المال ومن في موضع الخبر، عطفاً على قوله: من كانت.

يقول: وحرمة من مضت، وخلائقها غير موروثة؛ لأنها لا توجد إلا فيها، وإن مضت هي موروثة المال، وأضاف النشب إلى اليد، لأن الكسب والتصرف في الغالب يقع بها. يعني إن لم تورث خلائقها فقد ورث مالها. وقد روى: مردودة النشب.

يعني: أن سماحتها التي ورثتها عن آبائها ردت عليها حياتها، حسن الذكر كما قال:

ردّت صنائعه إليه حياته

وغير موروثة نصب على الحال.

وهمّها في العلا والملك ناشئةٍ وهمّ أترابها في اللّهو واللّعب

الأتراب: جمع ترب وهو اللدة وأكثر ما يكون للمؤنث.

يقول: كان همها اكتساب المعالي وهي ناشئة حديثة السن، وهم أمثالها ومن كانت في سنها: اللهو واللعب. يعني: وحرمة من كانت كذلك.

يعلمن حين تحيّا حسن مبسمها وليس يعلم إلاّ الله بالشّنب

المبسم: الثغر. والشنب: برد الريق، وقيل أراد بالشنب ها هنا: الكناية عن المال.

والمعنى: أن أترابها يعلمن حسن مبسمها حين يجئنه؛ لأنها كانت تستعمل البشر إذا حييت، وذلك عنوان العطية، فهن يعرفن هذا القدر والله يعلم ما يتبع التبسم من المال، فكنى عن ذلك بالشنب حيث ذكر المبسم.

وقيل: أراد بالشنب المعني الحقيقي. يعني: أُهن يعرفن حسن المبسم فقط، وأما طيب ريقها وبرده فلا يعلمه أحد إلا الله تعالى، ولا تعلمه النساء فضلا عن الرجال ومثله قول جميل:

لا والذي تسجد الجباه له ... ما لي بما دون ثوبها خبر

ولا بفينا ولا هممت به ... ما ان إلاّ الحديث والنّظر

ومثله لبشار:

يا أطيب النّاس ريقاً غير مختبرٍ ... لا شهادة أطراف المساويك

ولغيره:

يخبّرني المسواك عن طيب ثغرها ... وليس بها إلا السّؤال بذي خبر

مسرّةٌ في قلوب الطّيب مفرقها ... وحسرةٌ في قلوب البيض واليلب

اليلب: ترسة تعمل من جلود الإبل، وقيل جلود تضفر ويضم بعضها إلى بعض وتلبس على الرأس مثل البيضة، وقيل: تلبس إذا لم يكن لهم درع وقيل تحت الجواشن، وقيل تحت البيض.

يقول: إن الطيب يسر بحصوله في مفرقها؛ لأنها كانت تستعمل الطيب، والبيض واليلب يتحسران عليها ويحسدان الطيب؛ لأنها لا تلبسهما لكونها امرأة.

إذا رأى ورآها رأس لابسه ... رأى المقانع أعلى منه في الرّتب

التقدير والمعنى: إذا رأى البيض رأس من يلبس البيض، ورأى هذه المرأة، علم أن المقانع أعلى منزلة من البيض؛ لأنها على رأسها، وهي أشرف من الرجال الذين يلبسون البيض واليلب.

فإن تكن خلقت أنثى فقد خلقت ... كريمةً غير أنثى العقل والحسب

الحسب: ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، وقيل: هو كرم الخلق.

يقول: إنها وإن كانت أنثى، فعقلها وحسبها مثل الذكور وحسبهم.

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها ... فإن في الخمر معنىً ليس في العنب

تغلب: قبيلة؛ فلهذا أنثها فوصفها بالغلباء وهي تأنيث الأغلب والعنصر: الأصل.

يقول: هي وإن كانت من تغلب، ففيها من معاني الكمال وأنواع الخصال ما ليس في تغلب، كما أن الخمر وإن كانت من العنب، ففيها معان ليست فيه: من التفريح، والتصحيح للأبدان وطيب الرائحة، وغير ذلك. ومثله قوله في سيف الدولة:

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال

وكقوله في نفسه:

وما أنا منهم في العيش فيهم ولكن معدن الذّهب الرّغام

فليت طالعة الشّمسين غائبةٌ وليت غائبة الشّمسين لم تغب

يقول: كانت كالشمس فليتها بقيت ولم تغب، وليت الشمس التي تطلع كل يوم غابت وفقدت.

وليت عين الّتي آب النّهار بها فداء عين الّتي زالت ولم تؤب

العين الأولى: قرص الشمس، والثانية: عين المرأة المرثية.

وقيل: أراد بالعين نفس المرثية.

يقول: ليت عين الشمس التي تعود كل يوم بعد غروبها فداء عين هذه المرأة، أو فداء نفسها التي زالت بالموت ولم ترجع.

فما تقلّد بالياقوت مشبهها ولا تقلّد بالهنديّة القضب

يقول: ليس لها شبيه في النساء اللاتي يتقلدن بالحلي، ولا في الرجال الذين يتقلدون بالسيوف.

والقضيب: السيف اللطيف الدقيق.

ولا ذكرت جميلاً من صنائعها إلاّ بكيت ولا ودٌّ بلا سبب

يقول: ولم أذكر جميل صنائعها إلا بكيت، وليس ودي لها بلا سبب، بل أودها لإحسانها إلي، وكل أحد إذا ود غيره فإنما يوده بسبب.

قد كان كلّ حجابٍ دون رؤيتها فما قنعت لها يا أرض بالحجب

يقول: كانت محجوبة لا تصل إليها العيون، فلم ترض بهذه الحجب، حتى حجبتها بنفسك.

ولا رأيت عيون الإنس تدركها فهل حسدت عليها أعين الشّهب ؟ !

يقول مخاطباً للأرض: ما رأيت أحداً من الإنس يراها، فهل حسدت الكواكب على رؤيتها حتى حجبتها بنفسك عن إدراك الكواكب لها ؟!

وهل سمعت سلاماً لي ألمّ بها ؟ فقد أطلت وما سلّمت من كثب

يقول للأرض: أطلت عليها السلام، وأنا بعيد منها، فهل سمعت سلامي وصل إليها وهي في بطنك ؟

وكيف تبلغ موتانا الّتي دفنت وقد يقصّر عن أحيائنا الغيب ؟

الغيب: جمع غائب.

يقول مستبعداً لوصول سلامه إليها: كيف يصل سلامي من المكان البعيد إلى من دفن في التراب ؟ وهو يقصر عن الأحياء الغيب ! فالميت أحرى ألا يصل إليه السلام. وقيل: أراد بالحي سيف الدولة.

يا أحسن الصّبر زر أولى القلوب بها وقل لصاحبه: يا أنفع السّحب

الهاء في بها للمرأة المرثية، وفي صاحبه تعود على: أولى القلوب.

يقول: يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة، فإنه أولى القلوب بأخته، وأقربهم منها، وقل لصاحب ذلك القلب: يا أنفع السحب؛ لأن عطاياه مهنئة، بلا من ولا كدر، كالسحاب بلا صاعقة.

وأكرم النّاس لا مستثنياً أحداً من الكرام، سوى آبائك النّجب

النجب: جمع نجيب، وهو الكريم. ومستثنياً: نصب على الحال. أي قل غير مستثن.

يقول: وقل لصاحبه يا أكرم الناس كلهم، من غير أن تستثني أحداً من الكرام، سوى آبائه الكرام الذين هو ينسب إليهم.

قد كان قاسمك الشّخصين دهرهما وعاش درّهما المفديّ بالذّهب

المعنى: يا أحسن الصبر زر أولى القلوب به وقل لصاحبه: قد كان قاسمك الدهر أختيك فأخذ لنفسه الصغرى وترك لك الكبرى، فكانت كالذهب فدى به الدر. شبه الصغيرة بالذهب، والكبيرة بالدر في النفاسة.

وعاد في طلب المتروك تاركه إنّا لنغفل والأيّام في الطّلب

يقول: قد ترك لك الدهر الكبرى منهما، فعاد تاركها في طلب المتروكة. وهذا مثل قول الآخر:

وقاسمني دهري بنيّ بشطرهم فلمّا تقضّى شطره عاد في شطري

وقوله: إنا لنغفل مثل معناه: إنا غافلون عن حوادث الدهر، وهو في طلبنا، حتى يأتينا فجأة، ومثله للنمر بن تولب:

تدارك ما قبل الشّباب وبعده حوادث أيّام تمرّ وأغفل

ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنّه الوقت بين الورد والقرب

تقرب الليلة، ترد الماء في صبيحتها.

المعنى: إن الوقت بينهما كان قريباً حتى كأن الصغيرة ماتت عشية، والكبرى ماتت في صبيحة تلك العشية، وكأن ما بينهما قدر ما بين القرب والورد من الوقت.

جزاك ربّك بالأحزان مغفرةً فحزن كلّ أخي حزنٍ أخو الغضب

يقول: جزاك الله تعالى مغفرة بهذا الحزن الذي أصابك، فهو نوع من الذنب. قال الله تعالى: "لكيلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ" و: "لِكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ ما أَصَابَكُمْ" والحزن: أخو الغضب؛ لأنهما من أصل واحد، وإنما يفترقان من جهة الرتبة: فالحزن: هو سخط فعل من هو فوقك، والغضب: سخط فعل من هو دونك؛ لأنه غضب لما نال منه الدهر.

وأنتم نفرٌ تسخو نفوسكم بما يهبن ولا يسخون بالسّلب

يقول بياناً لقوله: إن الحزن أخو الغضب: إن حزنك إنما هو غضب على الدهر وأنفة من أن الدهر قدر على غضبك على أختك، لأنك وقومك تسخون بالمال عند السؤال، ولا تعطون عند المقابلة والاستيلاء.

حللتم من ملوك النّاس كلّهم محلّ سمر القنا من سائر القصب

يقول فضلكم على سائر الملوك، فضل الرماح على ما سواها من القصب.

فلا تنلك اللّيالي إنّ أيديها إذا ضربن كسرن النّبع بالغرب

النبع: شجر صلب تتخذ منه القسي، ومنبته في رءوس الجبال، وما ينبت في سفح الجبال فهو: الشريان وما كان في الحضيض فهو: الشوحط وجميعها شجرها واحدة واختلفت أسماؤها لاختلاف منابتها والغرب: شجر ضعيف يشبه شجر الخلاف.

يقول: لا أصابتك حوادث الدهر، فإن أحداً لا يقدر على دفعها، فمتى شاءت الليالي قهرت القوى بالضعيف، والعزيز بالذليل، والأصيل بالدخيل، وضرب النبع والغرب مثلا.

ولا يعنّ عدواً أنت قاهره فإنّهنّ يصدن الصّقر بالخرب

الخرب: ذكر الحباري وجمعه خربان.

يقول: لا أعانت الليالي عدواً لك مقهورا في يدك، ذليلا في جنبك؛ فإنها إن أعانته عليك قهرك، وإن كان أضعف منك شوكةً فإنها لو أرادت أن تصيد الصقر - مع قوته - بالخرب - مع ضعفه -

لامكنها ذلك. وروى: ولا يعز عدو أي لا عز عدوك وروى: ولا يعز عدواً أي الليالي لا أعزت عدواً.

وإنه سررن بمحبوبٍ، فجعن به ... وقد أتينك في الحالين بالعجب

يقول: إن الليالي تجمع بين المسرة والمصيبة، وهما ضدان وهذا من العجب: وقيل: العجب أنها سرتك بحياة المرثية مسرةً عظيمة، وفجعتك بموتها فجيعة عظيمة.

وقيل: إنها سرت من غير علة، وفجعت من غير علة.

وربّما احتسب الإنسان غايتها ... وفاجأته بأمرٍ غير محتسب

غايتها: أي غاية الليالي.

يقول: ربما حسب الإنسان لنفسه غاية أحداث الليالي، وأن يعيش دهراً طويلا فتفاجئه الليالي بما لم يكن في حسابه.

وما قضى أحدٌ منها لبانته ... ولا انتهى أربٌ إلاّ إلى أرب

اللبانة: الحاجة وكذلك الأرب الإربة. وقيل الأرب: الغرض.

يعني: أن الإنسان ما دام في الدنيا لا يقضي منها وطره، وإن عاش دهراً طويلا، لأن ورآء كل حاجة حاجة أخرى، وهو كقول الآخر:

تموت مع المرء حاجاته ... وتبقى له حاجةٌ ما بقي

تخالف النّـاس حتّى لا اتّفاق لهم ... إلا على شجبٍ، والخلف في الشّجب

الشجب: الهلاك، وهو شجب وشاجب: أي هالك.

يقول: إن الناس اختلفوا في كل شيء، حتى لا يوجد منهم اتفاق إلا في الموت، فإنهم اتفقوا على كونه ومع ذلك اختلفوا فيه.

فقيل :تخلص نفس المرء سالمةً ... وقيل: تشرك جسم المرء في العطب

هذا تفسير للخلاف في الموت.

يعني: أن الناس مع اتفاقهم على أنه كائن، اختلفوا فيه أيضاً، فقال قوم: إن الجسم يموت والنفس تبقى حية، وهو قول الفلاسفة. وقال آخرون: تموت النفس مع الجسم، وهذا قول أهل الحق. والله أعلم بالحق.

ومن تفكّر في الدّنيا ومهجته ... أقامه الفكر بين العجز والتّعب

يقول: من تفكر في أحوال الدنيا وتقلبها بأهلها، وفي حال نفسه فيها، وأراد الوقوف على حقيقة الأمر، أتعب فكره وانقطع عاجزاً لم يحصل له علم بأحوالها ولم يقف على حقيقة أمرها.

وقال يمدح سيف الدولة، وقد أنفذ إلى أبي الطيب بعد مجيئه من مصر - وهو بالعراق - هدية مرةً بعد مرة، ومالاً، وذلك في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة:

ما لنا كلّنا جوٍ يا رسول ؟! أنا أهوى وقلبك المتبول

جو: أي حزين، والجوى: الحزن. والمتبول: المستهام في الهوى، كأنه أصيب بنبل، اتهم رسوله بمشاركته إياه في حبه.

يقول: يا رسول ما لكل واحد منا حزين بحب هذه الجارية ؟ ولم أنا العاشق وقلبك المستهام المحزون !

كلّما عاد من بعثت إليها غار منّي وخان فيما يقول

يقول: كلما عاد رسولي من عندها وجدت فيه الحسد علي، والغيرة من مراسلتي ومواصلتي، وخان فيما يؤديه من المراسلة.

أفسدت بيننا الأمانات عينا ها، وخانت قلوبهنّ العقول

الكناية في قلوبهن للعقول وخان فعلها أيضاً، والتقدير: وخانت العقول قلوبهن، ونسب القلوب إلى العقول؛ لأنها محلها.

يقول: إن عينيها أفسدت ما بيننا من الأمانات، فكل من ينظر إلى عينيها عشقها وغلبه الهوى على حفظ الأمانات فخان فيما يؤديه من الرسالات، وخانت العقول قلوب أصحابها، من حيث لم تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة وحسنت للقلوب الغدر والخيانة.

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشّو ق إليها والشّوق حيث النّحول

يقول: تشتكي المحبوبة من الشوق مثلما اشتكيت، ثم عرض بتكذيبها في شكواها فقال: والشوق حيث النحول: أي لو كانت تشتاق كما زعمت لنحلت كما نحلت؛ لأن النحول لا يفارق الاشتياق، فلما لم تنحل دل ذلك على خلاف ما تدعيه.

وإذا خامر الهوى قلب صبٍّ فعليه لكلّ عينٍ دليل

يقول: إذا خالط الهوى قلب صب، ظهرت عليه أماراته، فكل عين رأته استدلت بهذه الأمارات على ما في قلبه من ألم الشوق.

زوّدينا من حسن وجهك ما دا م فحسن الوجوه حالٌ تحول

ما دام: أي ما ثبت. وتحول: أي تنتقل وتزول.

يقول: متعينا بالنظر إلى حسن وجهك، ما دام الحسن معك، فإنه يزول ولا يدوم.

وصلينا نصلك في هذه الدّن يا فإنّ المقام فيها قليل

يقول: صلينا ما دمنا في الدنيا؛ فإنها دار زوال، والمقام فيها قليل، ففي قريب تزول.

من رآها بعينها شاقه القطّا ن فيها كما تشوق الحمول

القطان: المقيمون والحمول: الأحمال.

يقول: من رأى الدنيا بعين الدنيا، كما هي عليه، تمنى المقام فيها، كما يتمنى العاشق المقام مع أحمال المعشوق.

وقيل: معناه أن الناس في الدنيا على سفر، فمن نظر إلى الدنيا ووقف على حقيقتها علم أن المقيم فيها كالراحل عنها، فكما يجزع لفراق أصحاب الحمول ويشتاق للمحتملين، كذلك أيضاً يجزع للمقيمين، ويشتاق إليهم، فإنهم عن قريب راحلون ومثله:

وفارقتهم والدّهر هام لفرقةٍ أواخره دار البلى وأوائله

إن تريني أدمت بعد بياضٍ فحميدٌ من القناة الذّبول

أدم يأدم: أي مال لونه إلى الأدمة. وهي حمرة تضرب إلى السواد.

يقول: إن كانت الأسفار لوحت وجهي، فليس ذلك بعيب، وإن كان عيباً في سواي، بل هو وصف محمود؛ لدلالته على طلبي لمعالي الأمور، كما أن الذبول محمود في القناة، وإن كان مذموماً في غيرها.

صحبتني على الفلاة فتاة عادة اللّون عندها التّبديل

أراد بالفتاة الشمس؛ لأن الدهر لا يؤثر فيها، فكأنها كل يوم جديد.

يقول: صحبتني في الفلاة الشمس التي عادتها أن تغير الألوان، فغيرت لوني وأورثتني الأدمة.

يعني: أن الذي غير لوني طول الأسفار وملازمة القفار.

سترتك الحجال عنها ولكن بك منها من اللّمي تقبيل

اللمي: سمرة تعلو الشفة.

يقول لمحبوبته: إن الشمس لم تغير لونك؛ لأن الحجال سترتك عنها وإن على شفتك سمرة تشبة لوني فكأن الشمس قبلت شفتك، فهذه السمرة فيها من تقبيل الشمس إياك.

مثلها أنت لوّحتي وأسقم ت وزادت أبهاكما العطبول

لوحت الشيء بالنار: إذا غيرته وسفعت وجهه والعطبول: الناعمة الجسم الطويلة العنق.

يقول: أنت مثل الشمس حسناً وإساءة، فهي لوحتني وأنت أسقمتني، وكلاكما دلت بالبهاء، وأبهاكما زادت في الإساءة والتأثير، وهي العطبول. يعني: كما زادت عليها في البهاء والنعومة، زادت في الإساءة إلي والتحول.

نحن أدرى وقد سألنا بنجدٍ أطويلٌ طريقنا أم يطول ؟

أدرى: أفعل التفضيل من دريت.

يقول: نحن أعلم بطريقنا هل هو طويل على الحقيقة، أم يطوله الشوق إلى المقصود، أو العوائق من رغبتي إلى غير المقصود، من الملوك ومن المرض وغير ذلك، وإن كنا نسأل عن الطريق ونستخبر الركبان عن المسافة بيني وبينه.

وكثيرٌ من السّؤال اشتياقٌ وكثيرٌ من ردّه تعليل

يقول: أنا أسأل عن حال الطريق مع علمي بها؛ اشتياقاً إلى المقصود، وكثير من السؤال يكون من فرط الاشتياق، لا عن جهل وطلب معرفة. وقوله: وكثير من رده تعليل: أي ربما رد في جواب السائل ما ليس بالجواب، وإنما هو تعليل وتطييب لنفس السائل، كقولك لمن سألك عن مكان: قد بلغته ولم يبق إلا يسير. والهاء في رده للسؤال: أي وكثير من رد جوابه، ثم حذف المضاف.

لا أقمنا على مكانٍ وإن طا ب ولا يمكن المكان الرّحيل

لا أقمنا جواب قسم محذوف: أي والله لا أقمنا على مكان وإن طاب ذلك المكان. وإن المكان لا يمكنه الرحيل معنا إلى سيف الدولة.

يطمع سيف الدولة بالرجوع إليه.

يقول: والله لا أقمت ببلد وإن طاب لي، إلا أن يرحل معي إليك، فكما أنه لا يمكنه الرحيل كذلك لا أقيم عليه، والواو للحال، كأنه قال: لا أقمنا على مكان غير متمكن من الرحيل معنا.

وقيل: لا أقمنا: بمعنى الدعاء كقولك: لا يفضض الله فاك.

كلّما رحبّت بنا الرّوض قلنا: حلبٌ قصدنا وأنت السّبيل

يقول: كلما نزلنا روضة فرحبت بنا كي نترل عليها، أي أظهرت لنا حسنها وخضرهٔا وطيب مكانها، فجعل ذلك بمترلة البشر منها، والترحيب للمقام فنقول لها: حلب قصدنا، وأنت طريقنا إليها.

وقيل: أراد رحب بنا أهل الأرض.

فيك مرعى جيادنا والمطايا وإليها وجيفنا والذّميل

الوجيف، والذميل: كلاهما سير سريع.

يقول: وقلنا للروض: وأنت طريقنا ومرعى خيلنا وإبلنا، ومسيرنا إلى حلب، وأنث الروض؛ لأنها جماعة الروضة.

والمسمّون بالأمير كثيرٌ والأمير الّذي بها المأمول

يقول: الأمراء من حيث الاسم في الدنيا كثير، والأمير الذي بها: أي بحلب، هو الذي يرجى فضله ويؤمل نائله.

الّذي زلت عنه شرقاً وغرباً ونداه مقابلي لا يزول

يقول: الأمير المأمول الذي بعدت عنه، وسافرت شرقاً وغرباً، وعاؤه مقابل لي حيثما كنت فهو لا يفارقني.

ومعي أينما سلكت كأنّي كلّ وجهٍ له بوجهي كفيل

أي كل ناحية وجهة من الأرض.

يقول: نداه معي أينما توجهت، حتى كأن كل مكان كفيل له بوجهي، حتى يوصلني إليه.

وإذا العذل في النّدى زاد سمعاً ففداه العذول والمعذول

يقول: إذا سمع العذل أحد في الجود، سمع عذله أو لم يسمعه، ففدى الله سيف الدولة كل عاذل، فإنه لا يصغي إلى عذل عاذل.

وموالٍ تحييهم من يديه نعمٌ غيرهم بها مقتول

وموال: عطف على قوله: ففداه العذول والمعذول: يعني جعل الله أصحابه وعبيده فداءً له، فإنهم إنما يعيشون بنعمه. وقوله: غيرهم بها مقتول: معناه أنه يهبهم المال والخيل، ويعطيهم الأسلحة فيقتلون بها أعداءهم.

وقيل: معناه يقتل أعداءه فيغنم أموالهم، ويهبها أولياءه فيحييهم بها.

فرسٌ سابق ورمحٌ طويلٌ ودلاصٌ زغفٌ وسيفٌ صقيل

الدلاص: الدرع البراقة. والزغف: اللينة اللمس، وهذا بدل من قوله: نعم التي تقدم ذكرها وتفسيرها.

كلّما صبّحت ديار عدوٍّ قال: تلك الغيوث، هذي السّيول

يقول: كلما صبحت نعمه التي هي: الخيل والسلاح والموالي والأصحاب ديار عدو قال العدو: هذه السيول من تلك الغيوث، وأراد بالغيوث: سيف الدولة وبالسيول: مواليه وسلاحه.

يعني: أنهم إنما قدروا على أعدائهم بسيف الدولة، كما أن السيف يكون من المطر.

وقيل: الغيوث: هي عطايا سيف الدولة. والسيول: ما وهبه لأبي الطيب. والمعنى: أنه وهبني هذه الأشياء فمتى قصدت بهذه الأجناس ديار العدو قال العدو: تلك العطايا التي هي كالأمطار تتولد منها هذه السيول.

دهمته تطاير الزّرد المح كم عنه كما يطير النّسيل

النسيل: الوبر الساقط عن البعير. والهاء في دهمته للعدو.

يقول: دهمت العدو خيل سيف الدولة ومواليه فجأة، فكانت تضربه فتطاير حلق الدرع عنه، كما يسقط الوبر عن البعير، فلا تغنيه الدرع.

تقنص الخيل خيله قنص الوح ش ويستأسر الخميس الرّعيل

الرعيل: القطعة من الخيل المتقدمة.

يقول: خيله تصطاد خيول الأعداء اصطياد الوحش، والرعيل من خيله، يأسر الجيش العظيم من عسكر الأعداء.

وإذا الحرب أعرضت زعم الهو ل لعينيه أنّه تهويل

الهول: الخوف العظيم، وكل أمر عظيم، والتهويل: ما لا حقيقة له. وأعرضت: أي قربت وظهرت.

يقول: إذا عرضت لسيف الدولة الحرب لم يعبأ بهولها، بل يستحقرها، فكأن الهول يقول: ليس لي حقيقة، فلا تبالي بي؛ لأني تهويل ولست بهول.

فإذا صحّ فالزّمان صحيحٌ وإذا اعتلّ فالزّمان عليل

يقول: أحوال الزمان منوطة به، فاستقامة الزمان وصحته باستقامة أمره، وصحته وعلته، باعتلاله.

وإذا غاب وجهه عن مكانٍ فيه من نثاه وجهٌ جميل

النثاء: في الخير والشر والثناء: في الخير خاصة.

يقول: إذا غاب وجهه عن مكان، ناب عنه ذكره الجميل فيه مناب وجهه.

لیس إلاّك يا عليّ همامٌ   سيفه دون عرضه مسلول

الأولى أن يقول: إلا إياك لكن هذا جائز.

يقول: ليس أحد من الملوك يذب عن عرضه بسيفه غيرك يا سيف الدولة.

كيف لا يأمن العراق ومصرٌ   وسراياك دونها والخيول ؟ !

كيف لا يأمن من الملوك العراق ومصر ؟! وأنت تذب عنهم بسراياك التي تبعثها إلى الروم، وقتالك لهم.

لو تخرّمت عن طريق الأعادي   ربط السّدر خيلهم والنّخيل

السدر: رفع لأن فاعل ربط والنخيل معطوف عليه ومعناه أمسك السدر خيلهم إذا ربطت إليه وتخرمت بمعنى عدلت.

يقول: لو عدلت عن طريق الأعادي الذين هم الروم وخليت طريقهم، لدخلوا العراق ومصر، ولربطوا خيلهم في السدر والنخيل، وإنما خصهما لأنهما ليسا في ديار الروم.

ودرى من أعزّه الدّفع عنه   فيهما أنّه الحقير الذّليل

فيهما أي في العراق ومصر.

يقول: لو انحرفت عن طريق الروم، لعلم من صار عزيزاً بالعراق ومصر بدفعك عنه أنه الحقير الذليل، وأن عزه بمدافعتك عنه وهذا تعريض بالخليفة، وكافور.

أنت طول الحياة للرّوم غاز   فمتى الوعد أن يكون القفول ؟

طول: نصب على الظرف.

يقول: أنت طول عمرك تغزو الروم، فمتى ترجع إلى قوم آخرين أو متى تستريح من التعب ؟!

وسوى الرّوم خلف ظهرك رومٌ   فعلى أيّ جانبيك تميل ؟

يقول: سوى الروم روم أخر من البوادي والأعراب، فإنهم بمنزلة الروم، فعلى أيهما تميل، لأنك قد تمل من الحرب والقتال.

وقيل: إنما عنى بذلك عضد الدولة يحرضه على المجيء إلى العراق ومقاتلته إذ كان بينهما عداوة.

قعد النّاس كلّهم عن مساعي   ك وقامت بها القنا والنّصول

يقول: عجز الناس أن يسعوا مثل سعيك، فقامت بمساعيك الرماح والسيوف فهي تعينك على مساعيك.

ما الّذي عنده تدار المنايا كالّذي عنده تدار الشّمول

ما للنفي.

يقول: ليس الملك الذي تدار عنده المنايا ويشتغل بالحروب والقتال، كالملك الذي تدار عنده الخمر ويشتغل باللهو واللعب والشرب، عن الاجتهاد في الحرب والقتال.

لست أرضى بأن تكون جواداً وزماني بأن أراك بخيل

يقول: لا أرضى بأن تبعث إلي الهدايا وأنا متأخر عنك، وزماني يبخل علي برؤيتك ويمنعني مشاهدتك.

نغّص البعد عنك قرب العطايا مرتعى مخصبٌ وجسمي نحيل

يقول: كدر بعدي عنك ما تبعثه إلي من العطايا، فمربعي خصيب بعطاياك وجسمي نحيل للوعة الشوق إلى لقياك.

إن تبوّأت غير دنياي داراً وأتاني نيلٌ فأنت المنيل

تبوأت: أي سكنت.

يقول: عطاياك تصل إلي بكل مكان توجهت إليه فلو خرجت من الدنيا وسكنت داراً غيرها ثم وصل إلي البر والنيل لكنت أنت المعطي لذلك البر.

من عبيدي إن عشت لي ألف كافورٍ ولي من نداك ريفٌ ونيل

الريف: ما أحدق بسواد العراق وأشرف عليه من نجد، والريف أيضا رستاق مصر وقراها - وهو المراد ها هنا - وهو ما كان تحت النيل، وما كان فوقه الصعيد، والنيل: نهر مصر، وهو أيضاً نهر بالعراق جاء من الفرات، ويسقي سواد الكوفة.

يقول: إن عشت لي أعطيتني من المال ما أشتري به من المماليك، وأسمي ألفاً منهم كافوراً، وحصل لي من جهتك ريف ونيل: أي تملك مصر كلها وتهب لي ما على النيل من ريفه.

ما أبالي إذا اتّقتك المنايا من دهته حبولها والخبول

الحبول: الدواهي والخبول: الفساد.

يقول: إذا سلمت من المنايا فلا أبالي بمن أصابته المنايا، فإنك عوض عن كل هالك.

وورد المستنفرون من الثغور على سيف الدولة، يذكرون إحاطة الدمستق وجيوش النصرانية بطرسوس واستسلام أهلها إن لم يغاثوا، أو يبادروا، وكان في بقية علة عرضت له، فبرز للوقت وسار، وكان الدمستق قد شحن الدرب الذي يلي الثغور والشام بالرجال، فلما اتصل بالدمستق خبره أفرج عن منازلة طرسوس، وولي على عقبه قافلاً إلى بلده ولم يظفر بشيء، وبلغ الخبر أبا الطيب وكتب إليه سيف الدولة كتاباً يستدعيه فأجابه في شوال. سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة.

فهمت الكتاب أبرّ الكتب فسمعاً لأمر أمير العرب

سمعاً: نصب على المصدر، وكذلك في البيت الذي يليه، وهو قوله: طوعاً وابتهاجاً وأبر الكتب: أي أصدقها. وقيل: أبلغ الكتب وأصدقها في البر بالمكتوب إليه.

وطوعاً له وابتهاجاً به وإن قصّر الفعل عمّا وجب

الابتهاج: الفرح، والهاء في به وله للكتاب، ويجوز أن يكون ضمير الأمير: أي سميع مطيع لأمرك، وإن كنت مقصراً عن واجب حقك.

وقيل: معناه أنا مطيع لك، وإن كنت مقصراً في حقي.

وما عاقني غير خوف الوشاة وإنّ الوشايات طرق الكذب

ما عاقني: أي ما منعني.

يقول: ما منعني من خدمتك وقصدي إليك إلا ما سعى بي إليك السعاة من السعايات، وأنواع الوشايات، فكانوا يغرونك بي وبالإساءة إلي، والوشايات طرق الكذب يعني إنهم إذا وشوا كذبوا، وزادوا، فالوشايات لا بد لها من الكذب والزيادة.

وتكثير قومٍ وتقليلهم وتقريبهم بيننا والخبب

التقريب؛ ضرب من سير الفرس، والخبب: السير السريع، وعنى بها ها هنا السعاية.

يقول: إنما منعني من خدمتك قول الوشاة، وتكثيرهم قولهم مرة، وتقليلهم أخرى، وتقريبهم وتخببهم في الإفساد بيني وبينك. يعني: أنهم يستعملون كيدهم من كل وجه.

وقد كان ينصرهم سمعه وينصرني قلبه والحسب

يقول: إنه كان يسمع من الوشاة ما يقولون، وهذا ينصرهم، ولكن كان قلبه وكرمه معي، لأنه لم يصدقهم على قولهم، فهذا كان نصرة لي.

وما قلت للبدر أنت اللّجين ولا قلت للشّمس أنت الذّهب

يقول: لم أنقص من مدحك شيئاً، كما ينقص من البدر إذا شبه بالفضة، والشمس إذا شبهت بالذهب، حتى تغريهم بي وتغضب علي.

فيقلق منه البعيد الأناة ويغضب منه البطيء الغضب

يقول: ما قلت له ما يوجب نقصاً له حتى يقلق ويضطرب مع حلمه وأناته ومعنى قوله: البعيد الأناة هو تمام الحلم وغاية الرفق، كما يقال: بعيد الغور أي ما قلت شيئاً ينكره، حتى يغضب البطيء الغضب، وأراد بالبعيد الأناة والبطيء الغضب: سيف الدولة.

وما لاقني بلدٌ بعدكم ولا اعتضت من ربّ نعماي رب

ما لاقني: أي حبسني. يقال: دخلت المدينة فما لاقتني، أي: ما أعجبتني وما حبستني. ويقال: لاقني وألاقني، ومنه قولهم: لقت الدواة ولقتها بكسر اللام وضمها: إذا حركتها ليعلق بها المداد، ويقال للكرسفة الليقة. وقوله: من رب نعماي رب في موضع النصب، وكان من حقه أن يقول: رباً لأن المنصوب المنون إذا وقف عليه أبدل التنوين ألفاً، ولكنه أجراه مجرى المرفوع والمجرور في إسقاط التنوين في الوقف، ومثل هذا جائز في القافية، وخفف الباء أيضاً؛ لأن الحرف المشدد إذا وقع حرف الروى خفف.

يقول: ما حبسني بلد منذ فارقتكم، ولا وجدت من جميع الملوك عوضاً عنكم. وخاطبه بخطاب الجمع: تعظيماً له وتفخيماً لقدره.

ومن ركب الثّور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغبب

غبب الثور وغبغبه: ما تدلى تحت حلقه.

يعني: لو اعتضت منه ملكاً غيره، كنت مثل: من ترك الفرس الجواد وركب الثور، ومثله قول خداش بن زهير:

ولا أكون كمن ألقى رحالته على الحمار وخلّى صهوة الفرس

وما قست كلّ ملوك البلاد فدع ذكر بعضٍ، بمن في حلب

التقدير: ما قست كل ملوك البلاد بمن في حلب.

المعنى: أنا لا أقيس به جميع الملوك، فكيف أقيس به بعضهم ؟!

ولو كنت سمّيتهم باسمه لكان الحديد وكانوا الخشب

الخشب: جمع خشبة.

يقول: كيف أقيس به غيره من الملوك؛ وهم إلى جنبه كالخشب من الحديد ؟! ولو سميتهم باسم سيف الدولة، لكان هو سيفاً حديداً، وكانوا هم سيوف خشب.

أفي الرّأي يشبه، أم في السّخا ... ء أم في الشّجاعة، أم في الأدب ؟

يقول: في أي شيء من مناقبه يشبهونه في رأيه ؟ أم في سخائه ؟ أم في شجاعته ؟ أم في أدبه! يعني: أنه أفضل منهم في هذه الأوصاف.

مبارك الاسم، أغرّ اللّقب ... كريم الجرشّي، شريف النّسب

الجرشي: النفس.

يقول: هو مبارك الاسم، لأن اسمه علي والعلو محبوب مبارك. وقوله: أغر اللقب: أي مشهور اللقب، لأنه إذا قيل سيف الدولة عرف في الآفاق، وهو كريم النفس، شريف النسب؛ لأنه من العرب وآباؤه الأمراء.

أخو الحرب، يخدم ممّا سبى ... قناه، ويخلع ممّا سلب

يخدم: من قولك أخدمت الرجل، إذا أعطيته خادماً يخدمه. وفاعل سبي: قناه، وأسند الفعل إليه، لأنه يستعان به على السبي.

يقول: هو أخو الحرب أي عارف بها، كما يعرف الأخ أخاه، أو يحبها كما يحب الأخ أخاه، أو ملازم لها ونشأ معها كما ينشأ الأخ مع أخيه، وهو يسبي الجواري والغلمان، ثم يهبها لأصحابه، ويخلع عليهم مما سلب من أعدائه.

إذا حاز مالاً فقد حازه ... فتىً لا يسرّ بما لا يهب

يقول: إذا حاز المال وجمعه واستفاده، فإنما يحوز للهبة، وهو الفتى الذي لا يسر بما لا يهب.

وإنّي لأتبع تذكاره ... صلاة الإله وسقي السّحب

يقول: إذا ذكره عقب ذكره بالصلاة والدعا بالسقيا، فيقول: صلى الله عليه وسقى دياره وربوعه.

وأثني عليه بآلائه ... وأقرب منه نأى أو قرب

يقول: إنما أشكر نعمه إذا ذكرته، وأمدحه بمآثره وأقرب منه بالمحبة والموالاة سواء كان قريبا مني أو بعيداً.

وإن فارقتني أمطاره ... فأكثر غدرانها ما نصب

الهاء في غدرانها للأمطار.

يقول: إن بره وإن كان قد انقطع فبقيتها عندي لم تنفذ.

أيا سيف ربّك لا خلقه ويا ذا المكارم لا ذا الشّطب

يجوز: يا سيف ربه باختلاس كسرة الهاء، ويا سيف ربك.

يقول: أنت سيف الله لا سيف الخلق، وأن تسمي: ذا المكارم أولى من أن تسمي: ذا الشطب. وهي الطرائق التي في السيف.

وأبعد ذي همّةٍ همّةً وأعرف ذي رتبةٍ بالرّتب

أراد: يا أبعد ذوي الهمم وأعرف ذوي الرتب، وأقام الواحد مقام الجماعة. وهمةً: نصب على التمييز.

يقول: يا من همته أبعد من همة كل صاحب همة، ويا من هو أعلم بالرتب من كل من له رتبة ومترلة.

وأطعن من مسّ خطّيّةً وأضرب من بحسامٍ ضرب

يقول: يا من هو أحذق الناس بالطعن والضرب.

والمعنى: أنت أعرف الحاملين للرمح بالطعن، وأضرب الضاربين بالسيوف وأقام الواحد مقام الجمع.

بذا اللّفظ ناداك أهل الثّغور فلبّيت والهام تحت القضب

يقول: ناداك أهل الثغور بهذا اللفظ، وهو ما تقدم من قوله: يا سيف ربك وما بعده. حين أتى الدمستق على ثغورهم، فلبيتهم وأجبتهم وخلصتهم بعد ما صارت رءوسهم تحت سيوف الروم.

وقد يئسوا من لذيذ الحياة فعينٌ تغور وقلبٌ يجب

غارت العين: إذا دخلت في الرأس. ووجب القلب: إذا خفق.

يقول: أعنتهم بعد أن انقطع رجاؤهم من الحياة وأشرفوا على الهلاك.

وغرّ الدّمستق قول الوشا ة :إنّ عليّاً ثقيلٌ وصب

الوصب: ناحل الجسم، وقيل: هو الذي يجد الألم.

يقو: اغتر الدمستق بخبر علتك، وقدر أنك لا تقدر على نصرة أهل الثغور وصيانتهم

وقد علمت خيله أنّه إذا همّ وهو عليلٌ ركب

الهاء في خيله قيل للدمستق.

والمعنى: أنها تعلم أن سيف الدولة مع علته، لو هم بالركوب لركب؛ لما شاهدت منه فيما مضى من الحروب.

وقيل: أراد به أن خيل سيف الدولة علمت ذلك.

أتاهم بأوسع من أرضهم طوال السّبيب قصار العسب

السبيب: شعر العرف والذنب. والعسب: جمع العسيب، وهو العظم الذي ينبت عليه الذنب، ويستحب في الفرس طول شعر ذنبه، وقصر عسيبه.

يقول: أتى الدمستق أهل الثغور بخيل، موضعها من الأرض أوسع من أرضهم، ونصب طوال وقصار على الحال.

تغيب الشّواهق في جيشه وتبدو صغاراً إذا لم تغب

يقول: كانت الجبال الشواهق تغيب في جيش الدمستق لكثرته، فإن ظهرت الجبال ولم تغب تبدو صغاراً.

ولا تعبر الرّيح في جوّه إذا لم تخطّ القنا أو تثب

الهاء في جوه للجيش وإذا لم تخط القنا هو من تخطيت القوم: إذا جاوزتهم، وهو فعل الريح، وتثب عطف عليه والقنا في موضع النصب، لأنه مفعول قوله: إذا لم تخط.

يقول: لا تقدر الريح أن تنفذ في جو هذا الجيش إلا أن تخطت القنا وجاوزته، أو وثبت من فوقه، وإلا لم يمكنها أن تنفذ في جوه.

فغرّق مدنهم بالجيوش وأخفت أصواتهم باللّجب

يقول: إن الدمستق ملأ مدن الثغور بخيله، حتى غرقت في جيوشه، وأخفى أصوات أهل المدن بلجب جيوشه.

فأخبث به طالباً قتلهم وأخبث به تاركاً ما طلب

أي ما أخبثه في الحالين ؟! يقول: ما أخبثه حين جاء يقاتل المسلمين، وما أخبثه حين هرب وانقاد للعار والضيم، فهو في كلا الحالين خبيث وطالبا وتاركاً نصب على الحال.

نأيت فقاتلهم باللّقاء وجئت فقاتلهم بالهرب

يقول: لما بعدت عن أهل الثغور، قصدهم الدمستق ولقيتهم، فلما جئت هرب وتركهم، فكان هذا قتاله.

وكانوا له الفخر لمّا أتى وكنت له العذر لمّا ذهب

وكانوا: أي أهل الثغور.

يقول: كان أهل الثغور فخراً للدمستق لما أتى لأنه كاد يقهرهم ولما ذهب كنت له العذر، لأن مثله لا يقاومك.

سبقت إليهم مناياهم ومنفعة الغوث قبل العطب

الغوث: مصدر أغاثه إذ أنقذه.

يقول: سبقت إليهم قبل وصول هلاكهم إليهم، فأغثتهم قبل أن يهلكوا. والغوث إنما ينفع قبل الهلاك، وأما بعده فلا فائدة فيه.

فخرّوا لخالقهم سجّدا ولو لم تغث سجدوا للصّلّب

يقول: لما أغثت أهل الثغور سجدوا لله تعالى شكرا، وبقوا على الإسلام، ولو لم تنصرهم لألجأهم الكفار أن يسجدوا للصلب.

وكم ذدت عنهم ردىً بالرّدى وكشّفت من كربٍ بالكرب

يقول: كم مرة دفعت الهلاك عن أهل الإسلام؛ بإهلاك أعدائهم ؟! وكشفت الغم عنهم بالغم الذي أوقعت فيه أعداءهم.

وقد زعموا أنّه إن يعد يعد معه الملك المعتصب

المعتصب: المتوج.

يقول: إن الناس زعموا أن الدمستق إذا عاد إلى الثغور عاد معه ملكهم الأعظم، صاحب التاج.

ومتى قيل: لم قال: يعد معه الملك المعتصب والعود إنما يكون بعد البدء، والملك لم يكن قصدهم قبل ذلك ؟ قيل له: قد جاء العود في معنى الابتداء كما قال الله تعالى: "أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا".

وقيل: إن هذا الاعتراض غير متوجه؛ لأن قوله: يعد معه فعل الدمستق، ومعه الملك المعتصب في موضع نصب على الحال: أي يعد ومعه الملك وهذه الواو، تحذف إذا كان في الحال ضمير يرجع إلى صاحبها والملك على هذا يرفع بالابتداء، وعلى الوجه الأول يرتفع لفعله.

وقلت: إن يعد في معنى الابتداء، وحسن ذكره ها هنا لتعلقه بالأول، فيكون قد أجرى عليه لفظاً يتعلق به، إذ لا شك أن العود الأول على حقيقته، فلما تعلق الثاني به أجرى مجراه، كقوله تعالى: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا".

ويستنصران الّذي يعبدان وعندما أنّه قد صلب

يقول: زعموا أن الدمستق والملك يرجعان ويطلبان النصرة ممن يعبدانه، وهو المسيح عليه السلام، وفي اعتقادهما أنه قد صلب، فكيف يقدر أن يدفع عنهم القتل، وهو لم يقدر على أن يدفعه عن نفسه ! يتعجب من عقول النصارى وفساد اعتقادهم.

ويدفع ما ناله عنهما فيا للرّجال لهذا العجب !

اللام الأولى مفتوحة؛ لأنها لام الاستغاثة للمدعو، والثانية مكسورة؛ لأنها لام المتعجب منه المدعو إليه.

والمعنى: أنه يتعجب من قول النصارى. أي كيف يدفع عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهما ! فلو قدر لدفع عن نفسه !

أرى المسلمين مع المشركي ن إمّا لعجزٍ وإمّا رهب

كأنه كان قد انضم طائفة من المسلمين إلى الروم ! فقال: أراهم معهم ولا أدري لأي علة ؟! أعجزوا عن قتالهم ؟ أو خافوا منهم ! وقيل: المعنى أن المسلمين قد وافقوا النصارى وصدقوهم في زعمهم أن المسيح ينصرهم وذلك إما لعجز عنهم أو لخوف منهم.

وأنت مع الله في جانبٍ قليل الرّقاد كثير التّعب

يقول: أنت مع أمر الله وطاعته، قليل النوم، لحفظ الثغور كثير التعب، لإدامة الحرب.

وقيل: إن المسلمين قد وافقوا النصارى على قولهم وأنت متوكل على الله، مستنصر به، غير مائل إلى قول النصارى في استنصار المسيح عليه السلام.

كأنّك وحدك وحّدته ودان البريّة بابنٍ وأب

يقو: أنت تفردت بتحمل المشاق في مجاهدة الكفار، حتى كأنك متفرد بالتوحيد، وسائر الناس اعتقدوا النصرانية.

فليت سيوفك في حاسدٍ إذا ما ظهرت عليهم كئب

يقول: ليت سيوفك بعد ظهورك على الأعداء، تقتل كل حاسد حزين والتقدير على هذا البيت:

سيوفك إذا ما ظهرت على الأعداء في حاسد كئب.

وقيل: معناه ليت سيوفك تقتل كل حاسد يحزن لظفرك بالأعداء.

وليت شكاتك في جسمه وليتك تجزي ببغضٍ وحب

يقول: ليت علتك هذه في جسم حاسدك، وليتك تجزي كل إنسان بحسب قدره في بغضه وحبه.

يعني: لو فعلت ذلك لكنت أحسن حالا من سائر الناس، ولو جزيت الأعداء ببغضك لما أبقيت أحداً.

فلو كنت تجزي به نلت من ... ك أضعف حظٍّ بأقوى سبب

يقول: لو كنت تجزي كل أحد ببغض وحب، لنلت ما أتمناه من قتل من كادني على محبتي لك.

وقال أيضا بمدح سيف الدولة:

سيف الإله على أعلى مقلّدة ... وموضع العزّ منه فوق مقعده

المصراع الثاني قيل: لم يتممه أبو الطيب ! وقيل: بل تممه ولم يرو عنه إتمامه.

وقيل إن تمامه قوله: وموضع العز منه فوق مقعده.

وقيل: إن هذه اللفظة فوق مقعده لم يعترف بها المتنبي. وقيل: إنه قال: ألقيتها فلا تنسبوها إلي.

والمعنى: سيف الله على أرفع رجل قلد السيف. وموضع الشرف من هذا السيف هو السماء، لا موضع الذي يرى أنه مقعداً، أو الموضع الذي قعده.

ما اهتزّ منه على عضوٍ يسيّره ... إلاّ اتّقاه بترسٍ من مخلّده

المخلد: موضع الخلد، وهو القرط.

يقول ما تحرك السف على عضو عدو، يريد أن يرمي به إلا اتقاه ذلك الجسم بأكثر من مطلوبه، وهو أن يترس موضع القرط من موخر عنقه.

ذمّ الإله إليه من محبّته ... ما ذمّ في بدرٍ من حمد حامده

يقول: ذم الله تعالى إلى سيف الدولة من أحبابه، جزعهم وذلهم في هذه الحرب الذي صبر فيها سيف الدولة دونهم، مثل ما ذم جل جلاله من حمده النبي صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه وأحبته في يوم بدر، لما ذلوا وفزعوا بقوله تعالى: "وَلَقَدْ نَصَرَكُم الله بِبَدْرٍ".

شمسٌ، إذا الشّمس لاقته على فرسٍ ... تردّد النّور منها في تردّده

يقول: هو كالشمس فإذا قابلته الشمس وهو على فرس رد شعاعها إلى نفسها كثرة جولان هذا الفارس.

والمعنى: أنه إذا ركب بجيشه حجب بالغبار نور الشمس.

لم يقبح الحسن إلاّ عند طلعته ... كالعبد يقبح إلاّ عند سيّده

يقول: إن الحسن إذا رؤى بحضرته يفتضح بحسنه، ويقبح لكمال جماله كالعبد لا يقبح إلا عند سيده.

وحذف لا من قوله: كالعبد يقبح

قالت عن السّير طب نفساً فقلت لها ... لا يصدر العبد إلاّ بعد مورده

أي قالت العاذلة أو المحبوبة أو غيرهما، ممن يشفق عليه: كفاك ما سرت من الدنيا فأقم، فقلت لها: إني ما سرت بعد إلى من هو المقصود، ولا وردت موردي، فكيف أصدر ؟ لأن الصدر بعد الورود، يحسن ويكمل.

نفسٌ تصغّر نفس الدّهر من كبرٍ لها نـهى كهله في سنّ أمرده

يقول: نفسه من كبرها وعظمها تصغر نفس الدهر، والضمير في الكهل يعود إلى النفس والضمير في الأمرد يعود إلى الدهر

لم أعرف الجود إلا مذ عرفت فتىً لم يولد الجود إلاّ عند مولده

يريد: منذ وقت مولده، فحذف للعلم به.

والمعنى: أن الجود يدور معه، ولم يكن قبل مولده جود فلما ولد هو وجد الجود.

وقال أيضاً فيه بديهاً:

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائق والعباد سميّ

إن عنى بذي الجلال، الله تعالى فهو في هذا الموضع قبيح، لأنه لا يقال: دولة الله تعالى.

وإن عنى به الخليفة فهو أشنع، لأن هذا الوصف لا يطلق على غير الله تعالى.

يقول: يا سيف الدولة من هو كذلك، يا سمي خير البرية وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

انظر إلى صفّين حين أتيتها فانصاع عنها الجحفل الغربيّ

انصاع: تفرق.

يقول: انكشف عنك العسكر من الغرب فانهزموا. فشبه المعركة بصفين.

فكأنّه جيش ابن حربٍ رعته حتّى كأنّك يا عليّ، عليّ

العسكر الغربي: جيش الإخشيد فهزمته حتى كأنك يا علي، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه.

الجزء الرابع

الكافوريات وهي المصريات

قيل: إن السبب الذي أوجب خروج أبي الطيب إلى مصر، ومدحه كافوراً الأسود: أن سيف الدولة كان يتلون عليه، ولا يثبت معه على حال واحدة، ويصغي إلى قوم كانوا يغرونه به ويقعون فيه حسداً له، فكثر الأذى عليه من جهته فأجمع رأيه على الرحيل من حلب، فلم يجد بلداً أدنى إليه من دمشق لأن حمص من عمل سيف الدولة، فسار إليها حتى نزلها، وبها يهودي من أهل تدمر يعرف بابن ملك من قبل كافور، فالتمس منه المدح فثقل عليه، وغضب ابن ملك فكتب إلى كافور يخبره أن أبا الطيب عنده، وجعل كافور يكتب في إرسال أبي الطيب إليه، فكتب إليه ابن ملك أن أبا الطيب قال: ما أقصده فإنه عبد، وإذا دخلت مصر فإنما قصدي مولاه فأحفظته كتبه.

ونبت دمشق بأبي الطيب، فسار منها إلى الرملة، فحمل إليه أميرها الحسن بن عبيد الله بن طغج هدايا وخلع عليه، وحمله على فرس جواد بمركب ثقيل، وقلده سيفاً محلى، وسأله المدح فاعتذر إليه بالأبيات الرائية وهي قوله:

ترك مدحيك كالهجاء لنفسي

وقد تقدم ذكرها قبل هذا، واتصل به أن كافوراً يقول: أترونه يبلغ إلى الرملة، ولا يبلغ إلينا ؟! وأنه واجد عليه، ثم كتب كافور من مصر إلى أبي الطيب يستدعيه إلى حضرته، فلم يمكنه إلا المسير إليه، يظن أنه لا يسومه سوم غيره، من منعه من التصرف في نفسه.

وكافور هذا عبد أسود خصى لابي مثقوب الشفة السفلى بطين، قبيح القدمين ثقيل اليدين، لا فرق بينه وبين الأمة، وقد سئل عنه بعض بني هلال بالصعيد، فقال: رأيت أمةً سوداء تأمر وتنهي.

ولقد كان رسول الروم بمصر، فلما قعد في مركب راجعاً إلى بلد الروم والمسلمون ينظرون إليه قال لهم: ما أعرف أمةً أخس منكم ! أعوزكم أبيض تملكونه أنفسكم ! وسار، وولي كافور هذا أمر بني طغج عليهم، وملك ما كان في أيديهم، واستملك العبيد، وأفسدهم على ساداتهم.

وكان هذا الأسود لقوم من أهل مصر، يعرفون ببني عياش، يحمل لهم الحوائج من الأسواق على رأسه، ويخدم الطباخ. مشتراه ثمانية عشر ديناراً وكان ابن عياش يربط في عنقه حبلا إذا أراد النوم، فإذا طلب منه حاجته جذبه لسقوطه ! فإنه لم يكن ينتبه بالصياح فدخل إلى دار ابن طغج والناس يمدون أيديهم إلى رأسه ! ويصفونه بصلابة القفا، فكان الغلمان كلما صفعوه ضحك ! فقالوا: هذا الأسود خفيف الروم؛ وكلموا صاحبه في بيعه، فوهبه لهم، فأقاموه على الوضوء والخلاء، ورأى مخاريق ابن طغج وكثرة كذبه، وما يتم لربه، فتعلم ذلك حتى ما يصدق في حرف، وأخذ عنه وزاد عليه، حتى وضع الكذب في غير مواضعه فاشتهر به.

ومات ابن طغج بدمشق وولده صغير، والأسود يخدمه، فأخذ البيعة على الناس عند موته، والناس يظنون أنه قد أمره بأخذها، وسار غلمانه في الوقت إلى مصر، فاقتسموا الضياع، وكانوا ضعفاء فقراء، فاشتغلوا بما في أيديهم لا يصدقون أنه يبقى لهم.

وتفرد الأسود بخدمة الصبي ومالت إليه والدته ! وهي أمة؛ لأنه عبد، وتمكن من الصبى والمرأة حتى قرب من شاء وأبعد من شاء، ونظر الناس إلى هذا مع صغر هممهم وخفة أنفسهم، فتسابقوا إلى التقرب إليه، وسعى بعضهم ببعض عنده، حتى أن الرجل لا يأمن مملوكه ولا ولده على سره ! وصار كل عبد بمصر يرى أنه خير من سيده، ولا تنبسط يد سيده عليه، ولا يستبعد أن يصل إلى أضعاف ما وصل إليه الخصى، حتى ملك الأمر على الصبي، وصار كل من معه عيناً عليه للأسود، فلا يقدر أحد أن يكلمه ويسلم عليه !

وإذا رآه بعض غلمان أبيه أو غيرهم أسرع هاربا لئلا يقال: إنه كلمه ! فمن كلمة أتلفه الأسود، فلما كبر الصبي وتبين ما هو فيه، وجعل يبوح بما في نفسه في بعض الأوقات على الشراب، وكل من معه عين عليه، فقدم الأسود فسقاه سماً فقتله، وخلت له مصر وهان عليه أخوه الأصغر وغيره.

فلما ورد كتاب الأسود على أبي الطيب بالرملة، لم يمكنه إلا المسير إليه، وظن أنه لا يسومه سوم غيره. من أخذ ماله، وإضعاف حاله، ومنعه من التصرف في نفسه. وهذه فعال الأسود بكل حر له محل، يحتال عليه بالمكاتبة والمواعيد الكاذبة، حتى يصير إليه، فإذا حصل عنده أخذ عبيده وخيله وأضعفه عن الحركة، ومنعه منها، وبقي مطرحا يشكو إليه ويبكي بين يديه ولا يعينه على المقام، ولا يأذن له في الرحيل، وإن رحل عن غير إذنه غرقه في النيل، ولا يصفو قلبه إلا لعبد، كأنه يطلب الأحرار بحقد.

فلما قدم عليه أبو الطيب اخلى له داراً ووكل به، وأظهر التهمة له، وطالبه بمدحه، وخلع عليه، وحمل إليه آلافاً من الدراهم وغيرها.

فقال أبو الطيب يمدحه لما وفد عليه في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاث مئة ويعرض بسيف الدولة

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

الباء في بك زائدة، والتقدير: كفاك داءً، وليست هذه الباء مثلها في قوله تعالى: "وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً" "وكَفَى بنَا حَاسِبِين" لأن، ها هنا زيدت الباء على المفعول، وفي الآية زيدت على الفاعل، والفاعل في البيت قوله: أن ترى وداءً نصب على التمييز. والأماني أصلها التثقيل، والتخفيف جائز.

يقول: كفاك من الداء وأذية الزمان، ما تستشفى منه بالموت ! وما تتمنى معه الموت ! إذ الموت غاية الشدائد، فإذا تمناه المرء فقد تمنى كل شدة.

تمنّيتها لمّا تمنّيت أن ترى صديقاً فأعيا، أو عدوّاً مداجيا

يقول: تمنيت الموت، لما تمنيت أن ترى صديقاً مخلصاً في صداقته، أو عدوا مساتراً للعداوة فأعيا عليك وجود ذلك، فلما لم تجد إلا صديقاً غير مخلص وجدت عدوا مظهراً للعداوة، تمنيت الموت.

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلّةٍ فلا تستعدّنّ الحسام اليمانيا

استعد وأعد بمعنىً.

يقول: إذا رضيت بالذل، وصبرت على الضيم، فلا معنى لاستعداد السيف، لأن السيف يراد لدفع الضيم. ومثله لأبي العتاهية:

فصغ ما كنت حلّي ت به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسي ف إذا لم تك قتّالا ؟

ومثله لعبد الرحمن بن دارة:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم فكونوا بغايا للخلوق وللكحل

وبيعوا الرّدينيّات بالخمر واقعدوا على الذّل وابتاعو المغازل بالنّبل

ولا تستطيلنّ الرّماح لغارةٍ ولا تستجيدنّ العتاق المذاكيا

لا تستطيلن: أي لا تطلب طولها، وكذلك لا تستجيدن: أي لا تطلب جودها.

يقول: إذا رضيت بالذل فلا تطلب الرمح الطويل، والخيل الجياد، فإنك لا تحتاج إليها بعد أن رضيت بالذل واحتمال الضيم.

فما ينفع الأسد الحياء من الطّوى ولا تتّقي حتّى تكون ضواريا

يقول: إن الحياء لا ينفع الأسد من الجوع ولا يشبعه، ولا يخشى منه إلا إذا كان ضارياً جريئاً.

يعني: أن الإنسان إنما يبلغ مراده إذا اطرح قناع الحياء عن وجهه، واتكل على إقدامه.

حببتك قلبي قبل حبّك من نأى وقد كان غدّاراً فكن لي وافيا

حببته وأحببته: لغتان: وقلبيك منادى، أي يا قلبي، ومن في موضع نصب بالمصدر الذي هو حبك.

يقول: يا قلبي أحببتك قبل أن تحب الحبيب الذي نأى عنك وغدر بك، فأنكرت غدره فلا تصنع معي من الغدر مثل ما صنع بك حبيبك، فتكون قد فعلت ما كرهته من غيرك.

وجعل حنين قلبه إلى الحبيب غدراً منه، لأنه يؤلمه ويؤدي إلى تلفه، فتقع المفارقة بينه وبين قلبه ! وهي التي ذاقها من حبيبه. وهذا تعريض منه بسيف الدولة.

وأعلم أنّ البين يشكيك بعده فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا

يقول: يا قلبي، أعلم أن البين يحوجك إلى الشكوى، ويؤثر فيك، وإن فعلت ذلك تبرأت منك، ونفيت أن تكون قلبي، لأنك غدرت بي.

فإنّ دموع العين غدرٌ بربّها إذا كنّ إثر الغادرين جواريا

روى: غدراً فيكون مصدراً في معنى غادر فلا يثنى ولا يجمع، ولا يؤنث، وروى غدر وهو جمع غدور.

يقول: إن بكاءك على من غدر بك وفارقك غدر منك بي، وهذا إشارة إلى شكاية سيف الدولة.

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً والمال باقيا

شبه لا بليس في نصب الخبر؛ فلهذا نصب مكسوباً وباقياً.

يقول: إذا لم يكون الجود خالصاً من الأذى، وما يكدره من المن والتكدير، فلم يكسب فاعله حمداً، وذهب ماله هدراً. وهذا تعريض بسيف الدولة.

وللنّفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا

يقول: لكل إنسان أخلاق يستدل بها على ما يأتيه من الجود، هل هو طبيعي أو تكلفي ؟ فيعرف حاله.

أقلّ اشتياقاً أيّها القلب ربّما رأيتك تصفي الودّ من ليس جازيا

يجوز في أقل كسر اللام ونصبها.

يقول لقلبه: قلل الاشتياق إلى من لا يشتاق إليك، فإنك تخلص المودة لمن لا يجازيك على ذلك، ولا يودك مثل ما توده، وهذه الأبيات تعريض بسيف الدولة، وتطييب لنفسه على فراقه.

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصّبى لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

يقول جبلت على الإلف، حتى إنني لشدة إلفي، لو فارقت الشيب الذي هو مكروه عند كل أحد ورجعت إلى أيام الصبى؛ لبكيت جزعاً على الشيب، من فراق المألوف، فلهذا أحن إلى سيف الدولة وإن كان يقصدني بالأذى.

ولكنّ بالفسطاط بحراً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

الفسطاط: مدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص رضي الله عنه، فأما مصر القديمة فهي في الجانب الآخر من النيل، وليس بها اليوم إلا دور قليلة.

المعنى: أني فارقت سيف الدولة مع إلفي له وأسفي على فراقه؛ لأزور كافوراً الذي هو كالبحر: في الجود وسعة الصدر وبعد الغور. وقوله: أزرته حياتي أي زرته بها.

وجرداً مددنا بين آذانها القنا فبتن خفافاً يتّبعن العواليا

وجرداً عطف على ما تقدم: أي قصدنا بخيل جرد ونصبنا رماحنا بين آذانها فكانت الخيل تتبعها في السير.

تماشى بأيدٍ كلّما وافت الصّفا نقشن به صدر البزاة حوافيا

تماشي: أي تتماشى.

يقول: هذه الخيل الجرد كانت تمشي بعضها إلى بعض، فإذا وطئت الصفا بأيديها وهي حواف أثرت فيه آثار نقش صدر الباز.

وروى: صدر البزاة وهي جمع صدار. وروى: صدر البزاة ويراد به الصدور.

وتنظر من سودٍ صوادق في الدّجى يرين بعيدات الشّخوص كما هيا

يقول: تنظر هذه الخيل من عيون سود، ترى هذه العيون - من حدة النظر - الشخص البعيد على هيئته وحاله، ولا يتغير عليها فيصغر أو يعظم، بل تراه على حقيقته. وقوله: يرين: يجوز أن يكون فعل سود ويجوز أن يكون: فعل الخيل.

وتنصب للجرس الخفيّ سوامعاً=يخلن مناجاة الضّمير تناديا الجرس: الصوت.

يقول: هذه الخيل حديدة السمع، فإذا أحست حساً خفيفاً وصوتاً خفياً، نصبت أذانها، فهي لحدة أذانها تحسب الصوت الخفي، أنه كلام ظاهر وصوت عال.

تجاذب فرسان الصّباح أعنّةً كأنّ على الأعناق منها أفاعيا

إنما قال: فرسان الصباح، لأن الغارات أكثر ما تكون في وقت السحر، وشبه الأعنة للينها ودقتها بالأفاعي.

يقول: إن الخيل لا تترك الأعنة تستقر في أيدي فرسانها، لما فيها من المرح والنشاط، فكأن الأعنة أفاع على أعناقها فهي تجاذبها الفوارس.

بعزمٍ يسير الجسم في السّرج راكباً به ويسير القلب في الجسم ماشيا

الباء: متعلق بقوله: أزرته يعني: زرته بعزم.

يقول: قصدته بعزم قوى، وجسمي يسير وأنا راكب، وقلبي يسبقني إلى المنازل؛ لقوة العزم وفرط الاشتياق إلى حضرته، وكنت كلما نزلت منزلاً، كانت همتي المنزل الآخر، لأقطعه.

قواصد كافورٍ توارك غيره ومن قصد البحر استقلّ السّواقيا

قواصد: نصب على الحال. والعامل: أزرته أو تجاذب أو تماشى ويجوز الرفع: أي هي قواصد.

يقول: قصدت هذه الخيل كافوراً، وتركت من سواه من الملوك؛ لأنه أفضل منهم، وغيره من الملوك بالإضافة إليه كالجدول من البحر.

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

يقول: جاءت بنا هذه الخيل إلى من هو إنسان عين زمانه، أي كما أن أشرف ما في العيون سوادها، كذلك كافور أشرف الملوك، وهو ناظر الزمان، ومن سواه مثل البياض والمآقي؛ فلهذا قصدناه وتركنا غيره فانتظم معنيين: حسن التشبيه، لأنه شبه السواد بالسواد، والثاني التفضيل.

نجوز عليها المحسنين إلى الّذي نرى عندهم إحسانه والأياديا

عليها: أي على الخيل.

يقول: نتجاوز على هذه الخيل عند سيرنا عليها، المحسنين من الناس الذين يرغبون في المقام عندهم، إلى من كانت أياديه ونعمه عندهم، لأنا رأيناهم من قبل.

كأنه يذكر عبوره بابن طغج، وأنه رغب في فتركته وقصدت كافوراً.

فتىً ما سرينا في ظهور جدودنا إلى عصره إلاّ نرجّي التّلاقيا

يقول: ما تنقلنا في ظهور أجدادنا السالفة، إلى زمان هذا الممدوح؛ إلا لنصادف زمانه ونسعد بأيامه.

وقيل: أراد بالجدود. جمع الجد، الذي هو الحظ.

ترفّع عن عون المكارم قدره فما يفعل الفعلات إلاّ عذاريا

العون: جمع عوان، وهو فوق البكر، ودون القارض المسنة. والعذارى: جمع عذراء.

يقول: يرفع نفسه عن أن يقتدى بغيره في المكارم، فلا يأتي من المكارم إلا ما لا يسبقه أحد فيه.

قال ابن جني: وهذا مما ينقلب هجاءً فكأنه قال: ترفع عن المكارم هزءاً. ثم قال: فما يفعل من المخازي إلا ما لا يسبق إليه؛ لعظمه.

يبيد عداوات البغاة بلطفه فإن لم تبد منهم أباد الأعاديا

يقول: يتلطف في أمر الأعداء وإزالة الأحقاد من قلوبهم بإحسانه، فإن لم ينفع فيهم الرفق أهلكهم وأفناهم.

أبا المسك ذا الوجد الّذي كنت تائقاً إليه وذا الوقت الّذي كنت راجيا

يقول: كنت مشتاقاً إلى وجهك، راجياً لهذا الوقت، فقصدتك، فافعل أنت ما يليق بك.

وهذا بالهزء أولى، مع قبح كافور وسواد وجهه.

لقيت المروري والشّناخيب دونه وجبت هجيراً يترك الماء صاديا

المروري: الفلوات، واحدها مروراة والشناخيب: جمع شنخوب، وشنخاب، وهي القطعة العالية من الجبل. والهجير: شدة الحر. والصادي: العطشان. والهاء في دونه للوجه.

يقول: لقيت الفلوات وشواهق الجبال، وقاسيت الحر الشديد والعطش المهلك، الذي يترك الماء عطشاناً مع أنه يكسر العطش، فكيف حال غيره ؟!

أبا كلّ طيبٍ لا أبا المسك وحده وكلّ سحابٍ لا أخصّ الغواديا

كان كافور مكنيا بأبي المسك.

يقول: لست أنت أبا المسك وحده، بل أنت أبو كل طيب، إذ الطيب كله مجموع فيك، وكذلك أنت أبو كل سحاب، ولست بالسحاب التي تأتي كل غداة، بل كل السحاب.

يدلّ بمعنى واحدٍ كلّ فاخرٍ وقد جع الرّحمن فيك المعانيا

يدل: من الدلال.

يقول: كل شريف إنما يفتخر بمعنى واحد من الفضل، وأنت جمعت كل معاني الفخر.

وهذا أيضاً مما ينقلب هجاء فكأنه يقول: جمع الله فيك كل المقابح.

وعن ابن جني قال: لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت فضحك أيضاً، وعرف غرضي. وهو أنه قصد به الهجاء.

إذا كسب النّاس المعالي بالنّدى فإنّك تعطي في نداك المعاليا

يقول: إذا بذل الناس الأموال؛ ليكتسبوا المعالي، وهبت أنت - في جملة هباتك - المعالي لقصادك.

يعني: أن من يقصدك يتشرف بهباتك، حتى يبني بها المعالي، أو تهب من يقصدك الولايات العظيمة،

والدرجات المنيفة.

يعرض له بأن يوليه ناحيةً.

وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع ملكاً للعراقين واليا

العراقين: الكوفة والبصرة.

يقول: لا يستكثر منك أن تهب العراقين لرجل قصدك راجلاً فيعود والياً !.

فقد تهب الجيش الّذي جاء غازياً لسائلك الفرد الّذي جاء عافيا

يقول: إذا قفل جيشك من الغزو، وهبته لسائل واحد.

وقيل: أراد إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لواحد من سؤالك، وطالبي نوالك.

وتحتقر الدّنيا احتقار مجرّبٍ يرى كلّ ما فيها وحاشاك فانيا

يقول: رأيت جميع ما في الدنيا فانياً، فلهذا احتقرتها ورغبت في الذكر الجميل والثناء، ثم استثنى الممدوح بقوله: وحاشاك.

وما كنت ممّن أدرك الملك بالمنى ولكن بأيامٍ أشبن النّواصيا

يقول: لم تدرك الملك بالتمني والاتفاق، وإنما أدركته بمقاساة الأمور العظيمة، ومعاناة الخطوب الشديدة، ومباشرة الحروب التي تشيب بهولها رءوس الأطفال. وأراد بالأيام: الحروب، والخطوب العظمة.

عداك تراها في البلاد مساعياً وأنت تراها في السّماء مراقيا

الهاء في تراها قيل: للمعالي وقيل: للأيام.

يقول: أنت تعتقد في المعالي، أو الخطوب العظيمة، أضعاف ما يعتقده أعداؤك من الملوك، فهم يرونها مساعي في الأرض، وأنت تراها مراقي في السماء، فحرصك عليها أبلغ، ونيلك لها أمكن.

لبست لها كدر العجاج كأنّما ترى غير صافٍ أن ترى الجوّ صافيا

يقول: لبست للمعالي أو للأيام، لباس الغبار، وملازمة القتام، حتى كأنك إذا رأيت الجو صافياً من غبار الحروب، رأيت ذلك كراهةً، كما يكره غيرك الغبار، وصفاء الجو عندك، كدره بالغبار. ومثل هذا البيت في صفة السيف قوله:

يلاقيك بسّاماً ووجهك عابسٌ فتلقاه عبّاساً وثغرك باسم

وقدت إليها كلّ أجرد سابحٍ يؤدّيك غضباناً ويثنيك راضيا

إليها: أي إلى الأيام، التي هي الحروب. والأجرد: القصير الشعر السابق: الذي يتقدم الخيل متجردا عنها. والسابح: الشديد الجريء.

يقول: إنك تقود إلى الحروب كل فرس سابق، وهو يأتي بك إلى الحرب وأنت غضبان، ويرجع بك وأنت راض؛ لوصولك إلى مرادك من الأعداء.

ومخترطٍ ماضٍ يطيعك آمراً ويعصي إذا استثنيت أو كنت ناهيا

وهذا عطف على ما قبله بإضمار فعل: أي وقدت إليها كل أجرد سابح، واخترطت كل سيف مجرد.

يقول: سيفك يطيعك إذا أمرته بالضرب، فإن أردت التوقف عن الضرب عصاك، لأنه قد قطع فلا يمكن رده.

وأسمر ذي عشرين ترضاه وارداً ويرضاك في إيراده الخيل ساقيا

أي: وحملت كل أسمر ذي عشرين ذراعاً. وهذا على طريق المبالغة؛ لأن ذلك لا يكون، وأكثر ما يكون الرمح ثلاثة عشر ذراعاً. والمحمود ما يكون أحد عشر ذراعاً. وقوله: ترضاه وارداً: أي إذا طعنت به رضيت نفاذه في الطعن، وهو أيضاً يرضاك إذا أوردته في نحور الخيل لتسقيه.

يعني: هو يرضى منك جودة الطعن كما ترضى منه جودة النفاذ.

كتائب ما انفكّت تجوس عمائراً من الأرض قد جاست إليها فيافيا

تجوس: أي تدوس وتطأ. والعمائر: القبائل، الواحدة عمارة.

يقول: إن كتائبه لا تزال تدوس قبائل من أعدائه، قد سرت إليها من بعد، وقطعت فيافي من الأرض.

يعني: أنه يقصد الأعداء في ديارهم.

وقيل: أراد بالعمائر الأرض العامرة؛ ليطابق الفيافي.

والمعنى: أنها سلكت المفاوز والفلوات، حتى وصلت إلى ديار الأعداء فوطئتها وأغارت عليها.

يصف بعض غزواته، وأنه يقصد أعداءه في الأماكن البعيدة.

غزوت بها دور الملوك فباشرت سنابكها هاماتهم والمغانيا

المغاني: المنازل. واحدها: مغنى.

يقول: غزوت بخيلك دور الملوك فقتلتهم، ووطئت بحوافرها رءوسهم وديارهم.

وأنت الّذي تغشى الأسنّة أوّلاً وتأنف أن تغشى الأسنّة ثانيا

يقول: أنت تطرح نفسك على رماح أعدائك قبل أصحابك، وتأنف أن يتقدمك أحد في الحرب وروى: تلقى الأسنة في المصراعين.

يعني: أنك تطاعن الخيل قدماً، وتأنف أن يتقدم عليك أحد.

إذا الهند سوّت بين سيفي كريهةٍ فسيفك في كفٍّ تزيل التّساويا

يقول: إذا عملت الهند سيفين متينين من حديد واحد، حتى لا فضل لأحدهما على الآخر، فإذا حصل أحدهما في يدك صار أمضى من الآخر، وزال التساوي بينهما.

وسيف كريهة: أي قاطع، إذا أكره في الحديد والعظام مضى فيها.

ومن قول سامٍ لو رآك لنسله: فدى ابن أخي نسلي ونفسي وماليا

سام: ابن نوح عليهما السلام، أبو العرب والروم والفرس، وحام: أبو السودان والبربر والهند، ويافث: أبو الترك. ويجوز فدى بكسر الفاء وابن أخي بالجر على الإضافة ويجوز: بفتح الفاء على أن تجعل فدى فعلاً فتنصب ابن أخي على أنه مفعول به.

والمعنى: أن ساماً لو رأى سياستك لقال لك: فداك نفسي ونسلي ومالي

مدىً بلّغ الأستاذ أقصاه ربّه ونفسٌ له لم ترض إلاّ التّناهيا

يقول: قد بلغ الله الأستاذ هذه المترلة، وبلغته أيضاً نفسه التي لم ترض إلا بلوغ الغاية في المجد.

دعته فلبّاها إلى المجد والعلا وقد خالف النّاس النّفوس الدّواعيا

يقول: دعته نفسه وهمته إلى طلب المجد والمعالي فأجابها، وغيره من الملوك قد خالفته النفوس الداعية.

فأصبح فوق العالمين يرونه وإن كان يدنيه التّكرّم نائيا

يقول: أصبح كافور، وقد علا الناس كلهم، فهم يرونه بعيد المراتب على المراقب، وإن كان يدنيه تواضعه من الناس.

ودخل عليه بعد إنشاد هذه القصيدة فابتسم إليه الأسود، ونهض فلبس نعلاً فرأى أبو الطيب شقوقاً برجليه وقبحها فقال يهجوه:

أريك الرّضا لو أخفت النّفس خافيا وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا

يقول: أنا أظهر لك الرضا عنك، والسرور بقربك، ولكن ما في نفسي لا يخفى، فإني غير راض عنك، ولا عن نفسي.

أميناً وإخلافاً وغدراً وخسّةً وجبناً ؟ أشخصاً لحت لي أم مخازيا ؟ !

مينا، وإخلافاً، وغدراً، وخسةً، وجبناً نصب على المصدر. وشخصاً نصب على الحال وكذلك مخازيا.

يقول: جمعت هذه المثالب، فإذا رأيتك لم أدر أنك إنسان، أم أنت مخاز ؟!

تظنّ ابتساماتي رجاءً وغبطةً وما أنا إلاّ ضاحكٌ من رجائيا

يقول: إذا رأيتني ضاحكاً حسبت أني مسرور بقربك، راج لفضلك، وليس كذلك، بل ذاك سخرية بنفسي، أضحك منها، كيف رجت منالك مع لؤمك وخستك ؟!

وتعجبني رجلاك في النّعل، إنّني رأيتك ذا نعلٍ إذا كنت حافيا

يقول: إذا رأيت رجليك في النعل تعجبت من لبسك النعل؛ لأني رأيتك ذا نعل، وإن كنت حافيا؛ لغلظ رجليك.

وقيل: المعنى إذا رأيتك وأنت لابس النعل تعجبت، وذكرت أيام كنت تمشي حافيا، ورجلاك كأنهما في النعل !

وأنّك لا تدري ألونك أسودٌ من الجهل أم قد صار أبيض صافيا ؟ !

يقول: من جهلك لا تعرف حقيقة لونك، وأنك أسود أم أبيض ؟

ويذكرني تخييط كعبك شقّه ومشيك في ثوبٍ من الزّيت عاريا

يقول: إذا رأيت شقوق كعبك، تذكرت شقها حين كنت عبداً، والسودان تكثر الشقوق بأرجلهم.

وقوله: ومشيك في ثوب من الزيت عارياً: يعني: إني تذكرت أيام جئت من بلاد النوبة، وكنت تعرض على البيع وأنت عريان مطلى بالدهن، فكأنك لبست ثوب الزيت، وهذه عادة السودان إذا جلبوا أدهنوا بالزيت؛ ليصفو سوادهم. ونصب عاريا على الحال.

وقيل: معناه إنك أسود تضرب إلى الصفرة. والمولدون من أهل العراق يسمون من كان غير مشبع السواد زيتياً.

وقيل: معناه الوسخ الذي عليه من آثار دهن الزيت.

ولولا فضول النّاس جئتك مادحاً بما كنت في سرّى به لك هاجيا

يقول: إنك لا تعرف الهجو من المدح، فلولا أني أخاف من فضول الناس، لكنت أنشدك الهجو، وأريك أنه غاية المدح.

فأصبحت مسروراً بما أنا منشدٌ وإن كان بالإنشاد هجوك غاليا

يقول: كنت تسر بإنشادي هجوك ! ظناً منك أنه مدح، وإن كان هجوك لا يتساوى بالإنشاد.

فإن كنت لا خيراً أفدت فإنّني أفدت بلحظى مشفريك الملاهيا

الملاهي: جمع ملهى، وهو كل ما يلهى به. ويجوز أن يكون مصدراً. ونصب مشفريك بلحظي أي أفدت الملاهي؛ بأن لحظت مشفريك.

يقول: لم أستفد منك خيراً، ولم أصل منك إلى مال، فإني استفدت اللهو برؤية مشفريك. وأفدت: بمعنى استفدت ها هنا.

ومثلك يؤتى من بلادٍ بعيدةٍ ليضحك ربّات الحداد البواكيا

الحداد: الثياب السود.

يقول: إن من رآك يضحك منك، حتى النساء اللابسات السواد في المصائب، إذا رأينك يضحكن منك، ويتسلين عن غمهن، وكل من عليه الحزن يقصدك من الأماكن البعيدة؛ ليلهو عن حزنه.

وبنى كافور داراً بإزاء الجامع الأعلى على البركة، وتحول إليها وهنأه الناس بها، وطالب أبا الطيب بذكرها فقال:

إنّما التّهنئات للأكفاء ولمن يدّنى من البعداء

يدنى: يفتعل من الدنو.

يقول: إنما تكون التهنئة بين الأكفاء، وأنا لست بكفء لك، وتكون لمن يكون بعيداً من الملوك ثم يدنوا منهم، وأنا لست بواحد من هذين، بل أنا عضو من أعضائك. على ما يبين فيما يليه.

وأنا منك لا يهنّئ عضوٌ بالمسرّات سائر الأعضاء

يقول: أنا عضو من اعضائك، وهل رأيت عضو إنسان يهنئ سائر أعضائه ؟! فكما لا يهنئ الإنسان نفسه، كذلك لا يلزمني تهنئتك؛ لأني مشارك لك في الأحوال.

مستقلٌّ لك الدّيار ولو كا ن نجوماً آجرٌّ هذا البناء

روى مستقل بفتح القاف. والديار رفع. وروى: مستقل لك الديار نصب.

يقول: أنا أستقل لك الديار والأبنية، ولو كان آجرها من النجوم.

ولو أنّ الّذي يخرّ من الأم واه فيها من فضّةٍ بيضاء

يخر: أي يصوت، من الخرير.

يقول: لو كان الذي يخر فيها من المياه من فضة بيضاء، لاستقللتها لك في جنب قدرك.

أنت أعلى محلّةً أن تهنّا بمكانٍ في الأرض أو في السّماء

أن تهنا: أصله أن تهنأ، فخفف الهمزة، فأبدلها ألفاً.

يقول: انت أجل قدراً وأعلى محلاً من أن تهنأ بدار في الأرض أو في السماء، والمحل والمحلة واحدة.

ولك النّاس والبلاد وما يس رح بين الغبراء والخضراء

وما يسرح: أي ما يذهب من الدواب والوحش.

يقول: أنت تملك البلاد ومن عليها وما عليها من الحيوانات. والغبرآء: الأرض. والخضراء: السماء.

وبساتينك الجياد وما تحمل من سمهريّةٍ سمراء

يقول: إنما بساتينك التي تتنزّه فيها، الجياد من الخيل، وثمارها الرماح، فأنت لا تتنزه إلا بهما، فكيف أهنئك بالدار والبساتين ؟!

إنّما يفخر الكريم أبو المس ك بما يبتنى من العلياء

يقول هو: إنما يفتخر بما يبنى من المعالي وما يشيد من المكارم، لا بالقصور المبنية بالآجر، فإنها تنهدم عن قريب، والمعالي تبقى أبداً.

وبأيّامه الّتي انسلخت عن ه وما داره سوى الهيجاء

يقول: إنما يفتخر بأيام حروبه وقائعه التي سبقت له فظهرت منه، ولا دار له سوى الحروب، ومعاركها.

وبما أثّرت صوارمه البي ض له في جماجم الأعداء

يقول: إنما يفتخر بتأثير سيوفه في رءوس الأعداء.

وبمسكٍ يكنى به ليس بالمس ك ولكنّه أريج الثّناء

أرج الطيب وأريجه: توهج ريحه.

يقول: يفتخر بالمسك المكنى به، ثم قال: وليس المسك المكنى به هو المسك المعروف، وإنما هو مسك الثناء وحسن الذكر.

لا بما تبتنى الحواضر في الرّي ف وما يطّبى قلوب النّساء

الحواضر: جمع الحاضرة. ويطبى: أي يستميل. والريف: المدن والماء يقول: لا يفتخر بما يبنيه أهل الحضر، وسكان المدن، من الدور الحسنة ولا بالمسك لأن ذلك إنما يستميل قلوب النساء، بل لا يفتخر إلا بالمعالي وحسن الثناء والمجد.

نزلت، إذ نزلتها، الدّار في أح سن منها من السّنا والسّناء

السنا المقصور: الضوء، والسناء الممدود: الشرف والعلا.

يقول: لما نزلت الدار تشرفت بك وتزينت بقربك، فكأن حسنها حيث نزلتها وتقديره: نزلت الدار في أحسن منها إذا نزلتها.

حلّ في منبت الرّياحين منها منبت المكرمات والآلاء

يقول: أنت منبت المكرمات والنعم، حللت من هذه الدار منبت الرياحين، فأنت منبت المكارم، وهي منبت الرياحين.

تفضح الشّمس كلّما ذرّت الشّم س بشمسٍ منيرةٍ سوداء

يقول: إذا طلعت الشمس تفضحها بشمس سوداء ! وهذا في ظاهره مدح، وهو مضمر الهجو، إذ الشمس لا تكون سوداء.

إنّ في ثوبك الّذي المجد فيه لضياءٍ يزرى بكلّ ضياء

يقول: إن في ثوبك: أي في بدنك، الذي هو محل المجد ضياءً يقصر بكل ضياء. لما قال في البيت الذي قبله: شمس منيرة سوداء أورد هذا وما بعده ليزيل الإبهام.

إنّما الجلد ملبسٌ، وابيضاض النّ فس خيرٌ من ابيضاض القباء

يقول: سوادك لا يشينك، وإنما هو بمنزلة الثوب والقباء، وبياض النفس خير من بياض القباء، وليس الفخر بالبياض، وإنما هو بالأفعال. وهذا من قول عبد بني الحسحاس:

إن كنت عبداً فنفسي حرّةٌ كرماً أو أسود اللّون إنّي أبيض الخلق

ومثله كثير.

كرمٌ في شجاعةٍ، وذكاءٌ في بهاءٍ، وقدرةٌ في وفاء

أي جمعت هذه الخلائق الشريفة، فلا يشينك سواد لونك.

من لبيض الملوك أن تبدل اللّو ن بلون الأستاذ والسّحناء

السحناء: الهيئة.

يقول: إن البيض يتمنون أن يستبدلو بألوانهم لونه، ويغيروا هيئتهم بهيئته، ولكن أين لهم ذلك ؟!

فتراها بنو الحروب بأعيا ... نٍ تراه بها غداة اللّقاء

الهاء في تراها للملوك. والفعل: لبني الحروب. والهاء في تراه لكافور.

يقول: إن الملوك البيض يتمنون أن يستبدلوا ألوانهم بلونه، ليراهم الأبطال الذين هم أهل الحروب بالعيون التي رأوا بها كافوراً في الحرب. والأعيان: جمع عين في القلة.

يا رجاء العيون في كلّ أرضٍ ... لم يكن غير أن أراك رجائي

يقول: كل أحد يرجو أن يراك؛ لتفيض عليه إنعامك، ولم يكن لي رجاء في قصدي مصر سوى أن أراك وأتشرف بمدحك.

ولقد أفنت المفاوز خيلي ... قبل أن نلتقي، وزادي ومائي

يقول: قطعت المسافة البعيدة، والمفاوز الصعبة: لرؤيتك، حتى أفنت المفاوز خيلي وزادي ومائي.

فارم بي ما أردت منّي فإنّي ... أسد القلب آدميّ الرّواء

الرواء: المنظر.

يقول: كلفني ما شئت من الأمور العظيمة، فإني وإن كنت في المنظر آدمياً فإن قلبي قلب الأسد.

وفؤادي من الملوك وإن كا ... ن لساني يرى من الشعراء

يقول: إني وإن كنت شاعراً، فإن لي همة عاليةً، ونفسا شريفة، وقلبي قلب الملوك.

ولما أنشده أبو الطيب، حلف له كافور ليبلغنه جميع ما في نفسه، وإنه لأكذب ما يكون إذا حلف!

فقال أبو الطيب وأنشده إياها في انسلاخ شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلاث مئة:

من الجآذر في زيّ الأعاريب ... حمر الحلي والمطايا والجلابيب ؟ !

الجآذر: جمع جوذر، وهو ولد البقرة الوحشية. والزي: اللباس والأعاريب: جمع الأعراب، والأعراب: جمع أعرابي. والحلي: جمع حلية. وهو بضم الحاء وكسرها. والجلابيب: جمع جلباب، وهي الملاحف والملابس. وقال أبو عبيدة: الجلابيب هي الخمر، والملاحف.

وقد روى: برفع الراء ونصبها، فالرفع على الاستئناف أي: هن حمر الحلي. والنصب على الحال.

جعل كونهن جآذر حقيقة، وكونهن أعاريب مجازاً وتشبيها، وهذا على عادته في قلب التشبيه.

يقول: من هذه الجآذر التي في زي الأعراب ؟! جعلهن جآذر؛ لسواد عينهن. وهن حمر الحلي؛ لأنها من الياقوت، وملابسهن حمر لأنهن غنيات شواب، يلبسن المعصفرات وثياب الملوك، ومطاياهن حمر؛ لأنها كرام الإبل عندهم، وهي من مراكب الملوك.

إن كنت تسأل شكّاً في معارفها ... فمن بلاك بتسهيد وتعذيب ؟!

أنكر على نفسه في هذا، السؤال ! وقال: إن كنت تسأل عن هؤلاء النساء من حيث أنك شككت فيهن، حيث أشبهن الجآذر، فلا ينبغي لك أن تشك في معرفتهن، لأنهن اللاتي سهدن عينيك، وعذبن قلبك، ومن في قوله: فمن بلاك على هذا تكون خبراً، ويجوز أن تكون استفهاماً على معنى الإنكار. والمعنى: إن لم تعرفهن فمن الذي بلاك بتسهيد وتعذيب ؟!

لا تجزني بضنىً بي بعدها بقرٌ ... تجزي دموعي مسكوباً بمسكوب

الضنى: الألم، ولا تجزني: جزم، والهاء في بعدها قيل: ضمير البقر، أي: بعد فراقهن، وقيل: هو ضمير الحالة أو المرأة. أي: بعد هذه المرأة أو الحالة. وتقديره: لا تجزني بضني بي ضني نساءٍ يجزينني بالبكاء بكاء. على سبيل الدعا لهن: أي لا مرضن كما مرضت.

والمعنى: أنه دعاء لهن بألا يضنين بفراقه، كما ضنى بفراقهن.

وقوله: تجزي دموعي صفة البقر. يعني: هذه البقرة التي جازتني بالبكاء، فجرت دموعهن لفراقي، كما جرى دمعي.

وقيل: معناه قد أضناني حب هؤلاء، حتى تغيرت محاسني، وقرب شيبي، فلا تجزني بعدهن بفرقتي، لأني قد شبت وبليت، فلم يبق لي موضع لعشق النساء كما عشقتهن، فيجزينني ضني بضني، وتقابلن بكاء ببكاء، رحمة لي لا عشقاً. فيكون البقر غير التي جرى ذكرها.

سوائرٌ ربّما سارت هوادجها ... منيعةً بين مطعونٍ ومضروب

سوائر: صفة أخرى لبقر، وقيل: وهن سوائر. ومنيعةً: نصب على الحال. يعني: أنهن عزيزات في قوم أعزة، فإذا سارت هودجهن بهن، كان حولهن من يذب عنهن ويحميهن من كل من تعرض لهن، فلا مطمع لأحد فيهن.

وربّما وخدت أيدي المطّى بها ... على نجيعٍ من الفرسان مصبوب

الوخد والوخيد: ضرب من السير السريع.

يقول: ربما سارت هوادجهن فوق الدماء، فتقع أيدي المطى على دماء الفرسان المصبوبة، إن تعرضوا

لهن.

وإنما ذكر الأيدي دون الأرجل؛ لأنها أول ما تقع على الأرض، فاكتفى بذكرها عن ذكر الأرجل.

كم زورةٍ لك في الأعراب خافيةٍ   أدهى وقد رقدوا من زورة الذّيب

أي: أدهى من زورة الذيب، وقد فصل بينهما بقوله: وقد رقدوا والذيب: يضرب به المثل في الخبث والدهاء.

يخاطب نفسه ويقول: كم مرة ذهبت إلى الأعراب حين رقدوا فزرت حبيبتك وهم لا يشعرون، وهجمت عليها هجوم الذئب، إذ اختطفتها من بينهم على وجه الاحتيال والاستخفاء، كما يفعل الذئب لما يختطف من الغنم، ويهجم عليها من حيث لا يشعر الراعي.

أزورهم وسواد اللّيل يشفع لي   وأنثني وبياض الصّبح يغري بي

يقول: إن الظلام يسترني عند زيارتي هؤلاء الأعراب، فكأنه يشفع لي إلى ما أريد. وعند الانصراف يشهرني الصبح ويحول بيني وبينها. ومثله لابن المعتز:

لا تلق إلا بليلٍ من تواصله   فالشّمس نمّامةٌ واللّيل قوّاد

فذكر جميع ما في البيت في نصف بيت.

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها   وخالفوها بتقويضٍ وتطنيب

التقويض: ضد التطنيب.

يقول: هؤلاء الأعراب وافقوا الوحش في حلولهم مراتع الوحوش وسكناهم مساكنها وخالفوها بأنهم يحطون خيامهم مرة، ويقلعون أوتادهم مرة، ثم يطنبونها: أي ينصبونها، ويشدون حبالها.

جيرانها وهم شرّ الجوار لها   وصحبها وهم شرّ الأصاحيب

الجوار: بضم الجيم وكسرها، هي المجاورة، ومعناه ها هنا: هم شر أهل الجوار.

يقول: جيران الوحش من حيث المسكن، إلا أنهم شر الجيران لها؛ لأنهم يصيدونها وهم أصحاب الوحوش؛ إلا أنهم أشر الأصحاب؛ لأنهم يأكلونها.

فؤاد كل محبّ في بيوتهم   ومال كلّ أخيذ المال محروب

أخيذ المال: أي مأخوذ المال. والإضافة في تقدير الانفصال، ولهذا نكر الصفة في قوله: محروب والمحروب: الذي أخذ حريبه، وهو ماله.

يقول: إن رجالهم صعاليك يغيرون على الأعداء، ونساؤهم فواتن يسلبن قلوب العشاق، ففي بيوتهم قلوب الرجال وأموال الأبطال.

وقيل: إنهم أحنوا إلى الناس فملكوا قلوبهم بالإحسان، وملكوا أموال الأعداء بالقهر والإغارة.

ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويّات الرّعابيب

الرعابيب: جمع رعبوبة، وهي البيضاء الممتلئة الجسم. والهاء في به للحضر، وهو خلاف البدو.

يقول: ليس أهل الحضر كأهل البدو.

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب

الحضارة: ملازمة الحضر، والبداوة: ملازمة البدو. والتقدير: حسن أهل الحضارة وأهل البداوة.

يقول: إن حسن الحضريات مصنوع بالتطرية، وحسن البدويات مطبوع، والمطبوع خير من المصنوع.

أين المعيز من الآرام ناظرةً وغير ناظرةٍ في الحسن والطّيب

المعيز والمعزى والمعز: واحد. وناظرةً: نصب على الحال. أقام الحضريات مقام المعز، لكون المعز حضريات، وأقام البدويات مقام الظباء؛ لكون الظباء في الفلوات.

يقول: أين المعز من الظباء في حسنها وطيبها ! وفي حال كونها ناظرةً، وفي غير حال نظرها.

أي: كما أن الظباء أحسن من المعز في كل حال، فكذلك البدويات أحسن من الحضريات.

وقيل معنى قوله: ناظرة وغير ناظرة أي أن الظباء أحسن من المعز: حيةً وميتة، فهي أحسن منها منظراً حية، ولحماً ميتة.

أفدي ظباء فلاةٍ ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

الصبغ بالفتح: مصدر، وبالكسر: اسم. والحواجيب: أراد به الحواجب، فأشبع الكسرة؛ لتحدث الياء بعدها. والهاء في بها للفلاة.

يقول: إن البدويات مطبوعات على حسن الكلام، وحسن الحواجب، فلا يصبغن حواجبهن بالسواد، ولا يمضغن الكلام؛ لأن كلامهن فيه غنة فلا يحتجن إلى تكلفها.

وقيل: أراد بمضغ الكلام التفاصح.

ولا برزن من الحمّام مائلةً أوراكهنّ صقيلات العراقيب

أوراكهن رفع بمائلةً وصقيلات نصب على الحال.

يعني: أهن مخلوقات كذلك فلا يصبغن حواجبهن، ولا يكسرن في كلامهن، ولا تتمايل أوراكهن تصنعا، ولا يصقلن عراقيبهن كما تفعله النساء من أهل الحضر. فأفدى من هذه حالها.

ومن هوى كلّ من ليست ممّوهةً   تركت لون مشيبي غير مخضوب

المموه: المزور المغشوش.

يقول: لما كنت أحب كل مطبوعة، وأبغض كل مصنوعة، تركت لون شيي ظاهراً مطبوعاً، لم أموهه بالخضاب. وهذا ينظر إلى قول الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله   عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ومن هوى الصّدق في قولي وعادته   رغبت عن شعرٍ في الوجه مكذوب

الهاء في عادته للصدق.

يقول: من حبي للصدق واعتيادي له، زهدت عن شعر مخضوب في الوجه: وهو المكذوب.

ليت الحوادث باعتني الّذي أخذت   منّي بحلمي الّذي أعطت وتجريبي

يقول: إن الحوادث أخذت مني الشباب، وأعطتني الحكمة والتجارب، فليتها ردت على ما أخذته من الصبي، وأخذت ما أعطت من الحلم والنهى.

فما الحداثة من حلمٍ بمانعةٍ   قد يوجد الحلم في الشّبّان والشّيّب

يقول: ليت الحوادث ردتني إلى أيام الصبى والحداثة، فإنها لا تمنع من الحلم، فيكون مع الحداثة ما يكفيني من الحلم والتجربة؛ فإن العقل يوجد في الأحداث كما يوجد في الشيوخ. والحداثة: لا توجد إلا مع الشبان.

ترعرع الملك الأستاذ مكتهلاً   قبل اكتهالٍ، أديباً قبل تأديب

ترعرع: أي شب، ولا يكون إلا حسن الشباب. والاكتهال: التمام في كل شيء. والكهل من الناس: من سنه ما بين أربع وثلاثين، إلى خمسين سنة. ونصب مكتهلاً وأديباً على الحال.

لما قال: إن الحداثة لا تمنع من الحلم، استدل بحال كافور فقال: الحلم يوجد في الأحداث، كما أن الأستاذ كافور ترعرع من الحلم والأدب، ولم يكن من الشيوخ. ولا الكهول.

يعني: أنه خلق مطبوعاً على الأدب، فلم يحتج إلى مؤدب، وكان ابتداء شبابه في الكمال، كاكتهال غيره.

مجرّباً فهماً من قبل تجربةٍ مهذّباً كرماً من قبل تهذيب

مهذباً ومجرباً نصب على الحال. وفهماً وكرماً نصب على المصدر أو على المفعول له.

يقول: ترعرع الملك على هذه الأحوال، فهو مجرب قبل تجربة؛ لما طبع عليه من الفهم، مهذب؛ لما جبل عليه من الكرم، فلا يحتاج إلى التهذيب والتجريب.

حتّى أصاب من الدّنيا نهايتها وهمّه في ابتداءاتٍ وتشبيب

التشبيب: الابتداء بالأمر.

يقول: قد أصاب الغاية من الدنيا، وهو مع ذلك في أول مطالبه وتشبيب همته، ولم تبلغ همته أقصى مرادها.

يدبّر الملك من مصرٍ إلى عدنٍ إلى العراق فأرض الروم فالنّوب

يعني: أن هذه النواحي كلها تحت يده، وهو يديرها.

إذا أتتها الرّياح النّكب من بلدٍ فما تهبّ بها إلا بترتيب

النكب: جمع النكباء، وهي كل ريح هبت بين مهبي ريحين. وقيل: هي ريح تهب من مهاب الرياح الأربع على غير استواء.

يقول: إن الريح النكباء مع اختلاف هبوبها، إذا أتت هذه النواحي، لا تهب فيها إلا بترتيب من حسن سياسته وترتيبه الأمور.

ولا تجاوزها شمسٌ إذا شرقت إلا ومنه لها إذنٌ بتغريب

روى: إذا شرقت وإذا طلعت والتغريب: أن تأخذ نحو المغرب.

يقول: إذا طلعت الشمس على هذه النواحي، فأرادت أن تتجاوزها، فلا تجسر على المجاوزة، إلا أن يأذن لها بالغروب، والها في منه: لكافور وفي لها للشمس.

يصرّف الأمر فيها طين خاتمه ولو تطلّس منه كلّ مكتوب

تطلس: أي انمحى وذهب أثره، وطلست الكتاب: محوته.

يقول: لا يمضي الأمر إلا بخاتمه، وإن انمحت كتابته متى عرفت رسومه أمضي أمره، رهبة له وإعظاماً.

يحطّ كلّ طويل الرّمح حامله من سرج كلّ طويل الباع يعبوب

فاعل يحط حامله: أي حامل خاتمه. والهاء للخاتم. واليعبوب: الفرس الكثير الجري. وقيل: هي الطويل، وطويل الباع: طويل القوائم.
يقول: حامل خاتمه يحط كل فارس طويل الرمح، عن سرج كل فرس طويل القوائم واسع الجري؛ لما يداخله من الهيبة، وانبساط أمره، فإذا كانت هذه حاله، فحال غيره في الانقياد أبلغ.

كأنّ كلّ سؤالٍ في مسامعه   قميص يوسف في أجفان يعقوب

يقول: يفرح بسؤال كل سائل، وكأنه في أذنه. مثل: قميص يوسف في عين يعقوب، فهو يستشفى بالسؤال، كما استشفى يعقوب بقميص يوسف.

إذا غزته أعاديه بمسألةٍ   فقد غزته بجيشٍ غير مغلوب

يقول: إن أعداءه إذا قصدوه بالخضوع والسؤال، طلباً لما له أو طلباً للصلح منه، أجابهم لما يريدون، فكأنهم قصدوه بجيش لا يغلب.

أو حاربته فما تنجو بتقدمةٍ   ممّا أراد، ولا تنجو بتجبيب

التجبيب: بباءين هو التأخر والهرب. وروى تخبيب من قولهم: خبب فلان نفسه إذا بعد.

يقول: إن حاربه الأعداء فلا ينجون بالشجاعة والإقدام، وإن هربوا لحقهم بخيله، فلا ينجون بالهرب والانهزام.

أضرت شجاعته أقصى كتائبه   على الحمام، فما موت بمرهوب

أضرت: أي أغرت، يقال: أضريته على كذا وضريته على كذا: إذا عودته. وأقصى كتائبه: أي جميع كتائبه؛ لأن أقصى هو الغاية.
يقول: قد عودت شجاعته جميع عسكره لقاء الحروب، فكأنه أضراهم على الموت، فلا يخافون من الموت والقتل، كالبازي إذا ضرى بالصيد، لا يخاف منه.

قالوا هجرت إليه الغيث ! قلت لهم: إلى غيوث يديه والشّآبيب

الشآبيب: جمع شؤبوب، وهي الدفعة العظيمة من المطر.
والمعنى: أن أرض مصر لا تمطر، وكأن الناس قالوا: لم تركت ديار الخصب والغيث، وقصدت كافوراً ؟! فقال لهم: إن غيث يديه وشآبيب جوده، أكثر من الغيث وأنفع.

إلى الّذي تهب الدّولات راحته   ولا يمنّ على آثار موهوب

يقول: إن كنت تركت الغيث، فقد قصدت ملكاً يهب الولايات، ولا يتبع منه.

وفيه تعريضان: أحدهما تعريض لكافور أن يوليه ولاية، والآخر تعريض بسيف الدولة أنه كان يمن عليه بما يصل منه إليه.

ولا يروع بمغدورٍ به أحداً   ولا يفزّع موفوراً بمنكوب

الموفور: الرجل الكثير المال.

يقول: لا يغدر بأحد، فيخاف آخر بأن يغدر به كما غدر بغيره، ولا ينكب صاحب مال، فيخاف منه صاحب مال أن ينكبه، كما نكب غيره.

بلى يروع بذي جيش يجدّله   ذا مثله في أحمّ النّقع غربيب

يجدله. يصرعه على الجدالة، وهي الأرض، والأحم: الأسود، والنقع: الغبار، والغربيب: الأسود جاء به توكيداً.

يقول: لا يروع بمغدور به أحداً، ولكن يقصد إلى ملك صاحب جيش عظيم فيقتله ويروع به ملكاً آخر صاحب جيش مثل هذا المقتول، فإذا رأى ما صنع بالأول هابه.

يعني: أن همته ليست أخذ المال، بل همته طلب العز.

وجدت أنفع مالٍ كنت أذخره   ما في السّوابق من جريٍ وتقريب

التقريب: أرفع المشي، وأدنى الجري.

يقول: كان أنفع مال وجدته وجمعته: ما في الخيل السوابق من الجري والتقريب.

جعل الجري والتقريب مالاً، لما وصل بهما إلى المال؛ لاتصاله بالممدوح.

لمّا رأين صروف الدّهر تغدر بي   وفين لي ووفت صمّ الأنابيب

يقول: لما وصلت بهذه السوابق، وبهذه الرماح إلى جميع ما أردته، فكأنهن وفين لي، في وقت غدرت بي صروف الدهر، ولم توافني حوادث الأيام.

فهو يصف بذلك رحيله إلى مصر، ونجاته من أذية سيف الدولة.

فتن المهالك حتّى قال قائلها: ماذا لقينا من الجرد السّراحيب ؟ !

المهالك: جمع مهلكة، وهي المفازة. والسرحوب: الفرس الطويل، ولا يوصف بها الذكر.

يقول: سرعة هذه الخيل، شكت المفاوز حتى قال قائلها: أي بعض بقاعها: أي شيء لقينا من هذه الخيل ؟! وقيل: أراد بالمهالك أسباب الهلاك. أي فأتت خيلي كل أمر فيه هلاك.

تهوى بمنجردٍ ليست مذاهبه   للبس ثوبٍ ومأكولٍ ومشروب

تهوى: أي تسرع. والمنجرد: الماضي في أمره.

يقول: هذه السوابق تهوى في المفاوز برجل مجد في أمره، ليست همته المأكول والمشروب والملبوس، وإنما همته معالي الأمور.

يرى النّجوم بعيني من يحاولها   كأنّها سلبٌ في عين مسلوب

يقول: ينظر هذا المنجرد إلى النجوم نظر من يريد تناولها، فكأنها سلب سلب منه، فهو ينظر إليها كما ينظر المسلوب إلى سلب في يد غيره.

يعني: أنه يستحق منازل النجوم، لكن الدهر حطه عن درجته، فهو ينظر إليها على هذا الوجه.

حتّى وصلت إلى نفس محجّبةٍ   تلقى النّفوس بفضلٍ غير محجوب

يقول: قطعت المهالك حتى وصلت إلى نفس محبة من الناس؛ لعظم شأنه، ولكن فضلها غير محجوب.

وقيل: إن هذا تعريض بسواده. يعني: وصلت إلى نفس كريمة، محجوبة في جسم أسود، وفضلها غير محجوب: يعني: أن مخبره أحسن من منظره.

في جسم أروع صافي العقل تضحكه   خلائق النّاس إضحاك الأعاجيب

يقول: هذه النفس في جسم رجل ذكي صافي العقل، وإن كان أسود اللون، فهو أبيض العقل، فلا يخالط عقله شيء من الكدورة، وهو يضحك من أخلاق الناس لنقصائهم في العقل ! فكأنه رأى شيئاً عجيباً.

والأروع: الذكي القلب.

فالحمد قبل له، والحمد بعد لها   وللقنا ولإدلاجي وتأويبي

له: أي لكافور. ولها: للخيل. والإدلاج: سير الليل. والتأويب: سير النهار كله.

يقول: الحمد أولاً لك، إذ كان كرمك هو الباعث على قصدك، ثم بعد ذلك لخيلي؛ لأني وصلت بها إليك، وكذلك لسيري ليلاً ونهاراً حتى وصلت إليك.

وكيف أجحد يا كافور نعمتها   وقد بلغنك بي يا كلّ مطلوبي ؟ !

يقول: كيف أجحد نعم هذه الخيل السوابق ! وهي التي بلغتني إليك، وأنت مأمولي وغاية كل مطلوبي.

يا أيّها الملك الغاني بتسميةٍ في الشّرق والغرب عن وصفٍ وتلقيب

الغاني: المستغني.

يقول: أنت مشهور في العالم باسمك المذكور، فإذا قيل: كافور، عرفت واستغنيت عن الوصف، واللقب.

أنت الحبيب ولكنّي أعوذ به من أن أكون محبّاً غير محبوب

به: يرجع. إلى الحبيب.

يقول: أنت حبيبي، ولكني أعوذ بك من أن أكون محباً لك، ولا أكون محبوباً عندك. ومثله لأبي تمام قوله:

كم من عدوٍّ قال لي متمثّلاً: كم من ودود ليس بالمودود !

وقال يمدحه في ذي الحجة من هذه السنة ويستنجزه وعده.

أودّ من الأيّام ما لا تودّه وأشكو إليها بيننا وهي جنده

الهاء في توده ترجع إلى ما والفعل للأيام. والهاء في إليها تعود إلى الأيام. وفي جنده إلى البين.

يقول: أريد من الأيام ألا تفرق بيني وبين أحبائي، والأيام لا تريد ذلك. وأشكو إليها الفراق وهي جنده: أي هو الذي حكم بها، فإذا شكوت إليها لم تشكني.

يباعدني حبّاً يجتمعن ووصله فكيف بحبٍّ يجتمعن وصدّه ؟ !

الحب: المحبوب، وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد؛ لأنهما في الأيام يكونان، والظرف يتضمن الفعل، فإذا تضمنه فقد لابسه وصار كأنه مجتمع معه، وعطف الوصل والصد على الضمير في يجتمعن من غير التوكيد بالفصل، وهذا جائز في ضرورة الشعر.

يقول: إن الأيام تباعد مني الحبيب المواصل، فكيف تقرب الحبيب المقاطع ؟!

أبى خلق الدّنيا حبيباً تديمه فما طلبي منها حبيباً تردّه

يقول: كيف ترد عليك الأيام حبيبك الذي فارقك ؟ وهي لا تترك عليك حبيبك الذي هو معك !

وأسرع مفعولٍ فعلت تغيّراً تكلّف شيءٍ في طباعك ضدّه

يقول: إن الدنيا مطبوعة على التغير والتنقل، وإذا ساعدت بقرب حبيب لم تلبث أن تفرق بيننا وبينه ! وترجع إلى عادتها التي جبلت عليها، فأسرع شيء انتقالاً، وأقربه زوالاً هو: تكلف ما في طبعه خلافه.

رعى اللّه عيساً فارقتنا وفوقها مهاً كلّها يولى بجفنيه خدّه

المها: بقر الوحش، وعنى بها النساء ويولي: من الولي، وهو من المطر الثاني. والهاء في كلها للمها وفي جفنيه وخده يعود إلى لفظ كل.

يقول: حفظ الله عيساً فارقتنا وفوقهن نساء يبكين لفراقنا، فتجرى دموعهن على خدودهن مرةً بعد مرة، فكأن خد كل واحدة منهن يسقى ولياً بعد وسمى من سحابة جفنيها، تأسفاً على الفراق.

بوادٍ به ما بالقلوب كأنّه وقد رحلوا جيدٌ تناثر عقده

الهاء في به وكأنه للوادي، وفي عقده للجيد.

يعني: فارقتنا هذه العيس بوادٍ به من الوحشة لفراقهن مثل ما في قلوبنا من الوحشة، فهو لوحشته كالجيد الذي انقطع عقده وتناثر در قلائده. أي كن زينةً له، فلما رحلن عنه صار كالجيد نزع حليه.

إذا سارت الأحداج فوق نباته تفاوح مسك الغانيات ورنده

الأحداج: جمع الحدوج، وهو مركب من مراكب النساء، والرند: الآس، وقيل: شجر طيب الريح، والعرب تسمى العود رنداً والهاء نباته ورنده للوادي.

يقول: اختلطت رائحة المسك من النساء برائحة الرند في هذا الوادي، فكان كل واحد منهما يباري الآخر بفوح الرائحة.

وحالٍ كإحداهنّ رمت بلوغها ومن دونها غول الطّريق وبعده

غول الطريق: بعده. يقول: هو الهلاك.

يقول: رب حال مثل إحدى هؤلاء الجواري في الحسن والكمال، أو في العزة والامتناع. وأنا أروم الوصل إليها، وبيني وبينها طريق بعيد يهلك من سلكه.

وأتعب خلق الله من زاد همّه وقصّر عمّا تشتهي النّفس وجده

الوجد والوجدة: هو الغنى.

يقول: أتعب الناس من أتعب همته، ولم يساعده ماله وإمكانه.

فلا ينحلل في المجد مالك كلّه فينحلّ مجدٌ كان بالمال عقده

يقول: لا تتلف مالك كله في اكتساب المجد والثناء، فإن فعلت ذلك افتؤلت وضاع المجد الذي كنت تطلبه ! إذ المجد لا يكون إلا مع المال.

ودبّره تدبير الّذي المجد كفّه   إذا حارب الأعداء والمال زنده

يقول: دبر المال تدبير الرجل الذي المجد كفه، والمال زنده: يعني كما لا تقوم الكف إلا بالزند، فكذلك لا تقهر الأعداء إلا بالمال.

فلا مجد في الدّنيا لمن قلّ ماله   ولا مال في الدّنيا لمن قلّ مجده

يعني: كما لا يقوم المجد من دون المال، كذلك المال لا ينفع إلا مع المجد، فمن له المال بلا مجد فهو بمترلة الفقير الذي لا مال له.

وفي النّاس من يرضى بميسور عيشه   ومركوبه رجلاه والثّواب جلده

يقول: في الناس من ليس له همة، فقد رضى بالدون من العيش، واقتصر على طعام بطنه، فلا يركب إلا رجله، ولا يلبس إلا جلده.

ولكنّ قلباً بين جنبيّ ما له   مدىً ينتهي بي في مرادٍ أحدّه

لفظة ما في قوله: ما له نفي.

يقول: أنا لست هكذا، لكني بعيد الهمة، ليس لهمتي غاية تقف عندها. والهاء في أحده للمراد.

يرى جسمه يكسى شفوفاً تربّه   فيختار أن يكسى دروعاً تهدّه

الشفوف: جمع شف، وهو الثوب الرقيق. وتربه: تنعمه. وتهده: تهدمه.

يقول: هذا القلب يرى الجسم الذي فيه يلبس أثواباً رقاقاً، وهو لا يختار له ذلك، وإنما يختار الدروع مع خشونتها وغلظتها؛ لتهدم نعومة الحسم.

يكلّفني التّهجير في كلّ مهمهٍ   عليقي مراعيه وزادي ربده

التهجير: السير في وقت الهاجرة. والعليق: ما تعلق به على الدابة، من شعير أو غيره. والربد: النعام، الواحد أربد، وربداء، سميت بذلك لسواد لوها.

يقول: قلبي يكلفني السير في وقت الهاجرة في كل مهمه بلا زاد ولا عليق، فخيلي تأكل من مراعيها، وزادي من نعامها.

وأمضى سلاحٍ قلّد المرء نفسه   رجاء أبي المسك الكريم وقصده

يقول: أمضى سلاح المرء: قصد كافور ورجاؤه، فكما أن أبلغ ما يتوصل به المرء إلى مرامه هو السلاح، كذلك أبلغ ما يوصله إلى مراده قصده ورجاؤه.

هما ناصرا من خانه كلّ ناصر   وأسرة من لم يكثر النّسل جدّه

يقول: رجاؤه وقصده معينان من ليس له معين. وعشيرة يتقوى بها، كما يتقوى الرجل بناصره وعشيرته.

أنا اليوم من غلمانه في عشيرةٍ لنا والدٌ منه يفدّيه ولده

الولد والولد: لغتان يقعان على الواحد والجمع. وقيل: الولد: جمع الولد.

يقول: أنا اليوم من جملة غلمانه، وهم لي بمترلة الولد، ونحن أولاده نتمنى أن نفديه بأنفسنا.

فمن ماله مال الكبير ونفسه ومن ماله درّ الصّغير ومهده

يعني: أن نعمه عمت الكبير والصغير، فمال الكبير ونفسه من هباته، ولب الصغير ومهده من ماله.

يعني: أنه يملك نفوس الناس وأموالهم.

نجرّ القنا الخطّىّ حول قبابه وتردى بنا قبّ الرّباط وجرده

الهاء في جرده يرجع إلى لفظ الرباط لأنه اسم واحد موضوع للجمع مثل: القوم والنفر. وتردى: من الرديان، وهي سرعة السير. والقب: جمع أقب وقباء وهو الفرس الضامر، والرباط: اسم للخيل المربوطة، وقال أبو زيد: هي الخمس فما فوقها.

يقول: نجر القنا حول قباب الممدوح كل يوم، لأنا من غلمانه، ونجري الخيل في ميدانه؛ لأن عادة الغلمان أنهم يتلاعبون في ميادين الملوك.

ونمتحن النّشّاب في كلّ وابلٍ دوىّ القسيّ الفارسيّة رعده

الهاء في رعده يعود إلى وابل.

يقول: نرمي النشاب بين يديه، ونمتحنها، على عادة الغلمان من امتحان السهام. وشبه كثرة النشاب بالمطر الوابل، ودوي القسي وصوتها عند الرمي بالرعد. يصف كثرة غلمانه وجنده.

فإلاّ تكن مصر الشّري أو عرينه فإنّ الّذي فيها من النّاس أسده

الشري: موضع كثير الأسد، والعرين: الأجمة.

يقول: إن لم تكن مصر مقر الأسود، فإن الذي فيها أسود، فلا اعتبار بالموضع، وإنما الاعتبار بالأسد.

سبائك كافورٍ وعقيانه الّذي بصمّ القنا لا بالأصابع نقده

العقيان: الذهب.

يقول: هؤلاء الغلمان، والرجال الذين هم الأسود سبائك لكافور ادخرهم بعد أن امتحنهم بالطعن

بين يديه، وجربهم فجعلهم ذخائر، وأقامهم مقام ماله، الذي هو السبائك والذهب؛ لأنه يصل بهم إلى مطالبه كما يوصل بالمال.

ولما جعلهم مالا جعل نقدهم بالقنا والطعن لا بالأصابع، لأنه لم يرد حقيقة الدنانير التي تنقد بالأصابع.

وقيل: أراد أنه يكسب الذهب والفضة بصم القنا لا بالتجارة. والأول هو الظاهر الأليق.

قال أبو الطيب: لما أنشدت هذا البيت قال لي كافور: من يعرف العقيان. اليوم ؟ فقلت: نعم هرباً من تفسيره إياه. فقال: الصيوف. يريد السيوف.

بلاها حواليه العدوّ وغيره		وجرّبها هزل الطّراد وجدّه

بلاها: أي جربها. والهاء فيها قيل: تعود إلى الخيل، وقيل للسبائك والعقيان.

يقول: إن العدو قد جرب هذه الخيل والغلمان وغير العدو أيضا.

فالعدو في الحرب في حالة الجد وغير العدو في الميدان: في حالة الهزل.

أبو المسك لا يفنى بذنبك عفوه		ولكنّه يفنى بعذرك حقده

يخاطب نفسه أو صاحبه يقول: إن عفوه لا يفنى بذنبك، ولم يغلبه ذنب المذنب، ولكنه يفنى حقده بعذرك: يعني إذا اعتذرت إليه زال عن قلبه حقده.

فيا أيّها المنصور بالجدّ سعيه		ويا أيّها المنصور بالسّعي جدّه

سعيه وجده: رفع بالمنصور.

المعنى: أنك بلغت جدك بسعيك، ولم تبلغ ما بلغت بالجد وحده، ولكنه بالجد والسعي، فجدك ينصر سعيك في أمرك ويوفقه لك، وسعيك ينصر جدك، فقد اشتملتك السعادة والنصر.

تولّى الصّبا عنّي فأخلفت طيبه		وما ضرّني لمّا رأيتك فقده

أخلفت: أي وجدت طيب كافور خلفاً من الصبا.

يقول: لما تولت عني أيام الصبا جعلت طيبك خلفاً عنها، فناب مناب أيام الصبا ولم يضرني فقد أيام الصبا لما رأيتك، فسروري بك مثل سروري بأيام الصبا.

لقد شبّ في هذا الزّمان كهوله		لديك، وشابت عند غيرك مرده

يقول: شب كهول الزمان عندك؛ لسرورهم بإحسانك إليهم فكأنهم في أيام الصبا، والشباب عند غيرك شابت مرد هذا الزمان لإيذائه إياهم.

يريد سيف الدولة.

ألا ليت يوم السّير يخبر حرّه فتسأله، واللّيل يخبر برده

يقول: ليت حر الهواجر يخبرك بحاله؛ حتى تسأله عما فعل بي، وليت برد الليل مخبر أيضا؛ لتعرف منه ما قاسيت من البرد.

وليتك ترعاني وحيران معرضٌ فتعلم أنّي من حسامك حدّه

حيران: ماء بالشام، وقيل: جبل. كانت قد ظهرت له خيل وهو عليه.

يقول: ليتك تراني بهذا المكان، حين لاحت لي الخيل، لتعلم شجاعتي، وأني بمترلة الحد في سيفك.

وقيل: شبه الجيش بحيران، الذي هو الجبل.

والمعنى: ليتك رأيتني يوم يبدو فيه الجيش، حتى تقف على شجاعتي، وتعلم أني حد حسامك.

وأنّي إذا باشرت أمراً أريده تدانت أقاصيه وهان أشدّه

يقول: وتعلم أيضاً أني إذا رمت أمراً، قرب بعيده وهان شديده.

وما زال أهل الدّهر يشتبهون لي إليك فلمّا لحت لي لاح فرده

يقول: كنت أظن أن أهل الدهر مشتبهون في المراتب والمترلة، متساويين في القدر، فلما رأيتك رأيت فرد الزمان الذي لا نظير له.

وقيل: إن أهل الدهر من الملوك كانوا يشتبهون بك عندي، فيوهمونني مساواقم لك في الملك وسائر الخصال، فلما رأيتك، أوحد الدهر، علمت بطلان دعاويهم.

يقال إذا أبصرت جيشاً وربّه أمامك ربٌّ ربّ ذا الجيش عبده

يقول: كنت إذا رأيت جيشاً وأميره، قيل لي قدامك ملك - وهو كافور - وأمير هذا الجيش، عبد ذلك الملك.

وألقى الفم الضّحّاك أعلم أنّه قريبٌ بذي الكفّ المفدّاة عهده

الهاء في عهده للفم. وقوله: بذي الكف: أي بهذه الكف، وقيل بصاحب الكف.

يقول: كنت إذا رأيتك فماً كثير الضحك علمت أنه قريب العهد بتقبيل كفك - التي تفدي الأنفس - وذلك الضحك، لما لحقه من السرور حين وصل إلى تقبيل كفك، أو عرفت أنه قريب العهد بعطاء كفك المفداة، فذلك الضحك سرور بعطائك.

فزارك منّي من إليك اشتياقه وفي النّاس إلاّ فيك وحدك زهده

المعنى: زارك مني رجل مشتاق إليك، زاهد في جميع الناس إلا فيك وحدك وقوله: زارك مني أي أنا ذلك الذي إليك اشتياقه.

يخلّف من لم يأت دارك غايةً ... ويأتي فيدري أنّ ذلك جهده

الجهد: الطاقة، والجهد: المشقة، وقيل: هما واحد.

يقول: من قصد غيرك من الملوك فقد خلف وراءه غاية، وإذا قصدك فقد بلغ غاية جهده وطاقته، فإنه ليس وراءك غاية يطلب الوصول إليها.

فإن نلت ما أمّلت منك فربّما ... شربت بماءٍ يعجز الطّير ورده

الورد: الورود، وهو فاعل يعجز والضمير في ورده للماء والباء في قوله: شربت بماء زائدة.

المعنى: إني بعيد الهمة، شريف المطلب، لا أطلب إلا غايةً بعيدة؛ فلهذا قصدتك، وقاسيت الأخطار دونك، وليس هذا بمنكر مني، فإني ربما وصلت إلى ما لا يقدر الطير على الوصول إليه ! يعني: وصلت إلى مطالب يعجز عنها غيري.

ووعدك فعلٌ قبل وعدٍ لأنّه ... نظير فعال الصّادق القول وعده

يقول: وعد كل أحد يشبه فعله، وأنت صادق القول، فإذا وعدت فكأنك ابتدأت بالجود. قبل الوعد، فإن وعدك واقع لا محالة.

فكن في اصطناعي محسناً كمجربٍ ... يبن لك تقريب الجواد وشدّه

التقريب: ضرب من سير الفرس دون الشد.

يقول: جربني في اصطناعك إياي وإحسانك إلي، ليتبين لك صغر حالي وكبرها.

شبه الصغر بالتقريب، والكبر بالشد.

إذا كنت في شكٍّ من السّيف فابله ... فإمّا تنفّيه وإمّا تعدّه

يقول: إن شككت في حالي فجربني، فإني مثل السيف يتبين حاله بالتجربة، فإن رضيتني جعلتني عدة لك، وإلا رميت بي.

وما الصّارم الهنديّ إلاّ كغيره ... إذا لم يفارقه النّجاد وغمده

نجاد السيف: حمائله.

يقول: لا فضل بيني وبين غيري إذا لم تجربني كما لا فضل بين السيف الهندي القاطع، وبين غيره من السيوف إذا لم يجرد من غمده. ومثله لأبي تمام:

لما انتضيتك للخطوب كفيتها والسّيف لا يكفيك حتّى ينتضى

وإنّك للمشكور في كلّ حالةٍ ولو لم يكن إلاّ البشاشة رفده

الهاء في رفده للمشكور.

يقول: أنا أشكر لك في كل حال، وإن لم يكن من عطائك إلا طلاقة وجهك لكفاني ذلك.

وكلّ نوالٍ كان أو هو كائن فلحظة طرفٍ منك عندي ندّه

يقول: كل عطاء كان منك فيما مضى أو سيكون، فنظرة منك إلي تقوم عندي مقامه. والند: المثل. والهاء في نده للنوال.

وإني لفي بحر من الخير أصله عطاياك أرجو مدّها وهي مدّه

يقول: أنا في بحر من الخير، وأصل هذا البحر من عطاياك، وأرجو مد عطاياك، فهي مد هذا البحر.

وما رغبتي في عسجدٍ أستفيده ولكنّها في مفخرٍ أستجدّه

العسجد: الذهب. وأستفيده وأستجده بمعنًى واحد.

يقول: ليست رغبتي في المال، ولكن رغبتي في استفادة الفخر واستجداد الشرف. وأراد به الولاية. ومثله لأبي تمام:

ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم فإنّي لم أخدمك إلاّ لأخدما

يجود به من يفضح الجود جوده ويحمده من يفضح الحمد حمده

الهاء في به للمفخر.

يقول: يجود بهذا المفخر، من جوده يفضح كل جود. يعني كافورا. ويحمده على هذا الجود، من حمده يفضح كل حمد. يعني به نفسه.

يعني: أنت أجود الملوك وأنا أبلغ الشعراء وأفصحهم.

فإنّك مامرّ النّحوس بكوكبٍ وقابلته إلاّ ووجهك سعده

يقول: لو أن كوكبا من الكواكب أصابه نحس، وقابلته أنت، سعد ذلك النجم بسعادتك، وخرج النحس من غير أن يؤثر فيه بنحوسته.

يعني: أن من أتاك سعد بقربك، وظهر عليه إقبالك، فيرجع غنيا مسرورا.

وشكا إليه ابن عياش طول قيامه في مجلس الأسود وكان دسه عليه، ليعلم ما في نفسه فقال أبو الطيب يمدح كافورا ارتجالا:

يقلّ له القيام على الرّءوس ... وبذل المكرمات من النفوس

يقول: الوقوف بين يديه يقل له، لأنه يستحق فوق ذلك، وكذلك يقل له بذل النفوس المكرمة في جنب ما يستحقه من التعظيم.

إذا خانته في يومٍ ضحوكٍ ... فكيف تكون في يومٍ عبوس ؟

يقول: إذا خانته في حال الرفاهية والسلم والسرور فتقصر في الخدمة والقيام بين يديه فكيف تكون في حال الشدة والحرب ؟! والغرض بضحك اليوم وعبوسه: حسنه وطلاقته. وقيل: أراد في يوم يضحك فيه ويعبس فيه كما يقال: ليل نائم أي ينام فيه

ومات له في دار البركة التي انتقل إليها خمسون غلاما في أيام يسيرة، ففزع، وخرج إلى دار أخرى هارباً منها في الليل، حتى قال الناس إنه جاءه في الليل أسود فقال له: إن خرجت منها.. وإلا قتلتك ! فخرج على وجهه، ونزل دار بعض غلمانه إلى أن أصلحت له دار كانت لحرم ابن طولون، فلما نزلها دخل عليه أبو الطيب فقال في المحرم سنة سبع وأربعين وثلاث مئة.

أحقّ دارٍ بأن تدعى مباركةً ... دارٌ مباركة الملك الّذي فيها

يقول: أحق الدور بأن تسمى مباركة، هي الدار التي الملك فيها، لما يشملها من نعمه وبره.

وأجدر الدّور أن تسقى بساكنها ... دارٌ عدا النّاس يستسقون أهليها

يقول: إذا كان البعيد يستسقى من جود يديك، فدارك التي تسكنها أولى بأن تسقيها بجودك وبركتك.

هذي منازلك الأخرى نهنّئها ... فمن يمرّ على الأولى يسلّيها

ويقول: نحن نهنئ دارك التي انتقلت إليها بنفسك، فمن يمر على الأولى التي انتقلت عنها يسليها: أي يصبرها. من بمعنى الذي.

إذا حللت مكاناً بعد صاحبه ... جعلت فيه على ما قبله تيها

يقول: إذا نزلت مكاناً بعد ما رحلت عن مكان غيره، تاه المكان الذي نزلته على الذي ارتحلت عنه، تشرفاً بك.

لا تنكر العقل من دارٍ تكون بها   فإنّ ريحك روحٌ في مغانيها

يقول: لا تنكر أن تكون الدار التي تحلها لها عقل ! تعرف به شرفها بقربك، لأن ريحك في منازلها، لها روح تحيا به.

أتمّ سعدك من لقّاك أوّله   ولا استردّ حياةً منك معطيها

يقول: أتم الله سعادتك، كما ابتدأك بها، ولا استرد منك ما أعطاك من الحياة.

ودخل يوما أبو الطيب على كافور الأسود، فلما نظر إليه وإلى قلته في نفسه ونقص عقله ولؤم كفه وقبح فعله، ثار الدم في وجهه حتى ظهر ذلك فيه، فخرج فركب فأتبعه الأسود بعض القواد، وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله وقال له: أراك متغير اللون ؟ فقال أبو الطيب: أصاب فرسي اليوم جرح خفته عليه، وقلبي مشغول به، وليس له خلف إن تلف، فبلغ معه إليه ثم عاد إلى الأسود فأخبره، فأنفذ إليه مهراً أدهم، فقال أبو الطيب يمدحه ويذكر أسف الحمدانيين عليه وأنشدها يوم الأحد لأربع عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر من هذه السنة:

فراقٌ ومن فارقت غير مذمّم   وأمٌّ ومن يمّمت خير ميمّم

يقول: هذا فراق ومن فارقته غير مذموم، وهو سيف الدولة، وهذا أم: أي قصد، ومن أممته خير مقصود، وهو كافور.

وما منزل اللّذّات عندي بمنزلٍ   إذا لم أبجّل عنده وأكرّم

يقول: ليست اللذة بلذة الأماكن إلا إذا أكرمني أصحابها وعظموا قدري، فمتى كنت مهاناً فيها فلا أعدها لذة عندي.

سجيّة نفسٍ ما تزال مليحةً   من الضّيم مرميّاً بها كلّ مخرم

مليحةً: أي مشفقة خائفةً. والمخرم: المفازة.

يقول: عادة نفسي أنها تأنف الذل، وتشفق من الضيم، فلهذا أتحمل المشقة وأقطع المفاوز.

رحلت فكم باكٍ بأجفان شادنٍ   عليّ، وكم باكٍ بأجفان ضيغم

الشادن: ولدى الظبي إذا قوى. والضيغم: الأسد.

يقول: لما رحلت بكى لفراقي النساء اللواتي عيونهن كأعين الغزلان، والأبطال الذين هم كالأسود، وعنى به سيف الدولة وأصحابه.

يعني: بكى لفراقي حبيبي بأجفان الشادن، وبكى سيف الدولة بأجفان الضيغم.

وما ربّة القرط المليح مكانه   بأجزع من ربّ الحسام المصمّم

هذا تفسير البيت الذي قبله. والهاء في مكانه للقرط، وهو الذي يعلق في شحمة الأذن.

يقول: لم تكن حبيبتي صاحبه القرط، بأشد جزعاً لفراقي، من حبيبي الذي هو صاحب السيف. وأراد به سيف الدولة.

فلو كان ما بي من حبيب مقنّع   عذرت ولكن من حبيب معمّم

يقول: لو كان ما بي من الشوق إنما هو لحبيبي المقنع، لعذرت نفسي في فراقه، لأني فارقته لطلب المجد والعلا، ولكن أي عذر في مفارقة حبيبي المعمم ؟! وما رجوته من قصد غيره، كان موجوداً عنده ! يظهر الندم على فراق سيف الدولة.

وقيل: معناه لو كان سبب فراقي من قبل المحبوبة لعذرتها، لأن التغير والفراق من عاد النساء، ولكن ما بي من حبيب معمم، فالتغير لا يعذر فيه.

رمى واتّقى رميي ومن دون ما اتّقى   هوىً كاسرٌ كفّى وقوسي وأسهمي

يقول: ذلك الحبيب المعمم رماني بسهم، ثم خاف أن أرميه بما رماني به، وليس يدري أن هواه يكسر قوسي وكفي وسهمي.

يعني: إن سيف الدولة بدأ لي بالاساءة، ثم تغير لي، لأنه حسب أني تغيرت له، فقبل في كلام الأعداء وساء ظنه ! وليس يدري أن محبتي له تمنعني من الإساءة إليه، ومقابلته على فعله. وهذا عتاب لطيف.

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدّق ما يعتاده من توهّم

يقول: إذا أساء إنسان إلى إنسان، أساء ظنه به وصدق توهمه عليه، لأنه يظن أنه حقد عليه ففسدت نيته.

وعادى محبّيه بقول عداته   وأصبح في ليلٍ من الشّكّ مظلم

يقول: إذا أساء الرجل إلى صديقه، ظن أنه قد تغير له، فيتنكر في مودته ويعاديه بقول أعدائه.

أصادق نفس المرء من قبل جسمه   وأعرفها في فعله والتّكلّم

يقول: أصدق الأرواح قبل الأشباح، وأعرف أحوال الأرواح في فعل المرء وكلامه: الذي هو صاحب النفس.

وأحلم عن خلّي وأعلم أنّه   متى أجزه حلماً عن الجهل يندم

يقول: إذا جهل علي خليلي حلمت، وعلمت أني إذا قابلته بالحلم، ندم على ما بدر منه وعاد إلى الوصل.

وإن بذل الإنسان لي جود عابسٍ   جزيت بجود التّارك المتبسّم

يقول: إذا شاب الإنسان جوده بالعبوس، جدت له بترك نواله، وتركته وقابلت عبوسه بالتبسم.

وأهوى من الفتيان كلّ سميدع   نجيبٍ كصدر السّمهريّ المقوّم

السميدع: السيد.

يقول: أحب كل سيد كريم، ماض في أموره نافذاً فيها مثل الرمح المقوم.

خطت تحته العيس الفلاة وخالطت   به الخيل كبّات الخميس العرمرم

خطت: أي قطعت من خطوت. والكبات: الصدمات والحملات. وروى لبات الخميس والهاء في تحته وفي به للسميدع.

يقول: أهوى كل سيد كريم، قطع الفلوات وشاهد الواقعات، وقارع الأبطال والزمان.

ولا عفّةٌ في سيفه وسنانه   ولكنّها في الكفّ والفرج والفم

يقول: أهوى من لا عفة له في سيفه وسنانه: أي لا يردهما عن عدوه في قتال، وهو مع ذلك عفيف اليد والفرج والفم.

وما كل هاوٍ للجميل بفاعلٍ   ولا كلّ فعّالٍ له بمتمّم

يقول: ليس كل من يحب الفعل الجميل يفعله، ولا كل من يفعله يتممه ويربيه. كأنه يعرض بسيف الدولة: أنه لم يتمم إحسانه.

فدىً لأبي المسك الكرام فإنّها   سوابق خيلٍ يهتدين بأدهم

شبه الكرام بالخيل السوابق، وجعل كافورا فرساً أدهم يتقدمها لسواد لونه. وفداه بجميع الكرام المقتدين به.

أغرّ بمجدٍ قد شخصن وراءه   إلى خلقٍ رحبٍ وخلقٍ مطهّم

شخصن: أي رفعن أبصارهن.

يقول: هذا الأدهم أغر بالمجد، لا بالبياض، فالمجد يشرق في وجهه إشراق الغرة، والسوابق وراءه ينظرون سعة خلقه وكمال خلقه، شاخصة أبصارهن إليه.

إذا منعت منك السّياسة نفسها   فقف وقفةً قدّامه تتعلّم

يقول: إذا صعب عليك أيها الإنسان أمر السياسة، فقف بين يديه وانظر إلى سياسته، تتعلم منه حسن السياسة

يضيق على من راءه العذر أن يرى ضعيف المساعي أو قليل التّكرّم

راء: مقلوب رأى.

يقول: من رأى كافوراً وصحبه، فلا عذر له في ضعف مساعيه وقلة تكرمه، لأنه يتعلم منه المساعي وكرم الأخلاق.

ومن مثل كافورٍ إذا الخيل أحجمت وكان قليلاً من يقول لها اقدمي

اقدمي: من قدم يقدم إذا تقدم.

يقول: من يكون مثله في حال شدة الحرب ؟ حين تأخرت الخيل عن الإقدام، ولم يكن هناك من تقدم إلا القليل من الفرسان أي ليس لهمته في هذا الوقت نظير.

شديد ثبات الطّرف والنّقع واصلٌ إلى لهوات الفارس المتلثّم

يقول: لا يصرف بصره في المعركة مع تراكم الغبار ودخوله في لهوات الفارس المتلثم.

أبا المسك أرجو منك نصراً على العدا وآمل غرّاً يخضب البيض بالدّم

يقول: أرجو منك أن تنصرني على أعدائي، حتى أتمكن منهم، وأخضب من دمائهم سيوفي.

ويوماً يغيظ الحاسدين وحالةً أقيم الشّقا فيها مقام التّنعم

يقول: أرجو يوماً تنعم علي فيه، فيغيظ ذلك اليوم حسادي، وأرجو منك أن تبلغني يوما أقتل فيه أعدائي وأغيظ فيه حسادي، وأرجو حالة أقيم الشقاء فيها مقام التنعم: يعني يكثر فيها تعب الحرب، ومشقة القتال، ويكون ذلك الشقاء عندي بمنزلة التنعم أسر به كما أسر بالنعم.

ولم أرج إلاّ أهل ذاك ومن يرد مواطر من غير السّحائب يظلم

يقول: إنما رجوتك لهذا الأمر؛ لأنك أهل له قادر أن تبلغني ما أريده ولو طلبت ذلك من غيرك لكنت قد ظلمته وكلفته ما لا يقدر عليه، ووضعت الشيء في غير موضعه، وأكون كمن طلب المطر من غير السحاب.

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيّم

يقول: قصدت مصر لألقاك، ولو لم تكن فيها لما سرت إليها بقلب المشتاق: الذي عنده الشوق.

ولا نبحت خيلي كلاب قبائل كأنّ بها في اللّيل حملات ديلم

الديلم: الأعداء، والديلم: هذا الجيل من العجم.

وعن ابن جني قال: سئل أبو الطيب فقال: أتريد الديلم الأعداء، أو هذا الجيل من العجم ؟ فقال: بل كل.

يقول: لو لم تكن في مصر، لما صرت على قبائل الأعراب، حتى حملت كلابها علي، كما تحمل الديلم في حروبها مع الصياح.

ولا اتّبعت آثارنا عين قائفٍ فلم تر إلاّ حافراً فوق منسم

القائف: الذي يتبع الأثر والمنسم: طرف خف البعير.

والمعنى: أنه ركب الأبل وجنب الخيل، وكانت حوافرها تقع على آثار أخفاف الإبل، فمن تبع أثره رأى أثر حوافر الخيل على أثر أخفاق الإبل.

وسمنا بها البيداء حتّى تغمّرت من النّيل واستذرت بظلّ المقطّم

تغمرت: أي شربت شربا قليلا. واستذرت: أي استترت. والمقطم: جبل على جانب النيل.

يقول: سرنا بالخيل والإبل في البيداء، فصارت آثارها فيها كالسمة، حتى وصلنا إلى مصر، فشربت من النيل واستترت بظل المقطم.

وأبلج يعصي باختصاصي مشيره عصيت بقصديه مشيري ولوّمي

الأبلج: هو الجميل، وقيل: المنقطع ما بين الحاجبين.

يقول: قصدته وعصيت من لامني فيه، وأشار علي بترك لقائه، كما عصى هو من لامه في اختصاصي. وأراد به وزير كافور ابن خترابة لأن المتنبي لم يمدحه. وأراد بالأبلج: كافورا.

فساق إليّ العرف غير مكدّرٍ وسقت إليه الشّكر غير مجمجم

جمجم الرجل بكلامه إذا لم يفصح به ولم يبينه.

يقول: لما قصدته أنعم علي نعماً غير مكدرة بمن ولا أذى، ومدحته مدحاً لا عيب فيه، ولا إشارة فيه إلى ذم.

قد اخترتك الأملاك فاختر لهم بنا حديثاً وقد حكّمت رأيك فاحكم

أي: قد اخترتك من الأملاك، فحذف من وأوصل الفعل إلى ما بعده فنصبه.

يقول: قد اخترتك من بين الملوك، فاختر أنت حديثاً يتحدثون به عني وعنك، وقد جعلتك حاكماً، فافعل بي فعلاً إذا سمعوه كان مختاراً عندهم.

فأحسن وجهٍ في الورى وجه محسنٍ وأيمن كفٍّ فيهم كفّ منعمٍ

يقول: وجه المحسن أحسن الوجوه، وكفه أكثر بركةً من سائر الأكف. ومثله لآخر:

ولم أر كالمعروف: أمّا مذاقه فحلوٌ وأمّا وجهه فجميل

وأشرفهم من كان أشرف همّةً وأكثر إقداماً على كلّ معظم

يقول: أشرف الناس من كانت همته أشرف، وإقدامه على كل أمر عظيم أكثر.

لمن تطلب الدّنيا إذا لم ترد بها سرور محبٍّ أو مساءة مجرم

كأنه يخاطب نفسه أو صاحبه فيقول: إن المال إنما يراد به أن تسر الودود، وترغم أنف الحسود، فإذا لم ترد هذين فلماذا تطلب المال ؟! وأي معنى في طلب الجاه وحسن الحال ؟!

وقد وصل المهر الّذي فوق فخذه من اسمك ما في كلّ عنقٍ ومعصم

يقول: قد وصل إلي المهر الموسوم باسمك، الذي هو سمة في عنق كل حي ويده، فرساً كان أو غيره.

لك الحيوان الرّاكب الخيل كلّه وإن كان بالنّيران غير موسّم

يقول: أنت تملك الخيل وراكبيها، وكل حيوان موسوم باسمك فالخيل موسومة بالنيران، والناس موسومون بالنعم والإحسان.

ولو كنت أدري كم حياتي قسمتها وصيّرت ثلثيها انتظارك فاعلم

يقول: إنما أتقاضاك بالوعد؛ لأني لا أدري كم أعيش فأخاف حلول الموت قبل الوصول إلى الموعود، ولو كنت أعلم مقدار حياتي لأمضيت ثلثيها انتظاراً لوعدك واستطابة به، فلا أتهم وعدك وإنما أتهم الأجل.

ولكنّ ما يمضي من الدّهر فائتٌ فجد لي بحظّ البادر المتغنّم

يقول: ما فات من العمر لا أستدركه، فجد لي بحظ من يسبق الإحسان ويغتنمه.

رضيت بما ترضى به لي محبّةً وقدت إليك النّفس قود المسلّم

يقول: كل شيء ترضى به لي فإني راض به، ومؤثر هواك في كل شيء، وقدت نفسي إليك قود من سلمها لك.

ومثلك من كان الوسيط فؤاده   فكلّمه عنّي ولم أتكلّم

الوسيط: الواسطة بين الرجلين.

يقول: من كان مثلك في الكرم فقلبه يكون واسطة بيني وبينه، وينوب منابي في التشفع إليه والتقاضي له، فيتكلم عني في حاجتي ولا يحتاج أن أتكلم بها.

وخرج من عنده فقال يهجوه:

أنوك من عبدٍ ومن عرسه   من حكّم العبد على نفسه

من مرفوعة بالابتداء وأنوك خبره وتقديره: من حكم العبد على نفسه أنوك من عبد. والهاء في عرسه قيل: تعود إلى من أي: الذي يرضى بحكم العبد، فهو أشد حمقاً من العبد، وأشد حمقاً من امرأة نفسه. وقيل: الهاء تعود إلى العبد أي يكون أحمق من العبد، ومن امرأة العبد.

وإنّما يظهر تحكيمه   ليحكم الإفساد في حسّه

الحس: العقل.

يقول: الذي يجعله حاكماً، ويعتقد تحكيمه في الباطن، ويظهر رضاه أيضاً. أي: يرى أنه راض بتحكيمه في الظاهر، كما هو راض به في الباطن، فقد حقق الناس فساد عقله. والهاء في حسه تعود إلى من وفي تحكيمه إلى العبد وأراد به: ابن الإخشيد الذي كان في حجر كافور. ورضى بحكمه.

وروى نظهر ونحكم بالنون.

والمعنى: إنما نظهر للناس تحكيم كافور في أنفسنا؛ لتفسد حسه، لا أنا حكمناه في الحقيقة على أنفسنا، بل أظهرنا ذلك له ليزداد في حسه فساداً؛ إذ من شأن الأحمق أنه مهما حكم ازداد حمقاً. والهاء في حسه تعود إلى العبد.

ما من يرى أنّك في وعده   كمن يرى أنّك في حبسه

يقول: ليس من يظن أنك في حبسه، كمن يظن أنك منتظر وعده. يعني: أنا في حبسه وهو يظن أني مقيم على انتظار وعده. والكاف: خطاب لنفسه. والهاء في وعده وحبسه تعود إلى من الأولى.

العبد لا تفضل أخلاقه   عن فرجه المنتن أو ضرسه

يقول: إن العبد ليس له همة إلا في الأكل والجماع، ولا يتجاوز همه إلى مكرمة، فكيف أرجوه؟!

لا ينجز الميعاد في يومه ولا يعي ما قال في أمسه

الهاء في يومه قيل: للميعاد أي في يوم الميعاد وقيل: للعهد.

يقول: إذا وعد وعداً لم ينجزه، وإذا صار إلى يوم آخر، نسى وعده بالأمس؛ لجهله، فمن هذا حاله فكيف يرجى نواله !؟

وإنّما تحتال في جذبه كأنّك الملاّح في قلسه

القلس: حبل السفينة.

يقول: إذا وعد شيئاً تحتاج إلى الاحتيال في جذبه إلى ذلك الموعود، فإن أغفلت جره تأخر، كما أن الملاح يحتاج إلى جر السفينة في النهر مصعداً لها، فإن ألقى الحبل من يده، انجرت مع الماء.

فلا ترجّ الخير عند امرئٍ مرّت يد النّخّاس في رأسه

في رأسه: أي على رأسه.

يقول: لا ترج خيراً عند من كان عبداً، فمرت على رأسه يد النخاس بالصفع، فإنه لا خير عنده.

وإن عراك الشّكّ في نفسه بحاله فانظر إلى جنسه

يقول: إن عرض لك شك في أمره بحسن حاله، فلا تغتر بتلك، وانظر إلى جنسه من العبيد فإن خلقه كأخلاقهم، والشيء إذا التبس حاله بغيره، يرد إلى جنسه.

فقلّما يلؤم في ثوبه إلاّ الّذي يلؤم في غرسه

الغرس: جلدة رقيقة تخرج على رأس المولود.

يقول: قلما يلؤم في ثوبه إلا الذي يولد وهو لئيم، فكل شيء يترع إلى أصله.

من وجد المذهب عن قدره لم يجد المذهب عن قنسه

القنس: الأصل.

يقول: من وجد طريقاً إلى أن يتجاوز قدر نفسه ويباين أشكاله، فإنه لا يجد طريقاً يتجاوز أصله وينحرف به عن لؤم نفسه.

واتصل قوم من الغلمان بالصبي مولى الأسود، فأنكر ذلك عليهم وطالبه بتسليمهم إليه، فجرت بينهما وحشة أياماً، ثم سلمهم إليه فقتلهم واصطلحا، فطولب أبو الطيب بأن يذكر الصلح فقال في ذلك:

حسم الصّلح ما اشتهته الأعادي وأذاعته ألسن الحسّاد

وأذاعته: أي وما أذاعته.

يقول: قطع الصلح ما كانت تشتهيه الأعادي من الخلاف بينكما، وما أفشاه الحساد من الوحشة الواقعة بينكما.

وأرادته أنفسٌ حال تدبي ... رك ما بينها وبين المراد

أي: وما أرادته. والهاء راجعة إلى ما في قوله: ما اشتهته.

يقول: أراد قوم أن يوقعوا بينكما الخلاف، فحال تدبيرك بينهم وبين مرادهم.

صار ما أوضع المخبّون فيه ... من عتابٍ، زيادةً في الوداد

أوضع إيضاعاً: إذا أسرع المشي. والمخبون: الذين يحملون دوابهم على الخب، وهو السير السريع، وأراد ها هنا السعي بالنميمة.

يقول: صار فعل من يسعى بينكما بالنميمة والفساد، زيادة في إصلاح الوداد، فرجع الوشاة بالخيبة.

وكلام الوشاة ليس على الأحبا ... ب سلطانه على الأضداد

سلطانه: يروى بالرفع فيكون مبتدأ، وعلى الأضداد خبره، واسم ليس: ضمير الكلام، وعلى الأحباب خبره.

يقول: إن كلام الوشاة إنما يوقع الفساد إذا كان بين الأضداد، فأما بين الأحباب المتصافين فلا يوقع الفساد.

وروى: سلطانه بالنصب يعني ليس يتسلط على الأحباب، سلطانه على الأضداد.

إنّما تنجح المقالة في المر ... ء إذا وافقت هوىً في الفؤاد

يقول: إن مقالة الوشاة، إنما تعمل في المرء إذا وافقت منه مراداً لها، وأصغى إليها. وهذا تأكيد للمعنى الأول.

ولعمري لقد هزرت بما قي ... ل فألفيت أوثق الأطواد

الأطواد: الجبال.

يقول: إن الوشاة بالغوا في السعاية بينكما، وحركوك بالوشاية فلم تسمع قولهم، فصادفوك في الحلم والوقار مثل الجبل.

وأشارت بما أبيت رجالٌ ... كنت أهدى منها إلى الإرشاد

يقول: أشار قوم عليك بالخصومة، فأبيت ما أشاروا به، فكنت أرشد منهم وأهدى إلى الصواب فيما فعلت من الصلح.

قد يصيب الفتى المشير ولم يج هد ويشوى الصّواب بعد اجتهاد

يشوى: أي يخطئ. يقال: رماه فأشواه: إذا أخطأ المقتل وأصاب الشوى، وهي الأطراف.

يقو: قد يصيب الإنسان الصواب وإن لم يجتهد، وقد يخطئ الصواب بعد الاجتهاد.

يعني: أنك أصبت الرأي في الصلح، وأخطأ من اجتهد في السعاية.

نلت ما لا ينال بالبيض والسّم ر وصنت الأرواح في الأجساد

يقول: أدركت بصواب رأيك من مرادك، ما لا ينال بالقتال، وحفظت الدماء حتى بقيت الأرواح في الأجساد، ولم يقتل أحد ولم يرق دم.

وقنا الخطّ في مراكزها حو لك والمرهفات في الأغماد

يقول: وصلت إلى مرادك من غير أن حركت الرماح من مراكزها، وأخرجت السيوف من أغمادها. والمرهفات: السيوف المحدودة.

ما دروا، إذ رأوا فؤادك فيهم ساكناً، أنّ رأيه في الطّراد

الطراد: المطاردة، وهي المحاربة. والهاء في رأيه للفؤاد.

يقول: لما رأوك ساكن القلب، توهموا بأن ذلك عن غفلة وقلة فكر فيه، ولم يعلموا أنك معمل رأيك في فؤادك لاستنباط الصواب، فكان قلبك ساكناً، ورأيك في محاربة.

ففدى رأيك الّذي لم تفده كلّ رأيٍ معلّمٍ مستفاد

لم تفده: أي لم تستفده.

يقول: كل رأي مستفاد معلم مكتسب بالتعلم، فداء رأيك الذي طبعت عليه، ولم تستفده أنت من أحد.

وإذا الحلم لم يكن في طباعٍ لم يحلّم تقدّم الميلاد

يقول: إذا لم يكن الرجل مطبوعاً على الحلم، فمرور الأيام وتقدم الولادة، لا تجعله حليماً.

يعني: لا اعتبار بالسن، وإنما الاعتبار بالطبع.

فبهذا ومثله سدت يا كا فور واقتدت كلّ صعب القياد

يقول: بهذا الرأي الحصيف وبمثله من الآراء، صرت سيداً، وقدت كل صعب المقادة، حتى انقاد لك، ودخل في طاعتك.

وأطاع الّذي أطاعك والطّا   عة ليست خلائق الآساد

يقول: بمثل هذا الرأي أطاعك رجال مثل الأسود التي لم تطع لأحد قبلك، إذ ليست الطاعة من عادة الأسود.

إنّما أنت والدٌ، والأب القّا   طع أحنى من واصل الأولاد

يقول: أنت له بمترلة الوالد، والأب على كل حال أشفق على ولده من الولد الواصل.

قال ابن جني: معناه أنك يا كافور أقرب إلى ابن مولاك، وأحنى عليه من ولده الواصل له: أي لو كان له ولد لكنت أحنى عليه من ولده.

لا عدا الشّرّ من بغى لكما الشّرّ   وخصّ الفساد أهل الفساد

يقول: من طلب لكما الشر، فلا تجاوز عنه الشر ولا فارقه، وجعل الله أهل الفساد، مخصوصاً به دونكما.

أنتما   ما اتّفقتما الجسم والرّوح فلا احتجتما إلى العوّاد

يقول: أنتما - ما دام بينكما اتفاق وصلح - كالجسم والروح، فلا وقع بينكما اختلاف حتى تحتاجا إلى السفر في الصلح بينكما.

لما جعلهما الروح والجسم، جعل الاختلاف بينهنا مرضهما، وجعل سعي الناس في الصلح بينهما، عيادة لهما.

وإذا كان في الأنابيب خلفٌ   وقع الطّيش في صدور الصّعاد

يقول: إذا وقع الخلف بين أهل المملكة، وهم الأمراء والجيوش والقواد، اضطرب ملكهم الذي هو صدرهم، كما أن أنابيب الرمح إذا اختلفت لم يعمل صدره وزل عن الطعن، واضطرب في يديه.

وقيل: أراد أنكما إذا اختلفتما اضطرب أمركما، كما أن الرمح إذا اختلفت أنابيبه طاشت أعاليه.

أشمت الخلف بالشّراة عداها   وشفى ربّ فارسٍ من إياد

فاعل شفى ضمير الخلف والشراة: الخوارج، سموا أنفسهم شراة. يعني: شروا - بجزم - أنفسهم من الله تعالى: أي باعوها.

يقول: الاختلاف بين القوم يشمت الأعداء بهم، كما أن الخوارج لما اختلفت كلمتهم في خلافة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، ظفر بهم أمير المؤمنين وأفناهم وأشمت بهم أعداءهم، وكذلك تمكن كسرى صاحب فارس من قبيلة إياد، شفى صدره، حين اختلفت كلمتهم.

وتولّى بني البريديّ في البص رة حتّى تمزّقوا في البلاد

يقول: إن الخلف أوقع ببني البريدي وهم ثلاثة إخوة كانوا قد ملكوا البصرة في أيام المقتدر فلم يقدر عليهم، حتى وقع الخلاف بينهم، ومات أحدهم، فتمكن منهم السلطان وشتت شملهم واستأصلهم.

وملوكاً كأمسٍ بالقرب منّا وكطسمٍ وأختها في البعاد

وملوكاً عطف على ما قبله. أي وتولى الخلف ملوكاً. وأختها: أي أخت طسم: وهي جديس.

يقول: أهلك الخلف ملوكاً قربوا منا، حتى أن مدة قربهم منا كمدة أمس إلى يومنا، وأهلك الاختلاف أيضاً ملوكاً في قديم الزمان: مثل طسم وجديس، وكانوا ملوك حمير.

بكما بتّ عائذاً فيكما من ه ومن كلّ باغٍ وعاد

الباغي: من البغي. والعادي: من العدوان. والهاء في منه تعود إلى الخلف.

يقول: أعوذ بكما أن يقع الخلف بينكما، وأن يقع بينكما كيد البغاة والعداوة.

وبلبّيكما الأصيلين أن تف رق صمّ الرّماح بين الجياد

كان الوجه: ألبابكما. كقوله تعالى: "فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا"، والتثنية أيضاً جائزة.

يقول: أعوذ به بعقلكما الثابت أن تتحاربا، فتفرق الرماح بين خيولكما، فيصير معك حزب ومعه حزب.

أو يكون الوليّ أشقى عدوٍّ بالّذي تذخرانه من عتاد

يقول: أعوذ بعقلكما من أن تقتلا الولي، وأن تجعلاه لسلاحكما - الذي هو عدتكما وذخيرتكما للأعداء - أشقى عدو، إذ السلاح يعد للأعداء لا للأولياء.

هل يسرّنّ باقياً بعد ماضٍ ما تقول العداة في كلّ ناد

النادي: المجلس.

يقول: إذا تقاتلتما، فيقتل أحدكما صاحبه، هل يسر الباقي منكما ما تقول الأعداء في المجالس: إنه قتل صاحبه وهتك حرمته ؟!

منع الودّ والرّعاية والسّؤ دد أن تبلغا إلى الأحقاد

يقول: هذه الخصال التي فيكما منعتكما أن تبلغا إلى أن يحقد أحدكما على صاحبه؛ فلهذا عدلتما إلى الصلح، لتأكد هذه المعاني.

وحقوقٌ ترقّق القلب للقل ب ولو ضمّنت قلوب الجماد

يقول: ومنع أيضاً حقوق متأكدة، حتى لو كانت للجماد قلوب، فضمنت هذه الحقوق تلك القلوب، لرق بعضها لبعض.

فغدا الملك باهراً من رآه شاكراً ما أتيتما من سدادٍ

يقول: لما اصطلحتما أصبح الملك منيراً، أبهر من رآه، وغلبه بنوره، وشكر لكما على ما رأيتما من الصواب والسداد.

فيه أيدكما على الظّفر الحل و وأيدي قومٍ على الأكباد

الهاء في فيه للملك.

يقول: ظفرتما من الملك بما أردتما، وأصبح حسادكما واضعين أيديهم على أكبادهم؛ لما نالهم من الألم بالصلح الذي صار بينكما.

هذه دولة المكارم والرّأ فة والمجد والنّدى والأيادي

يقول: دولتكما دولة هذه الأشياء، فإذا وقع في هذه الدولة خلل، اختلت هذه الأشياء، وإذا سلمت سلمت هذه الأمور.

كسفت ساعةً كما تكسف الشّم س وعادت ونورها في ازدياد

يقول: هذه الدولة كسفت ساعة لمخالفتكما، كما تكسف الشمس، ثم زال الكسوف عنها فعاد نورها، وزاد على ما كان من قبل.

يزحم الدّهر ركنها عن أذاها بفتىً ماردٍ على المرّاد

المراد: جمع مارد، وهو الشرير الخبيث.

يقول: ركن هذه الدولة يزحم الدهر عن أذاها. أي: إذا أراد الدهر أن يؤذي هذه الدولة، زاحمه ركنها ومانعه، بفتىً ماردٍ على المراد: أي عاد على المعتدين، ومقابل للخبثاء بخبثهم. وعنى به كافور الأسود.

متلفٍ، مخلفٍ، وفيٍّ، أبيٍّ، عالمٍ، حازمٍ، شجاعٍ، جواد

أي يتلف ماله في الجود، ويخلف من تلف ماله، ويعوضه على ما ذهب منه. وأراد: أن هذا الفتى جامع لهذه الأوصاف.

أجفل النّاس عن طريق أبي المس　　　ك وذلّت له رقاب العباد

أجفل: أي تفرق.

يقول: خلى الناس له طريق المجد والعلا، وذلت له رقاب الناس، وانقادوا له.

كيف لا يترك الطّريق لسيلٍ　　　ضيّقٍ عن أتيّه كلّ واد

الأتي: السيل الذي يأتي من بلد إلى بلد. والوادي: مجرى السيل، شبهه بالسيل في إقدامه وكثرة جيوشه، ومن حيث أن السيل يحمل كل شيء يأتي عليه.

يقول: كيف لا يترك الناس الطريق لسيل يضيق عنه كل واد؛ لكثرته وكل موضع أتى عليه غرقه.

وكان كافور يتقدم إلى أصحاب الأخبار، يرجفون بأنه ولاه موضعاً في الصعيد، وينفذ إليه قوماً يعرفونه ذلك، فلما كثر هذا وعلم أن أبا الطيب لا يثق بكلام يسمعه، حمل إليه ست مئة دينار ذهباً، فقال يمدحه وأنشدها يوم الخميس لليلتين خلتا من شوال، سنة سبع وأربعين وثلاث مئة:

أغالب فيك الشّوق والشّوق أغلب　　　وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

يخاطب حبيبه يقول: أنا أحاول أن أغلب شوقي إليك، وهو يغلبني لا محالة، لأنه أغلب مني: أي أقدر على الغلبة، وأعجب من هجرك لي، ووصلك أولى بأن أعجب منه؛ لأن عادتك الهجر، فليس هو بعجيب، وإنما العجب من الوصل.

أما تغلط الأيّام فيّ بأن أرى　　　بغيضاً تنائى، أو حبيباً تقرّب

يقول: من عادة الأيام أنها تقرب البغيض، وتبعد الحبيب، فلم لا تغلط مرةً فتقرب الحبيب وتبعد البغيض ؟

وللّه سيري ما أقلّ تئيّةً　　　عشيّة شرقيّ الحدالى وغرّب

التئية: التثبت والتلبث. والحدالى: موضع بالشام: وغرب: جبل. ولله سيرى ! تعجب. وتئيةً: نصب على التمييز.

يقول: لله سيرى ! حين جعلت الحدالى وغرب عن يميني وقصدت مصر فما كان أسرعه، وأقل تمكني فيه ! وقيل: أراد جعلت هذين المكانين في جانب المشرق، وسرت إلى جانب المغرب. وهو مصر.

عشيّة أحفى النّاس بي من جفوته　　　وأهدى الطّريقين الّذي أتجنّب

أحفى الناس بي: أي أشدهم اهتماماً في البر بي. وعشية: بدل من العشية الأولى.

يقول: لله مسيري، عشية جفوت من هو ألطف الناس بي، وأشدهم اهتماماً بأمري: يعني سيف الدولة، يظهر الندم على فراقه، وأصوب الأمرين: الأمر الذي تركته لما قصدت كافوراً وجفوت سيف الدولة، مع اهتمامه بأمري.

وعن ابن جني: أنه كان ترك الجادة وتعسف، ليخفي أثره، خوفاً على نفسه، فترك أقصر الطريقين.

وكم لظلام اللّيل عندي من يدٍ　　　تخبّر أنّ المانويّة تكذب

المانوية: قوم من المجوس ينتسبون إلى رجل اسمه: ماني. وهم يقولون: إن النور مطبوع على الخير والصلاح، والظلمة مطبوعة على الشر والفساد. فهو يقول: إنهم كذبوا في قولهم، فكم من نعمة لليل عندي، تدل على كذبهم في أن الظلمة لا تفعل الخير.

وقاك ردي الأعداء تسري إليهم　　　وزارك فيه ذو الدّلال المحجّب

هذا تفسير للبيت الأول يقول: كم مرة سترني الليل عن الأعداء عند سيري فيما بينهم ! وتمكني فيه من زيارتي الحبيب المحجوب ! وهذا كله خير حصل لي من الظلمة.

ويومٍ كليل العاشقين كمنته　　　أراقب فيه الشّمس أيّان تغرب

كمنته: أي كمنت فيه.

يقول رداً على المانوية في قولهم: إن النور لا يفعل الشر.

رب يوم كمنت فيه خوفاً من أعدائي وطال علي، كما يطول الليل على العاشقين، وكنت أنتظر فيه الشمس حتى تغرب، ليظلم الليل فأسرى فيه وأنجو من أعدائي. وهذا شر حصل من النور، فبطل قولهم: إنه مطبوع على الخير، لا يقدر على الشر.

قال ابن جني: حدثني المتنبي قال: لما أنشدته قال: غيرك يستطيل الليل، فقبحاً له ! كيف عرف معناه ؟!

وعيني إلى أذني أغرّ كأنّه　　　من اللّيل باقٍ بين عينيه كوكب

يقول: كنت أنظر إلى أذني الفرس الأغر، فإن توجس بهما علمت أنه أحس بشيء، فتأهبت في أمري فكأن أذني الفرس قائمان: مقام عيني، وقوله: كأنه من الليل باق: أي كأنه قطعة باقية من الليل. شبه فرسه بقطعة من الليل؛ لأنه أدهم، وغرته بكوكب في ظلمة.

له فضلةٌ عن جسمه في إهابه		تجيء على صدرٍ رحيبٍ وتذهب

الرحيب: الواسع، ويستحب في الفرس سعة الصدر. وإهابه: جلده.

يقول: لهذا الفرس فضلة من جلده تضطرب على صدره الواسع، فتجيء وتذهب. ويستحب في الفرس أن يكون جلد صدره واسعاً فاضلاً عنه. وقيل: أراد بالفضلة ذكاءه، ثم قال: هذه الفضلة تجيء على صدره الواسع: يعني لا يسع هذا الذكاء إلا صدره؛ لسعته، ولا يسع إهابه.

شققت به الظّلماء أدنى عنانه		فيطغى وأرخيه مراراً فيلعب

يقول: شققت بهذا الفرس ظلمة الليل، فسرت فيها، فكنت إذا جذبت عنانه طغى برأسه: أي رفعه، لطماحه وعزة نفسه، وإذا أرخيته: لعب برأسه، لنشاطه.

وأصرع أيّ الوحش قفّيته به		وأنزل عنه مثله حين أركب

يقول: إذا تبعت به أي وحش كان، لحقته وصرعته، ونزلت عنه وهو على القوة التي ركبته عليها، لم يلحقه تعب وعياء.

وما الحيل إلاّ كالصّديق قليلةٌ		وإن كثرت في عين من لا يجرّب

يقول: الخيل وإن كانت كثيرة في عين من لا يعرفها، فالعتيق منها قليل، فهي مثل الأصدقاء يكثرون في العدد ويقلون عند التجربة.

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها		وأعضائها فالحسن عنك مغيّب

الشية: العلامة كالغرة والتحجيل، وكل لون يخالف لون الجلد.

يقول: إن كنت لا تعرف حسن الخيل إلا في شياتها وأعضائها فالحسن غائب عنك.

لحا الله ذي الدّنيا مناخاً لراكبٍ		فكلّ بعيد الهمّ فيها معذّب

مناخاً نصب على التمييز، وقيل: على الحال.

يقول: لعن الله هذه الدنيا التي لا ينال فيها المراد، فكل صاحب همة شريفة فيها معذب بإجدائها عليه.

ألا ليت شعري: هل أقول قصيدةً		فلا أشتكي فيها ولا أتعتّب

ليت شعري: أي ليتني أشعر. وتقديره: ليت شعري كائن، فحذف خبر ليت.

يقول: هل أقول قصيدة وأنا راض عن الزمان ؟ لا أشكو صروفه ولا أتعتب عليه !

وبي ما يذود الشّعر عنّي أقلّه		ولكنّ قلبي يا ابنة القوم قلّب

قوله: يا ابنة القوم: كناية عن قوله: يا بنت أب جيد التصرف في الأمور.

يقول: بي من الهم ما يمنع أقله الشعر. كما يقال: حال الجريض دون القريض ولكن قلبي متقلب في الأمور. جلد صابر على ما ينويه، ويستخرج المعنى، مع ما فيه من الهموم.

وأخلاق كافورٍ، إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملي عليّ وأكتب

يقول: إن كانت الهموم شغلتني عن الشعر، فإني إذا شئت مدح كافور، فإن أخلاقه تبعثني على مدحه، فأكتبه وإن لم أتفكر فيه.

إذا ترك الإنسان أهلاً وراءه ويمّم كافوراً فما يتغرّب

يقول: من حصل عنده فكأنه في أهله، لما يرى من بره ما يسره. ومثله لآخر:

فما زال بي إكرامهم وافتقادهم وإلطافهم حتّى حسبتهم أهلي

فتىً يملأ الأفعال رأياً وحكمةً وبادرةً أحيان يرضى ويغضب

البادرة: البديهة.

يقول: ليس له فعل إلا فيه حكمة ورأي وبادرة، فيملأ ذلك الفعل من هذه الثلاثة.

وبالغ في ذلك حيث جعل: البديهة كالروية من غيره، في امتلائه من الحكمة، ويفعل ذلك في حالتي الرضا والغضب، ولا يمنعه غضبه من الحكمة، ولا رضاه يلهيه عنها.

وقيل: البادرة: ما يبدر عند الغضب.

والمعنى: إذا رضى ملأ أفعاله رأياً وحكمة، وإذا غضب ملأها بادرة وسطوةً، فيبالغ في كلا الحالين.

إذا ضربت في الحرب بالسّيف كفّه تبيّنت أنّ السّيف بالكفّ يضرب

يقول: إذا ضرب بالسيف، عمل في يده أكثر مما يعمل في يد غيره، فإذا رأيت ذلك علمت أن السيف عمل على قدر قوة الكف.

تزيد عطاياه على اللّبث كثرةً وتلبث أمواه السّحاب فتنضب

تنضب: أي تجف.

يقول: كلما بقيت عطاياه ازدادت ونمت؛ لأنه يهب فرساً فتنتج، أو ضيعةً فتغل، فعطاياه أبداً تزداد وتبقى، لا كعطاء السحاب، فإنه إذا أقام بمكان أياماً جف وذهب.

وقيل: معناه أنه إذا أمسك العطاء، فإنما يؤخره لتكثيره، والماء إذا منع من السيلان، غار ونضب.

وقيل: أراد أن عطاياه متصلة دائمة، فهي أكثر وأثبت من ماء السحاب، لأنها تجيء أحياناً وتقلع أخرى.

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله ؟ فإنيّ أغنّي منذ حينٍ وتشرب

يقول: أنا أغنيك بمدحك، وأطربك، وأنت تشرب كأس السرور بما أنظمه من أوصافك، فاسقني من فضلة هذا الكأس: أي اجعل لي في سرورك نصيبا بإنجاز ما وعدت.

وقيل: أراد أن مديحي يطرب، كما يطرب الغناء الشارب.

وهبت على مقدار كفّي زماننا ونفسي على مقدار كفّيك تطلب

يقول: أنت إنما وهبت من المال على قدر همة الزمان، وأنا أطلب منك على قدر همتك ومبلغ جودك.

وحكى ابن جني عنه أنه قال: كنت إذا خلوت أنشدت.

وهبت على مقدار كفّيك عسجداً ونفسي على مقدار كفّيّ تطلب

إذا لم تنط بي ضيعةً أو ولايةً فجودك يكسوني وشغلك يسلب

يقول: إذا لم تقطعني ضيعةً، أو توليني ولايةً تفضل عن مؤنتي، فإنه وإن كساني جودك، فإن اشتغالك بتدبير الملك عنى، يسلبني ما يكسوني إياه جودك.

يضاحك في ذا العيد كلٌّ حبيبه حذائي وأبكى من أحبّ وأندب

يقول: كل أحد في هذا العيد يسر بأهله في وطنه، وأنا بعيد عمن أحب، أبكى على فراقه، وأشتاق إلى لقائه.

أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب ؟

يقال: عنقاء مغرب وصفاً وإضافة. وهو جعله وصفاً. ومغرب: أي بعيد، يقال: أغرب في البلاد وغرب: إذا خرج منها.

يقول: أنا أشتاق إلى أهلي، وأشتهي لقاءهم، ولكن بيني وبينهم بعد العنقاء، فهل أصل إليهم ؟! فاشتياقي إليهم كاشتياق المشتاق إلى عنقاء مغرب ! فكما لا يصل إليه كذلك وصولي إلى أهلي.

وقيل: معناه أرى الناس يضربون المثل في البعد بالعنقاء، ولو عقلوا لضربوا بالمغرب عن الوصل؛ لأنه أبعد من العنقاء.

فإن لم يكن إلاّ أبو المسك أو هم فإنّك أحلى في فؤادي وأعذب

يقول: متى لم يكن لي إلا أنت، أو أهلي، فإن الذي أختاره، هو الكون عندك، والمقام في خدمتك، دون الأهل الذين أشتاقهم.

وكلّ امرئٍ يولي الجميل محبّبٌ وكلّ مكانٍ ينبت العزّ طيّب

يقول: أنت تفيض على نعمك، وأكتسب العز عندك، فقلبي يحبك، والمقام يطيب لي بقربك.

يريد بك الحسّاد ما الله دافعٌ وسمر العوالي والحديد المذرّب

المذرب: المحدد.

يقول: يريد بك الحساد السوء، والله تعالى يدفع عنك، وكذلك تدفعه رماحك وسيوفك الحداد.

ودون الّذي يبغون ما لو تخلّصوا إلى الشّيب منه عشت والطّفل أشيب

يقول: دون ما يرومون من كيدك حروب، لو سلموا من أهوالها إلى الشيب، لشيب رءوس أطفالهم، ولكنك متى أرادوا بك سوءاً، قصدهم بمكر، أو ضرب، يأتي على أنفسهم ويفني حياقم، وقوله: عشت دعاء للممدوح.

إذا طلبوا جدواك أعطوا وحكّموا وإن طلبوا الفضل الّذي فيك خيّبوا

يقول: إذا طلبوا عطاءك أعطيتهم وحكمتهم فيه، وإن طلبوا فضلك خيبتهم وحرمتهم.

ولو جاز أن يحووا علاك وهبتها ولكن من الأشياء ما ليس يوهب

يقول: من الأشياء ما لا يجوز هبته، وعلاك من جملة ذلك؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يحويها، فلست تمنعهم ذلك للبخل.

وأظلم أهل الظّلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلّب

يقول: أظلم الظالمين، من يحسد الذي ينعم عليه، فهو يتقلب في نعم المحسود، فحسادك يتقلبون في نعمك، ومع ذلك يحسدونك !

وأنت الّذي ربّيت ذا الملك مرضعاً وليس له أمٌّ سواك ولا أب

يقول: ربيت هذا الملك وهو ضعيف حتى شددته وقهرت أعداءه، فليس له كافل سواك، وأنت أولى به ممن عجز عن تدبيره وسياسته.

ويروى ذا الملك بفتح الميم. أي أنت الذي ربيت هذا الملك، وأراد به: ابن مولى كافور. أي أنك كفلته وهو طفل صغير، لا يعرف أباً ولا أماً، فليس له أب ولا أم غيرك.

وكنت له ليث العرين لشبله   وما لك إلاّ الهندوانيّ مخلب

يقول: كنت كالأسد لشبله، تذب عنه كما يذب الأسد عن شبله، وسيفك لك كالمخلب للأسد. والهاء في له للملك أو للملك.

لقيت القنا عنه بنفسٍ كريمةٍ   إلى الموت في الهيجا من العار تهرب

يقول: باشرت القتال عنه بنفسك الكريمة التي تهرب إلى الموت خوفاً من العار، ولا تهرب من الموت.

وقد يترك النّفس الّتي لا تهابه   ويخترم النّفس الّتي تتهيّب

فاعل يترك ويخترم: ضمير الموت.

يقول: قد ينجو من الموت من لا يخاف منه، وقد يصيب الموت من يحذر منه، فيخترمه.

وما عدم اللاّقوك بأساً وشدّةً   ولكنّ من لاقوا أشدّ وأنجب

يقول: الذين لقوك في الحرب لم يكونوا ضعافاً جبناء، ولكنهم لقوا من هو أشد منهم وأقدر على قهرهم.

ثناهم، وبرق البيض في البيض صادقٌ   عليهم، وبرق البيض في البيض خلّب

سللت سيوفاً علّمت كلّ خاطبٍ   على كلّ عودٍ كيف يدعو ويخطب

يقول: هزمهم لما لقيهم، وكانت سيوفه إذا برقت صدق برقها وعملت السيوف في البيض، وأوعدته أنها تقطعه وتقطع الرءوس التي فيه، وإذا برق البيض للسيوف كذب برقها أنها تمنع لابسها، فبرق سيوفك المسلولة علمت الخطباء في جميع البلاد: أن الواجب عليهم أن يخطبوا في جميع الناس، فخطبوا على كل منبر باسمك.

ويغنيك عمّا ينسب النّاس أنّه   إليك تناهى المكرمات وتنسب

يقول: وإن لم يكن لك نسب في العرب فأنت أصل المكرمات وإليك نسبها، فأنت أكبر من أن تنسب إلى أب أو جد، وهذا كقول أبي طاهر:

خلائقه للمكرمات مناسبٌ   إليها تناهى المكرمات وتنسب

وروى: إليها تناها كل مجد مؤثل.

وأيّ قبيلٍ يستحقّك قدره ؟   معدّ بن عدنان فداك ويعرب

الهاء في قدره للقبيل، وقيل: تعود إلى أي.

يقول: أية قبيلة من العرب تستحق أن تنسب إليها، فأنت أفضل من معد بن عدنان، ويعرب بن

قحطان اللذين هما أصل العرب. وهما يفديانك.

وقيل: هذا هجو يريد: إنك عبد لا يعرف لك أصل وحسب.

وما طربي لمّا رأيتك بدعةً ... لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

يقول: ليس سروري - الآن وقد رأيتك - ببدع، فإني كنت أرجو أن أراك فأطرب بمجرد الرجاء فكيف الآن ؟! وقد رأيتك.

هذا وإن كان ظاهره مدحاً، فإن باطنه إلى الهزؤ أقرب ورفع فأطرب عطفاً على أرجو ولم يعطفه على أن أرى.

وتعذلني فيك القوافي وهمّتي ... كأنّي بمدحٍ قبل مدحك مذنب

يقول: لامتني القصائد على مدح غيرك، فقالت: لم وضعتني في غير موضعي ؟ وكذلك لامتني همتي وقالت: لم اشتغلت بخدمة غيره ؟ حتى كأن مدحي لغيرك ذنب أذنبته. وهو كقول أبي تمام:

وهل كنت إلاّ مذنباً يوم أنتحي ... سواك بآمالي فأصبحت تائباً

والمصراع الأول لو لم يضم إليه المصراع الثاني لكان هجواً ظاهراً.

ولكنّه حال الطّريق ولم أزل ... أفتّش عن هذا الكلام وينهب

يقول: إنما مدحت غيرك؛ لأن الطريق حال بيني وبينك، وكنت أتخير لك هذا الكلام لأتعلمه مدحاً لك، والملوك ينتهبونه مني.

وقيل: أراد بالطريق طريق المدح أي كان طريق مدحك بعيد التناول؛ لانتهاء أوصافك في المكارم، فكنت أتفكر في مدحك، وتنهبه الملوك مني، فكان ذلك سبب تأخري عنك.

فشرّق حتّى ليس للشّرق مشرقٌ ... وغرّب حتّى ليس للغرب مغرب

يقول: سار هذا الكلام أي الشعر في الآفاق، فشرق حتى ليس مشرق لأهل الشرق؛ لأن مشارق أهل الشرق كثيرة، فليس بعد الشرق شرق، ولا بعد الغرب غرب، ولو كان وراءهما موضع لسار إليه.

إذا قلته لم يمتنع من وصوله ... جدارٌ معلّى أو خباءٌ مطنّب

يعني: إذا قلت شعراً سار في البدو والحضر، ووصل إلى سكان المدر والوبر فالجدار المعلى لأهل الحضر، والخباء المطنب لأهل الوبر.

واتصل بأبي الطيب أن قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب، فقال في ذلك ولم ينشدها كافوراً الأسود:

بم التّعلّل ؟ لا أهلٌ ولا وطن ولا نديمٌ، ولا كأسٌ، ولا سكنه

التعلل: تطيب النفس. والسكن: ما يسكن إليه.

يقول: بأي شيء أتعلل ؟ وقد عدمت هذه الأشياء التي يتسلى الإنسان بها.

أريد من زمني ذا أن يبلّغني ما ليس يبلغه في نفسه الزّمن

يقول: أريد من الزمان أن يدوم على حال، فلا يسلب مني الشباب، ولا يكدر على السرور، وهذه حالة لو أرادها الزمان لنفسه لم يقدر عليها؛ لأنه لو اختار أن يكون نهاراً دائماً، أو ربيعاً أبداً لما أمكنه ذلك، فكيف يبلغني ما لا يقدر عليه لنفسه ؟!

لا تلق دهرك إلاّ غير مكترثٍ ما دام يصحب فيه روحك البدن

يقول: ما دام روحك في الجسد، فلا تبال بحوادث الدهر، فإنها لا تدوم.

وقيل: أراد لا تبال بأهل الدهر ما دمت حياً.

فما يديم سرورٌ ما سررت به ولا يردّ عليك الفائت الحزن

فاعل يديم: سرور.

يقول: سرورك بمواتاة الدهر لا يديم ذلك لك، وإن حرصت على دوامه. وجزعك على ما يفوتك منه لا يرده عليك، فلا تفرح بلذة إن وصلت إليك، ولا تحزن عليها إن فاتتك.

ممّا أضرّ بأهل العشق أنّهم هووا وما عرفوا الدّنيا ولا فطنوا

يقول: إن أهل العشق اغتروا بظواهر الدنيا، فاغتروا بحسن الخلق، وأحبوا من هو حسن الوجه، ولم يعتبروا قبح أفعاله، ولم ينظروا إلى حوادث الزمان وأحوال الدهر، فأخر ذكرهم. وقد بين ذلك فيما يليه.

تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم في إثر كلّ قبيحٍ وجهه حسن

دمعاً نصب على التمييز.

يقول: عشقوا بلا تجربة وروية؛ فعيونهم تذوب عبرةً، وأنفسهم تسيل حزناً على كل قبيح الفعل حسن الوجه.

تحمّلوا حملتكم كلّ ناجيةٍ فكلّ بينٍ عليّ اليوم مؤتمن

الناجية: الناقة السريعة. وتحملوا أمر، وحملتكم دعاء.

يقول لأحبابه: متى شئتم الرحيل فارحلوا، فلست أبالي بفراق من بان عني بعد أن عرفت قبح أفعالكم وخبث هذا الزمان، ولا أخاف الآن من الفراق، فكل فراق مأمون في حقي.

ما في هوادجكم من مهجتي عوضٌ   إن متّ شوقاً ولا فيها لها ثمن

يقول: نفسي أحب إلي من النساء اللاتي في هوادجكم، فكيف أفنيها شوقاً إليهن ولا عوض لي فيهن ؟! وليس في الهوادج ثمن لمهجتي.

يا من نعيت على بعدٍ بمجلسه   كلٌّ بما زعم النّاعون مرتهن

يخاطب سيف الدولة يقول: كل منا مرهون بالموت فلا شماتة فيه لأحد ومثله للفرزدق قوله:

فقل للشّامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشّامتون كما لقينا

كم قد قتلت وكم قدمتّ عندكم؟   ثمّ انتفضت فزال القبر والكفن

يقول: كم مرة أخبرت بموتي وقتلي وأنا حي، فبطل ما تمناه المرجفون وزالت أراجيفهم.

قد كان شاهد دفني قبل قولهم   جماعةٌ ثمّ ماتوا قبل من دفنوا

يقول: قد كان جماعة قبل من أخبرك الآن بموتي، زعموا أنهم شاهدوا دفني، ثم ماتوا وأنا حي، فكذلك يموت هؤلاء وأبقى أنا حياً.

ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه   تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفن

يقول: ليس كل ما يشتهيه الإنسان يصل إليه، فإن الأقدار لا تجري على وفق الإرادات، كما أن الرياح إنما تهب على طبعها لا على ما يختاره أصحاب السفن، وهذا تعريض بسيف الدولة.

يقول: إن الأمر ليس كما تحبه من موتي، فإني ربما عشت بعدك.

ويجوز في كل النصب بإضمار الفعل يفسره الظاهر، وهو يدركه أي: ما يدرك المرء كل ما يتمناه وهذا هو الاختيار لأجل النفي، كالاستفهام.

ويجوز في كل الرفع بالابتداء وما بعدها خبرها. هذا في لغة تميم، وفي لغة أهل الحجاز رفع لأنه اسم ما وما بعدها خبرها.

رأيتكم لا يصون العرض جاركم   ولا يدرّ على مرعاكم اللّبن

يقول: من جاوركم لا يصون عرضه عن الذل والأذى، وليس عندكم مرعىً خصيب يدر عليه اللبن.

يعني: لا خير عندكم نصبر لأجله على الأذى.

جزاء كلّ قريبٍ منكم مللٌ   وحظّ كلّ محبٍّ منكم ضغن

يقول: من قرب منكم مللتموه، فجزاء قربه منكم الملل، ومن أحبكم جازيتموه بالحقد عليه.

وتغضبون على من نال رفدكم   حتّى يعاقبه التّنغيص والمنن

يقول: إذا أحسنتم إلى إنسان نغصتم إليه نعمكم حتى يصير التنغص والمنن عقوبةً عليه.

فغادر الهجر ما بين وبينكم   بهماء تكذب فيها العين والأذن

البهماء: الأرض البعيدة التي لا يهتدي فيها.

يقول: لما جربت أحوالكم هجرتكم وبعدت عنكم، وجعلت بيني وبينكم فلاةً بعيدةً تكذب فيها العين فترى خيالات لا حقيقة لها، وتسمع فيها الأذن أصواتاً لا حقيقة لها أيضاً.

تحبو الرّواسم من بعد الرّسيم بها   وتسأل الأرض عن أخفافها الثّفن

الرواسم: النوق التي تسير الرسيم، وهو ضرب من السير، الواحدة راسمة والثفن: جمع ثفنة وهو ما غلظ من جلد البعير إذا لاقى الأرض من اليدين والركبتين.

يقول: إذا سارت الإبل في هذه البهماء حفيت أخفافها لشدة السير فيها، فتحبوا على ثفناها وتجري عليها، حتى تسأل الثفنات الأرض فتقول: ما فعلت أخفاف هذه الإبل التي كانت تكفينا ملاقاتك ؟!

إنّي أصاحب حلمي وهو بي كرمٌ   ولا أصاحب حلمي وهو بي جبن

يقول: أحلم ما دام الحلم منى منسوباً إلى الكرم، فأما إذا كان منسوباً إلى الذل والجبن لم أصبر عليه.

ولا أقيم على مالٍ أذلّ به   ولا ألذّ بما عرضي به درن

يقول: لا أختار المال مع الذل، ولا أستلذ بما يورثني العيب ويؤدي إلى دناءة الطبع ولؤم العرض.

سهرت بعد رحيلي وحشةً لكم   ثمّ استمرّ مريري وارعوى الوسن

المرير جمع المريرة وهي القوة من الحبل. يقال: استمر فلان على مريره: أي جرى على عادته التي أمر عليها.

يقول: لما فارقتكم سهرت وحشةً لفراقكم، فلما طالت الأيام نسيتكم وتسليت عنكم وعاد النوم إلى عيني.

وإن بليت بودٍّ مثل ودّكم   فإنّني بفراقٍ مثله قمن

يقول: إن عاملني كافور بمثل ما عاملتموني به، وجرى على عادتكم في الأذى، فارقته كما فارقتكم.
ومثله:

وإذا نبا بك منزلٌ فتحوّل

أبلى الأجلّة مهري عند غيركم ... وبدّل العذر بالفسطاط والرّسن

الأجلة: جمع الجلال. والعذر جمع العذار.
يقول: طال مقامي عند غيركم لإكرامه إياي، حتى أبلى مهري الأجلة جلاً بعد جل، وبدل عليه عذار بعد عذار، فلم يملني كما مللتم أنتم مقامي عندكم.

عند الهمام أبى المسك الّذي غرقت ... في جوده مضر الحمراء واليمن

يقول: أقمت عند كافور الذي عم جوده جميع العرب مضريهم ويمنيهم. وإنما سميت مضر الحمراء؛ لأن نزار لما مات وتحاكم أولاده وهم: ربيعة، ومضر، وإياد، وأنمار، إلى جرهم في قسم ميراثه، فأعطى ربيعة الخيل؛ فسمى أولاده: ربيعة الفرس. وأعطى مضر الإبل الحمر، وقيل أعطاه الذهب؛ فسمى أولاده مضر الحمراء.

وإن تأخّر عنّي بعض موعده ... فما تأخّر آمالي ولا تهن

يقول: إن تأخر عني بعض ما وعدني به من الولاية وغيرها، فإن أملي فيه في غاية القوة. وهذا استبطاء وعتاب.

هو الوفيّ ولكنّي ذكرت له ... مودّةً فهو يبلوها ويمتحن

يقول: هو يفي بما وعدني، ولكني ذكرت إظهار المودة التي يختبر بها ويمتحن.
يعني: كنت أظهر له المودة فأذكرها، فهو يمتحن ما ذكرته من المودة فيؤخر موعدي تجربة لمودتي له.
ويروى: بدل ذكرت بذلت.
ومما قاله بمصر في الحكم ولم ينشده الأسود ولم يذكره فيه.

صحب النّاس قبلنا ذا الزّمانا ... وعناهم من شأنه ما عنانا

يقول: صحب الناس قبلنا هذا الزمان، وأهمهم من أمر هذا الزمان ما أهمنا منه.

وتولّوا بغصّةٍ كلّهم من ... ه وإن سرّ بعضهم أحيانا

يقول: كل من مضى قبلنا، مضى وفي قلبه غصة من الزمان، وإن سر بعضاً في وقت. ومثله للآخر قوله:

كلٌّ يبيت من الدّنيا على غصص

ربّما تحسن الصّنيع لياليه ولكن تكدّر الإحسانا

الهاء في لياليه نعود إلى الزمان. يعني: تحسن ليالي الزمان الصنيع.

يقول: إن الزمان يمزج الإحسان بالإساءة والتكدير.

يعني: أن الزمان إذا أحسن أولا كدر وأساء آخراً، هذه عادته، يعطي ثم يرجع وإذا أحسن لا يتم الإحسان

وكأنّا لم نرض فينا بريب الدهر حتّى أعانه من أعانا

يقول: لم يكفنا ما نقاسيه من حوادث الزمان، حتى أعانه عليها حسادنا وأعداؤنا، فصاروا أعواناً للزمان على الإساءة إلينا.

كلّما أنبت الزّمان قناةً ركّب المرء في القناة سنانا

يقول: إذا أنبت الزمان قناةً: أي كيداً أو شراً يطلب به هلاكنا، ركب الإنسان في تلك القناة السنان فيصيرها رمحاً.

يعني: أن الإنسان يتم أمر الدهر في الإيقاع بنا.

ومراد النّفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى

يقول: ما يريد الإنسان من هذه الدنيا من المأكول والملبوس والنعم، أحقر من أن يقتل بعضنا بعضاً لأجله؛ لأنه لا يدوم لأحد.

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا

كالحات أي عابسات، وقيل: شديدات، وهي نصب على الحال.

يقول: إن الدنيا لا قدر لها، ولكن احتمال الهوان أصعب من ملاقاة الموت.

ولو أنّ الحياة تبقى لحيٍّ لعددنا أضلّنا الشّجعانا

يقول: لو كانت الحياة تدوم، لكان الشجعان الذين يتعرضون للقتل أكثر الناس ضلالاً وأغبنهم رأياً.

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تكون جبانا

يقول: فإذا كانت الحياة منقطعة بالموت، والموت لا محيص عنه بحال، والجبن لا ينجى منه، فاستعمال الجبن هو العجز والذل.

كلّ ما لم يكن من الصّعب في الأن فس سهلٌ فيها إذا هو كانا

ما لم يكن: أي ما لم يقع.

يقول: إن كل ما لم يقع مما يستصعب في النفوس، فهو سله إذا وقع.

وكان الأستاذ أبو المسك اصطنع شبيباً بن جرير العقيلي فقلده عمان والبلقاء وما بينهما من البر والجبال، فعلت مترلته وزادت رتبته واشتدت شوكته وغزا العرب في منابتها، من السماوة وغيرها، واجتمعت العرب إليه وكثر من حوله وطمع في الأسود وأنف من طاعته، فسولت له نفسه أخذ دمشق والعصيان بها، فسار إليها في نحو عشرة آلاف، وقاتله أهلها وسلطانها واستأمن إليه جمهور الجند الذين كانوا بها، وغلقت أبوابها واستعصموا بالحجارة والنشاب، فترك بعض أصحابه على الثلاثة الأبواب التي تلي المصلي ليشغلهم بهم، ودار هو حتى دخل على القوات، حتى انتهى إلى باب الجابية، وحال بين الوالي وبين المدينة ليأخذها.

وكان يقدم أصحابه، فزعموا أن امرأة دلت على رأسه صخرة. واختلف الناس في أمره. فقال قوم: وقعت يد فرسه في قناة ولم تخلص يدها فسقط، وكان مكسور الكتف والترقوة بسقطة سقطها عن الفرس في الميدان بعمان قبل ذلك بقليل، وسار إلى دمشق قبل تمام الانجبار وذكروا أنه سار من سقطته فمشى خطوات، ثم غلب فجلس وضرب بيده ألماً إلى قائم سيفه وجعل يذب حوله، وكان شرب وقت ركوبه سويقاً، فزعم قوم أنه طرح له فيه شيء، فلما سار وحمى عليه الحديد وازدحم الناس حوله عمل فيه؛ غير أنه سقط ولم ير أثر شيء من السلاح ولا الحجارة التي أصابته، وكثر تعجب الناس منه ومن أمره، حتى قال قوم: كان يتعهده صرع فأصابه ذلك في تلك الساعة.

وانهزم أصحابه لما رأوا ذلك، وخالفوا الموضع الذي دخلوا منه، وأرادوا الخروج منه معه فقتل منهم أربع مئة فارس وبضعة عشر، وأخذ رأسه، ووردت الكتب إلى مصر بخبره يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة وطالب الأسود أبا الطيب بذكره فقال، وأنشدها يوم السبت لست خلون منه.

عدوّك مذمومٌ بكلّ لسان ولو كان من أعدائك القمران

القمران: الشمس والقمر.

يقول: كل من عاداك فهو مذموم عند كل أحد، حتى أن الشمس والقمر لو عادياك لذمهما جميع الناس: يعني: أن الخلق أجمعوا على فضلك وإقبال دولتك، حتى أن من عاداك لم يوجد في وجميع الأمم

من يحمده.

وقد صرف هذا المعنى إلى الذم كأنه قال: أنت رذل ساقط، ومن كان كذلك لا يعاديه إلا مثله، فإذا كان من يعاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان، حتى لو عاداك القمران لكانا مذمومين بمساجلتهما إياك.

وللّه سرٌّ في علاك وإنّما　　　كلام العدى ضربٌ من الهذيان

يقول: لله تعالى سر بما أعلى قدرك، وإنما رفع قدرك لما علم من فضلك، فكلام العدى لا معنى له مع إرادة الله تعالى.

وقد صرف إلى الهجو.

وقيل: أراد أن الله تعالى إنما بلغك هذه المترلة ليغيظ بك الأحرار، وليعلم الناس أن الدنيا لا قدر لها عند الله تعالى، إذ لو كان لها قدر لما مكنك منها مع حقارتك ومهانة قدرك.

أتلتمس الأعداء بعد الّذي رأت　　　قيام دليلٍ أو وضوح بيان ؟ !

يقول: قد ظهر للأعداء دليل على ما قلت: إن لله تعالى سر في علاك بموت شبيب حين غدر بك، فهل يطلبون دليلاً أوضح من هذا ؟!

رأت كلّ من ينوي لك الغدر يبتلي　　　بغدر حياةٍ أو بغدر زمان

يقول: رأت الأعداء كلّ من يغدر بك مغدوراً به، إما من جهة الحياة بالموت أو من جهة الزمان بالذل.

برغم شبيبٍ فارق السّيف كفّه　　　وكانا على العلاّت يصطحبان

علات الدهر: حوادثه.

يقول: إن السيف فارق شبيباً على رغم منه، بعد أن كان لا يفارقه فقتل بسيفه على ما يقال.

كأنّ رقاب النّاس قالت لسيفه:　　　رفيقك قيسيٌّ وأنت يماني

قيس: من عدنان. واليمن: من قحطان. وبينهما عداوة قديمة وتارات وكيدة وهذا الرجل كان من قيس عيلان، والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن.

يقول: كأن رقاب الناس لما تبرمت بقطع شبيب لها، أغرت بينه وبين سيفه ليقتله حتى تسلم الرقاب من شره فقالت له: لم تصحبه ؟! وأنت يماني وهو قيسي، وبين قيس واليمن تلك الحروب والتارات،

فبان من يده وضرب عنقه وأخذ منه ثأر اليمن عند قيس.

وأراد أن يذكر سبب قتله بسيفه فعبر عنه بأحسن عبارة.

فإن يك إنساناً مضى لسبيله ... فإنّ المنايا غاية الحيوان

اسم كان مضمر: أي إن كان شبيب إنساناً مات، فالموت غاية كل حي، فضلاً عن كل إنسان.

فهذا كالمرثية له.

وما كان إلاّ النّار في كلّ موضعٍ ... يثير غباراً في مكان دخان

يقول: كان في أيام حياته ناراً في المواقع، وكان يثير الغبار بدل الدخان. جعله ناراً وغبار المعركة دخاناً.

فنال حياةً يشتهيها عدوّه ... وموتاً يشهّي الموت كلّ جبان

يقول: عاش في حياة نكدة منغصة يشتهيها كل عدو له، ومات موتةً قبيحةً تمنى الجبان أن يموت قبل أن يصير إلى مثل حاله.

قيل: قنطر به فرسه. وقيل: إن امرأة رمته بجرة ملآنة عذرة.

وقيل: إن هذا البيت مرثية له.

يقول: إنه عاش في عز وعلاء يتمناه العدو لنفسه، ومات موتاً يشجع الجبان؛ لأنه إذا علم أن الموت لا محيص عنه، وأن تحرزه لا ينجيه منه، اشتهى الموت في القتال.

نفى وقع أطراف الرّماح برمحه ... ولم يخش وقع النّجم والدّبران

يقول: دفع رماح الأبطال عن نفسه برمحه، لما خشى أن يصل إليه من جهتهم قتل أو جرح، ولم يخش أن يترل إليه الموت من السماء.

يعني: استبعد الموت من الجهة التي أتاه منها، كما يستبعد وقع النجوم من السماء. وذلك أن امرأة دلت على رأسه حجراً من سور دمشق، وقيل: سقطت به فرسه. يعني لم يكن يخشى ذلك.

ولم يدر أنّ الموت فوق شواته ... معار جناحي، محسن الطّيران

شواته: أي جلدة رأسه.

يقول: لم يعلم أن الموت نجم أعير جناحا طائر، وأنه يعلم الطيران فيهتدي إليه.

وقد قتل الأقران حتّى قتلته ... بأضعف قرنٍ، في أذلّ مكان

يقول: لم يزل يقتل الأبطال حتى قتلته الأقران بأضعف قرن في أخس مكان وأذله. يعني: المرأة التي دلت عليه الرحى.

أتته المنايا في طريقٍ خفيّةٍ على كل سمعٍ حوله وعيان

يقول: أتاه الموت من حيث لا يشعر به هو ولا أصحابه فكأنه جاء في طريق خفي على كل أحد ممن حوله.

ولو سلكت طرق السّلاح لردّها بطول يمينٍ واتّساع جنان

الجنان: القلب. والهاء في ردها للمنايا.

يقول: لو جاءته المنايا من طريق الحرب لردها عن نفسه بطول يمينه وسعة قلبه.

تقصّده المقدار بين صحابه على ثقةٍ من دهره وأمان

تقصده: قيل: قصده، وقيل: قتله.

يقول: قصد موته أو أجله القدر. وهو بين أصحابه، واثق من دهره آمن من صروفه.

وهل ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصورٍ وغير معان ؟

التفافه: أي اجتماعه.

يقول: إذا لم يكن الإنسان منصوراً من جهة الله تعالى، فلا ينفعه كثرة جيشه واجتماعه.

ودى ما جنى قبل المبيت بنفسه ولم يده بالجامل العكنان

ودى: أي أعطى الدية. وفاعله: ضمير شبيب. وما جنى مفعوله. والجامل: اسم موضع لجماعة الجمال. مثل الباقر: لجماعة البقر. والعكنان: الكثير.

يقول: أعطى دية من قتله من الأقران قبل دخول الليل بنفسه ولم يعط ديتهم بالإبل الكثيرة.

أتمسك ما أوليته يد عاقلٍ وتمسك في كفرانه بعنان ؟

يقول: كيف تمسك يد العاقل إحسانك ثم يكفره ؟! وتمسك يده العنان لمحاربتك ! يعني لا يفعل هذا عاقل، وإن رامه خذلته يده.

وعطف تمسك على تمسك ولو نصب الثاني لجاز. كقولك: أتأكل السمك وتشرب اللبن.

ويركب ما أركبته من كرامةٍ ويركب للعصيان ظهر حصان !

طريقة الإعراب في يركب الثاني مثل ما ذكر في جواز الرفع والنصب.

يقول: كيف يجمع عاقل بين ركوب كرامتك وركوب فرسه لمحاربتك ؟!

ثنى يده الإحسان حتّى كأنّها   وقد قبضت كانت بغير بنان

يقول: إحسانك قبض يده عن معصيتك، فكأنها وقد قبضت السيف والعنان ليس لها أصابع وبنان.

وعند من اليوم الوفاء لصاحبٍ ؟   شبيبٌ وأوفى من ترى أخوان

يقول: من يفي اليوم لصاحبه ؟ فأوفى الناس مثل شبيب في غدره.

وهذا معنى قوله: شبيب وأوفى من ترى أخوان يعني أوفى الناس أخو شبيب: أي مثله، وأراد أنهما ميتان. وقيل: أخوان: أي متشابهان في العلة متشاكلان في الطبع كالأخوين.

قضى الله يا كافور أنّك أوّلٌ   وليس بقاضٍ أن يرى لك ثاني

يقول: إن الله تعالى قد حكم بأنك الأول في الفضل والسابق إليه، ولم يحكم بأن يكون لك نظير في الفضل.

فمالك تختار القسيّ وإنّما   عن السّعد يرمي دونك الثّقلان ؟

يقول: لم تختار القسي وتستعدها، فأنت لا تحتاج إليها؛ لأن سعادة جدك ترمي الجن والإنس.

ومالك تعني بالأسنّة والقنا   وجدّك طعّانٌ بغير سنان ؟

تعني من العناية.

يقول: أي حاجة لك إلى الإعناء بالأسنة والقنا، وإقبال دولتك يطعن عنك أعداءك بغير سنان.

ولم تحمل السّيف الطّويل نجاده   وأنت غنيٌّ عنه بالحدثان ؟

يقول: لم تحمل السيف وحوادث الدهر قد أغنتك عنه ؟ وقيل: أراد بالحدثان؛ قضاء الله تعالى وقدره.

أرد لي جميلاً: جدت أو لم تجد به   فإنّك ما أحببت فيّ أتاني

يقول: أرد لي الجميل، فعلته أو لم تفعله، فإن الأيام تبلغني إليه؛ لأنها لا تفعل إلا ما تريده.

لو الفلك الدّوّار أبغضت سعيه   لعوّقه شيءٌ عن الدّوران

يقول: لو كرهت دوران الفلك، لعرض له ما يمنعه من الدوران، وحبسه على وفق إرادتك.

وروى هذا البيت برفع الفلك والدوار: صفة له، فيكون مرفوعاً بفعل مضمر، وهذا الظاهر تفسير له. كأنه قال: لو خالفك الفلك لعوقه. وصار أبغضت تفسيراً له. ولا يجوز رفعه بالابتداء؛ لأن لو لا يقع بعدها إلا الفعل.

ولو نصب الفلك لكان أظهر في الإعراب؛ لأنك كنت تضمر فعلاً، ويكون أبغضت تفسيراً له وتقديره: لو أبغضت سعي الفلك أبغضت سعيه فأضمرت الأول لدلالة الثاني عليه.

ونالت أبا الطيب بمصر حمى، كانت تغشاه إذا أقبل الليل، وتنصرف عنه إذا أقبل النهار بعرق، فقال يصف الحمى ويذم الأسود، ويعرض بالرحيل، فشغف الناس بها بمصر، وأنشدوها الأسود فساءته.

وذلك في يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة.

ملومكما يجلّ عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

الملوم: الرجل الذي يلام.

يقول لصاحبيه: الرجل الذي تلومانه يعني نفسه يجل عن لومكما فلا تؤذياه بملامكما. وكذلك وقع فعل هذا الرجل الملوم فوق الكلام الذي توجهانه إليه على سبيل الملام. يعني: أن فعله أجل أيضاً من أن يلام عليه.

وقيل: اراد فعل هذا الرجل أجل من أن يلحقه الوصف بالكلام، ويبلغه البيان بالعبارة والمقال.

وقيل: الهاء في فعاله تعود إلى الملام أي وقع فعل الملام وتأثيره فوق تأثير الكلام.

يعني: أن الملام يفعل في فعل السهام لا فعل الكلام. وعلى الأول الهاء تعود إلى الملام.

ذراني والفلاة بلا دليلٍ ووجهي والهجير بلا لثام

نصب الفلاة والهجير لأنهما مفعول والهجير: شدة الحر، واللثام: ما يشد على الفم من طرف العمامة.

يقول لصاحبيه: ذراني مع الفلاة أقطعها بلا دليل، فإني دليل لنفسي، وذرا وجهي مع الهجير بلا لثام، فإن جلدة وجهي تنوب لي مناب اللثام.

فإني أستريح بذا وهذا وأتعب بالإناخة والمقام

بذا إشارة إلى الفلاة، وذكره على معنى المكان وروى: بذي أي بهذه، وهو إشارة إلى الفلاة لفظا.

وهذا: إشارة إلى الهجير.

يقول: أنا أستريح بقطع الفلوات وملاقات الحر وأتعب بإناخة المطية والإقامة.

عيون رواحلي إن حرت عيني وكلّ بغام رازحةٍ بغامي

البغام: صوت الناقة عند التعب. والرازحة: المعيبة التي كلت. وقامت. وله معنيان:

أحدهما ما ذكره ابن جني عن أبي الطيب أنه قال: إن حارت عيني فعيون رواحلي عيني، وبغامهن بغامي، يعني به طريقة الدعاء، فكأنه قال: أنا بهيمة مثلهن إن تحيرت. كما إذا قال القائل: إن فعلت

كذا فأنت حمار.

والثاني يقول: أنا أقتدي بعيون رواحلي إن حارت عيني، فعينها تقوم مقام عيني.

وقوله: كل بغام رازحة بغامي يعني: أني أهتدي بالبغام: الذي هو صوت الرازحة، وأستدل بصوقا على جادة الطريق، لأن الروازح لا تئن إلا على جواد الطريق، فيكون بغامهن بمترلة بغامي الذي أهتدي به، ودليل على الطريق.

وقيل: معناه أن صوقا ينوب عن صوتي في شكوى التعب.

فقد أرد المياه بغير هادٍ سوى عدّى لها برق الغمام

قيل: إن العرب إذا عدت للسحاب مئة برقة، لم تشك أها ماطرة فتنتجعها. وقيل سبعين برقة.

يقول: أنا أعد البرق وأنتجع مواقع غيثه فيكون عدى البرق دليلاً على الماء، فلا أحتاج أي دليل آخر من الناس يدلني إليه.

يذمّ لمهجتي ربّي وسيفي إذا احتاج الوحيد إلى الذّمام

يذم أي يجعلني في ذمته، والذمة هنا: الغرر.

يقول: إذا سرت فإنما أسير في ذمة الله تعالى. وذمة سيفي، ولا أحتاج إلى خفير يجيرني إذا احتاج إليه غيري.

وحكى أنه لما رجع من عند عضد الدولة وبلغ الأهواز أحضر خفير العرب وقاطعهم على الخفارة فوقع الترا ع بينه وبينهم في نصف دينار، سألوه زيادة على ما بذل لهم فلم يجبهم إليه، وضرب فرسه وهو ينشد هذا البيت.

يذمّ لمهجتي ربّي وسيفي ... البيت

فقتل عند دير العاقول:

ولا أمسى لأهل البخل ضيفاً وليس قرىً سوى مخّ النّعام

يقول: لا أمسى ضيف البخيل، ولو لم أجد شيئاً البتة. وجعل مخ النعام كناية عن ذلك؛ إذ النعام لا مخ لها.

ولمّا صار ودّ النّاس خبّاً جزيت على ابتسامٍ بابتسام

الخب: الخديعة.

يقول: لما نافقني الناس بالوداد، عاشرهم كما عاشروني، وجازيتهم ابتساماً على ابتسامهم.

وصرت أشكّ فيمن أصطفيه | لعلمي أنّه بعض الأنام

يقول: لما رأيت الناس مطبوعين على الغدر ! صرت أشك فيمن أصطفيه وأثق به من أهل أو ولد، لمعرفني أنه بعض الناس، والغدر قد عمهم.

وقيل: أراد بمن أصطفيه نفسه، وهذا بعيد لأن الإنسان لا يشك في نفسه.

يحبّ العاقلون على التّصافي | وحبّ الجاهلين على الوسام

الوسام، والوسامة، والميسم: حسن الوجه.

يقول: العاقل يحب من يصطفيه في الوداد. والجاهل يحب من حسن وجهه.

وآنف من أخي لأبي وأمّي | إذا ما لم أجده من الكرام

يقول: إن أخي من الأم والأب إذا لم يكن كريماً لجانبته وأنفت أن يكون لي أخاً مع لؤمه.

يعني: لا أصحب إلا كرام الناس وخيارهم.

أرى الأجداد تغلبها كثيراً | على الأولاد، أخلاق اللّئام

كثيراً: نصب على الظرف، أي كثيرا من الأزمنة، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف.

يقول: إذا كان الولد لئيماً حال لؤم الولد بين الولد والجد، فينسب إلى اللؤم، ويعرف به دون الجد، فيكون كأنه ولد من اللؤم لا من الأب.

ولست بقانعٍ من كلّ فضلٍ | بأن أعزى إلى جدٍّ همام

يقول: لا أرضى من الفضل والشرف بمجرد كرم النسب، حتى أكسب لنفسي مفاخر أتشرف بذكرها.

عجبت لمن له قدٌّ وحدٌّ | وينبو نبوة القضم الكهام

القد: القامة. والحد يجوز أن يريد به أن يكون قد بلغ حد الرجال، وأن يريد به الحدة في الأمر.

والقضم: المتكسر. والكهام: الكليل.

يقول: عجبت ممن له صورة الرجل الكامل، وآلة تبلغه إلى معالي الأمور فلم يبلغ إليها، وينبو كالسيف الكليل.

ومن يجد الطّريق إلى المعالي | فلا يذر المطيّ بلا سنام

من في موضع جر عطفاً على قوله: عجبت لمن له قد وقيل: استفهام.

يقول: عجبت ممن يجد الطريق إلى المعالي فلا يسير إليها حتى يهزل المطي بسيره ويذيب أسنمتها تحته، فتبقى بغير سنام،

ولم أر في عيوب النّاس عيباً كنقص القادرين على التّمام

يقول: ليس في الإنسان عيب أقبح من أن يكون ناقصاً مع قدرته على الكمال.

وقيل: معناه ليس عيب أقبح من الكسل.

أقمت بأرض مصر فلا ورائي تخبّ بي الرّكاب ولا أمامي

يقول: بقيت بمصر متبرماً بها فلا أسير عنها متقدماً ولا متأخراً.

وملّني الفراش وكان جنبي يملّ لقاءه في كلّ عام

يقول: طال نومي على الفراش حتى مل الفراش مني، وكان جنبي إذا لقي الفراش في عام مرةً واحدة مل منه.

قليلٌ عائدي، سقمٌ فؤادي كثيرٌ حاسدي، صعبٌ مرامي

رفع هذا كله ليخبر أنه على هذه الأوصاف في الحال دون ما مضى، إذ لو أراد الماضي لنصب على الحال من يمل لقاءه.

عليل الجسم ممتنع القيام شديد السّكر من غير المدام

المدام: الخمر. والسكر من غير مدام عبارة عن الشدة وعظم المحنة. وهذا من قوله تعالى: "وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمَ بِسُكَارَى".

وزائرتي كأنّ بها حياءً فليس تزور إلاّ في الظّلام

عنى بالزائرة: الحمى، كأنها تستحي من أن تزور بالنهار، فتأتيني في الظلام؛ لفرط حيائها.

بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها، وباتت في عظامي

المطارف: أردية من الخز، معلمة الأطراف، الواحد مطرف، بضم الميم. والحشايا: جمع حشية.

يقول: فرشت لهذه الزائرة الفرش الحسنة فكرهت أن تبيت عليها، ولم تقنع بها، فوصلت إلى عظامي وباتت فيها.

يضيق الجلد عن نفسي وعنها فتوسعه بأنواع السّقام

عنها: أي عن الزائرة.

يقول: جلدي يضيق عن احتمال نفسي واحتمال الحمى، فوسعت الحمى جلدي؛ بأن أذابته وأكلت لحمي ليتسع لها !

إذا ما فارقتني غسّلتني   كأنّا عاكفان على حرام

يعني: أنه كان يعرق عرقاً شديداً إذا أقلعت عنه الحمى.

يقول: إن هذه الزائرة إذا فارقتني غسلتني بالعرق، فكأنا كنا مقيمين على حرام، فغسلت له.

وخص الحرام لأن الزائرة تكون أجنبية دون زوجته.

كأنّ الصّبح يطردها فتجري   مدامعها بأربعةٍ سجام

يقول: إذا جاء الصبح فارقتني هذه الزائرة، فكأن الصبح يطردها عني بعد ما ألفتني، فتدمع عينها جزعاً من ألم الفراق.

جعل عرقه دمعاً يسيل من أجفانها. وقوله: بأربعة سجام يعني: أن الدمع كان يجري من طرفي العين الذي يلي الأنف والأصداغ، وكذلك من العين الأخرى، فهذه أربعة مجار. وسجام: أي جارية.

أراقب وقتها من غير شوقٍ   مراقبة المشوق المستهام

يقول: أنا أنتظر وقت زيارتها، كما ينتظر العاشق وقت زيارة حبيبه، وليس ذلك من شوق مني إليها.

ويصدق وعدها والصّدق شرٌّ   إذا ألقاك في الكرب العظام

وروى: تصدق يعني: أن الزائرة تصدق وعدها. والأول أولى.

يقول: هي صادقة الوعد، وليتها تخلف وعدها فإن الصدق إذا كان يؤدي إلى المحن العظام فهو مذموم.

أبنت الدّهر عندي كلّ بنتٍ   فكيف وصلت أنت من الزّحام ؟ !

بنت الدهر: هي الداهية.

يقول للحمي: يا بنت الدهر، كيف وصلت إلي مع ازدحام حوادث الدهر علي وتراكم الدواهي؟!

جرحت مجرّحاً لم يبق فيه   مكانٌ للسّيوف ولا السّهام

يقول للحمي: جرحت مني بدناً مجرحاً، قد عمته الجراحات، فليس فيه موضع صحيح تجرحه السيوف والسهام.

ألا يا ليت شعر يدي أتمسى   تصرّف في عنانٍ أو زمام

يقول: ليت يدي عرفت، هل تتمكن من التصرف في عنان فرسي، أو زمام ناقتي بعدها ؟ عند رحيلي من مصر ومفارقتي الأسود.

وهل أرمي هواي براقصاتٍ   محلاّة المقاود باللّغام

اللغام: الزبد الذي يخرج من فم البعير. والراقصات: الإبل السريعة.

يقول: ليتني علمت: هل أرتحل من مصر وأقصد إلى ما أهواه بإبل راقصات قد سال لعابها على مقاودها فصار عليها كالحلية.

فربّتما شفيت غليل صدري   بسيرٍ أو قناةٍ أو حسام

يقول ربما شفيت نفسي ووصلت إلى مرادي إما بسير إليه وإما بسيف أو رمح.

وضاقت خطّةٌ فخلصت منها   خلاص الخمر من نسج الفدام

نسج الفدام: خرقة من الإبريسم تشد على فم الإبريق لتصفي الشراب.

يقول: ربما ضاقت على حالة فتخلصت منها بألطف وجه، فزدت عند ذلك شرفاً، وزادت أخلاقي تهذيباً، وجوهري صفار ورونقاً، كما أن الخمر إذا خلصت من الفدام ازدادت صفاءً ورونقاً وقريب منه قول الآخر:

ما تعتريني من خطوب ملمّةٍ   إلاّ تشرّفني وتعظم شاني

وفي ذكر الفدام قول المطرز البغدادي:

وقبلةٌ هي الخم   ر إلاّ أنّها بفدام

وفارقت الحبيب بلا وداعٍ   وودّعت البلاد بلا سلام

يقول: ربما فارقت حبيبي من غير وداع، وربما خرجت من البلاد ولم أسلم على أهلها سلام الوداع.

يعني: أنه هرب من أشياء كرهها وتخلص من أمور عافها مرات كثيرة، فكذلك مفارقته مصر لا يتعذر عليه.

يقول لي الطّبيب: أكلت شيئاً   وداؤك في شرابك والطّعام

يقول: إذا رآني الطبيب متغير الحال قال: قد أكلت شيئاً ضرك، فاحتم فإن ذلك من الطعام والشراب.

وما في طبّه أنّى جوادٌ   أضرّ بجسمه طول الجمام

الجمام: الراحة.
يقول: إن الطبيب لا يعلم أن مرضي من طول مقامي بمصر، وتركي لما هو عادتي من السفر، كما أن الفرس إذا تعود السير عليه، وتحمل الكد والنصب، ثم طال مقامه على الجمام، أضر به ذلك.

تعوّد أن يغبّر في السّرايا ويدخل من قتامٍ في قتام

يغبر: أي يثير الغبار.
يقول: مثلي مثل فرس يدخل من غبار إلى غبار.

فأمسك لا يطال له فيرعى ولا هو في العليق ولا اللّجام

العليق: ما يعلق على الفرس.
يقول: أنا مثل فرس جواد تعود القتال، ثم حبس في مكان فلا يرخي له الحبل حتى يرعى بنفسه، ولا يعلق عليه ما يأكله، ولا عليه لجام ! فكذلك أنا عند كافور: لا يأذن لي في الرحيل، ولا يكفيني مؤنة المقام.

فإن أمرض فما مرض اصطباري وإن أحمم فما حمّ اعتزامي

يقول: إن أمرض فصبري صحيح لم يمرض، وعزمي لم يتغير عما عهدته، فهذا المرض يزول، ويعود إلى الصحة جسمي.

وإن أسلم فما أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام

يقول: إن سلمت الآن من مرضي فلا خلود في الدنيا، ولكن آخر أمري الموت، فكأني نجوت من موت معجل إلى موت مؤجل.

تمتّع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأمل كرىً تحت الرّجام

الرجام: القبور، واحدها رجم.
يقول: تمتع في هذه الدنيا من النوم واليقظة، ولا تطمع في النوم ولذته إذا صرت إلى القبر.

فإنّ لثالث الحالين معنىً سوى معنى انتباهك والمنام

يقول: إن الموت حالة ثالثة سوى النوم والانتباه، وليس فيه شيء من اللذة التي ترجى في اليقظة والمنام، ولكنه الفناء والفساد، ولا ترجى فيه اللذة بحال من الأحوال.
وكان كافور يتطلع إلى مدحه، ويقتضيه إياه، ولم يكن له بد من مداراته فقال فيه، وأنشدها إياه في

شوال سنة تسع وأربعين وثلاث مئة.

وهي آخر ما أنشده ولم يلقه بعدها:

منىً كنّ لي أنّ البياض خضاب   فيخفي بتبييض القرون شباب

القرون: الذوائب. وقوله: أن البياض في موضع الرفع بدلا من منى.

يقول: كنت في حال شبابي أتمنى أن أخضب شبابي بالبياض، فيكون البياض خضابا للسواد، كما يخضب البياض بالسواد، فينظر إلي بعين الجلالة والوقار والحلم.

ليالي عند البيض فوداي فتنةٌ   وفخرٌ وذاك الفخر عندي عاب

الفودان: جانبا الرأس وليالي نصب بفعل مضمر، يعني كنت أتمنى ذلك ليالي كان فوداي فتنة للنساء البيض لسواد شعري، فكن يفتن به ويعددنه فخراً، وأنا أعده عيباً لأنه يدل على الجهل والنزق.

فكيف أذمّ اليوم ما كنت أشتهي   وأدعو بما أشكوه حين أجاب ؟ !

يقول: كنت أشتهي المشيب أيام الشباب، فكيف أذمه لما بلغت إليه ؟! وكنت أدعو الله تعالى أن يهب لي المشيب، فلا يحسن بي الآن أن أشكوه حين أجابني إليه.

وقيل: قوله: أدعو بما أشكوه من قولك: دعوت بفلان إذا دعوته إليك.

والمعنى: كيف أدعو بشيء، إذا أجبت إليه شكوته ؟! وهو المشيب، أي كنت أدعو المشيب إلى نفسي. فكيف أشكوه الآن.

جلا اللّون عن لونٍ هدى كلّ مسلكٍ   كما انجاب عن ضوء النّهار ضباب

جلال: أي زال يقول: زال السواد عن لون هدى كل مسلك: يعني البياض لأنه حليف الهداية والمانع من الغواية. وشبه زوال السواد وطلوع البياض بانكشاف الضباب عن ضوء النهار والضباب: ما تراه على وجه الأرض في الربيع.

وفي الجسم نفسٌ لا تشيب بشيبه   ولو أنّ ما في الوجه منه حراب

الحراب: جمع حربة.

يقول: إن كان جسمي أثر فيه الشيب، فإن نفسي التي في جسمي لم تضعف بضعفه ولو أن بدل كل شعرة بيضاء حربة في الوجه مغروزة.

لها ظفرٌ إن كلّ ظفرٌ أعدّه   ونابٌ إذا لم يبق في الفمّ ناب

يقول: لنفسي ظفر أجعله عدةً لي، إن كل ظفر الجسم: أي إن ذهبت قوته. فقوة النفس باقية، وكذلك إن لم يبق ناب في الجسم فللنفس ناب.

يغيّر منّي الدّهر ما شاء غيرها — وأبلغ أقصى العمر وهي كعاب

الكعاب: الجارية التي كعب ثديها.

يقول: إن الدهر يغير من جسمي كل شيء، ولا يقدر أن يغير نفسي، فإنها أبداً تبقى في قوتها، وإن بلغت أقصى العمر.

وإنّي لنجمٌ يهتدي صحبتي به — إذا حال من دون النّجوم سحاب

الصحبة: الأصحاب.

يقول: إن صحبتي يهتدون برأيي ودلالتي، فإذا نالهم خطب رجعوا إلى رأيي، وإذا حال سحاب دون النجوم اهتدوا بدلالتي، لمعرفتي بالفلوات، وهدايتي في المفاوز، فكأنه نظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم.

غنيٌّ عن الأوطان؛ لا يستفزّني — إلى بلدٍ سافرت عنه إياب

يستفزني: أي يستخفني وقد روى أيضا.

يقول: أنا مستغن عن الأوطان، فإذا سافرت عن بلد لا يستخفني الرجوع إليه.

وعن ذملان العيس إن سامحت به — وإلاّ ففي أكوارهنّ عقاب

الذملان: ضرب من السير. وعنى بالعقاب: نفسه، فالهاء في به للذملان.

يقول: إني غني عن سير الإبل، فإن سمحت به سرت عليها، وإلا فما أبالي، فإن الذي في أكوارهن عقاب: أي كما أن العقاب لا يحتاج إلى سير الإبل، كذلك أنا أسير على قدم كما يطير العقاب.

وأصدي فلا أبدي إلى الماءِ حاجةً — وللشّمس فوق اليعملات لعاب

أصدى: أي أعطش. واليعملات: النوق التي يعمل عليها في السير، والواحدة يعملة، ولا يوصف بها الذكر. ولعاب الشمس: ما يتدلى منها مثل الخيوط إذا اشتد الحر.

يقول: أعطش في شدة الحر وأصبر عليه، ولا أظهر من نفسي الحاجة إلى الماء وأهل البادية يتمدحون بذلك.

وللسرّ منّي موضعٌ لا يناله — نديمٌ ولا يفضي إليه شراب

لا يفضي إليه أي لا يصل إليه.

يقول: أنا أودع السر من قلبي موضعاً لا يطلع عليه نديمي، ولا يصل إليه الشراب، وذلك أن الرجل إذا سكر أذاع ما في قلبه من السر. فيقول: أنا لا أسكر من الخمر على وجه يزول عقلي، حتى لا أبوح بما في قلبي من السر صيانةً لعقلي ومروءتي.

وقيل: أراد أن الخمر لا تصل إلى السر، مع أن الخمر تجري من الإنسان مجرى الدم فتصل إلى كل موضع.

وللخود منّي ساعةٌ ثمّ بيننا ... فلاةٌ إلى غير اللّقاء تجاب

الخود: المرأة الناعمة.

يقول: إن اجتماعي مع المحبوبة ساعةً واحدةً، ثم أفارقها وأقطع الفلوات إلى غير لقائها، ولا أبالي بها، وإنما همتي السعي في معالي الأمور.

وقيل: ذكر الفلاة مثلا. أي يكون بيننا فلوات ومفاوز. على معنى ما يقال: بيني وبين فلان مسافة بعيدة في امتناع الوصول إليه.

وما العشق إلاّ غرّةٌ وطماعةٌ ... يعرّض قلبٌ نفسه فتصاب

الغرة: الاغترار، والطماعة: الطمع.

يقول: إن العشق اغترار وطمع، وهما مذمومان، وقلب العاشق يعرض نفسه على الهلاك فتهلك.

وغير فؤادي للغواني رميّةٌ ... وغير بناني للزّجاج ركاب

يقول: كل قلب سوى قلبي فهو هدف للنساء يصبنه للعشق. وكل بنان سوى بناني ركاب للزجاج الذي فيه الخمر، فأما أنا فلا أشتغل باللذة واللهو، فلا أعرض قلبي للعشق ولا أشتغل بشرب الخمر. وروى للرخاخ وهو الشطرنج. يعني لا أشتغل بالنساء واللعب بالشطرنج وسائر الملاهي، وما يذهب به العمر باطلاً.

تركنا لأطراف القنا كلّ شهوةٍ ... فليس لنا إلاّ بهنّ لعاب

اللعاب: الملاعبة.

يقول: تركنا كل شهوة، ولذة لعاب، إلا بالرماح والسيوف.

نصرّفه للطّعن فوق حواذرٍ ... قد انقصفت فيهنّ منه كعاب

الهاء في نصرفه راجع إلى لفظ القنا وقوله: فوق حواذر أي خيل حواذر من الطعن، لأنها قد تعودته وانقصفت: أي انكسرت.

يقول: نصرف القنا فوق خيل قد تعودت الطعان فهي تحذر منه، فانكسرت في الخيل كعوب الرماح مرة بعد أخرى.

أعزّ مكانٍ في الدّنى سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزّمان كتاب

الدنى: جمع الدنيا، جعل كل مكان فيها دنيا، ثم جمعه.

يقول: أعز مكان في الدنيا سرج فرس سابح، لأن الشجاع إذا ركبه امتنع، وخير جليس في الزمان كتاب؛ لأنك لا تخشى غوائله ويؤدبك بآدابه، ويؤنسك عند الوحشة بحكمه.

وبحر أبو المسك الخضمّ الّذي له على كلّ بحرٍ زخرةٌ وعباب

الخضم: الكثير العطاء، الزخرة: تراكم الماء، والعباب: مثله. وروى: بحر جراً على العطف على ما قبله. أي: وخير جليس في الزمان كتاب، وخير بحر أبو المسك. والتقدير: وخير البحور ثم أقام الواحد مقام الجمع. وروى: وبحر أبي المسك على الإضافة.

يقول: هو كثير العطاء، له فضل على كل سخي، كالبحر الذي يزيد على البحار. شبهه بالبحر، ثم فضله على سائر البحار.

تجاوز قدر المدح حتّى كأنّه بأحسن ما يثنى عليه يعاب

يقول: قد تجاوز غاية المدح وكل ما وصفته وأثنيت به عليه فهو دونه، وكأني إذا مدحته أعيبه وأنقصه عن قدره. وهو مأخوذ من قول البحتري:

جلّ عن مذهب المديح علا ه فكأنّ المديح فيه هجاء

وغالبه الأعداء ثمّ عنوا له كما غالبت بيض السّيوف رقاب

يقول: إن أعداءه طلبوا مغالبته فقهرهم وأذلهم فخضعوا له. وكانوا له مثل رقاب غالبت السيوف فقطعتها.

وأكثر ما تلقى أبا المسك بذلةً إذا لم يصن إلاّ الحديد ثياب

التاء في تلقى خطاب لنفسه أو صاحبه. وأبا المسك مفعول تلقى وبذلةً نصب على التمييز.

والمعنى: أن أبا المسك في أكثر أوقاته تلقاه لابساً ثوب البذلة، في وقت لا يصون الأبطال الثياب، من

الرماح والسيوف، وإنما يصونهم منها الحديد. فهو يباشر الحديد القتال في تلك الحال، لابساً ثوب البذلة حاسراً بلا درع ومغفر، وذلك لقوة قلبه وثقته بنفسه، وقلة مبالاته بعدوه. والحديد على هذا نصب مستثنى مقدم. ومفعول يصن محذوف كأنه قال: إذا لم يصن الأبطال والأبدان ثياب، ولكن الذي يصونها هو الحديد.

وقال ابن جني معناه: إذا لبست الأبطال الثياب فوق الحديد خشية واستظهاراً فهو في ذلك الوقت أشد ما يكون تبذلا بنفسه. والحديد: هو الدروع وهو منصوب لأنه مفعول يصن.

وأوسع ما تلقاه صدراً وخلفه ... رماءٌ وطعنٌ والأمام ضراب

الرماء مصدر راميته. والأمام نصب على الظرف، فكأنه قال: وأمامه، فجعل الألف واللام بدلاً من الإضافة.

يقول: أوسع ما يكون صدراً إذا كان في مضيق الحرب، وخلفه رمي وطعن من قبل الأعداء، وأمامه ضراب.

يعني: أنه يتقدم على أصحابه يضرب بالسيف وجوه الأعداء وأمامه ضرب وخلفه رمي، فيكون في تلك الحال ثابت النفس، لا يدخله روع وقلق.

وروى: وخلفه دماء والمعنى: أنه لا يضيق صدره عند مضيق الحرب، بل يقتل ويخلف دماءً سفكها، ويضرب أمامه بالسيوف.

وأنفذ ما تلقاه حكماً إذا قضى ... قضاءً ملوك الأرض منه غضاب

يقول: إذا أراد أمراً يغضب منه جميع ملوك الأرض، فذلك الأمر أنفذ ما يكون من أوامره، لأنهم لا يمكنهم أن يردوا عليه أمره.

يقود إليه طاعة النّاس فضله ... ولو لم يقدها نائلٌ وعقاب

يقول: لو لم يطعه الناس رغبةً في نائله ورهبة من عقابه، لأطاعوه لفضله. وهذا مثل قوله:

رأيتك لو لم تقتض الطّعن في الوغى

أيا أسداً في جسمه روح ضيغم ... وكم أسدٍ أرواحهنّ كلاب

يقول: أنت الأسد، وروحك روح الأسد، وغيرك من الملوك جسمه جسم الأسد، وروحه روح كلب.

شبههم بالأسود من حيث الجثة وبالكلاب من حيث الهمة. وقوله: أرواحهن كلاب: أي أرواحهن أرواح كلاب فحذف المضاف.

ويا آخذاً من دهره حقّ نفسه ومثلك يعطى حقه ويهاب

يقول: هذا الملك حق لك، أخذته من دهرك قهراً، ولم يقتدر أن يمتنع من ذلك، ومن كان مثلك في البأس والقوة: يخاف منه ويعطى حقه.

لنا عند هذا الدّهر حقٌّ يلطّه وقد قلّ إعتابٌ وطال عتاب

يلطه أي يمطله ويدفعه والإعتاب: الرجوع إلى أن تجيب من يعاتبك.

يقول: لنا عند الدهر حق يمطلنا به، قد طال عتابنا له وهو لا يرجع إلى ما أحبه.

وقيل: هذا تعريض بالممدوح، وأنه طال عتابه واستبطاؤه فيما كان يعده به من الولاية.

وقد تحدث الأيّام عندك شيمةً وتنعمر الأوقات وهي يباب

الشيمة: العادة. واليباب: الخراب، وقيل: هو إتباع لخراب.

يقول: إن الأيام قد تترك عادتها عندك من قصد ذوي الفضل، لحصولهم في ذمتك وجوارك، وتعود أوقاتهم بك عامرة، بأن يدركوا مطلوبهم بعد أن كانت خراباً.

وقيل: معناه أن الأيام تغير كل إنسان وتبدل الأحوال، فلا آمن أن تصل إليك فتحدث في أخلاقك تغييرا، كما تفعل في نفسها ضد خلقها، من عمارة بعد خراب.

وقيل: أراد إن عادة الأيام عندنا دفع حقنا، وعندك إيصال حقك إليك، وأوقاتها عندنا خراب، وعندك عامرة.

ولا ملك إلاّ أنت والملك فضلةٌ كأنّك نصلٌ فيه وهو قراب

يقول: قوام الملك سياستك، فالملك إنما هو أنت وما سواك فضلة، كما أن العامل هو السيف والقراب فضله.

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً وإن كان قرباً بالبعاد يشاب

يقول: إن قربي منك مشوب بالحجاب والبعد، فتارةً أحجب عنك وأخرى ينحجب الحجاب وأقرب، فمتى قربت منك قرت عيني بالقرب الذي يتفق، فكأن الحجاب لم يكن.

وقيل: أراد بالبعاد، الوحشة التي كانت بينه وبين كافور.

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الّذي أمّلت منك حجاب

يقول: أي نفع في رفع الحجاب ؟! إذا كان ما أؤمل منك حجاب. يعني: أنت لا تبذل لي ما أملته منك من العطاء والوداد.

أقلّ سلامي حبّ ما خفّ عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب

نصب حب لأنه مفعول له وعنكم في موضع عليكم ويكون ها هنا فعل تام لا يحتاج إلى خبر.

يقول: أقل سلامي عليكم، طلباً للتخفيف عليك، وأسكت عن إذكارك بحاجتي؛ لئلا أكلفك الجواب، ولئلا يكون له جواب أكرهه.

وفي النّفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتي بيانٌ عندها وخطاب

الهاء في عندها يعود إلى لفظ الفطانة.

يقول: في نفسي حاجات ولك معرفة، فسكوتي عند معرفتك يغنيني عن بيانها وإظهارها بالخطاب.

ومثله لأبي تمام:

وإذا الجود كان عوني على المر ء تقاضيته بترك التّقاضي

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيفٌ هوىً يبغي عليه ثواب

يقول: من أحب إنساناً لمنفعته فحبه ضعيف، وأنا أحبك حباً خالصاً، لا أطلب عليه رشوة.

وما طلبت منك إلا طلب الإدلال لمن عذلني على قصدك. أني أصبت في مخالفتي قوله، فإذا رأى مترلتي عندك علم فساد قوله وصواب رأيي

وما شئت إلاّ أن أدلّ عواذلي على أنّ رأيي في هواك صواب

يقول: لم أرد ما أطلبه إلا كي أدل عواذلي اللاتي عذلنني في قصدك. أني كنت مصيبا في هواك، وأنك تحسن إلي وتقضي حق زيارتي.

وأعلم قوماً خالفوني فشرّقوا وغرّبت أنّي قد ظفرت وخابوا

يقول: أردت أن أعلم من خالفني، وقصد ملكاً غيرك، أنه قد خاب وأني ظفرت. ومثله للبحتري:

وأشهد أنّي في اختيارك دونهم مؤدّىً إلى حظّي ومتّبعٌ رشدي

جرى الخلف إلاّ فيك أنّك واحدٌ وأنّك ليثٌ والملوك ذئاب

يقول: قد وقع الخلاف في كل شيء إلا فيك، فإنهم اتفقوا على أنك واحد ولا نظير لك، وأنك أسد والملوك ذئاب بالنسبة إليك. فأنت أوحدهم، كما أن الأسد أوحد السباع ومثله لأبي تمام:

لو أنّ إجماعنا في فضل سؤدده ... في الدّين لم يختلف في الأمة اثنان

وأنّك إن قويست صحّف قارئ ... ذئاباً ولم يخطئ فقال: ذباب

يقول: لو صحف إنسان قول: إنك ليث والملوك ذئاب فجعل مكانه ذباب لم يخطئ في تصحيفه؛ لأن الأمر كذلك على الحقيقة.

وإنّ مديح النّاس حقٌّ وباطلٌ ... ومدحك حقٌّ ليس فيه كذاب

وهذا معطوف على ما قبله: أي قد اتفقوا على أن مدح غيرك فيه حق وباطل، وأن مدحك حق لا كذب فيه.

إذا نلت منك الودّ فالمال هيّنٌ ... وكلّ الّذي فوق التّراب تراب

يقول: إذا حصل لي ودك فلا أبالي بعده بالمال؛ لأن المال لا قدر له، فهو تراب كأصله الذي تولد منه.

وما كنت لولا أنت إلاّ مهاجراً ... له كلّ يوم بلدةٌ وصحاب

يقول: لولا أنت وحبي قربك ما كنت بمصر، بل كنت كل يوم في بلد ومعي أصحاب.

ولكنّك الدّنيا إليّ حبيبةٌ ... فما عنك لي إلاّ إليك ذهاب

يقول: إنما أقمت عندك لأنك دنياي، فلا منصرف لي عنك، إذ الدنيا حبيبة إلى كل أحد، فأنت محبوب إلي فليس لي ذهاب إلا إليك.

وحبيبة خبر ابتداء محذوف: أي هي حبيبة إلي.

هذا آخر ما أنشده أبو الطيب في الأسود.

فلما خرج من عنده قال يهجوه:

من أية الطّرق يأتي نحوك الكرم ... أين المحاجم يا كافور والجلم ؟

الجلم المقص، وأكثر ما يستعمل في الذي يجز به الصوف من الغنم.

يقول: من أي طريق يصل إليك الكرم ؟! وأنت لئيم الأصل تصلح لآلات الحجامين: من المحاجم والمقص.

وقيل: أراد أنك تصلح أن تكون حجاما أو راعياً يجز الصوف بالجلم. وإنما نسبه إلى الحجامة؛ لأن الحجامين بمصر لا يكونون إلا سوداناً، وكذلك رعاة الغنم أكثرها العبيد السود.

جاز الألى ملكت كفّاك قدرهم ... فعرّفوا بك إنّ الكلب فوقهم

قدرهم منصوب بجاز.

يقول: الذين ملكتهم من أهل مصر كانوا قد بغوا وجاوزوا قدرهم، فأذلهم الله تعالى بك، وأعلمهم أن الكلب خير منهم عنده.

وكأن هذا تفسير لقوله: ولله سر في علاك.

لا شيء أقبح من فحلٍ له ذكرٌ تقوده أمةٌ ليست لها رحم

جعله أمةً لأنه خصى، ثم حطه عن منزلة الأمة. فيقول: هو أمة بلا رحم! فالأمة مع تمام خلقها أحسن حالا منه. فالفحل إذا رضي بحكمه وانقاد لأمره فهو أذل من الكلب. وهذا تعريض بابن الإخشيد، وتضريب بينه وبين كافور

سادات كلّ أناسٍ من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم

القزم: رذال الناس والمال.

يقول: سيد كل أمة منهم ومن أعزهم، إلا المسلمين فإنهم يرضون بسيادة العبيد

أغاية الدّين أن تحفوا شواربكم يا أمّةً ضحكت من جهلها الأمم ؟!

من عادة أهل مصر إحفاء الشوارب.

يقول: اقتصرتم من الدين على ذلك، وعطلتم سائر أحكامه! ورضيتم بولاية كافور عليكم مع خسته، حتى ضحكت الأمم منكم واستهزءوا بكم وبقلة عقلكم.

ألا فتىً يورد الهنديّ هامته كيما تزول شكوك النّاس والتّهم ؟

يقول: سيادتك تشكك الناس في حكمة الله تعالى فمن الذي يتعصب للدين ؟! فيضرب رأسه بالسيف ويزيل هذا الشك عن قلوب الشاكين.

فإنّه حجّةٌ يؤذي القلوب بها من دينه الدّهر والتّعطيل والقدم

يقول: إن هؤلاء الكفار إذا رأوا ما ناله كافور مع خسته، جعلوا ذلك حجة لقولهم: إن العالم ليس له مدبر حكيم. وآذوا بها قلوب المسلمين، فمن الذي يقتله ؟ حتى تزول هذه الأذية عن قلوب المسلمين.

ما أقدر الله أن يخزي خليقته ولا يصدّق قوماً في الّذي زعموا

يقول: إن الله تعالى قادر على أن يخزيه ويخزي المعطلين، بأن يبطل قولهم واحتجاجهم على نفي الصانع.

يعني: إن لم يقتله الناس. فإن الله تعالى يريح المسلمين، ويزيل الشبهة عن قلوب المؤمنين.

وقال أيضاً يهجوه:

أما في هذه الدّنيا كريم تزول به عن القلب الهموم ؟

يقول: ليس في هذه الدنيا كريم يؤنس إليه، ويزيل الهموم عن قلوب من يجالسه.

أما في هذه الدّنيا مكانٌ يسرّ بأهله الجار المقيم ؟ !

أي ليس فيها مكان، يسر المقيم في ذلك المكان بأهله.

تشابهت البهائم والعبدّي علينا والموالي والصّميم

العبدي: العبيد. والصميم الصريح الخالص النسب يقول: الناس كلهم جهال بمترلة البهائم، فأحرارهم وعبيدهم ومواليهم سواء في اللؤم.

وما أدري أذا داءٌ حديثٌ أصاب النّاس أم داءٌ قديم ؟ !

يقول: لست أدري هل كان في قديم الزمان على ما نشاهده الآن في استواء الناس أم حدثت هذه الحالة الآن ؟

حصلت بأرض مصر على عبيدٍ كأنّ الحرّ بينهم يتيم

كأنّ الأسود اللاّبىّ فيهم غرابٌ حوله رخمٌ وبوم

يقال للأسود: لابي ولوبي ونوبي. منسوب إلى اللابة، وهي الحجارة السود شبهه بالغراب، لسواده، وشبه من حوله بالرخم والبوم، وكل هذه من شرار الطير.

أخذت بمدحه فرأيت لهواً مقالي للأحيمق يا حليم

يقول: لم أجد من مداراته بد، فلما أخذت بمدحه استهزأت به. وقلت له مع حمقه: إنك حليم، ومع لؤمه، إنك كريم !

ولمّا أن هجرت رأيت عيّاً مقالي لابن آوى يا لئيم

يقول: لما رأيت هجوه، لم أجد لمقالي مجالاً، فرأيت هجوي له عياً، فكنت بمترلة من يقول لابن آوى: يا لئيم وهو أخس من أن يقال له ذلك.

فهل من عاذرٍ في ذا وهذا فمدفوعٌ إلى السّقم السّقيم

يقول: هل في الناس من يعذرني في مدحي وهجوي إياه، فإني مضطر إليهما، كما أن المريض مضطر إلى المرض غير مختار له.

إذا أتت الإساءة من وضيعٍ ولم ألم المسيء فمن ألوم ؟ !

يقول معتذراً لنفسه في هجوه: إن الإساءة إذا وصلت لي من جهة لئيم اضطررت إلى لومه، ولا معنى للوم غيره ولم يسئ إلي.

وقال أيضاً يهجوه ولم ينشدها أحداً:

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفاً لأوسعناه إحسانا

يقول: هذا الذي أكل أزوادنا من غير أن يمدنا بنعمته، لو كان ضيفاً لنا لم نعامله مثل ما عاملنا به، بل كنا نوسعه إحساناً، خلاف ما يفعله بنا. وأراد بأكل الأزواد: أن مقامه عنده يفني نفقاته.

لكنّنا في العين أضيافه يوسعنا زوراً وبهتاناً

يقول: ولكنني في الظاهر ضيفه ونازل عليه، وقراي عنده هو أن يوسعني زوراً وبهتانا، ويعدني بالمواعيد الكاذبة.

فليته خلّى لنا طرقنا أعانه الله وإيّانا

يقول: ليته إذا لم يحسن إلي خلى سبيلي ولم يحبسني، فقد رضيت من صلته وبره بتخلية سبيلي. ومثله لامرئ القيس:

وقد طوّفت في الآفاق حتّى رضيت من الغنيمة بالإياب

وكتب إليه أبو الطيب يستأذنه في المسير إلى الرملة لتنجز مال له بها، وإنما أراد أن يعرف ما عنده في مسيره ولا يكاشفه.

فأجابه: لا والله - أطال الله بقاك - لا نكلفك المسير لتنجز مالك، ولكنا ننفد رسولاً قاصداً يقبضه ويأتيك به في أسرع وقت، ولا نؤخر ذلك إن شاء الله تعالى، فلما قرأ الجواب قال:

أتحلف لا تكلّفني مسيراً إلى بلدٍ أحاول فيه مالا

وأنت مكلفي أنبى مكاناً وأبعد شقّةً وأشدّ حالا

أنى مكاناً: من نبا بك المترل، إذا لم يمكن المقام فيه، ويدفعك لارتفاعه. وروى: أنأى مكاناً: أي أبعد مكانا.

يقول: أنت تحلف أنك لا تكلفني تجشم الارتحال لاقتضاء الحال، وأردت التخفيف علي، وليس الأمر كذلك، فإنك كلفتني ما هو أشد وأبعد منه، وأراد حبسه إياه على وجه العمر.

وقيل: أراد ما عزم عليه من الهرب والخروج من مصر، والتقدير: أنبى منه مكانا وأبعد منه شقة وأشد منه حالاً، فحذف منه تخفيفاً، والمحذوف يرجع إلى المسير.

إذا سرنا عن الفسطاط يوماً ... فلقّني الفوارس والرّجالا

يقول: إذا سرت عن الفسطاط، وصار بيني وبينه مسيرة يوم، فأنفذ خلفي الخيل والرجال ويوماً نصب على الظرف، والعامل فيه سرنا أي قطعنا بالسير يوماً.

لتعلم قدر ما فارقت منّي ... وأنّك رمت من ضيمي محالاً

أي لقني الفوارس والرجال؛ لتعلم قدري في شجاعتي، ودفعي عن نفسي، وتعلم أنك طلبت أمراً محالا.

وقيل: إن اللام من لتعلم متعلقة بمحذوف أي رحلت من أعمالك لتعلم أنك لا تقدر على ضيمي.

وأقام أبو الطيب بعد أن أنشده قصيدته البائية سنةً لا يلقي الأسود، إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لئلا يوحشه، وقد عمل على مراغمته والرحيل عنه، فأعد الإبل وخفف الرحل.

وقال يهجوه في يوم عرفة من سنة خمسين وثلاث مئة، وذلك قبل مسيره من مصر بيوم واحد:

عيدٌ بأية حالٍ عدت يا عيد ... بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديد

كأنه قال: هذا عيد ثم خاطب العيد فقال: يا عيد بأية حال عدت ؟! هل عدت بما مضى من حالك، أم فيك تجديد لأمر آخر ؟ وتجديد مبتدأ، ولأمر خبره، وفيك صفة لأمر. وقيل: تجديد مبتدأ وفيك خبره ولأمر مفعول له.

أمّا الأحبّة فالبيداء دونهم ... فليت دونك بيداً دونها بيد

البيد: جمع البيداء والهاء في دونها للبيد قبلها.

يقول: بيني وبين أحبابي فلاة بعيدة فما أصنع بك مع البعد عنهم ! لأن الإنسان إنما يسر بالعيد إذا كان معه أحبته، فأما مع بعدهم، فليت بيني وبينك فلوات دونها فلوات.

لولا العلا لم تجب بي ما أجوب بها ... وجناء حرفٌ ولا جرداء قيدود

لم تجب أي تقطع. والوجناء الناقة العظيمة الوجنات، وقيل: هي العظيمة الخلق، وقيل: الصلبة.

والحرف القوية، وهي مشبهة بحرف الجبل، وهي الضامرة وقيل: التي انحرفت من الهزال إلى السمن، وقيل: السريعة الحادة، مشبهة بحرف السيف. والجرداء من صفة الخيل، وهي القصيرة الشعر، وقيل: هي السابقة. والقيدود: هي الطويلة. ووجناء فاعل لم تجب بي وما في موضع نصب والهاء في بها ضمير الوجناء قبل الذكر.

يقول: لولا ما أطلبه من العلا لم تقطع بي فلوات ناقة وجناء ولا فرس جرداء.

ولو ساعده الوزن لقال: لولا العلا لم تجب بي الوجناء ما أجوب بها من الفلاة.

وكان أطيب من سيفي مضاجعةً أشباه رونقه الغيد الأماليد

الغيد: جمع أغيد وغيداء وهي الحسنة الجيد الناعمة. والأماليد: جمع الأملود، وهي اللينة الأعطاف الرخص الناعمة. والهاء في رونقه للسيف ومضاجعة نصب على التمييز.

يقول: لولا طلب العلا لكان أطيب من مضاجعتي سيفي مضاجعة النساء الحسان الغيد النواعم، اللواتي يشبهن رونق السيف في الصفاء والطلاوة.

ورونق السيف: ماؤه وجوهره.

لم يترك الدّهر من قلبي ولا كبدي شيئاً يتيّمه عينٌ ولا جيد

يتيمه: يتعبده بالحب.

يقول: إن الدهر قد ملأ قلبي من المحن والشدائد، ولم يترك بي موضعاً يشغله العشق، إلى حسن عنق أو عين.

يا ساقيّ أخمرٌ في كئوسكما أم في كئوسكما همٌّ وتسهيد ؟

يقول: يا ساقيي إن ما في كئوسكما خمر، أو حزن، منع من النوم، فكلما شربت ازددت حزناً وسهراً بخلاف عادة سائر الخمور.

أصخرةٌ أنا ؟ ما لي لا تغيّرني هذي المدام ولا هذي الأغاريد !

يقول: كأني صخرة لا يؤثر في الشراب والغناء ! ولا يحدثان في السرور.

والأغاريد: الأغاني، وأصلها تغريد الطائر، إذا رجع صوته.

إذا أردت كميت اللون صافيةً وجدتها، وحبيب النّفس مفقود

يقول: إذا أردت الشراب واللهو، وجدت الخمر، ولكن الحبيب مفقود ! وقيل: أراد بالحبيب: الشرف، أي إذا تشاغلت بالخمر فقدت العز والعلا.

ماذا لقيت منن الدّنيا ؟ وأعجبها أنّي بما أنا باكٍ منه محسود !

يقول: ما أعجب ما ألقاه من هذه الدنيا ! وأعجب ما لقيت: أني أحسد على ما أبكي منه ! يريد كونه عند الأسود وقربه منه.

أمسيت أروح مثرٍ خازناً ويداً أنا الغنيّ وأموالي المواعيد

يقول: أمسيت ويدي في راحة، وكذلك أمسى خازني في راحة، لأنه لا شيء في يدي أحتاج إلى حفظه، ولا في يد خازني. وأنا الغني من المواعيد الكاذبة.

وأراد بالغني: غني النفس، وأراد: إني بغير مال كافور.

وخازنا ويداً نصبا على التمييز.

إنّي نزلت بكذّابين ضيفهم عن القرى وعن التّرحال محدود

يقول: إني نزلت على قوم كذابين، ضيفهم ممنوع من القرى الذي يعد للضيوف، وكذلك ممنوع عن الرحيل، فلا يضيفونه ولا يخلون سبيله.

جود الرّجال من الأيدي وجودهم من اللّسان فلا كانوا ولا الجود

يقول: عطاء الناس من الأيدي، وهو المال، وعطاؤهم من الألسنة، وهو الوعد، ثم دعا عليهم فقال: لا كانوا ولا كان جودهم.

ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلاّ وفي يده من نتنها عود

يقول: إن الموت لا يباشر أنفسهم بيده عند قبضها، استقذارا لها، بل ينزعها من الجسد بعودٍ في يده توقياً من نتنها.

من كلّ رخو وكاء البطن منفتقٍ لا في الرّجال ولا النّسوان معدود

يصف هذه النفوس، وأن كل واحدة منها بهذه الصفة. وقوله: رخو وكاء البطن منفتق أي إنه رخو الشرج لا يحبس ما يخرج منه، وهكذا يكون الخصى. وإنما عنى به كافوراً وحده، وأخبر عنه بلفظ الجمع.

أكلّما اغتال عبد السّوء سيّده أو خانه فله في مصر تمهيد

يقول: كافور اغتال سيده أي قتله غيلة وجلس مكانه، وهكذا كل عبد في مصر إذا خان مولاه أو قتله ارتفع شأنه عند الأسود.

صار الخصىّ إمام الآبقين بها فالحرّ مستعبدٌ والعبد معبود

الهاء في بها لمصر.

يقول: لما ملك كافور مصر هرب كل عبد من مولاه وانضم إليه، فالحر ذليل كأنه عبد، والعبد مخدوم بها معظم.

نامت نواطير مصرٍ عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد

النواطير: جمع ناطور، وهو حافظ الزرع. ويجوز بالطاء والظاء.

يقول: غفل الملوك عن مصر وأهملوها فتمكن منها العبيد والأرذال، فجمعوا الأموال وأتخموا من كثرتها.

شبه مصر بالبستان. والملوك بالنواطير، والغواة بالثعالب.

العبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لو أنّه في ثياب الحرّ مولود

الهاء في أنه تعود إلى حر وأراد به ابن الإخشيد، لأنه كان يسمى كافورا أخاه. فيقول: إن الحر لا يصلح أن يكون العبد أخاه، لو كان حراً ولد في ثياب الأحرار. يعني: لو كنت ولدت في ثياب حر لما اتخذته أخاك.

وقيل: تعود إلى العبد والمعنى: أن العبد لو ولد في ثياب الحر لما كان يصلح أن يكون أخاً للحر، لأنه ينزع إلى أصله.

لا تشتر العبد إلاّ والعصا معه إنّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد

المناكيد: جمع منكاد، ومنكود، وهو قليل الخير.

يقول: العبد نجس نكد لا يستقيم إلا بالضرب.

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمنٍ يسيء بي فيه كلبٌ وهو محمود

الها في فيه للزمن.

يقول: ما ظننت أني أبقى إلى زمن يسيء بي في ذلك الزمان كلب، وهو محمود على إساءته لي. وأحتاج إلى مدحه مع ذلك.

ولا توهّمت أنّ النّاس قد فقدوا وأنّ مثل أبي البيضاء موجود

لقبه بضد اسمه كما يقال للأعمى: البصير.

يقول: ما ظننت أن الناس يفقدون وكافور يبقى بعدهم مع خسة نفسه ودناءة أصله.

وأنّ ذا الأسود المثقوب مشفره   تطيعه ذي العضاريط الرّعاديد

العضاريط: الأتباع والخدم واحدها عضروط والرعاديد الجبناء واحدهم رعديد.

يقول: لم أتوهم أن هؤلاء السفلة الأرذال تطيع مثل هذا الأسود، حتى يجوز عليهم أمره، وأنه يحصل له مثل هذا الملك والتسلط عليهم.

جوعان يأكل من زادي ويمسكني   لكي يقال عظيم القدر مقصود

يقول: قاسى في الجوع قلبه الذي قاساه في عبوديته؛ فلهذا لا تسمح نفسه بالعطاء، وهو مع ذلك يأكل من زادي: أي يطالبني بأن أمدحه بشعري.

وقيل: أراد يحبسني من غير عطاء فأحتاج إلى أن أنفق مالي، وإنما يمسكني عنده ليقال: إنه مقصود يمدحه مثلي من الشعراء.

إنّ امرأً أمةٌ حبلى تدبّره   لمستضامٌ سخين العين مفئود

المفئود الذي أصيب فؤاده، أي عقله، وجعله أمة حبلى لخصاه وعظم بطنه. يعرض بابن مولاه، ابن الإخشيد.

يقول: من جعل أمره إلى أمة حبلى حتى تدبره، فهو مقهور ذليل سخين العين مصاب الفؤاد، زائل العقل.

ويلمّها خطّةً ويلمّ قابلها   لمثلها خلق المهريّة القود

ويلمها تعجب، وأصلها: ويل لأمها، فلما كثر استعمال هذه الكلمة خففت وحذفت اللام والهمزة، وجعلت الكلمتان واحدة. وخطةً نصب على التمييز والها في ويلمها للخطة والمهرية إبل منسوبة إلى مهرة، قبيلة من اليمن. والقود: الطوال الأعناق.

يقول: ما أعجب هذه الخطة ! وما أعجب من يرضى بها ! وإنما خلقت المهرية لتركب أنفةً من هذه الحال.

وعندها لذّ طعم الموت شاربه   إنّ المنيّة عند الذّلّ قنديد

القنديد: الخمر، وقيل: هي التي فيها الأفاوية، والهاء في عندها للخطة وهي الحالة والقضية، يقال: إن فلاناً يكلفني خطة من الخسف.

يقول: وعند هذه الخطة يستلذ الموت كما يستلذ الخمر المطيبة بالأفاوية. وهذا كقوله:

الموت أحلى عندنا من العسل

لا عار بالموت إذا الموت نزل

من علّم الأسود المخصىّ مكرمةً أقومه البيض أم آباؤه الصّيد ؟ !

يقول: من أين تعلم هذا الخصى الأسود المكارم ؟! أتعلمها من قومه البيض الألوان ! أو البيض الكرام ! أو من آبائه الملوك ! يعني: ليس له في الكرم أصل فكيف يهتدى إلى فعل المكارم وإتيان الجميل ؟! يلوم نفسه لطلبه الغني عنده مع لؤم أصله.

أم أذنه في يد النّخّاس داميةً أم قدره وهو بالفلسين مردود

نصب دامية على الحال من أذنه.

يقول: أعلمته المكرمة إدماء النخاس أذنه عركاً، أم قدره وهو لا يساوي فلسين.

أولى اللّئام كويفيرٌ بمعذرةٍ في كلّ لؤمٍ وبعض العذر تفنيد

يقول: إن كافوراً أولى اللئام بأن يعذر في كل لؤم ! وقوله: وبعض العذر تفنيد: أي عذري له تفنيد وتوبيخ ونهاية في اللوم، وهجو صريح؛ لأني إنما أعذره وأدع لومه لخسته.

وذاك أنّ الفحول البيض عاجزةٌ عن الجميل فكيف الخصية السّود ؟

الخصية: جمع خصى.

يقول: أنا أعذره؛ لأن الذكور الأحرار تعجز عن الجميل، فكيف. لا يعجز السود الخصيان ؟ هذا آخر ما قاله في كافور وإنما أخرنا مدح فاتك لئلا يختلط بغيره، وسنأتي بمدحه بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى.

خروج المتنبي من مصر إلى الكوفة

وكان جميع جيرانه يراعونه حتى كان قوم يمرون حذاء مترله يتعرفون من يدخل إليه ويخرج من عنده، ويغدو كل يوم صاحب الخبر إلى بابه، حتى يقف على حاله وهو يعلم ذلك ولا يظهر لهم.

وكان يتسلى بفاتك وبالحديث معه، وتوفي فاتك فعمل أبو الطيب على الرحيل، وقد أعد كل ما يحتاج إليه على مر الأيام في لطف ورفق ولا يعلم به أحداً من غلمانه، وهو يظهر الرغبة في المقام، وطال عليهم التحفظ، فخرج فدفن الرماح في الرمل، وحمل الماء على الإبل في الليل من النيل عدة لعشر ليال، وتزود لعشرين وكتب إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الخزاعي.

جزى عرباً أمست ببلبيس ربّها بمسعاتها تقرر بذاك عيونـها

وروى: ببلبيس وهو مكان بأعلى الشام دون مصر على بحر القلزم، والمسعاة: واحدة المساعي.

يقول: جزى الله العرب الذين هم أهل هذا المكان بمساعيها جزاء حسناً تقر بذاك عيونهم. وربها فاعل جزى: أي جزاها ربها.

كراكر من قيس بن عيلان ساهراً جفون ظباها للعلا وجفونـها

كراكر أي جماعات، وهي بدل من عرب.

يقول: جفون سيوفهم فقدت نصولها، وجفون عيونهم فقدت نومها؛ لأنهم يسهرون لطلب المعالي، شاهرين سيوفهم للذب عنهم. ولما ذكر سهر عيونهم، ذكر سهر جفون السيوف؛ لتجانس اللفظ.

وخصّ بها عبد العزيز بن يوسفٍ فما هو إلا غيثها ومعينـها

روى: معينها ومعينها والهاء في بها يرجع إلى الأرض: التي هي بلبيس. وقيل: إلى الدعوة التي يدل عليها قوله: جزى الله والهاء في غيثها ومعينها يرجع إلى العرب: أي خص الله بهذه الدعوة هذا الرجل، فإنه سيد هذه العرب، يقوم جوده لها مقام الغيث.

والمعين: الماء الجاري من العيون.

فتىً زان في عينيّ أقصى قبيله وكم سيّدٍ في حلّةٍ لا يزينـها

القبيل: الثلاثة فصاعداً من ولد أب واحد، أو من قوم شتى. والقبيلة: لا تقال إلا في ولد أب واحد، والحلة: جماعة بيوت الأعراب والجمع الحلل.

يقول: زين في عيني قبيله وصار قومه مفتخرين به وبشرفه، وكم سيد لا يتجاوز فخره إلى غيره.

وأخفى طريقه فلم يأخذوا له أثراً حتى قال بعض أهل البادية: هبه سار فهل محا أثره ؟ وقال بعض المصريين: إنما أقام حتى عمل طريقاً تحت الأرض.

وتبعه البادية والحاضرة ومن وثقوا به من الجند، وكتبوا إلى عوالة الحوفين والجفار وغزة والشام وجميع البوادي. وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجه الطير إلى الرثنة حتى خرج إلى ماء يعرف بنخل، وتسميه العامة بحرا في التيه بعد أيام، فلقي عنده في الليل ركباً وخيلاً صادرةً عنه، فقاتلوه فأخذهم وتركهم، وسار حتى خرج من قرب النقاب، فرأى رائدين لبني سليم على قلوصين، فركب الخيل وطردهما حتى أخذهما، فذكرا له أن أهلها أرسلوهما رائدين، وواعدهما النزول ذلك اليوم بين يديه، فاستبقاهما ورد عليهما القلوصين وسلاحهما، وسار وهما معه حتى توسط بيوت بني سليم آخر الليل.

فضرب له ملاعب ابن أبي النجم خيمةً بيضاء وذبح له.
وغدا وسار إلى النقع فترل ببادية من معن وسنبس فذبح له عفيف المعنى غنماً وأكرمه، وغدا من عنده وبين يديه اثنان من جذيم يدلانه، فصعد في النقب المعروف بتربان، وفيه ماء يعرف بعرند فسار يوماً وبعض ليلة ونزل.
وأصبح فدخل حسمي وحسمي هذه أرض صلبة تودي إلى أثر النخلة من لينها، وتنبت جميع النبات، مملوءة جبالا في كبد السماء، متناوحة ملس الجوانب إذا نظر الناظر إلى قلة أحدها فتل عنقه - حتى يراها - بشدة. ومنها ما لا يقدر أحد أن يصعده، ولا يكاد القتام يفارقه، ولهذا لما قال النابغة:

وأصبح عالقا بجبال حسمي ... دقاق التّرب مخترم القتام

اختلف الناس في تفسيره، ولم يعلموا ما أراده.

يكون مسيرة ثلاثة أيام في يومين، يعرفها من رآها من حيث رآها لأنها لا مثل لها في الدنيا، ومن جبالها جبل يعرف بإرم عظيم العلو، تزعم أهل البادية أن فيه كروماً وصنوبراً - فوجد بني فزارة بها شاتين، فترل بقوم من عدي فزارة، فيهم أولاد لاحق بن مخلب، وكان مخلب هذا خرج يطلب ناقة له فقدها، وكانت بنو فزارة قد أخذت غزياً غزتها فكانت الأسرى في القد بين البيوت، فسمعه بعض الأسرى ينشد الناقة فقال له: هي بموضع كذا وكذا وجدناها أمس وشربنا لبنها وتركناها لنعود فنأخذها.
فقال مخلب: على شهادتكم يا معشر العرب، ثم عاد فلبس سلاحه وركب فرسه فقال: الغزي ضيوفي فخلصهم من القد بعد اختلاف الناس وخوف الشر، فرد عليهم كل شيء أخذ لهم وقراهم وسيرهم وميرهم فقال مخلب:

فإن تك ناقتي منعت غزيّا ... تجرّ صرارها ترعى الرّحابا
فأيّ فتى أحقّ بذاك منّي ... وأجدر في العشيرة أن يهابا ؟

وكانت بينه أي بين أبي الطيب وبين أمير فزارة: حسان بن حكمة مودة وصداقة. فترل بجار للقوم ليواري عنهم، فلا يعلم ما بينه وبينهم، واسم الجار: وردان بن ربيعة من طيئ، ثم من معن ثم من بني شبيب، فاستغوى عبيده وأفسدهم عليه، وأجلسهم مع امرأته، فكانوا يسرقون له الشيء بعد الشيء من رحله.
وطابت حسمي لأبي الطيب فأقام بها شهراً، وكتب كافور إلى من حوله من العرب ووعدهم، وظهر

لأبي الطيب فساد عبيده، وكان الطائي يرى عند أبي الطيب سيفاً مستوراً فيسأله أن يريه إياه فلا يفعل؛ لأنه كان على قائمه وفعله ذهب من مائة مثقال، وكان السيف لا ثمن له، فجعل الطائي يحتال على العبيد بامراته طمعا في السيف؛ لأن بعضهم أعطاه خبره، فلما أنكر أبو الطيب أمر العبيد ووقف على مكاتبة كافور لكل العرب التي حوله في أمره، أنفذ رسولاً إلى فتىً من بني فزارة، ثم من بني مازن من ولد هرم بن قطبة. بن سيار يقال له: فليتة بن محمد وفيهم يقول بعض البادية:

إذا ما كنت مغترباً فجاور	بني هرم بن قطبة أو دثارا
إذا جاورت أدنى مازنيٍّ	فقد ألزمت أقصاها الجوارا

وكان وافقه قبل ذلك على المراسلة فسار إليه. وترك أبو الطيب عبيده نياماً وتقدم إلى الجمال فشد على الإبل وحمل خوفاً أن يحتبس عنه عبيده في الليل، ولم يعلموا حتى نبهم وطرحهم على الإبل وجنب الخيل، وسار تحت الليل والقوم لا يعلمون برحيله، ولا يشكون أنه يريد البياض، فلما صار برأس الصوان أنفذ فليتة بن محمد إلى عرب بين يديه وتوقف.

وأخذ أحد العبيد في الليل السيف فدفعه إلى عبد آخر ودفع إليه فرسه، وجاء ليأخذ فرس مولاه فانتبه أبو الطيب فقال الغلام: أخذ العبد فرسي أخذ العبد فرسي يغالط بهذا الكلام، وعدا نحو الفرس ليقعد على ظهره، والتقى هو وأبو الطيب عند الحصان، وسل العبد السيف فضرب رسنه، فضرب أبو الطيب وجه العبد فقسمه، فخر على رثمة أنفه، وأمر الغلمان فقطعوه، وانتظر الصباح وكان هذا العبد أشد من معه وأفرسهم.

فلما أصبح أتبع العبد علياً الخفاجي وعلواناً المازني، فأخذا أثره، فأدركاه عصراً، وقد قصر الفرس الذي تحته، فسألهما عن مولاه فقالا جاءك من ثم، وأشارا إلى موضع، فدنا منهما كالعائذ وهو يتبصر فقالا له: تقدم، فقال: ما أراه، فإن رأيته جئتكما وإن لم أره فما لكما عندي إلا السيف، فامتنع عنهما وعادا في غد، ووافقا عودة فليتة فقال فليتة: لقد كان فيما جرى خبرة، لأن الوقت الذي اشتغلتم بقتله فيه كانت سرب الخيل عابرة مع ذلك العلم، ولو كنتم زلتم عن موضعكم لحدث بعضكم بعضا، فقال أبو الطيب ارتجالا:

فإن تك طيئٌ كانت لئاما	فألأمها ربيعة أو بنوه

يقول: إن كانت طيئ لئاماً فربيعة الذي هو أبو وردان وبنوه أكثرهم لؤما. وقوله: أوبنوه معناه: وبنوه أو في معنى الواو.

وإن تك طيّئٌ كانت كراما فوردانٌ لغيرهم أبوه

يقول: إن كانت طيّئ كراما، فأبو وردان ليس منهم، بل من غيرهم، لأنه لئيم وطيئ كرام. وكانت في البيتين زائدة، والتقدير: إن تك طيئ كراما، وإن تك طيئ لئاما.

مررنا منه في حسمي بعبدٍ يمجّ اللّوم منخره وفوه

حسمي: أرض بالسماوة. ويقال: منخر: بفتح الميم وكسرها.

يقول: نزلنا عليه بحسمي، فوجدناه عبداً لئيماً يمج اللؤم أنفه وفوه.

أشذّ بعرسه عنّي عبيدي فأتلفهم ومالي أتلفوه

أشذ أي فرق. والباء للسبب أي بسبب عرسه.

يقول: فرق عني عبيدي وأفسدهم بامرأته وأتلفهم، وهم أتلفوا مالي.

فإن شقيت بأيديهم جيادي لقد شقيت بمنصلى الوجوه

يقول: إن كانت خيلي شقيت بأيدي عبيدي: أي سرقوها، فقد شقيت بسيفي وجوههم.

يصف ما كان من أخذ عبيده فرسه، وقتله للآخر.

وقال يهجو وردان بن ربيعة:

لحا الله ورداناً وأمّاً أتت به له كب خنزيرٍ وخرطوم ثعلب

يقول: لعن الله ورداناً وأمه التي أتت به فإنه قبيح الوجه لئيم الكسب، يقود على أهله ويكتسب بالقيادة.

وإنما خص كسب خنزير لأن كسبه لا يتضمن الشجاعة، بخلاف سائر السباع، وقيل: لأنه يفسد الزرع ونحوه مما لا يفسده سائر السباع، فلما كان هذا الرجل أفسد عبيده شبهه به. وقيل: لأنه يأكل العذرة والأقذار، فشبهه به لقبح كسبه من جهة القيادة، وجعل له خرطوم ثعلب: أي أنفه، وشبهه به؛ قباحةً ووحشةً.

فما كان منه الغدر إلاّ دلالةً على أنّه فيه من الأمّ بالأب

يقول: غدره بي: دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه، فجاءت به لغير رشدة. وروى: من الأم والأب: أي أن أبويه كانا غادرين.

إذا كسب الإنسان من هن عرسه فيل لؤم إنسانٍ ويا لؤم مكسب !!

الهن: كناية عن الفرج.
يقول: ما ألأم إنساناً يقود على امرأته ويكس بهنها، وما ألأم كسبه ذلك !

أهذا اللّذيّا بنت وردان بنته		هما الطّالبان الرّزق من شرّ مطلب

يقول: أهذا الذي تنسب إليه بنت وردان ! نكد عاهرة، وأظهر التجاهل لوردان. ثم قال: هما يطلبان الرزق من أقبح وجوهه، هو يطلبه بالقيادة، وتلك تطلبه بالفجور والزنا.

لقد كنت أنفي الغدر عن توس طيئٍ		فلا تعذلاني ربّ صدقٍ مكذّب

التوس والسوس: الأصل.
يقول: كنت أنفي الغدر عن أصل طيئ، فكان الأمر بخلاف ذلك، فلا تعذلاني يا صاحبي، فرب صدق مكذب.
وقال أيضاً يصف العبد الذي قتله وهو في طريقه من مصر إلى العراق

أعددت للغادرين أسيافا		أجدع منهم بهنّ آنافا
لا يرحم الله أرؤساً لهم		أطرن عن هامهنّ أقحافا

يقول: استعددت لكل غادر سيوفاً أقطع بها أنوفهم، وأطرن فعل ضمير الأسياف. والأقحاف: جمع قحف، وهو العظم الذي يكتنف الدماغ. وقيل: لا يقال له قحف حتى يبين عن الرأس.
يقول: لا رحم الله رءوساً أطارت أسيافي عن هامهن أقحافها. والضمير في هامهن للأرؤس.

ما ينقم السّيف غير قلّتهم		وأن تكون المئون آلافا

قوله: وأن تكون المئون آلافا فيه محذوف. أي غير أن تكون. وقيل: ألا يكون فحذف لا.
يقول: لا ينكر السيف منهم إلا قلتهم؛ لأنه يتمنى كثرة الغادرين، وأن يكون بدل كل مئة ألفاً، فهو لا ينكر إلا قلتهم، وألا يكون المئون ألوفاً.

يا شرّ لحمٍ فجعته بدمٍ		وزار للخامعات أجوافا

روى: زار وزاد وفاعله قيل: اللحم، وقيل: الدم. والخامعات الضباع.
يقول مخاطباً للحم عبده الذي قتله: أنت شر لحم فجعته بإراقة دمه، فشربت الضباع من دمه، وأكلت الضباع هذا اللحم، فصار في أجوافها، فكأنه زارها. وقوله: فجعته بدم أي فرقت بينه وبين دمه لما قتلته.

قد كنت أغنيت عن سؤالك بي		من زجر الطّير لي ومن عافا

عفت الطير وزجرها بمعنى تفاءلت بها ومن نصب بالمصدر الذي هو سؤالك.
يقول: كنت غنياً عن أن تسأل الكهان، والزاجرين للطير عن حالي في تعرضك لي، لأني كنت أعلم بحالي منهم.

وعدت ذا النّصل من تعرّضه وخفت لمّا اعترضت إخلافا

يقول: وعدت سيفي هذا أن أقتل به كل من تعرض له، فلما اعترضت له حين أردت أخذ فرسي، وخفت أن تفوته وأخلف سيفي ما وعدته، فقتلتك.

لا يذكر الخير إن ذكرت ولا تتبعك المقلتان توكافا

يقول: إذا ذكرت لا تذكر بخير، ولا ينسب الخير إليك ولا تبكيك عين تفقدك.
أخذه من قول الله تعالى: "فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ".

إذا امرؤٌ راعني بغدرته أوردته الغاية الّتي خافا

يقول: من خوفني بغدره قتلته، وأوردته الغاية التي يخافها وهي الموت.

وسار أبو الطيب حتى نظر إلى آثار الخيل، ولم يجد مع فليتة خبراً عن العرب التي طلبها فقال له: احرف بنا على بركة الله تعالى إلى دومة الجندل.
وذلك أنه أشفق أن تكون عليه عيون بحسمي قد علمت أنه يريد البياض، فسار حتى ورد البويرة بعد ثلاث ليال، وأدركتهم لصوص فأخذت آثارهم وهم عليها، فلم يطمعوا فيهم، وسار معه منهم حمصي بن القلاب، فلما توسط البسيطة رأى بعض العبيد ثوراً يلوح فقال: هذه منارة الجامع. ونظر آخر نعامة في جانبه فقال: وهذه نخلة. فضحك أبو الطيب وضحكت البادية فقال يذكر ضلال غلمانه في حذر الأشباح التي لاحت لهم في البادية:

بسيطة مهلاً سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارى

بسيطة: أرض بقرب الكوفة.
يقول: سقاك المطر يا بسيطة مهلاً، فإنك حيرت عيون عبيدي. فدعا لها بالسقيا. ولم يدع عليها لكي تكف عن التحير، فلو دعا عليها لزادت في التحيير، فتلطف لها بالدعاء بالسقيا.

فظنّوا النّعام عليك النّخيل وظنّوا الصّوار عليك المنارا

الصوار القطيع من البقر الوحشي.
يقول: حيرت عيونهم حتى ظنوا أن النعام نخيل، وأن الثور منار الجامع.

فأمسك صحبي بأكوارهم وقد قصد الضّحك فيهم وجارا

يقول: لما سمع صحابي ذلك ضحكوا حتى خافوا أن يسقطوا عن إبلهم، فتعلقوا برحالهم، وفيهم من ضحك ضحكاً معتدلاً، وفيهم من جاوز الحد في الضحك. وروى: قسط أي عدل الضحك في بعضهم وجار في بعضهم: وروى قصد وهو في معناه.

وورد العقدة بعد ليال، وسقي بالجراوي، واجتاز ببني جعفر بن كلاب وهو بالبرية والأضارع فبات فيهم، وسار إلى أعكش حتى نزل الرهيمة. ودخل الكوفة فقال يصف منازل طريقه ويفخر بمسيره في البادية ويهجو كافوراً في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة:

ألا كلّ ماشية الخيزلي فدى كلّ ماشية الهيدبي

الخيزلي والخوزلي: مشية النساء، وهي مشية فيها تثنى وتفكك، والهيدبي: مشية الإبل فيها سرعة.
يقول: جعل الله كل امرأة تتثنى في مشيتها فداءً لكل ناقة تسرع في سيرها.
والخيزلي والهيدبي نصب على صفة المصدر المحذوف: أي كل ماشية تمشي مشية الخيزلي والهيدبي.

وكلّ نجاةٍ بجاويّةٍ خنوفٍ وما بي حسن المشي

النجاة: السريعة. والبجاوية: منسوبة إلى بجاوة، وهي قبيلة من البربر، يطاردون عليها في الحرب، والخنوف: التي تميل يدها في سيرها.
يقول: جعل الله كل امرأة تمشي الخيزلي، فدى كل ناقة سريعة. ثم بين أنه لم يفدهن بالإبل لأن مشية الإبل أحسن من مشية النساء، ولكن لأجل النفع والبعد من الضيم. والمشي: جمع مشية.

ولكنّهنّ حبال الحياة وكيد العداة وميط الأذى

يقول: إنما فديتهن بها؛ لأن الإبل حبال الحياة: أي أسباب الحياة، ينجو بها الإنسان من المهالك، وبها يكيد الإنسان عدوه، ويدفع الأذى بها عن نفسه.

ضربت بها التّيه ضرب القما ر إمّا لهذا وإمّا لذا

التيه: برية على جانب مصر، وهي التي تاه فيها قوم موسى عليه السلام يقول: ضربه بها إما للنجاة، وإما للهلاك، كما يفعل المقامر.

إذا فزعت قدّمتها الجياد وبيض السّيوف وسمر القنا

فمرّت بنخلٍ وفي ركبها عن العالمين وعنه غنى

نخل: ماء معروف. وركبها: يعني نفسه وغلمانه. أي مرت هذه الإبل على هذا الماء، وأصحاها يغنون عن هذا الماء، لما لهم من العدة، وعن العالمين، لقوقم وشجاعتهم.

وأمست تخيّرنا بالنّقا ب وادي المياه ووادي القرى

النقاب: موضع، يفترق منه طريقان: إلى وادي المياه، وإلى وادي القرى.

يقول: لما وصلنا إلى هذا المكان خيرتنا الإبل فقالت: خذ أي الطريقين شئت. وروى بالباء: أي خبرتنا. وقالت: هذا طريق وادي المياه، وهذا طريق وادي القرى.

وقلنا لها: أين أرض العراق ؟ فقالت ونحن بتربان: ها

تربان: موضع وها حرف إشارة. والمراد: ها هي هذه، فحذف الجملة وترك الحرف الذي هو ها.

يقول: لما وصلنا إلى تربان سألناها عن أرض العراق فقالت عندما كنا بتربان: ها هي هذه بين أيديكم. يعني العراق. فعلى هذا يكون الواو للحال.

وقيل: معناه أنها قالت: نحن قد حصلنا بتربان، وهي قريبة من العراق فيكون ذلك من قول الإبل.

وهبّت بحسمي هبوب الدّبو ر مستقبلاتٍ مهبّ الصّبا

هبت: أي أسرعت. والدبور: من قبل الغرب، ويستقبل المشرق، وهو مهب الصبا. وقيل: الصبا محلها من ناحية قبلة العراق، والدبور يقابلها.

يقول: إنها سارت بنا سيراً سريعاً كأنها الدبور استقبلت مهب الصبا.

روامي الكفاف وكبد الوهاد وجار البويرة وادي الغضى

روامي أي قواصد، موضعه نصب على الحال. والكفاف، وكبد الوهاد، وجار البويرة كلها مواضع. ووادي الغضى بدل من وجار البويرة.

يقول: إن هذه الإبل البجاوية قصدت هذه المواضع، وعبرت عليها.

وجابت بسيطة جوب الرّدا ء بين النّعام وبين المها

جابت: أي قطعت. وبسيطة: مفازة بقرب الكوفة.

يقول: قطعت الإبل بسيطة وشقتها كما يشق الرداء، ومسيرها بين النعام وبقر الوحش.

إلى عقدة الجوف حتّى شفت بماء الجراويّ بعض الصّدى

عقدة الجوف: موضع معروف، والجراوي: منهل معروف.

يعني: أنها سارت من بسيطة إلى عقدة الجوف، فشربت من الجراوي حتى شفت بعض عطشها، ولم تستوف الشرب عجلةً أو خوفاً، أو حرصاً على السير، أو خشية أن يثقلها كثرة الشرب.

ولاح لها صورٌ والصّباح ولاح الشّغور لها والضّحى

صور، والشغور: اسما موضعين بقرب العراق.

يقول: سارت طول ليلها فظهر لها صور عند الصبح وظهر لها الشغور مع وقت الضحا.

ومسّى الجميعيّ دئداؤها وغادى الأضارع ثم الدّنا

هذه أسماء المواضع، والدئداء: سير سريع.

يعني: أنها وصلت إلى الجميعي مساءً فأسرعت فيه السير، وجاءت إلى الأضارع. والدنا: وقت الغداة.

فيا لك ليلاً على أعكشٍ أحمّ البلاد خفيّ الصّوى

أعكش: مكان معروف. وأحم أسود. والصوى: أعلام وحجارة تنصب على الطريق، الواحدة: صوة.

وقوله: فيا لك تعجب. وليلاً نصب على التمييز.

يقول: ما أعجب ليلاً في أعكش ! وما أشد ظلامه وسواد البلاد ! حتى خفيت الأعلام.

وردنا الرّهمية في جوزه وباقيه أكثر ممّا مضى

الرهيمة: قرية بقرب الكوفة. وعنى بالجوز ها هنا صدر الليل.

يقول: وردنا الرهيمة وما بقي من الليل أكثر مما مضى.

فلمّا أنخنا ركزنا الرّما ح فوق مكارمنا والعلا

يقول: لما نزلنا الكوفة أنخنا إبلنا وركزنا رماحنا فوق العز والمكارم.

يعني هذا المسير فخر لنا عالي المحل؛ لأنا أرغمنا به أنف كافور مع ملكه.

وبتنا نقبّل أسيافنا ونمسحها من دماء العدى

يقول: لما وصلنا إلى وطننا قبلنا أسيافنا شكراً لها، ومسحنا عنها دماء الأعداء الذين قتلناهم بها.

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم. أنّي الفتى

يقول: فعلنا هذا؛ ليعلم أهل مصر، وأهل العراق، وأهل العواصم: أي سيف الدولة. أني الفتى الكامل في جميع الخصال.

وأنّي وفيت وأنّي أبيت وأنّي عتوت على من عتا

يقول: فعلت هذا؛ ليعلم من في مصر أني وفيت بما وعدت من سيرى حيث قلت:

وإن بليت بودٍّ مثل ودّكم

وأنى أبيت ضيم كافور، وأنى قهرت كل طاغ.

وما كلّ من قال قولا وفى ... ولا كلّ من سيم خسفاً أبى

سيم: أي كلف. والخسف: الذل.

يقول: ما كل أحد إذا قال قولاً، صدق قوله كمال فعله، وليس كل من حمل على ضيم أباه ودفعه عن نفسه.

ومن يك قلبٌ كقلبي له ... يشقّ إلى العزّ قلب التّوى

التوى: الهلاك، أي من كان له مثل قلبي، دخل قلب الهلاك، حتى يصل إلى العز والعلا.

ولا بدّ للقلب من آلةٍ ... ورأيٍ يصدّع صمّ الصّفا

يقول: إن الإنسان لا يكفيه جرأة قلبه، حتى يكون له رأي صائب، وآلة يتوصل بها إلى مرامه، وإلا أدته شجاعته إلى هلاكه.

وكلّ طريقٍ أتاه الفتى ... على قدر الرّجل فيه الخطا

يقول: كل فعل يفعله الرجل على قدر شجاعته وهدايته، وعلى حسب رأيه.

ولما جعل الفعل طريقاً استعار فيه ذكر الرجل والخطا.

ونام الخويدم عن ليلنا ... وقد نام قبل عمىً لا كرى

عنى بالخويدم: كافورا.

يقول: إنه قد نام عن الليل الذي سرنا فيه، وكان في حال يقظته أيضاً نائماً؛ لعمى قلبه لا من النوم الحقيقي.

وكان على قربنا بيننا ... مهامه من جهله والعمى

يقول: قد كان كافور على قرب ما بيننا في المسافة بجسمه، بعيداً منا؛ لجهله وعمى قلبه.

لقد كنت أحسب قبل الخصيّ ... أنّ الرّءوس مقرّ النّهى

النهى: العقول، واحدها نهية.

يقول: كنت قبل أن أرى كافورا أظن أن العقل يحل الرءوس، فكان الأمر لما رأيته بخلاف ذلك.

فلمّا نظرت إلى عقله | رأيت النّهى كلّها في الخصى

أي ظننت أن العقل يحل الرأس، فلما رأيت كافوراً وقلة عقله، صح عندي أن محل العقل إنما هو الخصى؛ لأنه لما قطعت خصيته زال عقله.

وماذا بمصر من المضحكات | ولكنّه ضحكٌ كالبكا

يقول: ماذا في مصر من أحوال عجيبة مضحكة! ولكنه ليس يضحك منها ضحك فرح، ولكنه يضحك تعجباً، وهذا الضحك كالبكاء.

بها نبطيٌّ من أهل السّواد | يدرّس أنساب أهل الفلا

يقول: من جملة ما فيها من المضحكات نبطي بها، من أهل السواد، يقرأ عليه أنساب العرب، وهو يدرك هذه الأنساب، وهذا مما يضحك منه.

وكان اسم الرجل ابن خترابة وكان أديباً بمصر.

وأسود مشفره نصفه | يقال له: أنت بدر الدّجى

ويقول: ومنها أسود قبيح الوجه، تدلت شفته كأنها مقدار نصفه، مع ذلك يقال له: أنت بدر الدجى! وعنى به كافوراً.

وشعرٍ مدحت به الكركدن | ن بين القريض وبين الرّقى

الكركدن: كلمة تقال لكل قبيح، وقيل: هو دابة بالهند.

يقول: ومنها شعري الذي مدحت به كافورا، كان في ظاهره شعراً، وفي باطنه رقيةً أرقيه بها من جنونه.

فما كان ذلك مدحاً له | ولكنّه كان هجو الورى

يقول: ما قلت فيه من المدح ليس بمدح له، وإنما كان هجو للناس؛ لأنهم رغبوا عن الحمد وجميل الذكر، فأحوجوني إلى مدحه. فمدحي له يدل على سقوط الخلق وخستهم.

وقد ضلّ قومٌ بأصنامهم | فأمّا بزقّ رياحٍ فلا

يقول: قد ضل قوم بالأصنام فعظموها لحسنها، وما سمعت أن أحداً عبد زقاً منفوخاً! فلولا جهل أهل مصر، لما رضوا بحكمه.

ومن جهلت نفسه قدره | رأى غيره منه ما لا يرى

يقول: إذا لم يعلم الإنسان قدر نفسه، فإن الناس يعلمون من حاله ما خفي عليه.

يعني: أن كافور إن كان نسي ما كان فيه من الخسة ومهانة القدر، فالناس يعلمون ذلك من حاله.

وقال أيضاً يهجو كافوراً

وأسود أمّا القلب منه فضيّقٌ نخيبٌ وأمّا بطنه فرحيب

النخيب: الفارغ الخالي، ويقال للجبان: نخيب. ومنخوب الفؤاد: يعنون أن صدره فارغ لا قلب فيه.

والرحيب: الواسع.

يقول: هذا أسود ضيق القلب بالعطاء، جبان ليس فيه فؤاد، وبطنه واسع عظيم، أو أنه شره ليس له همة إلا جوفه.

يموت به غيظاً على الدّهر أهله كما مات غيظاً فاتكٌ وشبيب

الهاء في به للأسود، وفي أهله للدهر، وغيظاً مفعول له.

يقول: إن الناس إذا رأوا حالة كافور ماتوا غيظاً على الدهر - حيث ألقى الدهر إليه أزمة الملك - كما مات شبيب العقيلي وفاتك المجنون غيظاً على الدهر.

أعدت على مخصاه ثمّ تركته يتبّع منّى الشّمس وهي تغيب

مخصاه: موضع خصيته.

يقول: أخزيته بهجائي له، فكأني خصيته ثانية، ثم رحلت عنه وتركته ينظر إلى الشمس وقت غروبها.

أي لا يصل إلي، كما لا يصل إلى الشمس إذا غابت.

ومثله للمجنون:

فأصبحت من ليلي الغداة كناظرٍ مع الصّبح في أعقاب نجمٍ مغرّب

إذا ما عدمت الأصل والعقل والنّدى فما لحياةٍ في جنابك طيب

يعني: إذا عدمت جميع خصال الخير فلا يطيب لأحد الحياة في قربك.

وأنشده صديق له بمصر من كتاب الخيل لأبي عبيدة وهو نشوان:

تلوم عليّ أن أمنح الورد لقحةً وما تستوي والورد ساعة تفزع

فأجابه أبو الطيب:

بلى تستوي والورد، والورد دونها إذا ما جرى فيك الرّحيق المشعشع

الورد اسم فرس كان لقائل البيت. فلامته امرأته على قيامه بتعهده وإيثاره على عياله، فرد عليها بأبيات منها هذا البيت، وبين أن هذا الفرس أنفع في حال الشدة منها.
فقال أبو الطيب: إن هذا غير مستمر، بل هي مثل الورد، بل الورد دونها في حال اللذة والشرب.
والرحيق: الخمر، المشعشع: الممزوج.

هما مركبا أمنٍ وخوفٍ فصلهما   لكلّ جوادٍ من مرادك موضع

يقول: كل واحد منهما لحال، فالمرأة لحال الأمن، والفرس لحال الخوف، فكما يكرم أحدهما ليومه فكذلك الآخر.

خبره مع فاتك

كان أبو شجاع فاتك الكبير المعروف بالمجنون رومياً، أخذ صغيراً، وأخ وأخت له من بلاد الروم، قرب حصن يعرف بذي الكلاع، فتعلم الخط بفلسطين، وهو ممن أخذه ابن طغج من سيده وهو بالرملة كرهاً بلا ثمن، فأعتقه صاحبه، فكان معهم حراً في عدة المماليك، كريم النفس حر الطبع، بعيد الهمة.
وكان في أيام كافور مقيماً بالفيوم من أعمال مصر وهو بلد كثير الأمراض، لا يصح به جسم، وإنما أقام به أنفةً من الأسود وحياءً من الناس أن يركب معه، وكان الأسود يخافه، ويكرمه، فزعاً، وفي نفسه ما في نفسه فاستحكمت العلة في بدن فاتك، وأحوجته إلى دخول مصر فدخلها، ولم يمكن أبا الطيب أن يعوده، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام، ثم التقيا في الصحراء، فحمل إلى منزله للوقت هدية قيمتها ألف دينار ذهباً، ثم أتبعها هدايا بعدها.
فقال أبو الطيب يمدحه في جمادى الآخر. سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة.

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النّطق إن لم تسعد الحال

يقول لنفسه: ليس عندك خيل ولا غيرها من الأموال تهديها إلى فاتك، مكافأة على إحسانه، فأنت قادر على مدحه، فساعده بالقول الجميل، إن لم يساعدك الحال على الأجر الجزيل. وهذا كقول الحطيئة.

إلاّ يكن مالٌ يثاب فإنّه   سيأتي ثنائي زيداً بن مهلهل

ومثله للمهلبي:

إن يعجز الدّهر كفّى عن جزائكم فإنّني بالهوى والشّكر مجتهد

وأجز الأمير الّذي نعماه فاجئةٌ بغير قولٍ، ونعمى النّاس أقوال

فاجئة: اسم فاعل من الفجاءة.

يقول: كافئ الأمير الذي يفاجئ بإنعامه من غير وعد، وغيره يقول ولا يفعل: يعرض بكافور.

فربّما جزت الإحسان موليه خريدةٌ من عذارى الحيّ مكسال

الخريدة: الجارية الناعمة، وقيل الكثيرة الحياء. والمكسال من النساء: الفاترة القليلة التصرف.

يقول: إذا كانت النساء مع ضعفهن، وعادتهن كفران النعم، ربما جازين من أحسن إليهن، فأنت أقدر على شكر من أحسن إليك.

وخص من النساء الخريدة المكسال؛ لضعفها وفتورها.

وإن تكن محكمات الشّكل تمنعني ظهور جريٍ فلي فيهنّ تصهال

الشكل: جمع الشكال.

يقول: إن كان ضيق حالي يمنعني من مكافأتك فعلا، فإني أكافئك قولاً يظهر ما في نفسي، كصهيل الجواد يظهر ما في نفسه من الشوق إلى الجري. شبه نفسه بالجواد المشكول، إذا لم يقدر على الجري صهل شوقاً إليه.

وقيل: معناه إذا لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور، فإني أمدحك، وإني في ذلك كالجواد المشكول عن الجري فإنه يصهل شوقاً إليه.

وما شكرت لأنّ المال فرّحني سيّان عندي إكثارٌ وإقلال

الإكثار: كثرة المال. والإقلال: قلته، وأراد الغنى والفقر.

يقول: لم أشكر؛ لفرحي بالمال الذي أسديته إلي، وسواء عندي الغنى والفقر.

لكن رأيت قبيحاً أن يجاد لنا وأنّنا بقضاء الحقّ بخّال

بخال: جمع باخل.

يقول: إنما شكرت لك لأني رأيت بخلي بقضاء الحق مع جودك علي قبيحاً.

قال ابن جني: لما وصلت في القراءة إلى هذا الموضع، قال المتنبي: هذا رجل حمل إلي ألف دينار في

وقت واحد.

قال: وما رأيته أشكر لأحد منه لفاتك، وكان يترحم عليه كثيراً.

فكنت منبت روض الحزن باكره غيثٌ بغير سباخ الأرض هطّال

يقول: نمت صنيعته عندي، وزادت كالأرض الطيبة إذا صابها المطر الكثير ولم يذهب باطلا، كالمطر في الأرض السبخة.

غيثٌ يبيّن للنّظّار موقعه أنّ الغيوث بما تأتيه جهّال

موقعه: فاعل يبين، ويجوز فيه النصب، فيكون فاعله ضمير الغيث.

يقول: إن فاتكاً غيث يولي بإنعامه من هو أهله، فإذا نظر الناس علموا أن الغيوث جاهلة بما تفعله: من سقى المكان السبخ والطيب. فموقع نعمه يبين هذا المعنى.

لا يدرك المجد إلا سيّدٌ فطنٌ لما يشقّ على السّادات فعّال

يقول: لا يصل إلى المجد إلا كل فطن يراعي أحوال القضاء، ويتحمل المشاق التي تشق على سائر السادات.

لا وارثٌ جهلت يمناه ما وهبت ولا كسوبٌ بغير السّيف سآل

يقول: لم يرث هذا المال الذي وهبه من آبائه فيجهل قدره، حيث لم يلحقه عناء بجمعه، بل كبه بسيفه وقهر عليه أعداءه، ولم يجمعه بالسؤال، حتى لا يعرف خطره.

ولا في قوله: لا وراث بمعنى غير: أي غير وارث. وقيل: إنها اطفة كقولك: جاءني زيد لا عمرو: أي لا يدرك المجد إلا سيد فطن لا وراث جاهل بقدر ما يهب.

قال الزّمان له قولاً فأفهمه إنّ الزّمان على الإمساك عذّال

يعني: أن الزمان أيقظه بتصاريفه، حتى كأنه عذله على الإمساك، وأمره بأن يهب كيما يكسب المجد والشرف، فكأنه قال هذا القول:

تدري القناة إذا هتزّت براحته أنّ الشّقيّ بها خيلٌ وأبطال

يقول: إذا تحركت القناة في يده، علمت أنه يقتل بها الأبطال، والخيل. وهذه الأبيات من تمام قوله: لا يدرك المجد إلا سيد فطن.

كفاتكٍ ودخول الكاف منقصةٌ كالشّمس قلت، وما للشّمس أمثال

يعني. لا يبلغ المجد إلا سيد كفاتك، ثم استدرك وقال: ودخول الكاف منقصة أي إذا قلت: كفاتك جعلت له نظيراً، ولا نظير له، ثم اعتذر فقال: إنما قلت: كفاتك مع علمي أنه لا نظير له، كما أشبه الأشياء بالشمس، وأعلم أنه لا مثل لها، ولم يوجب ذلك نقصا فيها كذلك هذا. ومثله لآخر:

لقد جلّ في أوصافه وخطابه — عن الكاف إلا أن يقال كريم

القائد الأسد غذّتها براثنه — بمثلها من عداه وهي أشبال

يقول: هو يقود غلماناً رباهم بأسلاب أعدائه، حتى صاروا كالأسود. وقوله: بمثلها أي غذهم براثنه: أي سيوفه، بأسلاب أسود أمثالهم من أعدائهم، وهذه الأسود أشباله.

جعله أسداً، وغلمانه حوله كالأشبال.

القاتل السّيف في جسم القتيل به — وللسّيوف كما للنّاس آجال

يقول: يضرب الفارس بسيفه فيقتله، وبكسر السيف في جسمه. وقوله: والسيوف كما للناس آجال أخده من قوله صلى الله عليه وسلم: لا تضربوا إماءكم بكسر إنائكم، فإن لها آجالاً كآجالكم والمصراع الأول مثل قوله:

قتلت نفوس العدي بالحدي — د حتّى قتلت بهنّ الحديدا

تغير عنه على الغارات هيبته — وما له بأقاصي الأرض أهمال

الأهمال: جمع الهمل والهمال، والهمل: جمع الهامل، وهو المال المهمل في المرعى بلا راع.

يقول: إن هيبته تغير عن الممدوح غارات اللصوص: أي تبعدهم عن التعرض لماله، فماله يرعى في المرعى مهمل بلا راع، فلا يتعرض إليه أحد من الهيبة.

له من الوحش ما اختارت أسنّته: — عيرٌ وهيقٌ وخنساءٌ وذيّال

العير: حمار الوحش والهيق: ذكر النعام والأنثى هيقة، والخنساء: البقرة الوحشية، والذيال: الثور الوحشي.

يقول: إنه يقدر على اصطياد كل ما يختاره.

تمسي الضّيوف مشهّاةً بعقوته — كأنّ أوقاتها في الطّيب آصال

عقوته سهله وما قرب منه. والمشهاة: من قولهم: شهيته: أي جعلته يشتهي، أو أنلته ما يشتهي.

والآصال: جمع أصل، وأصل: جمع أصيل، وهو بعد العصر؛ وذلك الوقت يطيب خاصة في الصيف.

يقول: إنه يكرم أضيافه، ويمكنهم من كل ما يشتهونه، فأوقاتهم كلها عنده طيبة كالآصال.

لو اشتهت لحم قاريها لبادرها خراذلٌ منه في الشّيزى وأوصال

القاري: المضيف، وهو الممدوح، ولحم خراذل بالذال والدال: مقطع والواحد خرذلة. والشيزى: جفان سود يقال إنها من الشيز.

قال الأصمعي: الشيز لا يعمل منه الجفان، وإنما تعمل من الجون فتسود من الدسم فتشبه الشيز، والهاء في قاريها وبادرها للأضياف، وفي منه للحم ويجوز أن يكون للممدوح.

يقول: لو اشتهت الأضياف لحمه لنحر لهم نفسه، وحملت قطعاً إلى الضيوف في الجفان، وحملت إليهم أوصاله مقطعةً.

لا يعرف الرّزء في مالٍ ولا ولدٍ إلا إذا حفز الضّيفان ترحال

الحفز: التحريك والإزعاج.

يقول: لا يغتم لشيء أصابه في ماله وولده، وإنما يحزن عندما يتأهب الضيف للرحيل.

يروى صدى الأرض من فضلات ما شربوا محض اللّقاح، وصافي اللّون سلسال

الصدى: العطش، وأراد ها هنا يبس الأرض. والمحض: اللبن الخالص. واللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة التي تحلب. والسلسال: الشراب الصافي السهل المساغ، وأراد به الخمر.

يقول: إذا رحل أضيافه أراق ما يبقى من شرابهم من اللبن والخمر، ولم يدخره لغيرهم، لأنه يتلقى كل ضيف بقرىً جديد.

تقرى صوارمه السّاعات عبط دمٍ كأنّما السّاع نزّالٌ وقفّال

العبط والعبيط: الدم الطري واللحم. والساع: جمع ساعة.

يقول: يريق كل ساعة دماً طرياً من أعدائه، ويذبح وينحر للأضياف، فكأنه يقري الساعات بما يريقه من الدماء، وكأنها قوم يترلون، وقوم يقفلون عنه.

تجري النّفوس حواليه مخلّطةً منها عداةٌ وأغنامٌ وآبال

النفوس: الدماء وقد روى ذلك أيضاً.

يقول: إنه يقتل الأعداء وينحر الآبال ويذبح الأغنام، فتختلط الدماء بعضها ببعض.

والتقدير: منها دماء أعداء ومنها دماء أغنام. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

لا يحرم البعد أهل البعد نائله وغير عاجزةٍ عنه الأطيفال

الأطيفال: تصغير أطفال.

يقول: يصل نواله إلى القريب والبعيد، والقوي والضعيف، فلا يحرم البعيد نائله لأجل بعده، والصغير لا يعجز منه لصغر سنه.

أمضى الفريقين في أقرانه ظبةً والبيض هاديةٌ والسّمر ضلاّل

يقول: إذا التقى الجيشان، وسقطت الرماح السمر، وآل الأمر إلى السيوف البيض، فهو أمضى الفريقين سيفا في ذلك الوقت.

يريك مخبره أضعاف منظره بين الرّجال وفيها الماء والآل

الهاء في فيها للرجال.

يقول: إذا جربته في الحرب رأيت منه أضعاف منظره. وفي الرجال من له حقيقة كالماء، وفيهم من لا حقيقه له كالسراب.

وقد يلقّبه المجنون حاسده إذا اختلطن وبعض العقل عقّال

العقال: داء يأخذ الدابة في الرجلين، فيعقلهما عن التصرف. ويجوز تخفيفه. وقوله: إذا اختلطن قيل: أراد به الصفوف فأضمر، وقيل: أراد به خيله وخيل عدوه.

كان فاتك يلقب بالمجنون، فصرح بذكر لقبه ثم تخلص منه أحسن تخلص، حتى فضل الجنون على العقل.

فيقول: إنما جنونه عند اختلاط الصفوف، والعقل في ذلك الوقت عقال على صاحبه، فجنونه: شجاعة وإقدام، لا كما يزعمه الحاسد. فحسن لقبه !

يرمي بها الجيش لا بدٌّ له ولها من شقّه ولو أنّ الجيش أجبال

بها أي بالخيل، والهاء في له للمدوح.

يقول: يرمي بخيله جيش العدو، فلا بد له ولخيله من شق الجيش، وإن كان كالجبل شدة وثباتا.

إذا العدى نشبت فيهم مخالبه لم يجتمع لهم حلمٌ ورئبال

نشبت: ثبتت. والرئبال: الأسد.

يقول: هو في يوم الحرب أسد، فإذا نشبت مخالب الأسد في فريسة، فلم يكن حينئذ حلم، إذ الحلم لا يوجد مع الأسد.

وهذا تأكيد لتحسين لقبه، وتفضيله على العقل.

يروعهم منه دهرٌ صرفه أبداً مجاهرٌ وصروف الدّهر تغتال

يقول: هو على أعدائه كالدهر، يروعهم أبداً بحروبه وغاراته مجاهرة، بخلاف صروف الدهر فإنها تغتالهم ولا تجاهرهم. فضلة على الدهر.

أناله الشّرف الأعلى تقدّمه فما الّذي بتوقّي ما أتى نالوا

ما في قوله: فما الذي قيل: للاستفهام على جهة الإنكار، الذي في موضع نصب بنالوا والتوقي: مصدر توقي، وهو مضاف إلى ما الثانية وما في موضع الجر، وتقديره: فأي شيء نالوا بتوقيهم ما أتاه هو ؟ يقول: أوصه إلى نيل الشرف الأعلى جرأته، فما الذي نال أعداؤه لما توقوا ما أتاه، وأشفقوا على أنفسهم ؟ وقيل: ما الأولى نفي والثانية بمعنى الذي. ويتوقى فعل مضارع انتصب به ما والذي في موضع الذين.

والمعنى: أن تقدمه أناله الشرف الأعلى، فليس الذين يتوقون الشرف الذي أتاه هو، نالوا ما ناله من الشرف. أي إنهم لما جبنوا عن مباشرة الشدائد لم ينالوا ما ناله.

إذا الملوك تحلّت كان حليته مهنّدٌ وأصمّ الكعب عسّال

اسم كان مضمر، والجملة في موضع النصب على أنها خبر كان: أي كان هو، أو كان الأمر والشأن حليته مهند، ولو نصبت حليته على الخبر وجعلت مهنداً اسمها كان قبيحاً، لأن الخبر يكون معرفة والاسم نكرة، ومثل هذا قد جاء في الشعر.

يقول إذا تزين الملوك بالحلل وأنواع الحلي فهو يتزين بسيفه ورمحه.

والعسال: الرمح المضطرب.

أبو شجاعٍ أبو الشّجعان قاطبةً هولٌ نمته من الهيجاء أهوال

نمته ها هنا أي ولدته، وأصله من الانتماء، وهو الانتساب.

يقول: من حقه أن يكنى أبا الشجعان قاطبة، لا أبا شجاع واحد. وهو هول نمته أهوال من الهيجاء: أي ممارة الخطوب أعلت قدره وصارت نسباً له ينتمي إليه.

أبو شجاع: مبتدأ. وأبو الشجعان: بدل منه. وقاطبةً: نصب على المصدر أو الحال. وهول خبر المبتدأ. وأهوال رفع بنمته ويجوز أن يكون أبو شجاع مبتدأ وأبو الشجعان خبره. وهول خبر ابتداء محذوف: أي هو هول، أو بدل من أبي الشجعان.

تملّك الحمد حتّى ما لمفتخر — في الحمد حاءٌ ولا ميمٌ ولا دال

يقول: قد استولى على الحمد كله واستحقه بفضله، حتى لم يبق لأحد شيء من الحمد وأجزائه.

عليه منه سرابيلٌ مضاعفةٌ — وقد كفاه من الماذيّ سربال

يقول: عليه من الحمد. سرابيل ظاهرة مضاعفة، وفي الحرب يكتفي بدرع واحد. يعني لا يرضى من الحمد إلا بالسرابيل المضاعفة ويكفيه في الحرب سربال واحد.

وقيل: عليه لباس الحمد المضاعف، وقد كفاه الدرع وإن لم يكن الحمد، فاجتمعا له جميعا، حتى يكون ذلك أشرف له.

وكيف أستر ما أوليت من حسنٍ — وقد غمرت نوالاً أيّها النّال

رجل نال: أي كثير النوال.

يقول: كيف أستر أفضالك، وقد أكثرت علي نوالك وغمرتني به، حتى لا يمكنني ستره.

لطّفت رأيك في وصلي وتكرمتي — إنّ الكريم على العلياء يحتال

يقول: لطفت رأيك واحتلتفي إحراز ثنائي ومدحي، وهذه عادة الكرام بتوصلون إلى اكتساب المعالي بكل حيلة.

حتّى غدوت وللأخيار تجوالٌ — وللكواكب في كفّيك آمال

يقول: لما تلطفت في إكرامي ومدحتك فجال ذكرك بين الناس، وطمعت النجوم في نوالك.

وهذان البيتان مدح أبو الطيب بهما نفسه ! يعني: أنا كالنجم من بعدي من عطاء مثلك ! فلما احتلت في إيصال برك إلي رغبت النجوم أيضا في نوالك.

وقد أطال ثنائي طول لابسه — إنّ الثّناء على التّنبال تنبال

التنبال: القصير، وعنى بطول لابسه طول السؤدد والكرم.

يقول: إذا مدح الانسان كريما كثير الفضائل طال حمده بطول كرمه، وجاد شعره، وإذا مدح لئيما قليل الكرم لؤم شعره وقل؛ لأن المادح لا يجد ما يمدح به.

إن كنت تكبر أن تختال في بشرٍ — فإنّ قدرك في الأقدار يختال

يقول: إن كنت ترفع نفسك من أن تتكبر على الناس، فإن قدرك يختال على كل قدر ويتكبر على كل ذي فخر.

كأنّ نفسك لا ترضاك صاحبها — إلا وأنت على المفضال مفضال

ولا تعدّك صوّاناً لمهجتها		إلاّ وأنت لها في الرّوع بذّال

يقول: كأن نفسك. تفوق كل متفضل من الناس ولا ترضى أن تكون صاحبها حتى تفضل على كل ذي فضل، ولا تعد أنك تصونها إلا بذلتها في الحرب، فأنت تقتحم على كل غمرة، وتحمل نفسك على كل مهلكة.

لولا المشقّة ساد النّاس كلّهم		الجود يفقر والإقدام قتّال

يعني: أن السيادة لا تتم إلا ببذل المال ومخاطرة النفس، فالجود يؤدي إلى الفقر، والإقدام يفضي إلى العطب. ولولا مشقة هاتين الخلتين لكان الناس كلهم سادة.

وإنّما يبلغ الإنسان طاقته		ما كلّ ماشيةٍ بالرّحل شملال

الشملال: الناقة السريعة الخفيفة. يعني: كل أحد يسعى على قدر همته ومبلغ طاقته، وليس الناس سواء، كما أنه ليس كل ناقة شملال.

إنّا لفي زمنٍ ترك القبيح به		من أكثر النّاس إحسانٌ وإجمال

فصرنا في زمان لا خير عند أهله، فمن كف أذاه عن الناس فهو يحسن عندهم.

ولطف في قوله: من أكثر الناس حتى لا يدخل الممدوح.

ذكر الفتى عمره الثّاني، وحاجته		ماقاته وفضول العيش أشغال

يقول: ذكر الإنسان بعد موته يقوم له مقام العمر الثاني، فكأنه موجود وغير معدوم، وحاجته من الدنيا ما يقوته، وما فضل عنه يكون شغلاً له.

يمنعه عن جمع المال ويحثه على العلا. وروى: ما فاته أي هو محتاج أبداً إلى ما لم ينله، فأما ما ناله فلا حاجة به إليه.

قال ابن جني: قد جمع في هذا البيت ما يعجز كل من يدعي الشعر والحكمة والكلام الشريف، فينبغي أن يلحق بالأمثال السائرة. ومثله لسالم بن وابصة:

غني النّفس ما يكفيك من سلخ حاجةٍ		وإن زاد شيئاً كان ذاك الغني فقراً

وهو قد استوفى جميع ذلك وزاد عليه بقوله: ذكر الفتى عمره الثاني.

وتوفي أبو شجاع فاتك بمصر ليلة الأحد عشاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمسين وثلاث مئة.

فقال أبو الطيب يرثيه عند موته ويهجو كافوراً وأنشدها بعد رحيله عن الفسطاط:

الحزن يقلق والتّجمّل يردع　　　والدّمع بينهما عصيٌّ طيّع

يقول: الحزن يحملني على الجزع، والتجمل يردعني عن الجزع، فدمعي متحير بين التجمل والقلق، يعصي التجمل ويطيع القلق.

يتنازعان دموع عين مسهّدٍ　　　هذا يجيء بها وهذا يرجع

يقول: إن الحزن والتجمل يتنازعان: دموع عين لا تنام. هذا يجيء بها، أي الحزن يجيء بالدموع. وهذا يرجع. أي التجمل يردها.

النّوم بعد أبي شجاعٍ نافرٌ　　　واللّيل معيٍ والكواكب ظلّع

يقال: ظلع يظلع إذا عي من التعب فهو ظالع، والجمع ظلع.

يقول: قد زال عني النوم بعد موت أبي شجاع، وطال علي الليل حتى كأنه معي لا نهوض له، والكواكب أيضا لا تبرح مكانها حتى كأنها غامزة.

يصف طول ليله عليه، ودوام سهره.

إنّي لأجبن من فراق أحبّتي　　　وتحسّ نفسي بالحمام فأشجع

يقول: ليس حزني هذا من ضعف قلبي، ولكنه إلف وعادة، فنفسي إذا أحست بالموت أقدمت عليه، وإذا أحست بفراق صديق جبنت عنه.

ويزيدني غضب الأعادي قسوةً　　　ويلمّ بي عتب الصّديق فأجزع

يقول: إذا غضب العدو، لم أبال بغضبه، بل ازددت قسوة عليه، وإذا عتب علي صديق أدنى عتب، جزعت منه.

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ　　　عمّا مضى فيها وما يتوقّع

ولمن يغلط في الحقائق نفسه　　　ويسومها طلب المحال فتطمع

يقول: لا تصفو الحياة إلا لثلاث: إما جاهل بأحوال الدنيا، أو غافل عما مضى، وما ينتظره من الحياة، أو من يغالط نفسه في الحقائق، ويعللها بالأماني الكاذبة ويطمعها في الأمور المحالة.

أين الّذي الهرمان من بنيانه ؟　　　ما قومه ما يومه ما المصرع !!

الهرمان: بناءان شاهقان في الهواء، وسمك كل واحد منهما أربع مئة ذراع في عرض مثلها، لا يعرف من بناهما ! ويقال: بناهما عمرو المشلل.

ما قومه ؟ لفظه استفهام، ومعناه التعظيم يعني: أن هذا الباني مع قومه وعزه سلطانه، قد انقطع خبره، فلا يعلم من هو ولا من أي أمة هو !!

تتخلّف الآثار عن أصحابها حيناً، ويدركها الفناء فتتبع

الهاء في أصحابها للآثار. يعني: ان الآثار تبقى بعد أربابها زمانا، ثم إن الفناء يبطل الآثار أيضاً، فتتبع في الفناء أصحابها.

لم يرض قلب أبي شجاعٍ مبلغٌ قبل الممات ولم يسعه موضع

يقول: كان بعيد الهمة، لم يرض من الدنيا منالا ناله، بل كان يطلب أكثر مما ناله، ولم يسعه موضع حتى مات، فكأنه كرهها فارتحل عنها.

كنّا نظنّ دياره مملوءةً ذهباً فمات وكلّ دارٍ بلقع

البلقع: الخالية، والجمع: بلا قع.

يقول: كنا نظن أن خزائنه مملوءة من الذهب؛ لكثرة ما كان يهبه من الأموال، فلما مات وجدنا دياره خالية من المال؛ لأنه وهب ماله في حال حياته، ولم يجمع إلا أربعة أشياء ذكرها فيما يليه:

وإذا المكارم والصّوارم والقنا وبنات أعوج كلّ شيءٍ يجمع

بنات أعوج: هي الخيل، تنسب إلى فحل كريم في العرب يقال له: أعوج.

يقول: كل شيء جمعه في خزانته فهو هذه الأشياء، دون الذهب وسائر الأموال. ومثله لآخر:

ولم يك كنزه ذهباً ولكن سيوف الهند والحلق المذالا

المجد أخسر والمكارم صفقةً من أن يعيش لها الكريم الأروع

الأروع: الجميل الذي يروعك جماله.

يقول: إن المجد والمكارم قد خسرت صفقتها فلا يعيش لها كريم يعتني بأمرهما.

وتقدير البيت في الظاهر: المجد والمكارم أخسر صفقة. وإعرابه على غير هذا الوجه؛ لأنك إذا علقت صفقة بأخسر كنت قد فصلت بين الصلة والموصول بقولك: والمكارم ولكن تحمله على إضمار فعل ينصب به صفقة كأنك قلت: المجد أخسر والمكارم كذلك، وتم الكلام، ثم استأنفت صفقة وأضمرت فيه فعلا أي: خسر المجد صفقة.

والنّاس أنزل في زمانك منزلاً من أن تعايشهم وقدرك أرفع

يقول لفاتك: إن الناس أنزل درجةً من أن يستحقوا أن تعيش معهم، وأنت أرفع قدراً من أن تصاحبهم، فلما أنفت من ذلك اخترت الموت.

برّد حشاي إن استطعت بلفظةٍ فلقد تضرّ إذا تشاء وتنفع

يقول: إن قلبي فيه حرارة الحزن، فبرده بلفظة منك أنتفع بها؛ لأنك قد كنت قادراً على ضر من شئت ونفع من أردت، فذلك لم يتعذر عليك.

ما كان منك إلى خليلٍ قبلها ما يستراب به ولا ما يوجع

قبلها: أي قبل هذه الحالة، أو هذه المصيبة، وما يستراب: أي ما يكره.

يقول: لم يكن منك قبل هذه الحالة ما يريب صديقك ويوجعه.

ولقد أراك وما تلمّ ملمّةٌ إلا نفاها عنك قلبٌ أصمع

قلب أصمع: أي ذكي.

يقول: إذا نالتك مصيبة، تدفعها عنك بقوة قلبك، وحدة ذكائك.

ويد كأنّ نوالها وقتالها فرضٌ يحقّ عليك وهو تبرّع

ويد عطف على قلب.

يقول: كنت أعرفك، إذا نزلت بك حادثة دفعتها عنك بذكاء قلبك وشدة ساعدك، فما بالك لم تدفعها الآن عنك ؟! وقوله: كأن نوالها وقتالها أي أنك لم تبخل بقتال ولا بذل نوال، حتى كأنهما واجبان عليك، وهو تبرع وتفضل.

يا من يبدّل كلّ يومٍ حلّةً أنّى رضيت بحلّةٍ لا تنزع ؟

أي: يا من كان يبدل، فحذف كان وكذلك فيما قبله، كقوله تعالى: "واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ" أي ما كانت تتلوا.

يقول: كنت تنزع كل يوم حلة للسؤال، وتلبس حلة جديدة، فكيف رضيت الآن بحلة لا تنزعها أبداً، ولا تبدلها بغيرها ؟ يعني الكفن.

ما زلت تخلعها على من شاءها حتّى لبست اليوم ما لا تخلع

يقول: لم تزل تخلع حلتك على من طلبها حتى لبست الآن حلةً لا يشتهيها أحد، ولا يسألك أن تخلعها عليه. والهاء في تخلعها وشاءها للحلة.

ما زلت تدفع كلّ أمرٍ فادحٍ حتّى أتى الأمر الّذي لا يدفع

يقول: كنت تدفع كل حادثة عظيمة تترل بك، حتى نزل بك الآن ما لا يمكن أحد دفعه يعني: الموت.

فظللت تنظر لارماحك شرّعٌ فيما عراك ولا سيوفك قطّع

عراك: أي أتاك.

يقول: لما نزل بك حادث الموت، لم تغن عنك رماحك وسيوفك، لكنك ظللت تنظر إلى أصحابك، ولا يقدر أحد على دفعه عنك.

بأبي الوحيد وجيشه متكاثرٌ يبكي ومن شرّ السّلاح الأدمع

يقول: أبي فداء المتوحد الذي جيشه كثير.

يعني: أن جيشه لا يقدر على دفع الموت عنه.

جعله وحيداً لا ناصر له، وكأن جيشه يبكي عليه، لأنهم لا يملكون له شيئاً سوى البكاء ثم قال: والدموع شر السلاح؛ لأنه لا يدفع بها حادثة.

وإذا حصلت من السّلاح على البكا فحشاك رعت به، وخدّك تقرع

يقول: إذا كان رأس سلاحك هو البكاء لم يصل ضرره إلا إليك، لأنك تؤلم به قلبك وتقرع به خدك.

وصلت إليك يدٌ سواءٌ عندها ال بازي لاشهب والغراب الأبقع

أراد يد الدهر، والمراد بالبازي لاشهب: الكريم. وبالغراب الأبقع: اللئيم. يعني: أن الموت إذا جاء لم يفرق بين الشريف والوضيع.

من للمحافل والجحافل والسّرى ؟ فقدت بفقدك نيّراً لا يطلع

المحافل: المجالس، وقيل: هي جماعات الناس. والجحافل: الخيل. والسرى: جمع سراية. كأن قوام هذه الأشياء، نيرها الذي غاب عنها فلا يطلع أبدا.

ومن اتّخذت على الضّيوف خليفةً ؟ ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيّع

من استفهام. يعني: كنت تتعاهد أمر أضيافك، فمن الذي تركت بعدك خليفة يقوم بأمورهم ؟ فإنهم ضاعوا، ولم يكن من عادتك أن تضيع أحداً.

قبحاً لوجهك يا زمان ! فإنّه وجهٌ له من كلّ قبحٍ برقع

يقول: قبح الله وجهك يا زمان ! فإنه وجه مبرقع بكل لؤم: أي كل فعل مذموم مجتمع فيك !

أيموت مثل أبي شجاعٍ فاتكٍ ويعيش حاسده الخصيّ الأوكع ؟ !

الأوكع الذي تميل إبهام رجله على أصابعه حتى تخرج عن أصله، ويجوز أن يكون فاتك رفع بدلا من مثل وجر بدلا من من أبي شجاع.

أنكر على الزمان موت فاتك وحياة كافور بعده، وقال: تترك كافوراً مع لؤمه، وتهلك فاتكا مع شرفه وكرمه ؟! وإنما تفعل ذلك للؤمك، فأنت تحامي من كان مثلك. وقوله: أيموت مثل أبي شجاع: أي يموت أبو شجاع، ومثل زائدة.

أيدٍ مقطّعةٌ حوالي رأسه وقفاً يصيح بها: ألا من يصفع ؟

يقول: إن كافوراً للؤمه وخسته يبعث الناس على صفعه، فكأن قفاه يصيح: هل من أحد يصفعني ؟ ولكن كأن أيدي من حوله مقطوعة لا يقدرون على صفعه وتناوله. وهذا على معنى الخبر، أن أيديهم كذلك. ويجوز أن يكون دعاء على أصحابها فكأنه يقول: قطع الله هذه الأيدي.

أبقيت أكذب كاذبٍ أبقيته وأخذت أصدق من يقول ويسمع

ويسمع: أي يجيب.

يقول للزمان أو للموت: أبقيت كافوراً الذي هو أكذب الناس قولا، وأخذت فاتكاً الذي هو أصدقهم قولا ووعدا..

وتركت أنتن ريحةٍ مذمومةٍ وسلبت أطيب ريحةٍ تتضوّع

ريح وريحة ورائحة بمعنى. وتضوعت رائحة الطيب: إذا انتشرت. وهذا البيت كالذي قبله. يعني: بأنتن ريحة كافوراً وبأطيب ريحة فاتكا.

فاليوم قرّ لكلّ وحشٍ نافرٍ دمه وكان كأنّه يتطلّع

يقول: إنه كان يديم قنص الوحش، فلما مات استقر دم كل وحش في جلده بعد أن كان الدم يتطلع: أي يهم بالخروج من غير أن يجريه خوفا منه.

وقيل: يتطلع الوحش: أي كان يهم بالخروج ولم يخرج خوفاً منه.

وتصالحت ثمر السّياط وخيله وأوت إليها سوقها والأذرع

ثمر السياط: أطرافها.

يقول: إنه كان يديم ضرب خيله بالسياط في الحروب والغارات والصيد وطرد الوحش، فلما مات

تصالحت السياط مع خيله، حتى سكنت إليها سوق الخيل وأذرعها، وأمنت أذاها وألمها، إذ لا يضربها أحد بالسياط بعده.

وعفا الطّراد فلا سنانٌ راعفٌ   فوق القناة ولا سنانٌ يلمع

الطراد: مطاردة الفرسان. وقيل: هو الرمح الصغير. وعفا: أي درس.

يقول: عفا بموته رسم الطعان والضراب، فلا يرى بعده سنان راعف: أي قد طعن به فهو يقطر دما، وكذلك لا يرى سيف يلمع ويبرق.

ولّى وكلّ مخالمٍ ومنادمٍ   بعد اللّزوم مشيّعٌ ومودّع

المخالم: المصادق.

يقول: لما مات تفرقت ندماؤه وأصدقاؤه، فودع بعضهم بعضا وشيعه، بعد أن كانوا ملازمين لا يتفرقون. وقيل: أراد ودع فاتكاً كل منادم وصديق.

قد كان فيه لكلّ قومٍ ملجأ   ولسيفه في كلّ قومٍ مرتع

يقول: قد كان فاتك ملجأ ينتمي إليه كل قوم عندما يقع لهم من الحوادث، وكذلك سيفه كان يقتل كل قوم، فكأنه يرتع في لحوم القتلى.

إن حلّ في فرسٍ ففيها ربّها   كسرى تذلّ له الرّقاب وتخضع

الفرس: أهل فارس. والهاء في فيها ترجع إلى الفرس، وأراد به أرض فارس، أو القبيلة أو الجماعة.

أو حلّ في رومٍ ففيها قيصرٌ   أو حلّ في عربٍ ففيها تبّع

يقول: إن فاتكا كان في الفرس كسرى، وفي الروم قيصرا، وفي العرب تبعا. والتبابعة: ملوك اليمن.

قد كان أسرع فارسٍ في طعنةٍ   فرساً، ولكنّ المنيّة أسرع

فرسا: نصب على التمييز. والتقدير: كان أسرع فارس فرسا في طعنه.

يقول: كان أحذق بالطعن من كل فارس، وفرسه أسرع من كل فرس، ولكن لم ينفعه ذلك حين جاء الموت.

لا قلّبت أيدي الفوارس بعده   رمحاً ولا حملت جواداً أربع

يعني: أنه كان حاذقاً بركوب الخيل والطعن بالرماح، فإذا قامت فلا حملت فرسا قوائمه الأربع، ولا حمل فارس رمحا بيده.

العراقيات الأخيرة

ودخل صديق لأبي الطيب عليه بالكوفة وبيده تفاحة من ند، مما جاءه في هدايا فاتك، عليها اسمه فناوله إياها فقرأها..

فقال أبو الطيب يرثي فاتكا:

يذكّرني فاتكاً حلمه ... وشيءٌ من النّدّ فيه اسمه

يقول: إن حلم فاتك يذكرني فاتكاً، حتى لا أنساه، فكلماً رأيت حليما تذكرته، وكذلك يذكرني فاتكاً قطعةٌ من ند كتب عليها اسمه.

ولست بناسٍ ولكنّني ... يجدّد لي ريحه شمّه

التقدير: ولست بناس إياه، أو بناس عهده. والهاء في ريحه لفاتك وفي شمه لشيء من الند.

لما قال: إن اسمه وحلمه يذكراني إياه، كان ذلك دلالة على النسيان فاستدرك ذلك في البيت وقال: لست أنساه حتى أتذكره، ولكن شم هذا الند جدد لي ريحه، وطيب شمائله.

وأيّ فتىً سلبتني المنون ؟ ... لم تدر ما ولدت أمّه!

أمه يجوز أن يرفع بالفعل الأول وهو لم تدر ويجوز أن يرفع بالفعل الثاني وهو: ولدته.

يقول: أي فتىً أخذته المنون عني، ثم عظم أمره وقال: إن أمه لم تدر ما ولدته، لأنها ولدت الموت في صورة المولود فحسبته ولدا ! فإذا لم تعلمه أمه، فغيرها أولى ألا يعرفه.

ولا ما تضمّ إلى صدرها ... ولو علمت هالها ضمّه

الهاء في صدرها وهالها للأم وفي ضمه لفاتك. وهو رفع لأنه فاعل هالها.

يقول: لم تدر أم فاتك ماذا تضم إلى صدرها، ولو علمته لكان يهولها ضمه؛ لأنها ضمت الموت إلى صدرها.

بمصر ملوكٌ لهم ما له ... ولكنّهم ما لهم همّه

يقول: قد كان في مصر من له مثل ما له، ولكنه قد قصر همه عن همه. ومثله لأشجع:

وليس بأوسعهم في الغنى ... ولكنّ معروفه أوسع

فأجود من جودهم بخله ... وأحمد من حمدهم ذمّه

وأشرفه من عيشهم موته وأنفع من وجدهم عدمه

يقول: موته خير من حياة ملوك مصر، وفقره أنفع من غناهم. وهذه الأبيات مبالغة في المدح.

وإنّ منيّته عنده لك الخمر سقيّه كرمه

يقول: إن كان أصل المنية، يسقى الناس كأسها، كما أن الكرم عنصر الخمر، فلما شرب كأس المنية صار كالخمر يسقى الكرم، فرد إليه ما خرج منه.

وقيل: معناه إن المنية كانت تطيب له؛ لشجاعته لا يكرهها، كما يطيب الكرم أن يسقى الخمر. والهاء في قوله سقيه وفي كرمه يعود إلى الخمرة، وذكره على معنى النبيذ، والنبيذ مذكر.

فذاك الّذي عبّه ماؤه وذاك الّذي ذاقه طعمه

عبه أي شربه: أي الخمر الذي ذاقه هو الموت.

يقول: هذا الموت، الذي شربه ماؤه، كما أن الخمر، ماء الكرم. وهذا الموت الذي ذاقه من طعم المنية، إنما كان طعمه.

وعلى الثاني: إذا سقى الكرم فالذي عبه هو ماؤه على الحقيقة من الذي ذاقه طعمه. أي هو موافق له غير مباين.

ومن ضاقت الأرض عن نفسه حرىً أن يضيق بها جسمه

يقول: ضاقت الأرض عن نفسه لبعد همته فلم تسعه، ومن كان كذلك في حال الحياة فهو حقيق بعد الموت أن تضيق بجسمه.

وقال أيضاً بعد خروجه من مدينة السلام إلى الكوفة وأنشدها بها، يذكر مسيره من مصر ويرثي فاتكاً، في شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة:

حتّام نحن نساري النّجم في الظّلم وما سراه على خفٍّ ولا قدم ؟

حتام: أي إلى متى، والأصل: حتى ما فحذف الألف من ما وجعل مع حتى بمترلة اسم واحد، لكثرة الاستعمال، وكذلك: بم وفيم وعم وعلام هذا في الاستفهام. وفي الخبر لا يحذف الألف.

ونساري نفاعل من السري: أي نسري معه، وأراد بالنجم: النجوم. وروي: على ساق ولا قدم.

يقول: إلى متى نعارض النجوم في سيرها؛ ونسري معها، ونتعب نحن وهي لا تتعب؛ لأنها لا تسري على ساق ولا قدم، كما نسري نحن وإنما سيرها طبعها.

ولا يحسّ بأجفانٍ يحسّ بها فقد الرّقاد غريبٌ بات لم ينم

ولا يحس يعني النجم وفقد نصب لأنه مفعول يحس وفاعل يحس بها غريب.

يقول: إن النجوم لا تتألم بجهة السفر، ولا يصيبها ألم السهر، كما نتألم نحن بذلك، فكيف نقدر على مباراتها ؟! وأراد بالغريب الذي بات لم ينم: نفسه وكل من كان مثله.

تسوّد الشّمس منّا بيض أوجهنا ولا تسوّد بيض العذر واللّمم

العذر جمع عذار، وهو جانب اللحية.

يقول: الشمس تسود ألوان وجوهنا البيض، ولا تغير بياض الشعر سواداً، وهو شكاية لأن بياض الوجه مما يشتهي بقاؤه، فلا تبقيه، وبياض الشعر مما يكره بقاؤه فتبقيه ولا تغيره !

وكان حالهما في الحكم واحدةً لو احتكمنا من الدّنيا إلى حكم

يقول: كان الواجب في مقتضى القياس أن تسود الشمس الأبيض من شعورنا، كما سودت وجوهنا البيض؛ لأن كل واحد منهما استوى في البياض.

ونترك الماء لا ينفكّ من سفرٍ ما سار في الغيم منه سار في الأدم

يقول: كما أدمنا السفر ولم ننفك منه، كذلك تركنا الماء غير منفك عن السفر؛ لأنا كنا نسافر في المفاوز المقفرة، فنحتاج إلى حمل الماء فنغترفه من أعقاب السحاب، فنجعله في الأداوي والمزاود، ونحمله مع أنفسنا، فلم يخل الماء أيضا من السفر؛ لأنه مرةً يسير في السحاب، ثم بعده يسير في المزاود.

وإنما نسب سير الماء الذي في السحاب إليهم في قوله: ونترك الماء لا ينفك من سفر وإن كان سيره فيه ليس من جهتهم؛ لأنه لما كان هذا السير، والسير في المزاود واحد، هما عقيب صاحبه وسببا عنه. جريا مجرى الفعل الواحد؛ لأن السبب الذي أدى إلى إدامة السير هو فعلهم: الذي هو صب الماء في المزاود، فلولا هذا لم يدم سير الماء.

لا أبغض العيس لكنّي وقيت بها قلبي من الحزن أو جسمي من السّقم

يقول: إتعابي العيس في السير ليس لأجل أني أبغضها، ولكني وقيت بالعيس قلبي من الحزن، وجسمي من المرض، حين كنت بمصر.

طردت من مصر أيديها بأرجلها حتّى مرقن بنا من جوش والعلم

جوش والعلم: موضعان من حسمى على أربع مراحل.

يقول: سرت بها من مصر حتى خرجت من هذين الموضعين، خروج السهم من القوس أو من الرمية.

وطرد الأيدي بالأرجل: إتباعها من غير تراخ في عدو. وهو استعارة لطيفة؛ لأنه جعل أرجلها تطرد أيديها في السير، كما يطرد الصيد، وهو مأخوذ من قول بعض العرب:

كأنّ يديها حين جدّ نجاؤها   طريدان والرّجلان طالبتا وترا

إلا أن لفظ أبي الطيب ألطف وأحسن.

تبرى لهنّ نعام الدّوّ مسرجةً   تعارض الجدل المرخاة باللّجم

تبرى لهن أي تعارض العيس، وفاعل تبرى نعام الدو: وأراد بها الخيل. شبهها بالنعام؛ لطول ساقها، وسرعة جريها. والدو: الفلاة المستوية. والجدل: جمع جديل، وهو زمام الناقة المضفور من السيور.

يقول: إن الخيل كانت تعارض في سيرها هذه العيس، وتقابل اللجم بأزمتها؛ لطول عنقها.

في غلمةٍ أخطروا أرواحهم ورضوا   بما لقين رضا الأيسار بالزّلم

الأيسار: الذين ينحرون الجزور، ويتقارعون عليها بالسهام، واحدهم يسر. والزلم: السهم، وجمعه أزلام.

يقول: سرت بهذه الإبل في غلمة خاطروا معي بأنفسهم، ورضوا بما يلقون من خير وشر، كما يرضى بحكم القداح.

تبدوا لنا كلّما ألقوا عمائمهم   عمائمٌ خلقت سوداً بلا لثم

يقول: إذا طرحوا عمائمهم عن رءوسهم، ظهرت عمائم خلقت: يعني شعورهم. وجعلها بلا لثم، لأنهم مرد لا شعور على وجوههم.

بيض العوارض طعّانون من لحقوا   من الفوارس، شلاّلون للنّعم

العوارض: محط اللحية في الخد. والشل: الطرد.

يقول: هم مرد لا شعور على عوارضهم، وهم يطعنون كل من لحقوا من الفوارس، ويغيرون على النعم.

وروى ابن جني عنه: بالنصب.

أي بيض العوارض طعانين شلالين وهو نصب على الحال والمدح.

قد بلّغوا بقناهم فوق طاقته   وليس يبلغ ما فيهم من الهمم

يقول: بلغوا بقناهم فوق طاقة القنا من الطعن، ومع ذلك فإن القنا لا يبلغ حد هممهم، بل يقصر عنه.

في الجاهليّة إلا أنّ أنفسهم من طيبهنّ به في الأشهر الحرم

يقول: هم على عادة أهل الجاهلية في الغارة والحرب، ولكن أنفسهم لثقتها برماحها آمنة، فتسكن أنفسهم كما سكنت نفوس أهل الجاهلية في الأشهر الحرم.

وقيل: أراد أهُم لعفتهم كأهُم في الأشهر الحرم. فكنى بالطيب عن العفة.

ناشوا الرّماح وكانت غير ناطقةٍ فعلّموها صياح الطير في البهم

ناشوا: تناولوا. والبهم جمع بهمة، وهو الشجاع.

يقول: أخذوا الرماح وهي خرس فطعنوا بها الأبطال، حتى صاحت فيهم صياح الطير. وهو كقول المثلم:

تصيح الردينيّات فينا وفيهم صياح بنات الماء أصحن جوّعا

تخذي الرّكاب بنا بيضاً مشافرها خضراً فراسنها في الرّغل واليَنم

تخذي: أي تسرع السير. والرغل والينم: نبتان حسنان. والفرسن: أسفل الخف. وقوله: بيضاً مشافرها لأنا لا ندعها ترعى.

معكومةً بسياط القوم نضربها عن منبت العشب نبغي منبت الكرم

معكومة: أي مشدودة الأفواه.

يقول: ضربت بالسياط فكأن السياط شدت أفواهها. وقوله: نضربها عن منبت العشب: يعني نمنعها بضربها بالسياط عن رعي العشب، نطلب منبت الكرم لنرعى منه.

وأين منبته من بعد منبته أبي شجاعٍ قريع العرب والعجم ؟

القريح: السيد الكريم، لما قال: نبغي لها منبت الكرم رجع عنه وقال: أين نطلب لها منبت الكرم؟! بعدما بطل منبته، وهو أبو شجاع فاتك، الذي هو سيد العرب والعجم أي: لا منبت للكرم بعد أبي شجاع. بدل من منبته.

لا فاتكٌ آخرٌ في مصر نقصده ولا له خلفٌ في النّاس كلّهم

أي: إنما كان منبت الكرم فاتكا وقد مضى هو، فليس في مصر من يشابهه.

من لا تشابهه الأحياء في شيمٍ أمسى تشابهه الأموات في الرّمم

الرمم: جمع رمة وهي العظم البالي.

يقول: لم تكن تشبهه الأحياء في أخلاقه الكريمة، وقد أمسى الآن تشبهه الأموات في عظامه الرميمة.

عدمته وكأنّي سرت أطلبه فما تزيدني الدّنيا على العدم

يقول: لما فقدته طلبت له مثلا في مكارمه وأخلاقه، فما ظفرت به في الدنيا، إذ ليس له نظير.

وقيل: أراد طال سيرى في طلب مثله، تمنياً للغاية وعطائه فلم تزدني الدنيا على العدم شيئاً.

ما زلت أضحك إبلي كلّما نظرت إلى من اختضبت أخفافها بدم

يقول: قصدت ملوكا وأدميت أخفاف إبلي بسيري إليهم، فلما وصلت إليهم وجدهم لا خير فيهم، فكنت أضحك إبلي من حالي معهم ! تعجبا وهزؤا.

أسيرها بين أصنامٍ أشاهدها ولا أشاهد فيها عفّة الصّنم

أسيرها: يجوز بفتح الهمزة ويجوز بضمها. يقال: سرت أنا وأسرت ناقتي.

يقول: كنت أسير إبلي بين قوم كأنهم أصنام لا خير عندهم ولا عقل، ولكن ليس فيهم ما في الصنم من العفة.

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسّيف ليس المجد للقلم

يقول: ما زلت أتوسل إليهم بالقلم والفضل والعلم، فلما لم أظفر بخير قالت لي الأقلام: اطلب الشرف بالسيف لا بالقلم.

اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به فإنّما نحن للأسياف كالخدم

الكتاب: مصدر كالكتابة.

يقول: قالت الأقلام: اطلب أولا بالسيف، ثم بعد ذلك اكتب بنا. بعده، فإنا تبع له وخدم: أي مهد أمرك أولا بالسيف، ثم بعد ذلك اكتب بنا. ومثله للبحتري.

تعنو له وزراء الملك خاضعةً وعادة السّيف أن يستخدم القلما

أسمعتني ودوائي ما أشرت به فإن غفلت فدائي قلّة الفهم

يقول لأقلامه: قد أسمعتني ما قلت لي؛ ودوائي هذا الذي أمرتني به من إعمال السيف، فإن لم أفعل فدائي من قلة العلم والفضل.

من اقتضى بسوى الهنديّ حاجته أجاب كلّ سؤال عن هلٍ بلم

فاعل أجاب ضمير من.

يقول: من طلب حاجته بغير السيف لم يظفر بها، فإذا سأله إنسان وقال له: هل أدركت حاجتك؟ قال

له. لم أدركها.

وهل حرف استفهام ولم حرف نفي وجعلهما اسمين وجرهما.

توهّم القوم أنّ العجز قرّبنا وفي التّقرّب ما يدعو إلى التّهم

يقول: إن الملوك توهموا أن قربي منهم لعجز في، أو لأستميح رفدهم، لأن التقرب من الإنسان ربما يدعو إلى مثل هذا الوهم.

وقيل: معناه إن التوهم كما يكون للاستماحة قد يكون لتمكن الفرصة وانتهازها، وليس ينبغي لهم أن يتوهموا أن قصدي إياهم للعجز دون أن يكون لانتهاز الفرصة.

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعةً بين الرّجال ولو كانوا ذوي رحم

يقول: إنهم لما لم ينصفوا في إنزالنا منازلنا ففارقناهم، لأن قلة الإنصاف تقطع بين الناس، وإن كانوا ذوي قربي.

فلا زيارة إلا أن تزورهم أيدٍ نشأن مع المصقولة الخذم

المصقولة الخذم: هي السيوف القواطع.

يعني: بعد هذه الكرة لا أزورهم إلا بأيد متعودة للضرب وحمل السيوف.

من كلّ قاضيةٍ بالموت شفرته ما بين منتقمٍ منه ومنتقم

المنتقم: الرجل القاتل. والمنتقم منه: المقتول: أي كل واحد من هذه المصقولة الخذم شفرته قاضية بالموت بين المقتول والقاتل أي كأن الفريقين يحتكمان إلى شفرته فيقضي بينهم بالموت.

صنّا قوائمها عنهم فما وقعت مواقع اللّؤم في الأيدي ولا الكزم

الكزم: القصر في أصابع اليد.

يقول: صنا هذه السيوف أن يسلبنا إياها أعداؤنا من الملوك وغيرهم، فتقع قوائمها في أيديهم، وهي مواقع اللؤم؛ لأن قوائم السيوف إنما تقع في بواطن الأيدي إذا سلبوها، فإذا لم يسلبوها فما يقع فيهم إلا مضاربها.

هوّن على بصرٍ ما شقّ منظره فإنّما يقظات العين كالحلم

ما شق منظرة: أي ما كره النظر إليه لقبحه.

يقول: هون على كل أمر مهول لا تقدر العين أن تنظر إليه، فإنه لا حقيقه لليقظة كما لا حقيقه

للأحلام، كذلك أحوال الدنيا وشدائدها إلى الزوال عن قريب، كحلم مفزع يراه الإنسان في نومه، فإذا انتبه زال.

ولا تشكّ إلى خلقٍ فتشمته   شكوى الجريح إلى الغربان والرّخم

يقول: لا تشك لأحد حالك فإنه يشمت بحلول المكروه بك. فصرت كالجريح يشكو ما به إلى الغربان والرخم، فإنها تتمنى موته لتأكل لحمه.

وكن على حذرٍ للنّاس تستره   ولا يغرّك منهم ثغر مبتسم

الهاء في تستره للحذر.

يقول: احذر من الناس واستر حذرك منهم؛ لأنك إذا أظهرته جاهروك بالعداوة، ولا تغتر بابتسامهم في وجهك.

غاض الوفاء فما تلقاه في عدةٍ   وأعوز الصّدق في الإخبار والقسم

يقول: ذهب الوفاء فلا تلقاه في وعد أحد من الناس، وتعذر وجود الصدق في أخبار الناس وأيمانهم.

سبحان خالق نفسي كيف لذّتها   فما النّفوس تراه غاية الألم ؟!

يعني: أن لذة نفسي في الحروب، وورود المهالك، وذلك عند الناس غاية الألم، فسبحان الله الذي خلق نفسي على هذه الصفة.

الدّهر يعجب من حملي نوائبه   وصبر نفسي على أحداثه الحطم

الحطم بالضم جمع حطوم.

يقول: إن الدهر مع غلبته لكل أحد يعجب من احتمالي شدائده، ومن صبري على أحداثه الكاسرة.

وقتٌ يضيع، وعمرٌ ليت مدّته   في غير أمّته من سالف الأمم

يقول: إن وقتي ضائع فيما بين أهل هذا القرن الذي أنا فيهم وعمري يذهب هدرا فيما بينهم، فليتني كنت قبل هذا الوقت بين الأمم السالفة.

أتى الزّمان بنوه في شبيبته   فسرّهم وأتيناه على الهرم

يقول: من تقدم من سالف الأمم أدركوا الزمان في أول أمره فنالوا خيره، وأتيناه نحن في آخره فلم نجد إلا التعب والعناء. كولد الرجل إذا جاءوا في أول شبيبته انتفعوا بأبيهم، وكسب لهم الأموال

وسرهم وأحسن إليهم، وإذا جاءوا له بعد الكبر والعجز والفقر، لم ينل ولده منه إلا الغم والحزن، وربما يموت الوالد فيبقى الوالد يتيما. وهذا كقول الآخر:

ونحن في غفلةٍ إذ دهرنا جزعٌ فاليوم أمسى وقد أودى به الخرف

كان قوم من أهل العراق قتلوا يزيداً الضبي ونكحوا امرأته، ونشأ له منها ولد يسمى: ضبة يغدر بكل أحد نزل به، أو أكل معه، أو شرب، ويشتمه واجتاز أبو الطيب بالطف فترل بأصدقاء له، وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه، فلزمه المسير معهم. فدخل هذا العبد الحصن وامتنع به، وأقاموا عليه، فلبس سلاحه لهم، وأخذ يشتمهم من وراء الحصن أقبح شتم، ويسمى أبا الطيب بشتمه، وأراد القوم أن يجيبه بمثل ألفظاه القبيحة وسألوه ذلك، فتكلف لهم على مشقة، وعلم أنه لو سبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح، فخاطبه على ألسنتهم من حيث هو.

فقال في جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة.

قال ابن جني ورأيته وقد قرئت عليه هذه القصيدة وهو ينكر إنشادها، وكان مثل أبي الطيب معه في هذه القصيدة كما روى عن ابن مهرويه عن ابن خلاد عن أبيه قال: قلت لبشار: يا أبا معاذ إنك لتأتي بالأمر المتفاوق فمرةً تثير بشعرك العجاج فتقول:

إذا ما ضربنا ضربة مضريّةً هتكنا حجاب الشّمس أو قطرت دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ ذرى منبرٍ صلّى علينا وسلّما

ثم تقول:

ربابة ربّة البيت تصبّ الخلّ في الزّيت
لها سبع دجاجاتٍ وديكٌ حسن الصّوت

فقال: إنما أكلم كل إنسان على قدر معرفته، فأنت وعلية الناس يستحسنون ذلك، وأما رباب فهي جاريتي تربي دجاجات وتجمع لي بيضهن، فإذا أنشدها هذا حرصت على جمع البيض وأطعمتنيه، وهو أحسن عندها وأنفق من شعري كله، فإذا أنشدها في النمط الأول لما فهمته ولا انتفعت بها.

فهذه صورة المتنبي في هذه القصيدة كما ترى:

ما أنصف القوم ضبّه وأمّه الطّرطبّه
رموا برأس أبيه وناكوا الأمّ غلبّه

الطرطبة: الطويلة الثديين، وإنما تطول ثدياها إذا صارت عجوزاً. وقد روى: باكوا بالباء وأصله مواقعة الحمار. والغلبه: الغلبة.

يقول: إن القوم لم ينصفوا ضبة ولا أمه العجوز، حيث قتلوا أباه وأتوا أمه إتيان الحمار.

فلا بمن مات فخرٌ ولا بمن نيك رغبه

يقول: ليس لهم بأبيه الذي قتلوه فخر، لأنه ساقط وضيع، ولا بأمه التي نيكت رغبة؛ لأنها عجوز لا يرغب أحد فيها.

وإنّما قلت ما قلـ ـت رحمةً لا محبّه

وحيلةً لك حتّى عذرت لو كنت تنبه

تنبه: تشعر، وكسر التاء في مثلها على لغة بني تميم.

يقول: إنما قلت: ناكوا أمك غلبة وقهرا رحمة لك، حيث قتلوا أباك ونحكوا أمك. وقلت أيضا: حيلة لك، ليعذرك الناس على ما جرى، وأنه كان قهرا وغلبة، لا عن رضا منها بالفجور، ولو كنت تفطن لمرادي، ولكنك من جهلك لا تعلم ما أردت. وروى: غدرت: أي قلت هذا القول حيلة لك في الانصاف، حتى تغدر بي لو كنت تبالي بالغدر..

وما علكي من ألقتـ ـل إنّما هي ضربه

وما عليك من الغد ر إنّما هي سبّه

وما عليك من العا ر أنّ أمّك قحبه

وما يشقّ على الكل ب أن يكون ابن كلبه

القحبه الفاجرة، وأصلها من القحاب، وهو السعال، وكانت العاهرة إذا أحست بأحد سعلت، ليعلم مكانها فسميت بذلك.

يقول: أي عار عليك في قتل أبيك إنما هي ضربة بالسيف، والرجل قد يضرب الضربة والضربتين، ولا يلحقه في ذلك عار، وكذلك أي ضرر عليك بأن تنسب إلى الغدر، فليس هذا بأكثر من نسبة تنسب إليها، وأنت مخلوق من المخازي، وأي عار عليك في كون أمك فاجرة تنكح، فإن النساء لذلك خلقن أي للنكاح ! هذا كله هزؤ به. وأنت كلب للؤمك وخستك، فلا ضرر على الكلب في أن يكون ابن كلبة. وما هذه نافية، وفيما قبلها استفهام.

ما ضرّها من أتاها وإنّما ضرّ صلبه

الهاء في صلبه لمن وما للنفي.

يقول: لم يضرها كثرة من وطئها؛ لأنها كانت تشتهي ذلك ! ولكن الذي أتاها أوهن صلبه بإتيانها، على ما قيل في نكاح العجوز من زيادة الضرر.

ولم ينكها ولكن عجانها ناك زبّه

العجان: ما بين الدبر إلى أصل الخصية، والزب: قضيب الرجل.

يقول: واطؤها لم يواقعها تلذذاً بمواقعتها، بل كانت الرغبة من جهتها والتلذذ كان لها، وكان الفعل منسوباً إليها فكأنها هي الناكحة دون ناكحها.

يلوم ضبّة قومٌ ولا يلومون قلبه

وقلبه يشتهّي ويلزم الجسم ذنبه

يقول: الناس يلومون ضبة بأفعاله القبيحة، وإنما يجب أن يلوموا قلبه لأنه هو الذي يشتهي، فأي ذنب للجسم.

لو أبصر الجذع فعلاً أحبّ في الجذع صلبه

الفعل: كناية عن الأير. وروى مكانه شيئاً بهذا المعنى.

يعني: أنه من حبه للأير لو كان الجذع أيرا لاشتهى أن يصلب عليه.

يا أطيب الناس نفساً وألين النّاس ركبه

وأخبث النّاس أصلاً في أخبث الأرض تربه

وأرخص النّاس أمّاً تبيع ألفاً بحبّه

قوله: يا أطيب الناس نفسا: كناية عن سماحته بأهله، وقوله: وألين الناس ركبة كناية عن أبنته.

يقول: أصلك أخبث أصل، وبلدك أخبث بلد، وأنت تبيع ألف أم بحبة واحدة.

كل الفعول سهامٌ لمريم وهي جعبه

الفعول: كناية عن الأيور، شبهها بالسهام وشبه أمه بالجعبة وأن اسمها مريم على جهة السخرية، نسبها لمريم بنت عمران في حصانتها.

وما على من به الدّا ء من لقاء الأطبّه

يقول: ليس عليها لوم في فجورها، فإن ذلك لحكاك في رحمها، وصاحب الداء لا يلام على لقاء الأطبة، لتشفيه من دائه.

وليس بين هلوكٍ وحرّةٍ غير خطبه

الهلوك: الفاجرة من النساء.

يقول: هي وإن كانت زانية فلا عار عليها في ذلك، إذ ليس بين الزانية وبين الحرة فرق إلا هذا العقد، وأما من حيث الصورة فيستويان.

يا قاتلاً كلّ ضيفٍ غناه ضيحٌ وعلبه

وخوف كلّ رفيقٍ أباتك اللّيل جنبه

الضيح: اللبن الممزوج بالماء، والعلبة: قدح من جلد يكون مع الراعي.

يقول: إذا نزل بك ضيف فقير يغنيه شرب اللبن الممزوج بالماء، وقصعة يشرب بها اللبن، قتلته وأخذت ما معه. فكيف تفعل بالأغنياء ! وأنت ممن يخافه كل رفيق، وصاحب يترل به ويبيت عنده، ونصب جنبه لأنه مفعول ثان من أبات وقيل ظرف.

كذا خلقت ومن ذا الّذي يغالب ربّه !

يقول: أنت معذور على غدرك، فأنت طبعت عليه فمن يقدر أن يحولك على طبعك عليه.

ومن يبالي بذمٍّ إذا تعوّد كسبه ؟

يقول: أنت تعودت هذا الغدر، ومن كسب مثل ذلك لا يأنف منه، كما لا يأنف الحجام من حجامته لما كان ذلك كسبه.

أما ترى الخيل في النّخ ل سربةً بعد سربه

على نسائك تجلوا أيورها منذ سنبه

وهنّ حولك ينظر ن والأخيراج رطبه

النخل: موضع يعنيه، وقبل: أراد به حقيقة النخل، والسربة: القطعة من الخيل، والسنبة: القطعة من الزمان. وتحلوا. تظهر. وروى أيورها وفعولها وهي كناية عنها.

يقول: أما ترى خيولنا كيف تعرض أيورها على نسائك ؟! منذ زمان ! ونساؤك حولك ينظرن إلى الأيور وأخراجهن رطبة لها.

وكلّ غرمول بغلٍ يرين يحسدن قنبه

الغرمول: للبغل والفرس. والقنب: وعاء الغرمول.
يقول: إذا نظرت نساؤك إلى أيور البغال حسدن قنب أيورهن، ويشتهين أن يكون أخراجهن وعاء لها: أي أرحامهن.

فسل فؤادك يا ضب — ب أين خلّف عجبه ؟

اراد: يا ضبة فرخم.
يقول: أين ذلك العجب الذي كان فيك قبل نزولنا على حصنك ؟! وذلك أنه هرب منهم ودخل حصنه ولم يجسر على لقائهم.

وإن يخنك لعمري — لطالما خان صحبه

لعمري: قسم.
يقول: إن خانك قلبك الآن وأسلمك، فلعمري أن الخيانة له عادة، فطالما خان أصحابه قبل ذلك.

وكيف ترغب فيه — وقد تبيّنت رعبه

يقول: كيف ترغب في قلبك بعدما علمت من خوفه وجبنه.

ما كنت إلاّ ذباباً — نفتك عنه مذّبه

الهاء في عنه للقلب، وقيل: للعجب.
يقول: لما نزلنا عليك طار قلبك من الخوف، فكأنك كنت ذبابا طردت عن قلبك وعن عجبك بالمذبة.

وكنت تنخر تيهاً — فصرت تضرط رهبه

روى: تفخر من الفخار، وتنخر من النخير، وهو الصوت من الأنف.
يقول: كنت تنخر قبل ذلك تكبراً، فلما نزلنا حول حصنك تركت ذلك التكبر خوفاً، وصرت تضرط رهبة وخوفاً.

وإن بعدنا قليلاً — حملت رمحاً وحربه
وقلت ليت بكفّي — عنان جرداء شطبه

الشطبة: الفرس الطويلة.
يقول: إن بعدنا عنك خرجت من حصنك، وحملت رمحك وسيفك وقلت: ليت في يدي عنان فرسي.

إن أوحشتك المعالي فإنّها دار غربه

أو آنستك المخازي فإنّها لك نسبه

يقول: إن كانت المعالي قد أوحشتك، فإنها دار غربة، لا يسكنها إلا غريب. وهذا مثل.

والمعنى: إن المعالي لا يحوزها إلا القليل من الناس، فإنها بمترلة الغرباء وإن عجزت عنها فأنت معذور فإنها لا تليق بك، وإن تألف المخازي وتأنس بها. فغير منكر، لأنها نسبك وأصلك الذي تولدت منه فكيف لا تأنس بها ؟!

وإن عرفت مرادي تكشّفت عنك كربه

وإن جهلت مرادي فإنّه بك أشبه

يقول: أنت الآن في كربة وشغل قلب من هذا الشعر؛ لأنك من جهلك لا تعرف: أمدح هو أم هجو ؟! فلو عرفت أنه هجو لانكشفت عن قلبك كربته، لأنك لا تبالي بالهجو والذم، لسقوطك وحقارة أصلك، وإن جهلت مرادي فيما أقول فإنه أشبه بك؛ لأنك جاهل لا تعرف الشتم من المدح.

ونجم خارجي من بني كلاب بظهر الكوفة، وذكر له أن خلقاً من أهلها قد أجابوه وحلفوا له، فسارت إليها بنو كلاب معه، ليأخذها، ورفعت الرايات وخرج أبو الطيب على الصوت من ناحية قطوان فلقيته قطعة من الخيل في الظهر، فقاتلها ساعةً فانكشفت وجرح منها وقتل.

وسار في الظهر حتى دخل إلى جمع السلطان والرعية من درب البراجم. ووقعت المراسلة سائل اليوم، وعادوا من غد فاقتتلوا إلى آخر النهار، فلم يصنع الخارجي شيئاً، ورجع وقد اختلفت فيه بنو كلاب وتبرأ بعضهم من بعض، وعاد بعد أربعة أيام فاقتتل في الظهر فوقع بالسلطان والعامة جراح، وقتل من بني كلاب، وطعن فرس لأبي الطيب تحت غلام له في لبته فمات لوقته، فحمله محمد بن عمرو على فرس، وخرج له غلام آخر فقتل رجلاً، وعادوا من غد فالتقى الناس عند دار أسلم، وبينهم حائط فقتل من بني كلاب بالنشاب عدة، فانصرفوا ولم يقفوا للقتال.

ووقعت الأخبار إلى بغداد، فسار أبو الفوارس دلير بن لشكروز وجماعة من القواد، فورد الكوفة بعد رحيل بني كلاب عنها، فأنفذ إلى أبي الطيب ساعة نزل ثياباً نفيسةً من ديباج رومي ومن خز ودبيقي فقال يمدحه وأنشده إياها في الميدان وهما على فرسيهما، وكان تحت دلير فرس جواد أصغر، وعليه حلية ثقيلة مقلدة، فقاده إليه، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة:

كدعواك كلٌّ يدّعي صحّة العقل ومن ذا الّذي يدري بما فيه من جهل

يخاطب عاذلته ويقول: كل أحد يدعي صحة عقله كما تدعينه أنت، ولا يعلم أحد ما فيه من الجهل والحمق؛ لأن المرء لا يعرف عيب نفسه.

لهنّك أولى لائمٍ بملامةٍ		وأحوج ممّن تعذلين إلى العذل

لهنك: كلمة تستعمل عند التوكيد وأصلها: لأنك فأبدلت الهمزة هاء كما قالوا: إياك وهياك، وهي إن، التي تنصب الاسم وترفع الخبر، وأدخلوا عليها اللام للتأكيد، وجمع بينهما، وإن كانت إن للتأكيد، لأن الهمزة لما أبدلت هاء زالت لفظة إن فصارت كأنها شيء آخر غير إن فجاز الجمع بينهما. وهذا جواب القسم المحذوف.

والمعنى: والله إنك أولى بالملامة وأحوج إلى العذل من هذا الذي تعذلينه، فإنك أجهل منه.

تقولين ما في النّاس مثلك عاشقٌ		جدي مثل من أحببته تجدي مثلي

مثلك نصب على الحال، لأنه صفة نكرة قدم عليها وجدي: أمر من الوجود وتجدي جوابه.

يقول لعاذلته: إنك تقولين له، إنه ليس لك في العشاق نظير، فقد صدقت، وإنما كنت كذلك لأن من أحبه لا نظير له، فأوجدي مثل من أحبه حتى تجدي عاشقاً مثلي.

وحبٌّ كنى بالبيض عن مرهفاته		وبالحسن في أجسامهنّ عن الصّقل

فاعل كنى ضمير المحب، والهاء في مرهفاته تعود إليه.

يقول: أنا محب بخلاف سائر المحبين، فإذا رأيتني أذكر البيض فإنما أكنى بها عن السيوف، وإذا ذكرت الحسن فإنما أعني به صقل السيوف.

وبالسّمر عن سمر القنا غير أنّني		جناها أحبّائي وأطرافها رسلي

يقول: إذا سمعتني أذكر السمر فإنما أعني بها الرماح. وجني الرماح أحبائي: أي ما تجنيه الرماح من القتل والسبي، فإنها أحبائي، وأطراف الرماح رسلي إلى أحبائي وهذا مثل قوله:

وما سكني سوى قتل الأعادي

وقوله:

وليس لنا إلاّ السّيوف رسائل

عدمت فؤاداً لم تبت فيه فضلةٌ		لغير الثّنايا الغرّ والحدق النّجل

يدعو على قلبه ويقول: لا كان لي قلب ليس له همة إلا النساء، وليس فيه فضلة لطلب المعالي واقتناء المكارم.

فما حرمت حسناء بالهجر غبطةً ولا بلّغتها من شكا الهجر بالوصل

الغبطة: السرور، والهاء في بلغتها للغبطة، وهي أحد المفعولين، والثاني من.

يقول: لا تبالي بوصل النساء وهجرهن؛ فإن الحسناء إذا هجرتك لم تحرمك سروراً، وإذا وصلت لم تبلغك إليها. وهذا معنى قوله:

ولا بلّغتها من شكا الهجر
بالوصل

ذريني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصّعب والسّهل في السّهل

يقول لعاذلته: دعيني أخاطر بنفسي حتى أنال من الأمور ما لا يناله غيري، فإن صعاب المعالي لا تنال إلا بصعاب الأمور.

تريدين لقيان المعالي رخيصةً ولا بدّ دون الشّهد من إبر النّحل

يقول: إنك تريدين أن أدرك المعالي بالهويني، وهذا مما لا يكون، فإن المرء لا يدرك حلاوة المعالي إلا بمقاساة مرارة الخطر، كما أنه لا يجتني الشهد حتى يصبر على لسع النحل.

حذرت علينا الموت والخيل تدّعي ولم تعلمي عن أيّ عاقبةٍ تجلي

الخيل تدعي: أي أصحاب الخيل يدعو بعضهم بعضاً. وقيل: تدعي أي تنتسب كل قبيلة إلى أبيها.

وتجلي: أي تنجلي وتنكشف.

يقول لعاذلته: خفت على القتل ولم تعلمي عواقب الحرب، فربما انكشفت عن الظفر والعز.

ولست غبيناً لو شريت منيّتي بإكرام دلّير بن لشكروزّلي

يقول: لو اشتريت منيتي بهذا الإكرام من جهة دلير، لما كنت مغبوناً بل كنت مغبوطاً.

تمرّ الأنابيب الخواطر بيننا ونذكر إقبال الأمير فتحلولي

يقول: أمر الشيء يمر إمراراً فهو ممر، ومر يمر مرارةً فهو مر. والخواطر صفة الأنابيب أي الأنابيب المتحركة. ويقال: حلا الشيء يحلو، واحلولي يحلولي بمعنىً.

يقول: نرى طعم الرماح فيما بيننا مراً، حتى إذا ذكرنا إقبال الأمير عاد ما أمر منها نهايةً في الحلاوة، فأقدمنا غير كارهين له.

وفي قافية هذا البيت خلل؛ وذلك أنه جاء بها مردفة وليس في القصيدة بيت مردف غيره.
ومعنى المردف: أن يكون قبل حرف الروي ألفاً أو واواً أو ياءً، فيلزم جميع القصيدة نحو: مسعود وسعيد وسالم.
وما جاء به عيب عند العلماء بعلم القوافي، إلا أنه قد جاء في الشعر القديم مثله وهو:

إذا كنت في حاجةٍ مرسلاً   فأرسل حكيماً ولا توصه

فجاء بهذه القافية مردوفة بالواو المضموم ما قبلها ثم قال:

وإن باب أمرٍ عليك التوى   فشاور لبيباً ولا تعصه

وهذه غير مردفة.

ولو كنت أدري أنّها سببٌ له   لزاد سروري بالزّيادة في القتل

الهاء في أنها قيل: راجعة إلى الطعنة التي أصابته في قتال الخارجي. وقيل: راجعة إلى الأنابيب، وقيل: راجعة إلى خيل الخارجي. والهاء في له للإكرام أو الإقبال.
يقول: لو علمت أن هذه الطعنة أو هذه الأنابيب أو هذه الخيل سبب لإكرام الأمير وإقباله لكنت أزداد فرحاً بزيادة القتل والإقدام ليكون الإكرام أكثر.

فلا عدمت أرض العراقين فتنةً   دعتك إليها كاشف الخوف والمحل

نصب كاشف على النداء المضاف، أو على الحال، أو على البدل من الكاف في دعتك والمحل: الجدب.
يقول: لا عدم أهل العراقين مثل هذه الفتنة التي كانت سبب مجيئك إلينا؛ لأنك كشفت عنا الخوف ببأسك، والمحل بجودك وفضلك.

ظللنا إذا أنبى الحديد نصولنا   نجرّد ذكراً منك أمضى من النّصل

أنبى أي جعلها تنبو، يقال نبا النصل، وأنباه غيره.
يقول: كنا إذا ضربنا أعداءنا فرجعت نصولنا ونبت؛ لما عليهم من الحديد، ذكرنا لهم اسمك فكان يؤثر فيهم أكثر مما يؤثر السيف ! أي كنا نذكر اسمك فنهزمهم بذكره.

ونرمي نواصيها من اسمك في الوغى   بأنفذ من نشّابنا ومن النّبل

النشاب: سهام العجم، وهي أطول من النبل، والهاء في نواصيها للخيل.

يعني: كنا نرميها من اسمك بسهم أنفذ من كل سهم.

فإن تك من بعد القتال أتيتنا   فقد هزم الأعداء ذكرك من قبل

جعل قبل نكرة فأعربه.

يقول: إن كنت جئت إلينا بعد أن هزمناهم، فإنما هزمناهم باسمك فقام ذكرك مقام حضورك.

وما زلت أطوي القلب قبل اجتماعنا   على حاجةٍ بين السّنابك والسّبل

قوله: أطوي القلب كناية عن العزم.

يقول: ما زلت اضمر في نفسي المسير إليك، فكنى عن ذلك بالسنابك والطرق.

ولو لم تسر سرنا إليك بأنفسٍ   غرائب يؤثرن الجياد على الأهل

يقول: لو لم تأتنا لأتيناك بأنفس غريبة، تختار الخيل على الأهل، وقوله: غرائب يجوز أن يكون المراد بها أنها غريبة فيما بين الأنفس، لأن سائر الأنفس لا تختار ذلك، ويجوز أن يريد أنها غريبة في هذا الزمان لعلو همتها.

وخيلٍ إذا مرّت بوحشٍ وروضةٍ   أبت رعيها إلاّ ومرجلنا يغلي

أي: سرنا إليك بأنفس وخيل كريمة، قد تعودت الصيد، فإذا مرت على روضة فيها وحش، لم ترع حتى تصيد لنا، ثم ترعى بعد ذلك.

ولكن رأيت القصد في الفضل شركةً   فكان لك الفضلان بالقصد والفضل

يقول: إنك رأيت قصدنا إليك مشاركةً في فضلك، فقصدتنا بنفسك حتى حويت الفضل الذي لك وفضل القصد فاجتمع الفضلان.

وليس الّذي يتّبع الوبل رائداً   كمن جاءه في داره رائد الوبل

يعني: أنك قصدتنا وأفضت علينا إنعامك، فهذا أهنى من عطاء كان بعد قصدنا إليك، كما أن الرجل إذا جاءه الغيث في داره، كان أهنى من أن يخرج في طلبه وارتياده. ومثله لآخر:

فكنت فيهم كممطورٍ ببلدته   فسرّ أن جمع الأوطان والمطرا

وما أنا ممّن يدّعي الشّوق قلبه   ويحتجّ في ترك الزّيارة بالشّغل

يقول: لست ممن يزعم أنه مشتاق صديقاً، ثم يحتج في ترك زيارته؛ لأن الأشغال تمنعه عنها، لأن من هذه حاله، فليس بصادق في الشوق، فلولا أنك قصدتنا لكنا نقصد إليك ولم نتأخر عن خدمتك.

وقيل: أراد أني لم أحتج بترك زيارتك بشغل ولكني أقول إن شاء الله تعالى. أراد أن يحصل لك فضل القصد مع غيره من الفضل.

أرادت كلابٌ أن تقوم بدولةٍ لمن تركت رعى الشّويهات والإبل

أنث كلاباً على معنى القبيلة. ومن استفهام على وجه الاستهزاء.

يقول: أرادت بنو كلاب القيام بدولة الملك، وهم رعاة الغنم والإبل، فإذا طلبوا الولاية فلمن يتركوا رعيها ؟! أي رعى الغنم والإبل أولى لهم من الإمارة.

أبى ربّها أن يترك الوحش وحدها وأن يؤمن الضّبّ الخبيث من الأكل

الهاء في ربها لبني كلاب وقيل: للشويهات. وفي وحدها للوحش.

يعني: أنهم يسكنون مع الوحش، فلم يرد الله تعالى أن يؤتيهم الولاية فتنفرد الوحش عنهم، وعادتهم أكل الضباب فلم يرد الله تعالى لهم الولاية، فيأمن الضب من أكلهم لها.

وقاد لها دلّير كلّ طمرّةٍ تنيف بخدّيها سحوقٌ من النّخل

الطمرة: الفرس الوثابة، وقيل: المشرفة. والسحوق: النخلة الطويلة، وأراد بها ها هنا عنق هذه الطمرة، وهي فاعل تنيف والهاء في لها لبني كلاب.

يقول: قصد دلير بني كلاب بكل فرس كأن عنقها نخلة طويلة، ترفع خديها.

وكلّ جوادٍ تلطم الأرض كفّه بأغنى عن النّعل الحديد من النّعل

أي قصد إليها بكل فرس صلب الحوافر لا يحتاج إلى نعل، كما لا يحتاج النعل إلى النعل وأراد: تلطم الأرض بحافر أصلب من نعل الحديد.

فولّت تريغ الغيث والغيث خلّفت وتطلب ما قد كان في اليد بالرّجل

يقول: ولت بنو كلاب لما قصدهم دلير، وذهبت بالوادي تطلب الغيث لإبلها، وخلفت الغيث: وهو طاعة السلطان.

يعني: أنها تركت ما كانت فيه من الأمن والخصب، لما خرجت من طاعة السلطان، ورجعت إلى البوادي تطلب مساقط الأمطار.

تحاذر هزل المال وهي ذليلةٌ وأشهد أنّ الذلّ شرٌّ من الهزل

وهي ذليلة: يعني بنو كلاب.

يقول: خافت أن تهزل أموالها، فخرجت تنتجع الأمطار والمراعي. وما لحقها من الذل شر من هزال المال.

وأهدت إلينا غير قاصدةٍ به   كريم السّجايا يسبق القول بالفعل

غير قاصدة نصب على الحال، ونصب كريم لأنه مفعول أهدت وهو فعل بني كلاب، وبه يرجع إلى كريم السجايا وهو مقدم في المعنى.

يقول: كان سبب مجيء دلير إلينا، مجيء بني كلاب، فكأنها أهدته لنا وإن لم تقصد ذلك، وهو يبتدئ بالنوال قبل الوعد بالسؤال.

تتبّع آثار الرّزايا بجوده   تتبّع آثار الأسنّة بالفُتل

الفتل جمع فتيلة.

يقول: جر بجوده كل مصيبة أصابتنا، في نفس أو مال. وأصلح حالنا، كما تصلح الجراح بالفتل عند المعالجة.

وروى بالقتل يعني: أتى على المصائب بعطاياه، كما يأتي بالقتل على آثار الأسنة: أي لا يحتاج مع القتل إلى معالجة آثار الأسنة.

شفى كلّ شاكٍ سيفه ونواله   من الدّاء حتّى الثّاكلات من الثّكل

يقول: شفى كل إنسان مما كان يشكوه، فشفى الفقر بنواله، والجور بسيفه، وأخذ للثاكلات بثأرهن؛ فشفاهن من الثكل.

عفيفٌ تروق الشّمس صورة وجهه   ولو نزلت شوقاً لحاد إلى الظّلّ

شوقاً مفعول له.

يقول: هو مع عفته قد عشقته الشمس، فلو نزلت من شوقها إليه، لعلد عنها إلى الظل لعفته.

شجاعٌ كأنّ الحرب عاشقةٌ له   إذا زارها فدّته بالخيل والرّجل

يقول: تسلم إليه الحرب من شاء قتله أو سبيه، فكأنها عاشقة له، وتفديه بهم.

قال ابن جني: هذا من بدائع معانيه.

وريّان لا تصدى إلى الخمر نفسه   وعطشان لا تروى يداه من البذل

يقول: لا يرغب في الشراب؛ لما فيه من الإثم، فهو ريان عنه، ولا يفتر عن البذل؛ لما فيه من الحمد، فهو عطشان إليه.

فتمليك دلّيرٍ وتعظيم قدره شهيدٌ بوحدانيّة الله والعدل

يقول: تمليك الله تعالى إياه، وتعظيمه لقدره، دليل على التوحيد والعدل؛ لأن توليته إياه حكمة وصواب، ووضع للحق في موضعه.

وما دام دلّيرٌ يهزّ حسامه فلا ناب في الدّنيا لليثٍ ولا شبل

يعني: أن أنياب الأسود لا تعمل عمل سيفه، فكأنها في جنب سيفه معدومة.

وما دام دلّيرٌ يقلّب كفّه فلا خلق من دعوى المكارم في حلّ

أي ما دام هو يقلب كفه بالعطاء وقتل الأعداء فليس لأحد ادعاء المكارم، لأنه قد ملك المكارم.

فتىً لا يرجّى أن تتمّ طهارةٌ لمن لم يطهّر راحتيه من البخل

يقول: هو فتىً يعتقد أن الطهارة من الأنجاس لا تتم إلا بتطهير الراحة من البخل، فكما أن الطهارة من الأنجاس واجبة، كذلك اجتناب البخل واجب.

وقيل: أراد بالطهارة: الختان، أي أن طهارة الختان لا تتم إلا بإزالة البخل.

فلا قطع الرّحمن أصلاً أتى به فإنّي رأيت الطّيّب الطّيّب الأصل

يقول: هو طيب وأصله الذي أتى به طيب إذ الطيب لا يأتي إلا من أصل طيب، فلا قطع الله تعالى أصلاً جاء بمثله.

العميديات

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد، حين ورد عليه بأرجان في ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلاث مئة:

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

باد أي ظاهر، وهواك: رفع بالابتداء وباد خبره مقدم عليه عند سيبويه.

وعند الأخفش: باد مبتدأ وهواك مرتفع به كما يرتفع الفاعل، وقد سد مسد المبتدأ.

وقوله: أو لم تصبرا في موضع جزم، وأصله: تصبرن بالنون الخفيفة للتأكيد، فأبدل عنها ألفاً في الوقف، كقوله تعالى: "لَنَسْفَعاً" وقول الأعشى:

ولا تعبد الشّيطان والله فاعبدا

هذا قول البصريين. وفي قول البغداديين: أنه خاطب الواحد الاثنين كقول الآخر:

فإن تزجراني بابن عفّان أنزجر وإن تدعاني أحم عرضاً ممنّعاً

والمعنى: أن هواك ظاهر علاماته، سواء صبرت أو جزعت، وكذلك بكاؤك ظاهر، سواء جرى دمعك أو لم يجر.

وحكى أنه قيل للمتنبي: إنك خالفت بين المصراعين، فوضعت في الأول إيجاباً بعده نفي، وفي الثاني نفياً بعده إيجاب، وصنعة الشعر تقتضي الموافقة بين صدر البيت وعجزه. فقال: إن كنت خالفت بينهما لفظاً فقد وافقت بينهما معنىً، وذلك أن من صبر لم يجر دمعه، ومن لم يصبر جرى دمعه، ومراعاة المعنى أولى من مراعاة اللفظ.

وبكاك عطف على هواك ويجوز أن يكون عطفاً على الضمير في صبرت كأنه قال: صبرت وصبر بكاؤك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجرى دمعك.

كم غرّ صبرك وابتسامك صاحباً لمّا رآه وفي الحشى ما لا يرى

الوجه: لما رآهما. ولكنه أقام ضمير الواحد مقام الاثنين. وقيل: أراد، كم غر صبرك صاحباً لما رآه، وابتسامك لما رآه، فحذف أحد الضميرين لدلالة الآخر، كما قال بعضهم:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرّأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض. ثم اكتفى بأحد الخبرين عن الآخر.

وقيل: إنه أضمر التجلد. والضمير في رآه إليه راجع؛ وذلك أن الصبر والابتسام واحد وهو التجلد.

والمعنى: أن كثيراً من أصحابك لما رأوا صبرك وضحكك غرهم ذلك منك، ولم يعلموا ما في قلبك من نار الهوى وألم العشق.

أمر الفؤاد لسانه وجفونه فكتمنه وكفى بجسمك مخبرا

الهاء في لسانه وجفونه: للفؤاد، وقيل: للعاشق؛ لأن في الكلام دلالة عليه، وفي كتمنه إلى ما لا يرى.

يقول: لسانك يكتم أمر الهوى فلا ينطق به، وجفونك تكتمه بترك البكاء، فكأن قلبك أمرهما بكتم الهوى، وهما إخوانه وأتباعه، ولكن نحول جسمك يخبر عما في قلبك، فكفى به مخبراً.

تعس المهارى غير مهريٍّ غدا بمصوّرٍ لبس الحرير مصوّرا

المهارى: جمع مهري، وهي إبل تنسب إلى مهرة بن حيدان أبو حي من العرب جيد الإبل. وتعس: أي شقي جده، وقوله: بمصور أي بإنسان مصور صورة حسنة، لبس حريراً مصوراً بالصور والنقوش.
دعاء على الإبل؛ لأنها سبب الفراق، إلا هذا البعير الذي فوقه هذه المرأة التي هي كالصورة في حسنها، وعليها ثياب حرير عليها تصاوير. ومصوراً: نصب على الحال.

نافست فيه صورةً في ستره لو كنتها لخفيت حتّى يظهرا

الهاء في فيه للمصور وهو المحبوب، وقيل: هو الحرير. والهاء في ستره يرجع إلى المصور.
يقول: كان دون هذه المحبوبة ستر عليه صورة، نافست هذه الصورة وحسدتها على قربها من المحبوب، ولو كنت هذه الصورة لخفيت وغبت حتى يظهر المحبوب للرائيين، بخلاف هذا الستر الذي لا يغيب.
والفائدة في ظهوره إنما هو تتره الأبصار برؤيته وتكون الفائدة فيه.
وصف نفسه بالنحول وأنه بصفة لا تستره عن الناظرين، أو يريد إقامة عذره للناس في حبه إياه.

لا تترب الأيدي المقيمة فوقه كسرى مقام الحاجبين وقيصرا

لا تترب: أي لا تفتقر المقيمة الفاعلة من الإقامة التي هي المتعدي من القيامة. وكسرى وقيصر نصب به، والهاء في فوقه للستر.
يقول: لا تترب يد من نقش على هذا الستر صورة كسرى وقيصر؛ حيث أقامهما على باب الستر كالحاجبين.

يقيان في أحد الهوادج مقلةً رحلت وكان لها فؤادي محجرا

المحجر: ما يبدو من النقاب من حوالي العين، جعل المحبوبة عين قلبه فقال: إن كسرى وقيصر يحفظان في واحد من الهوادج يعني هودج حبيبته مقلةً، فلما ارتحلت المقلة زال عن قلبي ضياؤه وعمي قلبي، فصار محجراً لا مقلة له.

قد كنت أحذر بينهم من قبله لو كان ينفع حائناً أن يحذرا

لهاء في قبله للبين، وقيل: أراد من قبل وقوعه، فحذف المضاف والحائن: الذي دنا حينه وهلاكه.
يقول: لو نفع الحذر الحائن لنفعني؛ لأني كنت أحذر فراقهم قبل وقوعه، فلم ينفعني الحذر، لما وقع بي ما حذرته.

ولو استطعت إذا غدت روّادهم لمنعت كلّ سحابةٍ أن تقطرا

الرواد: جمع رائد.

يقول: لو قدرت - حين تخرج روادهم لطلب الماء والكلأ - لمنعت السحاب من المطر، لكن لا قدرة لي على ذلك.

فإذا السّحاب أخو غراب فراقهم جعل الصّياح ببينهم أن يمطرا

يقول: لو قدرت لمنعت كل سحابة من المطر؛ لأني تأملت الحال فرأيت السحاب سبباً للفراق؛ لأنه إذا مطر خرجوا لطلب المطر والكلأ، فهو مثل غراب البين؛ لأنه إذا صاح أذن بالفراق ! ومطر السحاب كذلك، فالسحاب كالغراب ومطره في دلالته على الفراق كصياح غراب البين، فلو قدرت لمنعته من المطر حتى لا يؤدي إلى الفراق.

وإذا الحمائل ما يخدن بنفنفٍ إلاّ شققن عليه ثوباً أخضرا

الحمائل: جمع الحمولة، وهي الإبل التي يحمل عليها. والنفنف: المهوى بين جبلين. ويخدن: يسرعن.

شبه كثرة الكلأ على وجه الأرض بثوب أخضر، وشقها إياه: رعيها له حتى يصير كالثوب المشقوق لما رعت الوسط وتركت الحافات.

وقيل: شقها إياه: سيرها فيه.

يقول: وإذا إبلهم لا تسير في فلاة إلا شقت عليها ما لبست من الكلأ، برعيها ووطئها.

يحملن مثل الرّوض إلاّ أنّه أسبى مهاةً للقلوب وجؤذرا

شبه الهوادج بالروض؛ للنقوش التي عليها، وشبه النساء التي في الهوادج ببقر الوحش وأولادها.

يقول: تحمل هذه الإبل في هذا الروض هوادج مثل الروض وكذلك مثل الروض من ربات الهوادج، إلا أن هؤلاء النساء أسبى للقلوب من المها والجآذر.

ومهاةً وجؤذرا نصبا على التمييز.

فبلحظها نكرت قناتي راحتي ضعفاً، وأنكر خاتماي الخنصرا

نكرت الشيء فأنكرته.

يقول: بسبب لحظ النساء ضعفت راحتي عن حمل قناتي، وقلق خاتمي في خنصري؛ لنحولي وضعفي.

أعطى الزّمان فما قبلت عطاءه وأراد لي فأردت أن أتخيّرا

يقول: أعطاني الزمان حظاً فلم أقبله منه، وأردت أن أكون أشرف منه، وأراد لي حالاً فأحببت أن يكون على اختياري، فلم أرض إلا بلقاء ابن العميد.

أرجان أيّتها الجياد فإنّه عزمي الّذي يذر الوشيج مكسّرا

أرجان: مدينة من فارس، أصله بتشديد الراء، ونصبه بفعل مضمر، أي اقصدي أرجان.

يقول لخيله: اقصدي أرجان فإني عزمت على لقاء ابن العميد عزماً صحيحاً، لو ردني عنه رمح لكسر الرمح عزمي.

والوشيج: الرماح. وأصله: أصول الرماح.

لو كنت أفعل ما اشتهيت فعاله ما شقّ كوكبك العجاج الأكدرا

الفعال بفتح الفاء: ما يفعله الإنسان من كرم وجود وغيرهما، وكوكب الخيل: مجتمعها، والأكدر: الأسود.

يقول لخيله: لو فعلت ما نت تشتهينه ما جشمتك دخول الغبار الأسود وشقه؛ لأن مرادك ألا تتكلفي ذلك، غير أني لا أرضى إلا بما أجشمك من المشقة في قصدي إلى ابن العميد ورؤيتي إياه.

أمّي أبا الفضل المبرّ أليّتي لأيمّمنّ أجلّ بحرٍ جوهراً

أمي: أي اقصدي، والمبر: المصدق، والآلية: اليمين. يعني: اقصدي أبا الفضل؛ فإنه الذي يبر يميني فيكون المبر خبراً لأمي.

يقول: اقصدي أبا الفضل، فإنه الذي يبر يميني حيث حلفت أني أقصد بحراً جوهره أجل من جوهر كل بحر، وليس أحد بهذه الصفة غيره، فهو الذي يبر يميني.

أفتى برؤيته الأنام وحاش لي من أن أكون مقصّراً أو مقصرا

يقال: قصرت عن الشيء: إذا تركته عاجزاً، وأقصرت: إذا تركته وأنت قادر عليه.

يقول: لما حلفت على أن ألقي أجل بحر جوهراً، أفتاني الناس كلهم بأن يميني لا تبر إلا برؤيته، لأنه المختص بهذه الصفة، وحاشى لي من أن أترك قصده قدرت أو لم أقدر عليه، فإن مثلي إذا حلف لا يحنث في يمينه، فلا بد لي من لقائه.

صغت السّوار لأيّ كفٍّ بشّرت بابن العميد، وأيّ عبدٍ كبّرا

يقول: صغت السوار، لأجعله في يد من يبشرني بابن العميد، وكذلك صغت لأي عبد كبر. يريد بذلك: ما جرى من عادة الناس إذا رأوا ما يتوقعون، أو شيئا يعجبهم كبروا عند رؤيته.

إن لم تغثني خيله وسلاحه فمتى أقود إلى الأعادي عسكرا ؟ !

يقول: إن لم يغثني ابن العميد بخيله وسلاحه، لم أقدر على تجهيز الخيل إلى قتل الأعداء.

بأبي وأمّي ناطقٌ في لفظه ثمنٌ تباع به القلوب وتشترى

يقول: أبي وأمي فداء لناطق يملك بحسن لفظه، قلوب الناس، فكأنه يجعل لفظه ثمناً للقلوب يشتريها به.

من لا تريه الحرب خلقاً مقبلاً فيها، ولا خلقٌ يراه مدبرا

من بدل من قوله: بأبي وأمي ناطق والهاء في فيها للحرب.

يقول: بأبي من لا تريه الحرب أحداً من الناس مقبلا إليه، ولا يراه أحد مدبرا: أي لا يقدر على لقائه أحد، ولا يولي من بين يدي أحد أيضاً.

خنثى الفحول من الكماة بصبغه ما يلبسون من الحديد معصفرا

أي: جعل الفحول كالمخنثين الذين يلبسون المعصفرات: يعني خضب ثياب الكماة ودروعهم بدمائهم فصاروا كالمخنثين الذين يلبسون المعصفرات. وقيل: جعلهم كالمخنثين لجبنهم. وتقديره: بصبغه معصفرا ما يلبسون من الحديد.

يتكسّب القصب الضّعيف بخطّه شرفاً على صمّ الرّماح ومفخراً

أراد بالقصب الضعيف: القلم، وبالمفخر: الفخر.

يعني: إذا كتب بقلمه اكتسب قلمه بخطه شرفا على الرماح؛ لأنه يفعل بقلمه ما لا يفعله الفارس برمحه.

ويبين فيما مسّ منه بنانه تيه المدلّ فلو مشى لتبخترا

الهاء في منه للقصب.

يقول: يظهر في كل قصب مسه بنانه من التيه ما لو أمكنه المشي لتبختر في مشيه.

يا من إذا ورد البلاد كتابه قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيّرا

يعني: إذا كتب لعدو كتاباً لم يحتج إلى إنفاذ الجيوش؛ لأنه يهزمهم بكتابه ويصيرهم متحيرين بوعده ووعيده.

وهذا المعنى ذكره ابن العميد لنفسه في قوله:

إذا ما حلّ أرض علاي خطبٌ كشفت الخطب عنها بالخطابه

وإن زحف الكتائب نحو أرضي قصمت عرى الكتائب بالكتابه

أنت الوحيد إذا ركبت طريقةً ومن الرّديف وقد ركبت غضنفرا

يقول: أنت في جميع أحوالك لا نظير لك، لا تركب إلا كل طريقة صعبة لا يطيقها أحد، ولا يتبعك فيها أحد؛ مخافة فضيحة، فكأنك ركبت الأسد، ومن ركب الأسد لا يمكن أحد من أن يصير رديفا له.

قطف الرّجال القول قبل نباته وقطفت أنت القول لمّا نوّرا

يقول: كلام الناس لم يدرك بعد، فهو كنور لم يتنور، وكلامك عذب فصيح كنور تنور وأدرك.

فهو المتبّع بالمسامع إن مضى وهو المضاعف حسنه إن كرّرا

فهو: أي القول.

يقول: كلامك كلما سمعه سامع استعاده وتتبعه بسمعه؛ لحسنه، وكلما كرر على المسامع ازداد حسنه.

وإذا سكتّ فإنّ أبلغ خاطبٍ قلمٌ لك اتخذ الأصابع منبراً

يقول: إذا سكت قام قلمك مقام خطابك، يخطب الناس ومنبره أصابعك شبه قلمه على أنامله بخطيب على منبر.

ورسائلٌ قطع العداة سحاءها فرأوا قناً وأسنّةً وسنّورا

السحاء ما يشد به القرطاس، سمي بذلك لأنه يسحي من ظهره أو يقشر، والسنور: ما لبس من جنس الحديد خاصة كالدروع والجواشن.

يقول: إذا فض أعداؤك كتبك رأوا من بلاغتك ما يملأ قلوبهم رعباً، فكأن الكتابة كتيبة فيها الرماح والأسلحة، تدفع بها الأعداء وتفل بها الجيوش.

وقيل: إنهم إذا رأوا فصاحتك ماتوا حسداً لك.

فدعاك حسّدك الرّئيس وأمسكوا ودعاك خالقك الرّئيس الأكبرا

كان ابن العميد يخاطب بالأستاذ الرئيس.

يقول: إن أعداءك خاطبوك بالرئيس، ولم يزيدوا عليه، والله تعالى قد سماك الرئيس الأكبر.

خلفت صفاتك في العيون كلامه كالخطّ يملأ مسمعي من أبصرا

الهاء في كلامه تعود إلى الخالق.
يعني: أن الله تعالى لم يدعك الرئيس الأكبر بصوت يسمع، وإنما جعل فيك صفات تقوم مقام كلامه، لأن صفاتك توجب لك هذه التسمية. فكأنها خط فيه حكاية قول الله تعالى: إنك الرئيس الأكبر.
فكما أن الخط إذا نظر إليه فهم ما يدل عليه من المعاني، وإن لم يسمع، فكذلك يفهم في صفاتك هذا الاسم وإن لم يسمع.

أرأيت همّة ناقتي في ناقةٍ   نقلت يداً سرحاً وخفّاً مجمرا ؟ !

اليد السرح: السهلة القبض والبسط، والخف المجمر: الصلب يقول: هل رأيت همة ناقتي فيما بين النوق، كيف علت سائر الهمم، حيث قصدتك، بنقل يد سرح وخف مجمر، وترك الملوك وراءها.

تركت دخان الرّمث في أوطانها   طلباً لقومٍ يوقدون العنبراً

الرمث نبت يوقد به وإذا أكلته الإبل اشتكت بطونها.
يقول: تركت ناقتي أهل البادية الذين يوقدون الرمث، وقصدت ملكاً يوقد العنبر، فهمتها بخلاف همة سائر النوق. ومثله للبحتري:

نزلوا بأرض الزّعفران وجانبوا   أرضاً تربّ الشّيح والقيصوما
وتكرّمت ركباتها عن مبركٍ   تقعان فيه وليس مسكاً أذفرا

إنما جمع الركبة مع أن للناقة ركبتين مجازاً، لأنه أراد الركبتين وما بينهما أو يكون قد سمى لكل جزء منه ركبة، ثم قال: تقعان فرجع إلى التثنية الحقيقية وترك المجاز، والأذفر: الذكي الرائحة.
يقول: إن ناقتي ترفعت وأنفت عن أن تقع ركبتاها على مبرك فيه التراب، وإنما أرادت أن تقع ركبتاها على المسك الأذفر، فلهذا قصدتك

فأتتك دامية الأظلّ كأنّما   حذيت قوائمها العقيق الأحمرا

الأظل: باطن الخف الذي يلي الأرض، وحذيت أي جعل لها حذاءً وهو النعل.
يقول: جاءتك ناقتي والحجارة قد أدمت أخفافها، فكأنها حذيت بالعقيق الأحمر. شبه الدم الأحمر بالعقيق.

بدرت إليك يد الزّمان كأنّها   وجدته مشغول اليدين مفكّرا

يقول: إن ناقتي سبقت إليك قبل أن يعلم الزمان فيعوقها عنك، فكأنها رأت الزمان مشغولا عنها فانتهزت الفرصة.

من مبلغ الأعراب أنّى بعدها لاقيت رسطاليس والإسكندرا

يقول: من مبلغ الأعراب الذين فارقتهم، أني رأيت ملكا كأنه أرسطاليس في حكمته وعلمه، والاسكندر في ملكه. كأنه يعرض بسيف الدولة.

ومللت نحر عشارها فأضافني من ينحر البدر النّضار لمن قرى

العشار: النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، والنضار: الذهب الخالص، وهو بدل من البدر ويجوز أن يكون صفة لها.

يقول: من يبلغ الأعراب أني مللت ذبح نوقها لي ضيافةً، فخرجت من عندها وقصدت من ينحر لي بدر الذهب: أي يملكني إياها ويصلني برغائب الأموال وأنواع الصلات.

وسمعت بطليموس دارس كتبه متملّكاً متبدّياً متحضّرا

نصب دارس: على الحال من بطليموس ومتملكا على الحال من الممدوح. والهاء في كتبه للمدوح.

يقول: سمعت أن بطليموس مع كمال فضله، دارس لكتب ابن العميد ومستفيد منها، وهو قد جمع الملك وفصاحة البدو وظرف الحضر.

وقيل الهاء في كتبه لبطليموس. يعني: سمعته يدرس كتب بطليموس مع ما له من الملك والفصاحة والظرف.

ولقيت كلّ الفاضلين كأنّما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا

يقول: إن فضل الفضلاء كلهم موجود فيه، فكأنه جمع جميع الفضلاء، وكأن الله تعالى رد أعصر الفاضلين ونفوسهم، فكأنهم حضور لم يموتوا. وهذا كقول أبي نواس:

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

نسقوا لنا نسق الحساب مقدّماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخّرا

يقول: مضى هؤلاء الفضلاء واحداً بعد واحد، كالحساب الذي يذكر تفاصيله، ثم يقال في آخره: فذلك الجميع. أي لما جئت في آخرهم كنت كأنك جملة التفصيل الذي سلف لهم، لأنك جمعت فضائل الكل ومناقبهم.

يا ليت باكيةً شجاني دمعها نظرت إليك كما نظرت فتعذرا

شجاني: أحزنني، ودمعها فاعل شجاني فتعذرا نصب لأنه جواب التمني بالفاء.

يقول: ليت التي بكت عند مفارقتي إياها، حتى أحزنني دمعها، نظرت إليك كما نظرت لتعذرني في مفارقتها وقصدي إليك واختياري أكون عندك.

وترى الفضيلة لا تردّ فضيلةً الشّمس تشرق والسّحاب كنهورا

الكنهور: القطعة العظيمة من السحاب، وفاعل ترد ضمير الفضيلة ونصب فضيلة لأنها مفعول بها، ونصب الشمس بدل من الفضيلة، وكذلك السحاب وقيل: إن الشمس نصب بتشرق.

يقول: ترى فيك الفضائل المتضادة مجتمعة ! لا يرد بعضها بعضاً، فكأنها رأت الشمس والسحاب العظيم في وقت واحد، ومن عادة السحاب أن يستر الشمس، والشمس تذهب السحاب، وأنت قد اجتمع فيك نور الشمس، ومطر السحاب بجودك ! ولا يرد أحدهما الآخر، وفاعل ترى ضمير الباكية.

أنا من جميع النّاس أطيب منزلاً وأسرّ راحلةً وأربح متجرا

أي: لما قصدتك طاب منزلي، وسرت راحلتي وربحت صفقتي وفضلت جميع الناس في هذه الأحوال. والمنصوبات هي على التمييز.

زحلٌ على أنّ الكواكب قومه لو كان منك لكان أكرم معشرا

القوم: لا يقع إلا على المذكرين من العقلاء، لكن لما كانت الكواكب محيطة بزحل، وهو واحد منها، جعلها قومه.

يقول: إن زحل - مع أن الكواكب قومه - لو كان من جملتك ومنتسباً إليك، لكان أكرم معشراً من كونه من من جملة الكواكب.

وقال يمدحه ويهنئه بالنيروز وينعت سيفاً قلده إياه وخيلاً حمله عليها ويذكر انتقاده شعره:

جاء نيروزنا وأنت مراده ووربت بالذي أراد زناده

يقال: نيروز، ونوروز. وورت أي أضاءت.

يقول: إنما جاء النوروز ليسر برؤيتك فورت زناده: أي أدرك مراده.

هذه النّظرة الّتي نالها من ك إلى مثلها من الحول زاده

يقول: هذه النظرة التي نالها منك الآن، تكفيه للمسرة إلى عام قابل مثله والهاء في زاده للنيروز.

ينثني عنك آخر اليوم منه ناظرٌ أنت طرفه ورقاده

آخر اليوم: نصب على الظرف. والناظر: ناظر العين، وهو سواده الذي به يكون النظر. والهاء في منه وطرفه ورقاده للنيروز. وروى: ينقضي بدل ينثني.

يقول: ينصرف عنك النيروز وقد خلف عندك لحظه ورقاده، فبقي بلا لحظ ولا نوم، إلى أن يعود إليك.

شبه النيروز بمحب يسر بقرب حبيبة ويسهر لفراقه، فهو يشتاق إليه إلى أن يعود إليه.

نحن في أرض فارسٍ في سرورٍ ذا الصّباح الّذي يرى ميلاده

ذا الصباح: إشارة إلى صباح النيروز المذكور. والهاء في ميلاده للسرور.

يقول: نحن في سرور في هذا الصباح، الذي هو ميلاده السرور.

عظّمته ممالك الفرس حتّى كلّ أيّام عامه حسّاده

الهاء في عظمته وفي عامه وحساده للنيروز أو الصباح المذكور، وهما واحد، وأراد بالممالك: أهل ممالك الفرس، فحذف.

يعني: أن ملوك الفرس عظموه، حتى صارت سائر أيام السنة تحسده لذلك التعظيم.

ما لبسنا فيه الأكاليل حتّى لبستها تلاعه ووهاده

الأكاليل: جمع الإكليل وهو مثل التاج. والتلاع: جمع تلعة، وهي الأرض المرتفعة. والوهاد: جمع وهدة، وهي ما انهبط من الأرض. والهاءات للنيروز إلا في قوله: لبستها فإنه للإكليل.

يقول: لم تعقد على رءوسنا أكاليل الأنوار إلا بعد أن عمت الأنوار التلاع والوهاد وصارت عليها كالأكاليل، وهو مثل قول أبي تمام:

حتّى تعمّم صلع هامات الرّبا من نوره وتأزّر الأهضام

والعمائم: أي الأكالي، إلا أن بيت أبي تمام أجود، لأنه جعل ما كان على الربا كالعمائم لارتفاعها، وما كان في الأهضام وهي المطمئن من الأرض كالأزر.

والمتنبي جعل الأكاليل على التلاع والوهاد.

إلا أنه يمكن أن يقال: إن معناه: لبستها تلاعه واتزرت بمثلها وهاده والتحفت، لأن لفظ اللبس مشتمل على العمائم والمآزر، فاكتفى بأحدهما كما قال:

يا ليت زوجك قد غدا متقلّداً سيفاً ورمحا

عند من لا يقاس كسرى أبوسا سان ملكاً به ولا أولاده

يعني: نحن في أرض فارس، أو صرنا في هذا اليوم عند ملك أجل من كسرى أبي ساسان وأولاده وملكا نصب على التمييز ويجوز أن يكون تعلق البيت بالذي قبله.

يقول: ما لبسنا فيه الأكاليل عند ملك هذه حاله، حتى لبستها تلاعه ووهاده.

عربيٌّ لسانه فلسفيٌّ رأيه فارسيّةٌ أعياده

يعني: أنه فصيح اللسان فكأنه عربي، ورأيه رأى الفلاسفة في الحكمة، وأعياده أعياد العجم.

كلّما قال نائلٌ: أنا منه سرفٌ، قال آخرٌ: ذا اقتصاده

يعني: كلما أعطى عطاءً تستعظمه الناس ! ويقولون: هذا سرف أتى بعده بعطاء آخر أعظم منه، حتى يرى الناس أن الأول كان اقتصادا، وهذه عادته أبداً، فليس لعطائه حد. فنسب القول إلى النائل مبالغة.

كيف يرتدّ منكبي عن سماءٍ والنّجاد الّذي عليه نجاده ؟ !

النجاد: حمائل السيف.

يقول: كيف لا يبلغ منكبي السماء، وعليه نجاد ابن العميد ؟! أي كيف لا أبلغ السماء عزاً وشرفاً، وقد تقلدت بسيفه.

وقيل: أراد أن ابن العميد بلغ السماء طولا، فكيف لا أبلغ السماء وقد لبست نجاده ؟ وقوله: كيف يرتد أي كيف يقصر منكبي عن بلوغ السماء ؟ والهاء في عليه للمنكب وفي نجاده للممدوح.

قلّدتني يمينه بحسامٍ أعقبت منه واحداً أجداده

الهاء في منه للسيف وكذلك في أجداده.

يقول: قلدني سيفاً لا نظير له في السيوف وقوله: أعقبت منه معناه أن السيف ينسب إلى الهند، كما ينسب الرجل إلى أجداده، فكأن الهند أجداد هذا السيف، فلم يعقب رجال الهند منه إلا واحداً: أي لم يطبع له نظير.

وقيل: إن الهاء منه للممدوح وهو المراد بالحسام وشبهه به لمضائه فكأنه.

يقول: أعقبت أجداده منه واحداً لا ثاني له.

كلّما استلّ ضاحكته إياةٌ تزعم الشّمس أنّها أرآده

الإياة: ضوء الشمس. والأرآد: جمع الرئد، وهو الترب. والهاء في أنها للشمس وفي أرآده للسيف.

والمعنى: كلما استل السيف قابلته الشمس بآياها وزعمت أها تشبه لونه في صفائه وبريقه.
شبه إياة الشمس، بالسيف وبريقه.
وقيل: الهاء في أها للإياءة، وفي أرآده للشمس، وذكره لأن تأنيثها ليس بحقيقي ولا علامة فيه اضطرارا للقافية.
أي: تزعم الشمس: أن إياة الشمس وضوءها مثل ضوئه في المنظر.

مثّلوه في جفنه خشية الفق د ففي مثل أثره إغماده

أثر السيف وأثره: جوهره، وكان على جفن هذا السيف فضة منقوشة بالسواد.
يعني: أن الصاغة مثلوا هذا السيف في جفنه: أي جعلوا مثالاً في غمده له، لئلا يغيب عن عينهم لحسنه، فهو مغمد في جفن يشبه رونقه وجوهره؛ لأن الفضة التي عليه إذا جليت وصقلت أشبهت رونق السيف، فكأنه مجرد وهو مغمد، وصاحبه ينظر إليه ولا يفقد حسنه ولا رونقه.

منعلٌ لا من الحفا ذهباً يح مل بحراً فرنده إزباده

نعل السيف: الحديدة التي في أسفل غمده. والفرند: جوهر السيف وخضرته.
يقول: غمد هذا السيف منعل ذهباً، ولم ينعل لأجل الحفاء، وهذا النعل يحمل سيفاً كالبحر في كثرة مائه، ولما جعله بحراً جعل جوهره عليه بمترلة الزبد فوق البحر.
يقول: هو بحر ولكن زبده فرنده.

يقسم الفارس المدجّج لا يس لم من شفرتيه إلاّ بداده

البداد: بداد السرج وهو الذي عليه من الجانبين، وقيل: هو الفخذان. والمدجج: تام السلاح.
يقول: إذا ضرب فارساً قطعه نصفين مع فرسه، فلا يسلم منه إلا البداد؛ لانحرافه عن وسط السرج، وقوله: من شفرتيه يريد بأي شفرتيه ضرب.

جمع الدّهر حدّه ويديه وثنائي فاستجمعت آحاده

آحاده: أي غرائب الدهر التي لا نظير لها، والهاء في حده للسيف وفي يديه للممدوح وفي آحاده للدهر.
يقول: جمع الدهر بين حد هذا السيف في نفاذه، ويدي ابن العميد في سخائه وثنائي في فصاحته. وكل واحد غريب. ومعناه: لا نظير له، فاجتمعت آحاد الدهر وغرائبه.

وتقلّدت شامةً في نداه جلدها منفساته وعتاده

الهاء في نداه ومنفساته وعتاده للممدوح. والمنفسات: كل شيء شريف نفيس.

يعني: أن هذا السيف في جملة ما أعطانيه من منفساته وذخائره، مثل الشامة في الجسد. لما جعل السيف شامة جعل المنفسات جلداً لها؛ لأن الشامة لا تكون إلا على الجلد.

وقيل: عنى بالجلد، غمد السيف وحليته. جعل السيف كالشامة لوضوحه في جملة ما أعطاه، وأراد أن السيف قيمته دون قيمة جفنه، لما عليه من الحلية، فهو وإن كان نفيساً فحليته أنفس منه ! والهاء في منفساته وعتاده عائدة إلى الندى. وقيل إن الهاء عائده إلى الشامة، وذكره لما أراد به السيف.

وقيل: أراد بالجلد، ما يلي هذا السيف من عطاياه المتقدمة والمتأخرة. جعلها كالجلد حول الشامة.

وقيل: أراد بالجلد ظاهره الذي عليه الفرند لأن أنفس ما في السيف فرنده.

فرّستنا سوابقٌ كنّ فيه فارقت لبده وفيها طراده

فرستنا: أي جعلتنا فوارس والهاء في فيه للندى وفي فيها للسوابق وكن فعل السوابق.

يعني: علمتنا الفروسية خيل سوابق كن في نداه وقوله: فارقت لبده أي انتقلت من سرج ابن العميد، وصارت تحت سرجي.

يعني: هي وإن خرجت من ملكه وفارقت سروجه، فإنها لم تفارق من تعب طراده؛ لأني أقاتل عليها بين يديه، وأسير عليها معه حيث سار. وقوله: فيها طراده: أي عليها طراده، والهاء في لبده وطراده لابن العميد.

وقيل: معناه أنها وإن كانت غير سائرة فذكرها سائر في الأرض، وقيل: أراد أن هذه الخيل تغيظ الحساد وتغير على الزمان، فكأنها في طراد، وإن كانت مستريحة.

ورجت راحةً بنا لا تراها وبلادٌ تسير فيها بلاده

يقول: إن الخيل لما انتقلت إلي، رجت أن تستريح من إتعابه إياها، وليست ترى ذلك ما دمت أنا أسير في بلاده، لأني ما دمت عنده فأنا متصرف بحكمه فكأنها لم تخرج عن ملكه.

وقيل: أراد أنا لا نزال نعدو معه في غزواته، ونطارد عليها معه، إذا ركب إلى الصيد، فلا تستريح ما دمنا في خدمته، فهي إذاً لا تستريح أبداً لأنا لا نفارق خدمته أبداً.

هل لعذري إلى الإمام أبي الفضـ ل قبولٌ سواد عيني مداده

الهاء في مداده للقبول. والجملة صفة له.

يقول: هل يقبل عذري في قصوري عن خدمته، ولو قبل عذري لكتبت قبوله بسواد عيني وجعلته مداداً لكتبته، لعظم موقعه لدي.

وقيل: الهاء راجعة إلى الممدوح، يريد على وجه الدعاء كأن سواد عيني مداداً يكتب به هو

أنا من شدة الحياء عليلٌ مكرمات المعلّه عوّاده

الهاء في المعله وعواده للعليل.

يقول: أنا عليل من فرط حيائي. حيث قصرت في خدمته وقد أخجلني بانتقاده شعري وقد أعلني وجعل مكارمه عوادي.

وقيل: المعنى اعتللت من شدة الحياء، والذي أعلني هو ابن العميد، لأنه أكثر من مكرماته ومواهبه، حتى أدى ذلك إلى الفرح الغالب علي، وأدى ذلك إلى الحياء في تقصيري، ولولاه لما كنت ذا حياء، غير أنه جعل مكرماته متجددة عندي فجعلها بمنزلة عوادي.

ما كفاني تقصير ما قلت فيه عن علاه حتّى ثناه انتقاده

ثناه: أي جعله ثانياً. وروى ثناني: أي صرفني.

يقول: كنت قد خجلت من تقصيري في خدمته، فزادني خجلا حين انتقد علي عشري، فلم يكفني قصوري عن وصفه وتقصيري في خدمته، حتى انضم إليه انتقاده.

إنّني أصيد البزاة ولكن ن أجلّ النّجوم لا أصطادّ

يعني: أنا أبلغ الشعراء وأقدرهم على الوصف، ولكن معالي ابن العميد أعجزتني عن إدراكها، فلست أصل إلى وصفها، كالبازي لا يمكنه أن يصيد أجل النجوم وهو الشمس.

ربّ ما لا يعبّر اللّفظ عنه والّذي يضمر الفؤاد اعتقاده

يقول: رب معنى له قد استقر في قلبي، غير أن عبارتي تقصر عنه ولا تلحقه، وأنا أصفه بقلبي، وإن قصر اللفظ عنه.

ما تعوّدت أن أرى كأبي الفض ل وهذا الّذي أتاه اعتياده

يقول: لم أمدح مثل أبي الفضل، إذ لم أشاهد له مثالاً؛ فلذلك قصرت عن كنه وصفه، وهذا الذي أتى به من الكرم والجود هو عادة طبع عليها، لا تكلف فيها.

وقيل: معناه ما رأيت مثله ومثل انتقاده، وهو قد رأى مثلي، وما أتاه من انتقاد شعري عادته، وقد

فعل قبل ذلك كثيراً.

وهذا يدل على تحرزه من ابن العميد والإقرار له بالفضل.

إنّ في الموج للغريق لعذراً ... واضحاً أن يفوته تعداده

يعني: قد غرقت في بحر جودك فاعذرني إن عجزت عن إحصائه؛ فإن الغريق معذور إذ لم يقدر على عد أمواج البحر.

وقيل: إن فضائله غرقت فكري، فلم أقدر على وصفها حق الوصف، فكأنها موج وكأنني غريق فيه، لا يمكنني تعداده.

للنّدى الغلب أنّه فاض والشّعـ ... ـر عمادي وابن العميد عماده

الهاء في عماده للندى.

يقول: الغلب للندى حيث فاض علي وغشني بكثرته، لأن عماده ابن العميد، وعمادي الشعر، فمادة الندى أغزر من مادة الشعر.

نال ظنّي الأمور إلاّ كريماً ... ليس لي نطقه ولا فيّ آده

الآد والأيد: القوة، والظن ها هنا: العلم.

يقول: قد أحاط علمي بجميع الأمور، غير ابن العميد، فإن علمي لا يحيط بوصفه، ولا في قوة لاستنباط معانيه، ولا تقوم عبارتي بمدحه.

وقيل: أراد لم يجر في وهمي أني أرى إنساناً ليس لي مثل بلاغته وقوته. يعني: لم يكن في ظني أن في الدنيا أحداً أقصى مني، حتى رأيت ابن العميد. والهاء في نطقه وآده للكريم.

ظالم الجود كلّما حلّ ركبٌ ... سيم أن يحمل البحار مزاده

ظالم: نصب لأنه نعت لقوله: إلا كريماً.

يعني: أن جوده يظلم قصاده؛ لأنه يكلفهم أن يحملوا البحار وهي جوده في مزاودهم وهذا ظلم، لأن أحداً لا يقدر عليه.

غمرتني فوائدٌ شاء فيها ... أن يكون الكلام ممّا أفاده

يقول: أفادني فوائد، حتى جعل فيها كلامه: أي تعلمت منه حسن القول، فصار ذلك من جملة ما غمرني من فوائده.

ما سمعنا بمن أحبّ العطايا ... فاشتهي أن يكون فيها فؤاده

يعني: أن كلامه نتيجة عقله ومادة قلبه، فإذا أفاده إنساناً فكأنه أفاده قلبه، وما سمعنا بأحد يهب قلبه في مواهبه.

خلق الله أفصح النّاس طرّاً   في مكانٍ أعرابه أكراده

يقول: خلق الله تعالى ابن العميد أفصح الناس، في بلاد ليس فيها إلا الأكراد، والأعراب فيها غير الأكراد. وهذا أبين لفضله لأنه مقرون بضده.

وأحقّ الغيوث نفساً بحمدٍ   في زمانٍ كلّ النّفوس جراده

أحق نصب لأنه مفعول خلق الله يعني: خلق الله تعالى منه غيثاً في زمان كل الناس فيه جراده. والهاء للزمان.

يعني: هو بمنزلة الغيث، والناس كالجراد يفسدون الزرع ويخربون البلاد، فهو أولى بالحمد من كل أحد؛ لأنه ينفع وغيره يضر. وهذا كقول أبي عينية يهجو يزيد بن خالد ويمدح أباه:

أبوك لنا غيثٌ نعيش بسيبه   وأنت جرادٌ لست تبقى ولا تذر

مثلما أحدث النّبوّة في العا   لم والبعث حين شاع فساده

الهاء في فساده للعالم.

يقول: أوجدك الله تعالى في هذا الزمان بعد ما شاع فيه البخل والفساد، كما بعث الله تعالى الأنبياء حين شاع في العالم الكفر والفساد، وهذا كقول الفرزدق:

جعلت لأهل الأرض عدلاً ورحمةً   على فترةٍ والنّاس مثل البهائم

كما بعث الله النّبيّ محمّداً   على فترةٍ والنّاس مثل البهائم

زانت اللّيل غرّة القمر الطّا   لع فيه، ولم يشنها سواده

الهاء في سواده لليل. يعني: أنك زنت زمانك بمحاسنك، ولم يضرك لؤم أهله وفسادهم، كما أن البدر يزين الليل بضيائه، ولا يضره سواد الليل.

كثر الفكر كيف نهدي كما   أهدت إلى ربّها الرّئيس عباده

يقول: كثر فكري فيما أهديه إلى ابن العميد في يوم النيروز، كما تهدي إليه عبيده.

لما جعله رباً جعل الناس عبيداً له، تفخيماً وتعظيماً.

والّذي عندنا من المال والخي   ل فمنه هباته وقياده

يعني: فكرت فلم أجد شيئاً أهديه إليه؛ لأن جميع ما عندي من المال فمن مواهبه، وجميع خيلي مما قاده إلي، فلم أدر ما أهدى إليه.

فبعثنا بأربعين مهاراً ... كلّ مهرٍ ميدانه إنشاده

يقول: فلما لم أجد ما أبعثه إليه، بعثت بأربعين بيتاً، كأنها أربعون مهراً، وميدان كل بيت منها إنشاده، لأنه إذا أنشد عرف قدره، كما أن المهر إذا جرى عرق عتقه.

وقوله: بأربعين مهاراً ليس بجيد؛ لأن المفسر بعد مثل هذه العقود يكون بلفظ الواحد.

عددٌ عشته يرى الجسم فيه ... أرباً لا يراه فيما يزاده

يعني: إنما جعلت هذه القصيدة أربعين بيتاً، لأن الأربعين عدد سني الشباب، فإذا تجاوزها الإنسان تناقصت قواه، فالجسم يرى في الأربعين من استكمال القوة ما لا يراه فيما يزاد عليه.

يعني: لم أزد على الأربعين لتكون القصيدة بعيدة عن النقص، حاصلة على غاية الكمال.

فارتبطها فإنّ قلباً نماها ... مربطٌ تسبق الجياد جياده

نماها: أي نشأها وصنعها.

يقول: ارتبط هذه المهار، فإنها قيدت إليك، وقلبي الذي أنشأها وأحكمها مربط تسبق خيله سائر الخيل.

لما جعل الأبيات مهاراً، جعل قلبه مربطاً لها، لأنها صدرت عنه. واحتفظ بشعري فإنه يفوق كل شعر.

د الجواب يذكر سروره بأبي الطيب والشوق إليه، وأبياتاً نظمها في وصف ما سمع من قبله، وطعن فيها على بعض المتعرضين لقول الش

يقول: ورد كتاب يقوم مقام الكتب كلها، ثم قال: جعل الله يد كل كاتب فداءً ليده.

وقيل: معنى المصراع الأول: مثل معنى المصراع الثاني. فقوله: بكتب الأنام كقوله: بنفسي أي جعل الله جميع كتب الأنام فداء لكتابه، وأيديهم فداءً ليده.

يعبّر عمّا له عندنا ... ويذكر من شوقه ما نجد

يقول: هذا الكتاب يعبر عما عندنا من المحبة، ويذكر من الشوق مثل ما أجده في قلبي إليه.

فأخرق رائيه ما رأى ... وأبرق ناقده ما انتقد

أخرق وأبرق: أي حير.

يقول: لما فض هذا الكتاب حير من رأى خطه، وأدهش من انتقد لفظه. وفاعل أخرق وأبرق ما.

إذا سمع النّاس ألفاظه خلقن له في القلوب الحسد

يقول: إن الناس إذا سمعوا ألفاظه أحدثت ألفاظه الحسد في قلب من حسده، فكل من قرأه حسده على فصاحته.

فقلت وقد فرس النّاطقين: كذا يفعل الأسد ابن الأسد

فرس الناطقين: أي غلبهم وقهرهم، كما يقهر الأسد فريسته، أي لما رأيته وقد حير كل ناطق، قلت: هكذا يكون من ورث البلاغة من آبائه وأجداده.

وأحضرت مجلس الأستاذ أبي الفضل مجمرة قد حشيت بنرجس وآس، حتى خفيت نارها، فكان الدخان يخرج من خلال ذلك، فأنشأ يقول:

أحبّ امرئٍ حبّت الأنفس وأطيب ما شمّه معطس

المعطس: الأنف. وتقدير البيت: هذا أبو الفضل أحب امرئٍ أحبته الأنفس وهذا البخور أطيب شيء شمه المعطس.

ونشرٌ من النّدّ لكنّما مجامره الآس والنّرجس

أي: وأطيب ما شمه معطس: نشر من الند ولكنه في مجمرة من بخور. جعلها لذلك مجامر، وهي مجمرة واحدة.

ولسنا نرى لهباً هاجه فهل هاجه عزّك الأقعس ؟ !

الأقعس: الثابت الممتنع وهاء هاجه للند.

يقول: لسنا نرى ناراً تحرقه وتهيج رائحته، فلعل عزك هاجه، حتى انتشر ريحه.

وإنّ القيام الّتي حوله لتحسد أرجلها الأرؤس

القيام: جمع قائم.

يقول: إن الغلمان والخدم القيام تشتهي رءوسها أن تباشر الأرض في الوقوف بين يديك تشرفاً بخدمتك، فتحسد الأرجل لذلك.

وقيل: أراد أن الرءوس تحسد الأرجل؛ لأنها تمنت أن تسعى في خدمتك كما تسعى الأرجل.

وقال أيضاً يمدحه ويودعه فيها، لما أراد الخروج إلى عضد الدولة في شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلاث مئة:

نسيت وما أنسى عتاباً على الصّدّ ولا خفراً زادت به حمرة الخدّ

الخفر: الحياء، والصد: يجوز أن يكون من المتنبي، ويجوز أن يكون منها، وهو الأولى؛ ولهذا زادت حمرة وجهها عند عتابه إياها.

يقول: نسيت كل شيء مر علي ولم أنس عتابي لحبيبتي على صدها، أو عتابها إياي على صدي عنها، وكذلك لا أنسى حمرة وجهها التي زادت من الحياء.

وروى: نسيت على ما لم يسم فاعله. أي: نسى عهدي ولم أنس أنا عهدهم.

ولا ليلةً قصّرتها بقصورةٍ أطالت يدي في جيدها صحبة العقد

امرأة قصيرة وقصورة: ممنوعة من التصرف؛ صيانةً لها.

يقول: ولم أنس ليلةً جعلتها قصيرةً بامرأة مقصورة: أي صارت ليلتي تلك قصيرة لطيبها، فعانقتها وأطالت يدي صحبة عقدها في عنقها.

ومن لي بيومٍ مثل يومٍ كرهته قربت به عند الوداع من البعد

أي لما فيه من البعد، فصرت الآن أتمناه، لأحظى فيه بالنظر والتسليم، وقوله: ومن لي بيوم أي من يرد علي مثل ذلك اليوم.

وألاّ يخصّ الفقد شيئاً لأنّني فقدت فلم أفقد دموعي ولا وجدي

أي: ومن لي بألا يخص الفقد شيئاً دون شيء، وإنما تمنيت ذلك، لأني فقدت محبوبي، ولم أفقد دموعي عليه، ووجدي لفراقه، فهلا إذ فقدته فقدت دموعي ووجدي عليه.

تمنٍّ يلذّ المستهام بمثله وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي

الفتيل: الخيط الذي يكون في شق النواة.

يقول: قولي هذا تمن يتلذذ المستهام به، وإن كان لا يغني شيئاً. وجمع بين يجدي ويغني لاختلاف اللفظين.

وغيظٌ على الأيّام كالنّار في الحشا ولكنّه غيظ الأسير على القدّ

أي: وما أقوله غيظ مني على الأيام، وهذا الغيظ تأثيره في كتأثير النار في الحشا. ولكن غيظ لا يغني عن الأيام شيئاً فيغيظني عليها، مثل غيظ الأسير على القد.

وهذا مأخوذ من قول علي رضي الله عنه: غضب الخيل على اللجم.

فإمّا تريني لا أقيم ببلدةٍ فآفة غمدي في دلوقي من حدّي

الدلوق: مصدر دلق السيف من الغمد: إذا انسل من غير أن يسله أحد، وسيف دلوق ودالق: سريع الانسلال.

يقول: إن كنت لا أقيم ببلدة فليس ذلك لأن البلد غير طيب، ولكن آفة ذلك من نفسي؛ لأن بعد همتي لا ترضى بلداً ولا تدعني أستقر في مكان، فأنا كالسيف الذي يأكل غمده فيتسع عليه، فيقلق فيه، كما أن السيف سبب قلقه في جفنه، مضاء حده، كذلك أنا سبب انزعاجي من كل بلدة بعد همتي وشرف مطلبي.

يحلّ القنا يوم الطّعان بعقوتي فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي

يقال: نزل بعقوته: إذا نزل بفنائه قريباً منه وعرض الرجل: موضع المدح والذم. وقيل: أراد ها هنا شرف آبائه.

يقول: إذا أحدق بي الطعن يوم القتال لا أفر منه، مخافة أن يعاب حسبي ولكني أصبر وأمكن الرماح من جلدي حماية لعرضي وحسبي.

تبدّل أيّامي وعيشي ومنزلي نجائب لا يفكّرن في النّحس والسّعد

فالع تبدل: نجائب.

يقول: إن الإبل النجائب تبدل هذه الثلاثة مني، فأكون في راحة وإقامة، ويوماً على خلافها، وتارةً أكون في عيش هنيء، وتارة في جهد، ويوماً في مترلي، ويوماً في آخر.

يعني: أني لا أستقر في كان فإذا هممت بأمر ركبت نجائب، ولم أفكر في طالع نحس أو سعد، ولا يردني عن مرادي نحوسة ولا نحس ولا أبالي به.

وأوجه فتيانٍ حياءً تلثّموا عليهنّ لا خوفاً من الحرّ والبرد

وأوجه: عطف على نجائب: أي تبدل إياي نجائب وأوجه غلمان، قد تلثموا عليها حياءً لصباحتها وطلاقتها، والضمير في عليهن للأوجه. وقيل: حياءً ممن به يتعرضون له بالسبي والغارة، ولم يتلثموا

عليها خوفاً من الحر والبرد.

يعني: أنا أبداً أسير على هذه النجائب مع هؤلاء الغلمان.

وليس حياء الوجه في الذّئب شيمةً ولكنّه من شيمة الأسد الورد

أسد ورد: إذا كان لونه يضرب إلى الحمرة، ولما وصف غلمانه بالحياء بين أن ذلك من وصف الأسد، فكما أن الحياء لا يمنعه من إقدامه، فكذلك حياء هؤلاء. إذ الوقاحة من صفة الذئب، لخسته، والحياء عادة الأسد.

إذا لم تجزهم دار قومٍ مودّةٌ أجاز القنا والخوف خيرٌ من الودّ

أجازه: أي أفضى به إلى الاجتياز.

يقول: إذا لم تمكن هؤلاء الغلمان المودة من الاجتياز بديار قوم، أمكنهم منه القنا: أي إذا عبروا بديار قوم ليس بينهم مودة ومسالمة، عبروا بها قهراً وغلبةً، والخوف خير من الود: أي: إن حصولك على مرامك قهراً أشرف من وصولك إليه مسالمةً ووداً، وهذا مثل قولهم: رهبوت خير من رغبوت.

يحيدون عن هزل الملوك إلى الّذي توفّر من بين الملوك على الجدّ

يعني: هؤلاء الفتيان يحيدون عن الملوك الذين هم أصحاب الهزل، ويقصدون الذي توفر: أي كثر فيه الجد، فرفضوا الهازل وأقبلوا على الجاد يعني ابن العميد.

ومن يصحب اسم ابن العميد محمّدٍ يسر بين أنياب الأساود والأسد

يقول: من سار بذكر اسم ابن العميد، أمكنه أن يمر بين أنياب الحيات، ومخالب الأسود. ولا تتعرض له، هيبةً لابن العميد. وجر محمد بدلاً من ابن العميد ويجوز نصبه على أن يكون بدلاً من اسم.

يمرّ من السّمّ الوحيّ بعاجزٍ ويعبر من أفواههنّ على درد

الوحي: السريع. والدرد: جمع الأدرد، وهو الذي تساقطت أسنانه.

يقول: من صحب اسمه يتخلص من السم الوحي، الذي يكون من الحيات: أي أن الأساود يعجز سمها عنه، فلم تضره، وأمسكت عنه أفواهها الأسود، فلم تعمل فيه، فكأنها ساقطة الأسنان.

كفانا الرّبيع العيس من بركاته فجاءته لم تسمع حداءً سوى الرّعد

يقول: قد صارت الدنيا كلها ربيعاً ببركاته فكفانا هذا الربيع أمر العيس، في طلب العلف والكلأ لها، فما سرنا من الأرض إلا صادفنا فيه الماء والمرعى، فجاءته هذه العيس من غير حداء حاد سوى الرعد.

إذا ما استحين الماء يعرض نفسه　　　كرعن بسبتٍ في إناءٍ من الورد

استحين الماء: عداه بنفسه يقال: استحيته واستحيت منه. السبت: جلود تدبغ بالقرظ فتلين - شبه بها مشافر الإبل لرقتها. وكرعن: أي شربن.

يقول: إنا كنا نسير بين رياض زاهرة، ومياه جارية، فإذا عرض الماء نفسه على الإبل استحيت من كثرة عروضه، وكرعت فيه بمشافر كأنها السبت، في إناء كأنه من الورد، لكثرة الأزهار حوله.

كأنّا أرادت شكرنا الأرض عنده　　　فلم يخلنا جوٌّ هبطناه من رفد

الجو: المتسع من الأرض.

يقول: كأن الأرض أرادت منا أن نشكرها عند الممدوح، فكل موضع نزلناه منها كان فيه رفدها.

لنا مذهب العبّاد في ترك غيره　　　وإتيانه نبغي الرّغائب بالزّهد

يقول: تركنا غيره من الملوك وأتيناه، نبغي أضعاف رفد غيره، كما أن الزهاد تركوا متاع الدنيا ليصلوا إلى نعيم الأبد.

رجونا الّذي يرجونه في كلّ جنّةٍ　　　بأرجان حتّى ما يئسنا من الخلد

يقول: رجونا أن ننال بأرجان جميع ما يرجوه الزهاد في الجنة من النعيم، حتى رجونا الخلود ولم نيئس منه.

تعرّض للزّوّار أعناق خيله　　　تعرّض وحشٍ خائفاتٍ من الطّرد

الطرد: مصدر طردت الصيد، إذا طلبته.

يعني: أن خيله تنظر إلى زواره نظراً شزراً خوفاً من أن يهبها لهم، فكأنها وحش خافت من الطرد، فتمد أعناقها إلى الصائد. وقوله: تعرض للزوار: أي توليهم عرضها: أي جانبها.

وتلقي نواصيها المنايا مشيحةً　　　ورود قطاً صمٍّ تشايحن في ورد

مشيحةً: أي مجدة، وتشايحن: أي أسرعن وجددن في الطيران.

وقيل: مشيحةً: أي مزدحمة، وتشايحن: أي ازدحمن. والورد: الماء بعينه والورود إتيان الماء.

يقول: إن خيله تكره الانتقال عنه إلى زواره، وتسرع إلى الموت بين يديه، كما تسرع القطا إلى ورود الماء.

جعلها صماً لتكون أسرع في طيرانها واقتحامها على الماء؛ لأنها لا تسمع شيئاً يردها عنه. أي تختار لقاء الموت بين يديه على انتقالها من عنده إلى زواره.

وتنسب أفعال السّيوف نفوسها إليه، وينسبن السّيوف إلى الهند

الهاء في نفوسها للأفعال. يعني: أن السيوف إنما تعمل في يده، فأفعالها تنسب إليه فيقال: هذه ضربة عميدية، كما يقال: سيوف هندية.

إذا الشّرفاء البيض متّوا بقتوه أتى نسبٌ أعلى من الأب والجدّ

الشرفاء: جمع شريف، والبيض: الكرام السادة. متوا: أي توصلوا. بقتوه: أي خدمته.

يقول: إذا انتمى الكرام السادة إلى خدمته، كان ذلك لهم أشرف من انتمائهم إلى الآباء والأجداد الشرفاء. فقولهم: فلان خادم ابن العميد، خير له من النسب الشريف!

فتىً فاتت العدوى من النّاس عينه فما أرمدت أجفانه كثرة الرّمد

العدوى: أن يقرب البعير الجرب إلى الصحيح فيصير جرباً مثله.

يقول: كثرت العيوب في الناس وعمهم اللؤم! لكنه قد سار عن لؤمهم ولم تتعد إليه أخلاقهم، فكأن عينه أبت أن تقبل عدوى عيوب الناس إليها.

وضرب الرمد مثلاً لما ذكر العين.

وخالفهم خلقاً وخلقاً وموضعاً فقد جلّ أن يعدي بشيءٍ وأن يعدي

يعني: خالف الناس في خلقه وخلقه وموضعه من الشرف، فلا يلحقه فسادهم ولا يعدي إليه منهم شيء.

يغيّر ألوان اللّيالي على العدى بمنشورة الرّايات منصورة الجند

يغير: أي يجعل سواد الليل بياضاً، ويغيرها عليهم حتى يجعلها كالنهار، بجيوش قد نشروا راياتهم ونصرت جنودهم.

وتغييرهم الليالي: هو أن يقلب سوادها ببريق سيوفهم إلى ضوء النهار أو بالنيران التي ألقاها في ديار عدوهم.

إذا ارتقبوا صبحاً رأوا قبل ضوئه كتائب لا يردي الصّباح كما تردى

الرديان: ضرب من السير السريع.

يعني: أن الأعداء إذا نظروا الصبح، رأوا كتائبه تسبق الصبح، فهي تردى في السير أسرع ما يردى الصباح.

ومبثوثةً لا تتّقي بطليعةٍ ولا يحتمى منها بغورٍ ولا نجد

يعني: ورأوا خيلاً مبثوثة لا يقدر أن يعتصم منها بطليعة من الطلائع، ولا في مكان عال ولا منخفض.

يغضن إذا عدن في متفاقدٍ من الكثر غانٍ بالعبيد عن الحشد

يغضن: أي يختفين ويغللن. في متفاقد: أي يفقد بعضهم بعضاً لكثرتهم.

يعني: أن خيلك إذا عدن من حيث توجهن، غاضت في جيشك كما يغيض النهر في البحر.

وروى: يغرن أي يدخلن فيه. ومنه قولهم: غارت عينه: أي دخلت في الرأس، ثم بين أنه مستغن بكثرة عبيده الذين هم ملكه، عن الجند والحشد.

حثت كلّ أرضٍ تربةً في غباره فهنّ عليه كالطّرائق في البرد

يقول: هو كثير الغزوات، يغزو سائر الأرضين، فلكل أرض تربة في غباره مختلفة الألوان، فإذا مر عسكره بأرض سوداء أو حمراء أو غبراء علاه لون كل تربة من الأرضين، فهو عليه كالطرائق المخططة على البرد.

فإن يكن المهديّ من بان هديه فهذا، وإلاّ فالهدى ذا، فما المهدي ؟ !

يقول: إن كان المهدي الذي ينتظر، من بان هديه وانتشر عدله، فهذا هو ذلك المهدي؛ لظهور طريقته وعدله، وإن لم يكن كذلك، فسيرة هذا الممدوح هي الهدى فما معنى قولنا المهدي بعد هذا !.

يعلّلنا هذا الزّمان بذا الوعد ويخدع عمّا في يديه من النّقد

الهاء في يديه للزمان.

يقول: إن الزمان يعد بخروج المهدي بعد ابن العميد، فكأن الزمان يخدعنا عن هذا الحاصل ويمنينا بالغائب.

هل الخير شيءٌ ليس بالخير غائبٌ أم الرّشد شيءٌ غائبٌ ليس بالرّشد ؟ !

تقديره: هل الخير شيء غائب، ليس بالخير الحاضر، وكذلك في الرشد.

يقول: هل هنا خير ورشد غائبان، غير هذا الخير والرشد اللذين نشاهدهما الآن، حتى ندع هذا الحاضر للغائب الذي لا حقيقة له، فكذلك لا نترك المهدي الحاضر للغائب المنتظر.

ألحزم ذي لبٍّ وأكرم ذي يدٍ   وأشجع ذي قلبٍ وأرحم ذي كبد

الهمزة للنداء، وأكرم: تفخيماً أو تقريراً لمناقيه فكأنه قال: يا أحزم الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس، وأرحم الناس.

وأحسن معتمٍّ جلوساً وركبةً   على المنبر العالي أو الفرس النّهد

الفرس النهد: المشرف.

يقول: يا أحسن من يلبس العمامة في حال ما يجلس على المنبر العالي عند الخطبة، على ما جرت به عادة الملوك في صدر الإسلام، وقيل: أراد بالمنبر: سرير الملك، ويا أحسن من يلبس العمامة في ركوبه على الفرس.

تفضّلت الأيّام بالجمع بيننا   فلمّا حمدنا لم تدمنا على الحمد

يقول: يا أيها الموصوف بالخصال المذكورة، إن الأيام ابتدأتني بالإحسان، فجمعت بيننا، فلما حمدناها لم تدمنا على هذا الحمد، بل أذنت في انصرافي عنك ! وجعل الحمد منهما جميعاً: أي كنت تحب الاجتماع معي، كما كنت أحبه، فلكل واحد منا حمد الأيام على اجتماعه مع صاحبه، وهذا تعظيم منه لأمر نفسه كما هو تعظيم للممدوح.

جعلن وداعي واحداً لثلاثةٍ:   جمالك والعلم المبرّح والمجد

أي جعلن الأيام وداعي وداعاً واحداً، أودع به ثلاثة أشياء في وقت واحد: جمالك، وعلمك، ومجدك.

وقوله: والعلم المبرح أي الزائد على سائر العلوم.

وقد كنت أدركت المنى غير أنّني   يعيّرني أهلي بإدراكها وحدي

أي: أدركت المنى بلقائك، غير أن أهلي يعيروني إذا لم أشاركهم فيما نلته، فأرجع إليهم لأشاركهم.

وكلّ شريكٍ في السّرور بمصبحي   أرى بعده من لا يرى مثله بعدي

المصبح: الإصباح. والهاء في بعده راجعة إلى كل شريك. وفي مثله لابن العميد.

يقول: كل من شاركني من أهلي في السرور بمصبحي عندهم، فإني إذا فارقته رأيت بعده، ولا يرى مثله إذا فارقني، فإني أعتاض عن فراقه ملكاً يغنيني ولا يعتاض هو من فراقي أحداً، فلا أمنعه السرور بما أستفيده.

كأنه يشير إلى أنه يرجع إليه.

فجد لي بقلبٍ إن رحلت فإنّني		أخلّف قلبي عند من فضله عندي

أي: هب لي قلباً أرتحل به عنك، فإني أترك قلبي عندك، من فضلك الذي عندي.

فلو فارقت نفسي إليك حياتها		لقلت أصابت غير مذمومة العهد

أي: لو فارقت نفسي الحياة وآثرتك عليها لصوبت رأيها في اختيارك وما ذممت عهدها في هذه المفارقة.

العضديات

وجه أبو شجاع عضد الدولة بن ركن الدولة في طلب المتنبي، ولم يمكن الأستاذ الرئيس مخالفته، فحمله مكرما فقال المتنبي يمدحه بشيراز، وهي أول ما قال فيه سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

أوه بديلٌ من قولتي واها		لمن نأت والبديل ذكراها

أوه تأوه، وهي كلمة تستعمل على وجه التوجع. واها: كلمة تستعمل للتعجب.

يقول: تألمي الآن بديل من تعجب كان لوصل من نأت عني، وصار ذكراها بدل منها، فأنا اليوم أتوجع من فراقها، بعد أن كنت أتلذذ بوصالها.

وتقدير البيت: قولي أوه بدل من قولي واها. فقولتي مبتدأ وأوه في موضع نصب بقولتي وبديل خبر المبتدأ، وواها في موضع نصب بقولتي وهذا كما نقول: ضربي زيداً بدل من ضربي عمراً.

أوه من ألاّ أرى محاسنها		وأصل واهاً وأوه مرآها

يقول: أنا أتوجع من أجل أني أرى محاسنها بعد ما كنت أتعجب بوصالها، وأصل استحساني، لوصلها فيما تقدم، وتوجعي الآن على فقدها إنما هو مرآها: أي رؤيتها. يعني: فيما تقدم.

أي: لولا أني رأيتها لم أتعجب من حسنها، ولم أتلهف على فراقها.

شاميّةٌ طالما خلوت بها		تبصر في ناظري محيّاها

المحيا: الوجه.

يقول: التي أتوجع من فراقها. هي شامية، وهي التي طالت الخلوة بيني وبينها، فكانت ترى في ناظر عيني وجهها لقربها مني.

فقبّلت ناظري تغالطني		وإنّما قبّلت به فاها

به أي فيه: أي فقبلت من ناظري فاها. يعني: أن ناظر العين كالمرآة إذا قابله شيء انطبعت صورته فيه.

يقول: إنها رأت شكل فمها في ناظري، فغالطتني أنها تقبل عيني، وإنما قبلت شكل فمها، الذي رأته في ناظري.

فليتها لا تزال آويةً وليته لا يزال مأواها

الهاء في ليتها للمحبوبة وفي ليته للناظر.

يقول: ليت هذه المحبوبة لم تزل حالةً في ناظري، وليت ناظري لم يزل محلا لها، وهذا التمني يرجع إلى معنى القرب؛ لأنها لا تحل في ناظره إلا عند القرب، فكأنه يقول: ليتها لم تفارقني ولم تزل قريبة مني، تنظر فمها في سواد عيني.

وروى: لا تزال آويه الهاء للناظر، وذكر الآوى وإن كان من حقه آويته ذهاباً إلى المعنى، كأنه قال: ليتها لم تزل إنساناً أو شخصاً آويه.

كلّ جريحٍ ترجى سلامته إلاّ فؤاداً دهته عيناها

دهته: أي أصابته بداهيةٍ.

يقول: كل مجروح ترجى سلامته واندماله من جرحه، إلا قلباً جرحته عينا هذه المرأة، فإن برأه لا يرجى أبداً.

تبلّ خدّيّ كلّما ابتسمت من مطرٍ برقه ثناياها

يقول: كلما ضحكت من شكواي إليها بكيت استعظاماً لها، فكأن ضحكها سبب جريان دمعي على خدي، ولما جعل دمعه مطراً، جعل لمع ثناياها برق ذلك المطر.

وقيل: أراد إذا ابتسمت فظهرت ثناياها، بكيت شوقاً إلى تقبيلها، فبلت دموعي خدي من مطر صفته ما ذكرنا.

وقيل: أراد إذا ابتسمت أبكتني بحسن مبسمها، تنغيصي بمفارقتها، إذ ذلك مما ينغص الوصل.

وقيل: أراد ابتسامها في حال الهجر الحاصل.

وقيل: أراد حقيقة ذلك، وهو ما يرشف من فيها، فريقها يبل خديه، وهو مطر برقه ثناياها.

وقيل: إنه أراد أنها كانت تقبله، فكلما قبلته بلت بريقها خده، وكثر حتى صار كالمطر.
وقيل: أراد أنها كانت تضحك من محبته فتبرق في وجهه.

ما نفضت في يدي غدائرها جعلته في المدام أفواها

ما بمعنى الذي. وهو مفعول نفضت وفاعله غدائرها.
يقول: جعلت ما نفضت غدائرها من بقايا طيبها في يدي أخلاطا من الطيب في الخمرة، وطيبت الخمرة به.

في بلدٍ تضرب الحجال به على حسانٍ ولسن أشباها

يقول: خلوت بها في بلد، أو هذه في بلد تستتر فيه النساء الحسان بالحجال، غير أن أولئك الحسان لسن يشبهنها في الحسن؛ لأنها تفوقهن في حسنها.
وقيل: أراد وصفهن بالحسن، وأن كل واحدة منهن متفردة بحسن لا يشاركها فيه غيرها.
وقيل: أراد أنهن لا يشبهن غيرهن من النساء في الحسن، بل هن أحسن من غيرهن من الحسان.

لقيننا والحمول سائرةٌ وهنّ درٌّ فذبن أمواها

الحمول بالفتح: الإبل التي عليها الهوادج.
يقول: هن في صفاء بشراتهن كالدر، فلما لقيننا يوم سارت الإبل، بكين جزعاً من الفراق، فذبن وجرين دموعاً، هي كبشراتهن في الصفاء، ونصب أمواها على التمييز وهي جمع ماء في القلة.

كلّ مهاةٍ كأنّ مقلتها تقول: إيّاكم وإيّاها

المهاة: البقرة الوحشية. والمهاة البلورة.
يقول: كل واحدة منهن كأنها مهاة في حسنها وفي عيونها، فكأن مقلتها تحذر الناس فتقول: احذروا صيدها إياكم.

فيهن منّ تقطر السّيوف دماً إذا لسان المحبّ سمّاها

يقول: في هؤلاء النساء امرأة تسفك سيوف قومها دم من يحبها، عند تسميته إياها لعزهم وحميتهم، وأراد بها محبوبته.
وقيل: معناه أن في هؤلاء النساء امرأة تقتلك بجفونها التي هي السيوف، وتريق دمك بعيونها، متى ذكرت أنك تحبها.

أحبّ حمصاً إلى خناصرةٍ وكلّ نفسٍ تحبّ منشاها

يقول: أحب ما بين هذين الموضعين اللذين هما: حمص وخناصرة؛ لأن منشاي كان فيهما، وكل إنسان يحب وطنه الذي نشأ به.

حيث التقى خدّها وتفّاح لب نان وثغري على حميّاها

الحميا: الخمرة، وهي أيضاً سورتها. والهاء في خدها للمحبوبة وفي حمياها للناحية التي بين حمص وخناصرة.

يقول: إني أحب هذا المكان لأني جمعت فيه بين خد المحبوبة أقبلها، وبين تفاح لبنان أتنقل به وبين شرب الخمر أتلذذ بها، والكل متقارب طيباً وطعماً. ولبنان: جبل بالشم، يقال له: جبل لبنان.

وصفت فيها مصيف باديةٍ شتوت بالصّحصحان مشتاها

الصحصحان هنا: موضع بقرب دمشق. وهو في اللغة: المكان المتسع. والهاء في فيها للمواضع التي بين حمص وخناصرة، وفي مشتاها للبادية.

يقول: صفت في هذه المواضع مصيف بادية: أي على رسم العرب بالخروج إلى البادية وأقمت الشتاء بالصحصحان: التي هي مشتى أهل البادية.

إن أعشبت روضةٌ رعيناها أو ذكرت حلّةٌ غزوناها

الحلة: جماعة بيوت العرب، يترلون في مكان واحد.

يقول: صفت وشتوت على هذه الحال، وكنا أهل عز ومنعة، فكلما سمعنا بروضة كثيرة العشب قصدنا إليها، ورعينا إبلنا فيها، وإذا علمنا بحلة غزوناها وأغرنا عليها واغتنمنا أموالها.

أو عرضت عانةٌ مفزّعةٌ صدنا بأخرى الجياد أولاها

العانة: قطعة من حمر الوحش. ومفزعةً: أي مسرعة، لأنها إذا فزعت أسرعت في العدو.

يقول: كنا في تلك الناحية إذا عرضت عانة من الحمير صدنا بأخرى الجياد أي بأردئها: التي تكون متأخرةً عن صواحبها في الجودة، أولى حمير الوحش: وهي السوابق منها.

أو عبرت هجمةٌ بنا تركت تكوس بين الشّروب عقراها

الهجمة: القطعة العظيمة من الإبل. قال الأصمعي: ما بين الأربعين إلى المئة. وتكوس: أي تمشي على ثلاث قوائم عندما عقرناها. والشروب: جمع شرب والشرب: جمع شارب. والعقري: جمع عقير.

يقول: إذا عبرت بنا قطعة من الإبل عقرنا الأدبار، فتكوس بين الشاربين.

والخيل مطرودةٌ وطاردةٌ تجرّ طولى القنا وقصراها

قوله: والخيل مطرودة وطاردة: أي لم تنفك غارة، ومطاردة، فتارةً لنا وتارة علينا. والطولى: تأنيث الأطول: والقصرى: تأنيث الأقصر.

يعجبها قتلها الكماة ولا ينظرها الدّهر بعد قتلاها

ينظرها: يؤخرها.

يقول: يعجب الخيل قتلها الكماة، ثم لا تلبث أن تقتل بعدها طلباً للثأر.

وقيل: أراد بالخيل أصحابها.

والمعنى: أنها إذا قتلت أعداءها أعجبها ذلك، وهي بعد ذلك لا يمهلها الدهر بعد من قتلت. أي: أصحاب الخيل، لأن العاقبة إلى الفناء.

وقد رأيت الملوك قاطبةً وسرت حتّى رأيت مولاها

يقول: رأيت الملوك كلهم، والآن رأيت عضد الدولة الذي هو سيد الملوك.

قال ابن جني: بلغني أن سيف الدولة قال لما سمع هذا البيت: أترى نحن في الجملة ؟!

ومن مناياهم براحته يأمرها فيهم وينهاها

يقول: إن الموت تحت يده وطاعته! فهو متى شاء يأمر ملك الموت في الملوك وينهاه عنهم! أي يملك أرواح الملوك إن شاء أهلكهم وإن شاء أمهلهم.

أبا شجاعٍ بفارسٍ عضد ال دولة فنّاخسرو شهنشاها

هذه الأوصاف، والكنية، والاسم، نصب بدلاً من مولاها ومن روى: أنه منادي قال: أبو شجاع كنيته، وشهنشاه لقبه، وفناخسرو اسمه، وفارس مقره. أي: لقيته بفارس.

أسامياً لم تزده معرفةً وإنّما لذّةً ذكرناها

نصب أسامياً بفعل مضمر. أي ذكرت أساميا.

يقول: لم أذكر هذه الأسامي لزيادة معرفة بها، إذ هو بذاته وصفاته مشهورة، وإنما ذكرناها التذاذاً بذكرها.

تقود مستحسن الكلام لنا كما تقود السّحاب عظماها

عظماها أي معظمها. والهاء للسحاب وتقود فاعله ضمير الأسامى.

يقول: إن أساميه المذكورة، ومساعيه المشهورة، تقود لنا مستحسن الكلام في مدحه، كما يقود السحاب بعضه بعضاً وينضم إلى معظمه. وهذا كقول الآخر:

إذا امتنع الكلام عليك فامدح أمير المؤمنين تجد مقالا

هو النّفيس الّذي مواهبه أنفس أمواله وأسناها

يقول: هو كريم شريف الخطر، فلا يهب إلا أنفس أمواله، وأكرم ذخائره. وروى عن عبد الصمد أحد خزان عضد الدولة أنه أمر لأبي الطيب بألف دينار عدداً، وزن سبع مئة، فلما أنشد هذا البيت تقدم إلي بأن أبدلها بألف وازنة.

لو فطنت خيله لنائله لم يرضها أن تراه يرضاها

يقول: إذا رضى فرساً، وهبه لقاصده، فلو فطنت خيله لهذا الرضا منه، لم يسرها أن تراه راضياً بها؛ لأنه إذا رضيها وهبها، وهي لا تحب الانتقال عنه.

لا تجد الخمر في مكارمه إذا انتشى خلّةً تلافاها

خلةً نصب بتجد.

يقول: إن الخمر لا تجد في أخلاقه الكريمة خللاً قبل السكر، حتى إذا شربها تلافته وأزالته.

تصاحب الرّاح أريحيّته فتسقط الرّاح دون أدناها

الأريحية: الاهتزاز للكرم.

يقول: إن أريحيته تهزه للكرم وتعينها الراح، غير أن أدنى تأثير أريحيته، يزيد على أثر فعل الراح فيه.

تسرّ طرباته كرائنه ثمّ يزيل السّرور عقباها

الكرائن: جمع كرينة، وهي الجارية العوادة، والهاء في عقباها للطربات.

يقول: إذا غنت له الكرائن وأطربته، وهب لهن، فسررن بما وصل إليهن، ثم لا يلبثن أن يهبهن لبعض جلسائه، لأنهن مملوكات له، فيزيل سرورهن، فأول الطربات سرهن، وآخرها غمهن.

بكلّ موهوبةٍ مولولةٍ قاطعةٍ زيرها ومثناها

الزير والمثنى من أوتار العود، أي يزيل عقبي الطربات سرور قيانه بكل موهوبة باكية؛ لزوالها عن ملكه، قاطعةً أوتار عودها جزعاً.

تعوم عوم القذاة في زبدٍ من جود كفّ الأمير يغشاها

في زبد: أي في عطاء جم كالبحر المزبد.

يعني: أنه يهبها مع ذخائر أمواله وتغمرها عطاياه، فهي تتقلب فيها، كالقذاة في البحر. والهاء في يغشاها للموهوبة.

تشرق تيجانه بغرّته إشراق ألفاظه بمعناها

يقول: غرة وجهه تزين تيجانه كما تزين معاني كلامه ألفاظه. ينظر إلى قول الآخر:

ومازانها العقد الّذي فوق نحرها ولكن لها نحرٌ يزيّن بالعقد

دان له شرقها ومغربها ونفسه تستقلّ دنياها

الهاء في شرقها ومغربها للأرض وفي دنياها للنفس.

يقول: ملك الأرض شرقها وغربها، ونفسه تستقل له ذلك.

تجمّعت في فؤاده هممٌ ملء فؤاد الزّمان إحداها

يقول: قد اجتمعت في قلبه همم، واحدة منها تملأ الدهر ! فضلاً عن سائر هممه. جعل للزمان فؤاداً ليجانس قوله: في فؤاده همم.

فإن أتى حظّها بأزمنةٍ أوسع من ذا الزّمان أبداها

الهاء في حظها وأبداها للهمم.

يقول: إن كان لتلك الهمم التي في قلبه حظ، فأتى بزمان آخر يسعها. أبداها: أي أظهرها.

يعني: في نفسه همم يضيق الزمان بواحدة منها، فلو وجد أزمنةً أوسع من هذا الزمان تسعها لأبداها.

وصارت الفيلقان واحدةً تعثر أحياؤها بموتاها

الفيلقان: الجيشان، وأنث على معنى الجماعة، وأراد بالفيلقين: أهل هذا الزمان وأهل الأزمنة المتقدمة. أي: الأحياء والأموات.

يقول: إن أتى حظ بأزمنة تسعها أبداها، وأعاد من سلف من الأمم والملوك، وأدخلهم في طاعته، وصار عسكر الأحياء والأموات واحداً في الانقياد له. وتعثر الأحياء بالأموات. وهذا تفسير للهمم التي تجمعت في فؤاده.

ودارت النّيّرات في فلكٍ تسجد أقماره لأبهاها

الهاء في أمّها للأقمار، ويجوز أن تكون للنيرات. يعني: لو أظهر تلك الهمم لخضعت له ملوك الدنيا واجتمعت، كلهم في وقت واحد، فتسجد أقمار الفلك لأمّها وهو الشمس. جعل سلطانه فلكاً يشتمل على الأرض وملوكها، كما يشتمل الفلك على العالم، وجعل الملوك أقماراً وهو شمساً.

الفارس المتّقي السّلاح به ال ... مثنى عليه الوغى وخيلاها

خيلاها أي عسكراها، وهي تثنية الخيل. والهاء للوغى؛ لأنه في معنى الحرب. وروى: المتقي بفتح القاف، أي يتقي به من أثر السلاح، وتثني عليه الحرب وعسكراها. أي: عسكره وعسكر العدو.

لو أنكرت من حيائها يده ... في الحرب آثارها عرفناها

الهاء في حيائها وآثارها لليد وفي عرفناها للآثار.

يقول: لو أنكرت يده من فرط حيائها آثارها في الحرب؛ لعلمنا أنه فعله، لأن أحداً لا يقدر أن يفعل مثل فعله.

وكيف تخفي الّتي زيادتها ... وناقع الموت بعض سيماها

زيادة اليد: اسم لما تحمله اليد، زائداً على ما جرت عادتها بحمله.

وقيل: الزيادة: السوط. التي ترجع للآثار. والهاء في زيادتها لليد وفي سيماها للزيادة. والموت الناقع: السريع. وقيل: الثابت.

يقول: كيف تخفي آثار يده ؟! وما تفعله بزيادتها هو الموت الناقع، وهو علامة من علامات زيادة يده، فإذا ضربت بالسيف كيف يخفي آثارها ؟!.

الواسع العذر أن يتيه على الدّ ... نيا وأبنائها وما تاها

ما للنفي وتاه فعل: أي لم يته.

يقول: لو تاه على الدنيا وأهلها، كان له في ذلك أوسع عذر، لأنه ملكها وأهلها، وهو مع ذلك لم يته تواضعاً منه.

لو كفر العالمون نعمته ... لما عدت نفسه سجاياها

يقول: هو ينعم على الخلق عامةً، فلو جحد الخلق نعمه عليهم ما ترك عادته في الجود. وقوله: لما عدت: أي ما تجاوزت نفسه عادتها في الجود.

كالشّمس لا تبتغي بما صنعت ... منفعةً عندهم ولا جاها

يقول: هو في شمول نعمته كالشمس أي: لأنها تشرق بطبعها، ولا تريد من الناس شكراً ولا أجراً من منفعة أو جاه، فكما لا يتصورون فيها ذلك فكذلك حاله.

ولّ السّلاطين من تولاّها والجأ إليه تكن حديّاها

أي متحدياً للسلاطين، ونظيراً لها. والهاء ترجع إلى السلاطين.

يقول: دع السلاطين مع من تولاهم، وانضم إليه تصر من جملتهم، والهاء ترجع إلى عضد الدولة، تكن نظير السلاطين ومبارياً لهم ومتطاولاً عليهم. خاطب بهذا نفسه أو صاحبه.

ولا تغرّنّك الإمارة في غير أميرٍ وإن بها باهي

الهاء في بها للإمارة وباهي فاعل من البهاء.

يقول: دع السلاطين ولا تغتر بما تراه من مباهاتهم بالإمارة، فليس الأمير في الحقيقة إلا من هو بالصفة المذكورة.

فإنّما الملك ربّ مملكةٍ قد فغم الخافقين ريّاها

يقال: فغمتة رائحة الطيب، إذا ملأت منخره. والريا كل شيء رائحته طيبة. والهاء للمملكة.

يقول: ليس الأمير إلا من ملأت مملكته، رائحتها بين المغرب والمشرق.

مبتسمٌ والوجوه عابسةٌ سلم العدى عنده كهيجاها

يقول: الملك من يحتقر أعداءه ولا يحتفل بهم، فسلمهم وحربهم عنده سواء ويكون مبتسماً في الحرب عند عبوس الشجعان، لا يدخله قلق ولا حرج، وليس ذلك إلا عند عضد الدولة.

النّاس كالعابدين آلهةً وعبده كالموحّد الّلاها

يعني: أن الملك في الحقيقة هو الممدوح، فعبده على بصيرة وصواب، كمن يوحد الله تعالى، وعبد غيره من الملوك على باطل وضلالة كمن يعبد الأصنام، التي لا تنفع ولا تضر.

وقيل: معناه من رجا غيره كان ضالاً عن الصواب، بعيداً عن الرشد، كمن يعبد غير الله تعالى، ومن وقف رجاؤه عليه كان مظفراً منصوراً متبعاً للصواب والرشد، كمن يوحد الله تعالى ويتبع الحق.

والمعنيان متقاربان.

وقال أيضاً يمدحه في هذا الشهر، ويمدح ابنيه: أبا الفوارس، وأبا دلف، ويذكر شعب بوان في طريقه :

مغاني الشّعب طيباً في المغاني بمنزلة الرّبيع من الزّمان

المراد بالشعب: شعب بوان، وهو في أرض فارس، شعب بين جبلين طوله أربعة فراسخ، كله شجر وكرم، ولا تقع فيه الشمس على الأرض لالتفاف أشجاره وطيباً نصب على المفعول له، أو على التمييز.

يقول: فضل هذه المغاني في طيبها، كفضل الربيع على سائر الأزمان في الطيب.

ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريب الوجه واليد واللّسان

أراد بالفتى العربي: نفسه.

يقول: أنا غريب الوجه فيها؛ لأنه لا يعرف. وغريب اللسان؛ لا يفهم كلامه. وغريب اليد: يعني أن سلاحه السيف والرمح، وسلاح من بالشعب الحربة ونحوها. ذكره ابن جني.

وقال غيره: إن خطه عربي مثل لسانه، فهو أيضاً غريب وقيل غريب النعمة: أي ليس للعجم سخاء العرب.

ملاعب جنّةٍ لو سار فيها سليمانٌ لسار بترجمان

يقول: هذه المغاني ملاعب الجن؛ لأنهم لا يظهرون؛ لالتفاف الأشجار والكروم، فتسمع أصواتهم ولا ترى أشخاصهم. فشبههم بالجن من هذا الوجه.

وقيل: شبههم بالجن؛ لغموض لغتهم. ثم قال: لو سار فيها سليمان، مع علمه بمنطق الطير وسائر الألسن، لاحتاج إلى الترجمان.

طبت فرساننا والخيل حتّى خشيت وإن كرمن من الحران

طبت: أي استمالت مغاني الشعب فرساننا وخيلنا لطيبها، فلم تبرح منها حتى خشيت عليها الحران، وإن كانت كريمة. والحران: عيب في الخيل، وهو أن تقف ولا تنبعث.

غدونا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان

الجمان: اللؤلؤ الصغار.

يقول: سرنا من الشعب بكرةً، وكان الندى يسقط من أوراق الأشجار على أعراف الخيل، فينتظم عليها مثل الجمان.

وقيل: أراد ما يقع على أعراف الخيل عند نفض الأغصان في خللها من ضوء الشمس.

وقيل: أراد أن الأغصان كان عليها من الورد والياسمين، فشبهه عند تساقطه على أعراف الخيل باللؤلؤ.

فسرت وقد حجبن الحرّ عنّي وجئن من الضّياء بما كفاني

يقول: حجبت الأغصان عني حر الشمس، وجاءت الأغصان من ضوئها في خلل الأوراق بما نحتاج إليه ونكتفي به.

وألقى الشّرق منها في ثيابي دنانيراً تفرّ من البنان

الشرق: الشمس، والهاء في منها للأغصان.

يقول: إن ضوء الشمس يقع على ثيابنا من خلا ل الأوراق قطعاً مدورة كالدنانير، غير أنها كانت تفر من البنان: يعني أن البنان إذا شاء أن يقبض عليها صارت على ظهر اليد، فكأنها فارة من البنان.
وحكى: أن الملك عضد الدولة لما أنشده هذا البيت قال: لأقرنها في يدك.

لها ثمرٌ تشير إليك منه بأشربةٍ وقفن بلا أواني

الأواني: جمع آنية، والآنية: جمع إناء.
يقول: لهذه الأغصان والأشجار ثمر من عنب وغيره، كأنه لرقته وصفائه يشير إليك بأشربة واقفة بغير أوان. شبهها في صفائها بالشراب.

وأمواهٌ يصلّ بها حصاها صليل الحلي في أيدي الغواني

يقول: بهذا المكان مياه شديدة الجري، فكأن صليل حصاها، كصليل الحلي كالأسورة ونحوها في أيدي النساء الحسان. شبه الجداول بمعاصم الجواري الناعمة، وصوت جريانها على الحصا بصوت الحلي في معاصمهن.

ولو كانت دمشق ثنى عناني لبيق الثّرد صينيّ الجفان

الثريد اللبيق والمليق: اللطيف المزين المحسن. والثرد: الثريد. ولبيق: فاعل ثنى واسم كان ضمير المغاني.
يقول: لو كانت دمشق في طيبها، لثنى عناني عنها وجذبني هذا الممدوح، الذي ثرده مليقة، وجفانه صينية.

يلنجوجيّ ما رفعت لضيفٍ به النّيران ندىّ الدّخان

يلنجوجي منسوب إلى اليلنجوج، وهو العود الذي يتبخر به والتاء في رفعت تعود إلى النيران، والهاء في به إلى ما يقول: إن النار التي يوقدوها للأضياف إنما توقد بالعود. والثرد المليقة تطبخ بهذه النار، ودخانها دخان الند.

يحلّ به على قلبٍ شجاعٍ ويرحل منه عن قلبٍ جبان

يعني: إذا حل به أضيافه سر بتزولهم، وقويت نفسه، فلقيهم بقلب شجاع، وإذا رحلوا عنه اغتم وضعف قلبه كقلب الجبان.

وقيل: أراد أن ضيفه يترل به وهو شجاع يعني: الضيف، فإذا رأى داره ورآه في غاية الحسن واللطف، ازداد في العيش رغبة، فيجبن.

منازل لم يزل منها خيالٌ يشيّعني إلى النّوبندجان

النوبندجان بلدة.

يقول هذه المغاني: منازل لا يفارقني خيالها، لحسنها، بل يشيعني حتى وصلت إلى النوبندجان.

وقيل: معناه أن لدمشق منازل لم يزل خيالها يشيعني حتى وصلت إلى النوبندجان فسلوت عنها.

والنوبندجان: مدينة قريبة من شعب بوان في طريق شيراز إذا ارتحلت منها نزلت بالشعب.

إذا غنّى الحمام الورق فيها أجابته أغانيّ القيان

يعني: إذا تغنت الحمام في هذه المغاني على أشجارها، أجابتها القيان بغنائهن.

وفيها يجوز أن يرجع إلى مغاني الشعب، وأن يرجع إلى دمشق.

ومن بالشّعب أحوج من حمامٍ إذا غنّى وناح إلى البيان

يقول: أهل الشعب عجم الأعاجم فلا أفهم غناءهم كما لا أفهم غناء الحمام، فهما سواء بل غناؤهم أحوج إلى البيان من غناء الحمام.

وقد يتقارب الوصفان جدّاً وموصوفاهما متباعدان

يقول: أهل الشعب والحمام، وإن كانا متباعدين في الأشخاص، لاختصاصهم بالإنسانية دونها، إلا أن أوصافهما في الاستعجام متقاربة جداً.

يقول بشعب بوّانٍ حصاني: أعن هذا يسار إلى الطّعان ؟!

يقول: لماً رحلت من شعب بوان عاتبني فرسي وقال: تترك مثل هذا المكان في طيبه وحسنه وتؤثر لقاء الأقران ومباشرة الطعان ؟!

أبوكم آدمٌ سنّ المعاصي وعلّمكم مفارقة الجنان

قال لي فرسي: إن مفارقة الجنان صار موروثاً لكم عن أبيكم آدم، فإنه أول من ترك الجنة وخرج إلى الدنيا.

فقلت إذا رأيت أبا شجاعٍ: سلوت عن العباد وذا المكان

يعني قلت لفرسي: إذا لقيت عضد الدولة علمت صواب رأيي، ونسيت هذا المكان وسلوت عن جميع العباد، لما ترى من إحسانه وكرمه.

فإنّ النّاس والدّنيا طريقٌ إلى من ماله في النّاس ثان

يقول: إن الدنيا وجميع أهلها طريق إلى هذا الممدوح، يعبرهم حتى ينتهي إليه، فإنه الغاية التي ليس وراءها مطلب، وليس له ثان في الناس.

له علّمت نفسي القول فيهم كتعليم الطّراد بلا سنان

الكناية في فيهم للناس.

يقول: إنما مدحت الملوك وسائر الناس لأتمرن بالمدح، وأصلح لمدحه إذا وصلت إليه، كما يتعلم الفارس الطراد بالرمح الذي لا سنان عليه.

بعضد الدّولة امتنعت وعزّت وليس لغير ذي عضدٍ يدان

يقول: الدولة إنما امتنعت على أعدائها وعز سلطانها، بعضدها: الذي هو أبو شجاع، ولو لم يكن لها عضد لم يكن لها يدان.

ولا قبضٌ على البيض المواضي ولا حظٌّ من السّمر اللّدان

اللدان: جمع لدن، وهو الرمح اللين. يعني: من لم يكن له عضد، لم يمكنه القبض على السيوف، والطعن بالرماح، لأن قوام الجميع بالعضد.

دعته بمفزع الأعضاء منها ليوم الحرب بكرٍ أو عوان

دعته: أي الدولة دعت عضدها. والهاء في منها للدولة، وقيل: لليد، ودعته: أي سمته.

يعني: أن الدولة سمت أبا شجاع عضدها، وهو مفزع الأعضاء وبه قوامها يعني: لما كانت الدولة تفزع إليه في حروبها كذلك تفزع اليد إلى عضدها، فلهذا سمته عضد الدولة.

فما يسمى كفنّا خسر مسمٍ ولا يكنى كفنّا خسر كان

يعني: أن ليس له نظير، ولا يدركه أحد في الدنيا باسم ولا كنية، ولا أحد يشبهه في ملكه وسلطانه ولا في عدله إلى الناس وإحسانه.

ولا تحصى فضائله بظنٍّ ولا الإخبار عنه ولا العيان

وروى فواضله أي عطاياه.

يقول: لا يحيط الظن مع سعته بأوصافه الجميلة، وعطاياه الجزيلة، وكذا الأخبار والمشاهدة لا يحيطان بها.

أروض النّاس من تربٍ وخوفٍ وأرض أبي شجاعٍ من أمان

أروض: جمع أرض قياسا، وليس بمسموع.

يقول: ممالك غيره من الملوك مضطربة غير آمنة فكأنها مخلوقة من الخوف، كما أنها مخلوقة من التراب، لما كان الخوف لا يفارقها وأرض الممدوح سالمة آمنة، لا يقدر أحد أن يعيث في بلاده، فكأنها مخلوقة من الأمان.

يذمّ على اللّصوص لكلّ تجرٍ ويضمن للصّوارم كلّ جاني

يذم: أي يجعلهم في ذمامه. وقيل: يحرمهم. أي: يعقد الذمة للتجار على اللصوص فيحرمهم بها عليهم، ويضمن لسيوفه أن يقتل بها كل جان.

إذا طلبت ودائعهم ثقاتٍ دفعن إلى المحاني والرّعاني

المحاني: جمع محنية، وهي منعطف الوادي. والرعان: جمع رعن، وهو أنف الجبل.

يقول: إذا أرادت ودائع التجار ثقات يحفظونها، فإن أصحابها يتركونها بهذه المواضع، ولم يتعرض أحد لها، هيبة من عضد الدولة.

فباتت فوقهنّ بلا صحابٍ تصيح بمن يمرّ: أما تراني ؟ !

يقول: باتت أمتعة التجار فوق هذه المواضع مطروحة بلا صحاب تحرسها فكل أحد يمر بها، ولا يتعرض لها فتقول له: أما تراني ؟!

رقاه كلّ أبيض مشرفيٍّ لكلّ أصمٍّ صلٍّ أفعوان

رقاه: أي رقى عضد الدولة، وهي جمع رقية، والأصم: الحية. والصل: ضرب من الحيات من الأصل، ويشبه به الداهية. والأفعوان: ذكر الأفاعي، وهي أخبث الحيات.

يعني: هو يقهر أهل الفساد بالسيوف، كما يقهر الحواء الحية بالرقية، فرقيته سيفه الذي به ترقى كل حية خبيثة أقام السيف مقام الرقية أي لا رقية له إلا السيف كما يقال: عتابك السيف.

وما يرقى لهاه من نداه ولا المال الكريم من الهوان

اللها: العطايا، واحدها لهوة.

يقول: هو يرقى كل مفسد بسيفة، ولا يرقى ماله من سخائه.

حمى أطراف فارس شمّريٌّ يحضّ على التّباقي في التّفاني

يقال: رجل شمري وشمري بكسر الشين وفتحها: إذا كان خفيفاً متشمراً لأموره.

يقول: حمى أطراف فارس رجل ملك مشمر جاد. وهو يحض على التباقي في التفاني: أي يحض أولياءه على إفناء أهل الفساد، ليكون ذلك سبب بقاء أهل الصلاح وهو من قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ".

بضربٍ هاج أطراب المنايا سوى ضرب المثالث والمثاني

يعني: حمى أطراف فارس بضرب، وقيل: الباء متعلق بقوله: يحض أي يحض أصحابه على التباقي في التفاني بضرب لا بمجرد قول، بل بضرب أهاج طرب الموت حتى ثار من مظانه، وهو الضرب بالسيف، وليس هو ضرب للعيدان التي تهيج طرب أصحاب اللهو، والمثاني: جمع مثنى. والمثالث جمع مثلث، وهي الأوتار. أي: همه الحرب وضرب رءوس الأعداء، وليس كغيره من الملوك الذي همه في اللهو والغناء.

كأنّ دم الجماجم في العناصي كسا البلدان ريش الحيقطان

العناصي: جمع عنصوة، وهي الخصلة من شعر الرأس. والحيقطان: ذكر الدراج وريشه ملون.

يقول: من كثرة من قتل من الأعداء قد تساقطت شعورهم من رءوسهم، وهي مخضبة بالدم، فهي حمر مثل ريش ذكر الدراج، فكأن الدم قد كسا الأرض ريش الدراج.

فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان

الهاء في فيها لفارس.

يقول: حمى أطراف فارس من كل لص وداعر، وأمنها من كل خوف، لو طرحت القلوب الواقعة في أيدي أهل العشق فيها، لأمنت من الحدق الحسان، وهذا ضد قوله في بدر.

حدقٌ يذمّ من القواتل غيرها بدر بن عمّار بن إسماعيلا

ولم أر قبله شبلي هزبرٍ كشبليه ولا مهري رهان

يريد: لم أر قبل شبليه شبلي هزبر، فحذف المضاف.

يقول: لم أر ولدي أسد كولدي عضد الدولة، ولا مهرين يراهن عليهما كمهريه. جعله أسداً، وجعل ولديه شبليه، لتشابهما في الشجاعة، وجعل المهرين مثلا لهما، لتساويهما في السبق.

أشدّ تنازعاً لكريم أصلٍ وأشبه منظراً بأبٍ هجان

التنازع: التجاذب.

يقول: هما يتنازعان، أي كل واحد منهما يجاذبه الآخر: يعني. أنهما تساويا فيه. والهجان: الخالص الكريم. وتنازعا ومنظراً نصبا على التمييز.

يقول: لم أر ولدين أشد تشابهاً بأصلهما الكريم أصلاً ومنظراً من ولديه: يعني: أنهما تساويا في مشابهته.

وأكثر في مجالسه استماعاً فلانٌ دقّ رمحاً في فلان

يعني: أنه يكثر الأب في مجالسه ذكر الوقائع ومصارع الأبطال، وهما يسمعان ذلك فقد نشئا عليه، وتعوداه من الصغر.

وأوّل دايةٍ رأيا المعالي فقد علقا بها قبل الأوان

الداية: الظئر.

يقول: أول داية حضنتهما هي المعالي، فتعودا المعالي وربيا عليها.

وروى رأية بالراء وهي فعلة من رأى بمعنى علم.

وأوّل لفظةٍ فهما وقالا إغاثة صارخٍ أو فكّ عاني

يقول: أول ما تلفظا به وتعلماه من الكلام أنهما قالا لأصحابهما: أغيثوا الصارخ وفكوا العاني، أو قالا: نغيث نحن ونفك، أي نشأا على ذلك.

وكنت الشّمس تبهر كلّ عينٍ فكيف وقد بدت معها اثنتان ؟ !

يقول لعضد الدولة: كنت شمسا تبهر الأبصار بنورك، فكيف إذا انضم إليها شمسان منها ؟ حتى صرن معها شموشا ثلاثة.

يعني: كنت تغلب الملوك بفضلك، فكيف وقد صار اثنان يعاونانك ويشدان معاليك ؟ جعله مع ابنيه شموساً.

فعاشا عيشة القمرين يحيا بضوئهما ولا يتحاسدان

القمران: الشمس والقمر.

يقول دعاءً لهما: بقيا بقاء الشمس والقمر، يعمان الناس بفضلهما، من غير أن يحسد أحدهما الآخر، مثل الشمس والقمر، اللذين ينفعان الناس بالنور، ولا يحسد أحدهما الآخر.

ولا ملكا سوى ملك الأعادي ولا ورثا سوى من يقتلان

دعاء له أيضا معهما بالبقاء يقول: لا ملكا إلا ممالك الأعادي، ولا ورثا إلا أسلاب من قتلاه.

يعني: لا ملكا ملكك ولا ورثاك.

وكان ابنا عدوٍّ كاثراه له ياءي حروف أنيسيان

المعنى: أن أنيسيان، تصغير الإنسان، فإذا زدت عليه ياءين فقلت: أنيسيان، فزاد عدد حروفه، وصغر معناه.

فيقول: إن كان لهذا الممدوح عدو، له ابنان فكاثره بهما. فيكونا زائدين في عدده، ناقصين لسقوطهما وتخلفهما عن قدره، كما أن ياءي أنيسيان قد زادتا في عدد حروفه ونقصتا منه وصغرتاه. والهاء في كاثراه للممدح وفي له للعدو.

وقال أبو الفتح ابن جني: حدثني علي بن حمزة البصري قال: كنت حاضراً بشيراز وقت عرضه لهذه القصيدة، وقد سئل عن معنى هذا البيت: قال فالتفت إلي وقال: لو كان صديقنا أبو فلان حاضراً لفسره لهم. يعنيني بالكنية.

قال ابن جني: وقال لي يوما، أتظن أن عنايتي بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه به ؟! ليس الأمر كذلك، لو كان لهم لكفاهم منه البيت. قلت: فلمن هي ؟ قال: هي لك ولأشباهك.

دعاءٌ كالثّناء بلا رياءٍ يؤدّيه الجنان إلى الجنان

يعني: هذا دعاء مني، وثناء عليك، ليس فيه رياء ولا خداع، لأنه صدر عن قلب خالص إلى قلبك الذي يشهد لي دعواي.

وقيل: أراد أن هذا المعنى يؤديه قلبي إلى قلبك، لأنه دقيق، وأنت تفهم بإشارتي إليك.

فقد أصبحت منه في فرندٍ وأصبح منك في عضبٍ يمان

يقول: تكسبت من هذا الممدوح جوهراً نافذا، وفهماً ثاقباً، يغوص في المعنى، كالسيف الذي له الفرند، وتكسب ثنائي منك سيفاً قاطعاً، منه فرنده وماؤه في الأصل جوهر كريم.

وقيل: أراد حصل ثنائي عليك عند مستحقه، فهو عليك كالجوهر في السيف اليماني.

ولولا كونكم في النّاس كانوا هذاء كالكلام بلا معاني

وروى: هراء وهو اللغو الفاسد من الكلام، كما أن الكلام إنما يفيد بالمعنى، فإذا عرى عن المعنى صار لغوا، فأنتم في الناس كالمعنى في الكلام.

وقال يمدحه وقد ورد الخبر بانهزام وهسوذان ويذكر ذلك في جمادى الأولى، وكان ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الري فهزمه وملك بلده:

إثلث فإنّا أيّها الطّلل نبكي وترزم تحتنا الإبل

إثلث: أي كن ثالثا. والإرزام: الحنين.

يقول: أيها الطلل كن ثالثاً في البكاء والحنين على فراق الأحبة، فإنا نبكي وإبلنا ترزم، فابك أنت أيضاً تكن لنا ثالثاً.

أولا فلا عتبٌ على طللٍ إنّ الطّلول لمثلها فعل

الهاء في مثلها ضمير الحالة المضمرة: وإن لا تبك معنا فلا عتب عليك في تركك البكاء.

لو كنت تنطق قلت معتذراً بي غير ما بك أيّها الرّجل

يقول: لو كنت أيها الطلل ناطقاً لقلت معتذراً عن ترك البكاء: إن ما بي غير ما بك أيها الرجل، لأن الذي بي هو الموت، ولا بكاء معه وبك الحياة، فإذا كان تركي البكاء لأجل الموت الحال بي، كنت معذوراً فيه. وقوله: معتذرا نصب على الحال.

أبكاك أنّك بعض من شغفوا ولم أبك أنيّ بعض ما قتلوا

هذا تفسير لقول الطلل: بي غير ما بك.

يقول: لو كان الطلل ممن ينطق لقال لي: إنما بكيت لأنهم شغفوك حباً، ولم أبك لأنهم قتلوني بالرحيل، فلا قدرة لي على البكاء.

يعني: هذا الطلل ارتحل عنه أهله، فبادت رسومه، ودرست أعلامه، ونحن أحياء نشكو الشوق فإذا لم

يبك معنا فهو معذور.

وإنما قال: بعض من شغفوا وبعض ما قتلوا لأن من لما يعقل وما لما لا يعقل.

إنّ الذين أقمت وارتحلوا أيّامهم لديارهم دول

هذا أيضا من كلام الطلل، وقيل: هو خطاب منه لنفسه.

يقول الطلل: إن الذين ارتحلوا وأقمت أنت بعدهم، أو يقول: إن الذين ارتحلوا عن هذا الطلل وأقمت بعدهم أيامهم دول لديارهم، إذا حلوها عمرت وإذا ارتحلوا عنها خربت وزالت دولتهم.

الحسن يرحل كلّما رحلوا معهم وينزل حيثما نزلوا

هذا تفسير لقوله: أيامهم لديارهم دول يعني: أن حسن الطلل بأهله، فكلما حلوا به حسن، وإذا ارتحلوا عنه ارتحل الحسن معهم فهو يترل بترولهم ويرحل برحيلهم.

في مقلتي رشإٍ تديرهما بدويةٌ فتنت بها الحلل

يقول: هذا الحسن الذي يرحل برحيلهم في مقلتي غزال بدوية قد فتنت الحلل بحسنها وملاحتها.

والحلل: جمع حلة، وهي بيوت الأعراب المجتمعة.

تشكو المطاعم طول هجرتها وصدودها ومن الّذي تصل ؟

يصفها بقلة تناول الطعام، وذلك مما يحمد في النساء.

يقول: هي تصد عن الطعام كما تصد عن العشاق. والطعام يشكو هجرها وصدها عنه، فإذا كانت عادتها الصدود عنه مع أن أحداً لا يهجر الطعام فمن الذي تصله هي من الناس ؟! مع وجود هذه العادة فيها.

ما أسأرت في القعب من لبنٍ تركته وهو المسك والعسل

ما بمعنى الذي، وهو في موضع النصب بأسأرت والقعب: القدح.

يقول: إذا شربت لبناً فبقي بعد شربها شيء، فذاك يكتسب من فمها طيبها وحلاوتها، فيصير كالعسل والمسك.

قالت: ألا تصحو ؟! فقلت لها: أعلمتني أنّ الهوى ثمل

الثمل: السكر، والثمل السكران.

يقول: قالت لي المحبوبة: ألا تصحو من هواك ؟! فقلت لها: قد أعلمتني أن الهوى السكر، لأن الصحو إنما يكون عن السكر.

لو أنّ فنّا خسر صبّحكم وبرزت وحدك عاقه الغزل

يقول: إن عضد الدولة - مع اهتمامه بأمر الملك، وقله اشتغاله باللهو والغزل - لو قصد قومك وبرزت أنت وحدك لرددته عن قومك بحسنك وملاحتك.

وتفرّقت عنكم كتائبه إنّ الملاح خوادعٌ قتل

يقول: لو خرجت لعضد الدولة، لفتنته حتى تفرقت عنكم عساكره وكتائبه لاشتغاله بك عن الحرب؛ لأن الملاح خوادع قاتلات.

ما كنت فاعلةً وضيفكم ملك الملوك وشأنك البخل

أتمنّعين قرىً فتفتضحي أم تبذلين له الّذي يسل ؟

يقول: كيف تصنعين لو نزل بك عضد الدولة وهو ملك الملوك، مع ما أنت عليه من البخل، إن منعت قراه تفتضحين، وإن بذلت له ما يسأله منك، تركت عادتك في البخل، فأيهما تختارين ؟

بل لا يحلّ بحيث حلّ به بخلٌ ولا جورٌ ولا وجل

يقول: لا يحل موضعا يحل به عضد الدولة، بخل ولا جور ولا خوف: أي حيثما يحل نفي هذه الأحوال عن أهلها بجوده، وأمنه، وعدله.

وقيل: أراد بالجود ما تستعمله هذه المرأة من المنع والخوف، خوف الرقباء.

ملك إذا ما الرّمح أدركه طنبٌ ذكرناه فيعتدل

الطنب: الاعوجاج.

يقول: إن الرمح إذا اعوج إما صورة أو قصورا عن الحمل فإذا ذكرنا اسمه عند ذلك، زالت عنه الآفة.

إن لم يكن من قبله عجزوا عمّا يسوس به فقد غفلوا

يقول: إن لم يكن لأحد من الملوك قبله مثل سياسته فإما أن يكونوا غفلوا عنها، أو لم يكونوا قادرين عليها، فعجزوا عن إدراكها.

حتّى أتى الدّنيا ابن بجدتها فشكا إليه السّهل والجبل

ابن بجدها: أي العالم بها. والبجدة: دخيلة الأمر.

يقول: لم يكن لأحد قبله مثل سياسته. حتى أتى الدنيا العالم بحقائقها وبواطن أمور أهلها، فشكا إليه أهل السهل والجبل ما قاسوا قبله من الجور، فعمهم بعدله وأزال عنهم كل جور.

شكوى القليل إلى الكفيل له ... ألاّ يمرّ بجسمه العلل

يقول: شكا إليه أهل السهل والجبل ما قاسوا من الجور وغيره، كما يشكو المريض إلى من كفل له ألا يمر بجسمه الأمراض، وهو الطبيب الحاذف بجيمع أنواع الأسقام.

يعني: يزيل آثار الجور ويمحو رسومها، كما يفعل الطبيب الماهر بمداواة العليل.

قالت فلا كذبت شجاعته ... أقدم فنفسك ما لها أجل

فاعل قالت: شجاعته. وقوله: فلا كذبت دعاء له واعتراض بين القول والمقول له.

يقول: قالت شجاعته: أقدم فما لنفسك أجل ولا يدنو منك موت، ثم دعا له بالبقاء فقال: فلا كذبت شجاعته أبداً في قولها: إن نفسه ليس لها أجل.

يعني: إن جرى مثل في الجود والعلم والحلم وكل فضل فهو النهاية في ذلك المثل، وكذلك هو الغاية، إذا قيل: من البطل في الحروب.

عدد الوفود العامدين له ... دون السّلاح الشّكل والعقل

الشكل: جمع شكال، وهو للخيل. والعقل: للإبل، وهو جمع عقال.

يقول: إن عدة الزوار القاصدين إليه هي الشكل والعقل، دون السلاح.

يعني: أنهم إذا قصدوه استعدوا الشكل للخيل، والعقل للإبل، ثقة منهم بتحقيق آمالهم. وقوله: دون السلاح يعني أنه لا يلقاه إلا عاف يستميح، فأما المحارب فلا يجسر على لقائه.

فلشكلهم في خيله عملٌ ... ولعقلهم في بخته شغل

البخت: جمع بختة وهي الجمال الخرسانية.

يقول: إن شكلهم وعقلهم مشغولة بما قاده إليهم من الخيل والإبل، فلا يفضل لهم شكال ولا عقال.

تمشي على أيدي مواهبه ... هي أو بقيّتها أو البدل

روى تمشي وتمسي بالسين.

يقول: تمشي الخيل والإبل على أيدي مواهبه: أي مواهبه تتصرف في خيله وإبله وتلي أمرها. يعني: إن

زاره قوم أعطاهم الخيل والإبل، فإن بقي منها بقية وهبها لقوم آخرين، وإن لم يبق منها شيء، وهب بدلها من سائر الأموال والنفائس.

يشتاق من يده إلى سبلٍ شوقاً إليه ينبت الأسل

السبل: المطر، يريد به هنا الحرب. والأسل: الرماح.

يشتاق هو إلى قتل أعدائه وإراقة دمائهم، والرماح إنما تنبت شوقاً إلى ذلك السبل؛ لأنه يعملها في حروبه، ويريق بها دماء أعدائه. وقيل: أراد بالسبل جود يده.

سبلٌ تطول المكرمات به والمجد لا الحوذان والنّفل

الحوذان والنفل: نبتان طيبان. يعني: هذا السبل ليس بمطر ينبت العشب، ولكنه حرب ينبت به المكارم والمجد.

وإلى حصى أرضٍ أقام بها بالنّاس من تقبيله يلل

اليلل: قصر الأسنان، وقيل انعطافها إلى داخل الفم.

يقول: من كثرة ما قبل الناس الحصى بين يديه، حصل لهم في أسنانهم قصر وانعطاف.

وقال ابن جني: أراد أن الناس لكثرة ما يقبلون الأرض بين يديه حدث بهم انحناء وانعطاف، كما تنعطف الأسنان إلى داخل الفم. قال: وهذا من اختراعات المتنبي.

إن لم تخالطه ضواحكهم فلمن تصان وتذخر القبل ؟

الهاء في تخالطه للحصى.

يقول: إن لم تخالط ضواحك الأسنان الحصى بين يدي عضد الدولة، فلمن يدخرون تقبيل الأرض أي ليس أحد يستحقها غيره.

في وجهه من نور خالقه قدرٌ هي الآيات والرّسل

يقول: ما في وجهه من النور والجمال، يقوم مقام المعجزات التي هي الآيات، وما يأتي به الرسل؛ لما فيه من ظهور قدرة الله تعالى وعظمته فيه.

فإذا الخميس أبى السّجود له سجدت له فيه القنا الذّبل

يقول: إذا امتنع الجيش عن طاعته والسجود له، سجدت له فيه الرماح.

يعني: أن الرماح تنحني لطعن الآبين للسجود، فيجري ذلك مقام سجود الرماح. أي: إن لم يخضع له طوعاً، خضع له كرهاً. والهاء في فيه للخميس.

وإذا القلوب أبت حكومته　　　رضيت بحكم سيوفه القلل

القلل: جمع القلة، وهي أعلى الرأس.

يقول: من لم يرض بحكمه ضرب رأسه بالسيف، فكأنه راض بحكم السيف.

أرضيت وهسوذان ما حكمت　　　أم تستزيد ؟ لأمّك الهبل!!

يقول: هل رضيت يا وهسوذان بما حكمت السيوف فيك ؟ أم تطلب زيادة عليه، ثم دعا عليه بالهلاك فقال: ثكلتك أمك.

وردت بلادك غير مغمدةٍ　　　وكأنّها بين القنا شعل

يقول: إن السيوف وردت بلادك يا وهسوذان وهي مجردة من أغمادها، فكأنها بين الرماح، شعل النيران بين الحطب.

والقوم في أعيانهم خزرٌ　　　والخيل في أعناقها قبل

الخزر: ضيق العينين. والقبل: إقبال إحدى العينين على الأخرى، والخيل تفعله لعزة أنفسها.

يقول: قصدك فرسان خزر العيون؛ لأنهم أتراك، أو فعلوا ذلك غضباً، على خيل عربية عزيزة الأنفس.

فأتوك ليس لمن أتوا قبلٌ　　　بهم وليس بمن نأوا خلل

الأصل: لمن أتوه، ولا بمن نأوا عنه، فحذف الضمير.

يقول: أتاك جيش ركن الدولة ولم يكن لك به طاقة، ولم تقدر على مقاومتهم، ولم يكن بركن الدولة، لما نأى جيشه عنه لمحاربتك خلل. يصف كثرة جيش ركن الدولة.

لم يدر من بالرّيّ أنّهم　　　فصلوا ولا يدري إذا قفلوا

فصلوا: أي ارتحلوا.

يقول: لما فصلوا عن الري لم يعلم بهم أحد، وكذلك إذا رجعوا لا يعلمون برجوعهم؛ لأنهم لا يظهرون في جملة العسكر. ومن بالري قيل: أراد به ركن الدولة. ويجوز أن يريد به أهل الري، إنهم لا يعلمون لهم خروجاً ولا قفولاً.

فأتيت معتزماً ولا أسدٌ ومضيت منهزماً ولا وعل

يقول: لما قصدوك أتيتهم أنت معتزماً، ولا أسد يقدم مثل إقدامك، ثم انهزمت ولا وعل ينهزم مثل انهزامك.

تعطى سلاحهم وراحهم ما لم تكن لتناله المقل

يقول لوهسوذان: تعطي سلاح عساكر ركن الدولة جيوشك فتقتلها، وتعطي راحات أكفهم من ذخائرك وغنائم القتلى وأسلابهم، ما لم تكن العيون تناله لعزته.

يعني: مكنت سلاحهم منكم، وراحهم من أموالكم وذخائركم، فكأنك أعطيتها هذه الأشياء.

قال ابن جني: قوله: وراحهم إشارة إلى الصفع، يعني لصفعوا قفاك وقتلوا خيلك.

أسخى الملوك بنقل مملكةٍ من كاد عنه الرّأس ينتقل

يقول أسخى الملوك من نقل مملكته إلى غيره عندما يخاف أن ينقل عنه رأسه.

يعني: نجوت برأسك وسمحت بمملكتك.

لولا الجهالة ما دلفت إلى قومٍ غرقت وإنّما تفلوا

دلفت: قربت، وقيل: الدلف: المشي الرويد والسريع.

يقول: لولا جهلك لم تقرب من قوم بصقوا عليك فغرقت في بصاقهم، أي انهزمت بيسير من عسكرهم.

لا أقبلوا سرّاً، ولا ظفروا غدراً، ولا نصرتهم الغيل

الغيل: جمع الغيلة، وهي الخديعة.

يقول: لم يقصدوا إليك خفيةً، بل جاءوك مجاهرة، ولا ظفروا بك على سبيل الغدر، لأن هذا مذموم يدل على ضعف الطالب، ولا نصرهم المكر عليك والخديعة.

لا تلق أفرس منك تعرفه إلاّ إذا ما ضاقت بك الحيل

يقول: لوهسوذان: من عرفت أنه أفرس منك فلا تقاتله، إذا ما كان لك حيلة في مسالمته، وإنما تحاربه إذا ضاقت الحيل.

لا يستحي أحدٌ يقال له: نضلوك آل بويه أو فضلوا

نضلوك: أي غلبوك، وأصله في الرمي. يقال: تناضل الرجلان ففضل أحدهما صاحبه. وأتى بعلامة الجمع مع تقدم الفعل على مذهب من قال: أكلوني البراغيث.

يقول: إن الناس قد انقادوا لآل بويه، فلا يستحي أحد إذا قيل له: إن آل بويه غلبوك ونضلوك، وذلك لا يخفي على أحد.

قدروا عفوا، وعدوا وفوا، سئلوا أغنوا، علوا أعلوا، ولوا عدلوا

علوا: من عليت في المكارم، مثل علوت في المكان.

يقول: إذا قدروا على أعدائهم عفوا عنهم عند القدرة، وإذا وعدوا وفوا وأنجزوا، وإذا سألهم سائل أعطوه وأغنوه. ولما ارتفعوا في المكارم شاركوا أولياءهم في معاليهم، ولما ولوا بثوا العدل في الرعية.

فوق السّماء وفوق ما طلبوا فمتى أرادوا غايةً نزلوا

فوق السماء: أي علوا فوق الغايات التي يضرب بها المثل، وعلوا الرتب فإذا أرادوا غاية نزلوا إليها من العلو.

قطعت مكارمهم صوارمهم فإذا تعذّر كاذبٌ قبلوا

تعذر: أي اعتذر كاذب.

يقول: إن كرمهم قد قطع سيوفهم: أي منعها من القتل بالعفو، فإذا اعتذر إليهم مذنب قبلوا عذره، وإن كان كاذباً. كرماً منهم.

لا يشهرون على مخالفهم سيفاً يقوم مقامه العذل

يقول: إذا قدروا على دفع مخالفهم باللوم، لم يشهروا عليه السيف، ولم يتعدوا إلى القتال. يصفهم بذلك لكرم أخلاقهم.

فأبو عليٍّ من به قهروا وأبو شجاعٍ من به كملوا

يقول: إن آل بويه إنما قهروا أعداءهم بأبي علي ركن الدولة، وكمل فضلهم وفخارهم بأبي شجاع عضد الدولة.

حلفت لذا بركات نعمة ذا في المهد: ألاّ فاتهم أمل

يقول: حلفت لأبي علي بركات أبي شجاع أنه يريك فيه جميع آماله: أي كانت مخايل سؤدده لائحة عليه وهو صغير في المهد، فذا الأول لأبي علي، والثاني لأبي شجاع، وقيل المعنى: حلفت لأبي شجاع بركات نعمة أبي علي ألا يتجاوزها الملى، فذا الأول إشارة إلى أبي شجاع والثاني إلى أبي علي.

وقال أيضاً يعزى عضد الدولة بعمته وقد توفيت بمدينة السلام.

آخر ما الملك معزّىً به هذا الّذي أثّر في قلبه

هذا دعاء بلفظ الخبر يعني: جعل الله هذه المصيبة التي أثرت في قلبك آخر ما تعزى به. أي: لا أعادها الله بعد هذه.

لا جزعاً بل أنفاً شابه أن يقدر الدّهر على غصبه

يقول: لو لم يؤثر هذا المصاب في قلبه جزعاً، لكن تداخلته الحمية والأنفة حيث قدر الدهر على غصبه عمته.

لو درت الدّنيا بما عنده لاستحيت الأيّام من عتبه

يقول: لو علمت الدنيا بما عنده من الفضل والمجد، لاستحيت من عتبه عليها؛ لأنها إذا أساءت إليه عتب عليها، لأجل هذه الإساءة.

لعلّها تحسب أنّ الّذي ليس لديه من حزبه

يقول: لعل الأيام ظنت أن من غاب عن حضرته، ليس من حزبه فأقدمت على ذلك لما رأتها بعيدةً عن نصرته.

وأنّ من بغداد دارٌ له ليس مقيماً في ذرا عضبه

الذرا: الناحية.

يقول: لعل الأيام ظنت أن من داره بغداد ليس في حماية سيفه، فلهذا عرضت لعمته لما كانت مقيمة ببغداد.

وقيل: كان ابن معز الدولة مقيماً ببغداد وهو ابن عمه. يعني: أنه في حماية سيفه. والمقصد تفضيله عليه.

وأنّ جدّ المرء أوطانه من ليس منها ليس من صلبه

يقول: لعل الأيام ظنت ألا نسب بينك وبين عمتك لما بعدت عنك، ولم تكن مقيمةً في وطنك الذي من عادتك وعادة أجدادك أن يكونوا فيه، ولعلها ظنت أن القوم يتناسبون بأوطانهم، فمن فارق وطنه لم يكن بينه وبين أهله نسب؛ فلهذا أقدمت عليها لما فارقت وطنك. والهاء في أوطانه للمرء وفي صلبه للجد.

أخاف أن يفطن أعداؤه فيجفلوا خوفاً إلى قربه

يقول: أخشى أن يفطن أعداؤه إلى أن من قرب منه آمن حوادث الدهر، فيسرعون إلى قربه؛ ليحصلوا في ذمته.

لا بدّ للإنسان من ضجعةٍ — لا تقلب المضجع عن جنبه

يقول: لا بد للإنسان من الموت، فعبر عنه بالضجعة، ثم قال: تلك الضجعة لا تقلب المضجع عن جنبه. يعني: لا بد للإنسان أن يرقد رقدة لا ينقلب فيها من جنب إلى جنب، ولا ينتبه منها أبداً. ويعني بها ضجعة القبر.

ينسى بها ما كان من عجبه — وما أذاق الموت من كربه

الهاء في بها للضجعة.

يقول: صاحب هذه الضجعة ينسى بسببها تكبره، وينسى عندها أيضاً ما ذاقه من مرارة الموت؛ لأنه لا يحس شيئاً.

نحن بنو الموتى فما بالنا — نعاف ما لا بدّ من شربه ؟ !

يقول: مات آباؤنا وأجدادنا ونحن نموت أيضاً، فكيف نكره ما لا بد لنا منه !! لأن الفرع يلتحق بأصله ويعود إليه. وقوله: نحن بنو الموتى مأخوذ من قول أبي نواس:

وما المرء إلاّ هالكٌ وابن هالكٍ — وذو نسبٍ في الهالكين عريق

تبخل أيدينا بأرواحنا — على زمانٍ هي من كسبه

يقول: كيف نبخل على الزمان بأرواحنا، وهي له وكسبه على ما جرت به عادة العرب في نسبة الأمور إلى الدهر.

وقيل: أراد أن الإنسان، هذه أحواله إلى آخر تربيته في الزمان، واختلاف أحواله تترتب على اختلاف أحوال الزمان، على ما جرت العادة به، فلهذا نسب أرواحنا إلى الزمان.

فهذه الأرواح من جوّه — وهذه الأجسام من تربه

يقول: أرواحنا من جو الزمان، وأجسامنا من تربه، فنحن مركبون منه؛ وذلك لأن الجسم كثيف والأرض كثيفة، والروح لطيف كالهواء والشيء منجذب إلى شبهه.

لو فكّر العاشق في منتهى — حسن الّذي يسبيه لم يسبه

يقول: لو تفكر العاشق في عاقبة حسن حبيبه الذي يسبي قلبه، فيعلم أنه يصير إلى الدود والتراب، لنفرت نفسه، ولم يسب قلبه.

لم ير قرن الشّمس في شرقه فشكّت الأنفس في غربه

هذا مثل. والمعنى: إذا ولد المولود، علم أنه سيموت لا محالة كما أن الشمس إذا طلعت لا يشك أحد في غروبها.

يموت راعي الضّأن في جهله ميتة جالينوس في طبّه

العرب تضرب المثل براعي الضأن فتقول: أجهل من راعي الضأن.

يقول: لا حيلة لأحد في الموت ! يستوي فيه الأحمق الجاهل، والطبيب العالم فجهل هذا لا يقدم أجله، وعلم الآخر لا يؤخر موته.

وربّما زاد على عمره وزاد في الأمن على سربه

السرب: النفس. والهاء في عمره وسربه ضمير جالينوس.

يقول: ربما عاش الجاهل المخلط أكثر من العالم المهتم وربما زاد أمر الجاهل في نفسه إلى وقت موته على أمر العالم بها.

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه

يقول: عاقبة من بالغ في الاحتراز، وتجاوز الحد في المسالمة وترك الحرب، كعاقبة المبالغ في التغرير بنفسه، والتعرض للحرب. يعني: غاية كل واحد منهما الموت الذي لا محيص لأحد عنه، فما بالنا نجزع منه !

فلا قضى حاجته طالبٌ فؤاده يخفق من رعبه

يقول: إذا كانت الحال هذه، فلا عذر لمن يجزع من الموت، فمن طلب حاجة وخاف الإقدام عليها حتى يخفق فؤاده من خوفه منها، فلا قضيت حاجته ولا بلغها. والهاء للخائف.

أستغفر الله لشخصٍ مضى كان نداه منتهى ذنبه

يعني: لم يكن له ذنب إلا جوده وسخاؤه، فجوده هو نهاية ذنبه. أي: لا ذنب له ومع ذلك أسأل الله له الغفران.

وكان من حدّد إحسانه كأنّما أسرف في سبّه

حدد: إحسانه أي حصره. وقيل: معناه من حدد ذكر إحسانه فحذف المضاف. يعني: أنه كان يكره أن يذكر فضائله، كأنه عنده سبه وذكره بالسوء في وجهه.

يريد من حبّ العلا عيشه ولا يريد العيش من حبّه

الهاء في حبه للعيش.

يقول: كان يحب الحياة ليكتسب فيها المعالي، ولم يكن يريد الحياة لأجل حبها وطلب اللذة فيها.

يحسبه دافنه وحده ومجده في القبر من صحبه

الهاء في يحسبه المفعول الأول ليحسب. والمفعول الثاني وحده.

يقول: من دفنه يحسب أنه دفنه وحده، ولم يعلم أن المجد مدفون معه. أي: قد مات المجد بموته. وقوله: من صحبه يريد أن مجده واحد من أصحابه؛ لأن معه المجد والعفاف والكرم والبر وغير ذلك.

ويظهر التّكير في ذكره ويستر التّأنيث في حجبه

يقول: نكنى عنه بلفظ التذكير إعظاماً له فنظهر التذكير وإن كان في حجبه. أي: هي أنثى مستورة في الحجب.

أخت أبي خير أميرٍ دعا فقال جيشٌ للقنا لبّه

يعني: أن هذا الشخص عمة عضد الدولة، وهو خير أمير دعا جيشه فقال الجيش للقنا: أجبه ولبه. أي: قل له: لبيك.

يا عضد الدّولة من ركنها أبوه والقّلب أبو لبّه

يقول: أنت زين ركن الدولة وكماله، كما أن العقل زين للقلب، فضله على أبيه. يعني: أنت لبه، وهو وعاء لك، والهاء في لبه للقلب.

ومن بنوه زين آبائه كأنّها النّور على قضبه

القضب: جمع قضيب. والنور: الزهر.

يقول: بنوك زين آبائك، يتزينون بهم وبسؤددهم وكرمهم، كما يتزين القضيب بالنور. ولم يجعل أبناءه زيناً له كما جعله زين أبيه، لأنه لم يرد تفضيل أولاده عليه كما فضله على أبيه؛ لما في ذلك من الحط من منزلته. فجعلهم زينا لجدودهم. يعني: أن آباءك يتزينون ببنيك كما تزينوا بك.

فخراً لدهرٍ بتّ من أهله ومنجبٍ أصبحت من عقبه

فخراً: نصب على المصدر، بإضمار فعل. أي: فليفخر الدهر فخراً، حيث صرت من أهله، وليفخر أبوك المنجب فخراً، حيث أصبحت من عقبه.

إنّ الأسى القرن فلا تحيه وسيفك الصّبر فلا تنبه

الهاء في تحيه للأسى، وهو الحزن. ونبا السيف ينبو: إذا لم يقطع، وأنباه صاحبه: إذا ضرب به فلم يقطع في يده.

يقول: إن الحزن قرن من أقرانك، فلا تحيه. أي: لا تمكنه من قلبك، إذ ليس عادتك أن يقاومك قرن، والصبر سيفك الذي تقتل به الأسى فاقتله به ولا تنبه عنه، فليس من عادتك أن ينبوا السيف في يدك.

ما كان عندي أنّ بدر الدّجى يوحشه المفقود من شهبه

الشهب: جمع شهاب، وهو الكوكب، والهاء للبدر، لما جعله بدراً جعل أهله كواكب فقال: إن البدر لا يستوحش من فقد كوكب، فليس ينبغي لك أن تستوحش لفقد واحد منهم.

حاشاك أن تضعف عن حمل ما تحمّل السّائر في كتبه

السائر: الذي حمل الخبر إليه، والهاء في كتبه للسائر.

يقول: كيف تضعف عن حمل هذا الخبر الذي حمله الفيج الذي سار به إليك وتضمنه كتاب ! وقيل: أراد بالسائر: المثل السائر. والمعنى: أن الأمثال قد سارت والأخبار قد تظاهرت بفضل الصبر على المصائب وذكر قوم تحملوا غصصها، ففضلوا بذلك على غيرهم. فقال: حاشاك أن تضعف عما قوى عليه غيرك من الصبر ممن سارت بأخبارهم الصحف والكتب حيث ذكر فيها صبر من صبر.

وقد حملت الثّقل من قبله فأغنت الشّدّة عن سحبه

الشدة: القوة، والهاء في قلبه للمفقود.

يقول: حملت ثقل الشدائد من المصائب وغيرها من الأمور العظيمة، قبل المصيبة بهذا المفقود، فأغنت القوة التي بك عن سحب ما حملته من الشدائد؛ لأن الإنسان إذا ثقل عليه شيء جره وسحبه، فيعود الضمير في سحبه على الثقل.

وقيل: يرجع إلى ما ترجع إليه الهاء في قبله وهو المفقود.

يدخل صبر المرء في مدحه ويدخل الإشفاق في ثلبه

الإشفاق: الجزع.

يقول: المرء يمدح على الصبر، ويذم بالجزع، فإياك أن تجزع إذ ليس من عادتك أن تأتي أمراً تذم عليه.

مثلك يثنى الحزن عن صوبه ويستردّ الدّمع عن غربه

الصوب: الإصابة، وقيل: الصوب: الناحية والقصد. والغرب: مجرى الدمع من العين.

يقول: من كان مثلك رد الجزع عن طريقه وقصده، أو عما يريد إصابته، ويرد الدمع من عينه، ولا يسيل فيدل على جزعه.

إيما لإبقاءٍ على فضله إيما لتسليمٍ على ربّه

إيما: معناه إما. والإبقاء: الرعاية والمحافظة. والتسليم: الرضا بالقضاء.

يعني: مثلك يصبر: إما مراعاةً لفضله كي لا يذم بالجزع، وإما رضاءً بقضاء الله وحكمه.

ولم أقل مثلك أعنى به سواك يا فرداً بلا مشبه

لما قال: مثلك يثنى الحزن أثبت له مثلاً في الظاهر، فاعتذر عنه وقال: لم أرد بقولي: مثلك إنساناً سواك، وإنما أردت أنت الذي تفعل ذلك، ومثل صلة، وزيادة. وهذا مثل قوله:

كفاتكٍ .ودخول الكاف منقصة كالشّمس قلت، وما للشّمس أمثال

وقال أيضاً يمدحه، وقد جلس الأمير عضد الدولة ليشرب في مجلس متخذ له تدور غلمان بأعلاه وتنثر الورد على فرقه من جميع جوانبه، حتى يتورد المجلس ومن فيه، وحضر أبو الطيب فقال ارتجالاً سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

قد صدق الورد في الّذي زعما أنّك صيّرت نثره ديما

الديم: جمع ديمة، وهي المطرة تدوم أياماً.

يقول: صدق الورد في زعمه أنك صيرت منثوره أمطاراً. شبه أوراق الورد في نزوله من أعلى السماء متفرقةً بقطر الأمطار.

كأنّما مائج الهواء به بحرٌ حوى مثل مائه عنما

العنم: نبت أحمر. وحوى: أي امتلأ. والهاء في به للورد.

يقول: كأنما الهواء الذي يموج بالورد بحر ملآن بالعنم، مثل مائه. شبه الصفة بالبحر، والورد بالعنم،

وشبه الورد في الهواء، وموجه فيه، ببحر ماؤه عنم.

ناثره ناثر السّيوف دماً وكلّ قولٍ يقوله حكما

دماً وحكماً نصب على التمييز، ونصب كل قول بفعل مضمر. أي: وينثر كل قول. وقيل: نصبه عطفاً على موضع السيوف معنىً كقوله تعالى: "وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً وَالشَّمْسَ والْقَمَرَ حُسْبَاناً". ويجوز جره عطفاً على لفظ السيوف، غير أنه لما عطف عليه البيت الذي يليه منصوب القافية منع فيه الجر.
يقول: ناثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف دماً. أي: يكسرها على رءوس أعدائه ويطرحها مختضبة بالدم، وإذا قال قولاً ينثر الحكم في كل قول يقوله.

والخيل قد فصّل الضّياع بها والنّعم السّابغات والنّقما

أي ينثر أيضا خيله ونعمه وضياعه. أي: يفرقها ويهبها. يعني: أنه ينثر الخيل منظومة مفصلةً بالنعم والنقم.

فليرنا الورد إن شكا يده أحسن منه من جوده سلما

يقول: إن الورد إن كان يشكو يده في نثرها له، فليرنا الورد أحسن منه، هل سلم من جوده ؟! أي لا معنى لشكايته من يد عادها تفريق ما هو أحسن منه من الذخائر النفيسة، والجواهر الجليلة، فأي قدر للورد عندها.

وقل له لست خير ما نثرت وإنّما عوّذت بك الكرما

أي: قل للورد، لست بخير من الأموال التي تنثرها يده، وإنما نثرك الآن تعويذاً لكرمه من أن يصاب بالعين.

خوفاً من العين أن يصاب بها أصاب عيناً بها يعان عمى

عين الرجل يعان: إذا أصيب بعين. وخوفاً نصب على المفعول له. أي: إنما نثرك الآن عوذه لكرمه أن يصاب بالعين، ثم دعا على العين التي تصيب كرمه فقال: أعمى الله عيناً عانته وهمت بإصابته.
وقال أيضاً يمدحه وقد ورد الخبر بهزيمة وهسوذان بعد الكرة الأولى وضربت الدبادب على باب الملك عضد الدولة. فقال أبو الطيب في جمادى الآخرة.

أزائرٌ يا خيال أم عائد؟ أم عند مولاك أنّني راقد؟

الزيارة: للصحيح، والعيادة: للمريض. ومولاك: أي صاحبك. يخاطب خيال المحبوبة ويقول: أجئتني زائراً أم عائداً؛ لما نالتني العلة من حب صاحبك ؟! وما لحقتني من الغشية شوقاً إليه ؟! أم ظن صاحبك أني نائم فبعثك إلي زائراً كما يزور الطيف في المنام، وليس الأمر كما ظن فإني لست براقد.

ليس كما ظنّ غشيةٌ لحقت فجئتني في خلالها قاصد

قاصد في موضع نصب على الحال، فجعله مقيداً لأجل القافية.

يقول للخيال: ليس كما ظن صاحبك أني نائم، وإنما نالتني غشية لشدة الشوق فجئتني في خلال هذه الغشية قاصداً، حيث حسبت أني نائم، ولأن العاشق لا ينام وإنما يغشى عليه. ومثله:

وإنّي لأستغشى وما بي غشيةٌ لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا

عد وأعدها فحبّذا تلفٌ ألصق ثديي بثديها النّاهد

الهاء في أعدها للغشية.

يقول: عد يا خيال؛ وأعد الغشية التي كانت بي، فإني أحتملها من أجلك، فحبذا حال جمعت بيني وبينك، وإن كان فيها تلف النفس، فضلا عن الغشية والثدي الناهد: هو المشرف. والهاء في ثديها للمحبوبة.

وجدت فيها بما يشحّ به من الشّتيت المؤشّر البارد

الهاء في فيها للغشية. ويشح: أي يبخل. والشتيت: المتفرق من الثغر. والمؤشر: الذي في طرفه تحزيز وحدة، يكون ذلك في أطراف أسنان الأحداث.

والمعنى: وجدت أيها الخيال في حال الغشية بما يشح صاحبك به في حال اليقظة من الشتيت الموشر البارد: أي كنت تبخل بتقبيلي فمك، وارتشا في الثغر البارد الريق، فجدت في حال المنام.

إذا خيالاته أطفن بنا أضحكه أنّني لها حامد

خيالات: جمع خيالة، وقيل: جمع خيال، نحو جوابات وجواب، فكأن الخيال والخيالة لغتان مثل: مكان ومكانة، وجمعه وإن كان واحداً لأنه رآه دفعات كل دفعة خيالا، فصارت خيالات، والهاء في خيالاته وأضحكه يعود إلى مولاك، وفاعل أضحكه: أنني وصلته. ويقال: أطاف الخيال يطيف، وطاف يطوف.

يقول: إذا طاف بي خيال صاحب فحمدته، أضحك صاحبه حمدي إليه لخياله، من حيث أن الخيال لا حقيقة له، وليس بشيء يحمد فضحك لذلك.

وقال: إن كان قد قضى أرباً منا فما بال شوقه زائد ؟

زائد: في موضع نصب على الحال.

يقول: قال مولى الخيال: إن كان قد قضى حاجته من خيالي، فلم شوقه إلي زائد ؟ فهلا تسلي عني، وقنع بالطيف الذي يزوره ؟ ومثله لآخر:

رأتني وقد شبّهت بالورد خدّها فصدّت وقالت: قاس خدّي بالورد
إذا كان مثلي في البساتين عنده فماذا الّذي قد جاء يطلبه عندي

لا أجحد الفضل ربّما فعلت ما لم يكن فاعلاً ولا واعد

ولا واعد في موضع نصب عطفاً على قوله: فاعلا وهو خبر كان، وفاعل فعلت ضمير الخيالات.

يقول: مجيباً لحبيبه وراداً عليه في قوله: لا أنكر فض هذه الخيالات علي؛ لأنها فعلت ما لم يكن يفعله صاحبها من الوصل، ولا كان يعد به، ونظر التهامي إلى هذا المعنى فقال:

فكان أكرم فضلاً، إنّ لذّته تخلو من المنّ والتّنغيص والمنن

ما تعرف العين فرق بينهما كلٌّ خيالٌ وصاله نافد

يقول: لا فرق بين الخيال وبين صاحبه، فإن وصله ينقضي وينصرم، وكلاهما خيال لا حقيقة له ولا دوام، فليس لصاحب الخيال أن يزدري بالخيال ووصله، إذ هما في الانقضاء سواء. وقوله: فرق بينهما أراد كلا من المذكورين: الخيال ومولاه، لما قال: لا فرق بينهما في قصر وصلهما، قدر أن كل واحد منهما خيال، ثم قال: كل خيال وصاله نافد.

يا طفلة الكفّ عبلة السّاعد على البعير المقلّد الواخد

الطفلة: الرخصة الناعمة: العبلة الممتلئة. والبعير المقلد: الذي جعل في عنقه قلادة. والواخد: السريع السير.

يقول هذا كله لمحبوبته.

زيدي أذى مهجتي أزدك هوىً فأجهل النّاس عاشقٌ حاقد

يجوز أذىً مهجتي وفيه تقديران: أحدهما أن مهجتي منادى مضاف. أي يا مهجتي زيدي أذىً. والثاني أنه مفعول زيدي وتقديره: زيدي مهجتي أذى.

يقول: زيدي في أذاك لي وتعذيبك إياي.

يقول: إنك كلما زدتني أذىً ازددت لك هوى، ولا أحقد عليك؛ لأن أجهل الناس هو العاشق الحاقد.

حكيت يا ليل فرعها الوارد — فاحك نواها لجفني السّاهد

الفرع: شعر الرأس. والوارد: الطويل المسترسل. يخاطب الليل ويعاتبه على طوله.

يقول: يا ليل أشبهت شعرها في طوله وسواده، فاحك أيضا بعدها، كما حكيت شعرها، وابعد عن عيني.

وقيل: تقدير البيت: حكيت يا ليل فرعها الوارد، لجفني الساهد فاحك نواها.

طال بكائي على تذكّرها — وطلت حتّى كلاكما واحد

يقول مخاطبا لليل: إن بكائي قد طال على تذكر المحبوبة، وطلت أنت أيها الليل، فكأنك والبكاء واحد، من حيث الطول، لا فرق بينكما.

ما بال هذي النّجوم حائرةً — كأنّها العمى مالها قائد ؟ !

يصف طول الليل ويقول: ما للنجوم من هذا الليل متحيرةً واقفةً لا تزل ! فكأنها عميان لا قائد لهم، فيبقون متحيرين لا يهتدون إلى مذهب. وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز:

والنّجم في كبد السّماء كأنّه — أعمى تحيّر ما لديه قائد

أو عصبةٌ من ملوك ناحيةٍ — أبو شجاعٍ عليهم واجد

العصبة: الجماعة، وهذا تشبيه آخر. شبه النجوم في تحيرها بملوك سخط عليهم الممدوح فبقوا حائرين لا يدرون ما يصنعون.

إن هربوا أدركوا وإن وقفوا — خشوا ذهاب الطّريف والتّالد

هذا تفسير حيرة الملوك. يعني: لا يدرون ما يصنعون؛ لأنهم إن هربوا أدركهم، وإن وقفوا خافوا أن يغير على أموالهم.

فهم يرجّون عفو مقتدرٍ — مبارك الوجه جائدٍ ماجد

الجائد: الجواد، وهو على أصل القياس، جاد فهو جائد، ولكنه مرفوض، واستغنوا عنه بقولهم جواد.

يعني: أنهم تحيروا فلا يدرون: أيهربون، أم يثبتون ؟! فاستسلموا رجاء أنه إذا قدر عفا عنهم، وجرى على عادته في الجود والمجد.

أبلج لو عاذت الحمام به — ما خشيت رامياً ولا صائد

صائد: في موضع النصب. وأبلج: في موضع جر بدلاً عن المجرورات المذكورة في البيت المتقدم.
والأبلج: المفروق الحاجبين.
يقول: هو يحمي كل من يلجأ إليه، فلا يقدر على ضيم من استجار به، حتى لو لجأت إليه الحمام لأمنت ولم تخف صائدا ولا راميا.

أورعت الوحش وهي تذكره ... ما راعها حابلٌ ولا طارد

الوحش: اسم الجنس، وأراد ها هنا الجماعة فأنثه. والحابل: صاحب الحبالة، والطارد: الذي يطرد الوحش.
يعني: لا يجسر أحد على التعرض لمن يستجير به، حتى لو أن الوحش ذكرت اسمه في حال رعيها، أو خطر اسمه لها بالبال لأمنت بذكره، ولم يفزعها حابل بحبالته، ولا طارد يطردها. وهذا ذكره على وجه المثل.

تهدي له كلّ ساعةٍ خبراً ... عن جحفلٍ تحت سيفه بائد

فاعل تهدى: كل ساعة. والجحفل: الجيش العظيم. والبائد: الهالك.
يقول: يرد عليه كل ساعة خبر من عسكر عدوة: أنه هلك تحت سيفه، وإنما ذلك لكثرة سراياه وانتشارها في الأرض، وإنما قال ذلك، لأن الخبر كان قد ورد عليه بهزيمة وهسوذان مرة أخرى.

وموضعاً في فتان ناجيةٍ ... يحمل في التّاج هامة العاقد

وموضعاً: أي مسرعاً، وهو نصب عطفاً على قوله: تهدى له كل ساعة خبراً، وموضعاً والناجية: الناقة السريعة. والفتان: غشاء من أدم يكون للرحل.
يعني: كل ساعة يرد عليه رسول ببشارة، وراكب يسرع، في رحل ناقة سريعة، تحمل تاج الملك الذي هلك تحت سيفه، ورأس من عقد ذلك التاج على رأسه، ويجوز أن يكون هو الذي قد عقد عليه.

يا عضداً ربّه به العاضد ... وسارياً يبعث القطا الهاجد

يبعث القطا: أي ينبه. والهاجد: النائم، وهو من وصف القطا. والساري: الذي يسير ليلا. والعاضد: المعين والمعني: يا عضد الدولة الذي ربه يعين به أولياءه.
وقيل: العاضد هو القاطع. يعني: يا عضداً يقطع الله تعالى به أصول أعدائه ويستأصلهم بفعله، ويا من سرى بالليل في فلوات يطلب الأعداء، فينتبه القطا النائم فيها.

وممطر الموت والحياة معاً وأنت لا بارقٌ ولا راعد

الراعد: السحاب الذي فيه الرعد. والبارق: الذي فيه البرق.

يقول: إنك تمطر الموت على أعدائك والحياء على أوليائك، فتحييهم بنعمك وتميت أعداءك بنقمك، ولست مع ذلك سحاباً حقيقياً لا ذي رعد ولا ذي برق. وقيل: أراد أنك تحسن بلا برق وتسيء بلا رعد، بخلاف السحاب يكون البرق فيه وعداً، والرعد وعيداً.

نلت وما نلت من مضرّة وهسو ذان ما نال رأيه الفاسد

أي: وما نلت من مضرته ما نال منها رأيه الفاسد. يعني: أن ما نال منه فساد رأيه أكثر مما نلت أنت منه. أي: جنى الشر على نفسه حين تعرض لقتال ركن الدولة.

يبدأ من كيده بغايته وإنّما الحرب غاية الكائد

الكائد: اسم فاعل من الكيد.

يقول: من جهله أنه بدأ بالمحاربة، وكان سبيله ألا يحارب إلا إذا اضطر إليه؛ إذ الحرب غاية الكائد.

ماذا على من أتى محاربكم فذمّ ما اختار لو أتى وافد

وافد: في موضع نصب على الحال.

يقول: من حاربكم فقتلتموه فيذم عاقبة ما اختاره، ولو جاءكم وافداً عليكم لنال كل ما أراد. يعني: لو أتى وافدا لأدرك مناه.

بلا سلاحٍ سوى رجائكم ففاز بالنّصر وانثنى راشد

راشد: حال، فترك نصبه لأجل التقفية. يعني: لو أتى محاربكم وافدا بلا سلاح إلا رجاءه إياكم لفاز بالنصر، وانثنى بالغنيمة والرشد، فمن علم ذلك من حالكم وحاله، فما الذي يضره لو فعل هذا، ولم يعرض نفسه للقتل، ونعمته للزوال والانتقال.

يقارع الدّهر من يقارعكم على مكان المسود والسّائد

يقارع: أي يقاتل. والمسود: الذي ساده غيره. والسائد: الذي ساد غيره. يعني: أن الدهر يحارب من حاربكم ونازعكم على الملك، وهو مكان المسود والسائد: يعني: أن الدهر خصم لعدوكم وعون لكم.

وقيل: أراد أن الدهر مسود، وأنتم ساده، فمن قارعكم قارعه الدهر لسيادتكم، فكأن الدهر جند لكم تسودونه، وتسوسونه.

وليت يومي فناء عسكره ولم تكن دانياً ولا شاهد

شاهد: في موضع النصب عطفا على قوله: دانيا والهاء في عسكره لوهسوذان.

يقول: إنك توليت القتال في اليومين اللذين فنى فيهما عسكر وهسوذان، وإن لم تكن حاضراً ذلك اليوم ولا قريباً؛ لأن جيش أبيك إنما فعلوا ذلك لتشجيعك إياهم.

ولم يغب غائبٌ خليفته جيش أبيه وجدّه الصّاعد

الهاء في خليفته وأبيه وجده للغائب. يعني: أنك وإن كنت غائبا كان خليفتك الذي يقوم مقامك جيش أبيك، وجدك الصاعد، فمن كان كذلك فكأنه لم يغب، فلهذا قلت: إنك توليت القتال وهزمه.

وكلّ خطيّةٍ مثقّفةٍ يهزّها ماردٌ على مارد

هذا عطف على ما تقدم، والمارد: الذي لا يطاق من خبثه.

يقول: ناب عنك جيش أبيك، كل فارس مارد على فرس مارد، يهز كل رمح خطى.

سوافكٌ ما يدعن فاصلةً بين طريّ الدّماء والجامد

يقول: نابتك رماح خطية، تسفك دماء الأعداء دائماً، لا تدع بين الطري والجامد فصلا. أي: إذا أراقت دماً فجمد أتبعته بطري من غير فصل.

إذا المنايا بدت فدعوتها أبدل نوناً بداله الحائد

الحائد: إذا أبدل داله بالنون فهو الحائن أي الهالك. والحائد: الذي يميل عن الحرب. والهاء في دعوتها للمنايا. وقيل: للخيل. أي دعوة الخيل: أن تقول ما في البيت.

يقول: إذا ظهرت المنيه في الحرب، فدعوة المنايا هي أن تقول: أبدل الله تعالى الحائد نوناً بدال. يعني: أنها تدعو على من يحيد عن الحرب بهذا القول أي جعل الله الحائد حائناً. أي: هالكا، من الحين، وهو الهلاك.

إذا درى الحصن من رماه بها خرّلها في أساسه ساجد

ساجد: حال، والهاء في بها ولها للخيل المضمرة.

يقول: إذا علم الحصن أنك رميته بخيلك سجد لك على أساسه، تعظيما لك ومثله قوله:

تملّ الحصون الشّمّ طول نزالنا فتلقى إلينا أهلها وتزول

ما كانت الطّرم في عجاجتها إلا بعيراً أضلّه ناشد

الطرم: بلدة وهسوذان، أو قلعته، والهاء في عجاجتها للخيل. والعجاجة: الغبار.

يعني: أن الطرم قد خفيت في عجاجة خيلك ساعة ثم أثخنتها فكانت بمترلة بعير ضل عن صاحبه ثم وجده.

وقيل: أراد من كثرة ما أثارت الخيل الغبار، اسودت الطرم، فخفيت القلعة حتى لا يكاد أحد يراها، ثم شبه الطرم بالبعير الضال الذي فقده صاحبه، لأن وهسوذان خرج عنها وسلمها، فكأنه بعير أضله صاحبه.

تسأل أهل القلاع عن ملكٍ قد مسخته نعامةً شارد

شارد: في موضع النصب صفة لنعامة، وإنما ذكره لأن النعامة تقع على الذكر والأنثى، وتسأل: فعل الخيل وكذلك مسخت والهاء فيه ضمير الملك.

يقول: تتبع خيلك وهسوذان وتسأل عنه القلاع، وقد مسخته هذه الخيل نعامة نافراً. أي: كان ملكا ففر من بين يديه كالنعامة الشارد، وسؤال الخيل عنه: تعرضها للقلاع وأهلها.

تستوحش الأرض أن تقرّبه فكلّها آنهُ به جاحد

الهاء في آنه ترجع إلى لفظ كل.

يقول: تفزع الأرض أن تقر بوهسوذان، فكل مكان منها حاحد لا يقر بمكانه. والمعنى: أنه فر ولم يوجد له أثر، فكل مكان طلبته الخيل فيه لم تجده، والغرض باستيحاش الأرض من الإقرار به هو أنها تأنف من كونه عليها، وتريد ألا يكون حياً يمشي عليها، فلما كان الأمر بخلاف مرادها لم ترض أن تقر به أنفةً من أن يكون هو من أهلها.

فلا مشادٌ ولا مشيدٌ حمى ولا مشيدٌ أغنى ولا شائد

المشيد: الجص. يقال: شدت البناء أشيده شيداً: إذا بنيته بالشيد وأنا شائد وهو مشيد.

وأشدته أشيده إشادةً: إذا رفعته. فأنا مشيد وهو مشاد. يعني: أنه هرب ولم يمنعه حصنه الذي رفعه وطوله وبناه بالشيد ولا مبانيه التي شيدها وجصصها.

فاغتظ بقومٍ وهسوذ ما خلقوا إلا لغيظ العدوّ والحاسد

أراد: وهسوذان فرخمه، فحذف منه الألف والنون. كما تقول: في مروان يا مرو.
يقول: يا وهسوذان: اغتظ بآل بويه، فهم لم يخلقوا إلا غيظاً لكل عدو وحاسد. وقيل: أراد بالقوم: جيش ركن الدولة.

رأوك لمّا بلوك نابتةً   يأكلها قبل أهله الرّائد

بلوك: أي جربوك. والنابتة: القطعة النابتة من الحشيش.
يقول: لما جربوك رأوك أمراً هيناً فرموك بطلائعهم، وأوائل خيلهم قبل حضورهم، فكنت في القلة كالقطعة من العشب يأكلها الرائد قبل حضور الحي.

وخلّ زيّاً لمن يحقّقه   ما كلّ دام جبينه عابد

يقول: خل زي الملك لأهله الذين يستحقونه، فإنه لا يليق بك، فليس كل من تزيا بزي الملوك يستحق ذلك، كما أنه ليس كل من دمى جبينه فهو عابد.

إن كان لم يعمد الأمير لما   لقيت منه فيمنه عامد

يقول: إن كان عضد الدولة لم يقصد إلى ما جرى عليك، ولم يشهده بنفسه، فإن يمنه تعمد ذلك فناب عنه.

يقلقه الصّبح لا يرى معه   بشرى بفتحٍ كأنّه فاقد

يقول: إذا طلع الصبح، ولم يرد عليه من يبشره بفتح، قلق لذلك، حتى كأنه فقد شيئاً كان في يده.
وقيل: الفاقد: المرأة التي فقدت ولدها بغير هاء كحائض وطاهر يعني: كأنه من قلقه امرأة فقدت ولدها.

والأمر لله ربّ مجتهدٍ   ما خاب إلاّ لأنّه جاهد

يقول لوهسوذان: اجتهدت في طلب الملك، فخاب سعيك، وقد رأينا من كان سبب خيبته، اجتهاده. وحرصه، وهذا كما قيل: الحريص محروم فكأنه قال: إن الإمارة والدولة بتوفيق الله تعالى، ومن مواهبه، لا تنال بالجد والاجتهاد.

ومتّقٍ والسّهام مرسلةٌ   يحيص عن حابضٍ إلى صارد

يحيص: أي يعدل. وحابض: من قولهم حبض السهم يحبض حبضا فهو حابض، إذا وقع بين يدي الرامي لضعفه ولم يصل إلى الغرض. والصادر: من قولهم صرد السهم صردا، إذا نفذ من الرمية إلى ما

وراءها.

يقول: رب متق من سهام مرسلة يعدل عنها من قرب، ويمر إلى الهدف حتى تصيبه يعني: ورب إنسان يحذر ما لا يصيب، ويفر إلى ما فيه هلاكه.

فلا يبل قاتلٌ أعاديه أقائماً نال ذاك أم قاعد

يعني: الغرض قتل العدو، فسواء قتلته بنفسك، أو قتله غيرك ممن هو منك، وأنت قاعداً - وقاعد في موضع نصب عطفاً على قائم وقوله: فلا يبل أصله فلا يبالي، فحذف الياء للجزم ثم حذف الألف أيضاً تخفيفاً.

ليت ثنائي الّذي أصوغ فدى من صيغ فيه، فإنّه خالد

الهاء في فإنه للثناء وفي فيه للممدوح.

يقول: إن ثنائي الذي أصوغه في عضد الدولة يبقى مخلداً، فليت أن الله جعله فداء من مدحته ليدوم ملكه خالداً كما دام هذا الثناء.

لويته دملجاً على عضدٍ لدولةٍ ركنها له والد

يقول: صغت مدحي دملجاً يزينه، كما يزين الدملج العضد، ولما كان الممدوح ملقباً بعضد الدولة جعل شعره دملجاً عليه؛ لما بين العضد والدملج من المناسبة؛ لأن الدملج زين العضد. ثم قال: ركنها له والد أي ركن هذه الدولة والد لعضد الدولة، أورد لقبه ولقب أبيه بلفظ وجيز، والهاء في لويته للثناء وفي له للعضد، والعضد: مؤنثة ولكنه رد الهاء إليها بلفظ التذكير، حملا على المعنى؛ لأنه أراد الممدوح، وهو مذكر، فرد الضمير إليه.

وخرج عضد الدولة يتصيد ومعه الكلاب والفهود والبزاة والشواهين وعدد الصيد، ما لم يرم مثله كثرةً، وكن يسير قدام الجيش يمنه ويسرةً فلا يطير شيء إلا وصاده، حتى وصل إلى دشت الأرزن، وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز، كثير الصيد تحف به الجبال، والأرزن، فيه غاب وماء ومروج، وكانت الأيائل تصاد ويقتل بعضها، ويقبل بعضها يمشي والحبل في قرونها، وكانت الوعول تعتصم بالجبال، وتدور بها الرجال، وتأخذ عليها المضايق، فإذا أثخنها النشاب لجأت إلى مواضع لا تحملها، فهوت من رءوس الجبال إلى الدشت، فسقطت بين يديه، فمنها ما يطيح قرنه. ومنها ما يؤخذ ويذبح فتخرج نصول النشاب من كبده وقلبه، فأقام بها أياماً على عين حسنة وأبو الطيب معه، ثم قفل فقال أبو الطيب يمدحه في رجب سنة أربع وخمسين وثلاث مئة:

ما أجدر الأيّام واللّيالي

بأن تقول ماله وما لي؟

لا أن يكون هكذا مقالي

يقول: ما أخلق الأيام والليالي بأن تتظلم مني وتستغيث من يدي فتقول: ما لهذا الرجل ومالي ؟!

وقوله: لا أن يكون هكذا مقالي: يعني: ما أجدر ألا تكون الأيام هكذا. أي: تحتال الأيام والليالي من أجلي.

والمعنى: أنها أولى بأن تتظلم مني، وأن تقول هذا المقال، من أن أقوله أنا لها. أي: هي أحق بأن تستغيث مني، لا أنا، لأني أقوى منها وأقدر، فلا أحتاج إلى التظلم منها؛ لاعتصامي بعضد الدولة.

وتقديره: لا أن يكون هكذا مقالي لها، فحذف للاختصار والعلم به، ولا بد من ضمير يعود إليها، فلو لم يحمل على هذا التفسير لم يصح.

فتىً بنيران الحروب صالي

منها شرابي وبها اغتسالي

لا تخطر الفحشاء لي ببال

الضمير في منها وبها للحروب. والبال: القلب. وفتىً: خبر ابتداء محذوف أي: أنا فتى.

يقول: كيف لا تتظلم الأيام والليالي من يدي ؟ وأنا فتى أصطلي بنار الحروب وألابسها وأخوض شدائدها. وهي نيرانها. وقوله: منها شرابي أي: أني ألفتها كما ألفت الماء الذي أشرب منه وأغتسل به، وقيل: أراد شرابي من دماء الأعداء التي أريقها في الحروب، وأتضمخ بها، فيكون ذلك اغتسالي، ثم قال: وأنا مع ذلك عفيف النفس، لا تخطر الفحشاء بقلبي فضلا عن فعلها.

لو جذب الزّرّاد من أذيالي

مخيّراً لي صنعتي سربال

ما سمته سرد سوى سروالي

الزراد: الذي يعمل الدروع. والسربال: القميص والسروال. واحد السراويل. والسرد: عمل الدروع ونسجها.

يقول: لو جذب الزراد أذيالي، وخيرني أن يسرد لي قميصا أو سراويل. وهو قوله: مخيراً لي صنعتي

سربال ما طلبت منه إلا أنه يصنع لي سراويل، أحصن بها عورتي، ثم لا أبالي بعد ذلك بانكشاف سائر جسدي، إذا صنت العورة وحصنتها. وهذا مبالغة منه في بيان العفة.

وقيل: إن المراد بذلك أن كل ما علي حديد: فثوبي من حديد، وعمامتي من حديد، وتجافيف فرسي حديد. فلم يبق إلا أن أصنع سراويل من حديد.

وكيف لا وإنّما إدلالي

بفارس المجروح والشّمال

أبي شجاعٍ قاتل الأبطال

المجروح، والشمال: فرسان لعضد الدولة. وأبي شجاع: بدل من فارس. أي: كيف لا أكون كذا، وإنما أدل وأعتمد بفارس هذين الفرسين، وهو أبو شجاع الذي يقتل الشجعان كلهم.

ساقي كئوس الموت والجريال

لما أصار القفص أمس الخالي

وقتّل الكرد عن القتال

حتّى اتّقت بالفرّ والإجفال

فهالكٌ وطائعٌ وجالي

الجريال: الخمر. يعني: يسقى أعداءه كئوس الموت وأولياءه كئوس الخمر. والقفص: قوم من الأكراد، في نواحي كرمان، كان أهلكهم. والخالي: الماضي. والفر: الفرار. والإجفال: الإسراع في الهرب.

وقتل الكرد: أي منعهم. والقفص: المفعول الأول لأصار. وأمس: المفعول الثاني.

يقول: لما قتل القفص حتى جعلهم منقضياً كأمس الماضي، وقتل الكرد عن آخرهم فلم يبق منهم مقاتلاً، حتى التجئوا إلى الفرار وصاروا بين ثلاثة أقسام: هالك قتل، وطائع سلم، وهارب قد خلا عن وطنه.

واقتنص الفرسان بالعوالي

والعتق المحدثة الصّقال

يقول: اصطاد الفرسان بالرماح والسيوف. العتق: القديمة، الحديثة الصقال؛ لأنها كل وقت يجدد صقالها.

سار لصيد الوحش في الجبال

وفي رقاق الأرض والرّمال

على دماء الإنس والأوصال

الرقاق من الأرض: ما كان رقيقاً، ليس بذي رمل؛ لأنه أطيب التراب. وقوله: سار جواب لقوله: لما أصار والمعنى: أنه بدأ أولا بالجد والحرب، ثم أتبعه بالنزهة والصيد.

يقول: لما قتل الكرد، عاد إلى صيد الوحش في السهول والجبال، فكان سيره في هذه الأرضين على دماء الإنس وأوصالهم. وأراد بالإنس: الكرد الذين قتلهم وأجرى دماءهم وأبان أوصالهم: وهي كل عظم يتصل بالآخر.

منفرد المهر عن الرّعال

من عظم الهمّة لا الملال

وشدّة الضّنّ لا الأستبدال

الرعال: جمع رعلة، وهي القطعة من الخيل. ونصب منفرد على الحال. يعني: كان يسير وحده منفرداً عن جيشه، ولم يكن يفعل ذلك مللاً بجيشه، وإنما فعله لعظم همته أن يدنو منه أحد، وأن يختلط الجيش به، وليتأمل عسكره ويميزه ويتفقده؛ لظنه به، ولو اختلط بهم لم يستبن له قدره.

وقيل: إن عظم قدره وعلو همته حمله على الصيد بنفسه وقوله: لا الاستبدال يعني: أنه لم يرد الاستبدال بجيشه لتنزهه بهم، لكن لشدة ضنه بهم، أو بنفسه عن الاختلاط بهم.

ما يتحرّكن سوى انسلال

فهنّ يضربن على التّصهال

يعني: أن الرعال، وهي الخيل، لا تتحرك ولا تمشي إلا على وجه الانسلال: وهو اللين والرفق، هيبةً أو حذراً من تنفير الصيد، فإن صهل منها فرس ضرب على صهيلة هيبةً له، وحذراً من نفور الصيد.

كلّ عليلٍ فوقها مختال

يمسك فاه خشية السّعال

من مطلع الشّمس إلى الزّوال

يعني: كل قائد مختال فوق هذه الخيل، كأنه عليل؛ هيبةً منه، ولا يصول خشية نفور الصيد فهو يمسك فاه خشيةً من أن يسعل.

وقيل: أراد أن العليل إذا كان يمسك فاه إذا حضره السعال وهو مع الرئيس، فكيف يكون حال من دونه ؟! وهم كذلك من مطلع الشمس إلى وقت الزوال. ومثله لأبي تمام:

فالمشي همسٌ والنّداء إشارةٌ خوف انتقامك والحديث سرار

فلم يئل ما طار غير آل

وما عدا فانغلّ في الأدغال

وما احتمى بالماء والدّحال

من الحرام اللّحم والحلال

إنّ النّفوس عدد الآجال

لم يئل: أي لم ينج. وغير آل: أي غير مقصر. وانغل: دخل والأدغال: جمع دغل، وهو الشجر الملتف. واحتمى: أي امتنع. والدحال: جمع دحل، وهو المطمئن من الأرض يجتمع فيها ماء السماء وينبت القصب.

يقول: لم ينج من الطير ما طار غير مقصر في الطيران. يعني: لم ينج منها طائر مجد في الطيران، فكيف المقصر ؟! ولم ينج أيضاً ما انغل فيما بين الأشجار الملتفة. ولم ينج أيضاً ما امتنع بالدحال من الصيد الحرام اللحم كالخنزير والسباع، والحلال اللحم كالظباء والأيائل. وقوله: إن النفوس عدد الآجال مثل منه. وروى عدد بضم العين. والمعنى: أن النفوس معدة للموت، والأجل يدركها متى شاء وروى بفتح العين. يعني: أن لكل نفس أجلاً، فآجالها مثل أعدادها.

سقياً لدشت الأرزن الطّوال

بين المروج الفيح والأغيال

روى: الطوال: وهو الطويل، والطوال، وهي جمع طويل، فكأنه جعل لكل موضع منها دشتاً طويلاً لسعته، والدشت: الصحراء، وهي فارسي معرب أبدل منه السين شيناً علامة للتعريب. والأرزن: هو الخشب، وأضاف الدشت إليه لأنه ينبت فيه، والمروج: جمع مرج، وهو كل موضع فيه ماء وعشب لا ينقطع. والفيح: جمع أفيح وفيحاء وهو الواسع. والأغيال: جمع غيل، وهو الشجر الملتف، وأراد به الأجمة هنا.

مجاور الخنزير للرّئبال

داني الخنانيص من الأشبال

مشترف الدّبّ على الغزال

مجتمع الأضداد والأشكال

مجاور وما بعده نصب على الحال من دشت الأرزن. أي سقاه الله تعالى من هذه الأحوال. والرئبال: الأسد. والخنانيص: جمع خنوص، وهو ولد الختزير. والأشبال: جمع شبل، وهو ولد الأسد. والمشترف والمشرف بمعنى. وذلك لأن الدب جبلي والغزال سهلي. فيكون مشرفاً يعني به: أن هذا الدشت سهلي جبلي قد اجتمع فيه صيد السهل والجبل، وقد حصل فيه الأضداد والأشكال.

كأنّ فنّاخسر ذا الإفضال

خاف عليها عوز الكمال

فجاءها بالفيل والفيّال

عوز الشيء: فقدانه. والهاء في عليها وجاءها لدشت الأرزن ردها إلى معنى الصحراء والأرض والناحية.

يقول: هذه الصحراء قد اجتمع بها جميع الحيوان إلا الفيل، فلما خشى الأمير أن تقصر عن حد الكمال جاءها بالفيل والفيال حتى كملت.

فقيدت الأيّل في الحبال

طوع وهوق الخيل والرّجال

تسير سير النّعم الأرسال

معتمّةً بيبّس الأجذال

طوع: نصب على الحال. والأيل ها هنا جمع الأيل، والمعروف في جمعه الأيائل. والوهوق: جمع وهق: وهو الحبل. والرجال: جمع راجل.

يقول: قاد الأيل، وهو الثور الوحشي في الحبال، وأنها طوع حبال الخيل والرجال. يعني: أنها متمكنة لا يتعذر عليهم صيدها. والنعم الأرسال: القطع من الإبل، واحدها: رسل. والأجذال: جمع جذل، وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاه وأراد به ها هنا قرون الأيل، وجعلها معتمة بالقرون؛ لإحاطتها برءوسها، وتعطفها عليها. واليبس: جمع يابس.

يقول: أقبلت الأيائل تسير كأنها قطع الإبل المتصلة، من كثرتها، وشبه قرونها بأصول الأشجار اليابسة.

ولدن تحت أثقل الأحمال

قد منعتهنّ من التّفالي

لا تشرك الأجسام في الهزال

قوله: ولدن: أي الأيائل ولدت تحت أثقل الأحمال، وهي قرونها، جعلها أثقل الأحمال لطولها وكثرة شعبها.

وقيل: أراد بأثقل الأحمال الجبال؛ لأنه تولد في مغارات الجبال. وقول: قد منعتهن من التفالي: يعني: أن القرون قد منعتها من أن يدنو بعضها من بعض فيفلى بعضها رءوس بعض كسائر الحيوانات. ثم ذكر أن القرون لا تشارك الأجسام في الهزال، ولا تنقص كما تنقص الأجسام.

إذا تلفّتن إلى الأظلال

أرينهنّ أشنع الأمثال

يقول: إذا تلفتت الأيائل، ونظرت أظلالها، رأت منها أشنع منظر وأقبح مثال؛ لطول قرونها وكثرة شعبها.

كأنّما خلقن للإذلال

زيادةً في سبّة الجهّال

كأن هذه القرون خلقت للإذلال، زيادة في سبة الجهال. يعني بذلك قول الناس: لفلان قرنان. فإذا زاد في السب قال: له قرون الأيل.

والعضو ليس نافعاً في حال

لسائر الجسم من الخبال

الخبال: الفساد، وجعل القرن عضواً مجازاً لاتصاله بالأعضاء.

يقول: إن العضو وإن عظم لا يمنع صاحبه من الموت والفساد.

وأوفت الفدر من الأوعال

مرتدياتٍ بقسيّ الضّال

أوفت: أي أشرفت، وقيل أقبلت. والفدر: جمع فدور، وهو المسن من الأوعال، وهي تيوس الجبل. والضال: السدر البري، والعرب تتخذ منها القسي شبه قرونها لطولها وانعطافها بالقسي، وجعلها مرتدية بها، لانعطافها من رءوسها إلى أكفالها.

نواخس الأطراف للأكفال

يكدن ينفذن من الآطال

النواخس: من نخست الدابة بعود: دفعتها به، والآطال: الخواصر، واحدها إطل.
يقول: طالت قرونها حتى نخست أكفالها، وأطراف هذه القرون تكاد تنفذ في الخواصر؛ لحدتها واعتراضها.

لها لحىً سودٌ بلا سبال

يصلحن للإضحاك لا الإجلال

يقول: لهذه الفدر: وهي التيوس، لحىً سود، ليس لها شوارب، ولحاها تصلح لأن يضحك منها ويسخر من صاحبها، ولا تصلح للإجلال، بخلاف سائر اللحى، وكان القياس أن يقول: بلا أسبلة، لكن أقام الواحد مقام الجمع.

كلّ أثيثٍ نبتها متفال

لم تغذ بالمسك ولا الغوالي

الأثيث: كثير النبت يقال شعر أثيث إذا كان صفيقاً كثيفاً. والمتفال: المنتنة الرائحة. والغوالي: جمع الغالية.
يقول: لكل منها لحية كثيفة ملتفة الشعر منتنة الريح لم تغذ بالمسك ولا الغالية.

ترضى من الأدهان بالأبوال

ومن ذكيّ المسك بالدّمال

الدمال: السرجين.
يقول: تستعمل البول بدل الدهن، والبعر بدل المسك. وقيل: إن الوعل يشرب بوله، فهو ينصب على لحيته.

لو سرّحت في عارضي محتال

لعدّها من شبكات المال

بين قضاة السّوء والأطفال

سرحت: أي مشطت، وعارضا الرجل: جانبا وجهه. يعني: أن لحيته كبيرة تصلح للعدول والقضاة، فلو كانت في وجه رجل صاحب حيلة لعدها من الشبكات التي يصطاد بها المال، بين قضاة السوء والأطفال. يعني: يأكل بها أموال الأيتام التي في حجر القضاة.

شبيهة الإدبار بالإقبال

لا تؤثر الوجه على القذال

القذال: مؤخر الرأس.

يقول: إن وجهها مثل أقفائها في كثرة الشعر، وإقبالها مثل إدبارها، ففي وجهها من شعر نواصيها ما يشبه أذنابها، فلا يتميز إقبالها من إدبارها ولا وجهها من قفاها.

وقيل: إنها رميت من كلا الجانبين، فهي ما بين النبال أقبلت أم أدبرت. ثم أخبر أنه لا يؤثر في الرمي بعض الأعضاء على البعض، بل هو مرمي من خلفه وقدامه.

فاختلفت في وابلي نبال

من أسفل الطّود ومن معال

يعني: اختلفت الأوعال في وابلين من السهام: من أسفل الطود، وهو الجبل، ومن فوقه. يعني: ان الرماة كانوا يرمونها من أعلى الجبل ومن تحته، وشبه كثرة السهام بالمطر الوابل. وقول: من معال. أي: من أعلى الجبل.

قد أودعتها عتل الرّجال

في كلّ كبدٍ كبدي نصال

العتل: القسي الفارسية الواحد عتلة، وهي القسي التي نشاهدها، وكبدي النصل: جانباه.

يقول: قد رمتها قسي الرجال، من فوق ومن تحت، فأثبتوا في كبد كل وعل سهمين. والهاء في أودعتها للوعول.

فهن يهوين من القلال

مقلوبة الأظلاف والإرقال

يهوين: أي يسقطن من القلال. أي: من رءوس الجبال. يعني: أنها كانت تسقط من أعالي الجبال معكوسة على رءوسها إلى أسفل، فأظلافها فوق جسومها، وكذلك عدوها معكوس مقلوب.
والإرقال: ضرب من السير السريع.

يرقلن في الجوّ على المحال

في طرقٍ سريعة الإيصال

يرقلن: أي يسرعن. والمحال: جمع محالة، وهي فقار الظهر. أي كانت تهوي على ظهورها في طرق سريعة الإيصال لها إلى الأرض.

ينمن فيها نيمة الكسال

على القفيّ أعجل العجال

الهاء في فيها للطرق. والنيمة: الهيئة للنائم، كالجلسة والكسال: جمع كسلان. والعجال: جمع عجلان.
والقفي: جمع قفا.
يقول: ينمن في الطرق التي يهوين فيها كما تنام الكسالى على أقفائها، تشبيهاً بنوم الكسلان الذي إذا نام لا يحب الحركة والعجلة ولا ينتبه بالتحريك.

لا يتشكّين من الكلال

ولا يحاذرن من الضّلال

يعني: لا تشكو كلالا؛ لأن هويتها حركة طبيعية، فلا مشقة عليها فيها ولا يحاذرن من الضلال. يعني أنها لا تخطئ الحضيض؛ لأن المرمى من شاهق لا ينفك من الهوى والسقوط.

فكان عنها سبب التّرحال

تشويق إكثارٍ إلى إقلال

الهاء في عنها للأيائل، والوعول.

يقول: كان سبب رحيلنا عن صيد الوحش تشويق الإكثار منها إلى الإقلال. يعني: كثر الصيد حتى شوقنا الإكثار، بما أدخل علنيا من الملال إلى الإقلال منها، فكان ذلك سبب رحيلنا.

فوحش نجدٍ منه في بلبال

يخفن في سلمى وفي قتال

البلبال: الهم. وسلمى: أحد جبلي طيئ، والآخر أجأ. وقتال: جبل بالقرب من دومة الجندل. والهاء في منه لأبي شجاع.

يقول: الوحش التي في نجد، لما سمعت بما صنع الأمير هنا خافت واضطربت في جبالها.

نوافر الضّباب والأورال

والخاضبات الرّبد والرّئال

والظّبي والخنساء والذّيّال

الضباب: جمع ضب. والأورال: جمع ورل وهي دابة أكبر من الضب على خلقته. والخاضبات: النعام إذا أكلت الزهر احمرت أطراف جناحها. والربد: جمد أربد وربداء، وهو الذي يضرب لونه إلى لون الرماد. والرئال: جمع الرأل، وهو فرخ النعام. والخنساء: البقرة الوحشية. والذيال: الثور الوحشي. ونوافر نصب على الحال من الوحش. أي: يخفن منه على هذه الحال. يعني: هذه الحيوانات الوحشية نافرة في نجد خوفاً منه.

يسمعن من أخباره الأزوال

ما يبعث الخرس على السّؤال

الازوال: جمع زول، وهو العجب.

يقول: وحش نجد يسمعن من أخبار عضد الدولة أخباراً عجيبة تبعث الخرس على السؤال لعجبها.

وقيل: أراد بالخرس الوحوش؛ لأنها لما سمعت بأخباره أقبلت مع خرسها يسأل بعضها بعضاً على هذا الخبر العجب.

وقيل: إن الهاء في أخباره تعود إلى الصيد. أي: يسمعن من أخبار الصيد.

فحولها والعوذ والمتالي

تودّ لو يتحفها بوالي

يركبها بالخطم والرّحال

الفاء فاء الجواب، وقيل: الفاء أصل، وهي فحول بضم الفاء جمع فحل. والعوذ: جمع عائذة، وهي القريبة العهد بالنتاج. والمتالي: جمع متلية، وهي التي يتلوها ولدها. والخطم: جمع خطام

يؤمنها من هذه الأهوال

ويخمس العشب ولا يبالي

وماء كلّ مسيلٍ هطّال

يعني: أنها تتمنى أن يبعث والياً، حتى يركبها بالأزمة والرحال، ويؤمنها هذا الوالي من أن يقصدها لصيدها، ولا يروعها بأهوالها، ويأخذ منها خمس العشب الذي ترعاه وخمس الماء الذي تشربه.

يا أقدر السّفّار والقفّال

لو شئت صدت الأسد بالثّعال

أو شئت غرّقت العدى بالآل

السفار: جمع المسافر. والقفال: جمع قافل، وهو الراجع من سفره. والثعالي: الثعالب. وأبدل الياء من الباء.

يقول لعضد الدولة: يا أقدر مسافر وراجع لو شئت أن تصيد الأسود بالثعالب لأمكنك ذلك؛ لسعادة إقبالك. والآل: السراب. يعني: لو شئت أن تفرق أعداءك بالسراب لأمكنك.

ولو جعلت موضع الإلال

لآلئاً قتلت بالآلي

الإلال: الحراب، واحدها آلة، والآلئ: جمع لؤلؤة.

يعني: لو جعلت بدل الحراب لآلئ، لأمكنك أن تفعل بها ما تفعل بالحراب؛ لسعادة جدك فلا يتعذر عليك شيء ترومه.

لم يبق إلاّ طرد السّعالي

في الظّلم الغائبة الهلال

على ظهور الإبل الأبّال

السعال: جمع سعلاة، وهي الغول. وقيل: السعلاة أخبث الجن. والإبل الأبال: التي قد اجتزأت بالعشب عن الماء، الواحد: الأبل. يقال: أبلت الإبل تأبل أبلاً.

يقول: لم يبق إلا أن تطرد السعالي في الظلمات التي لا يطلع فيها القمر، على الإبل التي تجزئ بالرطب عن الماء.

فقد بلغت غاية الآمال

فلم تدع منها سوى المحال

في لا مكانٍ عند لا منال

الهاء في منها للآمال.

يقول: قد بلغت جميع الآمال، ولم تترك منها إلا ما هو المحال، وهو ما لا يحويه مكان، ولا يصل إليه منال، وهو المحال؛ لأن كل شيء لا بد من أن يحويه مكان ويدركه منال، خلا الله تبارك وتعالى فإنه لا يحويه مكان، ولا يدركه منال ولا مثال، وهو موجود حي.

وقيل: أراد قد بلغت ما يصح بلوغه فلم يبق إلا وراء العالم الذي لا يحويه مكان ولا يناله منال.

يا عضد الدّولة والمعالي

النّسب الحلي وأنت الحالي

بالأب لا بالشّنف والخلخال

حلياً تحلّى منك بالجمال

الحالي: الذي يلبس الحلي وحلياً نصب على المصدر.

يخاطب عضد الدولة ويقول: النسب زينة لك، كما أن الحلي زينة للابسه، فأنت حالي بمفاخر أبيك، لا بالحلي الذي هو الشنف والخلخان. وقوله: حلياً تحلى منك بالجمال يعني: أن كرم نسبك حلى عليك، وأنت أيضاً حلى بالنسب حليته الجمال فنسبك يزينك وأنت تزينه بجمالك.

وربّ قبحٍ وحلىً ثقال

أحسن منها الحسن في المعطال

المعطال: العاطل، التي لا حلي عليها. يعني: حسن الحلي بحسن لابسه، فإن الحسن على المرأة العاطل أحسن من الحلي الثقيل على المرأة القبيحة. وهذا كما قال في موضع آخر:

وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

فخر الفتى بالنّفس والأفعال

من قبله بالعمّ والأخوال

من قبله: أي من قبل فخره بعمه وخاله.

يقول: الفتى من يفخر بأفعاله ونفسه قبل افتخاره بأعمامه وأخواله. والباء في قوله بالعم متعلق بمحذوف. أي: لا يفخر أحد بعمه وخاله، ويترك نفسه وأفعاله. وقيل: إن الباء وما بعدها في موضع نصب على الحال من الهاء في قبله وتعلقها أيضاً بمحذوف. أي: من قبله كائناً بالعم والخال.

وقال أيضاً يمدحه ويودعه في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة. وهي آخر ما سار في شعره، وفي أثناء هذه القصيدة كلام جرى على لسانه كأنه ينعى نفسه، وإن لم يقصد ذلك.

فدىً لك من يقصّر عن مداكا ... فلا ملكٌ إذاً إلاّ فداكا

الفداء: بكسر الفاء يمد ويقصر، وإذا فتح يقصر لا غير والمدى: الغاية.

يقول: لعضد الدولة جعل الله فداءك من يقصر عن مداك في الفضل والجود، فإذا أجيبت لي هذه الدعوة، فداك كل ملك، فلم يبق في الدنيا ملك، إلا وهو فداك؛ لأهم كلهم مقصرون عن معاليك، فكأني قلت: فداك سائر الملوك والخلائق.

ولو قلنا فدىً لك من يساوي ... دعونا بالبقاء لمن قلاكا

قلاك: أي أبغضك.

يقول: لو قلنا جعل الله فداك من يساويك، لكنا قد دعونا لمن يبغضك بالبقاء لقصوره عن محلك وانحطاطه عن مساواتك. يعني: إذا قلت فداك من يساويك. كأني قلت لا فداك من هو دونك. وهذا اقتضاء.

وآمنّا فداءك كلّ نفسٍ ... وإن كانت لمملكةٍ ملاكا

ملاك الشيء: قوامه الذي يقوم به. أي: لو قلنا فداك من يساويك، لكنا قد جعلنا كل نفس آمنة من أن تكون فداك، وإن كانت قواماً لممالك؛ لأن كل ملك مقصر عن علاك، فهو خارج عن هذه الدعوة لو دعوها، فلهذا تركتها.

ومن يظّنّ نثر الحبّ جوداً ... وينصب تحت ما نثر الشّباكا

يظن: يفتعل من الظن، وأصله يظتن فقلبت التاء طاء لموافقة الطاء في الإطباق. ثم أبدلت الطاء ظاء لتدغم في الظاء بعدها، ثم أدغم فيها الظاء فصار اللفظ بالظاء يظن وموضع من نصب عطفاً على كل ويجوز أن يكون موضعه جراً عطفاً على كل نفس ويجوز أن يكون رفعاً على الاستئناف.

يقول: وكنا أيضاً آمنا. فداك من ينثر الحب وينصب تحته الشباك. وهذا مثل لمن يبذل الأموال وغرضه أن يجر بها نفعاً إلى نفسه، وهو يظن أن ذلك جود، وهو ليس بجواد في الحقيقة، لأنه كالتاجر يطلب ببذل الأموال الأرباح، وأما الجواد فمن يحسن ولا يطلب جزاء على ما فعله، ولا يجر نفعاً إلى نفسه. ولابن الرومي مثل ذلك:

رأيتك تعطي المال إعطاء واهبٍ ... إذا المرء أعطى المال إعطاء مشتري

ومن بلغ التّراب به كراه			وقد بلغت به الحال السّكاكا

الكرى: النوم. والسكاك: الهواء.

يقول: آمنا. فداك كل من بلغه نومه وغفلته وخمول ذكره وجهله بالتراب، وإن بلغته حاله وغناؤه للسماء.

والكرى أيضاً: دقة الساقين، وهذا إشارة إلى ضعفه وخموله.

فلو كانت قلوبهم صديقاً			لقد كانت خلائقهم عداكا

الصديق: يقع على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وكذلك العدو، وقد أتى بلفظ الجمع في قوله: عداكا لأن القافية أدته إلى ذلك، والأحسن أن يقول: عدوا ليطابق قوله صديقاً.

والمعنى: أن جميع من ذكرته لو كانوا يحبونك بقلوبهم فإن خلائقهم أعداؤك لكونهم أضداد لك، والضد يبغض ضده، فأخلاقهم تبغضك لقصور أصحابها عن شأوك.

لأنّك مبغضٌ حسباً نحيفاً			إذا أبصرت دنياه ضناكا

الضناك: السمينة التي ضاق جلدها بشحمها. لما استعار لقلة الحسب النحافة، استعار لكثرة المال السمن والضخامة.

يقول: إن خلائقهم أعداؤك؛ لأنك تبغض من كثر ماله وقل حسبه ومجده.

أروح وقد ختمت على فؤادي			بحبّك أن يحلّ به سواكا

يقول: أحسنت إلي إحساناً ملكت به، حتى صرت مضطراً إلى حبك، وشغلت به قلبي. كما في الخبر: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فأنا أروح عنك مختوماً على قلبي بحبك، فلا يشغل بحب ملك غيرك.

وقد حمّلتني شكراً طويلاً			ثقيلاً لا أطيق به حراكا

الحراك: الحركة. يعني: أروح عنك وقد حملتني من شكرك ما لا أطيق له حملاً، ولا أقدر على القيام به، لكثرة ما أفضت علي من إحسانك، فكيف أتفرغ إلى حمل نعمة غيرك ؟! إشارة بالعود إليه.

أحاذر أن يشقّ على المطايا			فلا تمشي بنا إلاّ سواكا

روى: إلا سواكا ومساكا وهما المشي الضعيف المضطرب. يقال: سوكت الإبل، إذا تمايلت في مشيتها من الضعف والهزال.

يقول: أخاف أن أشكرك، فيثقل على المطايا فلا تقدر على المشي تحته، إلا مشياً ضعيفاً من كثرة ما حملناه من العطايا، ومن كثرة ما تقلدنا من الشكر ونحن عليها.

لعلّ الله يجعله رحيلاً يعين على الإقامة في ذراكا

الذرا: الناحية والكنف.

يقول: أرجو أن يجعل الله تعالى هذا الرحيل سبباً لإقامتي في ذراك. يعني: إنما أمضى لأصلح شأني وأحمل أهلي وأقيم في ظلك ساكن النفس رخي البال.

فلو أنّي استطعت حفضت طرفي فلم أبصر به حتّى أراكا

يقول: لو قدرت بعد رحيلي عنك لغمضت طرفي، فلم أنظر إلى أحد حتى أرجع إليك؛ لشدة شوقي إليك، واهتمامي بسرعة العود، ومثله لآخر:

غمضت عيني لا أرى أحداً حتّى أراهم آخر الدّهر

وكيف الصّبر عنك وقد كفاني نداك المستفيض وما كفاكا ؟

المستفيض: من فاض الماء، إذا سال.

يقول: أصبر عنك وقد أفضت علي من نعمائك حتى كفاني ما أعطيتنيه، وأغناني ؟ وأنت بعد لم يكفك البذل والإنعام !

أتتركني وعين الشّمس نعلي فتقطع مشيتي فيها الشّراكا ؟ !

يقول: قد بلغت بقصدي إليك المنزلة الرفيعة، حتى صارت عين الشمس أو نفسها نعلي ! فإذا فارقتك زالت عني هذه المنزلة، وانحططت عن الدرجة التي أوصلتني إليها، فكأن مشيتي قطعت شراك نعلي، حتى سقطت عن رجلي، وهذا مثل: يعني: لا أحط نفسي وأنت ترفعني. أي: لا أبعد عنك وأنت تقربين. وقوله: أتتركني كأنه يقول: لا تتركني أضيع الشرف الذي وصلت إليه بقصدك، كأنه يعرض بالرغبة في المقام عنده.

أرى أسفي، وما سرنا، شديداً فكيف إذا غدا السّيرا بتراكا ؟ !

ابتراكا: أي شديداً. يقال: ابتركت الناقة في سيرها إذا سارت سيراً شديداً ومثله لسحيم:

أشوقاً ولمّا يمض بي غير ليلةٍ فكيف إذا حثّ المطيّ بنا شهرا ؟ !

إلا أن في قوله: وما سرنا زيادة حسنة. وقد جعل مكان الشوق الأسف لأنه قال: وما سرنا فإذا لم يسر فلا شوق هناك. ومثله قول قيس:

أشوقاً ولمّا يمض بي غير ليلةٍ رويد الهوى حتّى تعبّ لياليا

ومثله لبعضهم:

وقد كنت أبكي والنّوى مطمئنة بنا وبكم من علم ما البين صانع

وهذا الشّوق قبل البين سيفٌ وها أنا ما ضربت وقد أحاكا!

يقال: ضربه فما أحاك فيه السيف. أي: لم يقطع.

يقول: عمل في الشوق وأنا بعد لم أرحل عنه، فكأنه سيف قطع من بدني قبل أن أضرب به. شبه الشوق بالسيف، ونفسه بمن أثر فيه السيف، ثم تعجب بأن أثر فيه السيف قبل الضرب به.

إذا التّوديع أعرض قال قلبي عليك الصّمت لا صاحبت فاكا

أعرض: أي قرب وظهر، ونصب الصمت بعليك لأنه إغراء: أي الزم الصمت.

يقول: كلما أردت أن ألفظ بالوداع قال لي قلبي: اسكت لا صحبت فاك: أي أهلكه الله تعالى وفرق بينك وبين فيك قبل أن تنطق بالوداع.

وقيل: المعنى أن القلب قال لي: اسكت بعد رحيلك عنه، ولا تمدح غيره، فلا صاحبت فاك.

ولولا أنّ أكثر ما تمنّى معاودةٌ لقلت: ولا مناكا !

أي: ما تتمنى، فحذف تاء المخاطبة. يعني: قال قلبي عندما أردت التوديع: اسكت فلا صحبت فاك إن نطقت بالوداع ومدحت بعده غيره. وقال أيضاً: لولا أنك تتمنى الرجوع إليه، لقلت لا صاحبت مناك أيضاً.

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ وأقتل ما أعلّك ما شفاكا

أعلك: أي أمرضك.

يقول: قال قلبي تداويت من شوقك إلى أهلك بفراق عضد الدولة، وكل واحد منهما سقم، غير أن أقتل ما أسقمك، ما استشفيت به. يعني: أن فراق أهلك أعلك، وفراق عضد الدولة الذي استشفيت به، فهو أقتل لك وأدحى في الإهلاك. من الذي أعلك.

وقيل: هذا من قول المتنبي إلى قلبه وهو قريب من قول القائل:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرّمضاء بالنّار

فأستر منك نجوانا وأخفى هموماً قد أطلت لها العراكا

النجوى: السر. والعراك: الصراع.

يقول لعضد الدولة: أستر منك مناجاتي مع قلبي، وأخفي منك هموماً لا أزال أعاركها.

إذا عاصيتها كانت شداداً   وإن طاوعتها كانت ركاكا

الركاك: جمع ركيك، وهو الضعيف. والهاء في عاصيتها وطاوعتها للهموم، وأراد بالهموم: ما يهمه من الشوق. أي: إن عاصيت الهموم، واخترتك على أهلي كانت قوية وإن طاوعتها كانت ركيكة؛ لأني أختار لقاء الأهل على جوارك والتشرف بك. وهذا رأي ضعيف.

وكم دون الثّويّة من حزينٍ   يقول له قدومي ذا بذاكا

الثوية: مكان بالكوفة. وقوله: دون الثوية أي أقرب إلينا من الثوية.

يقول: كم لي بقرب الثوية من حزين على فراقي، إذا قدمت عليه سر بلقائي، فكأن قدومي قال له: هذا السرور الآن، بذلك الحزن الذي كان، ولولا كان ذلك الحزن، لم يكن هذا السرور.

قال ابن جني: ولم يقل بعد قوله يقول: إن شاء الله تعالى.

ومن عذب الرّضاب إذا أنخنا   يقبّل رجل تروك والوراكا

الرضاب: قطع الريق. وتروك: اسم ناقة وهبها له عضد الدولة والوراك شبه مخدة يتخدها الراكب تحت وركه، يتورك عليها.

يقول: كم دون الثوية من حبيب حلو الريق إذا وصلت إليه يقبل الناقة ومخدتي التي هي على الناقة.

يحرّم أن يمسّ الطّيب بعدي   وقد علق العبير به وصاكا

صاك به: أي لصق به.

يقول: هذا الحبيب قد حرم على نفسه أن يمس الطيب بعد غيبتي عنه، وهو مع ذلك طيب الجسم، كأن العبير لصق به، وهو من قول امرئ القيس:

وجدت بها طيباً وإن لم تطيّب

والمصراع الأول من قول الآخر:

فيا ليل إن الغسل ما دمت أيّما   عليّ حرامٌ لا يمسّني الغسل

ويمنع ثغره من كلّ صبٍّ   ويمنحه البشامة والأراكا

البشام: شجر يتخذ منه المساويك، وكذلك الأراك. والهاء في يمنحه للثغر.
يقول: هذا الحبيب يمنع ثغره من كل من يشتاق إليه، فلا يمكنه من تقبيله ورشفه، ومع ذلك يجود بثغره على مساويك البشام والأراك. يصفه بالعفة.

يحدّث مقلتيه النّوم عنّي فليت النّوم حدّث عن نداكا

يقول: إن الحبيب العذب الرضاب، إذا نام رآني في النوم، فليته رأى في النوم ما حبوتني به من المال والإكرام، فيعذرني في فراقي له.

وأنّ البخت لا يعرقن إلاّ وقد أنضى العذافرة اللّكاكا

البخت: جمع البختي، ويعرقن: من قولهم أعرق الرجل، إذا أتى العراق. والعذافرة: الناقة الشديدة. وقيل: الشحيمة. واللكاكا: جمع لكيك، وهو الكثير اللحم وروى بضم اللام، فيكون صفة لواحدة وفاعل أنضى ضمير الندى.
يقول: وليت النوم أخبره أن البخت لا تصل إلى العراق، إلا وقد أنضى نداه النياق بثقله وكثرته.

وما أرضى لمقلته بحلمٍ إذا انتهبت توهّمه ابتشاكا

الابتشاك: الكذب. وتوهمه: أي تتوهمه المقلة، فحذف تاء التأنيث، والهاء في مقلته لعذب الرضاب، وفي توهمه للحلم.
لما قال: ليت النوم حدث عن نداك رجع وقال: لا أرضى أن يرى في النوم ما أنا عليه من الشرف؛ لأنه إذا انتبه من نومه توهمه كذباً، وعده من أضغاث الأحلام والأماني الباطلة.

ولا إلاّ بأن يصغي وأحكي فليتك لا يتيّمه هواكا

أي لا أرضى بأن يرى ذلك في النوم، وإنما أرضى بأن أحكى له وهو يسمع، فليته لا يصير متيما بحبك فينصرف عني ولم يعشقك من وصفي مكارمك وإحسانك.

وكم طرب المسامع ليس يدري أيعجب من ثنائي أم علاكا ؟ !

يقول: كم من سامع يطربه ثنائي عليك، فلا يدري: أمدحي لك أحسن، أم علاك ؟ إذ كل واحد منهما يطرب.

وذاك النّشر عرضك كان مسكاً وذاك الشّعر فهرى والمداكا

النشر: الرائحة الطيبة، والفهر: الحجر قدر ملء الكف. والمداك: حجر مبسوط يسحق عليه الطيب.

ويجوز أن يريد بالنشر: نشر مكارمه بالشعر.

يقول: الذي أنشره من إحسانك وفضلك، إنما هو فعلك، فهو بمنزلة ريح المسك يفوح، ولكن عرضك كان المسك، وكان شعري الذي يتضمن ثناءك بمنزلة الفهر، والمداك يسيره وينشره، وليس يزيد فيه شيئاً، كما أن الفهر والمداك يشيعان نشر المسك ويظهران جوهره، ولا يزيدان فيه شيئاً، كذلك شعري يشيع معاليك من غير أن يزيد فيها شيئاً.

فلا تحمدهما واحمد هماماً ... إذا لم يسم حامده عناكا

أي: لا تحمد فهري ومداكي على ما يظهران من طيب عرضك. أي: لا تحمدني على شعري وحمدي لك، ولكن احمد هماماً. أي: نفسك التي أسدت الثناء وقوله: إذا لم يسم حامده عناكا أي: إذا قلت مدحاً ولم أسم فيه أحداً، فإنما عنيتك به وهذا مثل قول أبي نواس:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح ... فأنت كما نثني وفوق الّذي نثني

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحه ... لغيرك إنساناً فأنت الّذي نعني

أغرّ له شمائل من أبيه ... غداً يلقي بنوك بها أباكا

أغر: صفة للهمام، والشمائل: الأخلاق. والهاء في بها للشمائل.

يقول: أحمد هماماً أغر، فيه شمائل من أبيه: أي مشابهة وأخلاق. وقوله: غداً يلقي بنوك بها أباكا أي بتلك الشمائل. يعني: أنهم إذا كبروا أشبهوا شمائل أبيك كما أشبهته أنت. أي كلكم يشبه فعله فعل أبيه، ويترع إلى كرم أصله.

وفي الأحباب مختصٌّ بوجدٍ ... وآخر يدّعي معه اشتراكا

يعني: في الناس من هو محب على الحقيقة، مختص بالوجد على فراق أحبته، وفيهم من يدعي الاشتراك معه في الوجد وهو كاذب في دعواه.

وقيل: أراد بالمختص نفسه لأجل فراقه، ومن تداني مختص بود ذلك الوجد، وذلك الوجد لفراقك، وليس عند غيري شعري، إلا مجرد الدعوى.

وقيل: أراد بالمختص بالوجد نفسه لأجل فراقه، ومن يدعي الاشتراك: زوجته، تدعى مشاركة والدته في الحزن لأجله.

إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ ... تبيّن من بكى ممّن تباكا

يعني: أن الذي يبكي بوجد وحرقة قلب، يظهر ممن يتكلف البكاء رياءً، وإن اشتبهت دموعهما في جريانها على الخدود.

أذمّت مكرمات أبي شجاعٍ لعيني من نواي على أولاكا

أي: مكرمات أبي شجاع قد دخلت عيني في ذمتها ومنعتها من أن تكون من أولئك. أي: ممن يخادع ويظهر من الود خلاف ما يبطن.

يعني: مكارمك وإحسانك منعتني من دعوى المحبة بحضرتك وإظهار خلافها في غيبتك، فإن الإنسان مطبوع على حب من أحسن إليه، فإذا أبعدت أضمرت من مودتك مثل ما أظهر الآن بحضرتك.

فزل يا بعد عن أيدي ركابٍ لها وقع الأسنّة في حشاكا

يخاطب البعد يقول: يا بعد زل عن أيدي إبلي، فإنها تنفذ فيك وتفعل في حشاك فعل الأسنة. يشير إلى سرعة سيره وعوده.

وقيل: أراد بذلك أنها تطوي البعد وتنفذه، فكأنها أثرت فيه هذا التأثير.

وأيّا شئت يا طرقي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكا

يعني: إذا سرت وعضد الدولة راض عني، فلا أبالي أي شيء كان في طريقي: هلاكاً أو نجاة، فإن سعادة جده تدفع ما أحذره.

فلو سرنا وفي تشرين خمسٌ رأوني قبل أن يروا السّماكا

السماك: كوكب يطلع على أهل الكوفة لخمس خلون من تشرين الأول.

يقول: لو سرت إلى أهلي من شيراز في اليوم الذي يطلع في عشيته عليهم السماك، لوصلت إليهم قبل طلوع السماك. أي: كانت سعادته وإقباله يطويان لي البعد ويسهلان علي الطريق.

وقيل: لم يكن بين قول هذا وبين تشرين الأول دون عشرة أيام، وكان بشيراز، وبين شيراز وبغداد مئتا فرسخ.

يشرّد يمن فنّاخسر عنّي قنا الأعداء والطّعن الدّراكا

يشرد: يطرد ويبعد. والطعن الدراك: المتتابع.

يقول: إن يمن عضد الدولة إذا سرت وهو عني راض يبعد كل مكروه وينفي كل محذور. غير أنه لم ينفعه يمن فناخسر.

وألبس من رضاه في طريقي سلاحاً يذعر الأبطال شاكا

يقال: رجل شاكي السلاح، وأصله شائك، فحذف عين الفعل منه فصار شاكا. وقيل: شاكي السلاح وهذا مقلوب من شائك، وشاكا صفة للسلاح.

يقول: إذا سرت وهو عني راض قام رضاه لي مقام السلاح التام في دفع الأعداء وتخويف الأبطال. وهذا مثل قوله:

ومن يصحب اسم ابن العميد محمّدٍ يسر بين أنياب الأساود والأسد

ومن أعتاض منك إذا افترقنا وكلّ النّاس زورٌ ما خلاكا

يقول: إذا فارقتك لم أجد منك عوضاً يقوم مقامك، فجميع الناس غيرك قول بلا فعل، ووعد بلا إنجاز، ودعوى بلا معنى. ومثله قول عمران بن حطان، في مرثية مرداس:

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما النّاس بعدك يا مرداس بالنّاس

وما أنا غير سهمٍ في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتساكا

يقول: إني وإن رحلت عنك، فإني لا ألبث حتى أعود راجعاً إليك كالسهم إذا رمي في الهواء لا يقف، بل ينعكس فيعود منخفضاً وهذا معنى حسن في سرعة السير والعود، والأصل فيه قول الآخر:

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئاً ومن قعر الطّوىّ رماني

حييّاً من إلهي أن يراني وقد فارقت دارك واصطفاكا

حيياً نصب على الحال. أي: أرجع وأنا أستحي من إلهي أن يراني فارقت دارك، وأنت صفوته. أي: إذا كان الله تعالى قد اصطفاك من بين خلقه استحييت منه أن أفارقك وأوثر عليك غيرك، وهو قد اختارك واصطفاك. أي: وهو فعل ماض.

وروى ابن جني رحمه الله اصطفاكا بكسر الطاء وهو مصدر اصطفى وأصله المد، غير أنه قصر ضرورة. والأول أولى وأحسن في المعنى. ويجوز حيي بالرفع. أي أنا حيي من الله تعالى أن أفارقك، وقد اصطفاك ووكل إليك أمر العباد وأحوال البلاد.

هذا آخر ما سار من شعر أبي الطيب المتنبي رحمه الله تعالى.

وخرج من عند عضد الدولة، حتى إذا قرب من بغداد وخرج من دير العاقول خرج عليه فرسان ورجال من أسد وشيبان فقتل بين الصافية ودير العاقول وذلك يوم الاثنين لست ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة وقتل معه عبده وقتل ابنه بعده.

زيادات من شعر المتنبي

نعني بالزيادات الأبيات والقطع التي لم تثبت في النسخ التي بين أيدينا لهذا الشرح ولكن اطمأنت نفوسنا من نسبتها إلى المتنبي.

ومما لا ريب فيه أن المتنبي أسقط من ديوانه بعض القطع التي قالها في صباه أو ارتجلها ولم يجدها، أو استحى مما فيها، كما أسقط أبياتاً من قصائده حين إعادة النظر في ديوانه، وكذلك سها النساخ عن قطعة أو بيت، فمن أجل هذا وقع الخلاف بين النسخ في أبيات قليلة، ولسبب من ذلك يجد الباحث في بعض القطع حذفاً وإثباتاً وتقديماً وتأخيراً، أشرنا إليه في دراستنا ونبهنا عليه في موضعه من النص.

وفي النسخة التي اعتمد عليها شارحنا، قطع وأبيات مثبتة في متن الديوان ومشروحة. اعتبرها غيره من الشراح من زيادات الديوان، وذلك مثل قول أبي الطيب:

فديت بماذا يسرّ الرسول ... وأنت الصحيح بذا لا العليل

عواقب هذا تسوء العدو ... وتثبت فيك وهذا يزول

فقد ذكر البيتان في زيادات الديوان الذي حققه الدكتور عبد الوهاب عزام ولم يذكرا في التبيان، وإن ذكرهما الواحدي في صلب الديوان واتفق مع شارحنا في ذلك.

وليرجع الباحث إلى القطعتين رقمي **241** و**242** المثبتين في آخر السيفيات، ولينظر هوامشهما ليقف على مدى الخلاف في إثباتهما عند سائر الشراح.

ولقد أحببت أن أتتبع زيادات شعر المتنبي فأثبتها لحقاً لهذا الشرح، ولكن رأيت أن جمع الزيادات كلها يطول، ويدخلنا في نقد طويل، نزيف به بعض القصائد والقطع التي نسبت إلى الشاعر. وقد سبقنا العالم الثبت عبد العزيز الميمني الراجكوتي ونشرها في كتاب على حدة زيادات ديوان شعر المتنبي فكفانا مئونة هذا الجهد وسأكتفي بالزيادات التالية التي اطمأنت نفسي إليها مع ذكر مصادرها: أول شعر نظمه وهو صبي يتغزل:

بأبي من وددته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

فافترقنا جولاً فلمّا التقينا ... كان تسليمه عليّ وداعا

وقال يمدح محمد بن عبيد الله العلوي الكوفي:

يا ديار العباهر الأتراب ... أين أهل الخيام والأطناب ؟

قذفت بالبدور عنك ظهور البدن قذف القسيّ بالنّشاب
غادة تجعل الخليّ شجيّا وتصيب المحبّ بالأوصاب
صدّها، يذهل العقول، بالوص ل تردّ العقول بعد ذهاب
يا شبابي ترفّقن بشبابي نمت عن ليتي وبتّ لما بي
تالفاً بين ميتة وحياةٍ واقفاً بين رحمةً وعذاب
خذ إلهي من الملاح لجسمٍ حلن ما بينه وبين الثّياب

سوءةٌ للّتي شكوت فقالت: سوءةٌ للممخرق الكذّاب
أعتبت بالصدود بعد عتاب ورمت بالنّقاب بالعنّاب
بعناب تسودّت من حشائي بسواد ومن دمي بخضاب
وتمشّت من الفؤاد بنعلٍ حرّ وجهي له مكان التّراب
آه لم يدر ما العذاب فؤاد لم يذق طعم فرقة الأحباب
ابعدي فالسّلوّ أجمل عندي من حضور البكا على الغيّاب
ووقار الفتى بغير مشيب كصبوّ امرئ بغير شباب
سقّني ريقها وسقّ نديمي من سلاف ممزوجة برضاب
واسق أطلالها وإن هجرتنا يا إله السماء، نوء السحاب
مضلخمّ الرّوقين مثعنجر الود ق مسفّ الجهام، داني الرّباب
مسبلا مثل راحة ابن عبيد الله معطى الورى بغير حساب
يستقلّ الكثير معتذراً من أخ ذه طالباً إلى الطّلاّب
فنفوس الأموال غير رواض عنه، والسائلون غير عضاب
إنّ جود الوسميّ بل زبد البح ر ترامى عبابه بحباب
دون جدوى أبي الحسين إذا ما اش تغل الشّعر بالعطايا الرّغاب

وقال يمدح ابن كيغلغ وهو في حبسه:

شغلي عن الرّبع أن أسائله وأن أطيل البكاء في خلقه

بالسّجن والقيد والحديد وما ينقض عند القيام من حلقه
في كل لصٍّ إذا خلوت به حدّث عن جحده وعن سرقه
لو خلقت رجله كهامته إذاً لباري البزاة في طلقه
بدّلت جيرانه وبليته في خطّ كفّ الأمير من ورقه
يا أيها السيد الهمام أبا العبّا س والمستعاذ من حنقه
أعنى الأمير الذي لهيبته يخفق قلب الرّضيع في خرقه
المظهر العدل في رعيّته والمعتدي حلمه على نزقه
لما تأمّلته رأيت له مجداً تضلّ الصّفات في طرقه
نظرت من طبعه إلى ملكٍ يغضى حماة الشام من خلقه
لو ما ترى سفكه بقدرته كان دم العالمين في عنقه
يا من إذا استنكر الإمام به مات جميع الأنام من فرقه
في كلّ يوم يسري إلى عملٍ في عسكر لا يرى سوى حدقه
تشتعل الأرض من بوارقه ناراً وتنبو السيوف عن درقه
قد أثّر القيظ في محاسنه وفاح ريح العبير من عرقه
كأنّ الشمس؛ لم تزر بلداً في الأرض إلاّ طلعت في أفقه
الله يا ذا الأمير في رجلٍ لم تبق من جسمه سوى رمقه
كم ضوء صبح رجاك في غده وجنح ليل دعاك في غسقه
ناداك من لجّة لتنقذه من بعد ما لا يشكّ في غرقه

وقال يمدح أحمد بن الحسن:

أتظعن يا قلب مع من ظعن حبيبين أندب نفسي إذن
ولم لا أصاب وحرب البسو س بين جفوني وبين الوسن
وهل أنا بعدكم عائشٌ وقد بنت عنّي وبان السّكن ؟!
فدى ذلك الوجه بدر الدّجى وذاك التّثنّي تثنّى الغصن
فما للفراق وما للجميع ؟ وما للرّياح وما للدّمن ؟

كأن لم يكن بعد أن كان لي كما كان لي بعد أن لم يكن
ولم يسقني الرّاح ممزوجةً بماء اللّثى لا بماء المزن
لها لون خدّيه في كفّه وريحك يا أحمد بن الحسن
ألم يلفك الشّرف اليعربيّ وأنت غريبة أهل الزّمن
كأنّ المحاسن غارت عليك فسلّت لديك سيوف الفتن
لذكرك أطيب من نشرها ومدحك أحلى سماع الأذن
فلم يرك النّاس إلا غنوا برؤياك عن قول: هذا ابن من ؟
ولو قصد الطّفل من طيّئ لشارك قاصده في اللّبن
فما البحر في البرّ إلا نداك وما النّاس في الباس إلا اليمن

وقال يعاتب:

إنّي لغير صنيعة لشكور كلا وإنّ سواءك المغرور
مالي أراني منك تحت سحابةٍ ظمآن أستسقي وأنت مطير
أنت الأمير، وغيرك المأمور وعظيم شغلٍ في جداك يسير

وقال يمدح أبا دلف:

ليس العليل الّذي حمّاه في الجسد بل العليل الّذي حمّاه في الكمد
أقسمت ما قبّل الحمّى سوى ملكٍ قبل الأمير، ولا اشتاقت إلى أحد
فلا تلمها رأت شيئاً فأعجبها فعاودتك ولو ملّتك لم تعد

أليس من محن الدّنيا أبا دلفٍ ألا نزورك والرّوحان في بلد ؟

وقال معاتبا:

أتاني عنك قولٌ فازدهاني ومثلك يتّقي أبداً ويرجى
ولولا ظنّةٌ خلعت فؤادي وجدت إليك طرقاً منك نهجا
فلمّا جئت أشرق منك بدرٌ وكان لتمّه الإسعاد برجا

وكتب إليه الضرير الضبي:

قد صحّ شعرك والنّبوّة لم تصح — والقول بالصدق المبيّن يتّضح
فالزم مقال الشّعر تحظ برتبةٍ — وعن النّبوّة لا أباً لك فانتزح
تربح دماً قد كنت توجب سفكه — إنّ التمتّع بالحياة لمن ربح

فأجابه المتنبي:

نار الذراية من لساني تقتدح — يغدو عليّ من النّهي ما لم يرح
بحرٌ لو اغترفت لطائم موجه — بالأرض والسّبع الطّباق لما نزح
أمري إليّ، فإن سمحت بمهجةٍ — كرمت عليّ، فإنّ مثلي من سمح

وقال أيضاً يفتخر بنفسه:

لي منصب العرب البيض المصاليت — ومنطقٌ صيغ من درٍّ وياقوت
وهمّةٌ هي دون العرش منكبها — وصار ما تحتها في لجّة الحوت

وقال يهجو حيدرة قاضي طرابلس:

هيناً فقدت من الرّجال بليدا — من كان عند وجوده مفقودا
غلب التّبسّم يوم مات تفجّعي — وغدا به رأي الحمام سديدا
يا صاحب الجدث الّذي شمل البري — ية جوده لو كان لؤمك جودا
قد كنت أنتن منه يوم دخوله — ريحاً وأكثر في الحياة صديدا
وأذلّ جمجمةً وأعيا منطقاً — وأقلّ معروفاً وأذوى عودا
أسلمت لحيتك الطويلة للبلى — وثويت لا أجراً ولا محمودا
وروى الأطبّة أنّ ما بك قاتل — حمق شفاؤك كان منه بعيدا
وفساد عقلك نال جسمك معدياً — وليفسدن ضريحه والدّودا
قسمت ستاه بنيه ميراث استه — من بعده فغدت بغايا سودا
لو وصّلوا ما استدخلوا من فيشة — في طولهم وصلوا السماء قعودا
أولاد حيدرة الأصاغر أنفساً — ومناظراً ومخابراً وجدودا
سودٌ ولو بهر النّجوم بياضهم — قلّ ولو كثروا التّراب عديدا
بليت بما يجدون كلّ بخيلةٍ — حسناء كيلا تستطيع صدودا

شيءٌ كلا شيءٍ لو أنّك منهم ... في عسكر مجرٍ لكنت وحيدا

أسرف فإنّك صادقٌ في شتمهم ... في كلّ شيءٍ ما خلا التّحديدا

وقال أيضا يهجو آل حيدرة:

يا آل حيدرة المعفّر خدّهم ... عبد المسيح على اسم عبد مناف

تربا الكلاب بأن يكون أباً لها ... ويرين عاراً شدّة الإقراف

لا تجمعوا لغة النّبيط وتيهكم ... وأصولكم وأسامي الأشراف

وكتب إليه الضبي الشاعر الضرير وهو في الحبس:

أطللت يا أيّها الشّقيّ دمك ... لا رحم الله روح من رحمك

أقسمت لو أقسم الأمير على ... قتلك قبل العشاء ما ظلمك

فأجابه المتنبي:

إيهاً أتاك الحمام فاخترمك ... غير سفيهٍ عليك من شتمك

همّك في أمردٍ تقلّب في ... عين دواةٍ لصلبه قلمك

وهمّتي في انتضاء ذي شطبٍ ... أقدّ يوماً بحدّه أدمك

فاخسأ كليباً واقعد على ذنبٍ ... واطل بما بين إليتيك فمك

ومن شعر المتنبي مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندي بسند صحيح متصل به بيتان وهما.

أبعين مفتقر إليك نظرتني ... فأهنتني وقذفتني من حالق

لست الملوم أنا الملوم؛ لأنّني ... أنزلت آمالي بغير الخالق

وله في سيف الدولة، وكان قد أمر بخيمة فصنعت له، فلما فرغ منها نصبها لينظر إليها، وكان على الرحيل إلى العدو، فهبت ريح شديدة فسقطت، فتشاءم بذلك ودخل الدار واحتجب عن الناس، فدخل عليه المتنبي بعد ثلاثة أيام، فأنشده حيث قال:

يا سيف دولة دين الله دم أبدا ... وعش برغم الأعادي عيشةً وغدا

هل أذهل الناس إلا خيمةٌ سقطت ... من المكارم حتى ألقت العمدا

خرّت لوجهك نحو الأرض ساجدةً ... كما يخرّ لوجه الله من سجدا

وقيل للمتنبي: مالك لم تمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالبي رضي الله عنه فقال:

وتركت مدحي للوصيّ تعمّداً   إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا
وإذا استقلّ الشّيء قام بذاته   وكذا ضياء الشّمس يذهب باطلا

وللمتنبي وليس في ديوانه أيضا: يتغزل:

وحبيب أخفوه منّي نهاراً   فتخفّي وزارني في اكتئام
زارني في الظّلام يطلب ستراً   فافتضحنا بنوره في الظّلام

قال عبد الله بن المحسن بن علي بن كوجك: قرأت قصيدة لأبي الطيب يرثي بها أبا بكر بن طغج الإخشيدي ويعزي ابنه أنوجور بمصر وليست في ديوانه أولها:

هو الزّمان مننت بالذي جمعا   في كلّ يومٍ ترى من صرفه بدعا
إن شئت مت أسفاً أو فابق مضطربا   قد حلّ ما كنت تخشاه وقد وقعا
لو كان ممتنعٌ تغنيه منعته   لم يصنع الدّهر بالإخشيد ما صنعا

قال وهي طويلة لم يحضرني منها إلا هذه الأبيات وجاء في بدائع الزهور لابن إياس: وقد رثاه أي رثا محمد بن طفج أبو الطيب المتنبي بهذه الأبيات: وذكر الأبيات الثلاثة السابقة ثم زاد الأبيات التالية:

ذاق الحمام فلم تدفع عساكره   عنه القضاء، ولا أغناه ما جمعا
لو يعلم اللّحد ما قد ضمّ من كرمٍ   ومن فخارٍ ومن نعماء لا تسعا
بالحد طل إنّ فيك البحر محتساً   والليث مهتصراً والجرد مجتمعا
يا يومه لم تخصّ الفجع فيه لقد   كلّ الودى؛ برزءِ الإخشيد قد فجعا

ولما خلص إلى العراق هجا كافور بقصائد كثيرة، وكان هجاه من قبل أيضا تلويحاً وتصريحاً منها ما هو مثبت في ديوانه ومنها ما لم يثبت فمن ذلك هذه القصيدة وهي توجد في بعض النسخ دون بعض:

قطعت بسيري كلّ يهماء مفزع   وجبت بخيلي كلّ صرماء بلقع
وثلّمت سيفي في رءوسٍ وأذرعٍ   وحطّمت رمحي في نحور وأضلع
وصيّرت رأيي بعد عزمي رائدي   وخلّفت آراءً توالت بمسمعي
ولم أترك أمراً أخاف اغتياله   ولا طمعت نفسي إلى غير مطمع

وفارقت مصراً والأسيود عينه | حذار مسيري تستهلّ بأدمع
ألم تفهم الخنثى مقالي وأنّني | أفارق من أقلى بقلبٍ مشيّع
ولا أرعوي إلاّ إلى من يودّني | ولا يطّبيني منزلٌ غير ممرع
أبا النّتن كم قيّدتني بمواعدٍ | مخافة نظمٍ للفؤاد مروّع
وقدّرت من فرط الجهالة أنّني | أقيم على كذبٍ رصيفٍ مضيّع
أقيم على عبدٍ خصيٍّ منافقٍ | لئيم رديء الفعل للجود مدّعي
وأترك سيف الدّولة الملك الرّضي | كريم المحيّا أروعاً وابن أروع
فتىً بحره عذبٌ، ومقصده غنىً | ومرتع مرعى جوده خير مرتع
تظلّ إذا ما جئته الدّهر آمناً | بخير مكانٍ بل بأشرف موضع

وقال يهجو كافوراً:

أفيقا خمار الهمّ نغّصني الخمرا | وسكري من الأيّام جنّبني السّكرا
تسرّ خليليّ المدامة والّذي | بقلبي يأبى أن أسرّ كما سرّا
لبست صروف الدّهر أخشن ملبسٍ | فعرّقنني ناباً ومزّقنني ظفرا
وفي كلّ لحظٍ لي ومسمع نغمةٍ | يلاحظني شزراً ويوسعني هجرا
سدكت بصرف الدّهر طفلاً ويافعاً | فأفنيته عزماً ولم يفنني صبرا
أريد من الأيام ما لا يريده | سواي ولا يجري بخاطره فكرا
وأسألها ما أستحقّ قضاءه | وما أنا ممّن رام حاجته قسرا
ولي كبدٌ من رأي همّتها النّوى | فتركبني من عزمها المركب الوعرا
تروق بني الدّنيا عجائبها ولي | فؤادٌ ببيض الهند لا بيضها مغري
أخو هممٍ رحّالةٍ لا تزال بي | نوىً تقطع البيداء أو أقطع العمرا
ومن كان عزمي بين جنبيه حثّه | وخيّل طول الأرض في عينه شبرا
صحبت ملوك الأرض مغتبطاً بهم | وفارقتهم ملآن من شنفٍ صدرا
ولمّا رأيت العبد للحرّ مالكاً | أبيت إباء الحرّ مسترزقاً حرّا
ومصر لعمري أهل كلّ عجيبةٍ | ولا مثل ذا المخصيّ أعجوبةً نكرا

يعدّ إذا عدّ العجائب أوّلاً		كما يبتدي في العدّ بالإصبع الصّغرى

ومنها يذكر أم كافور:

فيا هرمل الدّنيا ويا عبرة الورى		ويا أيّها المخصيّ من أمّك البظرا
نوبيّةٌ لم تدر أنّ بنيّها النّوي		بيّ بعد الله يعبد في مصرا
ويستخدم البيض الكواعب كالدّمى		وروم العبدّي والغطارفة الغرّا

قضاءٌ من الله العليّ أراده		ألا ربّما كانت إرادته شرّا
ولله آياتٌ وليست كهذه		أظنّك يا كافور آيته الكبرى
لعمري ما دهرٌ به أنت طيّبٌ		أيحسبني ذا الدّهر أحسبه دهرا
وأكفر يا كافور حين تلوح لي		ففارقت مذ فارقتك الشّرك والكفرا
عثرت بسيري نحو مصر فلالعاً		بها ولعاً بالسّير عنها ولا عثرا
وفارقت خير النّاس قاصد شرّهم		وأكرمهم ظرّاً لأنذلهم طرّا
فعاقبني المخصيّ بالغدر جازياً		لأنّ رحيلي كان عن حلبٍ غدرا
وما كنت إلا فائل الرّأي لم أعن		بحزم ولا استصحبت في وجهتي حجرا
وقد أرى الخنزير أنّي مدحته		ولو علموا قد كان يهجي بما يطرا
جسرت على دهياء مصر ففتّها		ولم يكن الدّهياء إلا من استجرا
سأجلبها أشباه ما حملته من		أسنّتها جرداً مقسطلةً غبرا
وأطلع بيضاً كالشّموس مطلّةً		إذا طلعت بيضاً وإن غربت حمرا
فإن بلغت نفسي المنا فبعزمها		وإلا فقد أبلغت في حرصها عذرا

وقال وقد كثرت الأمطار بآمد:

أآمد هل ألمّ بك النّهار		قديماً أو أثير بك الغبار
إذا ما الأرض كانت فيك ماءً		فأين بها لغرقاك القرار
تغضّبت الشّموس بها علينا		وماجت فوق أرؤسنا البحار
حنين البخت ودّعها حجيجٌ		كأن خيامنا لهم جمار

فلا حيّا الإله ديار بكرٍ ولا روّت مزارعها القطار

بلادٌ لا سمينٌ من رعاها ولا حسنٌ بأهليها اليسار

إذا لبس الدّروع ليوم بؤس فأحسن ما لبست بها الفرار

قال ابن عساكر: وقرأت في بعض الكتب أنه لما خرج المتنبي بأرض سلمية من عمل حمص في بني عدي الكلبيين، قبض عليها بن علي الهاشمي في ضيعة له يقال لها كوتكين وأمر النجار فجعل في رجله قرمة، وفي عنقه، من خشب الصفصاف.

زعم المقيم بكوتكين بأنّه من آل هاشم بن عبد مناف

فأجبته :مذ صرت من أبنائهم صارت قيودهم من الصّفصاف

ولما أن صار معتقلاً في الحبس كتب إلى الوالي:

بيديّ أيّها الأمير الأريب لا لشيءٍ إلاّ لأنّي غريب

أو لأمٍّ لها إذا ذكرتني دم قلبٍ بدمع عين سكوب

إن أكن قبل أن رأيتك أخطأ ت فإنّي على يديك أتوب

عائبٌ عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب

وحكى الصفدي في شرح لامية العجم أن ابن المستكفي اجتمع بالمتنبي في مصر وروى عنه قوله يتغزل:

لا عبت بالخاتم إنسانةً كمثل بدر في الدّجى النّاجم

وكلّما حاولت أخذي له من البنان المترف النّاعم

ألقته في فيها فقلت انظروا قد أخفت الخاتم في الخاتم

وقال أبو بكر الشيباني: حضرت عند أبي الطيب وقد أنشده بعض الحاضرين:

فلو أنّ ذا شوقٍ يطير صبابةً إلى حيث يهواه لكنت أنا ذاكا

وسأله إجازته فقال:

من الشّوق والوجد المبرّح أنّني يمثّل لي من بعد لقياك لقياكا

سأسلو لذيذ العيش بعدك دائماً وأنسى حياة النّفس من قبل أنساكا

وله في عبد العزيز الخزاعي قبل رحيله من مصر:

لئن مرّ بالفسطاط عيشي فقد حلا بعبد العزيز الماجد الطّرفين
فتىً زان قيساً بل معدّاً فعاله وما كلّ سادات الشّعوب بزين
تناول ودّي من بعيدٍ فناله جرى سابقا في المجد ليس برين

وقال هجو الضبي الشاعر:

أيّ شعري نظرت فيه لضبٍّ أوحدٍ ماله على الدّهر عون
كلّ بيتٍ يجيء يبرز فيه لك من جوهر الفصاحة لون
يالك الويل ليس يعجز موسى رجلٌ حشو جلده فرعون
أنا في عينك الظّلام كما أنّ بياض النّهار عندك جون

وله في بستان المنية بمصر قبل رحيله وقد وقعت حيطانه من السيل:

ذي الأرض عمّا أتاها الأمس غانيةً وغيرها كان محتاجاً إلى المطر
شقّ النّبات عن البستان ريّقه محيّياً جاره الميدان بالشّبحر
كأنّما مطرت فيه صوالجةٌ تطرّح السّدر فيه موضع الأكر

وله في معاذ الصيداني:

معاذٌ ملاذٌ لزوّاده ولا جار أكرم من جاره

كأنّ الحطيم على بابه وزمزم والبيت في داره
وكم من حريق أتى مرّةً فلم يعمل الماء في ناره

وله فيه يعاتبه:

أفاعل بي فعال الموكس الزّاري ونحن نسأل فيما كان من عار
قل لي بحرمة من ضيّعت حرمته أكان قدرك ذا أم كان مقداري ؟!
لا عشت إن رضيت نفسي ولا ركبت رجلٌ سعيت بها في مثل دينار
وليّك الله لم صيّرتني مثلاً كالمستجير من الرّمضاء بالنّار

وكتب إلى علي بن أحمد الماذرائي في حاجة كانت له بالرملة قال:

إنّي سألتك بالّذي زان الإمامة بالوصيّ

وأبان في يوم الغدي ... ر لكلّ جبّار عويّ
فضل الإمام عليهمو ... بولاية الرّب العليّ
إلا قصدت لحاجتي ... وأعنت عبدك يا عليّ

وكان من نباهته أن تطلع الشعراء إلى شعره منذ صباه. وقد ادعى بعضهم قصيدته:

جللا كما بي فليك التبريح ... أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح ؟

فأخذ أبو الطيب الدواة وكتب لوقته قطعة لم يجز أن تروى عنه وأولها:

لم لا يغاث الشّعر وهو يصيح ... ويرى منار الحقّ وهو يلوح
يا عصبةً مخلوقةً من ظلمةٍ ... ضمّوا جوانبكم فإنّي يوح

قال ابن العديم: ونقلت من هذا المجموع مجموع صالح بن إبراهيم بن رشدين بخطه. ذكر لي أبو العباس بن الحوت الوراق - رحمه الله - أن أبا الطيب المتنبي أنشده لنفسه هذين البيتين:

تضاحك منّا دهرنا لعتابنا ... وعلّمنا التّمويه لو نتعلّم
شريفٌ زغاويٌّ، وزانٍ مذكّرٌ ... وأعمش كحّال، وأعمى منجّم

وقد وجد له مرويات أخر منها ما لا يستحسن إثباته هنا. ومنها ما ليس في ذكره إجداء. على أن الكثير من ذلك ليس من جيد شعره. ولمن طلب المزيد أن يرجع إلى كتاب الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي.

لأن الحي مولع بآثار من ذهب حريص على التنقيب عنها وتخليدها على تراخي الزمن.

اللهم إن أخطأت فالخير أردت، وإن أصبت فلك الحمد.

الفهرس